
الهلال
AL-HILAL
Jan. 1964

كلمات عاشت

● ان مدينة دالاس وحدها .. هى التى قدمت لى الورد الاحمر .. والدم ! (جاكلين كيندى فى أول حديث لها بعد اغتيال زوجها) ● اننى لا اجرى وراءها .. ولكنى اجرى وراء دموعى وانفاسى وخلجات نفسى ، اريد ان استردها بعدما خسرتها على مائدة الحب ! (كامل الشناوى) ● عندما لا اجد التسامح فى قلبى اصاب بالفزع ، واسرع الى المرايا باحثا عن التجاعيد التى ملأت وجهى ! فان اصحاب القلوب الشابة لا يحقدون ولا ينتقمون ! (على امين) ● الحب فى الصيف يأتى عليه الخريف فيتساقط كأوراق الشجر .. الحب يزدهر وينمو قويا عندما يبدأ فى الشتاء ! (احسان عبد القدوس) ● امرأة بغير قلب .. كزجاجة بغير خمر ! (امين يوسف غراب) ● السعادة كالنوم .. كلما انتظرتها وسعيت اليها .. هربت منك وطارت من جفنيك (مصطفى محمود) ● محسوب عليك : ذكاؤك .. وجمال زوجتك ! (انيس منصور)

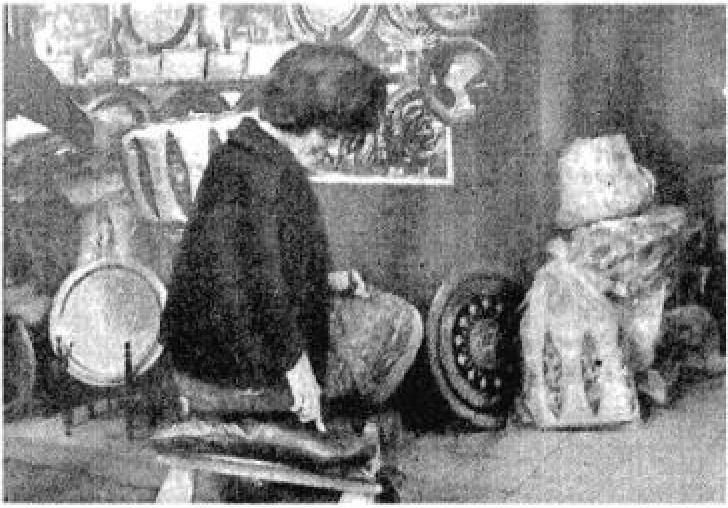
الهلال

● العدد الاول ● السنة ٧٢

● مجلة شهرية ● اسسها : جرجى زيدان

● رئيس التحرير : على امين ● مدير التحرير : طاهر الطناحى

● اول يناير ١٩٦٤ ● ١٦ شعبان ١٣٨٣



على غلاف هذا العدد :

تصوير شريف ذو الفقار

سحر الشرق وجماله ، والغموض والاسرار والكنوز ورائحة التاريخ التي تفوح من كل شبر في أرضنا الحبيبة .. كل هذه الالوان بالاضافة الى قصتنا الحديث في كل الميادين ، هي التي تدفع مختلف الجنسيات واللغات والالوان الى ان تقطع آلاف الكيلو مترات لتقضي أحلى لحظات العمر مع الذين صنعوا العجائب وحملوا على رؤوسهم تيجان الذهب ، وامسكوا بايديهم صولجان الملك ودانت لهم العروش .. ان عدسة شريف ذو الفقار ترافقك في « جولة » العمر .. على صفحة ٨٢



23

عباس العقاد :

حماة الشعر ، ورعاته ، ومحبيه !
رواة الشعر ، وقالته ، والمستمعين اليه !
ان للشعر لنفحة علوية في سماء الروح
وان من نفحاته ان تكون تحيتكم هي موضوع الحديث اليكم !
تحيتكم تحية الشكر والحمد لشهودكم مهرجانه واحتفالكم بعيده ، ورعايتكم له العام بعد العام ، وانتظاركم له هنا وفى كل مقام (١)

الشعر لازم

وموضوع الحديث اليكم فى هذا المهرجان ان الشعر لازم فى عامنا هذا ، كما كان لازما فيما سلف من الوف السنين ومئات العصور

لا ينقص من لزومه شيوع الصاروخ كما قيل

بل هو ألزم ما يكون حين تشيع الصواريخ ، وتشيع معها اخواتها من صفائح الحديد والخشب ، وآلات النار والكهرباء

وكلما غلبت المادة وصفائحها وآلاتها تحسس الانسان مكان روحه وارتد الى قرارة عطفه ووجدانه ، يطمئن على نفسه : الا يزال انسانا بعد ؟ أم هو قد فقد الانسانية فى كيانه وصار مع الصاروخ واخواته آلة من الآلات ، وقطعة من الخشب والحديد ، وشواظا من النار والكهرباء

وما كانت بالانسان حاجة الى ان يتلمس دخيلة حياته بين جنبيه، يوم كانت عشرته مع الاحياء ، وطعامه من خيرات الاحياء ، ومقامه بين صنوف الاحياء ، ورحلته على متون الاحياء : مطايا الابل والخيل والفيلة والانعام

ولكنه فى عصر الصاروخ أحوج ما يكون أن يتلمس موطن تلك الحياة، وان يستمع الى نجوى فؤاده بلسان الحياة وان ينظم الشعر ، ويحن الى النغم ، ويشهد صور الجمال والعطف فى كل منظور ومسموع ..

(١) القيت هذه الكلمة فى افتتاح مهرجان الشعر بالاسكندرية (نوفمبر ١٩٦٣)



العقاد فى مؤتمر الشعر بالاسكندرية ،وقد جلس بجانبه يوسف السباعى السكرتير العام لمجلس الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ..

وما كان الصاروخ ليحل محل الشعر واخواته من فنون الجمال ، اذ ان الناس لم ينظموا الشعر لانهم بحثوا عن الصاروخ فلم يجدوه ، وانما نظموه لانهم يحسون وينطقون ولانهم يترقون مع الزمن فيزدان النطق عندهم بالجمال ، ويحسن الانسان من التعبير الجميل ما لم يحسنه الحيوان ، ويستطيع من النظم ما ليس يستطيعه الطير بالتغريد ، ولا الخيل بالصهيل ،ولا سباع الغاب بالزئير

ولئن سبق الصاروخ الطيارة فلن يسبق الصاروخ سبحات الخيال

ولقد سبقه الخيال يوم تحدث هاتف الخيال عن حصان الابنوس ، وعن اجنحة واق الواق .. وسبقه الخيال فأملى على الصانع كيف يكون الطيران بالقوة ، وكيف يكون الطيران بالخفة . وقد كان العلماء يجزمون جزم اليقين ان لا طيران فى الهواء بغير اداة اخف من الهواء، عجزا منهم عن فهم ، الطير كيف يطير ، وما عجز عنه الخيال .. وانما هى القوة يطير بها ذو الجناح ، كما يطير بها الحصان الطيار

***

ان الشعر لازم للانسان الناطق ما دام ينطق ويعقل ، ويترقى بالنطق فى معارج الكمال ومعارض الجمال

ان الشعر الزم ما يكون للانسان فى عصر الصاروخ

وان حفاوتكم به فى هذا العصر



بوريس باسترناك

شهادة لعصر الصاروخ تشرفـــه وتعليه ، لانه لم يتخلف عن عصور تعلم فيها الانســـــان كيف يكون انسانا بالمنطق التام واللســـــان المبين

***

وفى الغرب الذى يدين بالصاروخ علامات كهذه العلامة ، وآيات كهذه الآية ، تنويها بلزوم الشعر وعنوانا على النهج به والحرص عليه ..

ففى السنوات الست الاخيرة ـ سنوات الصاروخ ـ صارت الجائزة العالمية للادب الى ستة من الادباء : خمسة منهم شعراء : وهم خيمينيز الاسبانى ، وباسترناك الروسى ، وكوسيميدو الايطالى ، وجون بيرس الفرنسى ، وسيفيرس اليونانى ..

ومهما يكن من الرأى فى انصاف جائزة نوبل العالمية ، أو فى نظرتها الناقدة الى الآداب والفنون ـ فلا نكران عليها انها علامة من علامات الزمن بصوابه وخطئه ، وبما يراه من لزوم وما لا يراه

ولا علامة للشعر اللازم فى هذا الزمن ، اصدق من العلامة التى تدل على امم خمس ، بينها من المشابهات والفوارق ما بين الاسبان ، والروس والطليان ، والفرنسيين ، واليونان!

***

حماة الشعر ورعاته ، ومحبيه
رواة الشعر ، وقائليه، والمستمعين اليه

اذا لزم الشعر فى لغة من اللغات فانما يلزم لالزم ما فيه

والزم ما فى الشعر انه فن من الفنون

والزم ما فى الفن انه ذو قواعد واصول ، توائم فى كل لغة ماطبعت عليه تلك اللغة ، ويوائمه فى اللغة العربية ـ خاصة ـ أنها لغة الوزن فى كل كلمـــــة وفى كل صيغة ، فليست فيها كلمة واحدة تنعزل من وزن اشتقاق أو وزن سماع ،وليس فى اللغات الاوربية كلمة واحدة لها وزن مقصود

لا شعر بغير فن !
ولا فن بغير قاعدة

والذين يقولون بغير ذلك يقولون عجبا يستغربه السامع ، ويستغرب الذى يسمع ويفقـــه ما يقال كيف يصغى اليه السمع وكيف يستجيب له الفهم ، وكيف يتكرر بعد تكرار البيان فيه !

يقولون ان قواعد الوزن تدعـــو الانسان ان يقول مالا يلزم ، تكملة

للوزن حيث لا محل له في الكلام

هل يقال هذا في الشعر وحده ؟ او يقال في شتي الفنون ، عندنا وعند غيرنا من العالمين ؟

ماذا يصنع منشد الغناء ؟

ماذا يصنع الراقص في حركات قوامه ويديه وقدميه ؟

ماذا يصنع الموسيقار في صوته المرسل بغير كلام ؟

الا يزيد المغني في غنائه ليطابق فيه بين الالفاظ والالحان ؟

أنبطل الالحان لانها تسومنا المد في الصوت وراء ما يلزم كما يقال ! أو لأنها تسومنا الزيادة في الحروف والكلمات وراء ما تتم به جملة المبتدا والخبر ، او جملة الفعل والفاعل ، أو جملة المحمول والموضوع ؟

أنبطل الرقص الذى يسوم الماشي أن يخطو فوق خطوه أو يقصر عنه باختياره ؟ ولو كانت رقصة حرب او رقصة فتوة ، أو رقصة رياضة ؟

ان الفنان لا يضع في مده او زيادته غير ما يلزم ، بل غير اللازم قبل كل لزوم : وهو رعاية الفن والقاعدة في الفنون

وليس الوزن زيادة في المقال ، بل هو قوام المقال كله ، الا أن يكون في غير الفنون

وانما الشعر تفاعل كامل بين اللفظ والمعنى وقاعدة القواعد الفنية من وزن أو نظام مقدور

***

وملكة الشاعر هي الملكة التي تقدر على هذا التفاعل بغير حشو او فضول ، أو يكون الحشو والفضول — ان كانا — زيادة للمعنى وتوكيدا للاثر ، لا وقرا محملا عليه ، ولا فضولا ملصقا به ، ولا لغوا مضافا اليه

وكل بيت في الشعر المطبوع آية على صدق هذا التفاعل التام بين الالفاظ والمعاني والاوزان ، وآية على لزوم الوزن كلزوم لفظ الشعر ومعناه

امامنا مثل من ابيات لامرىء القيس يقول وصفا للفرس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

لاشك ان كلمات « الهيكل » و « من عل » و « المتنزل » وقد جاءت لوزن القافية اللامية ..

ولكن هل هي زائدة ؟ .. كلا ! ليست هي بزائدة . ولكن الوزن قد جعلها في مكانها الزم من كلمات المنثور ، ولنجرب حذف الهيكل أولا لنرى كيف ينقص المعنى والاثر ولو كان في الكلام المنثور

نقول مثلا : « اننا نغدو مبكرين قبل نهوض الطير بفرس منطلق يلحق بالوحوش السابقة كأنه يقيد خطوها ... فنحن اذن قد زدنا في اللفظ ولم ننقص ، واصبحنا كاننا نسمع وصفا للسرعة ولا نسمع وصفا للشكل والحجم والمنظر ، وانما يتم ذلك كله حين نقول انه



الشاعر اليوناني كوسيميدو

« قيد الاوابد هيكل » اى انه ضخم جسيم ..

ولقد يقال ان كلمة اخرى تحل محل « هيكل » حين نقول « ضخم او جسيم او مكين »

فهل ترانا نشعر بأثر لهذه الكلمات كما شعرنا بأثر الهيكل فيما حققته الكلمة من وصف الجسامة والصورة والمثال

جواب ذلك عند من يتهمون القافية بزيادة الفضول ، ان لم يكن جوابهم هنا من فضول المقال

ونأتى بعد ذلك الى كلمة «من عل» وهى التى تتم وصف الجلمود وهو ينحط مع السيل ، فهل يتم الاثر بحذف هذه الكلمة ؟ هل التذكير بانحطاط الحجر من الاعالى فضول وزيادة بغير مدلول ؟

وهل ذكر المطردون وصفه بالمتنزل تنزيه للبيت من اللغو او هو مما يتم هذا الوصف للمطر بالتنزل، وبالزلل عن متن الصخراء في هذه الحال ؟

***

وابيات غير هذه الابيات من كلام المعرى يقول فيها مفتخرا :

الا في سبيل المجد ما انا فاعل
عفاف واقدام وحزم ونائل
اعندى وقد مارست كل خفية
يصدق واش او يخيب سائل
تعد ذنوبي عند قوم كثيرة
ولا ذنب لى الا العلا والفضائل

فمما لا شك فيه ان « النائل والسائل والفضائل » قد جاءت في مواضعها هنا لان القافية لامية

ولكن لماذا نختارها لضرورة المعنى ؟

ولماذا نقول معنى غير هذه المعاني التي تؤدى بهذا النظم وهذه القافية

ولماذا نعدد فضائل اخرى تزيد على هذا العدد أو تنقص منه ، بعد ذكر العفاف والاقدام والحزم والنائل ! واذا كانت كلمة العطاء مثلا تؤدى معنى كلمة النائل ــ فلماذا نفضلها عليها !

ويقول ابن الرومى في وصف مغن كريه الصوت والغناء :

ابو سليمان لا ترضى طريقته
لا في غناء ولا تعليم صبيان
له اذا جاوز الطنبور محتفلا
صوت بمصر وضرب في خراسان

فمما لا شك فيه أن خراسان جاءت هنا وزانا لصبيان ، بل لا شك ان « محتفلا » في الشطر الاول كلمة لازمة لتمام البيت

لكن الشاعر قد يقول بدلا من الشطر الثاني : «صوت بمصر وايقاع ببغداد » اذا كانت القافية دالية

.. فما الذى يختلف بين هــذين الاسمين ؟

وقد يحــذف القــائل كلمة « محتفلا » بعد الطنبور فيقول :

« للمغنى اذا تنــاول الطنبور صوت هنا وضرب هناك »

فهل يكسب البيت بحذف هــذه الكلمة ويقوى ؟ أو يخسر ويضعف ؟

ان كلمة « محتفلا » تصور لنــا اجتهاد المغنى وتأهبه بجلســته وإيماله واســتعداد الســامعين للاصغاء الى شىء حسن . فاذا بهم يفاجئون بالصوت الردىء ، فــلا يكون اثره فى نفوسهم كأثره فيهــا وهم لايــرون ذلك الاحتفــال ولا ينتظرون بعده الاتقان والكمال ..

فما جاءت « محتفلا » هنا فضولا لاجل الوزن ، بل كان تفاعل الكلمة مع الوزن سببا لاســتدراك نقص واستكمال اثر ، لم يكن لها فى النثر من داع منبه لهذا الاستدراك

***

حماة الشعر ورعاته ومحبيه رواة الشعر وقائلته والمستمعين اليه

نستأذنكم ان نختتم هذا الحديث اليكم مكررين الحمد لكم والثناء عليكم ، مرددين اليقين بالشــعر اللازم والفن الالزم

لزوما يتم فيــه المعنى واللفظ بالوزن والقافية ، وتؤدى فيه ملكة الشاعر المطبوع عملها « تفاعــلا » حيا بين نغماته وحــروفه وكلماته تتزاوج فيه جميعا لتزداد « بلاغة » فى الاثر ، وإيناسا للسمع «واشباعا» للاداء ، ونفيا للفضول ، وتجاوبــا بين الوقع والايقــاع .. وعلى ذلك جبلت ملكة الشاعر المطبــوع من رزقها قال وتغنى وألهم وأثر ومن لم يرزقها فلا حق له فى قول الشعر وأولى به الا يقول شعرا ولا يقول عن شــعر .. ذلك خير له والنــاس ، وخير للشعر والفن وخير للعقــول والاسماع

عباس محمود العقاد

عمل انسانى

قالت المسافرة لمفتش التذاكر فى القطار :

ــ اسفة جدا لان كلبى الصغير يبدو انه اكل تذكرتى

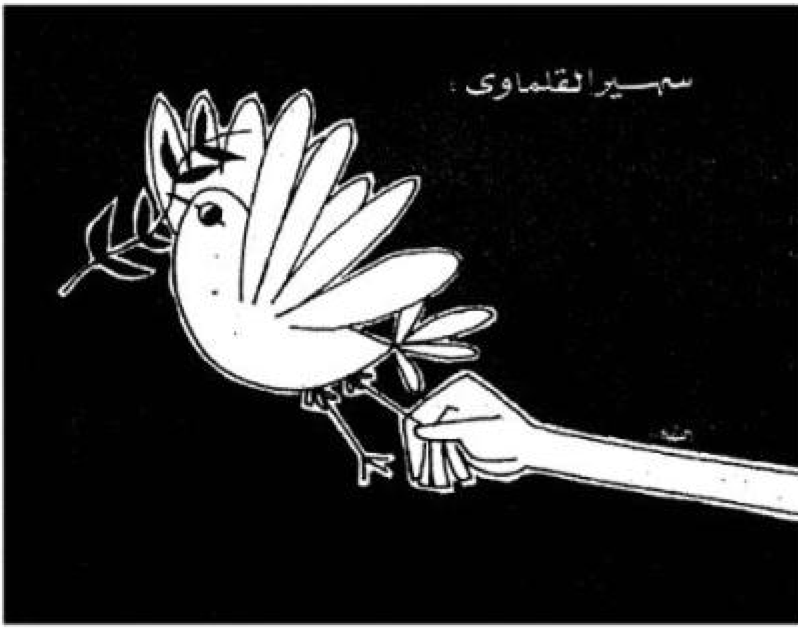
ــ من الواجب الان فى هذه الحالة ياسيدتى ان تشترى له « وجبة » اخرى !

لنفس السبب

رأى رجل عجوز وهو سائر فى الطريق غلاما صغيرا جالسا على عتبة بيت ويبكى بحرقة . فوقف يسأله عن سبب بكائه :

ــ لأنى لا استطيع ان افعل ما يفعله الفتيان والشبان

فجلس العجوز بجانبه واشترك معه فى البكاء !



نور أحمر
على طريق السلام ..!

في طريق الاحلام الوردية بالسلم العالمى ونزع السلاح الشامل وعلى مدخل واحة السلام مباشرة ينار فجاة نور احمر يقول: قف . أتعرف ماذا يعنى نزع السلاح . سيقابلك منحنى فظيع فاحذره . اما تجار الموت وضعاف النفوس فيقولون انه منحنى مدمر فهلم نعود القهقرى يا رفاق ونؤثر السلامة ونترك أمرنا للقدر . واما الانسان فيقول كلا . لقد خلقنا للصعاب فماذا يكون منحنى ، مهما بلغت خطورته اذا لم يقهره عقل الانسان فيحسب حسابه ويعد العدة لاجتيازه . هلم يا رجال هلم لدخلوا الواحة الخضراء الى عالم يليق بكرامة الانسان

السلام . حلم الانسانية الاكبر . ايمكن ان تقوم عند ابواب تحقيقه مشكلات . أفلا يستطيع حتى هذا الحلم الاكبر أن ينجو من داء العصر داء المشكلات . ان قلوبنا لتنكر



الشرق .. والغرب لحظة التوقيع على معاهدة الحظر الجزئي على التجارب النووية .. انها خطوة خطيرة على طريق السلام الدائم

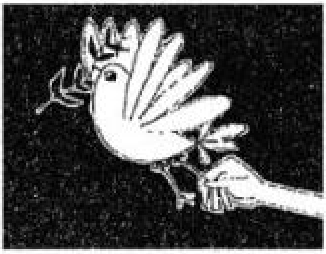
ذلك . ولكن الواقع الثقيل يفرض نفسه على عقولنا . واذا السلام هو ايضا له مشاكل .. مشاكل عريضة طويلة لابد من الاستعداد لحلها منذ الان ، ليكون العمل على حلها متمشيا خطوة خطوة مع عملية تحقيق السلام : منذ الخطوة البسيطة الاولى وهي تحريم التجارب الذرية الى تحقيق نزع السلاح كاملا وتسريح الجيوش

***

وعملية ازالة العقبات في سبيل السلام ليست اخطر كثيرا من عملية تكييف المجتمع الانساني اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا بعد اقراره . العلماء في هذا العصر لا يدرسون المشكلات الواقعة وحدها وانما هم يتدبرون خطوات السير والتقدم ويسبقون الاحداث فيعدون المجتمع للخطوات القادمة بحيث لا تقع مشاكل اذا امكن .. واذا وقعت تكون أخف وطأ وايسر حلا

ومشكلات الخطوة العملية الاولى لاستقرار السلام تبرز في الناحية الاقتصادية اكثر من اية ناحية اخرى . لذلك نجد الامم المتحدة في سنة ١٩٦١ تتخذ قرارا في نفس الدورة التي اتخذت فيها قرارا يهدف الى العمل جديا على انجاز اتفاق وقف التجارب الذرية بين المعسكرين ، وهذا القرار هو تأليف لجنة من الخبراء الدوليين

فى الاقتصاد والاجتماع لدراسة النتائج المترتبة على نزع السلاح الشامل . وبعبارة اخرى فان الخطوة الاولى فى سبيل نزع السلاح لابد أن تسير مع الخطوة الاولى فى دراسة النتائج المترتبة على تحقيق هذا الامل يوما نرجوه قريبا . وقامت اللجنة بدراساتها ووضعت تقريرها امام الهيئة فى نفس الوقت الذى كان يرجى ان تعرض عليها نتائج محادثات « جنيف » لنزع السلاح لدى الاعضاء تتسائع الباحثات مع هذه الدراسات فى



وقت واحد . ولقد تعثرت محادثات « جنيف » ولكنها بعد عامين تثمر الاتفاق المعروف بحظر التجارب الذرية حظرا جزئيا بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . هذا الاتفاق الذى هللت له اكثر من مائة دولة لانها رات فيه بارقة امل او خطوة اولية مبشرة بخطى اهم ستعقبها . ولم يشذ عن هذا الا الصين الشعبية ومن سار فى فلك شيوعيتها

الخاصة ، لا معارضة فى السلم ولكن تصميما ، كما تزعم ، على السلم كاملا أو لا شيء

ولكن هذا التقرير ، تقرير الخبراء الدوليين ، ليس فى متناول ايدينا فاذا بمعهد الدراسات الافروآسيوية فى الهند يكلف عضو الهند فى هذه اللجنة الدولية بأن يلخص فى أسلوب سهل هذا التقرير ليستطيع المثقف العادى أن يشارك فى التفكير فى المستقبل على هذا المستوى الدولى . والاهم من هذا ان انتشار المعرفة بما فى هذا التقرير يساعد على تهيئة الجو الدولى ويحفز على الايمان بضرورة تحقيق السلام لا بدافع رومانسى او عاطفى فحسب وانما بوعى كامل ايضا بكل اطراف عملية التحقيق وما قد يعتريها من صعاب ندركها على حقيقتها . وخلاصة هذا التقرير هى بضع صفحات تقرا فى اقل من نصف ساعة فاذا آفاق وآفاق من التفكير فى شئون السلم تتفتح أمامنا

هذه الجيوش المجندة اليوم للدفاع او الهجوم ما مصيرها يوم نزع السلاح نزعا شاملا ، انها مئات الآلاف من العاملين فى أشرف الميادين سيصبحون بلا عمل . هل تسعهم المصانع ؟ هل يقوى التعمير وصنع الرخاء على أن يستنفد جهدهم كما كان الدمار والخراب سيستنفدها . طبعا لابد من ذلك . ولكن كيف ؟ • وميزانيات التسلح

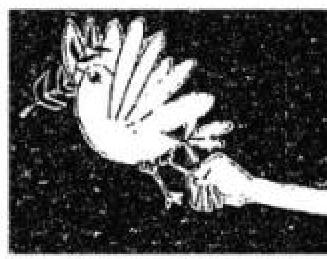
ماذا هي ؟ وكم هي ؟ وفيم يحسن ان تنفق . وميزانية التسلح دوليا ليست مجموع ميزانيات وزارات الدفاع في العالم يجمع بعضها الى بعض . وانما هي أكثر من ذلك كثيرا . ان أموالا كثيرة لا تدرج في ميزانية وزارة الدفاع ما كان لها أن تنفق لولا فكرة الاستعداد للحرب . وقد نختلف في بعض هذه الاموال وطبيعة الابواب التى تنفق فيها وقد نتفق ولكننا فيما سنتفق فيه حتما سنجد مقدارا ضخما يضاف الى ميزانية وزارة الدفاع في كل بلد . ومع ذلك فلنترك هذه الاموال الاخرى مهما تكن ضخمة ولنأخذ فقط ميزانية الدفاع الرسمية في كل بلد ونجمعها . اننا في الحال نصبح امام رقم ضخم هو مائة وعشرون بليونا من الدولارات سنويا . ولندرك ضخامة هذا الرقم نقول انه يمثل ثمانية أضعاف قيمة ما ينتجه العالم من سلع وما يقدمه من خدمات في العام الواحد . وهو ايضا يمثل ما بين الثلثين أو النصف على الاقل لمجموع الدخل القومي لكل الدول المتخلفة اقتصاديا مجتمعة

وخمسة وثمانون بالمائة من هذا المبلغ الضخم الذى ينفق رسميا في التسلح تدفعه سبع دول وحدها دون سائر دول العالم . بل ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحدهما يدفعان ثمانين في المائة من هذا المبلغ سنويا في سباق التسلح .. وتشترك بريطانيا وفرنسا وكندا والصين والمانيا الغربية في خمسة في المائة فقط واما سائر دول العالم كلها فانها تشترك في الخمسة عشرة في المائة الباقية وهى تزيد على مائة دولة

ان ماينفق على التسلح في الدول السبع الغنية يعادل من ٥٪ الى ١٠٪ من مجموع دخلها القومي . بينما ما ينفق في الدول المتخلفة اقتصاديا على التسليح يتراوح بين ١٪ و ٥٪ من الدخل القومي . وان كانت هذه النسبة تبدو ضئيلة فان الحاجة الى كل قرش في هذه الدول لتنمية الدخل ورفع مستوى المعيشة يجعل العبء فادحا على اية حال . فلو ان هذا الجزء الضئيل من الدخل القومي مضافا اليه جزء من ميزانية التسلح المستغنى عنها في الدول الغنية (وهى ما وصلت الى ما وصلت اليه في اغلب الاحيان الا عن طريق الاستعمار أو استغلال الدول التى تسمى الان متخلفة اقتصاديا) استخدم في اصلاح الاراضى وبناء المصانع والاسكان الخ .. لتقدمت تلك الدول تقدما ليس سريع الخطى فحسب ولكنه شامل في الوقت نفسه

فاذا ما نظرنا الى القوى البشرية المستغلة في عملية التسليح فاننا نجد نحوا من خمسين مليونا من البشر هم بين مجندين (عشرين مليونا) وبين عاملين في قطاع الحربه بشكل أو بآخر (ثلاثين مليونا) .

ولا يغيب عن الاذهان طبعا ان هذا العدد يتضاعف اضعافا مضاعفة في حالة قيام الحرب فعلا . وهــذا العدد كما نرى ما يزال مرتفعــا جدا رغم تقدم الصناعات الحربية واستخدام قوى كهربية او نووية بدلا من القوى البشرية . ولابد من أن نذكر ايضا لتكون الصـورة واضحة ان كثيرا من البلاد حتى المتخلفة منها تكون الجندية بشكل غير مباشر وسيلة من وسائل امتصاص القوى العاطلة . ولكن



لا يمكن ان ننسى مهما تكن الحقائق الاخرى أن سن المجندين هو زهرة العمر وذروة النشاط في الانتاج والعمل . بل وفي الابتكار ايضا وان تقدم الآلات وتعقدها يجند لها من أبناء الوطن ابرع الناس وأخلصهم واقدرهم ، ومعنى كل هـذا ان التسلح يمتص من الطاقة البشرية كما وكيفا مقدارا ما كان أحـراه ان ينفق في الخير والتعمير بدلا ان ينفق في الشر والدمار

مع التسليم بان المال والقوى المرحة في السلم ستكون ذخرا للعمل على اقرار السلام والرخاء فاننا يجب الا نغفل عن ان تحويل التوتر والقلق الى طمأنينة وسلام سينتج الكثير من الرجات ومشاكل التحول

ان كثيرا من الجهد والمال في الناحية الاقتصادية ستنطلق آفاقه الى مالا نهاية فيما يلوح . ولابد من حساب كل شيء في مثل هـذه الاحوال . لابد من تقدير الاخطار وحساب الفوائد . ولابد من العمل على توزيع هـذه الطاقة الكبيرة توزيعا سليما بحيث لا تدمر نفسها او تنطلق في غير ما غاية او نفع . ان صناعات الحرب التي تندرج عادة تحت بنـد المؤن والآلات ووسائل المواصلات والادوات والميزانية الحربية تنفق عادة على الجند والمنشآت والانتقالات والابحاث . وكل هـذا كما هو واضح يستدعى تركزا في مناطق بعينها

***

اما الطاقة الحربية في البلاد المتخلفة فهي عبـارة عن الطاقة البشرية زائد المساعدات الاجنبية فالتحول الى السلم قد يكون اخف مشاكل عندها منه في البلاد الثرية . فمجال التنمية الاقتصادية مفتوح على مصراعيه ليستوعب في البلاد المتخلفة اي طاقة واي قـدر من المال . ولكن في بعضها قد تختلف الاحوال . ان منهـا ما هو مجرد

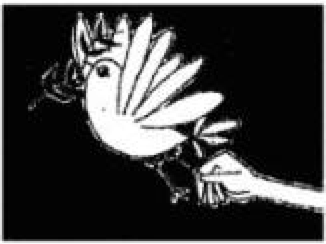


ملايين الافدنة فى العالم تنتج الخيرات لرفاهية البشر .. وقت السلم هل ستستمر بالوفاء بحاجة البشرية .. ؟!

قاعدة حربية فى الواقع . فليس له من الطبيعة او الصناعة ما يضمن موردا للسكان وبمجرد الاستغناء عن القاعدة الحربية يتحول المكان الى صحراء جرداء يصعب عليها الحياة أو اذا أصر ربا على بقاء الحياة عليها فانها تكون باهظة التكاليف . فما كان يبرر هذا فى الماضى قبل السلام الا سباق الحرب اما وقد انعدم فماذا يكون مصير هذه البلاد ؟ . لابد من الدرس والتخطيط فى شأن هذه البلاد التى خلقت من عدم أو التى عاشت متخلفة معتمدة على وجود القاعدة الحربية ليس غير

ان عملية التطور والتحويل فى الاقتصاد أمر مألوف . فباختراع مثلا ترتج السوق وتبدأ عملية تأقلم وتطور وفى موضوع نزع السلاح لابد من أن ننظر الى الامر على هذا النحو . انه اولا سيأتى بالتدريج الذى يسمح بأن تتم عملية التحول دون قلقلة مدمرة . انه تحول قد قوى ولكنه تحول على كل حال فى تاريخ الاقتصاد الحافل بأحداث التحول . وقد لا تجد بعض البلاد صعوبات ضخمة فى تحويل الطاقة الحربية الاقتصادية الى اعادة البناء وتقديم الخدمات الصحية والتعليمية ورفع مستوى المعيشة واستخدام الطاقة العلمية بآلاتها فى ابحاث القضاء على الامراض او الحشرات الضارة بالمحصول « دودة القطن مثلا » وقد يأخذ هذا التحول وقتا ولكن اذا بدأ سليما فانه سيسرع نحو الرخاء السعيد . ولكن فى البلدان الغنية تجد أن التحول سيحدث قطعا قلقلة بعيدة المدى لابد من أن يحسب حسابها بدقة وصبر . ان ميزانية الحرب فى آخر سنة من سنوات الحرب العالمية الثانية عند الولايات المتحدة مثلا كانت تمثل ٤٠٪ من الدخل القومى وفى ظرف عام واحد « نتيجة لانتهاء الحرب » هبطت هذه الميزانية ٣٢٪ فاذا بها تصبح ٨٪ فقط من الدخل القومى . وفى السنوات الاخيرة لم

تمد ١٠٪ وهذه العشرة فى المائة لا تصل برغم ارتفاع الدخل القومى فى هذه السنوات ارتفاعا كبيرا جدا عما تمثله هذه الـ ٢٢٪ التى خفضت فى ظرف عام واحد . اريد ان اقول ان مبلغ الميزانية اليوم اذا محى نهائيا فان الولايات المتحدة ستواجه حالا كالحال التى واجهتها فى العام الاول من السلم بعد الحرب العالمية الثانية من حيث مقدار ما اطلق سراحه من مال ليوجه وجهة اخرى غير الحرب . ولكن اولا مرونة



الاقتصاد الامريكي وعوامل اخرى ـ لا تتوفر كلها اليوم وان يكن من الممكن ان يتوفر غيرها ـ ما استطاعت مواجهة الرجة التى حدثت . وكان من أهم القرارات خفض ساعات العمل لتخفيف البطالة ولو جزئيا . والولايات المتحدة نفسها تعلن منذ اليوم انه رغم ضخامة ميزانيتها وحرية اقتصادها ومرونته فان اجراءات واسعة النطاق جدا وعنيفة لا بد من ان تؤخذ لمواجهة الرجة التى ستعقب عملية نزع

السلاح لمواجهة الطاقة البشرية والاقتصادية التى سيطلق سراحها فجاة مطالبة بتوجيه جديد نحو مصارف سلمية جديدة . ولقد واجهت الولايات المتحدة حديثا هذا الموقف بعد انتهاء حرب كوريا فلم توفق بنفس المقدار الذى وفقته سابقا . ان البطالة فجاة ارتفعت الى ٦ر٥٪ فى القوى العاملة . وبعد جهود وعلاج لم تستطع ان تخفضها الى اقل من ٤ر١٪ ليس غير .

وهذا ما حدث فى بريطانيا ايضا مما يجعل العلاج يبدو أصعب ولكنه امام ما يفتح من آمال يهون مهما صعب

وعلماء الاقتصاد يقررون ان قوة الاقتصاد الديناميكية تستطيع أن تأخذ هذه الرجات فى اثناء قفزاتها الجبارة دون ضرر . وانه لمن الجرم ان يزعم بعض الزعماء وتجار الحرب ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المترتبة عليها عند نزع السلاح ستريئا ان نزع السلاح لا يساوى مقدار ما سيضحى به فى سبيله . ان هذا الزعم ليس جرما فحسب ولكنه حسب ادق الدراسات واشملها قد ثبت أن الخوف اليائس من الاضطراب الاقتصادى انما هو خدعة او خرافة من الناحية العلمية البحتة

ان المصانع الحربية التى ستتحمل جزءا كبيرا من الصدمة يمكن تطويرها الى مصانع آلات سلمية . ولقد حدث ذلك بنجاح فى كل مكان أمام تقدم الآلات

والمخترعات الحديثة فقد ظلت بلاد كثيرة تستعمل آلاتها وتشغل عمالها في المصانع القديمة التي لا تستطيع انتاج آلات الحرب في صنع آلات مدنية كالافران والثلاجات الخ . واذن ليس من باب تبسيط ما لا يجب ان يبسط ان نقول ان اضخم المصانع الحربية واحدثها يمكن في سهولة ان تتحول الى مصانع آلات سلم ورفاهية . وكذلك الامر في المعدات الكهربائية ووسائل النقل المستخدمة في الجيش أو التسلح

***

وفي هذا التحول سنضطر الى تغيير طبيعة العمل لدى طائفة ضخمة من العمال هم عمال المصانع الحربية وعمال الجيش بصفة عامة بل سنضطر الى تغير طبيعة عمل فئة كانت تتعاون واخرى أصبحت ستتعاون مع هذا الجيش الجديد من العمال بشكل أو بآخر وهذه القوى تمثل ٧٪ من مجموع القوى العاملة في أمريكا ولكنها في بلاد اخرى قد تصل في انخفاضها الى ٢ر٥٪ . ولكن لا ننسى أن هناك عوامل مساعدة في هذه العملية أولها أن التحول لن يكون الا على سنوات قدرها العلماء بسبع سنوات على أقل تقدير . ثم أن الاحالة على المعاش والموت ستخفض العدد الذي لن يزيد ، وهذا سيسهم ولو بقدر ضئيل في تخفيف عبء العدد المطلوب تحويله . ثم ان ضخامة راس المال المستثمر نتيجة توفير ميزانية الحروب يمكن ان يجابه الموقف لو تدبرنا الامر

واستخدام رءوس اموال جديدة لن يكون خيرا كله ، فان عملية التحويل نفسها ستحتاج الى نفقات باهظة . فلتحويل مهارة العمال مثلا لابد من فجوة ركود حتى تتم العملية وكذلك العمال المدنيين فان الكثيرين منهم ستحول مهاراتهم فيسهمون في الركود الوقتي

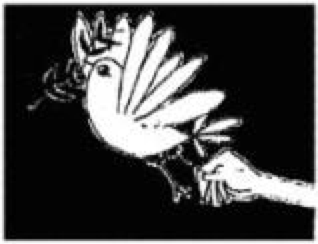
كذلك يدخل في الحساب تدهور اقتصادي سيصيب مناطق كانت جد منتعشة الى جانب مصانع حربية اوقواعد استراتيجية ..وهذه وتلك قد تنقل نهائيا وينقل ما حورت اليه من المنطقة بعدم ملائمتها للصناعة الجديدة . وهناك نفقات التخطيط والدرس . وحساب الاخطاء التي تاتي رغم الدراسات لعوامل لم تكن في الحسبان) وهناك صناعات معينة ستعاني من عملية التحويل ولكن فليكن كل هذا واكثر منه . الا يهون امره كله امام تحقيق حلم السلام العالمي ؟!

ان التوزيع الجديد وبناء المناطق السكنية الجديدة حول الصناعات الجديدة يقتضي مواصلات محورة او منشأة انشاء جديدا ولكن هذه المناطق ستكون مناطق استقرار في عالم مطمئن ولن تكون كما هي الان مناطق موقوتة لا من ناحية السلام ولكن حتى من ناحية استمرار التهديد بالحرب . كم ذا بغير اتفاق سياسي واحد في امر

هذه المصانع والقواعد وما يستتبع ذلك من خسائر واضطراب . فاذا كانت الحرب تستحق تحمل الخسارة والاضطراب فى سبيلها افلا نتحمل ذلك ، والى حين ، فى سبيل السلام ؟ . .

***

والمشكلة الاقتصادية الكبرى بعد كل هذا التحويل فى الصناعة هى المحافظة على قوة الشراء التى يجب ان تستوعب كل ما تنتجه المصانع الكثيرة



الجديدة بحيث تظل النسبة بين حركة تشغيل العمال وحركة الاستهلاك للانتاج نسبة متزنة سليمة . وهنا يتفوق الاقتصاد الذى تديره الحكومة على الاقتصاد الحر لانه يمكن بتخفيض الضرائب والموازنة بين الدخول بحيث ينتعش دخل الفقير على حساب دخل الغنى ان يحل الكثير من المشكلة . ولكن هذا وحده لا يكفى ولا بد من طاقة الاقتصاد الحر ومرونته وانفتاح آفاق الطاقات الممتازة فى ظله من ان تسهم فى الميدان . ومن هنا يبرز لنا اقتصادنا فى الجمهورية العربية المتحدة . فى شكل مثالى لانه يحاول ان يظلل الاقتصاد الحر بظلاله السليمة وفى الوقت نفسه يعمل بشكل ضخم فى فلك الاقتصاد الذى تسيطر عليه الحكومة . فنجمع بين الاقتصادين بشكل يتلاءم مع مشكلاتنا الاقتصادية ويترك باب التفاعل بينهما مفتوحا دائما للتطور

كذلك لا بد من تحويل البحث العلمى والعلماء فى ميدان الحرب الى الاغراض السلمية . وقد يثار هذا السؤال : هل انعدام الحافز الذى يشحذه التوتر والرغبة فى الانتصار سيؤدى الى انخفاض مستوى التقدم عند هؤلاء العلماء فى عالم السلام . لا شك ان هذا التحول ايضا سيواجه صعابا وسيمر بفترة ركود ولكن من الصعب ان نتصور ان العقل البشرى لا ينشط الا فى اجواء التوتر والتنافس وانه لا يمكن ان ينشط ولو بعد حين فى اجواء السلام وحب الانسانية والعمل على خيرها . . بل مالنا نذهب بعيدا ان الحروب نفسها لا تعلن انها للتنافس والتفوق على الخصوم انها تزعم انها السبيل الى خير الانسان ورخاء الانسانية

والعلاقات الدولية بين الامم ما شأنها هى الاخرى ؟ ان هذه العلاقات منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية اتجهت بشكل واضح الى ان

مطالب الامن والدفاع تطغى على اقتصاديات كل بلد . ولذلك اتجهت كل دولة ، للقيام بهذه الاعباء على خير وجه ، الى ما نسميه بعملية الاكتفاء الذاتى فى الصناعة . ولكن من المنتظر فى جو الاطمئنان العام ان يعود التبادل على أوسع نطاق وان تصبح الدول فى حالة - تشتد على مدى الايام - من الاعتماد بعضها على البعض . انها ستمارس الاستقلال الذاتى الذى يسنده الاعتماد المتبادل . وهذا سيؤدى الى سرعة تحقيق رخاء عالمى . وقد يسبق هو ايضا بفترة تحول وقلقلة ولكنه هو ايضا يستحق كل ما نعانيه فى سبيله

***

ومشكلة المواد الخام فى الدول المتخلفة اقتصاديا تبرز الى الاذهان ولا بد للدول الغنية من ان يدخل فى حسابها استمرار شراء هذه المواد بحيث تظل كما وثمنا كما كانت أو تزيد

ونزع السلاح سيفتح اسواق الكتلة الشرقية على اسواق الكتلة الغربية وهذا سيؤدى حتما الى ارتفاع فى كمية الانتاج والى زيادة فى العمال تجعل الطلب على المواد الخام يزداد فى كل مكان . ولاشك ان بلاداً اعتمدت على الصناعات الخفيفة او بعض المؤن التى كانت تصدرها للجيوش فى البلاد الغنية ستعانى انعدام هذا الطلب على بضاعتها أو انتاجها او مواردها .

ولا ننسى ايضا حساب المختزن من بعض المواد الهامة فى القواعد الحربية من هذه المؤن والذخائر التى ما يزال يحافظ عليها اليوم العصيب يوم الحرب الذى لن يكون . وهناك بلاد بأسرها تعتمد على ايجار القواعد الحربية فى ارضها لاحد المعسكرين وتعتبر الايجار جزءا ضخما من ميزانيتها العامة . والمعاهدات الحربية بين احد المعسكرين وبعض البلاد الصغيرة يستتبع زحف عشرات الآلاف من الجند للاقامة فى المناطق الاستراتيجية وهؤلاء يحملون معهم بما ينفقون نوعا من الرخاء معروف ينعش السوق المحلى ويرفع مستوى بعض المناطق . فى سنة ١٩٥٩ كان للولايات المتحدة وحدها تسعمائة الف جندى تحت السلاح فى مناطق خارج الولايات المتحدة اكثرهم فى بلاد متخلفة اقتصاديا ، وحلف « وارسو » وحلف « الاطلنطى » لكل منهما قواعد خارج البلاد . وللولايات المتحدة وحدها ٢٥٠ قاعدة حربية فى ستة وثلاثين بلدا اكثرها بلاد فقيرة وفى احصاء سنة ١٩٦٠ نجد ان ٢٢٪ من المدنيين العاملين لحساب وزارة الدفاع الامريكية يعملون خارج امريكا

والاتفاق على استعمال القواعد يجر اتفاقات انعاش اقتصادى والولايات المتحدة تنفق بليونا ونصف بليون دولار فى بعض بلدان آسيا وهذه الاموال تسهم اسهاما فعالا

في انعاش اقتصاد هذه البلدان

فما مصير كل هذا عند نزع السلاح ؟ ستختفي القواعد حتما وتنقص الاتفاقات ما في ذلك ريب بل ستتأثر المعونات الخارجية التي تتلقاها بعض البلاد المحتاجة اليها. ولكن هذه المعونات تقدر بنحو اربعة بلايين دولار سنويا . ولهذا نرى ان المائة وعشرين بليونا التي تنفق على التسليح دوليا والتي يصل نصيب دولتين غنيتين فيها الى ٨٠٪ من هذا المبلغ يمكن في يسر ان تقتطع منها الاربعة بلايين دون كبير أثر

***

ولقد درس بعض العلماء خامات البلاد المتخلفة اقتصاديا وقدروا طاقاتها على استيعاب الفنيين في سبيل التصنيع والرخاء وطاقاتها على الانتفاع بالمعونات لمدة عشرة أعوام فرأوا انه بعد حساب ما ستجده هذه الدول من فائض في ميزانيتها عندما تستغني عن التسليح فان هذه الحاجات والطاقات لن تتعدى ما يساوي خمسة بلايين في شكل معونات فنية - اخصائيين وغيره - وثلاثين بليونا في شكل ديون لتحويل المشروعات لمدة عشرة اعوام ومعنى هذا انها لن نحتاج في السنوات العشر الا الى نحو ٣٫٥ بليون دولار سنويا ليس غير ٠٠ وهو اقل من معدل المعونات الحالية في بعض السنوات . فلا بد اذن من تأمين امر هذه المعونات كخطوة في سبيل اقرار السلام

وهذه المعونات لا بد من ان تتغير طبيعتها فهي لن تخضع للعوامل الحربية او التطورات السياسية فهي لذلك ستظل ثابتة منظمة قابلة للزيادة لا للنقصان ٠٠ والاهم من كل هذا انها ستتجه الى ان تكون معونات دولية لا من حكومة بعينها الى اخرى بالذات . ثم انها ستوزع على اساس عادل وتتحول كل الديون ايضا الداخلة في هذه المعونات الى ديون لينة حسنة كما يقال ٠٠ اي طويلة الاجل معدومة الفائدة تقريبا . ان هذا يعمل اليوم بدافع من التنافس الحربي ولكنه في حال نزع السلاح سيكون بدافع من الاحساس بالمسئولية وشعور بالاخوة الانسانية ٠

***

هذه بعض المشاكل التي نراها اليوم وقد تنجم عند التطبيق غيرها وغيرها . ولكن اننا نعيش اليوم في جو التوتر والقلق وسط مشاكل يعلم الله كم هي ! الا نقول اذن مرحبا بمشاكل السلام . اننا على الاقل سنفكر فيها في جو نظيف يسوده الحب وتظلله الاخوة الانسانية . الا نهتف فعلا هلم يا رفاق ندخل الواحة الخضراء ٠ لقد خلقنا الصعاب وكل خطر سيحله عقل الانسان اذا ما اظله عالم يليق بكرامة من خلقه الله على صورته

ويطلق النور الاخضر . ولتسير القافلة على طريق وردي نحو واحة الاحلام واحة السلام

دكتورة سهير القلماوي

ضحكات العالم في شهر

يقدمها :

صاروخان

السلام للحرب : كفاية لغاية هنا .. سيبني بقى امشي لوحدي !





— مافيش عندكم اوده تانية .. يكون خرم المفتاح فيها أصغر من كده

روما



— انا سبتيفي . . . مختحر ! . .

بطرس



الدكتور : معدتك سليمة
.. بس باين فيه شوية
روماتيزم ف رجليك

روما



بدون تعليق

فرنسا



الزوجة لزوجها : كمل الرسم بسرعة احسن الضيوف وصلوا ..

بروكسل

ـ الرداء دى ماأخترتش عليك .. ياحبيبتي !





ـ هي الميه باردة النهاردة
.. ولا ايه

بلجيكا



السيدتان للجرسونة :
ايوه .. احنا عارفين ان ازواجنا دايما بياكلوا هنا ..
وعشان كده جينا نعرف السر ! ..

الدنمارك

راشد البراوى :



فى كتاب « سلطة رئيس الجمهورية فى الولايات المتحدة » يقول المؤلف ريتشارد نيوستادت « اننا فى الولايات المتحدة نحب ان نحددقيمة رئيس الجمهورية كشخص ضعيف او قوى ونطلق على ما نقيسه اسم الزعامة . ونحن لا ننتظر حتى يموت الشخص وانما نحدد قيمته منذ اللحظة التى يتولى فيها منصبه ..

ومقياس الرجل هو مدى تاثيره فى النتيجة وليس هو العمل بوصفه نتيجة ، ومن هنا تدور قوته او ضعفه حول قدرته الشخصية على التاثير فى سلوك الافراد الذين تتكون منهم الحكومة ، ويصبح تاثيره الدليل على زعامته »

ولقد تولى ليندون بينز جونسون المولود فى ٢٨ اغسطس من عام ١٩٠٨ فى قرية «جونسون سيتى» التى انشأها جده بولاية تكساس ، اعلى منصب فى اكبر دولة من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، ولما تمض دقائق على وقوع حادث مفجع هز كيان المجتمع الامريكى باسره واشاع الاسى والدهشة والقلق فى العالم بوجه عام ، ونقصد به اغتيال جون كنيدى . ومنذ اللحظة التى وطات فيها قدمه البيت الابيض ،



نيكسون



روكفلر



دين راسك

.. زعيم أم موظف كتابى ؟

بوصفه الرجل الاول فيه ، واخذت واشنطون تحاول ان « تحـــدد قيمته » ، ومعنى هذا محــاولة تقييم الفرص امامه للفوز برئاســة الجمهورية في الانتخــابات التي ستجرى في العام الحالي ، وبالتالي مســـتقبل الديموقراطيين الذين اصبح زعيما لهم بحكم المنصب الذي آل اليه . ولم يكن من الســـهل اصدار حكم على اساس السنوات الثلاث التي قضاها الرجل نائبا للرئيس الراحل ، بل لقد بدت شكوك من ناحية امكانياته ، وهذا امر طبيعي يفسرونه بما يقــال له **« الخداع النظرى »** فشخصية كنيـدى والهالة التي احاطت به منذ رشحه حزبه للرئاسة في عام ١٩٦٠ والروح الجديدة التي كان يمثلها .. كل ذلك حجب جميع الشخصيات المحيطة به ؛ تماما كما يحدث لمن يزور منطقة الاهرام بالجيزة حيث يستأثر الهرم الاكبر باهتمامه واعجابه وان وجـدت الى جانبه اهـرامات وآثار قد تفوقه من ناحية الفن ودقة الصنع

والحكم على ليندون جونســون واحتمالات نجاحه ، وعلى غيره من المنافسين واحتمالات نجاحهم . يجب الا نوجه الاهتمام الى الجانب الشخصي وحده بالرغم من اهميته،



انه ينبغي أن يكون هذا الحكم مستندا الى المطالب الاساسية للمجتمع الامريكي نفسه في النصف الثاني من القرن الحالي . والى مدى تفاعل الرجل الذي يسعى الى الزعامة ، مع هذه المطالب . ويقول الكاتب الذي اشرنا اليه في صدر هذا المقال انه « يحتمل ان تدور سياستنا في السنوات القادمة حول اربعة على الاقل من الميادين. وهي ميادين يتجاوز بعضها حدود البعض الآخر » . واول الميادين أهمية في نظره هو **« تحول في الموارد الرأسمالية من الاستعمال الخاص الى الاغراض العامة ، وان مشكلات التضخم المالي والضرائب والنمو الاقتصادي مرتبطة بمشكلة انشاء قطاع عام كبير »** . وثمة ميدان ثان للجدل والخلاف « يقف في صف الميادين الاخرى مجتمعة ، ونقصد به **ادماج الامريكيين من غير ذوى البشرة البيضاء »** . والميدان الثالث يتعلق بالسياسة الخارجية « من الردع العسكرى الى الرقابة على الاسلحة ، والمعونة الاقتصادية ، والتجارية ، والعلاقات السياسية ، في نظام المحالفات الذى انشأناه »

وهنا نسأل : ما هي فلسفة جونسون من هذه المشكلات الكبرى الثلاث التي هي موضع الجدل في الولايات المتحدة اليوم . لقد كان اول رد فعل لمقتل كنيدى الخوف من حدوث تحول في السياسة الامريكية ازاء الاتحاد السوفيتي خاصة والمعسكر الشيوعي عامة ، ولكن هذا القلق تبدد حينما أعلن الرئيس الجديد انه سوف يواصل سياسة سلفه الراحل : كما ان الاجماع معقود تقريبا بين المراقبين على انه سوف يحتفظ بدين راسك وزيرا للخارجية وهو رجل موضع اعجابه وتقديره ؛ بل ان ميكويان الذي اجتمع بجونسون عاد وقد انطبع في نفسه هذا الاثر فيما يبدو . ان هذا الاعلان من جانب الرئيس ليس نوعا من التصريحات التي تلقى في امثال هذه المناسبات، ولكنه تعبير عن ادراك لحقيقة الموقف في العالم بعد التطور النووى الحديث . **والذى يتابع السياسة الامريكية من حيث علاقاتها بالشرق منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية لن يعجز عن ان يلمس بوضوح انها تتسم بطابع الاستمرار بالرغم من اختلاف الشخصيات التي دخلت البيت الابيض بعد وفاة روزفلت . ان الرأى العام الامريكي يقدر تماما خطورة ازدياد التوتر ولايريد حربا نووية ، بل ان هذه السياسة قد يعجز عن تغييرها رجل مثل**

جوله وونر لو تحققت احلامه فى الوصول الى رئاسة الجمهورية

ولقد كان لجونسون دور فى تأييد الاتفاق الذى عقد فى اغسطس من العام الماضى فى موسكو والذى انتهى الى تقرير حظر جزئى على التجارب النووية . كما انه يتحول الى جانب كنيدى بالنسبة الى كوبا بعد أن كان يؤيد استخدام العنف . لهذه الاعتبارات سوف يحرص الرئيس الجديد على الاحتفاظ بالحالة الراهنة فى العلاقات بين الغرب والشرق والتى يطلق عليها البعض اصطلاح « **السلام البارد** » بدلا من عبارة « الحرب الباردة » . والتكتيك الانتخابى يحتم عليه السير فى هذا الاتجاه . ايضا حتى يصل لرجل الشارع فى الولايات المتحدة [illegible] من العداء [illegible] حقيقة [illegible] فى القريب العاجل بخروشوف . ولكن من المؤكد انه سوف يستجيب الى اية مقترحات معقولة « من وجهة نظر الغرب » وبذلك يدعم مركزه

***

ونائد الرئيس الجديد الكونجرس ان يسارع الى اقرار قانون الحقوق المدنية ، وهذا النداء اكسبه بلا شك التأييد من جانب الاحرار والزنوج . وموقف جونسون هذا ليس بالجديد فاليه يرجع الفضل فى قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٥٧ الذى تم اقراره فكان الاول منذ سنوات طوال . حقيقة كان الاثر جزئيا ومحدودا ولكنه يدل على اتجاه الرجل . وفى هذا تحدث انذاك فقال « ان موضوع الحقوق المدنية موضوع يقسم بلدنا . اننا نستطيع ان نستخدمه لكى نقسم بلدنا ، ونستطيع أن نفكر كرجال ذوى راى سديد القيت على عواتقهم مسئولية ثقيلة فى ايجاد الحل »

***

سوف يفقد الكثير من الاصوات فى الجنوب حيث التمسك بالتفرقة



العنصرية لايزال قويا ، وفى صفوف العمال البيض بالشمال ممن يخشون التعرض للبطالة اذا ازيلت الحواجز الموجودة حاليا فى طريق استخدام السود . ولكن من جهة اخرى يجب ان تأخذ فى الاعتبار ان ثمة تحول طرأ فى السنوات الاخيرة على نظرة الكثيرين من الامريكيين الى هذه المشكلة العنصرية ، وعظم الشعور



بضرورة حلها خشية ان تؤدى فى النهاية الى حرب اهلية ، كما ان استمرارها يضعف من مركز الولايات المتحدة فى أفريقيا وآسيا .. كذلك فاغتيال كنيدى فى ولاية عرف عنها التعصب ضد السود سوف يجعل العناصر المتطرفة اكثر عزلة عن ذى قبل . واكثر من هذا لقد كان الدعاة الى محو التفرقة اغلبهم من ساسة الشمال ، واليوم يسير فى الاتجاه رئيس هو من ابناء الجنوب ، فاذا كان البعض من الجنوبيين سيعتبرونه « خائنا » لتقاليدهم فقد يراه سواهم رجلا واعيا يدرك مطالب العصر ويقدر خطورة الاوضاع بالنسبة الى المستقبل

***

وليس من المرجح ان يستجيب الكونجرس الى ندائه ، وسوف يقع الصدام حول هذا الموضوع ، ولكن المعروف عن جونسون انه رجل يحرص اولا وقبل كل شىء على النصر ، وانه يؤمن بمبدأ « بعض الشىء خير من لا شىء » . ولهذا يحتمل ان يحاول التوفيق بين التيارين المتعارضين فيقنع باقرار عناصر من قانون الحقوق المدنية وبذلك يرضى فريقا من أهل الجنوب وعمال الشمال الذين وفى الوقت نفسه بخطو خطوة نحو ارضاء السود ، على ان يتابعها اذا ما انتخب هذا العام . ان مشكلة التفرقة العنصرية لم تعد مشكلة زعيم او رئيس وانما هى تعبير عن ازمة يعانيها المجتمع الامريكى ، ولابد من ايجاد الحل السليم لها

***

اما عن موضوع « تحول الموارد الراسمالية من الاستعمال الخاص الى الاغراض العامة » وموضوع « انشاء قطاع عام كبير » ، فهنا لا يمكن اعتبار جونسون من جناح اليسار ، كما لم يكن كنيدى ايضا . ولكن جونسون فى الوقت نفسه من انصار التوسع فى الانفاق العام على الخدمات الاجتماعية ، وتخفيف عبء الضرائب وبخاصة على الطبقات المحدودة الدخل . ولقد سبق له القول « يعتقد الديموقراطيون ان فى الامكان موازنة الميزانية اذا استغللنا الفرص المتاحة لنا لنزيد من ثراء شعبنا . ويعتقد الجمهوريون اننا نستطيع موازنة الميزانية اذا ادرنا ظهورنا للفرص واستسلمنا الى وضع الدولة من الدرجة الثانية — دولة ضعيفة ولكنها مقتصدة » . ومعنى هذا انه ضد موازنة الميزانية على حساب الخدمات الاجتماعية . وهذا الاتجاه مما يجعل له ميزة كبرى

إزاء أمثال جولد ووتر . فلو وفق في تحقيق هدفه قبل الانتخابات لأجل سمعته . وإذا أخفق بسبب موقف الكونجرس فسوف يكسب أيضا تأييد جماهير كبيرة

***

وحين نحاول تقييم بعض جوانب فلسفة جونسون الاجتماعية يتعين أن نرجع الى البيئة التي نشأ منها . فقد كان جده من أفراد الحركة الشعبية التي كانت تقف الى جانب الشعب ضد ما اسمته « المصالح » ، أي تلك القوى الاقتصادية التي تستغل المحرومين منها . وكان أبوه ممن قاوموا الجمعية الإرهابية المعادية للزنوج والتي عرفت باسم كو - كلوكس - كلان . فالرجل ، مثل كنيدي ، يمثل الاتجاه الليبرالي في السياسة والاقتصاد والاجتماع . وان اختلف عن سلفه في أنه من أسرة عصامية نجحت ولكن لم تصل الى درجة الثراء البالغ

قد يكون جونسون متجاوبا مع المطالب الحقيقية للجماهير . ولكن هذا لا ينفي ان الوقت المتبقي على بدء الحملة الانتخابية قصير . وأنه ولي المركز الحالي مؤقتا بحكم ظروف طارئة لم تكن في الحسبان . وان امامه الكونجرس بتياراته المختلفة وشخصياته الطموحة وجماعات الضغط المتباينة ، وخصومه الجمهوريين وفي مقدمتهم جولدووتر وروكفلر وربما نيكسون . ولكن الأيام القلائل الأولى من تولي جونسون المنصب الخطير كشفت عن حقيقة لاحظها المراقبون من بعيد ، وهي أنه في داخل السلطة أقوى منه وهو خارجها ، فكانت تصريحاته عن السياسة الخارجية واضحة صريحة وحازمة حتى استعادت ثقة الحلفاء الغربيين بعد أن تعرضت للاهتزاز اثر مقتل سلفه ، وبدا أكثر من هذا انه أشد صلابة في موقفه من ديجول ونزعته الى التسلط على اوربا مما شجع ايرهارد على موقف اشد تصلبا من فرنسا وأقل ترددا مما كان عليه الحال في أيام اديناور .

والواقع ان جونسون أعمق وأقوى إيمانا من سلفه بضرورة تقوية حلف شمال الاطلنطي وعلى رأسه الولايات المتحدة وكان نداؤه بشأن ضرورة اقرار قانون الحقوق المدنية مشوبا بالقوة والدهاء ، وهو لم يوجهه الى الكونجرس وحده فحسب ، بل وجهه الى الشعب كله كأنما اراد أن يستغل الظرف المفجع ليجمع الرأي العام حوله لتأييد هذه السياسة العادلة

***

وسرعان ما بدأت واشنطون تنظر اليه على انه سوف يكون زعيما قويا ، وهذه النظرة ترتد الى ما له من خبرة طويلة في الكونجرس . هذه الخبرة كفيلة أن تمكنه من مواجهة العقبات الكثيرة في الكونجرس التي كانت مصدر مضايقة كبيرة لسلفه كما تجلى في موضوع المعونات الاقتصادية الخارجية . لقد لعب جونسون دورا بارزا في هذه الهيئة التشريعية سنوات طوالا ونجح في أن يكون اشهر زعيم للاغلبية . حتى



ان الكتاب يعتبرونه اعظم الزعماء البرلمانيين في الفترة الحديثة من التاريخ الامريكي . وما من شك انه على دراية واسعة بالتيارات المتباينة في الكونجرس ، والجماعات الضاغطة المختلفة ، والشخصيات البارزة بما فيها من عناصر قوية وما تنطوي عليها نفوسها من مصادر ضعف او طموح ، ومن هنا فهو اقدر من غيره على أن يشق طريقه وسط ذلك الخضم المتلاطم الامواج . ولعل من أدلة هذه القدرة النجاح الكبير الذي حققه في عام ١٩٥٧ لمناسبة قانون الحقوق المدنية

***

والذين هم على بينة بالسياسة الداخلية الامريكية يدركون تماما اهمية الدور الذي يستطيع الرئيس النزاع الى الرئاسة ان يلعبه باسترضاء واجتذاب العناصر التي يرى ان من الضروري ان يكسب تأييدها واذا كان جونسون لم يحدث تغييرا ظاهرا حتى الان في البيت الابيض أو الوزارة والمناصب الكبيرة في الحكومة . فلاشك أنه سوف يعمل بالتدريج على أن يحيط نفسه بالاشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم ، وهي ظاهرة سوف تزداد وضوحها كلما دنا موعد المعركة الانتخابية . ولقد بادر اثر توليه منصبه الجديد الى الاتصال بعدد من كبار الشخصيات من امثال واجنر عمدة نيويورك ، ودافيد لورنس حاكم بنسلفانيا السابق ، وكارل ساندرز الحاكم الليبرالي في جورجيا ، وغيرهم . وفسر المراقبون هذه التحركات المبدئية بانه سوف يعمل قريبا على تكوين اللجنة القومية الديموقراطية استعدادا لمعركة الانتخابات القادمة

حين تمكن الرجل منذ سنوات من الخروج من نطاق السياسة المحلية في ولاية تكساس والانتقال الى المسرح القومي بالدخول في مجلس الشيوخ انما فعل هذا وعينه ترنو الى البيت الابيض . وهو ممن يؤمنون بان الهدف من اية معركة هو الفوز فيها وهو ليس من أولئك الذين يعزون أنفسهم عن الفشل بان يقولوا أنها كانت معركة احسنوا البلاء فيها وان لم تكن النهاية في صالحهم . ان جونسون من طراز هو وليد بيئة تكساس حيث اهم الصفات الجرأة والكفاح والمثابرة ومحاولة التغلب على الخصوم

اما بالنسبة الى حزبه فيبدو حتى الان انه لا توجد شخصيات قوية يستطيع ان يعتمد عليها في كسب معركة الرئاسة ، بل ان الحزب ليرى من صالحه الوقوف وراء جونسون بصفته استمرارا للسياسة الكنيدية التي رفعت من مركز امريكا وسمعتها وانه ليرى أيضا من الضروري

الوقوف الى جانب الرجل حتى يظهر في معدنه الحقيقي وحتى يرى الناس فيه زعيما قويا

ليس معنى هذا أن الطريق سهل أمامه وهو يصبو الى احراز الفوز في المعركة القادمة من أجل رئاسة الجمهورية . ذلك أن أمامه في الجبهة المعارضة شخصيات لها وزنها مثل جولد ووتر وروكفلر ونيكسون اذا قرر ترشيح نفسه . ان لجولدووتر نفوذا وبخاصة في الجنوب ، كما أنه يلقى التأييد من جانب العناصر اليمينية المتطرفة ؛ ولكن يجب ان نلاحظ في الوقت نفسه ان افكاره السياسية بصدد المسائل الداخلية والشئون الخارجية . لا يمكن أن تنتمي الى الروح الجديدة التي بدأت تسري في المجتمع الامريكي . فالدعوة الى التشدد ، ان لم يكن العنف في معاملة المعسكر الشرقي لا يمكن أن تنتهي الا باشتداد التوتر الذي قد ينفجر يوما فيتحول الى حرب مدمرة واغلبية الشعب الامريكي تنفر من اتجاه كهذا . والعزلة التي يدعو الى الاخذ بها لم تعد قابلة للتطبيق العملي بعد التفوق الذي احرزته الولايات المتحدة من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية . وسياسة الحرية الاقتصادية المطلقة هي من مخلفات القرن الماضي ، وتنطوي على خطر نشوء صراع عنيف بين راس المال والعمل ، بل ان ما نادى به من اعادة مشروع وادي التنيسي الى راس المال الخاص اثارت القلق في الجنوب نفسه حين يخشى الناس أن يؤدي تنفيذ الفكرة الى رفع أثمان الكهرباء مثلا

فاذا انتقلنا الى روكفلر محافظ نيويورك وجدنا ان موضوع زواجه الثاني قلل من هيبته وبالتالي من احتمال ترشيحه من جانب الحزب الجمهوري . وبغض النظر عن هذه الناحية الشخصية فان آراءه السياسية لا تمتاز بقوة الفهم والحزم ووضوح الرؤية . فهو في الحقيقة يشغل مركزا وسطا بين جولدووتر



خروشوف

وكيندي . والبلاد لا تحتمل هذا الموقف المتأرجح . ومن الخير لها ان تسير وراء القيادة الديموقراطية التي خبرتها

أما نيكسون فالبرغم من أنه فشل أمام كيندي بعدد قليل من الاصوات الا ان اراءه في السياسة الخارجية لا تبعث على الاطمئنان الى مزيد من تحسين العلاقات ، بل لعلها تعود بالعالم من جديد الى حالة الحرب الباردة . واذا كان جزء كبير من

نجاحه فى الوقوف امام كينيدى كان راجعا الى حد ليس بالقليل الى مذهب الرئيس الراحل الامين ، فان هذه العقبة لا وجود لها فى حالة جونسون البروتستنتى

ويقول البعض ان الشعب الامريكى جرب الجمهوريين سنوات ثمان ، فشهد الازمات الاقتصادية ، وركود الاقتصاد القومى ، وتفوق الاتحاد السوفيتى فى ميدان الصواريخ والفضاء ، والاذلال فى كوبا والانتفاضات فى امريكا اللاتينية ، وهبوط سمعة البلاد دوليا ، بينما ارتفعت هذه السمعة كثيرا وفى اكثر من ناحية خلال سنوات حكم كنيدى او الديموقراطيين ، الثلاث ، ومن هنا يحسن اعطاء هذا الحزب فرصة اخرى

ومن العقبات التى تواجه جونسون انه من ابناء الجنوب ، وكان الرؤساء السابقون منذ قرن من ابناء الشمال ، واذا كانت هذه الحقيقة قد تشكل عقبة فى طريقه فمن المحتمل ان تكون كسبا فى الوقت نفسه ، فيتحمس الجنوب فى تأييده بما قد يعوض ما يخسره من اصوات بسبب تأييده لحقوق السود ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ربما يرحب الشمال بتولى احد ابناء الجنوب مما يساعد على اذابة الثلوج القديمة بين هذين القسمين من البلاد ويزيد من دعم الوحدة القومية

قد تبدو الظروف مواتية للرئيس جونسون كى ينتخب فى الخريف القادم ، ولكن يجب الا نغفل ان المهمة صعبة الى حد ليس بالقليل ، فاذا كانت الظروف الموضوعية مبشرة فان نجاحه فى استغلالها متوقف على شخصيته ، عليه أن يقنع الراى العام وواشنطون أنه زعيم ، أما اذا قنع بدور الكاتب العادى فسوف يفوته القطار حتما ، لان امريكا والحلف الغربى فى حاجة الى رئيس جمهورية يمثل الزعامة ويفرضها

دكتور راشد البراوى

ولو ! ..

كانت مدام بيكاسو تعبر الحدود من فرنسا الى اسبانيا فوجد رجال الجمارك معها لوحة أثارت شكوكهم . ولكن السيدة اكدت أن هذه اللوحة هى صورتها شخصيا مرسومة بريشة زوجها السابق بيكاسو !

ولكن مفتش الجمرك رفض أن يصدق كلامها وأكد لها ان اللوحة فى الغالب صورة نوع جديد من الالات ربما كان سرا من اسرار الدولة . وانقلبت المناقشة بين الطرفين الى مشاجرة صغيرة . وامر مفتش الجمارك على استدعاء مهندس المنطقة باعتباره صاحب الراى الاخير فى الموضوع

وبعد ان قام المهندس بفحص اللوحة بدقة شديدة من جميع الزوايا لمدة نصف ساعة بدون نتيجة ، اعاد اللوحة لمفتش الجمرك قائلا :

— اطمئن ، انا لم اكتشف ما هى بالضبط ، ولكن حتى لو كانت صورة آلة ، فانا اضمن لك انه لا خطر منها ، لانها لا يمكن ان تدور !

استراحة ٥ دقائق

حماية

كان الكولونيل العجوز يؤكد ان الناموس لا يلدغه رغم ان اهل المنطقة كلهم يضجون من لدغه . وسألوا خادمه الخاص عن الحقيقة فقال :

ـ هذا صحيح . ففي النصف الاول من الليل يكون الكولونيل في غاية السكر فلا يحس لدغ الناموس . وفي النصف الثاني من الليل يكون الناموس كله قد سكر بما امتصه من دمه لدرجة انه يكف عن لدغه !

خسارة

كان الاب يمشي فوق البساط على اربع ليلاعب ابنه الطفل الذي يبلغ من العمر ست سنوات . وكان الطفل في منتهى السرور . ولكنه قال فجأة :

ـ خسارة ! لماذا لم تفكر يا بابا ان تلعب معي وانت صغير ؟

قرابين

ذهب جندي امريكي لزيارة قبر زميله المدفون في اليابان ووضع عليه باقة كبيرة من الازهار . ثم لمح يابانيا يسكب على قبر مجاور حفنات كبيرة من الارز من قدر يحملها معه . فاقترب منه وسأله ساخرا :

ـ هل تتصور ان صديقك سيخرج من قبره ليأكل هذا الارز ؟

ـ نعم . في نفس اللحظة التي يخرج فيها صديقك ليشم هذا الورد

اقناع

كانت موجة الحر شديدة جدا وكاد الناس يختنقون داخل الكنيسة . ولما حان موعد القاء الموعظة وقف القسيس على المنبر وقال جملة واحدة :

ـ الآن وقد صارت لديكم فكرة عن الحرارة الشديدة في جهنم ، هل ما زلتم مصرين على الذهاب اليها ؟

منتهى اليقظة

ذهبت السيدة لتبلغ عن ضياع مظلتها . فسألها الموظف :

ـ متى عرفت انها ضاعت منك ؟

ـ عندما انقطع المطر واردت ان اقفلها !

الكلمة المناسبة

ذهب الطفل لزيارة امه المريضة في المستشفى ، فقدمت له الممرضة برتقالة ، فاخذها ولم يشكرها . فقالت له امه معاتبة :

ـ ما هي الكلمة المناسبة التي يجب ان تقولها لهذه السيدة ؟

ـ آه ! أقول لها : « قشريها لي أولا » !

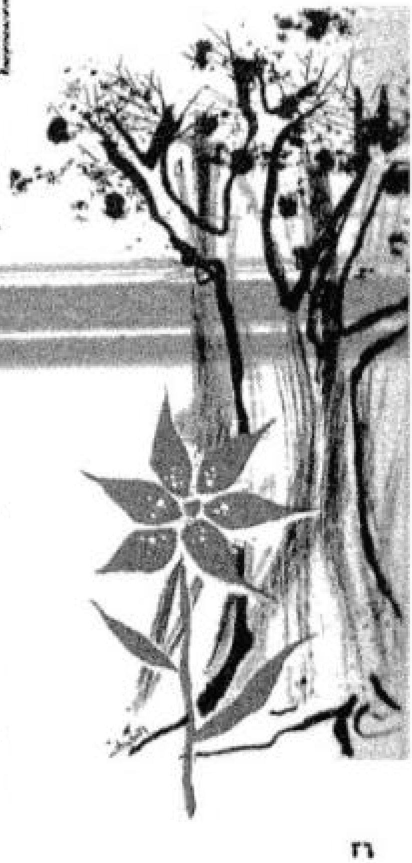
إبراهيم المصري :

عندما يستبد الحب بالشيوخ !

الحب عاطفة جبارة تتطلب منا توديع متاع الحياة الظاهرة ، وتضييق آفاق متاعها الباطل ، وحصر هذا المتاع في رفقة مخلوق معين ، يجمله خيالنا ويسمو به تصورنا ، ونرى من خلال جماله الفاتن أو خلقه الكريم ، صفوة جمال ومتاع هذه الدنيا

فالحب اذن ضرب من التزهد [illegible] من متع الحياة الظاهرية . والمرأة ما أحست الضجر والسأم حيالها ، فهي التي تنشد الاستقرار بعد طول المطاف ، وهي التي تهفو الى تحقيق حب ثابت وطيد . أما الشباب فيحب الحياة في الغالب أكثر مما يحب الحب ؛ وينشد اللهو والتمتع أكثر مما ينشد السكينة والاستقرار بجوار الحبيب ..

وليس شك في أن من الشبان من يعرف كيف يحب ويخلص . ولكن الحيوية المتدفقة في عروق الشباب كثيرا ما تغلب حواسهم على



« كل من يناقض سنن الطبيعة يهلك ، واننا لم نسمع فى عالم الطير او الحيوان أو النبات أن ضعفا اقترن بقوة ، او العمر قوة .. ! »
تورجنيف

عواطفهم ، وتدفعهم الى خيانة حبهم ، والبحث عن لذة جديدة ، وعدم الاحتفال بفضائل الثبات والتضحية وانكار الذات . لذلك يستبد الحب عاليا بالشيوخ ويتقد فى نفوسهم اتقادا . فالشيخ الذى عاش واختبر واوشكت الحياة ان تفلت منه ، هو الذى فى مقدوره – كما ذكرنا – ان يودع العالم ، وينقطع لعبادة شخص واحد ، يجمع فيه صفوة روائع هذه الدنيا . بيد ان مصيبة الشيخ كامنة فى انه لا يستطيع ان يحب غير المرأة الصبية التى تمثل له بعث شبابه ، وتجدد حياته ، والتى يحاول بوساطة حبها ان يتغلب على ضعفه ، ويقاوم بطش الزمن ، ويستأخر الموت الواقف له بالمرصاد ...

وهنا يبدا عذابه . فالمرأة الصبية قد تؤخذ بما فى حب الشيخ من قوة ، وبما فى عواطفه من لهفة ، وبما فى قلبه من حنان وما فى عشقه من ثبات . ولكن هل هى بعد ذلك تحبه ، وهل يمكنها ان تحبه ، وهل فى وسعها أن تحبه كما يطلب هو ويشتهى ؟!

***

الحب رابطة نفسية وجسدية . وحيث ان الجسد عند الشيخ ضعيف . فالمرأة الصبية التى تنجذب الى الشيخ مدفوعة بتأثير صدقه وحنانه وثباته ، لا يمكنها ان تحبه الا بقلبها فقط ، وبعواطفها فقط ، وبجزء واحد من شخصيتها فقط . فهى تعطف ولكنها لاتحب ، وهى تشفق ولكنها لا تعشق ، بل تظل مالكة نفسها ، حافظة عقلها ، تفرح بحنان الشيخ وثباته دون أن تهبه ذاتها تلك الهبة المنشودة المطلقة الكاملة . ومع ذلك فهى قد تمنح الشيخ من نفسها كل ما يتمنى ولكنها لاتعتبر هذه المنحة دليلا على حبها . بل تعتبرها مكافأة له على صدقه وثباته وحنانه ، كى يزداد صدقا ويزداد حنوا ويزداد ثباتا . فيزداد فرح المرأة باخلاصه ، وايمانها بولائه ، ويقينها من استمرار حبه الذى تعلم انها لن تجد مثله عند الشاب الطائش المستمتع المتقلب القاسى

وهذا هو العذاب الذى يصلى

الشيخ ناره والذى يفوق كل عذاب. فهو يعرف ان المراة الصبية تعطف عليه ولا تحبه ، وتشفق عليه ولاتعشقه . بيد انه ايضا ، ويعرف ذلك تماما ، انها وان كانت لا تستطيع ان تستغنى عنه ، فهى فى الوقت نفسه لا تستطيع ايضا ان تستغنى عن الشباب ... لا تستطيع ان تستغنى عن التعلق بشاب يلبى نداء غرائزها ، ويشبع مطالب جسدها ، ولو تنكر لها وخانها وعبث بها ...

***

فتصور الشيخ انه لا يملك من المراة الصبية فى الواقع غير قلبها ، وانه عاجز عن اشباع جسدها ، وان هناك شابا اقوى منه ينقع غلتها ، هذا التصور يلهب خيال الشيخ ، ويشعل غيرته ، ويثير دمه ، ويسومه شعورا مريرا بالضعة والهوان ، يتطور فى نفسه شيئا فشيئا وينقلب آخر الامر الى ضرب من الهوس يشبه الجنون . وهكذا تمزق عوامل الذل والكمد والغيرة حياته . فتسمم متعة الحب التى اراد أن يجدد بها شبابه ، وتجهز على البقية الباقية من قواه ، وتدنيه من الموت الذى اراد بالحب ان يقهره

***

فحب الشيخ للمراة الصبية عذاب ، ورغبته فى امتلاكها بالجسد امتلاكا كاملا ، خيبة ولوعة وحمق وجحيم . وهو كلما تقدمت به السن ، ازداد حسرة على ضعفه ، وازداد حسرة على جسده ، وازداد تعلقا بهذا الجسد ، وتلهفا على ان تحبه المراة بالجسد ايضا كى يشعر انه حقا يعيش ، وانه بعد لم يمت ، وان الحياة لم تزل تنبض وتختلج فيه . فعذابه المهلك كامن فى شعوره بعجز جسده ، وشعوره بان المراة الصبية تحبه لروحه لا لجسده ، كانما هى ، وهى تفصل منه الروح عن الجسد ، تحكم عليه بالموت فعلا ، وتسجل عليه العدم والفناء بينما هو يطلب فى حبها البعث والقوة والشباب والحياة

***

تلك هى العذابات المروعة التى لابد ان يعانيها الشيخ متى استبد به الحب . ولكن هناك عذابات ابلغ وافجع لا بد أن تصيب غيره ايضا اذا كان الشيخ متزوجا ثم فقد صوابه واحب

والواقع الملاحظ ولا سيما عندنا ان من الشيوخ المتزوجين من يشتهون فجأة قرب الصبايا . فتختم الشهوة على ابصارهم ، ويسدل العشق غشاوة على بصائرهم . فيستسلم الفرد منهم لوهم تجديد الشباب والحياة فيضحى بامرأته الوفية ، ويشرد اولاده الابرياء ، ويهدم بيته وصرح اسرته دون ما وازع من خلق او ضمير

واليك صورة لهذا الجنون ، ممثلة فى هذه القصة الفاجعة التى وقعت فى أسرة عرفتها ، والتى تدل على مبلغ الظلم الذى يمكن ان يقع على

امرأة امينة وفية متى عشق زوجها
العجوز فتاة صبية وهام بها :

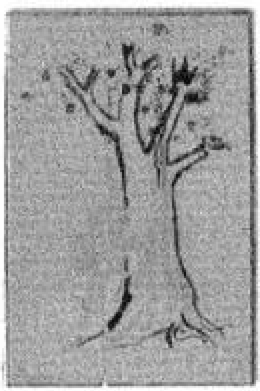
كان ذلك الشيخ قد تزوج منذ
ثلاثين سنة ، واعقب من زوجته ولدا
وبنتا ، واصبح هو فى الستين
وامرأته فى الخمسين . والحق ان
امرأته عاشت فى صحبته اسعد ما
تكون بحياتها البيتية ، واخلص ما
تكون لقرينها ، واقدر ما تكون على
احتمال ذل الضيق ، وحرارة الحاجة
وهم الاقتصاد والتقتير ، فى سبيل
ضمان مستقبلها ومستقبل ولديها

وشب الولدان وترعرعا ،
واستطاع الزوج بفضل حنكة امرأته
وحسن تدبيرها ، ان يعلم ابنه
ويوظفه ويزوجه ، وان يعلم ابنته
ايضا ويعثر لها آخر الامر على زوج

وهكذا جرت الحياة فى ذلك
البيت مجراها الامين ، فى رعاية تلك
الام المثالية الباذلة التى ضحت
بشبابها وقوتها وزهرة عمرها من
اجل الاخرين

ولكن زوجها الشيخ الدنىء ،
زوجها الانانى القلب ، الهامد النخوة
والشهامة ، الميت الرجولة والضمير
هام عندئذ بصبية حسناء كانت فى
مثل سن ابنته ، فانكر على امرأته
وفاءها ، وانكر عليها تضحياتها ،
وانكر عليها حقها المشروع فى التمتع
بثمرة جهادها . فطعنها فى شغاف
قلبها وهى مسلوبة الحول طائرة
اللب ، تتجه بخطى حثيثة نحو
عشرته بعقله وحواسه ، فصارح
امرأته بأنها لم تعد تصلح له ، وانه
لم يعد فى حاجة اليها بعد ان ربت
له ولديه وزوجتهما . فثارت ثائرة
المرأة المظلومة، واسترحمت وتوسلت
ولكن الرجل لم يرحمها . وبعد
ثلاثين سنة من زواجه بها ، طلقها
طلاقا بائنا لا رجعة فيه ، وتزوج
الصبية ..

وهنا بدأت مأساة الزوجة
المنكوبة



لجأت المرأة الى منزل ابنتها
فتنكر لها زوج البنت ولم يحتمل
اكثر من اسبوع وصرفها . فهرع
الى بيت ابنها ، فتنكرت لها زو-
الابن ثم طردتها . فلم تستـ
المسكينة التى فقدت زوجها وفقد
بيتها وفقدت ولديها الا ان تر
بحياة البؤس والتشرد بعد ط
الصبر والتضحية والكفاح

ولقد رأيتها بعيني رأسي تمد اليد لابنها وابنتها مستجدية .. وتجمع منهما بعض النقود ، ثم تشتري بالنقود صابونا ومناديل وجوارب ، تبيعها للاصدقاء والجيران ، عساها تستطيع ان تصون كرامتها ، وتستغني عن المساعدة حتى من ولديها ..

***

ثم بدأت مأساة الشيخ العاشق المفتون .. !

عاش الرجل في صحبة زوجته الصبية ، اشد ما يكون ولعا بها ، وظمأ اليها ، ورغبة في تجديد شبابه بجوارها . فأسرف في التهافت الحسي عليها ، وأسرف في تناول الاطعمة الدسمة وتعاطي الخمر والمنبهات والمكيفات ليرضيها . فاعتلت صحته ، وهزل وضمر ، واصيب بنوع من النورستانيا الجنسية ، حطمت اعصابه ، والزمته الفراش ، واحالته في اقل من عام الى شبه رمة بالية . فلم تتردد امرأته الصبية ، وثأرت لنفسها منه أن خدعته شر خديعة . فكان يعلم الخديعة وهو عاجز ومقهور . وكان لفرط حاجته الى امرأته ، يحتمل الخديعة ، ويغض عنها ؟ ويروض مكرها عليها . كي يعيش ... ولو في بؤرة الذل وحمأة العار ..

هذه هي الكوارث والنكبات التي جلبها عشق الشيخ على نفسه وذويه

والان بعد ان جلوتها للقارىء ، اسوق اليه صورة مناقضة ورائعة . صورة لشيخ عظيم لم يفقد ابدا صوابه ولم يتهور ويعتقد انه صالح للحب وهو في السابعة والخمسين . ولكن فتاة في الثانية والعشرين هي التي عشقته ، وهي التي ترامت عليه وطوقته بجمالها ، وحاصرته بشبابها فكانت تجربته ابلغ واوقع . ومع ذلك فقد ابى ، واستحر امامه ، والاغراء نصب عينيه . الا ان يلوذ بعقله وارادته ، ويقاوم التجربة وينتصر . هذا الكهل العظيم هو الروائي الروسي تورجنيف . وهذه فقرة من الرسالة المستفيضة الفاصلة التي كتبها الى تلك الفتاة ..

قال تورجنيف :

« ليس من حقي يافتاتي ان اغرر بك وانت في مطلع شبابك وان القي في روعك لحظة واحدة اني يمكن ان ابادلك في يوم من الايام حبا بحب . لا انكر ان جمالك يفتنني ، ونضرة شبابك تأخذ بلبي ، وبهجة صحتك وقوتك تشرق على كهولتي ، وتزين أمامي وجه الدنيا ، ولكني لو أجبتك الى سؤلك يا فتاتي فسأرتكب أخس وانذل جريمة يمكن ان يرتكبها رجل ساحبك لنفسي لا لك . للشهوة الحقيرة التي يثيرها في بدني المتلهف سحر جمالك . فاعبث بطهارتك ، واستغل براءتك ، واحاول أن أجدد شبابي وحياتي على حساب مستقبلك الغالي الذي اريد ان اصونه ، وتأبين انت الا ان تغامري به تحقيقا لاحلامك الطائشة ونزوات وهمك المخبول . .

« اني أنظر اليك واعجب بك

قلبي . ولكن واجبي حيال نفسي أن أفهم نفسي ، وأفهم حقيقتي ، ولا أستسلم أبداً لاغراء شباب لابد أن يستعجل شيخوختي كي يحطمني في النهاية ويقتلني . أما واجبي نحوك فهو أن أنقذك من طيشك وجنونك ، وأدفعك إلى الحياة السليمة الخصبة الجديرة بك . فافهمي أن كل من يناقض سنن الطبيعة يهلك . وأن اقتران الكهولة بالشباب لم يسعد قط في هذه الحيـــاة أي انسان . وإننا لم نسمع في عالم الطير والنبات أو الحيوان أن ضعفا اقترن بقوة ثم أثمر قوة وبركة وحياة فقانون الطبيعة هو أن تنجذب القوة إلى القوة ، والأمل إلى الأمل ، والشباب إلى الشباب ، كي لا تفسد مولدات الكون لها . فتموت في الكون روح المرح ونشوة المجالدة والكفاح فالســـعادة في الحب لا تنبع من مشاركة في العواطف فقط ، بل تنبع من تكافؤ في مســتوى الصحة والشباب ، تصدر عن رجاحة في العقل ، وســـلامة في الطبع واستقامة في الفطرة . وكل سعادة غير هذه السعادة لابد أن تذر سمها الطيعا ، وتصب السم في كأسها

« فلا تعترضي قانون الطبيعـــة يا فتاتي ، واطلبي قوة مثل قوتك ، وشبابا مثل شبابك ، وزواجا متكافئا يسعدك ، وأطفالا أصحاء وأقوياء يتوج بهم الحب السليم حياتك . أما أنا فلن أورثك أبداً بشهوة كهولتي ولن أقتلك بأنانية هـــذه الكهولة وأقتل نفسي . أنت ابنتي ، وسأحب فيك بفرحـــة من قلبي وروحي وفني ..

« دعيني هذا الحب الخـــالص النزيه ، وانشدي الحيـــاة مع من هو أهل لك وأسعدي ! .. »

***

تلك هي رسالة تورجنيف العظيم فلينعم النظر فيها كل كهل ، وليتخذ من صاحبها مثلا وقدوة . إذا شاء أن يجنب نفســـه وهو في مغرب عمره . خطر التردي في مغامرة حب أحمق ، لا يجلب غير الذل والعار والموت

ابراهيم المصري

مجاملة

كان ضـــابط برتبة ماجور في الجيش الامريكي يقـــوم بتـــدريب المجندين الجدد في أحد المعسكرات . فلم يجد بينهم الا شابا واحـــدا فقط يقبل على التدريبات ويحب الجندية من كل قلبه . وعند انتقال الكتيبة الى معسكر آخر استدعى الضابط هذا النفر وقال له بحرارة :

ـ لقد كنت أرقبك طول الوقت . وأتمنى حين أراك في المرة القـــادمة أن تكون قد أصبحت « ملازما »

فقال النفر الخجول على الفور :

ـ وأنا أتمنى لك نفس الشيء يا سيدي !

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

وتصدر خلال شهر يناير سنة ١٩٦٤ السلاسل الآتية :

الحياة ونشأتها على الأرض

للدكتور : أنور عبد العليم

تطلب من : دار القلم – ١٨ سوق التوفيقية – القاهرة

في أول يناير ١٩٦٤
المكتبة الثقافية
١٠٠

الثمن ٢

حاملة المصباح

تأليف : د. جيفولد بركلي — ترجمة : صالح زكي

مراجعة : علي فهمي — تقديم : درينى خشبة

تطلب من : مؤسسة الخانجي – ١١ شارع عبد العزيز – القاهرة

في ٤ يناير ١٩٦٤
روائع المسرح العالمي
٤٥

الثمن ٥

تراث الإنسانية

العدد الأول من المجلد الثاني

سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل
روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية

تطلب من : الشركة العربية للطباعة والنشر – ٤٧ شارع نجيب الريحاني – القاهرة

في
٥ يناير ١٩٦٤

الثمن ٥

الخنساء شاعرة بني سليم

للدكتور : محمد جابر عبد العال الحيني

تطلب من : مكتبة مصر – ٣ شارع كامل صدقي بالفجالة

في ٧ يناير ١٩٦٤
أعلام العرب

الثمن ٥

أضواء على السير الشعبية

بقلم : فاروق خورشيد

تطلب من : دار القلم – ١٨ سوق التوفيقية – القاهرة

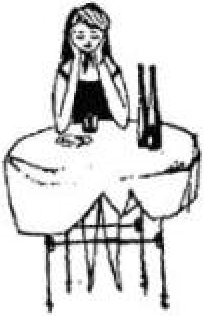
في ١٥ يناير ١٩٦٤
المكتبة الثقافية
١٠١

الثمن ٢

من الأفضل أن تحب..!







تتعلقان بعمود النور المطل من وراء ضباب السماء :

ــ ما زلت اعتقد ان اللورد « بايرون » هو اعظم الشعراء الذين احسوا معنى الحب .. اليس كذلك ؟!

قلت : تقريبا ..

قالت : ان لورد « بايرون» يقول ان الحب عند الرجل يعيش على هامش حياته ، اما عند المراة ، فانه حياتها .. كلها !

قلت وانا اقترب بالموضوع الى بدايته :

ــ ماذا بالضبط تريدين مني ان افهم من كلامك ؟!

قالت : لا شيء .. ولكن الشاعر قال هذا الكلام في قصيدته عن « دون جوان » !

قلت : لو مضينا نعدد آراء شعراء وعظماء العالم في الحب لانتهى لقاؤنا هذا الى مجرد محاضرة يلقيها كل منا على الآخر في معنى الحب وفلسفته .. لماذا لا نختصر هذا الحوار بكلمة قالها «ديزرائيلي» العظيم عن الحب : « جميعنا ولدنا للحب .. انه أساس الوجود .. ونهايته الوحيدة ! »

قالت وهي تنهض من على الكرسي الخشبي الذي جمعنا على رصيف شارع « فريدريك شتراسي » ، في قلب ميونيخ ، وشدتني من يدي وهي تقول :

ــ لقد حان وقت العشاء .. تعال نذهب الى مطعمي المفضل في حي « شوابينج » الذي هو الحي اللاتيني لأهل الفن والرسم والموسيقى في مدينتنا ...

***

ومشينا الى مطعم « كفيدران » .. في قلب الحي « اللاتيني » .. ودخلنا غرفة ضيقة مضيئة بالشموع وعلى بابها رجل عجوز يعزف الحانا حزينة وجلسنا الى مائدة خشبية صغيرة تخدم عليها فتاة من تلميذات الجامعات اللواتي يكسبن نفقات الدراسة من عمل جزئي يقمن به في ساعات الفراغ ؛ وقالت «سوزان» وهذا هو اسمها :

ــ سنأكل طبقا يحتوي على طعام بافاريا التقليدي ..

قلت وانا أهز رأسي علامة الموافقة :

ــ حسنا ..

قالت بعد ان انتهت من اختيار اصناف الطعام الذي سنأكله :

ــ والآن .. هل عندك موضوع نتحدث فيه ؟

الهلال

AL.HILAL FEB. 1964 فبراير ١٩٦٤ – ٧٠ مليما



كلمات عاشت

● اننا باجتماع الاقطاب العرب ، نتحدى الخرافة التي كانت تقول ان اسرائيل ستبقى فى أمان لأن العرب لا يمكن أن يتفقوا» مصطفى أمين » ● ان أنــور المفتي هو الطبيب الذى اعطى الآلاف سر الحياة ، ولم يتسع وقته ليحافظ على حياته ! » على أمين » .. « توفى أنور المفتي في الشهر الماضي » . ● عبقرية العقل لخلق الاعداء والحساد ، وعبقرية القلب لخلق الاصدقاء والاحباب ! » عباس العقاد » . ● ان اخطاء الفنانين والادباء ، لها أحيانا من الفائدة ما يسمو على الصواب ! » توفيق الحكيم » . ● الاحمنى بقسوتك .. فان رقتك تجــذبنى اليك ، وما اشد عذابى من هذه الجاذبية ! » كامل الشناوى » . ● ان بنات ١٧ سنة اســتفدن من بنات ٢٥ سنة ، فالبنت الجديدة لا تؤمن بالحب للحــب ، ولكنها تؤمن بالحب للزواج ! » احسان عبد القدوس» . ● الذين يمتدحوننى يضغطون على ويحرموننى من حريتى .. انهم يشيدون أمامى حائطا من الفــرود يسد على طريق الرؤية ! » مصطفى محمود » . ● ليست العبرة فقط فى يانصيب الزواج أن تصادفك النمرة الرابحة ، وانما العبرة كل العبرة ان تكون انت نفســك فى هذا اليانصيب نمرة رابحة ! » ابراهيم المصرى » . ● اعظم غلطة ترتكبها فى زواجك .. الا تعترف بانه غلطة ! » أنيس منصور »

الهلال

● العدد الثانى ● السنة ٧٢

● مجلة شهرية ● أسسها : جرجي زيدان

● رئيس التحرير : على امين ● مدير التحرير : طاهر الطناحى

● أول فبراير ١٩٦٤ ● ١٧ رمضان ١٣٨٣

أحمد بهاء الدين:

بعد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب



طرق جديدة .. إلى فلسطين!

بعد أسبوعين، من مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذى انعقد فى القاهرة، ما زال العالم يتحدث عن المؤتمر .. ومازال المراقبون يحاولون النفاذ الى ماوراء السطور القليلة، التى احتوى عليها البيان الذى صدر عن هذا المؤتمر ..

والسؤال الكبير الذى مازال المراقبون يسعون وراء حله، هو:

ماهى بالضبط القرارات السرية، التى استغرقت مناقشتها أغلب وقت المؤتمر، ولم ينشر منها شيء، أو لم ينشر منها الا القليل ..

ماهى هذه القيادة العسكرية الموحدة، وما هو نطاق سلطتها ونطاق حركتها ؟..

وماهو شكل الكيان الفلسطينى الذى يبدو أن المؤتمر قد درسه





جيدا ، وعلق عليه اهمية كبرى فى المرحلة المقبلة من معركة فلسطين؟

.. ثم ، مامعنى قول البيان باسلوب قاطع « ان العرب فى موقفهم الدفاعى العادل،سينظمون علاقاتهم السياسية والاقتصادية بالدول ، على أساس مواقفها من كفاح العرب المشروع ضد المطامع الصهيونية فى العالم العربى » ؟..
والى اى حد يعنى هذا الكلام استخدام موارد الثروة العربية ، من بترول ومال سائل وطرق مواصلات ، للضغط على الدول التى تحمى اسرائيل ؟..

اسئلة كثيرة من هذا النوع تتردد حول القرارات السرية التى اتخذها المؤتمر ، وتحاول ان تدرك اثر هذه القرارات ــ فى مجال التنفيذ الواقعى ــ على قضية فلسطين ..

والواقع ان هذه القرارات السرية ، على اهميتها البالغةالتى لاشك فيها ، ليست أهم مافى الامر ..

ان من المهم ، ايضا ، ان يسفر المؤتمر عن تكوين نظرة جديدة ننظر بها الى قضية فلسطين .ان يسفر عن شق طرق جديدة نسلكها فى العودة الى فلسطين : طرق لم نطرقها من قبل ،او طرق بدأناها ثم لم تلبث ان اهملناها.. تعبا ، أو كسلا ، او انشغالا عن قضية فلسطين فى امدها الطويل بجزئيات من هذه القضية،لاتوصل فى حد ذاتها الى شيء ..





فى كتاب اسمه « الطــرق السرية : أو قصة الهجرة غــير القانونية الى فلسطين من ســنة ١٩٣٨ الى ١٩٤٨ » مــن تاليف الكاتبين الصهيونيين الأخوين جون ودافيد كيمشي .. فى هذا الكتاب الذى يروى قصة هجرة اليهود من اوربا الى فلســطين فى الفترة التى سبقت قيام اسرائيـــل .. فقرة لا انساها أبدا ، ولا احتاج لاسترجاعها الى الرجوع الى الكتاب لانقل نصوصه ...

هذه فقرة تتســاءل : لماذا تدفق اليهود فى أعقاب الحرب الى فلسطين بالذات ؟.. صحيح انه كانت هنــاك حركة صــهيونية تدعوهم وتساعدهم على ذلك . ولكن هذا لايكفى لتفسير هــذا التدفق ، والى فلسطين بالذات ، من دون بلاد العالم .. ان السبب الاكبر هو : ان هؤلاء المهاجرين وجدوا انفسهم يتجهون تلقائيــا الى الحلقة الضعيفة فى السلسلة

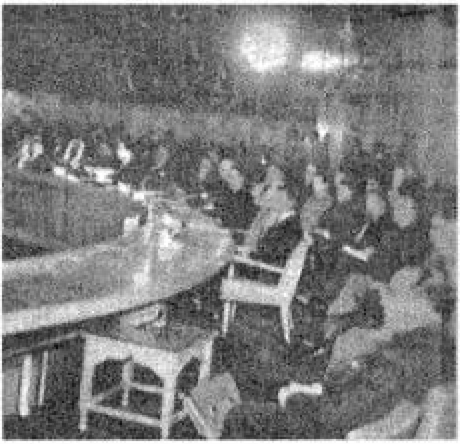
اى الى الجزء الضعيف فى العالم الذى يمكن ان يفرض اليهــود وجودهم فيه !

هذه الفقرة الواردة فى هــذا الكتاب غير المشــهور ، تؤرقنى دائما ، لانها وان لم تكن كلهــا حقيقة ، فانهــا تنطوى على جانب غير قليل من الحقيقة ..

***

ففي تلك الفترة ، كانت المنطقة العربية بالفعل منطقة « ضــعيفة حضاريا » ، اى ضعيفة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا ودوليا ..

وطوال الفترة التى كانت فيها المنطقة العربية على هذا الوضع ،



كانت اسرائيل لا تحلم فقط بالبقاء بل وبالتوسع ايضا ..

بدليل انها عندما تآمرت مع بريطانيا وفرنسا للهجوم على مصر سنة ١٩٥٦ ، وعندما ظنت ان هجوم دولتين كبيرتين كاف لالحاق هزيمة مؤكدة بمصر ، لم تتردد فى أن تعلن ضم شبه جزيرة سيناء كلها الى اسرائيل !

كانت تظن ان هذا الضعف « السياسى والاقتصادى والاجتماعى والعسكرى والدولى » مازال قائما كما كان ، فهى تستطيع أن تتمدد فيه كما تشاء ..

ولكن تجربة الحرب سنة ١٩٥٦ كانت اول علامة كبرى على التحول منذ هزيمة سنة ١٩٤٨ . فقد اندحر العدوان لان المنطقة كانت قد قطعت شوطا فى طريق القوة الحضارية . وانتصرت مصر — والعرب — لانها كانت قد بدأت تجمع بعض اسباب القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والدولية معا ..

هكذا فالدرس الاول ، أو بالاحرى الطريق الاول الذى يجب أن نسلكه فى طريق العودة الى فلسطين هو : أن تكون المنطقة العربية منطقة قوية حضاريا .. بكل عناصر القوة الحضارية التى سبق ذكرها

وفى تقديرى ان مؤتمر الملوك والرؤساء ، بعد القرارات التى اتخذها ، وبعد ان قرر الاجتماع دوريا ، سوف يكون عليه أن يضع خططه على ضوء هذا النمو العام فى القوة العربية بكل مايستلزمه من اضافات الى العلاقات العربية كتنمية الروابط الاقتصادية حتى تصل الى مرحلة من التخطيط المشترك ، واضافات الى العلاقات العربية بالعالم الخارجى ، كتقسيم العمل السياسى الخارجى على الدول العربية تبعا للمجالات التى تكون فيها كل دولة اكثر نفوذا من غيرها ..

***

ومن اهم الطرق التى يجب ان نسلكها للعودة الى فلسطين : ان نرسم الصورة الصحيحة لدولة اسرائيل ، وان نوزع هذه الصورة فى جميع انحاء العالم .. حتى تصبح ماثلة فى كل عقل ..

حتى الان ، لم يوفق العرب فى رسم هذه الصورة الدقيقةلاسرائيل انما ظلت دعاياتهم فى اغلبها مجرد « رد فعل » للدعايات الصهيونية النشيطة ..

هذا ، بينما لايضيع الصهيونيون لحظة واحدة فى تأكيد وتعميق الصورة التى رسموهالاسرائيل ووزعوها فى جميع انحاء العالم ..

● فى بلاد آسيا وافريقيا :تقول اسرائيل انها ــ مثلهم ــ دولة كسبت « استقلالها » بعد نضال مسلحضد الانجليز ! وانها ــ مثلهم ــ دولة متخلفة اقتصاديا تحاول أن تعمر بلادها وترفع مستوى معيشتها ! وانها ــ فقط ــ لها تجارب ناجحة فى تحويل البلد المتخلف الى بلد متقدم فهىبالتالى تستطيع أن تساعدهم بخبرتها ! وان اليهود كانوا دائما مضطهدين كالصفر والسود ففى بقائها وانتصارها انتصار لكلالمضطهدين المستضعفين !

● وفى أوروبا وامريكا ، تقول اسرائيل : انها فى الواقع قطعة من أوروبا وامريكا انتقلت الى آسيا ! فاغلبية سكانها مهاجرون أوروبيون : ذهبوا يحملون رسالة أوروبا ونفوذها الى الشرق !

● وفى الدوائر الراسمالية تقول اسرائيل : انها ربيبة دول الغرب الراسمالية وثمرة تأييدها وعونها !

● وفى الدوائر الاشتراكيةتقول أن لديها مزارع جماعية !

● وفى نقابات العمال تقول : انها الدولة التى يسيطر عليها الهستدروت ، أى الاتحاد العام لنقابات العمال الصهيونية ..

.. هذا غير الملامح العامة الموزعة فى كل مكان ، بالاضافة الى الملامح الخاصة السابقة،التى تظهر وتختفى حسب الزمانوالمكان تلك الملامح العامة التى مؤداها : التركيز الطويل علىماساةاضطهاد اليهود فى أوروبا ؛ لاستخلاص رصيد انسانى فى العطف والشفقة والندم ، يرتبط فى الاذهان ارتباطا لا شعوريا بقيام دولة اسرائيل وكأنه تكفير طبيعى عن هذا الذى حدث ! ..

فى وجه هذا كله ، لابد ان يقطع العرب شوطا طويلا فى طريق رسم الصورة الصحيحة لاسرائيل وكشف مافى صورتها التى الفتها عن نفسها من تناقض وتزييف ..

ويبدو من البيان العام الذى اصدره المؤتمر انه لمسهذهالناحية حين وصف اسرائيل بانها « **قوة احتلال استعمارية لاراضيه ، تمارس التمييز العنصرى ضد الاقلية العربية ، وتتخذ سياسة**

العدوان والامر الواقع قاعدة لها، وتصر على التنكر لقرارات الامم المتحدة المؤكدة لحق هذا الشعب الطبيعي في العودة الى وطنه ، وتستهين بالادانات المتكررة التي سجلتها عليها اجهزة المنظمة العالمية .. »

وهذه نقط هامة اساسية ، لابد ان يجرى توسيعها والاضافة اليها في أصرار والحاح، حتى تتكامل الصورة وتتضح ..

ان القاء الضوء فى استمرار والحاح ، على سياسة التفرقة العنصرية التي تتبعها حكومة جنوب افريقيا ، أدى الى عزل هذه الدولة عزلا تاما ، والى دمغها بهذه الوصمة التي سوف تطاردها ، والتي تحرج أي دولة اخرى تريد ان تقف الى جانبها ...

***

واسرائيل دولة تقوم على التفرقة العنصرية والتفرقة الدينية معا ..

فهي تضطهد العرب المقيمين بها لانهم عرب من جهة، ولانهم مسلمون ومسيحيون من جهة أخرى ..

هى دولة تقوم على اساس ايجاد درجتين من المواطنين : فى الدرجة الاولى تقف سلالة الدم اليهودى وحدها ، وفى الدرجة الثانية يأتى الاخرون !

نفس الاضطهاد الذى كان يشكو منه اليهود فى أوربا فى عصور الاضطهاد ، مع انعكاس الآية .. فقط لا غير ..

هذه الحقيقة الكبرى من حقائق الحياة فى اسرائيل ، مجهولة تماما فى العالم الخارجى

ولا اظن ان الدعاية العربية والسياسة العربية قد بذلت كل مافى الطاقة لتأكيد هذه النقطة..

***

ثم ان هناك ما هو اعمق أثرا من الدعاية الكلامية ..

فلا ادرى مثلا ، لماذا لا تطلب الدول العربية من الامم المتحدة ان ترسل لجنة دولية ، تحقق فى احوال العرب المقيمين فى اسرائيل ، لجنة تسأل هذه الدولة عن هؤلاء العرب الذين تعتبرهم رعايا : ما هو نصيبهم من المشروعات العامة ومن الوظائف ومن ميزانيات التعليم ومن فرص السفر ومن حقوق التنقل ومن الحريات العامة والخاصة ؟.

***

ثم ان .. المقاومة السلمية التى نهض بها الزنوج فى امريكا كانت كافية لان تثير ضمير العالم كله وبالنسبة لاوضاع فى دولة كبرى كالولايات المتحدة .. فلماذا لا يعمل العرب على تنظيم مثل هذه الحركة داخل اسرائيل ، لتكون نقطة بدء فى لفت انظار العالم الى حقيقة مايجرى هناك ؟..

يضاف الى ذلك ان جوهر اسرائيل الاستعماري ، غير مشروع فى العالم الخارجي ..

ولقد رايت بنفسى عشرات من الصحفيين الاجانب .. انجليز وامريكيين ويابانيين وسوفييت .. الخ .. فى مركز الصحافة الذى اقيم فى القاهرة بجوار مؤتمر الملوك والرؤساء العرب ، يستمعون الى بعض ما يقوله المتحدث العربي عن هذه النقطة ، وهم فى حيرة ودهشة وعجب .. بسبب النقص الرهيب فى معلوماتهم عن اسرائيل :

● فاسرائيل دولة منظمة سكانها جاءوا من الخارج واغتصبوا الارض التى يستثمرونها : فاى فرق بينهم وبين المستعمرين البيض الذين عرفتهم افريقيا فى أكثر من مكان .. من الجزائر الى كينيا وروديسيا ونياسالاند ؟ ..

● واسرائيل دولة اقامها السلاح الاجنبى ، وحماها السلاح الاجنبى وحارب الى جانبها سنة ١٩٥٦ السلاح الاجنبى .. فاى فرق بينها وبين الاوضاع التى قامت على اساس الغزو المسلح ؟

● واسرائيل دولة تستمد معظم مواردها من المال الاجنبى . فنحن هنا لسنا امام حالة تأخذ فيها دولة مساعدات اجنبية وقروض كسائر الدول . ولكن أمام دولة يقوم كيانها الاقتصادى على العون الخارجى



.. المهم ، هو ان الالحاح فى رسم الصورة العلمية التحليلية الصحيحة لاسرائيل ، هو عمل هام

ان اسرائيل نفسها تعرف ان المعركة العسكرية لا تستغرق الا اياما أو أسابيع ، أما المعركة على عقل العالم وفهمه فهى معركة مستمرة سنة وراء سنة .. لا تكل ولا تمل

***

ومن القرارات السرية التى اتخذها مؤتمر الملوك والرؤساء العرب ، ذلك القرار الذى أشار اليه البيان العلنى ، بعد الاشارة الى الميدان الدفاعى والميدان الفنى ، اشارة أخرى مقتضبة عن « ميدان تنظيم الشعب الفلسطينى وتمكينه من القيام بدوره فى تحرير وطنه





وتقرير مصيره »

.. وهى اشارة الى ما يسمى ب « ابراز الكيان الفلسطينى » ..

وحتى الان ، كان ابراز الكيان الفلسطينى مجرد شعار يتردد دون ان يترجم الى حقيقة. لان الخلافات العربية كانت اقوى منه

مع ان ايجاد الكيان الفلسطينى هو اول عمل بديهى لتحريك القضية نلها فى طريق جدى فعال ..

فقبل ان نطلب نحن العرب من العالم ان يعترف بوجود شعب فلسطين وان يفسح له المجال، علينا نحن ان نعترف بوجود هذا الشعب ونفسح له المجال.. كشعب كامل لا كمجموعات مبعثرة من اللاجئين ..

وحين يرى العالم ان القضية بين اسرائيل والدول العربية القائمة بالفعل ، يرى هذا العالم غير المزود بالحقائق الكافية ، ان استيعاب اللاجئين العرب فى هذه الدول العربية أقرب الى المنطق من اعادتهم الى أرضهم ، بما فى ذلك من مشاكل !!

بل ان عدم وجود كيان قوى



مائل لشعب فلسطين جعل اسم « فلسطين » نفسه يدوى ويدبل من لغة الاستعمال اليومية فى شتى انحاء العالم ..

فى حين ان الواجب هو ان نحقق وصفا يجعل العالم اذا ناقش موضوع اسرائيل ، تقفز ذهنه على الفور الى الشعب البديل ، الشعب الاصيل ، الطرف الآخر للقصة شعب فلسطين

***

وأمامنا تجربتان تغنيان عن سرد الادلة والبراهين ..

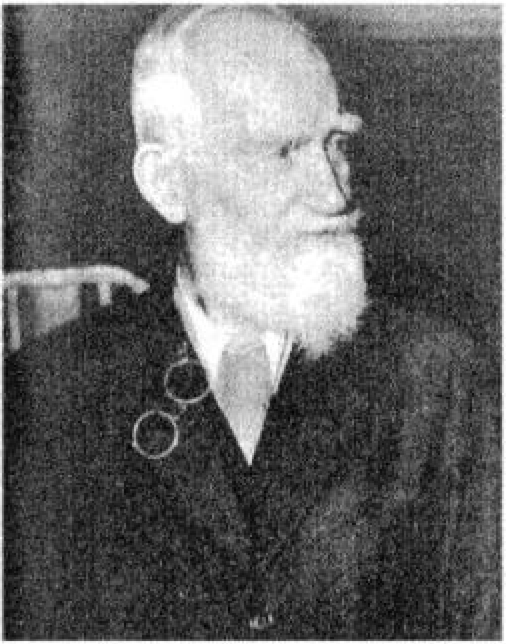
التجربة الاولى هى تجربة الحركة الصهيونية ذاتها . فقبل قيام دولة اسرائيل كان هناك شىء اسمه « الوكالة اليهودية » . كانت الوكالة اليهودية شيئا أشبه بالحكومة التى لها وزاراتها وسفاراتها ونقاباتها ونظمها الاقتصادية والزراعية ومقاتلوها وأسلحتها . وقد استطاعت هذه الوكالة ان تقنع العالم وقتها بانها المعبرة عن يهود العالم على بعد الشقة واتساع المسافات ، وعلى ما فى الدعوى ذاتها من بطلان كبير . فما بالنا وشعب فلسطين شعب له تاريخه القريب ووضعه الماثل وامكانية تمثيله تمثيلا جديا حقيقيا واقعيا ، **وانتخابيا ؟**.

والتجربة الثانية هى تجربة جبهة التحرير الجزائرية .. التى استطاعت ان تربط نشاط الجزائريين فى الداخل والخارج .. وان تحقق الوجود الجزائرى المعنوى بصورة قوية فى كل دولة وفى كل عاصمة .. حتى اصبحت هى الطرف الاصيل المقابل للطرف الفرنسى .. المتنازع معه .. المطالب بحقه المنهوب منه ..

ان وجود الكيان الفلسطينى ، والجهاز الفلسطينى البحت الذى يمثله ، خطوة اساسية بل وبديهية فى الطريق الى فلسطين ..

***

وليست هذه كل الطرق !



عباس العقاد :

الوحيد .. الذى رفضها .. !

ولد برنارد شو فى سنة ١٨٥٦ واختارته لجنة نوبل لجائزتها الادبية سنة ١٩٢٥ .. فكان يناهز السبعين ويتسنم ذروة الشهرة العالمية حين وصلت هذه الجائزة اليه

ولهذا الاديب الغريب قصة غريبة — مع الجائزة — كسائر قصصه واطواره فى حياته وفى اعماله

فهو الوحيد الذى رفض هذه الجائزة بين المئات ممن نالوا جوائز على اختلافها ، وكانت حجته فى رفضها انه فى غنى عنها ، لانه وصل الى بر الامان ، فلا حاجة به الى عوامة النجاة

والحجة — كما يبدو — حجة ظاهرة تخفى ما وراءها ، فان جائزة نوبل ليست من جوائز التشجيع التى يراد بها تنشيط السابحين فى طريقهم الى بر الامان ، وانما هى جائزة تتويج وتقدير ، ينالها القليلون ممن بلغوا الغاية واستقروا على القمة ، ولا حاجة بواحد منهم الى عوامة النجاة فى طريقه الى الشهرة ، ولو كانت الجائزة

متمردة التشجيع لما كان فيها الكفاية للمئات والآلاف الذين يبدءون طريقهم او يجاهدون فى عبور عقباته قبل النهاية ، وهم عدد لا يحصى فى بلاد الامم الغربية

فبرنارد شو لم يرفض الجائزة لهذا السبب ولكنه رفضها لانه راى – بحق – إنها تخطته عدة سنوات ، ووصلت قبله مرات عديدة الى اناس لا يساوونه فى نظر الناس ولا فى نظر نفسه ، وقد كان هو – على رجاحة قدره – يرتفع بهذا القدر فوق مستواه بكثير

***

فممن نالوا الجائزة قبله « لادسلاو ريمون » البولونى ، و «جاسينتو بنافنتى» الاسبانى ، و « كنوت هامسون » النرويجى ، و « كارل سبتلر » السويسرى ، و « بنتو بيدان » الدنماركى ، و « بول هيس » الالمانى ، وكلهم ممن يصح ان يقال فيهم انهم نكرات اذا قيسوا اليه بمقاييس الشهرة العالمية او القيمة الادبية

وممن نالها قبله من اعلام الادب « اناتول فرانس » الفرنسى ، و « موريس مترلنك » البلجيكى ، وهما نظيران له يعز عليه ان يتخلف عنهما سنوات ، بعد ان ظهرت له اكبر مؤلفاته التى يظهر له – بعد توجيه الجائزة اليه – ما هو أعظم منها واحق بالتقدير

وممن نالوا الجائزة قبله بسنتين شاعر ايرلندا وليام ييتس ، وهو اختيار يغض من قدر برنارد شو بصفة خاصة .. لانه ايرلندى كوليام ييتس وليس له من الجهود فى ميادين الادب او ميادين الاصلاح ما يقرن بجهود برنارد شو فى هذه الميادين ، وكثيرون غير برناردشو يشعرون بالغضاضة عليه من تأخيره ، بعد تقديم من ذكرناهم ومن لم نذكرهم فى هذا الحديث .. ولا استثناء فى ذلك للعلمين البارزين اللذين يعتبران اشهرهم جميعا فى مجال الآداب العالمية : وهما مترلنك واناتول فرانس فان مترلنك اضيق افقا من برناردشو فى ميادين الاصلاح والثقافة العامة ، وفى كتابة اناتول فرانس من شوائب السخرية المتشائمة ما يؤخذ عليه بمقاييس اللجنة السويدية قبل غيرها ، عند المقارنة بينه وبين « شو » فى ايمانه برسالة الاصلاح

***

واذا نظرنا الى الناحية العالمية فى جهود الاصلاح فقد كانت لبرناردشو كفته الراجحة فى هذه الجهود ، وقد يتسع المقام هنا لباب من ابواب المقارنة يأتى فى مكانه فى سياق هذه الدراسة .

فان برناردشو قد تطوع بالحملة الشعواء على السياسة البريطانية بعد فاجعة دنشـــواى ، والف فى موضوعها كتابه بعنوان « جزيرة جون بول الاخرى » مقدما له بتلك الفصول المسهبة الى الفلاحين ، وضمنها من التحقيقات الطبية والشواهد العيانية ما لا يحتمل المغالطة والتمويه،ولم تمض اشهر على ظهور هذا الكتاب حتى وجدت الدولة البريطانية نفسها مضطرة الى اعلان توبتها فى العالم عن هذه الخطيئة المنكرة ، فعزلت لورد كرومر معتمدها المسئول عنها ، وحاولت بعد عزله أن تنهج لسياستها نهجا جديدا للتقرب من أبناء هذه البلاد

يقارن هذا بمسلك اناتول فرانس فى دور من أدوار القضية المصرية، فانه سئل أن يقدم كتابا باللغة الفرنسية نشره الوفد المصرى فى اثناء اجتماع مؤتمر الصلح بباريس، واراد أن يستفيد من شهرة الكاتب الكبير فى لفت أنظار المؤتمرين اليه، فكتب مقدمته فى صفحتين صغيرتين وتقاضى من هاتين الصفحتين الف جنيه ، سلمت اليه قبل كتابة المقدمة بأيام !

فالغرابة فى قصة برناردشو مع الجائزة تنقلب الى استغراب لعمل اللجنة نفسها ، بعد بيان الحقيقة



اناتول فرنس حصل عليها قبل برناردشو !

***

وقد كان هذا التاخير غريبا فى نظر الناس ولم يكن غريبا فى نظر برناردشو الى نفسه وقد نفسر نحن هذه الغرابة بتفسير واحد لا نعرف لها تفسيرا أقرب منه الى القبول . وهو زعامة شو للثورة الاشتراكية فى البلاد الانجليزية . فان اللجنة السويدية ــ وهى تمثل معهدا من معاهد رأس المال ــ لم تعترف قط بحق الجائزة لصاحب دعوة اشتراكية ، ولم تعدل عن هذا الموقف الا فى الزمن الاخير ، بعد سريان الدعوة الاشتراكية الى بلادها ، اعتصاما بها من خطر الانقلاب الماركسى الذى اقترب منها ، ولولا ذلك لما تغير موقفها

من تقـدير برناردشو وتقـدير الثورة الفابية التى كان من زعمائها

***

الا أن غرائب برناردشو تتراءى على اطرفها وأظرفها عنـد النظر الى مقاييسه هو فى تقـدير نفسه وتقـدير ادبه بموازين الاداب العالمية : قديمها وحديثها

تقدم أنه كان من زعماء الدعوة الاشتراكية فى البلاد الانجليزية ، وتلك هى الدعوة التى انتهت بقيام حزب العمـال ووصـوله الى الاستقلال بالوزارة بعـد الحرب العالمية الاولى

فلما اراد رئيس الوزارة أن يعلن اعترافه بفضل برناردشـو على الحـزب وعلى وزارته ، كاشـفه بعزمه على كتـابة اسمه فى قائمة الشرف او قائمة الرتب والنياشين ، وسأله ان يختـار الرتبـة التى يرتضيها لنفسه اول هـذه الرتب — وهى رتبة الفـارس التى يلقب حاملها بلقب سير — كما هى العادة فى نظام التـدرج بهذه الالقـاب . ولكن صاحبه لم يلبث ان سأله : هل فى وسـعك أن تطلب لى لقب البرنس او لقب الديوك ؟ ان هذه الالقاب لا تطلب ولا أرى أننى أقل ممن يحملونها اذا دخلنـا فى باب الرتب والنياشين .. فخير لنا أن نبتعد عن هذا الباب !

***

اما الرتب الادبيـة فقـد كان برناردشو يطمح فيهـا فوق لقب البرنس ولقب الديوك . بل فوق لقب الملك اذا كان فى الادب ملوك

وربما صح أن يكون للادب ملك يعترف له بتاج الشـعر والمسرح « برنسـات القلم ودوقاته » فى البلاد الغربية وفى طليعتها البـلاد الانجليزية ، وهو وليام شيكسبير

وعنـد برناردشو ان وليـام شيكسبير لا يساويه ولا يدانيه ، وقـد قال مرة : انه لـو كانت له فكرة فى كتـابة روايات كروايات شيكسبير لالفها جميعا فى بضـعة اشهر ..

وسمعه ناقد فقـال متهكما : ارأيت : لـو كانت له فكرة ؟! .. ويعنى الناقد أن برناردشو لا يملك الفـكرة التى تعينه على محـاكاة شيكسبير . اما برناردشو فمعناه ان روايات شيكسبير لا تسـتحق أن تكتب فى عصره ، لانهـا روايات لم تكن لها رسالة الى أبناء العصر عند تأليفهـا ، ولكنه هو يؤلف الرواية ويقصد بهـا ان تؤدى له رسالة فى التعريف بحقائق الدنيا او حقائق النفس الانسانية ، ولو لم تكن مقصـودة على مشـاكل

الاجتماع او على العقد النفسية فى الطب الحديث

***

وندع لبرناردشو دعواه على شيكسبير ، فانها بينة البطلان ، وقد عرف الناس من رواياته كل ما يعرفهم به شاعر من أسرار الحياة الاجتماعية وأسرار الحياة النفسية ، وكان تصويره لأسرار البلاط ودسائس القصور مقدمة فعالة للثورة التى نشبت بعد وفاته بأقل من جيل ، وكان لها أثرها فى تقييد سلطان الملوك وفرض الرقابة القومية على القصور.

ندع هنا دعوى برناردشو على شيكسبير ، ولا ندع دعواه لنفسه بين معاصريه . فانه — فى الحق — لم يجاوز بها قدره الذى يعرفه له المعجبون به وباولئك المعاصرين ، وليس بين الذين تقدموه الى الجائزة خلال عشر سنوات احد يساويه فى مقدرته الفنيـة أو فى كفايته الادبية ، ومن ساواه فى فنه وأدبه لم يكن كفئا له فى غيرته على الحق واخلاصه لحب الخير والاصلاح . ويؤخذ من محاضر الجلسات التى نشرتها لجنة نوبل اخيرا انها كانت تشعر بأن الجائزة تصل اليه متاخرة ، وان لم تكن متاخرة جدا على راى أمين السر فيها ، لانها — على رايه — لم تصل



كرومر فى مصر .. عزلته من منصبه كتابات برناردشو ..!

بعد فوات الاوان . لكن الفرصة كانت سانحة لموقف من المواقف الصياحة التى يحبها رجل المواقف المسرحية على مسرح الفن ومسرح الحياة. ففى تاريخ الادب الانجليزى موقف ماثور لحكيم من الحكماء المحدثين فى جميع العصور ، وهو موقف الدكتور صمويل جونسون مع النبيل الاديب لورد شسترفيلد ، وكان الدكتور جونسون قد شرع فى تاليف معجمه الخالد فى نحو اللغة الانجليزية وهو يطمع فى معونة اللورد الاديب ، فاعرض عنه اللورد بعد أن تلقاه باديء الراى بالمجاملة المعسولة من طرف اللسان وابت على الحكيم انفته التى اشتهر بها ان يعاود اللورد بالطلب أو الزيارة حتى اتم تاليف المعجم وعلم اللورد انه وشيك الظهور ، فعز على — اللورد حينئذ — أن يفوته

شرف الرعاية لهذا العمل الجليل، وابدى من جانبه العنـــاية به والسؤال عنه . ولكن الحكيم العزوف لم ينس الهوان الذى قوبل به غير مرة وهو يطيل الانتظار فى قاعة الاستقبال بقصر اللورد ، فلا يؤذن له بالمثول بين يديه ، فكتب اليه خطابه الذى تداولته تواريخ الادب منـذ ذلك الحين ، وصاغه بتلك البلاغة التى عهدت فى احاديث الحـكيم وكتـاباته ، فافتتحه بالاعتذار من قبول الكرم الرفيـع من قبل العظماء لانه لا يعرف كيف يتقبله اذا كان لم يتعـوده ، فـلا يدرى كيف يكون الشـكر لانه لم يدر كيف يكون الاحسـان ! واختتمه بتلك الكلمـات التى تلقى بهـا برناردشو منحة نوبل ، فقـال بعد الاشـارة الى حمـاة الاداب من النبـلاء : « اليس حامى الادب ــ يا سيدى ــ هو ذلك الذى ينظر الى السابح الذى يحاول النجـاة بحياته فلا يعنيه أمره ، حتى اذا بلغ الساحل اغرقه بالمعـونة ؟ ان لفتة اللورد لو تقدمت برهة لكانت غوثاء ، ولكنها تأخرت حتى وصلت الى غير حافل بوصولها .. تأخرت حتى أصبحت فى الحيـاة فريدا لا أسـعد بهـا غيرى ، ومعـروفا لا حاجة بى الى تعريف »

***

وقد ذاع خبر ذلك الخطـاب البليغ فى تاريخ الاداب لانه يسجل مرحـلة الرعاية الادبية من جانب الامراء والنبلاء ويديع اليوم جواب شو لانه يسجل الموقف بعينه بعد انتقال الرعاية من الامراء والنبلاء الى القراء والنقاد

السر

ظل رجل يطلب مكتب التليفون كل يوم الساعة ١٢ بالضبط مدة اربع سنوات ليسأل عن الوقت بالضبط . وثار فضول الفتيات فى المكتب وصممن على معرفة سر هذه المواظبة ، فقال :

ــ انا ملاحظ المصنع ومن واجبى ان اطلق صفارتى الساعة ١٢ بالضبط . ولهذا اتصل بكن للتأكد من دقة ساعتى

وانفرقت الفتيات فى الضحك ، لانهن كن دائما يضبطن ساعة المكتب على صفارة المصنع !

الشرط

دخلت السيدة الفرنسية متجرا لشراء لعب وهدايا رأس السنة

ــ من اى نوع تريدين الهدايا ياسيدتى؟

ــ من احسن نوع . ولكن بشرط واحد . ان تناسب طفلا ابوه رجل بدين وله كرش . ولايســتطيع ان يركع بجواره على الارض لتشغيل اللعب !

ناصر الدين النشاشيبي :

لمـــاذا



قال الشـاعر الانـدلسى بوالحسين « محمد بن جبير » ، صاحب « الرحلة » المشهورة :

لا تغترب عن وطـــن
واذكر تصـاريف النوى
اما ترى الغصــن اذا
ما فارق الاصـل ذوى ؟

وقال فى مكان اخر :

غريب تذكر اوطـــانه
فهيج بالذكر اشجــانه
يحل عرى صبره بالاسى
ويعقـد بالنجم اجفـانه !

واذا كانت « الاندلـس » بالنسـبة للعرب قصـة تاريخ لايزيد عدد صفحاتها على اربعمائة سنة ، فان فلسطين عندنا قصـة حياة امتزجت ايامها بأيام العرب، واصبحت جزءا من تقاليدهم ، ومهد ساسهم ، وشرفهـم ، وقوميتهم ...

واذا كان « زمان الوصـل بالاندلس » ، مجـرد حلم ، او « خلسة مختلس » ، فان زمـان العرب فى فلسـطين اكثر من

نحب فلسطين..؟

« يقظة » .. واكثر من واقع حى طويل !.

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما
فى الكرى او خلسة المختلس!

❋ ❋ ❋

وليس الغرض من هذه السطور ان اتحدث عن حب الوطن عند ابناء البشر ، وانما غرضى ان اتحدث بلسان الملايين من العرب الذين شاركونى حب فلسطين
لماذا احببنا فلسطين ؟

فاذا تحدثنا بلسان العاطفة التى تسبق فى العادة لسان العقل فان فلسطين اكثر بلدان العالم تزود من يحبها باسباب هذا الحب ..

انها بلد الساحل ، والجبل ، والبحر ، والزرع ، والثمر !..

انها بلد « البيارات » الخضر فى قلب ارضها الخضراء ..

انها بلد البرتقال ، والزيتون ، والعنب ، والمشمش ...

انها بلد الشواطىء الرحبة البيضاء ، والبحيرات الساطعة الوديعة ، والانهر الوفية المتعددة ..

وهى بلد صغير .. كبير ! اذا كانت مساحته حوالى ٢٦ مليون وثلاثمائة وخمسون الف دونم مربع ، فان كل شبر فيه اما غنى بخصبه ، او غني بثروته ، او غنى بمقدساته وآثاره ! اذ ليس فى فلسطين ارض ميتة ! وليس فى فلسطين ارض مهجورة ! وليس فى فلسطين خراب حزين ! ان كل شبر فى ارض فلسطين ، ينضم الحياة ويوحى بها ...

❋ ❋ ❋

واذا تحدثنا عن فلسطين بلسان العقل الذى يبحث فى حديثه عن الحقيقة والرقم ، فان فلسطين ، بالنسبة لمساحتها وجغرافيتها ، بلد ثروة تفوق فى نسبتها ثروة اى بلد اخر ..

ان تربتها تمنح الزراعة خيرا كبيرا !.. انها تضم أكثر من مائة وخمسين الف دونم مزروعة بالحمضيات ، كالبرتقال والافندى .. واكثر من الفى دونم مزروعة بالموز ، ومليون دونم مزروعة بالزيتون والفاكهة ، وخمسة ملايين دونم من الارض الزراعية الجيدة ، تدر سنويا من ثمن الموالح والفواكه والزيتون أكثر من عشرين مليون جنيه بالاضافة الى ما لايقل عن خمسة عشر مليون جنيه من بدل ايجار الاراضى الزراعية !.

وهي - بحكم موقعها الجغرافى - حلقة اتصال بين اجزاء الوطن العربى ، باسره : بين شرقه وغربه .. بين بحره وجبله .. بين شماله وجنوبه .. عندها تلتقى شبكة المواصلات الهاتفية ، واللاسلكية ، والحديدية ، والبرية .. وعلى موانىء شواطئها تمر البواخر الكبيرة القادمة من الغرب الى الشرق .. والمسافرة من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال .. وعلى مطاراتها تهبط جميع الطائرات التى تصل بين طرفى المعمورة ، واليها تتجه دوما انظار العالم !..

❊ ❊ ❊

وهى بحكم - تاريخها - بلد الحضارات والثقافات ! سكنتها الكنعانيون والآراميون والبابليون والحيثيون والاشوريون والكلدانيون والفرس !.. ومرت عليها ومنها واليها جميع قوافل المدنيات فى التاريخ القديم والمتوسط ! وقد تركت كل قافلة من هذه القوافل ، بصمات أصابعها ، واثار اقدامها على حياة هذا البلد وحياة اصحابه ..

❊ ❊ ❊

ثم هى - بحكم معناها الدينى ، ملتقى الاديان السماوية الثلاثة ، هناك صخرة الله المشرفة ، وهناك المسجد الاقصى .. « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله .. » !

وروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى .. » !

وقيل قديما : « أربعة من مدائن الجنة .. مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس ! »

وهناك بيت لحم ، مولد السيد المسيح ، والناصرة مرتع شبابه ، والقيامة مثواه وصعوده .. وطريق الآلام حيث مشى وعاش .. وخطواته على النهر ... وعلى « البحيرة » .. وعلى الجبال والتلال !

ولهذا - من هذه المعانى كلها - نحب فلسطين

نحبها لاننا أصحاب رسالة انسانية تدعو لخير المجموع

وللعدل الاجتماعي وللتعاون بين الطبقات ، ونحبها لاننا نعتز بتقاليدنا ونفخر بتراث اجدادنا ، لاننا نؤمن بالخلود .. خلود الروح وخلود الوطن !

ونحبها لان القيم الروحية عزيزة علينا ، لا نفرط فيها ولا نستبدلها ، ان عناصر هذه القيم هي الحق والجمال والخير، ان في هذه القيم شيء من عند الله، فيها صفات الله

ونحبها لان الشعب النامي الذي يتحسس خطواته في هذه الحياة ، يحتاج الى الاموال الضرورية لكي يبني بها نفسه ! وفلسطين ، ومنطقة الشرق الاوسط ـ كما قال « ناحوم جولدمان » رئيس الجمعية الصهيونية العالمية في كندا ، يوم ٣١ مايو عام ١٩٤٧، « هما اعظم المناطق الشرقية في العالم » !.

واخيرا .. نحبها لانها وطننا !

هل نتحدث عن معنى الوطن عند الافراد .. والشعوب ؟!

الوطن الواحد ـ كما يقول الشاعر التونسي ـ هو حيث يكون القلب الواحد

وقد يدور الواحد منا العالم كله بحثا عن شيء لن يجده ، الا عندما يعود الى .. وطنه !

وقد يكون صحيحا ان اي جزء من الوطن العربي ، هو وطن قومي لاي عربي ، ولكن ضياع فلسطين من أهلها : كارثة عاطفية ووطنية لا لأهلها فقط ، بل لكل عربي ايضا !

واذا كان حب الوطن يقاس باستعداد اهله للدفاع عنه اذا ما تعرض هذا الوطن للخطر والتضحية بارواحهم في سبيله ، فان اهل فلسطين ـ على ضوء ذلك ـ قد احبوا وطنهم كثيرا .. بل واكثر من الكثير !



احبوا فلسطين بثورة يوم ٤ و٥ ابريل في القدس عام ١٩٢٠ احتجاجا على الوطن القومي اليهودي

واحبوا فلسطين في ثورة ٢ مايو ١٩٢١ .. ضد الانتداب !

واحبوا فلسطين في ثورة ١٩٢٩

واحبوا فلسطين في ثورة اكتوبر ١٩٣٥ !.

واحبوا فلسطين في ثورة ابريل ١٩٣٦.

وقد احب الشعب الفلسطيني بلده بالدم ، وانتظم في صفوف « جيش التحرير » و « منظمات الشباب » و « فرق التدمير » ، للدفاع عن هذا الحب طيلة ثلاثين سنة !

ولم يبع العربي الفلسطيني ارضه ـ كما يكذب مسعورا بعض المغرضين الجاهلين



لقد كان كل ما يملكه العرب من ارض فلسطين عند بدء الانتداب ، هو حوالي ثلاثة عشر مليون دونم من الارض ، اي بنسبة ٤٨ في المائة من مساحة فلسطين ، بينما لم يكن يملك اليهود اكثر من مليون دونم اي بنسبة اربعة في المائة .. والباقي .. كل الباقي استولت عليه حكومة الانتداب البريطاني واطلقت عليه اسم «املاك الدوله » أو «استيت دومين» .. ثم راحت توزع هذا « الباقي » على المهاجرين اليهود رويدا رويدا ، الى ان خرجت من البلاد وتركت لهم .. كل شيء !.

وليست الارض التي اغتصبتها اسرائيل من العرب ، هي الارض التي اشترتها اسرائيل من العرب

ان السلطات الاسرائيلية قد استولت ـ بالقوه ـ على خمسة ملايين وستمائة الف دونم مربع من الارض زيادة عن مساحة المنطقة التي خصصها لها قرار الجمعية العامة لتقسيم فلسطين بتاريخ ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ .. وقرار الجمعية العامة بتقسيم فلسطين قد اغتصب بدوره ما لا يقل عن ثلاثة ملايين دونم من الارض العربية !

هكذا ضاعت « الارض » الفلسطينية الى يد الاعداء

لا عن طريق بيعها الى العدو

ولا عن طريق التنازل عنها من اصحابها العرب !.

وقد دفع حب الفلسطيني ، لبلده أن يتبنى كل فكرة وحدوية قومية تحفظ له ، او تعيد اليه بلده

لقد اخلص الفلسطيني لفكرة الوحدة العربية ، كمبدأ سياسي لان الوحدة العربية هي تجسيد القومية العربية . وشعب فلسطين مؤمن بهذه الفكرة ومخلص لها !

فالوحدة العربية هي التنفيذ العملي للقومية العربية ، وشعب فلسطين يحب قوميته في جميع صورها ، ما كان منها نظريا ، وما كان منها حقيقة واقعة !

ومنذ خمسين سنة أو يزيد ، كان حب الفلسطيني لبلده، جزءا من حبه للوطن العربي الكبير ، كان العربي الشاب القادم الى استانبول من فلسطين يعلم تماما ان فلسطين لا وجود لها كدولة ذات كيان مستقل . انها جزء من بلاد الشام .. وللقدس « سنجق » له حكم الولاية ويشرف على شئون مدينة يافا ويتبع التعليمات الصادرة اليه من استانبول ! وفي الجمعيات السياسية السرية التي قامت تطالب بالحرية والاستقلال للوطن العربي كله ،كان ابن فلسطين يعمل لا بوحي بلده ، بل بوحي أمته .. بوصفه مواطنا عربيا قبل ان يكون فلسطينيا ..والذين أعدمهم « التركي السفاح » عام ١٩١٥ ، كان بينهم الفلسطيني الذي يهتف في اخر لحظة من حياته باسم بلده الوطن الكبير ، جنبا الى جنب مع الشامي ، أو اللبناني الذي يردد هذا الهتاف ... ايضا !

وعبثا حاول الاستعمار ان يقطع الشرايين التي تربط بين شعب فلسطين ، والشعوب العربية الاخرى

وعبثا ، حاولت الصهيونية ان تبعد ما بين الفلسطيني واخيه العربي في بغداد أو في دمشق أو في القاهرة

وعاش الفلسطيني ، عربيا في هواه ، وفي قضيته ، وفي وطنيته .. وحتى في مأساته وتشرده !

وكانت ثوراته كلها ، باسم العرب ، كلهم !.

وعندما وقعت الواقعة ،وتشرد ابن الارض الطيبة ، مضى الى أخوته العرب ، في الدنيا العربية الواسعة ، يبحث عندهم ، عن موعد الثأر وساعة العودة

وتسألني يا اخي :

ــ فلسطين ، لماذا نحبها ؟!

اقول لك :

ــ لاننا نريد ان نرتفع بهذا الحب الكبير الى مستوى ما فوق الانسان .. مستوى «السوبرمان» الذي يعطي من دمه ، ومن عمره ، ثمن حبه لبلده

هذا البلد الكبير

الذي من اجله عقد « المؤتمر الكبير » من ١٣ الى ١٧ يناير عام ١٩٦٤ ، بحثا عن الخطة المطلوبة لكي يعود البلد الى أهله ، ويعود الاهل الى .. فلسطين !

وسلام .. الف سلام ، على فلسطين !

راشد الراوى



ماذا وراء أزمة القناة

بين بناما والولايات المتحدة ؟

رأى

العام المنصرم أن يطويه الزمن دون أن يترك وراءه أزمة ويسيل دما فى البحر المتوسط بالعالم القديم . وكأنما أراد خلفه أن يعلن عن مقدمه بأزمة تثور ودم يراق فى منطقة الكاريبى بالعالم الجديد عندما وقعت اشتباكات دامية بين فريق من ابناء جمهورية بنما والامريكيين فى منطقة القناة

والسبب المباشر ان **الطلبة الامريكيين فى كلية هناك رفعوا عند مدخلها علم بلادهم وحده ، مما اعتبره زملاؤهم من البنميين تحديا لشعورهم الوطنى من جهة ، وخروجا من جهة اخرى على الاتفاق الذى رفعت بمقتضاه اعلام البلدين بصورة مشتركة فى ختام عام ١٩٦٢ فوق الانحاء الخاضعة للسلطات المدنية فى المنطقة** . وتطور الخلاف

الى مظاهرات ضمت آلافا من طلبة بنما واهلها ، وتدخلت قوات الامن الامريكية ، فسقط عدد من القتلى والجرحى . وندد روبرتو كيارى رئيس جمهورية بنما بما وصفه بانه اعتداء امريكي وقال انه سوف يتخذ التدابير الواجبة لاثبات حقوق بلاده . وجرى اتصال بين رئيسي الدولتين اللذين اتفقا على ضرورة وقف اعمال العنف ، وبالفعل وجه كيارى نداء ناشد فيه الشعب بالتزام الهدوء

ولكن الامور ما لبثت أن سارت فى طريق مغاير اذ اعلن السكرتير الصحفى للرئيس كيارى ان بنما قد **«الغت بصفة رسمية معاهداتها مع امريكا والخاصة بمنطقة القناة»** ثم اذيع بعد ذلك ان جاليليوسوليس وزير الخارجية قد بعث ببرقية الى المستر دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية ينبئه فيها بقطع العلاقات بين البلدين

هذه هى الظروف التى ادت الى الازمة الاخيرة ، ولكن الواقع ان هناك اسبابا اخرى ابعد غورا ، ترجع الى اليوم الذى ظهرت فيه جمهورية بنما نفسها الى عالم الوجود كدولة مستقلة ذات سيادة ، والى الملابسات التى سبقت شق القناة فى برزخ بنما ، والى المعاهدات والاتفاقيات التى وقعت بين الطرفين

لقد استوليت على بنما !

لما تولى تيودور روزفلت الرئاسة ومعه المستر هاى أولا ثم



روزفلت .. دبر خطة محكمة للاستيلاء على بنما .. !



جونسون .. هل ينجح فى تفادى هبوب العاصفة ؟!

روت بعد ذلك وزيرا للخارجية ، اتجهت السياسة الخارجيـــة اتجاهين رئيسيين احدهما ـ وهو الاهم من وجهة نظر الموضوع الذى نعالجه ـ يتركز حـول الممتلكات الجزرية الجديدة ومنفـذ بنما ، وكان هذا نتيجة أولية ترتبت على الحرب الاسبانية الامريكيـة التى اسفرت عن وصول الولايات المتحدة الى مركز جعلها عرضة للهجـوم فى المحيطين الاطلسى والهادى

ولما صار واضحا ان الولايات المتحدة قد استقر رايها على حفر قناة برزخ بنما تقدمت بريطانيـا بالمساعدة تمهيدا لتنفيذ المشروع . كانت معاهدة كلايتـون ـ بولور clayton-Bulwer (١٨٥٠) تنص على أن للبلدين الحق فى امتيـازات متساوية فى اية قناة تنشأ ، وان على كل منهما الا يقيم التحصينات فيها . فلما عقدت معاهدة هاى ـ بونسفوت Hay-paunce Fote فى عام ١٩٠١ نصت بأن للولايات المتحدة الحق فى « انشاء القناة والمحافظة عليها والسيطرة عليها » (على الا تكون هناك تفرقة فى الرسوم التى تفرض) . ومعنى المعاهدة الاخيرة ان بريطانيا تنازلت عما كان لها من حقوق وفقا للمعاهدات القديمـة بين البلدين . والان لم يعـد أمام الولايات المتحـدة الا أن تهيىء الظروف المناسبة لتنفيذ المشروع

كانت بنما تابعة لجمهـورية كولومبيا من عام ١٨٢١ بعـد انفصالها عن اسبانيا . ثم تمتعت



ايزنهاور .. والدرس من كوبا !

بحكم ذاتى ما بين ١٨٥٥ ، ١٨٨٥ وعادت بعد ذلك الى الخضـوع المباشر لحكم كولومبيا، ولكن نشبت ثورة فى بنما أدت الى انفصالهـا واستقـلالها عام ١٩٠٣ ، وهنا يأتى دور الولايات المتحـدة الامريكية . ففى عام ١٩١٢ تحدث تيودور روزفلت فى اجتمـاع قال فيه « لقد استوليت على بنما » ، ثم أضاف « كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة التى يستطاع بها انشاء القناة »

كان الجزء الاول من التصريح، على حد قول المؤرخين الامريكيين الان نيفنز وهنرى ستيل كومجر ، صحيحا اذ سبق فى عام ١٩٠٢ ان رخص الكونجرس للرئيس بشراء حقوق شركة فرنسية قديمة كانت تقوم بحفر قنـاة فى بنما ، وان يحصل من كولومبيا على حقـوق السيطرة الدائمة على شريـط من

الارض فى تلك الدولة يمتـــد من المحيط الهادى ، وان يبدأ فى حفر القناة . ودارت مفاوضات بـين الدولتين اسفرت عن معـاهدة ما لبث ان رفضها مجلس شـيوخ كولومبيا ، فثـار روزفلت واتهم ساسة كولومبيا بالفساد والطمع ، ووصف الرفض بانه اعتداء صارخ. وكان هناك عاملان يحتمان الاسراع فى تنفيذ المشروع ، احدهما الشركة الفرنسية التى كانت تطمـــع فى الحصول على تعـويض ضـخم ، والآخر خشية اهل بنما ان تلجأ الولايات المتحدة الى حفر قنــاة اخرى فى بلد آخر من امريـــكا الوسطى وهو نيكاراجوا

وفجاة ظهرت « مجلة المجلات » الامريكية ورئيس تحريرها صديق قديم لروزفلت وبها مقال عجيب، على الاقل من حيث عنوانه وهـو « ماذا لو ثارت بنما ؟ » . اصبح حديث الثورة يتردد فى واشنطون، وراح العملاء الفرنسيـون يعملون بنشاط من وراء الستار فى منطقة برزخ بنما ، وارسلت السفينـــة الحربية ناشفيل الى كولون

وفى ٣ نوفمبـــر بعثت وزارة الخارجية الامريكية الى قناصلها فى المنطقة بالبرقية الاتية : « وصلت الانباء بنشوب ثورة فى البـرزخ . ابلغوا الوزارة فورا بالتفصيـــل بجميع التطورات »

ورد القنصل الامريكى وكان ذكيا نهم ماوراء المعنى الظاهرى ، فقال « لا ثورة بعد . يقال انها ستحدث فى الليل . الموقف خطير » . وبعد ساعة او ساعتين بعث ببرقيـــة جديدة هذا نصها « وقعت الثورة الليلة فى السادسة . لم تسـفك دمـاء . اسر ضبـــاط الجيش والبحرية . يتم تنظيم الحكومـــة الليلة » .

ونزل جنود البحـرية الى البر ومنعوا قوات كولومبيا من العمل ضد الثورة ، واستقبلت واشنطون على الفور وزيرا من بنما . وفى ١٣ نوفمبر ١٩٠٣ اى بعد عشرة ايام من نشوب الثـــورة اعترفت الولايات المتحدة بالحكومة الجديدة ، وتلتها الدول الاخرى ، واضطرت كولومبيا الى ان تفعل الشىء نفسه فى عـام ١٩١٤

وبعد خمسة ايام من الاعتراف الامريكى وقع الطرفان اول معاهدة بشان القناة

وقد اشار روزفلت الى ماحدث فقال فيمـــا بعد « لو اننى اتبعت الطرق التقليدية المحافظة لـكان ينبغى ان ارفع للكونجرس مذكرة رزينة تتالف فى الغـالب من مائتى صفحة ، ولكانت المناقشات مازالت تجرى حتى اليوم . لقد استوليت على منطقة القناة وتركت الكونجرس يناقش ، وبينما تجرى المناقشة بسير العمل فى القناة » . وهـذا صحيح ، فخلال السنوات العشر التالية تم انجاز المشروع وافتتحت القناة للملاحة والتجارة العالميتين فى ١٥ اغسطس ١٩١٤

أهميـة القنـاة

ويبلغ عرض القناة عند السطح العلوى ١٠٠٠ــ٣٠٠٠ قدم ، بينما يتراوح عند القاع بين ٣٠٠ ، ٦٠٠ قدم ، اما العمق فمتوسـطه ٤١ قدما ، كما أنشئت مجموعـة من الاهوسة . وتستغرق الرحـلة عبر القناة ٨ ساعات . اما منطقة القناة ، فى البر والبحر ، فمساحتها ٦٤٨ر١٠ ميلا مربعا ، وعـدد سكانها ٤٢٢ر١٢٢ نسمة طبقـا لاحصاء اجرى فى عام ١٩٦٠ . وفى عام ١٩٦٢ بلغ عدد السفن التى عبرت القناة ١٤٩ر١١ سفينـة حمولتها ٥٥٢ر٢٤٥ر٦٧ طنا ، وكان مجموع الرسوم المدفوعة اكثر من ٥٧ مليون دولار

وللقناة اهمية كبيرة اذ يمكن للسفن المارة بها ان تربط بين موانى الساحل الشرقى للولايات المتحدة وبين موانى الولايات المتحدة وكندا الواقعة على المحيط الهادى وكذلك موانى بيرو واكوادور وكولومبيا فى امريكا الجنوبية ، وهذا معناه وفر يعادل حوالى نصف المسافة فيما لو دارت السفن حـول الطرف الجنوبى من امريكا الجنوبيـة مارة بمضيق ماجلان . وكـذلك امكن تيسير تصدير المواد الاولية التى تنتجها بلاد امريكا الجنوبية المطلة على المحيط الهـادى الى شرق الولايات المتحدة وغـرب اوربا ، واستيراد المنتجات الصناعيـة من الاقليمين الاخيرين . بل ان بعض الشركات البحرية الامريكية تفضل استخدام القنـاة فى الطريق الى



دين راسك .. ارسلوا اليه النبأ بقطع العلاقات .. !

الشرق الاقصى لانه يقلل فى نظرها من تكاليف الرحلة بحوالى النصف .. خاصة وان مرور سفنها فى قناة السويس يجعلها تدفع رسـوم المرور لهيئة ليست امريكيـة . اضف الى هذا ان للقناة اهميـة استراتيجية بالنسبة الى سلامة الولايات المتحدة وامنها

هل تحفر قناة اخرى ؟

ويلاحظ ان حركة النقل البحرى فى قناة بنما تزداد باطراد ، فقد ارتفع عدد السفن التى مرت بها من ٩٧١٨ سفينة فى عام ١٩٥٩ الى ١٤٩ر١١ سـفينة فى عام ١٩٦٢ ، ومن هنا فلابد من العمل على ايجاد طريق بحرى ليواجـه هذه الزيادة المستمرة من جانب الملاحة الامريكية والاوربية . هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى فقد تعرضت العلاقات مع بنما منذ اتمام القناة الى ضروب

متعاقبة من التوتر ، بل ويبدو ان شعورا من القلق يساور الولايات المتحدة من ناحية مركزها فى بنما، وهو شعور لابد انه اشتدالىحدما بعد التطورات الحديثة فى كوبا . والواقع انه اعد بالفعل مشروع قبيل الحرب العالمية الثانية ويقضى من حيث خطوطه العامة بحفر قناة فى نيكاراجوا ، وحصل الامريكيون على امتيازات بهذا الشأن من البلد الاخير . والقناة المرسومة طبقالهذا المشروع سوف تخترق بحيرة نيكاراجوا ونهر سان جوان . وليس ببعيد اذا تطورت الامورعلى نحو ينذر بالخطورة ان تحاول الولايات المتحدة اخراج المشروع الجديد الى حيز التنفيذ .

ومن هذا العرض الذى قدمناه نستطيع ان نفهم بعض السبب فى التوترات التى تكررت بين الولايات المتحدة وبنما والتى آخرها الاضطرابات التىحدثت فى يناير الماضى ، الا وهو شعور اهل بنما انهم أرغموا على الرضوخ لصالح الولايات المتحدة حين وقعوا المعاهدة التى منحت بها الاخيرة حقوقا واسعة تتعلق بالقناة وبالمنطقة التى تمر خلالها

دولة داخل دولة

هذه الحقوق يمكن ان نتبينها من المعاهدات والاتفاقيات التى عقدت بين الطرفين . ففى المعاهدة الموقعة فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٠٣ **حصلت الولايات المتحدة على الحق فى انشاء وتشغيل قناة تصل بين المحيطين الاطلسى والهادى** عبر برزخ بنما. وطبقا لنصوص المعاهدة **حصلت الولايات المتحدة بصفة دائمة على حق استعمال واحتلال والسيطرة على منطقة عرضها عشرة اميال تقريبا ، وتملك فيها حقوق السيادة الكاملة بحيث يستبعد فيهامايكون لجمهورية بنما من حقوق السيادة ومن السلطة والسلطان . ومقابل هذا ضمنت الولايات المتحدة استقلال الجمهورية ووافقت على ان تدفع لها مبلغ ١٠ملايين دولار فضلا عن اتاوة سنوية قدرها ربع مليون دولار** . واشترت الولايات المتحدة حقوق الشركة الفرنسية بمبلغ ٤٠ مليون دولار ، وهى الشركة التى كانت تعمل فيما بين عامى ١٨٨٠و١٨٩٩ من أجل حفر القناة

وبمقتضى المعاهدة المعقودة فىعام ١٩٣٦ سحبت الولايات المتحدة ضمانها باستقلال جمهورية بنما ، كما وافقت على رفع الاتاوة السنوية الى ٤٣٠ر٠٠٠ دولار ، ثم زيدت الاخيرة فى عام ١٩٥٥ الى ١ر٩٣٠ر٠٠٠ دولار كما نقلت شركة قناة بنما الى حكومة الجمهورية احواش السكك الحديدية وغيرذلك من الممتلكات مما قدرت قيمتها بنحو ٢٥ مليون دولار . وفى نهاية عام ١٩٦٢ رفعت اعلام الدولتين بصورة مشتركة فوق الانحاء الخاضعة للسلطات المدنية فىمنطقة القناة

هذه الاتفاقيات التى أوردنا

موجزا لاهم بنودها يمكن ان تفسر بعض اسباب الاستياء الذى يشعر به ابناء بنما :

• اولا — فهم يقولون ان صـفة الدوام التى تلازم الحقوق الممنوحة للولايات المتحدة شيء لا مثيل له فى جميع الامتيازات التى منحت او تمنح فى بلاد اخرى لشركات اجنبية او دول اجنبية . وحتى اذا كانت مدة الامتياز ٩٩ سنة مثلا فانها تعتبر موقوتة ولها اجل تنتهى فيه

ثانيا — ان الحقوق التى حصلت عليها الولايات المتحدة تتعارض مع حقوق الدولة المستقلة ذات السيادة بل انها لا تختلف عن انتزاع جزء او اجزاء من اراضى دولة اخرى دون ان يكون الانتزاع وليد حرب او نتيجة هزيمة . واذن فهذه الحقوق فرضت على بنما فى وقت لم تكد تبدا فيه عهد استقلالها ، وبالتالى لم يكن هناك سلطة شعبية تعرض عليها الاتفاقية لمناقشتها

ثالثـا — بالرغم من الزيادات المتتالية التى طرأت على الاتاوة السنوية فانها تعتبر هزيلة ، ففى الوقت الذى بلغت فيه الرسـوم المدفوعة الى شركة القناة اكثر من ٥٧ مليون دولار فى عام ١٩٦٢ لم تزد الحصة التى حصلت عليها حكومة بنما على ٠٠٠ر١٫٩٣٠ دولار طبقا لاتفاقية عام ١٩٥٥

رابعا — كان عدد العاملين كل الوقت فى خدمة الشركة « ٣٠ يونية ١٩٦٢ » ٣٨٥٤ من الامريكيين ، ٩٦٧٥ اخرين معظمهم من اهل بنما ، ولكن الملاحظ فى الوقت نفسه أن الاولين يحصلون على النسبة الغالبة من المرتبات والاجور بشكل ظاهر

عوامل اخرى فى التوتر

وحين ينظر اهل بنما الى ضخامة الرسوم التى تحصل عليها الشركة ، والى المزايا الاقتصادية والاستراتيجية التى وفرتها القناة للولايات المتحدة ، والى الاحوال السائدة فى بلادهم ، يشعرون أن جارتهم فى القارة والتى بلغت هذا المبلغ الضخم من الثراء والقوة لم تقدم لهم المساعدة الواجبة أو الكافية لترقية احوال بلادهم الاقتصادية والاجتماعية ، وانهم ما يزالون يعيشون فى ظل ظروف من الفاقة . فمن مساحة بلادهم كلها لا يزرع سوى ١ر٣ فى المائة ، ٧ر٣ فى المائة عبارة عن مراع طبيعية أو صناعية ، ٥ فى المائة ارض تترك بورا لموسم معين حتى تستعيد خصوبتها ، ولهذا فان البلاد تستورد حوالى ٦٠ فى المائة من المواد الغذائية اللازمة للشعب ، وهذا كله فى الوقت الذى تضم فيه موارد طيبة يمكن استغلالها والاستفادة منها لو اتيحت لهم الأموال الكافية .. ومن هنا يشعر البنميون انهم لو حصلوا على اتاوة كافية ، أو لو امتلكوا القناة انفسهم ، لدر عليهم ذلك ايرادات تستطيع ان تساعدهم على تنمية بلادهم من الناحية الاقتصادية مما يؤدى الى رفع مستوى المعيشة

ويعتبر الموز أهم المحاصيل النقدية فى البلاد ، ولكن الذى يحتكر انتاجه شركة تابعة لشركة فواكه الولايات المتحدة ، والى البلد الاخير يصدر الانتاج . وفضلا عن هذا يلاحظ أهل بنما انهم دولة تابعة لشقيقتهم الكبرى من ناحية التجارة الخارجية ، ففى عام ١٩٦١ مثلا كانت الولايات المتحدة تزودهم بستين فى المائة من الواردات وتستحوذ على ٩٥ فى المائة من صادرات بلادهم . واكثر من هذا فان العجز الهائل فى ميزان بنما التجارى هو مع الولايات المتحدة ولقد انشئت منطقة تجارة حرة فى كولون لخزن ومعالجة وبيع السلع ، ولكن الذى حدث ان هذه العملية تستأثر بها شركات امريكية وبريطانية

واذا طرحنا جانبا الاعتبارات الاقتصادية الكامنة وراء التوتر المستمر بين البلدين نجد ان ثمة عوامل اخرى لا يمكن التقليل من شأنها فى تفسير الاستياء المنتشر فى صفوف اهل بنما . ولاشك ان فى **مقدمة هذه العوامل نجاح الجمهورية العربية المتحدة فى تاميم قناة السويس وبالتالى فى استرداد سيادتها على ارضها وفى الاستفادة من جميع الايرادات الناتجة عن حركة المرور** . وبالفعل فعلى اثر ذلك الحادث اشتدت الدعوة فى بنما الى اجراء حاسم بلغ اشده فى عام ١٩٥٩ . **اما العامل الثانى فهو الثورة التى قام بها كاسترو فى كوبا وما عمد اليه من تاميم الممتلكات الامريكية** ، ولا يمكن ان ننكر ان هذا الحادث كان له رد فعل فى بنما خاصة ، وفى بعض بلاد العالم الجديد بوجه عام .

امام مجلس الامن

وعلى اثر الاشتباكات التى وقعت بين الطلاب البنميين وقوات الامن الامريكية والتى اشرنا اليها فى صدر هذا المقال ، بادرت بنما بعرض الخلاف على مجلس الامن التابع للامم المتحدة .

واعلن مندوبها امام المجلس ان الجنود والخبراء الامريكيين قتلوا وجرحوا عددا من اهل بلاده ، وان منطقة القناة تعتبر من اراضى بنما ولكن لا تحصل على نصيب عادل من دخل القناة بسبب المعاهدات غير المتكافئة . واضاف ان العدوان الامريكى هذا ليس الاول من نوعه بل سبق له مثيل فى ٣ نوفمبر ١٩٥٩ عندما حدث الاعتداء على احدى المظاهرات السلمية . واكد ايضا ان منطقة القناة تخضع لسيادة بنما ، وقد منحت الدولة الاخيرة الى الولايات المتحدة الحقوق الضرورية لاعمال الصيانة والخدمات الخاصة بالقناة ، ولكن امريكا لم تصغ ابدا لمطالب بنما ، كما انحى باللائمة على الامريكيين المقيمين فى المنطقة واتهمهم بمعاملة اهل البلاد بالاحتقار واخيرا طالب مجلس الامن بالتدخل لحسم الموقف .

وتكلم المندوب الامريكى لدى الامم المتحدة ، المستر ادلاى ستيفنسون ، فنفى اتهام بنما

لامريكا بالعدوان وطلب الى المجلس عدم اتخاذ قرار فى الموضوع وترك امر معالجته لمنظمة الدول الامريكية .. وهنا تقرر تأجيل الاجتماع مع بقاء المسالة مدرجة فى جدول الاعمال كما تقرر ان يوجه رئيس المجلس نداء الى الدولتين يناشدهما فيه العمل على وقف اراقة الدماء . ويلاحظ بهذا الصدد ان الاتحاد السوفييتى لم يحاول ان يستغل هذه الفرصة بالاصرار على اتخاذ قرار ، ولعل هذا من مظاهر التقرب الذى بدا فى العام الماضى بينه وبين الولايات المتحدة الامريكية

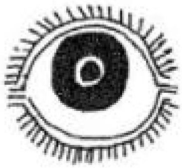
ماذا ينتظر ؟

وبادرت منظمة الدول الامريكية الى التوسط بين الطرفين ، وذكرت المصادر ان رئيس جمهورية بنما ابلغ ممثلى المنظمة ان على الولايات المتحدة أن توافق على شروط معينة قبل البدء فى المفاوضات ، وهى دفع تعويض عن الخسائر المادية التى نتجت عن الاضطرابات الاخيرة ، ورفع علم بنما فى منطقة القناة ، وازالة جميع الحواجز القائمة بين المنطقة ومدينة بنما ، وسحب القوات الامريكية من حدود القناة

ولاشك أن الحكومة الامريكية تقدر خطورة الازمة وتخشى ان تتطور الامور على النحو الذى سارت فيه كوبا ، وما من شك ايضا انها تحرص كل الحرص على وجود حكومة غير معادية لها فى بنما ، اذ لو قامت مثلا حكومة شيوعية لتعرض هذا المرفق الوثيق الصلة بنظام الدفاع الامريكى لاشد الاخطار بل انها لن تتنكص عن أى اجراء للحيلولة دون وقوع هذا الاحتمال وهى لم تنس بعد درس كوبا . ولكنها فى الوقت نفسه لا تريد أن تعالج المسالة باساليب عنيفة خشية اثارة الشعور العام لا فى بنما وحدها ولكن فى جميع بلاد امريكا الوسطى وامريكا اللاتينية ايضا . وكذلك يعنيها بالدرجة الاولى الا تدع ثغرة تنفذ منها العناصر الكاسترويه .

لقد كان قتل حكومة ايزنهاور عاملا له اثره عصف بها وبحكم الجمهوريين ، فهل ينجح لندون جونسون فى تفادى العاصفة التى هبت ؟ وبالفعل لقد اصدر التعليمات للامريكيين فى منطقة القناة بالتزام الحكمة ، وبعث برسول خاص من قبله هو المستر مان ، وابدى استعدادا للفهم والتفاهم ، وكذلك توسطت منظمة الدول الامريكية بين الطرفين . غير أن الوساطة والجهود المبذولة لم تصل الى نتيجة نظرا لاصرار بنما على اعادة النظر فى معاهدة ١٩٠٣ ، وهذا ما لم تقبله الولايات المتحدة حتى الآن . ولاشك أن ماتطالب بنما هو الغاء صفة الدوام فى المعاهدة ، والاعتراف بسيادتها على المنطقة ؛ ورفع الاتاوة رفعا محسوسا ، والاشتراك فى ادارة القناة . كما لاشك ايضا انها تطمع فى الحصول على مساعدات مالية كافية للنهوض بأحوالها الاقتصادية والاجتماعية . ان الازمة قائمة وقد تسفر عن تطورات غير متوقعة الان .

دائرة
معارف
الهلال



الحسد .. بين المزية والبلية

وهل يمكن ان يكون الحسد مزية في أي وقت من الاوقات ؟

والجواب — على خلاف المنتظر — ان الحسد قد يكون مزية في كل وقت من الاوقات تقريبا !

ونعنى بذلك انه مزية للمحسود لا للحاسد . فالمحسود لا يكون هدفا لحسد حاسد الا لتوفر مزية فيه — من وجهة نظر الحاسد على الاقل — بصرف النظر عن وجود هذه المزية حقا أو عدم وجودها

قد يظن بك الحاسد الثراء ، وليس لك من الثراء الا مظهر الاستغناء عما في ايدى عباد الله ، ولهذه المزية فيك يصب عليك حسده ، وكانك عدو له مبين !

وانها لعداوة لتنتهي كل العداوات من دونها ، ولا تؤذن هذه العداوة العوراء بانتهاء

ونحن نسميها عداوة عوراء ، لانها من طرف واحد ، فالحاسد يعادي المحسود ، في حين لا يشعر المحسود نحو الحاسد بعداء ، وهو لم يجن شيئا يستحق به هذه العداوة ، مالم تكن نعمة الله على احد من خلقه جناية نكراء !

ولهذا قال شاعر العربية الحكيم :

كل العدوات قد ترجى ازالتها
الا عداوة من عاداك عن حسد !

فلن يستريح الحاسد ويريحك من عداوته الا بزوال المزية التى يحسدك عليها . وليس من الضرورى ان يكون الحاسد محروما من تلك المزية كي يحسدك . فقد يكون غنيا ويحسد من هم اقل منه غنى ، لانه في نظر نفسه ، الجدير الاوحد بالثراء . وقد تكون الحاسدة حسناء وتحسد غيرها من الحسان ولو كن اقل منها جمالا ، لانها — في نظر نفسها — الجديرة الوحيدة بنظرات الاعجاب والافتتان .. !

ابراهيم المصري :



الزواج
هل هو حب ..
أم حرب ؟!

المراة العاملة كالجندى الصالح .. كلاهما يخوض معركة الحياة فى سبيل هدف سام ومثل عليا رائعة .. ! « سقراط »

لابد لزواج من عاطفة الحب والا ستحال الى شركة مادية وضيعة سرعان ما تهددها الانانية بالتصدع والانهيار . فلكى ينهض الزواج على صرح ثابت يجب ان يسبقه حب لا عشق ، او يجب ان يتطور فيه العشق الى حب . والحب الذى يدعم الزواج ويوطده هو ذلك الحب النابع من استجابة عاطفية وحسية ، تغذيها صداقة العقل ، وترعاها مشاركة الفكر ، ويحرسها تآلف الطبع وحنان القلب . هذا الحب هو الذى يهون بعد الزواج حمل الواجب ، ويدفع الى التجاوز والتسامح ، وينزع الى الثبات فى وجه احداث الزمن ، ويغرى بالبذل والتضحية وانكار الذات

فهل هذا الحب موجود عندنا ؟! وهل نحن نتزوج عن حب ؟!

وهل نحاول ان نبنى الزواج على قاعدة الحب ؟!

الواقع ان الجيل الجديد يصبوالى تحقيق هذه الغاية . بيد ان السواد الاعظم من شبابنا لايزال يتزوج فرارا من العزوبة المحرومة، واشباعا للشهوة المكبوتة ، او مصاهرة لاسرة ذات مكانة ونفوذ ، او تطلعا الى مصلحة مادية مباشرة

فقيام الزواج على الشهوة المجردة من العاطفة والحب او على المصلحة المستهزئة بمشاركةالعقل والفكر ، يلهب الانانية ، ويفصل بين الزوجين بدل ان يجمع ، ويلقى فى روع كل منهما ان شريكه لم يتزوج الا وهو يفكر فى نفسه وملذاته ومصلحته فقط . فينظر اليه نظرته الىخصم له . فيوجس منه ، ويتربص به ، ويستحيل الزواج بينهما الى مقاتلة وحرب

وهذه الحرب التى يثيرهـا فى معظم بيوتنا انعدام النزاهة وانعدام الحب قبل الزواج ، يضاعف نارها بعد الزواج اشتعالا خوف المراة من الرجل . اى خوفها من ان يكون زوجها انسانا فاسد الخلق والضمير بطبعه ، فيستغل محللات الشرع، ويطلق امراته لمجرد نزاع عارض، او يتزوج عليها توكيدا لقوته وانانيته وارواء لملذاته

والحق ان المراة عندنا ما تزال متاع الرجل . فهوان شاء ابقى عليها وقدر جهادها وضمن مستقبلها وحباها بالامن والطمانينة فى ظل الاسرة ، وان شاء اهدر كرامتها وتزوج عليها أو استبدل بها غيرها ، فشردها هى واولادها الابرياء المساكين ..

فالرجل عندنا ــ فى غالبية الاحوال ــ هو الخصم والحكم . هو قوة لاضابط لها . هو وحده الذى يقرر ، وهو وحده الذى يفصل ، وهو وحده الذى يتمتع ويشتار العسل من الزهرة التى تعجبه . فثروته هى المتحكمة فى مصير المراة ومصير الاسرة . وما انحلال بعض الروابط العائلية ، وفساد اخلاق بعض النساء ، وتشرد الاطفال ، وكراهية الاخوة الاشقاء لاخوتهم الدخلاء ، الا النتيجة المحتومة لتلك النزوة المروعة ، تعصف بلب الرجل ، فتضرم فى صدره انانيته الجنائية ، وفى حواسه شهوة الحيوان . فيطلق او يتزوج على امراته . فيتخبط بين عالمين ، ويقوض دعائم اسرتين ، ويهدم بكلتا يديه حياته الزوجية المستقرة الاولىالتى كان قد بناها بلحمه ودمه فى سنين ..

فانعدام الحب والنزاهة ، كما ذكرنا ، يمهد للحرب ويثيرها بعد الزواج ، وخوف المراة من الرجل

يجعل من الزواج حربا مستعرة ودائمة

وقد قالت لى يوما احدى السيدات فى صراحة اذهلتني: مادمت اشعر ان زوجي يستطيع فى اية لحظة ان يطلقني او يتخذ على زوجة ثانية، فانا اعتبره خصمي، واحاربه باسلحة ثلاثة دفاعا عن نفسي:

اولا: اعقب منه اكبر عدد ممكن من الاطفال كي اربطه وارهقه باكبر مسئوليات ممكنة

وثانيا: ابتز ماله وانفقه اولا باول لأحول بينه وبين التفكير فى الزواج من امراة اخرى

وثالثا: اغافله جهدى، وادخر من ماله لنفسي كي اجمع نقودا احمي بها ظهري فى حالة ما اذا انصرف عني يوما وطلقني..!

فانعدام الثقة والطمأنينة فى نفس المراة فوق انعدام الحب ونزاهة القصد قبل الزواج، هو الداء الذى يهدد بيوتنا، ويحيل معظمها الى ميادين قتال

***

وليس شك فى ان الزواج القائم على الشهوة او المصلحة لا بد ان يتصدع، حتى ولو لم يطلق الرجل امراته او يتزوج عليها. لابد ان يتصدع بنيان البيت والاسرة. فينفصل الرجل بالفكر والروح عن زوجته، وقد يتخذ له خليلة، او يرتد الى حياة العزوبة والتشرد فى المقاهى. فتحس زوجته انها وحيدة ومنبوذة. فتتقد الحرب بينهما. فتكره المراة زوجها، وقد تضيق ذرعا به فى النهاية فتغافله هى ايضا وتخدعه

فلكي يعيش الزواج عندنا وينمو ويؤتى ثماره المرجوة لخير الفرد والاسرة والمجموع، اى لكي يصبح الزواج سلما لاحربا، وودا لا عداء، وثقة لا توجسا، وتعاونا لا تسلطا، وحنانا وبذلا لا قسوة وانانية، يجب ان ينهض اولا على الحب ثم على حماية المراة والاسرة من الرجل الذى يمكن ان يكون فاسد القلب والضمير فيحاول استغلال محللات الشرع

فاما الحب الذى يجب ان ينهض عليه الزواج فلا ينبغى ان يكون حبا شهوانيا مجردا، او حبا خياليا طائشا، بل ينبغى ان يكون كما اسلفنا عاطفة متنبهة واعية، يشترك فى تكوينها القلب والجسد والعقل معا. فقلب الشاب او الفتاة يجب ان ينبض للشريك الذى ميزه واختاره. وجسده يجب ان يستجيب اليه استجابة معتدلة لاتذهب الى حد الهوى الجامح الشهوى، وعقله يجب ان يلمس فى عقل الشريك توافقا فى الاخلاق، وتشابها فى الافكار، وتجانسا فى الاهواء والميول. مع علو فى النفس، وعزة فى الطبع، ونزاهة فى القصد، تتمثل فى وضع الحب فوق المادة،

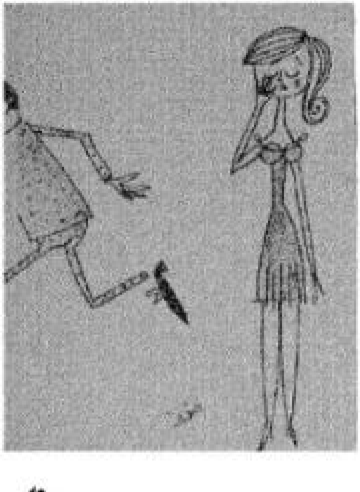
والتفاهم النفسى والمعنوى فوق اغراء المظاهر والمصالح والنفعيات

ذلك هو الحب الذى تبثه الشعوب المتمدينة فى نفوس ابنائها ، كى تمازج بين قلوبهم وعقولهم وطباعهم ، وتجنبهم حرب الزواج ، وتبنى صرح الاسرة ما استطاعت على اسس متينة ثابتة ! ..

***

ومع ذلك وبرغم ما تقدم ، فالحب وحده لا يحقق هذه الغاية وكذلك نزاهة القصد . لا بد من حب ونزاهة ، ولا بد ايضا من تشريع وقانون . ذلك لان الزواج نظام . وكل نظام يتطلب موانع وضوابط تحسب حساب ضعف الطبيعة البشرية برغم وجود الحب ، وتحاول ان تدرأ المخاطر التى قد تنجم عن انانيتها وشهواتها وانحرافاتها ، خشية ان تستفحل هذه المخاطر فلا تصيب الازواج فقط بل تمتد منهم الى المجموع. وهذا هو الواقع عند الشعوب المتمدينة . فالاسرة فى تلك الشعوب محكومة بقانون لا يميز الرجل على المراة ، ولا يمنح الرجل حقوقا تمكنه من البطش بالمراة . اذ الاسرة فى عرفهم ليست قبيلة يتحكم فيها رجل ، والبيت ليس خيمة مرهونة المصير بنزوة رجل ، والمراة ليست متاعا او سلعة يتصرف فيها ويعبث بها رجل . فالرجل هناك لا يملك حق هدم اسرته بكلمة ، ولا يمكنه ان يطلق امراته الا طلاقا مسببا وبحكم محكمة ، ولا يستطيع ان يتخذ عليها زوجة او زوجات

وصحيح ان بعض شعوب الغرب التى زعزعتها الحروب قد خرجت منها شبه متحللة . فكثرت فيها حوادث الطلاق مما اكره السلطات على تيسيره . ولكن الطلاق مع ذلك لا يقع الا امام المحكمة ، ولا يقع فى الغالب الا فى المدن الكبرى وفى الاوساط التى تزخر بافانين الحضارة ومغرياتها . اما الطبقات المتوسطة واهل الريف ، فالسواد الاعظم منهم يحرص على الاسرة كل الحرص ، ويلتزم بالقوانين التى تصونها ، ويذود عن هذه القوانين بما تخلف فيه من مؤثرات دينية كاثوليكية كانت ام بروتستانتية . وحتى روسيا نفسها التى حاولت





فى مبدأ الثورة ان تفكك روابط العائلة بحجة الذود عن حرية الفرد ، عادت فوثقتها ، وتشددت فى احكام الطلاق وفى ضرورة الابقاء على نظام الاسرة

* * *

فالاسرة فى نظر المتحضرين هى الصورة المصغرة للوطن ، وهى الخلية الاجتماعية الاولى ، والرجل والمراة كلاهما رب هذه الخلية وحارسها المسئول عنها فى ظل قانون ينزع الى تثبيتها ، ويساوى بين الرجل والمراة فى الحقوق والواجبات ، كى يحفظ للمراة كرامتها ، ويحميها من بطش الرجل القوى ، ولا يجعل منها مجرد وسيلة للمتعة واداة للاخصاب

واذن فالزواج القائم على حب تقترن فيه العاطفة بمشاركة الفكر ، والمنزه عن السعى وراء المصلحة المادية الوضيعة التى تخنق العاطفة وتهزأ بالفكر ، هو الزواج الذى تحث عليه الشعوب المتحضرة ابناءها ، ثم تدفعهم الى توطيده بموانع وضوابط من القانون . فيتحالف الحب الفردى والقانون الجماعى على صون مستقبل الاسرة وحماية المراة والابناء

وتلك هى الغاية التى ننشدها نحن لبلادنا . ولكنها غاية لن تتحقق الا اذا اعترفنا للمراة بحقوقها تجاه الرجل . اذ الرجل عندنا حتى ولو كان محبا لامرأته ومتآلفا بالعاطفة والفكر معها ، فشعوره بحقه المطلق عليها ، وبما يمتلك من اسلحة يمكنه ان يسددها فى اية لحظة الى صدرها ، هذا الشعور قد يفسد حبه ، ويفسد خلقه ، ويغريه بهدم بيته ، والاقدام على طلاق ظالم او زواج ثان ، اذا استبد به الغضب فى نزاع عارض مع امرأته ، او زهد على مر الزمن فيها ، او ملكته شهوة جارفة نحو اخرى

* * *

فاعترافنا بحقوق المراة حيال الرجل هو حماية للاسرة وارتفاع بشخصية المراة التى ما تزال مكانتها اقل درجة فى عين الرجل . والعجيب اننا ونحن نعلم المراة ، ونحاول ان نخلق لها شخصية حرة وكرامة انسانية ، نلقى بها فى محيط الزواج جاعلين منها هدفا لبطش الرجل ، دون ان نقيم وزنا الى ان المراة لا بد ان تفقد احساسها بكرامتها ، وتشعر ان علمها لا يحميها ،

وان زوجها قد ينقلب الى عدو لها . فتندفع بالرغم منها الى استخدام علمها وذكائها لا لتوطيد بنيان بيتها ، ولا للسهر على مصلحة قرينها ، ولا للعناية بتربية أولادها ، بل لتجويد اسلحتها الثلاثة التي اشرنا اليها دفاعا عن نفسها في الحرب الزوجية التي لايكاد يهدأ في البيت نزاع حتى تدور رحاها بين امراة ضعيفة ترتعد فرقا من سلطان زوجها ، وبين رجل قوى قديذهب بلبه سلطانه فيهلك امراته ويهلك ابناءها

* * *

فالمراة يجب ان تنقذ وتحترم وتصان . ونحن في جمهوريتنا اليوم يجب ان نقوم بجهد حاسم في سبيل حماية مستقبل المراة

ولن تثمر حماية المراة والاسرة الا بالقانون . اى بتشريع واضح وصريح ، يجرد الرجل من حقه المطلق في الطلاق ، ويقيد الطلاق نفسه وتعدد الزوجات، ويكون ايضا مقدمة لالغاء التعدد اطلاقا . ان الله في كتابه العزيز يقدر ان الرجل قد يخاف من عجزه عن اقرار العدل بين النساء ،فينصحه باتخاذ امراة واحدة ، بل ويبصره بانه لن يعدل بين النساء ولو حرص، وكذلك نبى الله يقول : « ابغض الحلال الى الله الطلاق »

واذن فالاسلام هو دين الوحدانية في الله وفي نظام الزواج، وهو دين العدل . وما التشريع الذي ننشده الا الاستجابة والتوكيد لروح العدل التي هي جوهر الاسلام ولبابه

* * *

والى ان يصدر هذا التشريع يجب أن ندعو الى الحب ، والى الزواج القائم على الحب ، الحب المتحضر البصير لا الحب البدائى الشهوانى الاعمى ، الحب الذى ينبع من مشاركة العاطفة والعقل، وزمالة الخلق والفكر ، وتوافق المزاج والطبع ، والتجرد من كل نزعة نفعية خسيسة تجعل من الزواج رابطة مظهرية سرعان ما تتفكك بعد الظفر بالمغنم والمصلحة

هذا هو الحب الذى يمكن على الاقل ان يطمئن المراة على مصيرها، ويهذب غرائزها بالتخفيف من وطأة خوفها . كما انه هو الذى يمكن على الاقل ايضا ان يلطف من انانية الرجل، ويحرك فيه عوامل الشهامة والنبل ويحنن قلبه على امراته وابنائه ، ويجنب البيت شر الحرب والهدم ويحل الضمير محل القانون

* * *

ومع ذلك فلابد من ضابط ولابد من قانون . لان الرجل مستكبر ومزهو وغليظ . وهو قد يكون بالحب « ملاكا » ثم تعصف به الانانية والشهوة فينقلب فجأة الى شيطان رجيم

طاهر الطناحى :



حياة طبيب

الطبيب الذى أعطى نفسه للناس !

ظهر فى الآونة الاخيرة كتاب نفيس، بعنوان : «حياة طبيب» لنابغة الطب الدكتور نجيب محفوظ . يتضمن ترجمة حياته ، وماشهده من احداث بين المرض والمرضى ، وبين الداء والشفاء ، وماقام به من كفاح طبى بمهارته العلمية ، وسلاحه الفنى ، ضد الموت والآلام ، وفى سبيل الحياة والصحة ، ورعاية الامهات والاطفال فى مدى نيف وستين عاما منذ كان طالبا فى مدرسة الطب لم يبلغ العشرين

فقد ولد هذا الطبيب النابغ فى مدينة المنصورة فى دار مشرفة على النيل فى اليوم الخامس من شهر يناير سنة ١٨٨٢ فانم الآن الثانية والثمانين من عمره المبارك

وهذا الكتاب هو لوحات فنية ، وصور تاريخية ، وذكريات مركزة باسلوب وجدانى جميل ، ينم عن انسانيته الرحيمة ، وروحه الادبية السامية ، وميله الفطرى الى الادب ، حتى استطيع ان أزعم انه لو كان قد وجد من وقته فراغا للادب لاصبح اديبا بليغا الى جانب نبوغه فى الطب

***

وقد اهدى الدكتور نجيب ترجمته وذكريات حياته الى اسرته التى الحت عليه فى تدوينها فى هذا الكتاب وحسنا فعلت . وكنا نود .

ان يهديها الى تاريخ الطب الحديث الذى أهدى اليه ثروة من جلائل أعماله استحق عليها تقدير الدولة وتقدير الهيئات العلمية فى الخارج. والا يثنيه التواضع الكبير عن أن يهديها الى أمة النيل التى ولدته وأنجبته ، ومن حقها أن تفخر به ، وتعتز بتاريخه

وقد قدم حياته بهذه الحكمة المأثورة : « اذا لم تكن قد أعطيت الناس نفسك ، فأنت لم تعطهم شيئا » !

وحقا لقد أعطى طبيبنا النطاسى النابغ نفسه وحياته للناس ؛ وحياة الناس ، منذ كان طالبا فى السنة النهائية بكلية الطب . فقد ظهر وباء الكوليرا فى مكة سنة ١٩٠٢ م وقضى على آلاف الحجاج ، وبينهم من المصريين كثير . فلما عاد الحجاج الى مصر حجزوا فى معازل الحجر الصحى فى « سيناء » . واتخذت احتياطات دقيقة ، لكنها لم تمنع تسرب الداء الى داخل البلاد ، فظهر فى قرية من قرى الصعيد تدعى « موشا » وكان عمدة هذه البلدة بين الحجاج الذين عادوا من الطور بعد الحجر ، وقد جلب معه عشر صفائح مملوءة بماء بئر زمزم . وكانت هذه البئر فى تلك السنة قد لحقها مكروب الكوليرا . ولم يفطن الى ذلك أطباء الحجر ، فأذنوا له فى نقل صفائح الماء معه . ولما وصل العمدة الى بلدته ؛ وزع هذا الماء بما فيه من كوليرا على أهله وأصدقائه ، فصبوه فى آبارهم للتبرك . وماهى الا آن ظهر بينهم الوباء يحصدهم حصدا . . فأقامت الحكومة حول القرية نطاقا عسكريا يمنع الدخول اليها ، والخروج منها ، وحشدت لمكافحة الوباء خيرة الاطباء ، وجندت طلبة السنة النهائية فى مدرسة الطب .

وكان نجيب محفوظ من المجندين ، وقد عين فى محطة القاهرة للسكة الحديدية يفحص المشتبه فيهم من القادمين فى قطارات الصعيد . وبعد خمسة عشر يوما توفى طبيب مصرى فى « موشا » بالكوليرا ، فرغب نجيب محفوظ ان يحل محله فى مكافحة الداء ، فثناه رؤساؤه عن السفر ، فلم يقبل ، فقيل له : « أواقع انت فى غرام يائس تتعجل بسببه الموت ؟ » . فتبسم قائلا :

« غرامى الاول والاخير هو القيام بالواجب ، وانى أتطوع لمكافحة الوباء ، كما يتطوع الجندى للذود عن وطنه » !

وقد قام هذا الطالب النجيب فى « موشا » ثم فى « ديروط » بمجهودات استحق عليها تقدير رؤسائه ، واختير للعمل فى حلوان ثم نقل الى الاسكندرية لمكافحة الوباء

كيف تخصص فى التوليد ؟

وفى الاسكندرية حدث له حادثان : أحدهما كان سبب تخصصه فى التوليد وأمراض النساء . وهو حادث غريب شهده بالمصادفة . وانى انقله من كتابه مع شىء من الايجاز :

قال : « انفق لى بالاسكندرية ان تعرفت بالدكتور شكرى بك وكيل المستشفى الحكومى . وهو رجل تركى الاصل ، على جانب كبير من الظرف . وكنت اتناول معه وجباتى فى مطعم « المسيو نيكيتا » وحدث ذات يوم ان تخلف شكرى بك عن حضور وجبة الغداء ، ولكنه عاد فى المساء وهو مشغول البال . ثم سألنى : « هل تساعدنى يامحفوظ فى عملية ولادة ؟ » . فقلت له : « ان ذلك يطيب لى ، فانى لم اشاهد حالة ولادة طبيعية أو عسرة حتى اليوم »

فقال : « انت تعطى البنج ؛ وسأقوم انا بالتوليد » . قلت « ارجو ان اوفق » .. !

ومضيت معه الى عيادته ، فوجدت على منضدة العمليات سيدة ، سبق لهم ان حاولوا توليدها بالجفت دون مخدر ، فلم يوفقوا ، فشرعت فى تخديرها ، وطمأنتها ، فقالت: «انى بين يديك لا اخشى شيئا ، فان وجهك يبشر بالخير » !

وبدأت عملية التوليد ، واستمرت محاولة جذب الراس ساعتين بلا جدوى ، فطلب منى شكرى بك المساعدة ؛ فاعتذرت لجهلى بالتوليد .. فبحث هو واعوانه عن قدم الجنين فجذبوها ، فخرج جسم الجنين دون الراس ، فلبثوا ساعة يجذبون الجسم حتى انفصل عند العنق . وبقى الراس فى الرحم ، فنقلوا السيدة الى المستشفى الحكومى . فسألتهم : « لماذا لا يدعون طبيبا مختصا بالتوليد للمساعدة ؟ » فاجابوا : « بأن ليس بين اطباء الاسكندرية الوطنيين او الاجانب من هو اختصاصى فى التوليد » .. وفى اليوم التالى سألت الدكتور شكرى عن السيدة ، فاجابنى انها ماتت وفى بطنها راس الجنين !!

« كان لهذا الحادث فى نفسى اسوأ الوقع ، فلم اتناول فى يومى طعاما ، ولم اذق فى ليلى نوما . ووصفوا لى منوما فتعاطيته : ولكنى لم أنم . وكانت صورة الجنين المقطوع الراس تتراءى امامى . وامضيت يومين لا يقر لى قرار . وفى اليوم الثالث ركعت على ركبتى وضرعت الى الله بحرارة وايمان ان يذهب عنى الكرب ، وأن يوفقنى الى ان اخصص حياتى لانقاذ المتعسرات فى الولادة

ولما فرغت من صلاتى احسست بأن حالتى العصبية عاودها الهدوء ونمت ليلى نوما عميقا ؛ واصبحت فقطعت على نفسى عهدا منذ ذلك اليوم الا ادخر جهدا فى دراسة طب التوليد وان اتفرغ لها ما حييت!

ذلك هو الحادث المؤثر الذى غير مجرى حياة الدكتور نجيب محفوظ من طبيب يمارس الطب الباطنى الى طبيب نابغ يؤدى للانسانية اشرف الخدمات فى طب التوليد وامراض النساء

بعض جوائزه التقديرية

وقد تخرج الدكتور نجيب

محفوظ فى مدرسة الطب فى أواخر سنة ١٩٠٢م وكان اول الناجحين ، وقام فى طبه وعلمه وما وهبه الله من هبات فى فنه بالكثير من الاعمال الجليلة التى شهدها له كبار الاطباء العالميين واستحق عليها تقدير الهيئات الطبية العالمية ، وتلك الجوائز الكبرى التى حصل عليها من هذه الهيئات قبل جائزة الدولة التقديرية التى تسلمها من يد السيد الرئيس جمال عبدالناصر سنة ١٩٦٠ . ومن هذه الجوائز :

١ - نيشان المعارف من الطبقة الاولى سنة ١٩٣٨ م

٢ - جائزة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم سنة ١٩٤٠ م

٣ - جائزة الدولة سنة ١٩٥١ م

ولعل الدكتور نجيب محفوظ هو الوحيد فى الوقت الحاضر بين اطباء الشرق الادنى الذين اختارتهم جامعة لندن ، وخصصت لاعمالهم سلسلة اذاعات باللغة الانجليزية عنوانها : «قادة العلم فى التاريخ» . ومن هذه السلسلة المحاضرة التى اذاعها الدكتور «نيكسون» الاستاذ الاول للولادة بجامعة لندن فى دار الاذاعة البريطانية فى ٢٦ مايو سنة ١٩٥٠ م

وفى هذه المحاضرة يقول الدكتور نيكسون عن الفاب الشرف التى حصل عليها الدكتور محفوظ من الهيئات العلمية فى الخارج :

« .. وقد منحته عدة كليات وجمعيات طبية زمالتها الفخرية ، منها الكلية الملكية البريطانية لاطباء التوليد وامراض النساء ،



الكتاب الذى اهداه الطبيب النابغة الى اسرته .. والى تاريخ الطب العربى .. !

والاكاديمية الطبية فى نيويورك ، والكلية الملكية فى ادنبره للتوليد وامراض النساء ، وقد نال الدكتور محفوظ الزمالة الفخرية لكلية الجراحين الملكية فى انجلترا عام ١٩٤٢ م فى نفس الاجتماع الذى نال فيه « المستر تشرشل » نفس الدرجة . وفى عام ١٩٤٧ نال الدكتور محفوظ درجة الزمالة الفخرية لكلية الطب الملكية فى نفس الوقت الذى منح فيه هذا اللقب الكسندر فلمنج مكتشف البنسلين .. ! »

ثم يقول : « واننى اعتقد أن اعظم خدمة اسداها الدكتور محفوظ هى انه كان فى طليعة

المشتغلين بالتوليد وامراض النساء فى مصر . واليه يعود الفضل الاكبر فى تنبيه الراى العام الى اهمية العناية بالام قبل الوضع وقد عالج حالات مرضية خاصة باجراء عمليات كان يعتقد فى الماضى أنه لايمكن اجراؤها .. »

اعماله الانشائية

وقد انفرد الدكتور محفوظ فى طب التوليد فى مصر بالقيام بأعمال انشائية لم يكن لها وجود من قبل من ذلك :

١ ـ تاسيس قسم للتوليد وامراض النساء لاول مرة فى قصر العينى

٢ ـ انشاء اول عيادة للحوامل ، واول مركز لرعاية الاطفال ، وانشاء مدرسة الممرضات والمولدات على اسس جديدة ، وتاليف الكتب اللازمة لها

٣ ـ انشاء متحف للتوليد وامراض النساء على نفقته الخاصة واهداؤه الى متحف كلية الطب

٤ ـ تاسيسه لجمعية للتوليد وامراض النساء المصرية التى تقوم بدورهام فى البحث العلمى والثقافى وقد انتخب لها رئيسا مدى الحياة

٥ ـ نجاحه فى تحضير افلام سينمائية ملونة ناطقة للجراحات التى ابتكرها للامراض التى كانت تعتبر من قبل غير قابلة للشفاء . وقد طلبت جامعة لندن والمؤتمر الطبى العام شراء نسخ منها ، ولكنه قدمها هدية باسم جمعية التوليد وامراض النساء

وقد شهد الدكتور نجيب محفوظ فى دراسة الطب ، وعلاج المرضى كثيرا مما يعد من خوارق الاحداث سواء فى حياته الحكومية او حياته الحرة مما برزت فيها مهارته ودلت على نبوغه فى علمه وفنه . ولسنا نستطيع أن نذكر هنا كل ماحواه كتابه من احداث واحوال . ولكننا نذكر حادثا عجيبا فذا مر به بين مامر به من حوادث غريبة . وهو حادث جعله بعنوان :

الحياة بعد الموت

قال :

« كان اليوم « يوم الجمعة » ، والعمل فى « قصر العينى » متعطل فيما عدا استقبال الحوادث . وفى ذلك اليوم دخلت قسم التوليد سيدة مضى عليها ثلاثة أيام تعانى فيها المخاض . فاتصل بى نائب القسم ، قائلا : « ان الحالة تستوجب اجراء جراحة قيصرية» فاسرعت الى المستشفى . ونقلنا المريضة الى قاعة الجراحة وبدىء فى تخديرها «بالستوفايين » كما كان متبعا فى ذلك الحين . وبينما انا ارتدى الثوب المعقم تاهبا للجراحة ، جاءنى طبيب التخدير مذعورا ينبئنى بأن السيدة فارقت الحياة . فعجلت اليها ، وتبينت لى عليها سمات الموت واضحة . فبادرت بشق البطن لاخراج الجنين ، على حين تولى طبيب

التخدير اجراء الاسعافات اللازمة. ولما اخرجت الجنين اخذت في علاجه اذ كان في حالة اختناق ، ثم رجعت الى المريضة ادلك القلب من البطن . دون جدوى . ولم اجد بدا من أن اخيط البطن ، وقد مضى على الوفاة نحو اربعين دقيقة . لم يخطر لي ان احقن القلب بالكحول ، ولم تكن يومئذ قد ادركنا قيمة « الادرينالين » في مثل هذه الحال . فلما دخلت الابرة القلب ، وقبل الحقن بالكحول اخذ القلب في الانقباض ، فاسرعت باجراء التنفس الصناعي ساعتين . وتوليت ذلك بنفسي ، فعاد الى المريضة تنفسها الطبيعي. ولما افاقت سألتها : هل تذكر شيئا مما حدث لها ؟ فاجابت بأنها لم تع شيئا منذ ابتداء التخدير . وظلت حالتها لاباس بها ، خلال يومين ، لايلاحظ عليها الا نوبات من التشنجات ، جعلت تتقارب شيئا فشيئا

وفي اليوم السابع اثناء مروري مع الطلبة في قسم الولادة ، توفيت المريضة ، فاسرعت بنقلها الى قاعة التشريح ، واستدعيت استاذ « الباثولوجيا » واجرينا معا الصفة التشريحية للجثة . فوجدنا الطبقة السطحية للمادة السنجابية في المخ في حالة تنكرز (موات) . ففصل استاذ « الباثولوجيا » المخ ، ووضعه في الفورمالين الا قطعة صغيرة منه اجرى تجميدها بالكحول. ولما فحصها ميكروسكوبيا وجد أن الجزء السطحي للمادة السنجابية في حالة تنكرز (موات)

ولما انقضت الايام الكافية لتثبيت المخ أجرى عمل قطاعات منه للفحص الميكروسكوبي وبعد بحثها دقيقا وجد انها تتفق مع القطاع الذي ثبته بالكحول ، مما يحقق ان المادة السنجابية حدثت فيها تكرزة على اثر وفاة المريضة في المرة الاولى بعد أن حقنت بالستوفايين ، وأن « تكرزة » المادة السنجابية كانت هي السبب في حدوث التشنجات

وكان من رأي استاذ الباثولوجيا ان المريضة ماتت فعلا على أثر تخديرها . وقال لي ان هذه اول مشاهدة عملية دقيقة ، تفيد امكان عودة الحياة الى الجسد بعد الوفاة الفعلية . وان التنفس الصناعي مدة ساعتين اتاح للقلب بعد ان بدا في الانقباض ، ان يبقى حيا حتى استطاعت مراكز التنفس الطبيعي أن تعمل عملها ، وقد تم تنبيهها »

وقد مضت ثلاثون سنة على هذا الحادث . ومازلت اذكره كانه جرى امس . وهو الحادث الأول والاخير فيما شهدت من امكان عودة الحياة الى الجسد بعد الوفاة . وكان ذلك في حينه فذا . ولكن مختلف الصحف السيارة اخذت تنشر فيما بعد حوادث من هذا القبيل ، ولست استيقن مبلغها من الصحة

ولا انسى انني عندما غادرت قاعة التشريح في ذلك اليوم الذي بعد عهدي به ، بارحت القاعة ،

وقد اخذت افكار محيرة تستبد بي . لقد رحت اسأل نفسي : ماتلك الروح التي فارقت الجسد ، فوقف القلب عن العمل ، وانقطعت عن جزئياته مقومات الحياة . فاخذ الاضمحلال يدب الى خلاياه ، وكان اسبقها الى الانحلال الطبقات السطحية للمادة السنجابية للمخ ؟ وكيف انه عندما بدأ القلب عمله مرة اخرى ، ونالت اعضاء الجسم مقوماتها ، راجعتها الحياة ، الا تلك الطبقات التي اضمحلت ؟ واين كانت هذه الحياة التي عادت ؟ أكانت كامنة للجسد تتحين فرصة العودة ؟ ان في ذلك لغزا مازال حله مستورا عن العقول والافهام »

وقد ختم الدكتور نجيب محفوظ كتاب « حياة طبيب » بثلاثة فصول ادبية فلسفية هي :

١ — سر الخليقة
٢ — يد القدر
٣ — الحياة . وهل هي جديرة بان نحياها ؟

حفظ النوع

وقد قال في فصل « سر الخليقة » عند حديثه عن « حفظ النوع » :

« وان ماذكرته امثلة قليلة من كثير مثلها تبذلها المخلوقات لحفظ نوعها

« وهناك امر آخر تلجأ اليه الطبيعة لحفظ النوع . وهو مراعاة حفظ النسبة بين الذكور والاناث سواء في ذلك الحيوان والانسان . ففيما يتعلق بالانسان اذا نظرنا الى الاسر من حولنا ، وجدنا ان بعضها يرزق بمولود ذكر ؛ ومولودين انثيين . وبعضها باربعة من البنين وواحدة من البنات . ومن الاسر من لم يرزق بذكور البتة . ومن الرجال والنساء عاقر وعقيم . وعلى الرغم من هذا التباين والاختلاف . فان النسبة واحدة ، او تكاد بين الذكور والاناث في كل بلد ؛ بل في كل امة . بل في كل قارة . ويدلنا الاحصاء العالمي على ان النسبة العامة هي « ١.٥ من الذكور » يقابلون « ١.٠ » من الاناث

« وفي غضون بحثي العلمي لاحظت مايثير الدهشة . ذلك ان هناك اجراء مدبرا للتخلص مما يعوق حفظ تلك النسبة

« ففي اوائل الحمل تبلغ الذكور في بطون امهاتهم اكثر بكثير من الاناث ؛ ولكن حالات الاجهاض تقضي على تلك الزيادة . فالذكور الذين تجهضهم امهاتهم اكثر من الاناث . ولولا ذلك لكان عدد البنين الذين يولدون عند تمام المدة يربو بكثير على عدد الاناث

« ومن الامور المدهشة مالوحظ في الحربين العالميتين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣٩ من ان حالات الحمل بالذكور كانت تزيد على حالات الحمل بالاناث في الدول التي صليت بنار الحرب دون الدول التي لم يصبها شواظها . ولولا ذلك لاختلت نسبة الذكور الى الاناث بين الدول المتحاربة لفقدها الملايين

من الجنود الذكور خلال الحرب .. فأى قوة مدبرة تعمل بحكمتها السامية على بقاء هذه النسبة »

الحياة جديرة بالحياة !.

ويقول فى الفصل الثالث «الحياة وهى جديرة بأن نحياها » بعد أن يروى رأى سليمان الحكيم بأنها ليست جديرة بأن نحياها وذلك حين يقول : « .. ثم رجعت ورأيت كل المظالم التى تجرى تحت الشمس .. فغبطت الاموات اكثر مما غبطت الاحياء ، وخير من كليهما من لم يولد »

ثم يقول :

« .. وأنا لا ارى رأى فيلسوف المعرة حين يقول :

تعب كلها الحياة فما اعـ
جب الا من راغب فى ازدياد

« والذى اشعر به من صميم قلبى هو ان الحياة جديرة بأن نحياها ، لما توافينا من لذة الكفاح ، ومانمدنا به من كنوز المعرفة ، وماتوقظ به عقولنا ، وترهف عزائمنا فى كفاح المجهول . ولاسيما حين نستعلى بأنفسنا على الدنى من الغرائز ، وننتصر على قوى الشر ، ونؤمن باننا يجب ان نكون عاملين فى مجتمع انسانى يدين بالمحبة والخير والسلام

ثم يقول فى نهاية هذا الفصل عن تجاربه فى صروف الايام :

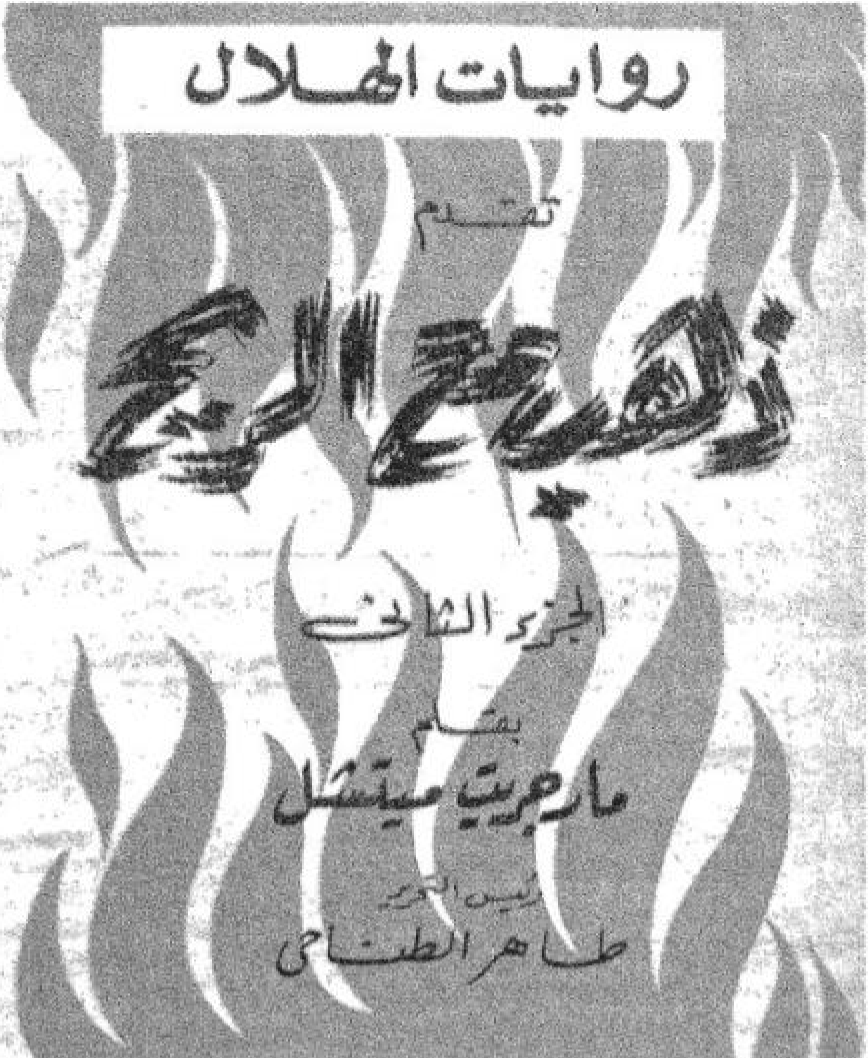
« وقد علمتنى صروف الدهر ان الدنيا ارحب من ان نضيق بمتاعبها وان اليأس عجز ، والصبر سلاح نصرع به كل شدة ، ونبلغ به أعز ماتتمنى ، فخليق بنا الا نشكو ، والا نضجر اذا اعترضتنا المضايقات

« وعلينا ان ننظر الى العالم الوسيع نظرة مستنيرة لكى نراه فى جماله وبهائه . وهنالك وراء ذلك كله ما أعده الله فى الدار الآخرة لمن يحبونه من نعيم مقيم ، فيه مالاعين رأت ، ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

« ولو كان لى ان اوجز خلاصة ماقرات وماسمعت ومارأيت من طبيعة الخير والشر فيمن صادفتهم من الناس فى حياتى ، لقلت انى عرفت عمق الهوة التى قد ينحدر اليها من يبتعدون عن الله ولا يفكرون الا فى انفسهم ، كما عرفت سمو الاوج الذى يبلغه من يتجهون الى الله ويفكرون فى الآخرين » !

***

ذلك بعض ماجاء فى هذه الفصول الفلسفية الادبية من أفكار انضجتها الايام وآراء سددتها التجارب التى مرت بهذا الطبيب العالمى المؤمن الذى عرف من اسرار الطبيعة وعبر الدنيا ، وعظات التجارب مالم يعرفه الا امثاله من الاطباء الحكماء


روايات الهلال
تقدم
ذهب مع الريح
الجزء الثاني
بقلم
مارجريت ميتشل
رئيس التحرير
طاهر الطناحي
تصدر ١٥ فبراير
٨ قروش



● **يقول د. عز الدين اسماعيل** في « الثقافة » أن كثيرا من رواد نهضتنا الادبية في القرن العشرين كانوا قد وصلوا منذ زمن بعيد الى نظرة نهائية — من وجهة نظرهم — في الشعر فرفضوا منذ البداية ان يفتحوا صدورهم لمرحلة التطور الجديد وأن يدرسوها دراسة محايدة

● **كتب احمد حسن الزيات** في «فاقلة الزيت » : أن التجديد في اللغة يكون بقبول ما وضع المولدون والمحدثون من الالفاظ والتراكيب والمصطلحات ، واما التجديد في قواعد اللغة فيكون بحذف الغث من التقديرات والتعليلات التى تلبف بها النحاة النحو

● **كتب د. محمد احمد خلف الله** في « الرسالة » : أن التعاون بين الفلسفة والعمل اليومي امر ضروري والتمييز بينهما ضروري كذلك .. اذ بدونه لا يؤثر الفكر في العمل وقد يتطاول العمل على الفكر

● في مقال بمجلة « **نهضة افريقية** » أن العقم والاخصاب السبب الاول في تحطيم او تدعيم كثير من الاسر في غانا ، وان الزوج يفضل الموت على ان تكتشف زوجته أنه عقيم ، وكذلك تفعل الزوجة

● في كلمة للدكتور **عبدالرحمن بدوى** في « الاهرام » عن الفيلسوف الفرنسي لالاند انه كان يرى ان الارادة الخيرة والعقل والشجاعة والعدالة والتضامن والدقة ليست ميزات تفردت بها أية نظرية بعينها ولا جماعة بعينها دينية

● **كتب د. محمد فتحى الشنيطى** في « الاهرام » : افلاطون كان يرى المذاهب الفلسفية حقائق جزئية برغم تناقضها ، ولهذا اقام منهجه على أن التناقض سبيل الصواب لا الخطأ ومن هنا كان اختيار الحوار كأداة للتعبير الفلسفى .

● **يقول صبرى حافظ** في « الرائد العربى » : ان روايات فرانز كافكا اذا كانت تعكس ازمته الخاصة ، أزمة المضطهد والطفل المسحوق امام ابيه ، والعاشق الفاشل ، والمريض الذى طحنه السل ، والانسان الذى تهشته الحضارة ، فانه في الواقع يرصد مظاهر تفسخ الحضارة البرجوازية واستحالة الحياة في ظل قيمها

● من اقوال **سان بيف** في « الثقافة » : ان الناقد ما هو الا سكرتير الجمهور ، ولكنه سكرتير لا ينتظر أن يملى عليه مايجب أن يكتب ، وانما يستنبط راى الجمهور بالحدس والتخمين كل صباح

● في تعليق **لاحمد بهاء الدين** في « الاخبار » عن عدم الاقبال على فيلم « الفهد » : ان الذوق الذى انشأته الاعمال الفنية القاصرة عودت الجمهور على الكسل العقلى

● **كتب عبد الحميد ابراهيم** في « الرسالة » : ان العرب عرفوا القصة

بمعناها الواسع ، فهناك الاساطير في العصر الجاهلي ، وظهر نوع من القصة في العصر الاموي يعبر عن الظروف السياسية والاجتماعية ، كما شهد العصر العباسي النوع المعروف باسم الادب المكشوف

● عرف الدكتور البادك ابراهيم في « قافلة الزيت » الفلسفة بقوله : ان الفلسفة هي الحكمة القائمة على مبادئه مكتسبة من البحث الحر !.

● طالب فؤاد نور في « الثقافة » بأن تخصص مؤسسات النشر جزءا من مطبوعاتها لانتاج ادباء الاقاليم الممتازين وان يطلق عليه « من أدب الاقاليم » !

● يقول الدكتور حسين فوزي في مجلة الكاتب : اننا في حاجة الى تطعيم التعليم بالفن . فكما ان العقل السليم في الجسم السليم ، فانه من الواجب ان نضع نصب اعيننا أيضا ان العقل السليم في الروح السليم ! .

● في راى الدكتور زكي نجيب محمود: ان الشعر قبل كل شيء فن لفظي يستخدم الالفاظ لذواتها قبل أن يستخدمها لما تعنيه . فان فات الشاعر أن يصوغ وعاء اللفظ فلن يبقى له الكثير من فنه حتى اذا بقى له المزد مضمون واخصبه ! ..

● كتب الدكتور فاخر عقل في مجلة العربي : ان اى نظام تربوى لاية امة لايمكن ان يكون اصيلا صحيحا هادفا الا اذا قام على اساس من تراثها . ولهذا فان التراث العربي هو اول قاعدة يقوم عليها النظام التربوى العربي من اجل بناء ذات الامة العربية واعدادها لغد مشرق !

● طالب الدكتور محمد النويهى في مجلة الثقافة بدراسة تراثنا العربي الادبي قال : ان تراثنا لايزال مجهولا في معظم مناحيه ، ولا يزال كلامنا عنه قائما على الافتراض والحدس . ويكفى ان نفكر ان الشعر الجاهلي ، وهو أساس ادبنا العربي كله ، لم يدرس بعد الدراسة الكافية !

● كتب محمود النحاس عن المرحوم ابو بكر خيرت يقول : ان سيمفونيات خيرت التى ألفها هي التى ادخلت موسيقانا في المجال العالمي ، وقدمت في حفلات عامة في البلاد الاوربية ، فخيرت استطاع ان يمزج بين الموسيقى العالمية وموسيقانا التقليدية فكانت أول تجربة من نوعها نجحت كل النجاح !

● كتب عبد الفتاح البارودى عن المرحوم الدكتور صقر خفاجة الذى توفى في الشهر الماضى يقول : ان تاريخنا الادبي والفنى يسجل للدكتور خفاجة انه حاول تعميق وتصحيح المفهومات الادبية والفنية. ولهذا فانه لم يكتف بمحاضراته الكثيرة ، وانما اصدر عدة كتب حاول ان يرشد الناس فيها الى منابع الثقافة !

● في راى أنيس منصور : ان اعترافات الادباء في كتبهم هي نزعة مرضية ، فالاديب الذى يعترف يريد أن يعذب نفسه أمام الناس ، وذلك عن طريق تشويه نفسه لانه يجد لذة فيه .. تماما كالشحاذ الذين يجدون متعتهم الكبرى في أن يضربهم الناس !

● كتب رفيق خورى في الملزم : ان للشعر الحديث اليوم الف مفهوم . وكل مفهوم يستقطب عددا من الشعراء ، الطامحين في ان يكونوا شعراء ، او الذين فشلوا في ان يصبحوا شعراء ! ..

● يقول الدكتور عمر فروخ : ان ادباءنا الكبار في التاريخ لم يخلدوا على وجه الدهر الا لانهم وضعوا شيئا من عقولهم في انتاجهم . فالادب الذى لا عقل فيه ليس بادب . وهذه ملاحظة للذين يعتقدون ان الادب ، والشعر خاصة ، من عمل العاطفة وحدها ، وانه ينبع من الخيال والانفعال والغريزة !

● كتب ابو طالب زيان في الاديب يقول: ان مصحف عثمان بن عفان المخطوط والذى سال دمه على صفحاته كان موجودا في البهنسا بمحافظة المنيا في الجمهورية العربية المتحدة ، وان اسرة الاحوق هي التى كانت تستحوذ عليه وتسترزق منه ، ولكنها اضطرت بسبب الفقر الى بيعه للحكومة البريطانية ، فكان مصيره وضعه في المتحف البريطاني !

● يقول الدكتور احمد كمال زكي في الاداب : ان القصة الواقعية كانت التعبير

المباشر عن حاجات ماقبل اليوم غير انه كان مجرد تعبير اى تسجيل لما ترى العين وتسمع الاذن فى أناة وتفصيل بحيث يصبح المطلوب الادبى كمادة للمعرفة حقائق صغيرة جزئية. أما قصة اليوم فهى محاولة الكشف النفسى والذهنى فى أثنــاء تقديم الاحتجــاج بلا تفصيل

● رد محمود تيمور على سؤال فى مجلة المجلة بقوله : ان تجاربى فى التأليف طوال الاعوام السالفة أقنعتنى بأن الأدب الجديد باسمه فى لغتنا العربية وحياتنا القومية يقوم على دعامتين : تعبير مشرق يعول أكبر مايعول على بلاغة الفصحى ، ولون أصيل يرتوى من ينابيع الثقافة المصرية فى أوسع نطاق ! .

● كتب رجاء النقاش فى الاخبار : ان التراث الشعبى القديم عندنا بحاجة الى دراسة واسعة عميقة ، وبحاجة أيضا الى اعادة شرحه ونشره وتقديمه ، ولن تنفع المجهودات الفردية فى ذلك ، ولهــذا فاننى أطالب بانشاء مجلة شهرية للفنون الشعبية!

...وأخبارهم

● جورج شحــادة الكاتب المسرحى اللبنانى ستظهر له مسرحية الفها عنوانها « مهاجر بريسبون »

● ادفيك شيبوب الأديبة اللبنانيــة صرحت بأن كتابها « الطبيب الصغير » فى ادب الاحداث هو بداية سلسلة من الكتب الثقافية الخاصة بالاحداث والاطفـال على السواء

● المحامى محمد شوكت التونى تقدم بكتابه « محمد فى طفولته وصباه » لنيــل جائزة الدولة التشجيعية

● مكتبــة دار الاوبرا تكلف اعادة تجديدها ٢٠٠٠ جنيه . زودت بـ ١٢٠٠ كتاب عن الفنون العالمية ..

● الفاظ جديدة أقرها المجمع اللغوى فى القاهرة فى الشهر الماضى .. أصبـح المنولوج « فردية » والدويتو « ثنائيـة » والماكيير « الماشط »

● أوبرا بلجراد ستقدم موسمــا فى القاهرة من ٥ ابريل القادم

● ١٥ الف سائح وسائحة من المانيـا الغربية سيزورون ج.ع.م خلال هــذا العام

● الشاعر العربى أمين نخلة صــاحب ديوانى « دفتر الغــزل » و « الديوان الجديد » ستصدر له مجموعته الشعرية الثالثة بعنوان « ليالى الرقمتين »

● الاخطل الصغير تصدر له ثلاثة كتب فى وقت واحد هى : « كبراء وأصـفياء » ويضم مجموعة من أشعاره ثم « بين الادب والسياسة » ويضم مختارات من جريدته « البرق » واخيرا كتاب « بقايا الذاكرة »

● نور سلمان ستنشر قريبا كتابها الثالث بعد قصة « تهجكت » و « يبقى البحر والسماء » الكتاب عبارة عن مجموعة أبحاث فلسفية وتحليلية

● الشاعر أحمــد عبد المعطى حجازى يصدر له فى بيروت ديوان بعنوان « لم يبق غير الاعتراف »

● يبدأ المسرح التجريبى موسمه الاول بالقاهرة هذا الشهر بالبالية القاهرة يقدم مسرحية ليوجين أونسكو ، ولفرت الابد ، والمرحوم بشر فارس

● مات الدكتور محمد صقر خفاجة عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة فى الشهر

الماضي بعد صراع مع الموت استمر .وساعة أصيب بنزيف في المخ ..

● في ٤ يناير الماضي احتفلت جريدة اخبار اليوم بالعيد الالفي الاول

● امتحانات شهادة الثانوية العامة في الجمهورية العربية المتحدة تبدا يوم ١٣ يونيو القادم .. و ٦ فبراير آخر موعد لتقديم الطلبات

● قرر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة منحة دراسية داخلية في احدى الجامعات العربية لبحث دور الجغرافيين العرب في الكشوف الجغرافية الكبرى في نهاية القرون الوسطى

● وصلت الى القاهرة مجموعة من الاجهزة العلمية لابحاث طب وعلوم الفضاء التى تقوم بها اللجنة البيولوجية المتفرعة من اللجنة العليا لابحاث الفضاء العربية

● قصة توفيق الحكيم « يوميات نائب في الارياف » ترجمتها الماتيرا الشرقية

● الادباء في بلاد العروبة بصدد اقامة مهرجانات تكريم لطه حسين بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين

● يزور كليات الطب في مارس القادم ١٠٠ عالم امريكي في كل الامراض . سيلقى كل واحد منهم محاضرة في ميدان تخصصه

● تتجه النية في القاهرة الى انشاء جامعة جديدة هي جامعة الفنون لتشكل الهيئات التعليمية الفنية كمعهد السينما ومعاهد الموسيقى المختلفة وغيرها ..

● « الشحاذ » هي الرواية الجديدة لنجيب محفوظ ، ستنشر على حلقات في جريدة الاهرام

● ٣ معابد من المعابد الموجودة في منطقة النوبة تقرر نقلها هذا الشهر وهي « معابد « بيت الوالي » و « مقبرة بنيبة » والمعبد وادي السبوع »

● تألفت في لبنان جمعية باسم « الجمعية المسرح اللبناني المعاصر » .. وذلك لتوحيد المحاولات الفردية لخلق نهضة مسرحية في لبنان

● صدرت في الولايات المتحدة كتاب يؤرخ للرذيلة عبر التاريخ ..من خلال الشخصيات الشهيرة مثل مدام دي بومبادور الفرنسية ..

● قاموس جديد للمصطلحات التربوية يعده الدكتور امير بقطر العميد السابق لكلية التربية بالجامعة الامريكية بالقاهرة

● حققت الجمهورية العربية المتحدة نصرا علميا كبيرا ، فقد بدات في انتاج الوقود الذرى من الخامات الموجودة محليا . بدات في استخراج عنصرى الثوريوم واليورانيوم من خامات محلية مصرية

● اللغة العربية اصبحت ضمن اللغات الرسمية في اتحاد البريد العالمي

● قصة « انف وثلاث عيون » الجديدة لاحسان عبد القدوس ستمثل في السينما

● عزيز اباظه رشحه مجلس جامعة القاهرة لجائزة الدولة بالاجماع

● الدكتور حسين فوزى النجار سيصدر له كتاب في سلسلة اعلام العرب التى تصدرها مؤسسة التاليف بعنوان « احمد لطفى السيد »

● يصدر قريبا للناقد انور المعداوى كتابان الاول « على محمود طه شاعر الاداء النفسى » والثانى مجموعة من المقالات النقدية .. »

● أنتجت الجمهورية العربية المتحدة ٢٠٠٧ عناوين جديدة من الكتب في عام ١٩٦٢ ، لاتدخل فيها الكتب المدرسية او المطبوعات الحكومية الدورية او نشرات الدعاية والاعلام ، وذلك مقابل ١٢٦٢ عنوانا في سنة ١٩٦٠ ، و ٦٥٤ عنوانا في سنة ١٩٥٢

● ستتكون فرقة تمثيلية من بعض الفنانين بالجمهورية العربية لتعرض مسرحياتها على احد مسارح لندن بتنسيق مع التليفزيون الانجليزى، التمثيل بالعربية، وتبدا الفرقة عملها في الربيع القادم .

● سافر الى الفلبين ١٠ من الوعاظ ، ٤ من مقرئى القرآن ، من القاهرة ، بالفلبين جالية اسلامية كبيرة .

● قدم الى البرلمان السويسرى مشروع قانون يقضى بخفض سن المراهقة من ١٨ الى

١٦ سنة حتى يمكنهم مشاهدة الافــلام الممنوعة .

● تحتكر زنجبار تجــارة القرنفل فى العالم اذ تنتج حــوالى ٩٠ فى المائة من الانتاج العالمى . وتستمر الشجرة فى الانتاج حتى سن السبعين ، ومتوسطها حوالى ٣ او ٤ كيلوجرامات من براعم الازهار .

● « تاريخ مدينة جـدة » ، كتاب فى حــوالى الف صفحة اصــدره الاستاذ عبد القدوس الانصارى .

● يصــدر قريبا ديوان شـعر جديد للشاعر العراقى هلال ناجى بعنوان « مرفا الذكريات »

● صدرت بالقاهرة ثلاث مجلات جديدة متخصصة فى القصة والمسرح والشـعر . المجلات مجال لتنمية المواهب وعرض الانتاج الجديد فى مختلف انحاء العالم العربى

● يبلغ عدد المكتبات فى سجون الجمهورية العربية المتحدة ٣٠ مكتبة ، وينتظر اصدار فهرس موحد بجميع الكتب الموجودة فيها

● يعمل المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع للجامعة العربية على اصــدار اول سلسلة معاجم فى العالم العربى . صدر منها المعجم الحضارى ومعجم المعانى ومعجم الكيمياء ومعجم الرياضيات .

● يتم فى يوليه القادم المبنى الجـديد لمعهد الدراسـات الاسلامية فى مدريد ، وهو من تصميم تمرى كامل .

● بعثة يابانية من أربع طالبات حضرت الى القاهرة لدراسة الموسيقى العربية . تستغرق الدراسة عامين .

● تعرض مجمـوعة من التحف القبطية والتى ارسلها المتحف القبطى بالقاهرة فى زيوريخ بسويسرا ابتداء من منتصف الشهر الحالى . ستنقل التحف فيما بعـد الى فينا وباريس .

● صدر للدكتور راشد البراوى كتاب « اقتصاديات العالم العربى من المحيط الى الخليج » . الكتـاب تحليل للاحـوال الاقتصادية ومشروعات التنمية واتجاهات التطوير .

● « فن الخط العربى » كتاب للخطاط سـيد ابراهيم يتضمن نماذج من الخط العربى بأنواعه المختلفة . اختار لرسمها آيات قرآنية وأبياتا من الشعر العـربى وقصائد من نظمه .

● قدمت آنسة فرنسية هى مارى كلود جوليارد رسالة عن « الادب العربى المعاصر » الى معهد الدراسات الشرقية فى القاهرة .

..واخبار من ٧٠ سنه

● طالبت بريطانيا على اثر بعض الانتقادات التى وجهها الخديوى بشأن بعض الحصون ، ان يعتذر من ذلك باعلان استحسانه لحالة الجيش المصرى ، وان يحاكم الضبــاط الانجليز المــوظفين فى الجيش المصرى امام قائد جيش الاحتلال لا فى نظارة الحـربية المصرية . رضخ الخديوى للطلب الاول .

● تهتم السلطات بانشاء محجر صحى فى البصرة وقاية من صدمات الهواء الاصفر التى قد ينقلها اليها الهنود اثناء مرورهم بها بعد عودتهم من الحج

● امر الباب العالى بأن تكون البيانات التى تكتب على جوازات السفر باللغتين

التركيه والعربية وليس بالتركيه فقط .

● طلبت اسبانيا من حكومة مراكش ان تعاقب زعماء القبائل الذين هاجموا مليلة ، وان تدفع تعويضا قدره ٢٥ مليون فرنك .

● أصدر فيليب جلاد « قاموس » الادارة والقضاء وهو اول كتاب في العربية يشمل سائر مواد القضاء وفيه الاوامر العالية والمنشورات والقوانين والمعاهدات والفرمانات والاحكام مما يتعلق بالادارة والقضاء .

● قالت مجلة الهلال ان اصل الفينيقيين في الغالب هو ارض شنعار التي سكنتها نسل نوح بعد الطوفان ، اذ هاجر جماعة وقطنوا سواحل سوريا بعد حادثة برج بابل ومنهم تولد الفينيقيون واسسوا دولة من اقدم الدول واكثر استعمارا واتجارا .

● اعترض الدكتور امين الخورى في كلمة بالهلال على تعليم المرأة فقال انه بدلا من التطبيب والمحاماة وعلم الفلك الخ يتعلمن ترتيب المنزل وتربية الأولاد فان ثمن الحبر الذى ينفقنه على الرسائل والتأليف يكسو الولد والابنة وما ينهبه الخدامون من البيت والست غافلة عنه .

● فتح الاكتتاب في مدينة طرابلس الشام من اجل انشاء مدرسة التجارة والصناعة ، وبلغ ما جمع ٦٠٠ ليرة عثمانية .

● قدم المهندس جارستن وكيل نظارة الاشغال العموميه تقرير الى الحكومة المصرية اوضح فيه رايه بشأن الخزانات المراد بناؤها في وادى النيل وما يترتب عليها من منافع واضرار وما يرافق ذلك من رى الاراضى صيفا .

● كتبت « المقتطف » تقول ان العمران البشرى جسم حي كسائر الاجسام الطبيعية يولد وينمو ويرتقي ويهرم ويموت ويعتوره في اثناء حياته امراض وادواء ، وليس للانسان من يد في تقديمه او تأخيره او وضعه أو رفعه .

● القى المحامى التركى بابا زغلو محاضرة قال فيها ان سلاطين آل عثمان كانوا قبلا يعتمدون على العربية والفارسية فقط دون اللغة التركية مدنية باسلوبها الجديد لجودت باشا مؤلف المنطق وقواعد اللغة التركيه وتاريخ الدوله العثمانية .

● قرر اعيان حلوان أن يجمعوا مالا بالاكتتاب يشترون به منزلا يهبونه لنظارة المعارف على أن تجعل منه مدرسة لتعليم ابنائهم بعد ان راوا ان مدينتهم لا يليق أن تبقى خالية من دور العلم

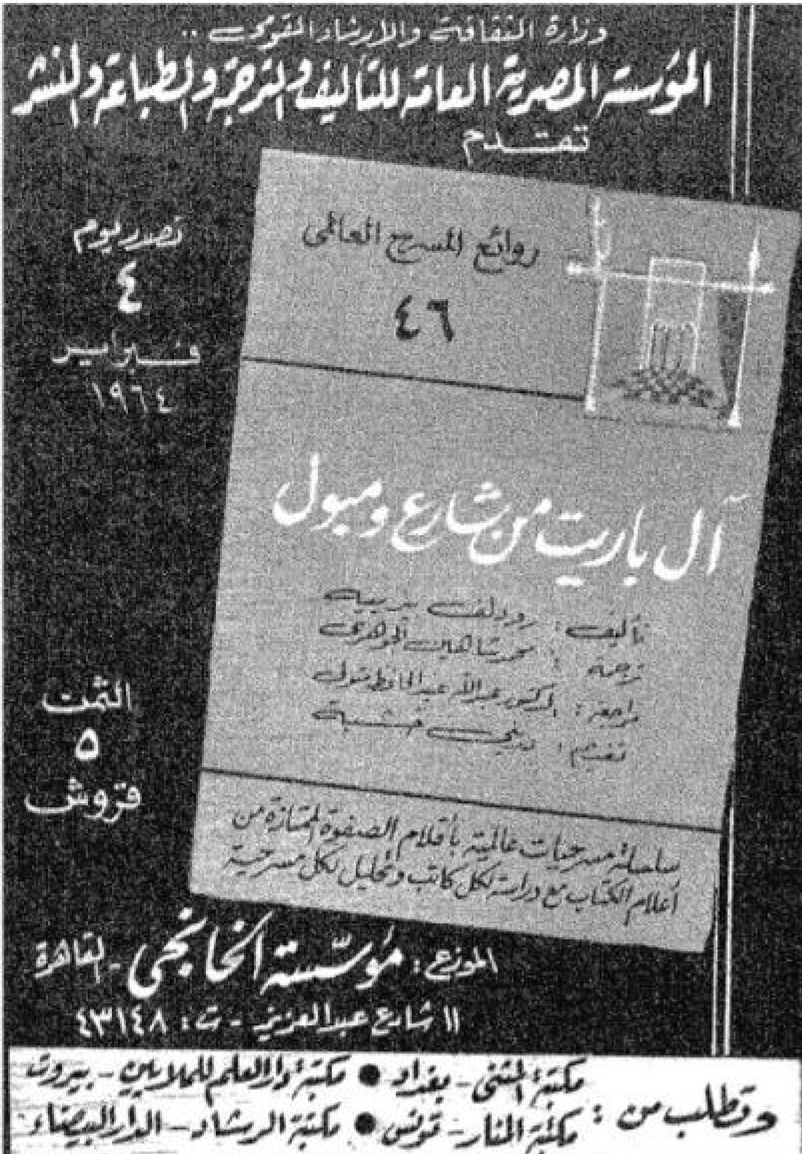
● توفى حلمى باشا مبارك وقالت « الهلال » في رثائه انه كان ماهرا في العلوم الهندسية والتاريخية والعسكرية غيورا على الوطن المصرى كثيرا مشهورا بغيرته على العلم والتعليم وهو الذى نشط العلم وعمم التعليم في هذه الديار »

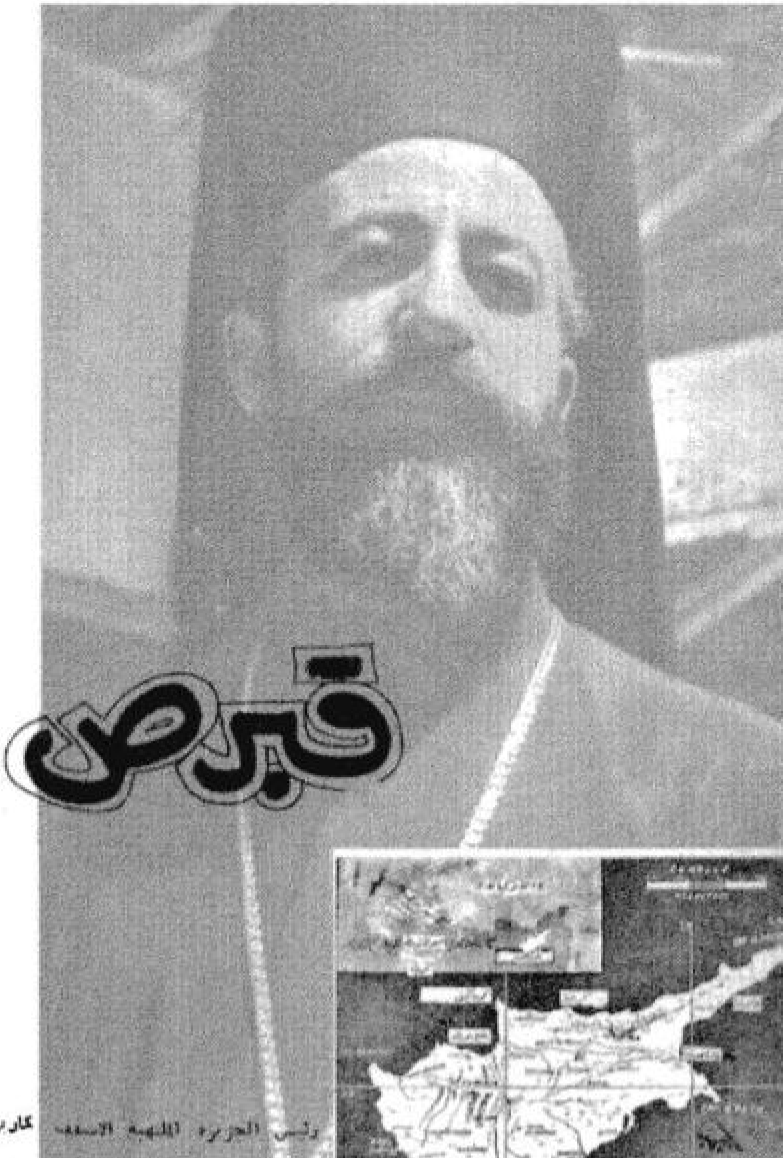
● اكتشفت السلطات في حلب جماعة كان افرادها يقلدون السندات العسكريه فقبض عليهم وكانوا قد زوروا سندات بمبلغ عشرين الف ليرة وباعوها للحكومة واستولوا على قيمتها

● طالبت مجلة « المقتطف » بالسعى الى منع المسكرات بكل الوسائل القانونيه واهابت بالحكومة ان تبذل الهمة في منع بيع الحشيش مطلقا مهما كانت صورته ومهما كانت تبعة الذين يبيعونه

● تم اكتشاف هام في سقارة وهو مصطبة على شكل مقبرة للملك ميرا من الاسرة السادسة وفيها تمثال ارتفاعه ٢٣٠ سنتيمترا و ٢٧ غرفة و ٣ الواح ومذابح وكلها مزدانة بالنقوش المزخرفة

● كتبت « المقتطف » ان الكثيرين من الباحثين في مستقبل العمران يذهبون الى ان الصين ستقوى كثيرا وينتشر لواؤها في كل آسيا ولا يكون لها منازع فيها الا مملكة الروس


وزارة الثقافة والإرشاد القومي..
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
روائع المسرح العالمي
٤٦
آل باريت من شارع ومبول
تأليف : رودلف بيزيه
ترجمة :
مراجعة :
تقديم :
سلسلة مسرحيات عالمية بأقلام الصفوة الممتازة من أعلام الكتاب مع دراسة لكل كاتب وتحليل لكل مسرحية
تصدر يوم
٤
فبراير
١٩٦٤
الثمن
٥
قروش
الموزع : مؤسسة الخانجي - القاهرة
١١ شارع عبد العزيز - ت : ٤٣١٤٨
وتطلب من : مكتبة المثنى - بغداد • مكتبة دار العلم للملايين - بيروت
مكتبة المنار - تونس • مكتبة الرشاد - الدار البيضاء



رئيس الجزيرة الملتهبة الاسقف مكاريوس .. !

في ليل ٢١ ديسمبر الماضي ، والعالم المسيحي بأسره،على اختلاف اجناسه وفرقه الدينية ونظمه الاجتماعية ، بعد الاحتفالات المعتادة ليودع بها عاما بخيره وشره ويستقبل عاما بأمل فيه أن يزيد خيره على شره ، أبعد العداوات العنصرية والاحقاد التاريخية والخصومات المتوارثة الا أن تعبر الزمن بين العام المنصرم وخلفه القادم ، تحت الاعلام المجللة بالسواد ، حيث نشبت اضطرابات دامية راح ضحيتها قرابة ٣٠٠ فرد من الرجال والنساء والاطفال . اما المسرح الذى مثلت فيه المأساة فجزيرة قبرص ، واما الممثلون الرئيسيون فقادة الاغلبية اليونانية والاقلية التركية ، وقامت جماهير الفريقين بدور كل من الكومبارس والمتفرج فى وقت واحد

ماذا تعرف عن قبرص ؟

وتقع قبرص على مسافة ٤٠ ميلا جنوبى تركيا ، و ٦٠ ميلا غربى سوريا ، و ٢٤٠ ميلا شمالى الجمهورية العربية المتحدة . وهى

الملتهبة

ودبلوماسية الزوارق المسلحة !



عصمت اينونو .. يخشى من تكرار الحوادث التي وقعت في « ازمير » عام ١٩٥٥

ثالث جزر البحر المتوسط حجما ، وتبلغ مساحتها ٣٥٧٢ ميلا مربعا، واقصى طول لها ١٤٠ ميلا من الشرق الى الغرب ، واعظم عرض لها هو ٦٠ ميلا من الشمال الى الجنوب

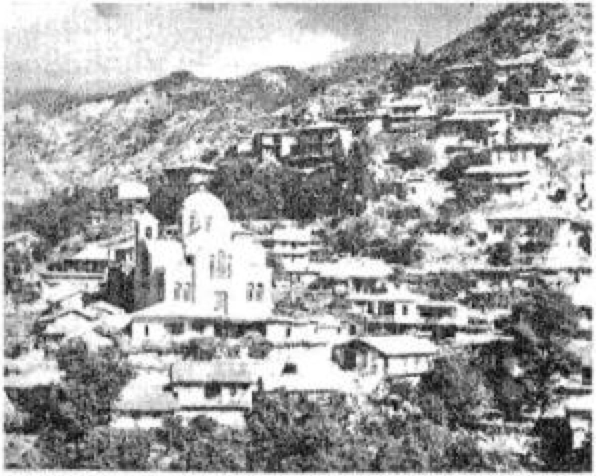
وتعتبر الزراعة الحرفة الرئيسية، وتبلغ المساحة المنزرعة مليون فدان تقريبا ، واهم الغلات القمح والشعير والخضر والفواكه . وفى عام ١٩٦١ مثلا كان انتاج البطاطس ٨٠ الف طن ، والعنب ١٢٥٫٠٠٠ ومن البرتقال والليمون ، والجريب فروت مايقرب من ٤٫٥ مليون صندوق . **وتعد قبرص ثاني بلد فى العالم من حيث تصدير انواع البيريت** ، كما تصدر ايضا مقادير من الكروم والجبس والاسبستوس

وقدر عدد السكان فى عام ١٩٦١ بنحو ٥٨١٫٠٠٠ نسمة منهم ٤٦٥٫٠٠٠ من اليونانيين الارثوذكس و ١١٦٫٠٠٠ من الاتراك المسلمين ، وهنا يكمن احد العوامل الرئيسية الكامنة وراء الصراع المزمن . فالى جانب الاختلاف العنصري والدينى ينظر القبارصة اليونانيون الى الاقلية التركية على انها عنصر دخيل طارىء على البلاد ، وانها ثمرة فاسدة تولدت من الاستعمار التركى ورمز يذكرهم بذلك العهد الذى قاوموه طويلا . واكثر من هذا فانهم يعتبرونها العامل الذى لايزال يحول دون قيام الوحدة بين قبرص واليونان Enosis ، وهو الهدف الذى يبررونه بوحدة الجنس واللغة والدين ، وان البلدين مثلا كانا جزءا من الامبراطورية الرومانية ثم من بعدها البيزنطية . والقبارصة الاتراك على ادراك بهذه المشاعر ، ويتملكهم الاحساس بالقلق بل والخوف من ناحية المستقبل ، وهم يعيشون كأنهم جماعة منعزلة من أكثر من ناحية عن بقية الشعب كأنهم جماعة فى داخل جماعة . ومن هنا يتضح ان العلاقات بين الفريقين قائمة على انعدام الثقة بصورة متبادلة

العداء المتوارث

ويرجع تاريخ الغزو العثماني الى عام ١٥٩١ ، ولكن الدولة العثمانية اجبرت على التنازل عن الجزيرة لبريطانيا فى عام ١٨٧٨ بغرض ادارتها . والواقع أن هذه الدولة الاخيرة كانت دائما ترنو ببصرها الى قبرص لتتخذ منها قاعدة بحرية فى البحر المتوسط . فلما نشبت الحرب العالمية الاولى وانحازت تركيا الى جانب دول الوسط بادرت بريطانيا الى ضم الجزيرة فى ٣ ديسمبر ١٩١٤ ، وادرجتها عام ١٩٢٥ فى عداد « مستعمرات التاج »

وراح القبارصة يحاربون بعضهم بعضا ، ويقاومون البريطانيين فى الوقت نفسه ، وكانوا فى مقاومتهم مدفوعين بعواطف او دوافع متباينة ، فاعتقد اليونانيون منهم ان انهاء الاستعمار البريطاني يتيح تحقيق الانضمام الى اليونان ، بينما سارع الاتراك



منظر من الجزيرة الملتهبة الجميلة ... لم يعد احد يتنبأ بمصيرها ... !

امل ولو كان بعيداً ، في عودة الجزيرة الى تركيا بعد جلاء البريطانيين . وساءت الاحوال ونشب الصراع المسلح الذى دام اربع سنوات (١٩٥٥ـ١٩٥٨) ، والذى استخدمت فيه السلطات البريطانية العنف فى محاولة القضاء عليه . وأخيرا ، فى ١٩ فبراير ١٩٥٩ ، وبعد مباحثات قام بها فى زيورخ وزراء خارجية بريطانيا وتركيا واليونان ، تم التوقيع فى لندن على اتفاق من جانب رؤساء وزارات الدول الثلاث ، كما قبله ممثلو الطرفين فى قبرص ، ولكن قبول اليونانيين كان على مضض اذ اعتبروا أن الدول الثلاث وضعتهم امام امر واقع Fait accompli ولم يكن أمامهم سبيل للاختيار . وبهذا ولدت الدولة الجديدة وسط جو من السخط يسود الاغلبية الكبيرة

هذا السخط راجع الى اكثر من سبب ، فلبريطانيا السيادة الفعلية على المناطق التى اقامت فيها قاعدتين بحريتين كبيرتين ، بل ان هذه السيادة تمتد الى المياه الاقليمية التابعة للمناطق المشار اليها ، الامر الذى يعد انتقاصا من السيادة وهدما لفكرة الاستقلال . وتعهدت الدول الثلاث بضمان استقلال الجزيرة وحدودها وسلامتها ، وبمقاومة اى هجوم او اعتداء مباشر او غير مباشر عليها ، ومعنى هذا ان الدول الثلاث فرضت عليها وصاية جماعية . وفضلا عن هذا حرم على قبرص ان تدخل فى اى اتحاد سواء اكان سياسيا ام اقتصاديا مع اية دولة اخرى ، وهذا بدوره حد من سلطة الاخيرة وسيادتها وتقييد لحريتها فى التصرف

الدستور العجيب

غير ان اكبر سبب فى نقمة القبارصة اليونانيين وفى الاضطرابات الاخيرة التي يمكن ان تتحول الى حرب اهلية مدمرة ، هو الدستور نفسه الذى لم يعامل الاقلية التركية التى لا تشكل سوى ١٨٫٦ فى المائة من مجموع السكان، على انها مجرد اقلية ، ولكنه يعاملها على انها جماعة قومية لها سلطة اعتراض Veto القرارات التى تتخذها او تريد اتخاذها الاغلبية ، وهو وضع شاذ لا يمكن أن يساعد على خلق الوحدة القومية عن طريق اندماج الفريقين. وطبقا لهذا الدستور :

يجب ان يكون نائب رئيس الجمهورية تركيا (وهو الدكتور فاضل كوتشوك حاليا)

يجب إن يكون ٣٠ فى المائة من موظفى الحكومة من الاتراك ، وان يطبق هذا على جميع درجات الوظائف كلما امكن ذلك من الوجهة العملية

وحتى الجيش يجب أن تكون نسبة الاتراك فيه ٤٠ فى المائة

تقسم المدن الكبرى الخمس وهى نيقوسيا و فاماجوستا وبافوس وليماسول ولارناكا الى مجالس بلدية يونانية وتركية منفصلة

يتكون مجلس النواب من ٥٠ عضوا منهم ٣٥ من اليونانيين ، ١٥ من الاتراك

وهكذا لم تخلق اتفاقيات زيورخ ولندن دولة موحدة وانما اوجدت دولة فى داخل دولة وهو وضع كفيل بان يؤدى الى التوتر والاضطراب

الاستقلال المتعثر

والواقع انه منذ اعلان قيام جمهورية قبرص المستقلة فى ١٦ اغسطس من عام ١٩٦٠ كان واضحا ان الدستور لا يمكن تطبيقه عمليا. فقد عجز الاتراك منذ ذلك التاريخ عن تنفيذ الشرط المتعلق بنسبة الموظفين منهم ؛ كما عطلوا زيادة عدد الجيش الى ٥٠٠٠ جندى. واستخدم النواب الاتراك حق الفيتو فى عرقلة اقرار سياسات الحكومة المالية والضريبية ، وكانت النتيجة المترتبة على هذا انه لم تجمع ضرائب أو رسوم بطريقة قانونية منذ عام ١٩٦١

وقال اليونانيون أن النص الخاص بانشاء مجالس بلدية منفصلة فى المدن الخمس امر يكاد ان يكون مستحيلا بسبب ضآلة عدد اهلها من الاتراك ، بينما اصر الاخيرون على وجوب التمسك بالنص الوارد فى الدستور ، واخيرا ، وفى أوائل العام الماضى ، قرر مجلس الوزراء باغلبية أصوات اعضائه اليونانيين السبعة ضد الوزراء الاتراك الثلاثة ، الغاء البلديات وأن تحل محلها « لجان تحسين » ، فرد المجلس الطائفى التركى على ذلك القرار باعلان تكوين « البلديات المنفصلة » . وعرض القرارات على المحكمة الدستورية العليا التى اعتبرتهما مخالفين للدستور

واحس الاسقف مكاريوس بالخيبة

فاعلن فى ابريل الماضى عدم صلاحية الدستور كأداة للعمل واعرب عن اعتزامه اعادة النظر فيه ، وهنا طلب الاتراك المساعدة من الحكومة التركية التى تدخلت رسميا محذرة الاسقف من أن اتفاقيات زيورخ ولندن لها قداستها التى لايجب أن تمس

هذا التدخل التركى كان عاملا فى اثارة غضب الرئيس اليونانى الذى قال ان الشئون الخاصة بقبرص هى مسألة يتفق بشأنها اهلها من اليونانيين والاتراك ، وعرض ان يبحث مع زعماء الاخيرين مسألة اعداد دستور جديد . وفى ٣٠ نوفمبر قدم الى نائبه الدكتور كوتشوك ثلاثة عشر تعديلا للدستور تجرى على اساسه المباحثات من اجل اجراء التعديل المطلوب فيه ، وفى الوقت نفسه بعث « من قبيل المجاملة » بصور من هذه التعديلات الى الحكومات البريطانية واليونانية والتركية

وفى ١٦ ديسمبر اعلنت الحكومة التركية رفضها المقترحات المقدمة من مكاريوس ، واصرت على تنفيذ التنظيمات التى ينص عليها الدستور الاصلى تنفيذا كاملا . ولم تمض خمسة ايام حتى انفجرت المشاعر المكبوتة فوقعت الاضطرابات التى اشرنا اليها والتى مالبثت أن حولت النزاع بين فريقى القبارصة من مسألة داخلية الى مسألة دولية

رد الفعل فى الخارج والداخل

اما سبب هذا التحول فهو أن



دنكان سانديز

الحكومة التركية انذرت السفارة البريطانية فى انقرة بأن تركيا سوف تتدخل عسكريا فى قبرص لحماية الجالية التركية اذا لم يتم اتخاذ اجراء مشترك وفقا للاتفاقيات المعقودة ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان سفنا حربية تركية من بينها خمس غواصات. اقتربت الى مسافة ٢٥ ميلا من شواطىء قبرص كما صرح بذلك زينون روسيدس مندوب قبرص فى الاجتماع الذى عقده مجلس الامن ، وان ذكرت وزارة الخارجية الامريكية فى بيان اذاعته انها تلقت تأكيدا رسميا من الحكومة التركية بان قافلة سفنها التى شوهدت على مقربة من شواطىء قبرص كانت تسير فى طريقها من احد الموانى التركية الى ميناء اخر ولم تكن وجهتها قبرص

والواقع ان اضطرابات نيقوسيه كان لها رد فعل فى تركيا وان التزمت حكومة عصمت اينونو الهدوء ازاء ما تقدم به حزب العدل (الذى يعتبر وريثا لحزب عدنان مندريس الذى اعدم بعد الانقلاب الذى قام به الجيش بقيادة جمال جورسيل)

من مطالبتها بانزال الجنود التركية فورا فى قبرص ، وتمكن رئيس الوزارة من السيطرة على موقف رجل الشارع بصفة خاصة خشية تكرار الحوادث التى وقعت فى ازمير عام ١٩٥٥ . وضبط النفس هذا الذى بدت به حكومة عصمت اينونو يرجع الى ضعف مركزها ، ولأنها تخشى النتائج الدولية التى قد تسفر عن قيامها باتخاذ اجراء منفرد مخالفة بذلك نصوص الاتفاقيات المعقودة فى عام ١٩٥٩ ، وحرصا على عدم تدهور العلاقات بين تركيا واليونان

اما الصحف التركية فاطلقت العنان لعواطفها وراحت تنشر الصور عما أسمته « مذبحة نيقوسيا » ، وقالت ان العالم يشهد صورة مشوهة لحقيقة الاحداث الجارية فى الجزيرة بسبب سيطرة اليونانيين على مصادر الانباء فلاينشرون الا وجهة النظر التى تخدمهم . وثارت عواطف رجل الشارع ايضا ، وكان الحل الذى يراه للمشكلة بسيطا جدا وهو « اقتلوا مكاريوس ! » . اما الطلبة فطالبوا بضم الجزيرة فورا الى تركيا

وفى اليونان اجتمع الملك مع وزرائه وكبار المسئولين فى الحكومة وزعماء الاحزاب لدراسة الموقف ، وتردد ان حالة الطوارىء اعلنت فى الاسطول اليونانى لمدة بضع ساعات ، وان اجتماعات عقدت لبحث مدى استعداد القوات اليونانية

وفى مسرح النزاع نفسه اعلن كوتشوك ان التعايش السلمى بين الطائفتين مستحيل ولابد من حل حاسم ، فرد مكاريوس على ذلك بقوله « ربما كانت قيادة الاتراك القبارصة تسعى عن طريق الاستفزاز والثورة الى خلق ظروف تحبذ تقسيم الجزيرة، وربما كانت تسعى الى البرهنة على ان التعايش السلمى مستحيل بين الاتراك واليونانيين ، ولكن مثل هذه الفكرة ستكون هدامة »

ولم تقف حكومة قبرص عند هذا الحد بل عملت على نقل المسألة الى ساحة الامم المتحدة متهمة تركيا باتباع اساليب « دبلوماسية الزوارق المسلحة » التى كانت سائدة فى القرن الثامن عشر ، وطالبت بعقد جلسة عاجلة لمجلس الامن . واجتمع المجلس بالفعل فى ساعة متأخرة من مساء ٢٧ ديسمبر وتحدث مندوبو قبرص وتركيا واليونان ، ثم انفض بغير نتيجة ايجابية واعلن رئيسه أن المجلس سوف يجتمع مرة اخرى بعد مشاورات بين الدول الاعضاء التى غادر ممثلوها الاجتماع دون ابداء آراء أو تقديم مقترحات بشأن حل الازمة

نحو مؤتمر لندن

وكان من الطبيعى ان يثير الموضوع اهتمام حلف الاطلنطى وبخاصة بريطانيا والولايات المتحدة، فقبرص تمثل حلقة من سلسلة

الدفاع من البحر المتوسط ، وتركيا واليونان من أعضاء المنظمة ومن الخطر اشتباكهما في حرب، والانضمام الى احدي وجهتي النظر فيه اغضاب للطرف الاخر ، بل ان اليونان هددت بسحب قواتها البحرية من ميناء أزمير . وتدخلت الولايات المتحدة من وراء الستار وضغطت فيما يبدو على تركيا واليونان لحملهما على ضبط النفس وعدم التصرف على النحو الذى يزيد من تطور الخلاف ، كما عرضت حكومة بون بلسان هنريش لوبكة رئيس الجمهورية ، استعدادها للتوسط بين الحكومتين التركية واليونانية من اجل انهاء الازمة

اما بريطانيا فسارعت الى انزال بعض قواتها لمحاولة تهدئة الاحوال ، ومنع تجدد الاضطرابات كما بعثت بالمستر دنكان ساندبز الى الجزيرة لدراسة الموقف مع المسئولين فيها، وتمكن المندوب السامى البريطانى فى قبرص سير آرثر كلارك من الاتفاق على انشاء لجنة اتصال سياسية برئاسته . ولكن مركز بريطانيا حرج لان نزول قواتها الى شوارع العاصمة كفيل بأن يعيد ذكرى سنوات ١٩٥٥ ـ ٥٨ ، وان يثير الشك فى نفوس القبارصة اليونانيين بانها قد تستغل الفرصة لاعادة تثبيت اقدامها وهم الذين يطالبون بالغاء قواعدها العسكرية فى بلادهم واجلاء قواتها عن البلاد . وحتى اذا استطاعت حفظ الامن فى نيقوسيا والمدن الكبرى فهى لاتملك ان تفعل الشيء ذاته فى المناطق



هنريش لوبكه

الريفية المتناثرة . وفضلا عن هذا فبريطانيا تعانى المشكلات فى أكثر من مكان ، فهناك ثورة فى الجنوب العربى وهناك خطر نشوب حرب بين ماليزيا واندونيسيا ، وكل هذا مما يعرض حكومة المحافظين المقبلة على انتخابات قريبة لنقد شديد من جانب حزب العمال بصفة خاصة

***

واخيرا ، وبعد مباحثات علنية ومن وراء الستار ايضا تم الاتفاق على عقد مؤتمر فى لندن فى الاسبوع الثالث من يناير لبحث المشكلة ! .

ان جوهر المشكلة هو : هل تكون قبرص دولة تسير وفق دستور صالح للعمل ، طبقا للقواعد الديموقراطية ؟ يقول القبارصة اليونانيون ان الدستور بشكله الحالى يهدم فكرة الديموقراطية من اساسها حيث يجب أن تنفذ ارادة الاغلبية ، ويبقى على انقسام المجتمع الى فريقين متعارضين ، ويحول دون الاندماج فى الوحدة القومية ، ويفسح المجال امام الدسائس الخارجية بل والتدخل الخارجى . .

واذن فالحل الوحيد هو تعديل

الدستور على النحو الذى اقترحه الاسقف مكاريوس

اما الاتراك فيعترضون على التعديلات لا بصفتها هذه اساسا وانما لانهم يعتقدون ان اقرارها هو مقدمة لتنفيذ مشروع الاتحاد مع اليونان . والحل عندهم هو تقسيم الجزيرة الامر الذى ينطوى بالفعل على قيام حكم مزدوج . وطبقا لهذا التقسيم يكون لهم ساحل كيرينيا Kyrenia المواجه لسوريا ، وميناء فاماجوستا

غير ان التقسيم يصطدم بعقبات كثيرة منها :

١ ـ صغر حجم الجزيرة بشكل لايمكن ان يسمح بتقسيمها

٢ ـ وهو مستحيل من الناحية العملية بسبب تفرق كل من الاتراك واليونانيين فى مختلف انحاء البلاد

٣ ـ واخيرا ـ وليس آخرا ـ فهو يتعارض مع اتفاقيات زيورخ ولندن التى حرمته

هل ينجح المؤتمر ؟

قلنا انه تم الاتفاق على عقد مؤتمر فى لندن فى الاسبوع الثالث من يناير ، ونحن نكتب هذا قبل موعد الانعقاد . والسؤال الذى لابد ان يتبادر الى الاذهان هو : هل ينجح هذا المؤتمر ؟ !

لقد اعلن سبيروس كبريانو وزير خارجية قبرص ان اليونان وافقت على تأييد حل للمشكلة القبرصية يقوم على اسس ثلاثة وهى ان تصبح قبرص دولة مستقلة استقلالا تاما داخل نطاق الكومنولث ، وان تحكمها الاغلبية من القبارصة اليونانيين، وان تكون هناك ضمانات كافية لحقوق الاقلية التركية فى الجزيرة . .

ولاشك ان مثل هذا التصريح يدل على ان القبارصة اليونانيين سوف يقفون موقفا حازما بعد التجارب التى مرت ببلادهم منذ اعلان استقلالها . ولاشك ايضا ان المؤتمر سوف يعارض تماما فكرة التقسيم ، ويعتقد المراقبون انه سيوجه همه الاول الى اقرار السلام فى الجزيرة والحيلولة دون تجدد الاضطرابات ، وقد يطلب الى المستر اوثانت او الى مجلس الامن ان يبعث بمراقبين للاشراف على مدى تقيد الطرفين بما يلتزمان به من المحافظة على الامن وهذا مرجح لمنع تجدد الاشتباكات

وسوف يدعو المؤتمر الطرفين الى بدء المفاوضات بينهما من اجل الوصول الى اتفاق وسط يحفظ للاتراك الكثير من الضمانات والحقوق التى يتمتعون بها دون أن تشكل هذه الضمانات عقبة جدية فى وجه ادارة شئون البلاد

والحقيقة ان الحل السليم هو ان يتقبل الاتراك وضعهم كأية اقلية فى أى بلد آخر ، وان يعملوا على التقارب مع اليونانيين تدريجيا حتى تزول الخلافات والاحقاد ، وان يساعدوا على قيام حكم ديموقراطى أساسه توفير المساواة والعدالة لجميع المواطنين

اخبار الغد وبعد الغد

بعد عشرين سنة

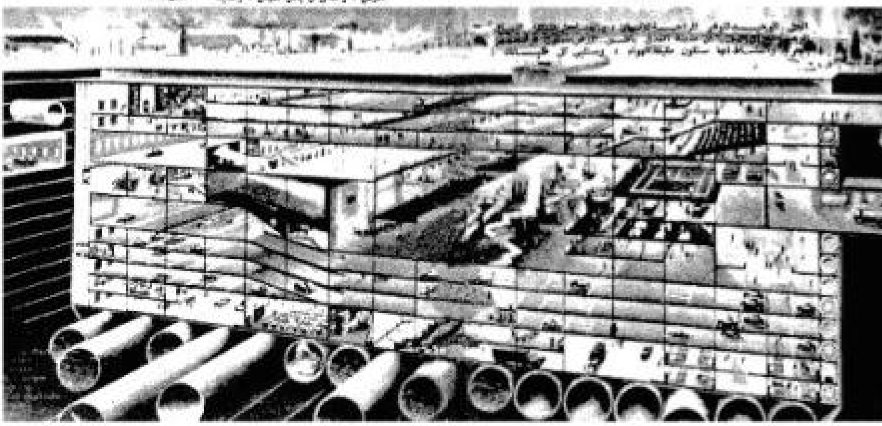
الناس في سباق مع الزمن ، ملايين الأطفال يولدون كل يوم ، [illegible] السباق مع الزمن ، [illegible] العصر الحديث ، ونشكو مشكلة السكن المعقدة في [illegible] الحل . العلماء توصلوا الى الحلول التي [illegible] على هذه المشكلة ..

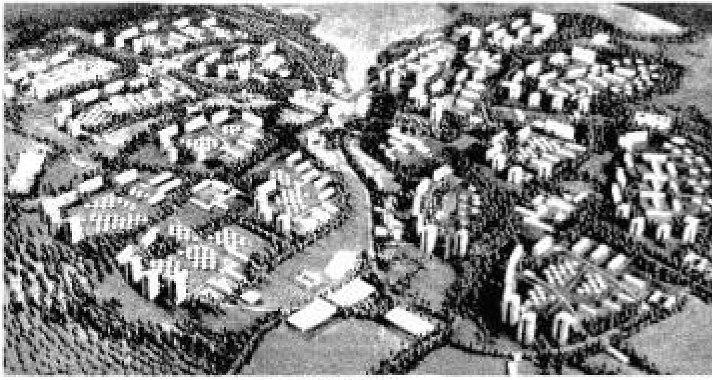
في فرنسا يعد المهندس [illegible] الحل على [illegible] الأرض الصالحة للسكن في العالم لن تعد تحمل هذه الأعداد الجديدة ، [illegible] الى استغلال باطن الأرض . [illegible] تحت نهر السين ، [illegible] في هذه المدينة [illegible] المستقبل .

[illegible] باطن الأرض [illegible] فوق سطح الأرض [illegible]

الذي [illegible] تحت نهر السين سيكون مدينة [illegible] والأسواق والمطاعم [illegible] والسينما [illegible] الرياضية [illegible] السيارات .

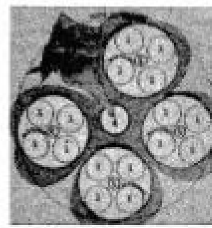
[illegible] المدينة [illegible] في الصورة تحت نهر السين [illegible] حقيقة [illegible] من الخيال [illegible] الانسان [illegible] من المشروع [illegible]





مدينة ورقة البرسيم

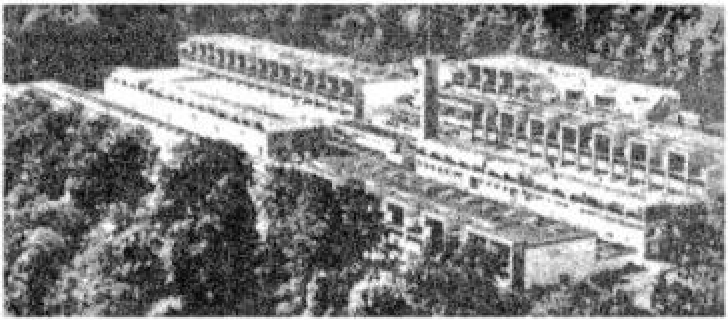
بدون مواصلات

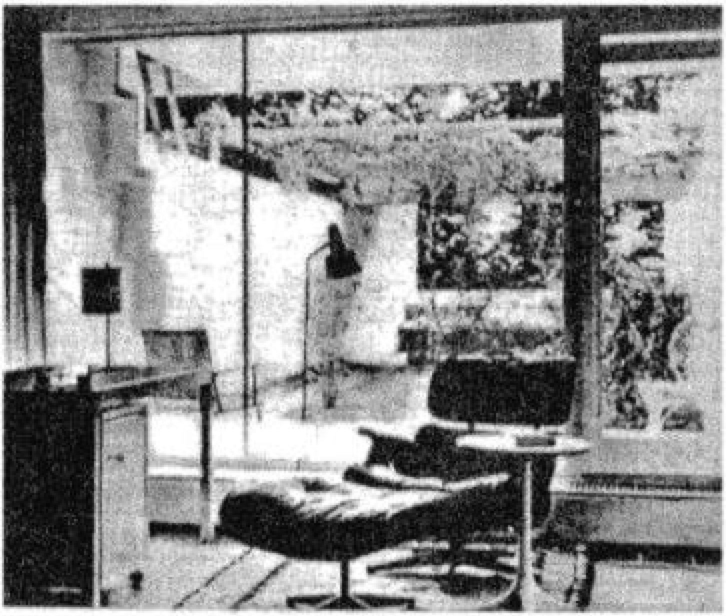


نموذج تخطيطي لمدينة الغد فوق سطح الأرض، انها على شكل ورقة البرسيم [illegible]

[illegible]

[illegible]



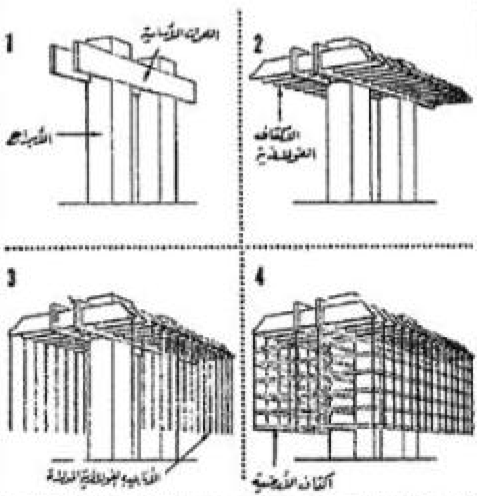


وفي مدينة « ورقة البرسيم » ستكون المساكن مصممة بطريقة جديدة أيضا . ان العلماء صمموها على شكل بلوكات تحتوى على آلاف الشقق، كما هو واضح في الصورة العليا . سيحيط بالمساكن من جميع الجهات الاشجار والحدائق والبحيرات الصناعية ، وكذلك الجبال الصناعية .. ان الانسان سيشعر بانه يقضي « ويك اند » دائما في الريف . اما الصورة السفلى فهي لاحدى شقق الغد . ان بها مجموعة من الزراير الالكترونية تقرأ افكارك وتلبي طلباتك . وكل شقة بها « تراس » داخلي على هيئة بلكون . وبرغم تلاصق الشقق ، فانها صممت بحيث تشعر انك وحدك الذي تسكن البلوك كله . ان عيون المتطفلين سوف لا تصل اليك .. وانت أيضا لا تستطيع ان « تجرح » جارك .. !

العمارة المعلقة



الكاتب المعلقة في الهواء هي التي سيجلس فيها انسان الغد ، ليدير عالم الغد . . !



اما مباني الادارة والبلدية ، والمكاتب ، في مدن الغد فوق سطح الارض فستكون معلقة في الهواء، بحيث يستفيد الافراد من رقعة الارض التي ستقام عليها ..

فعلماء الفيزياء صمموا هذه المباني بحيث يتكون كل منها من ستة طوابق . ويتميز المبنى المعلق بمقاومته للزلازل ..

والمبنى يشيد من زوج من الابراج الخرسانية المجوفة تبلغ مساحة كل منها ١٩ قدما مربعا . يصل بينها من اعلى كمرتان خرسانيتان تخترقهما اكتاف من الصلب تتدلى من اطرافهما الى الارض انابيب فولاذية ، وتلحم بها كمرات من الصلب لتقيم ارضية الطوابق

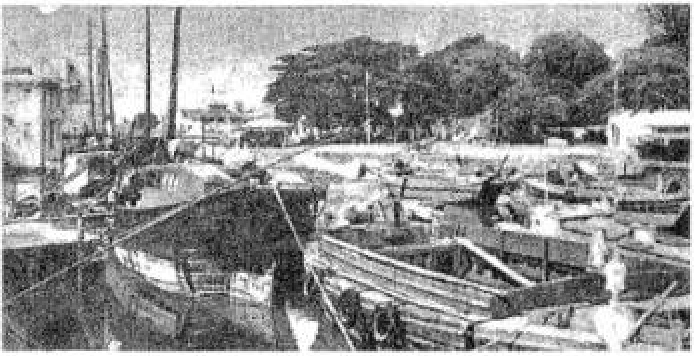
ويحتوى احد البرجين الخرسانيين على المصاعد، بينما يحتوى الاخر على ممرات مكيفة الهواء للخروج اثناء الحريق ، كما يحتوى على الكابلات الكهربائية . ويوجد في المبنى المعلق مطعم اوتوماتيكي بزراير، والمطعم ليس بداخله اجهزة



اتحاد ماليزيا

متحف الطبيعة

مزرعة فلفل في ساراواك وفيها [illegible]
[illegible]
[illegible]



ميناء ملقا .. حيث تقوم القوارب بشحن نبات الكبرة وهو عبارة عن جوز هند مجفف يستخرج منه الزيت ...

ومعرض الحضارات

اذا استثنينا حفنة من الرحالة المتفرقين ، فان اقدام الاوربيين ، باعداد لها شأنها ، لم تطأ ارض جنوب شرقي آسيا الا عند ابتداء القرن السادس عشر . وبعد انقضاء أربعة قرون ونصف قرن بسطوا خلالها سيطرتهم واقاموا بالجزر وأشباه الجزر واستغلوا الثروات الهائلة واهلها وأدخلوا انماطا جديدة من الحياة ، خرجوا من المنطقة عائدين الى قارتهم الصغيرة . وبهذا لا يعتبر قيام دولة ماليزيا مجرد ظهور دولة اسيوية جديدة فحسب ، ولكنه يمثل نهاية عصر كانت السيادة خلاله للرجل الابيض

التقاء الحضارات

ولكن الزحف الأوربى لم يكن الا حلقة فى سلسلة متصلة فأول مستعمرات أقامها الهنود هناك ترجع الى ما قبل ظهور المسيح ، فالكتابات السنسكريتية تؤكد ان القوم من البنغال وأوريسا وساحل كوروماندل بالهند هاجروا الى شبه جزيرة الملايو وأجزاء من جاوة والساحل الشرقى من جزيرة بورنيو ، وعندما كان الحاج البوذى الصينى فاهسيان ، فى طريق العودة من

الهند في القرن الخامس ، توقف في جاوه حيث وجد على حد قوله «البدع البراهمانية مزدهرة بينما دين بوذا في حالة لا تدعو الى الرضاء • وفي القرن السابع توقف الراهب اي ـ تسينج في سومطرا والملايو واقام بضع سنوات ، وكانت البوذية قد ثبتت اقدامها • ولم يأت الهنود بدياناتهم فحسب بل جاءوا ايضا بمهاراتهم وتنظيمهم الاجتماعي على أيدي التجار الساعين وراء التوابل وغيرها من السلع الغريبة

وفيما بين القرنين الثامن والثاني عشر كانت هناك مملكة هندية ملاوية امتدت احيانا من تايلاند الى سيلان

وابتداء من القرن الثالث عشر بدأ الاسلام يتوغل في جنوب شرقي آسيا ، وعلى أيدي المسلمين من التجار الهنود والعرب • واخيرا جاءت المسيحية مع التاجر الاوربي والمبشر الاوربي والمستعمر الاوربي • وتحت هذه الاديان الثلاثة المستوردة ظلت باقية الديانة التي كان يعتنقها السكان الاصليون ، وهي عبادة الطبيعة • هذا المزيج لا يزال موجودا حتى اليوم في جزيرة بالي المشهورة بجمال بناتها ، وفي اماكن اخرى من اندونيسيا

الزحف الاصفر

غير أن هذا ليس الا نصف القصة • فالى جانب المؤثرات الهندية جاء التجار الصينيون بأسلوبهم في الحياة • انهم لم يحكموا هذه البلاد ابدا ، ولكن قوتهم كانت تكمن في نشاطهم واجتهادهم • فبسبب ضغط السكان الشديد في المقاطعات الجنوبية بالصين ، تحول الصينيون بارادة وعزم الى المناطق المتناثرة في جنوب شرقي اسيا ، ولم ينظروا بعين الاحتقار الى اية مهنة ، فاشتغلوا عمالا وعملوا وسطاء تجاريين واصبحوا من كبار اثرياء التجار • **ان مجتمع نانيانج « اى البحار الجنوبية » الصيني مجتمع لا يعرف الطبقات وانما يعرف النجاح فهو مقياس الحياة والمركز •** واغتصب الصينيون معظم تجارة المنطقة ، واستثمروا ثروتها المعدنية وادخلوا التعديلات على تصميم الزوارق والسفن حتى تلائم اغراضهم ، وقدموا مساهمات دائمة في الفكر والفن • وعندما وصل الرجل الاوربي وجد فيه الصينيون فرصة جديدة للعمل والاثراء ، وكسبوا وده بسبب مهارتهم التجارية وقدرتهم على العمل الشاق ، ووفدت ملايين اخرى كثيرة من الصين

ومن هذا يتضح ان ماليزيا التي تضم الملايو وسنغافورة وساراواك وبورنيو الشمالية ، تشكل جزءا من ذلك المزيج من الاجناس والديانات والنظم الاجتماعية والثقافات ، وهو مزيج تكون خلال أكثر من الف عام تحت المؤثرات الهندية والصينية والعربية والاوربية

مشروع جرىء

حوالي نهاية مايو من عام ١٩٦١ اعلن تنكو عبد الرحمن ، رئيس



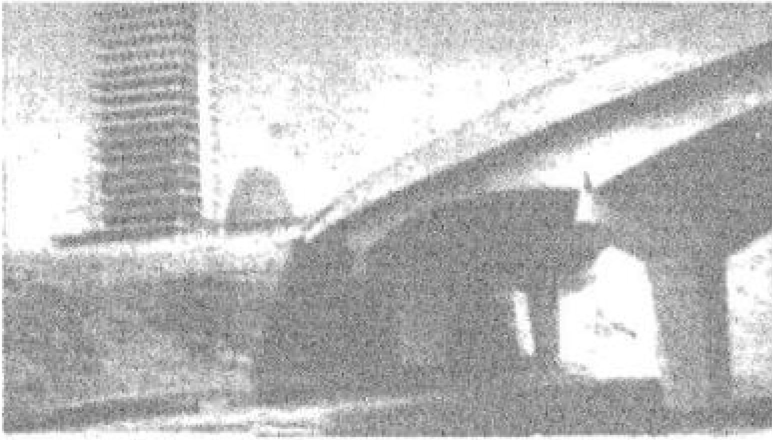
عمارة حديثة في سنغافورة .. ويبدو الفارق بينها وبين الدكاكين القـديمة ..

وزراء الملايو ، أثناء حفل غـداء بسنغافورة ، أن الملايو سوف تتفاهم عاجلا او آجلا مع بريطانيا وشعوب سنغافورة وبورنيو الشمالية وبروني وساراواك ، فكانت هذه العبارة أول اشارة رسمية الى ماليزيا ، وسببت الفكرة ثورة سياسية في المنطقة اذ اعتبرت جريئة الى حد بعيد . وفى مؤتمر مانيـلا عاصمة الفلبين فى يونيه من العام الماضى جرى بحث حول انشاء اتحاد أكبر يضم ماليزيا واندونيسيا والفلبين ، ولـكن الفكرة لم تتعد هذا النطاق وفى ١٦ سبتمبر ١٩٦٣ ولدت ماليزيا رسميا

وتقدم لنا ماليزيا صورة سلاسل جبلية واضحة المعالم ، هي بقـايا تكوين جيـولوجي يرتبط بامتداد جبال هيمالايا عن طريق بورما

الشجرة المجنحة

ان الغابات التي لا تـزال تغطي بلاد الاتحاد الجديد هي في حد ذاتها مكان لدراسـة تبعث علـى الافتتان عندما تحلق فوقهـا من طائرة



كوالا لامبور عاصمة اتحاد ماليزيا، ومقر الحكومة ويقع خارج المدينة مباشرة ..!

هليكوبتر تستطيع ان ترى انها تضم أنواعا معينة خاصة بهذه البلاد ومن بين هذه الانواع الشجرة المجنحة كما يطلقون عليها ، وهى ترتفع الى علو ٢٠٠ قدم تقريبا بدون فروع أو اوراق ، ثم تنتشر بعد ذلك كأنها مظلة كبيرة خضراء . هذه الشجرة ذات منظر رائع !

بلاد الحشرات ورجل الغابة

والحياة الحيوانية تلفت النظر الى حد بعيد ، ولعل الملايو هى البلد الذى يضم اكبر مجموعة من الحشرات فى العالم ، يقدر عددها بنحو ٢٥٠٫٠٠٠ نوع ، الى جانب الفراشات وقرد أورانج ـ أوتان ، ومعناه رجل الغابة ، من خصائص بورنيو وسومطرا ، بينما تحتوى الجزيرتان مع شبه جزيرة الملايو على فرس النهر ذى القرنين وهناك فى ساراواك جرى فى عام ١٩٦١ اكتشاف السحلية الغريبة الخالية من الاذان . وتعتبر حلقة فى التطور الطبيعى بين السحالى والحيات

ان الشىء الذى يسترعى الانتباه ، واحيانا الى حد مزعج ، وانت تسافر عبر بلاد ماليزيا ، هذه الوفرة التى تكاد ان تكون لا نهائية ، من الاشجار والحشرات والحيوانات الظاهرة للعيان أو الخفية عن الانظار والى جانبها الندرة العجيبة فى الانسان . فالملايو نفسها لا تضم سوى ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة يتركز معظمهم فى المدن وفى المناطق التى تنتج المطاط والقصدير . أما فى الانحاء الواسعة فى الشرق والشمال والوسط فالانسان هو أندر المخلوقات !

وندرة الانسان واضحة فى ساراواك ، فالمساحة ٥٠٫٠٠٠ ميل مربع ، وعدد السكان ٧٥٠٫٠٠٠



صيوان على الطراز الصيني
في كوشنج عاصمة ساراواك

فقط ، والارض الزراعية ٥٠٠ر١١ ميل مربع • وثلثا السكان من الاهالى الاصليين الذين لم تتأثر طريقتهم فى الحياة بفعل الاجناس التى وفدت الى بورنيو الا تأثيرا يسيرا • ولا يزال الصينيون هم الذين يوردون لهم السلع ويشترون منهم المحاصيل

الاقتصاد الاتحادى

ان أساس اقتصاد الملايو والعامل الذى احدث اكبر تغيير فى حياة البلاد ، هو المطاط الطبيعي ، وتنتج البلاد ٣٥ فى المائة من الانتاج العالمى ، والقصدير وتنتج اكثر من ثلث الانتاج العالمي • ومنذ الاستقلال فى عام ١٩٥٧ اخذت صناعات عدة فى الظهور ، ولكن الملايو لا تزال بلدا يعيش على المنتجات الاولية وتحت رحمة الاسواق العالمية • ويقول البعض انه لا توجد هناك مدن كبيرة بالمعنى المتعارف عليه ، فبالرغم من مبنى البرلمان والجامعة الجديدة والتمثال الوطنى ، فان أمام كوالالامبور وقتا طويلا قبل أن يقال لها « مدينة »

ومن أهل البلاد حوالى النصف من الجنس الملاوى الاصلى ، ويليهم مباشرة الصينيون ، كما يوجد ثلاثة أرباع مليون هندى • ولكن المشكلة التى تواجه هذا البلد أن الاقتصاد الى حد كبير ، فى أيدى عنصر واحد هو الصينيون

وجزيرة سنغافورة مساحتها ٢١٧ ميل مربع ، ولكن سكانها ٠٠٠ر٧٥٠ر١ نسمة ثلاثة أرباعهم من الصينيين ، ولا تتجاوز نسبة الملاويين ١٢ فى المائة • ومصدر العيش والرخاء هو الحركة بالميناء • وتعتبر سنغافورة المنفذ الرئيسى وأعظم مركز صناعى بالاتحاد الجديد



تسير حكومة الاتحاد بهمه ونشاط في بناء مبنى برلمان اتحاد ماليزيا . انتصف العمال تقريبا من نساء قبائل « الهاكا » من جنوب غربي الصين ويغطين كل وجوههن اتقاء ضد التراب

وعلى مسافة ٥٠٠ ميل من الملايو تقع جزيرة بورنيو ، وهنا نجد بعضا من اعقد المشكلات التى تواجه ماليزيا . فاذا استثنينا القوارب التى تسير فى الأنهار وهى غالبا ما تصبح غادرة وخطرة على الملاحة ، فان الوسيلة الوحيدة للمواصلات فى بورنيو هى الطائرة ، وقد تأسست شركتان للطيران لهذا الغرض

والملايو غنية بالثروة المعدنية ،اما ساراواك فتضم كميات معتدلة من البوكسيت وكمية قليلة من الذهب. وصادرات ساراواك الرئيسية هى الخشب والمطاط والساجو وافخر انواع الفلفل الاسود بالعالم ،ولكنها صادرات قليلة تعتمد على زراعة بدائية وتربة فقيرة . هناك مثل شائع وهو انه ما عليك الا ان تطهر الغابة من الاشجار ثم تزرع الارض فتغل محاصيل وفيرة ، ولكنه مثل غير صحيح للاسف فالارض حمضية وتحتاج الى التسميد . ولعل كوشينج العاصمة اجمل مدن ماليزيا ولا يزال القسم الاوسط منها كما كان عندما انشىء فى أيام الراجات الثلاثة الذين ملكوا ساراواك منذ عام ١٨٤١ الى ان سلمها آخرهم الى التاج البريطانى فى عام ١٩٤٦ . وتمتد الدكاكين وكل منها يتكون من دورين ، وهناك المبانى العامة التى تستند سقوفها المطلة على الفراندات على اعمدة بيضاء نظيفة

اما بورنيو الشمالية ، وتعرف الان باسم صباح ، فلا يتجاوز عدد سكانها نصف مليون نسمة يقيمون فى مساحتها قدرها ٢٩٫٥٠٠ ميل مربع وقبائل دوسون وغيرها يعتبرون من ابناء عمومة اهل ساراواك . وترجع الزيادة فى رخاء هذا الاقليم الى الخشب الذى توجد منه مدخرات ضخمة ، فمنذ عام ١٩٥٧ ارتفعت قيمة الصادرات من الخشب من ٣٥ الى اكثر من ١٠٠ مليون دولار ملاوى ، واكثر من ٩٠ فى المائة مصدره الشجرة المجنحة التى اشرنا اليها . وتقطع الكتل الصحيحة ويلقى بها فى النهر ثم يجرى انتقاؤها وتجهيزها فى الموانىء الواقعة على الساحل الشرقى وهى ساندآكان ، ولاهاد داتو ، وتاواو . اما مزارع القنب القديمة فهى فى طريقها الى الزوال ليحل محلها الكاكاو وزيت النخيل ، لان القنب الصناعى أفضل بكثير من الطبيعى . والعاصمة جيسلتون مدينة جديدة أعيد بناؤها تماما بعد ان دمرتها قنابل اليابانيين والحلفاء

ودلت الحفريات التى قام بها توم هاريسون حديثا فى الكهوف القائمة على نهر نياه ، على قدم الانسان فى بورنيو . فقد حفروا الى عمق ١٥٠ بوصة حيث وجدوا طبقة يرجع عمرها الى ٥٠٫٠٠٠ سنة تقريبا ، ولا يزالون يجدون آثارا عن الانسان الذى كان يعيش فى ذلك العصر



واجهات نور.. وسط المجتمع الأخضر!

أعلى الصفحة صورة قديمة فى طريقها الى الانقراض . انها فلاحة الماضى . ان عملها كان يقتصر على اعباء البيت وحمل صرة الطعام الى زوجها فى الغيط ..

وعلى الصفحة المقابلة والصفحات التالية احدث صورة لفلاحة الغد فى ريفنا المصرى الحديث . ان الفلاحة تغيرت انها « تثورت » .. فاعباؤها قد زادت وحياتها تطورت ، بعد ان لاقت فرصتها فى التعليم .

وميدان فلاحة المستقبل لايشمل البيت والغيط فقط ، انه امتد الى بيوت الفلاحين ودور العلم ، والدوار ، وعلى حواف الترع والمصطبات ..

ان عدسة الفنان شريف ذوالفقار عاشت لحظات حالمة فى بطن الريف المصرى المشرق . شاهدت فلاحة « مودرن » فضلت العيش - مثل آلاف غيرها - وسط المجتمع الاخضر ، لتتنفس رائحة الارض الطيبة ، ولتقضى على الصورة المظلمة فى ريفنا القديم

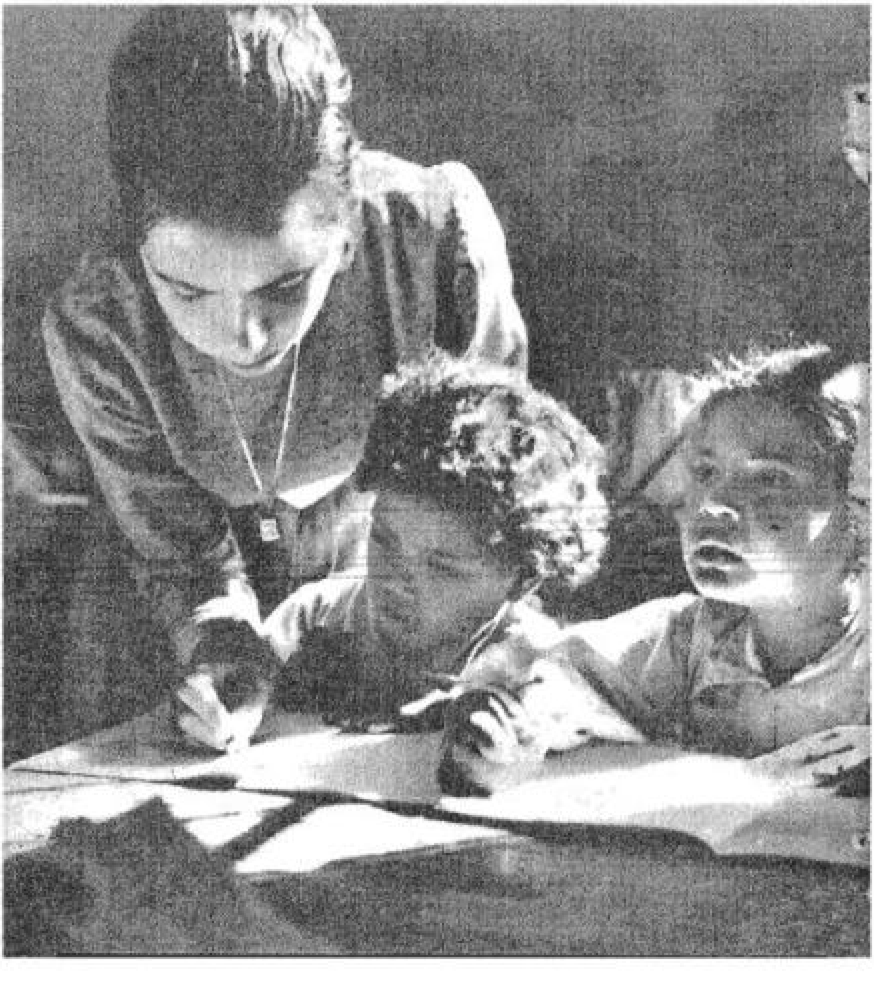
هيأة الفلاحة الجديدة فى ريفنا المصرى تلفت الانظار . انها تعمل طول اليوم فى المدرسة وفى الغيط والدار والسوق ، وهى قد تلقت تعليمها ونالت الشهادات وصارت مثل واحة النور تنشر العلم والمعرفة بين اهلها وذويها . انهما تحضر دروسها استعدادا لجهاد يوم جديد ..!





وبفضل الفلاحات المثقفات اضاء نور العلم والمعرفة القرية كلها . ان الاطفال يقبلون على التعليم ، والكبار الذين فاتهم القطار بدأوا يدركونه بعد أن دخلوا معاهد محو الامية . ان الابتسامات ترتو دائما على الشفاه

وتفننت الفلاحة الحديثة لتحويل هذا الفصل الى جنة.
ولهذا فان الاطفال يحلمون دائما بالغد . انهم كل ليلة
يعدون الدقائق انتظارا ليوم جديد يطيرون في
صباحه الى مدارسهم كالعصافير ليلتقوا بمربيتهم



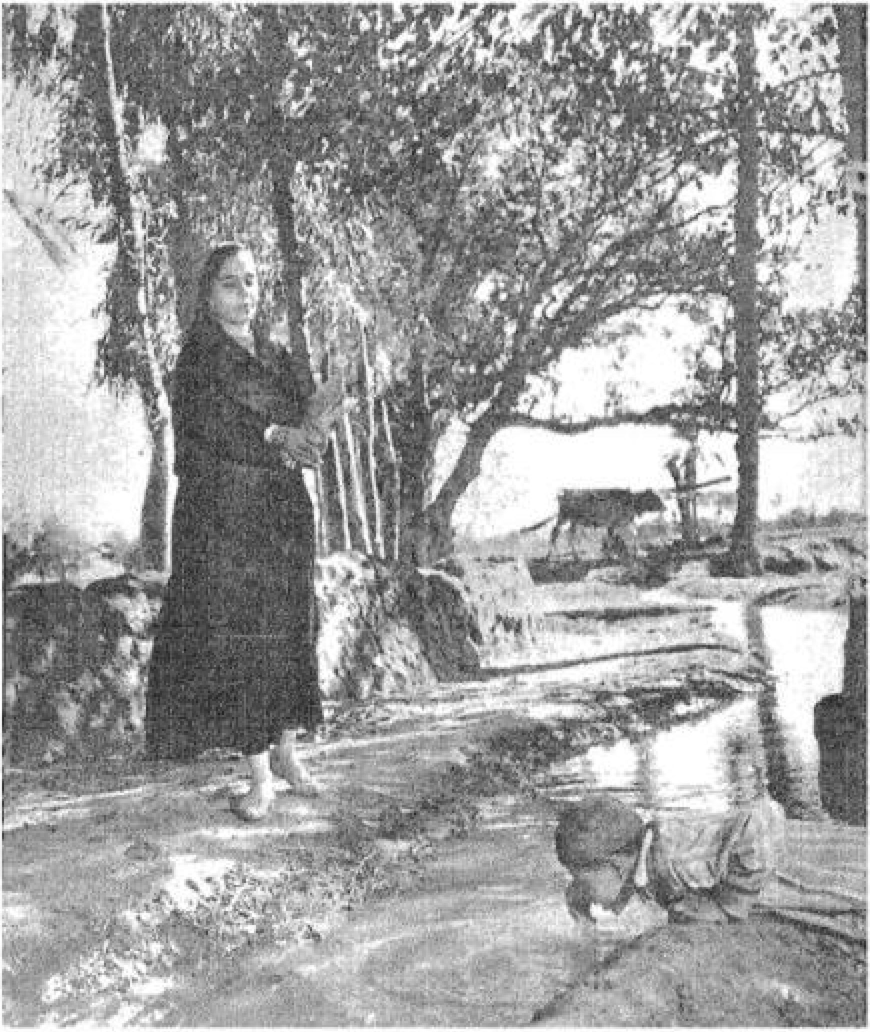


والتدريس احد مهام الفلاحة الجديدة . وهو نظرى وعملى فى ان واحد . ان الفلاحة الجديدة تشعر كل طفل وكل طفلة انها تعنى به او بها عناية خاصة

وتقوم الفلاحة الجديدة بتدريس جميع المواد ، فهي قد وصلت الى درجة عالية من الثقافة ، وهي ايضا ترغب الاطفال في الدراسة باحدث طرق التربية .. !



وميدان التربية لا ينتهي داخل اسوار المدرسة
انه يمتد الى ميادين ارحب من ذلك . ان هذا الطفل
انكفا على وجهه عند احدى الترع ليشرب ، ولكن الفلاحة
ادركته في اللحظة الحاسمة وبينت له مضار فعلته .. !







ولا ينتهي عمل الفلاحة الحديثة خارج بيتها . ان داخل البيت يبدأ عمل جديد ، ان الاستاذة تنقلب الى ست الدار من الطراز الاول ، والدار لها مطالب كثيرة

ولا تخص الفلاحة الحديثة الاطفال والكبار بعنايتها وبشرات تعليمها فحسب ، انها لا تنسى اشخاصا آخرين لهم دور ايضا لسعادة الفلاح .. انها تقوم على طلباتهم ! ...

وبيت الفلاحة الحديثة يعتبر نموذجا حيا لما سيكون عليه بيوت الفلاحين . انها تهتم بنظافتــه ، وترتيب أثاثه .. بالضبط مثلما تهتم باداء فــروض العبادة .. !



وعندما يأتى المساء ، تنتظر الفلاحة الحديثة اعمالى اخرى . انها تساعد اخوتها الصغار فى استيعاب دروسهم وتوجههم الوجهة الصحيحة



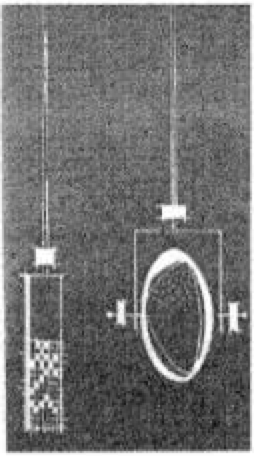


والفلاحة أخيرا تقسم واجباتها بالعدل والقسطاس فكما أنها تهتم بأخوتها الصغار وترعاهم ، ولا تنسى أن « ترغلهم » .. فإن الطيور تحصل على حقوقها كاملة ، وتنتشي عندما تقوم هذه الفلاحة الرشيقة «بترغيطها»..!



نظمي لوقا :

نقد التليفزيون



من الطف الاشياء التي يعرضها التليفزيون بلا شك بعض مشاهد من « أيام زمان » . والنموذج الطريف التام لهذه اللوحات البارعة تلك الحلقة التي كان موضوعها « حلاق الصحة » .. فقد اكتملت عناصر النجاح الفني لهذه اللوحة التمثيلية على مستوى فني مرتفع حقا ، من حيث التأليف المحبوك ، والتمثيل الممتاز ، والاخراج الذي يصور الجو ... ذلك الجو الذي عاشه آباؤنا وأجدادنا ، بل لعله على الارجح كان جو معاصرينا في هذا الجيل من سكان الريف ، قبل أن تعمم الوحدات الصحية ومبادىء العدالة الاجتماعية التي تقرر حق العلاج لكل مواطن، وحق العلم – الذي هو نور – لكل مواطن أيضا

ولا يوجد مقياس أدل على الشوط البعيد الذي قطعناه في سنوات لا تعتبر شيئامذكورا في أعمار الامم من تلك الغرابة التي تعترونا وتجعلنا نضحك ساخرين من قوم يفلح حلاق الصحة الدجال في الاستيلاء على عقولهم ويفشل الطبيب المتعلم في اقناعهم بالفحص العلمي والعلاج الطبي ... مع أن هذا الواقع المضحك لنا هو بعينه الواقع الذي شهدناه وشهده أبناء جيل في صباهم في بيئات الحواضر نفسها ، فما أكثر ما ينسب الى « العين والنظرة » ما هو من عمل الميكروبات وحدها! وكم أشعلت لنا أمهاتنا في طفولتنا المواقد بالفحم أو « قوالح » الذرة لتحرق احدى العجائز تلاوة الرقى وتبخيرنا واحراق الشب والقاسونج لدفع الحمى عنا ، بدلا من اللجوء الى الطبيب والصيدلي ، ما لم تبلغ الروح التراقي ! ...

والحق أن « رأفت فهيم » كان ممتازا للغاية في اداء شخصية الحلاق العتيد، وأغلب الظن انه درس الموضوع على الطبيعة دراسة وافية

ولا شك في أن التليفزيون يحسن صنعا بالاكثار من هذه الوثائق الاجتماعية الحية ، التي تجمع بين المتعة الفنية والفائدة الاجتماعية

***

وبمناسبة الوثائق الحية تذكر « الفضل للتليفزيون ذلك الفيلم التاريخي الممتاز عن فوهرر المانيا السابق ادولف هتلر ولعسب أن أهميه لتذكير الناس بويلات المطامع العسكرية وما تجره على الغالب والمغلوب على السواء هي التي دعت التليفزيون الى تكرير عرضه في أيام متقاربة على الشاشة السحرية الصغيرة

وانه لمما يسترعي نظر المهتم بشئون الفكر وأطوار السلوك البشري أن يشهد اجماع الناس من المشاهدين من جميع الاعمار على بغض هذه الشخصية التي جنت بمطامعها المتعصبة ما جنته على البشرية جمعاء . في حين أن هذا المخلوق نفسه كان في وقت من

الاوقات بجيــــد من الانصار المتعصبين له ، بلا عقل ولا تحفظ ، ملايين وملايين ٠٠ من بين هؤلاء أنفسهم ٠ بل لقد سمعت بنفسي ابان الحرب العالمية الثانية من يضفون عليه من هالات التمجيد ما يرفعه في نظرهم ـ على الحقيقه لا على المجاز ـ الى مرتبة أولياء الله الصالحين !

ومرة أخرى قدم التليفزيون لنا أدل مقياس لما طرأ على عقليات الناس في عشرين سنة من تغير ضخم ، من النقيض الى النقيض

وما من شك أن وسائل الاعلام المصرية ـ وفي مقدمتها التليفزيون وان كان احدثهمــا سنا ـ هي صاحبة الفضل في شيوع هذا الوعي الهائل على المستوى العالمي بين طبقات الناس عامة

ـ وهو السؤال الذى أثارته المذيعة مع المدرسة الانسانة الانسه « روضي » ـ بل المهم قطعا في المقام الاول هو أن هذا التدريب من شأنه أن يفتح نافذة مضيئة في عالم الظلام الدامس الذى يعيش فيه هؤلاء العاجزون ، أو هؤلاء « المستطيعون بغيرهم » ، فليس شيئا هينا للاعمى أن يجد نفسه قادرا على الاتجـــاه والحركة بحرية لا على الارض الصلبة ، بل في الماء !

هذا الموضوع جدير بمزيد من تســـليط الاضواء على مغزاه الانساني وأهدافه السامية ، والآنسة « روضي » تستحق بلا شك كل تقدير على هذه الروح العالية التي تبديها نحــو المكفوفات ٠٠٠ وتستحق أن تكون قــدوة لمدربين من الذكور يقدمون للمكفوفين الرجال



اماني ناشد . .
وايام زمــــان



ادولف هتلــــر . .
والوثائق التـــاريخية

خطوة أخرى الى الامام نحـــو وعي عالمي مستنير ٠٠٠

***

واذا كانت هذه الخطوات الجماعية نحـــو سعة الافق جديرة بالتسجيل والتنويه ، فلا شك في أن ثمة خطوات أخرى لا تقل عنهـــا روعة وخطورة ٠٠٠ خطوات نحو احســـاس انساني أعمق

لقد شهدنا على الشاشة الصغيرة ذلك العمل العجيب الذى تقوم به شابة طالبة في معهـــد التربية الرياضية ، وهو تدريب مجموعة من الكفيفات على السباحة ٠ ليس المهم هــــل سيؤدى ذلك الى اقامة مسابقات في السباحة للكفيفات ام لا ؟ وهل يفزن ببطولات عالمية ؟

مثل هذا الاشراق النفسي ؟

***

وثمة موضوع آخر يستحق مزيدا من تسليط الاضواء عليه أيضا لغاياته الاجتماعيه البعيدة المدى في مجتمعنا الذى يسير في "التصنيع" واستقلال المرأة خارج "البيت" بخطى واسعة جدا ٠٠٠ وأعني به موضوع « بنك لبن الامهات » الذى قدمته الدكتورة نوال السعداوى بطريقة سريعة جدا في « لقاء كل يوم » مع المذيعة « أماني ناشد » ٠ فالمشكلة تزداد لدينا تعقيدا بالنسبة للموظفات ، ولا سيما المدرسات ـ والعاملات عموما ٠٠٠ وتستحق منا مزيدا من التوعية والدعاية ٠ "كي يتقبلها" الناس على نطاق واسع حتى نرغب الدولة في تنفيذها وقد فهمنا أنها تنوي ذلك في وقت قريب



الحصن الكبير

قصة: محمد عبد الحليم عبد الله

لم اكن اتوقع ان هذا اليوم سيكون مشحونا بالعواطف وانا مهما امتد العمر بنا تستطيع حادثة صغيرة ان تعود بنا الى الوراء عشرات السنين فنعيش العمر كله في واقعة يعيشها غيرنا. ويستبد بنا الشعور حتى يتلاشى الاحساس بالذات . وهذا هو ماوقع لى صباح امس وانا ارتدى ملابسى للخروج الى عمل ساعة الصباح وفى الحجرة المقابلة المفتوحة الباب حوار مبهم يأتى الى بعضه ويغيب عنى معظمه.. كان قائما بين ابنى وزوجتى تتخلله احيانا ضحكات من الام وحينا صوت تهديد .. وفى لحظات اخرى

كنت اسمع صوت [illegible] مستعطفا .. رقيقا حنونا يلين الحجر . وفى لحظة تالية كنت اسمعه [illegible] متحمسا تشوب حماسته [illegible] من يستعد الى الحرب للمرة الاولى

أما أنا فكثيرا ما كنت اقف امام المرآة وانسى نفسى .. امس الاولى البس لاذهب الى عملى .. كان ذهنى كان يتابع الحوادث فى الحجرة القريبة . ثم انتهيت من عمل تشكيل ما ، وجلست فى الصالة انتظر ابنى وانا احملق فى عداد [illegible] و « مسبحة » نسيتها امى على احد الكراسى من الليلة الماضية

وخرجت من الحجرة البعيدة فى



الشقة زوجتي بملابس البيت وهي ممسكة بذراع ابني . وقابلتهمـا بنظراتي وانا اتأهب للقيام وانظرفي ساعة معصمي بقلق حتى لا اتأخر عن عملي . وكانت زوجتي تكتـم ضحكها وكان ابني يحبس دموعه ولو انني لاحظت على أحد خديهقطرة من الدمع مثل حبة من الندى نسى ان يمسحها قبل خروجه

وامتـزجت في تصرفاتي الصرامـة بالحب والقسـوة بالحنـان في الوهلة التي مددت يدي الى ابني لنخرج معا. ورفع الى عينيه وهو جامد لايتحرك ووضع يديه الاثنتين في جيبيه ولم يتحرك . كنا واقفين عند الباب نؤلف نحن الثلاثة دائرة ان امكن ذلك . ورايت في عينيه السوداوين توسلا لم اره في حيـاتي احسست ان قلبي قد استجاب له الف مرة ولو أن الحياة ترفضه



بعنف . وعضت زوجتي شـفتها بأسنانها في أزمة عاطفية وتركتنـا ودخلت . وبقيت أنا وهو وجهـا لوجه .. عيناه ترسلان توسـلا يستجيب له قلبي وترفضه الحيـاة وكل ملامحه تنذر بقرب البـكاء . وبدا الضعف والقوة على وجه الطفل في هذه اللحظة كسلاح جارح يدعونا لان نقبله . وناديته فلم يـرد . ومددت اليه يدي فلم يمد لي يدا ، فاخذت أتأمل فرحة الامس وفرحة اليوم . عندما ذهبت أنا وهو لشراء الملابس الجديدة اللازمة للمدرسـة وكان يلبسها كل يوم مرتين ويقف أمام المرآة ويتبختر في فرحة انتظار العيد . « المريلة » ذات الحزام ، والقميص الابيض .. كانت كل هذه الاشياء بالنسبة اليه فاتنة جداحتى امس . اما في هذا الصباح فقـد صارت مثل عدة الحرب

وناديته مرة ثانية فلم يرد . فقلت له لكي اغريه :

ـ الا تحب ان تكون رجلا مثل بابا وتلبس البنطلـون وتحمـل ساعة ؟

أثرت في نفسه هذه الاماني التي طالما تمناها طوال الصيف على أمل ان تفيدني في حل الازمة ويتحرك للذهاب الى المدرسة لاول مرة في حياته . لكنه انكر كل هـذا في عناد . وأعدت عليه السؤال فهـز رأسه نفيا . فقلت له :

ـ كل الاطفال يذهبـون الى المدرسة ليكبروا وكل طفل لا يذهب الى المدرسة لا يكبر ابدا . يظـل طفلا صغيرا قصيرا طول العمر . ومسـتحيل ان يلبس البنطلون الطويل مثل بابا . فما رايك ؟

وهنـا بدا التفكير في عينيه السوداوين . وحرك شـفتيه ولم يقل شيئا . ومد لي يده في صمت فاتجهنا الى البـاب وكانت امه متوارية في احد الابواب تنظر من

فتحته الحـوادث الكبيرة !! ... بالنسبة للطفل .. اما امى فكانت لا تزال نائمة لان آلام الروماتيزم ارقتها طول الليـل . وفى اللحظة التى كنا نتجه فيها الى الباب .. جاءت من الداخل صيحة ملهوفة من امى :

ــ احمد .. احمد .. هل خرج احمد قبل ان اراه ؟!

وفى هذه اللحظة تهـاوى كل البناء . فانسكبت الدموع التى كانت واقفة فى عينى الطفـل ، وهتف من خلال شهقاته بطريقة اشعرتنى انى اشهر سلاحا قاتلا فى وجه ولدى ، هتف احمد :

ــ الحقينى .. يا .. يا نينة

ثم امسك فى كرسى ثقيل لايريد ان يتحرك

وجاءت من الداخـل زوجتى مستغرقة فى ضحكة هنية صافية ، فحملت الطفل الى جدته التى لا تستطيع مغادرة الفراش . وتبعتهما انا الى حجرة « المداولة » هناك حيث تنام امى . فوجدت احمد يبلل خدها بدموعه ويعدها هو .. هو شخصيا بالحلوى والشوكولاتة .. فلما أحس ان جدته تراوغه نظر الى بعينيه السوداوين كمن يفكر . وما لبث ان اشـاح عنى ببصره حين رأى الامل مفقودا عنـدى وصعد الى فراش جدته وطـوق عنقها ثم اكب على اذنها يهمس لها بما لم نسمعه . همسـات كانت تقطعها الشهقات استغرقت بعدها امى فى ضحك شديد واحتضنت الطفل تقبله حتى كادت تكتم أنفاسه ثم باحت لنا بالسر من خـلال دموعها وضحكها :

ــ سيفعل لى ما عجز ابوه عن فعله . سيدفع لى نفقات الحج . بشرط الا ادعكم تذهبـون به الى المدرسة

وامسكت انا بيده واتجهت به الى الباب . وهناك قبل اللحظة الحاسمة .. قبل ان تقفـل وراءنا باب الشـقة الـذى يمثل عالمه بأسره . طلب منى ان يقبل امه . وكنت متصورا ماذا سيحـدث لكننى لم اجد مفرا من التسليم وما لبثت القبلة ان تحـولت الى عناق أشبه بالحصار الذى لا يفك ، واملى الطفل علينا شروطا جديدة هى ان تذهب امه معنا .. لابد ان نذهب الى المدرسة نحن الثلاثة . وبدأ يسكب دموعه فى صمت . فى استغراق الكبار حين يعتقدون ان الحديث عن المأساة معاد وانه لاشىء يجدى الا الدموع

***

ودخلنا الى الصالة ولبسـت امه لتخرج . وامسك كل منا بكف من بكفيه الصغيرتين وسار بيننا يتلفت .. ينظر الى الحوائط كان عليها رسوماً لا نراها . وعند باب الشقة وهو بينى وبين امـه وقف من جديد ونظر الى الداخل ولمعت نظراته بمعـان كبيرة . كبيرة بمقياس الاحساس وكبيرة بمقياس السن ، ونادى احمد مثل رجـل

مكتمل الرجولة بصوت مرتفع شرخته الدموع . نادى على امى وهو واقف بينى وبين امه :

ــ نينه .. نينه

فجاء ردها من الداخل :

ــ نعم يا حبيبى ..

فرد والغضب يملأ نبراته وقسماته ، وباعلى صوته :

ــ انا مخاصمك .. مخاصمك

فلم ياتنا رد . فنظر الى وجهى ثم الى وجه امه . وقال باصرار شديد :

ــ ياللا باه

***

وخطا الى خارج الشقة بين ابويه . واقفلنا وراءنا الباب .. باب شقتنا فى نظرنا وباب العالم فى مقاييس الصغير . وكان يخبط الارض بحذائه فى كل خطوة كأنه يؤكد لنفسه أنه يتقدم ..

لم نكن نتكلم . لا انا ولا هى ولا الطفل . كان الصمت اضمن بلا ادنى شك . وكنت واثقا ان المشكلة لم تنته بعد .. ستتجدد المتاعب عند باب المدرسة

لكن الذهول الذى كسا وجه الطفل من المجموع الذى كان يطن كالنحل فى الخلية لم يترك له فرصة للخوف ولا الاحتجاج ولا الهرب ولا مجرد الكلام . نعم . واعترانى احساس مثل احساسه وانا اخوض بين هذه الازهار واتأمل وجوه بنين وبنات سيمسكون بدفة المستقبل حين أكون انا وامه وجيلى وجيلها فى فراش الشيخوخة

وسمعنا اطفالا تبكى .. لكن الغريب فى الامر ان احمد كف عن البكاء . لم استطع أن استكشفه حقيقة نفسه وهو يغالب نوازعه . لكننى ادركت ان شيئا واحدا هو الذى الجاه الى هذا الموقف .. وهو ان حصنه الكبير كف عن الدفاع . جدته .. اسلمته بيدها للمدرسة على الرغم من تكفله لها « بكل الطلبات » !!

وعندما دخل باب الفصل قبلناه انا وامه . وكان هو صامتا . تبادلنا الموقف . تحولنا نحن الى اطفال .. وكادت دموعنا تغلبنا .. فحاولت انا الون الموقف بلون مفرح فسألته :

ــ هل تريد شيئا يا احمد ؟

فهز رأسه بكبرياء من سئم من نفاق الناس . وقال هامسا :

ــ لا ..

ــ عال .. مع السلامة ..

وضحكنا وعيوننا تدمع انا وزوجتى

وهناك فى المكتب سألنى رئيسى :

ــ لماذا تأخرت ؟!

فقلت له مبتسما معتذرا :

ــ كنت انقل اسم ابنى من دفتر لدفتر

فزاد وجهه استفهاما . فاستطردت :

ــ كنت انقل اسمه من دفتر غير المسئولين .. الى دفتر المسئولين . لقد دخل باب الحياة من باب المدرسة .. يا سيدى

صالح جودت:

الشاعر اللص..!



صورة نادرة للشاعر اللص لبيكاسو

هل كان أبوه من أسرة محمد على..؟!

لم يستطع اكثر المؤرخين للادب أن يجزم بامر قاطع فى حقيقة قيس بن الملوح ، وحبيبته ليلى العامرية ، وهل عاشا حقيقة على الارض فى حقبة من حقب الزمان ، أو أنهما لم يكونا الا شخصيتين اسطوريتين ابتكرتهما أسماء الادب واضاف اليهما السمار جديدا على مر العصور..!

ومهما يكن من أمر ، فان كثيرا من الشخصيات الادبية التى عاشت على الارض بقينا ، قد عاشت عيشة اسطورية فسحت المجال لصادقى المؤرخين وكذابيهم على السواء ان يرسموا لهذه الشخصيات صورا يلعب فيها الخيال الاعيبه الواسعة ، كما حدث فى التاريخ لابى نواس ، الذى اتاحت حياته الاسطورية ان ينسب اليه الناس فى كل جيل حكايات وحكايات لعل الرجل لم يأتها ولم يسمع بها فى حياته

واكثر من ذلك ، ما احاط بسيرة عمر الخيام بعد وفاته ، وما لفق الرواة له من رباعيات تجاوزت الالف ، يبتما رباعياته اليقينية التى

لتجاوز المائة الا بقليل

من هذه الشخصيات التى اشت حياتها الاسطورية فى هـذا القرن ، الشاعر الفرنسى **جيوم ابولينير** .. او الشاعر اللص .. كما يسميه بعض المؤرخين .

ذلك لان سرقة من اكبر السرقات التاريخية اقترنت باسم هـــذا الشاعر

انها لم تكن سرقة ادبية ..

انه لم يسرق فكرة ولا خيالا من شاعر آخر .. وانمـا الذى قيل ، انه سرق لوحة « الموناليزا » الخالدة ، والقى القبض عليه ، وزج به فى السجن ، سنة ١٩١١

***

وقبل ان نخوض فى هذه القصة ، نقول ان ابولينير كان شاعرا وناقدا من عمالقة الطليعة فى عصره ، ثائرا متمردا على الاوضاع الادبية الشائعة يومئذ ، مقدما على عالم الشعر بتجربة جديدة فى تاريخ القصيدة الفرنسية ، تساير الحركة التكعيبية « الكيوبيزم » الناشئة فى مجال الفنون التشكيلية فى ذلك الحين

وهذا ما وصل حياته بحياة الفنانين الثائرين فى ذلك العهد ، من امثال بيكاسو وماتيس وبـراك ، فتصاحبوا على انقلاب ، وانطلقوا فى بوهيمية مغرقة ، وآمنوا بانهم يستطيعون قلب اوضاع المجتمـع راسا على عقب

***

والحقيقــة ان ابولينير كان من المؤمنين بالصعلكة الفنيـة ، وكان يدمن تعاطى الافيون ، ولكنه لم يكن لصا ، ولا هو سارق لوحة الموناليزا .. وانما هي تهمة علقت به يومئذ

اما الســارق الحقيقى ، فقــد اهتدت اليه العدالة بعد ذلك ، وهو نقاش ايطالي يشتغل بطلاء انبيوت

فكيف علقت التهمة بابولينير ؟

قصــة ذلك ، انه كان لابولينير وصاحبه بيكاسو صـديق عابث ، دخل الى متحف اللوفر بباريس ، وسرق بضعة تماثيل صغيرة ، لا لغاية السرقة ، بل لمجرد الشطارة ، واخفاها عند صاحبيه ابولينير وبيكاسو

وقع هذا الحـادث ، فى نفس الوقت الذى وقع فيه حادث سرقة الموناليزا من متحف اللوفر

وجـلس الاصـدقاء الثلاثة يتضاحكون من فعلتهم شطرا من الليل

ثم انصرف ثالثهم ، ســارق التماثيل ، وتركهما وحدهما ، مع التماثيل المسروقة ، فذهبت السهرة وجاءت الفكرة ، واشفق ابولينير وبيكاسو من مغبة اخفاء هــذه المسروقات ، ولا سيما ان الخواطر كانت ثائرة فى المدينة من اجل اختفاء الموناليزا من متحف اللــوفر ، والبـوليس الفرنسى هائج مائج يبحث عنها فى كل ركن من اركان باريس

ووضع ابولينير وبيكاسو مجموعة التماثيل الصغيرة فى صـندوق ، وسارا به فى شوارع باريس المظلمه طول الليــل بفرائص مرتعدة ،

يتساءلان هل يلقيان بالصندوق في مياه نهر السين ، أو يلقيان بنفسيهما في مياهه الباردة ويتخلصان من هذا القلق .. الى الابد ؟!

على انهما لم يقويا على هـــذا ولا ذاك ..

واخيرا ، حمل ابولينير الصندوق، وذهب الى متحف اللوفر ، حيث سلمه الى امنائه الذين اسلمــــوه بدوره الى رجال الشرطة

واحتجزته الشرطة خمسة ايام على انه لابد ان يكون هو ســـارق الموناليزا

ثم اطلق سراحه بعد ان ظهـــر النقاش الايطالي

وخرج ابولينير من السجن، لينظم ستا من انفس قصائده في وصف هذه التجربة القاسية ، ومالقى فيها من قسوة الشرطة

***

كان ابولينير انقلابا في القصيدة

والواقع اننا لو تعمقنا في حياة اى شاعر انقلابي — كهؤلاء الذين يكتبون الشعر الجديد .. مثلا — لوجدنا في اعماق حياته سرا عــن بالتمرد على كل وضع قائم ، نتيجة للسخط ، وشعورا بالمرارة ، ورغبة في الانتقام

هذا الشاعر ، ابولينير ، مثلا ..

ما سر حياته .. الذى جعل منه شاعرا انقلابيا ؟

لو اننا راجعنا قصة طفولته ، كما رواها الاديب الامريكى المعـروف **فرانسيس ستيجمولر** في كتابه الذى ظهر اخيرا عن حياة ابولينير، لكشفنا الستارة عن قتامة هذا السر

ولد ابولينير — واسمه الكامــل كما جاء في وثيقة مولده: جو جييلمو البـرتو فلاديميرو اليســاندرو ابولينير كوستروفيتسكى — في مدينة روما سنة ١٨٨٠

ولد سفاحا ، من اب مجهول ، وأم جميلة ، بولندية ، تعيش من تجارة الجسد

وكثيرا ما كان ابولينير في طفولته يسأل امه من يكون ابوه ، فتقول له انه كان من النبلاء ، وان الدم الازرق يجرى في عروقه

ويسألها مزيدا من التفاصيل .. فلا تزيد على قولها :

— ان اباك هو ابو الهول !

ترى ماذا كانت تعني هذه المرأة وهي تقول لولدها انه ابن ابى الهول ؟!

أكانت تعنى ان اباه واحد من امراء مصر الذاهبين ؟

يجوز .. ويجوز لا .. !

ومهما يكن من أمر ، فقد عاشت هذه الحقيقة — بنوة السفاح — تعذب الشاعر ابولينير أشد التعذيب، الى حد انه كان كثيرا ما يقف في المرآة، وينظر الى نفسه في ســـخرية ، ويقول :

— انك ابن ليلة واحدة !

***

ومن ذكريات شبابه المر، انه عاون امه — وهو ابن تسعة عشر عاما — على اختلاس حصيلة ثلاثة اشهر من رزق صاحب فندق في بلجيكا

وفي سن العشرين ، أحب مربية انجليزية ، وعرض عليها الزواج ، فرفضت يده الممدودة اليها فثارت

ثائرته ، وكانا واقفين على شرفة جبل مطل على البحر ، لهددها بأن يلقى بها من هذه القمة الى الماء ، ان هى أصرت على رفض يده
وفزعت المسكينة .. وهربت منه
وزادت من فزعها بعد ذلك تصرفات كثيرة بدرت منه ، تنم عن جنوحه الى الشر ، منها انه ارسل اليها ذات يوم بطاقة بريد عليها عبارة مطبوعة من اقوال أوسكار وايلد، تقول : « ان الرجال يقتلون الاشياء التى يحبونها » !
ولم تجد المسكينة ـ بعد هذا الذعر الذى الم بها من جراء سلطتها به ـ بدا من ان تهرب بعيدا عنه .. الى انجلترا
ولكنها بعد ان وصلت الى انجلترا اشفقت من ان يتبعها ، فهاجرت الى ولاية كاليفورنيا الامريكية ، تلتمس النجاة من شاعرها المجنون

***

وجلس الشاعر فى وحدته ، بعد فرار حبيبته ، ينظم قصيدة حزينة عنوانها « أنشودة الحب الشرير » .. وهذه القصيدة مزاج من الروح الغنائية ، والحديث الوصفى الواقعى الجاف ، وهى من القصائد الانقلابية التى لعبت دورها فى مجال القصيدة الفرنسية فى عصر أبولينير ..
واليكم مقطع من مقاطعها :
« ليالى باريس كلها ثملة .. تشرب الجن
« وتنام على ضوء مصابيح الشوارع



ابو الهول
هل تزوج امه ؟!



الجوكوندا
هل سرقها ابولنير ؟!

« وعربات الترولل .. هذه الآلات المجنونة ...
« تطلق شرارتها الخضراء .. وتصرخ كصراخ الملكات »

***

عاش أبولينير فترة شبابه ، ما بين سن الرابعة والعشرين والحادية والثلاثين ، عيشة فوضوية ، مصدرها عقدة الغربة وبنوة السفاح وكان مصدر رزقه فى هذه الفترة

ممارسة الكتابة الجنسية المكشوفة، فى سلسلة عنوانها «أساطين الحب» .. ومطالعة الناس بالوان وقوالب متمردة من الشعر ـ كالشعر الجديد عندنا ـ والقصص الماجنة الحافلة بالثوريات الغريزية

وعندقيام الحرب العالمية الاولى، التحق بالجيش الفرنسى ، وماكان لزاما عليه ان يلتحق به ، فهو اجنبى غير ملزم بالخدمة . ولكنه فعلها .. وسجل عدة بطولات فى ميادين القتال ، الى ان اصابته شظية فى راسه

وكوفىء على بطولته بمنحه الجنسية الفرنسية ، ووسام صليب الحرب

***

ويقول ستيجمولر ، كاتب سيرة ابولينير ، انه بعد ان درس جميع التفاصيل التى استطاع ان يقع عليها من حياة هذا ، لا يستطيع ان يجزم هل كان صاحبه بطلا برم بالحياة، أم انه كان مجرد وحش عبقرى على ان المسافة بين هذين الوصفين ـ لو تاملناهما مليا ـ واهية كالخيط الرفيع

اما الذى لاشك فيه ، فهو ان جنون الفن كان فى اعماقه

تقول الرسامة الفرنسية مارى لورانسان ، التى عاشت معه اربع سنوات فى قصة حب غير عفيف ، انه كان رجلا غريب الاطوار

كان يحب ان ينام فى مخدع نظيف . ولهذا ، فانه كان لايقربها على المخدع ، بل على اى كرسى فى الغرفة ، حتى يبقى المخدع نظيفا لم يمسسه سوء !

***

ومهما يكن من أمر ابولينير .. ومهما تكن قيمة شعره .. فان فضله على القصيدة الفرنسية ينحصر فى انه عرف ان الثورة العلمية التى عاصرها قد اسقطت كثيرا من تعبيرات الشعر السابق واخيلته .

وحتى لا يقع الشعر فى هوة النسيان التى طوت الكثيرين من الشعراء المعاصرين له ، شحذ ابولينير قريحته ليستحدث فى الشعر لغة محكمة تساير الزمن ومجموعة من الصور التى تواكب عصر العلم الذى يتهدد كيان الشعر

***

هذه النظرة لابولينير نحو الاشفاق على مصير الشعر فى عصر العلم ، تستدرجنا الى الحديث عن شاعر وناقد آخر ، جاء الى القاهرة فى العام الماضى ، وحاضر فى جامعتها، والتقينا به لقاء فى جمع محدود من الادباء ، بنادى القصة ودارت بيننا وبينه احاديث مطولة ومناقشات عميقة حول مفهوم الشعر

انه الشاعر الناقد ، ستيفن سبندر

وقد اصدر ستيفن سبندر منذ اسابيع كتابا عن فن الشعر ، اسمه « كفاح الحديث » The Struggle of The Modern

يقول سبندر فى كتابه هذا ان صوت الشاعر فى الاجيال الماضية كان يشبه هدير البحر .. اما

اليوم ، فانه خفت ، واصبح اقرب ما يكون الى همس الجداول

ثم يضيف : ان الشعراء في هذا العصر يتكلمون باصوات ناعمة ، الى حد انها لا يكاد يسمعها أحد

وهو يعلل هذه الظاهرة بان الشعر قد واجه اياما عصيبة في أواخر القرن الماضي ، وتكاثرت حوله الظلمة في هذا العالم المظلم ، ورسم العلم للكون صورة مضطربة ، ليس فيها شيء ثابت يوحي بالتشبيهات الحلوة والخيال الجذاب ، بعد أن اهتزت صور الرموز الشعرية التقليدية كالبيت والجواد والكنيسة والدولة

وقد مضى الشعراء في مواصلة رسالتهم التي تصور قلق عصرهم ، وبالغوا في تصوير هذا القلق ، مما يبدو في قصائد « ييتس » الاخيرة .. وفي قصائد « الارض الخراب » لاليوت .. وغيرهما من الشعراء الذين صوروا المحنة العالمية

وحينما تجملت الحياة اخيرا — رغم الحروب — تراجع الشعراء عن سوداويتهم ، واصبح تعبيرهم اكثر تواضعا ، وشعرهم أقل اثارة . كما انهم لم يستطيعوا ان يضربوا بشعرهم في آفاق واسعة

وسر هذا ان الطلائعيين المجددين في الموسيقى والفنون التشكيلية لا تحدهم اية حدود ، لان هناك من مواد الشكل والصوت ما لا حدود له .. اما الشاعر فهو مقيد بنفس مادته القديمة ، وهي الكلمات

وقد وصل عازرا باوند واليوت وجويس ، بالكلمات الى آخر حد .. الى الحد الذي لا حد بعده ، بينما لا يزال بيكاسو وسترافنسكى يبهران العالم بمبتكراتهما .. وجعل اليوت يتراجع عن الحد التجريبي الذي بلغه في « الارض الخراب » وينكص على عقبيه الى اللغة التقليدية لشعر المسرحيات

***

والشعراء المحدثون — في راي سبنسر — قد اصبحوا آية في التواضع ، فقد حدث تصدع في قوى التخيل بعد ان طغت على هذا العصر كثير من القوى العاتية غير الانسانية

وهكذا اصبح الشاعر اليوم ، حين يخرج الى الناس ديوانا محدود الحجم من الشعر ، كمن يلقي بريشة في بحر لجي هادر ، وينتظر ان يسمع لها صدى !

***

واذا كانت القيم قد اختفت او تضاءلت اليوم ، فان مهمة الشاعر التقليدية هي ان يعاون على اعادة خلقها وبعثها الى الحياة

ولا يجوز له ان ينطوي في مخبأ عالمه الخاص ، بل عليه ان يحاول في انتاجه تشخيص العالم الخارجي الذي يخشاه

عليه — كما فعل الشعراء القدامى — ان يكتب مستخدما نفس المزاج من الامل والياس ، في وجه التاريخ

أخبار الموضة :

لك .. وله

في عام ١٩٦٤

بعد ان هدأت زحمة الاعياد .. بدأ خبراء الموضة يقدمون لك ياسيدتي مفاجأة جديدة ان هذه المفاجأة السارة هي الخطوة الحديثة التي اضيفت الى التصميمات المدهشة

ان موضة عام ١٩٦٤ ستكون « لك » انت و « له » هو ايضا .

ان زوجك او خطيبك سيقاسمك جهود خبراء الموضة في تصميمات ١٩٦٤

ان قطعة من فستانك او تايرك ستصلح لان تكون بالطو انيقا على جسم زوجك .. والعكس كذلك صحيح .. !





« لك .. وله » .. تتمثل في
هذا القميص من التريكو الذى
يلبسه الرجل. اماهى فتلبس
قميصا لنفس الفـرزة بلا أكمام

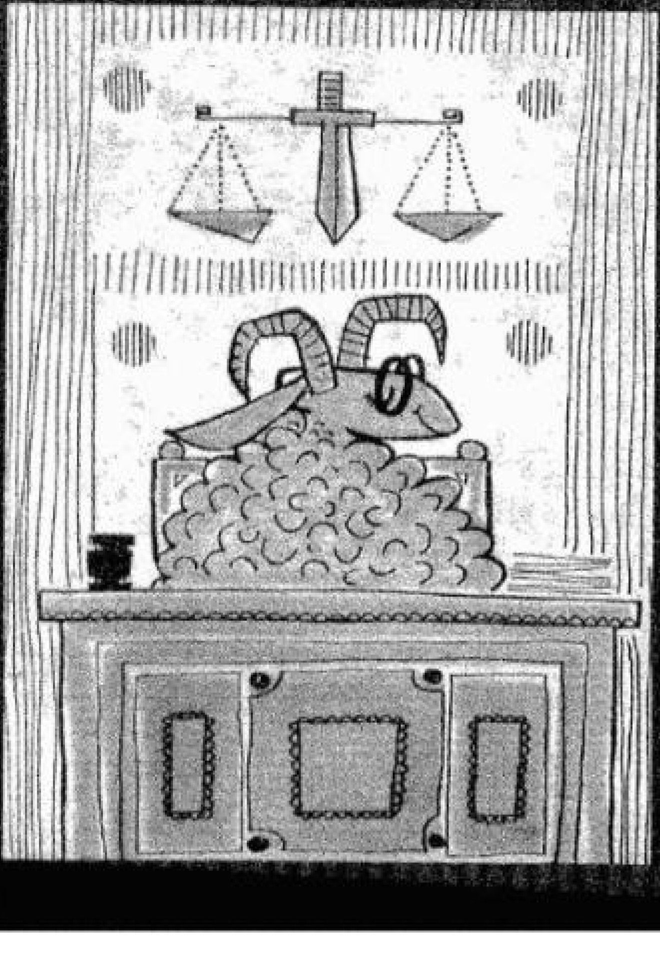
وقماش الوهم المربعات هنـا
.. يحدث نوعا من الانسجام
بين خطيب وخطيبتـه . انه
يصلح للخروج للنزهة ..



أحدث مجموعة من « البونيهات أو الكجوالات » .. صممها الخبراء في بداية العام وتناسب كل الأعمار . اختاري منها ما يناسبك ...

مسرحية: جون برلنديت

مأماة في المحكمة..!



هذه السيدة التي تقف معصوبة العينين وفي يدها ميزان : أهي مثال رمزي للعدالة .. أم هي في الواقع أكثر من تمثال ، وأكثر من رمز .. ؟

هل هذه العصابة التي تحجب عيني العدالة تمنعها من التحيز لأحد الطرفين ، أم هي تمنعها في بعض الأحيان عن تمييز الحق من الباطل .. بحيث قد تتحول عدالة المحاكم الى مجرد شكليات قانونية ، أو لعبة ذات قواعد صارمة ومعقدة تقوم على التحايل والتملص والمراوغة ؟

وهذه هي الفكرة المروعة التي يعالجها هذا الكاتب المسرحي الساخر في قالب الفكاهة التي تثير الضحك .. ولكنها بعد حين ترسب في النفس أكثر من علامة استفهام محيرة محفوفة بالأسى والمرارة

***

وتدور أحداث المسرحية في محكمة قروية بمنطقة الجبال الموحشة .. في سكوتلندا ، حيث تتباعد المزارع والنجوع وتتفرق بين المراعي المتناثرة مجموعات من الرعاة والصيادين والفلاحين من أهل الخشونة والسذاجة

ونفهم من السياق أن اليوم ، بعد نصف ساعة ، ستنظر قضية « ماك كالوم » ـ التاجر الريفي ومربي الاغنام ـ التي رفعها ضد أحد الرعاة الاجراء ، لديه وهو « روري » . وفي البداية نرى « ماك كالوم » يدور في ارجاء القاعة الفسيحة الباردة من الناس ، ويتناقش مع الحاجب ويسأله عن تفاصيل ما يجري عادة في جلسات المحكمة ، ويلمس كل شيء بيده : من مقعد القاضي المرتفع فوق المنصة ، الى المقعد المخصص للشهود . فهذا الرجل الذي جاوز الستين من العمر لم ير في حياته قاعة محكمة قبل اليوم . ثم هو يشعر بالغربة والوحشة لانه سافر أربعين ميلا في جو الشتاء القاسي ليأتي من بيته الى مكان المحكمة

ويلح عليه الحاجب في الذهاب الى قاعة الانتظار حيث تتأجج النيران في المدفأة فالقاعة خالية من وسائل التدفئة . ولكن الرجل العنيد يرجوه أن يتركه كي يألف هذا الجو الغريب عليه لانه يشعر وهو على هذه المسافة الشاسعة من بيته كما لو كان سمكة أخرجوها من الماء !

لم ندرك أن « ماك كالوم » يشعر بقلق مضاعف لان محاميه الذي كان المفروض أن يصل منذ ساعة من المدينة ، لن يصل اليوم .

فى «المعدية» البخارية هى وسيلة المواصلات الوحيدة بين هذا المكان وبقية اتحاد الدنيا . وهذه «المعدية» التى ركبها المحامى قامت العواصف فجأة هذا الصباح وحملتها بعيدا عن الشاطىء فلم تجد بدا من الرجوع من حيث أتت . وهكذا صار على المسكين الذى يدخل المحكمة لاول مرة أن يعرض قضيته بغير محام

ولفت نظره ما فى عريضة الدعوى من الفاظ غريبة عليه تتكرر باستمرار مثل عبارة « المذكور آنفا » و « المشار اليه اعلاه » . فأخذ يحاول حفظها عن ظهر قلب اعتقادا منه ان كل ما يلزم فى المحاكم هو حشو عباراته بهذه المصطلحات العويصة ، مضافا اليها « تحبيشة » أخرى من الجمل الاعتراضية وتعبيرات من قبيل « لا سيما » و « حيثما » و « عود على بدء » . ويشرع فى عمل بروفة لمرافعته يستخدم فيها اكبر كمية ممكنة من هذه الاساليب الفنية ، ويجعل من الحاجب فى هذه البروفة بدلا عن القاضى . ولكن «ماك كالوم» يخلط بين هذه الالفاظ كلها ، فيقول مثلا :

— المدعى عليه عود على بدء والخروف لا سيما . وموضوع الدعوى ربما

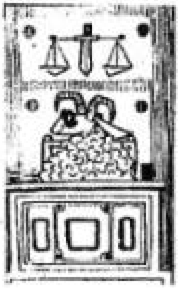
ويحاول الحاجب أن يصحح له اخطاءه ، ولكن « ماك كالوم » يكرر الاخطاء بصورة اخرى اقرب وادعى للضحك . مما يجعله يستشيط غضبا . ويقطع عليه بروفته دخول محامى الخصم الذى يطلب من الحاجب احضار «الروب» . وبينما هو يرتديه بمساعدة الحاجب يندفع « ماك كالوم » نحوه ويطالبه بثمن قماش بدلة من صوف التويد الازرق نسى ان يسدد المحامى ثمنه من اكثر من سنة

— عن اى شىء تتكلم يا عم ! انا لم ارك من قبل ! انا ماك كنتش المحامى

— طبعا طبعا . ولكنك تعرفنى تماما أنا « ماك كالوم » صاحب المتجر الصغير فى « اردنيس »

— اردنيس ! انا لم اذهب الى هناك طول حياتى

— بل كنت هناك منذ اكثر من



سنة عندما كان اسمك ماك فارلين .. وكنت تزعم انك من كبار صيادى « السالمون »

ـ انا لست صياد « سالمون » يامستر «ماك كالوم» . وليس اسمى ماك فارلين . ولم اذهب الى اردنيسن فى اى وقت من الاوقات

ـ انا لم اقل انك صياد «سالمون» . بل انت الذى زعمت ذلك حينئذ فانخدعت فيك وسلمتك القماش على أن احضر لآخذ الثمن منك فى الفندق بعد يومين . وبعد يومين كنت قد رحلت . والان اعطنى نقودى بالتى هى احسن

ـ هل هذه نكتة من نوع جديد؟

ـ لا يمكن أن تكون نكتة . بل هى عملية نصب سرقتنى بها والآن ..

ـ اتهددنى . اشهد عليه ايها الحاجب انه يتهمنى بالسرقة

ولكن الحاجب يلوح بذراعيه ويرفض الشهادة .

ـ حسبى ما اتكبده من ادخال الناس الى مقعد الشهود . أتريدنى ايضا أن القى انا نفسى فى ذلك المكان اللعين ! ابحث عن شاهد سواى

***

ويقف المحامى بباب قاعة الجلسة وينادى على موكله «رورى» فاذا رجل عجوز نحيل غائر العينين ولكنه لم يزل قوى البنية مع انه قارب السبعين . ويحيى «رورى» خصمه . فكأنه القى بصفيحة بنزين على جذوة مشتعلة ، فجعل « ماك كالوم » يسبه هو وآباءه واجداده ويؤكد ان محامى اللص هو لص المحامين . ثم يخرج من قاعة الجلسة غاضبا

وفى المشهد الثانى يتعرد «رورى» بمحاميه فى القاعة ، ويتركهما الحاجب لتجهيز بعض الاشياء قبل حضور القاضى . ويبدأ المحامى فى مناقشة « رورى » :

ـ انت مستعد طبعا لحلف اليمين على انك لم تقتل ذلك الخروف كى تضع من رأسه حساء لصديقتك العجوز الارملة مسز « ماك ألين » واختها ؟

فهرش فى مؤخرة رأسه وبدا عليه التردد :

ـ انا رجل متدين يا حضرة المحامى . ولا احب ان ادخل فى مثل هذه الورطة . وأفضل ان تجد لى حيلة لعدم حلف اليمين . وأن تخبرنى ماذا اقول فى شأن ذلك الكبش الذى قتلته !؟

ـ ولكنك قلت لى عندما وكلتنى انك لم تقتله !

ـ اسمع ! هذه الاغنام تصاب احيانا بامراض فظيعة بحيث تكون الرحمة كلها فى قتلها حتى لا تتعذب

ــ ليس هذا هو الموضوع . هل قتلت ذلك الكبش ام لا ؟

ــ لم اقتله طبعا . او ان اردت التدقيق جدا فمستر « ماك كالوم » لم يرني وأنا اقتله

ــ وماذا يمنعك من حلف اليمين ؟

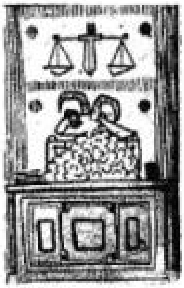
ــ انا رجل متدين كما قلت لك!

ــ وهل التدين لم يمنعك من قتل كبش الرجل وتقديم راسه المسلوق لصاحبتك واختها ؟

ــ التدين هو التدين يا حضرة المحامي . واليمين شيء محرم في الوصايا العشر . اما مسألة قتل الخراف واطعام لحمها للارامل فلم اسمع انه ورد عنها نص في الانجيل

ــ اسمع يا روري . ما لم تعدني بحلف اليمين فسوف تخسر القضية

ــ وانت الا تفكر في الاوراق المالية التي ستخسرها اذا انا خسرت قضيتي ؟



ــ انت واهم . فلابد لك من دفع اتعابي سواء ربحت ام خسرت، وبمجرد النطق بالحكم

ــ اعدك ان ادفع . بشرط ان تجد لي مخرجا من حكاية اليمين هذه

ــ انت عنيد كالبغل العجوز ! ان القاضي لن يسمع اقوالك الا اذا حلفت اليمين أولا

ــ اسمع . الدنيا برد . سأتظاهر اني مصاب بالتهاب في زوري يجعلني عاجزا عن اخراج صوتي

ــ ولو ! سيتلو القاضي اليمين وعليك ان تشير براسك علامة الموافقة والتامين

ــ وفي هذه الحالة اكون مخالفا للدين ؟

ــ كأنك تكلمت تماما بلسانك

ــ اذن ابحث عن مخرج آخر

ــ اسمع . انك في عنادك تبدو كالبغل فلماذا لا تتظاهر بانك بغل. كلما قال لك القاضي شيئا ما عليك الا ان تنهق . واترك لي الباقي . أو عندي ما هو احسن من هذا : انت لست بغلا .. انت خروف !

ــ خروف ؟

ــ نعم . ليس عليك الا ان تقلد صوت الخروف : « ماء . ماء . » كلما وجه اليك القاضي الكلام . واترك الباقي علي . ومما سيساعدنا ان محامي المدعي لم

بحضر . وان القــاضي أطـرش تقريبا . وان اليوم الثلاثاء

ـ الثلاثاء‌أهل ليوم الثلاثاء سر خاص دون سائر أيام الاسبوع ؟

ـ انا كثير التـردد على هـذه المحكمة واعرف ان القاضي لابد ان يلعب مباراة جولف كل يوم ثلاثاء قبل الغداء . ولذا سيكون متعجلا جدا ولن يلبث صبره ان ينفـد فلا يطيـل في مناقشـتك . واما « ماك كالوم » فـسـاعرف كيف اجعله يخلط في اقـواله ، وتكسب القضية

ـ عون الله !!

***

وفي المنهد الثـالث تتم فصول المهزلة اذ يملأ النـاس المقـاعد في الجلسـة ثم يقفون اجلالا عند دخول القاضي الذي يضع كفيه حول اذنيه كلما كلمه أحـد ، وهو مع ذلك لا يسمع الصياح الا بصعوبة

وبعد الاجراءات الشكلية يدعو القـاضي مسـتر « ماك كالوم » لبسط دعواه باحسن ما يستطيع مادام محاميه لم يستطع الحضور . وفي هذه الاثناء ينظر محامي الخصم اليه خلسـة ويتحسس بذلته فيكاد الشرر يخـرج من عيني « مـاك كالوم » ويتوعده بقبضة يده ويرتج عليه في الكلام من شـدة الانفعـال والغيظ

ويحسم القاضي الامر بأن يطلب اليه استدعاء الشـهود . وينادي الحاجب من باب القاعة على مسز ماك لين التي تؤدي اليمين الرهيبة ويشرع ماك كالوم في استجوابها . ويضطرهما القـاضي للصراخ كي يتمكن من سماعهما

س : هــل دعـاك روري انت وشـقيقتك الارملة ماك ايفـر على اكلة رأس من الضــأن وطبق من الثريد في ٢٨ مارس الماضي ؟

ج : نعم :

س : هل كان ذلك يوم الثلاثاء ؟

ج : نعم كان يوم ثلاثاء

ولا يعجب القاضي هـذا الكلام فيتولى بنفسه سؤلها :

س : قولي لنـا هـل كان يوم الثلاثاءالمذكور هو يوم ٢٨ مارس ؟

ج : لا ادري بالضبط ، ولكنه كان اليوم التالي لليوم الذي قتل فيه روري الخروف !

س : تمهلي ! تمهلي ! ليس لك ان تقولي شيئا كهذا . لانه لم يثبت بعد لدى المحكمة ان اي شـخص قتـل اي خـروف ! اجيبي على السـؤال فقط من فضلك . هل تعنين ان ذلك اليـوم كان اليـوم التالي لليـوم الذي قيـل فيه ان خروف مستر ماك كالوم قتل ؟

ج : قيـل ؟! ما هـذا الـكلام العجيب ؟ هذا الخروف طبعا قتل

والا كيف كان في استطاعته أن يقدم لنا راس الخروف من غير أن يذبح الخروف ؟

س : مفهوم مفهوم ! ولكن لا يجوز أن تقولي هذا . اجيبي عن اسئلتي فقط

ج : ولكن كيف يا سعادة القاضي كان من الممكن لروري أن يحصل على راس خروف الا من خروف ؟

س : اللهم طولك يا روح . انت تناولت راس الخروف مع روري يوم الثلاثاء ٢٨ مارس الماضي . هل هذا صحيح ؟

ج : كان يوم ثلاثاء على كل حال

س : اليس هناك شيء تتذكرين به تاريخ تلك الاكلة ؟

ج : طبعا. اتذكر اني في صباح ذلك اليوم رأيت روري يسلخ راس الخروف الذى ذبحه

س : ما علينا من ذبحه . ما تاريخ ذلك اليوم ؟

ج : انه غداة الليلة التى ذبح فيها روري الخروف !

س : انا اكتفيت . هل لديك اسئلة يا مستر ماك كنتوش ؟ لا ؟ اذن انصرف يا مسز ماك لين . وعليك انت يا مستر «ماك كالوم» أن تخبرنا بالقصة

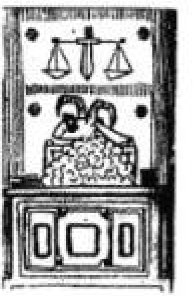
ــ وما أن يشرع « ماك كالوم » في الكلام حتى يضحك المحامي . فيترك ماك كالوم موضوع الخروف وما اعده له من عبارات قضائية يستعملها في غير موضعها وياخذ في التاكيد بان سيتقاضى منه ثمن الاقدام العشرة من الصوف

ولا يفهم القاضي شيئا وهو ينظر في ساعته

ــ لا تضييع الوقت يا مستر ماك كالوم ، الزم موضوع القضية وهو الخروف . ودعنا من حكاية الصوف

ــ ولكن حكاية الصوف اهم من حكاية الخروف . ولابد أن آخذ ثمن الصوف قبل أن آخذ ثمن الخروف

ــ من فضلك يا مستر ماك كالوم . انا فاهم طبعا ان الخروف لو عاش ستاخذ منه صوفا تقدر أنت الان طوله بما يكفي لصنع عشرة اقدام من القماش . ولكن موضوع الخروف نفسه سابق على موضوع الصوف



ـ لاوحياتك ياسعادةالقاضى ! فى هذه المرة موضوع الصوف سابق على موضوع الخروف

ـ انت رجل عنيد . سأوجه انا اليك الاسئلة . ام هل يتفضل حضرة المحامى بالاستجواب ؟

***

وينتهز المحامى الفرصة فيوجه اليه اسئلة ماكرة عن عملية قتل الخروف وهل رآها بعينه ؟ وهل كان الوقت ليلا ؟ وهل كان القمر طالعا ؟ ومن اجابات ماك كالوم يتضح أنه كان ينظر من ثقب الباب وان الوقت كان ليلا ، وليس هناك ضوء . وان ظهر رورى كان الى جهة الباب . ولكنه سمع صوت مقاومة الخروف التى يعرف جيدا انه بيديها فى لحظة الذبح . ويهز القاضى راسه ويقول :

ـ انت لم تر عملية ذبح ولكنك سمعت صوتا خيل اليك انه نتيجة ذبح الخروف . ولكن الا يشبه ذلك الصوت ما يحدثه الخروف عند اعطائه الدواء مثلا ؟

ويصر ماك كالوم على انالصوت صوت ذبح وان لم ير الذبح فيسكته القاضى وقد ضاقصدره ويدعو رورى لحلف اليمين . وما أن يبدأ القاضى فى تلاوة صيغة اليمين ليرددها وراءه رورى ، حتى يطلق الراعى العجوز صوته بالمأماة . وكلما ابدى القاضى دهشته واحاط كفيه باذنيه ليتبين كلامه أرسل مأماة أعلى !

***

وعندئذ جاء دور المحامى ليبين للقاضى أن رورى المسكين فقد عقله لان ماك كالوم اتهمه زورا بعد عمر طويل قضاه فى الامانة والشرف . ويحاول القاضى أن يستخرج منه اجابات عن الاسئلة الهامة فلا يظفر الا بالمأماة . والمحامى يضرب كفا بكف حسرة على موكله المسكين الذى ذهب الاتهاب الظالم برشده ، ويدعو على الظالمين بالنقمة !

ولا يسع القاضى بعد ان ينظر فى ساعته مرة اخرى الا ان ينطق بسرعة برفض الدعوى وتبرئة رورى والزام ماك كالوم بالمصاريف

ويغادر ماك كالوم قاعة المحكمة ثائرا بعد ان رفع القاضىالجلسة . وينصرف الناس . ويحاول رورى أن ينصرف ايضا . ولكن محاميه يستوقفه ويمد يده اليه قائلا :

ـ مبروك ! كسبت لك القضية . اعطنى الجنيهات الخمسة التى اتفقنا عليها

فينظر اليه رورى نظرة طويلة ، ثم ينطلق باعلى صوته :

ـ ماء .. ماء .. ماء ..

وينزل الستار

قصـــة :
فيرجاس أوبـريـان :

حفار

القبور

ترجـمـة :
عـــلى كـامـل :

فيرجاس اوبريان Fergus O'brien قصصي ايرلندي في السادسة والثلاثين من عمره . قفز اسمه مرة واحدة بعد حياة حافلة بالغرابة . حياة شديدة الشبه بحياة ماكسيم جوركي وباناييت استراتي . فقد دفعت ظروف طفولته الى التصعلك واحتراف مختلف المهن ليكسب عيشه . ولم يكن يتصور احد ان تجعل هذه الحياة المشردة من صاحبها قصصيا نابها

ولد فيرجاس اوبريان في ايرلندا وقضى طفولته كلها في فرنسا . وعندما اعلنت الحرب العالمية الاخيرة كان مع اسرته في انجلترا . وكان في الثالثة عشرة من عمره . ولكن جسمه الفارع وقوة عضلاته كانت توحي بانه اكبر من سنه فاستفاد من ذلك في العمل على رفع انقاض المباني التي كانت تنهار كل يوم في لندن بفعل قنابل الطائرات الالمانية . وفي عام ١٩٤٥ أخذه والده الى مدينة كورك بايرلندا . وفي كورك اعتقد والده انه لا سبيل لانقاذ ابنه من حياته الضائعة الا بالحاقه بالجيش الامريكي . وسافر مع جيش الاحتلال الامريكي الى ألمانيا ، وهناك شاهد صورا واقعية من الدمار والشقاء والفوضى التي خلفتها الحرب .. وتسجل هذه الصور الانسانية المريرة في ذاكرة فيرجاس لتكون موضوعا حيا فيما بعد

غير ان الحياة التي عاشها فيرجاس في ألمانيا ككثير من جنود الاحتلال المستهترين بقوانين الجندية وهيبة الرداء العسكري تؤدي الى الحكم عليه بالسجن ثمانية عشر شهرا فينقل الى سجن هاريسبورج بالولايات المتحدة

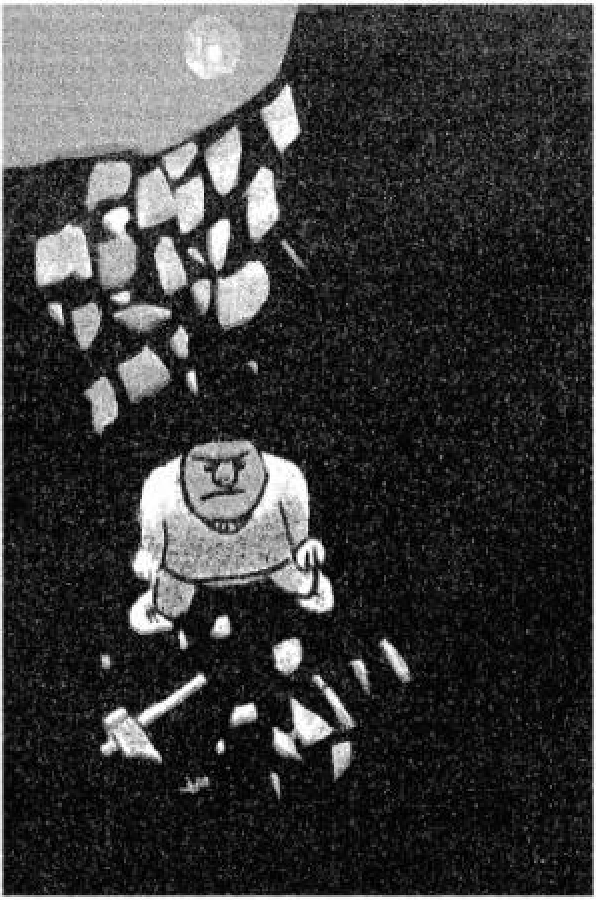
وبعد تمضية العقوبة سافر الى ايرلندا . كان حينئذ في الحادية والعشرين من عمره وكانت حياته القلقة المضطربة الماضية قد جردته من كل نزعة الى الهدوء والاستقرار . ثم غادر ايرلندا متجها الى باريس . ثم سافر الى كندا

ويعبر فيرجاس المحيط من جديد ليقيم في أحد الاحياء العمالية في منشستر

وتشاء الظروف التي كثيرا ما تقلب حياة الفرد رأسا على عقب ان يتقابل فيرجاس في لندن مع الكاتب الكبير جوزيف كيسيل الذي ينصت اليه وهو يقص عليه حياته الغريبة بطريقة روائية جذابة فينصحه بأن يسجل مشاهداته وخواطره في صورة قصصية

وعمل فيرجاس بنصيحة جوزيف كيسيل وقدم اليه بضع صفحات ليعرف رأيه فوجد فيها كيسيل الموهبة التي تبشر بالمستقبل الادبي الزاهر . فكان هذا دافعا للأديب الشاب ان يواصل طريقه وان تعرفه الدوائر الادبية

وقصة « حفار القبور » التي نقدمها هي من وحي حياته السابقة العجيبة



حفار القبور

كان يقف فى جوف القبر يسب فى حقد وغضب . وينظر الى النعش الذى كان يبرز نصفه خارج الارض وصاح قائلا :

ـ ما الذى لا يعجبك ؟ هل غضبت على هذه الحفرة ؟

كان وجهه شاحبا من السخط وخيبة الامل وكان راسه يكاد ينفجر من الالم وكان يشعر فى كل لحظة برغبة معدته الخاوية الى القىء

ونظر الى السيدة العجوز المسجاة تحت قدميه كمن يريد الاعتذار لها وقال :

ـ كيف سيحدث هذا الدفن فى الساعة الحادية عشرة وجوانب هذا القبر الملعون تنهال فوق راسى . ان استطيع ابدا انهاء العمل فى الوقت

المحدد . !

كان الوحل يلتصق بقدميه ولا يستطيع التخلص منه . وكانت السحب السوداء تمر فوق راسه وكانت الريح الهوجاء تدفع المطر الى وجهه دون انقطاع . ومع ذلك فقد كان الجو جميلا بالامس عندما استدعاه رئيس حراس الجبانة ليفتح القبر . لقد قال له بصوته الرفيع:

ـ هناك جثتان بالداخل يا جيم .. وعلى عمق سبعة اقدام ستصطدم بالصندوق

وعندما راى جوانب الحائط تميل نحوه ميلا يهدده بالخطر سب مرة اخرى وقال وهو يقلد صوت رئيس الحراس

ـ نعم يا جيم . على عمق سبعة اقدام ستصطدم بالصندوق .. !

وانفجر سخطه من جديد وقال صارخا :

ـ يالك من وغد . لماذا لم تحذرني بان هناك غرفة على يسارى .. اذ ليس غريبا بعد ذلك الايكون الحائط متماسكا . ولو كنت اعرف ذلك لما عبأت بالشلنات الستة التى ساخذها بدلا من ثلاثة شلنات

وانقبض قلبه وارتجفت اوصاله وسمع صوتا قادما مع الريح فوق راسه . صوتا يرتعش من البرد قائلا :

ـ قل لى ايها الشاب . هل تستطيع ان تخبرنى بالساعة التى سيتم فيها الدفن عند اسرة جيفرس؟

وانتصب واقفا بنبعث السخط من عينيه ثم تمالك نفسه بصعوبة عندما راى النصف الاعلى من رجل كهل يغطى راسه منحنيا فوقه ، وقال وهو يلهث :

ـ يجب عليك دائما ان تسعل أو تصفر او تفعل أى شىء قبل ان تتكلم مع شخص فى قبر . لقد كدت تتسبب فى اصابتى بسكتة قلبية

ماذا .. ماذا حدث ؟

كان الرجل الكهل منحنيا فوقه وقد بدت يده اشبه بيد هيكل عظمى تبرز منها عروق زرقاء . وصرخ « جيم ماكان » :

ـ اقول انك كان يجب عليك .. يا للعنة . دعنا من ذلك الآن . ما الذى تريد ان تعرفه بالضبط ؟

وتحركت قدما الرجل الكهل وتراجع (ماكان) بسرعة الى الوراء فى اللحظة التى سقطت فيها قطعة كبيرة من الحائط المبتل داخل القبر . . وصرخ قائلا :

ـ حاذر .. انك ستدفننى حيا .. !

ولكن الرجل الكهل ابتسم ابتسامة كشفت عن فم مجرد من الاسنان واعاد سؤاله قائلا :

ـ اليس هذا هو قبر اسرة جيفرس ؟

وتمتم (ماكان) فى سخط (لماذا يسالون دائما هذه الاسئلة الغبية ؟ الا يعرفون القراءة ؟)

ووقف بصعوبة واشار باصبعه الى النصب الموضوع على القبر

وصرخ قائلا :

ـ جرانت ـ جرانت . انظر : جرانت . جرانت

واغمض الرجل الكهل عينيه الذابلتين من اثر الريح ثم نظر اليه وقال بصوت اشبه بصوت الغراب :

ـ نعم . نعم . اذن اين قبر أسرة جيفرس ؟

وجذب (ماكان) غطاء رأسه وصعد الى خارج القبر باحتياط شديد حتى لا ينزلق حذاؤه الثقيل على الالواح الخشبية وصرخ في وجه الرجل الكهل :

ـ لا اعرف . لا أعرف أين قبر اسرة جيفرس . اذهب الى مكتب رئيس الحراس . هناك في ذلك المكان المرتفع

واشار الى التل الذي يشرف على القبور البيضاء حيث يرتفع برج الكنيسة الرمادي نحو السحب السوداء .

***

كانت الخمر التي ظل يحتسيها في اليوم السابق من الساعة السادسة حتى منتصف الليل قد انهكته .. حتى انه لم يستطع ان يأكل شيئا عندما استيقظ في الصباح . لم يكن يشعر الا بحاجته الى النوم . كان يحس بمرارة في فمه . وكان العرق الذي ينبثق من جسمه المريض يختلط بالمطر الذي يهطل على عينيه فيحرمهما الرؤية . ونظر الى فتحة القبر المظلمة تحت قدميه وقال :



ـ ما ألعنها من حياة . كيف قذفت بنفسي في هذه المهنة القذرة ؟! ..

وشرع يرفع الواح الخشب اذ لم يعد لديه لحظة واحدة يضيعها لاسناد الحوائط المنهارة . كان ذلك العمل شديد الخطورة .. فاي تهاون كان كافيا لسحقه في غمضة عين . وكان اثناء عمله المضني لا يكف عن اطلاق عبارات السب والقذع ليس بسبب سخطه او خوفه فحسب ولكن بدافع احساس اخر احس به بصفته حفارا للقبور . ذلك أن شعورا مضطربا يتملك الشخص بمجرد نزوله تحت سطح الارض حيث يسود الصمت والهدوء المطبقان الى حد ان المرء يسمع خفقات قلبه ونفثات صدره كما يتملكه شعور آخر لا يشعر به الا القدماء في المهنة . ان حفار القبور يحس فجأة أن هذا الصمت لا يمكن احتماله ويدرك وقد تملكه رعب غريب لا يمكن التغلب عليه انه يدوس الموتى بقدميه ، وهم يحيطون به من كل جهة . وعن يمينه وعن يساره ترقد النعوش وبداخل كل منها جثة متصلبة باردة الشفتين مغلقتي ابد الدهر .

وعندما مرت هذه اللحظات التي غمرته اثناء هذه الأفكار السوداء شعر

خارج فتحة القبر وقد امتقع وجهه من الرعب وبلل العرق جسمه ، وتمتم قائلا للنعش الذى انزلق قدمه فوقه وتعثر عليه وهو يواصل عمله فى تثبيت الالواح الخشبية بضربات مطرقته

ـ يا الهى . ارجو المعذرة ابتها السيدة على ما لفظته من سباب . والواقع اننى مريض جدا . ثم ان الجو اليوم سيىء للغاية . اننى واثق انك كنت سيدة طيبة القلب

واستطاع اخيرا ان يثبت لوحا من الخشب فوق راسه . وتوقفت عيناه برهة على النصب الموضوع فوق القبر واستوقف نظره آخر اسم منقوش على اللوحة وقال :

ـ آن جرانت ! عمرها خمسة وستون عاماً . اقسم انك كنت سيدة سامية الخلق طيبة القلب اثناء حياتك . ارجوك الا تغضبى منى . . !

وتذكر ماقاله له العجوز «كازى» فى حماس وايمان : (جيم . يابنى . لا تلعن الموتى . عاملهم دائما باحترام لان لهم سلطانا قويا . فهم يستطيعون ان ينزلوا اللعنة على الحى طول حياته)

والواقع ان العجوز « كازى » كان يعرف ما يقول ، فقد اشتغل حفارا للقبور ثلاثين عاما ولم يحدث له طوال هذه المدة اى حادث . وتمتم «ماكان» قائلا :

ـ ثلاثون عاما . ولكننى لن اكون فى هذا العمل بعد ثلاثة اعوام . فها انذا فى هذا العمل اللعين منذ اربعة اشهر ولولا ان الشتاء قد اوقف كل اعمال البناء لما رضيت بهذا العمل المرذول اطلاقا

وانتفض مرة اخرى عندما سمع صوتا مرحا قادما من اعلى . وعندما تطلع الى فوق راى رئيس الحراس بوجهه الخبيث تغطى راسه قبعة سوداء يبتسم قائلاً فى مرح ورضاء:

ـ كيف يسير العمل فى الداخل؟ حسنا . حسنا . ارى كل شىء على ما يرام . يجب ان يتعود الانسان الصبر والاحتمال . . هذا هو ما اقوله دائما . ان الصبر والاحتمال يربحان على الدوام

وضغط «ماكان» على اسنانه . اذ تذكر انه شاب يافع يدفن حتى رقبته فى هذه الحفرة القذرة ثم ياتى رئيس الحراس فى ردائه الاسود المنمق ويقول له بصوت يغمره السرور هذه الجملة المكررة التى تدفع المرء الى الجنون (الصبر والاحتمال يابنى هو ما اقوله دائما) .

وتمتم (ماكان) بصوت خفيض ثم صرخ قائلا :

ـ نعم كل شىء يسير على مايرام لكننى كدت ادفن حيا اثنتى عشرة مرة . ان هذه الالواح الخشبية لا تساوى شيئا . فمتى سيكون لدينا المواد اللازمة للعمل . ان هذه البضاعة لا قيمة لها

فأجابه رئيس الحراس بصوت هادىء كمن يريد ان يطيب خاطره:

ـ آه . . يا ولدى الصغير . كم

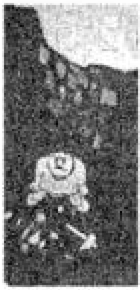
من المرات ارسلت فى طلب ذلك ولكن الطلب لم يصل الى الآن . يجب ان نصبر . يجب أن نتذرع دائما بالصبر والاحتمال

ورفع (ماكان) مطرقته الثقيلة بكل قواه ولكن وجه رئيس الحراس الاسود اختفى من امامه فى لمح البصر

***

وفى الساعة الحادية عشرة كان كل شيء معدا تماما . كان القبر قد مهد بحيث يستطيع ان يستضيف النعش الجديد مدة طويلة . وكان بساط من الحشائش الخضراء قد فرش حول القبر بعناية كبيرة مخفيا الى حد ما الاوحال المتراكمة فى كل جانب . كان أمل «ما كان» الايستند أحد عند انزال النعش على النصب الحجرى المخلخل الذى فوق القبر . وكان قد ذكر قبل ذلك لرئيس الحراس انه من الخير ان يرفع من مكانه ولكنه ابتسم قائلا : (لا تهتم بذلك) ولكن «ماكان» كان على يقين من انه سيضطر للاهتمام عندما يسقط النصب على النعش فيهشمه تهشيما . غير ان «ماكان» لم يكن يتمنى ان يحدث ذلك . ولم يكن السبب هو شفقته بأسرة المتوفى عندما يقع هذا المنظر المؤلم امامها ولكن لانه سيضطر لان يرفع النصب الثقيل بنفسه اذا سقط .

وانتصب واقفا ووضع غطاء راسه المبلل فى جيبه . ووصلت عربة الميت يتبعها عدد ضئيل من الناس فى ملابس الحداد . ووقفت عند ابتداء الممر المغطى بالرمال . وعندما وضع الحمالون النعش على اكتافهم خرجت من صدر « ماكان » لعنة مكتومة فقد راى بين الحمالين « باتا » متعهد الجنازات . وتمتم



فى سخط : « سيتقاضى ثلاثمائة جنيه على هذا العمل . انه لا يستحق الا ان يركل بالاقدام . ما اكثر ما استطيع ان افعله بهذا المبلغ . اننى احترق شوقا لجنيه واحد منها) . وكلما اقترب النعش كان يحس بالسرور ويقول لنفسه : (يبدو عليهم الغنى والثراء ولذا فاملى ان احصل على مبلغ قد يصل الى خمسة شلنات)

واحس بالدم يصعد الى وجنتيه .. وتملكه الخجل فقد كان لا يهمه أن ياخذ من متعهد الجنازات نصف شلن او خمسة شلنات لكن تفكيره فى ان يقف منتصب القامة آملا فى منحة يمده بها اقارب او اصدقاء المتوفى تجعله اشبه بمتسول ذليل . وسرعان ما قال لنفسه ليطرد الهواجس التى تملأ راسه : (ولكن هذا هو ما يحدث دائما) . فقد تذكر العبارات القارصة التى قالها له العجوز «كازى» فى بداية عمله فى هذه المهنة عندما وقف بعيدا ولم يأخذ شيئا . فقد صاح فيه «كازى»

قائلاً :

ــ ماذا دهاك ؟ أمجنــون انت ؟ اريد ان تقطع رزقنا أخذ ما نستطيع ان تأخذه منهم . فهذا هو ما يحدث دائما وان كان يبدو ان النـــاس نسيت ذلك في هذه الايام

وتقدم « ماكان » بسرعة في اتجاه حاملي النعش ووضع مقدمة النعش على كتفه واحس بالارتعاش الذى يشعر به دائما في غداة اليوم الذي يتعاطى فيه الخمر . وابتدأت ركبتاه تتخلخلان . وبينما هو يضع النعش امام فتحة القبر بدا له ان عيـون الحاضرين جميعا مصوبة اليه . ولم تمض لحظات الا وكان النعش ينزلق بمساعدة رئيس الحـــراس الى الداخل

واثناء ترتيل القسيس العجـوز صــلاة الموت احس « ماكان » ، والعرق يتصبب منه ، برعشة باردة تخترق الحبل الذى انزل به النعش . لقد تسربت هذه الرعشة الى ذراعيه وانتقلت الى جسمه ووصلت الى احشائه وضغطت عليها ضغطا مميتا .. وعندما سار أمام الحــاضرين كانت عيناه منكستين ومشيتـــه مضطربة ، ووجهه يغطيه العـــرق البارد

ووقف في نهـــاية الممــر وراء الحاضرين وهم في ارديتهم السوداء وتجمدت فجأة عيناه المنهكتان واتجه نظره الى تلك السيدة العجـــوز الصغيرة الجســم التى كانت تقف على رأس القبر واضعة يدها الملتفة بقفاز أسود على لوحة القبـــر الرخامية . وأراد ان يصرخ ليحذرها ولكن حنجرته المجهدة لم تسعفـه فبقى متصلبا في مكانه زائغ النظرات

كانت اقصر عجوز رآها في حياته وكان معطفها يصل الى اطـــراف حذائها الصغير ، وكانت قبعتهـــا السوداء تهبط الى انفهـــا المختفى وراء الحجاب الحريرى الاسود الذى تعبث به الريح . وبين وقت وآخر كان يرى عينيها اللامعتين الضيقتين مصوبتين الى قلب القبر بفضـــول شديد

وتمتم «ماكان» قائلا :

ــ حذار . حذار يا ســـيدتي لا تتكئي على هذه اللوحة اللعينة . ارفعي يدك عنها قبل ان تسقط

كان القسيس يقرأ تراتيله منذ مدة طويلة . ونظر اليه «ماكان» نظرة من يريد ان يصرخ فيه طالبا منــه الانتهاء . وابتدأ القسيس يلهث من التعب . وكان صوته يخرج بطريقة رتيبة فيبدو كما لو كان صـــوت شخص آخر . كان يعيــــد ويكرر ما يقوله دون توقف حتى اعتقـــد « ماكان » ان نصف ما ينطق به من وحى ابتداعه . وعندما وصـــل القسيس اخيرا الى قوله : (ونحن الحاضرين يجب ان نتعزى عندما نفكر اننا سنلحق بهم قريبا) اتكات السيدة العجوز بشكل اقوى على لوحة القبر . وعندئذ ايضـــا كان « ماكان » قد افرغ كل ما لديه من سباب ولعنات

كان يقف فى مكانه دون حراك يبلل المطر كتفيه وكانت قدماه باردتين داخل حذائه الذى امتلأ بالماء وكان ضميره يتعذب امام تفاهة الحياة والضياع اليائس لكل مجهود انسانى والتعاقب الممل للساعات والايام والسنين

وقال «ماكان» بصوت خفيض :

— يا الهى . هلا سينتهى هذا القسيس العجوز . والى اى شىء تنظر هذه السيدة العجوز المحطمة؟ يا الهى ما اتعس الانسان عندما يفكر ان القبر سيفتح من جديد عما قريب ليستقبل عظامه التى عفى عليها الزمان . لماذا تجهد هذه السيدة نفسها وتغادر الجبانة ؟

وانتهى القسيس من تراتيله وتفرق المشيعون واحدا اثر آخر وبقى «ماكان» بمفرده وتناول مجرفته بغيظ واتجه نحو اعلى القبر وهناك قرا هذه العبارة التى لم يكن مدادها قد جف بعد :

(جيمس امانويل : ٨٢ عاما) .

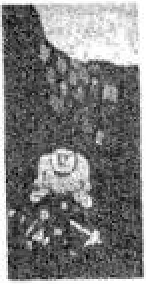
وتمتم « ماكان » فى حنق :

— حسنا ايها العجوز . لقد عشت ما فيه الكفاية

واستدار «ماكان» فجأة فى فزع عندما امسكت بذراعه يد رقيقة . فاذا به يرى السيدة العجوز التى بدت له وهو ينظر اليها بقوامه الفارع كطفل صغير منخفى ملابس والدته . كانت تمسك بيدها اليسرى ورقة مالية ذات عشرة شلنات .

قال « ما كان » :

— ماذا يا سيدتى ؟



وانحنى بجسمه الى الامام وكانه انقسم الى نصفين ليسمع صوتها الضعيف يقول له :

— ارجو ان تعتنى بالقبر . هل تستطيع أن تقوم بزرع بعض الازهار ؟

واحس «ما كان» بعاطفة مفاجئة من الشفقة نحو السيدة ونحو الجنس البشرى باجمعه . وقال مترددا :

— كان يجب يا سيدتى ان تطلبى ذلك من زملائى فهم الذين يقومون بكل هذا

وبدا عليها خيبة الامل فاراد ارضاءها وقال :

— انهم يقومون بهذا العمل بمهارة .. شديدة .. !

فاجابت :

— ارجو ان تكون محقا فيما تقول :

ونظرت الى النعش بعينيها الحادتين ثم قالت له :

— ولكننى رايتك وانت تصلى اثناء عملية الدفن ، ولذلك افضل أن تكون انت الذى تقوم بهذا العمل . لقد كان زوجى رجلا شديد التدين

وانحنى « ماكان » قليلا وكأنه لم يسمع ماقالته وتمتم قائلا :

— ماذا تقولين ياسيدتى ؟

وفجاة فهم كل شىء ، كان طرال

عملية الدفن لا ينقطع من التمتمة والهمس وصب اللعنات بصوت لا يسمعه أحد . وقد اعتقدت السيدة العجوز ــ وماذا كانت تستطيع أن تعتقده غير ذلك ــ ان هذه اللعنات الصامتة ان هى الا صلاة وابتهال .

وقال « ماكان » لنفسه : (اذا كان هذا هو ماتعتقده فما ألعن ذلك ...) واحس بضحكة هستيرية تأخذ بخناقه . ولكن حركة من السيدة العجوز أوقفته في الحال . فقد فتحت حقيبتها وبيدها المخفاة في القفاز الاسود ، المنكمشة كقدم عصفور واعطته ورقة مالية

قال لنفسه وقد سرت حرارة فجائية في جسمه المتصلب من البرد :

ــ انها على الاقل عشرة شلنات وربما كان جنيها

هل هي حرارة الامل ؟ هل هى حرارة العار ؟ ذلك مالم يكن يعرفه . انها ولاشك حرارة الامل والعار معا . بيد ان الاحساس بالعار هنا كان يطغى على نشوة الامل

وشعر بوجهه يكاد يشتعل ، وتراجع خطوة الى الوراء وقفزت السيدة العجوز في الوحل نحوه لتلحق به . ومدت اليه كفها الاسود الشبيه بقدم عصفور

ماذا يستطيع أن يفعل بهذا المبلغ ؟

لا شيء اطلاقا . لا شيء سوى ان يذهب ــ رغم آلام معدته ــ الى حيث يجرع الخمر ليبدد في الحال بين كئوسها ثمن الغش والاحتيال

سؤال ؟

اخذ رئيس فريق الكشافة يفتش على امتعة كل شبل من الذين حضروا الى المعسكر لاول مرة في حياتهم . فعثر بين امتعة أحد صغارهم على شمسية للمطر ، وبالطبع لايمكن أن تكون هذه الاداة من بين مايستخدمه الكشاف التقشف الذى يتعرض للمشاق والمخاطر ببسالة . واحمرت عينا الرئيس الهمام وصاح بالكشاف الصغير المبتدىء :

ــ ماهذا ياشاطر ؟

وادى الكشاف الصغير التحية الكشفية وقال بكل جد :

ــ سيدى ! الم تكن لك أم في يوم من الايام ؟!

الاثارة !

قال الطبيب للشاب المراهق بعد فحص اعصابه :

ــ علاجك الوحيد ان تتحاشى كل اسباب الاثارة

•بلع الفتى لعابه وقال :

ــ أليس من المسموح به ان اتطلع « اليهن » ولو من الرصيف الآخر ؟

وصفات سحرية للحب في سنة ١٩٦٤



في عصر جدتي كان المشايخ الذين يقيسون الاثـر ، ويكتبون الاحجبة هم أهل الحل والعقد الذين بيدهم مقـاليد القلوب ، تتفتح لهم الجيـوب ، وتتفتح امامهم ابواب الحريم،ليجلبوا محبة الزوج الهـاجر ، ويهزموا الضرة ، ويفكوا عقدة العـاقر بفضل الاتصال بالجـان الاحمر والازرق . وبسر شـمهورش وبعلزبول ، الى آخر اسماء العفاريت الكبار ملوك العالم السفلي

ولم يكن هذا عجيبا في زمن كان الحمار الحصاوي فيه هـو اسرع وسائل المواصلات ، وكانت الامية متفشية مائة في المائة بين السيدات ومن عرفت القراءة منهن بالصدفة ، فأول واخر كتاب تقتنيه وتطالعه بخشوع هو **طوالع الملوك** ، او كتاب **ابو معشر الفلكي** ..

ولكن عصر الصاروخ والتليفزيون ليس فيـه مكان لابي معشر ولا لشمهورش . او على الاقل هذا هو المفروض ..

ومع هذا لم يزل خلفاء ابي معشر هم الذين يصولون ويجولون في دنيا البنات العاشقات في سنة ١٩٦٤ .. اللاتي يقرأن اخـر مبتكرات

العلم ، ويذهبن الى المعاهد العليا والجامعات ، ويلبسن البنطلون الوجودى ، ويرقصن التويست والتشا تشا ..

ففى باريس مثلا ، موطن السوربون واللوفر ، ومدينة النور .. حيث تنتشر اراء فرويد ونظرياته فى التحليل النفسى على المنهج العلمى اوسع انتشار . نرى فتاة فى السابعة عشرة تتسلل من بيت أهلها فى الساعة الرابعة صباحا لتنزل الىّ الحديقة الكبيرة المحيطة بالدار .. ويلحظ اخوها الكبير الاستاذ بالجامعة هذه الحركة وينتابه القلق . الى اى موعد مريب تتسلل اخته الرقيقة الجذابة التى حصلت على البكالوريا بدرجات عالية جدا ودخلت كلية العلوم حيث يشهد لها الاساتذة بالتفوق ويتوقعون لها مستقبلا مجيدا .

انها تمشى على أطراف أصابعها فى حذر شديد ، وتتجه ناحية اشجار الفاكهة .. ولا تعود الابعد ساعة . واخوها يرقبها من النافذة خلسة . وقد تأكد ان الحبيب المجهول لم يوافها ، وانها لبثت الساعة وحيدة تنتظر فى العراء والبرد

وانتهز الاخ فرصة دخولها الحمام وذهب الى مخدعها لينتظرها هناك ، ويلقى عليها درسا قاسيا لا تنساه

ووجد الحجرة فوضى كالعادة ، والكتب مبعثرة على السرير ، وبينها كتاب عتيق جدا ، مفتوح ، ورقه الباهت اكل عليه الدهر وشرب ، وعلى هوامشه تعليقات بالقلم الاحمر بخط اخته

وفغر الاخ الاستاذ الجامعى فاه دهشة . فقد كان عنوان الكتاب « اسرار الاستاذ البير الكبير » وهو من اشهر كتب السحر الموروثة عن القرون الوسطى .. وهو يقابل عندنا كتاب الالمعى طيب الذكر ابى معشر الفلكى . او لعله اكثر منه امعانا فى التخريف والشعوذة ..

وفى الصفحة التى كان الكتاب مفتوحا عليها قرأ هذه العبارة :

ـ كى تحظى بحب الرجل . اذهبى الى حديقة كثيرة العشب والشجر او الى مرج من مروج المراعى الخصبة قبل شروق الشمس ، وخذى معك شيئا من ملابسك الداخلية بها اثر عرقك ، وبواسطة هذه القطعة من الثياب امسكى ضفدعا وضعيها فى حق تكونين قد أعددته بحيث تكون فيه تسعة ثقوب ، وقفى تحت شجرة تكثر حولها اسراب النمل الكبير ، واحفرى فى الارض وضعى الصندوق وبداخله الضفدع ، وغطيه بقدمك اليسرى بعد خلع الحذاء والجورب وكررى تسع مرات هذه الجملة : « لتتحقق رغبتى على ما يشتهى قلبى بحق ملوك الجان التسعة »

***

وتسلل الاستاذ خارجا من حجرة أخته قبل ان تفرغ من حمامها الساخن ، وآوى الى فراشه مطمئنا . وفى الصباح اختلى بها وفاتحها فى الموضوع ، وعاتبها لانقيادها ـ وهى



دارسة العلم الذكية ـ لهـــذه الخزعبلات ٠ ولكن الفتاة لم تتلعثم ولم تطرق حياء وخزيا من فعلتها كما هو مفـــروض ، بل هزت كتفيها وقالت :

ـ وما دخل العلم بهذا ؟ من أدرانا ان هذه الوصفة قد تكون صحيحة ؟ ان جميع جداتنا عشن بها ، ووجدن من السعادة اكثر مما نجد نحن بكل معاملنا وتعمقنا في الدرس والتحليل ٠٠ انها تجربة ٠٠ وكل تجـــربة يجب ان تأخذ فرصتها الكافية قبل ان نحكم عليها بالبطلان ٠٠

ـ ولكن هذا غير معقول ٠٠

وباصرار اجابت بنت الجيـــل الجديد :

ـ ان استاذ علم النفس الـــذى أحضر محاضراته فى الكـــوليج دى فرانس يؤكد أن المهم ليس ما نصنع ، بل ايماننا واقتناعنا لانفسنا بجدوى ما نصنعه ٠ هـــذه حقيقة علميـــة نفسية ، فلماذا لا استفيد منها فى الحصول على حظى من الحب ؟

ـ هذا الكلام عيب ان يصدر من فتاة متحضرة فى بلد متحضر !

ـ ابدا وحياتك ! حتى امـــريكا تعرف هذه الوسائل !

ـ امريكا ؟

ـ نعم ٠ فانا اراسل فتاة طالبة فى كلية العلوم بجامعة هارفارد ٠٠ وقد وصفت لى طريقة مدهشة جدا للسعادة فى الحب ٠٠

وقامت الآنســة الجميلة وفتحت درجا فى مكتبها الصغير فأخـــرجت منه خطابا طويلا بخط مثل « نبش الفراخ » ٠ وأطلعت اخاها على فقرة منه تحت سطورها خطـــوط بالقلم الاحمر :

ـ اخرجى يوم الاحد صباحا وقفى على بداية الطريق الزراعى ، وخذى رقم تاسع سيارة تمر بك خارجة من المدينة ٠ سجلى هذا الرقم ٠ وليكن مثلا ٧٠٨٣١٢ ثم خذى الاعداد الثلاثة الاخيرة منه من جهة اليمين وهو ٣١٢ وانتظرى الى ان تمر بك سيارة ينتهى رقمها بـ ٣٢٢ ، ثم سيارة ينتهى رقمها بـ ٣٣٢ وهكذا بزيادة عشرة ، وبطـــريقة مسلسلة ، فاذا اكتملت سلسلة السيارات التى تمر بك تسع سيارات ، بحيث تكون اخرها سيارة ينتهى رقمها من اليمين بـ ٤٠٢ ، فسوف تلتقين حتما بفارس احلامك فى بحر هذا الاســـبوع ٠ واذا لم يتيسر ذلك فلا فائدة ٠ ولا تهتمى باى رجل يتقرب اليك ، لان هـــذا الاسبوع ليس الاســـبوع الموافق لطالع سعدك !

ـ ولكن هذا تخريف !

ـ وماذا تقول فى فتاة اخـــرى نمساوية تراسلنى من جامعة فينا ؟ انهم هناك لا يهتمون بالســـيارات كامريكا على ما يظهر ٠ ولكنهم يعلقون

اهمية كبيرة على الخيل !
ـ خيل السباق ؟
ـ خيل عربات الكارو .. !

***

واخرجت الفتاة المثقفة خطـابا مكتوبا بالفرنسية الركيكة التى تدل على أصل كاتبتها الاجنبى ..وكانت به الوصفة السحرية الرائعة :

ـ فى عصر يوم السبت قفى امام باب حديقة عامة ، وتفـرسى فى العربات الكارو التى تمر بك داخلة الى المدينة محملة بالخضر من الريف فاذا رأيت ١٣ حصانا ابيض ليست بأجسادها اية اشارة من لون اخر ، افتحى عينيك جيدا لاول رجل أصلع يمر بك بعد ذلك خارجا من المدينة. انتبهى للاصلع جيدا ، ولكنه ليس هو رجلك الموعود ، بل ثالث رجل بشعر اصفر حليق الشارب واللحية يمر بك بعد هذا الاصلع ..فاذاكان هذا الرجل متزوجا ، فهذا من سوء حظك ، لانه مقدر لك ان تظلي عانسا مدة سنتين بعد ذلك على الاقل ! اما اذا كان غير متزوج ، فلا تدعيه يهنأ براحة ولا اكل ولا شرب ولا عمل ولا نوم .. الى ان يتزوجك ، لانه رجل القدر فى حياتك !

***

وضرب الاستاذ الجامعي كفابكف وانصرف من حجـرة اخته وهو يعتقد ان هذه « النوبة » عارضة ولا بد ان تجتازها أخته الصغيرة وتثوب الى عقلها .ولكن«الظاهرة» نفسها ، ظاهرة الايمان بالسـحر او بالخرافات التى تلحق بالشعوذة والسحر فى عصر الذرة والصاروخ شغلت تفكيره ، وراح يجمع انواع هذه الخزعبلات التى تعشـش فى رءوس الفتيات حول سن العشرين بخصوص فارس الاحـلام ... واكتشف أشياء غاية فى الطرافة

ان الفتاة التى لا تخلو حياتهـا من معجبين يتوددون اليها تكون فى الغالب نهبا للقلق والحيرة ، ايهم تبـادله الحب ؟ ايهم أقـدر على اسعادها ؟ ايهم هو رجلها المكتوب له ان يقودها الى مكتب الـزواج ؟

تقول احدى هذه الوصفـات السحرية :

عندما تنامين فى الليل اطلقى على كلّ ركن من أركان الفـراش اسم احد المعجبين بك . وضعى ورقة باسمه تحت طرف الحشية. ونامى على ظهرك تماما فى وسـط السرير . وعندما تستيقظين فى الصباح افتحى عينيك من غير ان تتقـلبى ، وأول ركن من الاركان الاربعة يقع عليه نظـرك ستجدين اسم الامير الوسيم تحته . اسم الامير الموعود من بين الاربعـة ، امنحيه قلبك بلا تردد !

***

وثمة طريقة اخرى ايضـــا تستعمل عند النوم . ولكنهـــا لا تتسع الا لثلاثة أســماء . فلتختر الفتاة ذات القلب الحـائر ثلاثة شبان تكتب اسم كل منهم على ورقة صغيرة،وتطوى الاوراق الثلاث وتضعها تحت وسـادة سريرها،ثم تسحب احداها حيثما

الفق قبل ان تنام ولا تفتحها . وعندما تصحو فى الصباح تسحب ورقة اخرى ولا تفتحها . فتكون الورقة الباقية تحت الوسادة هى التى تحمل اسم عريس الهنا ! ..

***

وهناك طريقة ثالثة . على الفتاة ان تعد عشاء معينا نصف الليل . تطهوه فى الظلام ، وفى صمت تام . ثم تحمله على صينية وتمشى بظهرها الى المائدة وتاكله عن آخره دون ان تشرب ماء، وتنام بدون ان تشرب ماء فور انتهائها من الطعام، وعليها الا تمضمض فمها عند غسل يديها ولا تنظف اسنانها

والمسألة الهامة فى هذا العشاء العجيب انه أرز به كمية كبيرة من الكارى الهندى، والزعفران ،وعليه صلصة بالفلفل الاحمر « الشطة » ثم علبة انشوجة كاملة وربع كيلو باتون سالين « خبز مملح جدا » واربع بيضات مسلوقة ومعجونة فى الفلفل الاسود.

وهى كلها اصناف مثيرة للعطش ، تلهب الحلق والفم وتزعج المعدة، وتحتاج الى فرقة من رجال المطافىء

وغالبا ستحلم الفتاة انها تشرب ، وتقول الخرافة انها ستحلم بأن العريس الموعود هو الذى سيقدم لها الماء ، فلاذا قدمه فى كأس من الذهب فسيكون ثريا .. واذا قدمه لها فى كوز من الصفيح فسيكون فقيرا ... واذا سقاها فى كوب من الزجاج فسيكون محدود الدخل ولكنه مستور

***

ومن النماذج الاخرى لتلك الخرافات أن تضع الفتاة فى مظروف صغير تسع حبات من الحمص ، وتكتب على المظروف «ادخل ياحبيبى على بركة الله». ثم تضع المظروف تحت ممسحة اقدام باب السكن . وأول اعزب يمسح قدميه عند الدخول سيكون هو صاحب النصيب !

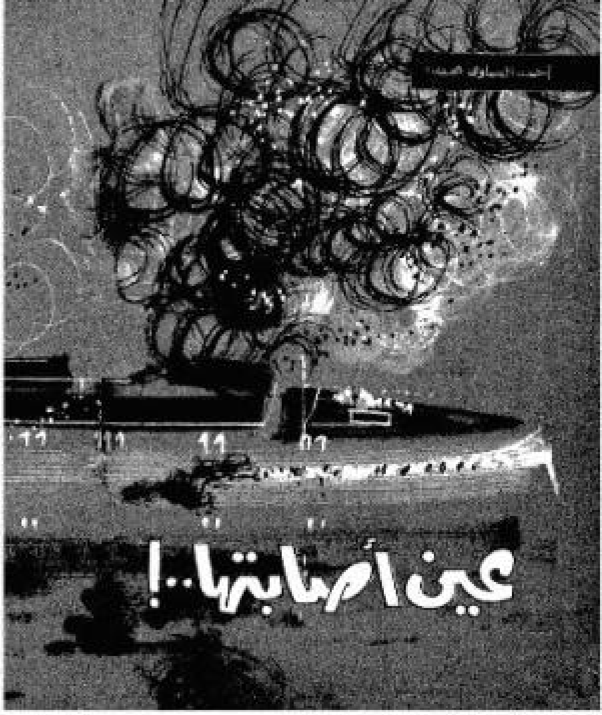
والله اعلم !!!

السبب الحقيقى

كان رئيس تحرير احدى الصحف الاقليمية مع زوجته على الشاطىء عندما مرت به سابحة فاتنة فابتسم ابتسامة عريضة ، فنظرت اليه زوجته شزرا وقالت له :

– جورج ! رايتك تبتسم لهذه الشابة !

– ابدا والله العظيم . انما كنت ابتسم لانى تخيلت اعلانا فى جريدتى فى باب البحث عن الاشياء المفقودة كما يلى : « مطلوب بمكافأة ثمينة استرداد منديل يد على شكل مايوه حريمى ! »



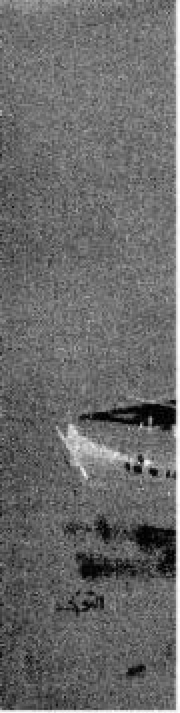
أحمد الصاوي محمد

عين أصابتها..!

في ٢٢ ديسمبر ١٩٦٣ حدثت السحر كارثة بحرية — في وقت السلم — اذ احترقت الباخرة اليونانية الكبيرة « لاكونيا » وهي تبحر من انجلترا الى جزر ماديرا في جنوب المحيط الاطلنطي ، وكانت تحمل اكثر من الف راكب بينهم ٣٥٠ ملاحا ، في رحلة سياحية بمناسبة عيد الميلاد ، نحو جزر ماديرا البرتغالية ، واشتعلت فيها النار بعد منتصف الليل ، اثر انفجار الراجل في غرفة الآلات ، وبعث الاستغاثة باللاسلكي فاستجابت اليها السفن القريبة منها ، والطيران البريطاني ، وأمكن انقاذ نحو تسعمائة راكب وبحار ، واحترقت الباخرة التي تبلغ حمولتها أكثر من عشرين الف طن عن آخرها .. وكانت الفاجعة في تلك الايام البهيجة روعت القلوب في كل البلدان .

وعادت الي بهذه المناسبة الاليمة ذكرى فاجعة أخرى ، مثلها او أشد منها هولا ، وقعت منذ نحو ثلاثين عاما ، يوم كنت محررا بجريدة الاهرام ، فاطلعني الاستاذ جبرائيل تقلا ، صاحب الجريدة — وكان من اذكى وانبغ الصحفيين وان لم يكن يكتب — اطلعني على برقية مستعجلة جاءته من جريدة « الپتي باريزيان » — وهي يومئذ اوسع الصحف الفرنسية انتشارا ، وتطبع اوراق البيونس من الف كل صباح — وكان ملخصها :

« سيصل الى القاهرة بالطائرة غدا ، كلا مسيو لانج فيللان وزوجته وهما من الذين نجوا من كارثة الباخرة جورج فيليبار التي احترقت ، وهو من كبار رجال المال

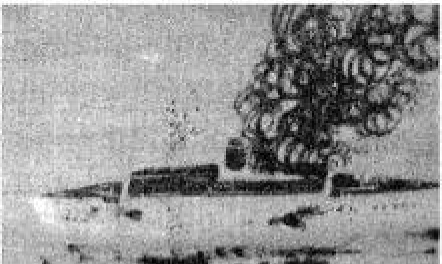


والاعمال فى باريس . فالرجـا ان تحجزوا جناحا له فى أفخم فنـدق، وان تقدموا له كل ما يطلبه من مال ، فنحن نفتح له اعتمادا ماليـا غير محدد لنفقاته ، ونتعهد بسـداده وشكرا . . »

وسالنى المرحوم جبرائيل تقلا ان اتولى العناية بالرجل وزوجته ، وان اتكفل بهما الى حين وصـول الطائرة الخاصة التى استأجرتهـا جريدة البتى باريزيان لتعود بهمـا الى باريس ، ليكونا اول من يصـل اليها ، وتكون معلوماتهما عن طريق الباخرة ونكبتها التى روعت العالم عامة ــ وفرنسا خاصـة ــ هى المعـلومات الاولى التى تنشر فى الصحف الفرنسية . .

اى كان القصد ــ اولا وآخرا ــ السبق الصحفى !..

فما هى قصة البـاخرة جورج فليبار ؟.. لنبدأ بها ثم نعود الى « لانج فيلار » وزوجته ، لنرى هل كان الموت متربصا بهما ومازال يجرى فى اعقابهما ؟!.. فهى واقعة تكاد أن تكون من نسج الخيال ! ..



كانت الباخرة جورج فليبار من من اكبر بواخر فرنسـا ، واحدثها ، وقد احتفل بتدشينها على يد وزير البحرية التجارية فى ترسانة سان نازير يوم ٦ نوفمبر ١٩٣٠ لتكون من اسطول فرنسا التجـارى بين مرسيليا والشرق الاقصى ، حيث كانت لفرنسا يومئـذ امبراطورية ماوراء البحار .. وكانت تتسـع لاكثر من الف راكب ، وتبلغ قـوة محركيها ٥٦٠٠ حصان .. وسرعتها من ١٨ الى ٢٠ عقدة ــ وقد أعدت بحيث يمكن تحويلها فى حالة الحرب الى بارجة . وبلغ من فخـر شركة الميساجيرى ماريتيم بها ان اطلق مديرها العام اسمه عليها . فقـد كانت تحفة بحرية من آخر طراز فى الترف والاناقة والذوق السـليم وكانت فعلا أحدث وافخم البواخر الفرنسية اطلاقا . وقد تكلف صنعها بضعة ملايين من الجنيهات . وكانت مزودة بكل ما يمكن ان يخطر بالبال ليستمتع ركابها ، مهما اختـلفت اذواقهم او اجناسهم ، وكانت فيها قاعات للعب الورق ، او الجولف ، او التنس ، كما ان فيها حمـام سباحة ، وقد يبدو هذا كله عاديا نجد مثله فى بواخر عديدة انجليزية او المانية او هولندية أو امريكية ، لكن ما كنت تجده فى «جورج فليبار» كان نسيجا وحده فى الـزخرف والوجاهة تبارى فى ابداعه أعظم فنانى فرنسـا حتى اخرجوها تحفة عالمية نادرة المثال

ومن الغريب ان القدر قد رسم خطا معوجا لهذه الباخـــرة التى صنعت لتجلب أكبر متعة فى البحر مما يفوق كل ما فى البر ، فاذا هى بعد بضعة اسابيع من انزالها الى الماء قـد أصابها فى البحر المتوسـط ـ وكانت فى دور التجربة ـ حـريق بسيط فى غرفة التجميد !٠٠ وتطلب ست ساعات لاطفائه !..

ثم أصابها فى ١٢ يناير، بعد ذلك، وكانت على ظهرها لجنة من كبـار الشخصيات فى البحرية الحربية ، للمعاينة فى حالة وقوع الحـرب وتزويدها بأسـلحة الدمار .. ان هبت عليها زوبعة وهى فى عـرض البحر ، فعادت أدراجها الى ترسانة ســان نازير فارتطمت بالرصيف اثناء دخولها الى الميناء وتطلب الامر اصلاحات طويلة !!

فهى الآن عين أصابتها كمـا يقولون !.. واخيرا تحـددت الايام الاولى من مارس عام ١٩٣٢ لابحارها عن طريق قناة السويس ، متجهة الى سـيلان ، والهنـد الصينية ، والصين ، واليابان ٠٠ وحدث قبل سـفرها ان ابلغت ادارة الامن العام بطريقة خفية ان هناك مؤامرة عند قناة السويس لنسف الباخرة التى قيل أنها تحمل شـحنة من الاسلحة لليابان !!!

ثم وصل فى فبراير خطـاب من مجهول الى وزارة الداخلية يجـدد هذا الانذار ، وتبع ذلك ما جرت به العـــادة من التفتيش الدقيق والتحريات المشددة للمحافظة عـلى الباخرة جورج فليبار ، التى أبحرت يوم ٣ مارس ، وعقـــد لواؤها للقومندان « فيكى » ـ وتحت أمرته ٢٧ ضابطا بحريا .. ومرت رحلة الذهاب عادية ـ الى حد ما ـ لولا ان حدثين على أى حال اثارا قلـق الركاب .. فقد وقفت الباخرة عند مدخل قناة السويس ، لكيلا تسير خلالها اثناء الليل !!!. وفى بورسعيد كانت الباخرة الكبـرى التى طبقت شهرتها الآفاق ، منتظرة بفـارغ الصبر من كثيرين يودون الطلوع اليها للتفرج على زخرفها .. فاذا بهـا ـ لدهشة الجميع ـ تصدر أمـرا بمنع النزول منها أو الصعود اليها!!! وراى الركاب حولها نطـاقا من الرفاصات البخارية تحمل اسـم « البوليس » ـ بوليس المينـاء طبعا ـ كمـا ان الركاب الذين كانوا ينتظرون ركوبها من بورسعيد قـد طلب اليهم ان ينتظروا الباخــرة التالية لشركة المساجيرى ماريتيم، وحيل كذلك دون اخذ الحقـائب والبضائع اطلاقا !!

اما السبب فى هـذه القرارات الغريبة فقد كشف عنها فيما بعـد مفتشى شركة قناة السويس . ذلك ان القومندان « فيكى » قد تلـقى برقية لاسلكية تؤكد له وجود سـتة من الشيوعيين على ظهر الباخرة،فى حين قد وصلت برقية بالشفرة الى

شرطة بور سعيد وجماركها تقول ان آلة جهنمية قد دست في مرسيليا بين حقائب الركاب !!.

وانتهز القومندان فرصة وجود جنود في طريقهم الى الهند الصينية ووضع منهم ديدبانات على جميع المخارج . ولم يكشف البحث في عفش الركاب عن شيء . لكن البحث في الحقائب والطرود التي كانت على الميناء بقصد شحنها على هذه الباخرة ، قد جعل مفتش شرطة الميناء يكتشف في طرد كبير ليس في ظاهره ما يدعو الى الشك ـ قنبلة من النوع الاشد ما يكون انفجارا . . وبعد هذا الاكتشاف عبرت الباخرة قناة السويس ، اعتقادا بأن الكمين قد انفضح ، وانه لم تعد ثمة حاجة الى الحرس الديدبانات أو اعلان حالة الطوارىء باستمرار

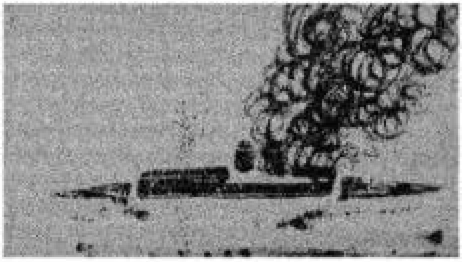
***

وغادرت الباخرة جورج فليبار يوكوهاما في ١٧ ابريل في رحلة العودة ـ وكان ينتظر وصولها في ٢٨ مايو ـ وكان على ظهرها ٧٦٧ شخصا وعدد الركاب ..٥ شخص ، بينهم راهبة هي الاخت « سجليستنه » مع ٨٠ طفلا ، وشخصيات عديدة مثل مسيو هابير مدير العدل في الهند الصينية ، ومسيو لويس الفرد رئيس التشريع فيها ، والدكتور بابليه مدير معهد باستور في هانوى ، ووزير مالية انام الذي كان ذاهبا الى فرنسا ليصحب الملك الشاب في عودته ، ثم احد كبار رجال المال مسيو سيلمان ، ثم الصحفي المشهور البير لوندره .. ومن غرائب القدر انه كان قبل عودته بهذه الباخرة في حاجة الى مد اقامته في شنغهاى ، والغى حجز كابينته على الباخرة ، لكن ما لبث ان عدل عن عدوله ، واسرع ليلحق بالباخرة نفسها في اللحظة الاخيرة !!! . .

***

وفي يوم احد عيد العنصرة ـ ١٥ مايو ـ اقيمت الحفلة التقليدية لمساعدة صندوق البحارة . وانتهت الحفلة قبيل منتصف الليل . وغادرت جورج فليبار المحيط الهندي لتدخل في خليج عدن ، مارة بجزيرة سقطرة . محاذية الشاطىء الافريقي بموازاة الصومال ـ « الايطالي يومئذ ! » ـ وفي منتصف الليل ، كانت ترى الاشعاعات الضوئية التي يرسلها فنار جواردافوى في كل اتجاه ، كالسهام المصوبه الى كبد الظلمات . .

وكان الصحفي البير لوندره يقضي بقية السهرة في كابينة مسيو ومدام



لانج فيلار ، وهم فى مرح ، قبل أن يقولوا لبعضهم « تصبحوا على خير » ... فهل يظل القلب البشرى أحيانا الى هذا الحد مغلقا لا يحس أى قلق وهو قادم على مصير مروع كذلك الذى كان ينتظر هؤلاء الاشخاص الثلاثة ؟!

لقد انصرف كل الى كابينته ، ولم يبق الا البحارة يغسلون المطاط على ظهر الباخرة بالماء والصابون ، ويزينون الباخرة للصباح التالى وهم يحلمون بقرب عودتهم الى اهلهم !..

وساد الهدوء التام فى الظاهر ، الباخرة جورج فليبار ..

ومع ذلك ....

***

فى ١٦ مايو بعثت وكالة رويتر ، من عدن بالبرقية الآتية الى جميع انحاء العالم :

« ان الباخرة الفرنسية الكبرى حمولة ٢١ الف طن ، الجديدة ، تتاجج فيها النيران على مسافة ٨ كيلو مترات من رأس جواردافوى وعلى ظهرها ٦٠٠ شخص فى طريقهم من الصين الى مرسيليا » ..

وفى الساعة الواحدة والدقيقة ٣٥ صباحا استيقظ نائب القومندان على قرع جرس الخطر الموجود فى غرفته .. وعرف من القومندان باولى ان مساكهرباتيا حدث فى الاسلاك وانهم بسبيل البحث عن مكانه .. وقدحدث أن مدام فالنتان، وهى زوجة كبير مهندسى مصانع الصين فى كيبنج ، وقد صعدت الى سطح الباخرة بعدالحفلة لتستنشق الهواء وتتأمل اضواء فنار جواردافوى ثم دخلت فى الواحدة والدقيقة الاربعين كابينتها رقم ٥ بالدرجة الاولى ، الواقعة على الكوبرى مباشرة خلف المقصورة المركزية .. ورأت أن النور ينخفض كما لو كان سينطفىء وأحست دغدغة ، فضغطت على زر الجرس ، فسقط الزر بمجرد لمسها اياه .. فخرجت لتنبيه الديدبان الليلى الى ذلك .. فذهب هذا من فوره فى طلب المهندس الكهربائى بينما عادت هى الى كابينتها .. ومن المرعب فعلا قياس عواقب دقائق هذا الانتظار ، الدقائق المفقودة هذه لان أحدا لم يعد .. وقد كلفت هذه اللحظات من التأخير ارواح خمسين شخصا ! .. وما لبثت مدام فالنتان ان رأت دخانا يتصاعد .. ولم يدر بخلدها انه كان يتصاعد من ثلاث جهات اخرى .. فاغلقت كابينتها لتذهب لتنبيه الضابط النوبتجى ، فوجدت نائب القومندان والضابط الاول ، يتجهان بسرعة نحو كابينتها رقم ٥ حيث وجدا الديدبان والترودوتيل قد سبقاهما اليها ، وكانا بناء على تنبيه مدام فالنتان قد ايقظا القومندان .. وبدا اللهب يستعر فى الكابينة رقم ٥ ، ويمتد ، وصدر الامر باغلاق جميع المخارج منعا

لامتداد النيران ، وانبعث دخـــان اقوى عكر من كل جهة ، ثم انطلقت السنة اللهب المروعة تلعق وتلتهم كل ما حولها !.. فصدرت الاوامر بدق أجراس الخطر وتنبيه جميـع الملاحين للمقاومة الجماعية ، وهرع المترودوتيل يقرع على جميع الابواب وراحت مضخات الماء ذات الضغط العالى تعمل على جميع الكبـارى المشتعلة .. وكانت النار من الشدة والعنف والانتشار بحيث لا تقـاوم فهى فى تأجج متواصل يذهـــل العقل ويعصر القلب .. ولاشك ان النار كانت تسرى من وقت طويل بسبب عدم وجود تنبيه أوتوماتيكى، وعلى ذلك استعرت وحمى لهيبها لعت السنتها المخيفة ، وزادها سعيرا اننا فى المنطقة الاستوائيـــة حيث يزداد السعير سعيرا وانطلقت فى راس القومندان فيك عقيدة مرعبة تمزق الفؤاد ، كما لو كانت طعنـــة خنجر مسموم ، وهى انه لا سبيل الى السيطرة على النار .. فارتجف من هول الـــكارثة التى قامت امام

ناظريه رؤيتها المفزعة .. ان ارواح ٥٠٠ شخص مهددة بالمـوت : وان باخرته الجميلة ، الجديدة، الكبرى مهددة بأن تصبح هشـــيما تذروه الرياح ، ورمادا يبتلعه اليم الخضم فأمر ، والالم يملأ قلبه ، بمضاعفة المقاومة ، وجرى الى كوبرى الملاحة الذى يتولى من برجه القيـــاده ، ووضع الاوراق الهامة على مكتبـه ليأخذها فيما بعد ، لكن بعد خمس ثوان كان الكوبرى بدوره يشتعل ، ولن يعود القومندان الى مكتبه ،بل انه قد اصيب بحروق فى وجهـــه وكتفيه !..

ومنذئذ ، والكارثة ســـتنطلق كالوحش الضارى الجائع فى سرعـة صاعقة ، وبعث القومندان بنداءين للاستغاثة ، لكن النـيران اوقفت النداء ، وذابت محركات النجـــدة واجهزة الراديو بدورهما ، وراحت النار تمسك بالجدران المبطنـــة بالخشب ، المدهون بالورنيش القابل للاشتعال !.. وانهارت الاســـقف .. وخسفت الباركيه ، وتداعى كل شىء من برج القيادة الى كابينـات الركاب ، ولم يكن قـــد مضى ربع ساعة على النار المنبعث من الكابينة رقم ٥ حتى امتدت النيران تبلـع وتذيب كل ما حولها ، وتفجر البللور الســميك والمرايا الكبيرة فى دوى كطلقات البارود .. وأحاط اللهب من كل جانب بكابينات الدرجـــة الاولى حيث كانت تسمع صيحات

الاستغاثة وصرخـــات الآلام .. واستطاع عدد قليل من المسافرين النجاة من سجن الكابينات المشتعلة .. وكثيرون عندما فتحوا الباب رأوا امامهم فى الممر نهـــرا من اللهب والدخان .. ردهم على اعقابهـــم فحاولوا القاء انفسهم من الكوى المستديرة ، واستيقظ آخرون فاذا هم على فراش من لهب لم يمكنهم من ان يـــدوا يدا الى حليهم وجواهرهم الموضوعة على الكومود الى جانبهم .. والقت عائلات كاملة بنفسها تقفزا من ارتفاع ثمانية امتار الى البحر .. وكان الاباء والامهات يحضنون أطفالهم بين أذرعهم وهـم يفعلون ذلك .. يحاولون السباحة بذراع . وكان مسيو بيرو رئيس غرفة هانوى التجارية يحمل على ذراعه ابنته بينما كانت النار تشوى ظهره . وانقذهما بحار بانزالهما على كابل ، لكن الاب لا يلبث بعد ثلاثة اشهر ان يموت من حروقه .. وكان هناك رجل يصيح : « النجدة .. انقذونى !. انى اشتعل !... » ..وعرف فيه الضابط الميكانيكى.. الصحفى البير لوندر .. وارسل اليه الضابط كابلا امـسـك به الصحفى بلهفة وعجلة أدتا بـه الى السقوط فى الماء ولم يظهر له بعدذلك اثر ..

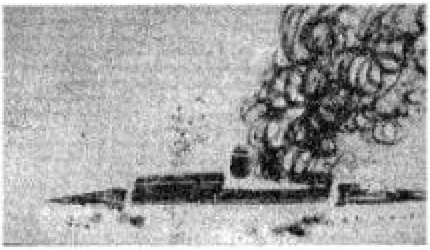
ويصعب وصف الرعب والهلع واللوعة . فقد نزع أولئك المساكين من فراش نومهم بعنف بعد ساعة او ساعتين من الراحة ، وكانوا فى ذهول وتخبط . وكانت صيحات الاسى ، وانين المحروقين ، ونشيج الذين فقدوا اطفالهم او اهلهـم ، والنداءات التى تمزق الافئـدة على التائهين والغائبين والمفقودين ، كل هذا كان كابوسا مروعا ..

وانطفا النور . وكان من خلال الظلمات الخانقة ، يلمع اللهب ، هنا وهناك ، ويلقى شعاعا جنائزيا ... وكان الاختناق يهدد فى كل خطـوة بقدر ما كان الدخان العكر كثيفا .. ولا شك ان كثيرين من الركاب قد قضوا نحبهم دون ان ينتبهوا حتى من نومهم . وما زالت النار تسرى، وتنتشر ،وتستعر !..

***

وتبارى المنقذون ببسالة انتزاع الارواح البشرية من اللهيب . واندفع بحار ينقذ من الاتون طفلا .. وفى المرة الرابعة لم يعد .. وكان بعض الركاب ينافسون رجال البحـر فى عملية الانقاذ، وشهد أحدالمسافرين الذين نجوا ، فيما بعد : « لقد كان الماء يضربنا حتى الركب ، وما رأينا نارا تقاوم وتزداد كهذه النار » .. وكان الباخرة كلها قد تحـولت الى رؤى من جحيم دانتى الخيالية !.. وكان الركاب ، حفاة الاقـدام ، يسيرون فوق المطاط ــ اللينوليم ــ الذائب ، وقد صاروا قطيعا بشريا بائسا يائسا ، مذعورا ، هائمـا

على وجهه ، يتخبط كمن يتخبطه الشيطان من المس ، يغشاه عذاب اليم .. والنار تغلى كغلى الجحيم . هذا هوعذاب الجحيم!.. واصبحت مقدمة الباخرة وبرج قيادتها كتلة من النار تتلظى .. وحولوا الركاب الى المؤخرة .. وهبت ريح عاتية ضاعفت من تأجج اللهب .. وراحوا ينزلون الاطفال ثم النساء على سلالم من حبال ليحتشدوا فى زوارق النجاة التى انزلت وقد افترق الابن عن ابيه والطفل عن امه والاخ عن اخيه .. وسيظل الذين ابحث لهم النجاة مطبوعين بتلك الساعات الرهيبة دهرا طويلا ينهش اعصابهم ويحطمها تحطيما .. ولم يعد ثمة ماء يشرب ولا غذاء يؤكل .. وكان الذى لم تلتهمه النار يرتعش من الحمى وهو فى مباذله يكاد يكون مجردا من الثياب .. ولما امتلأت كل زوارق النجاة ظل مئات من الركاب معلقين بين النار والماء والسماء .. ووصلت النار الى قاع الباخرة ومخازنها وكان القومندان يخشى فى كل لحظة انفجار



خزانات المازوت . واصبح الكل فى طوق من اللهب ليس منه فرار !.

***

ثم ظهرت بوادر النجاة فى الساعة السادسة : بظهور الباخرة الانجليزية « مشد » اذ وصلتها اشارة الاستغاثة اللاسلكية . وما لبثت ان تبعتها الباخرة « كونتراكتور » .. فتعالت من الصدور صيحة الفرح والفرج . وبعد ذلك جاءت بدورها ناقلة البترول الروسية « سوفييتسكايتف » .. وادار قومندان « المشد » طريقة الانقاذ بمقدرة وشجاعة اثارت اعجاب الجميع هو وبحارته . وكان البحر متلاطم الامواج ، مما زاد فى صعوبة العمليات وعقدها فوق انهيار المسافرين نفسيا وجسديا.

وكان البحارة قد اعماهم الدخان وضاعف من الخطر . والريح تدفع الزوارق ، وتلعب بها . وتدفع باللهب نحوها ، وتجعل كل ماحولها شواظا من نار لا يطاق هواؤه الساخن ، الاشد هولا من ريح السموم . وكانوا يلقون بالركاب من ظهر الباخرة كالطرود . والجميع فى جزع آخر لانهم يعلمون أن هذه منطقة كلاب البحر المعروفة بالقرش .. وسيح كثيرون ساعات طوالا قبلما يمكن التقاطهم ..

ولم تعد الباخرة جورج فيليبار الا كتلة هائلة من النار والدخان تشاهد من مسافة ستين كيلو

مترا . والتقطت الباخرة « مشد » ١٣٤ شخصا ، والباخرة «كونتراكتور» ١٢٩ شخصا ، وناقلة البترول الروسية — ٤٢٦ بينهم بحارة الباخرة الفرنسية وضباطها ١٠٠ حتى اذا صارت الساعة الثامنة ، وقد اطمأن الومندان فيكي الى انه لم يبق أمل في مزيد من الانقاذ ، كان هو آخر من غادر شبح باخرة ، والموت في الروح .. وغاصت بقايا الصلب والحديد والخشب في صقر مروع عند شاطىء حضرموت ... وبذلت عناية فائقة بالناجين ، وعولجوا ، وهدىء من روعهم ، واعطوا ثيابا ، وطعاما وشرابا ، فقد كانوا قد فقدوا كل مالهم .. وتدم بحارة الناقلة الروسية اهم كل المخزون لديهم بشجاعة تدعو الى التأثر ، وأى تضحية اعظم من أن ناقلة جعلت لتحمل ٤٠ رجلا هم كل بحارتها ، قد آوت اليها ٤٢٦ شخصا ؟! ..

وبينما كانت الباخرتان « مشد » و « كونتراكتور » تتجهان نحو عدن ، التي وصلتا اليها في ١٧ مايو جاءت الباخرة « أتفريه ليبون » وأخذت مئات الاشخاص من الناقلة الروسية واتجهت بهم نحو جيبوتي وحولوا عنابر كاملة الى مستشفى لمعالجة المحروقين والجرحى والمرضى .. وكانت مشاهد تمزق القلب اذ ثمة أطفال اصبحوا وحيدين في الدنيا فجاة بلا اب ولا ام .. وكانوا يصيحون اماه !.. اماه ؟..

***

ومن عجائب القدر ان الدكتور جوبيان الذي كاد يحترق في عام ١٩٢٣ على نفس الباخرة التي جاءت الان لتنقذ الركاب ، وكان ذلك خلال زلزال يوكوهاما .. كما سنذكر في ختام هذا الحديث قصة رجل المال والاعمال لانج فيلار وزوجته التي بدانا بها ، وهي ايضا من عجائب القدر !..

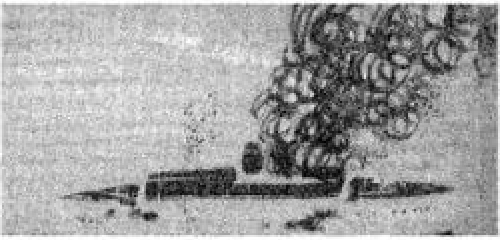
وكان البعض كما قلنا قد فقد كل ماله ، فضلا عن عياله ، لكن آخرين اصابهم ما هو أشد من ذلك مثل الدكتور بوبليه ، مدير معهد باستور في هانوي ، اذ رأى ثمرة عمل وجهد وبحث مدى احدى عشرة سنة ، من وثائق ، ورسوم ، ومذكرات ، وأسانيد وكتب تحت الاعداد ، قد راحت كلها واحترقت في غمضة عين . كما احترق كل البريد المرسل الى فرنسا . كما ضاع ما يبلغ ثمنه اربعة ملايين من سبائك الذهب المرسلة من سيغون الى مركز البنك الهندي الصيني في باريس ..

وهكذا راحت الباخرة جورج فليبار ضحية الاهواء السياسية أو التي يقول عنها اصحابها الاهداف المثالية .. وتحول ذلك كله الى موت وعذاب وفناء وحداد .. وختم

القدر على مصير عروس من عرائس البحار لم يطل بها الابحار !.

***

والان فلنعد الى مسيو لانج فيلار الذى نجا وزوجته من كارثة الباخرة جورج فليبار ، ووصل الى القاهرة، وقد رايته هو وقرينته فى صالون كبير فى فندق الكونتننتال القديم ، يطل على حديقة الازبكية ، مؤثث باثاث فخم من طراز لويس الخامس عشر ، وكان فى حالة يرثى لهـا ، يرتعش وزوجته ، كانهما خرجـا من الماء لساعتهما ، وقد لبسا ثوبين اشبه بالخرق البالية ، وكنا احضرنا لهما جوارب وملابس المهمنا فى التبرع بها ، لان الوقت كان ليلا ، والمحال التجارية مقفلة ، وطلب الرجل كاتبة على الالة الكاتبة لينعث برسـالة بالطائرة الى « البتى باريزيان » .. وكان اليوم التالى يوم أحد ؟ وهو مصر على شراء آلة سينما ، ومحلات كوداك فى ذلك اليوم مغلقة ، فلم يجد المرحوم جبرائيل تقـلا بدا من ان يعيره آلة كوداك الخاصة به ، حتى وصلت فى ذلك اليوم طائرة فرنسية خاصة يقودها أشهر طيار فرنسى ، ليحمل الرجل وقرينته الى باريس ليكونا اول من يصل من نـاجى جورج فليبار ، لكن المـوت كان فى اعقابهما ، وحدث ما يعد من عجائب القـدر : اذ ارتطمت الطـائرة بجبال الالب ؛ وتحطمت ، وقتـل الطيار ومات لانج فيلار وزوجته بعد نجاتهما من الموت المحقق حرقا او غرقا فى تلك الفاجعه ؛ فالموت الذى فرا منه قرب شاطىء حضرموت ، قد الحق بهما فى عنان السـماء : فوق ايطاليا ؛ ولعل الموت قد عـز عليه ان يفشل وقد انطوى منهمـا العمر ، فاذا بهما يهويان ومعهمـا الطيار فى سفح الجبال ، وقد وجدوا هناك آلة كوداك السينمائية وعليها الحرفان الاولان من اسم جبرائيل تقلا : « ج . ت » سليمة لم تمس ، وهى قصة تكاد ان تكون من نسج الخيال



إستراحة ٥ دقائق

النجدة

ظلت الزوجة تناكف زوجها عشر سنوات منذ زواجهما ، وذات ليلة استمعت الى محاضرة فى التليفزيون عن المناكفات الزوجية وضررها ، واصرت المتحدثة على ان « الوجه الباسم يحصل على كل مايريد وبدون كلام » . وتأثرت الزوجة جدا بالفكرة فقررت استخدامها فورا . وفى الصباح جلس زوجها الى مائدة الافطار فوجد امامه زوجته باسمة لا تنطق باى كلمة مناكفة كالمعتاد ، ولا اى كلمة من اى نوع . تبتسم فقط وتنظر اليه بعينين فرحتين ، ونظر الزوج فمه دقيقة ولما وجد سحنتها لا تتغير ، وثب كالملسوع الى التليفون :

— الو . دكتور ! احضر حالا من فضلك . اصيبت زوجتى فجأة بمرض اخرس لسانها وغير ملامح وجهها !

سبب الترحيب !

كان موظف الاحصاء يلقى صعوبة كبيرة فى اقناع ربات البيوت بحقيقة عمله وشخصيته . ولكنه وجد ترحيبا من احداهن عندما طرق بابها

— من انت ؟

— انا رجل الاحصاء ياسيدتى

— آه . فهمت . انت الرجل المكلف بزيادة عدد السكان . ادخل اذن ولاتدع احدا يراك !

انقاذ الموقف

دعى النائب الجديد الى حفلة عشاء فى واشنطون . وكان شابا وسيما اما زوجته فتكبره بعشرة اعوام على الاقل ، ذات ملامح حادة جادة وترتدى ثيابا من الطراز العتيق . وعلى المائدة جلست زوجته عن يمينه ، اما عن يساره فجلست شابة دون العشرين رائعة الجمال ترتدى ملابس سهرة تكشف عن معظم صدرها وظهرها . فجعل النائب الريفى ينظر اليها طول الوقت فى اعجاب ابله ولايقوى على الكلام ، فلكزته زوجته بعنف وهمست فى اذنه :

— ارجوك ياعنترى ! كلمها ! قل لها اى شىء ، حتى لايظن الناس حين يرونك لاتتبادل الحديث معها انها زوجتك !

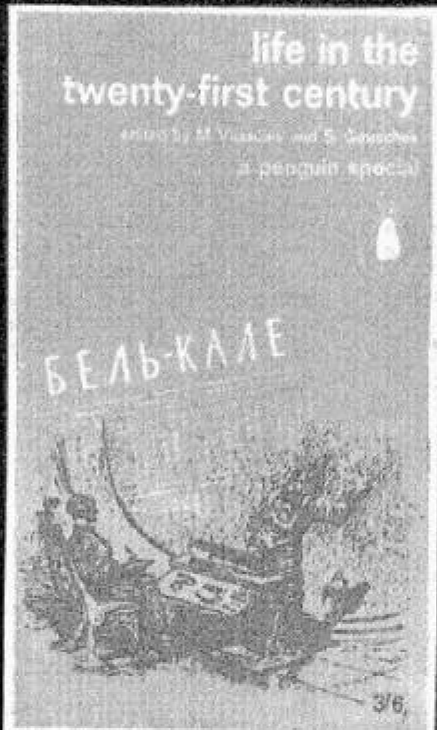
مغامرة

اشترى الشاب قميصا من النوع المتعدد الالوان ، فوجد بداخله ورقة عليها اسم وعنوان فتاة مع هذه الكلمات :

— ارجوك ان تكتب الى وان ترسل احدى صورك . مع الشكر

وفرح الشاب ورحب بهذه المغامرة الغرامية واسرع بارسال صورته ، وبعد يومين جاءه خطاب فضه وقلبه يخفق ، فوجد بداخله هذه الكلمات :

— اشكرك ، كنت اريد فقط ان اعرف شكل المخلوق الذى يعجبه ارتداء قميص مضحك كهذا !



كتاب الشهر

عرض وتلخيص:
صوفي عبد الله

الحياة في القرن ٢١

بقلم: علماء الصف الأول في أكاديمية العلوم السوفيتية

في هذا الكتاب العجيب يحيط أبرز علماء روسيا اللثام عن صورة المستقبل التي يعملون الآن على تشكيلها ويوجهون جهودهم العلمية الجبارة الى صنعها. فهم اذ يتنبأون بما سيكون بعد نصف قرن من الزمان يستندون الى الخطة العلمية التي تحت ايديهم ، والى المعجزات التي حققوها في السنوات الاخيرة .. انهم يحدثونا عن نمط معيشتنا — او على الاصح معيشة ابنائنا واحفادنا — في القرن الحادي والعشرين من غير ان يقال لهم « كذب المنجمون ولو صدقوا » . فما هو بالتنجيم ، ولكنه صرت العلم ، وفوق كل ذي علم عليم!



الحياة في القرن ٢١

أول هؤلاء العلماء الافذاذ هو **الكسندر نيقولايفتش نسميانوف** رئيس اكاديمية العلوم في موسكو ، وهو يرى ان صورة تلك الحياة المستقبلة انما هي في الواقع حلم علمي ، او نوع من التنبؤ بما يصل اليه تقدم العلم على المدى الطويل ..

الاحلام العلمية

• ونحن لا نهتم دائما بأن نحلم ، ولسنا مستطيعين دائما أن نحلم . مع انه من اهم الامور أن تكون لدينا احلام . فالمشروعات لا يمكن أن توجد من غير الاحلام . فمن دونها يتوقف تقدم الانسان ، ويكف العالم عن الاكتشاف والابتكار . وانى ارى العلم اشبه في تقدمه بشجرة عالية كثيرة الفروع وجذورها ضاربة في الارض . وما يحتاج اليه العلم انما هو الحد الاقصى من الخصوبة التي تؤتى اعظم قدر ممكن من الثمرات . فالعلم في مجتمعنا الحديث له غاية واحدة هي خدمة الانسان الى اقصى حد وتقديم ما يسد حاجته المادية واحتياجاته وضروراته الفكرية والمعنوية . ولكن بالغة ما بلغت موارد الخصوبة في التربة ، فالشجرة لا تستطيع انْ تنمو وتؤتي ثمارها بدون الشمس . والشمس بالنسبة للعلم والعلماء هي الفكرة الملهمة التي تضيء طريق العالم وتدفيء روحه وتمده بالقدرة على الابداع

• وكلما ارتفع مستوى الاساليب الفنية زاد امتداد جذور شجرة العلم ورسوخها في الانتاج والتطبيق . اما الفروع فلا بد لها من تجدد الالهام بأشعته الوضاءة كي ترتفع نحو الشمس والورق والثمر . فالنظر الى الغد والتطلع الى تحقيق صورة متقدمة للحياة فيه انما هو مصدر الالهام لكل عقل نوري متقد ولا سيما عقل رجل العلم . فبدون هذه القدرة على تخيل المستقبل .. في خطوطه العريضة على الاقل ، يعجز الناس عن حل المشكلات العلمية المعقدة ، والمشكلات الاقتصادية والسياسية ايضا . فيجب على كل امرىء ان ينمي في نفسه تلك القدرة على الحلم والتخيل . يجب ان نتعلم كيف نحلم ، لنعرف كيف نقيم التوافق بين عمل اليوم ومشكلات الغد

• وان المستوى الذي وصل اليه العلم في اندفاعه المستمر نحو آفاق جديدة من الكشوف الخارقة يسمح لنا ان نتنبأ بكل ثقة بما سيكون عليه المستقبل . وان نقول أن صورة ذلك المستقبل ستتجاوز بكثير ما تخيله الكتاب الروائيون . فنحن اليوم نطلق الاقمار الصناعية وسفن الفضاء . واستطاعت معامل ابحاث الفضاء ان تكشف الكثير من اسرار الاشعة الكونية ، وبات قريبا جدا اليوم الذي يستعمر فيه البشر الكواكب الاخرى . وتلك وحدها خطوة جبارة تضارع الثورة الصناعية التي احلت الآلة محل مجهود البشر العضلي

• وفوق هذا كله سجل العلم الحديث انتصارا ليس له مثيل هو تلك العقول الالكترونية التي تقوم بأشد العمليات الرياضية تعقيدا في ثوان معدودة ، وهي تحتاج من امهر العلماء في حلها الى ما يزيد على عشر سنوات فبفضل هذه العقول الالكترونية يختصر العلم خطواته نحو حل معضلاته اختصارا يفوق التصور . وعن قريب سنكون في متناول ايدينا عقول الكترونية اكثر تقدما وعبقرية نقدم اليها الالوف من المعلومات المتناثرة في أي موضوع لتستبعد مئات المعلومات التي لا جدوى منها وتتخير الضروري لتحلله وتستخرج لنا الجواب الذي كان يقتضي الوصول اليه جهد عشرات السنين من جيش كامل من العلماء . فهذه العقول الالكترونية التي سيتميز بها المستقبل القريب ليست مجرد آلات حاسبة جبارة وانما هي فوق هذا عقول علمية تجيد التمحيص والاختيار واكتشاف القوانين الطبيعية التي لم تكن معروفة من قبل

• واذا كان علم اليوم قد دخل محراب الذرة وعرف اسرارها فان علم الغد سيتجه الى تسخير ذلك الاكتشاف للاغراض السلمية . فليس بعيدا جدا ذلك اليوم الذي تقوم فيه محطات للقوى الكهربائية تستخدم وقودا لا ينفد تستمده من الهيدروجين ونظائره

• واذا كنت أؤكد ضرورة الاحلام للانسان عموما وللعالم على الخصوص فلان الاحلام هي الطلائع الضرورية للفروض العلمية التي تحولها التجربة الى نظريات . واستبعد بالطبع المعنى احلام مدمني المخدرات وما اليها ، بل اعني تلك الافكار المتماسكة التي تتصل بالتقدم في هذا الميدان او ذاك من ميادين العلم . فأحلام العلماء هي الامتداد الطبيعي لما حققه العلم بالفعل مع القدرة على ربط تلك الانتصارات بآمال الغد واحتياجاته . فانتصارات الحاضر والماضي هي الاساس المتين لاحلام المستقبل السوية . اما الاحلام نفسها فهي الدليل الاكبر على شباب العقل . اما تحقيقها فهو المعضلة التي تجند لها جهود كل رجال العلم . فلا يمكن أن نخطو في العلم خطوة واحدة الى الامام الا اذا خصصنا كل تفكيرنا واهتمامنا للكشف العلمي .. مستعينين بالفطنة والشوق . ذلك الشوق الذي نستمده من جمال الحلم الذي سحرنا وتعلقنا به

• لهذا كله صار من واجبنا قبل كل شيء ان أعلم الجيل الصاعد كيف يحلم احلاما علمية جريئة . وان نعلمه فوق هذا كيف يحقق تلك الاحلام . فالحياة في القرن الحادي والعشرين تتوقف صورتها الى حد كبير على ذلك الجيل الصاعد . فاذا كان جيلنا قد طار في الهواء ثم زاد على ذلك فارتاد الفضاء وفتت الذرة ، فامام الجيل الصاعد من يخطو خطوة لها مثل تلك الضخامة اذا عرف كيف يحلم وعرف كيف يحقق ما يحلم به

عصر البلاستيك

• ماذا اقول ؟ ان فتوحات هذا الجيل في دنيا العلم لا تقتصر على الروائع الباهرة في ارتياد الفضاء وتفتيت الذرة . فهناك فتوحات لا تقل اهمية عن غزو الفضاء حققها العلم في تفاصيل حياتنا اليومية الصغيرة . بيد انها فتوحات تمت بالتدريج تكاد تشعر بحدوثها . فحين يحصل احدنا مثلا على قميص من الحرير الصناعي لا يخطر بباله مدى المعجزة التي حققها العلم باكتشاف



فتلة الحرير الصناعي او خيوط النايلون ، ولا مقدار الجهود العقلية المضنية التي كانت ثمرتها هذه المادة التي لا نظير لها من صنع الطبيعة . وبفضل هذه المجهود امكن تحويل الخشب الى نسيج ناعم طرى لم يظفر بمثله الملوك والاباطرة في الزمن القديم . بل لقد استطعنا ان نخترع فراء صناعيا يزيد في جودته ومزاياه وفخامته على فراء الثعالب وفراء استراخان المشهور . واستطعنا ان نخلق جلدا صناعيا ارقى عشرات المرات من جلود الحيوانات . ولاشك ان عالم القرن الحادى والعشرين . ستنكمش فيه المواد الطبيعية ، وتعتمد الصناعة على موادمبتكرة يصنعها العلماء بناء على مواصفات دقيقة جدا بحيث تحقق اقصى امتيازات ممكنة للجمهور المستهلك . واستطيع ان اجزم بغير تحرج ان الناس في القرن الحادى والعشرين ستكون ثيابهم واحذيتهم من مواد صناعية خالصة . وان جميع الاشياء التي ستحيط بهم حياتهم اليومية سواء في البيت أو النزهة او العمل ستكون صناعية ايضا . وستكون اللدائن « البلاستيك » هي المادة الرئيسية في ذلك القرن . اللدائن مواد خلقها الانسان خلقا وليس لها اى نظير في المواد الطبيعية . فلا يمكن ان يقال ان الانسان قلد الطبيعة حين خلق اللدائن . ويتطور صنع اللدائن بحيث يمكن انتاج آلاف الانواع ذات الصفات والمزايا المتباينة التي تحقق اغراض شتى الصناعات الدقيقة والصلبة واللينة

« واذا كان المؤرخون يطلقون على كل عصر اسما على حسب مادة الصناعة فيه ، فهناك العصر الحجرى لان مصنوعاته كلها من الاحجار ، وهناك عصر البرونز وعصر الحديد . فالاولى ان يقال ان القرن الحادى والعشرين هو عصر اللدائن

« ان كل ما يصنع الآن من الخشب والمعادن والاحجار سيصنع يومئذ من اللدائن . والمادة الوحيدة التي يبدو اننا تلدنا بها الطبيعة هي المطاط الصناعي ، ولكن طريقة صنع هذا المطاط تتم بأسلوب يختلف اشد الاختلاف من اسلوب الطبيعة ، والمزايا التي تراعى في المطاط الصناعي في الوقت الحاضر افضل من مزايا المطاط الطبيعي وبعد نصف قرن سيكون الفرق بين المطاط الصناعي والطبيعي هائلا بحيث تتوفر فيه اغراض معينة لكل نوع من انواع الاستعمال .. وسيكون الفضل في ذلك للكيمياء العضوية التي تكشف كل يوم سرا جديدا من اسرار الطبيعة في طريقة خلقها وتحويلها الغذاء النباتي والحيواني الى كائنات حية تختلف كل الاختلاف من مصادر ذلك الغذاء

« يوما ما سنعرف كيف نحاكي الطبيعة ثم نسبقها في مضمار تحويل الطماطم والكرنب والحساء والسمك واللحم الى دم وخلايا واعصاب ، وعندئذ ستطور خصائص ذلك الانتاج الحيوى حسب ارادتنا . ويومئذ سنعرف كيف نصنع الكلوروفيل بحيث يغدو الطعام الصناعي اغنى آلاف المرات من الطعام الطبيعي الذى نأكله اليوم . ويومئذ ايضا سيكون استخدامنا للطاقة الشمسية واستفادتنا منها اقوى آلاف المرات من استفادتنا اليوم التي لا تتجاوز ما يختزنه النبات الذى نأكله من تأثير الشمس السحرى »

عصر التيتانيوم

اما الاستاذ ايفان باقلوفيتش باردين عميد علماء المعادن الذى نيف على السبعين فلديه

قمة شائقة يرويها عن المعادن في القرن الحادى والعشرين . وهو يعتقد ان عمر الانسان في ذلك القرن سيكون اطول مما هو الآن بفضل تقدم الطب الوقائى والعلاجى . وان المعادن ايضا ستصبح اطول واقدر اعمارا على مقاومة التحلل

• ان الحديد هو المعدن الاساسى في حضارتنا الصناعية الحديثة . ولكن القرن القادم سيشهد زحزحة ملك المعادن عن عرشه لتحتله معادن اخرى ، منها النحاس معدن الالكترونيات . ومنها ذلك المعدن الذى يشبه الريش في خفته وهو الالومنيوم . ومنها معدن اخطر من كل هؤلاء يعتبر الآن في طفولته ولكنه يتفوق على سائر المعادن في مزاياه وملاءمته لصناعة المستقبل . واعنى به معدن التيتانيوم . وعلى حسب معلوماتى عن المعادن اعتقد ان القرن الحادى والعشرين اجدر بان يسمى بداية عصر التيتانيوم

• ان التيتانيوم يمثل نصف في المائة تقريبا من وزن العناصر التى تكون القشرة الارضية . فهو من اكثر العناصر انتشارا من حيث الكمية . اما من حيث الخواص فهو يتمتع بمقاومة كبيرة جدا تبلغ ضعف مقاومة الحديد ، ومع هذا فهو اخف وزنا من الحديد بكثير . والاهم من هذا مقاومته الشديدة للصدأ او التأكسد . فالصدأ هو آفة المعادن التى تقضى على ربع ما يستخرج من الحديد في انحاء العالم . بل ان مناعة التيتانيوم ضد الصدأ تبلغ التمام . فهو يضارع البلاتين في هذه الصفة وفي انه يقاوم ايضا فعل الاحماض والقلويات والاملاح . حتى انك لو غمست التيتانيوم في ماء البحر بضع سنين فلن يفلح الماء الملح في كسوته ولو بطبقة رقيقة متأكسدة

• وليست هذه هى كل مزايا التيتانيوم ، فمقاومته للحرارة اعلى من مقاومة الفولاذ بمائتى درجة مئوية على الاقل . فهو لا ينصهر في درجة حرارة اقل من ١٧٣٠ ، فلا عجب ان يكون التيتانيوم هو اخطر منافس للحديد ومشتقاته . مع ان هذا المعدن لم يبدأ انتاجه الا في سنة ١٩٤٦ . ولكنه يسير بخطى جبارة . ولا شك ان انتشاره في مكونات القشرة الارضية سيجعل الحصول عليه اسهل من الحديد وفي متناول كل امم الارض تقريبا

• اما صناعة الفولاذ نفسها فسيتكفل العصر الذرى بادخال تحسينات هائلة عليها . وبواسطة الاشعاع الذرى ستضاف الى الحديد المصهور خصائص لم يعرفها العالم حتى اليوم ، وبحيث يتم الصهر وتعديل الخصائص والتشكيل في لوان . وسيتغير شكل المصاهر لان الفحم بكتله الضخمة سيخلى المكان للقوى الكهربائية وللطاقة الذرية وربما ايضا لآلات تستخدم الطاقة الشمسية

انتهاء كوارث المناجم

اما ايفان جركوشا مدير معهد الابحاث الجيولوجية فيؤكد انك لن تسمع في القرن الحادى والعشرين بشىء من الكوارث التى يهز صداها العالم كلما انفجر منجم من مناجم الفحم او غيره فأودى بحياة المئات من العمال . وذلك لسبب بسيط هو ان عمال المناجم لن يمارسوا مهنتهم يومئذ في جوف الارض ، بل فوق سطحها مثل اى طبيب او بقال !

• ان القرن الحادى والعشرين سيكون قرن الالكترون والذرة والطاقة الشمسية والاشعاعات ، وستقوم الاجهزة بالكشف عن مواطن المعادن والفحم والبترول بحيث ترسم لها خرائط دقيقة جدا . فلا يحتاج المنقبون الى التخمين وضرب البرمبات الى مئات من الامتار عشرات المرات قبل ان يصيبوا الهدف . كلا لن يكون التعدين والتنقيب عن البترول خبط عشواء في الظلام . بل سيبدو كل شىء على شاشات الاجهزة التليفزيونية الخاصة بالمناجم ... [illegible]



صار جسم الانسان من الداخل مكشوفا لطبيب الاشعة

« أما عملية استخراج المعادن او البترول فلن يقوم بها العمال مباشرة ، بل ستكون هناك الات وانابيب تخترق الارض وتوجهها اجهزة الكترونية . وفي المكان المناسب وعلى العمق المناسب يضغط المهندس على بعد عشرات الاميال او مئاتها على زر صغير فاذا بطاقة تتولد بدرجة حرارة معينة بحيث تحول المعدن المطلوب بمجرد دخوله في الالة الى بخار ؟

« نعم سيتحول الفحم أو الحديد أو النحاس او البترول الى بخار . تمتصه الاجهزة ويدفع في أنابيب خاصة يمكن ان تنقله مئات الاميال الى مراكز التجميع التى تحول ذلك البخار عن طريق تغير درجات الحرارة وتسليط الاشعاعات الى مواد نقية خالية من الشوائب تتوفر لها صفات كيماوية محددة على حسب الطلب . فاذا بركازة الحديد مثلا تخرج من المنجم بطريقة آلية على صورة بخار كى تخرج بعد ذلك من المصنع الكبير على شكل مصنوعات فولاذية ذات كفاية محددة وفي الشكل المناسب من غير أن تمسها يد انسان

ان القرن الحادى والعشرين سيهبط بالجهود المطلوب في صناعة التعدين الى أقل من جزء من ألف مما يبذل اليوم

تتغير اهمية البترول

ولصناعة البترول على الخصوص مقام خاص في الحضارة الحديثة . وعميدالابحاث البترولية جوبكين الذى يتولى اعداد خطة المستقبل بالنسبة لتلك المادة الرئيسية في الصناعات الكيماوية وفي الوقود على السواء

وفي رأيه ان صناعة الزيت او النفط لم تصل بعد الى درجة تقارب الكمال . وان نصف القرن القادم سيشهد وصول النفط الى الذروة العليا من كمال التصنيع ومن الاهمية . وان كان المنتظر ان اهميته كوقود قد لا تضارع اهميته كمصدر خام للصناعات الكيماوية . فمما لاشك فيه ان الوقود الذرى والطاقة الشمسية ستكون لهما السيادة في تسيير المحركات في القرن الحادى والعشرين . ولكن يجب الا ننسى ان زيت البترول تستخرج منه آلاف المواد الكيماوية، وهذه الالاف قد تصير بعد نصف قرن عشرات من الالاف . وليس بعيدا ذلك الوقت الذى تستخرج فيه الدهون والسكر والموادالغذائية الاساسية من زيت النفط !

ثم لا يمكن ان نغفل عنصرا هاما تقوم عليه اهمية النفط في المستقبل . وهو أن اللدائن تصنع من مشتقاته . وفي القرن الجديد ستكون اللدائن في المقام الاول من الاهمية . ومن اللدائن ستصنع البيوت والاثاث والملابس والاجهزة وهياكل السيارات والطائرات والاحذية . ومعنى هذا أن طعام الانسان في القرن الحادى والعشرين وملبسه ومسكنه ستكون كلها تقريبا من مشتقات البترول . وسيصبح هذا الزيت الاسود اهم علميا والمن حضاريا من معدن الذهب آلاف المرات

ولهذا السبب تخامر بعض النفوس شكوك ومخاوف بصدد نفاد كميات البترول الموجودة في الطبيعة وهو كلام ليس له مايبرره . وعلينا ان نتذكر كيف كان الناس منذ ثلث قرن يضعون أيديهم على قلوبهم خوفا من نضوب كميات نترات الشيلى

الموجودة بفعل الطبيعة في تلك البلاد وقد صارت من اهم انواع الاسمدة والمخصبات الكيماوية . ولكن المشكلة لم تلبث ان حلت على اتم وجه بتركيب تلك النترات صناعيا واستخلاص النترات من الهواء الجوى الذى يحتوى على عنصر النتروجين ! ومن قصر النظر ان نخشى نضوب معين البترول . فقبل أن يحين ذلك الوقت سنكون قد وفقنا الى صنع البترول نفسه من الهواء الذى نتنفسه . ولن نحتاج الى ذلك قبل مائتين على الاقل من السنين ، لاننا سنحسن في العشرين سنة القادمة على الاكثر طريقة استخراج البترول بحيث تتمكن الاجهزة العلمية من امتصاص الزيت من التربة المشبعة به في اعماق الارض بحيث نحصل من كل حقل للبترول على ثلاثة اضعاف ما نحصل عليه الآن ! لاننا في الوقت الحاضر نمتص البترول السائل المتراكم ولا نحصل من التربة المشبعة في قاع بحر البترول على شيء تقريبا . ولكن سرعان ما سنتمكن من ابتزاز كل قطرة من تلك التربة بحيث نتركها جافة تماما

بل وسنتمكن ايضا من تحويل منابع البترول من مكان تحت الارض الى مكان آخر لنجعل موضع البئر ملاصقا لمعمل التكرير ، ولا نحتاج الى نقله في انابيب على سطح الارض ، لانه سيكون في وسعنا ان نجتذب البترول وهو تحت الارض من منطقة الى منطقة اخرى تبعد عشرات الاميال او مئاتها . وذلك ما يسمى هجرة البترول . وعندئذ لن نهتم كثيرا بالحفر هنا وهناك بل سنحفر حيث نشاء ثم نستدعى البترول تحت الارض الى حفرتنا !

الاسطورة والمفرقعات

واما الاستاذ جورجى بوكروفسكى لعالم في الفولكلور ، ولكنه في الوقت نفسه من اكبر خبراء المفرقعات . وقد مهد لحديثه عن دور المفرقعات في حياة القرن الحادى والعشرين بأسطورة شعبية عتيقة طريفة ، هى اسطورة « فرهاد وشيرين » . وكان فرهاد شابا جميلا مخلصا ، وشيرين هى حبيبته الحسناء .

وقد فرق بينهما القدر ووضع في طريقهما عقبات لا حصر لها ، فكان على فرهاد أن ينقب بمطرقته عددا من الجبال الصخرية العالية . ومضت سنوات طوال وهو يقوم بذلك العمل الشاق الى أن وصل اخيرا الى محبوبته وتزوجها ولولا ان الوصول اليها كان غاية عظمى تسيطر على فؤاده لما سخت نفسه بشبابه وعصارة قوة بدنه وافضل مراحل عمره كى يحقق هذه الغاية . وقد خلد هذا العمل اسم فرهاد . واصبحت اسطورته رمزا للانسانية التى تسعى الى غاياتها الشاقة فوق بحار وجبال من الزمن والجهد . فصورة شيرين الرائعة كانت مصدر الالهام والوحى لفرهاد . وكذلك صورة مستقبل الرفاهية التى تعم البشرية هى مصدر الوحى والالهام لنا ونحن نسعى بالآلين اعمارنا وقوتنا لتحقيق ذلك المستقبل

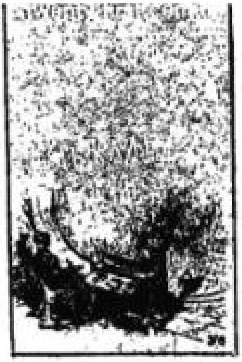
***

وينتقل الاستاذ بوكروفسكى من فرهاد وشيرين الى المفرقعات وما ستصنعه لرفاهية « ا » القرن الحادى والعشرين :

« ظل الناس قرونا يستخدمون المفرقعات للتخريب والدمار الى أن وصلت هذه الطاقة في القرن العشرين الى حدود تهدد العالم بالفناء وتقضى على الجنس كله لا على مدن واقاليم متفرقة . فالتقدم في هذا الاتجاه لايمكن ان يمضى فيه الا المجانين . ولكن لحسن الحظ ان المفرقعات يمكن أن تستخدم في الاغراض السلمية فتكون هى مطرقة فرهاد التى تشق الجبال . ولو ان فرهاد كانت تحت يده هذه القوة الجبارة لفرغ في أيام مما استغرق من حياته عشرات السنين

« لقد استخدمت المفرقعات لتعديل مجرى نهر كبير في الصين ، ولاحداث ثقب ضخم في جبل يعترض طريق خط حديدى جديد . وكل ذلك بفضل استخدام مقادير من المفرقعات بكميات محسوبة مقدما بحيث تعطى في النهاية النتيجة المطلوبة بلا زيادة ولا نقصان

« بل ان الخبراء استطاعوا في سنة ١٩٥٦ عند اكتشاف منجم للحديد في الصين ان يستخدموا كمية من المفرقعات نقلت الى موضع المنجم في ٥٠٠ عربة سكة حديد



وبعد ثوان معدودة كانت كل مساحة المنجم مكشوفة في ضوء الشمس ! ولكن سبقت هذه العملية عمليات معقدة قامت بها العقول الالكترونية لتحديد المقادير اللازمة ومواضعها وتوقيتها

« فمما لاشك فيه أن دور المفرقعات في القرن القادم سيكون دائما في خدمة السلم والرفاهية والبناء الحضاري . ومما لاشك فيه أيضا أن هذا الدور سيكون من الضخامة بحيث لا نستطيع الآن ان نتصوره . لان التفجيرات تقترن في ذهننا بهيروشيما ، ولكنها في القرن الحادي والعشرين ستقترن بالخير والخصب وتذليل الطبيعة !

الصحة والطب

ولكن ما صورة الحياة في القرن المقبل من وجهة النظر الصحية والطبية ؟

ان رئيس اكاديمية العلوم يقول ان السرطان والاضطرابات العقلية وأمراض القلب والاوعية الدموية التي نراها اليوم مستعصية على العلاج لن تكون بعد خمسين سنة أو اربعين أكثر استعصاء على العلاج من الالتهاب الرئوي الذي نعالجه الآن ببضع حقن من البنسلين ، أو من التيفود الذي نعالجه ببضع كبسولات ، مع أن هذين المرضين كانا منذ عشرين سنة داءين قاتلين !

وهو يبدي حيرته من القلق الذي سيسيطر على حياة الاطباء والعاملين في معامل الابحاث الطبية وقد أصبح العلاج من الامراض لايثير مشكلة تتحدى العلم أو الجهد . وفي اعتقاده أن على الاطباء في ذلك القرن أن يتركوا العلاج ومشاكله خلف ظهورهم ويشغلوا انفسهم بشيء آخر أو هدف كبير يفرغون فيه همتهم ولا يمكن أن يقف التقدم نحو هذا الهدف الضخم عند حد . وهو يعني بذلك « تحسين أجهزة وتركيب البنية البشرية »

اننا نعرف الآن شيئا اسمه التربية البدنية لتقوية الجسم وتنشيطه ولكن مفهوم هذه التربية في القرن المقبل سيكون شيئا مختلفا تمام الاختلاف . لن يكون مهما عندئذ تدريب الانسان مثلا على رفع ثقل معين بيده اليسرى ، لان الاهم من ذلك ألف مرة أن يكون قوى التكوين عموما ، أى أن أجهزة جسمه تكون أقدر مايكون على القيام بوظائفها والارتفاع بمستوى صحة البنية بوجه عام. فنحن الآن مثلا لا نستطيع ان نقرأ في المتوسط أكثر من صفحة واحدة في الدقيقة . ومعنى هذا أن نستغرق أحيانا أكثر من أربع وعشرين ساعة لاتمام قراءة رواية . فمن الواجب أن تتجه بحوث الاطباء نحو اكتشاف وسائل للتربية الذهنية تزيد من سرعة أعين في القراءة ، وتزيد من قوة الذاكرة في الحفظ والفهم . وفي الوقت نفسه سيكون العلم قد ابتدع أجهزة الكترونية تسجل الملاحظات في المحاضرات واللجان وتستوعب المعلومات المتفرقة في المراجع وتكون قادرة على تقديم اى معلومات متشعبة في مدى ثوان وتنسقها تنسيقا منطقيا مع التركيز واستبعاد المعلومات التي لا لزوم لها

ولا شك ان الرجل او الرجال الذين سيكتشفون طريقة رفع مستوى الاستجابة وحدة الحواس ورهافة الجهاز العصبي للانسان سيعتبرون في مقدمة أبطال القرن المقبل وسيقيم لهم معاصروهم النصب التذكارية لتمجيدهم في كل مكان

علم الحياة

ويقول الاستاذ انجلهارد الالماني الاصل ورئيس قسم البيولوجيا « علم الاحياء »

فى اكاديمية العلوم ان علم الاحياء فى القرن المقبل سيعتمد فى المقام الاول على فرع من الكيمياء الطبيعية يختص بالخلية الحية وتكوينها ، لانه ما من بنية حية سيكون من العسير التعبير عن تركيبها برموز الكيمياء التحليلية • وستتولى الكيمياء التركيبية تأليف موجودات صناعية لا نظير لها من الطبيعة بحيث تتمتع بخصائص معينة محددة من قبل

وانه لمن اخطاء عصرنا الكبرى أن العلماء المشتغلين بالعلوم المضبوطة الدقيقة وجهوا الجانب الاعظم من جهودهم الى المادة غير الحية او الجامدة، ولكننا بدأنا بالفعل نعوض هذا النقص وندرس الكائنات الحية على اعتبار انها علما مضبوطا دقيقا مثل الهندسة والكيمياء والطبيعة ، وقد استخدمنا أساليب هذه العلوم الثلاثة فى البحث من تحليل وفحص واستكشاف لقوانين الخلايا والاجهزة الحية . ولاشك ان من اعظم نتائج هذه الدراسة العلمية الدقيقة تحقيق الحلم الكبير الذى راود اجيالا لا حصر لها من البشر ، ونعنى به اطالة عمر الانسان، وقد استطعنا حتى الان أن نطيل متوسط العمر بمقدار عشرين سنة فى جيل واحد من البشر بفضل القضاء التام تقريبا على بعض الامراض البكتيرية مثل التيفود والخناق «الدفتريا» والسل . ومما لاشك فيه إن انتصار آخر من اعظم ما يكون قد صار على الابواب ، وهذا الانتصار هو الكشف عن الطبيعة الحقيقية للسرطان • فما بقى علينا الان أن نعرفه فى هذا الصدد هو الطريقة الخاصة التى يسلكها الورم الخبيث فى عملياته الكيماوية ، وكيف تختلف هذه العمليات عن العمليات الكيماوية فى الانسجة السوية التى لم يصبها المرض • ومتى حددنا هذا الاختلاف فى صورة معادلة علمية فلن تكون هناك صعوبة على الاطلاق فى ايجاد الوسيلة الفعالة لمكافحة هذا الداء والقضاء عليه . وليس ذلك الاكتشاف ببعيد لان اشد العلماء حذرا يحدد له عشر سنوات على الاكثر منذ اليوم • فمن حقنا الان ان نقول ان بداية القرن الحادى والعشرين ستكون خالية من ذلك الفرع الذى يقترن باسم السرطان كما تلاشى من اذهاننا فى هذا الجيل الفزع المقترن باسم الجدرى وداء الكلب • وان كان من العسير ان نتنبأ منذ الان لمن سيكون مجد هذا الانتصار النهائى : للكيماويين بعقاقيرهم ام للفيزيائيين باشعاعاتهم . وان كان الاقرب الى الاحتمال أن النصر سيكلل جهود الفريقين متعاونين

ولاشك أن القضاء على الامراض سيطيل عمر الانسان اطالة كبيرة • ولكن ثمة مشكلة اخرى وهى ان البشر ينفقون ثلث اعمارهم فى النوم ، وهو وقت طويل كان من الممكن ان ينفق فى المنفعة الشخصية او المصلحة العامة . وأهمية النوم انه يجدد ما ارهق من الجهاز العصبى فى اثناء اليقظة ويقضى على آثار سموم التعب والارهاق

وقد اكتشفت اثناء الحرب عقاقير كالديكسدرين تطيل مدة اليقظة وتمنع الانسان من النوم يومين او ثلاثة . ولكن بعد تلك المدة يعوض ما فاته من النوم بحيث يستولى الكرى على الشخص مدة تبلغ ثلاثة اضعاف مدة النوم المعتادة او اكثر . اما القرن الحادى والعشرين فسيعرف وسيلة اخرى لقهر التعب ، قد تكون فى صورة ذبذبات كهربائية خفيفة تسلط على المخ بحيث لا نحتاج حاليا الى ثمانى ساعات ، ويستيقظ المرء بعد الساعتين وقد استوفى حظه من النوم تماما

وبهذه الطريقة نكون قد اضفنا فى الواقع ربع قرن او ثلث قرن الى حياة الانسان العادى ، تضاف الى ما يزيده تقدم الطب على متوسط العمر

***

والمشكلة الثالثة التى سيحلها علم الاحياء قبل القرن المقبل هى مشكلة الوراثة ، وكيف تتجمع فى خلية لا ترى بالعين من الناسلات جميع تفاصيل البنية ووظائف اعضائها . وكيف تعمل الناسلات على تزويد الجنين بخصائص معينة فى سلالتى الابوين. ومتى حل علم الاحياء هذه المشكلة الكبيرة تمت له السيطرة على تشكيل الاجيال



القادمة من طريق تعديل الذرات الموجودة في الناسلات بحيث نحصل على صفات ممتازة محددة في الحيوانات والنباتات والانسان

لقد تقدم العلم في هذا الاتجاه الى مدى كبير بالنسبة لاعداد اجيال من الميكروبات ذات صفات معينة تختلف اختلافا كبيرا جدا او تتناقض في صفاتها مع اجدادها . ويقى في مدى نصف القرن المقبل أن يتمكن العلم من تطبيق هذه الخطوات على النباتات والحيوان ثم على الانسان !

ويصر العلامة انجلهارد بعد هذه الاراء والتنبؤات الجريئة على القول بأن بداية القرن الحادي والعشرين ستتميز بانتصارات في علم الاحياء أبعد مدى من هذا كله بكثير جدا . حتى أن الطالب اليانع من ابناء أوائل القرن المقبل عندما يفتح كتابنا هذا ويطالع فيه هذه التوقعات والتنبؤات سيرفع حاجبيه دهشة ، ثم يبتسم باشفاق وهو يطوى الكتاب قائلا :

ـ ألا ما أشد تواضع ابناء منتصف القرن العشرين في كل شيء ، حتى في التخيلات والاحلام !

ويؤكد العلامة أن الكثيرين من القراء الشبان سيشهدون في أواخر هذا القرن العشرين نفسه انتصارات لعلم الاحياء تتجاوز هذه التنبؤات المتواضعة !

الاجهزة الدقيقة

اما فلاديمير كوتلنيكوف فهو اعظم خبراء الاساليب الفنية المتصلة بالراديو والاشعاعات وهو يؤمن ان القرن الحادى والعشرين سيكون عصر الاشعة . فالموجات الكهربائية المغناطيسية لم يتمرسها البشر الا منذ نصف قرن . ومع هذا استطاع هذا العلم الناشىء أن يحقق معجزات كانت تدخل قديما في باب السحر أو الشعوذة . أليس من الخوارق أن تستطيع الرؤية بوضوح في الظلام الدامس عن طريق تلك الموجهات الخفية حينما تكون العين المجردة عاجزة من تبين ما يبعد من الوجه بمقدار قدم واحدة؟ أليس من قبيل الخوارق أن ترسل صورة متحركة الى عدة مئات من الاميال بكل تفاصيلها والوانها من غير اسلاك أو أداة ملموسة ! أليس من قبيل الخوارق المذهلة أن ترتفع في الجو قطعة من المعدن وتتركها معلقة فيه لم تسخنها حتى تبيض بل وتصهرها من غير أن تلمسها !!

***

ان هذه الخوارق كلها صارت بعد نصف قرن من قيام علم الاشعاع امورا عادية عملية وفي البداية كانت كل خطوة في ذلك العلم تقتضي عشر سنوات . ثم صار يحقق خطوة كل سنة . وهو اليوم يحقق عشر خطوات كل سنة . ومن قريب سيكون ميدان الموجات ذات التردد العالي حافلا بكشوف لا يحلم بها الناس وغير بعيد ذلك اليوم الذى تمر فيه الالات تطلق ذبذبات عالية من الاشعاعات فوق أرض وعرة وكلما تقدمت الالة في طريقها ببطء خلفت من ورائها طريقا معبدة ناعمة لامعة كصفحة المرآة . وستكون السيارات التى تمر على هذه الطرق هي ووسائل النقل الاخرى غير مزودة بخزانات للوقود ، ولا بأسلاك ، بل ولا بهوائيات داخلية لتلقى الاشعاعات . والطيارات ستحلق آلافا من الاميال من غير أن تستخدم قطرة واحدة من الوقود . وستكون لدينا شموس صناعية تتوهج ليلا ونهارا فوق عواصم العالم ومدنه الكبرى . وستكون

لدينا ايضا آلات لا يشغلهـا العقل الان لاكتشاف الكواكب البعيدة وتوصيل نتائج هذه الاكتشافات للارض

بل ان من الصعب أن نتصور ما سيكون عليه شأن الراديو بعد خمس سنوات. ولكن كبير الخبراء فى هذا الفن يقول ان الرجل العادى فى أوائل القرن الحادى والعشرين قد يستيقظ فى ساعة مبكرة من صباح يوم العطلة فيتذكر انه نسى أن يرتب مع صديق له رحلة النزهة فى الريف ، فيرفع من فوق المنضدة المجاورة لسريره جهازا صغيرا يشبه لم السجائر . وهو فى الحقيقة اداة ارسال واستقبال تليفزيونية للاستعمال الخاص . ولدى كل واحد من سكان الكرة الارضية جهاز من هذا النوع . وكما ان للناس الان ارقام تليفون ، فسيكون لهم بعد خمسين سنة ارقام للتليفزيون الشخصى. ومن طريق هـذا الرقم تظهر على الفور اشارة خضراء فوق الشاشة الصغيرة ثم يظهر على الفور شخص الطرف الاخر عندما يرفع جهازه ويلبى النداء الموجه اليه . وفى وسع هذا الطرف الاخر ان يتصل فى الوقت نفسه بطرف ثالث ويتشاور الثلاثة تليفزيونيا فى ترتيب رحلة اليوم الخلوية

ورغم صغر حجم الجهاز الذى يشبه لم السجائر فان الشاشة دقيقة جدا بحيث فيها اهداب المتحدث وحبات النمش فى وجهه . وذلك بفضل تركيب اشعاعى خاص يجعل الصورة الصغيرة تبدو عند النظر اليها مكبرة ، مثلما تبدو الاشياء فى عدسات المناظر المكبرة ضخمة رغم صغر حجم العدسة !

وبفضل صغر حجم هذه الاجهزة التليفزيونية الشخصية سيكون فى الامكان وضعها فى جيب الصديرى . اما اجهزة التليفزيون المنزلية التى تتصل بمحطات الارسال العامة فستكون شاشتها رغم حجمها المتوسط ذات خصائص اشعاعية ايضا بحيث تبدو الصورة للمتفرج فى حجم الصور المعروضة على شاشة السينما . وفى الوقت نفسه سيكون سمك الجهاز قليلا بفضل الاختصار والتبسيط فى الاجهزة والتوصيلات الداخلية . ولنا ان نتصور كيف كانت الساعات فى بداية عهدها اشبه بصوان الملابس ثم صارت فى سمك قطعة العملة الفضية ذات العشرة قروش أو اقل ، مع زيادة فى الدقة

وسيكون كل انسان حائزا على مكتبه لجهاز الكترونى يحل محل الالة الكاتبة الحالية . وبه ستة ازرار او سبعة نضغط على كل واحد منها ثم نملى كلاما يشكل بالتا فى موضوع معين لمدة عشر دقائق . او نتبادل الحديث مع اشخاص آخرين فى موضوع معين لمدة ربع ساعة على صورة اسئلة واجوبة . ومتى تم الحديث ضغطنا على زر آخر فتخرج لنا عدة صفحات من ورق رقيق جدا مملوءة بكلام مطبوع واضح جدا هو فى الواقع النص الدقيق لهذه المحادثة بعد ان قام الجهاز بتصحيح اخطاء واكثر من هذا يكون الجهاز قد قام بترتيب النحو والصرف والتركيبات الرديئة . بل الافكار وتهذيبها . ونضغط على زر ثالث فتخرج لنا على الفور ترجمة ذلك الكلام باللاتينية او بالانجليزية او الالمانية الخ ..

اما الطرق فسيراعى فى بنائها وجود محطات للطاقة الالكترونية كل عشرة اميال مثلا تحت سطحها المرصوف . وهذه المحطات هى التى تزود السيارات تلقائيا بالقوة المحركة فلا تحتاج الى وقود . واما الطائرات فتسير بالطاقة الالكترونية من محطات على الارض توجهها بدقة فلا تحتاج الى وقود ولا الى سائق !

***

الا ترى بعد هذه اللمحات من صورة الحياة فى القرن الحادى والعشرين ان السعداء حقا هم الذين سيعيشون فى ذلك الفردوس الارضى ؟!

الهلال ثمن العدد :

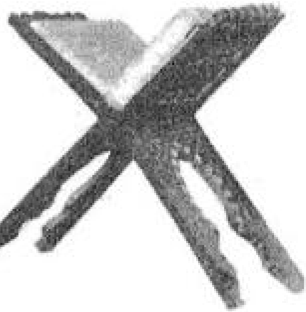
فى قطر والبحرين	٣٠ انة
فى ليبيا – بنغازى	١٤٠ مليما
فى ليبيا – طرابلس	١٥٠ مليما
فى الجزائر	١٢٥ فرنكا
فى المغرب	١٥٠ فرنكا

الهلال الاشتراكات :

قيمة الاشتراك : عن سنة (١٢ عددا) فى الجمهوريه العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى ٧٠٠ مليم بالبريد العادى و ٨٠٠ مليم بالبريد المسجل . وجنيه مصرى واحد و ٢٠٠ مليم بالطائرة – فى الامريكتين دولاران بالبريد العادى و ٣ دولارات بالبريد المسجل و ١٢ دولارا بالطائرة – فى سائر انحاء العالم ٢٠ شلنا بالبريد العادى و ٣٠ شلنا بالبريد المسجل و ٦٥ شلنا بالطائرة

وقيمة الاشتراكات تسدد مقدما فى ج.ع.م. باذن بريد – وفى السودان بحوالة بريدية – وفى الخارج بتحويل مصرفى قابل للصرف فى القاهرة لامر مؤسسة دار الهلال


كتاب الهلال
يقدم
الغذاء السحري
للكاتب الانجليزي : هـ . ج . ويلز
رئيس التحرير : طاهر الطناحي
يصدر ٥ فبراير
الثمن ١٠ قروش



مكتبة مجلة الهلال العربية

المدخل الى التصوف الاسلامى

تأليف : السيد محمود ابوالفيض
الناشر : الدار القومية
الثمن : ١٨ قرشا

قد يكون عجيبا فى نظر بعض الناس أن يهتم القراء بكتاب فى التصوف ونحن فى فجر عصر الفضاء وضحى عصر الذرة . ولكن النظرة المتعمقة لهذه الفتوح العلمية كفيلة بهدايتنا الى السر فى ذلك التناقض الظاهرى . فالعلم فى أقصى درجات تقدمه يقف بالانسان أمام علامات استفهام جديدة ضخمة فيما يتعلق بأسرار الكون العظمى ، وما وراء عالم المادة وقد أوشكت هذه المادة أن تتحول بتأثير العلم نفسه الى شىء غير مادى ، هو الاشعاع أو النور . وبين هذا وبين الايمان باللامادية خطوة واحدة صغيرة

ثم هذا التنظيم المذهل الذى يكتشف العقل منه كل يوم عجيبة رائعة من الاعاجيب ، كيف يمكن ان يكون خبط عشواء ، ومحض صدفة لا ارادة وراءها ولا تدبير يشمل ما دق وجل ، من أهون ذرة الى أكبر جرم من الاجرام السماوية ، فى فضاء لا يعلم مداه الا الله ؟!

ان العلم يقف بالعقل الذاهل الحائر أمام أبواب حقيقة أكبر من المادة ولا مراء . حقيقة يعجز العقل عن ادراكها ، فلا تدرك الا بالذوق ، وبالقلب ، وبالوجدان . وتلك هى مسالك أهل التصوف

وفى هذا الكتاب يعالج مؤلفه العالم المتصوف أركان علم التصوف ، فيبدأ بالبحث فى تعريف التصوف ما هو ، ويبين الفرق بين الزهد والتصوف ، ويسرد نشأته وتاريخه فى الاسلام بايجاز ، ويتطرق بعد ذلك الى علاقة التصوف بالاسلام بوجه عام ، ثم ما يختص به التصوف الاسلامى من المعالم والاركان . ويفرق بين علم الظاهر وعلم الباطن ، وبين العقل والذوق

ولعل أدق ما فى موضوعات الكتاب — على دقة سائرها — هو ما يتناول مسألة « وحدة الوجود » عند المتصوفة المسلمين . فهى مسألة أودت من قبل برقاب كثيرين من أعلامهم كالحلاج الذى كان يقول للناس فى السوق :

— ما فى الجبة غير الله !

فاتهم بالزندقة والحلولية . ولا ينسى مصرع السهروردى وغيره من كبار رجال الطريق

ويتطرق المؤلف الى موضوع التفريق بين الفلسفة والتصوف ، ويبين مراتب « السلوك » أى درجات الترقى فى المواجيد الصوفية وعلاقة ذلك بمراتب النفس على حسب درجات صفائها وتخلصها من التعلق بالدنيا ومحسوساتها ولذاتها ومطامعها ، ابتداء من النفس الامارة بالسوء الى النفس اللوامة فالنفس الملهمة فالنفس المطمئنة فالنفس الراضية ، وتلك هى الذروة التى لا ينالها الا الواصلون !

سويسرا : شعبها وأرضها

تأليف : ليليان براجدون
ترجمة : كمال اللاخ
تقديم : د. عزالدين فريد
الناشر : النهضة المصرية وفرانكلين
الثمن : ٢٥ قرشا

هذا هو الكتاب الرابع من سلسلة تصدرها مؤسسة فرانكلين بعنوان « حول العالم فى كتب » ، وهدفها محو الحدود بين الثقافات وفتح النوافذ بين أقطار العالم، فتصل ما بيننا وبين جميع اخواننا فى البشرية بأقدس نور أشعه الله سبحانه على الارض ، وهو نور العلم والمعرفة ، لنلتقى فى هذا الضياء شتى الآراء ويسود التفاهم والتآلف والتعاون . وهل نحن فى عالم الذرة والفضاء والصواريخ الا اخوة تجمعنا وحدة الامل ووحدة الخطر ووحدة الخوف من المصير المشترك ؟

واذا ذكرت سويسرا ذكر الناس على الفور دولة صغيرة مسالمة محايدة ، كانت دائما واحة السلام وسط سعير الحروب والتطاحن بين الدول الكبرى فى حربين عالميتين ، وهى بين أبواب ألمانيا وفرنسا وايطاليا . ولامواردد طبيعية تذكر فى ذلك البلد المحاط بأعلى الجبال المكللة طول العام بالثلج ، ولا منفذ لها الى البحر . ومع هذا ازدهرت هذه الدولة التى يتكلم أهلها لغتين ـ الفرنسية والالمانية ـ واستطاع شعبها ان يكون من أعلى الشعوب فى مستوى المعيشة بفضل ذكائه ودأبه وبراعته فى أكثر من صناعة دقيقة ، وبما حول اليه بلاده من جنة طبيعية يرتادها السائحون من مشارق الارض ومغاربها . ولذلك كله تاريخ حافل مثير يسرده هذا الكتاب فى براعة ودقة وتشويق

عبد العزيز البشرى

تأليف : الدكتور جمال الدين الرمادى
الناشر : مؤسسة التأليف
الثمن : ٥ قروش

هذا هو الكتاب رقم ٢٤ فى السلسلة الجيدة التى تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر باسم « أعلام العرب » . والحقيقة ان المرحوم الشيخ البشرى يعتبر من معالم حياتنا الادبية والاجتماعية منذ ربع قرن ، بل واكثر من ذلك . ولعل شخصيته الفكهة أكثر بروزا من آثاره الادبية . فلسنا نحسبه من الذين أثروا فى اتجاه الافكار والاذواق . ولكنه من أعلام الندامى وسمار الليالى وأهل النكتة البارعة بلا مراء ، واسمه يقترن فى ذلك باسم شاعر النيل حافظ ابراهيم واسم محمد البابلى . ومساجلاتهم الفكاهية من أروع وأملح المساجلات بلا مراء

والحقيقة أن الكتاب أحاط بالكثير من نواحى حياة الشيخ البشرى ومؤلفاته . ولكن الكثير من القيم الادبية فيه موضع خلاف كبير . وقد جنح المؤلف الى الادلاء بتعليقات مطولة لا نرى فى كثير من الاحيان لها ضرورة من الموضوع ومناسبته . ولكنه كلام يريد المؤلف ان يقوله بأى شكل . وقد يستطرد اذا جاء ذكر رجل كالجاحظ حتى يكاد القارىء أن ينسى موضوع الكتاب الاصلى ويحسبه يقرأ مقتطفات من كتاب البخلاء ! .. ومع هذا كله فالكتاب فيه كلام كثير صالح للقراءة والاطلاع عليه مما يفيد عامة القراء

دراسات فى تاريخ الشرق القديم

للدكتور احمد فخرى
الناشر : مكتبة الانجلو
الثمن : ٨٠ قرشا

الدكتور أحمد فخرى من أفضل علمائنا الاثريين ، وهو يتناول فى هذا الكتاب بالتحليل تاريخ الحضارة فى بلاد الشرق القديم منذ عصور ما قبل التاريخ . فيحدثنا عن آثار تلك الفترة فى شمال ايران « سيالك » وفى شمال العراق « تل حسونة » وفى شمال سورية « الجديدة » وفى بلاد الاكراد الجبلية « جارمو » وفى مرمدة . وفى مصر والفيوم .

ويتدرج الدكتور فخرى الى دراسة أقدم وأعرق حضارتين فى الشرق . وهما حضارة مصر وحضارة العراق . ويعقد المقارنة بين الامبراطورية المصرية الفرعونية والامبراطورية الاشورية ، حتى اذا كان القرن السابع قبل الميلاد بزغت فى أفق الحضارة دولتان عظيمتان تاليتان للعراق ومصر ، وهما دولة فارس ، ودولة الاغريق ، وكلتاهما مدينتان للحضارة المصرية او الحضارة العراقية بالشىء الكثير

وقد يكون ذلك كله أو بعضه معروفا بصفة عامة للقراء ودارسى التاريخ فى مستوياته المتواضعة . ولكن الدكتور فخرى يتناوله على مستوى علمى رفيع مدعم بالوثائق واحدث الكشوف الاثرية

وينتقل الدكتور فخرى بعد ذلك الى سوريا العربية فيتناول حضارتها منذ عصور ماقبل التاريخ ، فاذا بها بينها وبين مصر صلات معرقة فى القدم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، والى ذلك الحين ترجع رحلة سنوحى المصرى فى سورية

ومن أمتع الفصول بلا شك ذلك الفصل الذى عقده المؤلف البحاثة عن حضارة اليمن وعلاقته القديمة جدا بمصر الفرعونية ، ويعقب ذلك فصل خاص عن مأرب والبعثات المصرية والسورية للكشف عن آثارها التى ترتبط أشد الارتباط بمملكة بلقيس الشهيرة وسد مأرب العتيد .. وهو جانب من البحث التاريخى تزداد أهميته بعد ثورة اليمن واسهامنا فى نجاحها وتوطيدها ، وينبغى ان يصبح هذا الجانب موضع مزيد من الاهتمام لدى عامة القراء والمثقفين . ولا شك فى ان الدكتور فخرى احسن صنعا بهذا الجانب من كتابه القيم ، ولعل الفائدة تغدو أتم واعم اذا خصص له كتابا خاصا يتوسع فيه بعض الشىء فيما ضمنه الفصلين الرابع والخامس من كتابه هذا

وقد ختم المؤلف كتابه بالكلام عن ايران وحضارتها القديمة ، ودعم ذلك كله بالاسانيد التاريخية والوثائق الاثرية المصورة على أتم وجه ممكن

ديوان رامى

نظم : احمد رامى
الناشر : الدار القومية
الثمن : ٢٦ قرشا

لا نعرف أسم شاعر يحرك فى النفس مشاعر الشباب كلها كاسم أحمد رامى . فكأنه الذى عناه ابن الرومى بقوله :

وإذا تمثل فى الضمير رأيته
وعليه أغصان الشباب تميد

فقد ظل الناس يسمعون أغانى الوجد والصبابة من معجزة الغناء أم كلثوم أكثر من ثلث قرن من منظومات هذا الشاعر سواء باللغة الفصحى أو العامية ، فلا شك فى أن هذه الخلاصة من شعره تعتبر كنزا عاطفيا للآلاف من محبيه على « السماع » وعلى « الاطلاع » على السواء . وكان موفقا جدا

فى ضم أشعاره باللغة العامية الى أشعاره الفصيحة • فالواقع أن « نفسا » واحدا يسرى فى النوعين جميعاً • وطبقة شاعريته فيهما واحدة بغير تفاوت • وان كانت بعض أشعاره الفصحى تصل فى تحولتها وجزالتها الى مدى بعيد جدا ، الا أن بعض منظوماته العامية تبلغ فى تحليقها مالا زيادة عليه لمستزيد على هذا النسق الرقيق الناعم الى حد الرهافة المترفة

ولعل من محاسن الصدف ان رامى سمى شاعر الشباب لانه نشر باكورة شعره فى مجلة بذلك الاسم ، فهو يستحق ذلك اللقب على الحقيقة ، بما يرده على الناس من جديد الشباب الذى لا يبلى ... كأنه شجرة استوائية دائمة الخضرة

علم الادوية والعلاج

تأليف : دكتور ابراهيم فهيم
الناشر : مكتبة النصر الحديثة
الثمن : ١٠٠ قرش

سمعنا منذ مدة عن الاصوات التى تعالت وملأت سماء الجو الطبى بشأن تعريب دراسة الطب • ولقد انقسم المهتمون بهذه المسألة الى فريقين ، فريق يعارض هذه الفكرة وفريق يؤيدها

ثم هدأت الضجة وخمدت ، وخفتت الاصوات المؤيدة والمعارضة

ويبدو أن مؤلف الكتاب واحد من هؤلاء النفر الذين يؤيدون امكانية تعريب الطب ، ولكن على مراحل .. تبدأ بمحاولة وضع كتب ومراجع فى الطب باللغة العربية .. وعندما تكتمل المكتبة العربية عندئذ بكتب الطب فى مختلف فروعه .. سيسهل فى النهاية تعريب الطب ، وتدريسه فى الكليات بلغة الضاد

ولهذا الغرض الذى اوضحناه كان تأليف هذا الكتاب الذى صدر منذ أيام عن علم الادوية والعلاج .. وهو علم صعب فى لغاته الافرنجية،ويحتاج من المهتمين به الى مداومة البحث والاطلاع على جميع الابحاث والنشرات العالمية أولا بأول

والكتاب يتناول التفاصيل العلمية الكاملة للمبادئ العامة لادوية الجلد والفيتامينات والهورمونات والعلاج بالكيماويات ، كما يتناول أيضا أدوية الاجهزة المختلفة بالجسم،

بأسلوب سلس واضح العبارة

ومؤلف الكتاب احد الاساتذة العرب فى علم الادوية والعلاج أو الفارماكولوجيا • وهو يقوم بتدريسه فى كلية الطب • وقد لاحظ ما يعانيه الطلبة من النقص الشديد فى المراجع الخاصة بهذا العلم .. فضلا عن الاثمان الباهظة التى للكتب الافرنجية ، والتى يبلغ ثمن البعض منها اكثر من عشرة جنيهات .. ومن هنا وضع المؤلف هذا الكتاب ليكون فى متناول يد الطالب .. وكذلك الذين يزاولون مهنة الطب .. بثمن زهيد

ان هذا الكتاب يعتبر لبنة جديدة فى المكتبة العربية الطبية .. حبذا لو سار بقية الاساتذة على هذا المنوال .. وقاموا بترجمة وتاليف الكتب فى مختلف فروع الطب

قادة الفكر الاقتصادى

تاليف : روبرت هيلبرونر
ترجمة : دكتور راشد البراوى
الناشر : مكتبة النهضة
الثمن : ٥٠ قرشا

منذ حوالى قرنين من الزمان وصل النظام الراسمالى الى حالة فى بعض الدول لا يستطيع ان يواجه معها مطالب المجتمع .. فكان لابد من وجود حلول اما لتطويره كما حدث فعلا فى بعض الدول ، واما القضاء عليه قضاءا مبرما واجتثاثه من جذوره ، واحلال نظام آخر محله كما حدث فى دول اخرى ..!

وكل نظام اقتصادى جديد لا يقوم فجاة بين يوم وليلة • لابد له من ارهاصات تبشر بفكرته ، ومبررات تدفع نفرا من الناس ذوى راى ثاقب وثقافة وتاملات خاصة الى ان تدعو له حتى يقف على قدميه • وفى اثناء ذلك تقوم مناقشات وابحاث لتبين المزايا والفوائد الخاصة به • وهؤلاء الداعون لهذه الانظمة هم رجال الاقتصاد

ولفظة الاقتصاد تعبير حديث نسبيا .. اذ انه حتى القرن السادس عشر الميلادى لم يحدد المقصود منها ..

وفى تاريخ الاقتصاد شخصيات مشهورة تعد بالآلاف .. ولكن هناك اسماء منهم دعوا الى مذاهب معينة قدر لها البقاء الى عصرنا الحديث . هذه الفئة هى التى يطلق عليها اسم « الاقتصاديون العظام » ..

والكتاب يضم بين دفتيه افكار هؤلاء الاقتصاديين العظام ، كما يوضح لنا الفترة ، التى عاشوا فيها قبل أن تنضج افكارهم ، ويسطروها فى نظريات عظيمة . وهؤلاء الاقتصاديون العظام هم كينز وروبرت اوين وادم سميث ريكاردو وهنرى جورج وثورستين فيبلن وجون ستيوارت ، ومالتس ، وسان سيمون ، وجوزيف شومبيتر وشارل فورييه • وقد ظهروا جميعا فى فترة قصيرة من عمر الزمان لا تتجاوز طول القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وعرضهما ..

والكتاب رغم أنه سهل الاسلوب ، ورغم البساطة فى العرض — على غير العادة فى الكتب الاقتصادية — فان المؤلف اتبع فيه منهجا جديدا • فهو يبدأ بتوضيح العصر الذى ظهر فيه الاقتصادى العظيم ، ثم يحلل البيئة الخاصة التى نما فيها ، والتى كان لها دورها فى تشكيل افكاره • وبعد ذلك يعرض المؤلف لافكار الاقتصادى العظيم ويحللها ويناقشها فى دقة وصراحة

وبالاضافة الى ذلك فان الـ ٤٠ صفحة الاولى من هذا الكتاب التى يضمها الفصل الاول تعتبر مقدمة مسهبة عن تطور مفهوم الاقتصاد نفسه منذ أن بدأ الانسان يشكل نفسه فى جماعات الى أواخر القرن السابع عشر . وهذه المقدمة فيها من الطرائف ما يشجع القارىء على التهام صفحات الكتاب التى تربو على الاربعمائة

والدكتور راشد البراوى مترجم الكتاب قد احسن الاختيار للترجمة وهو غنى عن التعريف ، لمؤلفاته وترجماته لامهات الكتب الاقتصادية تزخر بها المكتبة العربية ..

نقاط على الحروف
نقد وتعقيب

بقلم : وداد سكاكينى
الناشر : دار الفكر العربى
الثمن : ٢٥ قرشا

كان آخر كتاب قرأته للاديبة وداد سكاكينى بعنوان سواد فى بياض من اكثر من عام ، وقد كتبت عنه فى هذا الباب . ومنذ ذلك الوقت ، وانا اقرا لها بعض المقالات الادبية والنقدية فى الصحف والمجلات العربية ..

ومنذ أيام صدر الكتاب الذى نقدمه ، والذى يدل عليه عنوانه . فهو بمثابة ميزان عدل فى مجال النقد والتعقيب والرد .. أعطت فيه المؤلفة كل ذى حق حقه .. وقالت للمصيب أنت أصبت

وقبل أن نعرض لهذا الكتاب لابد من وقفة قصيرة لها دلالة واضحة على مبلغ ما وصلت اليه المرأة فى بلادنا . انها أعطيت الفرصة للدخول فى جميع الميادين، فظهرت مواهبها أيضا فى أشق الميادين ، ومنها ميدان النقد . ان وداد سكاكينى ناقدة عربية يشهد لها مقدم الكتاب الناقد الكبير الدكتور محمد مندور الذى قال : « أنا مؤمن بأننى بتقديم هذه المجموعة من الموضوعات النقدية .. أقدم مرجعا ثمينا لقراء العربية ، لا لقيمته الذاتية فحسب ، بل وباعتباره مجموعة آراء موضوعية لرائدة من الرائدات المعدودات فى عالمنا العربى الحديث الذى استطاع أن يحرر المرأة ، وأن يهيىء لها فرصة المشاركة فى تنمية وتوجيه أدبنا الجديد ، وخاصة فى مجال شائك يحتاج الى شجاعة خاصة كمجال النقد .. » .

والكتاب مجموعة من الانطباعات والابحاث المدروسة لبعض المؤلفات والمقالات المكتوبة ولم تكتف المؤلفة فيه بالنقد التطبيقى للمؤلفات التى تناولتها ، بل جمعت الى ذلك تعقيبات ومناقشات لآراء تتناول قضايا عامة تتعلق بالمفاهيم الفكرية والقومية والادبية المعاصرة . وهى لم تتناول فى نقدها أثارا فنية ، ولا مذاهب محددة ، وانما مارست آثارا وكتبا وناقشت آراء وأعمالا فنية . وفى أحكامها النقدية لم تقتصر على العمل الذى تتناوله وانما هى تستفيد فى عملها دائما بمعرفتها الواسعة لانتاج الاديب العام أو المفكر صاحب الكتاب المنقود ، وتلم بتاريخ حياته وما كان له من مواقف

الباب الذهبى

مجموعة قصص الوجدان والعاطفة
بقلم : ابراهيم المصرى
الناشر : الدار القومية
الثمن : ٢٠ قرشا

ابراهيم المصرى أحد الرواد فى الادب عامة وفن كتابة القصة ، وخاصة القصيرة

منها .. يشهد بذلك كبار الادباء والنقاد عندنا .. مثل يحيى حقى الذى وضعه فى مكانه من بين الرواد فى كتابه الذى أصدره منذ أكثر من عام فى سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة بعنوان « فجر القصة المصرية » فى الفصل الرابع عندما تحدث عن المدرسة الحديثة ومحمود طاهر لاشين

وقصص ابراهيم المصرى لها طعم خاص ، كما أن كتابته لها أسلوب خاص ونهج خاص. انه فى فن القصة أصيل. وشخصيات قصصه يرسم أبعادها بدقة كأنه مهندس ماهر يمسك فى يديه مسطرة وفرجارا ومنقلة.. فعبدالمقصود الندى فى قصة «الباب الذهبى» شخصية مألوفة لنا استطاع الكاتب أن يرسم ملامحها الدقيقة فى سطور ، وكذلك الدكتور محمود فى قصة « على شواطىء الاسكندرية »

أما أسلوبه فهو يوجه له عناية خاصة، ويستطيع القارىء أن يميزه من بين عشرات الاساليب ، فهو دائما يستعمل العبارات الرصينة

ومجموعة قصص « الباب الذهبى » تؤكد أستاذية ابراهيم المصرى فى هذا الفن ، الذى وأنت تقرؤها تشعر أن كاتبها أديب مثقف واسع الافق والاطلاع .. وخاصة فى مجال علم النفس . وهذه المجموعة تحتوى على قصص محلية منتزعة من أعماق مجتمعنا ، وتعالج قضايا جوهرية، فقصة « مائدة الشيطان » .. تعالج قطاعا من المجتمع ومشاكل هى السبب فى هدم البيوت وتشريد الاولاد . وفى المجموعة أيضا قصص يمزج المؤلف فيها الادب بالتاريخ، وهى ضمن العلامات المميزة لكتابة ابراهيم المصرى ، فهناك قصتان تدور أحداثهما حول الظلم الذى كان يعانيه الشعب الروسى فى عهد القيصرية وهما « حطام » و « السادة والعبيد » .. وهناك قصة عن حرب الاستقلال الايطالية بعنوان « اللهب المقدس »

اقلام ثائرة

بقلم : حسن الشيخة
العدد رقم ٩٩ من سلسلة المكتبة الثقافية
الناشر : مؤسسة التاليف
الثمن : قرشان

لم أقرأ لمؤلف الكتاب أى عمل قبل هذا الكتاب الذى نقدمه . ويبدو انه واحد من الناس الذين عاشوا سنوات فى اواخر القرن التاسع عشر ، وانه قد عرك الحياة الثائرة فى مصر فى أوائل القرن العشرين ، فوصفه لها يدل على انه قد استوعب كل دقائقها
والاقلام الثائرة التى جمعها المؤلف فى هذا الكتاب بداها منذ أواخر عهد اسماعيل وأيام ثورة عرابى التى أعقبها الاحتلال البريطانى لمصر فى عام ١٨٨٢ ..

وانى لا أعرف لماذا اختار المؤلف أربعة أقلام ثائرة فقط وهى جمال الدين الافغانى، الشيخ محمد عبده ، عبد الله النديم ، وعبدالعزيز جاويش .. مع انه فى الفترة التى تناولها المؤلف فى كتابه ظهرت أقلام كثيرة ثائرة .. كقلم مصطفى كامل رئيس تحرير اللواء ، وقلم سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ .. وغيرهما وأمثالهما كثير . ويبدو أن ضيق المساحة اضطرته الى أن يقصر حديثه على الشخصيات الاربع ..!

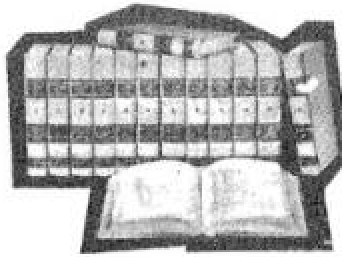
ويبدا الكتاب بعد مقدمة ضافية الحديث عن جمال الدين الافغانى ، قال فيه المؤلف ماقاله وردده مؤلفون كثيرون .. من أنه هو الذى ألهب فتيل الثورة العرابية ، وعندما غادر مصر ترك فيها طبقة ممتازة كالشيخ محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم اللقانى وأديب اسحاق وعبدالله النديم .. وغيرهم كثير

ثم عرض لحياة النديم .. الفقير المنبت العصامى الذى استطاع أن يستغل موهبته .. وكان فعلا كاتب الثورة العرابية

وعند حديثه عن الشيخ محمد عبده أورد وصف الشيخ أحمد الاسكندرى فيه بأن « أسلوبه ذو سطوة » .. وأنه حق عليه لقب المصلح الكبير

ثم تكلم عن الشيخ عبد العزيز جاويش رجل التربية الذى أصبح رئيسا لتحرير «اللواء» بعد مصطفى كامل ...

هذا ما يتضمنه كتاب « أقلام ثائرة » ، وهو فى رأينا يصلح نواة لجهد ضخم يتحدث باسهاب عن هذه الفترة الثائرة التى ظهرت فيها كثير من الاقلام



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

شرق وغرب

East And West

المؤلف : س. نورثكوت باركنسون

C. Northcote Parkinson

الناشر : شركة ميفلين هوتون

الثمن : ٥ دولارات

يعرف قراء «الهلال» الاستاذ باركنسون حيث قدمنا له من قبل خلاصة لكتابيه «جدول الضرب في حساب النجاح » ، و « الاقارب والمقارب » والذى يحلل فيهما البيروقراطية بأسلوبه الساخر العميق . والاستاذ باركنسون عالم سياسى يأخذ بالاسلوب الواقعى فى التحليل ، فيرى ان على اللذين يدرسون شئون الحكم ان يشتغلوا عن الاهتمام بمبادىء الاخلاق او الديموقراطية وأن يوجهوا هذا الاهتمام الى البحث العلمى الواقعى . اما كتابه الاخير « شرق وغرب » فمن طراز مختلف نوعا الا انه محاولة لتقديم عرض تاريخى من نوع جديد

والنظرية التى يطالعنا بها باركنسون ان الشرق والغرب مشتبكان فى حرب عظمى من اجل السيطرة ، لمدة تزيد على ثلاثة آلاف عام ، يتناوبان خلالها الغلبة والتفوق . وكان تفوق احدهما يخلق حتما الغضب وروح المقاومة واخيرا الثورة الناجحة فى الجانب الاخر . وهو لايزعم ان نظريته هى التفسير الممكن الوحيد للماضى .. ولكنه يعرضها على انها ذات صلة واهمية بالنسبة الى عصرنا ، على امل انها قد تساعد على تعديل « القوة المدمرة التى تكمن وراء الصدمات فى المستقبل »

ويبدأ تاريخه « بغزو » آسيا على يد الغرب والذى كانت أكبر معالمه حرب طروادة ، وهى حرب اسطورية الى حد كبير الا لم يتجاوز الاغريق فى الحقيقة شواطىء آسيا الصغرى . وهذا « الثأر » رد فعل فى الشرق بلغ ذروته فى « **الهجوم المضاد** » الذى شنته الامبراطورية الفارسية على اليونان . ولما كان هذا الهجوم دليلا على تفوق آسيا فلا بد ان كان الغرب فى القرون السابقة عليه ، فى حالة انحلال كما يقول المؤلف . وهو يسخر من المعنى الذى رآه هيرودوت فى الحروب الفارسية وهى انها كانت صراعا من اجل المحافظة على الحرية الاغريقية » والواقع انه يتجاهل دور أثينا الرئيسى فى هذه الحروب ويجعل البطل الحقيقى « اسبارطة » التى يعجب بنظام التغذية البسيط عندها . اما عن

الديموقراطية الاثينية فانه يعالجها فى فقرة واحدة قائلا انها نمت خـــلال فترة من الانحلال وكانت ذات فائدة « لافــراض دفاعية » فقط ، وكانت أول شيء يجب أن يزول قبل أن يصبح فى امكان الاسـكندر الاكبر أن يسترجع تفوقّ الغــرب . ومن الاشياء التى يتجاهلها باركسـون أيضــا من ناحية التراث الخصيب الذى خلفتـه اليونان للغرب ، تأثيرها العميق على المسيحية التى يعتبرها دينا « شرقيـا » بحتـا ، ومظهراً من مظاهر مقاومة آسيا للغرب

* * *

ومن الافكار التى قد تثير المؤرخين ، والصينيون منهم على وجه الخصوص ، قوله ان البوذية لعبت الدور الرئيسى فى تجميع آسيا كلها ، ثم يعلن ان «الآلهة» فى الهند والصين سويا « كانت أكثر اهمية من البشر » وهذا فى رأى الكثيرين لايصدق على الصين الكونفوشيوسية . فاذا انتقل باركسون الى الاسلام نراه يحدثنا انه ما كان فى امكان العرب أن يحققوا نجاحهم المذهل لولا أن كانت وراءهم «القوة الكاملة لاسيا التى بعثت من جديد» . أما نهضة أوربا فيها بعد فليست سوى رد فعل آخر ضد الشرق ، ويصور الحروب الصليبيـة بأنها «دفاعية بحتة» أى محاولة من جانب الغرب لاستباق اتساع سيطرة آسيا عليـه والتى بلغت درجة عالية فى عهد الفتـوح العربية الكبرى

* * *

ثم ينتقل الى العصر الحديث وهنــا يطالعنا بآراء قد تبدو طرافة فى بعضـها وعمق نظرة فى بعضها الآخر . ففى أوائل القرن الحالى بدأ تدهور الغرب عامة لان بريطانيا التى كانت تحمل«شعلة السيطرة الغربية » فى آسيا ، فرضت ضرائب ثقيلة كى تحول تشريعاتها للرفاهية الاجتماعيـة بدلا من أن تدعم اســـطولها فى الشرق الاقصى . وبالرغم من أن أمريكا أخذت تحمل المشعل منذ ذلك الوقت الا أنه لم يـكن « اللهيب الخالص » كما كان من قبل . ويعتقد باركسـون (وهو انجليزى) ان امريكا سوف تنحط قريبا مثلما حـدث لبريطانيا ، ثم يتنبأ بأن الشرق ســوف يسترد تفوقه وسيادته حوالى عام ١٩٨٤ ، وفى هذه الاثناء سوف تنتهى عملية صـبغ آسيا بالحضارة الغربية ، بل ان دول الشرق تتنازع الان فيما بينها عن كيفية « توزيع الاسلاب » . ولابد ان تجـد لها دينـا شرقيا ، وقد وجدته الصين فى الشيوعية وهى مستقاة من اليهودية فى نهاية الامر ، لان ماركس كان يهوديا الى أبعد الحدود

وليس ثمة امل فى التوفيق بين الشرق والغرب عن طريق الامم المتحدة التى تمثل جهدا « مقيما بشكل واضح » لتحـدى هذه الحركة التاريخية التى يصورهـــا المؤلف . وهذه الحركة فى نظره افادت كلا من الشرق والغرب ، وهو يوحى بأن الغرب يمكن أن يتعلم ثانية شيئا من فلسفة الشرق ودياناته

دولتا فييت ـ نام :
تحليل سياسى وعسكرى

The Two Viet-Nams

المؤلف : برنارد ب. فول

Bernard B. Fall

الناشر : فردريك ا. بريجر

الثمن : ٧ دولارات ، ٩٥ سنتا

يلاحظ دائما خلاف فى هجاء « فيتنام » أو « فييت ـ نام » ولكن مؤلف الكتـاب الذى نقدمه يحدثنا ان الشكل الاخير هو الذى يستعمل رسميا هناك ، كما انه أكثر اتفاقا مع اجرومية اللغة القومية . ويعتبر المؤلف ، برنارد ب. فول وهو استـــاذ العلاقات الدولية فى جامعة هوارد ، من المحللين السياسيين والعسكريين المتازين . ومما يضفى وزنا كبيرا على كتابه أنه ظل عشر سنوات يدرس الشئون الفيتنامية عن قرب ، كما أنه زار حد «الاسم الشمالى

وطاف بأجزاء كثيرة منه كما طاف بالقسم الجنوبي ، وتحدث الى القادة فيهما ، ولعل كتابه هو الوحيد الذى يعرض لنا ادق قصة حياة لكل من هوشى ـ منه ، ونجو ديم

ولقد سبق للمستر فول ان أصدر كتابا من فييت ـ نام بعنوان «شارع بلا بهجة» اثار اهتمام الساسة والمراقبين ، ومنعت حكومة نجو السابقة دخوله الى بلادها ، ولكن الكتاب الحالى ، وهو مجلد ضخم يقع فى ٤٩٣ صفحة يزيد منه اهمية ، اذ هو تحليل للعناصر الكامنة وراء الصراع الذى طال أمده فى هذا البلد من شبه جزيرة الهند الصينية . ومن الخطأ الظن بأن سقوط نظام حكم نجو دينه ديم يجعل الكتاب غير ذى موضوع ، بل لعل من أكبر مزايا المؤلف اصراره منذ الصفحة الاولى حتى الاخيرة ، على أن هذا النظام مصيره الى الانهيار «بفعل ثقله» نفسه ، ولا شك ان العرض الذى يقدمه لاسباب الانقسام هناك يؤيده اضطراب الاوضاع القائمة هناك منذ وقوع الانقلاب الاخير

ويضيف المؤلف انه فى حالة انهيار ذلك النظام (وقد حدث فعلا) فسوف يكون استمرار التدخل الامريكى موضعا للتساؤل، اذ ربما ـ كما يوحى المستر فول ـ **قد يبرز من وسط الاضطراب ضابط مغمور ويستولى على السلطة التى عجز عن الاستيلاء عليها غيره من الطامعين .. وقد يكون معاديا لامريكا**

ويقول المؤلف كذلك أن السياسات الامريكية فى فييت ـ نام فى الماضى «تضمنت أشد الفصول اضطرابا فى التاريخ الدبلوماسى الامريكى الحديث » وان هذا الفصل لم يكن موضع الفحص والتمحيص بالدرجة الكافية من جانب علماء السياسة فى امريكا

* * *

ويبدأ الكتاب بعرض لجغرافية البلاد وأوضاعها الطبيعية ، ثم يتتبع تاريخ الشعب الفييتنامى حتى الوقت الذى انقسمت فيه البلاد الى دولتين ، وحين يصل الى عرض الموقف الذى أدى الى خروج الفرنسيين ، تلقاه من حين لآخر يتساءل : هل خدع الامريكيون فرنسا فى الهند الصينية ، أم أن العكس هو الصحيح ؟

ومن أهم ما يتسم به الكتاب الحالى ان قسما كبيرا منه قد خصصه المؤلف لموازنة الانظمة الحكومية والاقتصادية فى الدولتين ، لا كما وضعت على الورق بقصد التأثير فى الاصدقاء وخداع الاعداء ، وانما كما هى موجودة الآن فعلا وكما تؤدى وظائفها من حيث الواقع العملى ، ويعتقد المستر فول أن **الاحوال الاقتصادية والاجتماعية فى فييتنام الشيوعية سيئة جدا ، ولكنها ايضا ليست افضل شأنا فى فييت ـ نام الجنوبية. كذلك يلاحظ المؤلف أوجه الشبه بين أساليب هوشى منه ونجو ديم (سابقا) من حيث كبت الحريات ونشر التجسس على أوسع نطاق** بتشجيع الجار على أن يكون عينا على جاره ، واستيراد أيديولوجيات تبدو مشتركة فى الكثير من مظاهرها وان اختلفت المسميات او حملت اسماء الشيوعية والنظام الشخصى اى حكم الرجل الفرد

شبح نمر
Shadow of A Tiger

المؤلف : كلايد بريون ديفز
Clyde Brion Davis

الناشر : شركة جون داى

الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

كان كلايد بريون ديفز ظاهرة بين الكتاب ، فقد عمل فى الصحافة اليومية الى أن تجاوز الاربعين من العمر ، ثم أخرج فى عام ١٩٣٧ كتابه « الذى لا يطاق » The Anointed وهو رواية ضاحكة من بطل لا يحتمل وجوده ، وبدأ حياة جديدة ، وخلال ربع القرن التالى ألف ٢١ كتابا منها ١٥ رواية ، وكلها أكثر من جيدة ـ اذ كان كاتبا يتقن صنعته ـ وكثير منها

ممتاز . وأكمل كتابه « شبح لمر » قبل موته بقليل منذ أكثر من عام بوقت قصير في سن الثامنة والستين

وقصته الاخيرة خلاصة للتقليد الفريد الذى خلقه لنفسه . انها قصة الحديث فيها بلسان الشخصية الرئيسية فيها . هذا البطل جورج تشالزر ، مثل معظم ابطال كلايد ديفيز ، من ابناء الفئة الدنيا من الطبقة الوسطى . واذ أحس انه لا يشغل المكان الذى يستحقه راح يسعى وراء النجاح ، ويعجب من معنى الحياة ، وفي النهاية يضطر الى نوع من التفاهم الساخر مع نفسه ومع الحياة . وتقع احداث الرواية في الغرب الاوسط في الفصول الاولى منها لم تنتقل من دنفر ، كما انها تبدأ في مستهل القرن وتنتهي في أثناء الحرب العالمية الاولى

ان القصة في ظاهرها سجل بسيط يكاد ان يكون ساذجا لنمو جورج ، ولكن تحت هذا السطح الظاهرى تشريح قاس للحلم الامريكى بما ينطوى عليه من العمل والقلق والالم والوحدة والاستعلاء من وقت لآخر .

ان ديفيز من أوائل الروائيين الذين كتبوا من الاشخاص الذين يسعون وراء هدف ومن الفوضى التى تتسم بها الحياة ، ولكنه يختلف عن سواه من الكتاب في انه وجد معنى في هذا السعى ، ذلك أن السعى هو اهم شيء في الحياة

* * *

وميزة كلايد ديفيز البارزة انه ظل خلال السنوات التى اتجه فيها الى القصة ، يكتب ما يقال له الرواية الامريكية الكبرى المركبة عن مواطن الطبقة الوسطى في امريكا الذى يريد أن يعرف دائما الاجابة عن الاسئلة التى تبدأ بكلمات : لماذا ؛ كيف ؛ ولأى غرض أولكن دون أن يجد أبدا الاجابات النهائية التى يتطلع اليها . ومن هنا تعتبر رواية « شبح لمر » الى حد ما آخر فصل في سجل ذلك السعى من جانب هذا المواطن

ويمكن اعتبار الرواية قصة حياة المؤلف الى حد ما اذ تحمل طابعه . وهى رائعة في تفاصيلها الزمنية والمكانية ، وقوية بأسلوبها الرجالى وتفكير الرجل ونشاطه ، ولكن ضعفها يتجلى في رسم الشخصيات النسائية

من الحرية الجديدة الى الحد الجديد

From The New Freedom to the New Frontier

المؤلف : اندريه موروا « وترجمة باتريك أوبريان »

André Maurois

الناشر : شركة دافيد ماكاى

الثمن : ٥ دولارات

في عام ١٩٥٩ اقترح السنيور الشيفيدو ، وهو دبلوماسى وناشر من جمهورية اكوادور في أمريكا اللاتينية ، فكرة تنطوى على ذكاء ودهاء ، وهو وضع « تاريخ متوازٍ » لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى في القرن الحالى . وقام الفرنسى العجوز لوى اراجون « ٦٦ سنة » الشاعر الروائى اليسارى ، باخراج المؤلف المقترح عن الاتحاد السوفييتى ، بينما تولى الفرنسى الموالى لامريكا والبالغ من العمر ٧٧ عاما ، اندريه موروا ، اعداد كتاب يتناول تاريخ الولايات المتحدة من عام ١٩١٢ الى الوقت الحاضر ، ولموروا شهرته في كتابة التاريخ والتراجم

ويوضح موروا انه لم يحاول ان يكتب دراسة أكاديمية مبتكرة وانما هو يحاول ان يوفق بين كل ما كتب عن هذا البلد ويستخلص منه موجزا يطالعه الرجل العادى ، وقد وفق الى تحقيق الهدف الذى وضعه نصب عينيه ، فالكتاب عرض سليم للخطوط الرئيسية التى سار تطور امريكا الحديث وفقا لها ، وبأسلوب واضح ، كما تلقاه من وقت لآخر يقدم لنا نظرات نفاذة الى الشخصيات الهمة الى جانب المنعطفات ذات الدلالة

ويبدأ الكتاب بتقديم صورة لامريكا في اوائل القرن العشرين .. فهى بلد صاخب نشيط ومتفائل ، ولكنه يشعر بالضيق ازاء زحف النظام الصناعى الحديث الذى يضيق مجال الفرص امام الرجل الصغير ويوضح موروا الخطوات المتنوعة التى اتخذها الشعب من أجل حماية الفرص وتوسيعها . وكانت النغمة العامة التى انطوى عليها

التغيير الاجتماعى ، ليبرالية معتدلة وعملية . ليس معنى هذا أن المحافظين فقدوا أهميتهم ، ولكن الذى حدث انه كلما زادت أهميتهم تضاءل سمك الخط الذى يفصل بين روحهم المحافظة وبين الروح الحرة الجديدة . لم اخذت الشئون الخارجية تقتحم حياة الشعب الامريكى بصورة متزايدة ، وهنا – اى فى هذا المجال – كما يقول المؤلف ، كانت الولايات المتحدة أقل واقعية بكثير واقل نجاحا بكثير ، لانها كانت تعمل بدافع من « روح بيوريتانية » اخلاقية وسط عالم ظل يتصرف على نحو يتنافى مع الاخلاق

ويقف اندريه موروا ثلاث مرات ، فى مبدأ الكتاب وفى عام ١٩٣٩ وفى ١٩٦٠ ليقدم لنا خلاصة موجزة للحياة فى الولايات المتحدة ، وهذه الفصول لها اهمية خاصة لانها توضح نظرة المراقب الاجنبى . فما هى حقيقة نظرة الامريكى العادى اليوم ؟ يقول موروا « **يشعر الامريكيون شعورا قويا بكبرياء طاغية بسبب انتمائهم الى بلد عظيم جدا .. انهم يشعرون أنهم متحدون بفضل الدستور والتليفزيون ، وكرة القدم والبيسبول والسيارات وانتخاب الرئاسة وكذلك بفضل شيء ابعد غورا وهو حب السلام .. وفلسفة تضع الماساة بين قوسين ... وتفاؤل يقوم على ايمان بالجنس البشرى** »

ولكن تحت الابتسامة التى ترتسم على وجه الامريكى ، شعور بالقلق بشأن عالم « يقزمه ويثبط همته » . والمجتمع الذى نشأ ليس مجتمعا لاطبقيا ، كما أنه ليس مجتمعا ينقسم الى طبقات تفصلها عن بعضها سدود من الصلب ، ولكنه مجتمع يجمع بين خواص كل من حكم القلة والديموقراطية

والقوة الحقيقية هى الى حد كبير فى ايدى البيت الابيض ، الكونجرس ، رؤساء الشركات الكبيرة وزعماء النقابات العمالية ، البنتاجون ، وصانعى الرأى العام كرؤساء المؤسسات الكبرى « مثل مؤسسة فورد وكارنيجى » واصحاب الصحف . وكل من الاطراف رقيب على الآخر . والامريكى الجديد فى الحقيقة ليس أكثر أو اقل ثقافة من أجداده . ان ثقافته ، سواء كان ذلك للشر أو للخير ، ثقافة امريكية

بكين ضد دلهى

Peking Versus Delhi

المؤلف : جورج باترسون

George Patterson

الناشر : فابر

الثمن : ٢٥ شلنا

توجه جورج باترسون مبعوثا دينيا الى التبت ، واقام هناك يزاول عملا طبيا ويتابع حظوظ شعبها فى محنته ، ثم اخرج هذه الدراسة الوافية التى يشرح فيها الخلافات القائمة بين الهند والصين . وبالرغم من أن مشكلة التبت تشغل جزءا هاما من هذه الدراسة الا انها ليست بالجزء الوحيد

ويحلل لنا باترسون دعاوى الصين فى جميع بلاد سلسلة جبال هيمالايا والتى لها أهمية استراتيجية ، فى التبت ونيبال ، وسيكيم وبوتان ومنطقة الحدود الشمالية بالهند وبلاد ناجا . كل هذا الاقليم الواقع عند الحدود كان هادئا عندما كانت دولة استعمارية هى بريطانيا صاحبة النفوذ الاعلى ، وكانت الصين مضطربة ولا حول لها . أما الآن فقد دبت الحياة بعد أن تغيرت الظروف . ومن أبرز سمات الكتاب أنه يولى تاريخ هذه البلاد اهتماما لم يسبقه اليه كاتب آخر ، كما أنه يلقى ضوءا جديدا على ما حدث من تخطيط للحدود وتعديلها منذ نصف قرن أو قرن مضى . هذا التاريخ الجديد غامض جدا ولكن لابد من معرفته وتمعنه اذا اردنا أن نفهم ما يحتمل أن يستمر زمنا طويلا من مناطق الحدود التى سوف يشتد بشأنها الصراع فى العالم

ويوضح المؤلف أن الصين كدولة ذات أهداف توسعية ، يصعب العيش معها ، ولكنه فى الوقت نفسه يلوم الهند على المصائب التى تحل بها اذ كانت ضحية التفاؤل الاجوف وغلبتها الصين فى ميدان المناورة . لقد ورثت مركزا قويا اذ كانت تفصلها عما

يجرى فى الصين دولة حاجزة هى التبت ، فلما وقعت الثورة فى الصين وبدأت الاخيرة تعمل من أجل القضاء على استقلال التبت كان ذلك نوعا من « النور الاحمر » عجزت الهند عن رؤيته وادراك مغزاه . ويرى بالرسون أن نقطة التحول كانت عندما قررت الهند أن الدفاع عن التبت لايستحق الاشتباك فى حرب من اجله وقبلت فى استسلام اقدام الصين على اعادة فرض سلطانها على التبت . هذا الموقف هو الذى جر عليها بعد ذلك المصائب التى تعرضت لها مثل الهزيمة الدبلوماسية فى عام ١٩٥٩ نتيجة اخضاع التبت تماما ، ثم غزو بلادها فى عام ١٩٦٢ وتهديد الصين بالاستيلاء على سيكيم وبوتان

. ويقسو المؤلف على نهرو متهما اياه بقصر النظر ، ولكن الاتهام بعيد عن العدالة .. اذ أن الصين الشيوعية كانت جادة فى عام ١٩٥٠ من حيث استعادة سيطرتها على التبت ومن المرجح انها لم تكن لتتردد فى محاربة كل من يحاول أن يعترض طريقها . وحرب كهذه لم تكن فى برنامج نهرو وماكان ليقبل الدخول فيها خاصة وأن الشعب الهندى فى ذلك الحين كان يعتبر الصين شقيقا آسيويا يسعى الى أن يستعيد حيويته ، ولم يخطر ببال الهنود أبدا انهم يشجعون جارا سوف يأتى اليوم الذى يهددهم فيه . ولعل نهرو كان يشارك مواطنيه هذا الظن الذى اثبتت الاحداث فيما بعد بطلانه

* * *

ولا تشغل التبت سوى جزء من الكتاب ، ولكن الكتاب مليء بمعلومات وافية وعميقة عن مناطق الحدود الاخرى ، ولعله يقدم لاول مرة عرضا متوازنا لنضال فيزو مدى خمسة عشر عاما من اجل الدفاع عن حقوق ناجالاند .. ان التقدم السياسى ولد رغبة فى التحرر فى صفوف قبيلة بدائية لسببا من قبائل هذه المناطق .. ان أهل ناجا يعتبرون فى نظر الكثيرين متأخرين ولكنهم فى الواقع قوم ذوو بصر وفهم ، واذا كانوا يفضلون ان يتركوا وشأنهم يتمتعون بجميع المزايا الناجمة عن الارتباط بالهند ، فانهم قد اتخذوا قرارهم هذا واعينهم مفتوحة . ان قربهم من الحدود الهندية حول اورتهم من حادثة تثير حب الاستطلاع من جانب الاقرابية الى مسألة على أكبر درجة من الاهمية من الناحية الدولية وسوف يسمع العالم الكثير عن ناجالاند اذا ازداد عمق النزاع بين الهند والصين

تأملات فى كبر السن

Reflections on Growing Old

المؤلف : جون لافارج

John Lafarge

الناشر : دبلداى وشركاه

الثمن : ٢ دولار ، ٩٥ سنتا

يظهر أن روح العصر الذى نعيش فيه روح تنزع الى التهرب من الواقع ، ولا تحب الحقائق الصلدة مهما كانت ، وقليل من الناس هم الذين يفضلون أن يسموا الاشياء باسمائها الواضحة ، ولذلك نجد أن الاسلوب المعروف باسم « تلطيف حدة التعبير » قد وصل الى قمة مجده .. فنحن لا نميل الى استعمال لفظ « النفاق » مثلا وانما نحاول استخدام تعبير أكثر تهذيبا . ونحن الآن قد عدنا نركز الدعاية على عاداتنا فى الدفن بحجة الزعم ان الموتى لم يموتوا مع ان الادلة تؤكد العكس

ومن الميادين التى تنطبق عليها هذه الظاهرة الاجتماعية الآن ، كبر السن ، فبدلا من التعبيرات القديمة مثل « وقار السن » ، أو « امتدت به السنون » أو « الثمانين وبلغتها » ، أصبحنا نتحدث عن « الشبان الذين بلغوا السبعين من العمر » ومن « المواطنين الذين يكبروننا » . وهنا يخرج لنا الاب جون لافارج ، وهو أقدم المتحدثين باسم الكاثوليكية فى الولايات المتحدة والبالغ من العمر ٨٤ عاما وهو راض بها ، كتابه هذا الذى نعرضه حيث يقول « اعتقد أن كبر السن هبة ، وهبة لعينة جدا » وليس مصيبة » . انه يتحدث بصراحة وامانة عن كبر السن : مباهجه ، كرامته ، وقاره ، فرصه ، وانجازاته ، ولكنه لا يغمض عينيه عما يلازم هذه المرحلة من المشكلات الجسمانية والسيكولوجية

والاقتصادية ، كما لا ينسى انها الخطوة الاخيرة قبل الموت . غير ان هذا التطور من حيث النمو الى الخاتمة ، ليس مما يفزع فهو فى الواقع ينظر الى الموضوع على ضوء الاية المسيحية التى تقول ان من يفقد الحياة سوف يجدها . هذه النظرة قائمة على الامل والحب

* * *

وفى قسم من الكتاب يتحدث الاب لافارج عن « مسئولية المجتمع » اى عن علاقة الدولة بمشكلات كبار السن الذين يزداد عددهم باطراد وسرعة فى عصرنا هذا بحيث سيصبحون جزءا طيبا من مجموع السكان . وهنا تبدو روح الكاتب من اجل العدل والمسئولية . انه لا يتحدث عن دولة الرفاهية من الناحية النظرية العامة ، ولكنه يقول بشدة ان **على المجتمع التزاما كبيرا ازاء المسنين ويجب ان يجرى الوفاء به عن طريق العمل المشترك من جانب الدولة والمؤسسات الخاصة والافراد . وهذا الذى يتحدث عنه نوع من التحدى الروحى والاخلاقى حين يضع امام الانظار فى البلاد التى تعلن انها اقامت مجتمع الرخاء والرفاهية ، ذلك الفريق الكبير من السكان والذى تقدمت به السن ، دون ان يلقى الرعاية الواجبة**

والقسم الاخير من الكتاب فصل موجز جعل له المؤلف عنوانا هو « الشجاعة فى مرحلة كبر السن » ، وانه لينطوى على عون فى اياما هذه نحو ما احتفل به جريمى تيلور بعبارة القرن السابع عشر الواضحة الصريحة ، على انه « المواجهة المقدسة للموت »

الشارع الرئيسى ، ايطاليا

Main Street, Italy

المؤلف : ارفنج ر. ليفين

Irving R. Levine

الناشر : دبلداى وشركاه

الثمن : ٦ دولارات ، ٥٠ سنتا

تغنى ارفنج ليفين اربعة اعوام فى ايطاليا مراسلا لشركة تليفزيون اهلية ، ومن هنا يكاد كتابه أن يبدو كأنه مجموعة من المذكرات والملاحظات لاعداد سلسلة من الاحاديث الاذاعية . وحين تتابع صفحاته نحس ان ايطاليا ذات السحر التى تحدث عنها جيته او هنرى جيمس ، بعيدة عنا

ان التصنيع والمعجزة الاقتصادية التى شهدتها الفترة التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية والتى يلقى عليها المؤلف ضوءا واضحا ، يعملان على تغيير البلاد ، اذ يبدو ان كل فرد مشغول بكسب المال والتهرب من الضرائب وشراء السيارات الكبيرة واحراز التفوق فى الحياة ، بحيث يخيل الى الزائر او المراقب ان الشعب لا يجد وقتا للتفكير فى تلك القيم العتيقة وغير المجربة مثل سحر الحياة وما اليها .

والواقع ان الكتاب يعرض لنا صورة لايطاليا الجديدة ؛ بلد الاسواق الضخمة والطرق الرئيسية العريضة وزحام المرور بالطرق ومحلات السينما والشباب الذى يفضل الان رقصة روك آند رول على ريجو ليتو ، ويؤثر الكوكاكولا على نبيذ الكيانتى

اننا لا نعثر فى الكتاب على كلمة عن الفنون او المناظر الطبيعية والاثار التى كانت تخلب لب الاجداد فى القرن التاسع عشر ، وانما بدلا من هذا تلهث ونحن ننتقل بين الفصول التى تعالج موضوعات مثل السياسة والانتخابات والشيوعيين والاقتصاد والقانون والتركة التى خلفتها الفاشية والفاتيكان والاسكان « ويتضمن قسما عن رجال الطاقة ! » والمواصلات والصحافة فى ايطاليا والنقود والضرائب ونظام التعليم ووسائل اللهو والتسلية

غير ان القارئ سرعان ما يشعر بوجود قدر من عدم التناسق بين لب محتويات الكتاب وبين ما يضمه الكتاب فعلا . فالفصل الخاص بالتجارة مثلا يتضمن اربعة اجزاء وهى المحال التجارية الكبيرة مثل الرينا شنتى والدكاكين وخفراء الليل والمطاعم . وعندما تتحول الى القسم الخاص بالمطاعم نحاول ان نعرف كيف يأكل الطليان

فى خارج بيوتهم نجد أن هذا القسم عبارة عن صفحة واحدة من المطاعم الصغيرة المتناثرة على الأرصفة فى مدن ايطاليا والتى يقال لها تراتوريا **Trattoria** ؛ ومن مطعم الفريد والمشهور فى روماه ومن القهوة المعروفة باسم اسبريسو ؛ وبعد هذا كله معلومات عن موارد المياه الرومانية والمياه المعدنية

مل والليبرالية

Mill And Liberalism

المؤلف : موريس كاولنج

Maurice Cowling

الناشر : كيمبريدج

الثمن : ٢٥ شلنا

بين الحين والاخر يطلع على عالم الفكر من يزعم انه يتحدث بصوت كيمبريدج **الصحيح والجوهرى** ؛ ولكن كيمبريدج جامعة ذات أصوات كثيرة أعلاها وألواها أثرا فى السنوات الحديثة ؛ ما يجوز أن تطلق عليه عبارة « كيمبريدج الحالكة السوداء » ؛ وتتحدث من داخل كلية التاريخ وتستمد الوحى من كتابات هربرت بترفيلد ومايكل أوكشوت التى ظهرت بعد الحرب . ومن أعنف أعضاء هذا الفريق المستر كاولنج الذى أعلن انه يهدف من وراء كتابه الجديد الذى نعرض له هنا ؛ أن يحطم جون ستيوارت مل

فهو يرى أن مل أبعد مايكون عن الليبرالية والدفاع عن الحرية ؛ اذ انه فى حقيقة امره كان دكتاتورى النزعة ؛ لا يعرف التسامح وأساليبه من طراز أساليب محاكم التفتيش التى عرفتها أوربا فى العصور الوسطى . لقد أراد أن تحل دكتاتورية المثقفين محل حكم الارستوقراطية ؛ والندوات العلمية المحدودة محل الجامعات ؛ والاخلاق المستمدة من فلسفة المنفعة محل قانون الاخلاق المسيحى . وكان يخضع الحرية والسعى الى الحقيقة لمطالب التقدم ؛ ويخفى غرضا باستخدام لغة دسمة ليقنع الناس أن الذين يعارضونه متعصبون ولا يتصرفون بمقياس المعقولية

❋ ❋ ❋

حقيقة كانت فى جون ستيوارت مل نزعة استبدادية ؛ وأن مراسلاته مع هارييت تيلور التى أصبحت زوجته فيما بعد ؛ تبين انه لم يكن يعيش وفقا للمستويات التى وضعها بشأن تفتح الذهن أمام الآراء المعارضة . أما أنه تخيل امكانية الوصول الى الحقيقة وبالتالى تحقيق التقدم ؛ عن طريق القضاء على حرية التعبير عن الرأى بضغط من المثقفين ؛ فان مل تحدث باستمرار عن استحالة هذا الامر ؛ بل انه ليقول ان المجتمع الذى يريد أن يجعل الناس مسئولين عن أفكارهم ؛ انما يقضى على شيء أكبر قيمة هو حرية الضمير والتصرف . ان الذى يجعل فى الامكان الحكم على اخلاص الفيلسوف فى دفاعه عن الحرية هو مبلغ محاولته تحديد مجال عدم التدخل ؛ وعندما يحاول مل هذا التحديد يصفه كاولنج بأنه أفاق وكذاب . ولكن الواقع ان الحرية كانت جزءا لا يتجزأ من نسيج نظرية مل عن السلوك الاجتماعى . وأساس النظرية هو الاعتقاد بأن تقدم المجتمع يتوقف على اكتشاف حقائق جديدة ؛ واذا أمكن أن نبين ؛ كما اعتقد مل ؛ أن الحقائق الجديدة لا تظهر الا عن طريق المناقشة الحرة ففى هذه الحالة تصبح الحرية جزءا من هذه النظرية . وهذه النظرية هى التى حطمها ماركس وهو الامر الذى لا يشير اليه مؤلف الكتاب الحالى

❋ ❋ ❋

ويشكو المستر كاولنج من ان مل يخفى حبه للعقائد الثابتة بأن يطلب الى الناس أن ينبذوا تلك العقائد أو المذاهب التى تقوم على العادات أو التقاليد ولكن الحقيقة ان مل كان يقول ان المذهب الذى نعتنقه يجب أن يدعمه العقل ؛ ولما أخذ يتحدى الكثير من الافكار الثابتة فى الاذهان فى عصره مثل مركز المرأة قال لمعارضيه وخصومه أن عليهم أن يبرزوا حججا عقلية افضل مما يدلى به والا يكتفوا بالقول ان اخضاع المرأة للرجل عرف جرى عليه المجتمع

عصر الفروسية
The Age of Chivary
المؤلف : آرثر بريانت
Arthur Bryant
الناشر : كولنز
الثمن : ٣٦ شلنا

يعتبر هذا الكتاب استمرارا لكتاب «صانعو المملكة» للمؤلف نفسه ، وهو يتحدث فيه عن الفترة الممتدة من عهد ادوارد الاول الى عصر ريتشارد الثاني ، وهي من أهم الفترات في التاريخ البريطاني ، اذ شهدت انتقال انجلترا من جزء تابع لاسرة انجو الى دولة قومية قائمة بذاتها . واعتمد المؤلف على كتابات الكثيرين من الكتاب والمؤرخين وهو ما يستطيع أن يلمسه القارىء وان يحكم به على سعة اطلاع الرجل ، ولكن العرض والتحليل والجمال مما يتصف به الكتاب .. كل هذا يرجع الى طريقة الكاتب وأسلوبه وعبقريته

ويقدم لنا سير آرثر بريانت في الفصل الاول عرضا سريعا لحالة أوربا الصغيرة في ذلك العصر ، وفيها نرى انجلترا بمزارعها وغاباتها ، مدنها الصغيرة ، أديرتها وقلاعها وكاتدرائياتها وفي الفصل الثاني يقدم البطل ادوارد لونجشانكس خادم المسيحية الذى يحارب من أجل نشرها ، ولكنه في الوقت نفسه أعظم ملوك انجلترا منذ الفرد ، وهو محارب وسياسي ومشرع ، اى رجل ملك جميع القدرات التي تؤهله كي يكون ملكا في وقت كان يتطلب وجود حاكم قوى

ولم يكن ادوارد طاغية تسيره الاهواء والنزوات ، وانما كان رجلا أقام نفسه على أساس القانون ، ولم يكتف بأن يقيم حكمه فوق الناس وانما كان يحكم معهم

وفي عصره وضع أساس البرلمان البريطاني ، اذ لم يكتف بالتشاور في الامور مع كبار الاعيان ، وانما كان يتشاور أيضا مع فرسان المقاطعات وكذلك مع أهل المدن ، وأجريت دراسات عن حالة البلاد ، وصدرت طائفة من التشريعات الهامة العظمى مثل قانون وستمنستر . وكذلك الايام أيضا شهدت بدايات جامعتي أوكسفورد وكيمبريدج بالطابع الذى أصبح يميزها دائما

وكان على الملك أن يكون محاربا أيضا فقاتل أهل ويلز واسكوتلندا ، فأحكم الاقليم الاول بانجلترا ، وأحرز نجاحا ضد الاسكوتلنديين ولكنه مات في آخر حملاته وضاع كل شيء في ظل خلفه المستهتر

وكان عصر ادوارد الثاني فترة دنيئة تتخلل عهدي والده وابنه . وبذلك ثبت مدى اهمية أن يكون الملك قويا في تلك الايام من العصور الوسطى . لقد تحطم كل شيء تحت تأثير المحاسيب التافهين أمثال جيفستون ، وتحت تأثير ملكته وعشيقها . ولكن باعتلاء ادوارد الثالث العرش تدخل في عصر الفروسية ، فالملك الشاب بما أوتي من روح المغامرة يبدا كأنه صورة تتجسد فيها الفروسية ، فهو الذى أنشأ وسام ربطة الساق بوصفه أنبل مظاهر التكريم ، ولكن هذا الوسام أنشىء بعد معركة كريسي التي حطم فيها حملة السهام الانجليز زهرة الفرسان الفرنسيين

ويخصص المؤلف فصلا لنشأة حملة السهام في انجلترا والانتصارات الاولى التي احرزوها ضد الاسكوتلنديين ، وكذلك البطولات الاسطورية التي ترتبط باسم روبين هود والتي ساعدت كثيرا على الابقاء على روح الحرية حية ، وفي هذا الفصل أيضا يقدم لنا المؤلف قصة الانجازات الفنية الكبرى في ذلك العصر

واذا كانت موقعتا كريسي وبواتييه لهما اهميتهما في تطور فن الحرب ، فانهما أسهمتا في نمو الروح القومية ، فأصبح الفرنسيون فرنسيين ، والبريطانيون بريطانيين

وعملت جهود وايكليف ولانجلاند وشوسر على ترقية اللغة الانجليزية وتطويرها حتى تصبح أداة للتعبير عن الروح القومية ، واصبحت الفرنسية لغة أجنبية ، واللاتينية لغة الكنيسة ورجال العلم ، وبالكتاب فصل يوضح كيف كانت الكنيسة في العصور الوسطى ذات نفوذ يسيطر على حياة الناس جميعا

ولا شك أن ظهور السهم كسلاح رهيب جديد أضعف من قوة أمراء الاقطاع الذين كان الملوك يعتمدون عليهم من قبل . ولكن هناك عاملا آخر ساعد على هذا الاضعاف ونقصد به الوباء المعروف في التاريخ باسم «الموت الاسود» **Black Death** والذى أهلك ثلث السكان على الاقل مما أسفر عن نتائج اجتماعية واقتصادية بالغة الشأن ، بلغت ذروتها عندما تولى العرش الشاب ريتشارد الثاني . فبفضل الوعي بالقوة العسكرية وتعاليم جون بول نشبت ثورة الفلاحين ، كما أن ندرة الايدي العاملة أدت الى ارتفاع قيمة العمل

فكرة !

بعد ثلاثة اسابيع سابلغ الخمسين !

سادخل مرحلة غريبة من مراحل العمر !

وانا لا اخطو نحو الخمسين بخطوات سريعة ثابتة ! ان خطواتى مترددة خائفة !

فانني اخاف من سن الخمسين !

فان المفروض ان اودع شبابى عند باب الخمسين ! وانا لا اريد ان اودع هذا الشباب !

لا استطيع أن اقنع نفسى بانني لم اعد شابا ... وان مرحلة مرح الشباب قد انتهت ، وبدات مرحلة الوقار ! فانا لا اطيق هذا الوقار ! انني اريد ان املأ دنياى بالضحك والمرح !

لا اريد ان اسلم شبابى عند باب الخمسين !

فانا لم استعمل هذا الشباب كما استخدمه غيرى ! فلقد سرقت الاحداث عشرات السنين من عمرى !

لبست البنطلون الطويل قبل الاوان !

وزحف الصلع الى راسى وانا فى العشرين من عمرى !

وعشت شبابى مع من هم اكبر منى سنا ، فضاع سحره وسط الاحداث والمعارك !

فكيف اسلم شبابى قبل ان اتمتع به ، كما تمتع به غيرى ؟

كيف اقنع قلبى بان يفتح ابوابه لتجاعيد الوقار والاتزان !

كيف أقنع هذا القلب الشاب بانه بلغ سن الاحالة الى المعاش ؟

هل أغالط فى سنى ؟

هل اطعن فى شهادة ميلادى ؟

هل ادعى انني فقدت شهادة ميلادى ، واطلب من القومسيون الطبى اعادة تقدير سنى ، ومنحى شهادة ميلاد جديدة ؟

ان قلبى يدفعنى الى اتخاذ هذه الخطوة الجريئة !

وعقلى يحذرنى من هذا الجنون ... فان عقلى يخشى ان يقرر الاطباء انى على أبواب الستين ، ولست على ابواب الخمسين !

ان اول عيوب سن الخمسين ، ان العقل يسترد فيه قدرته على الكلام !

علي امين

فى عدد فبراير من الهلال

٠٠٣ احمد بهاء الدين : طرق جديدة .. الى فلسطين
٠١٢ عباس العقاد : الوحيد .. الذى رفضها ..!
٠١٨ ناصر النشاشيبى : لماذا نحب .. فلسطين ؟
٠٢٤ راشد البراوى : ماذا وراء ازمة القناة بين بنما والولايات المتحدة ؟!
٠٣٢ دائرة معارف الهلال
٠٣٦ ابراهيم المصرى : الزواج هل هو حب ..او حرب؟
٠٤٢ طاهر الطناحى : حياة طبيب ..
٠٥١ افكارهم ..
٠٥٨ قبرص الملتهبة .. ودبلوماسية الزوارق المسلحة..!
٠٦٨ اخبار الغد .. وبعد الغد ..!
٠٧٤ متحف الطبيعة ومعرض الحضارات . ؟
٠٨٢ واحات نور .. تصوير شريف ذو الفقار
٠٩٦ نظمى لوقا : نقد التليفزيون
٠٩٨ قصة محمد عبد الحليم عبد الله : الحصن الكبير
١٠٣ صالح جودت : الشاعر اللص ..
١١٠ اخبار الموضة
١١٤ مسرحية جون براندين : ماماة فى المحكمة .. !
١٢٢ قصة فيرجاس اوبريان : حفار القبور
١٣١ وصفات سحرية للحب فى سنة ١٩٦٤
١٣٦ احمد الصاوى محمد : عين .. اصابتها ..!

١٤٩ - كتاب الشهر :

الحياة فى القرن ٢١ ؟

بقلم علماء الصف الأول فى أكاديمية العلوم السوفيتية

عرض وتلخيص صوفى عبد الله

١٦٣ مكتبة مجلة « الهلال »

ق جديدة الى فلسطين

احمد بهاء الدين



ن .. اصابتها ..!

احمد الصاوى محمد



زواج هل هو حب

ابراهيم المصرى



الحصن الكبير

عبد الحليم عبد الله



الهلال

مارس ١٩٦٤ — ٧٠ مليما
AL-HILAL — March 1964



قصـــة الغلاف

« شغلة » جديدة لبنات حواء لم يمارسها عندنا الجنس اللطيف حتى الآن . انها تتطلب منك ساعتين او ثلاث ساعات يوميا .. وتدر عليك فلوسا كثيرة . انها منتشرة في اوربا وامريكا . ان هذه الشغلانة الجديدة هي « جليسة الاطفال » او الـ « بيبي سيتر » .. او مسلية الاطفال حتى تعود امهم من عملها .. او مشوارها .. اننا في حاجة الى مثل هذه « الشغلة » في بلادنا .. فالمرأة اصبحت تعمل في كل الميادين .. ان هذه الشغلة الجديدة لن تكلف الامهات كثيرا .. ويمكن ان تقوم بها الطالبات في اوقات فراغهن



عباس العقاد :

أربع كاتبات ..!

نال جائزة نوبل للآداب نحو ستين أديبا ، من مطلع القرن العشرين الى السنة الماضية ، وقد توقفت الجائزة فى بعض السنوات ـ لأسباب تتعلق على الأكثر بالحرب العالمية ـ ونالها أكثر من واحد فى بعض هذه السنين

من هؤلاء الأدباء الستين أربع كاتبات : هن **سلما لاجرلوف** السويدية **وجرازياديلادا** الايطالية **وسيجريد أنسيسى** النرويجية ، **وبيرل بك** الأمريكية ..

وقد كانت سنة (١٩٠٨) أول سنة ظهر فيها اسم المرأة بين المرشحين لهذه الجائزة العالمية ، وقالت اللجنة فى شهادتها التى تذكر فيها أسباب استحقاق الجائزة انها تمنحها اياها **«تقديرا للنزعة المثالية الرفيعة ، وملكة الخيال الحى والفطنة الروحية التى اتسمت بها كتابتها»**

***

واختيرت الكاتبة الايطالية جرازيا ديلادا Grazia Deledda ١٨٧٥ ـ ١٩٣٦ بعد ذلك بثمانى عشرة سنة ، فنالت الجائزة سنة سبع وعشرين (١٩٢٧) للسنة التى قبلها ، وقالت اللجنة انها استحقتها « **بكتابتها التى توحيها الروح المثالية مع وضوح الحس فى تصوير الحياة فى الجزيرة التى هى وطنها ـ جزيرة سردينية ـ الى مزية العمق والعطف التى تتناول بها المشكلات الانسانية على الاجمال** »

***

وفى السنة التالية ـ سنة ثمان وعشرين ـ ١٩٢٨ وجهت الجائزة

الى الـــكاتبة النرويجية سيجريد أندسيت Sigrid Undset

« **على الخصوص لقدرتها على وصف الحياة فى البلاد الشمالية خلال القرون الوسطى** »

وفى سنة ثمان وثلاثين (١٩٣٨) منحت الجائزة كاتبة امريكية هى بيرل بك Pearl Buck المولودة سنة ١٨٩٢ ولم ينلها قبلهـــا أحد من الامريكيين غير الكاتب المشـــهور « سنكلر لويس » ســـنة ثلاثين « ١٩٣٠ »

وقالت اللجنة « **انها استحقتها بمالها من المقدرة الثرية على وصف حياة الريف فى بلاد الصين وصفا صادقا على مثال قصص الملاحم ، مع كتابة السير التى تحسب من آيات التراجم** »

***

فالكاتبات الاربع ، كلهن من نوابغ ادباء القصة او الرواية المطولة .. وكلهن من ادباء المدرسة المثالية . وهى المدرسة التى قد تصف الواقع الصادق من غير كلفة ، ولكنهــا تتجنب الواقعية المبتذلة

وكلهن يكتبن بهذا الاسلوب سواء كتبن فى موضوعات العصر الحاضر او موضوعات الازمنة الخـــالية .



بيرل بك الامريكية نالت الجائزة لقدرتها الثرية على وصف الحيـــاة فى الريف الصينى .



سجريد انست النرويجية نالت الجائزة لقدرتها على وصف الحقائق البلاد الشمالية خلال القرون الوسطى



سلما لاجرلف السويدية كانت الثانية من بلاد الشمال فى سجل الجائزة

وسواء أكانت كتابتهن عن أوطانهن أو عن أوطان أخرى كالبلاد الصينية

وإذا روجع تاريخ الأدب الغربى فى نصف القرن الماضى فليس بين كاتباته من هى أحق بالتنويه والتقدير من هؤلاء الكاتبات المختارات . فليس لواحدة منهن قرينة لها فى وطنها ولا فى غيره من أوطان الغرب من بنات جيلها . وقد تنعقد المقارنة بينهن وبين نوابغ القصة من الرجال والنساء ، فلا يتخلفن وراء الصفوف فى هذا المجال . إلا أن الفضل فى هذا الإنصاف إنما هو فضل الزمن الذى يحكم حكمه الباقى ، بعد خلافات الحاضر ومنازعات الآراء أو هو الفضل الذى نعرفه اليوم بعد عرض التاريخ زهاء خمسين سنة ، وليس هو الفضل الذى ظهر للنقاد والمحكمين فى حينه قبل تزكية الأيام

فالمحكمون فى لجنة نوبل لم يعرضوا هذه السنين كلها مجتمعات فى مقارنة واحدة . وإنما نظروا إلى كل جائزة على حدة فى سنتها بحسب المرشحين فيها .. ولم يقصدوا أن يميزوا الأدب النسائى بين ألوان أخرى من الأدب .. فإن كل سنة من هذه السنين قد كان لها مرشحوها العديدون من الرجال ولم يكن فى أكثرها وجه للمقارنة بين كاتبة وكاتبة أخرى فى بلادها أو غيرها

ولكن الذى حدث أن هذا الإنصاف لم يأت بغير خلاف شديد . وبغير تردد كثير ، ولم يظهر وجه الحق — بعد هذا التردد الكثير — إلا حين حكم الزمن حكمه وتيسر التقدير الصحيح بالمقارنة التى لم تتيسر فى أوان الجائزة ، وإلا حين اتسعت آفاق المقارنة على مدى العشرات من السنين ، ولم تكن هذه الآفاق تتسع

فى حينها لغير العام بعد العام

***

ولدت « سلما لاجرلوف » سنة الف وثمانمائة وثمان وخمسين . ونالت الجائزة وهى فى الحادية والخمسين ، واصيبت وهى فى الثالثة بمرض فى العظام سلمت منه بعد العلاج الطويل بقدم عرجاء وبدن هزيل ، واقعدتها العلة عن الحركة الطلقة فانصرفت الى المطالعة والدرس فى السن التى تنصرف فيها البنات للعب وتعلم الرقص وفنون الرياضة ، فحاولت الكتابة .. ولما تجاوز العاشرة بكثير ، ونظمت الشعر وهى فى الخامسة عشرة . وتوفرت على التعليم الجامعى وهى فى الثامنة والعشرين . وعولت على الاستعداد الكامل لصناعة التعليم فى أعلى مراحله بالبلاد السويدية ، على الرغم من ثروتها التى كانت تسمح لها بالمعيشة فى دعة ورخاء بغير عمل لكسب العيش والارتزاق

وقد مارست صناعة التعليم فعلا الى سنة خمس وتسعين «١٨٩٥» ثم انتابتها ازمة من ازمات الشك والتشاؤم ، فاضطربت حياتها ابما اضطراب ، وانتابتها الحيرة فى حياتها الخاصة وحياتها الفكرية . فاعتزلت وظيفتها فى التعليم . وازمعت الرحلة الى بيت المقدس لزيارة الارض المقدسة ، وكادت تعقد النية على الاقامة فيها مدى الحياة لتعيش الى جوار الحرم الذى ولد فيه السيد المسيح .. كما عاش سنة النسك والفداء .. ولكنها تحولت بالنسك الى عالم الفكر والتاليف ، وكتبت روايتها المطولة باسم « اورشليم » .... فأودعتها كل ما اختلج فى صدرها من لواعج الشك والقلق ، وكل ما استقرت عليه ــ بعد ذلك ــ من عقائد الطمانينة والايمان

ولما قاربت الخمسين اراد المعجبون بادبها من ابناء وطنها .. ان تكون الجائزة تحيتها فى عيد ميلادها ، فعارضهم مواطنهم الكبير « ويرسن » رئيس المجمع الادبى واللجنة المحكمة فى الجوائز الادبية وكان من خطته ان يتجنب شبهات المحاباة لبلاد الشمال وان ترشيح الشاعر الانجليزى سوينبرن فى تلك السنة أولى وأكرم من اختصاص الكاتبة السويدية بها لو كانت من حقها بالكفاية الفنية على انه كان ينكر هذا الحق .. وكان يرى ان غرابة البدعة وغلبة العاطفة على حكم النقد الصحيح كأن لهما فعلهما فى ترشيح الكاتبة السويدية ، اذا كان يأخذ عليها ما يسميه بتكلف الشعور ومجاراة العرف فى الوساوس الدينية ، وحالت معارضة ويرسن دون صدور القرار من اللجنة باختيارها سنتين متتاليتين ، ثم اعيد الترشيح آخر مرة بتأييد قوى من جمهرة القراء فى بلاد السويد وبلاد الشمال على الاجمال ،



سنكلير لويس .. سبق مواطنته بيرل بك في نيل الجائزة عام ١٩٣٠

فرجحت كفة المرشحين على كفة المعارضة من الرئيس وانصاره . وتقرر بعد خمس سنوات من منحها الجائزة ان تختار عضوا في لجنة الجوائز فلم تزل فيها صوتا مسموعا الى يوم وفاتها ، سنة الف وتسعمائة واربعين « ١٩٤٠ »

***

اما الكاتبة النرويجية التى كانت الثانية من بلاد الشمال في سجل الجائزة ، فهى سيجريد أندسيت وقد منحت الجائزة وهى في الثالثة والاربعين ، وقد كان للشعور الدينى شأنه في معارضة ترشيحها . لانها عدلت عن المذهب البروتستنتى الى مذهب الكنيسة الكاثوليكية وهى في الثانية والاربعين ، ولكن هذا الشعور الدينى تقابله باعث من بواعث الشعور السياسى لم يزل يتجه اليها ، لاختيار كاتبة نرويجية بعد الكاتبة الاولى التى اختيرت من بلاد السويد ، وزكاه موقف آخر لها من مواقفها الوطنية اثناء الحرب العالمية الاولى وماتلاها من الزعازع الداخلية فكانت لها شفاعة من هذه البواعث المختلفة تزيد على شفاعة الفن . والقيمة الثقافية ، على رجاحة هذه القيمة بمقياس النقد الادبى ومقياس العلم الواسع بتاريخ البلاد

***

اما الكاتبة الايطالية « جراتزيا ديلادا » فقد عرض اسمها مرات قبل أن تمنح الجائزة في سنة ١٩٢٧ عن السنة التى قبلها وقد اختارها

مجمع الآداب فى روما عضواً من اعضائه الخالدين سنة ستوعشرين « سنة ١٩٢٦ »

ولعله كان تعويضا لها ولسمعة الادب الايطالى ــ بعد العلم باهمال ترشيحها فىاللجنة السويدية ــ وقد نالت بيرل بك الجائزة وهى فى السادسة والاربعين ، ولم تكن عطلا من الالقاب والجوائز قبل ان تتجه اليها جائزة نوبل فى سنة ثمان وثلاثين (١٩٣٨) .. فانها كانت تتلقى القاب الجامعات من كل صوب وكانت اول امراة تختار لمجمع الفنون والآداب فى بلادها . ويظهر من صيغة الشهادة التى أجيزت بها انها استمدت معظم أسباب الترشيح من ترجمتها لابويها المبشرين فى الشرق الاقصى ، وان الاعجاب برواياتها الصينية قد تأخر الى سنة ثمان وثلاثين ثم كان للعوامل الدولية أثرها الواضح فى ترشيح الكاتبة التى تعطف على الصين لجائزة من جوائز السلام .. اذ كانت اليابان يومئذ تتحدى هيئة الامم لتطلق يدها فى سياستها نحو الصين

***

فلم يكن طريق المراة الى الجائزة طريقا مفروشة بالورود ، ولم يكن انصاف اللجنة لها عملا من اعمال التحقيق . وانما كان عملا من اعمال التوفيق

***

وهذه ايضا ظاهرة من الظواهر العجيبة التى تسترعى الانتباه فى اعمال الهيئات العالمية فانها لا تستطيع أن تنعزل عن تيار التاريخ من حولها ، ولا مناص لها من تسجيله وتمثيله وهى تجاريه او تعارض مجراه

المكسب

نشرت احدى الصحف اعلانا عن محل يبيع الساعات باقل من سعرها الحقيقى ، فذهب زبون الى هناك وسأل صاحب المحل

ــ اذا كان هذا صحيحا ، فماهو مكسبك ؟

ــ من اصلاحها عندما تعطب ، فالساعات التى تباع باقل من ثمنها سريعة العطب كما تعلم !

معها حق

ــ تقولين انك احتفظت بخادمتك هذه عشر سنوات . كيف استطعت هذا ؟

ــ الفضل فى هذا لها هى . لانها تقول انها لاتحب ان تغير المخدومين بعد ان تكون قد اتعبت نفسها فى تعويدهم على طباعها ونظامها !

راشد البراوى :

بين الأمجاد



لعل الجنرال ديجول السياسى الغربى المسئول الذى تنبأ فى عام ١٩٥٩ بقرب ظهور التصدع فى الجدار الشيوعى ،ولعله راح منذ ذلك التاريخ يفكر جديا فى الاعتراف القانونى بجمهورية الصين الشعبية ، واذا كان قد تأخر فى اتخاذ هذه الخطوة فالسبب راجع على ما يبدو الى ان مسائل اخرى كانت تشغل المقام الاول من اهتمامه وفى مقدمتها تصفية الحرب الجزائرية . ثم محاولة تحقيق ضرب من الوحدة فى أوربا تحت زعامة فرنسا او فى كنفها ومن هنا كان توقيع المعاهدة الفرنسية الالمانية عندما كان الدكتور اديناور مستشارا لالمانيا الاتحادية . وعلى ذلك لا تعتبر الاعتراف المشار اليه بالجناح الآسيوى من المعسكر الشيوعى مفاجأة غير متوقعة . ان عنصر المفاجأة انما يتمثل فى التوقيت حيث اختار الجنرال موعدا تحيط فيه الصعاب بالدول الكبرى .

الماضية .. والحقائق الحاضرة

بستوى فى هذا الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة فالاتحاد السوفييتى يعانى من تدهور العلاقات مع الصين الشعبية ، ومن تمرد بعض بلاد أوربا الشرقية مثل رومانيا ، ومن أزمة اقتصادية فى القطاع الزراعى .. والولايات المتحدة لم تستقر فى الداخل بعد اغتيال كنيدى ، وتواجه مشكلات خطيرة فى بنما وتايلاند وفيتنام الجنوبية . وحتى بريطانيا فى قلق داخلى بسبب اقتراب موعد الانتخابات العامة ، وتتأزم الامور بالنسبة اليها فى موضوع اتحاد ماليزيا وفى الازمة القبرصية

حديث المنطق

ويرى الفرنسيون فى الاجراء الذى اقدم عليه ديجول ، ادراكا واقعيا لطبيعة الاوضاع الدولية ، وهذا راى يشاركهم فيه الكثيرون فى العالم الغربى ، بل وفى الولايات المتحدة الامريكية نفسها لاعتبارات



شارل ديجول .. اختار التوقيت المناسب

اقتصادية وسياسية مما سبق أن أوردناه فى مقال لنا فى «الهلال» .. فليس من المنطق ان تواصل فرنسا التعلق بأسطورة هى ان فورموزا هى الممثلة شرعا للصينيين وهى جزيرة لاتضم سوى أحد عشر مليونا من الانفس منهم مليون ونصف مليون من اللاجئين الواردين اليها من الوطن الام ، وذلك فى الوقت الذى يحبس فيه هذا الاعتراف منذ اول اكتوبر من عام ١٩٤٩ عن حكومة تدين لها بلاد تبلغ مساحتها ٩ مليون و ٦٠٠ الف كيلومتر مربع أى ما يعادل مساحة

أوربا الغربية وشمال افريقيـة والصحراء الكبرى مجتمعة ، وتضم نحو ٧٠٠ مليون نسـمة يزيدون بنحو ١٤ مليونا فى كل سنة . واذا كان قد تردد بصيص من امـل خلال فترة وجيزة بعد خـروج شيانج كاى شيك من الصين فى ان يعود اليها ، فان هذا البصيص قد خبا نهائيـا . وكذلك ليس من المنطق فى شىء ان تتخلف فرنسا وراء ٤٧ دولة أخرى لهـا علاقات دبلوماسية ، متفاوتة الدرجة ، مع الصين الشعبية ، ومنها بريطانيـا والاراضى الواطئـة ودول اسكندنافيا واعضاء فى الكومنولث كالهند وباكسـتان .. بل ان المفاوضات التى اجريت فى جنيف عام ١٩٥٥ عـلى اثر هـزيمة الفرنسيين فى الهند الصينية ، وهى المفاوضات التى اشترك فيهـا الامريكيون انفسـهم ، لترقى الى مرتبة الاعتراف من جانبهم بالنظام الجديد فى الصين اعترافا « من حيث الواقع » .

ويرى الفرنسيون ، ومعهـم غيرهم ، ان المحاولات التى تبـذل من اجل نزع السلاح وبقصـد تخفيف حـدة التوتر الدولى ، هى محاولات تفتقر الى الواقعية فى التفكير ، ذلك ان اية اتفـاقات من هذا القبيل تعتبر عقيمة اذا لم تكن الصين الشعبية طرفا فيها ، بل ان ابتعاد هذه الدولة عن هذه الاتفاقات يشكل عاملا هداما بصفة دائمة .

الارض المشتركة

واذا نظرنا الى الدولتين اللتـين قررتا انشاء العلاقات الدبلوماسية بينهما ، وجـدنا أن ثمة ارضا مشتركة يقفان عليها ، أى أن هناك اعتبارات مشتركة دفعت بهمـا الى هذا التقارب ، وفى مقدمتهـا « التمرد » على زعامات قائمة ، ان صح التعبير . فالصين متمردة على الاتحاد السوفييتى ، ومازالت العلاقات بينهما متدهورة بالرغم من الهدوء الظاهرى الذى تبدو به فى هذه الايام ، وفرنسا متمـردة على الولايات المتحدة وتشعر كأنما الاخيرة تعاملها بوصفها من الامـم التابعة

وهنـاك ايضـا « المصـالح المتبادلة » ، فالصين سوق واسعة امام الصناعة الفرنسية الآخذة فى النمو والتوسع ، وهذه الصـناعة مهددة بسبب المنافسة من جـانب الولايات المتحدة والمانيا الغربيـة وبريطانيا من جهـة ، ونتيجـة التطورات التى طرأت على المتلكات الفرنسية السـابقة من جهـة اخرى . ويبـدو أن الصـناعة الفرنسية أوشكت أن تقطف اولى

ثمار الوضع الجديد ، اذ تردد ان الصين وهى تسعى الى انشاء اسطول للنقل الجوى ، قد تشترى من فرنسا عشرا من طائرات كارافيل النفاثة الجديدة كجزء من صفقة تبلغ قيمتها حوالى ١٠٠ مليون جنيه .

والصين من ناحيتها ناقمة على الاتحاد السوفييتى بسبب وقف المعونة التى كان يقدمها اليها أو نقصها فى بعض الحالات . انها تشعر بنقص جدير بأن يعطل مشروعاتها للتنمية ، والآن صار فى وسعها ان تحصل من فرنسا على جانب من حاجتها من الآلات والمعدات وغيرها من السلع الراسمالية ، فضلا عن الاستعانة بالخبراء الفرنسيين فى ميادين الصناعة والتكنولوجيا . واكثر من هذا ، تعانى الصين قصورا فى موارد الطاقة ، وهى تستطيع الآن ان تستورد حاجتها من بترول الجزائر والتى تبلغ ثلاثة ملايين طن فى السنة ، ومثل هذه الصفقة لاتخفى اهميتها على صناعة البترول الفرنسية . واذا حذت حذو فرنسا دول اوربية اخرى مثل بلجيكا وايطاليا ، فلا ريب أن هذا يوسع من نطاق التبادل التجارى بالنسبة الى الصين . وبالرغم من الجهود التى بذلتها الاخيرة فى افريقية فلا تزال مبعدة عن اسواق الدول



شواين لاى حصل لبلاده على اعتراف فرنسا . .

الافريقية التى كانت من الممتلكات الفرنسية السابقة ، وهذا وضع من المتوقع ان يطرأ عليه التعديل لصالح الطرفين . ومن هذا كله يعتبر الاعتراف الفرنسى صفقة طيبة بالنسبة الى الصين فلا تظل تحت رحمة الاتحاد السوفييتى ومعوناته الاقتصادية والفنية .

اعتبارات سيكولوجية وتاريخية

غير أن اسبابا أخرى ، لعلها تاريخية وسيكولوجية ، تكمن وراء التصرف الذى أقدم عليه الجنرال ديجول . ففى فبراير من عام ١٩٤٢ اجتمع ستالين وروزفلت ، ودعى تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ، بينما لم توجه الدعوة الى الجنرال ديجول الذى احس بلا شك انه تعرض لاهانة لاتغتفر ، وأن هذه الاهانة لحقت بوطنه ايضا . وزاد من مرارة الاحساس أن القطبين الكبيرين ، السوفييتى

والامريكى جعلا من أنفسهما وصيين على مصائر العالم ، وراحا يرسمان — الى حد ليس بالقليل — الصورة التى يريدان ان يكون عليها هذا العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . حدث هذا من وراء ظهر فرنسا كأنما اعتبراها وجنرالها كما مهملا ، أو على الاكثر دولة من الدرجة الثالثة ليس لها رأى فى الاحداث العالمية. ومنذ انتهاء الحرب أحس الفرنسيون انهم يعاملون معاملة التابع للمتبوع ، وهذا الموقف هو ما عمل ديجول منذ عام ١٩٥٨ على ان يقلبه ، ومن هنا جاء اصراره على أن يكون لفرنسا رادعها النووى الخاص بها ، وسعيه الى الوحدة الاوربية تحت لوائه ، واصراره على استبعاد بريطانيا من السوق الاوربية المشتركة ، ورفضه التوقيع على معاهدة موسكو للحظر الجزئى على التجارب النووية وهو رفض شاركته فيه الصين بالرغم من الضغط السوفييتى عليها ، واخيرا — وليس آخرا — اباؤه قبول فكرة القوة النووية المتعددة الاطراف والتى تقدمت باقتراحها الولايات المتحدة فى عهد رئيسها الراحل . كل هذه مظاهر تنم عن نزعة استقلالية ، بمعنى ان على فرنسا ان تنتهج السياسة الخارجية التى تراها ادنى الى الاتفاق مع مصالحها سواء اقر حلفاؤها هذه السياسة او استنكروها .

والى جانب هذه النزعة الاستقلالية يبدو ان وراءها ما ينم من رغبة فى الانتقام لمظالم حقيقية أو تصورية ، تعرضت لها فرنسا من جانب الولايات المتحدة . فهناك الكثيرون من الفرنسيين ممن يعتقدون أن هزيمتهم فى الهند الصينية ، والتى انتهت بخروجهم من تلك المنطقة الاسيوية ، كانت نتيجة للتخلى او الخيانة من جانب حليفتهم . وهناك غيرهم يؤمنون ان الامريكيين ما كان لهم ان يعارضوا العدوان الغادر على مصر فى عام ١٩٥٦ ، وان الاخيرين ايضا بدءوا يتبعون سياسة وخز الابر عند ما تكشف لهم ان الحرب الجزائرية تتحول لصالح المجاهدين الجزائرين . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل يلاحظ ان المصالح المالية الامريكية تسعى بكل قواها خلال السنوات القلائل الاخيرة لتثبيت اقدامها فى القارة الافريقية . ويقول الفرنسيون اكثر من هذا ، انه برغم ماتعلنه الولايات المتحدة من انها تتوسع فى تقديم المعونات الى البلاد المتخلفة ، فان ما تقدمه فى الواقع دون ما تبعث به فرنسا من اجل هذا الغرض ، مع الفارق بين الدولتين فى القوة

والثراء ، ومع ذلك فانها تعمل على استبعاد المصالح الفرنسية حيثما تقدر على هذا . ومن هنا يتمثل موقف فرنسا من الولايات المتحدة الامريكية فى الرغبة فى الثار لاخطاء الماضى ومساوئه ، وفى تصور من التبعية ، وفى المرارة والسخط .

وعندما زار المستر خروشوف باريس طلع الجنرال ديجول بتصريحات تنم على ما يساوره من آمال فى ان يرى أوربا يوما من الايام وبفضله « اى رئيس الوزراء السوفييتى » وحدة متماسكة تمتد « من المحيط الاطلسى حتى جبال أورال » . وكان فى ذلك الحين ساخطا على الصين الشيوعية حتى انه راح فى مؤتمر صحفى شهير يتحدث عن الخطر الاصفر بأنه القوة التى سوف تعمل على التقارب ، بل التعاون ، بين اوربا الغربية والاتحاد السوفييتى . وكان ديجول يأمل ايضا فى ان يؤدى التقارب بين البلدين الى رفع منزلة فرنسا الدولية وبالتالى الى تمكينها من انشاء قوة تقف فى وجه الجماعة الانجلو ـ سكسونية بوجه عام ، والولايات المتحدة بوجه خاص .

ولكن الآمال التى جاشت فى صدر الجنرال العجوز ـ على مايبدو ـ اخذت تنهار ، واصبح التقارب يتضاءل ، وصارت اوربا



خروشوف .. وصدى اعتراف فرنسا بالصين

الممتدة من الاطلسى الى الاورال حلما لا سبيل الى تحقيقه ، وكانت البادرة الاولى فى هذا التحول ما حدث فى كوبا عندما اشتدت الازمة بينها وبين الولايات المتحدة وهددت الاخيرة باتخاذ اجراءات عنيفة لا يستبعد من بينها الغزو .. ومنذ تلك الازمة بدأ الجليد يذوب تدريجيا تحت اقدام العملاقين واخذا يتقاربان تقاربا بلغ ذروته فى اتفاقية موسكو فى اغسطس من العام الماضى ، ثم بعد ذلك فى الاتفاق الخاص بصفقة القمح الامريكى للاتحاد السوفييتى . هذا التحول من الجانب السوفييتى اثار نقمة ديجول الذى انتهز فرصة التوتر فى المعسكر الشيوعى فوجه ضربته بأن اعترف بالصين الشيوعية فى الوقت الذى تكشفت الخلافات بينها وبين زعيمة المعسكر ، وفى الوقت الذى فيه الحديث فى المناطق الروسية المتاخمة للصين عن الاستعداد لغزو أو هجوم

محتمل ، وباقى المعنى مفهوم وهو ان الصين هى مصدر التهديد . هذا الموقف الديجول لا شك تلاقى فى ارض مشتركة مع الصين التى اساءها تصرف السوفييت اثناء الازمة الكوبية والتى تنظر بعين السخط الى التقارب بينهم وبين الولايات المتحدة الامريكية .

الامجاد القديمة

وظل الجنرال ديجول يعمل فى سبيل فرض فرنسا على اوربا ، او على دول السوق المشتركة بعبارة ادق ، وفى سبيل هذا حاول انشاء محور يضم باريس وبون . وظل يجاهد حتى تمكن من استبعاد بريطانيا اعتقادا منه ان انضمامها الى السوق يجعل اوربا تحت رحمة العالم الانجلو ــ سكسونى وبذلك تتبدد هباء الزعامة التى يطمع فيها . غير ان هذه الآمال اخذت تضعف بالتدريج ، فاذا بالمانيا الغربية تلتزم موقف



جونسون .. هل ستؤثر بنما عليه كما اثرت السويس على ايدن . . . ؟!

البرود من فرنسا ، واذا بالدكتور ايرهارد يزداد تقربا من الولايات المتحدة ، واذا برئيس جمهورية ايطاليا نفسه يتوجه لزيارة وشنطن . ولم يقف الامر عند حد القارة ، بل تعداه الى افريقية فاذا بالجمهوريات الحديثة التى انتزعت استقلالها من فرنسا ، تسعى الى ان تجعل هذا الاستقلال حقيقيا وتقلل من ارتباطها بفرنسا او من اعتمادها عليها ، فهل يمكن ان نستنتج من هذا ان ديجول يريد مجالا آخر لنشاط فرنسا فى شرق آسيا وفى جنوبها الشرقى . وبعبارة اخرى هل هذا التحول نحو الصين وآسيا نوع من «التعويض» عن فشل فى ميادين اخرى وعلى رأسها اوربا ؟

ويتحدث الكتاب عما يدعونه امجاد فرنسا القديمة وذلك بصدد الحديث عن وحدة اوربا ، ولكن مثل هذا القول يغفل اعتبارا له اهميته وهو تغير ميزان القوة النسبية . ففى عهد لويس الرابع عشر كانت فرنسا القوة الاولى فى اوربا وحاولت توحيد القارة تحت زعامتها ، ومع ذلك اخفقت لانها فقدت السيادة البحرية . وفرض نابليون بعد ذلك فرنسا على اوربا واعلن فى مذكراته وهو فى سانت هيلانه انه كان يبغى تحقيق وحدة اوربا ، ومع ذلك ايضا اخفقت

المحاولة اذ كانت انجلترا قد بدأت ثورتها الصناعية واصبحت لها سيادة البحار . وراحت فرنسا تفقد بالتدريج مركزها كقوة مؤثرة فى تطوير الاحداث والسيطرة على اتجاهاتها ، بل ومالبثت ان لحقت بها بريطانيا كما تجلى ذلك فى الحربين العالميتين ، الاولى والثانية، حينما عجزت الدولتان وحدهما عن احراز النصر النهائى . واكدت الحرب الثانية بشكل خاص تدهور الدولتين من الصف الاول كمال قال هارولد لاسكى عن بريطانيا . كانت نتيجة هذه الحرب تتفق مع ما تنبأ به برتراند رسل قبل نشوبها بسنوات ، حيث خرج العالم وقد انقسم الى معسكرين على رأسهما دولتا الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وعلى ضوء العلاقات بينهما يشتد التوتر او يخف ، وان كنا نبادر الى القول فى الوقت نفسه انهما اصبحا يحسبان حسابا له وزنه لتلك الكتلة الضخمة من شعوب عدم الانحياز. مجمل القول أن بندول القوة النسبية تحول نحو الدولتين بحكم قوتهما الصناعية وتفوقهما التكنولوجى وضخامة مواردهما العسكرية وامتلاكهما اسلحة الدمار الحديثة ، مما يجعل من الصعب على فرنسا مثلاً أن تحاول أن تمسك بالميزان فى يدها وان ترجح



ايــرهارد .. اقر
الاعتراف ســقوط بلاده

كفة على اخرى او تحافظ على التوازن بينهما . لقد حاولت هذا عن طريق وحدة تضم أوربا الغربية فلم تحقق النجاح الذى ارادته ، فهل تحاول مرة ثانية عن طريق التقارب مع الصين ، ان الامجاد الماضية تتعارض معها الحقائق الحاضرة

وثمة ناحية اخرى قد تدخل فى نطاق التعلق بالماضى . فديجول يعتقد فيما يظهر ان النظام الشيوعى آخذ فى التطور نحو مزيد من الليبرالية فى الجانب السياسى، وهو يؤمن أن فرنسا تمثل الحرية، ومن هنا فان التلاقى بين النظامين الصينى والفرنسى يمكن أن يعجل باقتراب الاول من الاتجاهات الحرة ، وبذلك تكون فرنسا المشعل الذى ينشر نور الحرية اليوم تماما كما كان شأنها فى عام ١٧٨٩ حين راحت تنقل مبادىء الحرية والاخاء والمساواة الى بقية اجزاء القارة الاوربية . ولكن هناك

فارقا . فالدول القائمة فى أواخر القرن الثامن عشر كانت تترنح بسبب تمسكها بفلسفة اقطاعية فى الحكم عفا عليها الزمن ، أما اليوم فالصين تعتقد أن لها رسالة اخرى ، هى العمل على نشر الفلسفة الماركسية التى تتعارض تعارضا تاما مع الفلسفة السائدة فى الغرب ومن بينه فرنسا

رد الفعل

وفيما يتعلق بالاثر الذى احدثه الاعتراف الفرنسى ، يمكن القول بوجه عام ان معظم الرأى العام العالمى رحب به ، بدرجة أكثر أو أقل ، باعتباره مثلا للدبلوماسية الواقعية والعاقلة ، بل ان بلادا غربية أخرى مثل كندا وبلجيكا وايطاليا وغيرها بدأت تعيد النظر فى موقفها من التنين الاصفر . وفى نظر معظم الرأى العام العالمى أن توالى الاعتراف سوف يولد ضغطا لا يسع الولايات المتحدة نفسها أن تتجاهله وقد ترى من المصلحة السير فى الطريق نفسه

وقابلت الولايات المتحدة القرار الفرنسى بهدوء لم يكن متوقعا ، فقال رئيسها أن هذا العمل يخص فرنسا وحدها وان كان فى رأيه عمل « غير موفق » . غير ان هذا الهدوء لا يستطيع أن يحجب مشاعر الاستياء والمرارة ، اذ يعتبر الاعتراف تحديا للولايات المتحدة من جهة ، ومحاولة لهز هيبتها ومركزها كما قال عضو الكونجرس تود من جهة اخرى ، فضلا عن كونه نوعا من أسفين دق فى حلف الاطلنطى

واثار الاعتراف سخطا فى المانيا الغربية ، خاصة وان ديجول لم يتبادل معها الرأى مقدماً كما تقضى بذلك المعاهدة التى سبق توقيعها بين البلدين ، وما من شك أن هذا العمل سوف يؤدى الى مزيد من التباعد بينهما

غير أن الامر الجدير بالتمعن او بالتساؤل ، هو موقف الاتحاد السوفييتى . حقيقة اعرب عن تأييده للخطوة التى اتخذت لان هذا يتمشى مع سياسته التقليدية بشان امكانية التعايش السلمى بين البلاد ذات النظم الاجتماعية المختلفة . لكن يلفت النظر انه فى صبيحة اليوم التالى لاعلان الاتفاق الفرنسى ـ الصينى ، طلعت صحيفة برافدا تتحدث عن الصينيين المتزمتين ، وعن المتطرفين الصينيين ، والامريكيين الذين استبد بهم الغضب ، والعسكريين فى المانيا الغربية ، وهكذا جمعتهم فى صعيد واحد ، وفى هذا نوع من الغمز لا يفوت المراقبين . فهل لم تنظر موسكو بعين الرضاء الحقيقى الى هذا التقارب ! لعلها اعتبرت تصرف

الرئيس الفرنسي ضربة من الظهر لانه حدث فى وقت ساءت فيـــه علاقتها بالصين ، ومثل هـــذا الاعتراف من جانبه يساعد على دعم مركز بكين ازاءها

حياد

ولكن الذى اثار الاهتمام ، بل والقلق ، فى الدوائر الغربية عامة والامريكية بنوع خاص ، الاقتراح الذى تقـدم به الرئيس ديجـول بشأن انشاء منطقـة محـايدة فى جنوب شرقى آسيـا . فالولايات المتحدة تعتقد ان الاخذ بمثل هذا الاقتراح فيه قضاء على سياسـتها الدفاعية فى المنطقة كما تتمثـل فى حلف سياتو « Seato » ، كمـا يفتح الطريق ـ حسب رايهـا ـ أمام التسرب الشيوعى الى دول الهندالصينية وماليزيا واندونيسيا ويهدد استراليا بالخطر ، الامـر الذى يسىء اساءة بالغة الى مركز الغرب فى آسيا والمحيط الهادى . وهى ترى ايضا ان حياد فيتنـام أمر غير عملى لان معناه انتصـار فييت كونج الشيوعية اذ واضح ان حكومة فيتنام الجنوبية تعجـز عن حماية نفسها ضـد جارتهـا الشمالية وبالتالى ضـد الضـغط الصينى اذا ما سحبت عنها المعونة الامريكية . وقد تورطت الولايات المتحدة فى هذا الموضوع واصبحت



برتراند رسـل . . هل الاعتراف يتمشى مع ما ينادى به . . ؟ !

منذ سنوات تتحمل اعباء باهظة لاعتقادها ان الابقاء على النظام غير الشيوعى فى هذا البلد امر متصل بامنهـا ومصـالحها من جهـــة ، وبكرامتها وهيبتها من جهة اخرى، وهى الكرامة والهيبة اللتـــان تعرضتا فى الآونة الاخيرة لاختبـار قاس عندما اعلنت تايلاند انها لم تعد فى حاجة الى المعونات الامريكية وتضيف الدوائر الامريكية ان الحياد لن يسفر عن الاستقرار فى هـذه البلاد الاسيوية وبخاصة فى منطقة الهنـد الصينية بدليـل ان لاوس لا تزال تعانى من الشـــقاق والاضطراب

ان القنابل التى فجرها ديجول احدثت دويا كبيرا واشاعت قدرا من الاضطراب فى دول منظمـــة الاطلنطى ، وسـوف تكشف الايام عن حقيقة رد الفعل . . لقد اجبر الولايات المتحـدة على ان تبتـلع « برشامة » مرة المزاق . والسؤال الهام هو : وماذا بعد ؟

سمير غماوي :

في الحب والزواج !



وعيسك العريس بيد العروس، ويدوران حول النار ثلاث مرات وهما ينشدان ابياتا من الشعر . وتقدم الهدايا الى « بوسان » اله الرخاء ، والى « بهاجا » اله الحظ ، والى « آريامان » اله الاخلاص والامانة .

ويلمس كل من العروسين قلب الآخر ويتلوان دعاء أن يجعل الله لهما قلبا واحدا وعقلا واحدا وان كانا جسمين ، ويختمان الدعاء :

« اللهم لا تدخل على قلبينا هما ، واملأ اللهم بيتنا بالخير ، واسعد ايامنا بمرح الاطفال . »

ويصعد العروسان صخرة . ويتلوان دعاء : **« اللهم اجعل حبنا المتبادل صامدا صمود هذه الصخرة »**

وفي المساء يرى العروسان نجمة القطب « وآروندهاتي » الاله ويطلبان من الله ان يكون الزوج ثابتا على حبه ثبات نجمة القطب والزوجة وفية وفاء النجم الاله « آروندهاتي » .

وفي بعض التقاليد الهندوكية يمشي العروسان سبع خطوات يدا في يد وهما يدعوان في كل خطوة دعاء .

ففي الاولى دعاء بالحب ثم دعوات بالنجاح والفرص الطيبة والرخاء العميم والنعيم ووفرة الابناء والطهارة على التوالي . وتقول العروس اما وقد اتممنا خطواتنا السبع فلتكن رفيقي في الحياة ولاكن شريكتك فيها . ألا فليجنبنا الله من يسعى الى فراقنا وليقربنا الى كل من يسعى الى تدعيم علاقتنا المشتركة . ويقسم الزوجان قسما مهيبا ان يساعد كل منهما الآخر على تحقيق آماله وكل ما يصبو اليه في مجال الدين والحب والفلاح .

ثم يدعون جميعهم ان يوثق الله هذا الرباط بين الزوجين والا يحله أبدا . « **الا فلتوثق الرباط بين قلبيكما آلهه السماء والارض جميعا ولتقبل مياه الارض بين قلبيكما ولتربط الالهه « باتارسفان » و « دهاتار » و « دفستري » قلبيكما برباط وثيق .** »



ثم تبارك المرأة في آخر خطوة من هذه المراسم وتنزل بيت آل زوجها . وتظل ثلاث ليال تنام على فراش مستقل في نفس الغرفة مع زوجها دون أن يقربها . وبعد الليالي الثلاث يتم الزواج . وما هذا الا ليعرف كل منهما ان قهر الغرائز والتحكم فيها اساس الحياة الزوجية هذا ولا تشترط العذرية في المرأة وحدها وانما الرجل والمرأة سواء في ذلك . والزواج بالنسبة اليهما

هو اول اتصال لكل منهما بالجنس الآخر

وهكذا تصبح المرأة الهندية زوجة حسب اشهر المذاهب الهندوكية المعروفة في الهند . وهكذا تدخل الفتاة الصغيرة عالم الحياة على اساس من الخلق والدين والفهم الصحيح للشركة بين المرأة والرجل في صنع الحياة وتحقيق ارادة الله على هذه الارض . وتكتب المرأة الهندية عادة صفحة مشرقة في تاريخ الزوجة في العالم بأسره فهي عنوان التضحية



وعنوان الحياة التي تبنى على المشاركة الكريمة .

ان المرأة الهندية والرجل الهندي يعلمان آن اشباع الغرائز ليس هدف الحياة باى حال من الاحوال وانما الهدف هو تحقيق الذات وتكاملها وانطلاقها نحو الآفاق العليا . لذلك كان البذل من اهم الفضائل .

ولقد حدثتني سيدة هندية في السفيرة السابقة للهند في القاهرة عن اهم سلاح للمرأة او للرجل في الدعاية الانتخابية . وقالت انه البذل في سبيل الصالح العام . يكفي ان ينزل المرشح عن جزء ضخم مما يملك للدولة ليضمن التأثير في الناخبين . فاذا نزل عن كل ما يملك فقد ضمن الفوز المحقق . ومن هنا كان شعار الزوجة بالنسبة الى الزوج والى البيت هو البذل دائما وكذلك يقتدى بها الرجل .. كلاهما يبذل من ماله وذات نفسه ليحققا السعادة لهما ولاولادهما ثم لوطنهما ايضا ما استطاعا الى ذلك سبيلا

وبالرغم من تعدد المذاهب الهندوكية تعددا عجيبا وبالرغم من وجود عقائد اخرى ومذاهب شتى تتعايش كلها على ارض الهند فانها جميعا تنتشر بمثل خلقية متشابهة .. يظهر ذلك في موضوع الزواج اكثر ما يظهر . فالكل يجمع على ان زواج المرأة برجل غير زوجها الاول امر غير مرغوب فيه . فمنهم من يذهب الى حيث يوجب موت المرأة مع زوجها اذا مات ، ومنهم من يذهب الى انها لا تتزوج بعد زوجها سواء مات او طلقها الا بعد مدة معينة تصل الى سنوات ، حتى اذا سافر الزوج وحتى اذا انقطعت اخباره فانه لا يحق لها ان تتزوج بآخر الا بعد مضى اربع سنوات او نحوها من انقطاع اخباره انقطاعا تاما وتختلف المدة بين مذهب وآخر وبين عقيدة واخرى ولكنها كلها تجمع على انه اذا كانت تأتي عنه اخبار

فان المدة تكون ضعف المدة اذا كانت لا تأتي عنه اخبار

أما اقتصار الرجل على زوجة واحدة فهو الاكثر شيوعا . ذلك ان الزواج في كل المذاهب ليس الغرض منه اشباع الغرائز وانما هو وسيلة الى تحقيق الذات واتحادها بذات من الجنس الاخر لتكمل ولتلتئم ولتحلق وهذه الغاية لا تتحقق الا بزوجة واحدة . ويتعلم الصغار الفرق بين الشهوة والحب، بين ما يمكن أن يكون جارفا عارما ولكنه وقتي زائل وبين عاطفة راسخة صامدة تبنى طوبة طوبة مع الزمن . وكذلك تختار الزوجة في اغلب الاحيان من يرزق لها زوجا ولكنها لا تختار على اساس من الحب . بل ان الحب الذى يعلو على كل حب هو حب الزوجة لزوجها وخرافة ان الزواج يقتل الحب ، او ان التعود يبرد العواطف ، تنزع من رءوس الشباب بتعاليم الدين التي تنص في كل المذاهب على ان الحب أكبر وأعظم واسمى من ان يكون شهوة عارمة تموت بالاشباع . ان الحب اتحاد روحين مختلفتين ولابد أن يكونا مختلفتين ولكنهما متسقتان أو منسجمتان .. اتحادا يحتاج الى وقت وبذل من الطرفين ليتم وليحقق الغرض السامي منه

يقول فيلسوف الهند ورئيس جمهوريتها الاستاذ رادا كريشنا عن المرأة الهندية والحب :

« ان للحياة طريقين : طريق سهل واسع فيه اشباع للغرائز ومتعة لها ، وطريق صعب فيه السيطرة على النفس والتحكم في سلوكها . وهذا الطريق الثاني يتطلب المخاطرة والبطولة وقد يستتبع الحرمان والوحدة وعدم التقدير ولكنها وحدة الطريق الخليق بالانسان . ان الحياة لم يقصد بها ان تكون سهلة هينة لينة وليس هدف الحياة هو النشوة ولا المتعة وانما هدفها هو تحرير الروح وانطلاقها في الافاق . والزواج هو السبيل القويم الى ذلك لأنه يتيح الظروف المناسبة للروح لان تتحرر وتنطلق . ولقد اخرجت الهند في كل جيل ملايين من النساء الهنديات لم ينلن شهرة ولم يدر بهن أحد ولكنهن نساء ساعدن على تقدم الانسان ورقى المدنية في الهند بحياتهن اليومية العادية . نساء بما في قلوبهن من عواطف دافئة دافقة وبما لهن من استعداد للتضحية والبذل والوفاء وبما يمتزن به من الصلابة والصمود على قسوة الحياة ومرارة التجارب قد استطعن ان يكن بحق وجدارة مفخرة هذا الشعب الهندي كله . انه بالنساء وحدهن يرجى التقدم او التغيير نحو الافضل انهن وحدهن القادرات على الاحساس بما في النظم الحاضرة من بغي وظلم ، وهذا ما يجعلهن اقدر على بث روح الحياة المثلى فيمن يربين من جيل جديد . وعندئذ يولد على ايديهن هذا المرجو .. هذا الانسان الجديد .. ! »

ناصر الدين النشاشيبي :

أتمنى أن أرى مثله..

في الوطن العربي!

ما اكثر ما تمنيت ، واتمنى للوطن العربي الكبير ، من خير او قوة ، او مجد ، او اسلوب حياة ، اراها عند غيري ، فاسالها لبلدي !.

وليس عيبا أن نقتبس من غيرنا ، او حتى من عدونا ، احسن ما عنده !. ان العيب ان نقتنع بان ما عندنا هو وحده احسن ما في الكون ! وبالتالي ان نستسلم الى الشعور بالاكتفاء الذاتي في مجالات المقارنة بالغير ! كان « ايمرسون » يقول للبشر : « **اربطوا حياتكم بالنجوم** » !

وعلينا ان نربط حياتنا .. بالنجوم !

ومن خلال زياراتي المختلفة الى بلاد العالم ، كنت اقف عند فكرة عابرة او موقف بسيط ، او مظهر سهل ، من شأنه ــ عند اصحابه على الاقل ــ ان يربطهم بالنجوم .. او قريبا منها !.

وهذه فيما يلي ، بعض معالم الطريق .. الى النجوم .. او الى حولها !

***

في فرنسا ، تؤمن وزارة الشباب والشئون الاجتماعية ، ان من حق كل شاب فرنسي ، بين السابعة عشرة والخامسة والاربعين ، ان يعرف بلاده ويزورها بنفسه ..

وان يتم ذلك ، مشيا على الاقدام ..

وهكذا تنظم هذه الوزارة في كل عام ما تسميه « بطابور السير السنوي » الذي يسجل فيه كل من يريد ان يمشي لزيارة بلاده على قدميه ، اسمه للانضمام الى هذا العمل الرياضي والثقافي العظيم ..

وتنطلق المواكب بعشرات الآلاف من الشباب والرجال من قلب باريس في اتجاه الجنوب .. لمدة خمسة أيام أو اسبوع . بينما تكون هناك مواكب أخرى تتجه من باريس

الى الغرب ، أو الشمال !. وتتكرر هذه المواكب بحيث يتيسر لمن زار في العام الماضي القطاع الجنوبي في بلده ان يزور في هذا العام القطاع الشمالي ، أو الشرقي .. وهكذا .

وكعادة اليهود في السرقة والاقتباس ، اخذوا الفكرة الى اسرائيل عن الفرنسيين واعلنوا عن « طابور السير السنوى » في اسرائيل

وبدءوا فعلا في تسجيل الطابور لمدة ٤ أيام للسنة الحالية بحيث يبدأ في السادس عشر من الشهر الحالي وينتهى في ١٩ منه .. ويشترك فيه عندهم حوالى عشرون الف شاب بعضهم من المدنيين ، وبعضهم من الجيش ويضم النساء والرجال على السواء ويقطع الموكب حوالى ٢٥ كيلومترا في اليوم الواحد !.

انني أتمنى أن أرى « طابور السير السنوى » .. في بلادى !

***

وفي قاعة « البلدية » بمدينة « دارمستاد » بجوار فرانكفورت بالمانيا الغربية ، أخذوني الى اغرب معرض للصور ، يقام تجاوبا واتفاقا مع تاريخ هذه المدينة

فالمعروف أن « دارمستاد » قد ضربت بالقنابل خلال الحرب العالمية الاخيرة بصورة لم تتعرض لها مدينة المانية اخرى !. لقد كانت المدينة مقرا « لشباب هتلر » الذين رفضوا الانذار الامريكي بالاستسلام اثناء زحف القوات الحليفة الى الشرق !.

وكانت النتيجة ان قامت الطائرات الامريكية المقاتلة والحاملة للقنابل بالقاء القنابل على المدينة باسلوب حلزوني يبدأ بشكل دائرة كبيرة .. ثم تصغر الدائرة شيئا فشيئا .. حتى يتركز ضرب القنابل في نقطة واحدة .. وتتكرر العملية باستمرار دون انقطاع !. وكانت النتيجة ان أصبحت «دارمستاد» مجموعة احجار محترقة تدفن تحتها اكثر من مائتى الف شاب .. قتيل !

وبعد ١٤ سنة من نهاية الحرب، اقاموا في المدينة معرضا للوحات الفنية اطلقوا عليه اسم : « معرض الخوف » وضموا اليه كل اللوحات الفنية المعروفة في العالم .. عن الخوف !

هذه « ليلة شتاء » .. عاصفة .. سوداء .. كلها خوف

وهذه لوحة اسمها : الاقنعة والموت !

وهذه لوحة اسمها : افريقيا !

ولوحة أخرى اسمها : اليأس

ولوحة اسمها : الشاعر والفيلسوف

ولوحة اسمها : الحرب الاهلية الرسام العالمي : « سلفادور دالى »

ولوحة اسمها : اسرار شارع

ولوحة اسمها : الاشكال المضطربة

ولوحة اسمها : نور ... ونافذة !

أتمنى أن أرى مثله

ولوحة اسمها : المدينة المحطمة

ولوحة اسمها : سباق الحواجز

ثم لوحة ، عن الليل .. ولوحة عن الفنان .. ولوحة عن « عربة السيرك » .. ولوحة عن « رجل فى الظلام » .. ولوحة عن « مدينة الرصاص».. ولوحة اسمها مصير الحيوان .. ولوحة اسمها : « الجنازة الكبرى » .. الخ .. الخ ..

على ماذا يدل هذا ؟.

انه دليل الوفاء من الجيل الحاضر الى الجيل الماضى ! ان كل لوحة رايتها فى ذلك المعرض كانت كافية لان تبعث فى نفسى الكثير من الخوف والقشعريرة ! . وقد اقيمت هذه اللوحات — فى هذه المدينة بالذات — لكى تقول لابناء هذا الجيل :

— اشعروا قليلا بما شعر به اباؤكم واجدادكم هنا .. منذ ربع قرن !

ترى هل ارجو أن ارى مثل هذا « الوفاء » — بكل صوره ومعانيه — فى كل مدينة عربية .. فى الوطن العربى ؟

فى « الرباط » حيث كان الجهاد ضد الاستعمار . وفى «الجزائر» حيث الثورة والنار!وفى بورسعيد! وفى « بنزرت » بتونس .. وفى « دمشق » التى ضربها الفرنسيون عام ١٩٤٥ بالمدافع والقنابل .. وغيرها وغيرها !

كل هذا اتمنى ان ارى مثله فى بلادى ..

***

وفى ولاية « مونتانا » بأمريكا ، رأيت التالى ..

كل مدرسة تقدم فى كل شهر احسن ما عندها رسما ، وفنا ، واخبارا

وكذلك كل مواطن .. وكل مخترع .. وكل عائلة .. وكل حديقة .. وكل مصنع !

وفى نهاية الشهر — كل شهر تعرض احسن « الاشياء » فى اكبر دار من دور عاصمة الولاية .. ويحضره معظم سكانها ؛ وتوزع على الفائزين ، سواء كانوا من افراد الشعب أم من المؤسسات ، ميداليات مذهبة ، وفضية ، وكئوس تشجيعية

وهذا فى حد ذاته حافز للعمل الى ما هو أحسن .. واجمل .. واكمل !

ويا ليت اهل بلدى .. هنا ، او فى اى جزء من الوطن الكبير ، يتمسكون بهذه الفكرة ، ويخرجونها الى عالم التنفيذ بكل ما فيها من فوائد عظيمة ..

يا ليت المنافسة وحب التفوق تأخذ مكانها بين اهل هذا الشرق فيمضون بلا تريث ولا هوادة الى

تقديم ما هو احسن ، واطيب ، واكبر . فيخدمون بذلك انفسهم، وبلادهم .. ومستقبلهم !

***

وفكرة خلق «الاحياء اللاتينية» اريد أن أراها فى اية عاصمة عربية .. اوفى كل عاصمة عربية !

اعنى بذلك ، تخصيص احياء بكاملها للحياة الجامعية ، والفنية، والادبية ، بكل ما فيها من مطاعم ومقاه ومساكن .. ومعارض !

اريد حيا كحى « بولفار سان ميشيل » فى باريس .. او حى « شوابينج » schwabing فى « ميونيخ » حيث تطغى الحياة العلمية والفلسفية والذهنية على كل شىء .. سواء فى الملبس ، أم المأكل ، أم التصرف !.

فاذا ما اراد الزائر ان يلمس مظاهر الحياة الجامعية أو الادبية فى بلادنا ، مضى الى ذلك الحى ، وعايش اهله ، وزار مطاعمه ، وتفقد مكاتبه ، وتعرف الى شبابه ..

وكذلك أريد أن اخصص مدننا خاصة للانتاج الفنى والسينمائى فى بلادى !. أريد أن ارى مدينة سينمائية عربية تجمع كل اسباب ووسائل الانتاج السينمائى والمسرحى والتمثيلى ، كما هى الحال منذ زمن بعيد فى «لوس انجليس » بولاية كاليفورنيا .. وفى مدينة السينما خارج العاصمة « روما » .. وفى مدينة السينما بلندن ... وفى باريس ..

ومثلها بناء المدن الرياضية .. كالمدينة الرياضية فى روما وباريس وطوكيو واثينا .. حيث تضم المدينة الرياضية جميع الملاعب والساحات والابنية والمدرجات لممارسة كل أنواع الرياضة ...

اتمنى أن أرى ذلك .. فى بلادى !

***

واتمنى ان ارى المدن العلمية تنتشر فى انحاء بلادى ، كما هى الحال فى فرنسا وامريكا .. حيث تحتوى هذه المدن على المؤسسات العلمية المختلفة ..مع دور السكن والكنائس .. والمعابد .. ودور السينما .. والتليفزيون ، كلها مستقلة بها ولها .. وحيث تحتوى هذه المدن على اكبر عدد من العلماء والمتخصصين الذين يصلون الليل بالنهار فى الابحاث العلمية العميقة، واجراء التجارب العلمية المختلفة لخدمة الانسانية .. عامة !

اتمنى أن ارى هذه المدن فى بلادى .. فانها فى حد ذاتها اكبر مشجع للانخراط فى حياة العلم ، والتفرغ لها ، والتلذذ بجوانبها .. بالاضافة الى انها فى حد ذاتها اكبر دعاية لسمعة البلد الواحد حيث يعرف العالم باسره أن تقدم العلم والعلماء فى ذلك البلد قد دفعت بالمسئولين عنه الى تخصيص مدن علمية مستقلة للحياة العلمية المستقلة ..!

***

واتمنى ان تبطل النظرة القديمة

أتمنى أن أرى مثله

الى ان « الجامع » قد بنى لاداء الصلوات الخمس فى اوقاتها ، ثم يغلق بعد ذلك ، وقبل ذلك ..!

ان « للمسجد » دوره القديم الذي لعبه منذ زمن طويل وكان من اسباب سبق العالم الاسلامى فى جميع ميادين الاختراع والادب والثقافة ، وحيث كانت المساجد تضم اكبر المكتبات الثقافية وخاصة فى العصر الفاطمى فى مصر ...

وانا أنادى بضرورة ضم مجموعات من الكتب العلمية والثقافية والدينية الى مساجد بلادى بحيث تكون فى مبنى خاص يلحق بالمسجد أو قريبا منه !

ان تقدم العلم والعلماء يفرض ذلك ..

ان تطور مفهوم الحياة يتطلب ذلك ..

ان « ابن سيناء » و « ابن الهيثم » — من اكبر علماء الرياضيات والفلك — و « جابر بن حيان » — عالم الرياضيات ، كلهم تخرجوا فى مكتبات المساجد الاسلامية ونهلوا من منابع ثقافتها ، وادوا للعلم وللمدنية أكبر الخدمات ..

ان وجود مثل هذه المكاتب يعوض المسلمين والعرب عن انعدام النوادى الثقافيه والادبية فى بلادنا بينما توجد مثل هذه النوادى فى كل مدينة من مدن اوروبا وامريكا ...

انها ضرورة ثقافية وعلمية يقرها الاسلام ، وتباركها التعاليم المحمدية الكريمة ..

وانا اتمنى ان اراها فى بلادى..

***

واتمنى أن تقوم وزارات الثقافه والارشاد ، والشباب ، والشئون الاجتماعية فى بلادي بتخصيص ساحات معينة فى احراش بلادى ، وشواطئها ، وجبالها ، وجعلها مقصورة على اقامة المخيمات السنوية للشباب بحيث يمنع دخولها على غيرهم ..

ان اجمل مناطق سكوتلندا . واحلى سهول نورماندى .. واكثر الاماكن سحرا فى شمال ايطاليا . واجمل جبال سويسرا ، كلها مكونة لمساحات شاسعة منها ؛ مخصصة لما يسمونه هناك «بالكامبينج» وهى عملية مجانية المقصود بها تشجيع الشباب والفتيات على الخروج الى الطبيعه واكتساب الصحة وممارسة المسئوليات المنزلية كالطبخ والغسيل وغيرها ، مما يؤنس طبيعة الانسان ويدربه ويغذى روحه وجسده ..

والسلطات بالاضافه الى اختيار هذه المناطق وتخصيصها للكشافة والمخيمات ، فانها ايضا تقوم بحراستها ، ومد الطرق اليها ، وتزويدها بالماء والنور .. بحيث تدفع كل عائلة الى ارسال ابنائها للمخيم فيكتسبون الصحة والشباب ويستمعون الى المحاضرات اليومية

السهلة عن معلومات عامة .. ويشاهدون الافلام الثقافية .. ويمارسون الالعاب الخفيفة ... ويطالعون الكتب الادبية النافعة ، ويعودون من الاجازة وقد اكتسبوا المناعة لاجسامهم ولعقولهم ..

انا اتمنى ان اقرا المئات من اللافتات التى تحمل كلمة «مخيم» تزرع اجمل تلال بلادى ، واحلى شواطئها ..

لانى احب شباب بلادى ... واحب له ان .. يعيش !

***

واتمنى ان يعاد النظر فى اسماء تسعين فى المائة من شوارع الوطن العربى بحيث يستبعد من هذه الاسماء كل اسم غير عربى .. او خاص .. او غير معروف .. اوغير مهم .. وان تقسم عملية التسمية على المناطق حسب ما تضمه من مبان او آثار او جامعات اوقصور. فمثلا نطلق على جميع الشوارع المؤدية الى جامعة القاهرة اسماء كبار الاساتذه والعمداء الذين ادوا للعلم اجل الخدمات وانتقلوا الى رحمة الله . ونطلق على جميع الشوارع المؤدية الى بلدية القاهرة اسماء كبار مهندسى الجمهورية العربية فى الماضى .. وهكذا

ونفس الوضع ينطبق على شوارع بيروت ، وعمان ، وبغداد .. والرباط وتونس !

اتمنى ذلك .. لبلدى ، وفى بلدى !

واتمنى ان يدخل مطارات بلادى نظام اللافتات الكهربائية الاوتوماتيكية التى توضع فى المطارات والموانىء وتدل المسافر على الفنادق التى يستطيع ان يجد فيها غرفا خالية. مع بيان اسعارها .. ودرجتها .. وعنوان مكانها ...

ان هذه اللافتات تقوم بأكثر من خدمة واحدة . لتسهيل اقامة الزائر ، وتوفير وقته وماله .. فما عليه الا ان يلقى عليها بنظرة عابرة حتى يتبين – من النور الاحمر او الاخضر فوقها – اين وكيف يجد لنفسه غرفة خالية فى فندق جيد .. ومثل هذا النظام متبع فى جميع مطارات ستوكهولم ولندن وباريس وروما ومدريد وبعد ..

فان بعض هذه الافكار يحتاج الى مجرد العزم على تنفيذها .. وبعضها يحتاج الى .. المال . !

وبعضها يحتاج الى التطور ..

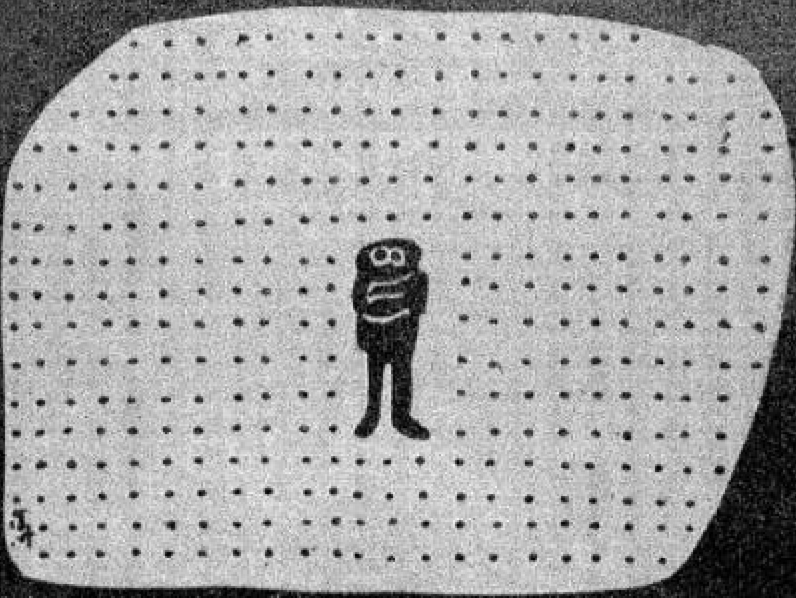
ولكنى – بدافع شعورى – ان الشرقى والعربى المسلم ، كريم حاتمى بطبعه ، قد سمحت لنفسى ان اسرد – فقط – بعض الافكار التى اتمنى ان اراها حية فى بلادى والمال .. ؟

نحن من امة قال فيها شاعرها :

اماوى ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر

فليأخذوا مالنا ، ويعطونا بدلا عنه ، الحديث الطيب ، والسمعة الحسنة ، والصيت الندى .. .. لكل عربى !

أنيس منصور :



ما معنى ان يولد العفن فى تفاحة ؟
معناه ان يولد الموت فى احشائى كفن ، وفى احمل نعش .. !
معناه اننا نحمل الموت معنا فى كل خلايانا .. فكل خلية هى نقطة وثوب لعزرائيل .. فما اكثر ملايين النقط .. التى يختفى فيها الموت فى اجسامنا ، وفى حياتنا كلها !

ولكن فى حياتنا شىء آخر ، ليس هو الموت ، ولكنه نوع من عدم الشعور بالموت .. ولا بالحياة ايضا !

.. شىء ناعم الملمس .. يسرى فى اجسامنا كأنه خدر .. كأنه ملايين النمل ..

انه يحول ايدينا وارجلنا الى اكياس من النايلون محشوة بملايين الملايين من ذرات الرمل .. او النمل ..

وهذا الشعور الذى يسمى .. « بالتنميل » او « بالترمل » .. اى الذى يجعلنا كالنمل او كالرمل ، هو الذى نسميه : بالملل ..

***

والذى يشعر بالملل ليس هو الذى

لا يرغب في الحياة .. وليس هو الذي لا يرغب في الموت ..

لأن الذي لا يرغب في الحياة ، يرغب في الموت .. والذي لا يرغب في الموت يرغب في الحياة .. فكلاهما يرغب في شيء . ولكن الذي يمل ، او الذي يتململ هو انسان لا يرغب حتى في الرغبة ..

فالذي عنده ملل يشعر انه ليس على صلة بالواقع .. انه منعزل .. انه معزول .. انه منقطع .. انه مقطوع .. وانه لا توجد وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي ..

كأن هذا الانسان المملول — اذا صح التعبير — بلا يدين ولا رجلين .. لا توجد عنده أطراف للاتصال بالدنيا حوله ..

او بعبارة أخرى . انه يشعر بأن الواقع نفسه بعيد عنه .. كأنه ينظر اليه من العدسة الصغيرة في النظارة المعظمة .. فكل شيء على مسافة منه .. والمسافة بعيدة ووسيلة المواصلات صعبة .. او لا توجد وسيلة للمواصلات ..

فالانسان الملول .. انسان في حالة عجز عن الاتصال بالغير .. أو أنه انسان عنده احساس ان الآخرين عاجزون عن الاتصال به ..

ومعنى ذلك ان هناك نقصا فيه هو .. او نقصا في الواقع . وان هذا النقص جعله « قعيدا » .. جعله جامدا في مكانه .. ربطه بمقعده ومسمرا مقعده في الارض ..

كلما اقتربنا من الواقع ابتعد عنا ..

وكلما اقترب الواقع منا ابتعدنا عنه .. او شعرنا بأننا بعيدون عنه ..

***

ان تنتالوس البطل اليوناني هو احسن نموذج لحالة العجز .. فقد حكمت عليه آلهة اليونان بأن يعذب الى الابد .. اذ وضعوه في بحيرة من الماء العذب .. وكلما ارتفع الماء الى شفتيه ، وحاول وهو تحت اشعة الشمس المحرقة ، ان يبلل شفتيه انخفض الماء الى قدميه ، فاذا ابتعد في وقفته ارتفع الماء مرة اخرى ، فاذا حاول ان يبلل شفتيه انحسر الماء .. وهكذا الى الابد ..

وحكمت عليه الآلهة ايضا ان يتعلق بشجرة تفاح ، وكلما مد يده الى تفاحة ، ابتعدت التفاحة . واذا عادت ذراعه اقتربت التفاحة ، واذا حاول ان يخطف

وداعاً أيها الملل!

لتفاحة ، تباعدت عنه .. وهكذا الى بد ..

وحكمت عليه الالهه بأن يجلس ند مدخل احد الكهوف .. وفى بظة ينهار حجر فوقه ويمس شعره ث ان يصيبه فاذا وقف ارتفع لحجر ، فاذا جلس هبط الحجر .. هكذا ، يبقى تنتالوس فى حالة خوف ابدى ..

ولكن تنتالوس لم يمل ، انه كان يعلم ان هذا الحكم ابـــدى ، لكنه لم يستسلم لهذا الحكم ، فقد لل يعلو ويهبط . ويمد شـفتيه يمد يديه ويرفع عنقــه .. كان ناك أدنى أمل فى ان يذوق الماء أو يتذوق التفاح أو يزول الخوف ..

ان عيب تنتالوس انه لا يعرف لملل ..

لقد كان عاجزا ، ولكنه لم يكن عاجزا تماما .. فالتكرار لم يحطم رادته ولم يحـول اعصـابه الى ضلات ، لم يحول عضـلاته الى للايين النمل ، الى ذرات رمل ، لم لكن هو كيسا من النايلون ملقى على الارض ..

ان تنتالوس بطل لان جسمه لم يعرف العجز ، ولان نفسه لم تعرف للل ..

ان الشاعر الانجليزى **مارلو** قد تب لـنـا فى مسرحية « **الدكتور اوستوس** »هذا الحوار بين الطبيب وست وبين الشـــيطان مفيستو فليس :

فاوســتوس : قل لى من هو ليس ؟

مفيستو فليس : انه قائد الارواح

ــ الم يكن ملاكا قبل ذلك ؟

ــ بل كان احب الملائكة الى الله

ــ اذن كيف اصبح بعد ذلك اميرا للاشرار ؟ ..

ــ بالغرور والوقاحة

ــ وانتم تعيشون معه ؟

ــ نحن الارواح الشـقية التى سقطت معه وتآمرنا على الله معه . فلعننا الى الابد !

ــ واين تعيشون ؟

ــ فى جهنم

ــ ولكنك لست فى جهنم ؟

ــ انا لست فى جهنم ؟! هل الذى احس برحمة الله ،وعرف السعادة الابدية فى السماء ، ثم هو الان محروم منها .. ألا ترى ان هـذا شىء احسن من جهنم الف مرة !

ان هذا الشيطان على حق ، فهو يعانى عذابا اقسى من عذاب جهنم . ولكن هذا الشيطان لم يفقد الامل . انه لا يزال يدرك الفارق بين النعيم والجحيم . انه لا يزال يتحسر على هذا الذى راح ، انه لا يزال يشعر بأنه اخطأ وأنه نادم على ما فعل

ولذلك رأينا الكاتب الايطـــالى **بابينى** فى كتابه عن « الشيطان » يعتقد ان ابليس والشياطين جميعا سيدخلون الجنة يوم القيامة . لانهم تعذبوا بمـا فيه الكفــاية ، ولانهم ندموا ، ولان لديهم أملا فى رحمة الله . فلا يمكن ان تقف رحمة الله دون الشياطين . فرحمة الله لاحدود لها ، وهى لذلك تتسع للانســـان وللشيطان ..

فهو يرى أن الشياطين ، حتى الشياطين لم تفقد الامل ، وهي لم تفقد الامل ، لانها لم تعرف الملل ٠٠ لانها لم تمل من اليأس ٠ لم تمل الجحيم ٠ لان الجحيم المستمر لم يفقدها الشعور به ، والشعور بغيره ٠٠ أى الشعور بالنار وبالجنة !

فالانسان « المملول » هو الانسان الذى مل الامل ومل اليأس ٠ وهو قد مل كل شيء ، لان كل شيء لا يصل اليه ، لان كل شيء اقصر من ان يناله ٠٠ هو اقصر من ان ينال اى شيء ٠٠ وكل شيء اقصر من ان يتطاول اليه !

تماما كما نضع على اجسامنا لحافا قصيرا ٠٠

اذا سحبناها على اقدامنا تعرت رءوسنا ، واذا غطينا به رءوسنا ، تعرت اقدامنا ٠٠

فالواقع لا يغطينا ٠٠ لا يكفينا ٠٠ ولذلك فنحن نمله ٠٠ نحس بمرارته على شفاهنا ، او نحس به كالصمغ على اجسامنا ٠٠ انه يغرقنا لذلك لا نمد ايدينا اليه ٠٠ او نحن الذين نغرقه ، فهو لا يمتد الينا !

والفيلسوف الوجودى ياسبرز يقول ان العلاقة التى تربطنى بمن حولى هى انني على صلة ما بالذين حولى ٠ ولابد ان تكون هناك صلة ٠ والانسان لا يستطيع ان يعيش بمفرده ٠٠

والذى يعيش بمفرده ٠ اى بغير أن تكون له صلة بالاخرين ، هم : الله والحيوان !

فالله ليس فى حاجة الى أحد ٠:

وداعا.. أيها الملل!

ولذلك ليس على صلة بأحد ٠ لانه قائم بنفسه ٠٠

والحيوان يستطيع ان يعيش بمفرده ، لانه عاجز عن الاحساس بغيره ، او حتى الاحساس بنفسه ٠٠

ولكن الانسان يستطيع ان يعيش ايضا بمفرده عندما يكون فى حالة ملل ٠٠

فهو يصبح معزولا عن غيره ، كأنه ليس فى حاجة الى احد ٠٠ كأنه اله ٠٠ او كأنه لا يشعر لا بغيره ولا بنفسه كأنه حيوان !

والملل يشبه الى حد كبير انقطاع التيار الكهربى ٠٠

فانقطاع النور الكهربى يجعلنا نرى الدنيا التى حولنا فى حالتين متناقضتين ٠ فعندما يضيء الغرفة مثلا ، نرى كل شيء بوضوح ٠٠ المكتب والمصباح والمقاعد .. كل شيء فى مكانه وبلونه وبحجمه ٠٠ وعندما ينطفيء المصباح يختفى كل شيء فى الظلام .. وتغرق هذه الموجودات فى حالة من العدم المؤقت ٠٠ فالملل يشبه حالتنا عندما ينطفيء النور ٠٠ ان الملل ليس هو الظلام الذى يبتلع كل ما فى الغرفة ٠ ولكنه الشعور باختفاء كل ما فى الغرفة ٠٠ الملل ليس هو الاختفاء نفسه

ولكنه شعورنا باختفاء شيء ..

والملل يشبه ايضـا انقطاع الماء الساخن ونحن نستحم .. فقبـل انقطاع الماء نشعر بالدفء والانتعاش ونحس كأن المـاء يقوم بتدليك عضلاتنا واعصابنا ، ويغسل متاعبنا ، ويلقي بها مع الصابون في البالوعة فلا يكون لهذا كله الا صوت غريب .. صوت الماء وهـو يتمشى في البالوعة ..

وعندما ينقطع الماء نشعر بضياع الدفء ، ونشعر بالبرودة ..

فانقطاع المـاء ليس هو الملل ، ولكن شعورنا بأن الدفء قد انقطع .. بأن بالوعة اخرى قد انفتحت وابتلعت شيئا حارا مريحـا كان يغمرنا ، هذا هو الملل ..

وهذا الملل ايضا الذى يصيبنا يجعلنا أقل تذوقا للدنيا .. يجعل طعمها على اللسان غريبا .. ويجعل ألوانها في العين غريبة ، ورنينها في الاذن غريبا ، وملمسـها في اليد غريبا ايضا ..

فالملل هو الذى يجعـل كل ما حولنا غريبا ..

او يجعلنا نحن غرباء في هـذا العالم ..

فالشعور بالغرابة ، والشـعور بالغربة ، والشعور بالاغتراب ، هو بداية الملل ..

فالملل يجعل العين تعـزف من الرؤية ، ويجعـل الاذن تعـاف الاستماع ، ويجعل ايدينا في حالة غثيان من لمس كل ما حولنا ..

ويحس الانسان كأن مرضا اصاب الدنيا .. أنها بدأت تذوى وتجف وتتساقط .. ان الملل هو اعـلان خطير ببداية الخريف والشتاء في عز الربيع ..

هذا المرض الذى اصابني وانتقلت عدواه الى كل ما حولى هو الملل ..

فأنا في حالة الملل . لا اعـرف بالضبط ان كنت انا المرض او انا المريض . ولا اعرف ان كنت انا المريض الذى انتقلت عدواه الى غيره. أو انا الضحية لمرض الاخرين !

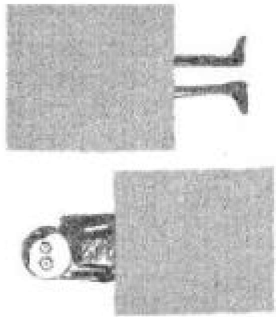
والملل كالمرض ، من الممكن أن أن يصيبني دون أن أشعر به ...

وليس معنى عدم شعورى بالملل ، انني لست في حالة ملل . فمن الممكن ان يشكو الانسان من أوجـاع في ركبتيه دون ان يعرف ان سبب هذه الشكوى هو تسويس في أسنانه .. او يشكو من الصداع دون ان يعرف ان سبب الصداع هو ضغط الدم ، او التهـاب في المصران الغليظ ..

ان الكثير من متاعب الاطفـال والمراهقين خاصة . انهم يشكون الملل ، او يشكون من السأم أو الزهق ..

فالذى يشكو منه الطفل الصغير عندما يحطم ادوات البيت ، ولايقتنع بالنزاع مع امه او ابيه ليس مللا ، ولكنه نوع من الملل . انه الزهق . فهو ليس أكثر من رغبة في تغيير شيء .. ليس اكثر من رغبة في ان يجدد صلاته البسيطة بالعالم الذى حوله ..

اما الذى يصيب الكبار ، الذين تعددت صلاتهم بالعالم ، وتعبوا من



حياتهم ، واتعبوا حياتهم ايضا ، فليس زهقا . ولكنه شيء اعمق واعتقد انه الملل ...

***

هذا الاحساس الذى يجعلنا نجد صعوبة فى ان نتصل بغيرنا .. من ان تصل الى غيرنا انظارنا ، لان وسيلة المواصلات او الاتصال بالغير هى : اللغة ، هذا الاحساس ، هو الملل فى اعلى درجاته . فاللغة عاجزة . واللغة مربوطة بسلاسل اسمها المنطق . أو قواعد العقل . حتى هذه السلاسل لا تربط اللغة ، انها تخنقها . اذن فالعقل هو خانق اللغة . وعلى ذلك فأية لغة عقلية هى لغة مخنوقة .. وأيما معنى تنقله ، هو جثة معنى

ولذلك فوسائل الاتصال بالغير ميتة .. فالانسان حى . ولكن مواصلاته ميتة .. انه جثث الفاظ، وقبور معان ، وعفن فكرى ..

ومن هنا ظهرت كل الاتجاهات الادبية والفنية التى تقول ان كل شيء ممل .. كل شيء سخيف لا معنى له، واذا كان له معنى ، فالمعنى تافه . فلا معنى لشيء . ولا طعم ولا فائدة من الكلام عن شيء

ولم يقل ادباء اللامعقول او ادباء العبث ، غير ان الحياة مملة . وانها عبث اى بلا عقل . أى انها محصورة بلا مبرر . فلا مبرر لوجودى أو لوجودك .. أو للوجود كله !

وعندما صدرت قصة « **الملل** » لاديب ايطاليا **البرتو مورافيا** استقبلها الناس بشيء من الفتور . واعتبر المؤلف ان هذا الاستقبال هو اعظم تحية له ولقصته الطويلة .

فكأن الناس قابلوا الملل بالملل .

كأنهم وضعوا على وجوههم الاقنعة المملة ، التى تناسب رواية تتحدث بمتعة ، عن حياة لا متعة فيها ..

وبعد هذه الرواية ظهرت فى ايطاليا أفلام تتحدث عن الملل .. عن مدينة روما – وكل عاصمة أخرى – التى تتثاءب وتتلوى فى كسل .. انها تتثاءب ليفتح الناس

بيوتهم ، ويخرجون كأنهم مفص تتلوى به شوارع روما .. انها تلفظ ساكنيها .. في قرف يومى مستمر ..

وكل العواصم تتشاءب . وكل سكان العواصم في قرف

ومعظم المدن اصبحت تقلد العواصم

ولذلك فالعالم يعيش في عصر الملل ..

***

وقد حاول مورافيا في قصته الملل ان يفسر لنا فلسفة الملل . وكيف ان هذه الفكرة قد ملأت حياته . وكيف انه حاول التخلص منها بالتفكير فيها .. اى بالنظر اليها من بعيد .. اى بالتسامى عليها ..

ومورافيا يؤكد لنا ان هذه مجرد فكرة خطرت له ، وان وقته لم يتسع لدراستها ..

او ان وقته يتسع ولكنه مل التفكير فى الملل ..

فهو يقول لنا ان أول آية فى الكتاب المقدس تنص على : انه في البدء خلق الله السماوات والارض ..

وهذا صحيح . لان الله شعر بالملل عندما كان وحده ، فخلق العالم حتى ينجو من الملل ..

وبعد ذلك خلق آدم وحواء ، لانه مل السماوات والارض لانها بلا حياة ..

وآدم وحواء شعرا بالملل في الجنة ، فارتكبا أول خطيئة ..

وملا الحياة على الارض ، فارتكب احد أبنائهما أول جريمة . فقتل قابيل أخاه هابيل .

والله مل البشرية كلها ، فاهلكها بالطوفان ..

ونوح عندما نزل الى الارض مل الحياة عليها فاخترع النبيذ ..

وجاءت الامبراطوريات القديمة الواحدة بعد الاخرى .. امبراطورية مصر وبابل والاغريق والرومان ..

ومن الوثنية خرجت المسيحية ..

ومن الكاثوليكية خرجت البروتستانتية ..

ومن الملل من اوربا ظهرت امريكا ..

ومن الملل من الكرة الارضية ظهرت الاقمار الصناعية ..

ومن الملل من الاقطاع اشتعلت الثورة الفرنسية ..

والملل من الراسمالية أدى الى قيام الثورة الروسية ..

ومن الملل من المثالية ظهرت الشيوعية ..

ومن الملل من الشيوعية ظهرت الوجودية ..

ومن الملل من المثالية والمادية والوجودية ظهرت اتجاهات اللامعقول في المسرح وفى الشعر وفى الرسم .. فى اوربا وفى امريكا واخيرا فى العالم العربى ..

ولابد ان تنتهى موجة اللامعقول بشىء جديد معقول جدا ، ، او اكثر تطرفا في العقل والمنطق . اى لابد ان يظهر شىء معقول جدا بشكل غير معقول . اى لابد ان يعقل ــ اى يربط ــ العقل نفسه .

وداعاً.. أيها الملل!

وليست جرائم الافراد، الابسبب الملل الذى اصاب المجتمع ..

وليست الحروب الا بسبب الملل الذى اصاب الشعوب ..

فكما ان المجتمع يريد ان يتسلى ، يريد ان يفيـــق من مللـــه ، فهو يستدرج افراده الى اطلاق النار ، واسالة الدم . فالمجتمع يلطم نفسه بيده ، لكى يصحو ..

***

لقد كان الشاعر الالمانى **سلتو** عندما يغلبه النوم من التعب ، يضع مصباحا قريبا من وجهه ، فكلما غلبه النوم اقترب رأسه من النار فيصحو .. فهو يوقظ نفسه بالنار ..

وكذلك الشعوب توقظ نفسهـا بالنار .. توقظ نفسها بان تحرق افرادها ،مئات الالوف من افرادها، حتى لا يروح الباقون ضحية الملل ، ضحية شعور يأكل كل شعور آخر .. ضحية سوس يتسلل الينا ويأكل من داخلنا .. ضحية شىء غريب يدخلنا فيحولنا الى قبور له .. فكل حيوان بل كل ميكروب يتسلل الى جسمى ، الى دمى ، دليل على ان يصيبنى بمرض ، هو فى نفس الوقت يعمل على تحويلى من كائن حى ، الى مقبرة لكائن حى .. الى مقبرة لى .. الى انسان لا يحمل ملابسه وانما يحمل كفنه ، الى انسان يمشى فى جنازة نفسه .. الى انسان هو الميت وهو النعش وهو المشيعون وهـــو المقبرة ايضا !

هذا الحيوان الغريب ، الـــذى يتسلل الى داخل هـــو الملل ..

فالشعوب بدلا من ان تقتل الملل تقتل الالوف من ابنائها .. تقطع رجلها بيدها ، تقطع رقابها بعقلها .. تحرق الملل بالنار ، وتغرقه فى الدم ..

وقد كان الرومان يطلقـــــون الوحوش على المساجين ، ويتفرجون عليهم بنفس الحماس الذى يتفرج به الاسبان على مصارعة الثيران ، ويتفرج به ابناء الدونيســـيا على مصارعة الـــديوك ، ويتفـــرج به اليابانيون على المصارعة اليابانية ..

لقد كان الرومان يعـــانون من الملل ..

فلابد ان يقتلوا الملل .. ولابد ان تكون هنــــاك دماء حية .. دماء حيوانات أو دماء بشر ..

والملك شهريار فى « الف ليـلة وليلة » كانت تروى له شهر زاد قصة كل يوم .. وكانت قصصها مسلية ..

فقط الف قصة وقصة ،ولكنها لا تستطيع ان تروى كل يوم قصة .. وحتى لو اســـتطاعت ، فكيف يستطع انسان واحد ان يسمع من امرأة واحدة ، الوف القصص . ان القصة قد تكون مثيرة . ولكن كيف

تكون امرأة واحدة مثيرة دائما ..

واذا كانت المرأة مثيرة ، فكيف يكون الرجل نفسه ممتعا طول الوقت .. كيف لا يملها ؟ كيف لا تمله !

ولذلك انا لا اعتقد ان الف ليلة وليلة ، بدأت عندما قتل الملك شهريار زوجته لانه وجدها في حضن احد عبيده ..

انا اعتقد ان الملك شهريار كان يجب ان يقتل شهر زاد .. بعد ان اكملت القصة الاولى بعد الالف .

فمقتل شهر زاد هو البداية الحقيقية لقصة الف ليلة وليلة ..

فليس من المعقول ان يقبل رجل واحد قصة واحدة مسلسلة من امرأة واحدة ..

واذا كان الملك شهريار لم يقتل شهر زاد في النهاية .. او لم تقتله شهر زاد في النهاية ..

فسبب ذلك انهما لم يعرفا الملل ..

بل ان مؤلفي الف ليلة وليلة ، لم يعرفوا الملل .. ولو عرف المؤلفون الملل ، لقتلوا شهريار او شهر زاد ..

اما نحن الذين نعاني الملل ،فلابد من ان نبدأ قصة شهر زاد بان يقتلها الملك في النهاية ..

وانا اعتقد ان شهر زاد عندما كانت تتثاءب في نهاية كل ليلة ، لم يكن هذا التثاؤب نفسيا .. او فلسفيا .. انه تثاؤب جسدي .. انها متعبة فقط ..

هي متعبة او المؤلف متعب ..

ولابد من انهاء هذه الحلقة ، واستئنافها في اليوم التالي ..

فالتثاؤب في الف ليلة مضبوط مع صياح الديك ..

حتى الديك لم يعرف الملل ! ..

ولكن الا توجد وسيلة للخلاص من الملل ؟

هل الملل قد اصبح كلون البشرة، لا يمكن ان يزول الا بزوال صاحب البشرة !

هل الملل اصبح كالبقع الموجودة في جلد النمر . لا امل في غسلها ؟

هناك امل ..

هذا الملل يدل على اننا لم نصل بما فيه الكفاية ..

او على ان هناك نوعا من المسام من الفتحات الصغيرة في الكيس النايلون الذى اسمه الملل ..

هذا الامل هو الحب ..

حتى البرتو مورافيا عندما ضاق بالملل ، راح يفكر .. تماما كما فعل نوح قبل ان تغرق الدنيا .. لقد صنع سفينة من الخشب .والسفينة عبارة عن الواح خشبية ، هذه الالواح موضوعة بعضها الى جوار بعض . اى ان هناك فكرة في رأس نوح ، وهذه الفكرة تجسدت على شكل سفينة ..

وهذه السفينة ، او هذه الفكرة الخشبية ، هي التي انقذت « نوح » من الطوفان ..

والطوفان الحديث اسمه الملل ..

ونوح الجديد اسمه الحب ..

فالحب هو الذى يصنع السفينة .. هو الذى يضم غصنا جافا الى

جوار غصن جاف ويبني فوقها بيتا .. هذا البيت العائم هو السفينة .
وقد كانت سفينة نوح تضم كل انواع الحيوانات والبذور .. لقد كانت السفينة دنيا صغيرة ..
ففي مواجهة الطوفان والضياع ، يجب ان نصنع دنيا صغيرة . هذه الدنيا يجب ان نحيطها بانفسنا .. او نجعل هذه الدنيا هي أنفسنا .. فنحن الدنيا .. نحن دنيا انفسنا .. نحن غاية لانفسنا .. نحن الوسيلة الوحيدة لاسعاد انفسنا والعاش انفسنا ايضا ..
فكما نبني السفينة ، تكون رحلتنا عبر الطوفان ..

***

ان مورافيا وجد أن الحل الوحيد للهرب من الملل ، او لان نحل مللنا هي ان نحب .. هي ان نجدد صلاتنا بالعالم الخارجي .. هي ان نحس ان هناك صلة .. وان كل شيء في تناولنا .. وان كل ما في الدنيا هو عبارة عن يد ممدودة لتصافحنا .. ان كل ما في الدنيا هو حضن لنا .. كل مافي الدنيا شفاه في انتظار تقبيلنا لها ..
فالفرار من الملل هو ان نفكر في الملل ..
والتفكير في الملل ، هو محاولة للتسلل في داخل جدرانه الناعمة .. واذا تسللنا الى أعماق الملل، وسعنا هذه الفتحة .. واصبحت هذه الفتحة هي البالوعة التي يتسرب منها الرمل والنمل ، من داخل الكيس النايلون الذي هو اجسامنا ونفوسنا

ان اروع ما قاله انسان في علاج الملل ، هو ما أنشده الالماني ريلكي فهو يتغنى بقوله :

قل لي يا شاعر ما الذي تفعله في هذه الدنيا ؟
انني احبها !
وهذه الاشياء الكريهة الشريرة ، كيف تحتملها ، وكيف تقبلها ؟
انني احبها !
وهذه الاشياء التي لا اسم لها ، ولا معنى لها ، كيف تختار اسماءها ومدلولاتها ؟
انني احبها !
وهذه النجوم البعيدة الهائلة وهذه القوى الصامتة المخيفة في هذا الكون ، كيف تعرف طريقها اليك ؟
لانني احبها !

***

لانه يحبها .. لانه يجدد الصلة بها .. لانه يجعل الصلة تتحول الى وشائج حارة خفاقة .. لانه جعل للدنيا قلبين . يخفقان في وقت واحد .. لانهما يؤديان لحنا واحدا .. ورغم أنه متكرر .. الا أنه تكرار لا يولد الملل ..
انه كلمعان النجوم .. متكرر .. كدقات القلب ، متكررة .. ولكن عن طريق هذه الدقات المتكررة تنبع اكثر العواطف اختلاقا .. واكثر العواطف قدرة على انتاج اجمل واعمق وابقى ما صنع الانسان !
فانا احب .. وأنت تحب .. وشهريار الملك يحب اذن ، لا انا ولا انت ولا هو سنعرف الملل !

ثروت أباظة

الخميس العذب .. و شارع السردين المعلب



شتاينبك صانع الخميس والسردين

كتابات لشتاينبك

قراءات

فى هذا الشهر كتابين للكاتب الامريكى العالمى جون شتاينبك . هما كتابان لان لكل منهما اسما مستقلا بذاته ، ولكل منهما مجلد مستقل وهما بعد يصلحان لان يكونا كتابين لو تغيرت بينهما الاسماء او الاماكن ولكنهما مع ذلك كتاب واحد يقع فى جزأين لان الاشخاص فى الكتابين هم هم لم يتغيروا والاماكن هى هى لم تتغير

لقد استطاع الكاتب فى مقدرة نادرة ان ينشىء الكتابين لو قرأت كلا منهما وحده لاستقام لك ولو قرأتهما ككتاب واحد لاصبح الامر اكثر استقامة . كيف تأتى له هذا ؟

شىء مذهل

ولعلك تقول فى نفسك ما اكثر الروايات التى تضع فى جزأين او ثلاثة . ولكن ما اقل الروايات التى ينفصل فيها الجزآن هذا

الانفصـــــال ويظل الجزآن معذلك متصلين كل الاتصال

ولاشك ان شـــتاينبك يقف الان في القمة من حيث الشكل

***

اما الكتابان فهمــا : « شـــارع السردين المعلـب » ترجمة لاســم Canary Raw والكتاب الثاني هو « الخميس العـذب » ترجمــة لاسم Sweet Thursday

والجزء الاول هو « شـــارع السردين المعلب » والثـــاني هو « الخميس العذب » . وان مقدرة شتاينبك الخارقة في معالجة القصة لتبــلغ قمتهـا في هــذه الرواية أوهاتين الروايتين اذا شئت

ولاشك ان شتاينبك رائد عظيم في فن الشكل القصصي ، فهو مثــلاً في روايته « العقيم » صمم شــكلا جديدا للرواية ، وقال في المقـدمة: لقد تعمـــدت في هذه الرواية ان أجمع بين المسرحية والرواية بحيث انه اذا رفعنــا كلام الراوى وبقي الحوار اصبح هذا الحوار مسرحية متكاملة في شــــكلها الفني . وقد وفق الى هذا القصد كل التوفيق

***

نعود الان الى قصتيه هاتين والى ناحية الشكل فيهما . كاني به يريد أن يقــول انني ســــاختار اهون الموضوعات واقلها اهمية واجعل منها قصة لامثيل لها . ان كان قد قصد الى هذا فقد وفق توفيقـــا بعيدا

فاعتقادى ان الفكرة التي قامت عليها كل من الروايتين قد تصـلح لاقامة قصة قصيرة وقد لاتصلح وانما يكمن سوقها في طريق العلاج وحدها . كأنمـــا يريد ان يصرح شتاينبك ان العبرة في الشــــكل وطريقة العلاج وليكن المضمون بعد ذلك مايكون

وانك لاشـــك ســـتدهش كل الدهشة حين تعلم الموضوع الذى قامت عليه كل من الروايتين او كل من

فموضـــوع الكتاب الاول هو ان جمــاعة من الاصــدقاء ارادوا ان يكرموا صديقا لهم باقامة حفـــلة لادخال السرور على نفسه . وانتهى الموضـــوع ؟ وليس في الرواية شيء آخر . . !

واما القصة الثانية فهى ان هذه الجماعة رات ان صـــديقا في محنة واقتنعــوا ان امره لن ينصلح الا بالزواج فهم يعملون على تزويجـــه وينتهى الموضوع ايضا . . !

انما كيف رسم شـــتاينبك الشـــخصيات وكيف دار بهـــا في افلاكها فهو الاعجاز الذى لا مثيل له

لم يعد مدح شتاينبك دوك الذى يريدون ان يقيموا له الحفلة انمـــا

ترك الاصدقاء يتحدثون عنه . كيف انه يتـــولى علاج جروحهم وكيف يعطف على حيواناتهم اذا اصـــابها المرض وكيف انه استطاع فى هدوء وطمأنينة ان يجعل شارع السردين المعلب يجمع على حبه .. فى احداث صغيرة هينة

وحـــين يختـــــار شتاينبك الشـــخصيات التى تريد ان تقيم الحفلة وجدناها من الشباب الذى لا يعمل ومن النســـاء اللاتى يعملن فى التجارة القديمة ومن طباخ ومن تاجر بخيـــل « كز » ومن رجـــل ناقص العقل . ولكل منهم طريقته فى حبه « دوك » وفى مديحه . بل انك لتجد احدهم يقول : هذا اللعين «دوك» . ولا يقصد بها غير المديح المفرط

وفى براعة فائقة يدور شتاينبك بهذه الشخصيات فيبين لنا كيف يعربون عن حبهم لـ « دوك » بل إنه فى الجـزء الثـانى « الخميس الحـــلو » يبين لك كيف تندمج مصالحهم الشـــخصية بفكرة تكريم دوك فهم يقيمون له حفلة يقصدون منها الى شيئين :

اولا : ان يهدوا الى دوك مجهرا ليستعين به على عمله الذى يقوم به

وثانيا : ان يزوجـــوا دوك من الفتاة التى يرون انهـــا تصلح له

ويكمن وراء هذا الكريم حيلة بارعة تلجأ اليها جماعة الصعاليك هـــذه المحافظة على البيت الذى تقيم فيه

ويبين لك الـــكاتب الكبير كيف ينتفض الخـــول عمـــلاقا وكيف يصبح الســـاذج ذا فائدة كبـــرى . والنفوس الرخيصة وهى تتســـامى فهى فى أوج العظمة الانســـانية . فتذكر تلك الفتاة التى تبيع نفسها . كيف تصبح فتاة اخرى تعيش على الكفاف فى داخل خزان قديم من الصلب ولا تبيع الا القهوة والمثلجات فى محل لتكسب قوت يومها . ولم يكن ذلك كله الا لانها وجدت نفسها جديرة بالاحترام ، وتقتنع انه مادام غيرها قد احترمها فهى اولى باحترام نفســـها . . .

ولغة الحوار عند شتاينبك رائعة . وهى تقول لفتى ساذج :

ــ عندما كنت ولدا صنعت لاهلى منفضة سجاير

ويسألها الفتى الســـاذج :

ــ هل فرحوا بك

فتقول :

ــ ابدا لانهم لم يكونوا يدخنون . . !

وفى هذا الحوار يحـــاول الفتى الساذج ان يصـــلح ما بينها وبين «دوك» بعد حادثة ادت الى الخلاف

بينهما ولكنها تخبره انها لن تذهب الى « دوك » الا اذا كان مريضا . وتلح هذه الكلمة على الفتى الساذج ولا يجد مفرا من نفسه آخر الامر فهو يمسك بعصا غليظة وينتهز فرصة نوم « دوك » ويهوى على ذراعه ويهرب ، ويصبح « دوك » كسير الذراع وتذهب اليه الفتاة وتلاحقها الجماعة بالتعبير حتى يتم زواج « دوك » ممن اختاروها له

***

وهكذا نرى ان شتاينبك من الذين يحافظون على المضمون ولكنه يملك من البراعة ما يجعله ينشيء من المضمون البسيط الهين موضوعا ضخما باذخا

وهناك ملاحظة اخرى هي المام شتاينبك العجيب بدنيا الاسماك والحيوانات المائية والبرية حتى لتعد هاتان القصتان مرجعا لمن يريد ان يعرف شيئا عن حياة هذه الحيوانات . وارى ان هذا الالمام بغير فن القصة امر اصبح يجرى على سنته اغلب كتاب القصص من الغربيين ولا شك ان سهولة حصولهم على هذه المعلومات تهيء لهم من الفرص بالا يتهيأ لغيرهم . ولكننا لا نملك مع ذلك الا ان نكبر مقدرتهم البارعة فى تقديم هذه المعلومات فى اطار فى غاية من الروعة حتى لا نذكر الا اننا امام عمل قصصى .. وننسى تماما هذه المعلومات التى تتسرب بين اطوائه

تزكية

تلقى المخرج فى مسرح اللامعقول زيارة من ممثل متعطل قال له :

ــ اعلم انك اعلنت ان مسرحيتك الجديدة لن تستخدم فيها اى ممثل محترف .. ولكنى ارجوك ان تعتبرنى فى حكم غير المحترف ، لان الجميع يشهدون لى بان تمثيلى ردىء للغاية !

كارثة !

كتبت احدى الصحف اليابانية المحافظة تقول :

ــ ان روح اليابان الجيدة مهددة بالانحلال ، فقد ارتفعت نسبة الزواج المبنى على الحب بعد الحرب الى ٤٠ ٪ بعد ان كانت ٣ ٪ فقط قبل الحرب . وبعد سنوات ستصبح مثل امريكا واوربا اذا لم تصنع شيئا لمقاومة هذه الموجة من الجنون العاطفى !



* في كتاب الخفافيش للدكتورين **حسين زين الدين وحسن حافظ** : ان الناس في العصور القديمة كانوا يتخذون من الخفاش علاجا فضلا من تعويذة لجذب الازواج والاحباء . اعتمد المؤلفان على احدى اوراق البردى التى يرجع تاريخها الى مصر القديمة

* يقول **توفيق الحكيم** : ان الانسان لا يفكر في الطبيعى والضرورى ، ولكنه يفكر دائما في مقاومة ما يقف في طريقه ، فهو قوة مقاومة مستمرة سواء أكانت هذه المقاومة معقولة او غير معقولة

* كتب **عبد الفتاح البارودى** في « الرسالة » : اننا لا نستطيع اطلاق كلمة دراما على التشكيلات التعبيرية او الفنية او حتى التمثيلية على المسرح الفرعونى أو اليابانى القديم او الصينى القديم ، لانها تفتقر الى التفكير الدرامى القائم اساسا على « الصراع » بالمعنى الذى ادركه الاغريق

* تقول **الدكتورة نبيلة سالم** في « الثقافة » : ان الاسطورة محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة ، أو هى تفسير له ، برغم انها نتاج وليد الخيال الا انها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة اولية تطور منها العلم والفلسفة الحديثة فيما بعد

* علقت مجلة « **العلوم** » على اهتمام كتاب الشرق العربى كل الاهتمام بالادب الغربى ، فقالت : انهم أحد رجلين ، اما متشائم مدع ولهذا يتلمس كل شيء في انتاج اوربا وامريكا ، واما ربيب ثقافة غربية . وهناك أيضا المغرضون الذين همهم أن يوهموا العرب انهم ما زالوا امة قاصرة وان عليها ان تتابع الغرب

* تساءل **عبد الله ابو العنين** في « قافلة الزيت » : هل نحن عاطفيون اكثر مما يجب ؟ ثم قال : اننا اذا أحببنا شخصا أرهقناه بثقتنا فيه ، واذا كرهناه ارحناه من هذه الثقة ، واذا أحرجنا بسببه الحقنا به من الصفات ما يخفف عنا اللوم

* كتب **اسامه عانوتى** في « قافلة الزيت » : ان قراقوش مظلوم ، وان سمعته هذه مصدرها اسعد بن مماتى الذى انكر ان يتولى قراقوش ، وقد بلغ من الكبر عتيا ، الوصاية في حكم ابن صلاح الدين ، فاعلن انه عاجز من التمرس بالحكم وألف في مثالبه الكتاب المعروف « الفاشوش في اخبار قراقوش »

* علق **عباس خضر** في « الرسالة » على برنامج « نجمك المفضل » بالتليفزيون العربى فقال : لماذا لا يبث خلال الفكاهة والمرح ما يقنع بأن الضيف الكبير ليس مجرد وسيلة للتسلية وانما هو أديب او فنان أو عالم ، أى هناك شيء هو مفضل من اجله

* يقول **سمير نعنا** في « الرسالة » : انه وان كان أحمد حسن الزيات ينتمى الى طائفة الرومانتيكيين العرب الا انه اكثر اتزانا من غيره ، كما علق على مناهل الفكر الغربى دون ما اسراف أو تبذل

* علق **انيس منصور** في « الاخبار » على ترشيح بعض الهيئات لافراد لنيل جائزة نوبل فقال : انه لا يجوز ترشيح

الفنان لهذه الجائزة بواسطة لجنة او هيئة او مجلس ، وانما يجب أن يأتى ترشيحه من طريق الفراد

● طالبت امينة شفيق فى « الاهرام » بانشاء فرقة موسيقية من الالات الشعبية فى الجمهورية العربية المتحدة ، مثل الارغول ، والمزمار ، والسمسمية ، مثل الحال فى رومانيا وبلغاريا . وقالت ان فرقنا الشعبية تعتمد على موسيقى اوركسترا لا تضم هذه الالات

● يقول الدكتور مصطفى حسنين فى « الثقافة » : ان العصبية القبلية رابطة معنوية تصدر من وشيجة الدم ، كما ان لعنصر المكان والسكنى اثرا فى توكيدها وهذه الرابطة لا تتجلى الا اذا تعرض المجموع لخطر حال او محتمل الحلول

● كتب دكتور لطفى فام فى « الثقافة » : ان فولتير كان يشبه الناقد بالبيطرى الذى يقوم بفرز الماشية قبل ارسالها الى السوق بحثا من العيوب والامراض ، بينما وصف ليوفيل جوليه النقاد بأنهم جماعة من « الخصيان » العاجزين من الانجاب او الانتاج

● فى حديث لمجلة « حوار » مع الكاتب الامريكى جيمس بولدوين ، قال : أن المثل الاعلى للجمال فى مصر القديمة هو ان المرأة يجب ان تكون ممشوقة القوام ، فارعة الطول ، صدرها عال ، ووجهها متطاول ، وعنقها رفيع مرتفع . اما الصفات المعنوية فمرأسها الحديث الحلو

● وصف احسان عبد القدوس فى « روز اليوسف » مسرحية الزلزال لمصطفى محمود . قال : انها شىء جديد يحدث على المسرح العربى ، فهى عمل فنى متكامل ان المسرحية قطعة حية من الحياة ، وهذا يرجع الى دقة مخرجها جلال الشرقاوى بالتفاصيل مما ادى الى توضيح فلسفة المؤلف فى الحياة والموت !

● كتب احمد عبد المعطى حجازى يقول : ان صدور مجلة « الشعر » فى القاهرة حدث يجب ان ينهض الكل للاحتفال به ورعايته . ان صدورها معناه حماية الشعر من ظروف النشر فى الصحف والمجلات العادية .. التى تضطرها الظروف الى وضع المادة التى تعالج الاهتمامات اليومية فوق الادب والشعر ..!

● يقول احمد شفيق ابو عوف بمناسبة تقديم الموسيقى رفعت جرانه سيمفونيته العربية على مسرح دار الاوبرا : ان هذه التجربة يجب ان تجد ماتستحقه من اهتمام فنى بالتقييم والتحليل ، فان تجارب الموسيقيين العرب التى بدأت تظهر ، تؤكد أن الفن الموسيقى العربى بدأ يتحرك بعد رقدة طويلة ..!

● رد الشيخ محمد فرج السنهورى عضو هيئة كبار العلماء الازهريين على الدكتور طه حسين الذى هاجم الازهر ووصف الدراسة فيه بانها سطحية وغير عميقة بقوله : ان الدكتور يلقى الاحكام بدون أسانيد .. انها مجرد اتهامات يلقى بها الجيل القديم ليقلل من شأن الجيل الجديد ودراساته واهتماماته ..!

● علق احمد بهاء الدين على حرب السجائر بعد ان ثبتت خطورتها ، قال : انه لايمكن صدور قرار مطلق بمنع تعاطيها فالسجائر اصبحت فوق وجودها القوى العميق كحقيقة نفسية وعصبية فى العالم حقيقة صناعية واقتصادية كبرى كذلك . ان معنى هذا القرار أن يتحول الدخان الى جيش آخر تدور حوله حرب رهيبة اوسع نطاقا من حرب المخدرات ..!

● وصف الدكتور احمد كمال زكى فى « الرسالة » قصة « الجنة العذراء » لمحمد عبد الحليم عبد الله بقوله : انها ذات مضمون ، ولكن المضمون كان قائما ، وافتقر دائما الى الحس التراجيدى من ناحية ، والى الحركة الذكية من ناحية اخرى ..!

● عرف محمود تيمور القصة فى مجلة «القصة» التى يرأس تحريرها ، قال : انها فن ، مادته الحياة والاحياء . فهو يصور كيف يمارس الانسان عيشه على ظهر الارض ، وماذا يجرى فى وليجة نفسه من نوازع ، وعلى أى النواحى يستجيب للاحوال والملابسات من حوله ..!

● علق على الحسينى فى « فكرة » على حديث الدكتور طه حسين الذى أجراه فى التليفزيون العربى ، قال : ان طه حسين استرد شبابه ، واستطاع فى ساعة واحدة أن يهز أبراج الادب ، وقلاع الجامعات ، وقصور الفن . ولكن نقده كان أشبه بالامواج التى تطرد الاعشاب والزجاجات

العاصفة على الشاطىء .. ولكنها لا تؤثر على اتجاه البواخر

● في رأي أنيس منصور : أن التجديد في الفن ليس معناه الالغاء ، ولكن معناه أن يضيف الفنان شيئا جديدا دون أن يلغي قيمة قديمة ، فنحن الآن نتحرك بسرعة فائقة ، ولكننا مع ذلك نحمل أمتعتنا القديمة معنا ..!

● كتب طه سليمان في مجلة الصياد اللبنانية يقول : ان الحياة لا تكون أبدا بلا قواعد تنظمها .. ولكن هذه القواعد ليست ابدية خالدة . انها رفيقة طريق الحياة ونتيجة احتكاكها المستمر بالزمن .. مع كل مرحلة تتبدل لتتلاءم مع المرحلة الجديدة ..!

● وصف وديع فلسطين في مجلة العلوم كتاب «التيارات المعاصرة في النقد الادبي» للدكتور بدوي طبانة بأنه : غربال كبير نخل فيه المؤلف حصيلة كبيرة من نتاج المطابع في باب النقد ، فانفرط الرديء اكواما تحت الغربال .. ولكن تحصل شيء كثير في رقعة هذا الغربال الامين ..!

● طالب عباس العقاد في حديث له بالتليفزيون العربي بعودة المرأة الى البيت قال : ان هذا هو الوضع الصحيح للمرأة ويجب عليها ان تقبله بلا مناقشة ..!

● كتب كامل الشناوي في أخبار اليوم القاهرية يقول : ان نهضتنا الثقافية قد مارست كل وسائل النجاح ، ووجدت المعالم التي تكفل لها كل وسائل الانتاج . ولكن ينقصنا دائرة معارف عربية ، كما ينقصنا قاموس حديث يستطيع ان يجد فيه القارىء العربي ... المعاني الجديدة في حياتنا .. مثل الاشتراكية ، والسد العالي ، والوحدة .. الخ

● رأي نجيب محفوظ : ان الالتزام ينقذ الفن من الانتحار في القوالب الشكلية ، ومع انه من الصعب جدا تصور وجود كاتب غير ملتزم ، أو حتى وجود مواطن غير ملتزم . الا ان الالتزام بمعناه الاصطلاحي هو التزام بموقف تقدمي من الحياة ..

...وأخبارهم

● غربت أم كلثوم الرقم القياسي في الوقوف على المسرح في الحفلة التي غنت فيها « انت عمري » اذ ظلت اربع ساعات كاملة منها ساعتان وعشر دقائق للأغنية الجديدة وحدها

● «ملامح من فلسفة العرب الاجتماعية» عنوان كتاب جديد للدكتور كمال اليازجي

● في كتاب محمد سيد كيلاني « طه حسين الشاعر الكاتب » أوضح فيه نواحي مجهولة من أدب طه حسين ونشر مقطوعات شعرية نظمها في مستهل حياته حين كان يعالج الشعر ثم انصرف عنه بعد ذلك الى النثر .

● نشرت جميع المؤلفات الادبية والنثرية لاديب فلسطين المرحوم خليل السكاكيني في مجلد من جزاين ، أشرفت على الكتاب لجنة من الادباء والمتخصصين

● ظهرت الترجمة العربية لكتاب «تاريخ الادب الجغرافي العربي» الذي الفه المستشرق الروسي كراتشكوفسكي

● يقوم اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي باعداد سلسلة من سبعة مجلدات عن قادة الفتوح العربية . صدر المجلد الاول بعنوان « قادة فتح العراق والجزيرة » . سيبحث المجلد السابع عن الفتح الاسلامي

● اقيم فى بغداد اسبوع للفيلم العربى ، عرض خلاله ٧ افلام طويلة ، ٧ افلام قصيرة من انتاج الجمهورية العربية المتحدة

● تقدم فرقة المسرح العالمى – احدى فرق التليفزيون العربى – هذا الموسم مسرحيات « النورس » لتشيكوف ، و « القرد الكثيف الشعر » لاونيل ، و « الاخوة كارامازوف » لدوستويفسكى ، و « بيجماليون » لبرنارد شو (لجليرت)

● طلبت جامعة سيدنى (استراليا) من جامعة القاهرة كتبا ومطبوعات عن نشاطها .. افتتحت جامعة سيدنى فى هذا العام قسما للدراسات العربية .

● اخترع مصمم الطائرات السوفييتى اندرى توبولوف مركبة جليد سرعتها ٨٠ ميلا فى الساعة فوق الثلج ، ٢٧٠ ميلا فوق سطح الماء

● تقوم الادارة العامة للفنون الجميلة بالقاهرة باجراء الاستعدادات لعرض جماعى يشترك فيه جميع الفنانين التشكيليين

● تصدر هذا الشهر مسرحية «الزفاف الدامى» للشاعر الاسبانى لوركا . قام بالترجمة الدكتور حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الاسلامية فى اسبانيا

● فى حديقة الحيوان بالقاهرة ٧٦٠ حيوانا من ١٢١ نوعا ، ٢٨٦٥ طائرا من ١٧٤ نوعا ، ٣٢٥ من الزواحف من ٢٢ نوعا .. كانت هذه نتيجة الجرد لعام ١٩٦٤

● سيترجم الى اللغة الصينية كتاب « الايام » لطه حسين ، «قنديل أم هاشم» ليحيى حقى ، و « خان الخليلى » لنجيب محفوظ

● يقوم المجمع اللغوى بتعريب الكلمات التى يستعملها الحدادون والبراؤن والنجارون . تتولى هذا العمل لجنة الحضارة بالمجمع ، وعين المهندس حسن فهمى خبيرا باللجنة التى ستترجم كلمات المهن الثلاث

● قامت فيوليت مقار مغنية الاوبرا المصرية بتمثيل الاميرة امنيريس فى الرواية المشهورة عايدة وذلك فى دار اوبرا بلغراد .. ستشترك فيوليت فى موسم الاوبرا الايطالية الفنى سيقام على مسرح دار الاوبرا بالقاهرة

● طلب مدير متحف العادات والتقاليد فى فيينا ان توافيه الجمهورية العربية المتحدة بعشرين تمثالا مصريا تمثل عادات البلاد وتقاليدها الاجتماعية . معظم مايحتوى عليه المتحف تماثيل ولوحات مأخوذة من دول افريقية وامريكا اللاتينية

● أول أزهرى يدخل كونسرفاتوار القاهرة هو الشيخ **عبد المجيد سليم** (٢٠ سنة) . سيطير الى موسكو ليدرس التأليف الموسيقى مدة سنتين . الشيخ سليم عضو فى كورال اوبرا القاهرة

● فى ٢٣ ابريل القادم ذكرى مرور ٤٠٠ سنة على ميلاد **شيكسبير**

● ديوان « قال الماء » للشاعرة **ملك عبد العزيز** يصدر هذا الشهر

● الرائد المهندس **عبد الحميد الجندى** البطل العربى العالمى فى كمال الاجسام سيمثل فى السينما

● اقترحت لجنة النشر بمجلس الفنون والاداب اقامة اسبوع اللغة العربية فى الجزائر

● اعتمدت جامعة عين شمس مبلغ ٢٠ الف جنيه مصرى هذا العام لتدعيم البحوث العلمية

● صدرت **لادوارد امين البستانى** مجموعة قصصية بعنوان « كهوف ولتية »

● الدكتور **حسين فوزى** هو المرشح لعمادة الكونسرفاتوار خلفا لعميده الراحل أبو بكر خيرت

● الروائية البوليسية الانجليزية **اجاثا كريستى** زارت القاهرة فى الشهر الماضى ..

● مهرجان القصة سيقام فى شهر يوليو بالقاهرة بمناسبة مرور خمسين عاما على صدور أول رواية مصرية ، وهى « زينب » للمرحوم محمد حسين هيكل . تكونت لجنة للمهرجان من محمود تيمور ، ومحمود البدوى ، وعلى أحمد باكثير

● **ليلى بعلبكى** الاديبة اللبنانية ستسافر الى اوروبا فى جولة .. تكتب بعدها قصة !

● احدث كتاب صدر بقلم فيلسوف القومية العربية **ابو خلدون ساطع الحصرى** بعنوان : « الاقلية .. بلورها وجلورها »

..واخبار من ٧٠ سنه

* كتبت « الهلال » أن عصر العباسيين هو الذى امتاز بالنهضة العربية العلمية لأن العرب الى أواخر أيام الدولة الاموية لم يلتفتوا الى علوم الاجانب وانما كانوا مقتصرين على العلوم الشرعية واللغوية

* انتقد محيي الدين طرابلس فى كلمة بالهلال ان الصحف العربية التى تصدر فى مصر أو سوريا تكاد جميعا انتكتب عنوانها بلغة افرنجية مع انه ليس فيها سطر واحد باللغة الافرنجية

* بلغ عدد سكان العالم ١٣٧٥ مليون نسمة وفقا لتعداد عام ١٨٦٩ ، ومن ذلك العدد ١٦٥ مليونا من المسلمين منهم حوالى ٥٧ مليونا فى الهند . وارتفع عدد سكان العالم الى ١٤٧٩ مليون نسمة فى عام ١٨٩١

* قالت « الهلال » ان الملوك الفراعنة كانوا يؤرخون من حوادث تاريخية مهمة ، لم جعل استخدام التاريخ فيها يتنوع تبعا للقوة المتسلطة ، فلما جاء المسلمون اتبعت البلاد التقويم الهجرى ، وبسبب ازدياد علاقة الحكومة بالاجانب على اثر افتتاح قناة السويس والقروض وغير ذلك كتأسيس المحاكم المختلطة بدأ استخدام التاريخ الافرنجي

* قررت الحكومة المصرية انشاء معرض فى الاسكندرية تعرض فيه مصنوعات البلاد وبضائعها وكل ماهو خاص بها . وسوف تنقل البضائع مجانا اذا وافقت مصلحة السكة الحديد . يفتتح المعرض فى ١٩ ابريل عام ١٨٩٤

* جربت حكومة الاستانة زراعة القطن الامريكانى فى بعض ولاياتها فظهر لها أن زرعه يبشر بالنجاح وستجرى تجارب أخرى قبل أن يستقر رأيها على تعميم زراعته

* صدرت بالاستانة مجلة جديدة باسم « مكتب » تبحث من آداب الشرقيين وخدماتهم للعلوم والفنون ، وهى منقسمة الى قسمين ، الاداب الشرقيــــة ، والاداب الغربية

* أصدر جورجي زيدان كتاب « تاريخ الماسونية العام » فى ٣٧٠ صفحة ، يبحث فيه منشأها ثم تاريخ انتشارها فى أوربا وامريكا ومجيئها الى المشرق وكيف جاءت الى مصر على يد نابليون

* انفرجت الازمة الناشئة بين أسبانيا ومراكش بسبب حادث حصن مليلا ، فأرسلت أسبانيا مندوبا بمطالب اقترحتها على سلطان مراكش الذى قبلها

* صدرت فى القاهرة مجلة باسم « ممفيس » باللغة الفرنسية لصاحبها محمد مسعود محرر جريدة الاداب ، والغرض منها بث آراء الوطنيين باللغة الفرنسية حتى يطلع عليها الاجانب كما هى تماما

* اكتشف فى قبر من قبور هرم دهشور كنز من الذهب المرصع والحجارة الكريمة وعليه أسماء سنوسرت الثانى والثالث من الاسرة الثانية عشرة . ويحتوى الكنز على صدرية من الذهب المرصع بالزبرجد واللازورد والفيروز وزنتها ٣٧٫٥ جرام

* تقرر أن يبدأ فى أواسط مارس ١٨٩٤ تسيير الخط الحديدى بين دمشق وحوران

* نقلت المقتطف من مجلة فورم أن فى البلاد الانجليزية ثلاثة من كتاب الروايات يكسب الواحد منهم ٣٠٠٠ جنيه فى السنة ؛ ١٢٠ كاتبا يربح الواحد منهم أكثر من ١٠٠٠ جنيه . أما محررو الجرائد فقل من يربح منهم ٢٠٠٠ جنيه فأكثر فى السنة . وراتب المحامي العمومى ١٢٠٠٠ جنيه ودخل الطبيب الممتاز من الدرجة الأولى نحو عشرين ألف جنيه

إستراحة ٥ دقائق

حتى المجانين !

راحت فتاة الكومبارس تروى لزميلاتها وهى ترقص من الفرح أن ابن مليونير امريكى عرض عليها الزواج وانها ستتزوجه قريبا ، فقالت لها احداهن :

- تريثى . ولاتجازفى بعملك بهذه السهولة
- لماذا ؟ انى واثقة منه جداً
- وكيف يمكن ان تثق امرأة بعواطف اى رجل ؟
- ولكنه مجنون بى ياعزيزتى !
- ولو ! فحتى المجانين تمر بهم لحظات يثوبون فيها الى رشدهم !

« من المستحسن طبعا ان يحب الانسان فى تعقل واتزان . ولكن من الافضل ان يحب الانسان ببلاهة وجنون ، من الا يحب على الاطلاق ! »

تاكرى

وهو كذلك !

قال النزيل لخادمة الفندق الفرنسية قبل ان ينام :

- اريد ان اصحو فى الثامنة صباحا
- اتريد القهوة فى الفراش ياسيدى ؟
- نعم ومعها قبلة دافئة !
- وهو كذلك ! سانبه بذلك على البواب الذى يتولى ايقاظ الزبائن !

معذورة

قالت السيدة لخادمتها :

- انا لست من انصار التشـــدد فى معاملة الخدم ، ولكنك بالامس استقبلت فى المطبخ صديقة لك ، وكانت تضحك بصوت رنان سمعه كل من فى البيت
- اسفة جدا ياسيدتى ، ولكن الفلطة غلطتى ، لانى حكيت لها كيف حاولت سيدتى بالامس أن تصنع التورتة !

خسارة

اثناء زيارة موريس شـــيفالييه للندن ، زار السير الكسندر كوردا المخرج الشهور ، ورأى سكرتيرة المخرج الانجليزى الحسناء فصاح بعد خروجها :

- خسارة ! ما اسوا حظ هذه الفتاة !
- لماذا ؟
- لانها بكل هذا الجمال ، والشباب ، وليست سكرتيرتى انا !

صالح جودت:



وجد متعته في عذاب الآخرين..!

ماذا يضر ؟ ماذا يصيب الدنيا اذا وقع حادث قتل ؟ أن القتيل لن يموت .. انه سيتحول الى عدة صور حية .. ان عملية قتل انسان ، لا تعدو ان تكون مجرد تحويل مخلوق حي يمشي على قدمين ، الى الف مخلوق يزحف على الارض ... دود !

هذه هي فلسفة الكاتب الذي احدثكم عنه اليوم ، كما يرويها على لسان بطل قصته الاثيرة « جوستين »

هذا الكاتب ، ظل في نظر العالم مجرد فاسق عابث منحرف شرير ، وظلت كتبه محظورة على الناس حتى في باريس نفسها ، أم الانحرافات ، الى ان انبعثت مدرسة فرويد ، لتطرح على بساط البحث العلمي قضية الجنس كعامل جذري في كل تصرف بشري

وهنا ... بدأ علماء النفس يتلفتون الى الفاسق العابث المنحرف الشرير ، ويرجعون الى مؤلفاته ، ويعترفون بأنه فيلسوف ، مهما أوغل في سوء الظن بالنفس البشرية

* * *

الرجل الذي احدثكم عنه هو « المركيز دي ساد » ... الذي اتخذت نظرياته في القسوة الجنسية

صورة مذهبية بعد موته ، هى السادية ، او « الساديزم »

ومن العجيب ان المركيز دى ساد ظهر فى ذروة عهد التنوير الفكرى فى فرنسا ، والفلاسفة يومئذ يبشرون بان الانسان مخلوق عقلى ، تنبت جذور غرائزه الطبيعية من طينة الطيبة والخير ، ولا ينقصه الا ان تتاح له فرصة التعبير الحر لتحقيق حلم العصر الالفى السعيد

فى ذروة سيادة هذه الفكرة على فلسفة ذلك العهد ، قام المركيز دى ساد لينادى بعكسها ، وليؤكد ان غرائز المرء الحقيقية نزاعة الى الشر والقسوة ، داعية الى السرقة والسطو والاغتصاب والفجور والقتل ، وانه ليس الا جزءا من الطبيعة ، ولما كانت الطبيعة مدمرة ــ بدليل العواصف والاعاصير والزلازل والبراكين والفيضانات والاوبئة والسيول ــ فان ذلك الجزء منها ، المسمى بالانسان ، لا بد ان يكون مدمرا مثلها

ثم يهون من شان هذا الشر المتاصل فى اعماق الغرائز البشرية بمثل هذه العبارة التى ساقها على لسان البطل فى احدى قصصه ، التى اوردناها فى اول هذا المقال ، والتى تقول بان عملية قتل انسان لا تسىء الى الحياة ، فهى ليست الا عملية تحويل كائن حى يمشى على قدمين ، الى الف من الكائنات الحية التى تزحف على الارض !

* * *

واذا كانت هذه هى لغة البطل فى قصة « جوستين » .. فان لغة البطلة فى قصة اخرى للمركيز دى ساد لا تقل ترديا فى هاوية الانحراف الجنسى عن لغة ذلك البطل

ان البطلة هنا تقول مزهوة فى ذروة اليوم الذى فقدت فيه عذريتها فى ليلة صارخة : « هأنذى فى ضربة واحدة ، قد اصبحت امراة ، وزانية ، ومومسا اباشر الجنس مع اكثر من رجل ، وباكثر من طريقة غير طبيعية » !

على ان المركيز دى ساد نفسه لا ينكر الحضيض الذى تهاوت اليه قصصه ، فهو يصف احداها ، وهى قصة **« ايام سدوم المائة والعشرون »** بقوله : **« انها اقذر قصة كتبت منذ بدء الخليقة »** !.

* * *

ولو لم يكن فى جذور مؤلفات دى ساد جزء من الفلسفة ، ونذفة من الواقعية ، لاسدل الزمان عليها ستارة النسيان ، ولا سيما انها محظورة على الناس

ولكنها لم تزل تظفر باهتمامات النقاد والفلاسفة جيلا بعد جيل ، ومن العجيب ان اكثر من تناولها منهم ، كانوا من غير المؤمنين بالسادية من الكتاب المحدثين ، ومنهم البير كامى ، وادموند ويلسون ، وسيمون دى بوفوار ، والمؤرخ الكاثوليكى كريستوفر داوسون

وقد ظهر اخيرا كتاب جديد للعلامة البريطانى جيو فرى جورر ، عنوانه « حياة المركيز دى ساد وافكاره » The Life and Ideas of

وقد تناول المؤلف حياة الرجل وافكاره بكثير من الرفق ، ولكنه لم يستطع ان يصفه باقل من انه انقلابى ساخط على الانسانية كافر بها على صورة لا مثيل لها فى التاريخ البشرى !

* * *

والواقع ان جميع اعمال المركيز دى ساد قد استهدفت مقارعة الفلسفات فى سبيل الوصول الى حجج تبرر نزوعه الشخصى الى الفجور واسهامه فى العربدات الصاخبة الدامية التى اقترنت بحياته منذ فجر صباه

فقد انخرط دى ساد فى سلك الجيش وعمره ١٤ سنة ، وكانت حياته العسكرية سلسلة من العربدة متصلة الحلقات

وحين انجز الخدمة العسكرية ، اشفق عليه ابوه من هذا التيار الذى انجرف فيه ، فأرغمه على الاقتران بزوجة موسرة موقرة ، وصفها دى ساد فيما بعد بقوله انها « طاهرة اكثر من اللازم ... باردة اكثر من اللازم »

وما لبث دى ساد ان عاد الى فجوره قبل ان ينتهى شهر العسل ، ولم تجد زوجته الامينة المسكينة بدا من ان تهيىء له الاجواء التى يحبها ، بعد ان يئست من صده عنها

وكان العصر عصر تهاون فى القيم الخلقية والقضايا الجنسية ، ورغم هذا ، فقد كانت جرائم دى ساد الجنسية اقوى مما يتراخى امامه القانون فى شأن الجنس

وهكذا زج به فى السجن اكثر من مرة

فى مرة منها ... جمع اربعا من المومسات ، واراد ان يجتمع بهن معا ... ولكنه اراد قبل هذا

نابليون .. وجوزفين .. كان المقال الذى كتبه عنهما دى ساد سببا فى دخوله مستشفى المجانين.!





روبسبير .. كان على وشك اعدام الماركيز دي ساد

أن يضربهن بسوطه المفضل ، وهو مصنوع من الجلد ، وينتهى بعدة ألسنة ، فى كل لسان منها بعض المسامير الحديدية !

ولكن النسوة رفضن السوط ، واجتمعن عليه بأيدى المقشات فضربنه ضربا موجعا ، واسلمنه الى الشرطة !

وفى مرة اخرى ... اغوى شقيقة زوجته ، وهى عذراء ، وهرب بها ، وهتك حجابها ...

وفى هذه المرة ، ضاقت به حماته ذرعا ، فأعدت له كمينا ، وابلغت الشرطة التى القت القبض عليه وعاد الى السجن ...

ومن السجن ، كتب الى زوجته يستغفرها ، ولكنه لايعدها بالتوبة! كتب لها يقول : « اننى كما تريننى ، عات جبار ، سريع الغضب ، مفلوت الزمام ، متطرف فى كل شىء ، ذو خيال جنسى جامح بغير نظير . فاما ان تقتلينى أو تأخذينى كما أنا ... فاننى لن اتغير ! »

وفى السجن ، لم يجد دى ساد جوا مهيأ لفجوره ، فتنفس عن نزعاته بالقلم ، وكتب كثيرا ... كتب قصته « الين وفالكور » . وكانت أقل حدة من سابقاتها ، اذ لم تحو اكثر من حادث سم واحد ، مع بضع عربدات ...

كان سخط دى ساد على الحياة بغير ضريب . وقد صور فى قصتيه « جوستين » و « جوليت » ما سماه بالارستقراطية الجنسية التى لا تعيش الا فى القصور ، وعدد الوانا من الشذوذ الذى تتميز به هذه الارستقراطية الجنسية ، والذى ينطلق الى آفاق واسعة بغير حدود ؟ واجاز للارستقراطية الجنسية ان ترتكب جرائم الجنس وحماقاته بحيث تكون افضل البطلات فى هذا المجال هى اكثرهن ترديا وانحرافا وهبوطا الى الحضيض لان البطلة الحقيقية ، التى تستحق لقب البطولة ، هى التى تفقد

الفضيلة باسرع ما يمكن ، لا التى تحتفظ بها !

وكان دى ساد يعجز فى بعض الاحيان عن ان يجد مزيدا من الجرائم ليضمنها قصصه ارضاء لنزعته ، فلا يجد العزاء الا فى ابتكار الجرائم الخيالية ، كمهاجمة الشعب لاطفاء نارها ، او لتسليط نارها على الارض حتى تشتعل هى الاخرى وتندلع منها الالسنة فتحرق كل شىء !

* * *

وعندما شبت الثورة الفرنسية ، تفتحت ابواب السجون على كل مصاريعها .. وهكذا خرج دى ساد من السجن ، ليجد نفسه بطلا من أبطال الثورة ، اذ هو بطبيعته فوضوى يعشق الفوضى ويدعو الى تقويض النظم المستقرة

وهكذا خرج المذنب العائد من السجن ، ليصبح بطلا .. وليصبح قاضيا من قضاة محاكم الثورة !

ولكنه لم يحسن موالاة الثورة التى وضعته على منصة القضاء . فقد قضى ببراءة كثير من الارستقراطيين المقدمين للمحاكمة

وحتى حماته التى عاش يكرهها وعاشت تكرهه ، برأ ساحتها حينما قدمت الى المحاكمة !

وهكذا سخط عليه رجال الثورة ، وانزلوه عن منصة القضاء ، وزجوا به فى السجن مرة اخرى ، وامروا بقطع رأسه على الجيلوتين !

ومرة أخرى نجا من الاعدام .. حين سقط السفاح روبسبيير فى نفس اليوم المحدد لاعدام دى ساد ، وانتهى عهد الارهاب بسقوط روبسبيير ، وخرج دى ساد مرة اخرى طليق السراح

وانسحب من الحياة العامة ، وعاد الى حياته الخاصة .. حياة الفجور والعربدة والحماقات

وكتب عندئذ مقالا فاحشا عن نابليون وجوزفين ، فالقى القبض عليه .. ولم يذهب هذه المرة الى السجن .. بل الى مستشفى المجاذيب !

وفى مستشفى المجاذيب ، جعل يمهد أسباب الترفيه عن زملائه بتأليف فرقة مسرحية منهم لتمثيل رواياته التى اصابت قسطا وافرا من النجاح .. ومرت الى الخارج .. ولكنها لم تصادف من النجاح مثل ما وجدته فى مستشفى المجاذيب

وكان آخر تقرير طبى عنه اذ هو هناك .. « ان هذا الرجل ليس مخبولا .. كل ما به انه مجنون بالرذيلة »

* * *

خلاصة فلسفة دى ساد ، أن القسوة جزء من الجنس ، وان الانسان كثيرا ما يجد لذته فى عذاب الآخرين ، وان طبيعة المرء العدوانية لابد أن تجد مخرجا من الكبت ، بصورة او باخرى ، وانه من الخير للمرء ان يجد هذا المخرج عن طريق جلد شريكه الجنسى بالسوط ، تنفسا عن طبيعته العدوانية ، بدلا من ان ينفجر هذا الكبت ، بلا وعى ، على صورة ابشع من التعذيب أو القتل أو اعلان الحرب !


مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
تقدم لهذه المجموعة القيمة من الكتب
المفيدة للقراء العرب ...
الكتاب رقم (١٩) من مجموعة الكتب العلمية المبسطة
العلماء وأدواتهم
تأليف : برتا موريس باركر
الناشر : دار المعارف
الثمن ١٥ قرشا
أسس التربية البدنية
تأليف : تشارلز ا . بوكر
ترجمة : الدكتور حسن معوض
والدكتور كمال صالح عبده
مراجعة : فرحات مرزوق
تقديم : محمد على حافظ
الناشر : مكتبة الأنجلو
الثمن ١٦٣ قرشا
الكتاب رقم (٦) من مجموعة الكتب العلمية المبسطة
حيوانات ما قبل التاريخ
طبعة ثانية
تأليف : برتا موريس باركر
ترجمة : توفيق فرعون
الناشر : دار المعارف
الثمن : ١٥ قرشا
الكتاب رقم (٥) من مجموعة الكتب العلمية المبسطة
جسمك والآلة
طبعة ثانية
تأليف : برتا موريس باركر
ترجمة : دكتور كمال سعيد
الناشر : دار المعارف
الثمن : ١٥ قرشا

أخبار الغد
وبعد الغد

● أحدث ساعة ابتكرها العلماء .. أخيرا لا تهتم بالوقت . انهم يقدمونها هدية لست البيت لتجنب « المطبات » التي تتعرض لها في المطبخ ، ويحترق الطعام . ان ست البيت لا تستطيع البقاء طول النهار في المطبخ . هناك أعمال اخرى لابد من انجازها . والساعة الجديدة لا تلبس في اليد .. ان السيدة تعلقها على صدرها ، وليس فيها رقاص او زمبرك ، وانما داخلها جهاز لاسلكي متصل اتصالا اوتوماتيكيا بساعة المطبخ .. وهي تقوم بتنبيهها عندما ينضج الطعام ، فلا يحترق وتحدث الازمات ..

● في استطاعة بنك العظام التابع لمعهد الابحاث الطبية في البحرية الامريكية أن يرسل اجزاء من عظام الانسان ، وقطع غيار اخرى من جسمه .. لاى طبيب اخصائي في العالم عند الطلب . ان مخازن اجزاء جسم الانسان ستنتشر في الغد .. بحيث يمكن تصليح العضو المختل او احلال اخر محله .

● الاسس المبنى عليها الطب الوقائي ستنقلب قريبا راسا على عقب . فالمعروف ان الطب اللقاحات تحضر من البكتيريا او الفيروسات بعد قتلها أو من سمومها . وذلك لتكسب المناعة ، ولا تسبب المرض ولكن في الغد القريب ستكون اللقاحات عبارة عن مواد محضرة في المعامل كيماويا .. بفضل اجزاء خاصة من البكتيريا او الفيروس . وبعبارة اخرى سيكون اللقاح مادة كيماوية

● حتى وقت قريب لم يكن من الميسور نقل كلية من شخص الى آخر .. الا اذا كان توأما من نفس البويضة . لكن العلم تغلب على هذه العقبة . لقد ابتكر طبيب أمريكي طريقة حديثة لنقل الكلية من انسان الى انسان لا تجمع بينهما بويضة واحدة .. بل انه تمكن من نقل كلية ميت الى انسان حي ..

● تغلب العلماء في اوروبا والولايات المتحدة على ازمة « الفكة » التي تسبب مشاكل لركاب الاوتوبيسات . فقد ابتكروا جهازا اوتوماتيكيا لـ « فك » العملة .. فاذا وضعت فيه عملة من ذات العشرة قروش ، فانه « يفكها » لك بالتمام والكمال . والغريب ان هذا الجهاز « فاصح » .. فهو لا يقبل العملة المغشوشة ، ولايمكن لاى فرد ان يغالطه .!



أم كلثوم وعبد الوهاب

ستسجل اغاني ام كلثوم وعبد الوهاب واي فيلم يعجبك بالصوت والصورة .. لتعرضها على الشاشة الصغيرة الموجودة في منزلك عندما تريد ذلك . فقد ابتكر العلماء أجهزة متنقلة صغيرة الحجم تلائم حياة الغد . ان هذا الجهاز عبارة عن « فيديوتيب » ترانزستور .. ولكنه مقر



على الرف ..!

يبدو ان الطائرات الهليكوبتر ستكون موضة قديمة بعد وقت قصير . انها ستوضع على الرف بعد ان تنتشر الطائرات النفاثة التي تصعد الى الجو رأسا .. تماما مثل الهليكوبتر . انها سترسو على أسطح المنازل . والغريب في الطائرة الجديدة ان محركها الصاروخي يوجد في باطنها .. اما العادم فهو في الاجنحة .

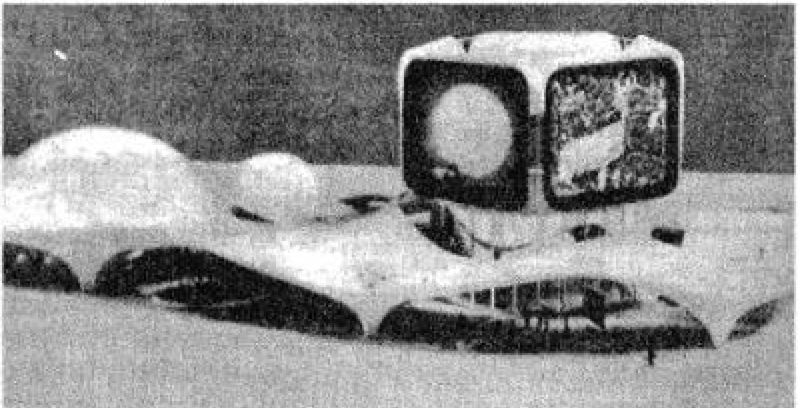


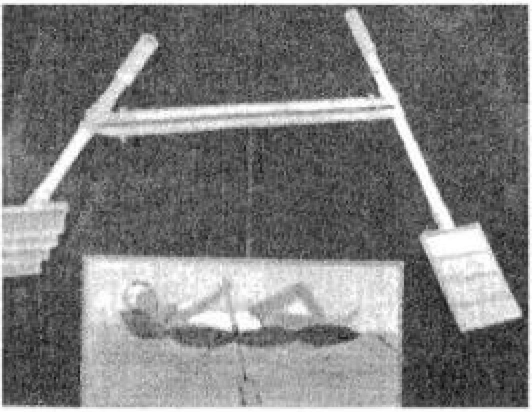
نومك ثقيــل..!

سوف لا « تروح » عليك « نومة » ، أويفوتك الميعاد . ان العلماء يقدمون لك هـذا الجهاز السحرى الذى يضبط مواعيد يقظتك . انه المنبـه اللحوح الذى يظل يدق فوق رأسك حتى تستيقظ . يمكنك مد فترة رنينة من نصف دقيقة اذا كان نومك خفيفا .. الى نصـف ساعة اذا كنت من الناس الذين نومهم ثقيـل جدا .. !

سـبق صحفى

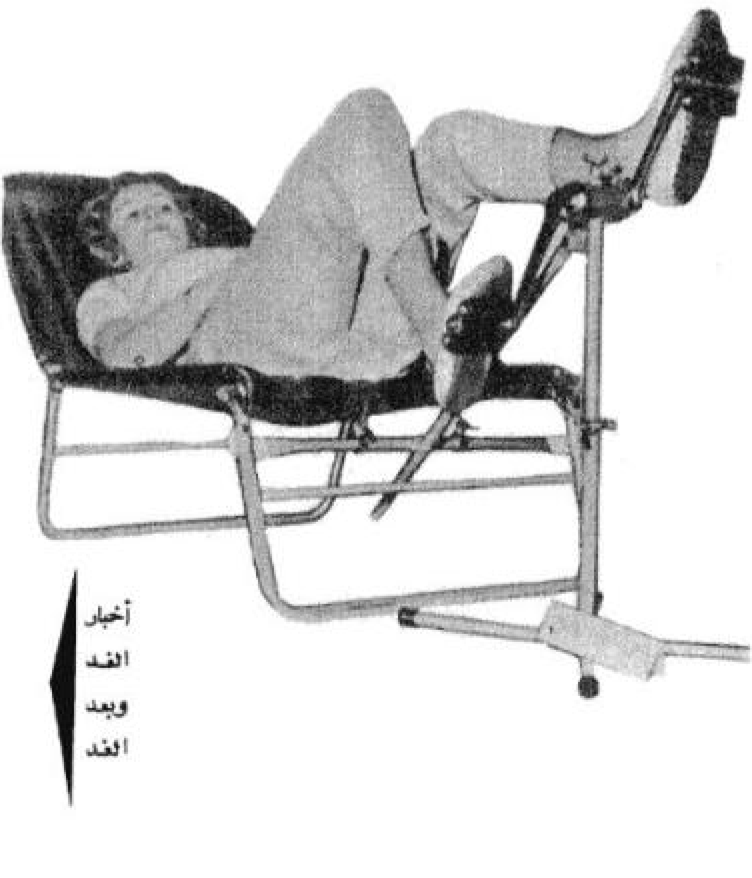
اول صورة فى العالم تنشر لبرج الصور الفوتوغرافية الذى سيعرض فى المعرض الدولى بنيـويورك فى الصيف القادم. ان هذا البرج بمثابة لوحة ذات اربعة اوجه لعرض الصـور الملونة ، ان ارتفـاعه ٢٤ مترا . ومساحة كل من الاوجه الاربعة ١٨٦ مترا مربعا .. ان القادم من بعيد سيرى الصور المعروضة بوضوح .. وفى اسفل البرج صالات عرض تعتبر اكبر الصالات فى العالم حتى الآن .





ستأتي إليك

لن تذهبي الى الملاعب والنوادي والبلاجات انها ستاتي اليك ، وتصعد الى غرفتك . فان وقتك في الغد سيكون مقسما بين الارض والكواكب الاخرى . والعلماء يقدمون لك هذا القارب من الكاوتشوك المملوء بالهواء على شكل سرير مريح يعلق فيه رافعة تحمل مجدافين . ان هذا القارب ينفعك في الشتاء والصيف في البحر والبيت .. ويحتفظ دائما بقوامك الرشيق



أخبار الغد وبعد الغد

اخبار الغد

إنسان الغد.. يعيش في قواقع..!

سيعيش الانسان داخل قواقع . ان القوقعة ستكون ارخص من ثمن السيارة المتوسطة . ان هذه القواقع ستباع جاهزة ، ويتسع كل منها لاسرة مكونة من ستة افراد ..

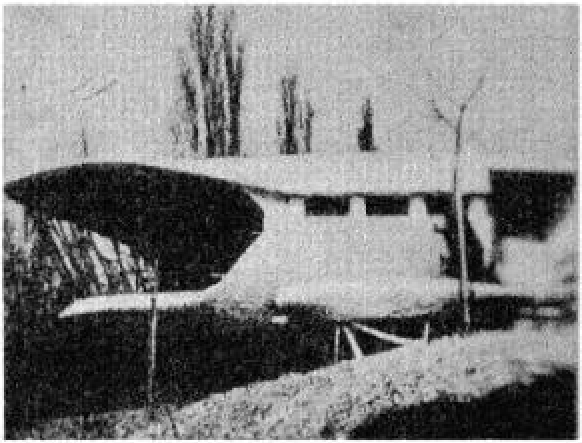
وهذه القواقع ستناسب معيشة الانسان في الغد. فالغد سيكون العصر الاوتوماتيكى .. تلعب فيه الطاقة الذرية ، والطاقة الشمسية الدور الاول في التدفئة والتبريد ، والطبخ ، والصناعة .. الخ ..

فالطعام لن تحتاج ست البيت الى تجهيزه في الطبخ . انها ستحصل عليه جاهزا من المصانع في علب محفوظة وهى ستحصل على الشوربة من الحنفيات وطعام الغد سيكون معروفا فيه قيمة المواد الغذائية بحيث لا يتناول الفرد سوى القدر الذى يكفيه .

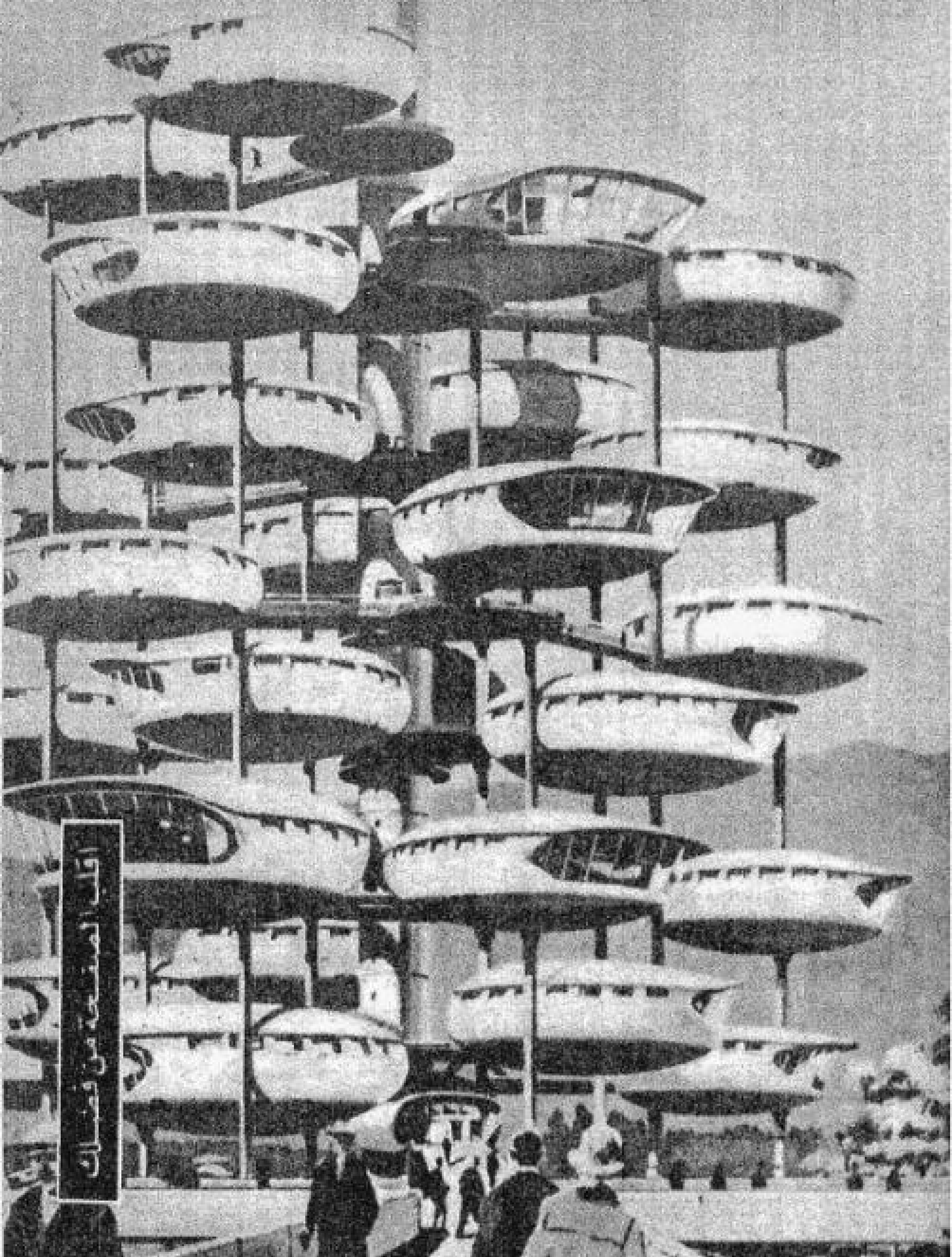
ولن تحتاج منازل الغد للخدم . فالقواقع مجهزة تجهيزا علميا بحيث لا تسمح بدخول البخار ودخان العوادم . والهواء الذى يدخل الى القواقع سيكون نقيا من الميكروبات ، فلن تسمح القواقع بدخوله الا بعد ان يمر على اجهزة اوتوماتيكية تقوم بتنقيته وتكييفه

والتحكم في درجة حرارة القواقع من الداخل سيكون بواسطة ازرار اوتوماتيكية

وتمتاز قواقع الغد بان جدرانها رقيقة جدا ، ورغم ذلك فانها لا تسمح للاصوات والضوضاء بالدخول والخروج - وهى شفافة بحيث ترى من في الخارج ، ولكنهم لا يرونك



قوقعة الغد التى سيسكن فيها الانسان من الخارج . ان الجزء المفتوح مغلف بالبلور الذى يحجز الصوت والضوضاء والحرارة والبرودة ويريح الانسان . لاحظ الشبابيك المصممة على احدث الطرق .. !!



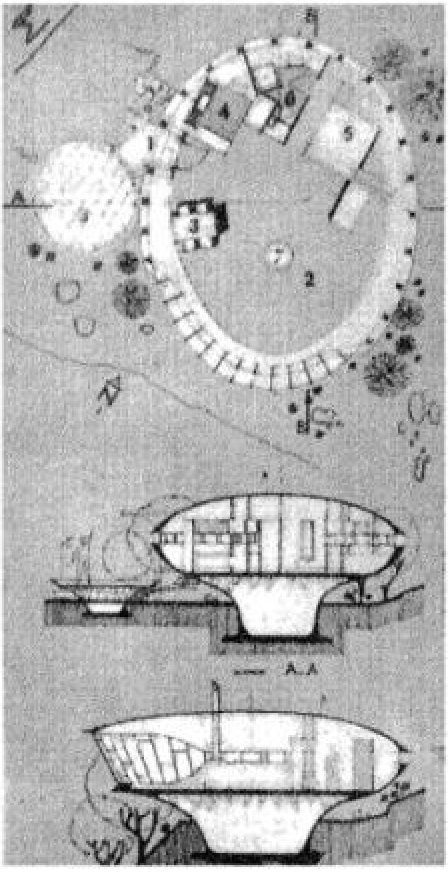
والوان غرف النوم فى قواقع الغـــد ستكون هادئة . ان الاطباء وعلماء الاجتماع والنفسيين والفنانين سيقدمون خبرتهم فى اختيار الالوان . اما غرف الجلـــوس والاستقبال فستكون فيها شـــيئا من الســـحر بجلب الانشراح والسرور الى الجالسين فيها

وسوف تكون تسجيلاتك التليفزيونية والاذاعية رهن اشارتك .. لا تحتاج فى اعدادها وقتا طويلا . اما التليفـون فى توقعتك فسيكون آليا وسيتولى الرد على اصدقائك فى غيابك . وهو سيسجل ما يملى عليه ثم يذكرك بمواعيدك بواســطة الميكروفون المتصل به ...

اما افكارك وخواطرك فتسجلها لـك عقل الكترونى بلا زمك ويعرضـها امامك عندما تحتاج الى ذلك ..

ان انسان الغد سيعيش فى احضـــان الطبيعة . فالاشجار ستحيط بالقواقع من جميع الجهات .. ان العلماء اقترحوا على أيدراحة الانسان وسعادته سوف يجدها فى عصر القاب الاوتوماتيكى . !

بقى ان تعرف ان هذه القواقع ستصنع فى المصانع على « اسطمبات » خاصة .. ولهذا فان اثمانها ستكون معقـولة ، وفى امكانك نقلهـــا الى اى مكان تريده .. وبناؤها من جديد فى بضع ساعات .. !

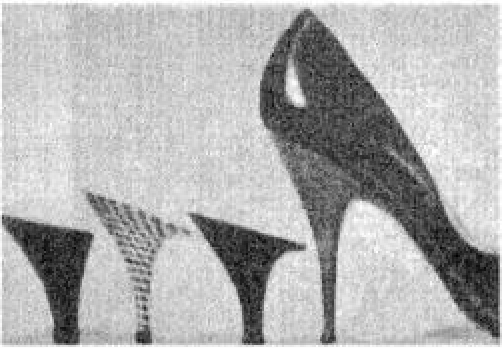


قوقعة الغد من الداخـــل . ثلاثة رسومات توضيحية عن كيفية معيشة الانسان فى القواقع :

قطاع عرضى . رقم «١» المدخل، «٢» غرف الجلوس « ٣ » غرف الطعام «٤» المطبخ الاوتوماتيكى«٥» غرف النوم « ٦ » الحمام « ٧ » المدفئة ..

قطاع رأسى فى القوقعة الغــد ويبين صورة المنزل من الداخل عندموقع الخط . A . A . من الصـــورة العليا وفى الجزء الايمن من الصورة نرى المنزل على شكل القوقعة علـى يسارها الفرندا ..

قطاع رأسى يمثل المنـــزل من الداخل عند الخط « ب ـ ب » ومن الصور الثلاث نرى طريقـة تثبيت المنزل الممكن وضـــعه مستقلا على الارض مباشرة او تعليقة على حوامل حديدية كما نرى فى الصورة الاولى



الكعوب

وفى زحمة هذه الابتكارات والاختراعات للغد .. لم ينس العلماء الجنس اللطيف .. وهذه تشكيلة مبتكرة من كعوب الاحذية مختلفة ألوانها لتناسب الفستان والمناسبة الذى يلبس فيه ..



ملابس الشرطة فى الغد

ولللآن لم يتفق العلماء على رأى . هل ستختفى الجريمة فى الغد ام لا ، ومن باب الاحتياط صنع العلماء هذه البدلة الجديدة لرجل البوليس فى الغد . انها ضد الاصابة بالصواريخ ومختلف الاسلحة ...

هل سيلبسها رجال الشرطة فى الغد .. ربما .. !!


كتاب الهلال
يقدم
فلسطين والضمير
الانسانى
بقلم : محمد على علوبة
تقديم : طاهر الطناحى
يصدر في مارس ١٩٦٤

انهم يمشون فى الحوارى والازقة المتفرعة من شارع النجاح ان شارع النجاح لايسير فيه الا العمالقة ، انهم شبان وشابات يحاولون ان يكونوا عمالقة ، ولذلك يحاولون الاقتراب من الشارع الكبير انهم لايزالون على بعد خطوات منه

شارع النجاح

لحظ سابقا

الى .. فى الطريق الى :
الى .. فى الطريق الى :
الى .. فى الطريق الى :
الى .. فى الطريق الى :
الى .. فى الطريق الى :
الى .. فى الطريق الى :

صماء .. علمتنى التمثيل !

منذ أن كان طفلا ..

صورة قديمة لاتزال منطبعة فى ذهنه .. امرأة عجوز تقترب من السبعين .. رآها على الشاشة .. فى فيلم أجنبى لا يذكر اسمه .. ولا شىء آخر من مشاهده سوى هذا المشهد .. مشهد العجوز وكل ملامحها ترتجف .. والغيظ والضعف يرسمان على ملامحها علامات الانسان المنهار .. نهايته .. بقاياه !

وتنعكس هذه الصورة وتستيقظ فى ذهنه .. عندما يراها فى الحقيقة .. عجوز تشبهها .. تقف فى احدى حارات حى السيدة .. والاطفال والعيال حولها .. يعاكسونها .. يشدونها من ملابسها .. ويقذفونها بقراطيس الورق .. وهى لاتملك من امرها شيئا .. سوى الغيظ الذى يقفز الى عينيها الضعيفتين .. ويجرى الاطفال منها .. وتحاول أن تمسك بواحد منهم .. ويسقط فى يدها .. انه الوحيد الذى كان يعطف عليها من بينهم .. كان يحب النظر الى وجهها الضعيف .. لكنها تمسكه فى ذراعه .. بكل غيظها وحنقها على كل الاطفال المشاكسين ! ..

ويصرخ .. لكنها لاتسمع صراخه .. صماء لاتسمع .. وينظر الى وجهها الذى يحبه .. وينفر منها لاول مرة .. وتصرخ فى اعماقه عواطف مختلفة .. وتنعكس صورة العجوز التى رآها على الشاشة وهو طفل فى السادسة !

ان **جلال عيسى** .. النجم السينمائى الذى لمع فى نهاية عام ٦٢ يقول ان هذه المرأة هى التى علمته كيف تنعكس مشاعر الانسان على ملامحه .. هى التى علمته التعبير بالوجه .. اول حروف التمثيل !

وفى السنة الاولى الاعدادية يشترك جلال فى فريق التمثيل بالمدرسة ، ويمارس الرياضة بشتى فروعها .. ويجمع عددا من زملائه فى الفرق الرياضية بالمدرسة ويكون فريقا للرقص الشعبى .. ويسمع بذلك أبوه .. ويثور .. ويسمع الناظر أيضا .. ويفصله من المدرسة .. ويبحث عن مدرسة أخرى .. تنتهى فيها مشروعاته الفنية !

لكن الاحساس الفنى لايموت فى أعماق الفنان الصغير .. انه يكبر معه .. كان يخرج من دار السينما وهو يحس احساس بطل الرواية التى استمتع بها .. يخرج وكأنه قد حفظ السيناريو وفى انتظار

تعاليم المخرج !

ويشعر جلال عيسى ان مصيره الى الفن .. وان عليه ان يجرى فى الطابور الطويل الذى ينتظر الفرصة .. لكنه لا يستطيع ان ينتظر .. فهو يجرى وراء اعلان قرأه فى الصحف من طلب وجوه جديدة للسينما .. وتنطلق معه آماله العريضة .. ويقدم اشتراكه ويدفع مبلغا من المال وعدة صور يطلبونها منه .. وتنتهى عملية النصب وتنتهى معها آماله !

لكن « جلال » لا يستطيع الا ان يجرى فى الطابور الطويل .. ليقدمه رجل اسمه محمود جمعة .. يسكن بجواره .. الى صديق يعمل «ريجيسير» ، ويقدمه بدوره الى المصور السينمائى عبده نصر الذى كان يبحث عن صبى فى السادسة عشرة يقوم بدور طالب فى كلية الطيران فى فيلم «وعد» الذى يخرجه أحمد بدرخان

ويؤدى جلال الدور .. ويتفوق .. ويسمع كلمات بدرخان تطرق اذنيه برفق وهو يقول له : « ابقى قول الله يرحمك يا بدرخان ان لم تصبح فتى الشاشة الأول » !

لكن كلمات بدرخان تدق اذنيه بقوة .. ويصيبه الغرور .. ويشعر انه فنان كبير .. موهبة لا مثيل لها .. ويصنع منه الغرور انسانا آخر .. لكن أحدا من المنتجين والمخرجين لا يعبأ به .. ومع الغرور يبتعد طريق الفن من قدميه .. ويتوه .. وتزداد الازمات المالية ويتوفى والده .. ويكاد الفنان الصغير أن يتوه ..

لكنه يستيقظ من جديد .. بعد سنوات .. عندما يفيق من الغرور .. ويقرر أن يبدأ من جديد .. ويتنقل بين مكاتب الريجيسير والمخرجين .. ويطرد من واحد الى الآخر .. ومع حبات العرق التى تزداد على جبينه .. يشعر بمزيد من التمسك بطريق الفن !

ويلتقى بيوسف شاهين .. ويلتقطه .. يقدمه فى دور مراهق يتصيد فتاة من الطريق ليسحبها الى شقته فى فيلم «باب الحديد» .. لكن حبات العرق تزداد من جديد .. فالرقابة تلغى الدور .. ويضغط الفنان الشاب على أسنانه بشدة وتقفز الدموع الى عينيه !

ويزداد الاصرار .. ويظل جلال عيسى يقضى ايامه متنقلا بين الأستوديوهات .. يتعلم السينما من واقع التجارب التى يراها .. الى أن يلتقطه صلاح أبو سيف .. ويلعب دورا صغيرا لا يلفت النظر فى



جلال عيسى .. اثارت له الطريق عجوز فى السجن .. !

« بداية ونهاية » .. ثم تلتقطه ماجدة .. وترشحه لدور في « المراهقات » يؤديه بامتياز .. ويقرأ لاول مرة اسمه في أفيشات الاعلانات .. وعلى هامش كلمات النقاد .. لكنه يتذكر عدوه الاول الغرور .. ويقتله قبل أن يستيقظ من جديد !

وفي نفس الوقت .. تختاره نيللي مظلوم مع ستة آخرين .. يشتركون معها في أوبريت « العشرة الطيبة » الذي تقدمه على مسرح الازبكية .. وينجح الفنان الشاب .. ويمارس الرقص الشعبي .. انه يمنحه الحركة والاحساس والمرونة التي لها أهمية كبرى في التمثيل ..

ويحصل جلال على الثانوية العامة .. ويصبح موظفا بوزارة الصحة .. ويلتحق بمعهد السينما .. لكنه يؤدي الخدمة العسكرية بعد ثلاثة أشهر من التحاقه بالمعهد .. ثم يختاره يوسف شاهين من جديد ليؤدي دورا في فيلم صلاح الدين .. ويحذف الدور من عملية المونتاج من جديد .. وتزداد حبات العرق على جبين الفنان الشاب مرة أخرى !

ويزداد الاصرار ..

ويشترك جلال عيسى في الفيلم الإيطالي « ابن سبارتاكوس » الذي صور في مصر أمام « ستيف ريفز » .. ويتفوق ويسمع الفنيين يرددون .. ان جلال عيسى هو « انتوني بيركنز » المصري .. لكنه يقتل الغرور مرة أخرى !

وفي مساء أحد الايام .. يرفع المخرج سعد عرفة سماعة التليفون ويطلب جلال عيسى !

ويلمع جلال في بطولة « حب لاأنساه » أمام عماد حمدي ونادية لطفي الذي عرض في القاهرة وأخرجه سعد عرفة .. ان « سعد » كان يتتبع خطوات جلال الفنية باهتمام .. كان يشعر أن في أعماقه فنانا لابد أن يكشف عنه .. ويؤدي جلال الدور بتفوق .. وتسنح له الفرصة التي انتظرها منذ أكثر من سبع سنوات عندما تختاره مؤسسة السينما ليلعب دور البطولة في فيلم « الاعتراف » أمام هند رستم وسعاد حسني ، ويختاره المنتج عبد الشافي محمد لبطولة فيلم آخر أمام هند رستم أيضا وأحمد مظهر .. ثم يطلبه مسرح التليفزيون ليلعب بطولة مسرحية تنيسي وليامز الخالدة .. « طائر الشباب » !

ان جلال عيسى (٢٥ سنة) يعمل راقصا بفرقة الفنون الشعبية .. وهو لا ينسى شيئين .. أولهما أن في أعماق الفنان عدوا يجب الحذر منه دائما هو الغرور ، وأن أول من علمه الحروف الاولى في التمثيل .. عجوز تقترب من السبعين .. صماء لاتسمع !

« نجمتان » في شارع النجاح !

– شيء وحيد جعلني أمارس لعبة كرة السلة !

فقد كنت قصيرة الى حد ما .. وكنت أخشى أن أظل كذلك .. وأنا أحب الفتاة التي تتسم بالطول .. وعلمت أن كرة السلة هي الرياضة الوحيدة التي تساعد على الطول .. وقررت أن أمارس اللعبة !

وتبتسم **درية نجم** (٢٢ سنة) بطلة الجمهورية في كرة السلة .. ثم تقول :

– كنت أمارس التمرين لمدة ثلاث ساعات متواصلة .. ثم أقف بجوار الحائط لأقيس طولي !

وتبتسم **عايدة نجم** (٢٣ سنة) بطلة الجمهورية في كرة السلة أيضا .. وشقيقة درية .. وهي تقول :

– كنا نتنافس أنا ودرية في بادىء الامر في مسألة الطول ! .. كانت كل واحدة منا تقيس نفسها كل شهر مرة وتحاول أن تزداد طولا من الاخرى .. ولكن بعد فترة قصيرة من ممارسة اللعبة عشقناها .. ونسينا أن هدفنا الاول هو أن نزداد طولا .. وأصبحنا نتنافس في أداء اللعبة نفسها وفي ممارسة التمرين .. كنا نحاول أن نتفوق على أنفسنا .. ونطمع في أن نحقق بطولات .. وكان طموحنا واصرارنا وعشقنا لهذه اللعبة هي الدوافع التي جعلتنا نحقق انتصارات دائمة

وحكاية عايدة ودرية نجم مع الرياضة بدأت منذ أن كانتا طفلتين تدرسان في المدرسة الالمانية .. وكانت ممارسة الالعاب السويدية جزءا هاما من البرنامج الدراسي .. فنشأتا على حب الرياضة والتعو



عابدة ودرية نجم .. مجموعة بطولات ، واشارة مرور الى الشارع الكبير .

على مزاولتها .. وعندما انتقلتا الى مدرسة الراهب الصالح الفرنسية .. كانت درية تهرب من بعض الحصص لتذهب الى ملعب المدرسة لتمارس الرياضة .. وهناك تفاجأ بشقيقتها عابدة وقد سبقتها في الهروب من الحصة لممارسة الرياضة أيضا !!

وفي مدرسة « الفرنسكان » تلفت مباريات كرة السلة نظرهما .. وتشعران بالرغبة في ممارسة هذه اللعبة .. وتشجعهما المشرفة الرياضية في المدرسة عندما تلاحظ طريقتهما الممتازة في الاداء اثناء اللعب .. ويبدآن في التنافس والتفوق !

وفي عام ٥٦ تشترك الشقيقتان في نادي جمعية الشابات المسيحية .. وتلتحقان بفريق الدرجة الثانية به .. ويشترك هذا الفريق في مباراة مع النادي الاهلي .. وتثير الشقيقتان الحكام وجماهير المتفرجين بطريقتهما الممتازة في اللعب .. وينتصر الفريق .. ويقرر النادي بعد هذه المباراة الوحيدة نقل الشقيقتين الى فريق الدرجة الاولى .. وتتوالى الانتصارات في المباريات التالية مع سائر النوادي .. ويحصل الفريق على المرتبة الثانية بين نوادي الجمهورية !

وتؤدي الشقيقتان البطلتان امتحان معادلة لدخول كلية البنات .. ويبقيان في هذه الكلية عاما واحدا يلتحقان خلاله بفريق كرة السلة في الكلية .. ويكتسحان به كل فرق المدارس في جميع المناطق التعليمية بالجمهورية

وتنتقل البطلتان الى كلية الاداب .. وتلتحقان بفريق الكلية .. ليحصل الفريق في كل السنوات على بطولة الجامعات .. مرة واحدة فقط ينتصر معهد التربية على الفريق .. وتقرر البطلتان ان تحصلا على الثأر .. وعندما تلتقي كل الجامعات في اسبوع الشباب الذي أقيم بدمشق عام ٦١ .. ينتصر فريق البطلتين على جميع المعاهد والكليات في جامعات مصر وسوريا .. ويحصلان على الثأر من معهد التربية الرياضية !

وفي عام ٦٢ يقرر النادي الاهلي ان يخطف البطلتين ليضمهما الى فريقه .. ويكرر محاولاته .. لكن عابدة ودرية كانتا مصرتين على ان تظلا في فريق جمعية الشابات المسيحية لاعتزازهما بأن يبقيا من تلميذات مدربهما البطل نبيل عبده الذي علمهما منذ البداية .

لكن البطل العظيم يتوفى .. وتحس البطلتان بفقده .. وتكرهان ملعبهما الشاقر من الدربيه المعلاق .. وتتوقفان عن ممارسة اللعبة لمدة اشهر نتيجة الصدمة

وعندما يحاول النادى الاهلى محاولته الاخيرة لخطفهما .. ويذهب سكرتير النادى اليهما فى منزلهما ومعه استمارتا العضوية .. تقبلان .. لقد ارادا ان يمارسا اللعبة فى مكان آخر لايشعران فيه بفقدهما للبطل الراحل

وفى النادى الاهلى .. تحصلان بجهودهما على بطولة القاهرة .. ثم بطولة الجمهورية .. ولايزال طموحهما يدفعهما لان يكسرا القاعدة التى وضعها الاتحاد فى عدم سفر البطلات الى الخارج فى المباريات

ان درية اصبحت الآن مضيفة فى الشركة العربية للطيران .. اما عايدة فهى البطلة الثانية فى الجمهورية فى كرة السلة بعد «كاليليا» بطلة نادى هليوبوليس الايطالية الجنسية .. انهما الشقيقتان اللتان سلكتا كل الازقة والحوارى الى شارع النجاح !

الكمسارى رقم ٥٢١ يعالج التفرقة العنصرية

شاب اسمر لم يتجاوز الثامنة والعشرين ! فى عينيه طموح ، وفى ملامحه ثورة ، وفى صوته اصرار !

اسمه فى شهادة الميلاد « محجوب محمد محجوب » ، وفى بطاقة العمل : « الكمسارى رقم ٥٢١ » !

رايته يقف امام ميكروفونات الاذاعة وعدسات التليفزيون ويواجه اكثر من الفى شخص فى مهرجان الشعر العربى الاخير بالاسكندرية ليلقى بنبراته الحادة قصيدته التى انتزعت التصفيق لمدة خمس دقائق كاملة بعد أن انتهى منها !

انه الشاعر الذى اختاره « العقاد » ليقدمه لجمهور مهرجان الشعر هذا العام !

وحكايته مع الشعر بدأت منذ أن كان صبيا صغيرا .. عندما كان فى السنة الثالثة الابتدائية بمدرسة رابطة الاخوة بالاسكندرية ، وكان مدرسه عبد المنعم امين يمنحه فرصة اختيار موضوع الانشاء الذى يحب أن يكتب فيه بخلاف بقية التلاميذ الذين كان يقيدهم بموضوع معين .. وكان محجوب يختار عادة الموضوعات الوصفية ليطلق العنان لخياله !

وعندما يحصل محجوب على الشهادة الابتدائية يبدأ فى كتابة الزجل ويشترى الكتب التى تحكى الملاحم الشعبية المكتوبة بالزجل

ويدخل الشاب الاسمر مدرسة الرملية الثانوية بالاسكندرية .. لكنه يهجرها بعد عام واحد بسبب المظاهرات السياسية التى كان يقوم بها الطلبة فى ذلك الوقت .. ويبحث عن مدرسة أخرى تشبع عطشه الادبى .. ويجدها فى مكتبة الشيخ ابراهيم محمود .. فالشيخ ابراهيم غاوى ادب .. ومكتبته المتواضعة تبيع الكتب القديمة وتؤجرها .. والاديب الاسمر يصبح له حق استئجار الكتب (على الحساب) .. فالشيخ ابراهيم يحبه عندما يقرأ عليه خواطره الادبية وأزجاله ومحاولاته الاولى لكتابة الشعر

ومن طريق مكتبة الشيخ ابراهيم يدرس الشاعر الاسمر علم العروض وقافية الشعر ويتمكن من كتابة القصائد الموزونة ويقرأ كل دواوين الشعراء المحدثين وكل كتب الادب العربى التى كانت تقرر على المدارس الثانوية .. ويستوعب الشعر الجاهلى والاسلامى وشعر المهجر . .ويركبه شيطان الشعر .. وتظهر موهبته بوضوح .. وعندما يقرر أن يبدأ حياته العملية يلتحق للعمل بشركة منتجات للنشا لم يتركها بعد اشهر قليلة ليعمل « عطشجى » فى مصلحة السكك الحديدية .. فيظل أربع سنوات يقف امام النار وتتلوث ملابسه بالزيت ، لكنه يخرج من جيب « العفريتة » التى يرتديها « لوثة » صغيرة يدون فيها أبياتا يعبر بها من قسوة حياته :

« أما آن لى أن اذوق ارتياحا
والمس بعد الظلام الصباحا »

وعندما يتزوج محجوب وهو لم يبلغ العشرين .. يتخذ موقفا سلبيا فى اتجاهه الشعرى فيكتب عن زوجته واولاده وأسرته

والناس .. كل الناس :

« انا للناس ، كل الناس
لا للنـــوع والجنـــس
فسعد احبتى سعدى
وبؤس احبتى بؤسى
اوارى عنهمو الاحزان
وابدى روعة العـــرس
واعطيهم جماع القلب
والوجـــدان والنفس »

ويصدر الشاعر ديوانه الاول في الاسكندرية ويطلق عليه «بسمة الخريف» .. يصدره بثمن الكتب التى تضمها مكتبته المتواضعة .. يصدره رغم انه في شدة الحاجة للقرش من اجل أن يطعم زوجته وأولاده .. ويباع الديوان في النطاق المحلى .. وتنفد نسخه بالفعل !

ويحفزه نجاح الديوان على أن ينزح الى القاهرة .. يبحث عن الجو الأدبى ويتصل بالهيئات والجمعيات الادبية ويحضر الندوات ويتردد على المكتبات

وفي القاهرة يتسلم وظيفته الجديدة .. ويصبح الكمسارى رقم ٥٢١ لمترو النزهة !

ومن خلال النماذج الكثيرة التى كان يلتقى بها في المترو كتب عشرات القصائد .. وكتب خواطره في كتيب أطلق عليه « مذكرات كمسارى » .. وكتيب آخر عن « فن كتابة الاغنية » ينقد فيه الاغنية العربية .. لكن عقبات النشر التى تواجه كل أديب ناشىء تقف امامه

وتظل حياته تسير بنظام مرهق فعمله يبدأ في مواعيد مختلفة .. أحيانا في الرابعة صباحا واحيانا في الثانية ظهرا .. ودائما يسير وسط زحام من الكتل البشرية التى تملأ عربات المترو .. ويواجه مشاجرات الناس .. لكنه رغم هذا .. كان لاينسى أن يخرج من جيبه « النوتة » التى يضمنها من وقت لآخر بعض أبيات ترد على خاطره .. ثم يخرج زمارته وينفث فيها ليسير المترو .. وتسير حياته ..

أن هذه الزمارة كانت تمثل خيبة أمله عقب عودته الى القاهرة .. فكتب يقول :

« من خلالك ..
انفث الانفاس نارا من خلالك
فانا احيا ضياعا .. والتى تحيا كذلك
من خلالك ..
يتنزى القلب دقات هوالك
مثقلات بالاسى من ظلم ايام حوالك
وضباب الياس في عينى قد سد المسالك»



الاسمر محجوب محمد محجوب رقم ٥٢١ خرج من الزقاق الموصل الى شارع النجاح

لكن الشاعر الاسمر الشاب يشترك في مسابقة المجلس الاعلى للفنون والآداب التى يقيمها بمناسبة مهرجان الشعر ..ويتقدم بقصيدته « لست عبدا » التى يعالج فيها مشكلة التفرقة العنصرية .. ويقرؤها العقاد مقرر لجنة الشعر .. ويرشحها للفوز على الفور ويحصل محجوب على جائزة المجلس .. ويستضيفه المجلس في الشهر الماضى ليحضر مهرجان الشعر بالاسكندرية ووقف امام ميكروفونات الاذاعة وعدسات التليفزيون وواجه أكثر من الفى شخص ليوجه قوله للسيد الابيض قائلا :

« اخى ان كنت ذا ناب
فانى لســـت بالاجرد
اذا ما جئت تركلنى
ترانى لســـت بالمقعد
التنظـــر لى بعينى الشر
لم الـــوح كالارمـــد
اخى خذ نكتة بيضاء
لنضحكنا لكى نسعد
ولنعش صـــفونا كم طال
نوم الصـــفو بالمرقد
القطـــار من الملــح
كافلة فلفـــل اســـود »

ان الكمسارى رقم ٥٢١ الذى لمع في مهرجان الشعر بالاسكندرية في الشهر الماضى .. تقدم بديوانه الجديد «خفقات قلب» الى المجلس الاعلى للفنون لينشره له .. وعندما يقرأ الناس قصائد الكمسارى وتقرر الدولة أن تمنحه وظيفة كتابية تيسر له الانتاج الادبى يكون الشاعر الاسمر قد سار خطوات في طريقه الى النجاح !

روايات الهلال

تقدم

مصرع اللورد

قصة بوليسية رائعة

بقلم : اجاثا كريستي

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

تصدر ١٥ مارس ١٩٦٤

الثمن : ٨ قروش

طاهر الطناحي



لغة الدمـــوع

في الأدب والاجتماع..!

يظن البعض أن الدموع العين وقف على الأسى والأحزان ، أو على لوعة المحبين والأشجان ولكن الدموع لا تقتصر على هذه الأحوال من حياة الانسان العاطفية أو الانفعالية، بل تمتد الى الكثير من أحواله الوجدانية والأدبية والاجتماعية، ولها لغة كسائر اللغات تعبر بها تعبيرها عن أحوال الفرد والمجتمع ، فلها السبب والفعل ، ولها الحكمة والزمان ، ولها اشارة وبيان ، فهي لغة معبرة ناطقة ، وإن كانت في تعبيرها وعبراتها صامتة ..!

وهي أنواع : فمنها دموع المحبين والعشاق ، ودموع السرور والأفراح ودموع الأحزان والأتراح ، ودموع الخوف والرهبة ، ودموع الفشل والخيبة، ومنها دموع العطف والشفقة ودموع البشرى والرجاء ، ودموع اليأس والشقاء ، والدموع الصادقة ، والدموع الكاذبة ، ودموع الاخلاص والاعتراف بالجميل ، ودموع الرياء والنفاق، ودموع الابرياء المظلومين !

وقد أكثر الشعراء في سائر الامم من وصف الدموع في تعبيرها عن عواطف الفرح والحزن ، وما يصيب المحب أو العاشق مما يثير دموعه لذكرى الأحباب كما يقول العباس بن الأحنف مخاطبا حبيبته في بعدها وغيبتها :

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى
وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك إلا حين أيقنت أنه
يمر بواد أنت منه قريب

ثم يقول الشريف الرضي :

يا ظبية البان ترعى في خمائله
ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه
وليس يرويك إلا مدمعي الباكي

وهناك نوع من البكاء في الحب وصفه العباس بن الأحنف ، وهو بكاء عجيب ، يكاد يخلع قلب حبيبته خوف صدها ، فهو لا يبكي من ذاته، بل يبكي من ذاتها ، فيقول :

وأبكي لها ما أذنبت خوف صدها
وأسألها مرضاتها ولها الذنب

وهناك نوع من البكاء يخلفه تذكار الحب وصفه البحتري في قوله :

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا
أو معينا أو عاذرا أو عذولا
وخلاف الجميل قولك للذا
كر عهد الأحباب صبرا جميلا
كل ماء الدموع يجمد أما
من جرى الحب أو يبل الغليلا

وهذا يطابق قول الأطباء : إن دموع العين تخفف عن القلوب ما تعاني من لوعة وأحزان ، وتفرج عن النفوس ما تحمل من الهموم والأشجان

وقد ابتدع أبو تمام دموعا للقرى سماها « دموع الوفاء » فهو لا يبكي للأسى الذي يصيبه لفراق الحبيب ولا يبكي كغيره من المحبين والعشاق لما يصيبهم من لوعة الهجر والبعاد ، وإنما يبكون وفاء لمعشوقهم التي ليس ربعها ومنازلها هجرت مغانيها وقاومت البعاد غير خالفة بهم ، فذرفوا دموعهم وفاءها على الرغم من انها لم تلق اليهم وتطعمهم في البعاد بجانبهم كما يقول :

لئن ضقت أجفاني عن آل البكا
لقد ذرفت عيني دما فروت
ولا ذمائي الذي وليت أقرعا
ولا دعاها طاوعته وليت

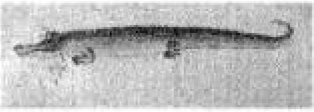
وبعد ذلك يصف طريقة الوداع كأنه يمثل ما يحدث في عصرنا الحاضر من الاشارة بأطراف أصابع اليد والايماء بالرأس ، فيقول :

وماذا عليها لو اشارت فودعت
الينا باطراف البنان واومت
وما كان الا ان تولت بها النوى
فولى عزاء القلب لما تولت

ثم يصف عيون العاشقين وكيف أسخنت بالدموع الحارة وفاء لها فى الوقت الذى اطمانت فيه عيون الكاشحين العذال ، فيقول :

فاما عيون العاشقين فاسخنت
واما عيون الكاشحين فقرت
فلم ار مثل كان اوفى بعهدها
ولا مثلها لم ترع عهدى وذمتى

أما دموع الفرح والنجاح والبشرى فانها دموع وليدة الانفعال النفسى بما



يفرح ويسر ، أو بما يفاجىء الانسان من خبر سار أو قدوم غائب محبوب وهى تخفف الانفعال الشديد الذى يطرأ على الانسان ويستولى على الشعور والوجدان

***

ويروى انه لما جلست الملكة فيكتوريا على العرش فى حفلة تتويجها ووضعوا على رأسها التاج انهمرت الدموع من عينيها غبطة وسرورا • وقد تكون هذه الدموع تعبيرا صامتا عن الخوف من تحمل المسئولية الجسيمة • وقد تكون تعبيرا عن حمد الله وشكره على هذه النعمة وهذا المجد العظيم

ولما وصل الرحالة «بروس» الى منابع النيل العليا ، وتحقق أنه انتهى من اكتشافه الخطير بكى بكاء شديدا ولم يفه بكلمة واحدة ، وكان بكاؤه سرورا وشكرا لله على توفيقه فى هذا الاكتشاف •• !

وكان المهندس المعمارى « دى مو نتريل » يشيد كنيسة « نوتردام » الشهيرة وذهب أثناء بنائها ليشاهد البنائين ،وهم يضعون احجار قبتها الشاهقة ، كما رسمها ، ورأى العمال معلقين بين السماء والارض فى براميل وقد صغرت أجسامهم ، حتى بدت كالحشرات لارتفاعها العظيم ، فاطرق برأسه • ثم عاد الى داره مفكرا ومكث على أحر من الجمر ينتظر نتيجة وضع الاحجار الاخيرة فى أعلى القبة وهو خائف من أن تنهار ، وبعد قليل جاءه ابن اخيه بالبشرى ، وأنباه أن القبة تامت كلها ، ونهضت تمثالا خالدا على عبقريته ، فعندئذ سقط على الارض باكيا واستسلم للنشيج والبكاء • وماذلك الا سرورا واغتباطا بهذا النجاح العظيم • !

وقد اشتهر « هانيبال » بطل قرطاجه بصراعه مع الامبراطورية الرومانية ، وانتصاراته عليها • ولكنه هزم أخيرا على يد سكيبيو الافريقى وقتل شقيقه فى احدى المعارك • ولما رآه مقتولا ، بكى كالاطفال ، ثم قال : « الآن سادت روما • وستحكم العالم .

فكانت هذه الدموع، دموع الفشل والهزيمة واليأس .. !

ولا ريب أن من الدموع الصادقة تلك الدموع التي يذرفها الوالد والام حنانا على أولادهما ، أو اشفاقا عليهم او أسى لمرض أو حادث مؤلم وقع لهم ، وكذلك بكاء الزوجة الصالحة أو بكاء الاولاد البارين بآبائهم وامهاتهم او بكاء الاصدقاء المخلصين كل هذا البكاء صادر عن نفوس بريئة يدفعها الاخلاص، بلا نفاق ولا كذب ولا رياء

***

أما الدموع الكاذبة، فهي ماتسمى دموع التماسيح ، التي تنم عن المكر واللؤم والدهاء .. دموع الذين يذرفونها لا شفقة ولا حنانا ، ولا رحمة ، أو أسى أو حزنا على شيء ، ولكنه رياء ومداجاة واخفاء لحقد دفين او تظاهر بغير ما يضمرون من عداوة وشماتة وانتقام

وهناك بعض السيدات يذرفن دموعا كاذبة لاغراض شتى ، منها التأثير على الرجال ،للحصول منهم على ما يريدون ، أو لدفعهم الى غايات معينة كالانتقام من منافساتهن ، أو لتحريضهن على القيام بأعمال خطيرة أو جرائم تشفي حقدهن على أعدائهن وطالما كانت دموع المرأة سببا للخصومات بين الافراد والجماعات أو دافعا الى قتل الابرياء

ومن ذلك دموع « سالومي » على « يوحنا المعمدان » فانها سعت في قتله بيهيرودوس الملك . ولما جيء برأسه مفصولا تناولته وانهالت عليه تبكي بدموع غزيرة هي بلا شك دموع كاذبة أو دموع التماسيح، لانها هي التي أهلكته بدسيستها عند ذلك الملك

ولعل من أكذب الدموع ، دموع الامبراطورة كاترين الثانية زوجة بطرس الاكبر ، فقد بكت تحت قدمي بلطجي باشا قائد الجيوش التركية الظافرة حين أسر زوجها الامبراطور فان هذه الدموع الكاذبة جعلت بطرس الاكبر يفلت من الاسر، وأدت بتركيا الى الهزيمة الشنعاء بعد ذلك .. !

***

وهناك دموع نسميها الدموع العرفية أو القومية عند بعض الشعوب ، فنحن المتحضرين اذا تقابلنا مثلا بعد طول الفراق تعانقنا، وقد يقبل بعضنا بعضا . ثم نقول : « أهلا .. وسهلا ، ومرحبا.. كيف الحال ؟ » .. الى آخر ما تواضعنا على توجيهه لاحبائنا وأصحابنا ، وأهلنا عند اللقاء .. !

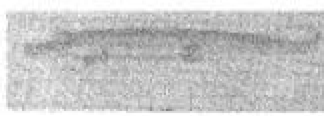
وعلى غير ذلك سكان «نيوزيلندا» الوطنيون .. فانهم اذا تقابلوا تعانقوا ثم حكوا أنوفهم بعضها في بعض . ثم يجلسون على الارض، وجها لوجه صامتين، كأن على رءوسهم الطير مدة يسيرة ، ثم يجهشون بعدها بالبكاء . وكأنهم يستغنون به عن الترحيب والتأهيل . او كأن البكاء عندهم نوع من التأهيل والترحيب !

أما هنود أمريكا الحمر ، فهم ليسوا أرقى من السكان الوطنيين في « نيوزيلندا » فكلاهما يعيشان عيشة القبائل الوحشية ، ولكن

الهنود الحمر يعتبرون البكاء عيبا وعارا ، ودليلا على الضعف والجبن . وهم اذا تألموا لا يبكون ، واذا أصابتهم مصيبة ، اعتصموا بالصبر ورباطة الجأش، فلا تنحدر من عيونهم دمعة واحدة مهما كانت المصيبة !.

وهذه عادة حسنة وهي من محامد الاخلاق عند الامة العربية التى اشتهر رجالها ونساؤها بقوة النفس فى الشدائد . وأوصى بها القرآن الكريم كما أوصى بها الشعراء ، فقال أبو العتاهية :

اذا انا لم اقبل من الدهر كل ما
تكرهت منه طال عتبي على الدهر
تعودت مد الصبر حتى الفته
واحوجني طول العناء الى الصبر



وقال أبو الطيب المتنبي :

لا تلق دهرك الا غير مكترث
ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به
ولا يرد عليك الفائت الحزن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن

ولا ينبغي للمرء أن تخور عزيمته ويستسلم للبكاء اذا فاتته أمنية ، أو تعذر عليه الوصول الى مطلب ، بل يجب أن يتذرع بالصبر ، ويترقب الفرص ، ويعمل محاولا الوصول الى الهدف ، كما قال ابن نباتة السعدي :

حاول جسيمات الامور ولا تقل
ان المحامد والعلا ارزاق
وارغب بنفسك ان تكون مقصرا
عن غاية فيها الطلاب سباق

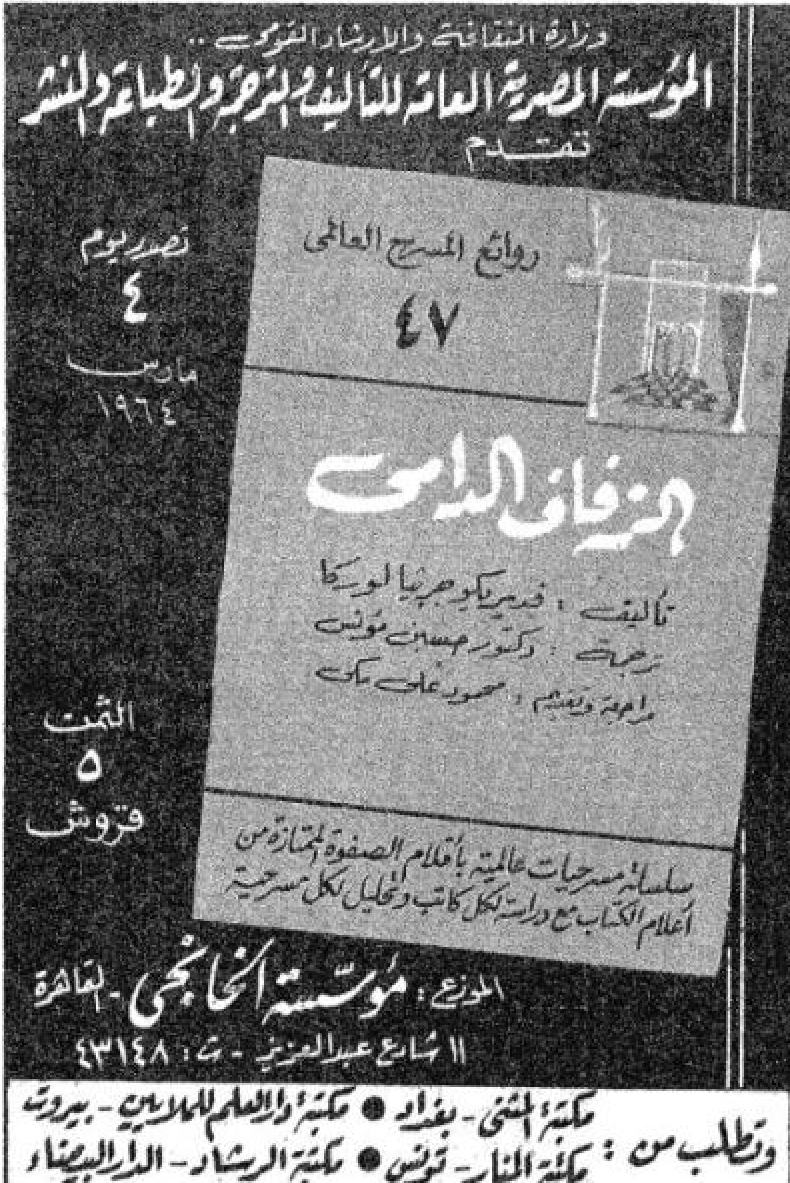
والسباق فى الحياة للوصول الى المطالب يحتاج الى قوة نفسية ليس من طبيعتها البكاء ، ويحتاج الى جراة وشجاعة واقدام ، فلا يقعد الانسان عن السعي الى غايته خوفه من الناس ما دام على الحق . قال بشار بن برد :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

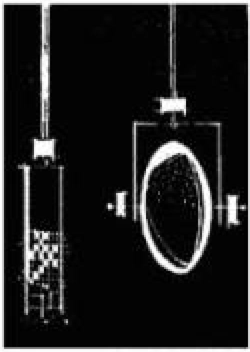
***

ولا ريب أن بلوغ المنى ، والظفر بالعلا ليس من الامور الهينة ، ولا من الوسائل الرخيصة، ولكن الضعف والخور والدموع تجعل المنى اشد صعوبة ، وأعظم ثمنا ، فاذا تزود الانسان بالصبر ، واستسهل الصعب ، وتقلد سلاح العزيمة ، وكانت عنده ارادة قوية ، وعلم انه لا بد دون الشهد من ابر النحل ، فانه سوف يصل الى ما يريد مهما كان صعب المنال ، لان الارادة الحقة تحقق المستحيل . قال أبو الطيب مخاطبا نفسه :

ذكريني انل مالا ينال من العلا
فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين لقيان المعالى رخيصة
ولا بد دون الشهد من ابر النحل


وزارة الثقافة والإرشاد القومي ..
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
روائع المسرح العالمي
٤٧
زفاف الدم
تأليف : فيدريكو جرسيا لوركا
ترجمة : دكتور حسين مؤنس
مراجعة وتقديم : محمود علي مكي
سلسلة مسرحيات عالمية بأقلام الصفوة الممتازة من أعلام الكتاب مع دراسة لكل كاتب وتحليل لكل مسرحية
تصدر يوم ٤ مارس ١٩٦٤
الثمن ٥ قروش
الموزع : مؤسسة الخانجي - القاهرة
١١ شارع عبد العزيز - ت : ٤٣١٤٨
وتطلب من : مكتبة المثنى - بغداد • مكتبة دار العلم للملايين - بيروت
مكتبة المنار - تونس • مكتبة الرشاد - الدار البيضاء

نظمي لوقا



نقد التليفزيون

لقد شهد التليفزيون مولد برنامج ممتاز من جميع الوجوه . بهذا على الاقل تشهد الحلقات الأولى التي رأيتها . وهذا البرنامج الممتاز هو « في زحام المدينة »

والحقيقة أن الحلقة التي قدمت الاستاذ « أحمد فؤاد » الموظف الشاب الشجاع المكفوف تعتبر « صورة » تليفزيونية انسانية من الطراز الاول . ومثل هذا الموضوع يعتبر عملا صحفيا ناجحا رائعا اذا قدمته احدى المجلات المصورة أو الصحف التي تتلقف مثل هذه « اللقطات » الانسانية وتتبناها . ولكن المخرج استطاع أن يجعل منه « ريبورتاجا » تليفزيونيا حيا ، يمكن ببعض التحوير والتوسع الفني أن يغدو « فيلما » متوسط الطول أو ربما فيلما طويلا يستأثر بالاعجاب في أي مكان يعرض فيه ، ويصلح بلا شك التبادل مع التليفزيونات البلاد الأخرى ، فالمستوى الفني الذي تم به اعداد هذه الحلقة يسمح قطعا أن يصنع على نمطها فيلما ناجحا لا يقل في شيء عن الافلام الانسانية التي نستوردها من تلك البلاد ، وفي وسع التليفزيون أن يجعل ذلك الشاب الشجاع يشارك في عمل السيناريو ، ويخصص له أجرا يعينه على العلاج ، ويصلح من شأنه ماديا بعد الكفاح الذي اثبت به صلابته ونبل مشاعره

لماذا لا تنفذ هذه الفكرة ، ولست احسبها تتكلف كثيرا ، وما سنحصل عليه من كسب فني هنا وفي الخارج يستحق الانفاق على كل حال

والنقل من هذا العمل الجميل الى عمل من نوع آخر

مسرحية « العبيط » . لمؤلفها الاستاذ رشاد حجازي وممثلها الاستاذ « محمد عوض » . وقد سبق لي أن قلت أكثر من مرة أن « التهريج » لاغبار عليه مادام معروفا بوضوح لا خفاء فيه ولا لبس ولا شبهة لبس أننا « نهرج » . وعلى هذا الأساس نجيز اعمالا كثيرة . ولكن الخوف كل الخوف والخطر كل الخطر من التهريج الذي يؤدي الى تزييف القيم الفنية العالية أي الذي يمكن أن يظنه الناس « فنا كوميديا راقيا » ، وهو في الواقع « مهزلة » فالهزل غير الضحك الفني القائم على المفارقة في الموقف والفكرة والاحساس ، لا على المفارقة اللفظية والحركة المبالغ فيها كأنها « الدغدغة » .. أو « الزغزغة » التي تضحك الناس ذلك الضحك السطحي الوقتي ، الذي يزول وشيكا لتقول :

ــ اللهم اجعله خيرا ....!

ولا يعقب بعد ذلك ترسبا في آفاق الحس ولا تعميقا للمشاعر ، وهي لباب « حكمة الحياة » التي بدونها لا تقوم للفن جدير بهذا الاسم مكانة

نعم لا تثريب على التهريج الذي لا يدخل في روع الناس انه « كوميديا » كبرى . لأن الضرر في هذه الحالة يصل الى مدى لا يخطر ببال « أبطال » هذا النوع من الضحك . وهو المدى الذي « يفسد » أذواق الناس ويجعلهم عاجزين عن الفطنة الى الكوميديا الحقيقية التي لا تدخل « الزغزغة » في عناصر تكوينها وادواتها . فما أشبه هذا بمن يقدم للناس موسيقى العوالم تحت

اسم « السيلولية » ، ليحسبون أن غاية الموسيقى ترقيص الخصر وهز الأرداف وتمايل الأعطاف ، وماذا يستطيع المسكين بيتهوفن أو المسكين شوبان في هذا المضمار العسير عليهما وعلى أمثالهما ممن لم يتخرجوا في شارع « محمد على » !

***

والتقل الى برنامج رمضانى راقص ، هو برنامج « فانوس رمضان » الذى قدمته فرقة من أحب الفرق الى نفوس الناس ، وكثيرا ما قدمت أعمالا ناجحة من الناحية الفنية التعبيرية

ورمضان تتمثل فيه روح الشرق العربى بصورة واضحة جدا .. وهذه الروح المرحة المنطلقة الخاشعة في الوقت نفسه هى التى كنت أنتظر من برنامج « فانوس رمضان » أن يعبر عنها بالحركات الراقصة الايقاعية، ولا سيما أن الموضوع يرافق الحركات الجماعية كل الموافقة



محمد عوض ..
ومسرحية « العبيط »

ولكنى ـ والحق يقال ـ افتقدت روح رمضان في حركات رقصة فانوس رمضان ، رغم كثرة عدد الفوانيس . فالمطلوب من الفرقة الراقصة ان تعبر برقصها لا بثيابها و « اكسسوارها » وأغانيها .. ولكننا اذا غضضنا النظر عن الاكسسوار « وأهم ما فيه الفوانيس » والأغانى اللفظية ونظرنا الى الحركات نفسها لم نشعر بأنها تعبر عن روح رمضان ، ولو طلبنا الى أحد ان يطلق على الرقصة اسما مناسبا لامكن ان يطلق عليها مائة اسم ليس من بينها « رمضان » .

هل السبب هو سرعة الحركات ؟

لا أدرى ، ربما ، ولكن هذا ليس فانوس رمضان على كل حال

والى برنامج آخر اكثر توفيقا من فرقتنا التى نعتز بها

***

وبهذه المناسبة أحب ان أتساءل عن السر في تكرار برنامج « مطبات في الهواء » .. وهو البرنامج الاذاعى القديم .. في التليفزيون ؟!

هل الغرض الاسهام الفعال في تدريب الناس على « الفهلوة » وهى الاسم البراق المزوق للنصب او الاحتيال او القدرة على الغش والتمويه بسرعة فائقة ؟ انها « خفة اللسان » كما ان النشل والسرقة « خفة يد » ؟

لم استطع ان ادرك السبب الذى يمكن ان يزكى مثل هذا البرنامج للظهور على الشاشة الصغيرة

أهى التسلية ؟

ان السأم خير من تسلية السوء . لعمر الله وأسباب التسلية كثيرة ، والتكرار البرامج التى لا اطمئن أخلاقيا عليها أكثر من « الهم على القلب » ..

ان التليفزيون يدخل البيوت حيث الصبيان والفتيات الصغيرات ، ولا أحسب ان هذا الضرب من « الحداقة » هو الذى نريد أن نستزيد منه جيلنا الصاعد وبئس الخلال النفاق والتمويه والكذب !

هل أدلكم على برنامج مسل لا ضرر منه ؟

انه برنامج « صح والا غلط » . ففيه جانب التسلية ، وفيه جانب الطرافة ، وفيه جانب المعرفة والثقافة العامة التى يحتاج اليها كل انسان ..

صح والا غلط !

مسرح بلادنا يصحو ليقود الحياة الثقافية



تصوير : شريف ذو الفقار

عرف مسرح بلادنا فرقا كاملة تقدم « الباليه » .. وهذه فتاة من احدى فرق الباليه ، تحكم ربط حذائها قبل ان يرتفع الستار عنها وعن زميلها في رقصة تالية

مسرح بلادنا يعيش هذه الايام عمرا متجدد الشباب . يسترد مكانته التي حققها عام ١٩١٧ ، عندما كان نجيب الريحاني يمثل رواية « خليك تقيل » فيرد عليه عزيز عيد برواية اسمها « كل يضحك » . في هذه الايام كان حسين رياض يؤدي دور الفتى الاول في « الطلاق » ويوسف وهبي يعمل هاويا صغيرا مع جمعية احياء فن التمثيل في رواية « الشرف المتصب » . وفي هذه الايام برزت اسماء عربية لعبت دورا كبيرا في تاريخ المسرح

وبعد ثورة ١٩١٩ حقق المسرح ازهى امجاده ، وظل يحتل مكان الصدارة بين فنوننا الى سنوات قليلة قبل الحرب الاخيرة .. حيث انكمش وترك فنونا اخرى كالسينما تخطف مجده ..

على أن السنوات الثلاث الاخيرة شهدت نهضة مسرحية مجيدة ، فالى جانب المسرح القومي بشعبتيه اللتين تقدمان أحدث المؤلفات العربية للكتاب العرب ، والمؤلفات العالمية مثل « ماكبث » و « تاجر البندقية » و « الخال فانيا » و « مشهد من الجسر » كون التليفزيون فرقه المسرحية . بدأ بثلاث فرق ارتفعت في عامين الى عشر راحت تقدم مسرحياتها على مسارح اوجدها التليفزيون كالنهر والهوسابير وغيرها ، وخطت هذه الفرق خطوة جديدة في اوائل هذا العام ، فانتقلت لتقدم مسرحياتها في الاحياء الشعبية من القاهرة ، وعلى مسارح دور السينما في هذه الاحياء ، وانتقلت الى عواصم المحافظات والمدن الكبرى من أسوان الى الاسكندرية وبور سعيد . وخلقت هذه الفرق نجوما جددا أخذوا حظهم من النجاح ، واجتذبت اليها الكثيرين من نجوم السينما والمسرح ليعملوا في اطارها وزادت هذه الايام من دائرة عملها فاذا هي تقيم مسرحا للحكيم وتقدم الروائع العالمية مثل « عطيل » و « علماء الطبيعة » .

وكان للتليفزيون أيضا فضل احياء الوانا أخرى من المسرح .. المسرح الاستعراضي والمسرح الغنائي والرقص الشعبي والباليه .. الى جانب المجهود الذي يبذله المسرح القومي والفرق التي تشرف عليها مؤسسة فنون المسرح

ان صحوة مسرح بلادنا اليوم تجعله يعيد كتابة تاريخه الذهبي من جديد ، ويصبح محور كل الفنون .. والصفحات التالية تمتلئ بالصور تذكرة من هذه الصحوة المسرحية الزاهية

عبد النور خليل



بروفة تجريها احدى فرق التلفزيون المسرحية العشر على مسرح الهوسابير .. لقد نجحت هذه الفرق لنفسها نجوما جذبوا اهتمام الجمهور

وانتقلت الى الاحياء الشعبية من القاهرة تعمل على مسارح دور السينما وعملت في كل عواصم الاقاليم

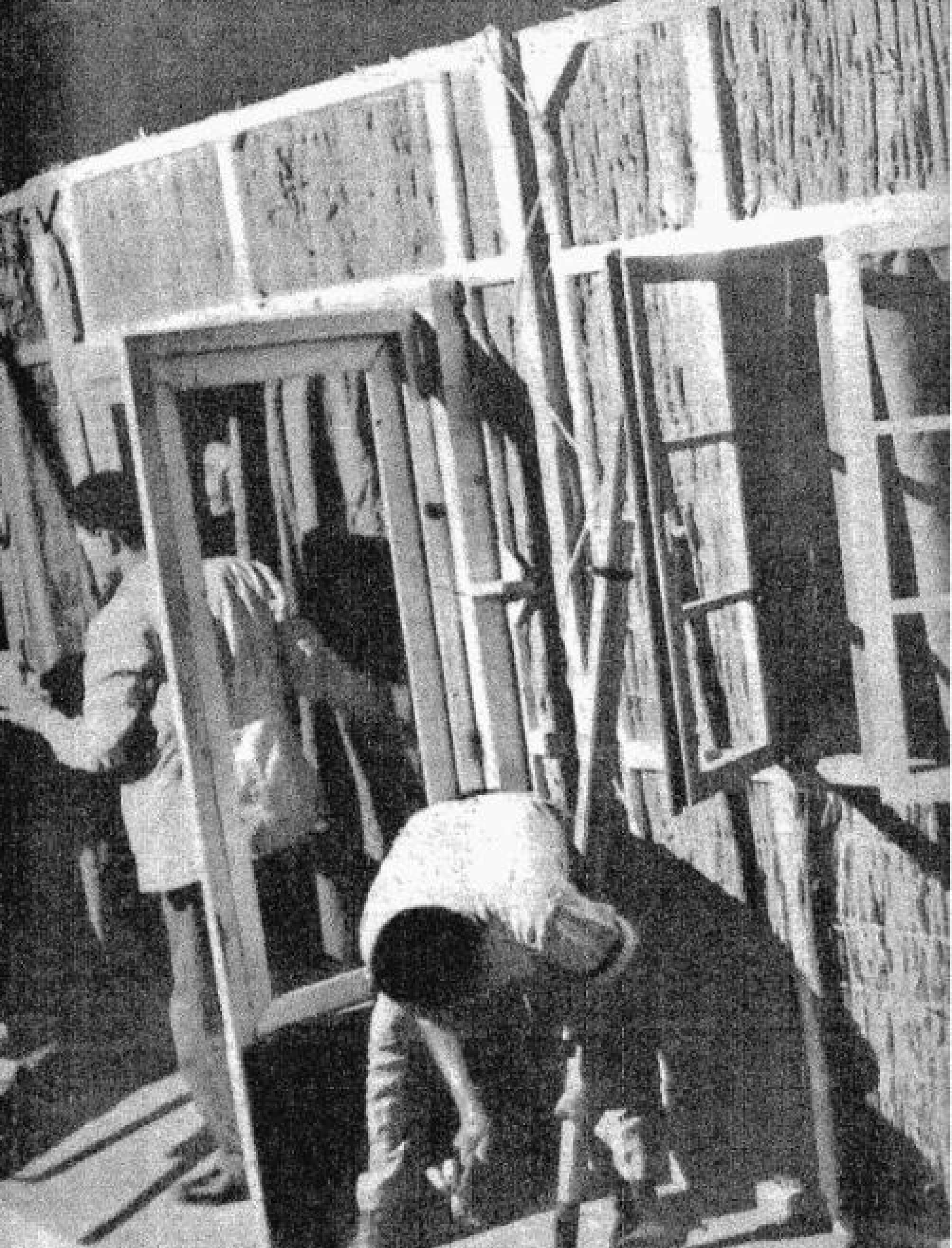


لم يكتف المسرح العربي في صحوته بتقديم الاعمال المسرحية العالمية، والمحلية ، انهذه الصحوة خلقت عديدا من الفـرق التي لم نعرفها من قبل . فرق الفنـون الشعبية والاستعراضية الراقصـة ، حتى المسرح الغنائي ولد قويا . والصورة لبعض فتيات هذه الفرق

اجتذبت الفرق الاستعراضية الجديدة مشاهيرالراقصات، وهذه الراقصة الشرقية سامية جمال في حجرتها ترتدي زي فلاحة لترقص به على المسرح



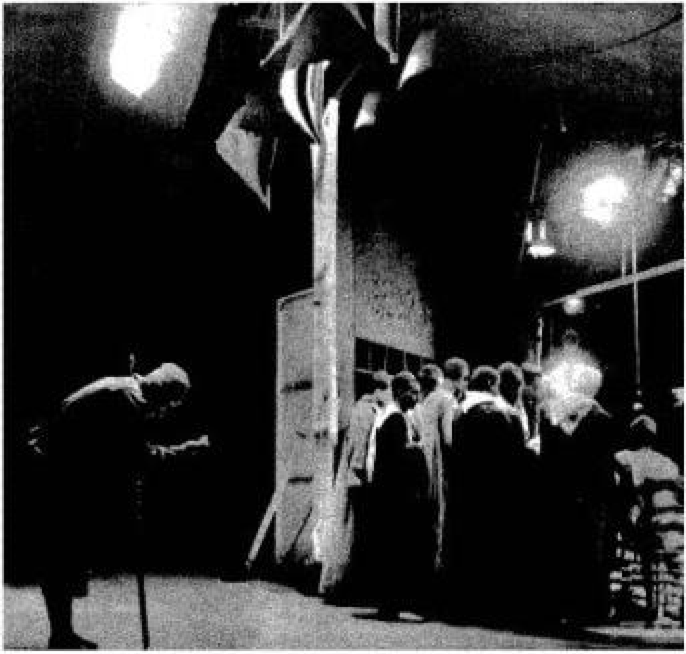




وكم من نجوم لامعين مثل عقيلة راتب ، استردهم المسرح لكي يعيد اليهم مجدهم المسرحي الذى كانت السينما قد ابعدتهم عنه . ونجح هؤلاء في أن يشعلوا حماس الجيل الجديد من المواهب التي شاركتهم الوقوف على خشبة المسرح







وهذا المسرح يقوم من جديد «الحياة الثقافية في مصر» .. تتطلب جهدا جهدا من الكتاب، والأمر المتعلق بالثقافة في [illegible] والصحف، و[illegible] القنوات في التليفزيون حول ما يقدم المسرح من الإنتاج .. إن الصورة لاحدى المسرحيات التي قدمت في هذا الموسم





أدت الفرق الجديدة : الفرق الاستعراضية والغنائية ، وفرق الباليه والفنون الشعبية دورها في امتاع الجمهـور وأثبتت بكونها جديرة بمراكزها الفنية، والصور الثلاث تكشف بوضوح عن مدى تحمس الجمهور لهذه الفرق واقبال مشاهير الفنانين على العمل معها





قصة عبد الحميد جوده السحار :

الشبابيك المغلقة!



وقف المعلم ابراهيم على باب قهوته وفي يده خرطوم الماء ، يرش الطريق وهو متجهم الوجه مقطب الجبين ، كأنما كان قابضا على مدفع رشاش ، يصوبه الى صدور الناس ، وكان يحرك يده حركات رشيقة في ثقة واعتداد ، ليتحاشى ان يبل المارة بالماء المتدفق في قوة من طرف الخرطوم النحاسي الذي كان يتألق في الشمس يبهر العيون وجاء شاب يتمشى ، حتى اذا ما اشرف على المقهى رفع عينيه الى

الطبقـــــة التي تعلوها ، كانت الشـــبابيك مغلقة عليهـــا تراب كثيف ، ينم عن انهـــا لم تفتـح من سنين ، ولمح المعلم ابراهيم عيني الشـاب المتلصصتين اللتين تجرأتا على ان ترتفعا عن مواطن قدميـه فصوب اليهما في سرعة البـــرق الماء المتســاب من الخـــرطوم ، فالتفت الشاب وهو ثائر غاضـب ناحية المعلم ، وقد همت السباب بأن تنطلق من بين شفتيه . الا انه كاد يرى الشرر المتطاير من العينين المصوبتين اليه ، وارهبته الشوارب المفتولة ، فآثر الســلامة واغتصب من نفسـه ابتسامة ، وقال :

ـ لا مؤاخذه يا معلم . حصــل خير

وانسل لا يلوى عـــلى شيء ولا يلتفت خلفه ولا يحفل بملابســه التي ابتلت ، كل ما كان يحســه ذلك الخـــوف الذى سرى فى نفسه ، خشية ان يرتفـع كرسى ويهوى على رأسه او تقتفى اثـره



منضدة من المناضد القريبة من يد المعلم . وما ان ابتعد عن الخطـــر حتى زفر فى راحة وحمد الله على نجاته ، فهو يذكر ما حدث لشاب مثله تجرأ يوما على رفع عينيــه الى تلك الشبابيك ، فقد جـدع انفه وسالت دماؤه ، ولولا تدخل الناس لبر المعلم بقسمه الرهيب الذى أقسمه ، ورن القسم مخيفا فى اذنيه : « والله العظيـــم ثلاثا لاضعن اصابعى فى عينيك» واغمض الشاب عينيه لم فتحهمـــا وهو يشهق وانطلق فى الطريق .

واغلق المعلم صنبور الماء ، ولف الخرطوم فى عناية ووضعه بيـــده فى صندوقه ، ثم جذب كرسيـــا وجلس يرقب من عليائه القادمين والرائحين ، واقبل سليمـــــان صديقه ثم قال :

ـ السلام عليكم يا معلم

فقال المعلم دون ان ينظر اليه :

ـ وعليكم السلام

وسحب سليمان كرسيـــا وجلس بالقرب منه ، وظل صامتا فقد كان معارف المعلم لا يبدءونه بالكلام الا اذا بداهم بالكلام وتبسط معهم ، اما اذا لزم الصمت فقـــد كانوا يحبسون السنتهم فى افواههم خشية غضبه الذى يثور غالبـــا لكلمة او همسة او اشارة يؤولها على هواه ، ولا يكون رده عليها الا لطمة من ظهر يده

ومرت امامه فتـــاة عـارية الذراعين ، مكشوفة الصدر ، وقد

رفعت ثوبها بيدها خشية ان يتلوث طرفه بالطين الذى غطى الطريق . ووقعت عينا المعلم على الساق العارية فبصق على الارض فى استياء ورأى سليمان الامتعاض الذى ارتسم على وجهه ، فقال فى حسرة ليتملقه :

ــ لم يعد فى الدنيا رجال

ورمقه المعلم بنظرة غاضبة، وتململ فى حنق ، وكأنما يقول له: « نحن هنا » وفهمها سليمان ، فقال معتذرا

ــ لم يعد فى الدنيا رجال مثلك يا معلم ، اصبح الرجال كلهم « نعاج »

وبرم المعلم شاربه فى زهو ثم نهض ورمى ببصره الى الشبابيك المغلقة ، ولاول مرة منذ الصباح رفت على شفتيه بسمة رضا

وسار المعلم الى الجزار والى دكان الخضرى واشترى ما يريد ثم حمل ما اشتراه بين ذراعيه وسار صوب البيت

***

كان باب البيت فى الحارة الضيقة التى تطل عليها ناحية من القهوة ، وكان مفتاحه فى جيبه لا يغادره ، واذا دخل لينام وضعه تحت الوسادة ؛ وما كان يفتح باب البيت احد غيره ، وعلى الرغم من انه كان يحكم غلقه فقد كان يرصده طوال يومه وليله ، وينقل بصره بينه وبين النوافذ المغلقة

ووضع المفتاح فى الباب واداره ثم دفع الباب الخشبى الضخم بجسمه ثم عاد واغلقه خلفه ولم ينس ان يدير المفتاح دورتين ، وانطلق فى فناء واسع تطل عليه شبابيك الدار حتى بلغ السلم، فراح يصعده فى خفة النمر حتى وصل الى الطبقة التى يسكنها ولم يكن فى الدار غيرها

ودلف الى الردهة ونادى :

ــ فكيهه، لواحظ . بنت يافكيهه

وفى مثل لمح البصر خفت اليه فتاتان ، احداهما فى الثانية والعشرين ، بيضاء البشرة ، ممتلئة الجسم ، والثانية فى التاسعة عشرة حلوة خفيفة ، يتألق فى عينيها الشباب وترفرق الصحة فى وجنتيها ، وتقدمت لتحمل ما كان بين يدى ابيها واسرعت فكيهه تعاونها ، وجاءت الام تهرول ، تحاول هى الاخرى ان تفعل شيئا لتثبت وجودها ، والتفت المعلم اليها وقال :

ــ بماذا نحلى اليوم ؟ بطيخ ام شمام ؟

فقالت الام فى سرعة :

ــ كله حلو يا معلم . ربنا يبارك لنا فيك يا سيدى

وقالت فكيهه :

ــ بطيخ

وقالت لواحظ :

ــ شمام

وانكمشت الام خشية أن ينفجر فيهما المعلم ، وراحت تنظر الى البنتين نظرات زجر ثم قالت :

— كله شهدمن ابنك يا سيدى



وانصرف المعلم دون أن ينبس بكلمة ، وزفرت الام فى راحة وانثنت تحذر بنتيها من معاودة اظهار الاختلاف امامه وقالت :

— الحمد لله .

وقف لنا نبى الساعة ! بركة سيدى البيومى

***

واتى المساء وغصت القهوة بروادها ، كان اغلبهم من طائفة المعمار وراح المعلم يحوس بين المناضد ويدور فى ارجاء المكان وحول الموائد التى انتشرت على الطوار ، يرقب الخدم ولما اطمأن الى كل شىء سحب كرسيا وجلس الى جوار بواب البيت ، وبينما هو فى جلسته تقدم منه شاب على استحياء وقال فى صوت متهدج :

— السلام عليكم يا معلم ..

— وعليكم السلام تفضل يا سرحان .

وجلس الشاب وراح يرمى المعلم بنظرات شارده ويفرك يديه ويتململ فى جلسته ويحاول أن يتحدث ولكنه لا يجد لسانه ، وفطن المعلم الى أن الشاب يريد ان يفاتحه فى امر ، فقال :

— ماذا بك يا سرحان ؟

فقال الشاب فى تلعثم :

— والله يا معلم لا ادرى شىء ، ابدا ..

واحس المعلم ان الشاب يخشاه ، فانتفخت اوداجه ؛ وقال :

— تكلم ولك الامان ..

فقال سرحان وقد اطرق ببصره :

— اريد يا معلم ان يكون لى شرف .. شرف مصاهرتك .. !

واربد وجه المعلم واطل الغضب من عينيه حتى نفرت عروق رقبته ، وقال فى انفعال :

— ماذا تقول يا سرحان ؟

وقال الشاب وهو يفرك يديه :

— اريد يا معلم أن تزوجنى احدى بناتك

وزاد غضب المعلم وقال :

— واين رأيتهن ؟

— لم أرهن . كل ما اريده أن اصاهر رجلا مثلك يعرف كيف يصون بناته

ولم تهدأ ثورة المعلم على الرغم من ان ذلك القول قد ارضى غروره ، وقال فى انفعال

— ومن قال لك ان عندى بنات يتزوجن

وتلعثم الشاب ، اكتشف ثورة المعلم اخيرا ، فراح يفكر فيما عساه يكون سبب غضبه ، بيد انه لم يهتد لشىء ، ولاح فى وجهه الارتباك ، وزاد فى ارتباكه ان صرخ المعلم فى وجهه قائلا :

— اياك ان يجرى لسانك بمثل

هذا الحديث مرة اخرى والا قطعته .. قم من امامى . قم وقام الشاب وهو يتلفت فى ذهول ، وهم بان يفتح فمه بيد انه راى المعلم يهب واقفا ويقبض على مسند كرسيه بقبضة من حديد ، فانسل سرحان هاربا قبل ان يرتفع الكرسى ليهشم راسه

***

ظل المعلم يزفر فى غيظ ورفع عينيه الى الشبابيك المغلقة واخذ يتفرس فيها ، وفى قلبه ريبة ، لعله يلمح خلفها احـدا يتحدى اوامره وينظر من خصاصها ، الا انه لم ير شيئا ، وعلى الرغم من ذلك لم يخب اوار الثورة التى اندلعت فى احشائه ، بل كانت افكاره تمدها بوقود يزيد نارها ضراما

وصعد الى البيت وهو عابس مقطب الجبين ، وخفت اليه زوجه وعرفت الغضب فى وجهه ، فقالت له فى رقة :

ـ ما الذى يغضب سيدى ؟

فقال فى انفعال :

ـ الكلب سرحان ابن ام سرحان

ـ وماذا فعل ؟

فقال وهو يطرق براسه ، كانما يفضى اليها بشىء مشين :

ـ تجرا الكلب وطلب منى بنتا من بناتى

فقالت فى حرص :

ـ وما الذى اغضبك فى هذا يا سيدى ؟

فقال فى ضيق :

ـ من قال ان عندى بنات يتزوجن ؟

فنظرت اليه فى دهشة وقالت :

ـ لو تزوجت فكيهة فى اوانها لكانت اليوم اما لثلاثة ، ولوتزوجت لواحظ

فقال فى ثورة :

ـ اسكتى .. اسكتى .. بناتى لن يتزوجهن رجل غريب

ـ ولكنه يا سيدى لن يكون غريبا بعد الزواج ، سيكون اقرب الى قلب كل منهما منا نحن

فقال وهو يرنو الى لا شىء ، وقد امتلأ غضبا :

ـ لن يغلق على بنت من بناتى ورجل غريب باب ابدا .. ابدا

ـ ولكن هذه يا سيدى هى الحياة

ـ انا لن اقبل هذه الحياة ابدا ، كيف تلتقى عيناى بعينى رجل بعد ان ينام مع بنت من بناتى فى فراش واحد .. انا لا احتمل هذا الذل .. الموت اهون ..

ـ انك تظلمهما بهذا ظلما عظيما

فقال محتدا :

ـ انا لا اظلمهما .. ماذا ينقصهما ؟ اينقصهما طعام ام شراب ؟ انا احضر لهما كل ما يشتهيان

ـ البنت تفرح بما يقدمه لها زوجها اكثر من فرحها بكل

ما تقدمه لها .
وان كان . .
ولم يتركها تتم حديثها بل صاح فيها :



ــ اخرسي .
لا اريد ان اسمع شيئا . لن تخرج بنت من داري الا الى القبر . هذا قراري وما جرأ أحد على أن يعصى لى امرا

وذهب الى فراشه ، وسارت خلفه دون ان تنبس بكلمة ، امسكت لسانها فقد علمتها طول عشرته انه اذا اتخذ قرارا فلا يحيد عنه وان انطبقت السماء على الارض ، ورأته يهم بان يصعد الى سريره ، فقالت :

ــ اعد العشاء ؟

فقال وهو يزفر فى غضب :

ــ سد نفسى ابن ام سرحان ، الله يسد نفسه

***

وتمدد فى فراشه وحاول ان ينام ، بيد ان افكاره راحت تعذبه وتطير النوم من عينيه ، كان يرى سرحان يضم فكيهة اليه مرة ، ويضم لواحظ الى صدره مرة اخرى ، ورآه معهما فى فراش واحد فى أوضاع تجعله يستشعر بالدماء تتدفق الى مخه حتى تكاد تفجره

وهب من سريره وانتصب فى منتصف الغرفة وهو يصيح فى غضب وضيق وثورة :

ــ الله يخرب بيتك يابن ام سرحان

وخفت اليه زوجه وقالت له :

ــ اهدأ يا سيدى وانس ما قال

ــ كيف انساه . قد اذلنى ابن ام سرحان

وتمدد فى فراشه وراحت زوجه تمرر يدها على راسه وتضمه الى صدرها لتطرد الافكار التى احتلت خياله ولكن هيهات

***

وفى الصباح اجتمعت الام وفكيهة ولواحظ بعد ان احضر لهما المعلم اللحم والخضار والفاكهة ، واخذن فى تقشير البطاطس وكانت الام تنظر اليهما فى اشفاق ، وبينما كن يتبادلن الحديث اليومى ، اذا بلواحظ تقول لامها فجاة :

ــ اريد يا امى أن اخرج من هذا السجن يوما ؟

واحست الام كأن شيئا ثقيلا سقط فى قلبها ، وقالت وهى شاردة البصر ، تتحاشى أن تلتقى عيناها بعينى ابنتها اللذين تألقتا ببريق الرغبة :

ــ واين تريدين ان تذهبى يا لواحظ

ــ الى اى مكان غير هذا المكان. سئمت يا امى هذه الحياة ، اريد

ان اشم هواء غير هذا الهواء ، ان ارى حيطانا غير هذه الحيطان

فقالت الام في خوف :

ـ لواحظ . اياك ان يسمع ابوك هذا القول

ـ وماذا سيفعل اذا سمعه ؟

ـ سيذبحنا كلنا يا لواحظ . اعقلي يا بنتي اكراما لي

وصمتت لواحظ وان كانت الافكار تنثال على راسها ، وراحت فكيهة تنظر الى اختها الصغرى في اعجاب ودهش ، انها تحس ما تحس ولكن لم يدر في خلدها يوما ان تثور على الحياة التي تحياها ، بيد ان ما قالته لواحظ اطلق لخيالها العنان ، ومدها بشوق تواق للفرار من السجن الذي عاشت فيه اكثر من عشرين سنة

ومر الوقت وجاء الاب وجلس وحده يتناول طعام الغداء وما انتهى منه حتى تقدمت اليه لواحظ وقالت :

ـ اريد يا ابي ان اخرج اليوم

وحس المعلم كأن تيارا كهربيا سرى فيه وصعقه ، فظل ينظر اليها لحظة وهو في دهشة ، ثم قال :

ـ ما شاء الله ! واين تريدين ان تذهبي ؟

فقالت في ثبات :

ـ اريد ان اخرج معك او مع امي الى اى مكان ، أريد ان ارى الدنيا كما يراها الناس

وارتفعت يده وهوت على وجهها ، فدوى صوت اللطمة دويا انخلع له قلب الام ، وجعل فكيهة تنكمش في مكانها ، وقال :

ـ والله لاذبحنك ذبحا اذا سمعت منك قلة الادب هذه مرة اخرى

واسرعت زوجه اليه وقالت :

ـ سامحها يا سيدى ، انها لا تعرف ما تقول

ونظر الى زوجه نظرة كلها شر ، وقال :

ـ تريد ان تخرج معك ! عشنا وسمعنا !

وغادرت لواحظ المكان ، وذهبت الى غرفتها وانسلت فكيهة خلفها ، وقالت لها :

ـ ما كان اغناك عن هذا القول وانت تعلمين انه لن يرضى بخروجنا ابدا

فقالت لواحظ في حزم :

ـ انتهى ما كنت اخشاه . سأخرج ولو اضطررت الى الهرب من هذا البيت

ـ لواحظ ! اجننت ؟ لعل اللطمة اطارت صوابك

ـ انها اعادت الى عقلي

ـ وكيف ستخرجين من هذا السجن وهو كالسجان يغلق الباب بالمفتاح كلما خرج وكلما دخل ؟

ـ فكرت في كل هذا وقد وجدت مخرجا

وراحت لواحظ تفضى الى اختها بخطتها وجاءت الام واستمرت

لواحظ فى حديثها دون ان تخشى شيئا ، وقالت الام فى رعب :



ــ والله يا لواحظ لو عرف أبوك ما تفكرين فيه لذبحك

فقالت لواحظ فى هدوء :

ــ انى لا افكر بل سانفذ الفكرة .. الان

وسارت لواحظ واعترضت الام سبيلها وهى تقول :

ــ لواحظ . ارجوك . اعقلى . سيذبحنا ، والله لن يتردد فى ذبحنا جميعا

وقالت فكيهة :

ــ دعيها يا امى انى ذاهبة معها

***

انسلت الفتاتان من الغرفة وهبطتا الى فناء الدار وانطلقتا ناحية تكعيبة العنب واخذتا فى نقب الجدار الذى يطل على حارة خلفية

واستمرت الفتاتان فى العمل ، حتى اذا ما رفع من الجدار أول حجر اطلت لواحظ الى الحارة فى فرح وهرولت فكيهة مبتعدة فى خوف وشبح ابيها يبدو لها اينما ولت وجهها فينزل بقلبها خوف ويجف حلقها من الهلع

واستأنفت لواحظ العمل فى عزم ووقفت فكيهة بعيدا وهى تنظر ، ثم جمعت اطراف شجاعتها وتقدمت تعاون اختها وجاءت الام تصرخ وتولول وتقول :

ــ انتهينا .. انتهينا ..

وفتحت فتحة فى الجدار تسمح بمرور شخص وانسلت لواحظ منها ، وفكيهة ترنو اليها فى خوف واعجاب ، والام تتلفت فى ذهول تكاد تسقط مغشيا عليها

وحان ميعاد حضور الاب ولم تعد لواحظ ، فاخذت الام تغدو وتروح تكاد تموت من الخوف ، واخذت تردد :

ــ ضعنا .. ضعنا ..

وسمع وقع اقدام المعلم تقترب فالتفت الام الى فكيهة ، وقالت لها :

ــ ادخلى الحمام حالا واغلقى الباب خلفك

وظنت فكيهة ان امها تريدها ان تتحصن من غضب الاب ، فانطلقت الى الحمام مرعوبة ، واغلقته خلفها وهى ترتجف من راسها الى قدمها ، ودخل الاب وقال :

ــ أين البنات ؟

ووضعت فكيهة اذنها على الباب وقلبها يقفز فى رعب فى صدرها ، وبلغ سمعها صوت الام وهى تقول :

ــ فى الحمام

فاحست فكيهة راحة ، فامهما معهما فى ثورتهما ، اخفت عن الاب غياب لواحظ . ترى اين انت يا لواحظ الآن

وفى جنح الليل دخلت لواحظ من النقب الى فنـاء الدار ، وسارت على اطراف أصابعها الى غرفتها ولحقتها الام فزفرت فى راحة ، وخفت اليها فكيهة تسمع منها انباء مغامرتها وهى مشدوهة، كانت كلّ عواطفها معها وكان خيالها يمد ما تقوله لواحظ بظـلال جميلة ، فتهيم فى رؤى مجنحـة تملأ النفس بالرضا والامل

وفى الصباح انسلت فكيهة من النقب دون ان تصغى الى تهديد امها ووعيدها ، فقد ايقنت أن لسان الام عليهما وقلبها معهمـا ، وراحت تجوس الطرقات كأنمـا تهيم فى عالم مسحور ، وكانت مغازلة الرجال لها تدغدغ حواسها وتوقظ فى نفسها مشاعر جميلة تهفو اليها كل خلجة من خلجات نفسها

***

وذات صباح راحت لواحظ تغرى امها بالخروج وتزين لهـا التمرد على اوامر الاب الجائرة ، قالت :

ـ أمى الدنيا جميلة فى الخارج، حرام ان تدفنى نفسك بنفسك

فقالت الام فى خوف :

ـ لا يا لواحظ ، انى راضية بحياتى

ـ هذه ليست حياة ..

فقالت الام وهى ترتجف :

ـ انى سعيدة ، فلا تنغصى على حياتى

وطفرت من عين الام دمعة ، كانت تتوق بكل جوارحها الى الخروج، الى الانطلاق من الاسر الذى عاشت فيه ، بيد انها كانت أضعف من ان تستجيب الى نوازع نفسها

وعادت لواحظ ذات ليلة وقد غاض لونها ، فخفت اليها فكيهة وقالت لها :

ـ ماذا بك يا لواحظ ؟

فابتسمت لواحظ وقالت :

ـ لا شئ يوجب الجزع

ثم راحت تقص على اختهـا مغامرتها مع رجل دعاها الى بيته واخذت تسهب فى وصف ما كان بينه وبينها ، وما كان فى صوتها رنة اسى ، بل كانت تموج بالفرحة، فقالت لها فكيهة فى استنكار :

ـ لا يالواحظ . ما كنت اظن ان يصل الامر الى هذا .

فقالت لواحظ فى حقد :

ـ لقد انتقمت لنفسى منه

فقالت فكيهة فى رعب :

ـ من من ؟

ـ ممن سجننا ، من المعلم

وطافت بفكيهه موجة عارمة من الرهبة ، بيد ان الوصف المثير الذى وصفته لها لواحظ ملك كل عواطفها وفى صبيحة اليوم التالى كانت فكيهه تنطلق فى الطريق وقد اسرفت فى زينتها فدنا منها رجل وراح يغازلها ، وما اسرع ما استجابت لندائه .

وعرف شباب الحى طريقه الى لواحظ وفكيهه وطافت الفتاتان بغرف طلاب المتعة ، وأرضى المعلم ان خبت الثورة التى أطلت براسها

ذات ليلة ، والتى حسب انه قضى عليها بلطمة من يده

***

وذات يـوم جلس المعلم امام مقهاه شامخا ، ينظر من عليائه الى الغادين والرائحين وفى نظراته زراية للبشر جميعا ، واقبل صـديقه سليمان ، وقال :

ـ السلام عليكم يا معلم

فقال المعلم وهو يبتسم

ـ وعليكم السلام يا ابا داود

واحس سليمان ان المعلم مقبـل عليه ، فدنا منه وقال

ـ ابلغتك الفضيحة .

فقال المعلم فى اهتمام :

ابة فضيحة ؟

فرار بنت مصطفى النجار مع ابن عمها وزواجهما فى القسم

فقال المعلم :

ـ اعوذ بالله . وماذا فعل مصطفى النجار ؟

فقـال سـليمان وهو يضـحك ساخرا :

ـ بصم فى القسم وهو كالجردل بأن لا يتعرض لهما

فقال المعلم فى زراية .

ـ ما اكثر المغفلين فى البلد

ثم التفت الى الشبابيك المغلقة وقال :

ـ صون النسـاء بعـد الرجال عنهم .

فقال سليمان متملقا :

ـ حكم ، لم يعد فى الدنيا رجال مثلك يا معلم

فقال المعلم وقد انتفخت اوداجه غرورا :

ـ الرجال قليل يا ابا داود .

انا بيتى لا يعرف طريقـة الذباب الازرق ثم انتصب واقفا وعاد ينظر الى الشبابيك المغلقة وقد ارتسمت على شفتيه بسمة عريضة

معقول !

ذهب جماعة من سكان المدن الى مزرعة نموذجية ، وادهشـهم على الخصوص ذلك النظام الدقيق الذى يسود حظائر الابقار ، وصاحت احدى الزائرات متعجبة :

ـ اليس هذا اعجب شىء فى الدنيا ، ان تعرف كل بقرة مكانها بالضبط فى الحظيرة فتعود اليه من تلقاء نفسها مع وجود مئات الابقار فى حظيرة واحدة ضخمة هكذا ؟

فلكزتها امها وقالت لها بعتاب :

ـ وماوجه الغرابة فى هذا ياجاهلة ؟ الا ترين ان اسم كل بقرة مكتوب فوق مكانها المخصص ؟!

دائرة معارف الهلال

الديموقراطية المظلومة !

يظلم الديموقراطية من يسومها اخراج العسل من قصب السكر ومن الثوم وبنسبة واحدة أيضا من الحلاوة والنقاوة !

ان الديموقراطية تعنى تكافؤ الفرصة ، ولكن تكافؤ الفرصة لا يعنى تكافؤ النتائج بين غير الاكفاء . وقصارى ما يطلب من تكافؤ الفرصة الا تضيع فرصة على ذى موهبة .. فى حين ينال غير ذى الموهبة فرصة طائلة لا يستحقها . فمن حق كل ذى أذن موسيقية أن يجد تعليما موسيقيا مناسبا لموهبته . ولكنها مهزلة ولا شك أن يطالب كل ذى اذنين بهذا التعليم الموسيقى ، حتى ولو كانت اذناه لا تميزان بين « الدو » و « الفا »

وعلى هذا القياس من حق كل ذى موهبة نظرية واضحة المعالم ان ينال حظه المناسب لموهبته من التعليم النظرى العالى ، فى علم أو أدب أو فلسفة أو رياضيات أو قانون . ولكن من المسخ لمفهوم الديموقراطية ان يصر كل فرد على هذا النوع الخاص من التعليم ، لمجرد انه يعرف فك الخط وجدول الضرب وسائر المعلومات التى تؤهله للقبول فى مدرسة اعدادية ، وهو لا يتمتع باستعداد عقلى نظرى ، وليس لديه حب أصيل للمعرفة العقلية والبحث النظرى .. وانما هو التطلع الأعمى لشارة العلمية وما تضفيه الشهادة العالية على صاحبها من هالة براقة

ان من الابتذال الذى لا شك فيه للعلم ان يعيث فى محاريبه من لا يعرف قدره ولا يشعر بحاجته العقلية اليه ومن لا يقدر ولا يشعر . والوضع الصحيح ان يكون التعليم العقلى الرفيع متاحا لمن يعشقه حبا له ، ولا يعتبره مجرد وسيلة الى جاه او مظهر

أن الديموقراطية الصحيحة تأبى هذا الهوان للعلم ، لانه هوان يؤخر ركب البحث العلمى .. وهى حقيقة يعرفها كل من جرب شد جواد أصيل وحصان هزيل الى عربة واحدة .. فان الهزيل يعوق الاصيل ، ولا يفلح الاصيل فى رفع مستوى الهزيل ..

ان الديموقراطية الصحيحة هى التى تضع كل انسان فى موضعه الحق ، ولا يمكن أن يكون معناها تحويل كل خلايا الجسم الى مادة سنجابية فى المخ . والغاء العضلات والعظام والشعر والأظافر والغضاريف !

أخبار الموضة :

استقبلي الربيع بمجموعة جديدة من الانسامبل

كل سنة وانت طيبه

ان خبراء الموضة يمنحون اليك باسيدتي بتحياتهم الرقيقة ، وتحياتهم دائما لك تكون على شكل زهور أنيقة زاهية الالوان .. تجعل منك رشيقة وأنيقة .. ولتعمر الزهور أيضا

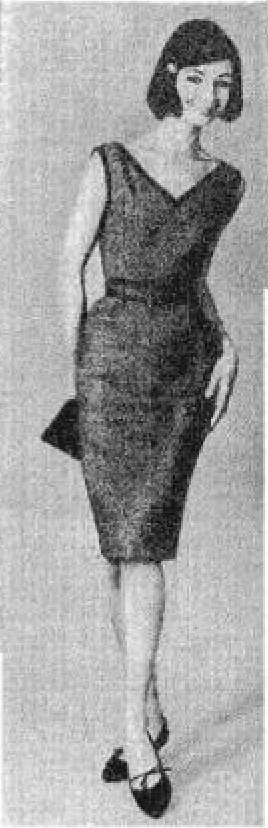
وقد اخترنا لك مجموعــة جميلة من تحياتهم الرقيقه .. نبعثها اليك مع تحياتنا على هذه الصفحات ٢٤ تصميمة « .. والبقية تاتي .. !



باقـة عطرة ورقيقـة من الانسـامبل يمكن لبسها في الصباح مع بلوزة او بلوفر .. وبدون البلوفر او البلوزة يتحول الانسامبل الى فستان أنيق في الامسيات الدافئة .. كما هـو واضح على هاتين الصفحتين .. !









انسامبل جميل .. يمكن لبسه بدون بلوزة كما هو واضح فى الصور الثلاث ، ويصلح للصباح وبعد الظهر . خطوطه بسيطة ، ويمكنك ياسيدتى ان تفصليه فى بيتك

وهذه مجموعة اخرى من « الانسامبل » زاهية الالوان تماما كزهور الربيع .. انها تناسب كل الاعمار .. والاوزان ايضا .. ويمكنك لبسها فى الصباح والامسيات والسهرات ◀



٧٠١٣

أشواك الحب

للكاتب الامريكي الكبير : أوهنري

نشأ « جو لارابي » في الطبقة الوسطى الصغيرة في ولايات الغرب الوسطى من عائلة أدنى الى الفاقة منها الى اليسار .. وفيه نزعة قوية الى فن التصوير . حتى انه وهو في سن السادسة رسم صورة لاحد اعيان البلدة وهو يمر امام مضخة الحريق الكبيرة ، فنالت الصورة اعجاب الناس واشتراها الصيدلي وعلقها في واجهة متجره بين نماذج المأكولات المحفوظة وسنابل القمح الخضراء التي يتفاءل بها الناس من بواكير المحصول في كل عام

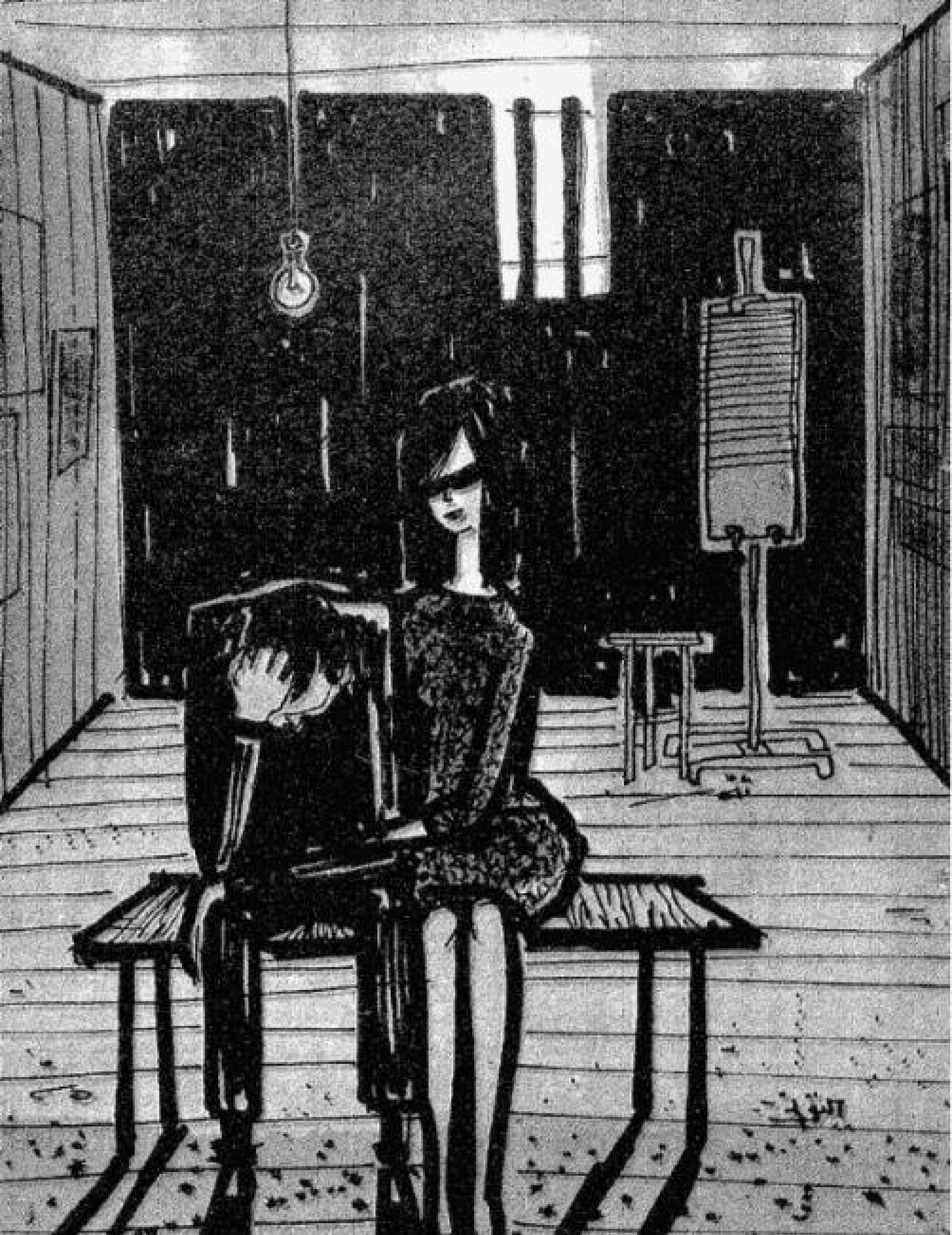
وما أن ناهز العشرين من عمره حتى غادر بلدته السحيقة الى نيويورك وقد تدلت حول عنقه ربطة كبيرة منهافة ، واستقرت في جيبه حافظة بها رأس مال لا بأس به من مدخرات الوالدين . وشيعته الدعوات والآمال العريضة الى المدينة الكبرى

و « دليا » فتاة نشأت في قرية من قرى الجنوب .. واظهرت منذ نعومة اظفارها تفوقا بارزا في العزف والغناء . فاكتتب ذووها الفقراء حين بلغت السابعة عشرة كي ترحل الى الشمال حيث مناهل الفن العظمى لتستكمل هناك ثقافتها وتغدو يوما ما بلبلا من البلابل الصداحة التي تتردد انغامها واسماعها في جنبات القارة الامريكية

وقدر « لجو » و« دليا » أن يلتقيا في نيويورك في ندوة من الندوات التي يجتمع فيها طلاب الفن وطلاب الموسيقى للنقاش في اعمال : واجنر ورامبرت . والصور التي تزخرف بها اوراق الحيطان ، وموسيقى الموالد والاعراس والمارشات . وما ادرى ماذا ايضا من ببغائيات الشبان الذين يدرسون الموسيقى والرسم .. !

وافترم « جو » و « دليا » احدهما بالآخر . او كلا منهما بالآخر ... فالمهم أنهما وجدا نفسيهما بعد وقت قصير زوجين !

وبدأت حياة مستر ومسز « لارابي » في شقة صغيرة . ليست تحت مستوى الارض بكثير . فهي بمعزل في ذلك البدروم عن بقية المساكن في المبنى . ولكن الزوجين الشابين كانا لا يلقيان بالا الى تلك العزلة . بل لعلهما كانا يرحبان بها لما وجداه فيها من دواعي الالفة



واجتماع الشمل . ثم يجب ألا ننسى أنيسهما المشترك بل معبودهما المشترك . وهو الفن الذى يحبه كلاهما . فلو سئلا عن نصيحة يوجهانها الى الناس لقالا :

ــ ايها الشبان الاغنياء من الجنسين . فليذهب كل واحد وكل واحدة منكم وليبع كل ما يمتلك من حطام الدنيا ثم فليوزع ثمنه على الفقراء . ليحتذى مثالنا ويكون قلبه خالصا للحب والفن ! وليصدقنى سكان القصور



والمساكن الفسيحة والطوابق العالية والبساتين الفيحاء ان الحب ينسى الانسان ضيق المسكن . فصاحبنا « جو » لم يكن يزعجه قرب الحيطان بعضها من بعض . بل لعله لم يكن يكره ان يقع بعضها على بعض مادامت « دليا » بين ذراعيه

وكان « جو » يتدرب على الرسم لدى الاستاذ العظيم صاحب الشهرة المستفيضة . وكان أجر هذا الاستاذ عاليا جدا . ودروسه خفيفة جدا . واجتماع الارتفاع فى الاجر مع الخفة فى الدرس لابد ان يجلب الشهرة لاى استاذ فى بلد مثل نيويورك !

وظل الشابان سعيدين على مدى الايام التى ثبتت فيها النقود امام نفقات نيويورك ونفقات الحب الشاب . وكانت آمالهما الكبار منعقدة اولا وقبل كل شيء على نجاح « جو » فى أقرب وقت فى اخراج لوحات ملونة تعجب السادة الافاضل النقاد . ومن ثم تعجب السادة الافاضل المشترين فى معارض الفنون . وفى الوقت نفسه تكون « دليا » قد اتمت أو كادت تدريبها على الموسيقى وصارت لها سمعة تدفع المتعهدين الى التعاقد معها لآجال طويلة . وتسمح لها اذا وجدت القاعة ذات ليل نصف خاوية ان تتعلل بنزلة برد عارضة وتتناول عشاء لذيذا من الجمبرى غير ملقية بالا الى توسلات المتعهد ومدير المسرح !

ولعل ابدع مافى حياة الزوجين الشابين هو تلك الاحاديث الطلقة الظريفة التى تتدفق بالحيوية والامانى والاشواق بعد الانتهاء من كد العمل ، فى الدراسة والتمرين ، وهما يتبلغان بشطائر الزيتون والجبن فى الساعة الحادية عشرة من كل مساء

ولكن الايام كذبت الآمال .

ولم ينبجز الفن وعوده الكبار
وسرعان ما أعوزهما المال ليدفع
« جو » أجر استاذه المرتفع ولتدفع
« دليا » اجر الهر« روز نستوك».
فقررت « دليا » ان تعطي دروسا
خاصة في الموسيقى لتستعين بذلك
المورد على نفقات المعيشة واجور
الاستاذين ..

وظلت « دليا » تجوب اطراف
نيويورك ثلاثة أيام تلقي شباكها
لتصيد التلاميذ . فكانت الشبكة
تخرج خاوية . فلما كان اليوم
الرابع عادت « دليا » متهللة
الوجه . وهتفت بقرينها الشاب
وهي في اقصى حالات السرور
والطرب :

ـ اخيرا ياعزيزي « جو »صارت
لي تلميذة ، ولله ما أطرف هؤلاء
الناس ! انها كريمة الجنرال) ت
. بنكني . ومنزلهم في الشارع
الحادي والسبعين. وياله من منزل
ياعزيزي « جو » ؟ آه لو رأيت
الباب الامامي . أظنه من الطراز
الذي تسميه انت البيزنطي . وآه
ياجو لو دلفت داخل البيت ! اني
في حياتي كلها لم أر شيئا بهذه
الابهة والفخامة ! وتلميذتي اسمها
كليمنتينا . وقد احببتها من أول
لقاء فهي رقيقة . ترتدي البياض
على الدوام . وشمائلها أعذب
وأرق وأبسط مالقيت في حياتي
من الشمائل ! وسنها ؟ لاتزيد على
الثامنة عشرة .. وساعطيها ثلاثة
دروس في الاسبوع . تصور ياجو
ان اتعاب الدرس الواحد خمسة
دولارات . وهذا يعني خمسة عشر
دولارا في الاسبوع . فلو آتيح لي
الحصول على تلميذتين مثلها
لاستطعت ان استأنف دروسي على
يدي الهر « روزنسوك » . والآن
يا حبيبي جو اصرف من فضلك هذه
القطوب والغضون عن جبينك الوضاح
وهيا بنا نتناول عشاء لذيذا
شهيا

وقال جو وهو يبتسم على مضض
ويهجم بالشوكة والسكين على
الطعام الذي جاءت به معها :

ـ هذا شيء لابأس به بالنسبة
لك . ولكن ماذا عني أنا اتظنينه
مما يروق لي أن اتركك تكدحين
في سبيل المال وأنا أحلق خلي
البال في سماوات الفن العليا ؟
كلا وحق عظام تشليني في ثراه
الطيب ! انه ليسعني ان ابيع
الصحف أو أصنع اي شيء من ذلك
القبيل في سبيل الحصول على
دولار من هنا ودولارين من
هناك !

فنهضت « دليا » ووقفت وراء
ظهره وهو يأكل وطوقت عنقه من
خلف بذراعيها وقالت له :

ـ ماأشد بلاهتك ياعزيزي جو!
ان الواجب الاوحد عليك هو
الاستمرار في دراساتك الفنية
.. ولا يخطرن ببالك أنني بعملي
الجديد قد هجرت الموسيقى كل
الهجر . فانى أستفيد وأتعلم من
ممارسة التدريس . والصلة بيني
وبين الموسيقى غير منقطعة .
والدولارات الخمسة عشر تكفينا

وزيادة نحن الاثنين . فينبغي الا تفكر في الانقطاع عن استاذك

فقال جو وهو يمد يده ليقرب من متناوله صحفة الخضر واللحم :

ليكن ماتريهدين . وان كنت اكره لك الاشتغال بالتدريس . فالتدريس ليس فنا . ولكن شهامتك هي التي دفعتك الى هذه التضحية الجليلة وهذا شيء لن يغيب عن بالي ..

ـ من يعمر قلبه الحب لا يبالي ان تدمى يديه أشواكه



ـ واني متفائل على كل حال . فقد اطرى الاستاذ طريقة تصويري للسماء في لوحة « البستان » . ووعدني ان يعلق بعض لوحاتي بين المعروضات قريبا . فليس بعيدا ذلك اليوم الذى اتكسب فيه من فرشاتي

ـ انا واثقة بهذا الآن وقد فرغنا من عشائنا هيا بنا نركع ونصلي شكرا لله لانه قيض لنا الجنرال « بنكني » ودولاراته التي نشترى بها لحم الرستو ؟

وخلال الاسابيع التالية كان جو وزوجته يتناولان طعام الافطار في ساعة مبكرة جدا لان جو كان مهتما بتصوير الاطياف الاولى لاضواء النهار في الحديقة العامة .

وقبل السابعة صباحا كانت « دليا » تودعه عند الباب ممتلىء المعدة بالطعام مدثرا بالثياب مزودا بالقبلات والمداعبات والابتسامات التى تتضاءل بجانبها أضواء الصباح الوليد . وكانت تداعبه احيانا بقولها ان الفن عشيقة مستبدة للرسام ولكن ما من زوجة عاشقة احبت ضرتها وجهزت زوجها لعناقها كما تفعل هي

وفي معظم الايام كانت عودة جو للبيت بعد السابعة مساء . فيعود منهك القوى . وتلاطفه « داليا » وتعاتبه بغيرتها المصطنعة من تلك الضرة الجبارة التي تستنزف قوى زوجها الشاب !

وبعد الاسبوع الثاني من ذلك الجهد المضنى اخرجت « دليا » بكل فخر من صدرها ثلاثين دولارا القت بها فوق المنضدة الصغيرة وقالت :

ـ في سبيل هذه احتملت بطء فهم كليمنتينا وكسلها .. !

وفي صمت وبعنجهية أخرج جو عشرين دولارا القى بها على المنضدة

فوق دولارات « دليا » ، وقال بزهو :

ـ هذا ثمن صورة المسلة المصرية التي اشتراها رجل أبله من بلدة « بيوريا » .

وتعلقت دليا بعنقه وقبلته ، فقال :

ـ والمدهش ان هذا الابله طلب نسخة اخرى منها وثلاث صور لقوارب صيد . ووعد بدفع ثمنها تباعا . بهذا المعدل العالي

وتركت دليا عنقه وراحت ترقص حوله في جذل لا مزيد عليه . الى ان صاح بها زوجها :

ـ كفي رقصا الآن ايتها البلهاء الصغيرة . الا ترين انه لم يتجمع بين يدينا من قبل مثل هذا المبلغ الضخم فضلا عن المستقبل الوردي المفتوح امامنا . يجب أن نحتفل بهذا اليوم العظيم !

ـ ألم اقل لك ياحبيبي جو ؟ الم أقل لك ان اليوم الذي سيتهافت فيه المشترون على روائعك الفنية قريب ؟ لولاي ولولا معارضتي لكنت تركت مستقبلك الفني الباهر لتبيع الصحف . أو مالا أدري من الاعمال المبتذلة .. !

ـ الفضل لك طبعا طبعا ! ونخب هذا الفضل هو الذي سنشربه الليلة من زجاجة الشمبانيا التي سنشتريها الآن ..

***

وفي نهاية الاسبوع التالي من مساء السبت وصل « جو » الى البيت قبل « دليا » ، ووضع دولاراته العشرين فوق المنضدة الصغيرة . ثم غسل يديه من الطلاء الاسود الذي كان عالقا بهما .

وبعد نصف ساعة وصلت « دليا » وقد أحاطت بيدها اليمنى لفافة ضخمة من الضمادات . وسألها ملهوفا :

ـ ماذا حدث ؟

ـ انها نزوة من نزوات كليمنتينا فهي كما تعلم غريبة الاطوار . وقد أصرت الليلة بعد انتهاء الدرس على تناول نوع من الحساء على الطريقة الايرلندية . وعبثا قلت لها ان الساعة الخامسة ليست مناسبة لذلك الطعام فكادت تبكي .

واصر الجنرال على تلبية رغبة وحيدته اليتيمة المدللة واخذيعاونها بنفسه في المطبخ فاليوم السبت كما تعلم وجميع الخدم في عطلة . وما ان فرغنا من اعداد الحساء على النار حتى صفقت كليمنتينا طربا . وبحركة يديها الطائشتين قلبت الحساء من فوق الموقد على يدي فاحرقتها .. واندفع الجنرال كالمجنون غير مكترث بأناقته ووقاره وشيخوخته وتاريخه العسكري المهيب ـ وشقيقه كما تعلم سفير في بوليفيا ـ واجتاز الشارع بسرعة الى صيدلية جاءني منها بمرهم ملطف وقطن وضمادات .. وهي الآن لا تؤلمني كثيرا

ورفع جو يدها المربوطة برفق وقبل أطراف أناملها . ثم برفق أيضا جذب شعرتين بيضاوين من تحت الضمادة وسألها وهو

يتاملها :

— ماهذا :

— شيء ناعم . نوع من القطن فيما أظن مغموس في زيت ملطف أو مرهم لا ادرى . ليس هذا مهما .. هل بعث لوحة اخرى هذا الاسبوع ؟ ما اسعدك

— طبعا . كان هذا موعدي مع ذلك الرجل البدين القادم من بيوريا .. ولكن في اى ساعة بالضبط احترقت يدك ؟

— في نحو الساعة الخامسة فيما اظن ..

— اجلسي هنا لحظة يادليا ...

وبرفق شديد أخذها الى الاريكة وارقدها وجلس بجوارها واخذ يدها المضمدة بين يديه بحذر شديد وسألها :

— صارحيني يادليا ماذا كنت تصنعين طيلة هذه الاسابيع الثلاثة ؟ أصدقيني القول ..

واستطاعت ان تثبت عينيها المتيمتين في عينيه بعناد وهي تغمغم بعبارات متقطعة عن الجنرال العجوز وابنته التي تسعل ومن اطوارها الغريبة ونزواتها . ولكنها فجأة أحست بعدم جدوى ذلك كله وطفرت الدموع من عينيها وخرجت من شفتيها كلمة الصدق :

— لم استطع الحصول على تلاميذ . ومن الذى يثق بفتاة ناشئة كي تعلم ابنته . ولم استطع ان احتمل انقطاعك عن دراسة فنك المحبوب وتخليك عن مستقبلك الباهر . وقرأت اعلانا على واجهة مغسل كبير في الشارع الرابع والعشرين يطلب فتاة تسوى القمصان . والتحقت بالعمل . واعتقد أنني افلحت في ابداع شخصيتي الجنرال وابنته كلمنتينا .. ألست ترى ذلك ياعزيزى جو ؟ وبعد ظهر اليوم اخطأت احدى زميلاتي فوضعت المكواة فوق يدي . فظللت طول الطريق الى هنا احبك قصة الحساء الايرلندى . قل لى ياحبيبي « جو » انك لست غاضبا على أ أليس الفضل لهذا العمل في انك بعت لوحاتك وصرت رساما يقبل عليه المشترون ويفتح له المستقبل الباسم ذراعيه ؟ ولولا انني اعترفت لظللت تجهل الحقيقة

— هذا صحيح لولا انني اعرف هذا النوع من القطن . فهو من القطن التالف . وانا الذى غمسته في الزيت في حجرة الآلات بعد ظهر اليوم حيث أعمل وقادا في المغسلة الكبرى بالشارع الرابع والعشرين .. عندما هبطت فتاة من الطابق العلوى وطلبت شيئا تداوى به حرقا اصاب يد احدى زميلاتها العاملات ..

— أوه ياجو .. الا وجود اذن لذلك الرجل البدين من بيوريا ؟

— بل يوجد . ولكنه ليس من بيوريا بل من بلد آخر هو الذى ينتمى اليه الجنرال وابنته العليلة غريبة الاطوار

— لا عليك . فعندما يكون القلب عامرا بالحب . لا يبالى المرء ان تدمى يداه باشواكه

بلاد تختار عشماوى من العرسان الجدد



وبلاد تحاكمه بعد التنفيذ..!

بيرو ان بالعالم افرادا تجيش في نفوسهم رغبة ملحة وجامحة كي يزاولوا مهنة الجلاد ، فبمجرد ان اعلنت الصحف بامريكا عام ١٩٢٦ ان جلاد سجن سينج سينج الرهيب استقال من عمله ، تلقى مامور السجن ٧٠٠ طلب ، معظم اصحابها ليست لهم خبرة بالقتل او الاعدام بالكرسي الكهربائي ، بل وعرض بعضهم العمل بأجر مخفض . وفي عام ١٩٥٣ كشفت لجنة ملكية في بريطانيا عن حقيقة مذهلة . كانت السلطات تتلقى طلبات من اشخاص يريدون شغل وظيفة جلاد بالرغم من عدم وجود وظائف شاغرة ، وكانت الطلبات بمعدل خمسة في الاسبوع ، بحيث اضطرت اللجنة الى اصدار البيان التالي : « **ان الطموح الذى يشجع على هذه الطلبات « الكثيرة » يكشف عن صفات سيكولوجية من نوع لا ترغب اية دولة ان تشجعه في مواطنيها** ». **وبعبارة اخرى ، خشيت اللجنة ان يكون عدد من اصحاب هذه الطلبات**

مدفوعين بشكل خطير من اشكال السادية

عمل مقدس :

ان الجلادين طراز غريب من الناس ، وليس من السهل ان تصدر احكاما عامة عليهم ، ولهذا يحسن عند الحديث عنهم ان تقول دائما «بعض الجلادين ..» . ان بعض الجلادين اظهروا شعورا يلفت النظر بالتعلق بعملهم والاخلاص له ، ففي القرن السابع عشر شنق روجر كلاى الانجليزى أخاه . وقال اعظم جلادي بريطانيا في القرن العشرين امام لجنة حكومية فى عام ١٩٥٠ ، انه لم يكشف لاحد ابدا عن سر عمليات الشنق الناجحة التى قام بها ، لان هذا العمل « مقدس عندي حقيقة » !

الجلاد الضاحك

واكتسب بعض الجلادين سمعة واسعة بحب الدعابة ، فقد كان جلاد لندن جون هوبر يجتذب الانظار كثيرا بمهارته فى رواية القصص المضحكة حتى اصبح يعرف باسم « الجلاد الضاحك » . ومن هذا الطراز الغريب توم جارلن الذى اعتاد ان يدعو السياح لزيارة المتحف الذى أقامه في بيته ويضم الحبال التى استخدمها . وحين كان السائح ينحنى ليمسك بأحد الحبال اذا بجالفن يضع « الخية » فجاة حول رقبته ويشدها بقوة لدرجة أن السائح المسكين أحس لحظة انه يكاد يختنق

هل المهنة مصدر عيش رغد ؟

لقد كانت مهنة الجلاد تتيح لبعض الذين يتولوها حياة من الرخاء . فكانوا يسمحون لهم فى اوربا بقبول بقشيش من السجين والمحكوم عليه بالاعدام مقابل تعهدهم بتنفيذ الحكم برقة ولطف . وكانوا يستطيعون الاحتفاظ بملابس الضحية ، وكانوا يبيعون اجزاء من هذه الملابس أو من الحبل . وكذلك كانوا يقبلون مبالغ مبينة من بعض اصحاب الصالونات كى يزودوهم ببعض التفاصيل بعد كل عملية ، أما اليوم فقد اصبحت هذه الامور ممنوعة تماما ، وفى بعض البلاد يزاول الجلاد عملا آخر ليساعده على العيش ، فكبير جلادى فرنسا يبيع الآيس كريم لرواد السينما ، وأحد مساعديه حلاق والآخر بزاز

متاعب المهنة

ويعانى بعض الجلادين مشكلات قاسية فى علاقاتهم مع الناس . ففى أوربا قديما كان من التقاليد ان يرمى المشاهدون الاحجار على الجلاد الذى لا يعجبهم . وفى جميع العصور كان بعض الجلادين يتلقون تهديدات بالموت من أصدقاء المحكوم عليهم بالاعدام واقاربهم . وكان أحد هؤلاء فى سجن سينج سينج يتلقى

التهديدات بالبريد والتليفون ،وذات ليلة في مايو ١٩٢٨ نجا باعجوبة من الموت بسبب قنبلة زمنية وضعت في بيته . وفي بعض المجتمعات يطبق مبدأ « العزل » على الجلادين ، فقد كانت الكنائس في اسكوتلندا تجلسهم في مقاعد خاصة بهم ، بل لقد كانوا يرغمونهم في بعض اجزاء من أوروبا على السكنى بعيدا عن الجيران . ولقد بلغ من قسوة الامر الاخير ان الجلاد الانجليزى جيمس بيرى كان يقيم في احد الاحياء ،فلما علم الجيران بمهنته أرغموا صاحب المنزل على طرده ، فما كان منه الا أن انتقل الى جزء آخر من المدينة بحيث اشترى عددا من البيوت الصغيرة وسكن في أحدها وبذلك اصبح صاحب البيوت التي يقيم فيها جيرانه وتحداهم أن يخرجوا منها ..وبالطبع لم يفعل أحد منهم ذلك

يموتون بنفس حبالهم

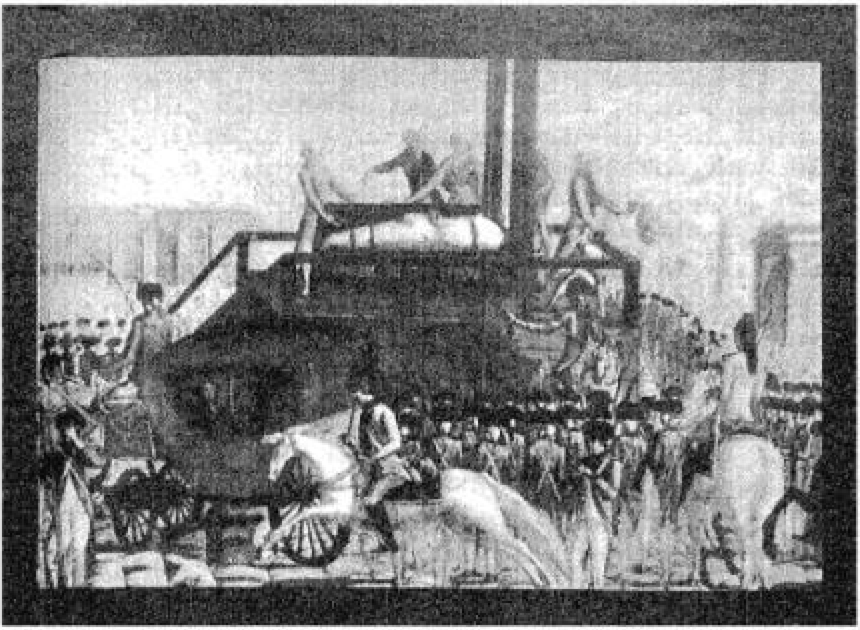
ويسجل التاريخ ان عددا من الجلادين نفذ فيهم حكم الاعدام بنفس الادوات التي كانوا يستخدمونها مع ضحاياهم . ففي مستعمرة جزيرة الشيطان بغيانا الفرنسية كان الجلاد يساعد المسجونين الذين يحاولون الهرب عبر الحدود الى غيانا الهولندية . والواقع انه لم يكن يساعدهم ، وانما يغرى الواحد منهم ويسوقه الى مكان منعزل ثم يتناول سكينا يبقر بها بطن المسكين. وكان يهتم اهتماما خاصا بهذا الجزء من الجسم لان بعض المساكين كانوا يخفون النقود في أمعائهم بعد ابتلاعها . ولما اكتشف أمره سيق الى المقصلة ، وقبيل التنفيذ التفت الى الشخص الموكل به وقال واعملها بدقة يابني كما سبق ان علمتك !»

وفي انجلترا أدمن جلاد على الخمر ومعاشرة النساء وغرق في الدين ، ففصل من عمله وسجن كما كانت العادة في حالة عدم سداد الديون . ولكنه تمكن من الفرار بعد أن احدث فجوة في جدار السجن ، ولم تمض بضعة اشهر حتى قبض عليه في حالة سكر شديد وهو يحاول اغتصاب بائعة في الشارع . فلما قاومته كسر ذراعها وفقأ احدى عينيها فماتت بعد أيام وكان جزاؤه الشنق في نفس المكان الذى ارتكب فيه جريمته

محاكمة الجلاد

وكانت في اسبانيا عادة تقضى بمحاكمة الجلاد بعد كل عملية ينفذها ، فيقدم الى محكمة خاصة ويوجه اليه القاضي تهمة ارتكاب جريمة قتل النفس ، ثم يسأله عن دفاعه ، فيرد المتهم « لقد فعلتها باسم العدالة وطبقا للقانون كما هو مفروض على بحكم وظيفتي » . وهنا يعلن القاضي أن « المتهم برىء ويخلى سبيله »

وبعض الجلادين ولدوا وهم يصلحون لهذه الحرفة . ففي أجزاء كثيرة من اوروبا في العصور الوسطى



الجيلوتين أو المقصلة .. التي قطعت رقبة ملك فرنسا لويس السادس عشر .. انها واحدة من وسائل عشماوى .. !

كان السادة يعينون أحيانا بعض الناس للقيام بعمل الجلاد ، وكان مقياس الاختيار القوة الجسمانية ، ولما رأى افراد سلالتهم أن الجماهير لا تحبهم وتتجنبهم اختاروا هذه الحرفة فأصبحت مصدر عيشهم ، ومن هنا أصبحت وراثية فى عدد من الاسرات . ومن أشهر هذه الاسر أسرة نشأت فى فرنسا فى عام ١٦٨٨ حين حصل شارل سانسون على أمر ملكى بتنفيذ جميع احكام الاعدام فى باريس . لسنا نعرف الكثير من تاريخ الرجل سوى انه تزوج من ابنة جلاد . فلما مات عام ١٧٠٧ خلفه ابنه ، وهكذا .. ومن **افراد هذه الاسرة شارل هنرى سانسون الذى كان جلاد فرنسا الاول فى الثورة الفرنسية ، وعهد اليه بمهمة كان يطمع فيها الكثيرون تلك هى اعدام الملك لويس السادس عشر بالمقصلة ، فكان الرجل الوحيد فى فرنسا الذى استخدم الجيلوتين لقطع رقبة ملك**

جلادون يعارضون عقوبة الاعدام

وبعض الجلادين سرعان ما يتملكهم احساس بأنهم يرتكبون جريمة ضد



وسيلة اخرى من وسائل عشماوى فى بلاد الفرس . . ؟

الانسان ، ومن هؤلاء الامريكى لويس ديبلر الذى اصيب بمرض « الخوف من الدم » وذلك قبل استخدام طريقة الكرسى الكهربائى ، بل لقد بلغ به الحال انه كان يتصور أن يديه ملوثتان بالدماء ويحاول ازالتها ، تماما كما كان يفعل ماكبث فى رواية شيكسبير المشهورة

وكان اليوت الامريكى يشغل مكانا بارزا فى تاريخ الاعدام ، وفى أواخر ايامه حاول ان يجد الدليل الذى يثبت أن العمل الذى اداه زمنا طويلا كان فيه بعض الخير ، ولكنه لم يجد هذا الدليل وقبيل موته فى عام ١٩٣٩ كتب الرسالة الآتية : « **لست اعتقد أن عقوبة الموت ضرورية لحماية المجتمع . اننى أعتقد انها لا تحقق اى غرض نافع . ينبغى الا يسمح للانسان بالقضاء على الشيء الوحيد الذى لا يمكن استعادته ـ أى الحياة** »

كيف تطورت المهنة ؟

هناك مجتمعات فى جميع العصور ، كانت تنفذ ما تصدره من أحكام الموت على المذنبين ولكن دون أن ينطوى ذلك على اعباء اقتصادية . ولعل أول حكم بالاعدام سجله التاريخ المكتوب تلقاه فى أحد النقوش المصرية القديمة ، حيث اتهم شخص بمزاولة السحر الاسود الذى يضر الناس ، فطلب اليه أن يقتل نفسه وتركت له حرية اختيار الوسيلة التى يريدها . ومن الاساليب البدائية ايضا السماح لاهل القتيل او اقاربه بقتل المذنب ، وكان هذا معروفا فى انجلترا

ويظهر أن عادة قيام الجماعة كلها بالتنفيذ ما تزال موجودة في بعض المجتمعات . فرتمال ان في بعض القرى الصينية اليوم يقوم أهلها بضرب القاتل بالسياط حتى يموت . وفي الصين القديمة كانوا يجرون القرعة بين المحكوم عليهم بالاعدام ، والذي تقع عليه القرعة يمنح حريته بشرط ان يتولى هو تنفيذ الحكم في زملائه . فاذا فشل في فصل الراس عن الجسد بضربة واحدة ، تولى زميله الذي يناوه تنفيذ الحكم عليه

ولكن الشخص الهاوي كثيرا ماكانت تنقصه الخبرة اللازمة أو الاعصاب القوية الهادئة التي تسمح له باداء المهمه . وبالتدريج اصبحت المجتمعات تعتمد على أفراد قرروا ان يتخذوا من القتل حرفة لهم ، **كان قيام نظام الجلاد المحترف عملا ازال الكثير من الخلط حول من له الحق القانوني في اجراء هذا النوع من الانتقام الاجتماعي**

وفي مبدأ الامر لم يكن الاختيار يجري وفق قواعد مقررة . ففي القرن السابع عشر قبل ديريك المهمة مقابل اعفائه من الموت بسبب تهمة اغتصاب امراة كما أسند هذا العمل الى شخص آخرمقابل العفو عنه في سرقة . وفي المانيا القديمة كانت تلقى هذه المسئولية على احدث رجل وصل الى المدينة ، فاذا لم يوجد وقع الاختيار على الشخص الذي تزوج حديثا

الجلاد النموذجي .. وهل يزول؟

وتدقق السلطات البريطانية كثيرا جداً في اختيار طالبي هذه الوظيفة

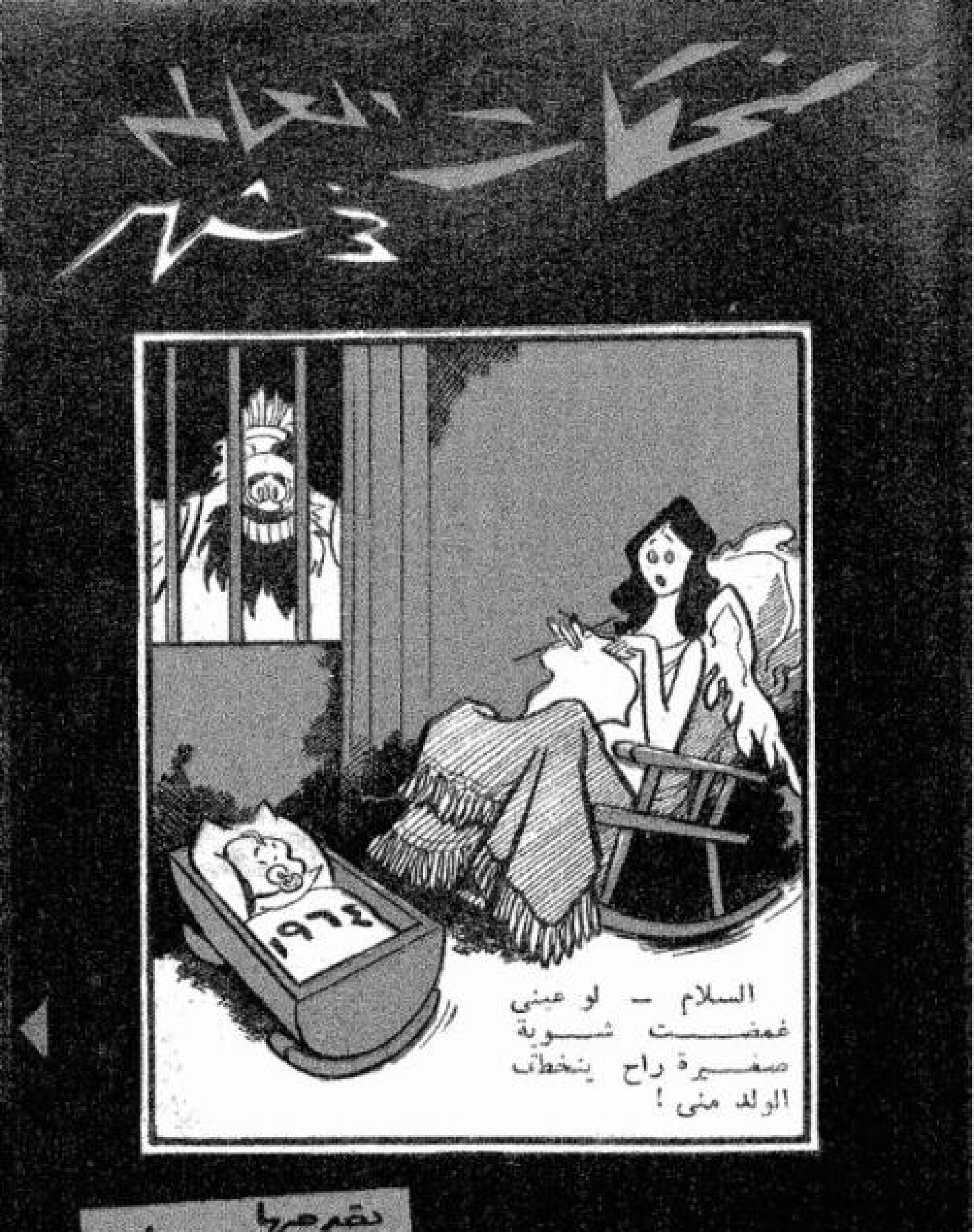
ومن الغريب أن البلاد التي ارتفعت فيها مستويات الحرفة مثل انجلترا والولايات المتحدة يحاط الجلادون بالسرية التامة ، فمن الصعب للغاية على الصحفي في أمريكا ان يعرف اسم الجلاد ، بل وفي انجلترا يمنع الصحفيون من مشاهدة التنفيذ . وفي ولاية اوتاه الامريكية نجد في الكرسي الكهربائي ثلاثة ازرار ولكن لا يعمل منها سوى زر واحد ، بحيث لا يدري اي من الجلادين الثلاثة انه هو الذي قام بالتنفيذ ..

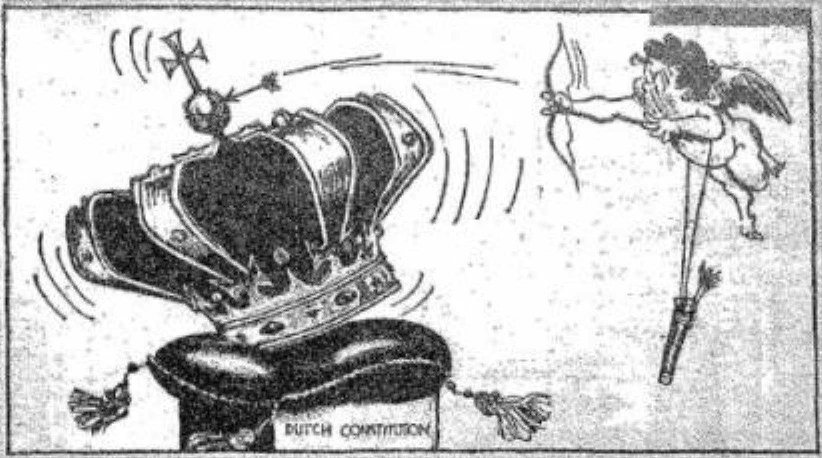
ويلاحظ بعض المراقبين ان استخدام الكرسي الكهربائي وغرف الغاز معناه ان الاتجاه المعاصر يسير نحو الآلية

ولهذا فقد يأتي اليوم الذي لا يستخدم فيه شخص وانما يكتفي بالضغط على زر معين او آلة معينة

وهذه الطريقة الاخيرة لها مزاياها من وجهة نظر الذين يؤيدون الابقاء على عقوبة الاعدام ، لان الزر :

* لن يقع ضحية الخمر أو النساء
* ولن يصاب بانهيار عصبي
* ولن يقدم على القتل بعد انتهاء وقت العمل
* واهم من هذا لن ينطق بعبارات أو يصدر بيانات يهاجم فيها عقوبة الاعدام


١٩٦٤
السلام – لو عيني غمضت شوية صغيرة راح ينخطف الولد مني !
يقدمها رخا

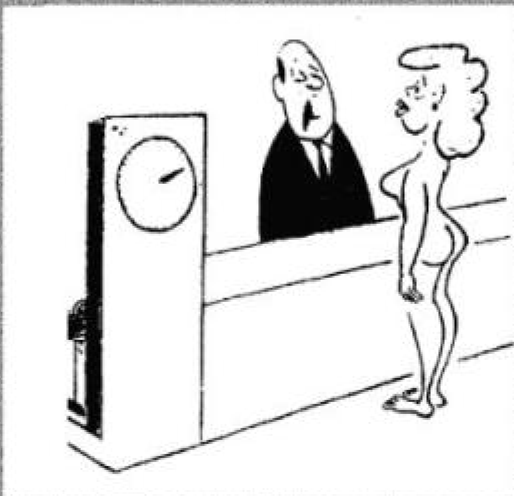


كيوبيد يصيب تاجا !
بعد زواج الاميرة الهولندية من حبيبها الاسبانى
صنداى تلجراف ـ لندن



ايوه .. انـا
اتولدت فى برج
السعد . .

روما ـ ايطاليا

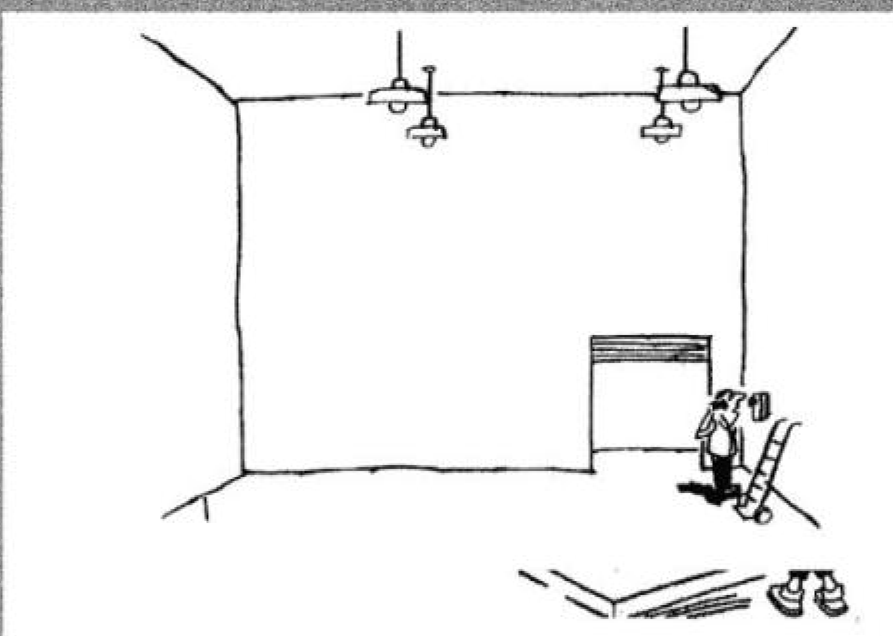


موظف الطيران ـ أحسن تخففى وزن الحقـــائب يا مدام !

بوسطون ـ امريكا

ـ أنا باكلمك من البيت الظاهر احنا اتسرقنا .. !

شانكرز ـ الهند





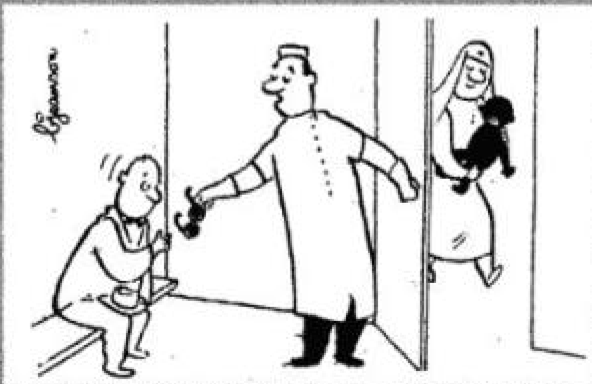
ـ والآن قبل ان يبدأ عرض الملابس الداخلية .. اربطوا الاحزمة .. !

لاف باراد ـ امريكا



معلمة اللغة ـ اعرب جملة
« انا جميلة »
التلميذ ـ فعل ماض !

ميلانو ـ ايطاليا



احسن تلبس النظارة قبل ما تشوف المولود الجديد ...

لاي — باريس

بدون تعليق

لوك امريكا



السكرتيرة — احنا لازم نبعت للكهربائي .. دي عاشر مرة تحترق اللمبة في اليومين اللي فاتو

الدنمارك



مسرحية
لوسيل فلتشر

على التليفون!

عرض وتلخيص: صوفي عبد الله

حياتنا اليوم يعتمد جانب كبير منها على الآلات الصماء . حتى صلاتنا بالناس تقوم بها هذه الآلات

وهذه المسرحية التى شغف بها الامريكيون شغفا ما بعده شغف تصور قمة المجتمع الذى يسخر الآلة لاغراضه بحيث انقلب الوضع فسيطرت الآلة على سيدها الذى اخترعها ليستعملها فى راحته ورفاهيته

ولكن شغفهم بها يرجع الى سبب آخر ايضا ، وهو انها ابرزت تلك الازمة فى علاقة الآلة بالانسان ابرازا ماسويا ، وفى قالب من التشويق الذى يمتزج بالرعب ، حتى كأن المشاهد يرى روح التراجيديا القدرية تطل عليه من خلال تلك العلاقة بين البشر والنهم الجديدة التى تتكون من المعادن والاسلاك والشحنات الكهربائية التى لا تعقل ولا ترحم

والبطل الاول فى هذه المسرحية آلة من اكثر آلات العصر شيوعا وتغلغلا فى حياه الناس . وهى جهاز التليفون ، اما البطلة فهى مسز ستيفنسون . وهذه البطلة نموذج لاشد الناس احتياجا لجهاز التليفون لانها مقعدة منذ زمن طويل ومصابة باختلال فى الاعصاب . وهى حين يرتفع عنها الستار وحيدة تماما فى منزلها الصغير ذى الطابقين . لان زوجها مشغول فى مكتبه وسط مدينة نيويورك ، ولان الليلة هى ليلة الراحة الاسبوعية لخادمتها التى تسهر على جميع احتياجاتها

ونرى مسز ستيفنسون تطلب مكتب السنترال ، وهى فى حالة غيظ ونفاد صبر . ويرد عليها عامل التليفون ببرود مهنى شديد وصبر لا ينفد مع عدم اكتراث لا حد له . ويسمعها تشكو من انها ظلت ثلاثة ارباع الساعة تطلب رقم مكتب زوجها لتجد الخط مشغولا . وهو امر لا تراه طبيعيا ولا معقولا . وتطلب من العامل ان يصلها برقم زوجها عن طريقة لان زوجها تأخر عن موعده فى المكتب وهى فى قلق شديد،ويتولى العامل طلب الرقم ويصلها به . واذا بها تفاجأ بصوت غير صوت زوجها . وتفاجأ اكثر من هذا بأن



المتحدث لا يسمع صراخها الذى تسأله به عن مستر ستيفنسون .. وتفاجأ مرة ثالثة بأن ذلك المتحدث مشتبك فى الكلام عبر اسلاك التليفون مع متحدث آخر. فهى اذن قد دخلت بطريق الخطأ فى الاتصال بين خطين مجهولين لها

ولكن مسز ستيفنسون تمضى فى الصراخ مستفسرة عن زوجها فلا تسمع الا امتدادا للحديث بين الرجلين . وهكذا تسمع مناقشة المفروض انه لا شأن لها بها . الا ان ما سمعته زاد اعصابها توترا :

– اسمع يا جورج

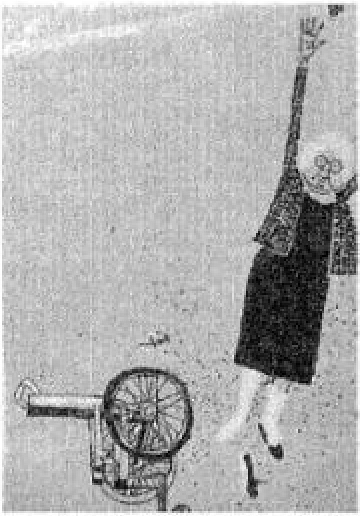
– نعم يا سيدى

– لقد اتصل بنا عميلنا واخبرنا ان الطريق خال الليلة

– فهمت يا سيدى

– اين انت الآن ؟

– فى كابينة عمومية للتليفون



– جميل جدا . أنت تعرف العنوان طبعا . والخفير الليلى يتوجه فى الحادية عشرة تماما الى حانة فى الشارع الثانى ليشرب البيرة . وعليك ان تتأكد أولا ان الانوار فى الطبقة السفلى مطفأة كلها . وفى الطبقة العليا لا يوجد الا نور واحد . وفى الحادية عشرة والربع يمر قطار المترو من النفق المواجه للبيت ويحدث ضجة كافية لطمس صراخها اذا كانت نافذة غرفتها مفتوحة . تذكر جيدا ان الحادية عشرة والربع هى ساعة الصفر !

– فهمت

– وعليك بالسرعة . فعميلنا يرغب الا تتعذب طويلا

– هل استعمل السكين يا سيدى ؟

– لا مانع . ولكن لا ترق من الدماء اكثر من الضرورى . وتذكر ان تخلع خواتمها واساورها وان تأخذ الحلى من الدولاب . لان عميلنا يرغب فى ان تبدو العملية وكان المقصود منها مجرد السرقة

***

تدور هذه المناقشة المرعبة ومسز ستيفنسون تقاطع وتستنكر وهما لا يسمعانها . ثم ينقطع الاتصال بينها وبينهما فجأة وهى فى حالة من الفزع لا توصف. فتطلب عامل التليفون مرة اخرى ويرد عليها بالبرود نفسه يسألها عن الرقم الذى تطلبه :

– بالعكس ! انا لا اريد الرقم

الذى اطلبه ، بل اريد الرقم الذى لم اطلبه ! الرقم الذى اوصلتنى به خطأ فادخلتنى فى خط فسمعت حديثا عن جريمة توشك ان ترتكب

— «ببرود » وما هو هذا الرقم يا سيدتى ؟

— هذا هو الذى اريد ان اسألك عنه . لقد طلبت منك رقم زوجى فاخطات فى ادارة القرص خطأ صغيرا فى احد الارقام . والآن اريد منك ان تكرر نفس الخطأ الصغير .. وان تتحقق من صاحب هذا الرقم

— « ببرود ايضا »ما هو الرقم اصلا يا سيدتى ؟

— لقد كنت اطلب هيل٩٨..٤٠ ولكنك اعطيتنى نتيجة اهمالك ..

— هيل ٩٨..٤٠ ؟ ساصلك بها حالا يا سيدتى

— « بغيظ » اشكرك

***

ولا يسعها الا ان تضرب سماعة التليفون بشدة لم تطلب رئيس مكتب التليفون . فتجد انسانا آخر لا يقل برودا وعدم اكتراث عن مرءوس سالف الذكر . وتروى له مسز ستيفنسون ما حدث بكل تفاصيله وتطلب منه ان يتعقب هذه المحادثة الاجرامية .. ولكن الرجل يؤكد لها ان ذلك غير مجد لاكثر من سبب . واول هذه الاسباب ان المحادثة لابد ان تكون قد انتهت الآن لانها ليست من النوع الذى يطول اكثر من اللازم . وثانى هذه الاسباب ان التعقب مستحيل ما دامت لا تعرف الرقم على وجه التحديد . وثالث هذه الاسباب انه حتى لو كان التعقب ممكنا فلا يمكن القيام به الا بناء على أوامر رسمية من سلطات الشرطة

— ولكن هناك امرأة مسكينة معرضة للقتل بعد وقت قصير !

— هذه هى التعليمات ياسيدتى

— اتريد ان تقول ان الانسان لا يمكن ان يبلغ بوقوع جريمة قتل من غير ان يشتبك مع كل هذا الروتين ؟ وهو كذلك ! سأتصل بالشرطة .. !

ومرة اخرى تصطدم مسز ستيفنسون برجل رسمى اخر تتلاشى صفته الانسانية فى صفته الرسمية والمهنية . انه الجاويش النوبتجى فى قسم البوليس . وببرود وعدم اكتراث يسمع القصة . ولا يهتز مطلقا لالفاظ الجريمة والقتل والسكين التى ترددت على لسان السيدة الثائرة . ويبدأ فى سؤالها بكل ثبات عن اسمها ورقم تليفونها وعنوان مسكنها . وعندئذ تنتبه الى ان بيتها قريب من نفق المترو ، وقريب فى الوقت نفسه من الشارع الثانى . فيزيدها ذلك الحاحا على رجل الامن ان ينقذ المرأة المسكينة المجهولة . فلايزيده ذلك الا بلادة

— سنقوم باجراء اللازم !

— مثل ماذا ؟

— سنرى ان كان من الممكن تعقب ذلك الاتصال التليفونى

— ولكن السنترال اكد لى ان ذلك غير ممكن مادام الاتصال بين الخطين قد انقطع بانتهاء المحادثة. فالافضل اذن ان تقوم باجراء اكثر حزما بدلا من تضييع الوقت فى الاتصال بالسنترال الى ان تقع الجريمة فعلا

— لا تقلقى ايتها السيدة . سنتخذ اللازم !

— ان المسألة تستدعى فحصا شاملا لارجاء المدينة .ويستحسن ان تذيعوا رسالة بالراديو الى جميع سيارات النجدة للبحث عن البيت المقصود الذى ستقع به الجريمة . ويحتمل الا يكون بعيدا جدا عن بيتى

— وما ادراك ؟ ان عدد الانفاق فى مدينة نيويورك بخلاف ما فى الضواحى المحيطة بها عدد ضخم جدا . ثم ان الشارع الثانى طويل



جدا ولا حصر للبيوت القريبة منه وهو يخترق عددا كبيرا من الاحياء . ثم من ادراك ان هذين الشخصين كانا يتحدثان عن مدينة نيويورك ؟ لماذا لا تكون المخابرة خارجية . اعنى بين شخص خارج نيويورك وشخص داخلها . وان الجريمة ستقع فى مدينة اخرى ليست من اختصاصنا ؟ لماذا لا تريحين نفسك وتريحيننا فتفترضين انك لم تدخلى بالصدفة فى الخط ؟ وهل لو كان العامل اعطاك الرقم الصحيح وتحدثت مع زوجك كان يهمك موضوع هذه الجريمة كثيرا ؟

— هذا فظيع ! هذا شعور غير انسانى ! هذا تبلد فى الاحساس !

— هونى عليك ايتها السيدة فنحن الذين نعيش فى جو الجريمة ليلا ونهارا نعرف كم من الجرائم تقترف كل ساعة فى مدينة نيويورك . ولو ان كل جريمة اقامتنا واقعدتنا لقضى علينا بعد بضعة ايام . ليس امامنا الا ان نأخذ المسائل بهدوء تام ، فما نستطيع منعه من الجرائم نمنعه. اما الجرائم التى لا مرشد لنا بشأنها سوى المعلومات الغامضة جدا التى تقدمت بها فمن الافضل لنا وللجميع ان نعتبر هذه المعلومات كأنها لم تكن ! اللهم الا اذا كنت مثلا تبلغيننا بصفة قاطعة انك المهددة شخصيا بالقتل !

— انا ؟ ولماذا يفكر اى انسان فى قتلى وانا وحيدة ليلا ونهارا

ولا ارى احدا الا خادمتي السمينة التي تزن ٢٠٠ رطل وتصعد السلالم بصعوبة ، وزوجي ألبرت وهو مجنون بي . يحبني حب العادة ويخدمني بيديه وأسنانه ولا يفارقني الا للضرورة القصوى منذ اصابني هذا المرض في السنوات العشر الاخيرة

— حاولي ان تنامي ايتها السيدة ودعي المسألة لي

— كيف انام ؟ ان صورة هذه المسكينة المجهولة تكاد تطير عقلي . اتصل من فضلك بجميع سيارات النجدة لتكون مستعدة في مناطق الانفاق

— من فضلك يا سيدتي ليس عندي وقت اكثر من هذا . وامامي مسائل اخرى مهمة اريد ان اشغل نفسي بها

***

ولا يسع مسز ستيفنسون الا ان تلقي السماعة بغضب . وبعد لحظة يرن التليفون فترفع السماعة بلهفة ظنا منها ان زوجها يتصل بها وتظل تصيح الو ولا تسمع ردا . فتكاد تجن وتشعر بالغيظ لانها لا تستطيع مبارحة فراشها . وبعد لحظات أخرى يرن التليفون مرة اخرى . وفي هذه المرة تسمع صوتا فاترا بليدا :

— هنا مكتب التلغراف . لدينا برقية لمسز البرت ستيفنسون . حسب النظام المتبع بعد العاشرة ليلا نسأل المرسل اليه هل نحضر البرقيات أم يكفي ان نتلوها عليهم بالتليفون ؟

— بل اقرأها . انا مسز ستيفنسون

— الى مسز البرت ستيفنسون ٣٥ شارع ساتون بنيويورك . يا عزيزتي انا آسف جدا لاني حاولت عبثا الاتصال بك منذ ساعة فكان الخط مشغولا باستمرار . سأسافر في الحادية عشرة الى بوسطون لمهمة عاجلة واعود غدا ظهرا . قبلاتي — امضاء . البرت

وتشكره مسز ستيفنسون وهي لا تكاد تصدق اذنيها . وتضع السماعة ببطء ثم تنفجر باكية

— هذا مستحيل ! غير معقول ! لا يمكن ان يتركني الليلة وهو يعلم اني وحيدة تماما ؟!

وتطلب عامل التليفون وتكلفه بتوصيلها برقم زوجها . ويظل الجرس في الطرف الاخر يرن رنينا متواليا فتدرك ان المكتب خال . وتضع السماعة يائسة

— لا يمكن ان اقضي هذه الليلة الرهيبة بمفردي . لو بقيت دقيقة اخرى وحدي ساجن . لن ابالي بالتكاليف ! انا امرأة مريضة ومن حقي ...

وتطلب بالتليفون مستشفى هنشلي الذي أجرت به اكثر من عملية جراحية في السنوات الاخيرة . وترد عليها الممرضة الليلية فتطلب منها ان يوافيها المستشفى باحدى الممرضات فورا لتلازمها في هذه الليلة وتشرح لها ظروف مرضها ووحدتها

ـ ولكن الممرضات الليليات قليلات جدا فى الوقت الحاضر يا سيدتى . وقد شددت علينا ادارة المستشفى الا نرسل ممرضة الى بيت احد الا بناء على تعليمات احد اطباء المستشفى وعند الضرورة القصوى فقط يسمح الطبيب بذلك

وتزمجر مسز ستيفنسون وتثور اعصابها وتحاول اقناع الممرضة بأن حالتها لا تحتمل تلك القيود الروتينية . وتحكى لها قصة الجريمة التى اثارت اعصابها

ـ ساخاطب فى هذا الموضوع الآنسة فيلبس كبيرة الممرضات عندما تعود

ـ ومتى تعود ؟

ـ لا ادرى بالضبط يا سيدتى . فقد خرجت لتتعشى فى الساعة الحادية عشرة

ـ ولكن الساعة لم تبلغ الحادية عشرة بعد !

وتضع ساعتها على اذنها ثم تصرخ

ـ يا للمصيبة ! ساعتى واقفة . كم الساعة الآن ؟

ـ الحادية عشرة واربع عشرة دقيقة تماما !

وتسمع مسز ستيفنسون تكتكة فى التليفون فتصرخ

ـ ما هذه التكتكة ؟

ـ لم اسمع شيئا يا سيدتى

ـ ولكنى سمعت (بفزع) ان شخصا ما موجود فى هذا البيت . لا بد انه فى الطابق الاسفل فى المطبخ يتسمع على آلة التليفون الاخرى

ويختنق صوتها وتضع السماعة ، ولكنها لا تلبث ان ترفعها وتطلب عامل التليفون وتقول له بهمس مختنق !

ـ ارجوك ! انا فى خطر

ـ ارفعى صوتك يا سيدتى . ما الرقم الذى تطلبينه ؟

وتحاول ان ترفع صوتها لتكلمه ولكنه يحتبس فى حلقها وهى تجتهد أن تقنعه بالاتصال بالشرطة لان شخصا ما يوشك ان يقتلها . ولكن صوتها يابى ان يرتفع . وتسمع تكتكة مفاجئة فتدرك ان احدا قطع سلك التليفون . وعندئذ يرتفع صوتها فى صرخة نافذة . وفى هذه اللحظة يسمع هدير قطار المترو وهو يمرق فى النفق القريب . وينقض شخص من الخلف على مسز ستيفنسون فيطعنها بسكين ويخرس صوتها الى الابد



الهلال ثمن العدد :

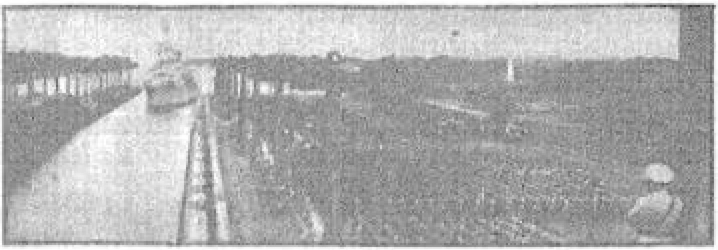
فى قطر والبحرين		٣٠ انة
فى ليبيا	بنغازى	١٤٠ مليما
	طرابلس	١٥٠ مليما
فى الجزائر		١٢٥ فرنكا
فى المغرب		١٥٠ فرنكا

الهلال الاشتراكات :

قيمة الاشتراك : عن سنة (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى ٧٠٠ مليم بالبريد العادى و ٨٠٠ مليم بالبريد المسجل . وجنيه مصرى واحد و ٢٠٠ مليم بالطائرة — فى الامريكتين دولاران بالبريد العادى و ٣ دولارات بالبريد المسجل و ١٢ دولارا بالطائرة — فى سائر انحاء العالم ٢٠ شلنا بالبريد العادى و ٣٠ شلنا بالبريد المسجل و ٦٥ شلنا بالطائرة

وقيمة الاشتراكات تسدد مقدما نقدا ج.ع.م. باذن بريد — وفى السودان بحوالة بريدية — وفى الخارج بتحويل مصرفى قابل للصرف فى القاهرة لامر مؤسسة دار الهلال

أحمد الصاوي محمد :



دقت الساعة

في يناير ١٩٦٤ وقف روبرتو شياري رئيس جمهورية بنما يخطب في ثلاثة آلاف متظاهر من مواطنيه ، واعدا اياهم بأن العلاقات الديبلوماسية بين بنما والولايات المتحدة لن تعود الا اذا خضعت الاخيرة للمفاوضة لابرام معاهدة جديدة .. وكان ذلك عقب الحوادث الدامية التي وقعت بين الامريكان وأهل البلاد بسبب عجيب هو رفض الامريكان رفع العلم البنمي الى جانب العلم الامريكي فوق معهد دراسي!.. ولجت واشنطون في العناد قائلة لا مفاوضة مع بنما تحت مظاهرات الضغط والتهديد بالعنف !.. وتوتر الموقف النذر بتهديد السلام في منطقة تحرص الولايات المتحدة على اعتبارها داخلة في نفوذها .. ووقف الرئيس جونسون موقف العناد والتحدي .. وصمد الشعب البنمي الكريم ، وكانت الشرارة التي انطلقت من مدرسة بلباو الثانوية نذيرا بشر مستطير ، واسترداد الحقوق المهضومة ، المادية ، واسترداد الكرامة والعزة الوطنية .. وتضامنت حكومة بنما مع شعبها ضد امريكا ، واشترك رئيس الجمهورية شخصيا في تشييع جنازة الاثني عشر شهيدا الذين سقطوا في اول مظاهرة وسار في الجنازة اربعون الف نسمة وحذرت احزاب المعارضة الرئيس روبرتو شياري من ان يتخلى عن واجبه وأن يظل محتفظا بموقفه الشرف الذي اعلنه منذ ٩ يناير التاريخي وشهدت صحيفة نيوستيتسمان البريطانية ان تجربة الرئيس جونسون في اول عهده قد اتسمت بسوء الطالع وسوء التصرف بحيث تلاشى العمل الطيب الذي قام به الرئيس كنيدي في سبيل التحالف من اجل التقدم والسلام ، وذلك بعودة لا محل لها اليوم الى اسلوب التهجم واطلاق النار ... مما ليس له اي مبرر.. لقد كان الرئيس كنيدي موضع ثقة اللاتين من سكان امريكا اللاتينية ، اما الرئيس جونسون فما زال تحت الاختبار ...وكان الاختبار الاول ملطخا بالدماء ..

او كما قال س . سولز برجر ، في صحيفة النيويورك تايمز الامريكية ، عن العظة المستخلصة من مأساة بنما تقضي بأن الواجب علينا هو ان نعيد تقييم الشئون الخارجية ، وان نطهر موقفنا من الشوائب، قبل ماتسميه الضغط البنمي ، وليس عقب المظاهرات الدامية .. ذلك ان الاصرار على التمسك بمخلفاتنا الاستعمارية والقبض بالظفر اليسير على حلفائنا امر عجيب في الوقت الذي نزعم فيه اننا اعداء الاستعمار ، واما الاعتماد على اصوات المستعمرات السابقة ، في نطاق الامم المتحدة ، من اجل تأييد سياستنا ، فهو ليس امرا غير منطقي فحسب ، بل هو يتسم بالحمق ايضا » ! ..

في بنـــامـــا

ستر صفق ن كان ذلك الحدث التاريخي الذى جمع بين مياه المحيط الباسيفيكي والمحيط الاطلنطي «او الهادي والاطلسي» عن طريق قناة بنما .. وتم ذلك فعلا فى ١٠ من اكتوبر ١٩١٣ عندما ضغط الرئيس ويلسون ، من مكتبه فى البيت الابيض ، على زر تفجرت عنده الوصلة الاخيرة من الارض ، وذلك بعد مضى نحو اربعمائة سنة على اكتشاف الاسبانى فاسكو دى بالبو هذا الموقع عندما وصل اليه

وكأنمـــا كتب فى لوحة قدر ان عذابات عشرات الالوف من المصريين الذين عانوا السخرة والجوع والمرض والموت فى حفر قناة السويس ، سينتقم لهم خالقهم من ســـوء ما أصابهم ، ويكون ذلك بالعار والدمار الذى أصاب فردينـــان دى ليسبس نفسه ، في حفر قناة بنما ، بعـــد ما حفر قناة السويس !..

كان فردينان دى ليسبس قـد بلغ يومئذ الخامسة والسبعين من العمر ، وكان ولده شارل قد صار فى نحـــو الاربعين ، وقد دهش عندما كاشفه ابوه برغبته فى حفر قنـــاة بنما ؛ فراح يســـائله ماذا يبغى من وراء ذلك الضنى بعد كل ما أصـــابه وأصاب من يعملون معه ، هل ينشد المجد أو المال . وكان جواب الشيخ انه «يريد أن يفتح العالم للشعوب»

***

فى ٢٦ مايو ١٨٧٩ قبل فردينان دى ليسبس ان يتولى شق قناة بنما .. ولم تكن الفكرة جديدة ، فقـــد خطرت للناس منـــذ عام ١٥١٢ اذ رأوا ان شريطا ضيقا من الارض بين بحرين هائلين يمكن اذا شـــق ان يوصلهم الى الهند ؟.. وهو عنـــد بنما لا يتجاوز السبعين كيلومترا .. يبلغون به من البـــاســـيفيكى الى الاطلنطى مبـــاشرة . وكان ذلك الحاجز الضعيف لايتجاوز ارتفاعه ٩٠ مترا ، ومع ذلك ظل مدى أربعة قرون يرغم الســـفن على الدوران حول رأس هورن او المرور عن طريق رأس الرجاء الصالح البعيد المدى .. ومع ذلك فان فيليب الثانى ، الذى كان يجهل الجيولوجيا ، قد رفض السماح بشق هذه القنـــاة ليكسب منها العالم ١٢٥٠ فرسخا ، وكانت حجته ان الله فرض ارادته بأن جمع بين الارضين والامريكتين ، الشمالية والجنوبية ، وليس للبشر

ان يتدخلوا فى صـــنع الله !.. ثم أصدر ابن شـــارلكان قرارا يقضى بالموت على كل من يجـــرؤ على التصدى لارادة الخالق ســـبحانه وتعالى ..

***

وفى بداية القرن التاسع عشر عاد الحديث الى القناة .. وتعـــددت المشروعات ، فهى تارة فى المكسيك ، وتارة فى كولومبيـــا ، أو مارة بـ « نيكاراجوا » ..

ودخل المشروع فى منطقة جدية عندما وقعت الولايات المتحدة مع نيكاراجوا ، فى عام ١٨٤٩ معـاهدة تمنحهـــا الحق فى حفر قناة بين المحيطين .. ولكن لم يبدأ العمـل فيها ، وهو المشروع الذى تفكر ـ او تدعى التفكـــير فيه الان ـ عام ١٩٦٤ ـ الولايات المتحدة بعد ثورة بنما على المعاهدة المعقودة بينهما!.. واكتفت يومئـــذ شركة أمريكيـة بالحصول على امتياز لمد خط سكة حديدية من كولون الى بنمـــا .. وجمع القطـــار بين المحيطين فى عام ١٨٥٥ ـ وحصلت على الحق فى أن ما من قنـــاة تحفـــر بقرب الخط الحـــديدى دون موافقتهـــا .. وسنرى كيف سيصبح هذا الشرط اول عقبة يصطدم بها فردينان دى ليسبس .. فقد تكونت فعلا فى باريس شركة لدراســـة امكانيات القنـــاة برئاســـة دى ليسبس ، واشترك فيهـــا الجنرال الايطالى «تور» الذى كان يملك ايضا احتكارا من كولومبيا .. وسافر فعـــلا للتعرف على الموقع اللبوتنان بونابرت فايز ـ وهو حفيد نابليون ـ وعاد بمشروع قناة ذات اهوسة يمكن من طريقها العبور بسهولة لاجتياز عقبة الارتفاع الذى يبلغ نحو تسعين مترا .. لكن دى ليسبس رفع ذراعيـــه الى السماء مستجيرا من قناة ذات اهوســة ! فاقترح فايز عليه شق نفق لكن دى ليسبس اصر على أن تكون القناة ذات مستوى واحد ، مثـــل قناة السويس !..

ولم يكن حق الامتياز مبلغـــا ضخما ، وعلى ذلك دعا دى ليسبس الى الاسهام فى مبلغ ..) مليـــون فرنك ، وطرح الاكتتاب على الجماهير وكانت النتيجة يرثى لها ، فـــلم يجمع من هذا المبلغ الكبير الا نحو الثلاثين مليونا من الفرنكات ! .. وعلى ذلك راوا ان طرح الاكتتـــاب بمبلغ طائل يتطلب فى المستقبـــل دعاية ضخمة ..

وبدأ دى ليسبس فى الدعـــوة للمشروع بجـــولة واســـتطاع ان ينقل تحمســـه للمشروع الى المكتتبين بفضل ما انفق على الدعاية للمشروع ، وقد بلغ النشر والاعلان ٣٢ مليونا ، وحصلوا فعلا من جراء ذلك على ستمائة مليون ، وهـــو ضعف ما كان منتظرا ! ..

وبدءوا فى العمل ، وارسلوا من فرنسا مئات الحفارات والقاطرات واثنى عشر الف عربة سكة حديد بين كبيرة وصغيرة ونحو مائتين من كيلو مترات القضبان الحديدية ، وما الى ذلك ! .. وتقرر ان يكون



جونسون .. قال ان هذا العمل «غير موفق»!!

المهندسون والموظفون من البيض . وارادوا ان تكون اليد العاملة من الصينيين .. لكنهم لم يكادوا يطأون الارض باقدامهم حتى هجروا الاعمال المرهقة التي جاءوا من أجلها وتحولوا الى باعة وتجار وارباب نزل ـ بنسيونات ـ من كل نوع .. واضطروا ان يحضروا اربعين الفا من السود ، من جامايكا ! ..

ومنذ البداية ، والحمى الصفراء والملاريا تهاجم البيض .. فقد كان الجو الاستوائي لا يطاق في حرارته ورطوبته ، وكانت المستنقعات من حولهم مباءة فظيعة للناموس حامل العدوى ، وكان المطر يهطل مدرارا كانه من افواه القرب!.

وما لبث مسيو دنجلر ، مدير عام الاعمال ، ان راى من حوله زوجته وولده ، وابنته ، وخطيب ابنته ، يسقطون صرعى امام عينيه .. وكان الذين وصلوا في اكتوبر ١٨٨٦ ثلاثون مهندسا ، مات منهم ، بعد شهر واحد ، ثلاثة عشر ! ! .. وكان عدد خريجي السنترال الذين وصلوا بين ١٨٨٥ و ١٨٨٦ سبعة وعشرين ، ولم يبق منهم عام ١٨٨٧ الا ستة عشر ! .. وكان عدد الراهبات اللاتي جئن من ديرسان فنسان دي بول ٢٤ راهبة فمات منهم ٢١ راهبة !! .. ولم يبق الا ثلاث راهبات ! ! ..

وكان البيض لا يلقون بالا الى الناموس ، الذي يدخل مساكنهم المجردة من الشبابيك ، ويكتفون بوقاية انفسهم من النمل الاكل بوضع ارجل الاسرة في أوان مملوءة بالماء ، مما كان مباءة صالحة لتربية الناموس ناقل العدوى !! زد على هذا أنواع الثعابين السامة والعناكب الرهيبة والعقارب الضخمة ذات الاذناب المعقدة التي تقضي على من تلدغه فيموت لساعته !! ..

وقصارى القول ، انه بعد مضي اربعة اعوام على بداية هذا المشروع الذي لا يبدو له آخر ، ان المستوى كان لا يزال على ارتفاع ٨٣ مترا فوق سطح المحيط !! .. وارتفع سعر الحفر للمتر المكعب من اقل من سبعة فرنكات الى مائة وخمسين فرنكا !! ومضى عامان آخران ، والمستوى لم ينزل عن ٧٢ مترا في خلالهما !! وعلى ذلك باءت خطة دي ليسبس بالفشل التام ، وكان لابد من اتخاذ قرار لشق قناة ذات

اهوسة هائلة ، واضطر دي ليسبس الى الخضوع ، والموت فى الحلقوم !

***

اجل .. كانت اعمال الحفر هذه لا امل فيها ، فى ارض طينية ذات رطوبة ثقيلة ما ان يبدأ موسم الامطار حتى ينهار كل ما جرى عليها من اعمال ، ولاحت عواقب العملية الوخيمة التى تتطلب ملايين وملايين اخرى !! .. وكانت الشركة ، حتى عام ١٨٨٣ ، قد استطاعت دون كبير عناء ان تبيع سنداتها ، وان تسلب من الادخار الفرنسى بين ١٠٠ و١٥٠ مليونا من الفرنكات الذهبية .. لكن فى عام ١٨٨٤ ، برغم الفائدة الموعودة ٦٪ ، لقد قضت ستة اشهر حتى تم توزيع السندات ، وسقط سعرها من ٣٢٣ فرنكا الى النصف ! !

هذا فضلا عما كان ينبغى لهم من كل الوسطاء لترويج العملية ، وكان ينبغى لكل دعوة الى الاسهام دفع مبالغ للصحافة حتى تسكت وتتستر على البلوى وتحجب عن الجماهير الانباء الصحيحة عن جو بشع ووفيات لا عداد لها ، وعجز بين فى السير بالمشروع .. هذا بحيث بلغ ما انفقته ادارة باريس على نفسها وحدها ٧٤ مليونا ، وعلى الاداريين فى بنما ايضا ٨٣ مليونا ، فى حين ان العمليات التى جرت فعلا قد بلغت وحدها ٧٠٠ مليون !! .

وراح السمك الكبير يأكل السمك الصغير ، كما تقول الرشوة ! ...

لقد بدأ الكبار يسارعون الى قبض اتاواتهم أولا ، ثم يجيء بعدهم من هم دونهم ، ثم يجيء بعد أولئك وهؤلاء من هم دون أولئك وهؤلاء ، الى ان نصل الى المخبر الصحفى الصغير الذى يقبض شيكا صغيرا ليضع سطرا صغيرا عن دي ليسبس او احد اولاده او احفاده !! .. وكان بين هؤلاء الاحفاد من يدعى : « اسماعيل » !! .. ان عالما كبيرا اصبح يعيش ، ويرزق ، ويستغل قناة بنما ، وهى ما زالت مشروعا حبرا على ورق !!

وفى ختام عام ١٨٨٧ لم يعد فى الخزانة الا مائة مليون ولاح من المستحيل الحصول على المزيد من ادخار الجماهير الذين قدموا حتى الان ٩٣٥ مليونا !! .. هذا فى حين انه لكى تكون القناة ذات اهوسة لابد من استخراج ثمانين مليونا من الامتار المكعبة وهو ما يتطلب ثلاث سنوات اخرى من العمل المتواصل ! وحوالى خمسمائة مليون من الفرنكات

وكان من المستحيل الحصول على مثل هذا المبلغ الطائل الا عن طريق قرض ذى يانصيب ، وراحوا يرجون ويتوسلون حتى اصدر البرلمان — فى ٩ يونية ١٨٨٨ — الاذن بذلك .. فطرحت الشركة السندات ، وكانت خيبة الامل اذ لم يتمكنوا الا من جمع ٢٢٤ مليونا لمصروفات العملية .. وهكذا رأينا فردينان دى ليسبس ، وقد فات الثمانين من عمره — يقوم بجولة فى فرنسا لالقاء محاضرات للترويج للمشروع ،



دى ليسبس .. سبب المصائب التى لحقت ببريطانيا فى السويس .. والتى ستلحق الامريكان فى بنما .. !

وطاف خطيبا فى اربع وثمانين مدينة ، اى بقدر سنى عمره عاما بعام !! .. وكانوا فى حاجة الى مائتى الف مكتتب ، كل واحد منهم فى سند واحد ،فلم يحصلوا الاعلى اقل من نصف هذا العدد !! ..

وكان معنى ذلك الافلاس ! .. وقدمت الشركة ميزانيتها،وتوقفت الاعمال ودفع المرتبات ، واعلنت محكمة السين – باريس – حل الشركة العالمية لقناة بنما .. ولاح ان فردينان دى ليبس قداصيب من جراء ذلك بضربة صاعقة ..

***

وكانت البداية الصمت .. الصمت الثقيل الرهيب الذى يسبق اندفاع الطوفان او مصرع البطل فى مأساة من المآسى القديمة التى تعصر القلوب بتأثيرها الفاجع

.. ثم تفجر كل شىء ، فجأة ، هذه هى فضيحة بنما ! .. هذه هى الفضيحة الاولى فى الجمهورية الفرنسية الثالثة – التى لا تلبث ان تقوم فيها فضائح اخرى عديدة – وتفجرت فضيحة بنما فى دوى هائل كهزيم الرعد فى يوم ملبد بالغيوم ، مشحون بالصواعق ! ..

وتصايح الناس مذهولين من النكبة التى أصابت ادخار الشعب، تصايحوا فى الطرقات ، والمقاهى ، والبيوت ، والبنوك .. تصايحوا من منبر المحكمة : ان الشركة قد سلبت الناس مدخراتهم وقوام عيشهم ومستقبل ايامهم هم وأولادهم .. ان الشركة قد انفقت نفقات جنونية بقدر ما هى لا نفع منها ، ولم تحقق ارباحاالالاشخاص معينين ، ولا سيما لاولئك الاداريين الذين القوا بالرشوة دون حساب!.

لقد اشترت الشركة جميع ذمم المسئولين .. اشترت ذمة النواب وضمائرهم حتى لا يعارضوا فى اصدار الاكتتاب الاخير – اشترت شرف الوزراء القدامى ، ومنهم رئيس وزارة سابق – هو روفييه – كما اشترت ذمة وزيرين سابقين من وزراء العدل ، هما – تيفينيه وديفيس – واشترت ذمة وزير الاشغال العمومية –بايهو–واشترت ذمة مديرين سابقين للشرطة هما – لويس رينو والبيرجريفى–وهذا الاخير هو شقيق رئيس الجمهورية السابق ! ..

واعلن فلوكيه ــ رئيس مجلس النواب ــ من منبر المجلس :

ــ اننى لم اطلب شيئا ، ولم اتلق شيئا ، ولم اوزع شيئا !!

ولكن جريدته ــ لوسوار (المساء) اكدت بلهجة الجد لا المزاح او السخر : « ان مسيو فلوكيه سيقول انه طلب وتلقى ثلاثمائة الف فرنك ، ولكنه استخدمها فى الدفاع عن الجمهورية » !! ..

وظهر من الحسابات ان البارون دى ريناخ ــ وهو يهودى ــ من المتهمين بتهمة الاختلاس ــ وقد تولى ادارة اصدار الاكتتاب الاخير ــ وقد قبض لنفسه اكثر من ثلاثة ملايين من الفرنكات الذهبية !!

وراح يؤكد ــ دون ان يقدم برهانا ! .. انه وزع هذه الملايين على الصحفيين !! ..

وقصارى القول ان « نفقات الاصدار » قد بلغت ٨٢ مليونا ذهبا .. اى نحو خمسة وعشرين مليونا من الجنيهات بعملة أيامنا هذه !.

***

وفى ١٠ يناير ١٨٩٣ ــ كانت قضية السرقة والاختلاس التى خدع بها الوف المكتتبين ــ وقد اصدرت المحكمة فيها حكما على فردينان دى ليسبس ــ الذى هدم ابطال بور سعيد تمثاله بعد ستين عاما بالسجن خمس سنوات وبغرامة ثلاثة آلاف فرنك ..

لكن القضية ستعرض ايضا امام محكمة الجنايات ، لافساد الذمم والرشوة ، وبين المتهمين اربعة من كبار المديرين واربعة من البرلمانيين ــ وكانت خلاصة الدعوى ان الشركة لكى تحصل على الترخيص لها بالاكتتاب الاخير كان لابد لها ان تقنع النواب ليصوتوا معها لا ضدها ــ واختلط الامر يومئذ بين الدعاية والرشوة .. وكان شارل دى ليسبس قد استخدم للدعاية وسيطين يهوديين هما البارون دى ريناخ وكورنيليوس هرتز واعطاهما مبالغ ضخمة « نحو عشرة ملايين » دون ان يعرف او يطلب تفاصيل استخدام هذا المال الكثير ! ..

وسئل شارل بن فردينان دى ليسبس ، فى المحكمة ، كيف كان ذلك ، فقال :

ــ ان مسيو بايهو ، وزير الاشغال العمومية ، قد طلب لنا ، على يد وسيط ــ ان نضع مليونين تحت تصرفه .. ودفعنا له مقدما دفعة اولى قدرها ٣٧٥,٠٠٠ فرنك ! ..

وهنا ساله الافوكاتو العمومى :

ــ هذا المال قد اعطى لشراء الذمم وافسادها ! ..

وكان جواب شارل دى ليسبس :

ــ لا ، انه مثل كيس النقود او مثل ساعة الجيب التى يقدمها المرء

لقاطع الطريق والسكين مصلتة على عنقه ! ..

الرئيس ـ كان يمكنكم استدعاء الشرطة ! ..

ش . دى ليسبس ـ ولكن ما العمل اذا كانت الشرطة نفسها تفرض الفدية ؟!

وعدد رئيس المحكمة وقائع الرشوة من قرار الاتهام وكان دفاع شارل دى ليسبس انهم كانوا يقدمون هذا المال تحت ضغط من التهديد والوعيد ، وكان الوزراء انفسهم لا يتحرجون من مدايديهم ، والا فالويل للمشروع ! ..

واعلن الافوكاتو العمومى ان عناد فرديناان دى ليسبس قد ادى به الى ارتكاب اشنع الاعمال وابشعها ، وانه قد نثر الخراب فى كل مكان مر به ، فى حين تتضخم من حوله مكاسب المرتشين ومغانم الاستغلاليين ..

وكان الحكم قاسيا .. حكم على وزير الاشغال العمومية ـ بايهو ـ بالسجن خمس سنوات وغرامة سبعمائة وخمسين الفا من الفرنكات يدفعها بالتضامن مع شارل دى ليسبس .

ولكن اسمع ، واعجب ، ومن عاش راى العجب ، ان هذا الحكم الذى يصمغ المسيو بايهو بالعار والشنار ، وهو خريج السجون بتهمة الرشوة القذرة ، ان هذا الرجل لم يمنعه ذلك الحكم الفاضح من ان يصبح فى غفلة الزمن ، وقبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. ان يصبح مسيو بايهو هذا ، فى ١٩٢٣ ـ عضوا فى مجلس ادارة شركة قناة السويس !!

لقد استطاعت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ان تطهر ارضنا من ارجاس الاحتلال ومن انئاب الاستغلال ، وان تطرد شركة قناة السويس بكل فضائحها ومفضوحيها ، بكل صولتها ونفوذها الدولى ، بكل مرتشيها ومختلسيها ومستغليها ومديريها ، بكلمة واحدة كانت حدا فاصلا بين الامس الذليل والحاضر المشرق والمستقبل البسام

وحكم على ابن فرديناان دى ليسبس بالسجن سنة ..

وكان عشم المكتتبين فى استرداد مالهم ، من بيع مخلفات الشركة ، عشم ابليس فى الجنة !..

ووقعت جمهورية بنما مع الولايات المتحدة الامريكية معاهدة مقابل عشرة ملايين دولار وضمان الاستقلال ، نظير منحها امتياز حفر القناة ، التى استغرق حفرها عشرة اعوام . واغرق الامريكان المستنقعات التى كانت تخرج منها جراثيم الحمى الصفراء وناموس الملاريا بالبترول حتى تلاشت بعد

اربعة اعوام ، وامكن البدء بالعمل فى جو صحى نسبيا .. واتفق الامريكان فى انشاء القناة اربعمائة مليون دولار بما فى ذلك ما دفعوه لحكومة بنما وللشركة الفرنسية .

وكان اليوم المشهود ــ فى اكتوبر من عام ١٩١٣ ــ ان اختلطت لاول مرة مياه المحيط الباسيفيكى بمياه المحيط الاطلنطى .. وبذلك حقق العالم وفرا عظيما فى الزمن ، والمسافة ، والمال ، يبلغ مثلاستين فى المائة لباخرة تسير من نيويورك الى سان فرانسيسكو !

***

هذه لمحة من قصة قناة بنما التى يعترف المعلق الامريكى الذائع الصيت ــ والتر ليبمان ــ انمتاعب بلاده ومشاكلها ترجع فى الواقعالى حقيقة لامراء فيها .. هى ان هذه القناة ومعاهدتها قد اصبحتا شيئا عتيقا فات اوانه وراح زمانه ، وان من الافضل للامريكان المبادرة الى حفر قناة جديدة فى المكسيك او نيكاراجوا او كولومبيا او حتى فى بنما نفسها ، وعقد معاهدة جديدة لضمان السلامة لهم ولنصفالكرة الغربى وللتجارة العالمية جميعا .. ذلك ان هذه القناة التى كانت تعد معجزة هندسية فى بداية القرن العشرين لم تعد تلائم عصرنا هذا لانها لا تتسع للبواخر الكبيرة ــ مثل كوين مارى وكوين اليزابث ــ التجاريتين ، ولا للسفن الحربية الضخمة على السواء .. فضلا عن عرضتها للتدمير لاعتمادها على الاهوسة للتغلب على الفرق بين مستوى البحر ومستوى القناة .. وما تتطلبه تلك الاهوسة ذات الاجهزة المعقدة من سهر وحراسة .. بحيث اصبحت لها مستعمرة امريكية متعجرفة مستبدة تحتقر اهل البلاد وترفع عن كل علاقة بهم وتستقلْ بمساكنها ومدارسها وتأبى حتى ان يرتفع علم بنما الى جانب علمها ! ؟ ويحرم على الدولة التى تجرى القناة فيها ان يكونلها اسطول ذو جيش وطنى .. وليس لها غير قوة بوليسية لاتتجاوز الفى رجل لحراسة المليون نسمة !؟.. بل كان الى عهد قريب تصرف مرتبات الجالية الامريكية بالذهب، وتصرف مرتبات الموظفين الوطنيين بالفضة !..

لقد دقت ساعة الحرية فى بنما ، كما دقت فى السويس ، ولن تستطيع قوة بشرية ان تحول دون استقلال امة والانتفاع الكامل بالقناة المائية التى تجرى فيها ، او تستطيع ان توقف عقارب الساعة !..

كتاب الشهر



PRELUDE to ISRAEL

AN ANALYSIS OF ZIONIST DIPLOMACY 1897 - 1947

أسرار العمل السياسي الصهيوني ضد العرب خلال نصف قرن

قصة الدبلوماسية الصهيونية

تأليف ألان تايلور

تعريب وتقديم أحمد بهاء الدين



قصة الدبلوماسية الصهيونية

هذا الكتاب بالغ الاهمية ..

انه لايستعرض تاريخ الحركة الصهيونية او تاريخ اسرائيل .. ولكنه يركز على نقطة واحدة هى : العمل الدبلوماسى الصهيونى ، الذى كان يتم دائما على اى مستويات السلطة والنفوذ فى اوروبا وامريكا ..

انه يروى قصة الحركة الصهيونية وهى تضغط على ابواب الخليفة التركى ، ثم القيصر الالمانى ، ثم رئاسة الوزارة الانجليزية .. واخيرا : البيت الابيض والكونجرس فى الولايات المتحدة ...

ومؤلف الكتاب شاب اسمه «الن تايلور» والعنوان الاصلى للكتاب هو :

PRELUDE TO ISRAEL

اى « مدخل الى اسرائيل » .

والكتاب نفسه مطبوع فى الولايات المتحدة الامريكية ، فهو لايمكن ان يتهم بأنه متحيز ضد الصهيونية ، لاى سبب من الاسباب ..

وليست قيمة الكتاب فى انه وثيقة خطيرة ضد الحركة الصهيونية وضد اسرائيل وضد الدول التى ساعدتها على ان تقوم .. ولكن قيمته ايضا فى انه درس خطير للعرب ، يفتح عيونهم على مايدور فى هذا العالم من تيارات خفية ومن اساليب فى العمل السياسى ...

ونظرا لاهمية هذا الكتاب ، آثرنا ان نقدمه على جلدين ، حتى يمكن تقديم اكبر قدر من الحقائق الواردة فيه :

يقول المؤلف ان هدفه من هذا الكتاب هو الكشف عن جذور الصهيونية كحركة سياسية ، وكيف تبلورت اهدافها ، ثم كيف انطلقت تعمل في سبيل تحقيق هذه الأهداف

ومن البدء ، ينبه المؤلف الى ان القول الشائع بأن الصهيونية حركة دينية ، قول غير صحيح .. فهي في الواقع حركة سياسية ، قامت تحمل الرد السياسي على نزعة معاداة السامية ، ذلك الرد الذي تلخص في : خلق دولة صهيونية ، واعطاء « اليهودية » صفة القومية

انها حركة سياسية ، غير دينية ، قامت في شرق أوروبا من جراء اضطهاد اليهود في روسيا وبولندا والمانيا .. ولكنها ، طمعا في تأييد يهود العالم ، عمدت الى استخدام تلك الفكرة الرومانتيكية ، «فكرة العودة» .. ومن هنا خلط الناس بين «الصهيونية» وبين « اليهودية » ، رغم ان الصهيونية في أساسها حركة لا دينية

الخطأ الثاني الشائع ، الذي يقول المؤلف انه يريد أن ينفيه ، هو : الوهم الذي يظن أن قيام دولة اسرائيل جاء مصادفة ، نتيجة للامل اليهودي القديم في العودة الى فلسطين. وهذا غير صحيح. فالحقيقة التي يريد أن يثبتها الكتاب هي أن اسرائيل قامت نتيجة للجهد المخطط المنظم الذي بذلته الحركة الصهيونية . ان الصهيونية تبدو لمن يتأملها تأملا عابرا ، حركة مليئة بالفرق والشيع والاحزاب ، ولكن من يحلل سياساتها وتصرفاتها ، يجدها تتم في ترتيب وتنسيق عجيبين ، يوحي بوجود قيادة واحدة على الدوام . ويقول المؤلف هنا : انه قد يكون من المتعذر أن تثبت وجود اجتماعات قيادات عليا تقوم بهذا التخطيط . ولكن النظر الى انسجام تصرفاتها يجزم بوجود هذا التصميم المدروس

ملاحظة ثالثة واخيرة يسجلها المؤلف في تقديمه للكتاب ، هي : ان كلمة الصهيونية في كتابه انما تنصرف الى الصهيونية السياسية . ففي بدء الحركة الصهيونية كانت هناك صهيونيات : صهيونية ثقافية، تهتم ببث اللغة اليهودية والثقافة اليهودية، وصهيونية سياسية لا تستهدف سوى اقامة الدولة اليهودية

وهذه الصهيونية السياسية ، كانت في البدء مستعدة لاقامة الدولة في أي مكان آخر ممكن ، غير فلسطين . مما يؤكد انها كانت منصرفة في الدرجة الأولى الى اسباغ صفة القومية السياسية على العنصر اليهودي ، وأن فكرة « العودة » الدينية الى فلسطين لم تظهر الا فيما بعد ، كورقة رابحة لا غير ..

❋❋❋

فكرة الصهيونية في حد ذاتها ، عاشت خلال قرون طويلة كناحية من نواحي اليهودية والمسيحية على السواء . في اليهودية كانت تعيش نتيجة ربط اليهودية بالمملكة العبرية القديمة في فلسطين . وفي المسيحية، بدأت توجد منذ عصر كرومويل حين كان هناك اعتقاد بأن مرور ألف سنة على رسالة المسيح سيقتضي اعادة اليهود الى فلسطين

ولكن الصهيونية كحركة صهيونية ، ليست سوى من مواليد القرن التاسع عشر . فقد بدا لبعض الوقت ان حركة التحرر والمساواة التي بدأت تغزو اوروبا سوف تحل مشكلة اليهود . ولكن اعترض ذلك عقبتان : العقبة الاولى من اليهود أنفسهم الذين كرهوا ما يحمله هذا التحرر من احتمال تذويبهم في الآخرين .. حتى ان « ناحوم جولدمان » الرئيس الحالي للحركة الصهيونية العالمية يقول « ان اقامة دولة يهودية هدفه حفظ الشعب

هرزل .. الأب العليد الذي تجهد حول حركة « حب صهيون » .. !



اليهودى من خطر التحرر والذوبان » .
اما العقبة الثانية فكانت من أوروبا نفسها : فحين بدأ التسامح الدينى يسود، اخذ التعصب القومى الذى كان بارزا فى القرن التاسع عشر يتخذ مظهرا عنيفا ، جعل عملية تقبل ذوبان اليهود فى القوميات البازغة يصبح صعبا من جديد

ثم جاء حادث هام : هو حادث اغتيال القيصر اسكندر الثانى فى روسيا سنة ١٨٨١ ، فقد ارادت السلطات الروسية وقتها أن تجعل اليهود هم كبش الفداء فى هذا الحادث ، فاندلعت موجة من ذبح اليهود واضطهادهم .. ادت الى موجة من الهجرة الى غرب اوروبا وامريكا . ولكن ثلاثة آلاف من المهاجرين اليهود ذهبوا فى تلك السنة الى فلسطين . وفى سنة ١٨٨٢ اقاموا « مستعمرة ريشون كاريون » بالقرب من يافا

وفى نفس تلك السنة ، ظهرت فى روسيا لأول مرة حركة عرفت باسم **Chibboth Zion** اى « حب صهيون » ، وكان انصارها يتجمعون فى حلقات اسمها « احياء صهيون »

كانت أهداف هذه الجماعات هى الهجرة الى فلسطين واحياء اللغة العبرية . وهكذا ظهرت لأول مرة بذور الصهيونية السياسية

وقد تم الاعتراف اخيرا بهذه الجمعيات فى سنة ١٨٩٠ تحت اسم « جمعية مساعدة الصناع والزارعين اليهود فى سوريا وفلسطين »

كان رئيس هذه الحركة يحمل اسم « ليون بنسكر **LEON Pinsker** » . وكان قبل ذلك رئيسا لاحدى جماعات احياء صهيون . وكان فى الواقع اول من دعا الى اقامة وطن قومى لليهود ، دون التمسك بأى مكان معين لهذا الوطن

ولكن هذه الحركة لم تلبث ان تصدت لها معارضتان : الاولى من اليهود انفسهم ، الذين عارضوا فى فكرة الوطن ايا كان ، والعارضة الثانية من الامبراطورية العثمانية ، اذ اصدر الباب العالى سنة ١٨٨٨ فرمانا يقضى بمنع أية هجرة جماعية يهودية الى أراضى الدولة العثمانية ، ولا يسمح للحجاج اليهود بقضاء اكثر من ثلاثة اشهر فى فلسطين

وتجمدت الحركة تماما ...

أما الرجل الذى دفع بهذه الحركة الى الوجود مرة أخرى ، فهو يهودى مجرى ، تعلم فى فيينا ، اسمه تيودور هرزل

كان هرزل قانونيا بدراسته ، ولكنه كان يعمل صحفيا يراسل لاحدى صحف فيينا من باريس ، حين اثيرت « قضية دريفوس » الشهيرة ، سنة ١٨٩٤

وأدرك هرزل ما تنطوى عليه ظروف هذه القضية من نزعة عداء للسامية . ووصل هرزل الى نتيجة هى انه ان كانت فرنسا بلد الحريات يمكن أن تهب عليها عاصفة من معاداة السامية ، فمعنى ذلك انه من الممكن ان تتخذ معاداة السامية اشكالا اشد عنفا وقسوة فى سائر بلاد اوروبا التى ليس لها اى حظ من التحرر الفرنسى

وفى صيف نفس السنة ، ١٨٩٤ ، اصدر هرزل كتابا صغيرا بعنوان « الدولة اليهودية» : يدعو فيه الى اقامة مستعمرة يهودية تحت وصاية انجلترا ، تكون فى فلسطين او فى الارجنتين ، على أن تتطور بعد ذلك الى دولة يهودية قومية مستقلة ذات سيادة

ولا شك أن حديث هرزل عن امكان اقامة وطن قومى لليهود فى الارجنتين ، يستوقف النظر ، فهو يدل على أن الحركة الصهيونية ظهرت الى الوجود لاسباب سياسية فقط ، هى الرد على حركة معاداة السامية ، وليس لتحقيق نبوءات اليهودية القديمة . وقد بقى جوهر الصهيونية هكذا دائما : سياسيا تماما ، وغير دينى . صحيح أن فكرة « العودة » الرومانتيكية قد أدخلت عليها بعد ذلك ، ولكن لا لسبب سوى الاستفادة من جاذبيتها فى كسب الانصار . ولكن الحركة الصهيونية بقيت على الدوام فى جوهرها كما ولدت : حركة عملية واقعية لامذهبية، حركة سياسية للرد على مشكلة سياسية معينة ، لا لتحقيق نبوءة دينية

كان لنشر كتاب هرزل ردود فعل مختلفة ، ولكنه جمع حوله عددا لا بأس به من الانصار ، جعله يدعو الى عقد أول مؤتمر صهيونى عالمى ، وهى الفكرة التى سبق ان اقترحها نفس الرجل الذى نحت كلمة « صهيونية » وهو ناثان برنباوم **NATHAN BIRNBAUM**

وفى اغسطس ١٨٩٧ ، انعقد أول مؤتمر صهيونى عالمى ، فى مدينة « بال » السويسرية ، وفى خطاب الافتتاح ، قال



وايزمان .. اخترع مادة «الاسيتون» ليحصل على تأييد الحكومة البريطانية



بن جوريون : اعطته جامعة برنديس الدكتوراه الفخرية ..!

هرتزل « اننا هنا لنضع حجر الاساس فى بناء البيت الذى سوف يأوى الامة اليهودية » . ثم اقترح برنامجاً من ثلاث نقط :

اولا — تشجيع القيام بحركة هجرة منظمة واسعة النطاق الى فلسطين

ثانيا — الحصول على اعتراف دولى بشرعية هذا التوطن فى فلسطين

ثالثا — انشاء منظمة دائمة لضم صفوف يهود العالم اجمع وراء القضية الصهيونية

ويقول المؤلف : ان هذه الاهداف الثلاثة ظلت وما تزال هى المهمات الاساسية للحركة الصهيونية : جمع اليهود فى فلسطين . الحصول على تأييد الدول الاجنبية . وكسب اليهود الى صف الفكرة الصهيونية

واذا كان هرتزل قد استخدم كلمة « دولة » فى التعبير عن هدف الصهيونية ، الا ان المؤتمر فى قراراته النهائية فضل استخدام كلمة Heimstatte اى Homestead حتى لا يحدث رد فعل عنيف

ويروى المؤلف ان هرتزل قال اثناء مناقشة الصياغة : « لاتهم الصياغة ! سيقرأها اليهود على اى حال على انها « دولة يهودية »

وقبل ان يتم المؤتمر اعماله ، كان قد فرغ من وضع اول نظام للمنظمة الصهيونية العالمية ، بما فيها من أجهزة قيادية واجهزة تقوم مقام وزارة الخارجية فى اى بلد . فمنذ سنة ١٨٩٧ كان قد تم وضع الخطة ، ورسم الاهداف ، واقامة « جهاز حكومة » يتولى التخطيط والتنفيذ

وانطلق هرتزل ، بوصفه اول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية ، الى العمل

كان هرتزل يعلم جيدا ، ان حجرالاساس فى اقامة هذا الحلم ، هو : موافقة الدول الاجنبية ذات الشأن . نفس الخط الذى لم تتركه الصهيونية لحظة واحدة ، قبل قيام دولة اسرائيل وبعد قيامها ...

ولجأ هرتزل أول الامر الى احد الحكام الاقوياء فى اوروبا ، الى الامبراطور غليوم الثانى : بداية رحلة الى انجلترا ثم الى أمريكا ...

لجأ هرتزل الى القيصر غليوم الثانى ، اذ قابله فى القسطنطينية ، سنة ١٨٩٨ ، خلال رحلة القيصر فى ارجاء الامبراطورية العثمانية . واقترح هرتزل على القيصر اقتراحا خبيثا : اقترح عليه انشاء شركة لاستثمار الاراضى ، يباشرها الصهيونيون تحت حماية المانيا واشرافها . وقال القيصر انه سيفكر فى الامر . وطارد هرتزل القيصر حتى قابله مرة ثانية خلال نفس الرحلة ، فى فلسطين ، يوم ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٨

ولكن القيصر كان قد عقد عزمه على الرفض . وقال ان مثل هذا العمل سوف تعتبره الامبراطورية التركية تدخلا غير مباشر فى شئونها ..وقد يثير الدول الاخرى المتربصة بنهاية الامبراطورية التركية المريضة : انجلترا وفرنسا وروسيا

وقرر هرتزل ان يطرق الباب العالى مباشرة . وفى مايو سنة ١٩٠١ توصل الى

مقابلة السلطان العثماني في القسطنطينية، وطرح عليه نفس الموضوع بشكل آخر ملائم ، هو : أن يقوم اليهود بمساعدة السلطان على اعادة تنظيم المالية التركية المرتبكة ، واستثمار الاراضي المهملة في الامبراطورية . ولكن السلطان قال انه لا يستطيع أن يسمح بهجرة يهودية جماعية الى فلسطين

وازاء هذا الفشل ، نقل هرزل نشاطه الى الدولة التي اقترحها من قبل ، كراعية للحركة الصهيونية ، وهي انجلترا

وفي سنة ١٩٠٢ ، دخلت المنظمة الصهيونية في مباحثات جدية مع الحكومة الانجليزية بقصد اقناع انجلترا بمنح الحركة جزءا من شبه جزيرة سيناء ، يقيمون فيها وطنهم القومي ، كجزء من الامبراطورية البريطانية

كانت انجلترا في ذلك الوقت تحتل مصر ، التي تتبعها شبه جزيرة سيناء . وكانت سيناء بذلك أقرب مكان تحت النفوذ الانجليزي الى فلسطين . ولا شك أن الحركة الصهيونية اختارتها ، رغم جفاف الطبيعة فيها ، كنقطة ملائمة للوثوب على فلسطين عندما يحين الوقت . فضلا عن أن سيناء أيضا مكان جرت فيه ذكريات دينية يهودية . ولنتذكر هنا ، أن بن جوريون ، بعد هذه المباحثات بنصف قرن ، انتهز فرصة حرب السويس التي شنها على مصر بالاشتراك مع انجلترا نفسها ، ليقف في برلمان دولة اسرائيل ويعلن ضم سينا الى اسرائيل !

المهم ، ان المباحثات توقفت . لان انجلترا ، كما يقول المؤلف ، وجدت معارضة مصرية في ذلك .. لسنا نعرف قصتها بالضبط ، ولكنها في رأى المؤلف : كانت أول اشارة الى معارضة العرب في اقامة وطن قومي يهودي على أرضهم .

وبعد سنة ، توصل هرزل الى عقد مشروع اتفاق آخر مع الحكومة البريطانية يقضي بمنح أوغندا للمنظمة الصهيونية ، بقصد تعميرها والتوطن فيها . وقدم هرزل هذا المشروع الى المؤتمر الصهيوني السادس . ولكن يبدو ان المؤتمر لم يتحمس للفكرة كثيرا ، أو وجدها محتاجة الى دراسة ، فقرر فقط ارسال بعثة الى أوغندا لدراسة امكانياتها

ومات هرزل سنة ١٩٠٥ ، قبل اتخاذ اى قرار نهائي في الموضوع . فكانت النتيجة ان الحركة الصهيونية انقسمت بعد موته الى فريقين : فريق يرى ان المخرج الوحيد لليهود هو الاسراع بقبول اي عرض لاقامة دولتهم ، في فلسطين أو في غيرها . وفريق يرى انه اما فلسطين والا فلا ...

فلما جاء المؤتمر الصهيوني السابع سنة ١٩٠٥ ، انتصر الفريق الثاني ، واتخذ المؤتمر قرارا يعلن أن الحركة الصهيونية يجب أن تستهدف اقامة وطن اليهود القومي في فلسطين بالذات

***

ومن سنة ١٩٠٥ ، الى سنة ١٩١٤ ، يوم نشبت الحرب العالمية الاولى ، كان التوطن اليهودي في فلسطين يتزايد في صمت واستمرار لوصل عدد المستوطنين الجدد الى ١٢ الفا ، يعيشون في تسعة وخمسين مستعمرة ...

وكان النفوذ الصهيوني ، قد هاجر بنفس الكثافة الى لندن حيث تركز هناك : فانجلترا كانت القوة الكبرى ، التي يمكنها أن تمنح اليهود مايشاءون ...

***

كانت الحرب العالمية الاولى نقطة تحول تاريخية ، بل وفرصة ذهبية للحركة الصهيونية

فها هي الامبراطورية التركية ، واضعة اليد على فلسطين ، تدخل في صدام مسلح حاسم مع انجلترا ، التي بدأت تتقبل الحركة الصهيونية وتبحث عن خريطة مناسبة لاستخدامها . والرهان على انهيار الامبراطورية التركية المريضة وانتصار انجلترا والحلفاء ليس صعبا . لهذا كان طبيعيا أن تجد الحركة الصهيونية في هذه الحرب فرصتها الذهبية ، بشرط : ان تضع كل ثقلها الى جانب انجلترا وان تتأكد من حصولها على الثمن المناسب

ويبرز في هذه المرحلة اسم **حاييم وايزمان** . وكانت ترشحه لقيادة الحركة الصهيونية ظروف كثيرة

فهو من جهة ، كان أحد الداعين الى تآلف واندماج كل التيارات في الحركة الصهيونية ، والى ضرورة الجمع بين الجوهر السياسي للحركة او الورقة العاطفية الرابحة ورقة « العودة »

وهو من جهة اخرى ، كان قد توطن في انجلترا وبدأ فيها نشاطا سياسيا واسعا بالفعل . ففي سنة ١٩٠٤ هاجر هذا

الكيميائى الروسى الى لندن حيث عاش وبدأ يتصل بالكتاب والصحفيين والساسة من جميع الاحزاب ...

وكان أول نجاحين له هما : أولا توصله الى عقد صداقة قوية مع لورد بلفور ، الذى لم يكن قد أصبح وزيرا بعد ، والذى قال مرة وهو يقدم وايزمان الى بعض أصدقائه : « هذا هو الرجل الذى جعلنى صهيونيا ! » ..

وثانيا توصله الى كسب « سكوت » رئيس تحرير المانشستر جارديان ، احدى الصحف الكبرى ذات النفوذ

وكان « سكوت » هذا هو الذى عرف وايزمان الى بعض الوزراء الانجليز لأول مرة : عرفه على « هربرت صاموئيل » ، الوزير اليهودى ، كما عرفه على « لويد جورج » الذى أصبح رئيسا للوزراء فيما بعد : وهكذا بدأ تمهيد الارض لكى تمارس الدبلوماسية الصهيونية عملها وتؤتى ثمارها ..

ويتساءل المؤلف : ترى ما هو السبب الدفين وراء تلك الموجة من تأييد الصهيونية ، التى نمت ، ويا للغرابة ، فى هذا المجتمع الانجليزى المسيحى ؟ ..

ويورد المؤلف رد المؤرخ الانجليزى الكبير ارنولد توينبى على هذا السؤال ..

يقول توينبى : ان المصدر الاول لهذه الموجة هو شعور دفين بالذنب لدى بعض غير اليهود ، الذين هم فى قرارة نفوسهم معادون للسامية ، رغم عدم رضاهم العقلى من هذا الشعور ، فهم « يكفرون » عنه بتأييد اليهود علنا . والمصدر الثانى فى رأيه هو ان هذا نموذج انجلو سكسونى صادق لنماذج الكيانلية المترجمة بالفروسية ...

أى نموذج من قدرة الانجلو سكسون على مزج أهدافهم السياسية والمصلحية بشعارات تبدو انسانية

واظن ان هذا التفسير الثانى هو الاصدق ...

لمصلحة الانجليز فى تبنى هذه الحركة الصهيونية واضحة : فحيثما حل الاستعمار الانجليزى نجده يعمد الى أقرب مشكلة من مشاكل الاقليات فيخلقها اذا لم تكن موجودة ، ويشعبها اذا كانت موجودة ، وذلك بقصد استخدامها فى خلق مشكلة تصرف الشعب عن مشكلته مع الاحتلال . ولكى يوجد دائما « نقطة ضعف » داخلية



توينبى .. أوضح مصلحة الانجليز فى تبنى الحركة الصهيونية.



بلفور: وعد وايزمان بفلسطين .. بعد الحرب .. !



الرئيس ويلسون .. تولى القاضى الصهيونى اقناعه بدخول الحرب!

فى المجتمع يبنى عليها وجوده ، واستمرار لدخله . ولكى يكون له فى النهاية قطاع من المجتمع مستفيد من وجود الاســـتعمار ومرتبط به .

وفى منطقة كبرى بالغة الخطورة كالمنطقة العربية .. وابان ثورة عربية كانت تتبلور تحت جنح الظلام التركى المنسحب ... لماذا لا يوجد هذا الجسم الطارىء الغريب، هذا الجسم الصهيونى ، الذى قدم نفسه لانجلترا بالتأكيد على انه مندوب لها ، وقلعة مرتبطة بها ، ابقى لها فى المنطقة من اى جيش مسلح !

فاذا غطت انجلترا بغطاء انسانى شفاف هو : الرغبة فى حل المشكلة اليهودية .. واذا كسبت الى جانب ذلك تأييد كل اليهود لها ، وتحولهم الى شبه عملاء لحسابها، باموالهم وانتشارهم الاوروبى الكبير ... فلماذا ترفض انجلترا كل هذا الاغراء ؟ ..

ويضيف المؤلف الى هذا كله : ان كثيرا من الغربيين قد خلطوا بين الصهيونية والليبرالية ، وهى نزعة التحرر الانسانى والمساواة . فظنوا ان الصهيونية تحاول حل مشكلة اليهود وفى حل مشكلة اليهود خطوة منطقية مع موجة التحرر الانسانى والمساواة . وجهلوا بسبب هذا الخلط ان « المتمردين » حقا هم اليهود الداعون الى ذوبان اليهود فى البلاد التى يعيشون فيها ، أما اليهود الصهيونيون ، فهم انما يقدمون حلا عنصريا دينيا متعصبا ، وليس حلا انسانيا متسامحا

المهم ، ان الاداة الصهيونية فى انجلترا بدأت تتحرك ، بدرجة عالية من التنظيم والدراية ....

ففى نوفمبر ١٩١٤ ، كتب **حاييم وايزمان** الى صديقه رئيس تحرير المانشستر **جارديان** شارحا الخط الصهيونى فقال بالحرف الواحد :

« من الممكن الآن أن نقول انه اذا وقعت فلسطين فى دائرة النفوذ البريطانى ، واذا شجعت انجلترا بعد ذلك توطن اليهود هناك ، كمستعمرة بريطانية ، فاننا نستطيع أن نوجد خلال الثلاثين سنة القادمة حوالى مليون يهودى فى تلك البلاد : ليطوروها ، وينقلون الحضارة اليها ، **ويكونون بمثابة حرس فعال لقناة السويس** »

وقد استفهم فى هذا الجزء الاخير ان لورد كتشنر كان من رأيه ايضا أن فلسطين هى الموقع الاستراتيجى الذى يجب الاعتماد عليه للدفاع عن قناة السويس فى المدى الطويل .. فأخذوا ينشرون هـــذا ويذيعونه ..

تلك اذن هى الخطة الصهيونية لمرحلة الحرب العالمية الاولى :

١ ــ أن ينتصر الحلفاء ، وعلى رأسهم انجلترا

٢ ــ أن تكون فلسطين من نصيب انجلترا

٣ ــ أن تسهل انجلترا استيطان اليهود فى فلسطين

٤ ــ أن ينتهى الامر بسيطرة اليهود على فلسطين ، فى مقابل استمرارهم فى خدمة مصالح انجلترا بحراسة قناة السويس لحسابهم

روتشيلد صهيونى مائة فى المائة ..وايد الحركة ماديا مائة فى المـــائة ..



كتشـــنر .. من رايه ان فلسطين احســـن موقـــع لحماية قناة السويس ..!



الامبراطور غليـــوم .. لم تنطل عليــه الاعيب هرزل وخبثــــــه ..!



ويلاحظ المؤلف ان كل هذه النقط الاربع قد تحققت ...

وأضيفت : انهــا تحققت حتى وقوع حرب الســويس . فاشتراك اسرائيل مع انجلترا فى الهجوم على مصر ، بمناسبة تأميم قناة السويس ، فى المؤامرة المشهورة ، هو حدث غريب ساقته الظروف لتأكيــد تنفيذ البند الرابع من هذا « التفاهم »

واظن ان نظرة المصلحة الانجليزية فى موضوع الصهيونية كلها ، منذ مطلع القرن العشرين ، اصبحت واضحة تماما .. غير محتاجة الى تحليلات توينبى النفسية !

وفى ذلك الوقت كان لويد جورج وهربرت صمويل قد بدءا فى اقناع سائر الوزراء الانجليز بهذه السياسة . حتى تعهــد سير ادوارد جراى وزير الخارجية باقامة مثل هذه الدولة فى المستقبل ، منضما بذلك الى انصــار الصهيونية فى مجلس الوزراء البريطانى

ولكن هذه السياسة ، مع ذلك توقفت قليلا مصطدمة بعقبتين :

العقبة الاولى ، هى ان اسكويث رئيس الوزراء كان مرتبطا بسياسة احلال العرب على الاتراك كأصدقاء ، وحلفاء لانجلترا فى الشرق الاوسط

والعقبة الثانية ، ان كتلة كبرى من اليهود ، كانوا يرون ان حل مشكلة اليهود هو الذوبان فى المجتمع الاوروبى ، وأن خلق دولة صهيونية معناه زيادة النزعة المعادية للســامية فى أوروبا ، بدلا من اطفائها

ويروى المؤلف انه فى تلك الاثناء ، عرف وايزمان من لويد جورج ، الذى كان رئيسا للجنة المجهود الحربى ، ان انجلترا تبحث عن طريقة علمية لانتــاج مادة الاسيتون واستخدامها فى انتــاج المتفجرات بكميات كبيرة . وعكف وايزمان ســنة كاملة فى أبحاث متصلة لهذا الغرض ، حتى نجح اخيرا فى انتاج المادة المطلوبة . وبناء على ذلك ، وبتوسط لويد جورج ولورد بلفور الذى كان قد اصبح وزيرا ، تم تعيين حاييم وايزمان فى مركــز مرموق فى وزارة البحرية البريطانية . ويقول المؤلف ان وايزمان انطلق يعمل فى المجهود الحربى البريطانى دون أن يثير موضوع فلسطين . ولكن بلفور قال له مرة « أتعلم أنك بعد الحرب قد تحصل على القــــدس التى تريدها ! »

فى تلك المرحلة بالضبط ، اى فى سنة ١٩١٥ ، بدأت الحكومة البريطانية تتخــذ لاول مرة خطوات جدية ورسمية فى اتجاه الصهيونية . وهى خطوات يقول المؤلف أنها كانت مشوبة بالحذر ، لعلم الوزراء المؤيدين للصهيونية بميل رئيس الوزراء ، اسكويث ، الى التزام جانب العرب ...

ففى مارس ١٩١٥ ، أرسل سير ادوارد جراى وزير خارجية انجلترا الى ســير ادوارد بوكانان سفير انجلترا فى ســان بطرســبورج ، عاصمة روسيا القيصرية فى ذلك الوقت .. أرسل اليه مذكرة يشرح فيها رأى الحكومة البريطانية فى العلاقة بين فلسطين والصهيونية العالمية . كانت المذكرة تقول ان فلسطين هى الثمن الذى يمكن بواسطته كسب تأييد اليهودية العالمية كلها الى جانب الحلفاء . وكانت تقول أيضا انه لو اطلقت المنافسة بين العرب واليهود فى فلسطين فسوف تقع فلسطين تحت ادارة اليهود

وكانت تعليمات وزير الخارجية البريطانية الى ســفيره تقضى بتسليم المذكرة الى « سازانوف » وزير الخارجية الروسى . ورد الروس على المذكرة بالموافقة ، بشرط المحافظة على مصالح الكنيسة الروسية فى الاراضى المقدسة .

وفى نفس الســنة ، عين « مارك سايكس » مساعدا لوزير الحرب البريطانى ، واصبح الشرق الاوسط بالذات داخلا فى اختصاصه . وبالتالى كان لابد أن تتجه شبكة الدبلوماسية الصهيونية الى هذا الوجه الجديد ، بغية اصطياده . وبالفعل تولى أمره صهيونى انجليزى اسمه « موسى جاستر » ، اعترف سايكس بعد ذلك بأنه كان الرجل الذى حوله الى نصير للصهيونية ، بعد توليه منصبه الخطير بقليل

وبعد وصول مذكرة سير ادوارد جراى الى سان بطرسبورج بقليل ، وصــــل سايكس الى العاصمة الروسية ، حيث بدأ مباحثاته الشهيرة التى انتهت باتفاقية « سايكس ــ بيكو » المعروفة فى التاريخ العربى

كان المنطق الذى استخدمه سايكس هو : أن اليهود الامريكان يمكن أن يفيدوا قضية الحلفاء فائدة عظيمة بمساهمتهم فى اقناع أمريكا بدخول الحــرب فعلا الى جانب الحلفاء . وقال سايكس لجورج بيكو وزير خارجية فرنسا : ان اعطاء الصهيونية حق

اقامة وطن قومي في فلسطين هو الورقة الوحيدة التي يمكن بها كسب يهود العالم بما فيهم يهود أمريكا . وعلى الفور أرسلت الحكومة الفرنسية استاذا يهوديا فرنسيا، اسمه دكتور باخ الى الولايات المتحدة ليقنع يهودها بأن انجلترا وفرنسا تضمنان حماية المستعمرات اليهودية في فلسطين بعد الحرب . ولكن مهمة باخ فشلت في أمريكا . فلم يكن اليهود هناك وقتها مهتمون بالامر ، فبدأ سايكس نفسه يفقد اهتمامه بالصهيونية بعد أن وجد انها لن تسهم في جر أمريكا الى الحرب

ولكن اتفاقية سايكس - بيكو لم تنص على أي حال تسليم فلسطين الى العرب ، مما أبقى الفرصة مفتوحة على مصراعيها امام الدبلوماسية الصهيونية لمواصلة العمل

وفي اكتوبر سنة ١٩١٦ ، توصل الى سايكس صهيوني آخر ، ارمني الاصل ، اسمه جيمس مالكولم ، نجح في اثارة اهتمام سايكس من جديد بقائدة الحركة الصهيونية ، اذ أقنعه بأن هناك قاضيا صهيونيا كبيرا في امريكا ، هو القاضي براندايس (الذى تحمل اسمه الجامعة الامريكية التي اعطت بن جوريون دكتوراه فخرية منذ سنتين) ، وان هذا القاضي له نفوذ خاص لدى الرئيس الامريكي ويلسون، وبالتالي يستطيع أن يساهم في اقناع ويلسون بدخول الحرب الى جانب الحلفاء ضد ألمانيا . واقتنع سايكس من جديد بهذه الفكرة ، فعاد يستحث مجلس الوزراء البريطاني على قبول فكرة الدخول في مفاوضات مباشرة مع المنظمة الصهيونية العالمية حول فلسطين . واخيرا وافق مجلس الوزراء البريطاني . واختير مالكولم هذا وسيطا بين الطرفين . وبدأ ممثلو الصهيونية العالمية في انجلترا يستعدون لانتهاز الفرصة الكبيرة التي انفتحت امامهم

كان طلبهم الاول هو أن يسمح لهم باستخدام وسائل الاتصال الانجليزية للاتصال بالصهيونيين في مختلف انحاء العالم . وببساطة غريبة وافق مجلس الوزراء البريطاني على هذا الطلب الذى بدا له عاديا . ولم ينتبه ، في رأى المؤلف، الى ان هذه سابقة خطيرة في التعامل الرسمي مع الصهيونية ، وفي أن وسائل المواصلات والاتصال البريطانية انما بدأت تستخدم في الايحاء الى يهود العالم كلهم بأن بريطانيا تؤيد الحركة الصهيونية بالذات

وفي تلك المباحثات ، قدم الصهيونيون الى الحكومة الانجليزية مذكرة بعنوان « برنامج لانشاء ادارة جديدة في فلسطين من وجهة نظر الحركة الصهيونية » . وكانت المذكرة تقترح انشاء شركة يهودية شبه حكومية تحت رعاية حكومتي انجلترا وفرنسا ، مهمتها تشجيع اليهود على التوطن في فلسطين واستثمارها

وكانت سنة ١٩١٦ سنة سعيدة في حياة الحركة الصهيونية . فقد ترك اسكويث رئاسة الوزارة ، وحل محله لويد جورج ، الذى كان قد انضم الى معسكر الصهيونية بالفعل ، كما عين لورد بلفور وزيرا للخارجية . وبهذا اصبحت القضية الصهيونية مكسوبة مقدما

***

بعد شهرين بالضبط من تشكيل الوزارة البريطانية الجديدة ، قرر مجلس الوزراء تكليف مارك سايكس بالدخول في مفاوضات رسمية مع الحركة الصهيونية . وانعقدت الجلسة الاولى في بيت « موسى جاستر » الرجل الذى جاء منذ قليل ان سايكس قال عنه انه هو الذى كسبه الى هذه الصهيونية

حضر من الجانب الصهيوني موسى جاستر ، وهربرت صموئيل ، وحاييم وايزمان وهاري ساشر ، وقد تكلموا جميعا في ضرورة اعطاء اليهود صفة قومية ووضعا رسميا في فلسطين ، مع منح نفس القومية لكل يهود العالم في نفس الوقت ، دون أن يكون لهذا أثر على وضعهم في بلادهم من الناحية السياسية . كما طالبوا باباحة الهجرة الى فلسطين دون اى قيد

وقال سايكس ان هناك بعض الاعتبارات التي قد تحول دون تحقيق هذه المطالب كلها : فروسيا مترددة ، والعرب سوف يعارضون ، وفرنسا ما زالت تطالب بأن تكون « سوريا الكبرى » كلها من نصيبها بعد الحرب ، بما فيها فلسطين

وكانت نقطة الارتكاز في حديث الجانب الصهيوني : ان الكيان الصهيوني الذى سيولد سيكون جزءا من الامبراطورية البريطانية ، وحارسا مضمونا لها في المنطقة

ويقول المؤلف معقبا على هذا الاجتماع : انه بالرغم من ان سكان فلسطين كانوا



بيكو .. أصبح اسمه مع سايكس يكونان معاهدة معروفة في التاريخ العربي!

من العرب ، إلا أن الصهيونيين لم يحسبوا حتى تلك اللحظة حسابهم قط . ولم يناقشوا موقفهم في أي مؤتمر من مؤتمراتهم السرية . لذلك فقد خرج الصهيونيون من هذا الاجتماع وفي ذهنهم أن المشكلة الحقيقية ، بعد كسب انجلترا ، هي اقناع فرنسا أيضا

وقد حل الصهيونيون مشكلة روسيا بالموافقة على مبدأ اقامة هيئات دولية تشرف على الاماكن المقدسة . لبقيت فرنسا التي تطالب بسوريا كلها بما فيها فلسطين .. ثم ايطاليا ، التي يوجد فيها نفوذ البابا

وفي ٨ فبراير ١٩١٧ ، رتب سايكس لقاء بين سوكولوف ووزير خارجية روسيا وجورج بيكو وزير خارجية فرنسا في مقر السفارة الفرنسية بلندن ، وقال سوكولوف أن الصهيونيين يعتقدون انه من المهم جدا لمصالحهم أن تكون انجلترا هي التي تشرف على فلسطين بعد الحرب . ونجح سوكولوف في كسب جورج بيكو ، ولكن بقي أن يكسب بقية الوزارة الفرنسية ، التي كان معظمها يتمسكون بضرورة استيلاء فرنسا على سوريا الكبرى كلها ، وكان المتحمسون لهذا الهدف يسمون « بالحزب السوري »

وفي مارس سافر سوكولوف مع سايكس ، والصهيوني الارمني مالكولم الى باريس .. حيث بدءوا الضغط على الجهات الفرنسية ذات النفوذ . ومن هناك سافر سايكس مع سوكولوف الى روما حيث يقول المؤلف أن سوكولوف استطاع ، بعد جهد شديد ، أن يزيل مخاوف بابا المسيحيين بشأن مستقبل الفئات الغير يهودية في فلسطين ، في حالة اقامة وطن قومي لليهود هناك

وعندما عاد سايكس وسوكولوف من روما الى باريس ، قدم اليه « جول كامبون » سكرتير عام وزارة الخارجية الفرنسية مذكرة باسم الحكومة الفرنسية تعبر فيها عن تأييدها لمطالب الحركة الصهيونية .

ماذا تغير في ذلك الوقت ، فجعل الفريق المؤيد للصهيونية في الوزارة الفرنسية ينتصر ؟ ...

انه تدخل مباشر من البارون ادموند روتشيلد ، الذي كان وايزمان قد اقنعه منذ زمن بالانضمام الى جانب وجهة النظر الصهيونية داخل اليهودية العالمية : فكان روتشيلد يحمل معه كل ثقل تلك الاسرة المالية الشهيرة ، ذات الدور الطويل في تاريخ السياسة الاوروبية ...

هكذا اعلن بلفور أنه مستعد لاصدار بيان يعلن فيه تأييد انجلترا الرسمي لمطالب اليهود في فلسطين : ففرنسا موافقة وروسيا موافقة . والبابا موافق . والقاضي الصهيوني الامريكي براندايس أكد له من جديد أن الرئيس الامريكي ويلسون موافق

وصدر وعد بلفور الشهير

صدر محتويا على ثلاث نقط :

أولا ـ تأييد انجلترا لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين

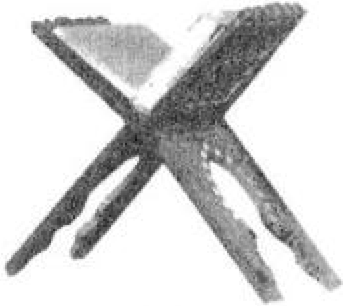
ثانيا ـ تعاون انجلترا مع اليهود لهذا الهدف

ثالثا ـ ان لا يؤثر هذا على حقوق المجتمعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، ولا على حقوق اليهود المقيمين في مختلف انحاء العالم

وكان هذا أقل مما طلبه اليهود . ولكنه كان نقطة تحول بالنسبة لهم . وسهل الامر لهم نجاحهم في دفع لويد جورج الى الادلاء بتصريح قال فيه « أنه اذا أصبح اليهود أغلبية في فلسطين ، فانه من الممكن عندئذ أن تصبح فلسطين « كومنولث يهودي »

أي : يا أيها اليهود ! عليكم بالهجرة ! ويوم تصبحون أغلبية ، ستكون لكم فلسطين !

الجزء الثاني والاخير من الكتاب في العدد المقبل من « الهلال »



مكتبة مجلة الهلال العربية

أزمة الحرية في عالمنا

المؤلف : خالد محمد خالد
الناشر : مكتبة وهبة . القاهرة .

هذا هو الكتاب المشرون للاستاذ خالد محمد خالد والغرض منه أن يلقي أضواء على موضوع بالغ الاهمية ذلك هو أزمة الحرية في عالمنا والتي هي في الواقع ازمة عالمنا نفسه . والسبب الرئيسي فيها أن كلا من النظم السائدة اليوم « ينظر الى الحرية بوصفها أداة عليها أن تخدم أغراضه » . والحرية السياسية هي الديموقراطية ، والديموقراطية منهج للحياة كلها ، غايتها ان تضع جميع قوى الاقتصاد والسياسة والاجتماع في خدمة الانسان ، مصممة في انجاز ذلك كله على العقل والحقيقة والحرية . وعلى ضوء هذا المفهوم كما يراه الكاتب يمضي خلال فصول الكتاب السبعة في التعريف بمظاهر ازمة الحرية ثم استقصاء اسباب الازمة في « دول القمة في كل من المجتمع الراسمالي والمجتمع الاشتراكي » .

ويلاحظ ان المجتمع الراسمالي سلب منه الكثير من قوة الديموقراطية ، فالطبقة العاملة لم تحصل على حقوقها السياسية والاجتماعية كاملة وأول دليل على هذا الاضرابات التي تنشب كل يوم في أكثر من بلد رأسمالي ، ثم هناك أعمال القمع الدامي الرهيب اذا ما اتخذ العمال مواقف جادة تجسد ملوك المال والصناعة . وتصرف الراسمالية كطبقة الا كدولة تصرفا تتحدى القانون وتخرقه ، ومحاولة المنشآت المالية والصناعية الكبرى الاستحواذ على مقاديرالحكم والبرلمان والوظائف الحساسة في الدولة بل والقانون نفسه ، وأخيرا ـ وليس آخرا ـ احتكار اقطاب الراسمالية والصناعة للصحافة

ولم يقف الامر عند هذا الحد من حيث « تعويق رأس المال لسير الديموقراطية ، وسيرها داخل حدود بلاده ، ولكن تخريبه لها في خارج تلك الحدود اشد وادهى » فهو مثلا الذي أقام بنقوده بل وبتضحياته أحيانا الحكومات الفاشية ، فالراسمالية العالمية هي التي تعاونت مع رأس المال الالماني ومع العسكريين الالمان لايصال هتلر الى الحكم وهي التي عاونت قيام الفاشية في ايطاليا ورأس المال البريطاني والفرنسي هو الذي عمل على اسقاط الحكم الديموقراطي ـ حكم الجبهة الشعبية ـ في اسبانيا عام ١٩٣٦ وبعد الحرب العالمية الاولى عمل رأس المال على تدمير عصبة الامم كما تجلى في موقفه من عدوان الفاشية على الحبشة ، ويعمل على تدمير الامم المتحدة الآن عندما يرفض انضمام ٧٠٠ مليون شخص يقيمون في الصين الشعبية . والسبب في هذا كله أن الراسمالية التي تفخر بأنها انشأت وطورت الديموقراطية ، قد خربت الديموقراطية بسبب استخدامها أساليب فاشية في الدفاع عن

نفسها وعن مصالحها ، مع « أن الديموقراطية . تتيح للشعب من الامن والشجاعة والتربية السياسية ما يجعله قادرا عن طريق مفكريه وكتابه وصحافته ومؤسساته وقادته وناخبيه على مواصلة السعي لاعلاء كلمة الجماهير والامة »

وقد يتهم البعض الديموقراطيـة بالبطء والعجز ولكن الاتهام ناجم من عـدم ادراك للفارق الكبير بين التغيير القانوني والتغيير الثوري ، والاول هو وسيلة الديموقراطية « على انه حين يصير التغيير الثوري ضرورة تاريخية في بلد ما ، فاننا نجد الديموقراطية هي المناخ الذي يمد هـذا التغيير بقـوة الانطلاق »

ينتقل الكاتب بعد ذلك الى المعسكر الشرقي ويستشهد بخطاب خروشوف الذي ادان فيه ستالين ولكن مخالفه يقول ان هذه الادانة تمس في نفس الوقت ولنفس السبب ، ادانة النظام الذي أوجده يكمل هذا السلطان المطلق الذي تحول الى طغيان بشع رهيب . فهذا النظام الذي قام في الاتحاد السـوفييتي اتصف بفرض ستار حديدي على التنقـل والحركة والفكر ، ومنح لسلطات البوليس السري سلطات لا حدود لها ، وشهد حركات التطهير الدموية ، وعطل النقد السياسي في الامة والدولة . وما معنى هذا التعطيل ؟ « معناه بداهة أن هذه الامة وهذه الدولة محرومة من أهم حقوق الانسان » . فالناس لم تسمع مثلا وجهة نظر تيتو حين انقلب عليه ستالين ، والنزاع القـائم اليوم مع الصين يعطي صورة واضحة عن ضياع النقد الحر والمعارضة الفعالة . وتزلزل الارض من تحت أقدام القادة فيعدمون أو يسجنون أو يطردون ، دون أن تزاح الاسباب الحقيقية . ومن هنا فان « انعدام النقد الحر والمعارضة القويه القانونية هو الذي يجعل دول القمة في الاشتراكية بلاد الزلازل السياسية »

أما السبب في هذا كله فراجع الى جوهر الفلسفة السياسية للماركسية وهو دكتاتورية البروليتاريا ، وقادة الماركسية ومفكروها ، من ماركس وانجلز ولينين ، لا يجعلون ضمن واجبات الدولة الممثلة لدكتاتورية البروليتاريا حفظ الحرية او الاهتمام بها . انهم يرون ان الحرية غير ممكنة الا بعد أن تزول الدولة والقوم الشيوعية .. فاذا حكمنا بالعهـد الطويل الذي مر منذ قيام ثورة ١٩١٧ فان في امكاننا اذن ان نتنبأ بمستقبل الحرية ! « وعندما يحين ذلك الغد البعيد لن يكون الناس في حاجة الى الحرية لانهم سيكونون قد نسوا تماما شكلها ومذاقها »

ويرى المؤلف انه لكي تخـرج الدول الاشتراكية هذه من ازمتها يجب التخلي عن نظرية دكتاتورية البروليتـاريا فكرا وعملا وفلسفة وتطبيقا ، وايجاد شـكل قانوني للمعارضة السياسية ، وتوفير الضـمانات القانونية والقضائية للصـحافة ، وبث روح الديموقراطية في جميع أجهزة الدولة

وفي الفصل السابع « نحن ، والازمة » يناقش موضـوع الحرية في المجتمع الجـديد في الجمهورية العـربية المتحـدة ، والذي « لا يقيد رأس المال خطواته ، ولاتحدد له المادية التاريخية اتجاهاته » ، وهو في هذا البحث يعتمـد على الميثـاق الوطني ، ففي الجانب السياسي اختار الميثاق الديموقراطية نظاما للحكم ، وتحدث عن جميع الحريات الاساسية التي تستكمل بها الديموقراطية وجودها ، وهي حريات الفكر والقول والصحافة والنقد ، وحرية الفرد في صـنع مستقبله وتحديد مكانه من المجتمع . ثم انتقل الى وسائل تحقيق هذه الحريات والحفاظ عليها فنجد الميثاق ينص على أن سلطة المجالس المنتخبة يجب أن تكون فوق سلطة الحكومة نفسها ، وعلى النقد والنقد الذاتي

ويقترح الكاتب وجود المعارضة المنظمة أي المعارضة في شـكل قانوني ، ذات الكيان السياسي والبرلماني ، وهـذه المعارضـة هي تعبير آخر عما أورده الميثاق عن النقد والنقد الذاتي . « عندما يجتمـع مجلس الامة ، وعندما يقوم بانتخاب رئيس المجلس وهيئة مكتبه ، يقوم في الوقت نفسه بانتخاب زعيم المعارضة » ومعه مكتب لا يقل اعضاؤه عن عشرين عضوا . وهذه المعارضة لن تكون ممثلة لطبقة او حزب كما لن تتحـول الى حزب اذ لا بد من تجـديد قيادتها مع كل عام أو مع كل مجلس جديد

وينتقل الى الاقتراح الخاص بالصـحافة فيرى أن يتضمن الدستور مادة جديدة نصها مثلا « الصحافة سلطة مستقلة ، لا سلطان عليها في عملها لغير القانون ، وليس لاي

سلطة أخرى التدخل فى حريتها » ، ويرى انشاء مجلس أعلى للصحافة بطريق الاقتراع

أما عن المجالس الشعبية يقترح الكاتب شغل منصب المحافظ بالانتخاب ، وأن يعطى المجلس الشعبى حق عزل المحافظ ، وأن يكون هنـــاك قدر كبير من الاختصاصات والمسـائل التى يصـــبح فيها قرار المجلس الشعبى نهائيا بحيث لا يتطلب الامر موافقة مجلس الامة عليها

ان الكتاب الذى نعرضه يؤيد من جديد ما عرف عن مؤلفه من النزاهة الفـكرية والايمان بالقيم التى دافع عنها فى مؤلفاته الاخرى • ومما يلقى على الكتاب قيمة علمية أن المؤلف لايورد حقيقة دون أن يستند فى نقلها الى الوثائق والوقائع

م • ع • الهمشرى
حياته وشعره

بقلم : صالح جودت

مطبوعات مجلس الفنون والاداب

ليس اقدر على فهم حياة الشاعر ، وتطور شعره ، والظروف والاحوال التى انعكست عليه من شاعر مثله •• رقيق الشـعر رشيق الاسلوب والبيان

ولذلك فما أن صدر هـــذا الكتاب عن الشاعر محمد عبدالمعطى الهمشرى « م• ع• الهمشرى » بقلم الشــاعر والكاتب صالح جودت حتى بادرت بالاستمتاع به

ان صالح جودت أعرف بهذا الشاعر من أهله وذويه • فهو قد زامله فى الدراسة بمدينة الشمس والجمال المنصورة ، ولم يتركه بعد ذلك فى أحلى أيام شبابه ، فقد واصـل صحبته ايام أبوللو : **«صاحبته فى بيتى ، وصاحبنا فى نهارنا وليلنا ، وجدنا ولهونا، وقراءتنا وعبثنا »**

وفى رأينا ان الهمشرى جـــدير بهـذه الدراسة الواعية • لقد نشأ الهمشرى فى فترة من فترات تاريخنا المصرى تصطرع فيها الآراء ، وترهص الحوادث بقدوم عهد جديد يقضى على حالة الفوضى التى كانت سائدة فى البلاد • فالهمشرى يهمنا لانه كان أول شاعر أطلق صرخات مدوية من بطن الريف تطالب بنشر النظام التعاونى كوسيلة لمكافحة الفقر ورفع مسـتوى الفلاحين فى بداية هذا القرن ولا بد لكى نضـــع شاعرنا الهمشرى فى الصورة ان نفهم ملابسات نشأته

انه نشأ فى مناخ فنى • ان أباه التركى الاصل كان يتعشق الموسيقى ، ولهذا فانه كان يقيم الحفلات الموسـيقية الخاصة فى قصره • ان شاعرنا تشرب لبانة الفن وهو ما يزال فى المهد صبيا ، لسرى فى عروقه وامتزج بدمائه •• مما انعكس على شعره الرقيق الذى يشبه الموسيقى ••

ان الهمشرى يعد بحق واحد من فحول شعراء الشباب • انه الشـــابى الشاعر التونسى ، وهو التيجانى يوسف بشير الشاعر السودانى ، وهو ابراهيم طوقان الشــاعر الفلسطينى •• ولكنه يمتاز عليهم بأنه رائد من رواد شعر الطبيعة المصرية • وكان له شغف بالادب الغربى ؛ أعجب بـ كيتس « وروبرت بروك ، وشغف بشيلل •• حتى انه قلده فى الطريقة التى كان يكتب بهـا اسمه P· B· SHELLEY واشتهر الهمشرى فضلا عن ذلك بقدرته الفذة على الترجمة ، فطريقته فى ترجمة قصيدة « انا » لرديارد كبلنج و « القرية المهجورة » لاوليفر جولد سميث تؤكد استاذيته فى هذا الميـــدان

وعندما نقرأ الهمشرى نجد فى شـــعره صورة جديدة مبتكرة • انه سار فى ميادين لم يطرقها شاعر قبله ؛ فهو مبدع «العطر القمرى » و « اللحن المغضض » و « السكون المشمس » و « الخيال المجنح » •• وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ذهن خلاق مبدع

وبرغم نغمة الحـزن والاسى التى كثرت الترديد على قيثارة الهمشرى ؛ وبرغم الفاظ الموت ، والقبور والصمت ، والعدم التى غلبت على قصائده •• فانه لا يجب أن يفهم أن الهمشرى كان متشائما فالمؤلف فى هذا الكتاب يزيح الستار عن التناقضات بين شعر الشاعر ، وبين حياته • يؤكد المؤلف بالبرهان والدليل أن الهمشرى كان يحب الحياة ويفرق من ذكر الموت ؛ وكان كثير الآمال فى المستقبل •• رغم انه فى ملحمته الكبرى « شــاطىء الاعراف » ذكر كلمـة الموت اكثر من مائة مرة • كان الهمشرى يعيش حياته القصيرة بالطول والعرض قبل أن تفاجئها الزائدة الدودية لتقضى عليها •

كان يعيش حياة الفنان الذى لا يقيد نفسه بقيد فى عمله ومأكله .. انه كان يتبع وحى هواه ومزاجه . ومع ذلك فقد أخذ الشعر مأخذ الجد ، عاش له حياته فى اخلاص نادر ، ولم يجعل شعره مجرد خواطر تخطر له فى اى باب لينظمها . ان شعره كان صاحب رسالة ، يسير فى خط مستقيم لا يحيد عنه

وفى تاريخ النقد الادبى نجد للهمشرى فضلا ابدا فضل هو وصحبة ابوللو « على محمود طه ، وابوشادى ، وابراهيم ناجى ، وصالح جودت » فى تطوير لغة الشعر العربى الحديث .. حتى لقد ثارت ثائرة أنصار الديباجة التقليدية ، وداخلهم الرعب . وهو قد نذر شعره وحياته لميدان التعاون ، فلم يترك لونا من الوان الادب من غير ان يمارسه ويقحمه فى ميدان التعاون . ولهذا فانه يعتبر بحق تلميذا للاديب التعاونى جورج وليام راسل الذى مات فى عام ١٩٣٦ ، وهو أيضا كان من اشد المعجبين بشاعر الطبيعة الثاوية وردزورث

هذه بعض الاضواء التى من الممكن ان تلقى على هذا الكتاب القيم الذى الفه صالح جودت . ان امانة التاريخ قد جعلت المؤلف لا يكتفى بما يقع عليه من شعر الشاعر بغير جهد .. وانما جمع شعره المتناثر فى الصحف وعلى مختلف الالسنة .. مع ذاكرته هو الجبارة .. ليغطى الشاعر وحياته وشعره

اننا فى انتظار الديوان الذى وعد به المؤلف ، والذى سيضم بين دفتيه شعر الهمشرى . انه فى هذه الحالة قد وضع باقتى ورد على قبر الشاعر الكبير

عمر بن عبدالعزيز
تاليف : عبد العزيز سيد الاهل
الناشر : مكتبة عبد الحميد حنفى
٢٦٤ صفحة كبيرة
الثمن : ٢٠ قرشا

فى هذا الموضوع الجليل كتب استاذ من افضل رجال العلم والتعليم ، ومن اعرفهم بالتدقيق والتحقيق ، وهو الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ، مستشارنا الثقافى فى

لبنان الى عهد قريب ، ومن الفضل من تخرجوا فى دار العلوم لنحو اربعين سنة مضت ، وصاحب نيف وعشرين مؤلفا فى المباحث التاريخية والادبية . وهو فى كتابه هذا قد اعتمد على كتابى «ابن عبد الحكم» و « ابن الجوزى » ، ونبه المؤلف الى أن الكتابين يكتفيان بعرض الاخبار على الطريقة القديمة دون بحث او نقد او تعليق .. اما وقد اخذ التاليف منهجا جديدا فقد وجب ان يكتب من « عمر بن عبد العزيز » مقربا الى حال الناس اليوم

وانى آخذ المؤلف بهذا ، فالكتاب على جمال اسلوبه وحيطة مؤلفه فيه موضع كبير للتساؤل وكان يجمل به أن يحققه ويمحصه ، اذ يذكر فى « ص ١٢ » أن جد عمر بن عبد العزيز لامه وهو عاصم بن عمر ابن الخطاب ولد بعد وفاة الرسول بخمس سنين ، والرسول مات سنة ٦٣٢ م وانه روى الحديث عن ابيه عمر بن الخطاب ، وعمر مات سنة ٦٤٤ م ، ولعاصم اذن من ثمانى سنين . وقد انعقل ان يحفظ عن ابيه الحديث فى تلك السن ولكن الذى يمنث العقل ما ذكره المؤلف لتزويج ابيه اياه لفتاة من بنى هلال « ص ١٥ » وهى قصة أوردها ابن الجوزى وابن عبد الحكم وجاءت فى شذرات الذهب ... فكيف يزوج عمر بن الخطاب ابنه فى تلك السن الصغيرة ؟ أفليس الاقرب للمنطق أن يكون مولد عاصم قبل ذلك التاريخ بسنين ؟

حكايات الابطال

جمع : السى هيزلتن
ترجمة : سميرة عزام
الناشر : النهضة العربية وفرنكلين
الثمن : ٢٥ قرشا

تعول حكايات الابطال فى هذا الكتاب ليس لها مؤلف واحد ، وانما هى شذرات من كتب متباينة العناوين والمؤلفين ، قصد بها ان تكون متونا يطالعها الشباب للابقاع للمتعة ابتعاد النخوة وحفزهم على مزيد من القراءة فى المتون الكبيرة . فمن الياذة هوميروس استقى الفرد تشيرش تلخيصا جميلا لصرع هكتور البطل الافريقى ، ومن اينيادة فرجيل استقى تشيرش أيضا «ذهب طروادة » أو « حصان طروادة » كما أسمته المترجمة الفلسطينية الفاضلة . ومن شاهنامة الفردوسى استقت هيلين زيمرن قصة رستم والحصان . ومن اساطير الصين القديمة استقت لويز كرين قصة المدينة الخالية .

ومن اساطير عنترة العبسى استقت بوليس نيجنس فصلا جميلا . ومن بريطانيا تسم الكتاب قصة من الاقاصيص التى نسجت حول الملك آرثر . والحقيقة أن الترجمة دقيقة وفى مستوى مناسب لصغار السن ، وقد زينت قصص الكتاب برسوم ملونة بديعة وان كان منتزعا حليق الشارب واللحية !! وقبل كل قصة مقدمة صغيرة تمهد ذهن القارىء الصغير لجوها التاريخى الخاص بها . ولكننا كنا نتمنى لو تحررت الترجمة قليلا من حرفيتها الشديدة لتزيد فى الرونق والطلاوة اللذين ينبغيان لمثل هذه النصوص الخلابة .

عندما تطلع النجوم

تاليف : روبرت بيكر
ترجمة : الدكتور محمد فياض
الناشر : النهضة العربية وفرنكلين
الثمن : ٥٠ قرشا

ان اجدر الاسماء بهذا العصر انه عصر الفضاء ، فقد احتشدت جهود العالم العلمية لغزو هذه القبة الزرقاء بكواكبها المتناثرة . فلا عجب اذن أن تشيع بين جمهرة القراء هذه الكتب العلمية المبسطة التى تتناول الافلاك السماوية . ومن امتع هذه الكتب بلا شك كتاب الاستاذ روبرت بيكر العالم الفلكى الذى حصل على الدكتوراه سنة ١٩١٠ ، أى منذ أكثر من نصف قرن ، وعلم الفلك فى كثير من جامعاتها الشهيرة وعمل فى مراصدها حقبة طويلة ، فهو حين يكتب انما يكتب بلغة الخبير المجرب . وهو يتدرج بالقارىء العادى على مهل ، من الاشكال التى تكونها النجوم الى مسارات النجوم وحركاتها ، ثم يركز العلوم على الشمس ومجموعتها لما لها من اهمية بالغة

ومباشرة بالنسبة لسكان كوكب الارض ، ثم يأخذ بيد القارىء الى شموس اخرى غير شمسنا تبعد عنا آلاف الاضعاف ... حتى اذا انس فى القارىء شيئا من الالفة لهذه الابعاد السحيقة فى السماء ، بدأ يجوس معه خلال آماد أبعد منها بكثير ، دخل معه فى حديث المجرات بعد حديث الشمس ... كى ينتهي به الى الفكرة العامة المديرة للرموس ، وهى فكرة مدى اتساع الكون الذى نعيش فيه اتساعا لم يكن يخطر على خيال أخصب جدودنا خيالا ..
كتاب ممتع للعقل حقا

ناقخ البوق

تأليف : توماس هاردى
ترجمة : محمد مفيد الشوباشى
الناشر : دار الفكر العربى
والمؤسسة المصرية العامة
الثمن : ٢٥ قرشا

لاشك فى أن الاستاذ الشوباشى مترجم عريق ، وشاعر ، وأديب . ولكنى لست ادرى لماذا جاءت هذه الترجمة بعيدة عن جمال الاصل وروحه الشاعرية ، وان كانت قريبة جدا من حروفه وكلماته . ومثل هاردى الشاعر المصور البارع لا تصلح كتبه للترجمة القاموسية التى تصلح لها كتب الكيمياء والزراعة وتحسين سلالات البقر . ولو أن القوس اعطيته لغير باريها لالقينا اللوم على أحد غير المترجم الفاضل الذى سبقت له فى الترجمة آثار جيدة ، ولكن ما الحيلة وهو يورد كلاما من قبيل (ص ٥٧) « حسن الجوار مع الناس اذا لم يكونوا غير مطاقين اطلاقا » ... « وكان مجيئه وديا بمقدار كاف » .. وعشرات من هذه العبارات التى تذكر القارىء دائما بان ما امامه ترجمة غير مستقرة التعبير .. حتى عدنا من الممكن أن نتجاوز عنه ، ولكن كيف نتجاوز عن ترجمته الحرفية لكلمة انت « جيئنما تمشى المرء ؟ حتما » . وقد اوقعته هذه الكبوة فى كارثة ، فاذا (ص ١٩٠) بشاب يحار بخاطب خطيبته ... وهى التى



طبعا وليست ذكراً — على سبيل تبرير خيانته :

— أعلمى يا آنســـة جارلاند أن الأمر « يتحصل » (!) فى أنك عندما تنزلين الى الشاطىء بعد أن تقضى ١٨ شهرا محتبسة فى سفينة تجدين النساء (!) فى نظرك جميلات لطيفات الى حد لا تتمالكين نفسك من الميل اليهن بالجملة !

هذه والله الفضـــيحة لاى مترجم ، وناهيك بمترجم عريق متمرس !!

ليلة عاصفة

تأليف : عبد الحميد جودة السحار
الناشر : دار القلم
الثمن : ٢٠ قرشا

هذا هو الكتاب الخامس والثـلاثون للأستاذ الاديب عبد الحميـــد جودة السحار ، ان لم تخنى الذاكرة . وهو مجموعة أقاصيص كتبها المؤلف فى أثناء رحلاته بأوروبا وآسيا وافريقيـــا ... بحيث كتب كل قصة منها فى «البلد الذى وقعت حوادثها فيه» وهى مزية قدلاتتوفر لسائر عباد الله من القصصـيين . ومن الطبيعى أن تتراءى فى كل قصة منها مخايل من البيئة الخاصة لذلك البلـــد ، ومن البيئة النفسية للمؤلف وهو يزور ذلك البلد . وقد حرص الاستاذ السحار على أن تبدو فى « خلفية » كل قصة منهـــا السمات العامة لعادات ذلك البلدومشكلاته فى الفترة التى جرت فيها احداث القصص

الى هنا وينتهى « الرائع » الحق فى قصص عبد الحميد ... فالحـــوادث نفسها من خلق خيالة الخصب : فمـــا أكثر ما فيها من المغامرات مع الفتيـــات الجميلات أو غير الجميلات ، وما أقـــل نصيب عبد الحميد الواقعى من هـــذه المغامرات . ولكنه — حتى حين يتخيل — لا يكشف لنا عن « تمنيات مكبوتة » ، بل عن نفس متوازنة مستقرة فى عالم مضطرب مائج

ان متعة الذهن فى هذه الرحـــلات القصصية كبيرة ولا شك ، ولا سيما أن « أدب الأسفار » عندنا لم يزل محدودا للغاية .

حاملة المصباح

تأليف : د . بركلى
ترجمة : صالح زكى
تقديم : دريني خشبة
الناشر : المؤســـسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
الثمن : ٥ قروش

تدور أحداث هذه المسرحيـــة حول شخصية فلورنس نايتنجيل مؤســـسة الاقسام الطبية فى الجيوش الأوروبيـــة الحديثة . وهى تروى قصة نضالها مع العقلية العسكرية الانجليزية المتحجـــرة يومئذ . والفترة التاريخية لتلك الأحداث هى حرب القرم ، والصراع حول « الرجل المريض » أى تركيا العثمانية كمـــا كان يسميها ساسة أوربا وقتئـــذ . وكانت روسيا تطمع فى احتلال البوسفور لتنفذ منه الى البحر المتوسط . كما كانت ألمانيـــا تتربص بدول كثيرة من أقاليم البلقان ، وكذلك النمســـا .. أما فرنسا وانجلتـــرا فكانت عيونهما على الشرق الادنى ، أى على الوطن العربى

فهذه المسرحية الآن تتصل بنا ، وان كانت قيمتها الفنية والتاريخية قائمـــة بذاتها من حيث بطلتها التى تعتبر من أبرز نساء التاريخ وأصلبهن عوداً . ومما يزيد فى قيمة المسرحية تلك المقدمة الضافيـــة التى كتبها أديب من أكثر أدبائنا عكوفا على الأدب المسرحى ، وهو الأستاذ درينى خشبة

شعراء المدرسة الحديثة
دراسة نقدية

تأليف : م٠ل٠ روزنتال
ترجمة : جميل الحسينى
الناشر : النهضة العربية وفرنكلين
الثمن : ٨٠ قرشا

هل فى العصر الحديث مكان للشعر !

سؤال يتردد كثيرا على الالسنة. وما أكثر من يتبرعون بالاجابة عنه ساخرين من أن يكون للشعر في عصر الذرة والفضاء متسع الى جانب الصاروخ . ولكن هؤلاء الساخرين جدير بهم أن يترفقوا بغلوائهم ، لأن الشعر ترجمان الشعور ما العلم لم يبطل في يوم من الايام شعور الانسان ، كما ان الجهل لم يزد في يوم من الايام رصيد الوجدان . بل لعل الاحرى أن نقول أن العلم يرهف الحس ويرهف البصيرة بما يعمق من الادراك ويوسع من الآفاق . فللشعر اذن مكان ما بقى على وجه الارض انسان ذو فكر وجنان

وفى هذا الكتاب الجيد محاولة ممتازة لخلق جو من التقارب بين الشعر والقارىء المصرى العادي وايجاد وسيلة تساعد على تحطيم الحواجز الهائلة القائمة بينهما. وقد اجتهد المؤلف في ايضاح « ازمة الانسان المعاصر » التى أضحت موضوع الشعر الجديد منذ أكثر من نصف قرن ، وفى هذا السبيل حلل قصائد نخبة من شعراء بريطانيا وأمريكا من ييتس الى ديلان توماس ، ومن عزرا باوند الى ت . س . اليوت ، تحليلا يستهوى القارىء المتعمق

عربى فى المكسيك
او مناظرة بين الاهرامات

تأليف : جبرائيل بقطر
الناشر : دار الادباء
الثمن : ٣٠ قرشا

تربطنا بالشعب المكسيكي صلة نسب قديمة تنحدر جذورها الى الاندلس العربية وتجد مظاهرها فى كلمات اللغة العربية المنتشرة فى اللغة المكسيكية ، كما تنحدر جذورها الى التاريخ المصرى القديم .. حتى ليقال أن الفراعنة وصلوا الى المكسيك ، ونثروا بذور حضارتهم هناك فأنبتت أهراما

فليس فى الدنيا بلاد بها اهرامات الا الجمهورية العربية المتحدة والمكسيك . لكن يبدو أن اهرامات المكسيك لم تبن لتكون مقابر للحكام .. وان كان قد اكتشف اخيرا ، من سنوات ، هرم أثار شكا فى وجود علاقة بينه وبين أهرامات الفراعنة . ان هذا الهرم فى مدينة « بلنكى » جنوب المكسيك وجدوا فيه جثة أسير وبجوارها بعض الحلى وبعض الاوانى .. تماما كما كان يفعل المصريون القدماء عند دفن موتاهم اعتقادا فى البعث والحياة الاخرى . غير أن الجثة لم تكن محنطة . كانت مجرد هيكل عظمى . وربما استأثر الفراعنة بسر علم التحنيط ، فلم يهمسوا به حتى لهؤلاء المكسيكيين

والمكسيك الآن بلدة جميلة ، غنية بمناظرها الطبيعية ، وبها جالية عربية ضخمة لها أثر كبير فى شتى نواحى الحياة العامة .. منهم التجار ، وكبار رجال الاعمال والصناعة ، ومنهم من يشغلون أرقى المناصب ، وتقدر هذه الجالية العربية بحوالى ٥٠ الف نسمة

والكتاب الذى نقدمه قطعة فنية من أدب الرحلات . ان مؤلفه الزميل جبرائيل بقطر المحرر بمجلة « ايماج » قد أسعده الحظ بسفرة طويلة الى بلاد المكسيك .. ذهب سليل « حورس » ليعيش شهورا بين ورثة « كيتسال كوتل » ومشاهدة أهرامات تيوتيهواكان ، وتاخين ، وشيشن آتسا .. التى لا تختلف عن أهرامات الجيزة ، وسقارة

ان الشعب المكسيكى يشبه فى كثير من الامور الشعب المصرى فى حضارته القديمة وحضارته الحديثة أيضا . ان هذا الشعب عانى ما عاناه الشعب المصرى ، وثار ثورته على الظلم الاجتماعى ، وحصل على حقه فى الحياة بقبضة يده .. تماما كما فعل الشعب المصرى

ولهذا السبب فانني عندما قرأت هذا الكتاب احسست بانني اقرأ شيئا عن بلادى . احسست باننى اقرأ قطعة من حياتى ، وقطعة من تاريخى ، وقطعة من كفاحنا المجيد . هل الدماء التى جرت فى عروق المكسيكيين على مر العصور هى نفس الدماء التى جرت فى عروق المصريين ؟ ربما !! وان كان هذا يحتاج من المؤرخين وعلماء الآثار والاجناس الى مزيد من الجهد والبحث . فقد تنكشف هذه الحقيقة ، وتصبح الاسطورة التى تروى سفر سنوحى ، وغيره من المصريين القدماء للمكسيك ، وزيارتهم للازتيك « المكسيكيين القدامى » . فقد حكى

ستوحى تقاليد هذا الشعب وعاداته ومعتقداته لاول ملك مفكر من المصريين ترك عبادة « آمون رع » وكهنته وآمن بأن هناك قوة عليا هي التي تمنح الحياة والخبز ، ورمز لها بقرص الشمس « آتون » . هذا الملك هو اخناتون ابن الشمس ، صاحب أول ديانة في التوحيد في العالم القديم

ان هذا الكتاب الممتع مبارغمن انطباعات عربي من أبناء الجيل . ان المؤلف يبرز فيه بالاضافة الى الجانب التاريخي الممتع مظاهر الكسيك الحديثة .. بما تتضمنه من منظمات سياسية واقتصادية وتقدم علمي وكفاح من أجل الحياة الحرة الكريمة ..

ادب المرأة العربية
القصة العربية المعاصرة
تطور الترجمة

بقلم : انور الجندي

مكتبة المعارف : بيروت

الناشرون : مكتبة الانجلو : القاهرة

دار المعرفة : القاهرة

الثمن : ٥٠ قرشا

هذا هو العقد الاخير في موسوعة معالم الادب العربي المعاصر لانور الجندي . وهي تتناول بالبحث والتحليل الواعي مراحل الادب العربي المعاصر في شتى فنونه منذ فجر النهضة الفكرية في العالم العربي بظهور جمال الدين الافغاني عام ١٨٧٥ تقريبا الى أوائل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .. على مستوى الامة العربية من المحيط الهادر الى الخليج الثائر

وهذه الموسوعة القيمة تضم بين جوانبها عشرة مؤلفات كل منها يستقل بدراسة فن من فنون الادب العربي . وقد سبق أن نشرنا عنها في حين ظهورها على صفحات مكتبة مجلة الهلال العربية .

والكتاب الذي بين أيدينا يضم بين دفتيه الثلاثة كتب الاخيرة في الموسوعة . وان كان يجمعها غلاف واحد . وهي :

● أدب المرأة العربية : تطوره واعلامه
● القصة العربية المعاصرة
● الترجمة في الادب العربي المعاصر

أما عن أدب المرأة العربية ، وهوموضوع الكتاب الاول ، فان المؤلف يقول : أن هذا الادب ظهر في مبدأ أمره خفيا حييا متواريا .. تماما مثل حياة المرأة في ذلك العهد . ثم لم يلبث أن اتسع نطاقه في ثلاث صور هي قصائد شعرية تقليدية . وكلمات أدبية تنشر في الصحف . ثم صحف شهرية تصدرها كاتبات عربيات ...

وكما انفك عقال الادب النسوي .. نجحت دعوة سفور المرأة التي بداها قاسم أمين فصرنا نسمع عن اسماء كاتبات واديبات عربيات خلفت في تاريخ المرأة العربية مثل ملك حفني ناصف ، وعائشة التيمورية ، ومارى زيادة وغيرهن ..

وكان انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وقيام ثورة ١٩١٩ مقدمة لتطور كبير في الادب النسوي . ولما كان هذا الادب قد نشأ في مبدأ أمره في أحضان الصحافة .. فقد لحقته عيوبها في ذلك الحين .. الى ان يبدأ يتطور ، ويدخل فيه العمق ، وتظهر كاتبات واديبات وشاعرات .. مثل سهير القلماوي وامينة السعيد ، وبنت الشاطيء ، ونازك الملائكة ، ووداد سكاكيني وغيرهن كثير

●●●

أما الكتاب الثاني فيتحدث عن القصة العربية ، ونشأتها وتطورها واعلامها الذين برزوا . ثم يتحدث المؤلف – حديث خبير – عن بداية نشأة هذا الفن الذي نشأ في أحضان المقامات .. الى أن استوى عوده في مجال القصة ، الاقصوصة (الاجتماعية والتاريخية) والمسرحية (الشعريةوالنثرية ثم يبدأ الكاتب في الحديث عن الفترة التي تمتد من منتصف القرن ١٩ الى أوائل الحرب العالمية الثانية .. وهي موضوع الكتاب . ثم يتحدث عن أهم القصص التي ظهرت في هذه الفترة ، وكتابها حديثا شائقا

●●●

والكتاب الثالث يتحدث عن تطور الترجمة في الادب العربي المعاصر . فالترجمة هي النافذة التي تصل الينا منها صورة آداب الشرق والغرب ، وهي المرآة التي نشاهد من خلالها حياة الآخرين وأفكارهم

وقد تتبع الكتاب الثالث الترجمة وفن الترجمة في تاريخ الادب العربي .. منذ أن نقل أجدادنا العرب آثار اليونانوالرومان والفرس

ويتدرج مع ذلك الى أن يصل الى حركة الترجمة فى آدابنا المعاصرة

وعندما يصل المؤلف الى القرن التاسع عشر . والى بداية النهضة ورائدها رفاعة الطهطاوى بالذات .. فان موضوع الكتاب يبدأ . انه عندئذ يتحدث عن المدارس التى تبنت الترجمة مثل المدرسة السورية ومدرسة الالسن ومدرسة مجلة البيان وغيرها . وبعدئذ يتحدث حديثا طويلا عن هؤلاء الجنود الذين حملوا لواءها . والذين نبغوا فيها وبعد ..

فان هذا المجلد يشمل ثلاثة كتب هى آخر المنقود فى هذه السلسلة القيمة التى يجب أن يحرص على اقتنائها كل من له اهتمام بالبحث والتنقيب . انها سجل شامل ، وصورة كبيرة لادبنا العربى فى جميع نواحيه

علم التاريخ عند المسلمين

تاليف : فرانز روز نثال
ترجمة : د. صالح أحمد العلى
مراجعة : محمد توفيق حسين
الناشر : مكتبة المثنى ببغداد
الثمن : ديناران

كان لثقافة العرب ولاهتمامهم الفكرى أثر فى توجيه الحركة الفكرية فى العالم الاسلامى ومن أبرز مظاهر اتجاهاتهم الثقافية والفكرية اهتمامهم بالجوانب الانسانية أى بكل ما يتعلق بالانسان وتصرفاته . ولما كان التاريخ من أهم فروع المعرفة الانسانية بل هو المعرفة أو العلم الذى يظهر الانسانية على حقيقتها، فقد خصه العرب بنصيب كبير من الاهتمام. وقد دفعتهم عوامل كثيرة الى الاهتمام به . بل انه كان من أوائل العلوم التى اهتموا بها .. وظل هذا الاهتمام طوال الازمنة التى كان يسيطر على ادارة بلادهم حكام لغتهم العربية

وقد أدى هذا الامر الى انتاج هائل فى التاريخ . فألفت فى مختلف الازمنة والاقاليم كتب فى التاريخ تناولت جوانب متعددة ، حتى ليقال ان العرب لم يتركوا جانبا من جوانب النشاط الانسانى دون أن يسجلوا تاريخه . واحب ان اذكر هنا ان دراسة التاريخ لم تقتصر على الكتب التى يوضع على غلافها كلمة « تاريخ » كما أن دراستهم لم تقتصر على جانب واحد من جوانب التاريخ .. ولعل خير مظهر لذلك هو الاقسام الكثيرة المعقدة التى ذكرها السخاوى فى كتابه « الاعلان بالتوبيخ عن ذم أهل التاريخ »

***

ولقد جذب اهتمام العرب بالتاريخ اقلام بعض المؤرخين الغربيين والمستشرقين فى عصرنا الحديث لجندوا هذه الاقلام لدراسة علم التاريخ الحى .. الذى يعتبر دراسة انسانية للشرق العربى كله

وضمن هؤلاء المستشرقين المؤرخ الكبير فرانز روز نثال ، والذى يعتبر كتابه هذا شهادة خاصة فى هضمه للتاريخ الاسلامى ، وقراءاته الواسعة فيه ، والمامه بكل صغيرة وكبيرة ..

والكتاب الذى نقدمه مكون من ٣ أقسام :

يتناول الاول بعض الملاحظات العامة عن طبيعة علم التاريخ عند المسلمين ، ونطاقه ، وجذور هذا العلم عند العرب . كما يتناول أشكال التاريخ .. من خبر ، وترتيب على السنين ، ودول وطبقات وانساب . ثم تصنيف الكتب التاريخ حسب محتواها ، ثم أشكال الكتابة التاريخية والمذكرات ، ثم قيمة علم التاريخ الاسلامى ومكانته فى العالم

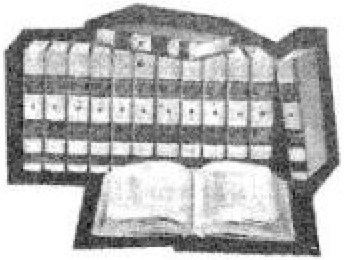
اما القسم الثانى فهو ترجمة وتعليق على كتاب «الاعلان بالتوبيخ عن ذم أهل التاريخ» للسخاوى ، ومقتطفات من الفصل الذى كتبه عن التاريخ طاشكبرى زاده فى كتابه «مفتاح السعادة»

والقسم الثالث نصوص تختلف فى الطول وبعضها ينشر لاول مرة كاملا أو مقتطفات مأخوذة من كتب كثيرة مثل : « جوامع العلوم » لابن فريجون ، و « حدائق الانوار » للرازى ، و « بغية الطلب » لابن العديم ، و « الشفاء » لابن سينا ، و « الخبر عن البشر » للمقريزى ، و « الخراج » لقدامة ابن جعفر .. وغيرها كثير

والحق أن هذه الترجمة الدقيقة للكتاب قد امتعتنى .. وخاصة انى قرأت الاصل الافرنجى منذ أن كنت أدرس التاريخ فى كلية الآداب جامعة القاهرة . واحب أن أزيد أن الترجمة تتفوق على الاصل



من مجموعة الكتب الدراسية والمراجع الأمريكية المترجمة.



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

رياح الثورة : امريكا اللاتينية اليوم وفي الغد

THE WIND OF REVOLUTION
Latin America Today - and Tomorrow

المؤلف : تاد زولك
Tad Szulc
الناشر : فروريك ا . برجر
الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

يقول تاد زولك أنه يجب الا نحكم على العلاقات الامريكية اللاتينية على أساس ماتسببه من مضايقات عاجلة أو ماتحققه في الاجل القصير من مكاسب أو تحدثه من خسائر ، وانما يجب الحكم عليها باعتبارها « ثورة عظيمة يتعين على الولايات المتحدة والغرب التفاهم والاتفاق معها » . والكتاب الذي نقدمه هنا يلقي الضوء الواضح على طبيعة ومغزى هذه الثورة التي تعمل على تغيير المشهد العام في بلاد امريكا اللاتينية ، وماتنطوي عليه من معان عميقة بالنسبة الى السياسة الامريكية . والمؤلف يكتب من تجربة شخصية حيث ظل سنوات يعالج شئون أمريكا اللاتينية في مقالاته وتحقيقاته في صحيفة النيويورك تايمز ، كما يتجلى من الاوصاف التي يقدمها لنا من « الاحياء الفقيرة » في ريو دى جانيرو ، ومن الرحلة سيئة الطالع التي قام بها ريتشارد نيكسون الى المنطقة عام ١٩٥٨ . وتبدو كفاءة الكاتب في كونه يتغلغل الى أعماق أفكار ومشاعر الناس من جميع الطبقات ، ويزيح الستار عن التيارات السيكولوجية والسياسية التي تحدد معالم الصورة المضطربة التي تبدو في نظر العالم الخارجي

***

والفصل المعقود عن ثورة كوبا ملىء بالمعلومات كما يتصف بالتوازن في التقييم ، فهذه المنطقة في نظر زولك هي رأس الرمح في الموجة الثورية الاعظم مدى التي تنتشر في جميع أرجاء أمريكا اللاتينية ، وثورة الصورة الثورية التي تبدو بها الثورة الكوبية لاتزال عظيمة حتى بالنسبة الى من يمارسون الشيوعية . ولعه سؤال يحاول المؤلف الاجابة عليه وهو : هل يتحمل الاتحاد السوفيتي عناء تشجيع قيام ثورة شيوعية أخرى في امريكا اللاتينية ويساندها . في رأى زولك ان هذا أمر مشكوك فيه ، وأن السياسة السوفييتية الآن تتجه الى تشجيع الحركات القومية المتطرفة والدعوات الحيادية في بلاد مثل البرازيل وشيلي بما يسفر عن مزيد من اضعاف نفوذ الولايات المتحدة

ومن توضيح المشهد الثوري الحالي تبرز حقيقتان ، أولاهما ضخامة المهمة التي تضطلع بها امريكا اللاتينية في بناء نفسها « من الصفر » تقريبا ، أي بناء مجتمع بشري جديد . والحقيقة الاخرى — والاهم من نواح كثيرة — هي أن الثورة الاجتماعية

التي يولدها مايعيش فيه الناس من البؤس والسخط ، لم تخلق لنفسها ايديولوجية سياسية . فهناك على حد قول زولك شعور بالخيبة بسبب عجز انظمة الديموقراطية الغربية التي لايعدو تطبيقها ان يكون مجرد لافتة وسطحيا ، عن تحقيق ماتعلن أنه أهدافها الظاهرة . كذلك — ربما باستثناء المكسيك — لم تتمكن بلاد امريكا اللاتينية من بلورة عقيدة واضحة بشأن العدل الاجتماعي ، ومن هنا نجد المثقفين والزعماء الثوريين تجتذبهم الوعود التي تلوح بها الشيوعية ، ولعل هذه الناحية هي ما ادركه القادة في الجمهورية العربية المتحدة مثلا حيث عرفوا الاهداف الحقيقية التي يسعى اليها المجتمع وعملوا على تحقيقها

والمؤلف صريح وواضح في نقده لسياسة الولايات المتحدة اذ يعتقد أنها اخفقت في الارتفاع الى مستوى المشكلة السياسية الاساسية وعجزت من الالتقاء معها . فبالرغم من العبارات الملهمة التي اطلقها الرئيس السابق كيندي وهو يعلن برنامجه بشأن « التحالف من اجل التقدم » ، فان سياسة الولايات المتحدة في معاملتها مع بلاد امريكا اللاتينية تقوم على أساس اقتصادي ولمي بحت ..

ولما كان المؤلف قضى سنوات في البرازيل فهذا يكتب عنها بدرجة خاصة من العلم والاطلاع ، وفي رأيه أن البرازيل ، وهي عملاق المنطقة الان ، هي التي تقود القارة بأسرها نحو انظمة سياسية واقتصادية جديدة ونحو سياسة خارجية أكثر استقلالا واعظم اتجاها صوب سياسة الحياد

لا نخطىء ابدا

We Never Make Mistakes

المؤلف : اسكندر سولزينيتسين

Alexander Solzhenitsyn

(ترجمه عن الروسية وقدم له بول و . بلاكستوك)

الناشر : مطبعة جامعة كارولينا الجنوبية

الثمن : ٢ دولارات ، ٧٥ سنتا

من الظاهرات التي تلفت نظر الذين يراقبون تطورات المجتمع والحياة في الاتحاد السوفييتي ، النهضة الادبية الرائعة التي حدثت أخيرا ، فخلال السنوات الاربع الاخيرة بوجه خاص ، لايكاد ينقضي شهر ، الا وتخرج فيه المطبعة السوفييتية لكاتب شاب جديد أو شاعر شاب جديد ، عملا فنيا بالمعنى الصادق ، يمتاز بالعمق والخيال والاصالة ، مما يختلف اختلافا كليا من تلك الكتابات والعظات السطحية الجافة المملة التي كانوا في عصر ستالين يطلقون عليها وصف « الادب » ، تجنيا على هذا اللفظ . لكن اسكندر سولزينيتسين ليس في عداد الشبان اذ هو معلم في الخامسة والاربعين من عمره ، امضى ثماني سنوات في أحد معسكرات الاعتقال بسبب تهمة سياسية باطلة الى أن افرج عنه في عام ١٩٥٧ بعد زوال عهد الطاغية . وسجل حياة المعسكر يوما بعد يوم ، في قصته « يوم في حياة ايفان دينيسوفتش » التي أحدثت دويا هائلا في داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه والتي سبق أن عرضنا لها ثم نشرنا لها خلاصة وافية في عدد سابق من أعداد « الهلال » . وكانت القصة قد نشرت مسلسلة في مجلة نوفيمير في عام ١٩٥٩ ، ولم تطبع على هيئة كتاب الا في عام ١٩٦٢ « بترخيص من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي » وبناء على اسرار خروشوف كما ذكر في ذلك الحين ، مما حماها من النقد . ولكن هذه الحماية لم تمتد الى القصتين اللتين يتضمنهما كتاب « لا نخطىء ابدا » الا يظهر — بل هذا هو الواقع — أن المؤلف تجاوز كثيرا الحدود الرسمية المرسومة لسياسة اجتثاث الستالينية

فاحدى القصتين وهي « بيتماتريونا » اجمع النقاد السوفييت على رميها « بالتشاؤم » و « عدم الدقة التاريخية » ، فاحد النقاد يقول « .. لقد وضعها المؤلف وهو في حالة لم يكن فيها قادرا بعد عن أن يفهم حياة الشعب » ، ويعبر عن شعوره « بالحزن الروحي » ويستحث المؤلف على أن « يتقن علم البهجة والسرور »

وأولى القصتين وهي « حادثة في محطة كريتشيتوفكا » ، تعد فريدة في الادب السوفييتي الحالي ، اذ لاول مرة يجرؤ كاتب على أن يمس جرحا من اقطع الجراح التي خلفها عهد ظل ثلاثين عاما ، وتقصد بها المسئولية الادبية التي يتحملها عدد لا حصر له من الافراد السوفييت من الجرائم التي ارتكبها ستالين . وتدور القصة

حول شعور ضابط سوفيتي ، دمث الخلق وطني يملكه في أثناء الحرب العالمية الثانية نوع من الحصور الذي كان واسع الانتشار في عهد ستالين ، فوشي بجندي واصبح انه ... ، متهما اياه بالجاسوسية ، ويسأله المشخص المتعوس عليه « ماذا أنت فاعل ؟ الا تعلم انك لن تنجو من هذا أبدا ! »

***

أما القصة الثانية : « بيت ماتريونا » فاشبه بسيرة المؤلف يكتبها بقلمه . فنحن هنا أمام معلم تحرر من معسكر اعتقال ظل فيه ١٠ أعوام ، يسعى كما يقول « لكي أسحق نفسي ، وأفقد نفسي في أعمق أعماق الاتحاد السوفييتي » . والقرية التي يلجأ للاقامة فيها عالم صغير من قسوة الفلاح ووضاعته على نطاق شامل . وهنا نقع ماتريونا وهي امرأة عجوز لاتملك شيئا ، ولكنها طاهرة القلب ، ضحية الاستغلال لم يقضي عليها في النهاية ، بسبب جشع أهل القرية . الواقع أنه ماين كاتب روسي منذ القرن التاسع عشر وصف الفلاح بمثل هذه الحدة وهذه الروح الانسانية ، وان الطريقة التي صور بها المؤلف شخصية ماتريونا لتقف على قدم المساواة مع عبقرية تولستوي

هذه الروعة التي كتب بهما المؤلف قصصه ، أفسدها كما يقول نقاد تريبيون ، المترجم ، بسبب أخطاء وقع فيها ، ولأن الترجمة تتسم بطابع الاهمال . غير أن قصة « بيت ماتريونا » قد نشرت في مجلة انكونتر Encounter في ترجمة رائعة ، وعلق الكتاب على القصة بأنها من أروع القصص القصيرة في الأدب الروسي الحديث . .

يتملكه ، والأم وزين هادي بعضا يكتب عنه . وبالرغم من أنه لم يحظ الا بالقليل من التقدير من جانب النقاد ، الا أن الجزاء الذي ناله واضح في ناحيتين أولاهما شدة اقبال القراء عليه ، والأخرى النجاح المالي الذي حققه

فالنقاد يتهمونه بالتمسك بواعية اجتماعية عفا عليها الزمن وان كنا نعلم الآن أن ليس ثمة بديلات عنها لها شأنها ، وانه يعني بالجوانب الجنسية في الحياة وان كان الواقع أنه متخلف من هذه الناحية عن كثيرين غيره من كتاب الأدب المكشوف ، وانه لايكتب الا عن الطبقة الراقية ، وان كانت التهمة ليست صادقة تماما اذ في المجموعة الحالية التي نقدمها نجد أن حوالي ثلثها يدور حول شخصيات من الطبقتين الوسطى والدنيا ، بل أن بعضها لاينتمي الى طبقة معينة . ويسخر منه بعض النقاد على أساس أنه يكتب بسرعة وغزارة أكثر مما ينبغي ، وأن ليس له هدف كبير يسعى اليه

وتتكون المجموعة الحالية من ٢٤ قصة قصيرة تتفاوت في طولها ومغزاها ، وان كان بعضها عبارة عن روايات صغيرة Novellas ومن الطائفة الأخيرة القصة بعنوان Ninety Minutes Away وهي عرض دقيق يخلو من العاطفية ، لحياة مومس من أهل فيلادلفيا . وأوهارا على معرفة دقيقة بحياة هذه الفئة من الشخصيات المنحرفة ، ولكنه حين يكتب عنها لايفعل هذا باعجاب كما لايحاول أن يقف منها موقف الواعظ .

والقصة الثانية Yucca Knolls صورة باهرة للحياة في مدينة السينما ، فنحن هنا أمام كيتي براندون . وهي امرأة وقور تعيش على التمثيل في روايات سينمائية تدور حول الأفراد التافهين . وهناك أيضا ابفانز الذي يخرق القواعد المرعية في هوليود وهي الخضوع ولكن الدينة الجبارة تحطمه في النهاية كما تحطم كل من لايخضع لارادتها

أما القصص القصيرة فتتنوع شخصياتها ، فهناك سائق السيارة الذي اتضح أنه أشاع الرعب في مخدومته بكونه « الخادم الكامل » ، وهناك السيدة المتقدمة في السن والتي تقيم بجناح خاص في فندق ، وتلقاها منهمكة في عملية جذب وشد مع

القبعة فوق الفراش
THE HAT ON THE BED

المؤلف : جون أوهارا
John O'Hara
الناشر : راندوم هاوس
الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

لايزال جون أوهارا يثير دهشة عالم الأدب بالصفات المعروفة عنه منذ ظهوره وهي غزارة الانتاج ، وتنوع الشخصيات التي يرسمها ، وقوة الحوادث التي يعالجها في قصصه ، وحب استطلاع قوي

وسيطتها بسبب رغبتها في السيطرة على الاخيرة . وهنالك هذه المرأة التي تنتمي الى الطبقة الدنيا التي نشأت علاقة غرامية بينها وبين زوج اختها المتوفاة ، وسعت الى هذه العلاقة تحت ستار اهتمامها بأطفاله ورعايتهم .

عائلات بلا اباء

FATHER Less FAMILIES
المؤلف : مرجريت وين
Margaret Wynn
الناشر : مايكل جوزيف
الثمن : ٢٥ شلنا

أسرع طريقة يتردى بها الطفل الى هاوية الشقاء ، هي أن يفقد أباه ، سواء حدث ذلك نتيجة الموت أو الطلاق او الانفصال أو الهجر المرضي (وهو الخطر الاكثر احتمالا) . فالاسرة التي تفقد الاب ، مهما كان مركزها في الحياة او كانت الطبقة التي تنتمي اليها ، هي أسرة اشد فقرا ووحدة ، واقل طمأنينة واستقرارا ، من غيرها من الاسرات . والكتاب الذي اخرجته اخيرا الكاتبة مرجريت وين قد جعلها في مصاف أولئك الكتاب الذين يسجل لهم التاريخ انهم يعملون على ايقاظ ضمائر الاجيال التي ينتمون اليها حتى تنتبه الى المشكلات الكبيرة التي يعاني منها المجتمع . ولقد فعلت مرجريت وين للعائلات السليبة من الاباء مافعله غيرها من الكتاب من أجل الاطفال اللقطاء ، أو الذين فقدوا ذويهم ، أو الامهات غير المتزوجات . ان هذه العائلات التي فقدت عائلها الذكر ، لها مطالب مشتركة من حيث المأكل والمسكن والرعاية ، ولكنها تعجز عن الحصول عليها . بالطبع تختلف حدة العجز فقد يترك الاباء لاسراتهم تأمينا أو معاشا وان كان ذلك لايعود بها الى مركزها السابق في عهد وجودهم . وقد يخلف الاباء الاسرات بغير مورد للعيش ، وهنا يقع العبء على عاتق الام . ومن المفارقات أن الزوج الذي يفقد زوجته لاى سبب كان ، يشار عليه أن يتزوج غيرها كي تعنى بأطفاله وترعاهم ، ولكن المجتمع يتوقع من الام - في حالة عدم وجود الاب - أن تبقى الى جانب اطفالها وان ترعاهم وعليها أن تكد وتمضي في هذا السبيل . وهذا المجتمع في الوقت نفسه لايهيىء لها الظروف الملائمة ولا يوفر لها الامكانيات الواقية ، ولم تبذل الحكومات جهودا تذكر في هذا السبيل ، وكل مانلقاه في معظم البلاد هو دعوات وصيحات تدل على حسن التمنيات ولكن دون اتخاذ سياسة عملية فعالة

***

وتقترح المؤلفة علاجا لهذه الحال انشاء صندوق خاص يطلق عليه اسم «مخصصات الاطفال المحرومين من آبائهم » ، يتولى اعالة هؤلاء الاطفال سواء مات آباؤهم في ساحة القتال والشرف ، أو ماتوا في فراشهم ، أو هجروا أمهاتهم ، وفي الحالة الاخيرة تعمل السلطات على استرداد المبالغ التي دفعتها من الاباء الذين هجروا الاسرة عندما تضع اليد عليهم . ويجب أن تكون هذه المخصصات كافية حتى لايشعر هؤلاء الاطفال بأنهم هبطوا من مركزهم السابق . والفكرة بديعة في حد ذاتها لانها تؤدى الى حماية المجتمع من الشرور التي يصاب بها بسبب مايطرأ على هؤلاء الاطفال من الانحراف الخطير بسبب الضائقة المالية ، فضلا عن الحرمان من العطف الابوى

هل هذه خيانة ؟

Dare Call IT Treason
المؤلف : ريتشارد م . وات
Richard M. Watt
الناشر : شاتو ، ويندوس
الثمن : ٣٠ شلنا

من المفارقات في تاريخ العالم أن هذا المخلوق الذي يمتاز بالعقل على غيره من الكائنات ، يأتي أفعالا تتناقض مع مقتضيات العقل ، ومن هذه الافعال انه لايزال يحتمل الحرب . قد تكون الحرب شيئا مستساغا من الناحية المجردة ، ففيها مجال لنشاط رجال السياسة ، وهي تزود كتب التاريخ بالروايات عن الاعمال البطولية ، ولكنها في الحياة الحقيقية معناها أن يقتل المرء بطريقة سخيفة . ومع هذا ظل الناس يشتبكون في الحروب . ولاشك أن بعضهم كان يشعر فيها بمتعة ، والكثيرون كانوا على استعداد للتضحية بحياتهم دفاعا عن معتقداتهم السياسية أو الدينية . اما الاغلبية الساحقة من الناس فكانت تحارب لانه يطلب منها ذلك . لماذا ؟ في العصور

القديمة كان الناس يرغمون على الحرب ولانهم لم يكونوا قادرين على أن يعرفوا ماسوف يحدث فى المستقبل القريب . وفى الوقت الحاضر نراهم يتوجهون الى الحرب بدافع الاخلاص والعادة ، لم هناك الامل فى البقاء

ولكنا لانصرف من حادثة القى فيها الجنود بسلاحهم فى اثناء الحرب وبدون ان يشير عملهم هذا تمردا . لقد تفككت جيوش بعد الهزيمة كما حدث لقوات امبراطورية النمسا والمجر فى الحرب العالمية الأولى ، اوبعدذلك لأسباب سياسية كما حدث فى الروسيا عام ١٩١٧ . وحتى الجنود البريطانيون تمردوا فى سنة ١٩١٩ مطالبين بالاسراع باعادتهم الى الوطن

اما الحادثة الوحيدة والتى يقدم لنا المؤلف ريتشارد وات ادق البيانات ، فهى ماحدث للجيش الفرنسى فى مايو ويونية من عام ١٩١٧ . لم يتمرد الجنود بالمعنى الصحيح الذى يدل عليه اللفظ ، فلم تحدث الا حالات قليلة من الاعتداء على الضباط ، والامر الذى يثير الدهشة ايضا أن حالات الهروب كانت قليلة . ظل الرجال فى خطوط الجبهة ولكنهم رفضوا الاشتراك فى أى هجوم جديد او حتى الدخول فى الخنادق لاغراض دفاعية واضحة . وبعضهم ركب قطارات السكة الحديد متجهين الى باريس فى محاولة ساذجة بدائية لقلب الحكومة ، ولكن القطارات لم تصل الى هدفها . ولقد الجنود اعتصامهم وعادوا الى عملهم بعد ايام قليلة من العصيان ..

●●●

كان سبب التمرد بسيطا . ذلك أن الجيش الفرنسى كان قد فقد ثقته وايمانه بقادته ، فاعتقد الجنود أن عمليات الهجوم لن تنجح وان قوادهم لايفهمون شيئا من الحرب الحديثة ، وكلا الاعتقادين كان لهما مايبررهما . واعاد المارشال بيتان النظام حين اظهر أنه يهتم بجنوده وانه يعتزم ان يلتزم موقف الدفاع . ولكنه امر أيضا باعدام عدد من قادة المتمردين رميا بالرصاص ، وهذا اسوأ نقطة فى الحادثة كلها ، غير ان مالم يزح عنه الستار حتى الان هو عدد الفرنسيين الذين قتلوا بأيدى فرنسيين . هل هم مئات ام الوف ؟ لايدرى احد

التاريخ السرى المغول والشياء اخرى

THE SECRET HISTORY OF THE MONGOLS

and other pieces

المؤلف : آرثر ويلى

Arthur Waley

الناشر : الن ، انوين

الثمن : ٢٢ شلنا

يتضمن الكتاب الجديد لارثر ويلى نصا طويلا مترجما ، الى جانب اشياء اخرى كتبها او اذاعها خلال الاثنى عشر عاما الاخيرة ، وعدد قليل من قصائده منها قصيدة « الرقابة » التى كتبها فى عام ١٩٤١ تقليدا لترجماته عن الصينية ، وجاء فيها « عملت رقيبا لمدة خمسة عشر شهرا ، وضرب المبنى الذى كنت اعمل فيه ، بالقنابل اربع مرات » . ثم يقول « ليس من الصعب ان تراقب الانباء الخارجية ، وانما الصعب هو أن يراقب المرء افكاره ، وان تجلس فى مكانك لترى الرجل الاعمى فوق حصان فاقد البصر ، وهو يتجه نحو الهاوية التى لا قرار لها »

وفى هذا الكتاب وثيقة تدعو الى العجب فى اسلوب نثر الملاحم ترجمت من الصينية وروجعت على النص المغولى ، ويقدمها المؤلف على انها اسطورة « لان اعتبر قيمتها التاريخية معدومة » . ومن المحتمل ان تكون الوثيقة قد كتبت فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وهى تصف كيف تمكن جنكيزخان من السيطرة على منغوليا كلها ، ولكنها لا تتعرض لفتوحاته الخارجية . ومن وسط الحروب والمنازعات التى كانت تنشب وسط هذا الشعب ، برز جنكيزخان كشاب جذاب يحيط به اعداء واصدقاء غادرون يفرضون انفسهم على كرم طبيعته ويضطر الى مقاتلتهم انتقاما لما أصابه وما أصاب اباه من قبل . وبهذه الطريقة تم اخضاع عدد كبير من القبائل . « ولهذا السبب امر بلجوتاى بقتل كل فرد من افراد مركيت » ، اما من الزوجات اللاتى يخلفهن الضحايا « فمن يصلحن منهن زوجات يتخذن زوجات ، ومن لا يصلحن يتخذن عبيدا » . واكسبه الانتصار على التتر فى عام ١١٩٦ الاعتراف بالجميل من

جانب الصينيين . ولم تكن الشهامة لتنقص جنكيز الشاب ، ولم يكن ليغفر للذين خانوا قادتهم لصالحه . وقد أصبح جنكيزخان فيما بعد رمزا للقسوةوالوحشية ولعل هذا يبدو واضحا من العبارة التالية التى تنسب اليه « وعلى سبيل الانتقام من التتر الذين ذبحوا والدنا يتعين الان ان نقتل كل الذكور منهم البالغين » واما من عداهم « من الذكور والاناث فيستخدمون عبيدا »

ولحسن الحظ فان بقية الكتاب نوع من الترياق يشفى من هذه البساطة البدائية التى اتصف بها المقول . فالقطعة التى حتوانها « شاعر صينى فى اسيا الوسطى» تتضمن وصفا لواحة تورفان التى قال السير ستيفن رنسيمان انها كانت موطن المانيشى الاواخر ، و « منتجاتها السجاجيد والروتيبلد العنب » . وفى « لو - يانج وسقوطها » وصف لاعظم عاصمة بالعالم فى ذلك العصر ، بعد مدينة روما ، وهى العاصمة التى دمرها الهون فى عام ٣١١ ميلادية . « وكانت ستائر قصورها الثلاثة والثلاثون مصنوعة من اللؤلؤ وتتلألأ عند الغروب فترسل شعاعا يبهر الانظار »

***

ومن المقتطفات التى تحظى بتقدير القارىء « قصص الاشباح الصينية » و « بعض الاحلام فى شرق آسيا » ، بسبب مافيها من روح دعابة مميتة ، وبخاصة قصة الرجل الذى تمنى أن يكون سمكة . الآن أبدع مانلقاه هو الحكيم اليابانى شيبا كوكان « ١٧٣٧ - ١٨١٨ » وهو أول شخص فى اليابان يشعر أن كون المرء من أهل شرق آسيا يعتبر اقليميا من وجهة النظر العالمية الشاملة .. ومن أقواله « ان لنا جميعا عقولا تشبه عقول النساء ، والنساء فى حالة اضطراب دائم . انهن يؤمن بما يقال لهن ، وليس لديهن احساس بالحقيقة » . وكان كوكان فيلسوفا من فلاسفة الطبيعة ، حاول ادخال علم الفلك ونواح من علوم أوربا الى اليابان ، كما كان فى الوقت نفسه من الشكاك ، يستسلم للمصير الذى حكم به على الجنس البشرى ، ويقول « ان الناس أشبه بالملابس والاثاث ، وهناك وقت يصابون فيه بالبلى والفساد بحيث لا يعود ثمة نفع يرجى من ورائهم » . وهو يحذر الناس من أخطر الشيئين من القريات وهما الشهرة والثروة

وما الحياة التى نحياها ! يجيب كوكان على السؤال بأننا لو قسنا الحياة بمقياس فهمنا البشرى لبدت حلما طويلا ، أما لو نسبناها على أساس عمليات الكون الهائلة لبدت هذه الحياة حلما قصيرا جدا ، ولا يمكن لافكارنا أن تتجاوز حدود عالم الاحلام هذا الا عندما نعرف نحن أننا نحلم « أننا حالمون ومن حولنا حالمون أيضا » ، والقاعدة التى يجب أن يدركها النائم ان كل حلم بهيج يعقبه كابوس شنيع

التعليم فى امريكا

AMERICAN EDUCATION
A National Failure

المؤلف : هيمان ج . ريكوفر
Hyman G. Rickover
الناشر : دتون وشركاه
الثمن : ٣ دولارات ، ٥٠ سنتا

هذا هو الكتاب الثالث للاميرال هيمان ريكوفر من سلسلة يحاول فيها أن يوقظ الرأى العام الامريكى حتى يعمل على علاج الازمة التى تعانيها المدارس الامريكية . واثار كتابه الاول « التعليم والحرية » الصادر فى عام ١٩٥٩ ضجة زادت عندما أصدر كتابه الثانى « المدارس السويسرية ومدارسنا » فى عام ١٩٦٢ ، مما جلب عليه النقد الشديد من المسئولين عن التربية فى الولايات المتحدة وراح ناقدوه ينصحونه بأن يهتم بالمسائل التى تدخل فى اختصاصه ولكنه لم يعبأ بالنقد . وليس مايدعو الى الدهشة من الحاجة فى نقد نظم التربية فقد كان الحاجة المستمر السبب فى اقناع البحرية الامريكية بانشاء الغواصات التى تسير بالطاقة الذرية

وينقسم الكتاب الحالى الى ثلاثة اجزاء ، أولها رد على ناقديه ودفاع عن حقه وحق المواطنين وان لم يكونوا من رجال التربية والتعليم ، فى ابداء ارائهم عن مشكلات لها أهميتها القومية . ويتضمن الجزء الثانى قدرا كبيرا من الشهادات التى كان يدلى بها أمام لجنة الاعتمادات المالية فى مجلس النواب ، وفيها يعيد تأكيد الاراء التى أبداها فى الكتاب الأول . أما الجزء الاخير وهو أهمها فيتحدث عما تستطيع بلاده أن تتعلمه من انجلترا ، ومن هذه الناحية يمكن اعتباره تكملة لكتابه الثانى

من المدارس السويسرية . وفى هذا الجزء وبرغم ايجـــازه ، نراه يطالب بتقرير مستويات للتعليم تطبق على البـــلاد بأسرها

ولا تبدو قيمة هذا الكتاب فى اظهـــار ما للاميرال من دراية واسعة بنظم التعليم والتربية فى البلاد الاجنبية فحسب ، بل وانها لتبدو فى تفسيره لهذه المرتبة .وهو يفسر اختلاف النظم فى الولايات المتحدة عنها فى أوربا الى « مرتبة » النظام الامريكى ، وان كان يمكن أيضا تفسير الامر باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أكثر مما تفسرها المرتبة ، ذلك أن نظـــام التربية الامريكى مدين الى حد كبير الى أوروبا ، لا خلال العصر الاستعمارى فحسب بل وفى القرن التاسع عشر وحتى فى القرن العشرين ايضا

***

والاميرال ريكوفر لا يقف عنـــد حـــد النقد ، وانما له آراء عملية ، فعنـــدما سأله رئيس لجنة التحقيق بالكونجرس عما اذا كانت لديه مقترحات محـــددة لاصلاح المساويء التى يراها ، أجاب على الفور بأنه يقترح مثلا وضع نظـــام على الصعيد القومى ، للامتحانات بحيث توضع مستويات يستطاع بها الحكم على الطلاب فى مختلف مراحل التعليم . وهو يرى الاستفادة فى هذا من الامتحانات البريطانية التى ضمن كتابه عينات ونماذج منهـــا فى ملاحق الكتاب . والواضح أن الاميرال أكثر ايمانا من رجال التربية بأهمية الامتحانات وأقل ايمانا بفائدة اللامركزية فى الادارة

مدينة الليل
CITY OF NIGHT

المؤلف : جون ريتشى
John Rechy

الناشر : ماك جيبون

الثمن : ٣٠ شلنا

ليست « مدينة الليل » رواية بالمعنى الصحيح ، وانما الاقرب الى الواقع أنها رحلة نصحب فيها المؤلف الى العـــالم السفلى الذى نلقاه فى المدن الكبيرة بالولايات المتحدة حيث تنتشر ظاهرة الشذوذ الجنسى بين افراد الجنس الخشن . وبطل الرواية كان يشعر بالاختناق نتيجة افراط أمـــه فى حبها وتعلقها به كأنها تربيه لنفســـها فقط ، ونتيجة سلوك ابيه الذى كـــان يتراوح بين الثورة والاغراء ، ولهذا هرب من البيت وجعل من نفسه عاهرا يسعى وراءه الرجال ، وينتقل من مدينـــة الى أخرى ، مصمما على أن يخلف وراءه طفولته « واخ امحو كل مافى نفسى من البراءة وبذلك أواجه العـــالم حسب شروطـــه الوحشية التى يمليها »

وفى رحلته يراقب ويصور لنا حشـــدا من شخصيات من النوع الذى نلقاه عادة فى الكتب التى تبحث فى موضوع الامراض النفسية . فهناك رجال يريدون أن يكونوا نساء ، ونساء يردن أن يصبحن رجالا ، ورجال تطاردهم خيالات غريبة من القسوة والانحطاط ، وآخرون تسيطر عليهم أحلام من أطفال ملائكيين يمنحونهم حب الطفل . وهناك رجال تتملكهم رموز غريبة وشـــاذة من رجولة متطرفة ويستحيل وجودها .انه عالم من الوحدة واليأس ..

ولكن ، ما السبب الذى يدفع بشـــاب الى هذا العالم ، عامدا متعمدا ؟ مـــن الطبيعى ان يكون هذا الاسلوب من الحياة دلالة على التحدى للآباء والمجتمع ، ولكن — على حد قول المؤلف — ليس من السهل على المرء ان يطرح عن نفسه السالبته . « كنت أحس بجوع الى الشعور بأنى موضع الرغبة ، ولكن عندما كنت أجد أحـــدا يحاول أن يزداد تعلقا بى واقترابا منى ، كنت ابعد عن طريقه » . فهـــذا العاهر الذى أدار ظهره الى علاقات الحـــب الانسانية التى تبدو خارج متناول يده ، لا يجد مصدرا للشعور بأنه ذو قيمة الا بأن يرى نفسه موضع الرغبة فيه من وقـــت لآخر

وبالرغم مما قد تقابله فى هذا الكتاب من صورة للحياة كريهة الى نفوسنا ، الا انه يمدنا بما يمكننا من فهم هذا الجو الغريب ، لعل فى ذلك ماينير أمام المجتمع السبيل كى يتخذ اجراءات جذرية للحيلولة دون التردى الى هذه الهاوية

فى عـدد مـارس من الهـلال

٠٠٤ عباس العقاد : اربع كاتبات
٠١٠ راشد البراوى : بين الامجاد الماضيه والحقائق الحاضرة
٠٢٠ سهير القلماوى : فى الحب والزواج .. !
٠٢٤ ناصر النشاشيبى : اتمنى ان ارى منامه ..
٠٣٢ انيس منصور : وداعا .. ايها الملل .. !
٠٤٢ ثروت اباظه : الخميس العذب ..
٠٤٦ افكارهم ...
٠٥٢ صالح جودت : هذا الرجل .. وجد متعته فى عذاب الآخرين !
٠٥٨ اخبار الغد .. وبعد الغد
٠٦٧ فى الطريق الى .. سارع النجاح
٠٧٤ طاهر الطناحي : لغة الدموع .. فى الادب والاجتماع
٠٨٠ نظمى لوقا : نقد التليفزيون
٠٨٢ مسرح بلادنا : تصوير شريف ذو الفقار
٠٩٨ قصة عبد الحميد جوده السحار : الشبابيك المغلقه
١١٠ اخبار الموضة
١١٤ اوهيزى : اشواك الحب
١٢١ بلاد تختار عشماوى من العرسان الجدد
١٢٧ ضحكات العالم فى شهر
١٣٢ مسرحية لويس فلتنتر : على التليفون .. !
١٤٠ احمد الصاوى محمد : دقت الساعة .. فى بتها ..!
١٤٨ دائرة معارف الهلال

١٤٩ كتاب الشهر :

قصة الدبلوماسية الصهيونية

تأليف : الان تايلور — عرض وتقديم : احمد سوار الدين

١٦٠ مكتبة مجلة « الهلال »

الحب والزواج
سهير القلماوى



داعا أيها الملل
انيس منصور



بابيك المغلقة
يد جودة السحار



ابان لشبابيك
ثروت اباظة




الهلال
ابريل ١٩٦٤ - ٧٠ مليما
AL-HILAL
April 1964

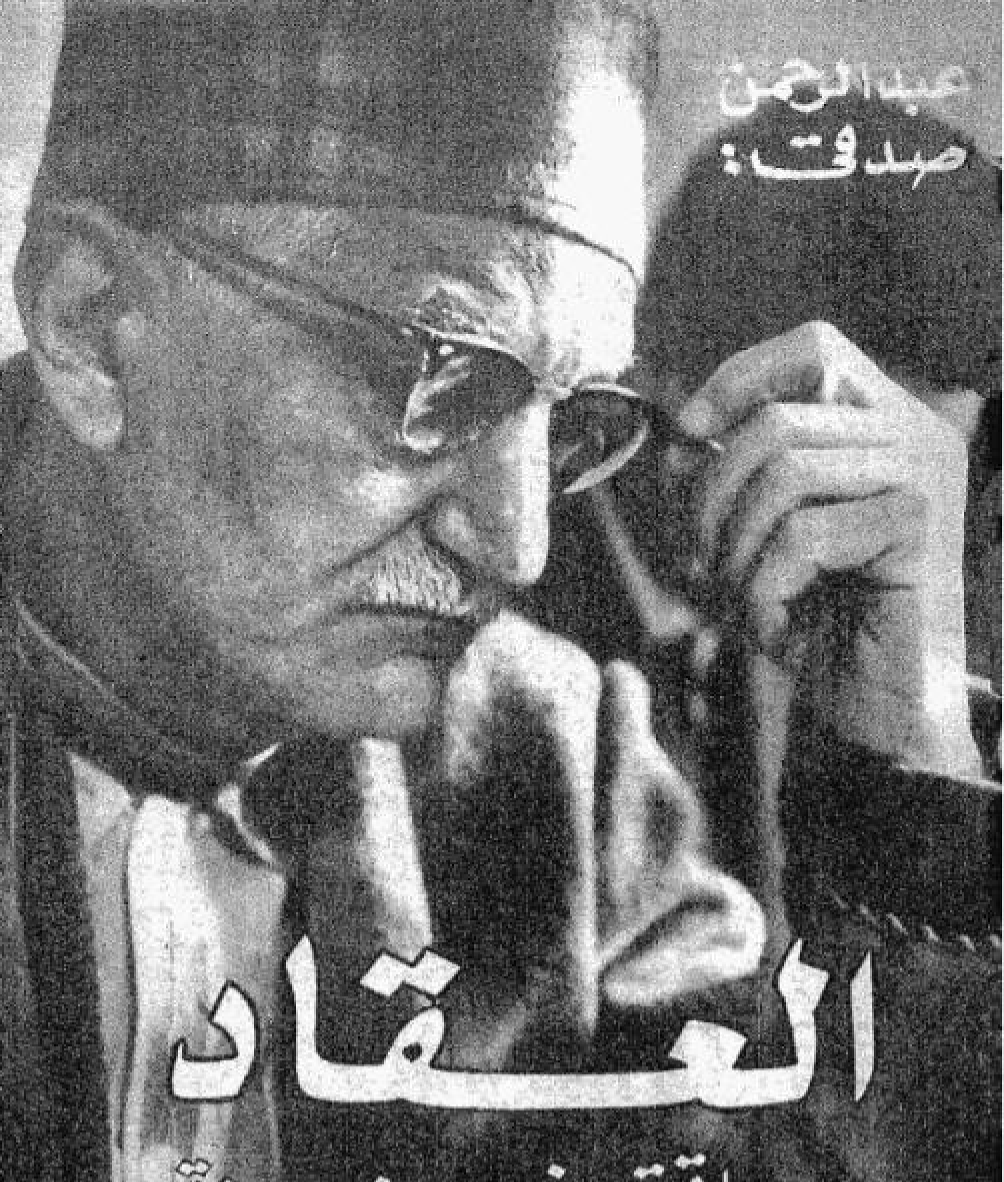
كلمات عاشت

● أنا أعرف الموت ولذلك لاأخافه .. لكن هذا الألم الذى يوجعنى ولا أعرفه هو الذى يضايقنى (عباس العقاد : توفى فى ١٢/٣/١٩٦٤)
● ان العقاد هو المفكر الوحيد ... الذى عاش حياته من الفكر وحده .. ولا شيء غيره ! (توفيق الحكيم) ● ان العقاد ليس مجرد كاتب عظيم يخطفه الموت .. انه أغنية من أغنيات بلادي ستردها الأجيال جيلا بعد جيل ! (على أمين) ● كانت معدة العقاد لاتكاد تهضم من الطعام الا الخضروات المسلوقة والفاكهة المقشورة .. اما معدة عقله فانها تستطيع ان تهضم كل النظريات الرياضية والاقتصادية والمذاهب السياسية والفلسفية وكل قديم وجديد فى العلوم والفنون والآداب ! (كامل الشناوى)
● كان العقاد حاد الرأى سليط الارادة .. اذا لم يكن ما يريد .. لم يرد ما يكون ! (يحيى حقى) ● كان العقاد جبلا .. فيه من الجبل شموخه وعلوه ، وقوته وصلابته ، وصموده امام العواصف والاعاصير .. فلا عجب ان تحدث وفاته دويا كسقوط الجبل ! (مصطفى امين)

الهلال

● العدد الرابع
● مجلة شهرية
● رئيس التحرير :
● أول ابريل ١٩٦٤

● السنة ٧٢
● أسسها : جرجى زيدان
● مدير التحرير : طاهر الطناحى
● ١٨ ذو القعدة ١٣٨٣


عبد الرحمن صدقي:
العقاد
صداقة خمسين سنة

العـــــــقاد

لا اذكر حين اذكر حـــداثتى الاولى ، انى كنت فى يــوم من الايام حلوا من الاعجاب بـطـل من الابطـــال ، كمـا لو كانه اله فى صورة انسان ، فقد عشت فى صباى مع ملاحم «ابوزيد الهلالى » وحكايات حمزة البهلوان وفيروز شاه ، وكان فكرى شاردا يحلم بهم على الدوام ، سيان كنت فى البيت خاليابنفسى بين الجدران ، او كنت فى المدرسة بين يدى المدرس وفى وسط الاقران ، بل اننى كنت اسير فى الطريق العام اشبه ما اكون بالنائم الهائم اثناء نومه من فرط غشيان هذه الاحـــلام التى كنت احلمها عن هذا البطل او ذاك مــن ابطالى العظام ، فهو ماثل فى خاطرى لا يفارقه ، ماثل كانه اله فى صورة انسان

وقد مرت الايام وكبرت عــلى الخرافات ، فتركت بطبيعة الحال مطالعة هذه الحكايات ، وهـــكذا فارقت ابطالى ، ولكن عبادة البطولة لم تفارقنى

ومن ثمة كنت سعيدا حين اتيح لى ملاقاة العقاد فى يوم من الايام منذ نصف قرن من الزمان . وكان ذلك فى منزل صديقه ابراهيم عبد القادر المازنى استاذى فى الترجمة ايام التلمذة فى المدرسة الخديوية ، وكنت قد ذهبت اعوده حين رضت قدمه وهناك راعنى من العقاد قامته الفارعة ، وسمت الوقار فى مشيته وجلسته ، وسعة علمه واحاطته ، وما يبدو ظاهرا للعيان من اعتداده بنفسه وقوة ارادته ، ولم القى العقاد بعدها الا لماما فى فترات متباعدة عند استاذى المازنى دائما ، واخيرا قامت بنفسى رغبة ملحة فى القراءة له . فاخذت استخبر عما نشره وقتئذ من نثر وشعر ، فكان كتيبا صغيرا هو خلاصـــة اليومية الذى صدر عام ١٩١٢ ، ويشتمل على خلاصة افكاره فى شـــبابه وهو اليوم فى نظرى بمثابة الاصول التى تفرعت منها سائر هذه الغابة الفكرية الفلسفية التى انتهى اليها نتاجه طوال الســـنين حتى وفاته ، ثم اتصلت اسباب المعرفة بيننا فاهدانى كتيبا آخر هو « الشذور » وهو من الطرائف ذات الطابع الادبى الفنى عام ١٩١٥ ، وبعدها ديوانه الاول عام ١٩١٦ ، يليه اول مجمـــوعة لبحوله الكبرى وهو الفصول عام ١٩٢٢ ، وهنـــا تجلت لى مواهب

العقاد الشاعر والعقـــاد الباحث الناقد

وقد كنت وانا اقرأ شعره فى الديوان الاول كأننى داخل فى عالم مسحور ، بما يتقلب على عينى من المشاهد التى اضفى عليها خياله ما يعجز عنه الكثيرون غيره من رونق الجمال وروعة الخيال

***

اما الفصول فقد وقفت حيالها وقفة المعجب المتعجب من متـــانة حججها وتماسك منطقها كأنى بازاء هرم من اهرام الجيـزة يبدو من وثاقة التركيب كانه كتلة واحدة ، حيث وضع كل حجر من حجارته بحساب سابق مقدور ، فلو اراد

صادقته وهو فى ريق الشباب ..!



الباني اعادة بنيانها مرة ثانيةلالفينا كل حجر مستقرا فى المقـر الذى كان فيه ، وكل طبقة مرتكزة على الطبقة التى كانت تدعمها ، وذلك ان هذا الوضع دون غيره هو الابلغ تعبيرا عن المعنى ، والاوفى بالغرض المطلوب

وعندها تعاظم العقاد فى نفسى ، وصار منى بمثابة ما كنت أعبده فى الصغرمن أبطال الحكاياتوالسـير وقد تمادى بى ذلك حتى اتخذته المعيار الصادق للتفرقةبين الناس ، فكان الناس عندى فريقين . الذين يعرفون قدر العقاد والذينلايعرفون قدره ، ثم جعلت رسالتى فى الحياة ان اكتب عن كل كتاب يظهرللعقاد ، وان تكون حياتى الادبية وقفا على الدعوة له ، ولم يكن هذا بدافعمن الصداقة ، ولكنه الايمان بالرسالة

***

ولقد وقعت النبوة بينى وبين العقاد اكثر من مرة ، ولكن ذلك لم يؤثر فى حماستى للدعوة ، واذكر انه اتفق فى اثناء نبوة من هـــذه النبوات ان نشر العقاد كتابا له ، فتناولته على نحو ما كنت اتناول به سائر كتبه من الحفاوةوالتحليل والتبجيل ، فعجب الاستاذمصطفى صادق الرافعى لذلك وكانتبينه وبين العقاد مناظرات وخصومات ، واتفق ان لقينى ، فقال بعـد ان اثنى على مقالى : « نيم هذا الا٠٠انى

وانت فيما قرأته لك خير من العقاد» فصحت في وجهه معاتبا «لاتخدعنى عن نفسى» ، ولم اكن اعرف ان هذه الواقعة بلغ علمها الى العقاد ، حتى ذكرها لي في مجلس من مجالسه قبل اشهر من وفاته ، لقد بلغ من دهشة الرافعى من ان يبلغ اخلاص احد المريدين الى هذا الحد ، أن بادر الى العقاد من ساعته يروى له الواقعة ويقول : « الحق اقول ياعقاد ان انصارك فئة قليلة ، ولكن واحدهم بمقام الالف »

ولكننى اعود فاسجل على نفسى بعد ذلك هذه الظاهرة ، وهى انه حين اتسعت شهرة العقاد وكثر الكاتبون عنه والمعجبون به ، انقطعت عن الكتابة عنه ، وقلت زياراتى له اما دافعى من ذلك فهو انى لم اذكر نفسى الا بعد ان ذكره سائر الناس

ولا اقول هذا كالمدل بما كان منى ، فان العقاد كان لا محالة غنيا عنى ، فانى اعتقد ان فضله كان كفيلا بالذيوع على كل حال ، فهو ليس من فريق المستضعفين بل من فريق الاقوياء الذين ياخذون حقهم غصبا وغلابا . واما عن السبب فى ماذكرته من وقوع النبوات بينى والعقاد ؛ فهو لايعدو اهون الهنات . ومن ذلك انى كنت اواعده على اللقاء فى المقهى الذى اعتاد الجلوس فيه ، فاذا حل الموعد ولم احضر ، ترك المقهى ، ولما كانت لم تحن ساعة انصرافه الى البيت او العمل ، فانه يجلس فى المقهى المقابل انبائا لتأخيرى واحتجاجا على تقصيرى . كان العقاد ينفعل بمثل هذه الصغائر انفعاله للكبائر ، ولكن كان يلطف من وقع هذه الانفعالات عندى انى كنت انظر اليها نظرة فنية ، فأرى اعصابه حين ينفعل كأنها اوتار القيثار فى يد العازف الموسيقار « باجانينى » ، الذى كانت أوتار قيثاره فى انفعاله تتقطع الواحد بعد الاخرى حتى لا يبقى غير وتر واحد ، ولكنه مع ذلك يؤدى عن سائر الاوتار كل ما يفور من ثورة فى نفس العازف الموسيقار

من أجل هذا لم اكن انصرف على اثر هذه الثورات وانا مبغض للعقاد ، كما قد فعل غير واحد ، بل كنت اعود الى لقائه ، بيد اننى فى احدى هذه الثورات آليت على نفسى الانقطاع عنه ، بعد ان اقنعت نفسى بان الجوهر واللباب هو كتبه وما دمت عاكفا على مطالعة ماينشره والافادة منه فلست من الخاسرين ومع ذلك لم تكد تعبر بى اسابيع حتى شعرت بنقص فى غذائى الروحى ، فقد اكتشفت ان كتب العقاد لا تغنى عن شخصه . فالعقاد حين يتحدث تشترك فى حديثه اسارير وجهه ، ويصاحب نبرات صوته ما يناسبها من خلجات الجسد وتلويحات اليد ، فضلا عن وميض العين ، ولا تزال هذه كلها متعاونة على توكيد الفكرة عند السامعين ، حتى اننى كنت أحس

عند خروجى من مجلسه الادبى ان راسى الذى بين كتفى صار أثقل وزنا ، وأنفى ـ وهو ليس بالصغير ـ أكثر شموخا وانفة وقلبى ـ وهو ليس بالبارد ـ اشد اتقادا ، وعالمى ابعد اتساعا ، فلا اطيق العودة توا الى البيت استكراها لضيق الجدران ، فاعمد الى السير على الاقدام حتى يطول بى البقاء فى رحاب الفضاء .

يضاف الى ذلك ان العقاد ليس من ذلك النوع من الكتاب الذين لاتزيد معارفهم على ماتقرؤه فى كتبهم لاقتصادهم فى المطالعة على مافيه سد الحاجة اليها فى الموضوع الذى بين ايديهم ، أما العقاد فهو لا يطلع استيفاء لموضوع بين يديه ، بل بدافع ماعنده من روح الاستطلاع والشوق ـ ذلك الشوق المنزه عنى بالمصلحة ـ والى المعرفة فى اعم مهناها وابعد مداها ومن ثمة كان حديثه فى مجالسه يمتد الى مواضيع شتى لم يتعرض لها فى كتبه مثل الشاعر الألمانى هينى مثلا ، فهو لم يكتب عنه لا لشىء الا انه اعز على قلبه من ان يقنع فى الكتابة عنه بالمجال الضيق والوقت المحدود ، او لانها موضوعات من قبيل المعارف التى يتزود بها لمعرفة نفسه والكون الذى حوله ، وهى عند العقاد معارف

ندوة العقاد .. لم يتخلف عنها يوما .. ولم يخلف لها ميعادا



لابد من معرفتها وان كان لاحصر لهـــا وقد كان العقاد فى احاديث مجلسه يكاد يغنى الجالس اليه عن الرجوع الى اغنى الموســوعات فى سائر الموضوعات

***

وكثيرا ما كان يقدم على مجلس العقاد علماء متخصصون فى دراسات بعينها ، كالمواريث فى الشريعــة الاسلامية أو فلسفة فيلســوف بعينــه من الفلاســفة الاقدمين والمحدثين ، او فى مدارس التصوير على اختلافها ، اوفى احدث النظريات الجمالية او فى الابحاث القضائية ، أو فى حقبة بذاتها من الاحقـــاب التاريخية ، او فى نشأة الانســان قبل التاريخ اوفى التحليل النفسانى على مذهب هذا او ذاك من علمائه، وغير ذلك كثير . فقد كان العقاد عند ذلك يدخل مع كل من هؤلاء فى تفاصيل ودقائق تدل على ماله من سعة التحصيل فيها جميعـــا وهذه المزية العظمى للعقاد اسعفته فيها قوة ذهنية جبارة ، مع قوة حافظة جبارة مثلها . ولا ابلغ اذا قلت ان هذه المباحثات التى كانت تدور فى المجلس لا يدور مثلها فى اية قاعة من قاعات المحاضرات فى الجامعات ، فقد كان البحث يتنقل بين موضوعات جد مختلفات ، كأنما المجلس ملتقى بحار ومحيطات من المعرفة بما يعتلج ويتضارب فيهــا من التيارات وامام هذا الذى لمسته طول هذه السنوات من العقـــاد على طلب المعرفة وما حققــه من الاحاطة الشـــاملة تواردهذان البيتان على خاطرى فى وصفه :

اســتاذنا فى كل ما يعقـلـه
يقل بين النـــاس من يعدله
اولع بالعـــــلم ، كان يخجله
ان كان تحت الشمس ما يجهله

ولا أحب ان يسبق الى الاوهام ان العقاد كان ممن يسمونهم حفظة العلم ، بمعنى الجمع والتحصيل فحسب . كلا ، ان هذا الجمــع والتحصيل كله ، كان عند العقاد مادة الفكر المنفعل الفعال ، ومن هنا مايتميز به من صفة الحيــاة والابتكار فى كل مايكتبه

***

والعقاد لم يكن مفكرا فحسب ، بل هو قبل كل شيء فنان يحب الجمال فى الطبيعة والانسان ..وقد لازمته عدة سنوات ، فكان خير رفيــق فى النــــزهة فى الرياض والخلوات لا يمل النظر الى وجه الطبيعة يطالع صورها الظاهرة ، ويلمس ما وراءها من المعـــانى والآيات ، وهو ممن يســتحبــون الصمت فى محرابها ، فاذا تحدث فانه يتحدث لماما ، وبالذى يتفق مع المنظر المحيط ، فلا يكون حـديثه شاغلا عنه بل مؤكدا له . والعقاد يأنس بكل شىء فى الطبيعة ، حتى الصحراء الجرداء التى يقول فيها:

وما سكنتها الوحش الا لانهــا
احب اليها من جوار ابن آدم

ومن هذا القبيل ماكان من سكنى العقاد «صحراء الامام الشافعى» من المدرسة الاعدادية مع الاستاذ فى وقت من الاوقات عندما استقال المازنى لخلافهما مع ناظرها على الرغم مما كانا عليه من ضيق ذات اليد ورقة الحال

عشرات الالــوف من الكتب ..
هضمها عقــل العقاد الجبــار



اما عبادة العقاد للجمال فى الانسان فانها لا تحتاج الى بيان ، ومهمــا قيل عن شعراء الغزل ، فان غزل العقاد يفوقهم جميعا أو على الاقل يفوق معظمهم ، وهو فى غزله يمزج بين الحسية والصوفية مزجا يسكر به الحس وتسمو به الروح ، ومن أمثلة ذلك هذه الابيات التى لاتسمعها والا ويخيل اليك انك فى حلقة من حلقات الذكر ، حيث يردد المنشد ترانيم الحب وقد غلب عليه الوجد الصوفى :

ناجنى ، واذكر حبيب
النفس يا خير تغانى
ودع التلميح واجهر
باسمه دون تفساء
آه لو تعلم ماذا
فى اسمه من عزمات
أترى الاحرف فيه
غيرها فى الكلمات ؟
احرف من رقية الكهان
أو شدو الصلاة
احرف من نفحة الورد
ومن روح النسمات
لتسكر السحر وهذا
يعطى أسرار اللغات ؟
ردد الاسم ، وكرر
وصفه الحلو عشيات
صفه لى ، صفه ، ربما
كان بمجهول الصفات

وهو نشيد مفرغ فى مقــاطع قصيرة بديعة التقسيم حلوة التنغيم ولكن موسيقية هذا النشيد ليست فى مبناه وحده ، بل فى معانيه وافكاره التى تحولت فى نشوة الحب الى معان وافكار موسيقية تشهد للشاعر الفنان برهافة الحس ولطافة الوجدان

والحب عند العقاد يمنح الفانى فى دنياه الفانية نفحة من الخلود . وفى هذه المقارنة بين الحب والخلود يقول العقاد :

ما الحب ؟ ما الحب الا انه بـدل
من الخلود ، فما الملاه من بدل !
نزهى به حين يزهى الخالدون بما
نالـوه من ابد بـاق ومن ازل
دانوا ، فلما تقاضينا الدوام لنا
قالوا لنا ، حسبكم بالحب من امل

وما دام الحب كذلك عنـــد العقاد ، فهو ليس من قبيل الحب الذى يعدو فى سطحيته ملامســة جلدين أو هو على الاكثر معـــانقة جسدين ، بل هو ابعـد من ذلك وأسمى وما كان العقاد ليرضى بحب غير هذا الحب العميق الرفيع ، كما يدل على هذا رفضه ماعداه فى قوله :

تريدين ان ارضى بك اليوم للهوى
وارتاد فيــك اللهو بعد التعبـد
والقاك جســما مستبغا ، وطالما
لقيتك جم الخــوف جم التردد
اذا لم يكن بد من الحان والطلى
فلى غير بيت كان بالامس مسجدى

واذا كنت قد اطلت القول فى هذا الجانب العاطفى من العقــاد ، فقد فعلت ذلك متعمـــدا ، حتى تعرف المراة عندنا خطأها الكبير فى زعمها ان العقاد ممن يحطون من قدرها ، وهى عنده ــ كما راينا ــ كعبة الوحى والالهام .

كذلك كان من بواعث هــذه الاطالة فى تلك العاطفة عند العقاد اتجاه الكاتبين عن العقاد الى التفكير عنده دون غيره من الصفات ولو كان ذلك اعتقادا منهم بأن ذكــر هذا الجانب الفعلى فى العقاد هو المناسب لوقار السن فى حياته ثم لجلال الموت بعد وفاته لسلمت بهذا والتمست العذر ولكن الواقع انه لايزال هنالك زعم ظل يروجه البعض وهو ان العقاد رجل عقل ، وليس بذى عاطفــة وقلب ، والى هؤلاء نسوق هذه الابيات للعقاد ، وليس يقدح فى ايمانه بها انها من ديوانه الاول ، اى من شعر الشباب :

كن بالخوالج حيا ، فالحجى جدث
لربه ، ووقار الحــلم اكفــان
وانما المرء يحيــا فى خوالجــه
وليس يحييه فى الالبـاب رجحان
والعقل بدر ، وما عاشت ولا حييت
الا من الشمس ارواح وابـــدان

ونحن اذا اردنا ــ بعد ماقدمناه ــ مفتاح السر الى شخصية العقاد ، وجدناه فى عمق الشعور بالحياة فى نفســه ، وبالـكون كله من حوله . وعلى هذا الشعور العميق الشامل بالحياة ، يقوم ايمان العقاد بالحياة وحرصــه على تعميقها بالمعرفة والحب وما يتصــل بهما ويتفرع عليهما . فالمعرفة والحب هما فى جوهــرهما الدعامتان اللتان قامت عليهما شخصية العقــاد ، فكانت تلك الشخصية العميقة الجبــارة التى ملات علينا الدنيــا ، وكانت لهــذا الجيل شــغلا شاغلا ، ولن تزال على طويل الدهر شغلا لما بعده من الاجيال

طاهر أحمد الطناحي :



العقاد

حياته.. إيمانه.. حبه..

ستغرب شمس هذا العمر يوما
ويغمض ناظري ليل الحمام
فهل يسري الى قبري خيال
من الدنيا بأنباء الانام
خلعت اسمي على الدنيا ورسمي
فما أبكي رحيل او مقامي

هكذا قال العقاد .. !

وهكذا غربت شمس حياته بعد أن أضاء نورها في الشرق والغرب، وبعد أن خلع اسمه وشهرته ورسمه على هذا الجيل والاجيال القادمة

وهكذا أغمض الموت هاتين العينين اللتين سهرتا الليالي الطوال في البحث والقراءة والتأليف منذ كان في الخامسة عشرة الى ان هوى طودا شامخا في الخامسة والسبعين مخلفا وراءه تسعين مؤلفا ، واكثر من عشرة آلاف مقال .. !

حب العقاد للحياة

وقد كان الفقيد العزيز يحب الحياة على الرغم من متاعبها وأذاها، وعلى الرغم مما عاناه فيها من أمراض وشدائد ، لانه كان يحب المعرفة

ويغرم بها ، ويحب أن يصل اليها ، وتصل اليه ، ولو تحت التراب ٠

كنا وكان الناس يعرفون ذلك عنه فلما بلغ السبعين من عمره ، كنت أزوره ، فسألته :

– هلا تزال تحب الحياة اليوم كما كنت تحبها بالامس ؟

فقال :

– لم يتغير حبى للحيـــاة ٠ ولم ننقص رغبتى فى طيباتها ، ولكننى اكتسبت صبرا على ترك ما لا بد من تركه ، وعلما بما يفيد من السعي فى تحصيل المطالب وما لا يفيد ،وزادت حماستى الان لما اعتقد من الاراء ، ونقصت حدتى فى المخاصمة عليها ، لقلة المبالاة باقناع من لا يذعن للرأى والدليل

• وارتفع عندى مقياس الجمال ، فما كان يعجبنى قبل عشر سنين ، لا يعجبنى الان . فلست أشتهى منه اكثر مما اطيق ٠٠ **كنت احب الحياة كعشيقة تخدعنى بزينتـــها الكاذبة وزينتها الصادقة ، فاصبحت احبها كزوجة اعرف عيوبهـــا ، وتعرف عيوبى . لا أجهل ما تبديه من زينة ، وما تخفيه من قبح ودمامة ٠ انه حب مبنى على تعرف وفهم**

• والحياة بمعناها ولفظها حيـــاة سواء رضينا ام لم نرض ، وهى خير من الموت وقد نظمت ابياتا فى هذا المعنى فقلت :

قالوا الحياة « قشورا
قلنا فاين الصميم
قالوا الحياة « قشور »
قلنا فاين الصميم
قالوا « شقاء » فقلنا
نعم فاين النعيم
ان الحياة حياة
ففارقوا او اقيموا

ولم يكن « العقاد » يتشاءم من شىء فى الحياة مطلقا ، فقد كان يتحدى التشاؤم ولا يؤمن به ، حتى انه كان يتحدى رقم ١٣ الذى يتشاءم منه الكثيرون ٠ فكان يسكن منزلا بمصر الجديدة يحمل هذا الرقم ، وكان الرقمـان الاولان من تليفونه قبل التغيير الاخير هما ١٣ وقد بدأ بناء منزله باسوان يوم ١٣ مارس ، وقسم كتبه ١٣ قسـما ، واحتفظ بتمثال للبومة كان يضعه على مكتبه ومن الغريب أنه دفن فى أسوان يوم ١٣ مارس الماضى

لم يبلغ كل ما أراد ٠٠ !

وقد سألته مرة عن ظفرت بما كنت تريده من الحياة ؟ ٠٠ وهل كان لك هدف خاص حاولت ان تبلغه ، فبلغته ؟ ٠٠ وهل تحب نفسك الان أكثر مما كنت تحبها فى أيام الشباب؟ ٠٠ وهل تشعر بأن هناك صـفات معينة تفتقر اليها ؟ ٠٠ وهل تجد فى نفسك صفات تكرهها ويكرهها الناس ولا تستطيع التخلص منها ؟ ٠٠ وهل تحب أن تعيش حياتك الماضية

مرة أخرى ؟ .. ثم ما هي فلسفتك في الحياة ؟

فأجابني العقاد ، فقال :

— كل ما كنت أريده وأطلبه من الحياة لم ابلغه ، ولا ارى ان احدا بلغ كل ما طلب . واما هدفي في الحياة ، فكان في الصبا أن أتولى القيادة العسكرية ، ثم تحولت أو خيل الى انني أتحول الى طلب العلوم الزراعية ، وأن التحق بمدرسة الزراعة في ذلك الحين ، ثم تبين لي من مراجعة نفسي مراجعة دقيقة ان وراء الطموح الى القيادة العسكرية والى العلوم باعثا واحدا هو ، حب الادب »

« فقد كنت أنظم الشعر في الحماسة ، ثم جنحت نفسي الى دراسة الازهار والطيور فبدا لى ذلك كأنه طموح الى التفرد في علوم الزراعة ؛ وما كان في حقيقته الا صورة من صور الجمال ، او حب الطبيعة

« وقد استويت على هذه الحالة بعد هذه المراجعة ، فبلغت فيما أعتقد غاية ما يستطاع في بيئتنا العربية . **ولم أبلغ الغاية التى رسمتها امامى في مقتبل حياتي ، ولا قريبا من غايته . واذا قدرت ما صبوت اليه مائة في المائة ، فالذى بلغته لا يتجاوز العشرين او الثلاثين .. !**

« أما حبى لنفسى ، فانى اصارحك انني ما أحببت نفسي قط الا لسبب عام أرى انني أصلح له ، وأستحق الحياة من أجله . ولا تهمني الحياة



كان العقاد دائرة معارف تسير على قدمين ..!

لحظة ان لم تقترن بهذا السبب ..!

« واني أشعر أن لى خصالا كثيرة أستطيع أن أمنحها غيرى . ويكفى هذا عوضا عما يعوزني من الخصال .!

« ولم يكره الناس من صفاتي الا تلك الصفات التي اعزها واحتفظ بها . واما ما اكرهه أنا فهو المحاسبة الشديدة لنفسي وللناس ، ولولا هذه المحاسبة لرضيت عن نفسى ، ورضيت عن الكثيرين

« واذا لم أجد خيرا من حياتي الماضية ، فأنا مضطر أن أعيشها بخيرها وشرها ، وأنعم بما فيها . وانا على كل حال راض عن الحياة كل الرضا

فلسفته فى الحياة

« أما فلسفتى فى الحياة فأهم جانب من جوانبها هو ما استفدته من الطبع الموروث وجاءته بعض الزيادة من التجارب والقراءة . وأعنى به قلة الاكترات للمقتنيات المادية . فأعجب شيء عندى هو تهالك الناس على اقتناء الضياع والقصور وجمع الذخائر والاموال

« ولم أشعر قط بتعظيم انسان لانه صاحب مال ، ولم أشعر قط بصغرى الى جانب كبير من كبراء الجاه والثراء . بل شعرت كثيرا بصغرهم ، ولو كانوا من أصحاب الفتوحات ..!

« وانا اعتقد ان نابليون مهرج الى جانب العالم باستور ، والاسكندر المقدونى بهلوان الى جانب أرشميدس وان البطل الذى يخوض الحرب ذودا عن الحق والعقيدة أكرم جدا من كل بطل يقتحم الحروب ليقال انه دوخ الامم ، وفتح البلدان

« وفلسفتى فى الحياة مع الناس، فأثر التجربة والدرس فيها اغلب من أثر الطبيعة الموروثة . وقد اتخذت لنفسى شعاراً معهم . وهو : **الا تنتظر منهم كثيرا ، ولا تطمع منهم فى كثير ..!**

« وهذه الفلسفة تتلخص فى سطور

« غناك فى نفسك ، وقيمتك فى عملك ، وبواعثك احرى بالعناية من غاياتك ، ولا تنتظر من الناس كثيرا تحمد عاقبته بعد كل انتظار »

ميله الى العزلة

وقد كان العقاد يميل الى العزلة والانفراد ، بل كان يميل الى الانطواء وربما ظن البعض ان هذا الانطواء يرجع الى عقد نفسية ، ولذلك سألته يوما عن هذه الحالة التى لازمته طول حياته ، فقال :

« اعترف لك اننى مطبوع على الانطواء . ولكنى مع هذا خال بحمد الله من العقد النفسية الشائعة بين الكثيرين من أندادى فى السن ، ونظرائى فى العمل ، وشركائى فى العصر الذى نعيش فيه

« لقد ورثت طبيعة الانطواء عن ابى وامى ، فلا امل الوحدة ، وان طالت . ولا ازال اقضى الايام فى بيتى على حدة حيث يتعذر على الاخرين قضاء الساعات واللحظات . ولكننى اشغل وحدتى بالقراءة والكتابة ، واذا كنت فى عزلة وانطواء عن الجماعات والحفلات ، فانى لست فى عزلة عن أصدقائى واخوانى

« وانا اميل الى الصداقة واكره العداوة ــ ولكنى لا اعرف التوسط فى كليهما ، سواء فى ابداء الرأى ، أو العلاقات الشخصية . ولا يمكننى ان افهم الاسلوب « المودرن » فى السياسة .. فالمجرم فى حق وطنه اقاطعه ، وعاطفتى تتشكل نحوه حسب هذا الاعتقاد

« وأنا لا أحمل على انسان الا اذا اعتقدت أنه يستحق هذه الحملة . واذا ما حملت على انسان، لا أتوسط فى حملتى عليه ، لان الشخص الذى يسىء الى وطنه او الى الانسانية ، يجب ان نقاطعه وان نحمل عليه ، والا اعتبرناه احسن من الانسانية او الوطن

« وأنا اعمل عن حب لما أعمله ، واحب أن أعترف بحريتى ، ولااحمل احدا مسئولية كتابتى او آرائى . وأميل الى التنظيم والمثابرة . ولذلك استطعت أن أجمع بين العمل فى المجمع ومجلس الفنون والاداب وبين التأليف والكتابة والقراءة ، فأعطى لكل حقه .. !

ايمان العقاد

والاستاذ العقاد كان مؤمنا بالله كل الايمان ، لا عن وراثة فقط ، بل عن شعور وتأمل وتفكير طويل ، فقد نشأ بين أبوين شديدى التمسك بالدين ، لا يهملان فريضة من الفرائض اليومية وقد فتح عينيه على الدنيا فوجد أباه يستيقظ قبل الفجر ليؤدى الصلاة ، ويبتهل الى الله بالدعاء ، ولايزال فى مصلاه الى مابعد طلوع الشمس ، فلا يتناول طعام الافطار حتى يفرغ من أداء الفرض والنافلة وتلاوة الاوراد

ورأى والدته فى عنفوان شبابها تؤدى الصلوات الخمس ، وتصوم وتطعم المساكين . وقلما ترى النساء مصليات أو صائمات قبل الاربعين .!

وندر بين اقاربه من لا يسمى باسم من أسماء النبى وآله سواء منهم الرجال أو النساء .. وكان فى بيت اخواله درس لقراءة الكتب الدينية ، ومنها مختارات الاحاديث النبوية وكتب التفسير ،واحياء علوم الدين للغزالى

فكان للوراثة والبيئة شأن فيما عنده من الايمان والاعتقاد الدينى

أما الايمان بالحس والشعور فذلك أن مزاج التدين ومزاج الادب والفن يلتقيان فى الحس والتصور والشعور بالغيب وعظمة العالم وعظمة خالق العالم

وهو كعالم وكاتب مفكر يرى الايمان بالتفكير ، والوصول بالعقل الى معرفة الله هو أسمى درجات الايمان . !

هذا فى العقيدة أما ايمانه فى مجال الاخلاق ، فهو الايمان بالكمال فلاموجب عنده لعمل الخير غير طلب الكمال وفهم الكمال وأما ايمانه بالادب فهو انه رسالة عقل الى عقول ، ووحى خاطر الى خواطر

وميزان ذلك كله هو ميزان المثل الاعلى وطلب الكمال ، لانه ايمان صادق لا كذب فيه ولا غرض ، وهو ايمان يعمر النفس بلذة الروح ، ويغنى عن طلب الجزاء ، ويعزى عن فقد الحمد والثناء

وكذلك كان ايمان العقاد بالحياة

والدين والادب والاخلاق لا غاية له الا الكمال ..

الكتب وسر الحياة

وقد اشتهر العقاد بسعة اطلاعه، وكثرة قراءاته لمختلف الكتب ،لايترك نوعا من أنواع الكتب الا قرأه . ومع سرعة قراءته ودقته ،فقد كان يعلق كثيرا على ما يقرؤه بقلمه وربما لا يعرف الكثيرون انه كان يفضل قراءة كتب فلسفة الدين ، وكتب التاريخ العام والتاريخ الطبيعى ، وتراجم العظماء ودواوين الشعر ، وكان يقول : « انني أقرأ هذه الكتب ، وأعتقد أن العلاقة بينها متينة ، وان كانت تفترق في الظاهر، لانها ترجع الى توسيع أفق الحياة أمام الانسان. فكتب الفلسفة الدينية تبين الى أى حد تمتد الحياة قبل الولادة وبعد الموت . وكتب التاريخ الطبيعى تبحث في أشكال الحياة المختلفة وأنواعها المتعددة . وتراجم العظماء معرض لاصناف عالية من الحياة القوية البارزة . والشعر هو ترجمان العواطف ، **فانا لا اقرأ من الكتب الا ما له مساس بسر الحياة ـ ولكن ما هو سر الحياة ؟**

« انني أعتقد أن الحياة أعم من الكون ، وان ما يرى جامدا من هذه الاكوان ، أو مجردا من الحياة ان هو الا أداة لاظهار الحياة في لون من الالوان ، أو قوة من القوى . والحياة دائمة ازلية لا بداية لها ولا نهاية لها .!

« فاذا كنت تستطيع أن تعرف سر الله ، اعرفت سر الحياة . ولكننا مطالبون بأن نخط لانفسنا في هذا المحيط الذى لا نهاية له أوسع دائرة يمتد اليها شعورنا وادراكنا .

« والكتب هي وسائل الوصول الى هذه الغاية ، وهي النوافذ التى تطل على حقائق الحياة ، ولا تغنى النوافذ عن النظر .. !

« ومن جهة اخرى ، فان الكتب طعام الفكر . وتوجد أطعمة لكل فكر كما توجد أطعمة لكل بنية . ومن مزايا البنية القوية انها تستخرج الغذاء لنفسها من كل طعام. وكذلك الادراك القوى يستطيع ان يجد غذاء فكريا في كل موضوع ،، . !

العقاد والحب

حينما كنت رئيسا لتحرير مجلة الدنيا الاسبوعية التى أصدرتها دار الهلال اقترحت على فقيدنا العظيم ان يكتب عن الحب ، وكنت أعرف أنه في شبابه كانت له قصة حب عنيف، صدم فيه صدمة كبرى . فكتب لهذه المجلة سلسلة مقالات بعنوان :«مواقف فى الحب » . وهى التى جمعها فى كتاب : « سارة »

ولم يكن اسمها « سارة ». ولكنه اسم مستعار لهذه الفتاة التي وصفها بانها جميلة بلا مراء، ومع أنها ليست اجمل من رأى في حياته ، ولا أجمل من رأى فى أيام حبه لها وشغفه بها ، ولكنها جميلة جمالا لايحتفظ

بغيره في ملامح النساء .. لونها كلون الشهد المصفى ، يأخذ من محاسن الالوان البيضاء والسمراء والحمراء والصفراء في مسحة واحدة

وعيناها نجلاوان تخفيان الاسرار ولا تخفيان النزعات ، فيهما خطفة الصقر ، ودعة الحمامة . وفمها فم الطفل الرضيع مع ثنايا تخجل العقد النضيض في تناسق وانتظام ، ولها ذقن كطرف الكمثرى الصغيرة ، واستدارة وجه وبضاضة جسم ، وبين وجهها النضيد وجسمها الفاتن جيد كأنه الحلية الفنية سبكت لتنسجم بينها وفاقا لتمام الحسن .

وقد دام الحب بينهما عدة سنوات

الآنسة مي .. او « هند »
في قصته اليتيمة « سارة »



ثم صدم في حبه . وكانت الصدمة منها ، وكان الفراق بينهما . وكان بكاؤه الشديد ، وهو يرد اليها ذكرياتها عنده في احدى حدائق مصر الجديدة . بمشهد من صديق من اخلص اصدقائه .. ولم يكن بكاؤه عن أسف عليها ، ولكن العقاد كان شديد الحساسية سريع البكاء . وقد اثبتت المراجع العلمية والنفسية ان اقوى الرجال اسرعهم الى التأثر والبكاء .

ومن امثلة التأثر والحساسية الشديدة عنده أنه أثناء سجنه بتهمة العيب في الذات الملكية ، وقع نظره يوما على جلاد يهوى بسوطه على ظهر سجين . ثم ينبثق الدم من ظهر الرجل المسكين . فعاد الى مكانه في السجن باكيا ، وقلبه يكاد ينفطر شفقة ورحمة ، ومكث مريضا مدة أسبوع كامل ، ولم يستطع النوم ثلاث ليال بأكملها ، وظلت صورة الدم على ظهر السجين تشاغل عينيه ، واستمرت أنات الرجل تدوى في أذنيه ، ولم يرحم خياله أن ذلك الرجل قد أتى ذنبا استحق عليه العذاب !

هند — او — مي

وقد كان أثناء حبه لهذه الفتاة يحب « الانسة مي » فقيدة الادب العربي . وقد اعترف لنا في حديث معه بحب هاتين الفتاتين وحدهما ، فقال : « لقد أحببت في حياتي

مرتين : ((سارة)) و ((مي)) . كانت الاولى مثالا للانوثة الدافقة ناعمة رقيقة لا يشغل راسها الا الاهتمام بجمالها وانوثتها ، ولكنها كانت مثقفة أيضا

• والثانية ــ وهي مي ــ كانت مثقفة قوية الحجة تناقش وتهتم بتحرير المرأة واعطائها حقوقها السياسية . كما كان فيها بعض صفات الرجال من حيث أنها جليسة علم وفن وأدب ، وزميلة في حياة الفكر . أي أن اهتمامها كان موزعا بين العلم والانوثة » .!

وقد أحبها العقاد حبا روحيا ، وتحدث عنها في آخر كتاب «سارة». وسماها باسم « هند » وكان يزورها ويجالسها ويتناولان من الحب ما يتناوله العاشقان العذريان، وكان يكتب اليها ، فيفيض ويسترسل ، ويذكر الوجد والشوق والامل . وكانت « مي » تحبه حبا شديدا ، ولم تكن تعلم بحبه لسارة ، وانما كانت تزعم بينها وبين نفسها أنه معزول عن عالم النساء غير انها لم تحفل باتصاله بالنساء ، ما دام اسمهن « نساء » لا يلوح من بينهن اسم امرأة واحدة وشبح غرام واحد .. !

فلماشعرت بأنهيحب فتاةاخرى، وكان هذا الحب قبل أن تقع هي في حبه ، زارته على حين غرة في مكتب عمله ــ وهي الزيارة الاولى والاخيرة فرحب بها وابدى لها استغرابه لزيارتها المفاجئة، وابتهاجه بسؤالها عنه ، وانصت لها ، فقالت بعد فترة وصوتها يتهدج :

ــ لست زائرة ، ولا سائلة .. !

فقال : ــ اذن . ؟.

فلم تتكلم ، بل نظرت اليه ، كمن يستحلفه الا يتكلم . وانحدرت من عينيها دمعتان،فماتمالك نفسه،وتناول يدها ورفعها الى فمه يقبلها ويعيد تقبيلها ، فمانعته ، ولم تكف عن النظر اليه . ثم استجمعت عزمها ونهضت منصرفة ، وهي تتمتم هامسة : دع يدي ودعني

ويقول العقاد : « لو جاءت هذه الزيارة في بداية علاقته بسارة لما كان بعيدا ان تقضي على تلك العلاقة وان تصبح سارة عنده اسما مغمورا في عامة النساء »

فلسفته في الحب

أحب العقاد ــ كما قلنا ــ مرتين ، صدم في الاولى ففارقها كارها لها لخداعها وخيانتها .. وفارقته الثانية ، لانانيتها وكرامتها ، عاتبة غير منصفة لانه لم يختلس منهاشيئا هو من حقها عليه . ومع ذلك فقد كان يمدح الحب ويقدسه ، ويقول عنه فيما يقول :

ماالحب ؟. ماالحب ؟. الا انه بدل من الخلود ، فما اغلاه من بدل

وكان يعرف الحب بأنه اندفاع

روح الى روح ، واندفاع جسد الى جسد . وخلاصة فلسفته فيه انه قضاء وقدر ، فهو يرى اننا **لا نحب حين نختار ، ولا نختار حين نحب ، واننا مع القضاء والقدر حين نولد وحين نحب وحين نموت ، لان الحياة وفقد الحياة هي اطوار العمر التي تملك الانسان، ولا يملكها الانسان**

كيف تنبأ بالموت ؟!

اما الموت فقد كان « العقاد » يكرهه ولا يخشاه . ولم يكن يطمع ان تدوم حياته الى سن المائة . فقد توفيت والدته في سن الثمانين ووالده دون هذه السن . وقد تنبأ بالموت في حديث بيني وبينه فقال « ان الابن يأخذ متوسط عمرى أبيه وامه . وقد تنتهي حياتي قبل الثمانين » !

ثم ابتسم وقال :

« اذا فاجأني الموت في وقت من الاوقات . فانني أصافحه ولا أخافه ، بقدر ما اخاف المرض . فالمرض ألم مذل لا يحتمل ، ولكن الموت ينهي كل شيء ».

« نعم ، ان الخوف من الموت غريزة حية لا عيب فيها ، وانما العيب أن يتغلب هذا الخوف علينا ، ولا نتغلب عليه كلما وجب أن نغلبه في موقف الصراع بين الغريزة والضمير ، فان الخضوع له في هذه الحالة ضعف ، والضعف شر من الموت » !

ولما قلت له يوما :

ـ ان بناء جسمك ، وما أراه من قوة صحتك ومثابرتك على العمل في الشيخوخة ، يبشر بأنك ستصل الى سن المائة أو تزيد . فماذا يكون شعورك وقتئذ ، وما هو الكتاب الذى تؤلفه ؟

فأجاب :

ـ انني لا اتمنى ان اصل الى سن المائة كما يتمناه غيرى ، وانما اتمنى ان تنتهي حياتي عندما تنتهي قدرتي على الكتابة والقراءة ، ولو كان ذلك غدا

« أما شعورى لو بلغت « المائة » اذا كنت بصحة جيدة ، فهو نفس شعورى الآن . ولكن اذا ضعفت صحتي واضمحلت قوتي . فان شعورى يومئذ سيكون كشعور كل انسان بالضعف والتعب ، وهو شعور مؤلم غير مريح

« واذا توافرت لي الصحة ولم تضمحل القوة ، وبلغت سن المائة ، فاني أؤلف كتابا أسميه : « تجارب مائة عام » ، أو « قرن يتكلم » ... ! وأعهد بنشره اليك ..

القذى.. والشظية

« قبل ان تخرج القذى الذى فى عيون الاخرين ، اخرج الشظية التى فى عينك أنت ! »

حكمة من أثمن الحكم الذهبية ، ولكنها كسائر الحكم الذهبية ، عملة صعبة ، لا يقدر الناس على تداولها والتعامل بها الا فى اضيق نطاق . وقد لا يتعاملون بها اطلاقا !

والسبب فى هذا على ما يبدو ازمة خانقة فى النظارات . فالنظارات المطلوبة فى هذا الخصوص من نوع معين لا يتيسر للكثيرين . ومن يتيسر لهم بلهاء فى الغالب بحيث يستخدمونه مقلوبا . ويحسبون أن هذا هو الاستعمال الصحيح

المنظار المطلوب لتطبيق هذه الحكمة يجب ان يكون منظارا مكبرا مقربا . ولكن الوضع الصحيح لاستعماله ان تضعه على عينيك بالمقلوب ! اى بحيث تكون العدسة المكبيرة من جهة العين . وبذلك يبدو كل ما فى الاخرين مصغرا وبعيدا جدا ، ويبدو لك كل ما فى ناحيتك أنت مكبرا وقريبا جدا ، وبهذا تضخم فى نظرك هفواتك فتبدو لك اخطاء جسيمة ، وتصغر فى نظرك اخطاء الاخرين فتبدو لك هفوات صغيرة جدا تكاد لا توجد !

بهذا المنظار وحده لا تتساهل مع نفسك ، وتتساهل جدا مع الاخرين أما الوضع العكسى للمنظار ، أوبدون هذا المنظار اطلاقا فانت تتساهل جدا مع نفسك ، وتتجبر جدا فى حساب غيرك ، فتطلب منهم الكمال المطلق ، ولا تطالب نفسك بشىء على الاطلاق .. وبهذا يبدأ انحدار كل انسان !

سهير القلماوى :



خمسة فى عين العدو !

خبير فى تنظيم الاسرة ذات يوم فقال ان هناك مشكلتين هامتين تشغلان بال الناس والرأى العالمى اليوم . والاولى منهما اسهل من الثانية .. !

اما الاولى فهى السلام ، وأمره بيد من يملكون الاسلحة النووية . ويمكن ان يتفق عليه بضع رؤساء دول لينتهى فيه الامر . لان السلام رغبة الشعوب فى كل انحاء الارض واثارة موضوعة لاية مناسبة كفيلة بتفجير حماس الناس للعمل من اجله .

واما الثانية فهى مشكلة تنظيم الاسرة امام هذه الزيادة المركبة الهائلة فى سكان العالم

وهذه لا يكفى فيها عدد من الرؤساء ، وانما لابد فيها من كل افراد الشعب ، ليقتنعوا اولا ثم

ليعملوا ثانيا . بل ليعملوا باستمرار . وهى تتطلب من الانسان مالايميل اليه بطبعه ، وهو ترك الامور تسير كيفما اتفق . انها تتطلب وضع خطة لحياة الاسرة ، وتنظيما لحياة الام خاصة .. فاكثر العبء يقع على عاتق المراة

***

وكانت زوج الخبير معه . فاضافت ان الحياة الانسانية لا يمكن ان تترك على الفطرة فى جانب وتنظم علميا فى جانب اخر .لايمكن ان يدخلها العلم من نافذة ثم تغلق من دونه كل النوافذ الاخرى . اما وقد دخل العلم حياتنا وطيب لنا ابناءنا وضمن لنا الى حد كبير فرصة حياتهم ، فليس هناك اى معنى فى الا ندخله لينظم لنا فترات راحة بين الابناء ويمكننا من ان نقتصر على عدد قليل منهم، هو العدد الذى فى طاقتنا ان نربيه وان ننشئه معنويا وماديا

ان الام فيما قبل تقدم الطب ، كانت معذورة فى انجاب كثرة لانها تلد عشرة ويعيش لها خمسة او اربعة .. اما اليوم فان فرصة الحياة للعشرة تصل الى اكثر من تسعين المائة

***

تاملت هذا الكلام وهالنى الشوط الذى يجب ان نقطعه فى بلادنا للوصول الى شبه حل لهذه المشكلة . اين التنظيم من تفكير ام تحب كثرة الاولاد وتخاف عليهم العين وتخشى ان تعدهم فتحسدهم او تعرضهم للموت .. واين الام التى تكايد ضرتها بكثرة الاولاد او تمسك الرجل من رقبته بالعديد من العيال ، من الام التى تخطط لحياتها وتعرف انها مع ايمانها بالله وخضوعها لامر الله تؤمن بالا احد بعد الله يسعدها الا نفسها ، وبأنها مطالبة بان توفر السعادة لاسرتها ولامتها بكل ما أوتيت من فكر وقلب .. !

***

ان المجتمعات قد خطت خطوات كبيرة فى سبيل التنظيم والتخطيط بأسرع مما يمكن للافراد ان يخطوا فى هذا المضمار . لقد وصلت الى مستوى فى هذا ما كان يمكن ان نحلم به منذ زمان غير بعيد . ان عملية كعملية التعداد مثلا عملية حديثة العهد نسبيا ما كانت تخطر على بال الحكومات بشكل تعداد يمسح المنطقة كلها قبل قرن ونصف قرن من الزمان . كان عدد الناس يقال جزافا وعدد الجيوش يحسب ايضا جزافا . والتعداد الذى هو اساس كل خطة اليوم خاض تاريخا طويلا فى سبيل ان يخرج متكاملا الى الوجود . ففى العصور القديمة جدا كانت عملية عد السكان تعد شؤما مابعده شؤم .. وصورة تعداد شعب سيدنا داود كما تصفها لنا التوراة صورة فريده فى تمثيل هذا التشاؤم . نجد فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر

صموئيل الثـــانى ان داود عليه السـلام بامر « يوآب » رئيس الجيش ان يقـــوم هو واعوانه بعملية تعداد دقيق للســكان او لشعبه فيطوفون بالبـلاد بلدا بلدا وبعد تســعة اشهـــر وعشرين يوما يعـــودون الى اورشليـــم ويبلغ « يوآب » الملك ان عـــدد اسرائيل ثمانمائة الف رجـل ذى بأس مستل السيف ورجال يهوذا خمسمائة الف . » وهنا يشعر داود انه اخطأ وانحمق كما يقول لانه عد الشعب . ويسأل «جاد» النبى ورائية عن عقوبة الرب فيخيره الرب بين عقوبات ثلاث : سبع سنين بين سبع سنى جوع ! او هـرب ثلاثة اشهر يطاردهم الاعداء ، أو ثلاثة ايام وباء فى الارض

فقال داود لجاد « لقد ضـاق بى الامر جدا . فلنسـقط فى يد الرب لان مراحمه كثيرة ولا اسقط فى يد الانسـان . فجعل الرب وباء فى اسرائيل فمات من الشـعب سبعون الفا . وبسط المـلاك يده على اورشليم ليهلكهما . وكلـم داود الرب عندما رأى الملاك المهلك الشعب وقال : ها انا اخطأت ، وانا اذنبت اما هؤلاء الخراف فمـاذا فعلوا ؟ . فلتكن يدك على وعـلى بيتى » ولا تهدأ ثائرة الملاك المهلك الشـعب .. الا بعد ان يقـدم داود وفرة من القرابين

***

وهكذا رأى الناس نحس التعداد يحل بهم وتشاءموا منه وعلقت باذهانهم صورة الملاك المهلك بالوباء باسطا يده على سماء المـدينة . حتى ان بعض الروائيين المحدثين نسبيا امثال « دانييـــل ديفو » الانجليزى عندما يصف وباء لندن العظيم يقرر ان بعض العـامة راوا المـلاك المهلك عالقا بين السـماء والارض فى شوارع لندن

***

وظلت عملية العد مما يتشاءم منه الناس الى يومنا هذا . وما زلنا نجد بين ظهرانينا ظواهر كثيرة لهذه العقيدة الشعبية الراسخة . ولقـــد روى كثيرون ممن قاموا بالتعداد الاخير فى مصر اخبـــار الصعوبات التى لا قوها عنـدما كانوا يسألون الام او الاب احيانا عن عدد الابنـــاء . كانت بعض الاجابات على هـذا النحو « واحد فى المدرسة وواحد راح الغيـط وبنت اتجوزت وعيل هناك .. »

ثم يتركون عملية الجمع للموظف المختص ينطق بنتيجتها بعيـدا عنهم . بل اننا مازلنا الى اليوم نجد بين قوم يعيشون فى العاصمة من يتشاءم من ذكر العدد اصـلا وبدلا ان يقول واحـد اثنان ثلاثا الخ يقول الله **واحـد** ، ليس له **ثانى** ، وهكذا يدراون بذلك الارواح الشريرة عما يعدون . وكثيرا ما تستعمل جملا بدل الاعداد فيقال باسم الله « واحد » وبركتـين « اتنين » وباجمال النبى «ثلاثة» وربنا يعطينا « اربعة » وفى عـين العـدو «خمسة» وهكذا . وبعض

الاعداد تحمل خواصا يتشاءم منها مثل الخمسة فلا يقال الا خمسة وخميسة فى عين اللى ما يصلى على النبى ، او خمسة فى عين العدو او الحسود .

***

وتشاؤم الفلاحة من عد أرانبها او فراخها او ماشيتها امر معروف . انها تفضل أن تتمم عليها بالبحث عن الشاة البيضاء والتى فى اذنها سواد او الحمراء او .. او .. دون أن تعدها . وقد



تلقب الطيور باسماء وتنادى عليها ولكنها لاتعدها مخافة ان تحسدها هى نفسها . لانه لا يحسد المال الا اصحابه كما يؤمنون . لذلك يخفى الكثيرون امر مكاسبهم ولا يذكرون لاحد ما يملكون او ماذا يكسبون ، او يقللون منه بشكل ظاهر ، كل هذا بدافع من الايمان بان الخير ينقص اذا عد

***

وهذه كلها ظواهر منتشرة فى انحاء العالم . ففى سنة ١٩٠٨ لما ارادت حكومة الاستعمار فى الكونجو ان تعد السكان فى بعض المناطق التى احتلت الوانا من الظلم دون مقاومة لم تستطع الحكومة بكل سلطانها ان تفرض ارادتها فى هذا الموضوع ، وارسلت مع موظفى التعداد قوة من الشرطة .. دارت بينها وبين الاهالى معارك دامية . ان عد الابناء ينظر اليه كعملية تعريف لعزرائيل بهم ودله عليهم وهو لا يتركهم على حالهم بعد ذلك ابدا .. وكثيرا مايهزأ الافريقيون بسؤال موظف التعداد لهم عن عدد ابنائهم فيجيبون هم مائة او الف ثم يضحكون منه ساخرين . وكثيرا ما يتجنب الرجل منهم الرد فى ادب ويقول « ادخل البيت وعدهم اذا شئت . »

***

وفى بعض تقارير الحكومة الفرنسية اشارات الى المعاناة التى كانوا يعانونها فى اية عملية تعداد للسكان فى الجزائر . وفى بعض مدن الجزائر ، لا قراها ، لا تزال نجد من يتطهر خصيصا للقيام بعملية وزن الحبوب ، حتى لا يصيب البلاد من جراء هذه العملية قحط او آفات

***

وفى بعض جزر المحيط الهادى الغربية نجد ظاهرة غريبة لهذا الايمان الشعبى الراسخ .. فهم يسقفون بيوتهم بسعف نخل مخصوص كثير فى المنطقة

فيجمعون من هذا السعف كمية لا يعدونها ابدا لان العد شؤم ، ثم يبدأون عملية تسقيف البيت بالسعف فاذا نقص العدد عن ان يغطى السقف كله فان البيت يترك تشاؤما منه ولا يكملونه ابدا ! ويضحون فى ذلك بالجهد الذى بذل فى البيت ، والتسقيف اخر مراحل هذا الجهد ، بل يضحون ايضا بكل ما بذلوا . ولكنهم لا يلجاون ابدا الى العلاج بان يتجنبوا هذا عن طريق العد والحساب

***

وفى امريكا الجنوبية فى كولومبيا نزل الوباء .. وباء الحصبة .. فى منطقة منها على اثر عملية تعداد للسكان فاندلعت ثورة لان سكان المنطقة اعتبروا الحكومة مسئولة عن هذا الوباء لانها هى التى قامت بالتعداد

وهنود امريكا الشمالية لا يعدون ثمار الشمام ولا ينظرون اليها قبل ان تنضج لان العمليتين تفسدان الثمار وتجلبان الآفات

وفى ريف فرنسا وريف اسكوتلندا امثلة شائعة وظواهر عديدة لاعتقاد العامة فيما تجلبه عملية العد من نحس سواء أكان العد فى الانفس او الحيوان او الثمار او حتى فيما تصنعه ربة البيت من فطائر

***

والنفور من العد ايضا ما يزال يرى عند الناس فى كل قطر تقريبا فى موضوع السن مثلا رجالا ونساء . بل لقد انتشرت حينا ما عادة اخفاء ميلاد الطفل فلا يقيد فى دفاتر الدولة مع المواليد الا اياما او اشهرا او سنوات بعد ميلاده . ليتوه عنه عزرائيل وليعيش .. !

وينصب التشاؤم على بعض الاعداد بذاتها ، منها عدد خمسة - كما ذكرنا - وسبعة وتسعة واحد عشر . وكثيرا مايسقط ذكر العدد اثناء العد باشكال مختلفة



كان يقال اربعة ، كف ، ستة . او ثمانية بسم الله ، عشرة . او عشرة ثم عشرة واثنا عشرة . كل ذلك تجنبا لذكر الاعداد المشئومة ومغالطة للشيطان وعزرائيل وكل الارواح الشريرة حتى لا تعرف الاخبار الدقيقة عن اى شىء فتصيبه باذاها

وصيادو البحر بطبيعة اعتماد رزقهم على القدر فى اكثر بقاع الارض يتعلقون بالتفاؤل

والتشاؤم تعلقا عجيبا فى موضوع الغد . ولهم طرق عجيبة فى تضليل الشيطان ومغالطة عزرائيل والضحك على العفاريت . فهم لا يذكرون ابدا كم صادوا لاعدا ولاكما . ان رزق الله الذى ياتى جزافا وعفوا يجب فى عرفهم ان يتقبل جزافا وعفوا . بل مازال كثير من الالمان الى اليوم يعتقدون ان عد المكسب نذير بقلة الخير . بل نحن ايضا نجد هذه الظاهرة منتشرة بيننا فكثيرون هم الذين يضيقون بعد رزقهم او حسابه وان كانوا قد بلغوا مبلغا كبيرا من العلم والمعرفة

***

كل هذه الظواهر من التشاؤم والتفاؤل هى صدى طبيعى لحرص الانسان على الحياة وعلى وفرة الرزق ولكنها ظواهر بدائية خطت الانسانية مراحل ومراحل فى سبيل ان توفر بالعلم والدرس والعمل الحياة ما امكن والرزق ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

والعلم يتطلب دقة فى الدرس وحساب الخطوات خطوة خطوة وتفنيد المعلومات بندا بندا بل هو يتطلب ذلك فى مجالات تتسع وتتسع حتى اصبحنا نجد خطة شاملة لاقتصاديات الدولة وخطة تنمية يمتد التخطيط فيها الى سنوات وسنوات ولكن كل هذا يجرى على نفس بشرية ما زالت رغم التطورات العديدة الخطيرة تترسب فى اعماقها رواسب ليس من السهل انتزاعها

وليس التقدم فى نظري فى سرعة انتزاع هذه الرواسب وانما هو فى نظرى فى مقدار ما استطاع العلم يوفق فيه من تعايش سلمى بين معتقدات نظرية راسخة وايمان بالعلم لا سبيل الى انكار حقائقه

ان الدعوة الى تسخيف هذه المعتقدات او تحقيرها او حتى التحايل عليها جهد ضائع ، لان تلاشى هذه المعتقدات يتم فى بطء ورغما عنا . وهو سيتقلص ويتقلص وحده . ذلك انه اذا كنا نؤمن بالعلم حقا فلا سبيل الا ان نعترف اننا نجهل من الحياة اكثر مما نعرف .

وليس معنى هذا الاعتراف تاييدا لهذه الاوهام وانما هو توجيه للجهد المبذول فى سبيل ازالتها الى ان يكون برفق بطيء . ولا داعى ابدا لمحاربة الاوهام الا اذا كان وجودها يقف فعلا حجر عثرة فى سبيل سير الحياة او فى سبيل ان ياخذ العلم طريقه لاسعاد البشر

وتنظيم الاسرة ولا شك باب من الابواب التى يجب ان تفتح على حياتنا لنمكن للعلم من ان يدخل منه حياتنا ليسعدنا ويسعد وطننا العربى . اننا فى حالة المريض لا نستطيع ان نغلب طب البركة على علم الطب وكذلك فى المجتمع المريض لا نستطيع ان نغلب الاوهام على حقائق العلم . ذلك اننا لابد ان نترك للعلم ان يقول بواسطة ما يتقن من وسائل

ماذا ينتظرنا من احوال اقتصادية ومعاشية . والعلم لا يدعى المعرفة بالمناطق التى يجهلها الى الان . واذن فلا بأس من ترك ما لا سبيل الى تركه من اوهام مادام تركها لا يصدق طريق العلم ولا يترجم اعمالا ، وبذلك تكون اكثر واقعية فيما ينبغى من تطور سليم . ولكن فى الوقت نفسه لابد من استئصال ما لابد من استئصاله فى سبيل رفاهية المجموع بشتى الطرق الرحيمة بالناس

***

ان الشوط كبير كبير جدا بين التشاؤم والتفاؤل ، والتخطيط بين خمسة فى عين العدو وبين الخطة الخمسية . . ومع ذلك فاننا قد بدانا الشوط وسرنا فيه مراحل وان ظلت اوهام الغد مترسبة فى اعماق نفوسنا . اننا نجهد فى سبيل تنفيذ خطة شاملة كلها ارقام : عد للانفس وحساب دقيق للرزق . . ذلك انه اذا كنا نستطيع ان نعيش فرادى مبعثرين فنحن احرار فيما نفعل وفيما نؤمن به . . اما وقد تغير وجه الحياة واصبحنا افرادا فى مجتمعات واجزاء من كل فانه لا يمكن ان نكون احرارا فيما نفعل وان ظللنا احرارا فيما نؤمن به . ذلك انه لا يملك اى فرد منا ، تحت اى شعار ، الحق فى ان يعرقل سير الجماعة فى ايمان وعزم نحو اهداف نؤمن بها جميعا

اننا لابد ان نسير نحو صالح الجماعة غدا وكما فى ايمان بالعلم عميق مهما عششت فى نفوس الكثرة منا اوهام التشاؤم والتفاؤل . وقد نستطيع ان نتيح لهذه الظلال ان تظلل سلوكنا الفردى . . اما سلوكنا الجماعى فيجب ان يكون نابعا من ايمان بالنور ، نور ينزه ايماننا بالله عن ان يتخذ هذه الاوهام سبيلا الى التعبير عنه . ايمان بنور الله بل بالله الذى هو نور السماوات والارض

التعريف الصحيح

ذهبت الزوجة الثرثارة الى الطبيب وابدت له قلقها على صحة زوجها :

– لا ادرى ماذا اصابه . اظل ساعات متوالية اكلمه من غير ان يبدو عليه انه سمع ما اقول !

– ولكن هذا ياسيدتى العزيزة ليس مرضا . انه نعمة جزيلة انعمها الله على هذا المسكين !

ناصر الدين النشاشيبي :

لغز

السيارة تمشي بي وسط حي «العلوية» في بغداد .. وتدور حول ساحة الجندي المجهول .. ثم تتجه صوب شارع ضيق مليء بالبيوت الصغيرة على جانبيه .. وتقف امام بيت ابيض صغير. على شكل «فيلا» متواضعة لا تزيد في ارتفاعها عن دورين ، ولا تكاد حديقتها الصغيرة تزيد من المسافة التي تفصل بين بابها الرئيسي والباب الذي يطل على الشارع العام .. ويلتفت السائق الى الخلف لكي يقول لي :

ـ هذا بيت عبد الكريم قاسم!

ولم اصدقه !

ولمح السائق في وجهي دهشة المكذب لما يسمع ويرى ، فقال لي :

ـ كان البيت يملكه احد اليهود الذين رحلوا الى .. اسرائيل !

ثم ينزل من مكانه ، ويفتح لي باب السيارة وكانه يدعوني للنزول .. وانزل من مكاني .. واقف على باب المنزل الذي قضى فيه عبد الكريم قاسم اكثر من خمس عشرة سنة من عمره ، فلا ارى شيئا باستثناء يافطة كبيرة معلقة على باب المنزل تقول ان المبنى قد اصبح اليوم مقرا لوحدة «الكرادة» الادارية ، التابعة لمحافظة بغداد

وهذا كل ما بقي من .. عبد الكريم قاسم !

وهذا ما يزيد في غموض اللغز الذي ليس بين الغاز الحياة في بغداد ـ وما اكثرها ـ اشد منه غموضا ، واعمق من شخصيته تعقيدا ..

ولا ادري لماذا بقي شبح عبد الكريم قاسم ، يطاردني منذ اللحظة التي وطئت فيها قدماي ارض بغداد ، الى أن حملتني الطائرة عائدة الى بيروت ..

فمنذ ان دخلت مطار بغداد قيل لي أن هناك ثلاثة اوامر من عبد الكريم قاسم ، تمنعني من دخول العراق ..

في الامر الاول اطلق على عبد الكريم قاسم لقب «الاستاذ»



في شارع الرشيد!

فلان الفلاني « رئيس تحرير » الجريدة الفلانية ...

وفي الامر الثاني جردني « قاسم » من لقب استاذ ..!

وفي الامر الثالث ــ وكان قد مر على صدور الامر الاول اكثر من عامين ــ اطلق على عبد الكريم قاسم لقب : المدعو « فلان » .. « المحرر » في الجريدة الفلانية ..

وهكذا تطورت كراهية عبدالكريم قاسم لي مع تطور كراهيتي له والتي كنت اعبر عنها في مقالاتي اليومية والاسبوعية عن اسرار حكمه وسلطانه ..

ومع ذلك فقد دخلت بغداد بعد أن غاب عنها عبد الكريم قاسم ..

وكان همي ــ كل همي ــ بجانب دراسة الواقع القائم للسياسة العراقية ان ادرس شخصية هذا الرجل الذي حكم العراق بأسلوب الالغاز والفوازير .. يصمت عندما كان عليه أن يتكلم ، ويخطب عندما كان ينام الناس ، فلا يسمعه أحد عندما يكون مستيقظا ،

ولا يسمعه احد عندما يكون الناس نيام ... !

واعترف بانني سمعت جميع خطب عبد الكريم قاسم ..

واطلعت على جميع « نصائحه» وارشاداته ..

وتحدثت الى جميع الذين كانوا يحيطون به ..

ومع ذلك كله ، لم اخرج بدراستي له بما يطمئنني على أنني قد وصلت الى حل لهذا اللغز الكبير في حياة بغداد ..

وابدأ بطفولة اللغز واسأل :

ـ كيف كانت طفولة عبد الكريم قاسم ..؟

لقد اضطرني هذا السؤال أن اذهب الى سجن الموقف العام في بغداد ، وان أدخل على ما تسمى « بالقلعة الخاصة » في السجن المذكور ، واطلب مقابلة السجين الذي يعرف من طفولة عبد الكريم قاسم أكثر من سواه .. السيد « حامد قاسم » شقيق عبدالكريم ، ومؤدبه ، وراعي شبابه .. ثم المستغل لحكمه وخيراته

والدنيا رمضان .. ساعة الغروب !

والعنبر الذي يقيم فيه « حامد قاسم » مليء بالمساجين ..

و « حامد قاسم » نائم على فراش من القش .. عند مدخل الزنزانة ..

ويهزه الحارس من يده فيستيقظ السجين مذعورا يسأل :

ـ شاكو ؟ أي : ماذا ؟

ويطلب منه الحارس أن يرتدي ثيابه ويلحق بنا الى غرفة مكتب مدير السجن ..

ولم تمض سوى دقائق حتى دخل علينا شقيق عبد الكريم قاسم وقد ارتدى « روب دي شامبر » ملون انيق ، فوق بيجاما من الحرير الفرنسي ، وفي يده مسبحة ، وعلى عينيه نظارة سوداء ، وبعد أن حرص على مصافحتي وهو يتفحص في وجهي محاولا ان يتبين حديثي ، قال :

ـ هل حان موعد الافطار ..؟

ونظرت الى ساعتي قائلا له :

ـ باقي خمسة وعشرون دقيقة

قال : حسنا .. نقضيها في التحدث معكم

قلت وانا احاول ان اكسب ثقته :

ـ لا ادري ان كان مزاجك الخاص يسمح لك بالحديث عن شخص لا اظن الا انه قريب الى قلبك ..

وادرك حامد قاسم ، او « البرنس » حامد كما يسمونه في بغداد ، ما اعنيه من كلامي فقاطعني يقول :

ـ انه ابن امي وابوي .. وانا لا انكره ..

قلت : انا اسألك ان تحدثني عن طفولته .. ولا اطلب منك ان تنكره !

قال : طول عمره منعزل عنا .. الححنا عليه بالزواج فرفض .. مرة طلبت منه امي أن يتزوج .. وبعد أن ماتت امي بدأ والدي يلح عليه بضرورة الزواج .. ولما



البرنس حامد .. صار من اصحاب الملايين !

فشل فى اقناعه طلب منى ان اقنعه .. ومات ابى عام ١٩٥٦ وبقى « عبدالكريم » أعزب .. وفى عام ١٩٥٧ حاولت ان « افتح » معه موضوع الزواج ولكنه هز راسه علامة النفى وقال لى :

ـ أرجوك يا « حامد » لا تفتح لى هذا الموضوع بعد اليوم ..!

وقاطعت حامد قاسم أساله :

ـ ولماذا كان أخوك يكره الزواج؟

واطرق شقيق قاسم راسه الى الارض وقال :

ـ لا ادرى ..

ولكنى اذكر اننى طرحت هذا السؤال على الشخص الذى كان مرافقا لعبد الكريم قاسم طيلة أيام حكمه ، وكان صديقا حميما له قبل عام ١٩٥٨ ، وأعنى به « المقدم الركن » جاسم العزاوى ، فاكد لى أن عبد الكريم قاسم لم يكن عنده القدرة العملية على الزواج ماعلينا ...

فقد عدت أسال شقيق عبد الكريم قاسم :

ـ وهل كان اخوك يكره النساء ..

اجابنى : اخى لم يكن يعطى سره .. لاحد !

قلت : انك الاخ الاكبر له ... وعمرك يزيد عن عمره بأكثر من عشر سنوات ، فهل لديك تفسير خاص عن حياته كرجل ..

قال حامد : عندما كنا نسكن معا مع امى وابى ، لم يكن عبدالكريم يستطيع أن يأتى بالنساء الى البيت .. ولم تفترق الا بعد قيام الثورة وانتقاله هو الى وزارة الدفاع ..

قلت لحامد : أريد منـك ان تلقى معى بعض الاضـواء علـى شخصية أخيك ، فتقول لى ،مثلا
ـ هل كان يعطف على والديك ؟
اجابنى حامد :
ـ نعم . وكان يسـاعدهما بالمال . كان يعطى ابى كل شـهر ثمانية دنانير ، وكذلك امى !
قلت : وكم كان راتبه فى ذلك الوقت ؟
قال : كان فى رتبـة عقيد فى الجيش ..
قلت : وهل كان والده يحبه ؟
قال : نعم . وكذلك والدته .. لانه كان الصغير بيننا ..
قلت : انتم ثلاثـة ... اليس كذلك ؟
قال : وشقيقتان
قلت : وهل كان عبد الكريم يستغل مكانه كالاخ الاصـغر ، « ويتدلع » عليكم ..
قال : كان لا يتكلم مع احد . يدخل الى غرفته راسـا .. فاذا جهز الطعام دعوناه للاكل .. فياكل .. ثم يعود مرة اخـرى الى غرفته .
قلت وانا احاول ان اكشـف نوع قلبه :
ـ هل كان اخـوك يحـب الاطفال ..
قال حامد : لم يكن يكرههم !.
ـ هل رايته مرة واحدة يرفـع طفلا بين يديه ، ويحتضنه ؟
ـ لا !
ـ هل رايته ينحنى على طفـل ويقبله ، او يدغدغه ؟.
ـ لا ..
ـ هلا حدثتنى عن هـواياته الخاصة ..
ـ القراءة ..
ـ اى نوع من القراءة ..
ـ لا ادرى ، لانى لم اكـن استطيع ان اقترب منه ..
ـ هل تعتقد أن عبد الكريم نال الدراسة الكافية له ..
واجابنى شقيق قاسم :



ـ دخل عبد الكريم المدرسة الابتدائية ، ثم دخل المدرسة الثانوية المعروفة باسم المدرسة « المركزية » بجانب بناية البريد ثم اشتغل مدرسا فى قضاء الشامية بلواء الديوانية ، وعند انتهاء السنة الدراسية قدم طلبا الى المدرسة العسكرية للالتحاق بها ؛ فقبلوا طلبه دون ابة وساطة ..

قلت لشقيق عبد الكريم قاسم

ـ اذن انت تعتقد ان اخاك لم يكن ينقصه العلم ولا الثقافة ..

ـ انا اعتقد انه كان مثقفا ومتعلما ..

ـ وهل كان له مزاج خاص فى التدخين مثلا ؟

ـ لا ! لم يكن يدخن

ـ والمشروب ؟

ـ لم يذق الخمر فى حياته .. ولكن بعض زملائه يقولون انه كان يحب شرب « البيرة » ... من يدرى ؟!

ـ والقهوة ..

ـ كان يشربها بكثرة ..وخاصة فى الليل :

ـ قل لى بصراحة ، هل كنت تحبه اكثر من اخيك الثانى ؟..

ـ عبد الكريم كان عزيزا علينا جميعا ..

ـ أعز عليك من بقية أخوتك ..

ـ اجل ..

ـ هل تعتقد انه كان رجلا طيبا ..

ـ لا جواب ..

ـ وهل تعتقد انه كان حاكما رحيما ..

ـ .....

ـ هل كان يرضيك كمواطن ان يحكمك رجل مثل عبد الكريم قاسم ؟

ـ انا تاجر .. لا افهم فى السياسة !

ـ ولماذا لم يحاول «عبدالكريم» أن يمنعك من استغلاله ؟ .

ـ انا لم اكلفه بشىء ..! وقبل أن تقوم الثورة كان عندى فى البنوك عام ١٩٥٠ اكثر من ١٦ الف دينار !

ـ انت .؟

ـ اجل .. انا !

وانطلق صوت مؤذن السجن ينادى لصلاة المغرب :

الله اكبر .. الله اكبر . !

وابتسم حامد قاسم من وراء نظارته السوداء التى تخفى الكثير من ثعلبته ومكره وقال لى :

ـ تفضل « نفطر » معا !

ومد يده مودعا ..

وخرج « حامد قاسم » ... ومشى بخطوات ثابتة رزينة ، وصوته يرن فى مكتب قائد السجن :

ـ الله بالخير « اغاتى » ، الله بالخير !!

***

ورحت ابحث عن الشخص الثانى الذى ينافس «حامدقاسم» فى معرفة أسرار لغز شارع الرشيد .. واعنى به مرافق عبد الكريم قاسم الخاص ، وصديقه ، وجليس ايامه ولياليه المقدم الركن « جاسم العزاوى » ..

ابادر واقول ان « جاسم العزاوى » لم يكن من عقلية قاسم ولا من نفسيته ولا من شذوذه وانحرافاته ! كان « جاسم » عراقيا قوميا مخلصا .. وعندما يروى التاريخ على حقيقته ، سيعرف الناس كم من الخدمات اداها هذا الرجل - على حساب امنه وصحته وحياته - للعرب وللعراق ..

« وجاسم العزاوى » هو الضابط الذى انيطت به مسئولية القبض على « رفيق عارف » رئيس اركان جيش العراق قبل قيام ثورة ١٤ تموز ..

وهو ضابط رقيق .. هادىء .. حلو الحديث ، يذكر للسامع ادق الازمات ويروى اخطر المواقف وكأنه يقرأ بصوت مسموع من رواية حب ، أو قصيدة زل ! ..

وقلت « لجاسم العزاوى » :

— هل تستطيع ان تحدد لى معالم شخصية عبد الكريم قاسم ؟

قال بصوته الهادىء :

— مو طبيعى .. مو طبيعى !

قلت : اعرف ان قاسم ليس طبيعيا ولكن هلا حدثتنى عن مظاهر هذه « اللا طبيعية » فى شخصيته

قال جاسم : هو شخص لا قياس له ، ولا قياس عليه ! لقد عشت معه عشر سنوات طويلة لم استطع ان أعرف عنه حقيقة واحدة تصلح ان تكون مقياسا لما يحب او يكره ! انه - مثلا - ينام مرة فى السابعة مساء .. وينام مرة فى السابعة صباحا ! يوما يسمع الموسيقى الاندلسية .. وأسبوعا لا يسمع الا الالحان الغربية ! يتظاهر بالعطف على الاطفال ولا يطيق منظرهم . ! لا قيمة للوقت ولا للمواعيد عنده ! لا يهمه ما يأكل .. وفى اكثر الاحيان يأتيه طعامه من منزل اخيه فى « سفرطاس » - اى فى العمود - الذى يستعمله التلامذة والاطفال فى مدارسهم ! يجب أن يتأكد على غيره . مرة يأتيه السفير الامريكي لمقابلته فى الساعة السابعة .. ويكون الموعد محددا .. ويكون السفير جالسا فى غرفة الياور ينتظر الدخول ، وفجأة يخرج قاسم من مكتبه ويركب سيارته ، وينزل يدور فى شوارع بغداد بلا هدف ولا غاية !

ويستطرد المرافق الخاص لعبد الكريم قاسم فى كلامه قائلا :

— انا لا اعرف فى التاريخ حاكما يعطى مواعيد لمقابلته فى ساعات الفجر الاول .. ولكن قاسم كان يقابل الناس فى الخامسة والسادسة صباحا ! ولا اعرف حاكما يستطيع أن يستسلم للنوم أثناء مقابلته لشخصية هامة . ولكن قاسم كان ينام لمدة دقيقتين أو ثلاث وهو يستمع الى حديث من السفير البريطانى او الفرنسى

قلت لجاسم :

— وهل كان قاسم شجاعا ؟.

قال :

— كان خطرا .. وليس شجاعا!

قلت :

ـ وهل كان يثق بك ؟

قال :

ـ كان يشك حتى فى نفسه ! وطالما نقل فنجان الشاى الذى يضعه الخادم امامه من مكانه الى أمام احد الضيوف خوفا من ان يكون الخادم قد دس له فيه السم !

قلت : لعله كان يزعجك بتصرفاته

قال : كان يوقظنى فى منتصف

هكذا .. بلا درس ولا تفكير ولا معلومات . وكذلك عندما وقعت المحاولة الانقلابية فى الحبشة ، اذ بقاسم يعلن استنكاره لها بعد خمس دقائق من سماعه النبأ فى الراديو ؟ وعندما سألناه عن سر موقفه فى استنكار تلك الثورة ، اجابنا ، انا اعرف كل شيء ، انا عندى حاسة سادسة تستطيع ان تتنبأ بالغيب

قلت لصديق قاسم ومرافقه :

ـ هل صحيح ان قاسم كان يحب



الليل لكى يأخذنى معه فى جولة بالسيارة ندور بها شوارع بغداد..

قلت : وهل كان قاسم خفيف الظل ..

قال : كان فى غروره ما يبعث على الضحك ، مثلا كنا فى الطريق الى افتتاح مؤتمر المحامين العرب فى بغداد ، وفتح السائق جهاز الراديو واذ بالمذيع يعلن وقوع انقلاب فى تركيا .. ولم نكد نصل الى مكان المؤتمر ، وتبين قاسم الخبر ، حتى وقف وقال ان العراق يؤيد الانقلاب الذى وقع فى تركيا . !

شرب البيرة ؟

قال :

ـ اعتقد أن شرابه المفضل كان مزيجا من ورق الزهور الذى يجمع اليانسون وماء الورد و « القرفة » وبعض الحشائش ، حيث يأمر قاسم بأن تجمع وتوضع على النار ، ويصفى ماؤها ، ويقدم اليه فى فنجان صغير !

وضحك « جاسم » وكأنه تذكر نكتة جديدة ، وقال لى :

ـ ذات يوم لم يكد قاسم يفرغ من شرب هذا المزيج العجيب ، حتى

غـاب فى نومة طويلة ظننت على اثرها انه مات . فخشيت أن يكون احد اعدائه قد وضـع له سما فى الشراب ، واتهـم انا بقتله .. ففزعت وامسكت بيده ورحت اهزها بعنف وانا اصيح فيه : سيدى .. ! سيدى ! واستفاق قاسم مذعورا وصاح بى : شاكو ؟ قلت : هل انت بخير . أوفهم قاسم سر قلقى فقال لى : هذه اغفـاءة « فورد » .. الا تعرف اغفـاءة فورد .. كان « فورد » يشتغـل ١٨ ساعة كل يوم فى ٢٤ ، وعندما يصاب بالتعب يغفو لمدة دقائـق فيستعيد كل صحته وقوته !

وقال جاسم ضاحكا :

ورايته يغفو بنفس الصورة اثناء مقابلته لوفد جزائرى جاء لزيارتنا فى بغداد ..

قلت لجاسم :

ــ ان « حامد قاسم » شـقيق عبد الكريم ، قال لى أن اخاه كان يقرا كثيرا فهل هذا صحيح واى نوع من الكتب كان يقرا ؟

وقهقه جاسم وقال :

ــ عبد الكريم قاسم لم يقرامنذ ثورة ١٤ تموز كتابا واحـدا ! انا أعتقد انه كان ثلاثة ارباع الامى ! وهذه ــ بالضبط ــ هى عقـدة عبد الكريم قاسم ! كان يعرف انه « فارغ » تماما .. فيحـاول ان يشترى منك الكلام لكى ينقله ويبيعه حرفيا الى شخص ثالث بـعـد ان ينسبه الى نفسه ! فاذا ما اراداحد أن يناقشه فى هذا الكلام ، رفض قاسم المناقشة ، لسبب بسيط هو انه لم يكن يدرى كيف يناقش فى كلام ليس له ! ومن هنا ايضا نشأت عنده فكرة الديكتاتورية والعناد .. فى الشئون الخاصة والشئـون العامة معا !

وسالت جاسم عن صحة قاسم، فقال لى ان سر قوته الصحية يعود الى انه لم يكن ياكل كثيرا ..! كان يكتفى بوجبة واحـدة فى الـ ٢٤ ساعة .. ولكنه كان يشرب خمسة اكواب من عصير البرتقال على الاقل وكذلك كان يشرب الكثير من اللبن .. ولولا سوء « اسنانه » لما دخل قاسم عيادة طبيب فى حياته.!

قلت مقاطعا :

ــ الا يوم أن اخذوه الى مستشفى « الولادة » بعد اصابته بالرصاص فى محاولة قتله ..

قال مرافق عبد الكريم قاسم، واعرف الناس به :

ــ ليتهم اصـابوه يومذاك ... لوفروا على البلد وعلى الشعب ، مئات الضحايا ، ومئات الملايين من الدنانير .. !

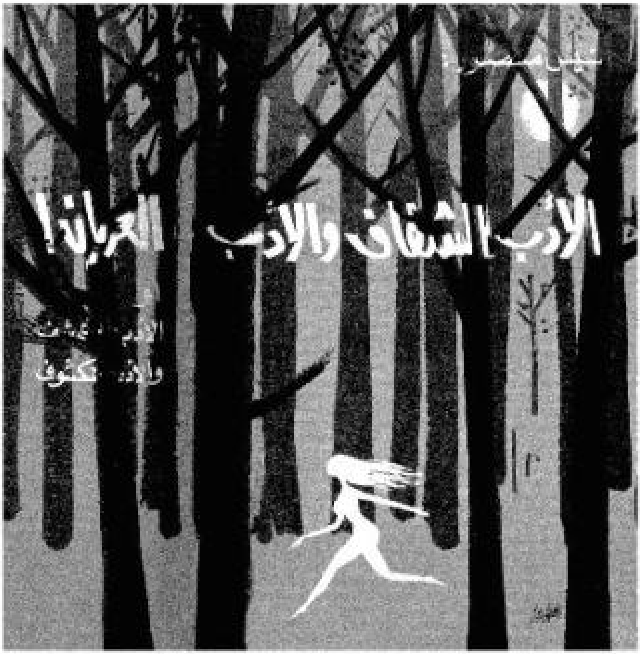
وانتهى حديث مرافق قاسم .. ولكن .. هل انتهى حديث قاسم نفسه ؟

لا اظن ..

ان حديث اللغز فى شارع الرشيد لم ينته بعد

بل لعله ، لم يبدا بعد !

فالى حديث قادم ، فى «هلال» جديد !



صحت بريطانيا ضجة أدبية ، بسبب قصة قديمة أعيد نشرها . ولم تحدث هذه الضجة بين الناشرين والمحامين ورجال البوليس ، وبين الأدباء والنقاد، إلا بعد أن تم توزيع أكثر من مائة ألف نسخة من الكتاب ..

وهذه الضجة أعادت إلى الأذهان المناقشات التي تتكرر كلما صدر كتاب يتناول الجنس ، وظهرت الأسئلة التقليدية : هل هذه قصة يليق نشرها أم لا يليق ؟ ثم ما هو معنى اللائق وغير اللائق ؟ وهل من قصة تتنافى مع الأخلاق ، أم تتفق مع الأخلاق ؟ ثم ما هي علاقة الأخلاق بالأدب أو بالفن ؟ وهل يلتزم الفنان القيم الأخلاقية ؟ ومن الذي يجعل من نفسه قيماً على الأخلاق ؟

وهذه القصة اسمها فاني هيل ! أو مذكرات غانية Fanny Hill

Memoirs of a Lady of pleasure

وهذه القصة من تأليف كاتب إنجليزي معروف اسمه جون كليلاند John Cleland ١٧٠٩ – ١٧٨٩

ولو حاولت أن تجد اسم هذا الرجل في أي قاموس أدبي فلن تجده ، ولذلك كانت هذه القصة مفاجأة حتى لأكثر الناس اطلاعاً على الأدب الإنجليزي . وعندما ظهرت هذه القصة لم يشأ أن يكتب الناشر شيئاً عن المؤلف ، ولا عن ظروف نشر هذه القصة ، وكل ما نعرفه أن المؤلف كان يعمل في شركة البترول الهولندية ، وأنه تشاجر



اوسكار وايلد .. فى رايه ان العمل الجيد هو الذى يحقق الاحساس بالجمال وهو اسمى مايصل اليه الانسان .. !

مع رئيسه وانه استقال بعد ذلك · وانه اضطر الى أن يقوم برحلات عديدة فى أوربا بحثا عن عمل !

وأخيرا عاد الى بريطانيا واصدرفى ١٧٤٨ الجزء الاول من « مذكرات غانية » · وفى السنة التالية نشر الجزء الثانى · ولم يكد يصدرالجزء الثانى حتى ألقى القبض عليه بتهمة افساد الاخلاق العامة واعترف المؤلف ان الذى دفعه الى تأليف هذا الكتاب هو حاجته الى المال · ومع ذلك لم يقبض عن قصته هذه سوى عشرين جنيها!

بينما الناشر الذى اصدرها اخيرا ربح منها خمسين ألفا من الجنيهات !

والذين قرأوا القصة اخيرا يؤكدون انها عمل أدبى من الدرجة الاولى · وليس صحيحا ما اعلنه المؤلف من ان حاجته الى المال هى التى جعلته يتحدث عن الجنس بهذه الصورة الشائنة · ومن رأى معظم النقاد أن الكلام عن الجنس لم يقصد

هذه القصة المسرحة الممتعة · لان المؤلف لم يقصد فقط الكلام عن الجنس ، لانه ما دام يتحدث عن غانية ، فكيف لا يتحدث عن صميم الجو الذى تعيش فيه وتقاومه · تقاومه لتعيش ، وتقاومه حتى لا تموت · تقاومه وتقوم به فى نفس الوقت

وهى قصة فتاة يتيمة جاءت الى لندن وعاشت فى بعض البيوت · وهربت من البيوت الى احضان الرجال · ثم الى صناديق الليل · ووصف فنى لهذه الاجواء التى عاشت فيها وينتهى هذا الكتاب ، او هذه المذكرات بعودتها الى لندن واستئناف الحياة من جديد ·· حتى تموت !

***

وقد سبقت هذه القصة فى الادب الانجليزى قصة أخرى اسمها « مول فلاندرز Moll Flanders » للاديب الساخر دانييل ديفو De foe

وهذه القصة تروى محـــاولات الفتاة « مول » ان تكون سيدة محترمة او تكون سيدة اعمال ٠ وكيف ان محاولاتها جميعا فشلت فى النهاية ٠ ولكن المحاولة فى ذاتهـــا متعة ٠ وهذه الفتاة ولدتها امها وتركتهـــا وحيدة أيضــــا ٠ كانها يتيمة هى الاخرى ٠ فقد اتهمت امها بالسرقة وطردوها من بريطانيا للعمل فى حقول أمريكا ٠ وظلت الفتاة تتنقل بين الفجر ٠ وبين البيوت حتى عملت فى بيت أحبها فيه الابن الأكبر ، وجعلها عشيقة له ٠ ثم احبها اخوه وتزوجها ٠ وانجبت منه ولدين ٠ ومات الزوج واحتجزت الاسرة هذين الطفلين ٠ واضطرت « مول » الى الزواج من رجل اخر ٠ ورجل ثالث ورابع ٠٠ وهى فى جميع الحـالات تبحث عن مركز اجتماعى محترم ٠ واخيرا تزوجت رجلا سافرت معه الى مزارع امريكا ٠ وهناك اكتشفت ان حماتها ليست الا امها التى طردوها من بريطانيا ٠ فانزعجت من زواجها من أخيها ٠ وعادت الى بريطانيا ، ثم عادت مرة أخرى الى الحياة المليئة بالندم على ما ارتكبته من أخطاء فى حياتها ٠٠ مع ان أخطاءها كلها كانت فى البحث عن الحياة الكريمة !

ولكن النقاد يؤكدون ان قصـــة « فانى هيل » هى أروع ماظهر فى الادب الانجليـــزى حتى الان فى التعبير عن حياة الغانيات لان المؤلف أولا أديب وفنان ٠ وثانيا لم يقصد من وراء هذه القصـة مجرد الاثارة والقضية التى تثيرها ظهور هذه القصة هى نفس القصة التى أثارتها قصة « عشيق اللايدى تشاترلى »

Lover Lady Chatterly's

التى ألفها د ٠ هـ ٠ **لورانس** ١٨٨٥ – ١٩٣١ » التى صدرت قبل وفاته بعامين ٠ وظلت محرمة فى بريطانيا الى أن تم تنقيحها بعد وفاته بعامين ٠ ثم أصبحت محرمة بعد ذلك ٠ وفى سنة ١٩٥٩ رفع الناشرون فى امريكا دعوى ضد الرقابة هناك ٠ وتقدم معظم الادباء فى امريكا وفى اوربا يطالبون بالافراج عنها لانهـــا عمل ادبى ٠ أما الصفحات الجنسية ، فهى لا تعتبر اعمالا شائنة وانما هى تعتبر ضمن اللوحة الفنيـــة التى قصدها الفنان ٠ وتم الافـــراج عن القصة فى أمريكا ، ثم فى بريطانيا بعد ذلك ٠٠

***

ونفس الضجـــة ظهرت حـول قصة « **لوليتا** » Lolita للكاتب الروسى المولد الامريكى الجنســـية **نابوكوف** Nabokov ٠ وهى قصة رجل فى الاربعين احب فتاة فى الثانية عشرة ٠ ورغم ان هذا الحب فى ظاهره شىء فظيع ٠ الا ان القصة نفسها تعتبر عملا ادبيا من الدرجة الاولى ٠٠ والقصة بكل لغاتها فى متناولنا ٠ والفيلم قد شاهدناه فى القاهرة ٠ ولكن القصة فى ذاتها من ناحية الموضوع ورسم الشخصيات والاسلوب لا شك عمل ادبى رائع ٠٠

***

وفى كل مرة يثار موضوع الادب الجنسى ، أو الجنس فى الادب يتذكر

الناس محاكمات أوسكار وايلد ..
وما الذي قاله في المحكمة عن مفهوم الادب والاخلاق . أو اعلاقة الفن بالاخلاق

والسؤال الذي وجه لاوسكار وايلد Oscar Wilde « ١٨٥٤ – ١٩٠٠ » : هل تسمي الكتاب الذي يتناول موضوعات تتنافى مع الاخلاق ، كتابا ؟ وجواب أوسكار وايلد المعروف هو انه : لا يوجد كتاب اخلاقي وكتاب لا اخلاقي ، وانما كتاب اسلوبه جيد او كتاب اسلوبه رديء ، أو عمل فني أو عمل ليس فنيا !

وكتمهيد أو مقدمة للمناقشة التي اهدف اليها من وراء كل هذه النماذج والاحداث الادبية ، أقدم ترجمة لمحاكمة أوسكار وايلد . لا كل المحاكمة طبعا . وانما للصفحات الخاصة بمشكلة الاخلاق واللااخلاق في الادب والفن

والذي كان يحاكم **اوسكار وايلد** هو زميله في الدراسة الجامعية القاضي **كارسون** Carson وقد سأله كارسون عن قصة شائنة نشرتها مجلة « الحرباء » Chameleon فقد نشرت مجلة الحرباء قصة بعنوان « القسيس وخادم الكنيسة » . والقصة تدور حول علاقة جنسية بين القسيس وخادمه أدت الى فضيحة عندما ضبطوا الخادم في غرفة القسيس ..

القاضي : انت طبعا قرأت قصة القسيس والخادم ؟

وايلد : نعم قرأتها

– انت تعرف ، طبعا انها قصة قذرة ؟

– من الناحية الاخلاقية في غاية القذارة . ومن الصعب على اي اديب أن يصفها بأي شيء آخر وانا اعتقد أن المعالجة متعفنة وان الموضوع اكثر عفونة

– أعتقد أنه من رأيك أنه لا يوجد كتاب لا اخلاقي ؟

– نعم

– فهل ترى ان قصة « القسيس والخادم » لا اخلاقية ؟

– بل اسوأ من هذا . ان أسلوبها رديء

– أنت تذكر أنها قصة « قسيس وخادم » وحبهما الشاذ وفضيحتهما في الغرفة ؟

– قرأتها مرة واحدة فقط . ولم اجد ما يدفعني الى قراءتها مرة اخرى . انها ليست ممتعة !

– هل ترى انها قصة كافرة بالدين ؟

– اعتقد انها خرقت قواعد الفن والجمال

– ليس هذا ردا على السؤال

– هذا هو الرد الوحيد الذي استطيعه

– اريد ان اعرف موقفك منها

– لا يحق لك ان تخاطبني بهذه اللهجة

– انني لم اخرج عن حدود اللياقة معك . وانما اردت فقط أن أعرف ان كنت تعتبر هذه القصة نوعا من الالحاد

– القصة تملأ نفسي شعورا



اميل زولا



البرتو مورافيا

بالتقزز . فقد كانت نهايتها خاطئة

– أرجوك أن ترد على سؤال : هل ترى أن هذه القصة كافرة ؟

– اعتقد انها تبعث على القرف

– أنت تعرف ان القسيس عندما قدم للشاب كأس السم استخدم عبارات كنسية ، ألا ترى ان هذا يتنافى مع الدين ؟

– هذا ما نسيته تماما

– هل ترى فى هذه القصة نوعا من الزندقة ؟

– اعتقد انه شئ رهيب . ثم ان كلمة « زندقة » هذه لم استعملها انا

– اظن انك توافقنى على ان اى انسان يكون مسئولا عن نشر مثل هذه القصة فى مجلة « الحرباء » متهم بسوء استغلال النفوذ ؟

– لا اعتقد ذلك . وان كنت اعترض على هذه القصة كلها . فهى نوع من الادب الردئ . وان كنت اعلم انها انتشرت بين تلاميذ الجامعة . وفى نفس الوقت لا اعتقد ان اى كتاب او اى عمل ادبى ، كان له اى اثر على الاخلاق

– أنت اذن ترى ان اى كتاب لا يمكن ان يكون له اثر اخلاقى او لا اخلاقى على الناس ؟

– نعم

– فيما يتعلق بمؤلفاتك أليس موقفك هو أنك لا تهتم بالاخلاق ، أو بما يتنافى مع الاخلاق ؟

– لا افهم معنى كلمة « موقف » هنا ..

– انها من كلماتك المفضلة !

– صحيح ؟ . على كل حال ليس لى موقف بازاء هذه الكلمة ! ولكن فيما يتعلق بتاليف كتاب او مسرحية ، فانا لا اهتم الا بما هو أدب – اى بما هو فن . فانا لا اهدف الى عمل الخير او الشر وانما فقط الى تحقيق ما له قيمة جمالية !

– جاء فى مقال لك نشرته فى مجلة « الحرباء » انك تقول : ان الذى يقول الحق ، سيفضحه الناس عاجلا او آجلا .. هل ترى ان مثل هذه العبارة يليق نشرها فى مجلة

يقرؤها الشبان !

- لا خوف على الشباب

- الا ترى انها مثيرة ؟

- كل ما يثير يناسب كل شيء

- سواء كان اخـــلاقيا او لا اخلاقيا !

- بالنسبة للفكر لا شيء اخلاقي او لا اخـــلاقي . لان الاخـــلاقي واللااخلاقي يتعلق فقط بالعواطف وليس بالافكار !

- في مقدمة مسرحيتك « صورة دوريان جراي » تقول : لا يوجـــد كتاب اخلاقي وكتاب لا اخلاقي .. فالكتب : اما جيدة او رديئة ، او مكتوبة بأسلوب جيد او بأسـلوب رديء ، اليس هذا رأيك ؟

- بلى . هذه وجهة نظري في الفن

- معنى ذلك انه لا يهم ان كان الكتاب اخلاقيا أو لا اخلاقيا ، مادام جيد الاسلوب

- نعم . ما دام الكتاب جيـــد الاسلوب ، لدرجة يتحقق معهـــا الاحساس بالجمال الذى هو اسمى ما يصل اليه الانسان . فاذا كان رديء الاسلوب ، فانه يملأ نفسى بالقرف

- اذن اى كتاب جيد الاسلوب ، به أفكار أخلاقية شاذة يعتبر كتابا جيدا ؟

- لا يوجد عمل ادبي يعرض مثل هذه الافكار . فالافكار من اختصاص كل من ليس فنانا .. الخ ..

***

وهذا السؤال الاخير الذى وجهه القاضي كارسون ، وحرص على ان يكرره بحروفه ومعنـــاه عشرات المرات هو الذى يعنينـــا الان . ويعنينا كلما ظهرت قصة أدبيـــة جديدة ، سواء باللغات الاوربية او بالعربية . كما أن أوسكار وايلد نفسه قد كرر تعريفه للعمل الادبي عشرات المرات . وهو يؤكد دائما ان العمل الادبي هو الذى يحقق لنا الاحساس بالجمال الفني .. سواء كان هـــذا الجمال وصفا لفتاة عارية او لرجل عريان . ايا كان الوضع او الفعل الذي يمارسه الشخص او البطل في

د . هـ . لورانس



نابوكوف



القصة او المسرحية ٠٠ فالمهم اولا وقبل كل شيء ان يكون عملا ادبيا وان يكون فنا ٠ لان الفن هو الجمال او هو التعبير الجميل ٠ او هوالذى يثير فينا الاحساس بالجمال

فمثلا ٠٠ مذكرات غانية التى هى موضوع المناقشة ، أو هى سبب اثارة موضوع الادب والجنس ٠٠

الموضوع : هو حياة غانية ٠٠

مثل هذا الموضوع لابد انيجعلنا نختار الكلام عن الجنس ، وصور الجنس ، الرجال الذين يمرون فى حياة هذه المرأة ، أو يقيمون في حياتها ٠٠ ثم مشاكل هذه المرأة ومتاعبها وانسانيتها ٠٠ تماما كما رأينا في قصتي « نانا » Nana لاميل زولا Zola « ١٨٤٠ - ١٩٠٢ » وقصة « فتـــاة روما » Awoman of Rome لالبرتو مورافيا Moravia فالكلام عن الجنس فى داخل الاطـــار الضرورى لتكوين شخصية الفتاة ولتصوير بيئتهـــا وظروفها

فالكـلام عن الجنس ضرورى ، باعتباره احد الخطـــوط الرئيسية المكونة لشخصية البطلة ٠٠

تماما كالكلام عن الامراض خط ضرورى في الكلام عن الطبيب ٠٠

او الطعام والبيع والشراء والاسعار خطوط ضرورية اعند وصف حيـــاة تاجر أو بقال ٠٠

أو عند الكلام عن الشبان

فلا يمكن ان نتحدث عن الشبان دون ان نتحدث فى نفس الوقت عن الحب ، والجنس والكبت والاثارة وعن الفتيات ٠ وعن حالة السرحان واحلام اليقظة ٠ وعن الافلام والصور العارية ٠٠ ودون ان نتحـــدث عن مغامرات الشبان ومتاعبهم وشذوذهم ايضا ٠٠ ولابد ان نتحدث عن هذا كله ٠ والا كان كلامنا ناقصا عاجزا والا كان هذا الادب نفسه ، هروبيا او كان ادبا خائفا من موضوعه ! خائفا من واقعه ٠٠ من مادته ٠٠ ومادة هذا الادب ، الذى يتحـــدث عن الشبان هو الشبان انفسهم ٠٠ أو هو الشـــباب ومتـــاعب الشباب !

***

وأوسكار وايلد على حق أيضـــا عندما قال : ان كل ما يثير هو شيء مطلوب فى كل شيء ٠٠

فبالنسبة للشبان ليسوا فى حاجة الى اثارة ٠ فعندهم من الحيـــوية والخيال ما يجعل كل شيء مثيرا لهم ٠٠ الكلام يثيرهم ٠اللافتات تثيرهم الخيال نفسه يثيرهم ٠ فالقصص التى تثيرهم لا تضيف اليهم شيئا جديدا ٠٠

فاذا ادت القصص الجنســية ، او القصص التى بها جنس ، الى اثارة الشيوخ ، فقـــد حققت لهم شيئا يجب ان يشـــكروا عليـــه المؤلف ٠ فاذا أثارتهـــم القصص الجنسية ، فان مشكلة الشيوخ عادة انهم يتضايقون من هذه القصص ، لانها بعد ان تثيرهم يجدون انفسهم اعاجزين عن ارضاء هذه الاثارة !

ولذلك كانت ثورة الشيوخ وحقدهم على أدب الاثارة الجنسية !

والكتب التى توصف بانها جنسية هى التى تتحدث عادة عن الخيانة الزوجية . فهل الخيانة الزوجية من ابتكار الادباء ؟ هل هى من اختراع الفنانين ؟

واذا انتقدنا الادباء لقصصهم عن الخيانات ، فلماذا لا توقف الافلام التى تتناول هذه القصص بصورة اوضح واقوى واكثر انتشارا ؟!

بل انه من الممكن ان نذهب الى ابعد من ذلك ، ولا حياء فى العلم .. ان الكثيرين جدا من الناس ليست عندهم معلومات جنسية سليمة . بل انهم فى غاية الجهل الجنسى . ومع الاسف معظم الشبان ، والرجال أيضا يستمدون معلوماتهم الجنسية من التجربة دون وعى أو دون فهم حقيقى . ولذلك فهم فى حاجة الى ثقافة جنسية .. تماما حاجتهم الى ثقافة غذائية ..

***

ومن الممكن ان اناقش القضية بشكل اخر ..

هل الكتاب الذى يتضمن جنسا يعتبر كتابا يتنافى مع الاخلاق !

الجواب : لا .. لانه من الممكن ان يكون الكلام عن الجنس ضرورة ادبية وفنية واخلاقية ايضا .. تماما كما نتحدث عن السموم ونحن نشرح القواعد الصحية .. وكما نتكلم عن السرقة ونحن نتقدم بالتحذيرات المختلفة من اللصوص ..



احسان عبد القدوس

وكما نستعد للسلام بكل الاسلحة القاتلة ..

فليس المهم هو ان يكون هناك جنس ..

وانما المهم هو ان تكون هناك ضرورة ادبية تجعل الكلام عن الجنس لا مفر منه

وقبل ذلك ان يكون الاطار ادبيا وان يكون هناك جمال ..

فهناك فارق بين **الادب الشفاف** وبين **الادب العريان ..**

او الادب الكاشف ..

وبين الادب المكشوف ..

اى بين الادب الذى يعرض ويكشف ولا يفضح ..

وبين الكلام الذى يفضح فقط دون ان يكون هناك اى مبرر للانكشاف او للتعرى ..

اى هناك فارق بين ادب الجنس ..

وجنس بلا أدب ..

ولا خوف على الشباب من الجنس، لانهم غارقون فيه .. ولا خوف على

الشيوخ من الكلام عن المرض ، لانهم نائمون فيه وتحته وبسببه ..

***

وقد حرمت الكنيسة فى ايطاليا قصة « فتاة روما » مع ان بطلة القصة فتاة بسيطة طيبة وعندها اخلاق . نعم عندها وفاء وصدق ورغبة مخلصة فى ان تكون الى جوار الشاب الذى تحبه . انها لم تشأ ان تقع فى الوحل . وانما الرجل هو الذى وقع فوقها ، هى وملايين من بنات ايطاليا بعد الحرب

لقد قرأت قصة « فتاة روما » . وكنت اول من قدمها ، هى ومؤلفها الى اللغة العربية . وقابلت المؤلف اكثر من مرة . وسألته عن الفتاة « اوريانا » بطلة هذه القصة ؛ وسألنى مورافيا : ما رأيك فيها !

قلت : لقد احببتها . ولم استطع ان احبس دموعى وانا اتابعها فى حوارى روما .. وفى الليلة التى ضربها ذلك المصارع المجرم كنت الهث انا أيضا

ومن الغريب أن المؤلف العظيم مورافيا اكد لى انه ايضا كان يبكى على هذه الفتاة . وانه لم يستطع ان ينقذها من نهايتها الاليمة . فهى نهاية حتمية لهذه الفتاة ولغيرها من الفتيات ..

ولا يمكن ان تشعر وانت تقرأ هذه القصة المثيرة الممتعة المبكية الغارقة فى الجنس والسياسة والفقر .. وكلها خطوط الواقعية الجديدة ، ان هذه قصة جنسية . وانما هى قصة بها جنس . وهو ضرورى لها . كضرورة الجنس والخبز لاى انسان !

***

وفى مصر الان سخط مكتوم على النماذج والاحداث الادبية . اقدم قصة **احسان عبد القدوس** التى تنشر تباعا الان وهى : **انف وثلاثة عيون** .

والقصة لم تكمل بعد . ولذلك ليس من النقد فى شىء أن نعلق عليها قبل ان تكمل . وان كان الذى نشر منها حتى الان ، يصلح مادة للحكم عليها ..

ومع ذلك يجب ان يجىء الحكم على اساس من التفرقة بين : المضمون الجنسى وبين السياق الجنسى .. اى بين المعنى العام ، وبين مقتضيات الحوادث التى تؤدى او لا تؤدى الى الاشارة الى الجنس ..

ولكن يجب ألا نبادر بتأثيم العمل الادبى ، لانه يتحدث عن الجنس . لان الجنس ليس آثما . تماما كما ان الخبز ليس آثما

فكلنا نأكل وكلنا نشرب ، ولسنا جميعا آثمين . وكذلك ليست كل علاقة جنسية آثمة ..

وانما الاثم له حدود . وله قيود اجتماعية ..

ولكن فى داخل العمل الادبى . هناك قيود وحدود اخرى فنية ..

فكما أنه لا يجب تأثيم الخبز اطلاقا ، كذلك لا يجب تأثيم الجنس اطلاقا !

وانما التأثيم أو التجريم فى حدود ..

أحمد حمروش :

الفن خارج الحدود

مهرجان باريس

مع أول هذا الشهر « ابريل » يبدأ موسم مسرح الامم فى باريس .. الموسم الحادى عشر .. بدأ بعشرين فرقة ويصل هذا العام الى خمسين فرقة من دول فى مختلف القارات

ويضم هذا المهرجان مختلف فنون المسرح .. الباليه والدراما والاوبرا والفنون الشعبية .. وتخصص له الحكومة الفرنسية مسرحان هما مسرح « ساره برنار » ومسرح الشاتليه

والدول التى تشترك فى هذا المهرجان تتحمل كل النفقات .. السفر والاقامة والمصاريف اليومية .... .. والحكومة الفرنسية تقدم لها المسرح والدعاية وايراد الشباك

ومع هذا تحضر الفرق من أقصى البلاد .. من اليابان والصين وغينيا والبرازيل والارجنتين .. ويمتلىء المسرح كل ليلة بجماهير من مختلف الشعوب تحجز تذاكرها قبل العرض بأسابيع وأشهر .. وتمتلىء صحف العالم بكلمات النقاد الذين يتجمعون فى باريس طوال فترة المهرجان الذى يعتبر اعظم مهرجانات المسرح فى العالم

بعض الاعمال الفنية تظهر فى هذا المهرجان للمرة الاولى .. مسرحية « لوثر » للكاتب الانجليزى « جون اوسبورن » عرضت فى باريس ايام المهرجان قبل أن تعرض فى لندن

والغريب أن كثيرا من الدول لا تقدم مسرحيات من تاليف ابنائها .. يعتبرون ان المسرح فن انسانى عالمى لا يطبق قيود الحدود .. مسرح ستانسلافسكى فى موسكو قدم فى احدى السنوات « عطيل » لشيكسبير .. والمسرح الايطالى قدم تشيكوف .. وفرقة بولندية قدمت « فيدر » لراسين

وتفسير أفكار المؤلفين يختلف من

دولة لاخرى ٠٠ والنقاد يلهثون وراء كل تفسير جديد ٠٠ ويسلطون مجهرهم على وجهات النظر التى تتجدد كل عام

***

ومع ثبات الاصول المسرحية يظهر الجديد فى فن الديكور ٠٠ ومدارس الفنون التشكيلية اسرع فى تطورها واكثر تنوعا فى مظهرها ٠٠ وهى فى مهرجان باريس تظهر ابعاد الافكار المسرحية وتخدم حركة الممثل وتقدم له التأثير المطلوب

ولا يتناول أحد النقاد مسرحية دون ان يخصص للديكور قدرا كبيرا من الاهتمام

ورغم ان المسرحيات الدرامية الجديدة هى اكثر ما يجذب جماهير ونقاد المهرجان ٠٠ الا أن فرق الفنون الشعبية تجد لها عشاقا متطلعين

وفى كل عام يثور نقاش حاد حول الاسلوب الذى تظهر به الفنون الشعبية على خشبة المسرح ٠٠ شاهدت فرقة نيجيريا تظهر



الفنون الشعبية من نيجيريا .. هل هى المثل النموذجى للفولكلور الشعبى ..؟!

بملابس الغابات وترقص على نغمات الطبول ٠٠ والاجسام شبه عارية للرجال والنساء ٠٠ وهذه الفرقة كانت نموذجا للفرق التى تقدم فنونها الشعبية بصورتها الاصيلة دون تعديل او تطوير فى خطوات الرقص او الملابس او الموسيقى ٠٠ كل شىء من منبعه ٠٠ كما يظهر فى هذه الصورة التى تظهر الحيوانات على خشبة المسرح أحيانا تعبيرا عن بعض الاحتفالات الدينية

وبعض هذه الفرق التى تشكل مدرسة خاصة لا تقتصر على دول افريقيا ، وانما تمتد الى دول امريكا اللاتينية بل وبعض الدول الاسيوية

***

المدرسة الاخرى هى التى تؤمن بتطوير وتهذيب وصقل الفنون الشعبية واظهارها فى صورة جديدة متآلفة ٠٠ تستخدم الاوركستر الكامل بآلاته الحديثة فى موسيقاها ٠٠ وعلى راس هذه المدرسة الفرقة السوفييتية التى يديرها موسييف والتى حضرت الى القاهرة ، وذهبت الى امريكا فنالت نجاحا اجبرها على البقاء هناك لعدة أشهر

وتحت تأثير كلمات النقاد وابحاثهم بدأت تظهر مدارس اخرى للفنون الشعبية ٠٠ بعضها لا يستخدم الالات الموسيقية الحديثة مثلا ٠٠ او تظهر بعض الرقصات فى خطواتها الاصيلة ٠٠ او تنسج الاغنيات الشعبية مع الرقصات

وبرنامج هذا العام لمهرجان مسرح الامم يؤكد انه سوف يأتى اليوم الذى تشترك فيه كل دول الامم المتحدة فى مهرجان فنى واحد ٠٠ فليست هناك ارض اكثر خصبا من الفن للقاء البشر

المسرح الالمانى

واذا انتقلنا من فرنسا الى المانيا الاتحادية طالعنا احصائيات هامة عن الموسم الماضى ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣

الاحصائيات تشير الى أن مسرحية الكاتب السويسرى دورينمات «علماء الطبيعة» عرضت ١٥٩٨ مرة على ٥٩ مسرحا مختلفا

وتأتى بعدها مسرحية ماكس فريش « اندورا » التى عرضت ٩٥٤ مرة على ٥٠ مسرحا

وفى المسرح الغنائى تأتى الكوميديا الموسيقية الامريكية «My Fair lady» فى المقدمة ٠٠ عرضت ٧٦٣ مرة ٣ مسارح مختلفة

هذه الارقام تظهر ان أفكار دورينمات التى بعثها فى مسرحيته قد جذبت اهتمام الالمان

يقول « فريد ريش دورينمات » الذى أكمل ٤٣ عاما : «ان العالم غير معقول ، لكن عدم المعقولية لا يستوجب اليأس ، لانه ولو أن الفرص لتخليص العالم ضئيلة فاننا نستطيع مع ذلك احتماله »

وهو كاتب ساخر لاذع ٠٠ كتب فى مختلف الوان الفن من المسرحيات الفكرية الى ما يقدم فى الكباريهات

***

والمسرحية التى جذبت اهتمام الشعب الالمانى مثلت للمرة الاولى

في زيوريخ في ٢١ فبراير ١٩٦٢ .. وابطالها ثلاثة مجانين احدهم يتصور نفسه أنه اسحق نيوتن ، والثاني انه الفرد اينشتين والثالث عالم طبيعة مثلا .. والثلاثة في مصحة عقلية تديرها احدى الطبيبات !!

ويحقق دورينمات بهذه المسرحية فلسفته التي تخشى أن يجلب التقدم العلمي للعالم الفوضى والدمار .. يقول على لسان بطله الثالث عالم الطبيعة الذي أحرق اختراعات هامة .. لقد اقتضى العقل مني أن أقوم بهذه الخطوة .. نحن في عالمنا قد اصطدمنا بحدود ما يمكن معرفته .. نعرف بعض القوانين المصوغة صياغة دقيقة ، وبعض العلاقات الاساسية بين الظواهر غير المفهومة .. هذا كل ما في الامر ، والباقي وهو ضخم ، يظل سراً لا يستطيع العقل ادراكه ، ولقد بلغنا نهاية طريقنا .. بيد أن الانسانية لم تتقدم بنفس الدرجة .. لقد قدمنا المثل على النضال ، ولكن أحدا لم يتابعنا فاصطدمنا بالفراغ

وأصبح علمنا مروعا ، وبحثنا محفوفا بالاخطار ، ومعارفنا قاتلة ، ولم يعد أمامنا معشر علماء الطبيعة غير التسليم أمام الواقع ... ولكن الواقع لم يرتفع الى مستوانا ، بل يفنى عندنا ويزول ، وعلينا أن نسحب علمنا ، وأنا من ناحيتي قد سحبت علمي ، وليس هناك حل آخر غير هذا الحل ، وأنتم أيضا ليس لديكم حل غيره ..

***

ودورينمات الذي حققت مسرحيته هذه أعظم النجاح في ألمانيا التي خربتها الحرب ، وانتصر فيها الجنون .. قوبلت مسرحيته الاولى «مكتوب» بالصفير كما حدث لكاتب المسرح النابغة تشيكوف ... ولكن الصفير لم يكتسح كل المتفرجين ، وارتفعت بعض الايدي بالتصفيق ... واستمر الممثلون في أداء أدوارهم كما لو كانوا في معركة من أجل الجديد .. وأخذ التصفيق يتزايد والصفير يضعف والتمثيل يستمر حتى انتهت الحفلة ، ودخل اسم دورينمات في قائمة كتاب المسرح العالميين

●

تعريفات :

● القاموس : كتاب يفسر لك الكلمات الكبيرة بكلمات أكبر منها !

● الاسراف : أن تشتري ما لا ضرورة له في نظرك ارضاء لزوجتك !

● شجرة العائلة : طريقة للرجوع بشخصك الى اشخاص يعتقد الناس وتعتقد انت انهم أفضل منك كثيرا .. !

● الغسالة : الشخص الوحيد الذي يعرف مدى التناقض بين ملابسك الخارجية النظيفة الانيقة وملابسك الداخلية ... !

● المضياف : الشخص الذي يشعرك وانت في بيته كأنك في بيتك مع أنه يتمنى لو كنت حقا في بيتك !

راشد البراوى :

المعركة القادمة فى بريطانيا بين قوى اليمين و اليسار

في ٢٠ اكتوبر من عام ١٩٦٣ كتب المعقب الانجليزى روبرت ماكنزى مقالا فى صحيفة الاوبزيرفر الاسبوعية استهله بقوله : « من كان يستطيع فى اول يناير من هذا العام ، ان يتنبأ بأن كلا الحزبين الكبيرين سوف يختاران زعيمين جديدين قبل ختامه ؟ ولكن ، على نحو لم يكن متوقعا بالكلية ، تحالفت ارادة الله وتصرفات الانسان فأحدثت هذا الامر الذى يحتمل معه ان يكون عام ١٩٦٣ من الفواصل الكبيرة فى السياسة البريطانية » . فبموت هيوجيتسكيل المفاجىء وقع الاختيار على هارولد ويلسون ليقود سفينة العمال بعد ان تعثرت وتعطلت سنوات طوالا ، وبالمرض الذى اضطر معه هارولد ماكميلان الى الانسحاب من مسرح الحياة العامة تقفز سير دوجلاس هيوم الى زعامة المحافظين فى وقت احاطت بهم المتاعب والصعاب وهبطت سمعتهم ووهنت الروح

المنوية فى نفوس الكثيرين منهم . وفى كلتا الحالتين تم الاختيار بعد الكثير من الصراع السافر ، وبعد الكثير من المناورات بل والدسائس من وراء الستار

هذان همــا الرجلان اللذان يقفان الآن وجها لوجه استعدادا لمعركة الانتخابات التى قد تجرى فى يونية او اكتوبر اذ لم يحدد موعدها بعد بصفة قاطعــة ، واحدهما يمثل الارستقراطية من ملاك الارض وتلتف حوله الطبقات ذات الالقاب والامتيازات الموروثة والمصالح الاقتصادية الكبيرة ، والآخر برز من صفوف الطبقــة الوسطى الصغيرة ، والتى تطمع فى مزيد من الكفاية والعدل ، ويدرك الجميع اهمية المعركة القادمة ، فاما بقاء الى جانب اليمين اذا فاز المحافظون ، واما تحول ـ أو بدء تحول ـ تجاه اليسار اذا انتصر العمال ، وهذا هو القرار الحاسم الذى ســوف يطلب الى افراد المجتمع البريطانى أن يصدروه . لقد تحدث المستر جوليان ايمرى فى مدينة جلاسجو فاعلن ان هزيمة العمال معناها القضاء على فكرة الاشتراكية فى بريطانيا ، وخطب المستر بتلر اثناء انعقاد مؤتمر المحافظين فى بلاكبول فقــال ان انتصارا رابعا يحرزونه معنــاه وضع حد نهائى لهذا الهراء غير الناضج عن الاشتراكية . ومن هنا تبدو خطورة الصراع بين الحزبين، لانه صراع بين قوى اليمين واليسار

لقد احتفظ المحافظون بمقاليد الحكم لفترة تربو على عقــد من الزمان . حقيقــة يستطيعون أن يقولوا ان مستوى المعيشة اليوم أعلى منه خلال السنوات التى ولى فيها العمال الحكم بعد الحــرب العالمية الثــانية مباشرة ، ولكن الواقع أن العمال ورثوا تركةمثقلة بالمشكلات بسبب الحرب ، ولم تتح لهم فرصة كافية ، كما انهم فى اثناء وزاراتهم الثــانية كانوا يفتقرون الى اغلبيــة فى مجلس



هارولد ويلسون.. قبطان ســفينة العمــال .. !

العموم تمــكنهم من التصرف فى حرية . ولكن فى الســنوات التى سيطر فيها المحافظون على مصائر البلاد تميزت السياسة الخارجية بالاضطراب ، بل والفشل الى حد بعيد . ففى افريقيا اصروا على التمسك باتحاد افريقيا الوسطى بالرغم من معــارضة الاغلبيــة الساحقة من اهله اى الافريقيين ، وظلوا على عنادهم فى معارضــة الاغلبيــة ، الى ان اضطروا الى

اعلان موت هذا التنظيم رسميا فى آخر العام الماضى . ووقفوا موقفا مذبذبا ازاء موضوع التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا ففقدوا ثقة الافريقيين ، ولم يستطيعوا ان يحولوا بين البيض هناك وبين اعلان النظام الجمهورى . وفى الكونغو ـ ليوبولدفيل ـ عرقلوا جهود الامم المتحدة وايدوا العناصر الانفصالية وحالوا دون استقرار البلد الافريقى ، كما ساندوا نظام



هيوم .. هل سيصمد امام ويلسون فى المعركة القادمة ؟ ...

سالازار الاستعمارى فى انجولا فجلبوا على انفسهم سخط القارة والرأى العام العالمى . اما ان مستعمراتهم الافريقية قد حصل اغلبها على استقلاله فالسبب ان ما حدث ما هو الا الحلقة الثانية فى سلسلة انهيار الاستعمار . وقد كانت الحلقة الاولى فى آسيا عندما استقلت الهند وباكستان فى عام ١٩٤٧ ، وما كان فى وسع بريطانيا ان تحافظ على ممتلكاتها الا باستخدام القوة العسكرية ..وهو طريق لا تقدر عليه بسبب ضعف مواردها المادية والمالية والعسكرية

***

وفى الشرق الاوسط تمسكوا بسياسة المعاهدات المفروضة والقواعد العسكرية وتأييد اسرائيل ، فكانت النتيجة هزيمة ساحقة اصابتهم اثر العدوان على مصر فى عام ١٩٥٦ ، وما لبثوا ان اخرجوا من العراق بعد ثورة عام ١٩٥٨ ، وتحطمت الآمال التى عقدوها على حلف بغداد بسبب مقاومة عبد الناصر لهذا المخطط الاستعمارى

وفى شبه الجزيرة العربية حاولوا الوقوف فى وجه ثورة اليمن ولكنها نجحت ، ثم ازداد مد الوطنية ارتفاعا فى الجنوب العربى ، فثارت القلاقل بل والثورة فى عدن وغيرها من المحميات ، وثبت ان الاتحاد الذى فرضوه فى الجنوب ما هو الا بناء من الورق

وفى البحر المتوسط ظلوا يؤمنون بالقواعد العسكرية فاصروا عليها بالنسبة الى قبرص وحاولوا فرض حل يحقق اطماعهم بعد الخلاف الذى حدث فى اواخر العام الماضى ، وهو خلاف داخلى ـ او يجب ان يكون كذلك ـ بين القبارصة اليونانيين والاتراك . وفى آسيا ورطوا انفسهم فى الخلاف الناشىء عن قيام اتحاد ماليزيا ، الى حد التصريح بانهم قد يشتركون فيه اشتراكا مباشرا اذا ما تطور

الى حرب بين هذا الاتحاد واندونيسيا مثلا . وفي اتفاق نساو ، على اثر الاجتماع بين كنيدي وماكميلان ، قنعوا بمركز الدولة التابعة للولايات المتحدة

ولكن اكبر لطمة اصابتهم كانت في القارة الاوربية ، فقد اعلنوا واكدوا عزمهم على الانضمام الى السوق الاوربية المشتركة ، وبعد مباحثات ومناورات طالت كثيرا اخفقت الجهود المبذولة بسبب معارضة فرنسا . هذا التهافت على الاشتراك في التنظيم اثار الشكوك في نفوس معظم دول الكومنولث اذ شعروا ان بريطانيا تضحي بمصالحهم الاقتصادية مقابل منافع ذاتية تجنيها من السوق المشتركة . اما القول بانهم احرزوا نجاحا دوليا عندما وقعت في اغسطس من العام الماضي معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية ، فيجب ان توضع المسألة في ابعادها الصحيحة ، ذلك انه ما كان في الامكان الوصول الى مثل هذه النتيجة لولا ادراك العملاقين اللذين يملكان القدرات النووية ان حربا عالمية هي عمل انتحاري لكليهما ، ولم يزد دور بريطانيا على دور ساعي البريد بين الطرفين . وعلى ضوء هذا الذي اوردناه على سبيل المثال لا الحصر ، يقول قادة حزب العمال ان سياسة المحافظين الخارجية سلسلة من التناقضات والعثرات والاخطاء ، وانها جعلت من بريطانيا دولة من الدرجة الثانية فعلا

وتعرضت سياسة المحافظين الداخلية الى الكثير من النقد ، فالزيادة السنوية في الانتاج القومي في حدود ٣ في المائة ، هي دونها في المانيا الغربية وفرنسا وايطاليا بل والولايات المتحدة ، وتعاني كثيرا من عجز الصناعة البريطانية في الاسواق الاجنبية بسبب الافتقار الى التنمية المنظمة ، والتقصير في تطبيق اساليب التكنولوجية الحديثة . ويصرح الاقتصاديون من رجال المعارضة ان الاقتصاد البريطاني مهدد اليوم بنكسة شديدة او ازمة ، ويستدلون على هذا بالارقام التي صدرت اخيرا والتي تدل على حدوث عجز كبير في ميزان المدفوعات خلال شهري يناير وفبراير من العام الحالي نتيجة عجز اوسع نطاقا في الميزان التجاري بسبب التوسع في الاستيراد بينما تعثرت الصادرات . كذلك يؤخذ على المحافظين انهم لم يتبعوا سياسة حازمة لانعاش المناطق المتخلفة في الوسط وفي اسكتلندا ، وذلك بسبب عدم وجود تخطيط يؤدي الى حسن توزيع الاستثمارات الجديدة . وفضلا عن هذا لم يتمكنوا من حل مشكلة الاسكان التي تتطلب انشاء ما لا يقل عن ٤٠٠ الف مسكن جديد في السنة وهو رقم لم يصلوا اليه ، ولهذا تعاني الجماهير من سوء الاحوال

السكنية ، كما أتاح هذا التقصير المجال لعمليات استغلال واسعة النطاق كانت فضيحة راتشمان مثلا واحدا عليها . وهذا كله راجع الى سياسة الحرية الاقتصادية الطليقة التي أدت الى ارتفاع أثمان أراضي البناء فضلا عن تكاليف البناء

اضف الى هذا ما اصاب سمعة المحافظين بسبب فضيحة وزير الحرب السابق بروفومو ، والتي كشفت ، هي وغيرها كثير ، النقاب عن التعفن الذي سرى الى افراد الطبقة الممتازة في المجتمع ، كما ألقت ظلالا من الشك على كفاءة رئيس الوزراء السابق وحكومته

ومن عوامل ضعف المحافظين ان الكثيرين من وزرائهم الحاليين والسابقين فقدوا اتصالهم بالحقائق السياسية ، ويبدو ان انقضاء اثنى عشر عاما عليهم في الحكم والحياة السهلة افسد تفكيرهم ونظرتهم الى الامور ، وأشاع في نفوسهم شعورا باطلا بالعصمة عن الخطأ ، ولعل هذا يفسر قول الكثيرين من الانجليز ان الوقت قد حان لاجراء تغيير في الوجوه الحاكمة ، بل ان البعض من المحافظين المتحررين يظنون ان حزبهم في حاجة الى « مطهر » يغتسلون فيه وتتطهر فيه جسومهم، وهذا « المطهر » هو الهزيمة في الانتخابات القادمة والابتعاد عن الحكم لفترة من الزمن

واذ ننتقل الى شخص الزعيم الجديد الذي يتولى توجيه دفة سفينة المحافظين نلاحظ ان اختياره للمنصب لم يكن متوقعا، اذ كان المشتركون في السباق اربعة بصفة اساسية ، اعظمهم هيلشام ، واوفرهم حكمة بتلر ، وأعقلهم هيث وأشدهم كفاءة مودلنج ، ولكن اختلافهم فيما بينهم هو الذي فتح المجال امام هيوم ، مما أشاع الاضطراب في صفوف المحافظين ، وبدوا في مؤتمرهم في بلاكبول — وعلى غير المألوف — مفترقين الى الوحدة .

ورئيس الوزراء الحالي من طبقة النبلاء وهو اول من يلي هذا المنصب من افراد هذه الطبقة خلال نصف القرن الاخير ، وقد علق هارولد ويلسون على الموضوع بقوله ان اختيار هيوم مؤامرة دبرتها الطبقة الارستوقراطية في البلاد ، ثم قال « ان هذه ثورة مضادة بعد نصف قرن من التقدم الديموقراطي والثورة الاجتماعية والتوقعات الصاعدة » . ويصف البعض الطريقة التي اختير بها سير أليك بأنها غير ديموقراطية حتى ان سير همفري بركلي ، النائب المحافظ عن لانكستر ، كتب اليه مقترحا أن يقوم الحزب الآن ببحث وسائل جديدة اكثر ديموقراطية لانتخاب زعيم الحزب . وهم يأخذون ايضا على هيوم اثناء المناصب التي تولاها قبل أن يصبح رئيسا للوزارة ،

انه أكثر اتجاها نحو اليمين ، وانه على غير دراية كافية بالمشكلات الاقتصـــادية والاجتماعية التى تواجهها الجماهير ، وانه بعيد عن التـأثر بالثـورة التكنولوجية الحـــديثة ، وانه فى السياسة الخارجية متأثر بأفكار استعمارية بالية « فانحاز الى جانب البرتغال وجنوب افريقيا ضد بقية الجنس البشرى ، وهاجم الامم المتحدة » على حد قول زعيم العمال

وكانما اراد سير اليك دوجلاس هيوم ان يبدد الشكوك والمخاوف فاعلن بعد اختياره ، برنامجا من سبع نقــاط وهى التوسـع الاقتصــادى فى حدود الموارد المتاحة ، واستخدام احدث مايهيئه العلم والتكنولوجيا لرفع كفـاءة الصناعة وطرق المواصلات ، ونشر الرخاء فى جميع انحاء البـلاد ، وفتح ابواب التعليم العـالى أمام كل فتى وفتاة فى بريطانيا ، واتمام بناء ٣٥٠ الف مسكن فى نهـاية العام الحالى ثم تجاوز هذا الرقم ليصبح ٤٠٠ الف ، ورعاية أرباب المعاشـات ، وتحسين المستويات الصحية . وعقبت المعارضة على البرنامج بانه من قبيـل الوعود الانتخابية التى تتبخر بعد ختـام المعركة ، وتساءلت عن السبب الذى من أجله لم يحقق المحافظون هذه الوعود خلال اثنى عشر عاما مضت منذ اعتلائهم الحكم . ولقد اجمل ويلسون الموقف بقوله « ان كل يوم يرجا ، يضعف سلطان هذا البلد ويزيد من الاعباء التى سوف تضع على عاتق الحكومة القادمة » قال ذلك وهو يدعو خصمه الى المبـــادرة الى اجراء الانتخابات العامة

وقبل بلاكبول بايام قلائل عقد العمال مؤتمرهم السنوى المعتاد فى سكاربورو . والاثر العام الذى انطبع فى نفوس المراقبين أن الحزب بدا لاول مرة منذ سنوات كثيرة ، بمظهر الوحدة والاتفـــاق ، وان



جيتســكل .. كان موته مفاجأة كبرى فى حزب العمال

هارولد ويلسون ثبت زعامتــه واثبت كفاءته وبدد المخاوف التى ساورت الكثيرين من أن موت هيوجيتسكيل قــد يؤدى الى تفكك الحزب نهائيا . ففى هـذا المؤتمر وقف براون مؤيدا لزعيمه على طول الخط . واكثر من هذا فقد تمكن ويلســون من ازالة الخلاف مع النقابات وبذلك اعاد الوحدة الى صفوف الحـــركة العمالية فى انجلترا ، وهو الخلاف

الذى كان من اكبر أسباب الضعف الذى اعترى حزب العمال

وفى سكاربورو القى خطابا عن « الآلية » «Automation» يعتبر فى نظر المراقبين دليلا على تقدم حقيقى فى التفكير السياسى ويمس موضوعا جوهريا بالنسبة الى التنمية الاقتصادية . ويقول الخبراء ان الاخذ بهذا النظام معناه أن يرتفع مستوى المعيشة فى البلاد خلال العشرين سنة



بروفومو . . فضيحته مع كريستين كيلر . . هزت صفوف المحافظين . .

القادمة بنفس النسبة التى ارتفع بها خلال القرن الممتد من عام ١٨٥٠ الى عام ١٩٥٠ . انه ليس مجرد استخدام العنصر الآلى محل العنصر البشرى ، ولكنه يستهل تنظيما جديدا للمجتمع ، وسوف يؤدى الى تغيير فى القيادة التى تتولى ادارة شئون البلاد . ففى ظل الآلية تنتقل الامور الى أيدى أولئك الذين يتجه تفكيرهم اتجاها تكنولوجيا . وبهذا الذى تحدث عنه ويلسون اثبت أنه يتفهم طبيعة العصر وطبيعة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية . واهم من هذا أنه نجح حيث اخفق هربرت موريسون وجيتسكيل ، فى اكتساب ود الطبقة الوسطى الجديدة من رجال العلم والخبرة والتكنولوجيا . لقد جعل للحزب شعارا جديدا هو التجديد . وتمشيا مع هذا الاتجاه فى التفكير اعلن برنامجه بشأن اجراء توسع كبير فى انشاء الجامعات وفتح ابوابها أمام كل من يتوافر لديه الاستعداد الذهنى ، مع التركيز على التكنولوجيا والعلوم حتى تتوافر للبلاد طبقة جديدة تستطيع أن تقودها فى طريق النمو والتقدم ، ولهذا لا عجب أن راحت الصحف البريطانية ـ سواء من باب السخرية او التقدير ـ ترسم هارولد ويلسون فى ملابس العالم الذى يزاول نشاطه العلمى فى داخل المعمل

وفى الخطب الكثيرة التى القاها فى مختلف المدن والاجتماعات اخذ زعيم المعارضة يحدد بعض عناصر البرنامج الذى يريد تنفيذه اذا ما خرج حزبه من معركة الانتخابات بالاغلبية . ففى الخطاب الذى القاه سوانسى يوم ٢٥ يناير الماضى لم يقل شيئا عن التاميم كما رفض فكرة تقييد الارباح بحكم القانون . من المؤكد ان العمال سوف يعمدون الى تأميم صناعة الصلب بوصفها من الهياكل الرئيسية فى صرح

الانتاج ، ولكن سكوته هذا تفسره الرغبة فى عـدم اثارة الطبقـة الوسطى الجديدة التى نشأت منذ الحرب والتى بينما ترفض سياسة اليمين القائمة على احتـكار القلة للثروة والنفوذ والامتيازات ، تنفر من سياسة التأميم الشامل التى تسد الباب أمام آمالها . واعلن كذلك انه سيعمل على توفـير الحوافز فضلا عن تقديم المال من الخزانة العامة ، وذلك من اجل تنشيط الصـناعات التى تضم امكانيات كبيرة للتصدير ، كما سيفعل الشيء نفسه بالنسبة الى الصناعات التى تؤدى الى التقليل من الاسـتيراد ، مثل صناعة الآلات

وفى الخطاب الذى القاه بمدينة ليدز فى الثامن من فبراير الماضى تناول مشكلة البناء فقـال ان الحاجة الاولى هى توفير الارض الكافية بأثمـان معقولة ، واعاد تأكيـد نية حزبه فى جعل أراضى البناء بالمناطق المدنية ملكية عامة ، كما وعد بتوفير رأس المال لبناء المساكن بفوائد معقولة . ويتضمن برنامج البناء أعطـاء الاولوية للاغراض الاجتماعية كالمسـاكن والمستشفيات ، ثم الاغـراض الصناعية وذلك بقصد تنشيط الاقتصاد البريطـانى . وكذلك يقترح الحزب انشاء مؤسسة اهلية لشئون البناء وتمنح لهـا سلطات حقيقية . ووعد ويلسون ايضـا بالغاء قانون الايجارات لعام ١٩٥٧ وبانشاء جهـاز يتولى تسـوية موضوع الايجارات بطريقة عادلة

ويتضمن برنامج العمال اجـراء تخطيط قومى للاقتصـاد على اساس الاولويات ، وفى ظل هذا التخطيط توجه العناية الواجبـة للنهوض بالمنـاطق المتخلفة فى الميدلاندز اسكوتلند والتى يعتبر وجودها سبة فى حياة بريطانيا . اما من ناحية السياسة الخارجية فان ويلسون من انصار التفاهم مع الكتلة الشرقية او مع الاتحـاد السوفييتى بوجه خاص ، وقد خلفت زيارته للبلد الاخير أثرا طيبا فى نفوس حكامه ، كمـا أنه فى الوقت نفـسه يدعو الى دعم التضامن فى صفوف معسـكر الغرب . اما بالنسبة الى السوق المشتركة فيبدو ان العمـال غير متحمسين لها او غير متلهفين على استجداء الانضمام اليها ، ولهذا يعتزم هارولد ويلسون ـ اذا ولى الحكم ـ ان ينشيء جهازا يضطلع بمهمة تنمية العلاقات الاقتصادية بين بلاد الكومنـولث بوصف ذلك وسيلة لمقاومة اى ضغط قد ينشأ بسبب السوق المشتركة . وكذلك فهم ـ على ما يظهر ـ لا يؤمنون بالقوة النووية الرادعة المستقلة

ويلفت النظر فى ويلسون رايه بصدد الصـفات التى يجب ان يتحلى بها رئيس الوزراء . فردا على سؤال وجهه اليه أحد مراسلى صحيفة الصنداى تايمز الاسبوعية ، قال ان على رئيس الوزراء أن يكون

قادرا على ان يقود فريقه بمعنى ان يقود الاوركسترا دون ان يعزف على الآلة الموسيقية بنفسه ، وان يكون على اطلاع تام بالمسائل وان يكون سريعا فى فهمها . الا انه يقال انه يعتزم اجراء تغيير جذرى فى اسلوب الحكم بحيث يقوى مركز رئيس الوزراء وان تزداد سلطة واختصاصات مكتبه اى الدائرة المحيطة به ، وانه لهذا السبب يريد أن يعين معه فريقا



ايدن .. تمسك حرفيا بسياسة المعاهدات المفروضة والقواعد العسكرية

من ذوى الكفاءات الاكاديمية فى الاقتصاد والسياسة وغير ذلك ، ويستخلص المراقبون من هذا انه يتجه نحو نوع من النظام الرئاسى فى الحكم بحيث تكون السلطة الفعلية فى يد رئيس الوزراء ، وانه يريد ان يحذو حذو الرئيس الامريكى الراحل كنيدى فى احاطة نفسه بفريق من المستشارين من خارج صفوف الفرع التنفيذى من الحكومة

هكذا يقف الفريقان وجها لوجه ، كل منهما يعرض بضاعته محاولا اجتذاب العميل ، وهو الناخب البريطانى ، وان لم يحدد هيوم حتى كتابة هذه السطور موعد اجراء الانتخابات بالرغم من مطالبته بذلك من جانب العمال . وقد كتبت الاوبزيرفر فى افتتاحيتها بتاريخ أول مارس تقول : ان نمط المعركة الانتخابية العامة يصبح اشد وضوحا . فبينما سوف يظهر هارولد ويلسون فى معطف العالم الابيض ويده فوق آلة حاسبة ، فسوف يقف سير اليك دوجلاس هيوم ، فى تواضع وان يكن فى ولاء ، بجانب القنبلة البريطانية ، سوف يعمل العمال على تمثيل الحكومة بأنها حفنة من خريجى ايتون القدامى الذين يفتقرون الى الكفاءة والعزم . وسوف يقول الثورى « المحافظون » « ان المعارضة هى الحزب الذى سوف يجعل بريطانيا عن عمد دولة من الدرجة الثانية »

والآن ، ماذا يمكن التنبؤ به بصدد نتيجة المعركة الانتخابية ؟ يحاول بعض المراقبين ان يتخذوا من الماضى مرآة تنعكس عليها صورة المستقبل . فهم يقولون مثلا انه فى الانتخابات الفرعية الكثيرة التى اجريت خلال السنوات الثلاث الاخيرة احرز العمال ـ والاحرار ـ احيانا تقدما على حساب المحافظين ، وحتى فى الدوائر المضمونة للاخيرين والتى

نازوا فيها تضاءلت الاغلبية التى ايدتهم بشكل واضح ، وذلك بالقياس الى ما كانت عليه فى الانتخابات العامة الماضية

ويحاول البعض الآخر ان يستهدى بنتائج الاستفتاءات التى تجرى على الرأى العام ، من قبيل استفتاء جالوب المعروف . ففى الاستفتاء الذى اجرى فى خريف عام ١٩٦١ تقدم العمال المحافظون لاول مرة ، ولكن قبل ان السبب كان موقف الاحرار . ولكن موجة الانتعاش التى ارتفعت لصالح الاحرار ما لبثت ان هبطت ، غير ان نتائج استفتاء خريف عام ١٩٦٢ اثبتت بما لا يدع مجالا للشك ان العمال متقدمون ، واثبت جالوب ان هذا التقدم كان بنسبة ١٠ فى المائة ، ووصل الى ١٥ فى المائة فى بعض الاشهر ، والى ٢٠ فى المائة فى شهر يولية . وفى خريف ١٩٦٣ دل استفتاء جالوب على تقدم بنسبة ١١ فى المائة ، بينما كانت النسبة ٧ فى المائة عند الدبلى ميل . اما الدبلى تلجراف فقالت ان تقدم العمال لم يتجاوز اثنين فى المائة ثم عادت بعد ايام فرفعت النسبة الى ٦ فى المائة

كل هذا يمكن الاعتماد عليه فى استقراء المستقبل . ولكن هناك اعتبارات يجب ان تؤخذ فى الحسبان ، منها مدى نجاح الحكومة الحالية مثلا فى دفع خطر حدوث ازمة اقتصادية ، والطريقة التى سوف تعالج بها مشكلة مطالب رجال البريد الخاصة بزيادة الاجور . وقد يمكن التكهن على ضوء ما سوف تسفر عنه الانتخابات البلدية وبخاصة فى منطقة لندن التى سوف يركز العمال اهتمامهم عليها ، وان كانت الانتخابات البلدية ليست مقياسا سليما لانها تدور فى العادة حول مسائل ذات صبغة محلية . وما من شك ان قوى اليمين المالية الضخمة سوف تبذل جهدها فى التاثير على الرأى العام وتخويفه من قيام حكومة اشتراكية ، وبالفعل بدأ المحافظون ومعهم الاحرار بلسان رئيسهم جريموند يحذرون من بيروقراطية دكتاتورية . وعلى كل من الحزبين أن يحاول اكتساب ثقة الناخبين « غير الملتزمين » باتجاه حزبى واضح ، وهم يمثلون عنصرا بالغ الاهمية فى معارك الانتخاب البريطانية . وكذلك لابد من اخذ الاحوال الجوية يوم الانتخاب فى الحسبان ، فاليوم المطير يعتبر فى العادة خطرا يهدد حزب العمال اذ يتقاعس انصارهم عن التوجه الى مراكز الاقتراع ، وهذه ظاهرة تدل فى راى الكثيرين على نقص فى الوعى السياسى أو الاشتراكى . ومهما يكن فسوف تتجلى فى الاشهر القادمة .. او الاسابيع القادمة .. دلائل جديدة ربما تساعد فى تبين اتجاه الناخبين العام ازاء الصراع الناشب بين قوى اليمين واليسار فى بريطانيا

صالح جودت

كليوباترا السابعة



كما تراها عاشقة الإسكندرية

كان هذا قبل مولد المسيح عليه السلام باربعة وخمسين عاما ..

وكانت الصبية المصرية يومئذ فى عمر القمر ..

كان عمرها اربعة عشر عاما ..

وكان اسمها : كليوباترا .

وقد استطاعت — وهى فى ميعة الصبا — ان تفتن رئيس الفرسان القادم من روما ، واسمه مارك انطونيو ، بسحرها وجاذبيتها .

وكان ممكنا أن يمر هذا الحادث عابرا الى زاوية من زوايا النسيان لولا مخبآت المستقبل

***

لم تكن هذه الصبية وحدها هى التى تحمل اسم كليوباترا ، فقد حملته قبلها وبعدها كثيرات من بنات بيت البطالمة ، منهن ست ملكات سابقات

وهكذا قدر للصبية ، حينما وليت الملك فيما بعد ، أن تكون الملكة كليوباترا السابعة

واذا كان التاريخ قد اهمل شأن الكليوباترات الست السابقات لها، فانه قد خص كليوباترا السابعة



الدكتورة ثريا توفيق .. عاشقة كليوباترا السابقة ... !

بكل تخليد ، وقدمها مادة خصبة لكل شاعر وكاتب وفنان

***

فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ادبية عاشقة لكليوباترا ، احبتها منذ ان كانت مثلها فى عمر القمر.. وشب حبها لها مع شبوب النار فى القصة

هذه الادبية هى الدكتورة **ثريا توفيق** ، صاحبة الكتاب الذى صدر هذا الشهر بعنوان « كليوباترا السابعة »

وقد استغرق ثريا حب كليوباترا ، الى حد انها نبشت كل مكتبة ، وقرات كل كتاب عن الملكة الجميلة فى كل لغة ، ثم كرست السنوات الاخيرة للاعداد لرسالة فريدة عن كليوباترا فى المسرح الفرنسى ، مع بحث مقارن عنها فى الادب العربى

وتعيش ثريا منذ بضعة اشهر فى باريس ، منقبة فى كل مكتبة عن كل اثر لكليوباترا ، وقد استطاعت ان تهتدى حتى الان الى اكثر من عشرين مسرحية فرنسية عن الملكة المصرية ، الى جانب عشرات من القصص بالفرنسية والانجليزية

وغيرهما من اللغات

***

وبعيدا عن السياسة جهد المستطاع ، استطيع ان التقط لكم الصورة الجمالية لكليوباترا ، كما تراها عاشقتها ، ثريا توفيق :كان عمرها يوم مات ابوها ، ثمانية عشر عاما ..

وكان زواج الاخ باخته يومئذ مشروعا فى عقيدة المصريين . وهكذا اوصى ابوها بأن تتزوج ابنته من اخيها بطلميوس الصغير الذى لم يكن يتجاوز العاشرة يومئذ ، ليشتركا فى الحكم معا

هكذا قضى على الشابة فائرة الانوثة ، ذات الثمانية العشر ربيعا، ان تكون زوجا لطفل فى العاشرة ، لا يدرك معنى الانثى

على انها لم تزف اليه ، انتظارا ليوم يشب فيه عن الطوق ،ويخرج عن وصاية الاوصياء الثلاثة الذين الوا بعرشه

***

وبلغت كليوباترا الحادية والعشرين ، وكبر اخوها ثلاث سنوات أخرى ، وانفرد بالحكم ، ولعله احس مع أوصيائه بنظراتها الطامحة الى التاج ، فتهددوها ، فاشفقت من غدرهم ، فهربت الى سورية

***

وجاء قيصر من روما الى الاسكندرية لينظر فى امور مصر ، فوجدت كليوباترا فيه أملا جديدا لها

وصحيح انه كان يكبرها كثيرا. بيد أنها عرفت عنه أنه رجل عارم الجنس ، اشتهر بافساد زوجات اصدقائه وبناتهم ، وكانت قوة اغرائه للعذارى ، وقلة رعايته لحرمة الاهل والاصدقاء فى هذا المجال حديث التاريخ والمؤرخين

من هذه الثغرة رأت كليوباترا ان تنفذ اليه ، فتسللت الى الاسكندرية سرا ، ملتفة فى غطاء يحمله على كتفه مستشارها الامين ابولودور الصقلى تحت جنح الليل ، كأنما هو يحمل متاعا له لا يلفت وجه احد

ودخل ابولودور على قيصر ، وانزل اللفافة عن كاهله ، وفضها، فوثبت من داخلها شابة دقيقة القامة كالدمية الحلوة ، لها أنف يونانى ، وبشرة بيضاء لوحتها شمس الشرق ، وثغر بديع التكوين كأنما هو من صنع نحات مفتن ، وعينان واسعتان تحت حاجبين مقرونين، وخد وذقن كاملا الاستدارة

وانفجرت ضاحكة امام قيصر ، فتنفجرت مع ضحكاتها مغاليق قلبه، ومر سواد الليل وهى تحكى له قصتها ، وكيف انها خرجت من مصر هائمة على وجهها فى عتمة الليل هاربة من مملكتها ، وما كان من امرها بعد ذلك

كل هذا .. وهو يصغى لها مأخوذا بسحر الاسطورة الحلوة التى تحدثه ، وقد كان أفتن مافيها — على كثرة ما فيها من الفتن — نبرات صوتها التى تتميز بالعذوبة والعمق وقوة الجذب . وقد كان

هذا الصوت سلاحا طالما استعانت به فى مواقف حياتها ، وقد اضفى عليه تعمقها فى العلوم والفنـــون ، وروحها المرحة ، وميلها الى الدعابة ، سحرا على سحر

كانت حتى ذلك الحين ، عذراء لم تتناولها الالسنة بســوء ، فهى زوجة عذراء لم يمسسها بشر ، وقد نحت عنها زوجها الطفل ، وجعلت جل همها صيانة الملك وتوســعة رقعته

***

وعبر الليل فى حديثها الى قيصر .

وقبل ان تتسلل الى غرفتهمــا اشعة الشمس ، كان الرجل قــد وعدها برد عرشها اليها . فلما طلع الصباح ، ارســل قيصر فى طلب بطلميوس ، الذى صعق عند رؤية اخته بجوار قيصر الذى شدد عليه النكير ، فخرج الصغير من الغرفة مغضبا غضب الاطفــال ، والقى بالشعار الملكى على الارض ، وانفجر باكيا كما يبكى الطفل بعد ان يحطم دميته

وقضى قيصر بأن يشــتركا ـ الشابة والفتى ـ فى الحكم ، وهكذا اصبح بطلميوس الصغير تحت رابطة اخته

***

كان قيصر اول رجل فى حيــاة كليوباترا ، فهو اول رجل قــوى تلتقى به ، وهكذا عرفت لذة الحب الاول ، كما انه راى فيهــا شــابة ملء برديها حيوية وشبابا وجاذبية واغراء . ورغم انه كان فى وسط العمــر ، فانه كان مثاليــا كحبيب لشابة ساذجة يطـرق الحب باب قلبها لاول مرة ، وهو من هـــو ، بملامح وجهه الدقيقة ، وقامتـه الرياضية الرشيقة ، ومغــامراته العسكرية والعاطفية الجمة

وبينما كان بطلميـــوس الصغير يتعثر وراء الستارة ، كان قيصر وكليوباترا يظهران معا فى كل مكان ، يعلو وجهيهما البشر والايناس ويستمتعان بالحيـــاة ، ورغم ان كليوباترا كانت زوجة شرعيــــة لبطلميوس الصغير ، فانها لم تقم



وزنا لهذه الزوجية التى لم تعترف هى بها فى اعماقها ، ولا سيما انها لم تنم على مخدعه مرة واحدة

على انها ما لبثت ان خلصت منه الى الابد ، بعون قيصر ، وهـــكذا لبست التاج وحدها

ولعبت ثمرة الحب فى احشائها لاول مرة . ووافق قيصر على ان يعترف به المصريون زوجا الهيــا لمليكتهم ، يتجســـد فيه جوبيتر ـ آمون ، واشاعت كليوباترا ان قيصر هو اله مصر الاكبر الذى اتى الى العالم ، وان الطفل المنتظر هو ثمرة ذلك الاتحاد الالهى

ووضعت كليوباترا وليـــــدها «قيصرون » ابن قيصر .. وسمته بطلميوس السادس عشر ، وحلمت بأن يكون له ملك مصر وروما ،وهو ملك العالمين يومئذ

***

كان مارك انطونيو يومئذيمسك بزمام الامور فى روما ، باسم قيصر

فلما عاد قيصر الى روما ، ولى الامر ، وبعث الى كليوباترا يسالها ان تحضر ،فذهبت ومعها قيصرون ـوريث ملك العالم ـ وعمره سنة



واحدة

ولم بعد ما بين قيصر وكليوباترا مجرد عاطفة جامحة اساسهاالرغبة والاشتهاء ، بل ان هناك مصلحـة مشتركة ، وزوجية قائمة ارادا ان يعلناها على اهل روما كما اعلناها على اهل مصر ، رغم انف كاليبورنيا الزوجة الاولى لقيصر

على ان القدر فجع كليوباترا فى حبيبها ، وسقط قيصر مضرجـا بدمائه فى المؤامرة المعـروفة التى أبدع شيكسبير فى تصويرها ساخرا بعواطف الشعب المتقلب

كانت كليوباترا عذراء ساذجـة حينما عرفت قيصر للمرة الاولى

اما اليوم ، فهى امرأة ناضجـة تشيع فيها جرأة اسرتها ، وتملك بين يديها املا اسمه قيصرون ، تريد ان تضعه على قمة الوجود

ومن هنا تطلعت الى قلب مارك انطونيو ، الذى كان قد ملك قلوب جنوده ، واصبح سيد الموقف فى روما ، وسار بجيوشه شرقا حتى استقر فى طرطوس ، وأرسل فى طلب كليوباترا ليناقشها الحساب فى عونها لخصمه بروتس .. وكان بروتس قد انتحر بعد هزيمته

فماذا كانت صورة ماركانطونيو؟

كان طويل القامة ، قوى البنية، متين العضلات ، وكان شعره الكثيف يلتف حول راسه

وكان يتميز بجبهة عريضة، وكان فمه وانفه يوحيان بالقوة ، كماكانت تعبيرات وجهه مليئة بالصراحة

وكانت له جاذبيـــة جنسيـة لا تقاوم ...

يضاف الى هـــذا انه من اسرة نبيلة ، وكان له من الصفات الكريمة ما دفع جنده الى عبادته

وكان فصيحا صريحا عطـوفا ، يواسى المرضى والمحزونين ، ويزود الجرحى من جنده فى خيامهم

وكان ميالا للدعابة ..

كان طفلا كبيرا ، واستمر كذلك طول حياته ، واسرف فى الخمرحتى كان يشرب مع كل رجل

وأجاد التمثيل ، وكان يحـاول وهو يحدث الجماهير ان يؤثر فيها بحركاته قبل كلماته

وكان كريما مع اصدقائه واعدائه على السواء . يسرف فى منح الهدايا ويبذل المنح ، ولا يقيم للمال وزنا ، حتى كان اسرافه حديث العالم

ولم يكن يخجل من علاقاته الغرامية ، فقد ترك نفسه على سجيتها ، ولم يتعلق بامرأة واحدة أبدا

هذا هو الرجل الذى قدر لكليوباترا أن تشد رحالها للقائه فى طرطوس ، صيف عام ٤١ ق.م.

***

ووصلت فى فلكها الى طرطوس

وارسل انطونيو رسله يدعونها الى العشاء ، فارسلت تسأله ان يحضر هو ، فقبل الدعوة

وبدأت الفلك تنزلق على وجه الماء والشمس تميل للغروب ، واشعتها الذهبية تنعكس فوق المجاديف الفضية . وكانت للفلك دفتان يحركهما رجال يقفون فى المؤخرة تحت سقف على شكل رأس فيل من الذهب اللامع يرفع خرطومه الى اعلى.. وحول الرجال عدد من الحوريات فى زى جنيات البحر .. وبالقرب منهن جماعة من الموسيقيين يلعبون على الاوتار وينفخون فى المزامير

اما كليوباترا ، فكانت فى زى فينوس الفضفاض ، ومن حولها اطفال فى زى كيوبيد يقفون الى جانبى وسادتها ، ممسكين بمراوح من ريش النعام الملون ، وامامها مباخر ترسل عطرا قويا شذيا وصل عبيره الى الشاطئ ، قبل ان يصل السفين

ولما استقرت الفلك ، صعد انطونيو وقواده وعظماء المدينة الى ظهر المركب ، ودخلوا قاعة العشاء وفيها صحون من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة ، وكئوس دقيقة الصنع من الذهب الخالص ، وكانت الحوائط مغطاة بتطريز من الذهب ، والارض مغطاة بالزهور ، والموسيقى تلعب بالخيال

نسى انطونيو فى زحمة هذه الروعة حكاية الحساب والعتاب ، وراحت كليوباترا تنفحه وتسقيه

ثم صعدوا الى ظهر السفين ، فوجدوا انفسهم تحت مصابيح قوية تطل من مربعات ودوائر من غابة من الاغصان المتشابكة فوق رءوسهم ، وامضوا وقتا كأنه حلم ، حتى جفت الاقداح وخفتت المصابيح

ثم ظهرت من بعيد اشباح الممثلين فى الاقنعة الالهية ، كأنما نزلت فينوس الى الارض لتلهو مع ديونيسيوس . وكأنما ارادت كليوباترا بذلك أن يعترف بها انطونيو — كما اعترف قيصر من قبله — بأنها صورة حية لفينوس

***

ودعا انطونيو كليوباترا ان تكون ضيفته فى الليلة التالية ، ولكنها اصرت على ان يشرفها بزيارته مع حاشيته مرة اخرى

وازورت الوليمة اللاحقة بالوليمة السابقة ، وحين انصرف الضيوف لم يأخذوا معهم وسائدهم المطرزة

بالذهب فحسب ، بل اخذوا معهم هوادج يحملها عبيدوفتياناثيوبيون ينيرون لهم الطريق بالمشاعل . اما الطبقة الثانية ، فقد أخذوا معهم جيادا لها سروج من ذهب !

ولبت كليوباترا دعوة انطونيو فى الليلة الثالثة . وامتص انطونيو موارد طرطوس ليقدم لها مادبة كمادبتيها ، ولكنه فشل واعترف بفشله ، ووعد برد الزيارة في الاسكندرية

كانت كليوباترا ترمي من وراء ذلك كله الى ان توحى لهبان ثراءها لا حد له ، وانه سيصبح تحت قدميه ان هو عاونها على تحقيق احلامهافى تولية قيصرون ملك العالمين

***

لم يكن انطونيو رجلا دبلوماسيا، بلّ كان يعمل بما توحيه اليه نزواته وقد عرفت فيه ملكةمصرهذهالخلة فراحت استغلالها

وسرعان ماطرح الامورالرومانية وراء ظهره ، وهرع الى الاسكندرية واحيا اطماع الملكة الفاتنة

وراى نفسه فى الاسكندرية محوطا بلون اخر من الناس ، ومدفوعا الى لون جديد من المتعة، ومنغمسا فى حياة لم يتذوق مثل ثمارها الشهية من قبل

وهكذا مر الشتاء الطويل بين قصف ولهو ، وتوطدت الصلة بين العاشقين . وكانت هي ترى فيه زوجا شرعيا لها . وكان مركزها يحميها من اللوم والخضوع للقوانين الوضعية ، فهى قبل كلّ شيء ملكة الهة .

***

هكذا بدات قصة الحب .. اكبر قصة حب عرفه التاريخ

قصة حب انتهت بانتحارالبطل والبطلة

وقد ذهب البطل دون ان يجد من ابناء التاريخ من يدافع عنه

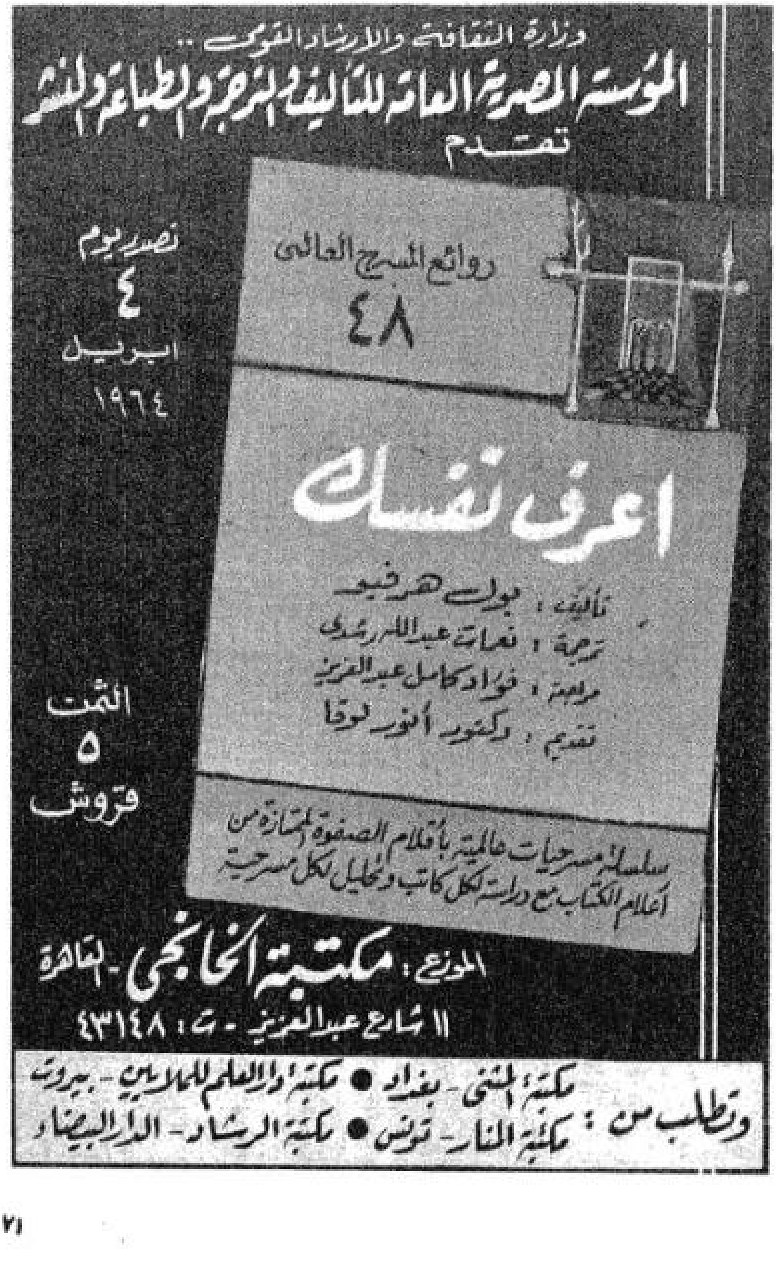
اما البطلة ، فقد وهبها التاريخ هذه العاشقة التى كتبت قصة كليوباترا السابعة ، لتدافع عن ملكة ظلمها المؤرخون حين اسرفوا فى الحديث عنها كانثى بهيمية اللذات والشهوات ، بينما هي ملكة لم تر فى جسدها الا نجرا للامجاد .

صحيح مجرب !

شاهد احدهم مارك توين يطالع اعلانات عن الادوية باهتمام شديد ، فساله باستغراب :

– هل تعتقد حقا ان هذه الادوية الجاهزة ذات فائدة ؟

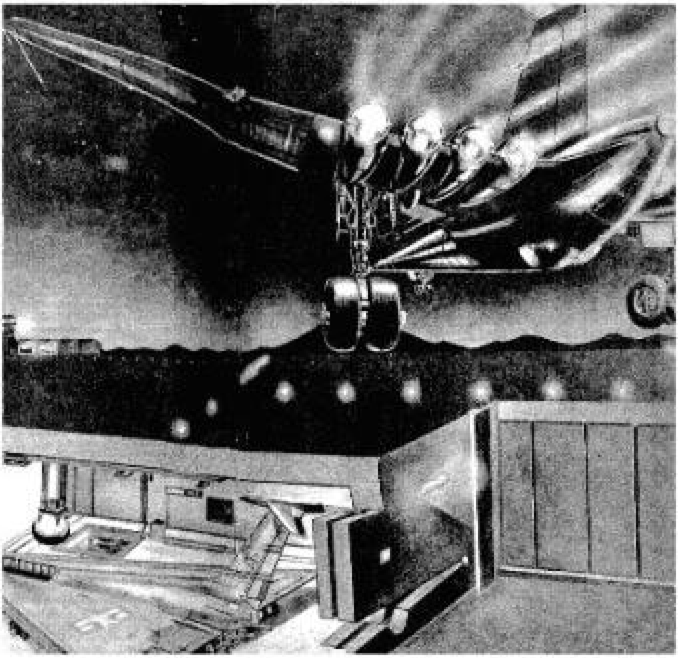
– طبعا ! فقد انقذ احدها حياتى ذات مرة . كنت جالسا وانا صبي اقرا اعلانا عن دواء وعنوانه : « اقطع هذا الاعلان واحتفظ به فقد يكون سببا فى انقاذ حياتك . » وصدقت الكلام وقصصت الاعلان ووضعته فى جيبي وشرعت اواصل قراءة الجريدة ، فرايت من خلال المكان المقطوع صبيا يتسلل نحوى بسكين ، فرفعت الكرسى وضربته قبل ان يطعننى . وهكذا انقذ الدواء الجاهز حياتى !

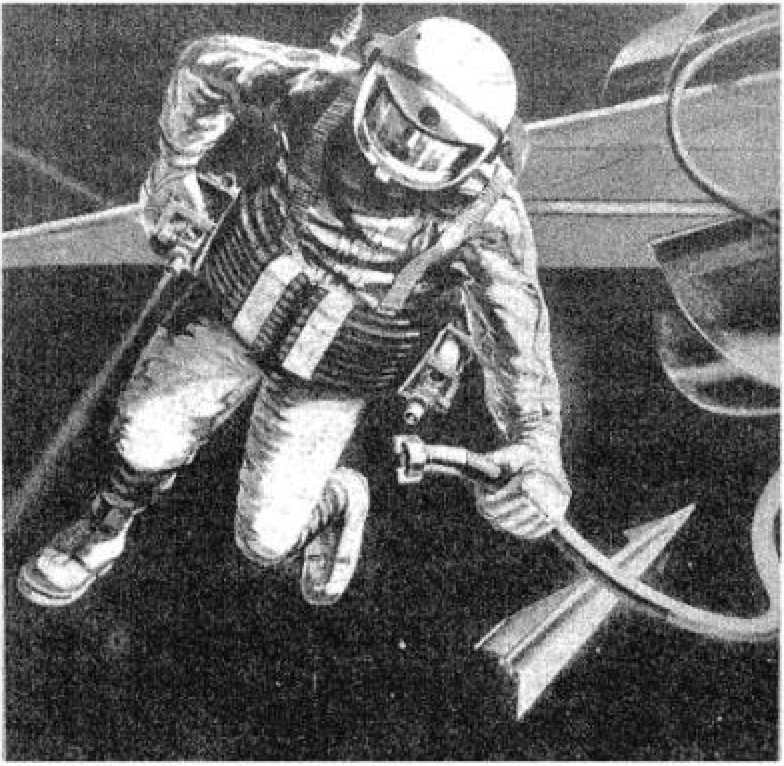

وزارة الثقافة والإرشاد القومي ..
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
روائع المسرح العالمي
٤٨
تصدر يوم
٤
ابريل
١٩٦٤
اعرف نفسك
تأليف : جولي هرفيو
ترجمة : نعمات عبد الله رشدي
مراجعة : فؤاد كامل عبد العزيز
تقديم : دكتور أنور لوقا
الثمن
٥
قروش
سلسلة مسرحيات عالمية بأقلام الصفوة المختارة من أعلام الكتاب مع دراسة لكل كاتب وتحليل لكل مسرحية
الموزع : مكتبة الخانجي - القاهرة
١١ شارع عبد العزيز - ت : ٤٣١٤٨
وتطلب من : مكتبة المثنى - بغداد ● مكتبة دار العلم للملايين - بيروت
مكتبة المنار - تونس ● مكتبة الرشاد - الدار البيضاء

أخبار الغد

الوقت من الراديوم .. بدل الذهب ..!

[illegible]





العائمون في الفضاء..!

عندما يصل الانسان الى القمر والكواكب الاخرى سترى العجب، ان السماء ستمتلىء بالذين يعومون في الفضاء، حيث تنعدم الجاذبية.. او حيث «جاذبية الصفر»

ويبدو ان الانسان هو الانسان حتى لو عاش في باطن الارض او على سطح الكواكب. فالصواريخ او محطات الفضاء قد يحدث بها عطب او تحتاج الى ربط «الصواميل». وقد اعد العلماء العدة لذلك. فصمموا محطات الفضاء بحيث يستطيع المهندسون الخروج من سراديب معينة تغلق وراءهم اوتوماتيكيا، ثم يخرجون الى الفضاء حيث يبدءون عملياتهم، واجسامهم سابحة في الفضاء اللانهائي.

ومن اجل ان يتحركوا في الفضاء فقد ابتكرت احزمة توضع حول وسط «مهندس الفضاء»، وتحركه بقوة الدفع النفاثة في اى اتجاه يريده

أعـوان الإنسـان فى الغـد..!

الإنسان حريص ، انه يحب الحياة . وهو لايجازف بحياته فوق سطح القمر والكواكب الا بعد أن يختبرها جيداً حتى يكيف حياته عندما يهبط فوقها . وهذه العربات الصغيرة ذات الارجل الاربع هى وسائل الانسان ... او اعوان الانسان التى سيرسلها لبطلب التقارير الدقيقة عن سطح الكواكب ...

ان هذه الوسائل الالكترونية النقالة عرضت نماذجها فى معرض الكولوزيوم بنيويورك . وستبدأ قريبا فى العمل ..





مات العقاد في ١٢ مارس الماضي ، ودفن في اسوان ، نعتــه اذاعات العالم ووكالات الانباء وكبار الكتاب والصحفيين :

◉ قال عنه **علي امين** : انني لم اذرف عليه الدموع .. فان اسم العقـــاد لا يموت . فالعقاد ليس مجرد كاتب عظيم .. انه اغنية من اغاني بلادي ستردِّدها الاجيـــال جيلا بعد جيل

◉ وقال **كامل الشناوي** : لم اكد اسمع نبأ وفاته حتى اعترتني قشعريرة، واحسست أن الدموع لا تنحدر من عيني ، ولكن تنحدر من ذهني . فالعقاد بالنسـبة لي ليس فقط صديقا ينبض به قلبي ، وانما هو حبيـــب عقلي . أشعر وانا اقــرؤه أو أناقشه أو أتبادل الحديث معه ، انى آبته نجـــوى افكاري ، وأصغي الى افكاري . وهى تناجيني بمنطق باهر ، وذكاء عميـــق ، ونـــبرة ساحرة ..

◉ وقال **مصطفى امين** : ان العقاد لايموت. انه ترك أكثر من ٧٠ كتابا ســوف تعيش ما عاشت الكلمة العربية . ان العقاد الجسم قد ووري التراب، وسكتت نبضاته الى الابد. أما العقاد المفكر، والكاتب والعالم، فسيعيش دائما ، ما بقى الفكر والعلم والكتـــابة .. مات العقاد .. ولكن كتب العقاد لن تموت !.

وقال **احمد بهاء الدين** : ان كل من يحمل قلما في العالم العربي كله يدين للعقـــاد بصورة أو باخرى ببعض ما لمهنـــة القلم من كرامة ، وببعض ما في علم الفكر والفــن والثقافة من نور وحياة

وقال **الدكتور طه حسين**: ان امثالك تموت اجسامهم ، لان الموت حق على الاحياء جميعا، ولكن ذكرهم لا يموت، لانهم فرضوا أنفسهم على الزمان وعلى الناس فرضا . ان القبر الذي سيحتوي شخصك لن يستأثر بك ، فلك في قلوب الذين يحبونك والذين ينتفعون بأدبك وعلمك ذكر لن يموت الا بموتهـــم ، ولكنهـــم لن يستأثروا بذكــــرك ، وانما ستشاركهم فيه الاجيال التى تبـــقى ما بقى الدهر

◉ وقال **محمد زكي عبد القادر** : ان العالم العربي الذى عرف العقاد أديبا ومفـــكرا ومشاركا أصيلا في كل القضايا والمشكلات التى زحمت هذا العصر بمثل ما لم ترحمه في أى عصر سابق ليشعر بالفراغ الهائل الذى احدثه اختفاؤه وليدرك مدى ما منحه من متعة، ومدى ما أثار له من طريق

◉ وقالت **الدكتورة سهير القلماوي** : ان توقف هذا القلم الجرىء الذى صمد في دنيا الادب خمسين عاما خسارة كبيرة في حياتنا .. انه احساس ، واحســـاس كل قارىء عربي

◉ وقالت **الدكتورة بنت الشــاطىء** : ان العقاد عاش عمره ملء دنيانا . فمن المحزن حقا أن تنشله وقد انطفأت فيه الحياة ، وهو الذى ظل حتى أيامه الاخيرة يناضل في معركة الوجود بسلاحه الذى لم يلقه قط .. بقلمه الذى عاش به وله

◉ وقال **الشاعر العوضي الوكيل** : عرفت العقاد منذ اثنتين وثلاثين سنة الا بضعة أشهر ورأيت العقاد راضيا وثائرا ، وضاحكا وباكيا ، واسمعته وسمعت منه . وما رأيته في ذلك كله الا العظيم العملاق ، والاستاذ البار بتلاميذه . ان العقاد قد فرض نفسه على زمنه ، وعاش شريفا أبيا ، ومات شريفا أبيا ، وجعل للكلمة قيمة وللمتكلم قدرا ومكانة .. ان العقاد لم يمت .. لان المعاني السامية لا تموت

◉ وقال **توفيق الحكيم** : ان موت العقاد خسارة فادحة للادب والفكر المعاصر كله . فالعقاد وهب نفسه وحياته كلها للمعرفة ، وانا اقترح عمل تمثال له في أسوان ، وان يوضع في أهم ميادين المدينة

◉ وقال **يحيى حقي** : يكفي العقاد مجدا انه صاحب مدرسة وأستاذ جيل بأكمله ..

◉ كتب **فريد ابو حديد** في « الثقافة » يقول اننا في حاجة الى الادب الذي يبلور لنا ما نحن في حاجة حقيقية اليه من القيم والمثل العليا ، ولسنا في حاجة الى ما يبلبل افكارنا ويؤدي الى تشتيت عواطفنا وتمييع مقاصدنا في الحياة

◉ بعد صدور العدد الثاني من مجلة « الشعر » كتب **محمد عبد الله السمان** في « الرسالة » أن كمية الشعر الحديث أو الشعر الحر تكاد تطغى على الشعر العربي ، كما انتقد تخصيص ١٦ صفحة لمقال عن قصيدتين من هذا الشعر الحر ، وقال : « اللهم الا اذا كان الافتعال سمة من سمات مجلة الشعر »

◉ كتبت **امينة السعيد** في « حواء » أن حرية المرأة بمعناها الصحيح لا يمكن أن تظهر لمراتها الطيبة من اول جيل ولا ثاني جيل ، بل يجب أن تمضي عليها فترة طويلة كافية تتوارث فيها الحرية من الجدة الى البنت الى الحفيدة

◉ كتب **احمد رشدي صالح** في « أخبار اليوم » عن برتولت بريخت فقال ان تصرفاته بالقاهرة توحي بانه شخصية متعددة الجوانب ، فهو يتمرد على الكنيسة ثم يقول ان أعظم كتاب أثر فيه هو الانجيل ، ثم يسخط على الرومانتيكية ثم يتصرف تصرفات لا تنجو من هذه العاطفية المبيلة

◉ يقول **سعد اردش** في مجلة « الاذاعة والتليفزيون » أن مسرح الجيب في القاهرة يعاني من قلة الكتاب المصريين الذين يمدونه بما يلزم . ولكنه متفائل بعد ان افتتح الموسم بمسرحية توفيق الحكيم « يا طالع الشجرة »

◉ يقول **محمد عبد الفتاح احمد** في مجلة المجلة : ان دور كاتب القصة القصيرة هو أن يحاكي ويصور حدثا لا يشترك فيه . ويكون مخطئا اذا فرض على أشخاص قصته لغتي التي يجب أن يكتب بها . ومن الافضل أن تكون اللغة التي يصوغ بها قصته أقرب الى طبيعة الحدث الذي يصوره

◉ كتب **ابراهيم عيسوي** في الاديب اللبنانية : ان الفنان الاصيل هو الذي يتناول كل ما يدركه باحساسه من مشاكل مجتمعه .. سواء كانت هذه المشاكل مشاكل طبقة خاصة ، أو مشاكل الشعب ، أو قضايا فكرية أو سياسية ..!

◉ عرف **يوسف ادريس** الشخصية المسرحية في مجلة الكاتب ، قال : انها عالم مختلف تماما عن عالم الشخصية الواقعية ، انها كون بذاته ، ليس منتزعا من كوننا الواقع ، ولكنه يوازيه بل وأحيانا يتفوق عليه ..!

◉ يقول **محمد سلمان** في الصياد اللبنانية بمناسبة ذكرى سلامة موسى : ان الاديب الحق لا يموت . فالادب الاصيل هو ذلك المعبر عن طموحات الشعب المرتبط بواقعه وأرضه وناسه . وقد كان سلامة موسى واحدا من الادباء الاصليين الذين التصقوا بالشعب ، وعاشوا حياته ، وكرسوا حياتهم للكتابة له وعنه ..!

◉ كتب **وديع فلسطين** عن المرحوم اسماعيل يقول : انه كان مجددا في كل شيء .. في الفكر ، والعلم والادب والاجتماع ، فهو داعية تجديد متصل .. حتى لقد اختار مجلته « العصور » شعارا من جوهر عقيدته هو « حرر فكرك »

...وأخبارهم

◉ قرر مجلس الفنون في القاهرة اصدار كتاب يضم دراسات في المسرحية اليونانية وشعر الرعاة كان قد ترجمها قبل وفاته ، الدكتور صقر خفاجة من اليونانية الى العربية

◉ في عام ١٩٦٣ زار الجمهورية العربية المتحدة ٧٠ الف امريكي بزيادة قدرها ٢٠ الفا عن سنة ١٩٦٢

◉ تقرر أن تعقد في تونس في اكتوبر من العام الحالي . الحلقة الثانية لابحاث القانون والعلوم السياسية . سيكون موضوع البحث في الحلقة هو « الوضع القول للانهار الدولية في العالم العربي »

◉ سوف يكون الاحتفال بمرور ٥٠ عاما على صدور أول قصة مصرية ، على صورة مهرجان للقصة يشترك فيه القصاصون العرب والاجانب . يقام المهرجان في يولية القادم ، وسيحضره ميخاليل نعيمة وسهيل ادريس وجان بول سارتر وسيمون دى بوفوار والبرتو مورافيا

◉ صدرت للروائى الروسى الاصل فلاديمير نابوكوف رواية جديدة بعنوان « الهدية » ويعتبرها النقاد اروع اعماله بعد « لوليتا »

◉ انتهى الاستاذ عز الدين التنوخي من تحقيق كتاب «وصف المطر والسحاب وما نعته العرب الرواد من البقاع » للامام أبى بكر محمد ابن دريد الازدى . صدر الكتاب عن المجمع العلمى العربى فى دمشق

◉ ترجم عثمان نويه كتاب « العلم والديموقراطية والاسلام » عن الفيلسوف الهندى المعاصر همايون كبير

◉ أعد الاديب الاردني يعقوب العودات المعروف باسم « البدوى الملثم » دراسة شاملة عن المرحوم عيسى اسكندر معلوف

◉ يعد المجمع اللغوى الجزء الاول من « المعجم الكبير » ويضم الاصول التى تفرعت عنها المصطلحات العربية وتاريخها

◉ قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة منح معاش شهرى ثابت الى ثاليتوس اليونانى الاصل وصاحب فكرة مشروع السد العالى ، تمشيا مع سياسة الدولة فى تشجيع أصحاب الافكار

◉ اول مصرية تحصل على درجة الزمالة من كلية الجراحين بلندن هى كريمه حسين لبيب الاستاذة المساعدة بكلية طب الاسنان بجامعة القاهرة

◉ زار القاهرة مدير متاحف بريطانيا حيث قضى اسبوعين شاهد خلالهما المتاحف المصرية ومناطق الآثار القديمة

◉ حمدى حافظ أصدر سفرا ضخما عن « ثورة ٢٣ يوليه » وضمنه مجموعة هامة من الوثائق . قررت كلية التجارة بجامعه عين شمس تدريسه لطلابها

◉ عرض على المايسترو الايطالى شنتارى لوردينو عميد كونسرفتوار بولزانو أن يتولى منصب عميد معهد كونسرفتوار القاهرة ، اشترط قبل القبول أن يقضى شهرا ونصف شهر فى فحص دراسات المعهد ومستوى طلابه من الجنسين

◉ من الموضوعات التى نوقشت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية بحث بعنوان « مراحل القياس فى اللغة العربية» للدكتور عمر فروخ من لبنان ، وآخر بعنوان «السليقة عند العرب المحدثين » لعبد الله كنون المغربى

◉ أصدرت الكويت طابع بريد على صورة عربة رمسيس ودعوة الى انقاذ آثار النوبة

◉ قامت وزارة الثقافة والارشاد القومي ببحث اثبتت أن هناك حاجة ماسة الى ربع مليون جهاز راديو جديد كل عام في الجمهورية العربية المتحدة

◉ تم تشكيل اتحاد الناشرين العرب وسيكون مقره في القاهرة ، ويشرف على نشر الكتاب العربي في جميع أنحاء العالم العربي .. جميع الكتب التي ستصدر في القاهرة ستحمل بيان سعرها بالعملات المتداولة في مختلف الدول العربية

◉ يقوم اللورد كينروس ، أكبر كاتب سياحي في العالم الغربي ، باعداد كتاب عن مصر ، وسوف ينتهي منه في اواخر هذا العام

◉ « عمر بن الخطاب » ملحمة تفرغ لها على أحمد باكثير تقع في ١٧ جزءا وهي دراما نثرية تحتاج الى ٢٠ فصلا ، ولو مثلت لاستغرقت ١٥ ليلة

◉ قررت بلدية صيدا في لبنان تخصيص جائزة مقدارها ٤ آلاف ليرة لاحسن دراسة لصيدا عبر التاريخ

◉ وجهت الدعوة لسارتر وفرانسواساجان لزيارة لبنان

◉ أخيرا كتاب صدر للدكتور راشد البراوي بعنوان « اقتصاديات الوطن العربي »

◉ « رواد الصحافة في الولايات المتحدة » عنوان الكتاب الذي ترجمه أحمد أبو كف عن الانجليزية ، وقد صدر عن دار الكرنك

◉ « أبو الحسن الحصري القيرواني » كتاب أصدرته مكتبة المنار في تونس من تاليف محمد المرزوقي ، والجيلاني بن الحاج يحيى

◉ بدأت الجمهورية العربية المتحدة في الشهر الماضي في تشغيل الفرن الكهربائي الذي تم تركيبه بمبنى المركز القومي للبحوث لانتاج سبائك الصلب التي تتحمل درجات الحرارة والضغوط المرتفعة والتي تستخدم في صناعة أجسام الصواريخ

◉ ٣ أطباء بيطريون من الجمهورية العربية المتحدة طاروا الى جمهورية النيجر ليعملوا هناك مدة سنتين في تنمية الثروة الحيوانية هناك

◉ « تاريخ المسرح » كتاب جديد صدر لاحمد حمروش المدير العام لمؤسسة فنون المسرح والموسيقى

◉ وافق مجلس جامعة القاهرة على اعارة ١١ أستاذا ومدرسا من كليات الاداب والطب والعلوم ودار العلوم والزراعة الى جامعة بغداد

◉ « الفتى مهران » أحدث مسرحية لعبد الرحمن الشرقاوي تقدم على مسرح الحكيم بالقاهرة

◉ الدكتور نجيب محفوظ طبيب النساء والولادة العربي منح عضوية الشرف لنادي الاطباء البريطانيين وهذه اول عضوية لطبيب غير انجليزي في النادي

◉ قررت لجنة تخليد ذكرى الطبيب العربي أنور المفتي ايفاد بعثتين سنويا بوزارتي الصحة والبحث العلمي باسمه ، واقامة تمثال له في حديقة كلية الطب بالقاهرة ، واطلاق اسمه على شارع كبير من شوارع القاهرة

◉ عالم الارواح الدكتور على عبد الجليل راضي يصدر له كتاب عن الوحي ، واتصال النبي بأرواح الموتى ، كما يتضمن الكتاب فصلا عن سر زواج الرسول بالسيدة عائشة

◉ اختار مجلس الفنون والاداب بالقاهرة كلا من الصوفي محيي الدين بن عربي والمؤرخ المقريزي لاحتفال اليونسكو بهما مدة أسبوع عام ١٩٦٥

◉ صدر للعقاد كتاب جديد من سلسلة « المكتبة الثقافية » التي تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتاليف بعنوان « جوائز الادب العالمية ... مثل من جائزة نوبل

◉ قدمت ٦ شركات أمريكية مبلغ ١٠ ملايين دولار الى الجمعية الطبية الامريكية معاونة في الابحاث حول علاقة التدخين بالمرض

◉ ابتداء من يوليو القادم تظهر سلسلة اقرأ التي تصدرها دار المعارف في شكل جديد . السلسلة تصدرها الدار منذ عشرين سنة

◉ ابتداء من هذا الشهر يقيم نادى القصة بالقاهرة ندوة شهرية يحضرها واحد من الادباء الكبار أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم

◉ أحدث كتاب للناقد الدكتور محمد غنيمى هلال يصدر قريبا بعنوان « النماذج الادبية فى الدراسات المقارنة »

◉ ستنشأ مدينة رياضية فى غزة على مساحة ٤٠ فدانا ، سيجرى فيها تكوين الفرق الرياضية استعدادا لدورة طوكيو

◉ « الجديد فى مرض السكر » اول مؤلف طبى عربى من تأليف الدكتور جمال جوردون صدر فى الشهر الماضى . قدم له وراجعه الدكتور أنور المفتى

◉ مؤتمر التليفزيون العربى الثالث سيعقد بالاسكندرية فى سبتمبر المقبل . أرسلت الدعوة لحضور المؤتمر الى ٧٠ محطة تليفزيون بمختلف عواصم العالم

◉ السيدة أم كلثوم ستغنى لكامل الشناوى أغنية جديدة فى ٢٣ يوليو القادم

◉ يصدر لانيس منصور ثلاث كتب . الاول بعنوان « وداعا أيها الملل » والثانى بعنوان « بقايا كل شىء » والثالث بعنوان « قالوا .. »

◉ جوزيف بوليتزر الذى سميت الجائزة الامريكية باسمه زار القاهرة فى الشهر الماضى هو وزوجته

◉ الروائية الامريكية بيرل بك كتبت سيناريو قصتها « المرأة الامبراطورة » التى ستحولها هوليوود الى فيلم يصور فى الشرق الاقصى ، وتبلغ تكاليفه عشرة ملايين جنيه

◉ أول مؤتمر لعلماء المسلمين تشترك فيه ٤٤ دولة من افريقيا وآسيا وأوربا عقد بالقاهرة فى الشهر الماضى

◉ عثر على بعض التوابيت والموميات الاثرية فى صحراء سيوه . يقول الاثريون العرب انه ربما يعلن بعد بحث هذه الكشوفات عن أنباء هامة

◉ وقعت اتفاقية بين الجمهورية العربية المتحدة والارجنتين لدعم العلاقات الثقافية والاجتماعية

◉ ستصدر مجلة نقدية ثقافية على غرار مجلات القصة والمسرح والشعر ...

◉ طه حسين هو المرشح الوحيد لجائزة نوبل للاداب حتى الآن

◉ دكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة السابق عاد للمحاماة ، وهو فى نفس الوقت المستشار الفاز المعارف

◉ مثل الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر اتحاد الجامعيات ببيروت كل من دكتورة سهير القلماوى ، وفتحية سليمان ، ودكتورة سمية فهمى ، وعايدة حلمى السماع ، وامينة محمود الحلفى ، ودكتورة بثينة عبد الحميد ، والاقتصادية علية اسماعيل

◉ صدر للشاعر الفرنسى الكبير سان جون بيرس الحائز على جائزة نوبل ديوان شعر جديد بعنوان « عصافير »

◉ توفيق الحكيم يكتب مسرحية استوحاها من رحلته الى الهند الحالى

◉ هيلين هايز عميدة المسرح فى أمريكا زارت القاهرة فى الشهر الماضى

◉ مات الممثل العربى عبد الفتاح القصرى ، وعمره ٥٨ سنة

..واخبار من ٧٠ سنه

◉ قالت « الهلال » ان هناك اتفاقا غريبا بين الشاعر ملتن الانجليزى صاحب « الفردوس المفقود » و « أبى العلاء المعرى » فى الاراء والافكار وحرية القول ، والغريب من ذلك اتفاقهما بفقد الباصرة وحدة البصيرة

◉ اخترع سليمان أفندى شرقى مساوى الدائرة السنية آلة لترشيح الماء وهى اناء من الحديد ارتفاعه ٤٥ سنتيمترا وقطره ١٥ سنتيمترا ، يدخله الماء المضغط من حنفية فى أسفله وفيه اناء آخر من الخزف المصرى فيرشح اليه الماء صافيا وينفصل منه الى حنفية أخرى . الآلة ترشح ٦٠ رطلا من الماء فى الساعة

● رسم معلم صناعة التصوير بمدرسة الفنون والصنائع صورة لعلي مبارك باشا بحجمه الطبيعي واقفا في غرفة الاستقبال وقد اتكأ على عصاة كأنه يخاطب أحد زواره. وضع الرسم في غرفة الاستقبال بمدرسة دار العلوم

● تقرر أن يعقد في سبتمبر بمدينة جنيف مؤتمر اللغات الشرقية . وافقت الحكومة المصرية على الاشتراك بثلاثة مندوبين ولا تزيد نفقاتهم على ٣٠٠ جنيه

● قررت حكومة الآستانة انشاء مستشفيات لمعالجة داء الكلب، في صنعاء وبغداد ودمشق وأذربيجان ومونستير ، وسيتكلف كل منها ٢ ألف قرش عثماني ، وقدرت نفقاته السنوية بنحو ٣٠ ألف قرش . طالبت مجلة «الهلال» حكومة مصر بأن تقتدي بهذا العمل

● ألف القس جبرائيل قرداحي أستاذ اللغات الشرقية في مدرسة رومية المارونية المعجم السرياني العربي في مجلدين ضخمين عدد صفحاتهما زهاء ١٥٠٠ صفحة كبيرة . وأشار الى الالفاظ الدخيلة في اللغة السريانية حتى تتميز عنها الاصول النقية

● علقت « الهلال » على رد من الاستاذ أحمد وكي بشأن النقد الذي سبق أن وجهته الى كتاب له فقالت انه يسرها أن ترى الكتاب راضين عمن ينتقد كتاباتهم وذلك دليل على سعة صدر المنتقد عليه ، اذ لا يشق النقد الا على قليل البضاعة

● أرجىء افتتاح المعرض الاسكندرى فى يوم ٢٣ ابريل

● كتب بشاره الشدياق من بيروت أنه وجد بالبحث والتدقيق أن المرحوم أحمد فارس الشدياق ولد في عشقوت « لبنان » سنة ١٨٠٤ وان أخاه أسعد لم يكن مضطهدا من أعضاء أسرته حقيقة ولكنهم لم يستطيعوا المجاهرة بالدفاع عنه خوفا من سطوة الحكام المؤيدين للاكليروس

● كتب محمد الهادي بيرم في «المقتطف» أن الرتب العلمية في الدولة العلية كانت وظائف علمية حقيقية ومناصب تدريسية

● قالت «المقتطف» انه لو أنصف الماليون الاوربيون لجازوا الكونت دلسبس على ترعة السويس ولاجتمع أصحاب الأسهم وتنازلوا عن نصف ما يدخل القطر المصري كفارة عن استحلالهم مال الفلاح المصري وعرق جبينه

وما جرى في حفرها من الغش والمنكرات

● طالبت «المقتطف» بتجربة القمح الشامية أو القمح العريضة الآلية بعد أن أدخلت في بلاد أخرى ونجحت حتى أن الامريكيين نقلوها في بلادهم في عهد واشنطن . هذه القمح مركزها جبال الشام وكردستان

● تألفت لجنة طبية برئاسة الدكتور شبلي شميل لجمع شتات الوصفات والتعابير الطبية من جميع البلاد العربية وتبويبها وطبعها، والتي كان يستعملها قدماء المصريون وانتقلت الى اليونانيين وتوسعوا فيها ثم ترجمها العرب وزادوا عليها مما عرفوه بالاختبار

● قال الدكتور كراسو مدير المستشفى العسكري في جنوا انه استعمل روح النعنع استنشاقا في علاج السل الرئوي فوجده مفيدا جدا فتزول الحمى في بضعة أيام ويقل السعال والنفث ويزول باشلس السل بعد مدة تتراوح بين أسبوعين وشهرين

● أعد ثلاثة من كبار الاطباء بتكليف من ديوان الاوقاف المصرية رسالة بالعربية والفرنسية أثبتوا فيها ان مياه عين الصيرة معدنية وأنها مفيدة في حالات التلبك المعوي والاحتقانات الحشرية والدوسنطاريا ، واذا استعملت من الظاهر أفادت في علاج الضعف العام والآلام العصبية والشلل والروماتزم

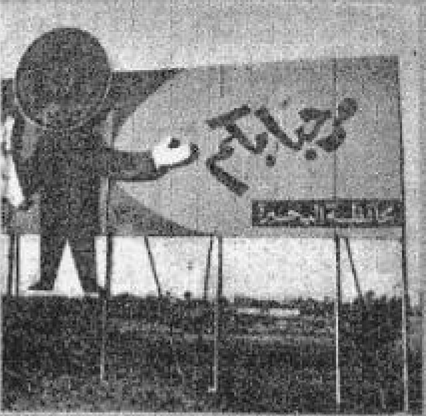
● وضع اقلوديوس افندي يوحنا لبيب المدرس بالمدرسة الاكليركية في القاهرة كتاب « الدروس النحوية في اللغة القبطية » بعد أن اطلع على جميع الكتب الافرنجية التي وضعت في هذه اللغة

● ذهب الماجور كندور الى أن ما اكتشف حديثا في قبرص من الكتابات المكتوبة بالقلم القبرصي غير مؤلفة من حروف هجائية ، بل هي علامات لاصوات عددها ٣٥٠ صوتا وان هذه العلامات وضعت في الاصل لكتابة لغة من اللغات غير الآرية

● ذكرت « المقتطف » أنه اذا قتل ولد أباه في الصين حكم بالقتل على الولد وعلى معلم المدرسة التي تعلم فيها لأنه لم يغرس في ذهنه وجوب الاكرام لوالديه

● ذكرت الاحصائيات أن في الولايات المتحدة ٣١ ألف شخص يملكون نصف ثروة البلاد والباقون وهم ٦٥ مليونا يملكون النصف الباقي

تصوير: شريف ذو الفقار



شاى الساعة الخامسة .. يرفعه اهل دمنهور لاول مرة ، فى الشرفة الجميلة المطلة على البساط الأخضر بنادى دمنهور . . .

"ويك اند" فى الريف

الى سنوات قريبة .. كانت الحياة فى الريف مأساة ..

كان الريف محروما من كل شيء .. وكان الموظف الذى يكتب القدر عليه ان يعمل فى الريف ، كالذى حكم عليه القضاء بأن يدخل السجن

ولاول مرة فى حياتنا ، يتبدل وجه الحياة فى الريف .. فيصبح فيه فندق من الطراز الاول ، وكافتيريا تتولى الخدمة فيها مضيفات جامعيات ، ونادى اجتماعى لا نظير له فى القاهرة ولا فى الاسكندرية ، ونادى خاص بالاطفال ، وحديقة حيوانات، ومسرح للفنون الشعبية ، وستاد رياضى فاخر ، ومركز ثقافى حافل بالكتب والمحاضرات والافلام ، وعمارات جديدة انيقة لمحدودى الدخل .. وكل شيء !

لاول مرة .. نستطيع ان نقضى « ويك اند » فى الريف المصرى .. بلا الم !

لاول مرة .. يستطيع الموظف ان يسكن الريف ، مع زوجته واولاده ، ويستمتعوا بالمدينة المثالية فى قلب الريف

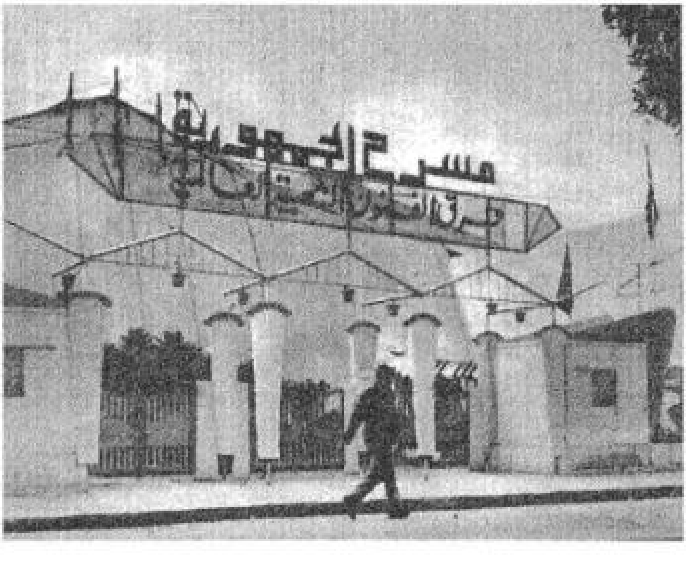
هذه هى المعجزة التى صنعها المحافظ وجيه اباظه فى دمنهور

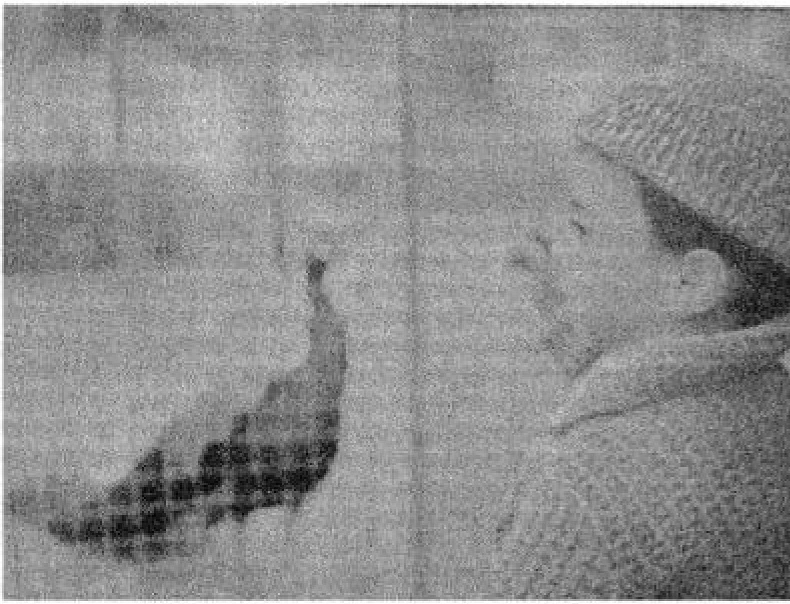


الام الدمنهورية تقول لابنها ان جيلك أسعد حظا من جيلنا ياولدى .. فى طفولتنا ، كانت دمنهور قرية مظلومة .. وفى طفولتك ، اصبح فيها فندق فاخر فيه ٦٠ غرفة ، وكافتيريا ، ومسرح للفنون الشعبية والباليه



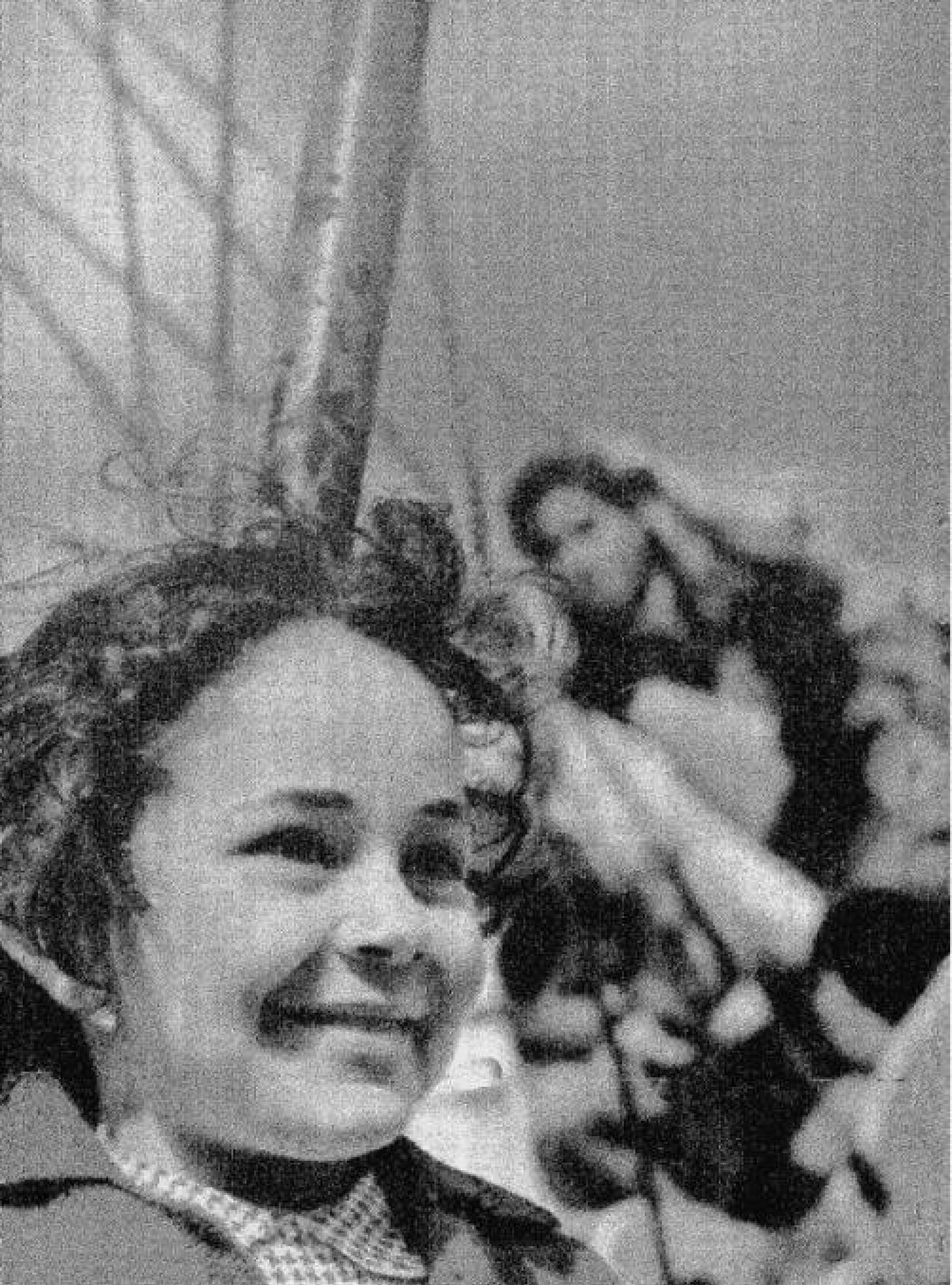






يحق لهذا الدمنهورى الصغير ان يقف مختالا بمدينته ، اختيال الطاووس الذى امامه فى حديقة الحيوانات بدمنهور «الفوق» ... وان يذهب بعد هذا الى كازينو بحيرة البط العائمة « تحت » ... وان يلهو كما تلهو هذه الدمنهورية الصغيرة السعيدة فى نادى الاطفال الملحق بالنادى الاجتماعى ..









في المركز الثقافي . . .
يستطيع جيل الثورة
ان يجد كل مايلذ له من
كتب وصور ومجلات . .
وافلام ومحاضرات . .



لعبة الانزلاق « البايناج » . . . اصبحت الهواية المفضلة للاولاد والبنات في دمنهور .. لاول مرة .

بنات البحيرة .. الفرحة على وجوههن في حديقة النادى ، وهن يتأملن لداتهن في ساعات اللهو بنادى الأطفال ..

ليست هذه الشلة من نادي الجزيرة بالقاهرة ولا من نادي سموحة بالاسكندرية ... إنها [illegible] كل يوم في النادي الاجتماعي



ملائكتنا التي تمشي على الأرض .. في ساعات اللهو والمرح بنادي الأطفال الملحق بالنادي الاجتماعي

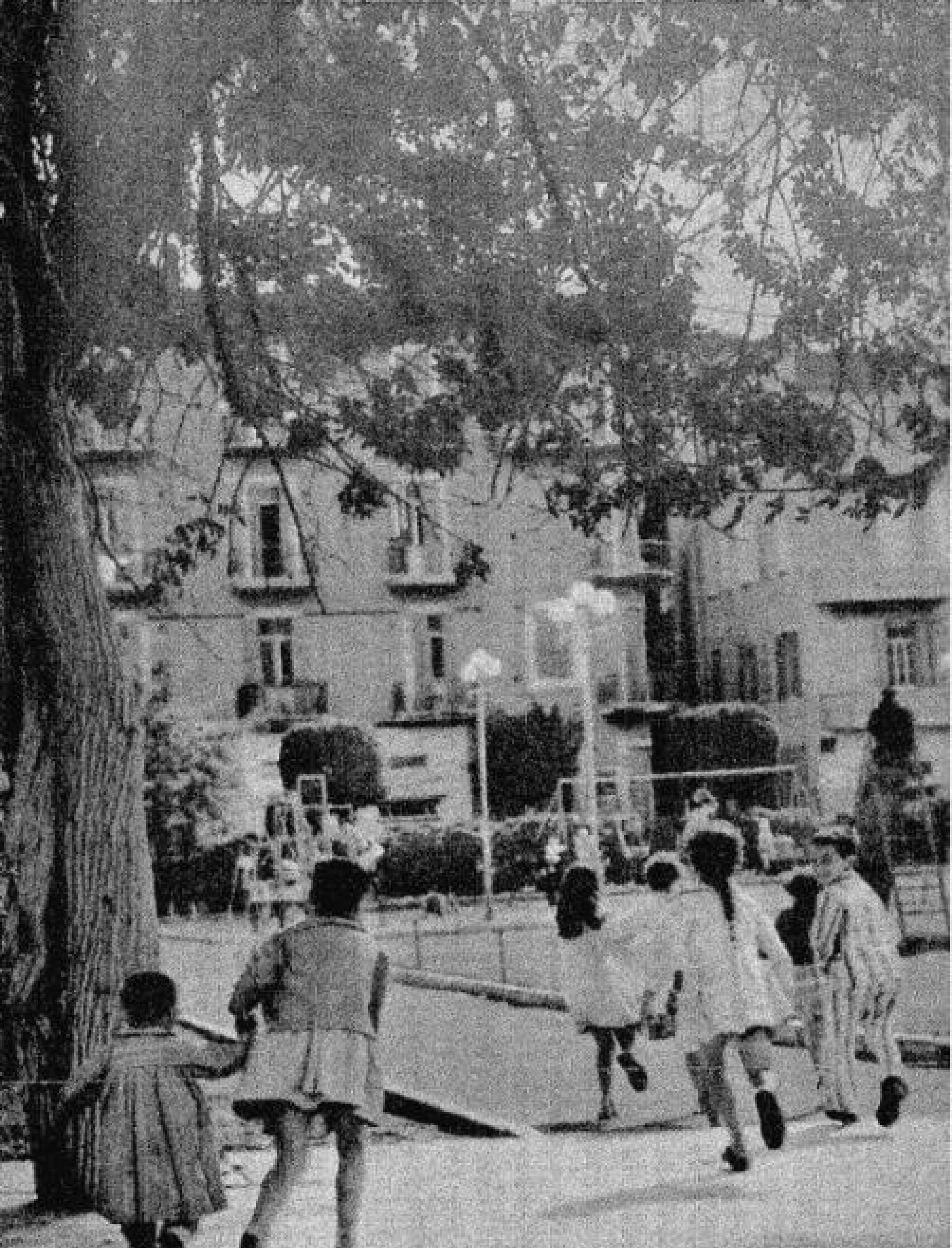


حتى هذا القرد ... في حديقة حيوان دمنهور ... تبدو عليه الفرحة بزواره . .





في فندق دمنهور السياحي الانيق ٦٠ غرفة ، وفي كل غرفة شرفة تستطيع ان تتناول فيها الطعام اذا لم تشأ ان تنزل الى المطعم . . .



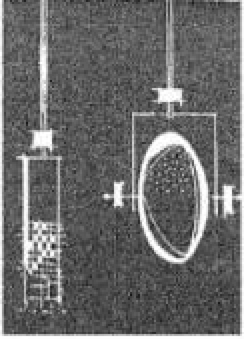


اطفال الشعب ... اذا لم يلعبوا الى النادى الاجتماعى ، فلهم فى الحديقة العامة الواقعةوسط المدينة ملاهى ومراح

وكما استقبلتك محافظة البحيرة عند مدخلها فى أول الويك اند بكلمة «مرحبا بك» ... تودعك عند مخرجها بكلمة «مع السلامة»

ولا تنس بعد عودتك من هناك .. أن تحدث اخوتك الصغار عن نادى الشباب ... الذى يمثل الطابق الارضى فى النادى الاجتماعى .. وفيه كل متعة للشباب ، من العاب وموسيقى . . .





نظمي لوقا :

نقد التليفزيون

من مسرحية تتزاحم على المقام الاول من التقدير من بين الانتاج الذى عرضته الشاشة الصغيرة

واول هذه المسرحيات من غير شك مسرحية «بيجماليون» لكاتبنا النابغ توفيق الحكيم ويحسن مسرح الحكيم صنعا لو عرض ايضا مسرحية بيجماليون الاخرى . تلك التى كتبها جورج برنارد شو . فالمقارنة بين المنهجين والاسلوبين وطريقتي المعالجة ستكون طريفة . وبرداد بروز خصائص كاتبنا المصرى ومدى ما يتمتع به من اصالة . فالحق أن المضمون الفلسفى فى مسرحية الحكيم لايقل فى مستواه عن المضمون الفنى بحال من الاحوال وكان من المشرف لنهضتنا المسرحية بلا جدال أن يوفق هذا الفريق من الشبان كل هذا التوفيق فى ابراز العنصر الدرامى الذى جعل المشكلة الفلسفية تنبض بالحياة على هذه الصورة الرائعة

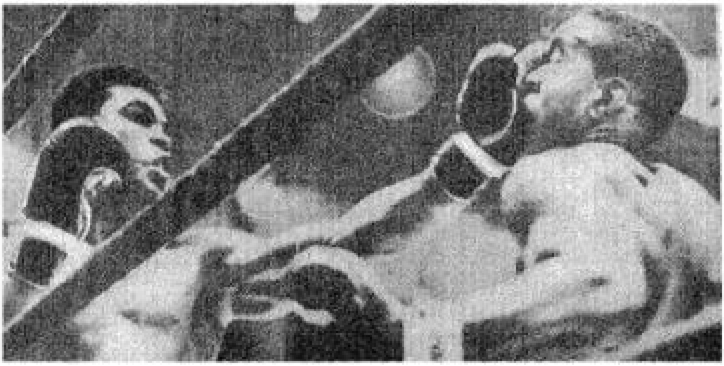
تحية للحكيم . ولمسرح الحكيم بهذا النصر الكبير

***

وعمر آخر احرزته مسرحية فلسفية انسانية اخرى . لكاتب من جيل آخر . ومن طراز آخر . ولكنه ايضا طراز جاد

انها مسرحية « الزلزال » . للأديب الطبيب الدكتور مصطفى محمود . وقد أثارت هذه المسرحية اهتمام الناس حينما نشرها صاحبها فى كتاب مطبوع . وكان لكاتب هذه السطور نصيبه من الكتابة عنها بما هى أهل له من الثناء والتقدير . لابسبب جدية فكرتها .

مباراة كلاى وليستون .. هدية التليفزيون السريعة .. !



وهدفها الانساني فحسب ، بل لتداخل هذا المضمون الفلسفي الانســــاني في نسيجها الدرامي أيضا

وكانت جرأة كبيرة في حد ذاتها ان يقوم المسرح باخراج هذه الرواية العسيرة ، وكان الثناء حقيقا أن يتضاعف بسبب ذلــك الاخراج الجيد ، وبذلك الجهد المبتكر الذي وصل به مهندس الديكور الى التحقيق الواقعي المجسم للزلزال ، ثم بسبب التمثيل الممتاز الذي حلق به الاستاذ « محمد توفيق » في افق رفيع حقا من الابداع

وقد أدهشني أن تتعرض المسرحية لهجوم من جانب أقلام كثيرة في الصحف الســيارة اريد ان احسن الظن ببواعثهـــا ، ولكني لا استطيع ـ للأسف ـ أن أحسن الظــن بأحكامها ، فهذا اللون من الانتاج المسرحي يستحق التأييد ولا يستحق المهاجمة الهدامة لانه لون يغنينا الاستزادة منه تأليفا واخراجا وتمثيلا في غمار الالوان الاخرى الاتـــية متداعية من جميع الوجـــوه

***

وطالما كان الشيء بالشيء يذكر ، وحديث التمثيل يجر بعضه بعضا ، فلنتكلم عــن نوع آخر من التمثيل ليس مسرحيا وان كان تليفزيونيا يلقى « كمية » كبيرة من الاهتمام لدى « كمية كبيرة » من الجمهور المشاهد في البيوت

انها مسلسلة « القط الاسود » التي خلفت مسلسلة « شبكة » العتيدة . الناس كلهم حريصون ـ فيما يظهر ـ على تتبع هذا القط في أشكاله المختلفة ، بعينه الواحدة وعينيه

الاثنين . ولست أحب أن أحسد على الناس لذاتهم . ولكني احب أن نقف قليلا عند « نوع » اللذة التي تتيحها للناس . وأرجو الا يفهم من هذا اني أكن كراهية خاصة للقطط فالحقيقة انه لا اعتراض لي على هذا الحيوان الأليف ، ولكن اعتراضي ينصب على المضمون الفني الذي لاذنب لهذا الحيوان فيه

وشتانَ بين « المضمون الفني » لجيد البرامج الجيدة ـ وان لم تحرز من الاقبال والاهتمام مايقارب القطط السوداء واشباهها من حيث « الكمية » ـ برامج عن الفنون الجميلة تقدم ثقافة فنية طيبة . ومن نماذجها « جولة الكاميرا في مباني الاسكندرية » التي علق عليها رجل من افضل فنانينا وهو الاستاذ « صلاح طاهر » الذي استأثرت به « دار الاوبرا » ولكنها لم تعزله عن الرسم

وكنا نحب أن تكون مثل هذه الجولة الفنية أكثر الفة وأبعد عن الطـــابع الاخباري الخاطف ، حتى تكون فائدة الجمهور من حيث « التذوق » وتنمية ملكة التمييز . ولا سيما أن صلاح طاهر كان من أساتذة كلية الفنون الجميلة الممتازين ، وهو قادر بلاشك عــلى تقديم البرامج في المستوى المنشود

ويجدر بنا أن نشير الى حرص تليفزيوننا على السبق دائما ، وفي مقدمة الميادين التي يحرز فيها السبق بشكل بارز ميدان الرياضة

وكانت هدية جميلة الى محبي رياضة الملاكمة ـ وان لم أكن منهم في الواقع ـ ان يحصل التليفزيون العربي بسرعة فائقة على فيلم مباراة بطولة العــالم بين العملاقين الاسودين كلاي وليستون وان يقدم شرحها والتعليق عليها باللغة العربية .

توفيق الحكيم



دكتور مصطفى محمود





الحاج رضوان

قصة : ابراهيم المصري

عصبي شابا عاطفيا ، مرهف الاحساس ، مشبوب الشعور ، مولعا بالاداب والفنون ، مثال الافكار والنزعات في كر واشتواء وميل شديد الى العزلة ، وكان يحب بنت خالته نجوى ، حبا يقرب من العبادة ، ويشعر انه لو تزوج غيرها او اتصل باية امراة سواها ، فجسده لابد ان يتلوث ، وخياله لابد ان يتحطم ، وحياته كلها لابد ان تنهار ، فنجوى وحدها هي التي كان في





مقدورها ان تجعله سعيدا ، ومن
أجل نجوى وحدها كان يعمل
ويكافح ويتنفس ويعيش ..

اما نجوى فكانت تميل اليه ،
وتقدر اخلاصه وثباته ، وتخالس
يانا فكرة الاقتران به ، ثم تتبرم
بوظيفته الحكومية المتواضعة التى
فاز بها بعد طول عناء ، وتتطلع الى
من هو افضل منه ، وتنزع الى الجاه
والعز وهى تكتم هذه الاهواء جهدها ،
ولمو الحب على محسن ، خشية
ان يتهمها بأنها فتاة مغرضة وضيعة
لا قلب لها

وهكذا اعتقد محسن ان نجوى
تحبه بنفس القوة التى يحبها هو
بها . فعشقها عشقا مبرحا ، واستسلم
لعاطفته ، واطلق العنان لآماله ،
وظل يقتصد ويدخر حتى جمع مهرا
لائقا ثم تقدم الى خاله وطلب فى ثقة
واطمئنان يد نجوى

***

وكان خاله الكاتب فى احدى
الدوائر لم يرزق بولد ذكر . فكان
يحب محسن كأنه ولده . فلما
صارحه الشاب برغبته فى الزواج
من ابنته ، اجابه الرجل فى لهفة الى
سؤله ، وانثنى الى امرأته يزجى
اليها النبأ وهو جذلان

بيد ان الست حليمة كانت لا
تنظر الى محسن بنفس الاعين التى
ينظر اليه بها زوجها . كانت تغار
من محسن لانها لم تعقب ذكرا مثله ،
وكانت لفرط احساسها بنقصها
تشمخ وتستكبر ويعز عليها الا
تزوج ابنتها الوحيدة برجل ميسور
او ثرى ، يرفع من قدرها ، ويرد
اليها اعتبارها فى نظر نفسها

وكانت تعرف من ابنتها انها تحب
مفاتن الحياة ومباهج الدنيا ، وان
عطفها على محسن لن يفقدها ابدا
صوابها ، وانها لن تقبله زوجا الا
اذا يئست من العثور على من هو
افضل منه . فرأت الست حليمة
ان تمالىء زوجها اول الامر على رغبته .
فتظاهرت بالفرح والابتهاج ،
ورحبت بطلب محسن . ثم راغت
من زوجها ، واستمهلت الشاب ،
وماطلته ، وانطلقت توسوس لابنتها
وتجذبها ، وتغريها ، وتحتال عليها ،
وتعدها لزواج آخر كان هو قبلتها
المنشودة وغايتها المثلى

والحق ان نجوى لم تكن على
جهل بتدبير أمها . كانت تعرف من
هو الرجل الذى اختارته الست
حليمة زوجا لها ، ولكن الفتاة كانت
مضطربة وقلقة ، ولا تكاد تعزم حتى
تحجم ، لا تكاد تقبل حتى تنكص ،
وملء نفسها الشفقة على نفسها ،
والشفقة ايضا على محسن الذى تعلم
انه لا يحبها فقط بل يعبدها ..

وظلت تفكر وتتأمل حتى دنت

ساعة الفصل وحزم محسن أمره وطلب يدها . وعندئذ أطبقت عليها أمها ، واحاطتها بشباكها ، وطفقت تصور لها حياة الفقر والشقاء بقرب محسن ، وحياة العز والراحة والنعيم بقرب « الحاج رضوان » الذي اختارته زوجا لها ، والذى لم يعقب من امرأته المتوفاة خلفا ..

ولما صاحت نجوى وهي تكاد تبكى ان محسن شاب فى الثلاثين وان الحاج رضوان شيخ مريض دميم جاوز الستين ، صرخت أمها فى وجهها منتصرة ، وقالت لها ان هذه الشيخوخة بالذات ستكون سبب سعدها ، وان الحاج رضوان الشيخ المريض لا يمكن أن يعيش اكثر من ثلاثة أو اربعة اعوام ، وانها لو تزوجته ثم اعقبت منه خلفا او لم تعقب ، فسترث فيه على كل حال ، وتصبح يوما ثرية ، وتستطيع ان تجدد شبابها وحياتها وتقترن بمحسن أن ظل عزبا ، أو تظفر بمن هو أفضل منه ألف مرة

***

وما زالت بابنتها تحوم حولها ، وتوسوس لها ، وتأكل عقلها ، حتى التهب تصور الفتاة ، وذهبت بلبها أطياف النعيم . فتحولت الست حليمة عندئذ الى زوجها ، وكشرت له عن أنيابها ثم توعدته بأن تجعل من بيته جحيما ان هو اصر على زواج نجوى بمحسن ، وأبى الا أن يكون حظ ابنتها عاثرا كحظها ..

واستنكر الزوج تدبير امرأته وناوءها . ولكن الست حليمة نغصت بالمنازعات حياته . فتخاذل هو الاخر وخضع . فاسرعت هى واتصلت بالعريس المرموق ، ثم أقصت ابنتها عن محسن ، ثم استدعت الشاب اليها ذات صباح ، وصارحته ان الزواج قسمة ونصيب وان لا نصيب له فى نجوى ، وان والدها قد اعتزم ان يكتب كتابها بعد اسبوع على تاجر العطارة المشهور الحاج رضوان ..

وتم زواج نجوى بالشيخ المهدم الدميم المريض . وتمزق فؤاد محسن . تبدد حلمه ، وتحطم أمله ، وثارت ثورته على الفتاة التى موهت عليه الحب وخدعته ثم باعت نفسها بالمال ..

واضطرم سخطه فاوشك أن يبغضها . وجاش حقده فأراد أن يتزوج ليثأر منها . ولكنه كان يحبها حبا طاغيا مستبدا . فلم يستطع ان يبغضها ، ولم يستطع ان يتصور لحظة واحدة ان فى مقدوره ان يصل حياته بحياة امرأة اخرى

وكما يحدث للعصبيين المثاليين فقد تشبث محسن بحب واحد وامرأة واحدة وأبى أن يتزوج ..

***

وطوى محسن نفسه وخياله على الصورة البريئة الاولى التى كان يتمثلها من حبيبته . ثم لاذ بعزلته مكتفيا ببعض الاصفياء من خلانه ، ومغرقا همه وحزنه فى مطالعة القصص وارتياد دور التمثيل والسينما

اما نجوى فقد بدأت حياتها



الجديدة في بيت شائق رائع لم تكن لتحلم به ابدا . فالاثاث الفخم كان يذهلها ، ولهفة الخدم على تلبية رغباتها كانت تطربها ، وشعورها بالسيطرة والتحكم كان يملأ نفسها عزة وكبرا .. غير انها سرعان ما استفاقت وابصرت نفسها أسيرة مكبلة بين ذراعي الشيخ الدميم المريض الحاج رضوان ..

كان الشيخ مصابا بداء الربو وآلام المفاصل والكلى ، فضلا عن لوثة الحيازة وجنون الغيرة

كان يغار على نجوى حتى من خيالها، ويطاردها حتى في فكرها ، ويأبى الا ان يسجن نفسه في البيت ويسجنها مؤكدا لها ان أحب شيء الى قلبه في هذه الدنيا هو أن ينسلخ عن الناس جميعا ويعيش في عزلة معها ..

.. وكان لا يفتأ يحدثها عن امراضه ، ويشرح لها اعراضها ، ويصف وسائل علاجها ، ويطلب الى نجوى ان تتحمس وتشاركه في الاهتمام بها ، كأنما كان يجب عليها ان تكون هي ايضا مريضة تشكو نفس الادواء التي يتألم هو منها .. وكانت تراه يسعل ويتأوه ، ويزفر ويلهث ، ويفزع الى العقاقير ، ويتدثر بالاغطية . فتتذكر آمالها ، وتذكر احلامها ، وتذكر محسن . فتتقد حسرتها ، ويعز عليها شبابها، ويذوب قلبها على ابن عمتها الوفي الذي تنكرت له والذي ما يزال يحبها ويخلص لها .

واحست نجوى انها اداة استغلال ومتعة ، وانها ليست امرأة ولا زوجة بل خادمة وسميرة وممرضة . فبرمت واستنكرت واشمأزت . ولكن أمها كانت تلاحقها ، وتشجعها ، وتمنيها بأن الموت لابد ان يقهر زوجها في القريب العاجل وينقذها

اما الحاج رضوان فكان يحاسن امرأته جهده ، ويلاطفها ما استطاع، ويغدق عليها شتى الهدايا. فاحتملت نجوى شكاياته المتعاقبة ، وأناته المتواصلة ، وجوه الكئيب المذيب ، معللة نفسها بآمال أمها ، ومترقبة وفاة الشيخ بين لحظة واخرى .

ولكن الاعوام مرت بطيئة ثقيلة ولم يمت الحاج رضوان ..

انعشه قرب زوجته الصبية . فاستمد من وجودها أملا ، ومن جمالها عزما ، ومن شبابها قبسا من صحة وقوة . فخففت عليه وطأة ادوائه ، ودبت فيه حيوية طارئة ادهشت الست حليمة ، واذهلت وروعت نجوى

واشتدت غيرته بعودة نشاطه .. فاسرف في احتجاز امرأته في البيت وامعن في حيازتها ، وبات كالبخيل لا يقر له قرار الا اذا عاش في صحبة كنزه ، يتحسسه بيد مرتعشة ،

فيغمر الفرح نفسه،ويشعران صدره قد امتلأ ثقة وطمأنينة وزهوا ..

***

ومرت الاعوام ايضا ولم يمت الحاج رضوان . فحنقت الست حليمة على الشيخ المكابر العنيد ، واستنزلت عليه لعنة الاولياء ، وسرقت « أثره » وحملته الى قراء الطوالع ، عسى أن ينقع واحد منهم غلتها ، فيتنبأ لها بخلاص ابنتها وقرب وفاة الحاج رضوان ...

اما نجوى فقد استسلمت ..

واما محسن فقد ظل فى غضون تلك الاعوام الطويلة عزبا ، وفيا لحبه ، مخلصا لخياله ، يفكر فى حبيبته ، ويعيش منها ولها ، ويحوم احيانا حول بيتها ، ولا يستطيع أن يراها الا اذا اتفق وفتحت نافذة ، أو ظهرت فى شرفة ، او خرجت لزيارة قصيرة فى صحبة زوجها

ولما كان يبصرها اتفاقا فى منزل خاله ، كان يسارقها النظر وهو يختلج. فتتلفت هي اليه ، وتتأمله بعينين شاردتين منطفئتين . فينخلع قلبه ، ويستغرب ما طرأ عليها من تبدل ، ويخيل اليه انه حيال امرأة جديدة لم تتصل به يوما ولم تعرفه ابدا

على أن نجوى كانت تفكر دائما فيه ، بل كانت تشعر بالضيق والحرج والغضب اذا تطلع اليها رجل غيره والقى عليها نظرة تشبه نظرته !..

وكان شعور الضيق والحرج هذا يتمكن منها بوجه خاص بل ويستبد بها كلما التقت بابن أخي زوجها ، الشاب الوسيم جلال

وكان الحاج رضوان يحب جلال هذا ولا يغار منه البتة. ولانه كان يحس ، نظرا لكبره ، انه قد يعجز عن أن يعقب من امرأته خلفا ، فقد كان يحب ابن أخيه حبا شديدا ، ويعامله كأنه ولده ، ويثق فيه الثقة كلها ، ويسمح له وحده أحيانا بدخول بيته ورؤية امرأته

وكان جلال شابا في نحو الخامسة والعشرين ، ذا قامة مديدة ، وعضل مفتول ، وعينين سوداوين واسعتين ضاحكتين فى دهشة وبراءة كعيني طفل .ولكنه كان ماكرا وخبيثا،يصطنع البراءة امام عمه فقط ، ويتحبب اليه جهده ، ويبالغ فى احترامه وتملقه ، ثم يغافله ويغازل نجوى

وكانت نجوى تمج جلال لخبثه، وتكرهه لنفاقه ، ويشتد احساسها بالنفور منه كلما اعرضت عنه مستكبرة ، فتقابلها هو بابتسامته الهادئة الصابرة المليئة بالرثاء عليها، والتهكم بها ، والسخرية من ضعفها وسذاجتها وتحفظها ...

وكانت كلما غازلها جلال فكرت فى محسن ، وكلما استنكرت خبث جلال ذكرت صراحة محسن ، وكلما جزعت من عبث جلال تمثلت استقامة محسن ، ولاذت بطيفه ، واحست انه هو وحده الرجل



الجدير بها ، الخليق بحبهـــا واعجابها ..

وهكذا عاشت نجوى بين ثلاثة رجال:شيخ عليل تحتمله وتمرضه، وشـاب قوى الى حد الوقاحــة تكرهه وترهبه ، وطيف رجل وفى وديع لا تفتأ تتحسر عليه وتذكره

وانقضت اعوام اخر ومات والد نجوى ، مات والدها وبقى زوجها الشيخ الدميم المريض

عمر الحاج رضوان ، وضـمر وجف وتصلب ، وبات وكأنه قطعة متكتلة من خشب مسحور لايقوى عليها الزمن . فاكتأبت الســت حليمة ، ولم تعد تؤمن بالاوليــاء وقراء الطالع ، وتنهدت وتصعبت وسلمت امرها الى الله

اما نجوى فكانت لا تكاد ترفـع البصر الى زوجهـــا حتى ينهشها الغيظ والـــكمد ويغلى الدم فى عروقها . كانت تراه وقـد تخطى الثمانين ما يزال — برغم ادوائه — صلب العود وطيد القدم ، ثم ترى نفسها اليوم بعد عشرين سنة من زواجها ، امرأة جاوزت الاربعين توشك ان تذبل نضرتها ، وتتصوح زهرة شبابها . فيجن جنونهـا . فتندفع الى مخدعها ، وتوصـده عليها ، وتظل تبـكى وهى تضرب صدرها ، وتلطم وجهها ، وتذكر محسن ، وتود لو استطاعت ان تقتل نفسها كى تتخلص من رؤية زوجها ، ومن جلال البغيض الذى يطاردها ، ومن تصور ذاتها امرأة دميمة عجوزا ،ضاع منها الشباب، وفر الحب ، وافلتت الدنيا

***

وتخطفها الرعب الزاخــر بالهواجس والرؤى . فلبثت اشهرا طويلة مسلوبة الحول طائرة اللب، ترقب زوجها ، فلا تلمح فيه غير ضوء الصحة ووقدة العــافية . فتتحول مستهولة الى امها،وتصب عليها جام نقمتها ، ثم يجمح بهـا الكمد فتود أن تنفس عن صدرها برؤية محسن . فتصطدم بعين زوجها الساهرة . فترتد كسيرة ذليلة ، ولا شىء امامها غير جلال ، تبرق ابتسامته البغيضة فى وجهها، وتحوم حولها فى هدوء ، ساخرة صابرة متربصة

***

وفجأة ، وقع الحــادث غير المنتظر ، وانفجر شريان فى صـدر الحاج رضوان ومات

وكان الشـيخ كريما وعارفا بالجميــل فاوصى لامرأته فوقا نصيبها الشرعى فى ثروته بجـزء كبير مما له الحق فى ان يوصى به. فابتهجت الست حليمة ،واسرعت

فأوفت نذورها للأوليـــاء الذين اسـتجابوا لها ۰ وتنفست نجوى الصعداء، وتألقت بغتة وازدهرت، واضفى عليها النصر الفجائى حلة رائعة من جمال ۰

وكانت قد جاوزت الاربعـــين بكثير . فأبت الا ان تثأر لنفسها. فشرعت تتجمـل وتتبرج وتقتحم الدنيـا ، أوفر ما تكون عزما على تجديد شبابها وجمالها وحياتها

وعاد اليها محسن الذى اعتقدت بل آمنت أنه هو وحده الجدير بها ۰ عاد اليهـــا بنفس القلب الوفى ، ونفس الامل الثابت ، ونفس الحب الظامىء العميق. فرحبت به نجوى، ثم قربته ، ثم انعمت النظر فيــه ... وما كادت تتأمله بعينيهـــا الثاقبتين الملهفتين المعتزتين الجديدتين حتى أصابها من فرط التعجب والخيبة شبه ذهول

رأت رجلا فى نحو الخمسين من عمره ، وخط شعره الشـيب ، ضـامر الوجه ، شـاحب اللون ، غائر التقـاطيع ، معتل البـدن ، مهموما ومنطويا ، لايمت بصلة الى محسن الساحر الفاتن القديم ۰ فلم تفكر لحظة فى أنه تعذب بسببها ، وشاخ بسببها، وهرم وهو ينتظرها فبرمت به واشمأزت منه كمـا كانت تشمئز بالامس من زوجها ۰

لم تستطع ان تخطر على بالهـا فكرة الاقتران به . انتفضت وهى تتأمله وظلت ترتعد ...كيف!!.. أممكن هذا ؟! ۰۰ أمجنونة هى ؟ ۰۰ اتعود فتتزوج رجلا كهلا ليتخـذ منها متاعا مغتصبا ، وخادمـــة وسميرة وممرضة ! .. اتعود الى الشكايات ، والانات ، والزفرات ، وقبح الضعف المقزز ، ورائحـــة العقاقير الخانقة ؟! ۰۰ أبدا ۰۰ لا۰۰

لن تنخدع نجوى مرة ثانية ، ولن تموت مرة أخرى . لن تموت وفى وسعها اليوم ان تنطلق وتتمتع وتعيش !

***

وانبثق امامها وعلى الرغم منها طيف جلال . برز اليها الشـاب الذى تكرهه ، الشاب المديد القامة المفتول العضـــل ، ذو البصر الضحاك ، والخلق الرواغ ، والخبث المكين ، والابتســامة الساخرة المريبة . فأحست نجوى فى لذة ودهش انها تكره جـلال وتهابه ، تبغضه وتخاف منه ، تحذره وهى تنجذب اليه ، تصده عامدة وهى تفكر فيه وتتلهف عليه ... اجـل هو الآن فى الثلاثين من عمره فقط. هو اصغر منها وأنضر .. ثم هو يحبها . ثم هو قد ورث فى عمه واصبح غنيا مثلها . فلمـــاذا لا تتزوجه . لماذا لا تقتنصه. لماذا لا تخلبه وتأسره بحرقة أنوثتها ، وعنف جرمانها ، ولوعة انتظارها ، وعزمها الراسخ على الثأر لحظها والتهاب فرصة العمر قبـل ان تفوت ؟ ..

وانصرفت عن محسن واتجهت الى جلال



خشيت ان يكون جـــلال قد غازلها بالامس ليتخـذ منها خليلة فقابلته مكرا بمكر ، واتجهت اليـه فى حرص المراة الحلوة المتلمسة، وفى كبر السيدة الشامخة المترفة، وفى دلال الانثى المتمنعة الراغبة . فضحك جـلال منها فى سريرته ، ولم يستغرب لحظة تصرفها كأنه كان فى صميم نفسه واثقـا كل الثقة من تحولها .. واسرع واقبل عليها مستخفا عقلهـا ، هازئا بالاعيبها ، ساخرا كعـادته من سذاجتها ، قائلا لها فى بساطة وصراحة الا جدوى من اصطناعها المكر والدهاء ، لانه هو نفسه يحبها ، ولا يفكر ابدا فى التغرير بها ، بل يريد ان يصل حياته بحياتها ويتزوجها

وبهتت نجوى وانتشت ، واجابت الشاب الى رغبته ، ولم تعد تسعها الدنيا . فذهل محسن وانسحق كان يسمع بكل هذا ويتفطر . أصابه جحود نجوى فى شغاف قلبه ، ونفذت خستها فى مقتل منه ، واوشكت طعنتها الثانية ان تقضى عليه . فلما حلت ليلة الزفاف لم يستطع ان يشهد حفلة العرس . هام على وجهه فى الشوارع كمخبول ، وكاد ان يسقط صريعا من فرط الحسرة والكمد . بيد انه عندما واجه دماره بعينيه ، ارتد اليه بغتة عقله ، وعزت عليه البقية الباقية من حياته . فاهاب بكرامته وكبره واستجمع قواه وعزم . عزم ان يستأصل نجوى من خياله ، ويجتثها من جسده ، ويطردها ويطرد كل انثى من فكره وقلبه وماضيه ومستقبله . فعاد وانطوى على ذاته وابتعد . حرم على اهله ان يذكروا امامه اسم بنت خاله ، ثم لاذ بعزلته اياما ، ثم تمارض وسافر ، ثم تضجر وقفل راجعا واشتاق الى الحياة . ولكنه ما ان غشى المجتمع واتصل بالناس حتى تساقطت عليه انباء نجوى

***

شقيت المراة فى زواجها الثانى اضعاف ما شقيت فى زواجها الاول . متعها جلال فترة بشبابه، وايقظها والهبها ، وانساها لوعة حرمانها الطويل . ولما تعلقت به ، وضحت بأمها واقصتها عنها من أجله ، اماط عن وجهه اللثام وشرع ينكل بها . حرص على ماله واغترف من مالها هى وطفق يسهر ويعربد وينفق ويبدد ، ويجلب صديقاته الى بيته ، لم يتحرش بامرأته

ويمتهنها ، ويعيرها بكهولتها ، ويضربها امام صديقاته ، وفى نيته ان يعذبها يوما بعد يوم حتى تضيق ذرعا به فتطلب الطلاق ، فيساومها عليه بجزء كبير مما بقى لها من الثروة التى آلت اليها من الحاج رضوان

***

واثلجت هذه الكارثة الثانية صدر محسن . فاشتد حقده ، واشتد بغضه ، وتمنى على الله لن يرى نجوى فقيرة ومعدمة ومشردة كي يفرح فيها ، ويشفى غليله منها ، وينتقم لنفسه مما حل به من عذاب أكثر من عشرين سنة .

وفجاة وقع الحادث المنتظر ، وطلقت نجوى ولما يمض على زواجها غير بضعة اشهر . طلقت بعد ان اطفأ الهم جمالها ، وابرز الفشل الذريع كهولتها ، وابتز جلال مالها ، ولم تعد تملك غير بيت مهدم صغير يأويها وامها ، ولا يغل عليهما الا بشق النفس خبز الكفاف .

وفى ذات مساء ، ومحسن معتكف فى بيته ، دق الباب ، ودخلت عليه نجوى . دخلت ذليلة متهيبة . فنهض نافرا وهم بالخروج . ولكنها اسرعت اليه ، وتشبثت به وارتمت عند قدمية ، وانفجرت بالبكاء . فاستهول الكهل الحاقد وقاحتها ، وهجس فى روعة ان ينقض عليها ويخنقها . غير انه تمالك نفسه واعرض عنها . فلم تتحرك المرأة وظلت تبكى . فلم يتأثر لبكائها ، بل احنقه واثاره وقع نشيجها فانتهرها لتخرج . فرفعت رأسها متوسلة وتعلقت بيديه . فاهتاج وهم بأن يصرخ ويطردها . ولكنه انحنى بالرغم منه عليها . وبالرغم منه ارتجف وهو يحدق فى عينيها . اخذته عيناها فجاة فاختفى من بصره هيكلها . لم يعرفها . لم يرها لم ير الطمع الذى نكرها ، لم ير الغدر الذى شوهها ، لم ير جحودها ولا كهولتها ولاالاثر المحرق الذى تخلف فيها من عبث رجلين بها ، بل راى فقط عمق عينيها .. راى فى ذلك العمق الضبابى الثابت ، حلمه القديم ، وامله العظيم ، وفجر حياته ، ومطلع شبابه ، واول خفقة من خفقات قلبه المطعون . فلم يستطع ان يقهر سحر هذه الرؤيا . لم يستطع أن يضرب . لم يستطع أن يثأر . لم يستطع أن يتصور كيف انه سيقتل ايضا نفسه بنفسه وهو بعد لم يعش . فطاب له ان يولد ، وطاب له ان يبعث ، وطاب له ان يعيش ولو سنة ، ولو شهرا ، ولو يوما . فوضع يده على كتف نجوى وانهضها ، ثم اجلسها ، ثم جلس بغتة تجاهها ، وانطلق يحادثها فى صوت خافت عطوف كليل ، وهو لا يفتأ يحدق الى ذلك الجو الضبابى المشرق الماثل فى عمق عينيها ..

***

وتزوجها وعاشت نجوى بقية شبابها وحياتها تخدم شيخا محطما مريضا شبيها بالحاج رضوان ...

انهم يمشون فى الحوارى والازقة المتفرعة من شارع النجاح . ان شارع النجاح لا يسير فيه الا العمالقة ، انهم شبان وشابات يحاولون ان يكونوا عمالقة ولذلك يحاولون الاقتراب من الشارع الكبير ... انهم لا يزالون على بعد خطوات منه . . .

قصر .. فى شارع النجاح

لعلها تذكر انها كانت وهى طفلة صغيرة تمسك بقلم الحبر من اصابعها الرفيعة لتضع خطوطا على الورق !

وهى لم تكن تعلم ، عندما الحقها مدرس الرسم فى مدرسة النيل الثانوية بجمعية الرسم بالمدرسة ، انه بذلك قد رسم لها خط حياتها !

لكنها كانت تحب الرسم ، وتسمع كلام مدرس الرسم ! ولذلك أصبحت التلميذة **سكينة محمد على** عضوا بالجمعية التى يشرف عليها مدرس الرسم يوسف رافت (الفنان المعروف الآن) !

ومن يومها يصبح الرسم شيئا هاما فى حياة الطفلة .. فهى ترسم على هوامش الكتب ، وتحفر على ادراج التلاميذ ، وتنقش على سور المدرسة ، وتصنع التماثيل من طين الشاطىء كل صيف !

ويعلمها يوسف رافت كيف ترسم بالوان الماء والزيت والجواش والرصاص والفحم .. وتعشق الفنانة الصغيرة العمل الفنى ، ويرقص قلبها وهى ترى أعمالها تعلق على حوائط المدرسة ، لكنها كانت تظن ان مدرسها يجاملها عندما يبدى رأيه فى اعمالها ، وانه لا يقصد سوى تشجيعها ..

الا انها احست بقيمة اعمالها عندما اعجب احد اساتذة المدرسة بلوحة لها من « مولد فينوس » ، فاشتراها بعشرة جنيهات دخلت خزينة النشاط المدرسى !

●●●

ويصبح حلم « سكينة » الوحيد هو كلية الفنون الجميلة ، التى تخرج فيها استاذها !

وعندما يتحقق الحلم ، وتفتح لها الابواب

سكينة محمد على .. أول فتاة عربية تقوم باعمال تصميم وتنفيذ ديكورات المسرح فى بلادنا ... !



شارع النجاح

الحظ سابقا

في الطريق طريق إلى • في الطريق إلى في الطريق

الكلية ، تتمكن سكينة من ان تثبت خلال سنوات دراستها انها جديرة بدخول عالم الفن الواسع ! لتحصل على عشرة جوائز من الاعمال التى تتقدم بها فى المسابقات التى يعلن عنها .. بعضها اعلانات وبعضها اغلفة كتب ولوحات وتصميمات لشهادات

وعندما تصبح الفنانة فى السنة النهائية بالكلية .. تسمع بالمشروع الذى اعده المهندس حسن فتحى لقرية « القرنه » ونال عنه جائزة الدولة التشجيعية ، وتختار سكينه مشروعها للدبلوم عن ديكورات معرض الصناعات الشعبية والبركاندا الذين اضافهما المهندس حسن فتحى فى تصميمه لمشروعه

وتتخرج سكينة لتعمل على الفور فى شركة مصر لغزل ونسيج الحرير .. كان عملها هو تصميم النقوش والاشكال على النسيج والاقمشة ، ولا تزال الاقمشة التى تحمل النقوش والالوان التى اختارتها تباع الى الآن فى الاسواق !

لكن هذا العمل لم يكن يرضى طموح الفنانة الشابة ! فهى ترفضه بسرعة عندما يعلن عن مسابقة لتعيين مصممات ديكور لاوبرا القاهرة ! لتتقدم سكينة على الفور بماكيت لديكور مسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم .. وتنجح .. وتضحى بمرتبها الكبير فى الشركة من اجل العمل الفنى الذى يرضى بعض طموحها !

لكن نجاح سكينة يزعج مصلحة الفنون وقتها .. فان اختيار فتاة لتقوم بهذا العمل القاسى والمرهق شىء غير معقول ، ويصيح الفنان المنفذ الايطالى «بوندبللى» الذى كانت تستعين به الاوبرا فى ذلك الوقت : ان هذا شىء غير طبيعى ، انه ليس فى ايطاليا نفسها فتاة تقوم بهذا العمل !

لكن الفنانة الرقيقة تؤكد لهم انها ستتحمل قسوة العمل

***

ويصبح عليها فى كل رواية جديدة .. ان تقرا المسرحية ، وتجلس مع المخرج لتناقشه .. مرة واثنين وثلاثا .. لتدرس خلالها المسرحية وفلسفة كاتبها وهدفه منها ثم تبدا فى رسم بعض الاسكتشات للديكور وتعرضها على المخرج .. ويتخيلان سويا حركات الممثلين على أساس هذه الاسكتشات ، ويرسمان معا عمليات دخول الممثلين الى خشبة المسرح وخروجهم منها ، ويتصوران ايضا الخدع المسرحية التى يجب أن تراعى فى الديكور ثم عمليات الاضاءة .. وبعدها تستمر فى اكمال التصميمات بناء علىهذه الدراسة !

ثم تبدا مرحلة اخرى فى العمل .. هى تنفيذ هذه التصميمات بناء على مقاييس المسرح ، وهذا يخضع للمسائل الهندسية ، ويتم ذلك بعد اختيار الفنانة للخامات اللازمة .. وهى احيانا تبتكر خامات جديدة لم تستعمل على المسرح من قبل !

وبعدها تبدا فى الاشراف على عمليات النجارة والرسم والاكسسوار والستائر والحديد الذى يتم تصنيعه بناء على التصميمات ، وتراقب عملية تركيب الديكور على المسرح وكيفية استخدامه ، ولابد من حضورها للبروفات ، فكثيرا ما تمنحها حركة الممثل على المسرح ايحاء جديدا تغير من اجله اشياء فى الديكور ..

وتحقق سكينة نجاحا غير متصور ، وتتمكن في خلال خمس سنوات ان تشترك في تصميم وتنفيذ ديكورات جميع الاوبرات الاجنبية التي ظهرت على مسرح الاوبرا خلال هذه الفترة ، وتصميم وتنفيذ مسرحيتي « دائرة الطباشير القوقازية » و « الكراسي » المترجمتين للعربية ، و « القطرنات » و « طعام لكل فم » للتوفيق الحكيم ، و « رحلة خارج السور » لرشاد رشدي و « القرنص » لمحمود السعدني .. وللمسرح الغنائي : « العشرة الطيبة » و « ثورة بلدنا » و « يوم القيامه » واخيرا « مهر العروسة » !

***

ان سكينة محمد علي (٢٧ سنة) هي اول فتاة تقوم بأعمال تصميم وتنفيذ ديكورات المسرح ، لا في بلادنا وحدها .. ولكن في عدد كبير جدا من دول العالم المتمدين ، وهي مشغولة الآن بعمل ديكورات مسرحية « المحاكمة » لكافكا .. وهي تعتقد أن العمل الذي تقدمه في هذه المسرحية سيختصر طريقها نحو شارع النجاح .. لكن امنية واحدة لا يزال طموحها يرجوها .. هي أن تستكمل دراستها في الخارج .. وقد سبق ان دعتها اوبرا باريس للدراسة هناك .. لكن الظروف السياسية ايام ثورة الجزائر حالت دون ذلك .. ترى هل نبخل على هذه الفتاة بتحقيق حلمها الذي سوف يجني ثماره المسرح في بلادنا ..!!

« بعزق » .. بين العرائس والمسرح الغنائي !

أصبح اسمه في الاوساط الفنية « بعزق » !

كلهم يطلقون عليه هذا الاسم .. وراء الكواليس ، وعلى خشبة المسرح .. المخرج والمؤلف . ومدير المسرح وبنات الكوبال والباليه .. أصبح على لسانهم هذا الاسم .. بل ان بعضهم نسي اسمه الحقيقي !

بعزق .. يمثل صورة البطل المصري النشط .. !



و« بعزق » هو الصياد البورسعيدي الاسمر ، النشط المتحرك ، الثائر من اجل عرقه وكده وعرق زملائه الصيادين الذي يشتريه الخواجه الاجنبي « سيمون » بتراب الفلوس !

انه الشخصية المتحركة الثائرة « خفيفة الدم » في اوبريت مهر العروسة .. سيد شعبان (٢٧ سنة)

***

و « بعزق » بدا يخطو خطواته الاولى نحو شارع النجاح ، منذ أن كان طفلا !.. عندما تفتح أدراكه فاكتشف انه يحفظ عددا كبيرا من الموشحات الاندلسية التي كان يرددها والده بمناسبة وبلا مناسبة ، والتي كان يحتفظ بها الاب مسجلة على اسطوانات قديمة في فونوغراف اكثر قدماً ورغم ذلك فان الاب كان حريصا عليها كل الحرص .. ويغلق عليها حجرته ليمنع الابن من الوصول اليها !

الا أن « بعزق » ـ اقصد سيد شعبان ـ كان بطرقه الخاصة يتمكن من فتح حجرة الوالد بعد خروجه !.. ويتسلل بالفونوغراف الكبير القديم والاسطوانات الى اعلى السطوح مع بقية أصدقائه لينشدوا جميعا

لما بدا يتثنى حبي جماله فتنا

ثم تعلو اصواتهم وهم يرددون :

املا لي الاقداح صرفا واسقنيها للصباح

وتصل اصواتهم الى اذن الوالد .. الذي يصعد على الفور ، ليكتشف المؤامرة على السطوح .. الا انه لايثور ولا يغضب فقد اكتشف ان ابنه فنان .. يجيد الغناء ! ويردد التواشيح مثله ، ويحفظ « الواحدة » دون جميع اخوانه الصبيان الذين كانوا يخطئون فيها !

ويسعد الاب بذلك .. ويصبح سيد الصغير هو السامر الوحيد بين حلقات اصدقاء الاب كلما اجتمعوا .. فيشجعونه ويوجهونه .. وتزداد ثقة سيد بنفسه !

***

وفي المدرسة الابتدائية والاعدادية والثانوية يصبح عضوا في فريق التمثيل بالمدرسة .. ويتعلم الحروف الاولى في علم التمثيل من استاذه ابراهيم سكر — المخرج بالمسرح الحر الآن — ويبرز سيد شعبان في المسرحيات العالمية المترجمة ومسرحيات شوقي وعزيز اباظه التي تدخل بها المدرسة مسابقات المناطق التعليمية ، ويحصل على الميدالية الذهبية !

وفي كلية الحقوق .. يكتشف سيد — اقصد بعزق — انه لا يستطيع ان يستمر في الدراسة النظرية .. ويتجاهل احساسه الفني !

وعلى الفور .. يهجر كلية الحقوق ليلتحق بمعهد التربية الموسيقية !

وعندما يعلن عن طلب محركين للعرائس وصانعين لها .. يتقدم سيد شعبان امام الفنان الروسي « فيكتور افاناسف » ليمتحنه ، ويعجب به ، ويتمسك به ليعمل معه .. ويبدأ فعلا في الاشتراك والاعداد لمسرحية الطاحونة المترجمة عن الروسية والتي يستمر عرضها ساعتين ونصف ساعة

لكن طموح الفنان الشاب لا يتوقف .. انه يبحث عن اقصر الطرق الى شارع النجاح .. فعندما يفتتح الكونسرفتوار ابوابه .. يترك معهد التربية الموسيقية وهو طالب في السنة الثالثة ، ويلتحق بالكونسرفتوار ، ويتتلمذ على المرحوم الفنان ابوبكر خيرت ، ومدام « فروزيه » الفرنسية والاستاذ « بوتيوليني » الايطالي والاستاذ « كورودوني » الذي تعتبره جميع الفرق الموسيقية في الاوبرا أبا لها !

***

وتلمع مواهب سيد شعبان بسرعة في الكونسرفتوار .. ويلمح فيه الدكتور خيرت استعدادا كبيرا في الصوت .. ويرشحه لدخول فريق الكورال في الاوبرا .. ويجرى له اساتذة المعهد الى جانب مدير دار الاوبرا امتحانا في طبقات الصوت .. وينجح الفنان الشاب .. ويلتحق بالكورال .. ويشترك معه في جميع مواسم الاوبرا الايطالية والروسية والالمانية واليوجوسلافيه !

وعندما يلتقي بزميله الحفني في دار الاوبرا في اغسطس الماضي تختاره لفريق المسرح الغنائي .. وتقدمه الى سعد اردش وعبد الحليم نويرة فيعجبان به .. ويقع اختيار بليغ حمدي ملحن أوبريت مهر العروسة عليه ليؤدي دور « بعزق » .. ويبرز في الاوبريت من جميع المشتركين فيها .. وبغني نغمة كاتبها عبد الرحمن الخميسي الذي يقرر ان يتبناه فنيا باعتباره يمثل صورة البطل المصري البسيط !

انه سيد شعبان الذي سلك عددا كبيرا من الحواري والازقة المؤدية الى الشارع الكبير ..

مغامرات مصممة أزياء

ادهشت كل النقاد في الشهر الماضي !

لقد اقتحمت **صفيه حمدي** مصممة ازياء أوبريت مهر العروسة على أكثر من مغامرة اختارت لهذه الازياء الوانا جديدة لم تستعمل على المسرح من قبل !. واستخدمت خامات رخيصة تتلاءم مع ملابس الصيادين ابطال الاوبريت وتوفر في النفقات !. وادخلت افكارا جديدة كاستعمال « مناديل الاوية » والشيلان الشعبية و « الترتر » على طرح وجلاليب الصبايا !

ونجحت صفية حمدي في كل مغامراتها ، وادهشت النقاد بجرأتها !



صفية حمدى .. ادهشت
كـل النقـاد .. !

ان صفية حمدى من أسرة فنـانة .. فهي شقيقة الناقد الاديب مرسى سعد الدين والملحن الفنان بليغ حمدى ، ولها شقيقة تجيـد التصـوير لها عشرات اللوحات الممتازة ، اما شقيقها الاصـغر فضابط بالجيش لكنه الناقد الاول لأعمال اخوته ، وهم لا يخرجون هذه الاعمال الى النور قبل ان يبدى ناقدهم الاول رأيه وتعديلاته فى بعض الأحيان !

ومن خـلال احتـرام الوالدين للفن ورعايتهما لهوايات الابناء نشأت صفية ، والتحقت بالمعهد العالى للفنون الطرزية ، وكان الأب يشجعها على التفوق بأن يعدها بالسفر الى الخارج للدراسة ! .. وهو الذى رسم لها خطة دراسة تصميم الازياء .. وعندما تنجح بتفوق وتحصل على دبلوم المعهد .. يتـوفى الأب .. ويتسلم الابن الاكبر الأمانة ، وكان يعمل فى ذلك الوقت وكيلا لمكتب البعثات فى لنـدن .. وعلى الفور يلحقها بمعهد « سانت مارتن » .. وتسافر الفنانة المصرية الى لندن وتتخصص فى تصميم الازياء !

وفى لندن .. تثير صفية اسـاتذتها بتفوقها !.. فتتمكن من انهاء المناهج المخصص لها اربع سنوات فى عامين !.. وتطلق عليها العميدة « مس بمبرتون » لقب « اجيشيان ديور » نسبة الى مصمم الازياء العـالمى كريستيان ديور !.. وتشتهر صـفية بهذا الاسم .. حتى بعـد عودتها الى القاهرة تظل العميدة تراسلها بهذا الاسم ! .

وعـندما يقام فى لنـدن معرض دولى تشترك فيه ١٥ دولة من انحاء العالم بعد عودة صفية الى القاهرة بعامين .. تتقدم العميدة بتصميم لأحد الازياء التى تركتها صفية فى لندن قبل عودتها الى بلادها .. ويفوز هذا التصميم بجائزة المعرض . . وتنشر صحف لنـدن والقاهرة خبر تفوق الفنانة المصرية على دول العالم المشتركة فى المسابقة !

●●●

وفى القاهرة يبدأ نشاط الفنانة المصرية .. فتشترك فى تحرير صـفحات الازياء بمجلة « الجيل » لمدة ثلاث سـنوات . ، وتقدم احاديثها عن الموضـات والازياء فى ركن المرأة باذاعة البرنامج العام ، ويختارونها لتضع تصميمات ازياء اول مهرجان يقام للقطن المصرى ويحقق نجاحا عظيما .. ثم تختارها مصلحة السـياحة لتعد الازياء المصرية التى عرضت بمعرض ليبيا الدولى عام ٥٦ !

وعندما تسـافر صـفية الى الاتحاد السـوفيتى فى أعياد الشباب عام ٥٧ تقدم عدة عروض ازياء فى مسابقة بين الدول المشتركة فى المهرجان .. وتختار تصميماتها الاولى على ١٢ دولة من بينها فرنسـا !

ان رأس صـفية حمدى مزدحم دائما بالافكار الجديدة .. ان هـذه الافـكار تنسـاب بسرعة من عقلها الى القلم الذى تضع به خطوط الازياء على الورق .. ان عشرات من المشروعات تحاول ان تنفذها .. ازياء لفتيات الجامعة .. موضـات مقتبسة من ملابسـنا الشعبية كالملاية اللف والجلباب البلدى .. ادخال الافـكار الفرعونية الى ازيائنا .. استخدام خامات جديدة وأنواع رخيصة من الاقمشـة تحقق اهدافنـا الاشتراكية .. ازياء للمرأة العاملة تساعدها على الحركة ببساطة وسهولة !

أحمد الصاوي محمد

الدراما

في الحرب السرية بين العسكريين!



كان من اهم الاحداث الدولية فى فبراير ١٩٦٤ اختفاء « يورى يوسنكو » مندوب المخابرات السوفييتية والمشرف على اعضاء الوفدالسوفيتى الرسمى لدى مؤتمر نزع السلاح فى جنيف .. والذى كان قطعا رقيبا عليهم ، لانه حائز ثقة تلك الجهة العليا ـ المخابرات ـ التى تقف على جميع الاسرار .. وكان يورى يوسنكو مسجلا بين أعضاء الوفد بصفة « خبير » ..

وكان اختفاؤه نذيرا باشتداد الحرب السرية بين الكتلتين الشرقية والغربية ، واستعار نارها وتلظى وقودها

وهى حرب قد تبدو لاول وهلة حديثة ، فى السنين الاخيرة ، فى حين انها قديمة ، وسنضرب على ذلك مثلا يرجع الى نحو ثلاثين سنة !!!

واذا نحن عدنا للعشرين سنة الاخيرة وجدنا أن المهندس السوفييتى فيكتور كرافشنكو قد طلب فى ربيع ١٩٤٤ حق الالتجاء الى الولايات المتحدة الامريكية ، ونشر بعد عامين مجلدا ضخما عنوانه « اخترت الحرية »

لكن ذلك الرجل كان أول شخص عبر الستار الحديدى .. ثم تبعه بعد ذلك بعشر سنوات « بيوتر درلابين » فى نحو الاربعين من العمر ، وعضو مصلحة الاستعلامات السوفييتية ، وقد فر الى امريكا أيضا » . ثم « الكسندر كزفا تشيف » الدبلوماسى



يورى نوسنكو .. حدث اختفاؤه من فندق ركس بسويسرا ضجة شديدة ..!

السوفييتى الذى لجأ الى السفارة الامريكية فى رانجون التى رحلته الى امريكا ... ثم الكولونيل بافيل مونات ، وهو الملحق العسكرى السابق لبولندا فى كوريا الشمالية الذى غادر بوارسو فى ١٩٥٩ هاربا الى الغرب . ثم الكولونيل جنتر ماليكوفسكى الضابط فى وحدة سياسية خاصة بجيش المانيا الشرقية الذىعبر الستار الحديدى فى عام ١٩٦٠ ـ ثم نجم الرقص فى أوبرا ليننجراد« رودولف نورييف» الذى انتهز فرصة جولة الفرقة فى باريس ، ليطلب فى ١٦ يونيه ١٩٦١ حق الالتجاء الى فرنسا ..

ولايخفى أن عددا منالدبلوماسيين البريطانيين ، قد هرب من بريطانيا الى روسيا ، مثل دونالد ماكلين وزميله بيرجس فى حادثتهما

المشهورة وقد لحقت بالاول زوجته الامريكية المولد وراست معهدا لتعليم الجواسيس السوفيت الذى يكلفون بالتجسس فى الولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا !!

وكان آخر من اتجه الى الكتلة الشرقية ، فى العام الماضى ، من بيروت ، مستر فيلبى مراسل جريدة الاوبزيرفر البريطانية المشهورة . وظلت زوجته تنفى هربه ، وتخشى عليه ان يكون قد اختطف كما كانت تزعم ، ثم مالبثت أن لحقت به هى وطفلتها الى روسيا !..

وكان هرب نوسنكو الذى حدث فى ٤ فبراير ١٩٦٤ كما قلنا اشبه بقنبلة تفجرت وكان لها دوى هائل فى الحرب البوليسية السرية السوفيتية الامريكية ..وهو رجل فى السادسة والثلاثين ، وسيم الطلعة ، انيق البزة ، شديد الصمت ، يحمل جوازا دبلوماسيا اهله للجلوس فى مؤتمر نزع السلاح فى جنيف الى جانب زملائه السوفيت ، وهو فى الحقيقة عضو فى هيئة امن الدولة العظيمة النفوذ فى الاتحاد السوفييتى ، واختياره فى ذلك المؤتمر دليل ساطع على المكانة الرفيعة التى كان يشغلها والمهمة الخطيرة التى كلف بها وهى مراقبة زملائه الروس ، كما انها دليل على احاطته التامة بأسرار نزع السلاح من وجهة نظر موسكو .. كما انها دليل على نهاية الثقة به بحيث كان لا يراقبه احد فى حين يراقب هو الاخرين ، وكان جواز سفره مزودا بكل التميزات اللازمة ليستطيع ان يغير مكانه وينتقل ما شاء بين البلدان فى هدوء وسكون .. وكان له من الشأن والمكانة ما يؤهله لان يحمل الى الامريكان لا مجرد اراء السوفيت فى شئون نزع السلاح وخطط موسكو السرية فى هذا الصدد ، بل وما هو أشد خطرا من ذلك وهو الجهاز السوفيتى الخاص بالتجسس ومقاومة التجسس ..

وهذا هو السبب فى الذعر الذى اصاب المعسكر السوفيتى والاحتجاج الشديد الذى قدمته الحكومة السوفييتية للحكومة السويسرية باعتبارها « المسئولة » أو « المتواطئة » على خطف يورى نوسنكو او اخفائه أو تهريبه !..

وكانت الحلقة الاولى فى تلك الدراما يوم اختفى نوسنكو فى ٤ فبراير ١٩٦٤ من فندق ركس ، بجنيف ، حيث كان ينزل وزملاؤه السوفيت ، وما لبث هؤلاء أن غادروا الفندق فورا ..

ثم كانت الحلقة الثانية يوم ٧ فبراير ، اذ أبلغ الروس البوليس السويسرى رسميا باختفاء يورى نوسنكو ، وطلبوا البحث عنه ، دون ان يقدموا اية بيانات عنه حتى ولا صورته الفوتوغرافية ، وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة اتهم رئيس الوفد السوفيتى السلطات السويسرية بعبارات عنيفة بأنها لا تحمى الدبلوماسيين السوفيت ، وبأنها تسمح على أرضها بنشاط

الجواسيس الاجانب .. ورفضت سويسرا الاحتجاجات السوفيتية بقوة

ثم كانت الحلقة الثالثة يوم ١٠ فبراير عندما اعلنت واشنطون : ان يورى نوسنكو تطلب حق الالتجاء الى الولايات المتحدة الامريكية

ثم كانت الحلقة الرابعة يوم ١٢ فبراير اذ قابل السفير السوفيتى فى واشنطون مستر دين راسك وزير الخارجية الامريكية ، فى حين ظل مؤتمر نزع السلاح بجنيف يوالى عقد جلساته كما لو لم يكن قد وقع شيء ، وكان فى الجلسة المائة والخامسة والستين !! .. ومازال السوفيت يتهمون السويسريين ، ومازال هؤلاء يقولون انهم لم يروا شيئا ولم يسمعوا شيئا ولم يقولوا شيئا !..

ثم كانت الحلقة الخامسة واشتداد التوتر فى جنيف وموسكو وواشنطون جميعا ، واستدعى السيد جروميكو وزير الخارجية السوفيتية مستر فوى كوهلر سفير الولايات المتحدة فى لقاء عاصف ، امتزج فيه الغضب بالابتسام كالسماء التى ترتعد ، وتبرق وتمطر والشمس طالعة !!! .. واحتج السوفييت فى ذلك اللقاء على تصرف حكومة واشنطون فى مسالة نوسنكو ورد السفير الامريكى ردا جافا ، وبعث بتقرير مستعجل وسرى جدا الى حكومته ، وذاع ان حكومة موسكو قد اعتزمت الانسحاب من مؤتمر نزع السلاح !..

ثم كانت الحلقة الاخيرة التى كانت اشبه بالزلزال يوم ظهر بعد ذلك



دين راسك .. قابل السفير السوفيتى ببرود وهدوء اعصاب

يورى نوسنكو فى الولايات المتحدة ، معلنا عزمه الاكيد النهائى على الالتجاء اليها ، والبقاء فيها ، وقطع كل مايربطه ببلاده الاتحاد السوفييتى ، حتى بزوجه وولده ! .. وعقد مؤتمرا صحفيا افاض فيه بهذه الرغبة الحاسمة ، وسمحت له حكومة واشنطون بالبقاء ومنحته هذا الحق . وثارت ثائرة الكرملين على رجل المخابرات الكبير المدلل الذى كان حائزا الثقة العمياء .. ولعل القصة لم تتم فصولا ! ..

ماذا وقع فى باريس ؟!

منذ ٣٤ سنة ، وكنا طلابا ، فى باريس عام ١٩٣٠ ، يوم وقع حادث مشابه لهذا فى قلب العاصمة الفرنسية فروع الناس ، وكان له من الدوى المفزع ما لايقل بحال من الاحوال من حادث هرب يورى **نوسنكو ..**

وكان ذلك على وجه التحديد يوم الاحد ٢٦ يناير سنة ١٩٣٠ اذ كان فراش يعمل فى مستشفى الفرير ـ سان جان دى ديو ـ ويدعى اوجست ستايمتز ، وقد وقف فى الشرفة ينفض سجادة وكانت تطل على شارع روسيليه . والمستشفى المشهور يقع على ناصية هذا الشارع وشارع أودينو . ولهما منفذهما الكبير نحو بولفار الانفاليد وشارع سيفر . وكانت الساعة الحادية عشرة صباحا . وكان مجرد تنفيض الابسطة فى تلك الساعة مخالفة تعاقب عليها الشرطة . ومن عجب أن جنديا كان واقفا هناك ، فى ملتقى الشارعين ، ولم يحرك ساكنا !..

وهذا مما لفت نظر الفراش ، وادهشه .. لكن لاح ان رجل الشرطة كان مركزا كل اهتمامه واتجاهه نحو شارع أودينو !... وكان الفراش قوي الملاحظة شديد التطلع .. فظل فى النافذة يرقب مايجرى ، وعلى ذلك لاحظ وجود سيارة ليموزين رمادية اللون واقفة الى جانب الرصيف ، فى حين كانت هناك سيارة أجرة حمراء واقفة فى منتصف الطريق !. وكان على مقربة السيارة الليموزين يقف رجلان قويان طويلان يرتديان معطفين اصفرين ، وكانا فى نحو الخامسة والاربعين من العمر . ولم يتبين الفراش أوجست ستايمتز وجهيهما تماما . ولكنه لاحظ أنهما كان حليقى الذقن .. وقد روى فيما بعد ما رآه :

« .. بينما كنت مستمرا فى تنفيض السجادة ، لاحظت رجلا متوسط العمر ، يضع معطفا اسود ، وعلى راسه قبعة سوداء ، يتجه من شارع أودينو قادما من جهة بولفار الانفاليد ، وكان وجهه يبدو واضحا فله شارب ولحية سوداوان .. وفى اللحظة التى مر فيها هذا الرجل بقرب السيارة الليموزين الرمادية ، لاح ان الشخصين اللذين كانا هناك ، فى انتظاره ، فاقتربا منه ، ثم سمعت ضجة نقاش ، ثم امسك ذلك الشخصان بالرجل ذى اللحية السوداء من ذراعيه ، الذى جعل يناضل ليتملص منهما ، ثم دفعا به الى السيارة فى غمضة عين ، ومنذ



بداية هذا المشهد، كان رجل الشرطة يقترب منهم ـ دون ان يتدخل !ـ وما ان ضمت السيارة الليموزين الرمادية الرجال الثلاثة حتى قفز هو أيضا بدوره ودخل معهم فيها ، وسارت بهم ، مسرعة من شارع أودينو ، تتبعها السيارة التاكسي الحمراء !.. فلم اشك عندئذ فى اننى شهدت بطريق الصدفة عملية القبض على شخص تطلبه العدالة ، بل اننى ناديت عندئذ على احد رفاقى الذى كان يعمل فى الحجرة المجاورة واهبت به أن يسرع ليرى الشرطة تقبض على متهم !.. فأسرع زميلى الى النافذة لكنه لم يلمح الا التاكسى الاحمر وهو يختفى !.. »

وكان الفراش ستايمتز هذا الراسيا يفهم اللغة الفرنسية بصعوبة ، وقلما يقرا صحف باريس، لكنه بعد بضعة أيام اذ كان ينظر فى واحدة منها ، عرف من أول وهلة فى الصفحة الاولى : الرجل ذا اللحية السوداء !..

كان ذلك الرجل هو الجنرال الكسندر بافلوفيتش كوتيبوف ، رئيس هيئة المحاربين الروس القدماء فى الخارج ، وقد خطفه مجهولون فى عز النهار وفى قلب باريس !!!

وكان الجنرال كوتيبوف قد خلف فى هذا المركز الجنرال رانجل قائد عام الجيش الابيض الروسى الذى اشتهر بمعاركه اليائسة ضد القوات البولشفية فى روسيا . وسرح الجنرال رانجل جنوده بعد ترحيلهم الى الخارج ، محتفظا على اى حال بأركان حربه على أمل ان تسنح فرصة فى المستقبل ليكونوا نواة جيش جديد للتحرير. لذلك لاعجب اذا كان الجنرال الكسندر كوتيبوف هو من دون اللاجئين الروس جميعا الذى يحمل له البلاشفة أشد الحقد والضغينة .. وعلى ذلك ، كانت الشقة المتواضعة التى يشغلها الجنرال مع أسرته فى رقم ٢٦ شارع روسيليه تحت رقابة شديدة من جماعة من الجواسيس ، ينتشرون بعضهم ازاء بعض، البعض فى دكان ، والبعض فى مقهى صغير على ناصية الشارع ، والبعض فى المبنى نفسه حيث استأجروا شقة لجمعية الطلبة السوفيت !!!

ولم يكن الجنرال يستطيع أن يخطو خطوة خارج مسكنه دون أن يتبعه فى العادة تاكسى أصفر يقف دائما على مقربة من البيت، ويقتفى أثره حيثما سار ، رابطا سيره بخطوات الجنرال ، أو بالأتوبيس أو السيارة التى قد يركبها !.. حتى انتهى به الامر أن يعرف بعض هؤلاء الجواسيس ، مثل ذلك الشخص الاعرج الذى يضع على رأسه بيريه، والذى يظل مرابطا قرب المقهى الصغير فى كن ، والذى أفلت من الشرطة فى لحظة .. ولم يكن الجنرال يشد أدنى شك فى الخطر المحدق به على الدوام ، وكان لذلك يتخذ كافة الاحتياطات .. وقد ضرب رفاقه القدامى من حوله نطاقا لحمايته والسهر عليه .. وكانوا يضعون تحت امرته فى كل يوم سيارة أجرة يقودها سائق روسى ، وكان

لايركب سواها ..

ومع ذلكحم القضاء والقدر !..

ففي صباح ذلك الاحد ، قال الجنرال كوتيبوف لزوجته وهو يتناول طعام افطاره انه ينوى الذهاب لحضور القداس فى كنيسة المحاربين الروس القدماء ، بشارع مدموازيل . وخرج من بيتـه فى العاشرة والنصف .. واختفى الى الابد !..

وقلقت زوجته اذ رأته لم يعد للغداء .. وطفقت تستفهم من معارفهم ، فعرفت ان احدا لم يره فى الكنيسة ، ولا عند الاصحاب الذين قد تكون قد عنت له زيارتهم

واخيرا، ابلغوا البوليس فى الساعة الثالثة والنصف مساء ، باختفائه ، وجاء مفتش مباحث فى الساعة السادسة للتحرى . وابدى مع ذلك تشككه الشديد فى أن تكون قد وقعت جريمة ، أو حادث خطف .. واستبعد احتمال ذلك .. فالشرطة قد اعتادت مثل هذا الاختفاء الذى يروع العائلات فى حين يكون الشخص الغائب قد تغدى فى البلد، ونسى أن يبلغ أهله .. بيد ان النهار ولى ، والليل كذلك ، دون أن يعود الجنرال أو يجيء نبأ منه ، أو خبر عنه ، فسلمت السلطات باحتمال خطفه ، واخذوا كافة الاحتياطات اللازمة فى مثل هذه الظروف ، من تبليغ نقط الحدود والموانى والمطارات ، تلغرافيا ، وبعثوا فى كل مكان ، حتى الخارج ، بصورة الجنرال المختفى .. وعهد بالبحث والتحرى الى وكيل ادارة المباحث فى حكمدارية الشرطة ، مسيو «فوبا يديه »» وشهد شهود بأنهم لمحوا الجنرال فى ذلك الصباح وهو يسير فى شارع روسيليه ، واستدار عند شارع سيفر ليبلغ منه بولفار الانفاليد ، حيث توقف ، كأنه كان ينتظر احد الناس .. ثم اختفى أثره !..

وفى غداة اختفاء الجنرال ، وله شانه السياسى الجلى ، ثارت ثائرة الصحافة ، واتهمت الصحف الكبرى الصباحية وصحف المساء صراحة السوفيت بانهم دبروا عملية الخطف هذه .. وزادت عليها الصحف البريطانية الاتهام اذ قالت جريدة «المورننج بوست» يومئذ ان السفارة السوفيتية هى الجهة الوحيدة التى ينبغى أن يبحث فيها عن حل هذا اللغز الخفى !.. واكدت صحيفة « الديلى تلغراف » : ان الجنرال كوتيبوف كان ضحية الفرع الفرنسى للبوليس السياسى السوفيتى . وكانوا يطلقون عليه « التشيكا » .. وانطلقت صحيفة «الرنيسانس » الروسية البيضاء تجمع من جانبها آراء شهود العيان .. هذا فى حين ظل خلال تلك الايام السفير دوفجالسكى معتصما بقصر السفارة بشارع جرنيل ، ورحل للحال السكرتيران الاول والثانى من السفارة الى روسيا .. وكانا من المشتبه فيهما بأنها راسا «التشيكا» الخطيرة، وعمادها فى تدبير الحادث! هذا وان ظل كل مايقال عن خطف الجنرال من قبيل الفرض والرجم بالغيب .. ولم يكن البعض

يستبعدون ان الرجل اختفى لغرض في نفسه ، من قبيل مغامرات الهوى ؛ أو أصابه حادث ما .. الى أن جاءت شهادة فراش المستشفى: ستايمتز : فكانت قنبلة مدوية !.

ومنذئذ اصبحت المسالة واضحة: ان البولشفيك قد خطفوا الجنرال، وصدرت من جميع الجهات صيحات الاستنكار .. وقال كاميل ايمار مدير صحيفة « الليبرتيه » ، للبعض : لقد قابلت الان الرئيس تارديو .. وقد قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع السوفيت ! .

واختفى كل تنازع بين الاحزاب السياسية امام سيل هذا الاحتجاج ، حتى ضم الاشتراكى فروسار صوته الى الاجماع :«انني مازلت لا اصدق ان البلشفيك خطفوا الجنرال .. والا كان ذلك حماقة منهم .. اما اذا كانوا قد خطفوه فعلا فهي اذن فضيحة لم يسبق لها مثيل .. ولا مندوحة من القطيعة ! ..

لكن السوفيت لم يكونوا من الحماقة كما يظن فروسار ، فهم يعلمون ما يصنعون ، اذ يتخلصون من خصم خطير ، مع تقديرهم لكافة العواقب .. ذلك ان التحقيق قد اصطدم منذ بدايته بستار حديدي .. هو بوابة السفارة السوفيتية بشارع جرينل !!

فهناك حرم السفارة ، التى ليست من فرنسا ، بل هي جزء من الارض السوفيتية . واجتياز هذه البوابة بالقوة ، هو اعتداء على الحصانة الدبلوماسية .. التى هي فوق كل



جروميكو .. استدعى السفير الأمريكي .. في لقاء عاصف .. !

عقاب ! . وما كانت حكومة الجمهورية الفرنسية لتريد ذلك ، أو لتستطيع ذلك ! ..

وبناء على ذلك كله ، فان الجنرال كوتيبوف قد ضاع اثره ، واختفى خبره ، ولم يعثر عليه قط ! . ولم يوجه الاتهام الى احد .. ولم يستجوب الثالث دوما الحكومة، كما أعلن .. ولم تقطع فرنسا علاقاتها بالسوفيت . ولم ينتقل السفير دوفجالسكى من مركزه ، بل ظل رابضا كالنمر في سفارته ! ..

ما وراء الستار ؟ !

وعلى ذلك ، فقد حفظت المسالة ، قانونا ، ودفنت في الملفات .. لكن كانت مازالت الدوامات تغلى وتفور من تحت لتحت .. فان أصدقاء الجنرال لم يكتفوا او يقتنعوا بالتحريات الرسمية . وقد ظهر أن عملية الخطف قد نظمها اثنان من منظمة البوليس السياسي السوفيتي

اورلوف ـ ميخايلوف ، والزوجان يانيوفيتش وغيرهم .. وقد اجتذب الجنرال خارج بيته بموعد ضربه له ضابطان روسيان من المفروض انهما وصلا مباشرة من موسكو ليبلغاه معلومات ذات اهمية قصوى! فلما جاء الجنرال ، ولم ير احدا في ركن شارعي سيفروبولفار الانفاليد، ـ حيث ضرب الموعد ـ بعد ما انتظر بضع دقائق ، مر به ، سريعا ، شخص غير معروف ، اخبره في خفاء شديد ان الضابطين لم يتمكنا من الحضور .. وكان ذلك الشخص ، وهو يحدث الجنرال، يستدرجه في نعومة نحو شارع اودينو ، حيث غادره .. وعندئذ لم يسع الجنرال الا ان يتخذ اقرب طريق للعودة الى بيته ـ اى شارع اودينو حتى شارع روسيليه ـ وهناك كان الفخ المنصوب له ، والذى وقع فيه !

ثم ماذا كان بعد ذلك ؟ !

ان الناشر الروسي : بورتزف ، الذي نشر خلاصة تحرياته ، يؤكد ان السيارة الليموزين الرمادية لم تكد تتحرك حتى وضعت العصابة خرقة مبللة بالكلوروفورم على وجه الجنرال . ولكن ماكانوا يجهلونه ، هو أن الجنرال كان مصابا بمرض خطير في القلب ، وان كل مخدر يعرضه للخطر .. وهذا ما حدث فان اضطراب الرجل من حادث خطفه الرهيب زائدا تخديره بالكلوروفورم ، قد اصابا قلبه بما يشبه الصاعقة ، وما لبث رجال العصابة السوفييتية ان راوا انفسهم في مازق ليس له مثيل ، اذ أصبحت غنيمتهم ورهينتهم ليست الا جثة هامدة !!

اجل ! . ان الصيد الثمين قد مات ! . وليس اشد صعوبة من اخفاء جثة .. فضلا عن ان الجنرال قد تخلص بذلك من الاستجواب الذى كان معدا له ، بحيث انهم عندما انبأوا موسكو بما وقع ، مما لم يكن في الحسبان ، أصدرت امرها باخفاء الجثة كيفما كان ! ..

وجاءت سيدة تدعى مدام فلوت تشهد بانها لاحظت يوم الخطف سيارة رمادية تقف قرب كوبرى « الما » .. في زحمة من السيارات . وكان يبدو في داخلها رجلا كالمغمى عليه والى جانبه رجلان يضعان



على وجهه منديلا .. وكان المنديل يخفي ملامح الرجل الغائب عن الرشد . وكان في السيارة ايضا شرطي بملابسه الرسمية . وكانت مدام فلوت تحب التطفل فسألت الشرطي عن ذلك الرجل ، فكان جوابه ، وهو يجاملها :

ـ انه أصيب يا سيدتي في حادث ، وقد دهست ساقاه ، ونحن نشممه الاثير تخفيفا لالامه ! .

ثم فتح الطريق للسيارات ، فاختفت الليموزين الرمادية في غمارها ..

وفي ذلك اليوم نفسه ، كان سائق تاكسي يمر بسيارته بشارع جرينل فلمح سيارة وقفت أمام السفارة السوفيتية ونزل منها ثلاثة رجال .. وكان اثنان منهم يسندان من الابطين رجلا بينهما ، يلوح انه تائه عن الرشد .. وجراه جرا حتى حوش السفارة ، حتى أغلقت وراءهم بوابتها ! ..

وظن سائق التاكسي أن الرجل مخمور ! . ثم تساءل عندما طالع الصحف بعد ذلك اذ لم يكن قد شهد حلقة من جريمة اختفاء الجنرال الكسندر كوتيبوف ! ..

ثم جريمة اخرى ! ..

ولم تقف الحرب السرية عندهذا الحد بين الروس الجدد ـ البولشفيك ـ والروس القدامى ـ البيض ! . فبعد ! ظلت جريمة خطف الجنرال كوتيبوف بغير عقاب ، وظلت اسرارها الفاجعة مغلقة مدى سبع سنوات ، حدث ان اختفى خلفه الجنرال ميلر ، في ظروف مماثلة تماما لما فصلناه ، وكان ميلر هذا قد حل محل كوتيبوف في رياسة المحاربين الروس القدماء ..

ففي ٢٢ سبتمبر من عام ١٩٣٧ ، وفي الساعة العاشرة والنصف صباحا ، جاء الجنرال ميلر كعادته الى مركز الجمعية في شارع الكوليزيه ـ بالشانزليزيه ! .. وعند الظهر ، استدعى مساعده ، الجنرال كوسونسكي ـ وقال له :

ـ عندي موعد في الثانية عشرة والنصف ، وساعود بعده الى المكتب .. ولكن لا تظن انني ساقوم بمغامرة .. واعلم انني اذا لم اعد ، فما عليك الا أن تفتح هذا الخطاب الذي اسلمه لك ، وتقرا ما فيه ! ..

وكانت هذه المهمة جديرة بان تقلق كوسونسكي . لان رئيسه لم يعد الى المكتب . واهمل هو فتح المظروف ، الذي عهدبه اليه !! . ولم يذكره الا في الساعة العاشرة والنصف مساء .. ففتح الخطاب .. لكنه في اللحظة التي كان يطالعه فيه ، كان الذي كتبه قد مات ، وشبع موتا !

في تلك الرسالة قال الجنرال ميلر انه سيصحب الجنرال سكوبلين ـ مدير استعلاماته ـ الى ركن شارعي جاسمان ورانيه ، حيث يقابلان شخصين اسمهما ستروممان وورنر .. « .. هذا الموعد قد رتبه سكوبلين ، وربما كان كمينا .. فمن يدري ؟ ! »

وعلى ذلك ظهر أن حدس الجنرال ميلر كان صادقا ، وانه وقع في كمين ، وان الجنرال سكوبلين قد خانه

وسلمه لاعدائه البلاشفة !!

وذعر الجنرال كوسونسكى من خشية الخيانة واستدعى المساعد الاخر للجنرال ميلر ، وهو الاميرال كدروف ، وقرر الرجلان ان يبعثا بالكولونيل ماتزيلوف للبحث عن الجنرال سكوبلين فى فندق باكس ، بشارع فيكتورهيجو ، الذى ينزل فيه هو وزوجته عادة عندما يجيئا الى باريس من بيتهما الريفى ..

وايقظ ماتزيلوف الجنرال سكوبلين فى الساعة الثانية صباحا ، وجاء به الى شارع كوليزيه حيث كان بانتظارهما كوسونسكى وكدروف ، وفاجآه بالسؤال عن ميلر ؟!

واكد سكوبلين انه لايعرف ! .. وعندئذ اطلعاه على خطاب الجنرال ميلر ، فاضطرب ، وقال انه لم يصحب الجنرال ميلر فى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا لانه فى تلك الساعة كان يتغدى مع زوجته فى مطعم سردتكتى بشارع دى لامبوب ! .

ومع ذلك تقرر ابلاغ الشرطة بلا تأخير ، وفى تلك اللحظة ارتكب الجنرال كوسونسكى الغلطة الثانية والتى لا سبيل الى اصلاحها فى نفس اليوم .. فعندما هم الرجال الثلاثة بالخروج ، اختلى الجنرال كوسونسكى هنيهة فى غرفة اخرى بالاميرال كدروف ليفضى اليه بالشكوك التى تساوره من جهة سكوبلين .. ومع ان هذه الكلمات القليلة لم تستغرق الا بضع لحظات ، لكنها كانت كافية لكى يولى الجنرال سكوبلين فيها الادبار وينزل السلم قفزا ويجرى ويختفى ! . وهكذا اضاعوا الخائن الرئيسى ، والشاهد الوحيد الذى كان يمكنه ان يوجه الشرطة الى اثر خاطفى الجنرال ميلر .. وعرف فيما بعد ان سكوبلين بعد نصف ساعة من هربه توجه الى اصحاب له فى ضاحية نيللى ، واستلف منهم مائتى فرنك ، وبعد ذلك اختفى نهائيا ولم يقف احد له على اثر !!

لكن سكوبلين كان قد ترك رهينة فى ايدى الشرطة وهى زوجته ! .. وكانت تلك الزوجة المغنية نادجدا بلفتزكايا ، وكانت فلاحة من اقليم كورسك خلبت الباب سامعيها الذين لا عداد لهم ، بل وقيصر روسيا نفسه باغانيها الشعبية ..

وضغطت عليها الشرطة بالاسئلة وكانت لا تكاد تتكلم الفرنسية ، واستدعوا مترجما ، واعترفت اخيرا بانها فى يوم اختفاء الجنرال ميلر كانت قد تغدت مع زوجها فى مطعم سردتكتى ، ثم قصدا محل الخياطة كارولين ، ثم الى محطة الشمال لتوديع اصحاب لهما يعودون الى بروكسل . وكان ذلك يتفق وما ادلى به سكوبلين ، لكن التحقيق كشف عن عدم صحته . فان سكوبلين وزوجته قد تناولا فعلا غداءهما بذلك المطعم ، ولكن على عجل ، فلم يستغرق غداؤهما الا عشرين دقيقة ، وغادرا المطعم فى الحادية عشرة والنصف ، قبل الظهر ، مما قد مكن سكوبلين من احتمال الوصول فى الثانية عشرة

والنصف ، في الموعد المشئوم

وشهدت الخيـــاطة كارولين ان ناجدا الفنية هي التى جاءت وحدها اولا ، ثم لم يحضر زوجها ليصحبها الا بعد ذلك بساعة ونصف ساعة . .

وظهر أن اتفاقا تم بين الزوجين على الادلاء بهذه الاقوال ، وان ناجـــدا بلفنـــزكايا هي شريكة في خطف الجنرال ميــلر ، وعلى ذلك القى القبض عليها ، وحوكمت بعدذلك

ولكن ظل التحقيق يتعثر على نحو غريب . . وجاء شاهد يدعى مسيو بيك قال انه رأى عند الظهر الجنرال ميلر ، قرب مترو محطة جاسمان ، يحادث رجلا يلوح انه هو الجنـــرال سكوبلين . . هـــذا في حين كانت السفارة السوفيتية ، وهى غير بعيدة من هذا المكان قد استأجرت بيتا ، لوحظت عربة نقل واقفة أمامه ، وبعد ذلك بساعتين تقريبا ، شـــوهدت سيارة النقل هذه في ميناء الهافر ، أمام الباخرة السوفيتية « ماريا ــ أوليا ــ نوفا » وان البحارة قد نقلوا من السيارة صندوقا كبيرا ثقيلا الى الباخرة ، وكان مثل ذلك العمـــل عادة يعهد به الى حمالى الميناء ! .

وشهد الوكيل البحرى المختص بنقل البضائع من الباخرة الروسية واليها ، ان الأمر قد صدر لهـــا من موسكو بالسفر دون انتظار ممـــا ادهشه ، وفى المساء نفســه فى الثامنة والنصف ، ابحرت الباخرة « ماريا ــ أوليا ــ نوفا » بلا ابطاء ! .

ولاحت هذه الظروف غريبة الى حد أن قوميسير الهافر الخـــاص ــ بالميناء ــ مسيو شوفينو ــ بعث



ستر فيلبى ـ مراسل الاوبزرفر . . آخر من اتجه الى الكتلة الشرقيـة حتى الآن . . .

بذلك الحال تقريرا الى رؤسائه فى باريس . بل قصد باريس شخصيا وقابل مسيـــو مونداتل مراقب عام الامن الوطنى ، لكنه لم يكد يعود الى الهافر حتى جاءه موظف مبعوث من باريس ، قال له :

ــ ليس من مصلحتك هذا التقرير الذى أرسلته . فمن المحرج حقـــا التصدي لذلك فى الوقت الذى جعلت علاقاتنا بالسوفيت تتحسن ! .

ولما اصر مسيـــو شوفينو على تقريره ، ورفض تغييره ، نقل من مركزه نقلا تعسفيا ، فآثر أن يقـــدم استقالته . ثم ابعد من فرنسا كثير من الشهود الروس ذوى الشـــأن الذين كان يمكنهم أن يخـــدموا بشهادتهم العدالة !

ثم كانت المحاكمة . .

وفى هذه الظروف التى اختلطت بها الاغراض والمؤامرات والدسائس والنزعات السياسية ، نظرت محكمة

جنايات السين فى باريس قضية ناجدا بلفتزكايا .. قضية غريبة ، غرابة ماسبقها من تحقيقات.. وكان رئيس المحكمة نفسه ، مسيو دليجورج ، يبدو حائرا .. فقد كان الجميع يدركون أن تلك المراة ذات الثوب الاسود ، وذات الجمال الغريب ، الواقفة فى قفص الاتهام ، ليست الا اداة سطحية فى الجريمة ، وان الجناة الحقيقيين قد هربوا من يد العدالة ..

وحول هؤلاء المتهمين غير المتطورين ، هؤلاء المذنبين الغائبين ، دارت الاسئلة والاجوبة والاتهامات والمرافعات .. وفى فترة خلال المحاكمة ، اغفل الجميع أن التى تحاكم هى زوجة سكوبلين ، التى تنتظر قرار المحلفين فى مصيرها بقلق شديد ..

وكان رئيس المحكمة يوجه اليها من حين الى حين سؤالا ، يترجمه مترجم كيفما كانت الترجمة ، وكانت تجيب بهدوء ، بصوت متزن ، واحيانا بشىء من التهكم !

هل كانت المراة واقفة على مؤامرات زوجها ؟! أن الشهود الروس قد اكدوا ذلك ، دون أن يدلوا ببرهان اكيد .. وقد وجهت المتهمة — عن طريق محاميها — الى احد هؤلاء الشهود سؤالا عما اذا كان يذكر انها انقذت حياة اخوين له ، ضابطين مثله ، فاعترف بأن ذلك حق ! .

وجاء ذكر رجل يدعى الدكتور أوتنجن ، كان يمد سكوبلين وزوجه بالمال ، فهل كان من وكلاء السوفيت السريين ؟! لا احد يدرى ! وقد حدث قبل خطف الجنرال ميلر بيومين ، أن أوتنجن هذا الرجل الغامض قد غادر باريس قاصدا مدينة القدس ، وصحبه الى المحطة سكوبلين وزوجته ناجدا ، وضاع منذئذ اثره ! ..

ترى .. لماذا ترك الجنرال كوسونسكى الجنرال سكوبلين يهرب ويفلت من بين يديه ؟! . ولماذا لم تهتم المباحث الجنائية او أمن الدولة بتقرير قوميسير شرطة ميناء الهافر ؟! . ولماذا اهملت السلطات العسكرية الروسية تقرير الكولونيل فدوسنكو الذى جاءهم من فترة قبل ذلك من الوقت وفيه انه علم من مصدر سوفيتى ان سكوبلين يخدع الجنرال ميلر ويبيت له الغدر والخيانة ؟! .

اسئلة عديدة ظلت حائرة بلاجواب!

وقد حفلت المحاكمة بالمفاجآت المدهشة والاصطدامات الفاجعة .

وجدنا مسيو موندانل — مراقب عام الامن الوطنى — يؤكد انه لايذكر شيئا من تقرير الهافر ، او سيارة النقل ، والاجراءات التى اقترحت يومئذ ! . ذلك أن الاستاذ ريبيه المحامى عن المدعين بالحق المدنى — قد أعلن انه عقب تقرير مسيو شوفينو — قررت الحكومة ان تبعث بطراد حربى لمطاردة الباخرة السوفيتية ماريا — اوليا — نوفال لتحملها بالراديو على العودة الى ميناء الهافر .. لكن بناء على طلب سفير روسيا السوفيتية — بوتمكين — الح وزير العدل على وزير

الداخليـــة ــ ماركس دورموى ــ للعدول عن ذلك .. واستدعى وزير الداخلية هذا للشهـــادة ، فرفض الحضـــور امام المحكمـــة متذرعا بحصانته البرلمانية ! ..

وانتهت القضيـــــة فى الفوضى والارتباك . وحاول احـــد محامى المتهمة ــ الاستاذ شواب ــ ان يجلو صفحة السوفيت اكثر من ان يدافع عن موكلته !! وحاول الثانى ــ الاستاذ فيلونتكو ــ بلهجته الروسية البحتة ــ أن يختم مرافعته بخـــلاصة ان الجنرال ميلر قد اختطفه الشيوعيون الاسبان !

ومن المحتمل ان هاتين المرافعتين قد أثرتا تأثيرا سيئا فى المحلفـــين الفرنـــسيين . وانهم ارادوا بالحـــكم القاسى الذى اصدروه ان يعبروا عن استنكارهم لارتكاب جريمـــة خطف كهذه فى قلب باريس ، وانهم يعرفون المتهمين الذين هربوا من ســـاحة القضاء .. هذا مع ان ناجدا بلفتزكايا المتهمة الوحيدة أمامهم بتهمـــة الاشتراك فى الجريمة ، كانت تهمتها محصورة فى عملية الخطف واستعمال العنف ، لان القتل لم يثبت بالطبع

اترى ناجدا هذه كانت مذنبة ؟! وهل كانت مشتركة فعلا فى الجريمة؟ أو انها كانت مجرد زوجة متفانية فى زوجها الذى هجرها بنذالة وجبن ، ومازالت مع ذلك تحاول أن تنقـــذ سمعته من الوحل ؟!

من ذا الذى يدرى ؟!

وهذه المرأة الجميلة ، المغنيـــة ذات الصوت الحنون الشجى ، التى سلطت عليها يوما الاضواء فى اعظـــم مسارح بطرسبرج ، امام النبـــلاء والوجهاء فى اطار من الفخامة والبذخ يبهر الابصار ، هاهى ذى الآن بعد حـــرب ١٩١٤ قد هـــربت الى وارســـو .. وكانت اغانيهـــــا الشعبية المؤثرة تفعل فى القلوب فعل السحر ومواطنـــوها من حولها يذرفون الدموع وهم يسمعونها تغنى أغنية الحنـــين الى الوطن : « آه يا روسيا .. لقد غمرتك الثـــلوج ودفنتك تحتها ! »

ثم كان الختام ..

وهاهى ذى فى ثوبها الاســـــود القاتم ، شاحبة اللون ، مرتجفـــة ، منطوية ، منحنية تحت اثقال الماضى ، وخشية الحكم الصـــارم الذى ما لبث أن صدر عليهـــا بالسجن عشرين عاما .. أى بالحيلولة دونها ، بقية عمرها ، ودون عالم الاحياء !

هذا هو السبب

ارسل احدهم قصيدة رديئة جدا لمجلة أدبية ، وعنوان القصيدة : « لماذا لم ازل على قيد الحياة ؟ » .. فردها رئيس التحرير الى صاحبها ومعها هذا التعليق :

ــ انك لم تزل على قيد الحياة لانك لم تحضر الينا هذه القصـــيدة بنفسك !

أخبار الموضة

نحن معك ..!

عندما يأتي الربيع تصبحين في حيرة شديدة ..

والسبب في ذلك انك تجدين نفسك امام تشكيلة كبيرة من الفساتين والانسمبلات والتاييرات التي تنافس ألوانها وأشكالها شمس الربيع ودفئه

ونحن نقف دائما معك . ان مندوبي « الهلال » في كل عواصم الدنيا يهاجمون اباطرة الموضة ، ويستولون على اسرار التصميمات ليقدموها لك هدية تناسب جمالك وقوامك واناقتك وبساطتك

تعالي معي ، وسوف تجدين على هذه الصفحات مجموعة جميلة للصباح والمساء .. لريح بالك ، وتجعل منك انيقة وجميلة ..

الى هذه الأشكال .. الساس من الجرسيه الكحلي .. وتحلى فتحة الرقبة والأكمام والوسط بأشرطة من الجرسيه الأبيض والأحمر .. انك ستشعرين وانت تلبسيه بحيوية الشباب ..





وهذا الاسابيل من الجرسيه الاخضر الفاتح .. ويمتاز بان الصدر والاكمام من الجرسيه المقلم اخضر في ابيض . ان الربيع يتمثل فيه بحق . . .



والفستان الذي تلبسه هذه الفتاة الانيقة من الجرسيه الاسود . الصدر والاكمام من نفس القماش ولكن اللون مختلف انه لون اصفر زاهي . . .

الى اليمين فستان من الجرسيه البرتقالي ، ومقلم
بالابيض ، والى اليسار فستان احمر ، ولكنه مقلم
بالالوان الثلاثة البيج ، والابيض ، والبني ...



الى اليسار جونللس
الجرسيه الابيض ،
وجاكيت مقلم بالابيض
والاحمر والكحلي .
واكمامه كحلي سادة .
والى اليمين فستان
بدون اكمام من الجرسيه
الابيض المقلم بالاحمر





فستان من الجرسيه
بوسط عال ، الصدر احمر ،
والجونلة كحلى . ويلبس
مع حزام رفيع كحلى ...

فستان من الجرسيه الكحلى بدون وسط ، محلى على الجنب بيانة بمبى واخضر ،
اما الفستان الاخر فهو من الجرسيه الاحمر بدون وسط ايضا ! ...









فستان أبيض يصلح للفتيات الصغيرات ، من الجورسيه الأبيض ويحلى الصدر بالوكال الأزرق والكحلي .

ثلاثة فساتين تصلح للسهرة [illegible] الأول [illegible] أحمر وكحلي والثاني أحمر وأبيض ، والثالث بالكلام تزينه كحلي وأخضر

ضحكات العالم في شهر



الاستعمار لاسرائيل .. خطوة .. بخطوة .. !

4

يقدمها : صاروخان



فى الطريق الى الامم المتحدة ..! - زيوريخ

اعتراف فرنسا بالصين

كما تراه بكين — كما تراه باريس





الزوجة الخادمة ـ
من هنا ورايح
تقدمي الأكل
لجوزي من على
شماله ... !
باريس



« الرجل الذي
تسلق جبال
الهيمالايا »
ـ انا موش ح اطلع
الا لما تصلحوا
الاسانسير !
المانيا

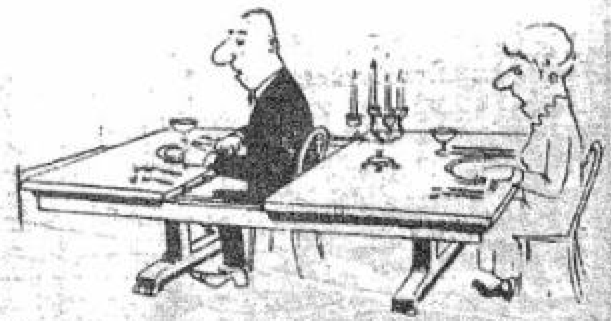


ـ اختى ٠٠خطيبك الثانى وصل ٠٠ !
لندن



الـزوجة ـ انا رايحة السوق ٠٠ ممكن تفكلى الجنيه ده بورقتين من ام خمسة جنيه ٠٠ !!
سويسرا

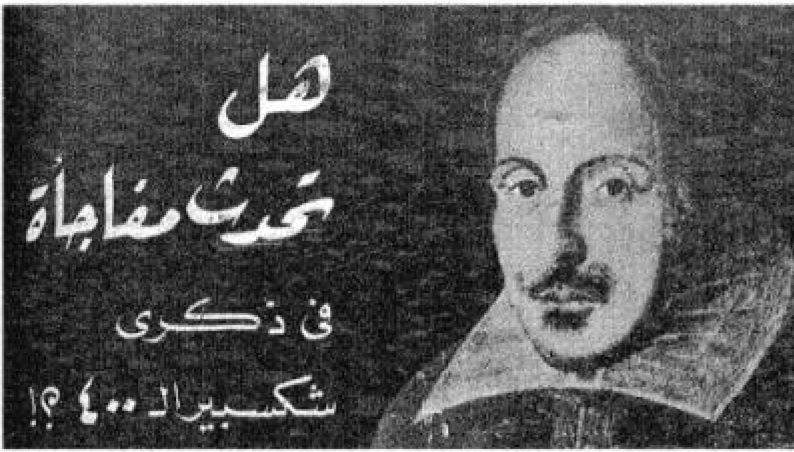
- انت لسه زعلان منى يا حبيبى ..؟! النهسه



نهاية الاستعمار فى افريقيا .. ! المانيا



حبيب جاماتي :



١٥٦٤ – ١٩٦٤ . أربعمائة سنة انقضت على مولد هذا العبقرى الذى أنجبته انجلترا .. ولايزال الجدل قائما حول شخصيته ، وحول مؤلفاته التى سحر بها العالم . وفى هذا الشهر سيبدأ الاحتفال به انجلترا فى مهرجان ادبى فنى .. يستمر طول العام ، هل سيكتشف اللغز ، وينتهى الخلاف حول شخصية الرائد فى ستراتفورد منذ أربعة قرون ؟!.

فى ابريل الحالى ، وفى مدينة ستراتفورد – اون – آفون يبدأ مهرجان ادبى وفنى ، تمتد حلقاته على مدى الاسابيع والاشهر الباقية من عام ١٩٦٤ ، بمناسبة انقضاء اربعمائة سنة على مولد وليم شيكسبير شاعر الانجليز الاكبر ، فى تلك البلدة التى تضم ايضا قبره وقبر زوجته

والمهرجان لن ينحصر فى حدود انجلترا ، وطن الشاعر ، بل يتعداها الى بلدان كثيرة من بلدان العالم ، حيث للادب والشعر والمسرح والنبوغ أنصار ذواقون واعوان متحمسون . فالعبقرية الفكرية مقدر لها ، منذ القدم ، الا تكون ملكا لشعب او وقفا على

جماعة بل مشاعا بين الشعوب ومنارة للبشرية باسرها !
وفى الوقت الذى يحتفل فيه العالم بذكرى وليم شيكسبير ، ويعلو فيه اسمه على كل الاسماء ، تطفو على صفحة الاذهان من جديد ، وتطوف على الالسنة ، وتطرق الاسماع ، تلك الاشاعات والاقاويل ، التى طالما شغلت بال المؤرخين، وتناولها جدل الناقدين، او تسلى بها جمهور القارئين ، منذ اكثر من مائة عام ، حول شخصية الرجل الراقد فى ستراتفورد ـ أون ـ افون منذ اربعة قرون ، وحول الروائع التى تركها للقراء والمشاهدين والمستمعين ، ارثا خالدا لا يفنى !

الاشاعات والاقاويل تحمل على التساؤل «من هو شيكسبير ؟ وهل شيكسبير هو شيكسبير ؟ وهل مؤلفات شيكسبير كتبها شيكسبير؟ أو وضعها شخص آخر ورضى ، لسبب او لاسباب ، أن تنسب الى شيكسبير ؟ ومن هو ذلك العبقرى المتخفى الذى تنازل مختارا ومتعمدا عن الشهرة والمجد ، لكى يختلسهما منه رجل مجهول فيصبح اسمه علما خفاقا على مر الاجيال ؟ »

هذه هى الاسئلة التى توحى بها الاشاعات والاقاويل . ولن يقضى نهائيا على الاقاويل والاشاعات الا بعد ان يجىء الجواب الشاق على الاسئلة ، مدعما بالادلة المقنعة ، والبراهين الدامغة !

ويبدو أن هذا ما تنوى الهيئات الادبية القائمة بأمر المهرجان الشيكسبيرى ، فى انجلترا وخارجها ، ان تسعى اليه وتحققه فى خلال هذا العام

***

فى وسعنا اليوم أن نسترد حياة شيكسبير ، بشىء من الدقة والتفصيل ، اعتمادا على القواميس والكتب التى تعالج تاريخ الادب الانجليزى ، والتى جاء ما دون فيها نتيجة بحث وتمحيص طويلين ، مما يساعدنا على أن نلم الماما كافيا بأنواع النشاط التى مارسها الرجل فى شبابه وكهولته . ونكتفى هنا بالتلخيص ..

فى ٢٣ ابريل سنة ١٥٦٤ ، تقيد فى سجل كنيسة الثالوث ببلدة ستراتفورد تعميد الطفل جوليلموس جوهانس شيكسبير ، بعد ثلاثة ايام من مولده . وكانت الاسماء تقيد فى سجلات الكنائس باللفظ اللاتينى الاصيل . وفى ٢٥ ابريل سنة ١٦١٦ ، تقيدت فى سجل الكنيسة نفسها الصلاة على جثمانه ، وذلك بعد وفاته بيومين وعلى هذا يكون وليم شيكسبير قد ولد فى ٢٣ ابريل ، ومات فى ٢٣ ابريل أيضا ، وعاش ٥٢ سنة !

واسم شيكسبير بالانجليزية والاحرف اللاتينية يكتب على بضعة اشكال . وقد احصى « برنارد لو » تسعة اشكال لكتابة اسم الشاعر

كان جوهانس ـ أو جون

شيكسبير ابة لسبعة ابناء ، مات معظمهم فى سن الطفولة والشباب.

وكان الرجل ميسورا فارسل ابناءه الى مدرسة البلدة . ومات فى سنة ١٦٠١ ولحقت به زوجته فى سنة ١٦٠٨ . اما وليم ، وهو اكبر اخوته سنا ، فقد تزوج فى ٢٧ نوفمبر ١٥٨٢ وهو فى الثامنة عشرة من العمر . وكانت زوجته ـ واسمها آن هاثاوى ـ تكبره بثمانية اعوام . وقد رزق منها ، بعد عقد الزواج بستةاشهر ، بنتا سميت « سوزانا » ثم توامين ذكرا وانثى ، اطلق على الاول اسم « هملت » وعلى الثانية اسم « جوديث »

فى سنة ١٥٨٥ ، وهى السنة التى ولد فيها التوامان ، رحل وليم شيكسبير عن بلدته خلسة . والمظنون انه فعل ذلك على اثر حادث مد فيه وليم يده الى مال الغير ، فآثر ان يبتعد عن الانظار

***

ذهب إلى لندن ، حيث عرف التشرد والفاقة ، واضطر ، لكى يحصل على قوته ان يحرس الخيل على ابواب المسارح ، فكانت هذه اول صلة بينه وبين دور التمثيل ، التى سيطرت عليها فيما بعد مؤلفاته الرائعة !

ثم سايره الحظ وساعدته الظروف ، فالتحق ، بفضل اثنين من ابناء بلدته ، بفرقة الكونت ليستر التمثيلية ، الحائزة على

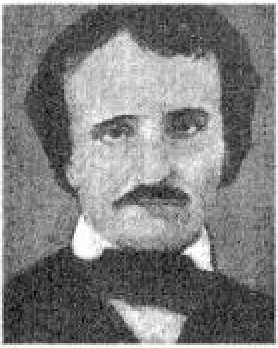


السير لورانس اوليفييه اعظم من مثل روايات شيكسبير لم يعترف به

رعاية الملكة اليزابيث . فاصبح حارس الخيل ممثلا ، ثم انصرف الى التاليف ، واصبح شريكا فى احدى دور التمثيل ، فتعدد نشاطه وتشعب : كان يمثل ، وكان يؤلف المسرحيات ، وكان يتولى ادارة الفرقة ، ثم شعر بميل الى الصفقات التجارية وتسليف النقود وشراء الارض والعقار ، فتدفق المال بين يديه !

***

ثم هجر وليم شيكسبير التمثيل وانقطع عن التاليف بعد أن ظل ربع قرن يواجه النجاح ويتلقى التهانىء، من ١٥٨٨ الى ١٦١٢ وهى المدة التى ظهرت خلالها مسرحياته الكثيرة . وعاش سنواته الاخيرة فى شبه عزلة عن الناس ، فى بلدته التى احبها ، والتى مات فيها بدون ان يأسف على هجر لندن ، والابتعاد عن الجو الصاخب الذى عاش فيه ، وحرمان نفسه من



ادجار الن بو .. اكد ان هناك ما يدل على ان شيكسبير ليس كاتب مسرحياته .



السر فرانسس بيكون .. نسبت اليه المسرحيات التى تحمل اسم شيكسبير

الجمهور وثناء المعجبين

ماتت زوجته بعده بسبعة اعوام .. وانقرضت سلالته بسرعة بموت ابنه وابنتيه واحفاده

***

لسنا هنا فى مجال تحليل مؤلفات شيكسبير ، ولا حتى فى مجال سردها بترتيب ظهورها ، والاشارة الى ما لقيته مسرحياته من نجاح ، الواحدة بعد الاخرى . ولكن الموضوع الذى يهمنا ، بعد هذا العرض السريع ، هو ما وصفناه بانه اشاعات واقوال ، حول شخصية وليم شيكسبير والتساؤل عما اذا كان هو صاحب المسرحيات أم غيره !

متى بدأ التشكك فى نسبة مؤلفات شيكسبير للشاعر الذى يحمل هذا الاسم ؟ ومن هم الذين روجوا لهذه الاشاعة وحاكوا حولها الاقاويل ؟

فى عام ١٧٦٩ كتب هربرت لورانس الانجليزى يقول :

ان مسرحيات شيكسبير منسوبة الى رجل ليس هو كاتبها ..

وفى سنة ١٨٤٠ ، اشار ادجار الن بو ، فى كتاباته عن الرموز وطريقة حلها ، الى ان هناك ما يدل على ان شيكسبير ليس كاتب المسرحيات التى تحمل اسمه ...

وفى سنة ١٨٤٨ ، كتب هارت ، قنصل امريكا فى مكسيكو ، ينسب الى فرنسيس باكون المسرحيات التى تحمل اسم شيكسبير ..

ونسج على منوال هؤلاء بالادينو الايطالى ، وكالفن هوفمان الناقد الامريكى ، وادوين الانجليزى ، واخيرا المؤرخ تريفور روبير الانجليزى والممثل لورانس أوليفييه الانجليزى ايضا ، والذى اشتهر فى دنيا الفن بتمثيل معظم الادوار التى رسمها وشخصها وليم شيكسبير فى رواياته !

هؤلاء ، وغيرهم ، هم مثيرو التشكك والمروجون له ، فمن هم الذين ينسب اليهم هؤلاء وضع

المسرحيات التى يدعون أن شيكسبير اختلسها من أصحابها الحقيقيين ؟

اشهر من ذكرت أسماؤهم فى هذا الصدد « فرنسيس بيكون » العالم الفيلسوف ، وزير الملك جيمس الاول ، الذى ولد فى لندن عام ١٥٦١ ومات بها عام ١٦٢٦ . وقد اتهم بالاختلاس واعفى من منصبه. واول من دافع عن نظرية استاذ المسرحيات الشيكسبيرية الى بيكون هو هارت الامريكى فى عام ١٨٤٨ . وقد ادعى انه توصل الى كشف هذا السر بفضل حل الرموز بطريقة ادجار الن بو ، فى نسخة لاحدى روايات شيكسبير ، جاء فيها ، بصورة رمزية مفرغة فى كيفية تصوير الحروف ، ان فرنسيس بيكون هو كاتب المسرحيات كلها ! وجاء بعد هارت من يؤيد هذه النظرية ، والحجة فى ذلك ان بيكون اراد ان ينتقد عصره والمجتمع الذى يعيش فيه ، ففعل ولكن بلسان غيره ، اى بلسان وليم شيكسبير وبقلمه هو ، بيكون

والمدافعون عن هذه النظرية يدعمونها بقولهم ان فى مسرحيات شيكسبير ما يدل على ان كاتبها كان مطلعا على خفايا العلوم والفنون ، مالكا لزمام اللغة نثرا ونظما ، عليما بما يجرى داخل القصور ، ولا يمكن ان يكون ذلك كله قد توفر لوليم شيكسبير ، الذى ترعرع فى ستراتفورد ولم يحصل الا على قدر قليل من الدرس والعلم !

واشهر من ذكرت اسماؤهم ، بعد بيكون ، على انهم واضعو روايات شيكسبير ، الشاعر الانجليزى كريستوفر مارلو « ١٥٦٤ ــ ١٥٩٣ » وهو ابن اسكاف من كانتربرى ، حكم عليه بالاعدام ، ففر الى ايطاليا حيث كتب المسرحيات التى نسبوها الى وليم شيكسبير ! والغريب فى هذا الادعاء ان الذين تبنوه ــ وفى مقدمتهم الكاتب الامريكى كالفن هوفمان ــ وقد حصلوا على اذن بنبش القبر الذى دفن فيه توماس ولسنجهام ، الذى يقال انه هو الذى انقذ مارلو من الموت ، على امل ان يجدوا ، فى نبش الميت المدفون فى ذلك القبر ، وثيقة ما ، كنسخة من احدى الروايات مثلا بخط مارلو ، تثبت انه المؤلف الحقيقى للروائع المختلف عليها . ولكن نابشى القبر لم يعثروا فيه على شيء !

ويأتى بعد الكاتبين السابقين ، بيكون ومارلو ، بقية الذين ذكرت أسماؤهم على انهم مؤلفو روايات شيكسبير :

ادوارد فير ، كونت أوكسفورد ، ولورد ستانلى ، كونت دربى ، وجيوفانى فلوريو الايطالى الذى عاش فى لندن وكان صديقا لشيكسبير . وهو راهب قديم ، هجر الكهنوت واراد ان يعيش متنكرا ثم كونت سوثامبتن ، وكونت روتلاند . . .



قبر شيكسبير .. هل يطوى السر من عظامه ؟!

وذهب بعضهم الى ان شيكسبير نسب لنفسه المسرحيات التى تحمل اسمه بدون ان يكون قد كتب واحدة منها ، وانها لاكثر من كاتب واحد ، وان مؤلفيها اعطوها للشاعر لغرض اخفوه ، بل اعطوه اجرا لكى يضع عليها اسمه !

وهذه الكثرة فى ذكر الاسماء ، وتقديم الاشخاص ، على انهم واضعو روايات شيكسبير ، دليل على التعمد فى انكار فضل الرجل ، أو على الرغبة فى التسابق فى ميدان صال فيه كثيرون وجالوا ، فلفتوا الى انفسهم الانظار ، واصبحت اسماؤهم هم ـ اصحاب الاشاعات ومروجوها ـ مقرونة باسم شيكسبير ، فى تاريخ التمثيل وكتب الادب !

هذا راى برناردشو نفسه ، الذى قال يوم سألوه اذا كان يظن ان فى تلك الاقوال شيئا من الصحة: « قد لا يكون شيكسبير مؤلف هذه المسرحيات . ولكن المؤلف ، على كل حال ، يشبه شيكسبير كثيرا ويحمل اسمه ! »

***

وقد امعن ناكرو فضل شيكسبير فى البحث عن اخطاء وعيوب فى مسرحياته ، وقالوا ان ما نقله عن التوراة لا يطابق النصوص الصحيحة المتداولة فى الكنيسة البروتستانتية . فرد بعضهم على هذا النقد بأن وليم شيكسبير كان كاثوليكيا ، وانه لقى بعض الاضطهاد بسبب مذهبه ، فأخفاه عن الناس ، ولكنه ظل يطالع التوراة حسب النصوص المتداولة فى الكنيسة الكاثوليكية ، وهى النصوص التى نقل اجزاء منها فى مسرحياته

وفى أقوال الفريق المعادى لشيكسبير ، كثير من التناقض ، فمنهم مثلا من يأخذ عليه جهله لبعض النواحى العلمية والتاريخية والجغرافية ، فى حين ان منهم أيضا من يرى أن ما يتبسط فيه من علم وتاريخ وجغرافية يدل على أن

صاحب المسرحيات قد تلقى نصيبا كبيرا من المعرفة لم تتوفر لممثل صغير لم يدخل مدرسة غير مدرسة سترانفورد الثانوية !

وعلى كل حال ، فان هناك نية قد تنفذ فى حلول المهرجانات التى تقام فى انجلترا احياء لذكرى شيكسبير ، وهى فتح قبره فى سترانفورد ، لمعرفة ما فيه ، وهل دفنت معه نسخة او اكثر من نسخ رواياته ، بخط يده !

بعد قبر توماس ولسنجهام ، يفتح قبر شيكسبير نفسه ..

***

وماذا بعد نبش القبور ؟ وهل يشوه جمال المهرجان الشيكسبيرى اصرار المعادين له — ومن بينهم يا للعجب ، ممثل رواياته الاشهر لورانس أوليفييه — على ترويج الاشاعات والاقاويل التى لم يقدم احد بعد دليلا قاطعا على صحتها ، منذ اكثر من مائة سنة ؟

ان جمهور القراء والمستمعين والمشاهدين ، قد حكم لشيكسبير ومسرحيات الشاعر العبقرى لا تزال ، بعد مرور اربعمائة سنة على مولده ، تهز المشاعر ، وتخلب الالباب ، وتطلق الايدى بالتصفيق والحناجر بالهتاف ...

نقلت منها مسرحيات الى معظم اللغات الحية ، فظلت محتفظة بمقدار من الروعة ، بالرغم مما فقدته من عناصر الابداع خلال الترجمة ...

وعمد كتاب من جبابرة الادب الى تقليد بعضها ، فاذا الشقة بعيدة بين الاصل والتقليد !

وحاول كتاب آخرون ان يقتفوا اثر شيكسبير ، فلهثوا فى الطريق ولكن ما يشاع وما يقال ، عن شيكسبير وروايات شيكسبير ، سيظل دائرا على الالسنة ، طافيا على رءوس الاقلام . ولن تكف الاقلام والالسنة عن الترويج له ، مهما تكن نتيجة الجدل القائم منذ اكثر من قرن ، وبصرف النظر عما يكشف عنه نبش القبور !

فليس اقوى من الشك فى التسلط على العقول ...

عشرة آلاف كتاب او اكثر صدرت الى الان عن وليم شيكسبير شاعر الانجليز الاكبر ، وسيصدر غيرها فى المستقبل القريب والبعيد ، ولن يضير العبقرى الخالد ان يكون بينها كتب ، قليلة او كثيرة ، يحاول اصحابها ، عن سوء قصد او عن حسن نية ، ان يلقوا غشاوة من الظلال على مجده الساطع ...

شيكسبير ؟.. هل هو شيكسبير ؟

والرد على هذا السؤال الذى توحى به الاشاعات والاقاويل ، جاء ايضا على لسان برناردشو . فالكاتب اللاذع ، الذى قال ان الجزر البريطانية انجبت اثنين من العباقرة ، وليم شيكسبير وبرناردشو ، قد قال ايضا :

— نعم : شيكسبير هو شيكسبير ، الى ان يثبت العكس !

كتاب الشهر



أسرار
العمل السياسي
الصهيوني
ضد العرب
خلال نصف قرن

قصة الدبلوماسية الصهيونية

تأليف : ألان تايلور
عرض وتقديم :
أحمد بهاء الدين



قصة الدبلوماسية الصهيونية

هذا هو الجزء الثانى والاخير من العرض الذى نقدمه لهذاالكتاب الهام ... الذى الفه شابامريكى اسمه « الن تايلور » تحت عنوان «PRELUDE TO ISRAEL» اى « مدخل الى اسرائيل »

وقد وقفنا ، فى العدد الماضى ، عند بدء الحرب العالمية الثانية ، تلك الحـــرب التى حملت فى احشائها اضطهاد هتلر لليهود من جهة ، واستغلال الصهيونية لهذا الحدث الاوروبى المحض من جهة اخرى لاجـل اقامة الدولة التى يحلمون بها ...

وفى هذا الجزء الثانى والاخير، يمضى المؤلف فى سرد اسرار الضغط السياسى الصهيونى حتى يصل الى يوم قيام دولة اسرائيل :

بالرغم من ان الحركة الصهيونية كانت تتجه بسرعة الى التركيز على الولايات المتحدة الامريكية ، الا ان بريطانيا بقيت مركزا رئيسيا للنشاط الصهيوني ، طالما ان بريطانيا ما زالت هي ظل الدولة المنتدبة في فلسطين . وعلى هذا ظل حاييم وايزمان وكثيرون من قادة الحركة الصهيونية يركزون التأثير الصهيوني على مركز السلطة في بريطانيا

وكان هذا بالطبع يقتضى منهم ايضا الالحاح في توجيه الرأى العام الاتجاه الذى يجعل مهمتهم في التأثير على الجهات العليا أكثر سهولة . مع استمرارهم في نفس الوقت في كسب شتى العناصر اليهودية غير الصهيونية الى جانبهم من جهة ، وفي مواصلة الهجرة الى فلسطين برغم كل القيود

ولم تكن حكومة جوزيف تشيمبرلين على علاقة حسنة بالحركة الصهيونية ، ولكن وايزمان ورفاقه ظلوا على حملة مستمرة بكل الشخصيات التى يمكن ان تكون في مركز السلطة يوما من الايام . ففي ذلك الوقت بالذات ، مثلا ، عمد وايزمان الى التعرف على ونستون تشرشل والتردد عليه اكثر من مرة والحصول على موافقته على مبدأ اسباغ صفة الدولة على المجتمع اليهودي في فلسطين .. كما ظل حريصا على ابقاء نفس الصلة مع لورد هاليفاكس وزير الخارجية ..

فلما تألفت وزارة تشرشل سنة ١٩٤٠ ، لم يكسب الصهيونيون فقط رئيس الوزراء الجديد ذى الميول الصهيونية ، بل كسبوا ايضا وجود وزراء آخرين كثيرين في هذا الاتجاه

يظهر هذا واضحا من قصة السفينة « باتريان » التى يرويها وايزمان في مذكراته . لقد ضبطت السلطات البريطانية سفينة تحمل ٢٠٠٠ مهاجر يهودي يحاولون النزول في فلسطين بشكل غير قانوني ، فمنعوا الباخرة من الاقتراب من الشاطىء . وتصادف ان انفجرت الباخرة واصيبت بعطب ، وذهب وايزمان الى لورد لويد وزير المستعمرات يطلب منه اصدار امر الى السلطات في فلسطين بالسماح لهم بالنزول . وقال لورد لويد لوايزمان : لقد أصدرت امرا بمنعهم من النزول ، لانني



تشيمبرلين .. لم تكن حكومته على علاقة حسنة بالحركة الصهيونية

اعرف انك سوف تذهب الى تشرشل وتستصدر منه امرا بالغاء هذا القرار ، لقد سبقته وطلبت منه الا يتدخل في ذلك ، فلا تتعب نفسك بالذهاب اليه

لم يعقب وايزمان قائلا : ولكن لورد لويد نسى أن يسبقنى الى لورد هاليفاكس ، فذهبت اليه .. واستصدرت منه امرا بالسماح لهم بالدخول ..

كذلك نجح وايزمان في اقناع الحكومة البريطانية بتكوين فرقة يهودية تقاتل الى جانب الحلفاء ، والغاء الاتجاه المضاد الى تكوين فرقة فلسطينية عربية ويهودية . وكانت تلك الفرقة اليهودية هي نواة جيش اسرائيل ، الذى حارب خلال الساعات الحرجة التى تلت اعلان قيام دولة اسرائيل

وقد كان العمل من أجل ايجاد هذه الفرقة اليهودية عنيفا ومتواصلا في جميع المجالات ، من الصحافة ، الى الاقتراحات يقدمها النواب من حزبى المحافظين والعمال في البرلمان ، الى ضغط واقناع لدى الساسة والقادة العسكريين . وفي سبتمبر سنة ١٩٤٤ اعلنت وزارة الحرب البريطانية انها قررت المساعدة في تكوين مثل هذه الفرقة ، وبعد أن وجدت الفرقة ، أصبح لها علمها المستقل . وفي الاستعراضات العسكرية اصبحت تحمل هذا العلم ، مؤكدة في الاذهان أن اليهودية اصبحت « قومية » لا مجرد دين ؛ وكان ذلك العلم هو نفس علم دولة اسرائيل اليوم ..

***

وفي اكتوبر ١٩٤٤ ، بعد شهر واحد من تكوين الفرقة الصهيونية المسلحة ، طلبت

الوكالة اليهودية من الحكومة البريطانية تحويل فلسطين الى « كومنولث يهودى » وان تسمح بهجرة مليون ونصف مليون يهودى الى فلسطين ، بحيث يصبح اليهود فى فلسطين الغالبية تسمح باعلان الدولة . واستطاع وايزمان ان يحصل على موافقة ونستون تشرشل الشخصية على اقامة الدولة اليهودية ، على الاقل فى جزء من فلسطين . ويعتقد المؤلف ان حكومة العمال التى جاءت بعد تشرشل - وخصوصا وزير خارجيتها ارنست بيفن - كانت اقل تعاونا مع الصهيونيين من حكومة المحافظين ، وان حكومة تشرشل لو بقيت بعد الحرب لقامت هى باعلان دولة اسرائيل

*

وفى خلال ذلك كله كانت الوكالة اليهودية تخلق امرا واقعا خطيرا فى فلسطين : بالهجرة السرية المستمرة ، وبالدعاية الهائلة بين يهود اوربا ، دعاية كانت تجعلهم يتدفقون على مكاتب الهجرة السرية بالآلاف .. وبتهريب الاسلحة الى فلسطين على نطاق واسع ، وبتكوين جيش الهاجاناه ، وبالسيطرة على الاقتصاد اليهودى كله وبجهاز المخابرات الذى كان يشترك فيه كل يهودى يعمل فى حكومة فلسطين ، حتى اصبحت هناك دولة داخل الدولة ، دولة لها كل فروع الدولة وملامحها واجهزتها ..

ويقول المؤلف : انه حتى الاعمال الارهابية من قتل ونسف ، التى كان زعماء الصهيونية يستنكرونها فى تصريحاتهم ، كانت تتم بالتفاهم معهم .. بدليل أن بن جوريون رفض وتنذالك أن يتخذ اى موقف ضدهم ،



تشرشل .. كانت ميوله صهيونية !

وبدليل ان الوكالة تفاهمت مع هؤلاء الارهابيين بعد انتهاء المعركة تفاهما كاملا

على إن اخطر قرار اتخذته الحركة الصهيونية العالمية خلال الحرب العالمية الاولى كان :الانتقال بمركز الثقل فى نشاطها الى امريكا !

ما اشبه الليلة بالبارحة !

فى غضون الحرب العالمية الاولى ، قررت الصهيونية العالمية ان تلعب بورقة بريطانيا ، مؤمنة بانها ستكون القوة الاولى المسيطرة على السياسة الدولية بعد النصر . ويومها نجح تنبؤهم وامكن ان يضعوا اقدامهم الاولى فى فلسطين

وفى غضون الحرب العالمية الثانية ، ادركت الصهيونية العالمية انها لابد ان تنقل مركز نشاطها الى امريكا ..

لماذا ؟..

لان بريطانيا نجمها بدا يأخذ فى الافول ، ولانهم بعد أن كسبوا من وراء بريطانيا حق اقامة وطنهم القومى فى فلسطين ، آن الاوان للخطوة الثانية وهى : خطوة الدولة اليهودية المستقلة ، وهذه خطوة قد تعارضها بريطانيا ، التى لم تفكر لحظة فى ان يكون مآل هذا « الكومنولث اليهودى » الى الاستقلال ، وفى هذه الحالة لن تقدر على الضغط على بريطانيا سوى امريكا ..

ولم تكن امريكا قد دخلت الحرب بعد ، وكانت الصهيونية تعرف مدى حرص بريطانيا على حسن علاقات امريكا معها ، ومدى رغبتها فى ادخالها الحرب الى جانبها : فلو استطاعت الصهيونية ان تقنع امريكا .. فستكون بريطانيا كلها اذانا مصغية لصوت امريكا !

وكان عليهم ان يكسبوا فى أمريكا ثلاث قوى

الراى العام ..

والكونجرس ..

والحكومة ..

اما بالنسبة للراى العام ، فسرعان ما تكونت الهيئات الداعية للقضية الصهيونية ، مركزين على الراى العام المسيحى بالذات . وفى نفس الوقت الذى كانوا يركزون فيه على رجال الدين البروتستنت ، مستغلين تفسيرهم « للعهد القديم » ، كانوا يتصلون فى نشاط هائل بالاتحادات نقابات العمال ، وبالمجالس النيابية فى الولايات المختلفة ، وفى صفوف الحزبين الجمهورى والديموقراطى



لورد لويد تحداه وايزمان



بيفن .. كان اقل تعاونا مع الصهيونية .. !

.. فلم تأت سنة ١٩٤٤ حتى كانت برلمانات ٣٣ ولاية قد اصدرت توصيات تؤيد فيها المطالب الصهيونية ، وحتى كانت انتخابات تلك السنة حافلة بالوعود بتأييد مطلب الصهيونية ..

واكبر حليف لهم فى رأى المؤلف كان : جهل الرأى العام تماما بقضية فلسطين

وقد حققت الصهيونية نفس النجاح بين اليهود الامريكيين ايضا . فبينما لم يكن الصهيونيون يمثلون اكثر من خمسة فى المائة من يهود امريكا قبل الحرب العالمية الثانية ، استطاعوا قبيل نهاية الحرب ان يجعلوا اى يهودى يخاف ان يجاهر بأنه مختلف مع الصهيونية .. وبينما كانوا يشرحون — علنا — « حاجة اليهود الاوروبيين الى ملجأ » بعد جرائم النازية ، كانوا يعملون سرا من اجل فكرة اقامة الدولة فى فلسطين بالذات لا بدليل انهم حاربوا مشروعا لروزفلت لتوطين اليهود فى دول العالم بوجه عام

❋❋❋

أما مع الكونجرس ، فقد بدأ الامر بقيد اسماء ٦٧ شيخ و ١٤٣ نائبا من مجلس الكونجرس فى قائمة اعضاء منظمة صهيونية مستترة تحت اسم « اللجنة الامريكية لفلسطين » . وفى ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، وضع ثلث اعضاء الكونجرس توقيعاتهم الى جانب توقيعات ١٥٠٠ شخصية امريكية أخرى على بيان يطالب بانشاء جيش يهودى

وفى اكتوبر ١٩٤٣ ، نجح الضغط اليهودى المنظم فى جعل الكونجرس يصل الى حد اصدار قرار رسمى بتأييد مطالب الحركة الصهيونية فى اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، لولا ان الجنرال جورج مارشال ، القائد العام للجيش الامريكى ، تدخل مطالبا بايقاف القرار ، لان هذا قد يؤثر فى الجهود الحربية فى منطقة حساسة هى المنطقة العربية

ولكن الجهد لم يتوقف .. انما استمر فى اصدار القرارات والبيانات والنداءات ، التى ادت بتراكمها من حيث الكم ، الى تغير كيفى فى الموقف ، لقد اصبح الكونجرس الامريكى فى سنوات قليلة مؤيداً للصهيونية .. بمزيج من الجهل بالموضوع والتأثر بالمصالح المحلية والضغط والاغراء والالحاح

❋❋❋

وبقيت بعد ذلك السلطة التنفيذية العليا فى البلاد وكالعادة : كانت الحركة الصهيونية تترك مهمة الاتصالات العليا بالشخصيات الكبرى الى رجلها المحنك فى هذا المجال منذ الحرب العالمية الاولى : حاييم وايزمان .

وكان وايزمان يؤمن فى اتصالاته بحقيقة غريبة ثبت أنها فى محلها : كان لها يضيع وقته مع الخبراء وكبار الموظفين الرسميين لان هؤلاء على خبرة كاملة بمثل هذه الموضوعات ، وكثير منهم يعرفون الشرق الاوسط جيدا لا فكانت الصهيونية تجد انه من الصعب دائما ان تضلل هؤلاء او تحملهم على اتخاذ مواقف ضد العرب ، اما الاتصال بالزعماء الكبار فكان اجدى : فهؤلاء خبرتهم بالمنطقة قليلة . والتأثير عليهم من خلال الرياسة المحلية ممكن . ثم ان من سلطتهم

ان يضربوا برأى الخبراء عرض الحائط ، الامر الذي كان يحدث كثيرا كما يقول المؤلف

ويقول المؤلف ايضا : انه في خلال الحرب الاولى كان رأى الاجهزة المحلية البريطانية ضد الصهيونية ، لكن وايزمان قهر هذه الاجهزة باستيلائه على عقول رؤسائهم في لندن. وقد كرر نفس الشيء في امريكا خلال الحرب العالمية الثانية

وقد كان روزفلت شخصية صعبة المراس بالنسبة لوايزمان ، بينما كان ترومان على العكس تماما ..

يقول المؤلف : ان وايزمان قابل روزفلت لاول مرة سنة ١٩٤٠ ، ويومها حاول ان يجس نبض روزفلت ازاء مطلب اقامة دولة يهودية . ولكنه وجد روزفلت من اولئك الساسة الدهاة واسعى الافق .. فرفض ان يقع في شراكه ، وقال انه يعتقد ان اى حل لمشكلة فلسطين يجب ان يكون حلا عربيا يهوديا

وفي سنة ١٩٤١ ذهب وايزمان الى امريكا للمرة الثانية ، ولكنه لم يتمكن من مقابلة روزفلت ، فقابل وزير الخارجية الامريكية سمنر ولز الذى كانت الصهيونية قد كسبته الى جانبها بالفعل ، فانضم الى وايزمان في محاولة اللف على روزفلت

وفي سنة ١٩٤٢ ، ارسل روزفلت الى حاييم وايزمان يطلب منه القدوم الى امريكا للمساعدة في الابحاث العلمية التى كانت جارية لانتاج المطاط الصناعي ، فسافر وايزمان الى امريكا في ابريل ١٩٤٢ ليبقى هناك اكثر من سنة متصلة : يعمل في الكيمياء بعض الوقت ، وفي السياسة الصهيونية كل الوقت ، نفس قصة الحاقه بوزارة البحرية البريطانية في الحرب الاولى للمساهمة في ابحاث انتاج مادة الاسيتون التى تستخدم في صنع المتفجرات !

***

وقبل عودته بعد هذه المدة الطويلة الى لندن ، تمكن من مقابلة روزفلت مرة اخرى بحضور وزير الخارجية سمنر ويلز ، ومرة اخرى وجد وايزمان ان روزفلت ما زال مصمما على ان اى حل يجب ان يتم بموافقة العرب واليهود معا . وقال له ويزمان : لو انتظرنا موافقة العرب فلن نصل الى اى حل ابدا . واكد له روزفلت ان خير وسيلة هي ان تقف امريكا وبريطانيا معا وراء انشاء الدولة الصهيونية ، فلا يجد العرب مفرا من الرضوخ ازاء القوة الهائلة التى تواجههم ، وقال له : ان هذا هو ما حدث بالضبط يوم اصدرت بريطانيا وعد بلفور ولم يقدر العرب على اى شيء

ولكن روزفلت لم يتزحزح . كان روزفلت يرى مصالح امريكا البترولية البازغة في الشرق العربي . وكان ذاهبا الى رحلة سوف يجتمع فيها مع الملك عبد العزيز آل سعود . فبدأت النقمة الصهيونية تتحول ضده

وفي ١٨ اغسطس ١٩٤٣ ، وصل الامر الى تهديد روزفلت نفسه : فقد اعلن ايمانويل سيلر ، العضو الصهيوني في الكونجرس ، انه سيطالب باجراء تحقيق في اسباب معارضة الخارجية الامريكية لمطالب الصهيونية المشروعة . وكان هذا ضغطا غير مباشر على روزفلت ، عن طريق التلويح بالاثارة تهمة معاداة السامية ، التى تثيرها الصهيونية في وجه كل من يجسر على ان يختلف معها ..

ولكن روزفلت مات ، وجاء ترومان ، الذى وضع البيت الابيض في يد الصهيونية بعد ان وضعت الصهيونية يدها على الرأى العام ، وعلى الكونجرس ..

***

بعد ايام قليلة فقط من وفاة روزفلت ، وتولى هارى ترومان مكانه .. كان الكاهن اليهودى الصهيوني « وايز » يزور الرئيس الجديد . وقبل المقابلة ، كان ادوارد ستيتينيوس ، وزير الخارجية ، قد حذر ترومان من هذا اللقاء ، وحذره من الاستجابة لمطالب الصهيونية في اقامة دولة يهودية في فلسطين وفتح ابواب الهجرة غير مشروطة اليها . وشرح الوزير لرئيسه ايضا سياسة الرئيس الراحل روزفلت حول هذا الموضوع ورغم هذا كله فقد كانت زيارة الكاهن الصهيوني « وايز » بداية الاندفاع السريع لترومان في اتجاه الصهيونية . او كما يقول المؤلف « في خدمة الصهيونية »

وعند هذه النقطة ، يحاول المؤلف ان يلتمس لترومان الاعذار على هذا التأييد المتزايد



ترومان .. وضـــع البيت الابيض فى يد الصهيونية .!

يقـــول ان ترومان ، بسبب نزعتـــه الليبرالية ، كان دائما على استعداد لان يتحمس لاداء خدمة لليهود او لأى اقلية اخرى . وقد كانت هذه دائما وسيلة من وسائل الصهيونية فى كسب غير اليهود الى قضيتهم : بأن يوهموهم ان تأييد هجرة اليهود الى فلسطين يتفق مع المبـــادىء المتحررة ، فى حين ان الحـــل الحقيقى للمشكلة اليهودية هو فى استيعاب اليهود وذوبانهم فى الشعوب التى ينتمون اليهـــا ويعيشون فيها

كذلك فان هـــذا فى راى المؤلف نجاح للدعاية الصهيونية خلال الحرب ، التى ربطت فى الاذهان ربطا مضللا بين مشكلة اليهود فى اوروبا وبين هدف الصهيونية فى اقامة دولة اسرائيل ، رغم ان هـــذا شىء وذاك شىء آخر

واخيرا يقول المؤلف : ان ترومان اشار فى مذكراته بعد ذلك الى انه يعتقد انوعد بلفور باقامة وطن قومى لليهود كان يتفق تماما مع مبادى ويلسون فى حق تقريرالمصير التى اعلنها بعد الحرب العالمية الاولى ،ولو ان ترومان تمعن قليلا لادرك ان وعد بلفور كان عملا ناقصا على طول الخط لمبادىء ويلسون . فلو طبق حق تقرير المصير حقا فى فلسطين ، بسكانها العرب ، لما امكن ابدا ان يقوم اى وطن قومى لليهود هناك..

ولسنا نظن ان هـــذه التفسيرات التى ساقها المؤلف لشرح الحوافز التى جعلت ترومان يندفع فى خدمة الصهيونيـــة الى هذا الحد .. تفسيرات صحيحة . فاذا قبلنا ان الراى العام العادى يمكن تضليله عن الملامح الاساسية لقضيـــة ما ، فمن المتعذر ان نقبل امكانية تضليل رئيس دولة كبرى ، بمالها من اجهزةوخبراءومستشارين عن حقيقة يمكن ان يدركها اى تلميذ : وهى ان حق تقرير المصير يتعارض مع غـــزو شعب ما بشعب طارىء غريب ..

فالمؤلف يغفل الاعتبارات المصلحية والضغط السياسى الداخلى ، الذى جعـــل ترومان يندفع هذا الاندفاع

***

ويعود المؤلف الى سرد تطور الحـــوادث فيقول انه معصيفسنة ١٩٤٥ ،اصبح نفوذ الصهيونية على ترومان واضحا . ففى ٢١ اغسطس اتخذ ترومان أول موقف علنى له الى جانب الصهيونية بمطالبة مستركليمنت آتلى رئيس الوزراء البريطانى بأن يقبـــل مائة الف مهاجر صهيونى جديدفى فلسطين . وقد كان بيرنز ، وزير خارجية امريكا ، قلقا من رد فعل هذا الموقف فى البلاد العربية ، فأعلن فى ١٨ اكتوبر « ان الحكومةالامريكية لن تـــائد اى قرار نهائى يغيـــر الوقف الاساسى فى فلسطين بدون استشارة اليهود والعرب على السواء » . فـــكان وزارة الخارجية الامريكية كانت ما تزال تحـــاول ان تتشبث بالراى الذى كان روزفلتقد اتخذه من قبل ، والذى كان ترومان قـــد احيط به علما على اى حال

وقد اعترف ترومان بعد ذلك فى مذكراته بأنه بينما كان يحاول الضغط على بريطانيا للتساهل فى مشكلة الهجرة الى فلسطين ، كان الصهيونيون يجعلونمهمته اكثر صعوبة بمحاولتهم استـــخدام النفوذ الامريكى فى تأييد اقامة دولة يهودية . ففى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، تلقى ترومان برقيـــة من القسيسين وايز وسيلفر يطالبان باتخاذ موقف لا فى تأييد قبول مائة الف مهـــاجر جديد فحـــب بل وفى تنفيذ «روح» وعد بلفور باقامة دولة يهودية ، رغم ان هذا هو « روح » المبادىء الصهيونية ، ولا يمت الى « روح » وعد بلفور بشىء

ويقول المؤلف : ان استغراب ترومان هذا دليل آخر على سذاجته السياسية ، فلو كانت لديه اى فكرة عن العمليات الصهيونية فى امريكا خلال الحرب لادرك ان استخدام الصهيونية لمشكلة اليهود الاوروبيين ولوعد بلفور ولكل شىء لم تكن له غاية ســـوى استخدام امريكا فى اقامة دولة صهيونية .



أتلى.. وقع فريسة للضغط ترومان .!

ومن هنا جاء قوله فى مذكراته « كنت أعتقد أن حل مشكلة اليهود الانسانية فى اوروبا أولى بالاهتمام من اهداف الصهيونية فى اقامة دولة يهودية » فهنا أيضا يتضح عجز ترومان عن فهم الصهيونية . فالصهيونية لم تهتم أبدا بمشكلة اللاجئين اليهود الانسانية ؛ انما كانت تستغلها لحسب فى اقامة دولة يهودية

ففى خلال الحرب مثلا ، فكر روزفلت فى مشروع لاسكان اليهود اللاجئين فى بلاد العالم التى ترحب بهم . وعهد روزفلت بهذا المشروع الى موريس ل . ايرنست . ولكن ارنست لم يلبث ان اكتشف ان المشروع الذى كان يظن انه عمل انسانى عظيم لانقاذ اليهود الاوروبيين ، انما تنظر اليه الصهيونية على انه عمل خطير يهدد اهداف الحركة الصهيونية ؛ فكتب يقول « لقد دهشت ، بل وشعرت بالاهانة ، عندما وجدت زعماء اليهود يهاجمون هذا المشروع ويصفوننى باننى خائن . وقد اتهمونى علنا باننى أعمل فى هذا المشروع واشجع استقبال اليهود فى شتى انحاء العالم لكى اخرب أهداف الصهيونية السياسية هكذا وجدت ان كل اصدقائى من الصهيونيين يعارضون مشروع روزفلت . لقد وجدوا أن اهدافهم تهددها مشروعات روزفلت الكريمة الانسانية »

وقد تكرر هذا الموقف الصهيونى مرتين بعد نهاية الحرب ...

ففى ١٥ ديسمبر ١٩٤٦ ، عندما بدأت الامم المتحدة تدرس مشروعا يدعو الدول الاعضاء الى فتح ابوابها للاجئين اليهود ، تقبل الصهيونيون هذا القرار بفتور شديد.

كذلك فعندما بدأ مجلس النواب فى الكونجرس الامريكى سنة ١٩٤٧ يدرس مشروعا لتقبل بعض المهاجرين فى الولايات المتحدة ، عبر الصهيونيون عن نفس البرود ازاء المشروع؛ فهدف اقامة دولة يهودية سياسية كان يعلو عندهم فوق كل اعتبار . وما كانت قضية اللاجئين اليهود تهمهم الا بقدر مايمكن استغلالها فى هدفهم السياسى

وقد كانت سنة ١٩٤٦ فى الولايات المتحدة سنة انتخابات ، وانتهز الصهيونيون الفرصة طبعا للحصول على اكبر قدر من المكاسب

ففى ولاية نيويورك ، عرف ان توماس ديوى ، مرشح الحزب الجمهورى للرئاسة، كان يفكر فى اصدار بيان فى تأييد الصهيونية لفائدة هذا البيان فى حملته الانتخابية .. وعلى الفور ، أسرع « ليمان » و « ميد » المرشحين من الحزب الديموقراطى لمنصبى محافظ المدينة ونائبها فى الكونجرس ، الى ترومان يبلغانه النبأ ويلحون عليه فى ضرورة اصدار بيان مماثل باسم الحزب الديموقراطى وكانت النتيجة ان صدر بيان اخر من ترومان اعلن فيه تصميمه على ضرورة ادخال مائة الف يهودى الى فلسطين ، واصبحت الدولة والحزبان الكبيران على السواء متحمسان فى تأييد الصهيونية تماما . فلما تذمر ترومان بعد ذلك من اسراف الصهيونيين فى الضغط عليه ، لم يكن ممكنا ان يتراجع من الموقف الذى اتخذه بالفعل ؛ كان اسفه متأخرا : لقد لوى الصهيونيون بالفعل ذراع الدولة ، واصبح قيام دولتهم وشيكا

وقد كانت قيمة الحكومة الامريكية الكبرى فى هذه المرحلة بالنسبة للصهيونية ، هى : الضغط على حكومة حزب العمال فى بريطانيا ..

فعندما القى ارنست بيفن بيانا فى يونيو سنة ١٩٤٦ عارض فيه قبول مائة الف يهودى فى فلسطين ، رفع عضوا الكونجرس الامريكى من ولاية نيويورك احتجاجا مباشرا الى الوزير البريطانى ، ولكن الأخطر من ذلك ان الصهيونية اتجهت الى اعضاء الكونجرس المرتبطين بها لتحركهم فى اتجاه هام ؛ ففى ذلك الوقت بالضبط كان الكونجرس يدرس مشروعا لمنح انجلترا قرضا

قدره ٢٫٧٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ويقول المؤلف ان تهديد الصهيونية لبريطانيا بعرقلة هذا القرض في الكونجرس ، كان له أثر فعال جدا في ارغام بريطانيا على التراجع واتخاذ موقف أكثر ملاءمة للصهيونية

ويسترجع المؤلف أن ارنست بيفن شكا من أنه كان في مقدوره أن يصل الى حل يرضي العرب واليهود في فلسطين،لولا اصرار ترومان على حكاية،دخول المائة ألف يهودي. وقال بالحرف الواحد « انني لا أستطيع أن أحل أي مشكلة دولية ، اذا تحولت هذه المشكلة الى ورقة في انتخابات محلية ! »

ويعتقد المؤلف ان بيفن كان يرى،بوضوح الفارق بين مشكلة اليهود كمشكلة انسانية عامة وبين،قضية الصهيونية في اقامة دولة سياسية يهودية في فلسطين

كان هذا الوضـــوح في فهم الموقف في بريطانيا ، كما يقول المؤلف ، هـــو الشيء الذي لم يتحمله الصهيونيون ، فمضـــوا يتحـــدون الحكومة البريطانية الى أقصى الحدود ، بالضغط السافر عليها من خلال صنيعتهم ترومان ، وبالارهـــاب المسلح في فلسطين نفســـها . فبينما كان وايزمان يعلن علنا استنكاره للارهاب المسلح الذي تمارسه عصابات « الهاجاناه » و « شتيرن » و « ارجون زفاى ليومى » كانت هـــذه العصابات كلها تعمل في انسجام دقيق،تحت قيادة وتوجيه الحركة الصهيونية التي يتكلم وايزمان باسمها ..

* * *

وفي نفس الوقت ظلت عمليات الهجـــرة غير الشرعية مستمرة،وظل نشر الصهيونيون دعاية واسعة في العالم كله تقول ان تدفق اليهود من اوروبا في أعقاب الحـــرب الى فلسطين كان عملا تلقائيـــا غير مرتب ، في حين ان كل الأدلة تؤكد أن هذه الهجـــرة كانت مدفوعة ومنظمة بواســـطة شـــبكة صهيونية سرية واســـعة . ويشير المؤلف هنا الى تقرير سري لمخـــابرات الجيش الامريكي الثالث في اوروبا ، يقول انه تأكد وجود حركة صهيونية سرية هي التي تنظم تسلل ٢٠٠٠ يهودي كل أسبوع الى منطقة الاحتلال الامريكي في أوروبا . وان هـــذه هذه الحركة تضم كثيرين من العســـكريين اليهود الذين كانوا في صـــفوف الحلفاء .

وكانت هذه الحركة تنظم بعد ذلك تسللهم من جديد الى شواطيء البحر المتوســـط وهناك يركبون ســـــفنا أعدتها الحركة الصهيونية لتنقلهم الى فلسطين . وهناك تقرير آخر يقول ان الهيئة هيئـــة الاغاثة الدولية UNRRA كانت تحـــول الى مساعدة عملية التهريب غير الشرعية هذه

ومن اكبر الادلة على ان هذه الهجرة لم تكن تلقائية ، ان كل المهـــاجرين كانوا من الشبان والشابات الذين يمكن ان يلعبوا دورا في اقامة اسرائيل ، ولو كان الأمر أمر هجرة تلقائية لما تم هذا الفرز والاختيار

الدليل الثاني،هو انه،عندما اذاع الجنرال الامريكي فـــردريك مورجان ، رئيس فرع هيئة الاغاثة في المانيا ، هـــذا التقرير عن نشاط الصـــهيونية السري ، لم يلبث ان صدر قرار بفصله من منصبه بتهمة معاداته للسامية !

كان الذي اصـــدر القرار هو مدير عام المنظمة ، هربرت ليمان : نفس الشـــخص الذي جاء ذكره منذ قليـــل ، حين ضغط على ترومان لاصدار بيان يؤيد هجـــرة اليهود الى فلسطين !

الدليل الثالث الذي،يسوقه المؤلف على ان الهجرة لم تكن عفـــوية : هو انه حين بدأت بريطانيا تنفذ اجراءات فعالة لايقـــاف الهجرة .. بدأت على الفور حملة اكتتاب علنية من اليهود البريطانيين لتمويل هجرة اليهود الى فلسطين

* * *

ونصل بعد ذلك الى المرحلة التي طرحت فيها القضية على الامم المتحدة

فازاء الشلل الكامل الذي أصيبت به بريطانيا من جراء الضغط الامريكي الهائل والعمليات الارهابية الضخمة في فلسطين والهجرة السرية التي لا تنقطـــع ، قررت بريطانيا ان تحيل الامر الى الامم المتحدة

وعندما ظهرت في أفق الامم المتحدة فكرة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، لم يكن التقسيم في حد ذاته مرضيا لليهود الذين يريدون فلسطين كلها ،ولكنهم اسرعوا بالموافقة لسبب تكتيكي : فالتقسيم يحمل في بلورة الاعتراف بحقهم في اقامة دولة سياسية ، وهذا نصر كبير وخطوة ضخمة الى الامام بالنسبة لهم

وطبعا ، استطاع الصهيونيون ان يجعلوا الولايات المتحدة تعلن موافقتها على مبدأ التقسيم : وبهذا كسبوا نصف المعركة في الامم المتحدة ، بحكم النفوذ الهائل الذي كان لامريكا في المنظمة الدولية بعد الحرب

وفي نوفمبر ، اكتشف وايزمان ان الوفد الامريكي حاول ان يكسب رضاء العرب من فكرة التقسيم بأن عرض عليهم ان يكون النقب جزءا من الدولة العربية . وعلى الفور ، استطاع وايزمان ان يتصل بترومان ، وبعد لقاء واحد معه ، أرسل ترومان تعليماته الى الوفد الامريكي بأن يسحب هذا العرض الخاص بالنقب من العرب !

يقول حاييم وايزمان في مذكراته : « ان هذا القرار (من ترومان) فتح الطريق امام قرار الامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر .. »

وهذا صحيح !

فأكثر الدول الاعضاء كانت واقعة تحت النفوذ المباشر لامريكا بعد الحرب . وقد بقيت بعض الدول الصغيرة تقاوم : هايتي .. ليبيريا .. الفلبين ، الصين ، اليوبيا اليونان .. وهنا تحركت الاداة الصهيونية الهائلة في جميع انحاء العالم تمارس ضغطا لا مثيل له .. ضغط كان معظمه يوجه من خلال الولايات المتحدة الامريكية : الحكومة الامريكية تضغط . اعضاء الكونجرس يضغطون على الحكومات الاجنبية رأسا ، وعلى حكومتهم لكي تضغط على هذه الحكومات ، شركة فايرستون للمطاط طلب منها أن تضغط على حكومة ليبيريا لكي تصوت الى جانب التقسيم . القاضيان فرانكفورتر ومورفي يتصلان بحكومة الفليبين .. وهكذا

* * *

وفي يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، أصدرت الامم المتحدة قرارها بالتقسيم

ويقول المؤلف : انه بعد ان تم اتخاذ القرار بالفعل ، بدأت المناقشة حول سلامة الاساليب التي اتبعتها الصهيونية ومازالت هذه المناقشة في رأيه قائمة الى الى الآن !

ففي ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧ ، كتب حاييم وايزمان الى ترومان رسالة ينفي فيها « الاتهامات » الموجهة الى الحركة الصهيونية من انها تمارس ضغطا غير لائق على وفود الدول في الامم المتحدة . ولكن ترومان نفسه كتب في مذكراته بعد ذلك يقول :

« الحقيقة هي ان الضغط الذي وقع على الامم المتحدة في ذلك الوقت لم يكن له مثيل قط . وان البيت الابيض نفسه تعرض في نفس الوقت لضغط في نفس الوقت ، ولا اظن ان البيت الابيض تعرض لمثل هذا الضغط في اى وقت . ان اصرار والحاح الزعماء الصهيونيين ، الذى تحركه دوافع سياسية مصحوبة بالتهديدات ، قد ضايقني وأزعجني حقا . بل ان بعضهم كان يطلب منا ان نضغط على دول مستقلة ذات سيادة للحصول على الاصوات المطلوبة في الجمعية العامة »

* * *

ورغم أن القرار صدر بالفعل ، الا ان الضغط لم يخف . بقى هدف آخر مهم وهو : الاعتراف !

وفي مجال الاعتراف الدولي ، لابد من الحصول على اعتراف امريكا اولا .. ليسهل الباقي

ويقول المؤلف : ان ترومان ازاء هذا الالحاح والضغط الذي زاد من حده ، اضطر الى رفض مقابلة اى ممثل صهيوني ، ولكن بالرغم من تعليمات رئيس الجمهورية ، تمكن الصهيونيون من الوصول اليه

ففي مارس ١٩٤٨ ، طلب وايزمان مقابلة ترومان . وبناء على تعليمات ترومان ، رفض هذا الطلب . وفجأة تلقى ترومان زيارة من مستر « ايدى جاكوبسون » ، وهو يهودي امريكي وصديق حميم وقديم لترومان وأخذ جاكوبسون يلح على ترومان في ان يقابل وايزمان . ويقول المؤلف ان ترومان ضعف امام هذا الضغط الذى لا مثيل له ، وقابل وايزمان في ١٨ مارس ، وفي هذا اللقاء تحسن الجو من جديد بين ترومان ووايزمان ، وانفتح الباب لقرار امريكي جديد هو : الاعتراف باسرائيل يوم ١٤ مايو ، بعد احدى عشر دقيقة فقط من اعلان قيام الدولة

ويعقب المؤلف قائلا : ان امريكا جرت عادتها دائما على ان تكون حذرة ومتمهلة في اعترافها بأى حكومة جديدة . وخروجها عن هذه القاعدة ، على هذا النحو السافر ، يظهر لنا الى اى حد نجحت الصهيونية في استخدام السياسة الامريكية كأداة لها

الهلال ثمن العدد :

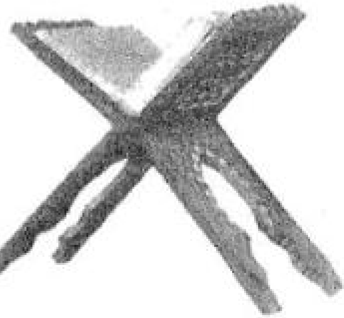
فى قطر والبحرين		٣٠ آنة
فى ليبيا	بنغازى	١٤٠ مليما
	طرابلس	١٥٠ مليما
فى الجزائر		١٢٥ فرنكا
فى المغرب		١٥٠ فرنكا

الهلال الاشتراكات :

قيمة الاشتراك : عن سنة (١٢ عددا) فى الجمهوريه العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى ٧٠٠ مليم بالبريد العادى و ٨٠٠ مليم بالبريد المسجل . وجنيه مصرى واحد و ٢٠٠ مليم بالطائرة – فى الامريكتين دولاران بالبريد العادى و ٣ دولارات بالبريد المسجل و ١٢ دولارا بالطائرة – فى سائر انحاء العالم ٢٠ شلنا بالبريد العادى و ٣٠ شلنا بالبريد المسجل و ٦٥ شلنا بالطائرة

وقيمة الاشتراكات تسدد مقدما فى ج.ع.م. باذن بريد – وفى السودان بحوالة بريدية – وفى الخارج بتحويل مصرفى قابل للصرف فى القاهرة لامر مؤسسة دار الهلال


مكتبة دار العروبة
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة
تقدم:
هذه الباقة القيمة
من كتب
التراث..
والكتب الحديثة
شاعر العروبة والإسلام
٣٥
ديوان مجد الإسلام
للشاعر أحمد محرم
١٠٠
ديوان قيس ابن الخطيم
٧٥
شرح أشعار الهذليين
٢٠٠
ديوان ابن الدمينة
٨٠
شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح
٤٠
ما يقال عن الإسلام
٥٠
الإيضاح في علل النحو
للزجاجي
٤٠
الفلسفة اليونانية.. أصولها وتطوراتها
٤٠
السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي
١٠٠
الرد على ابن النغريلة اليهودي
٦٠
شرح أشعار الهذليين
الجزء الثالث والأخير
العبر في خبر من غبر
للذهبي
الجزء الرابع
مآثر الإنافة في معالم الخلافة



مكتبة مجلة الهلال العربية

جوائز الادب العالمية

للاستاذ عباس محمود العقاد
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف
الثمن قرشان .

لو استبدلنا بعنوان هذا الكتاب المركز الاسم عنوانا آخر : « جائزة نوبل للاداب في الميزان » لما كان العنوان بعيدا عن موضوع هذه الفصول البديعة التي كتبها استاذنا الكبير ـ رحمه الله ـ فهو يقول بحق أن جوائز الادب العالمية كثيرة في العصر الحاضر، فاذا اكتفينا منها باقدمها وأشيعها وأعمها غرضا وأكبرها أثرا ففي ذلك بلاغ يغني عن التوسع والاستقصاء . وجائزة «نوبل» السويدية هي الجائزة التي تصدق عليها هذه الصفة بغير خلاف . واحكام لجنة الجائزة السويدية « ميزان » لثمرات القرائح والاذواق ، وتعليقنا على أحكامها في هذه الصفحات هو « وزن الميزان » اذا شئنا أن نجمعه في كلمتين.

فما معيار هذا الميزان ؟ وما مبلغه من الدقة؟ وما مبلغه من الصواب ؟ وما هو مبلغ التعويل عليه من ناحية الكفاية العلمية أو كفاية المعرفة ؟ وهل هو مثل عال لما تبلغه الجوائز العالمية من الصواب والانصاف ؟ وهناك فوق هذا المثل مثل أعلى منه وأقرب الى التقدير الصحيح ؟

هذه هي الاسئلة الحساسة التي عالجها الاستاذ الكبير في أصالة وعمق واصالة عرفت عنه في جميع كتاباته . وقد كشف بذلك عن لباب القيمة الحقيقية للجائزة التي تزن شهرتها رنينا يزيغ عقول الكثيرين ويضلهم عن وضع احكامها في موضعها الصحيح من النزاهة أو المجاملة .

الوحدة العربية في التاريخ الحديث

للدكتور عبد العزيز الشناوي
الناشر دار المعارف
الثمن : ٢٥ قرشا

هذا البحث العلمي المركز يتناول بوضوح شديد تاريخ فكرة الوحدة العربية كما تبدت في العصور الحديثة ، منذ أول القرن التاسع عشر حتى الآن . مع استعراض لجذور هذه الفكرة قبل ذلك التاريخ ، ولحالة الشعوب العربية في العهد العثماني ومدى العلاقة بين الفكرة العربية والوحدة الاسلامية .

واذا كانت الوحدة العربية المسألة هذه أجمع عليه ابناء البلاد العربية في السنوات الاخيرة ، فان من واجب علماء التاريخ الحديث أن يقيموا البرهان على تأصل جذور هذه الوحدة فكريا واجتماعيا وسياسيا في الترا

وكان الاستاذ المؤرخ دقيقا جـــدا في العربية كلها ، بما في ذلك الديار المصرية . وكان الاســـتاذ المؤرخ دقيـــقا جدا في مناقشته للعلاقة بين الفكرة العربية والفكرة الاسلامية . واقام الدليل على وجهة نظره بكياسة كبيرة بذلك الالمام السريع بموقف العثمانيين أصحاب الخلافة الاسلامية من سائر الشعوب العربية من المحيط الى الخليج . وقد عقد مقارنة طريفة للغاية بين موقف الفاتحين العثمانيين وموقف الفاتحين العرب من قبلهم لأقاليم مصر والشام ، فوضح التباين الشديد بين الامتزاج والتباعد . وبين « التعريب » الثقافي والجنسي من جانب ، والانعزال المتعالي من جانب آخر . فجاء البحث طرفة علميـــة ممتازة بمنهجها واسلوبها

نبع الحب

تاليف عبد الوهاب داود
الناشر المؤسسة المصرية العـــامة للتاليف
الثمن : ١٠ قروش

هذه المجموعة من الاقاصيص تدل عـــلى استعداد حسن ، وعلى « خامة » فنية طيبة ، ولكن « الخامة » شيء والعمل الفني التـــام شيء آخر .. فلم تزل هذه الموهبة الجـــادة تتلمس طريقها في اخلاص ، فتصيب المحز في بعض المواضع ، وتنبو ضربتها في مواضع أخرى ، بحيث تنتهي القصة بعد بداية واعدة نهاية أقرب الى الارشاد أو المواعظ أو الجمل الخيرية التي تخرج القارىء تماما من جـــو القصة الخاص .

ولعل الاقصوصة الثـــانية في المجموعة ، وهي التي استمدت منها المجموعة كلها عنوانها « نبع الحب » أفضل ما في الكتاب كله من حيث الشكل والمضمون معا . وفي نسيجها نعومة ملحوظة ، وتستدرج القارىء استدراجا لطيفا يلم على صدق الجو النفسي . ولعلهـــا القصة الوحيـــدة التي لا ينحصر قارؤها على انتقال الكاتب الى « الخيط السحري » ، فقد انتهت نهاية طبيعية لا اثر فيها للجمل الخيرية الهادفة » .. واننا لنرجو أن يكون الكتاب التالي أكثر توفيقا وأدل على اكتمال النضج الفني ..

قصص سودانية

للدكتور مراد كامل
الناشر : دار المعارف
الثمن : ١٨ قرشا

أخذت دراسة الادب الشعبي في هـــذه الايام تطرد وتنمو بعد أن بات مالها من شأن في تعرف مناحي الفـــكر للشعب وحالته الاجتماعية وقدرته على الخلق والابداع .

وفي هذا الكتاب يسوق المؤلف مختارات من قصص سودانية تدل على مظهـــر الادب الشعبي السوداني وخاطره وبيئته ووجهته وخصائصه ، وقد جمعها من شمال السودان وجنوبه . ومن شرقه وغربه عازيا كل احدوثة الى اقليمها ليمقد مابين الحديث واهله وفي ذلك ما فيه من مجالات الدرس والاستقصاء ، فالفن الشعبي الذي يجرى على الالسنة يتناقله تقر له دلالته على مبلغ الحضارة وأثر المدنية . كما هو يدل على اتجاهات الفكر واخـــتلاف مذاهبه . وذلك الاهتمام الواعي بدلالة الآداب الشعبية ــ كما يسمونها اصطلاحا ــ عـــلى حالة سواد الامة اهتمام رفيع بغير شـــك ، ولكننا كنا نحب أن يلحق الدكتور المؤلف العالم المحقق بالمجموعة دراسة من هـــذا النوع ، ولو في خطوطها العريضة ، او مجرد منهج للدراسة التطبيقية ، ولا سيما انه من أقدر الباحثين على هذا المطلب الوعر .

مدخل الى الفلسفة

تاليف : جون هرمان راندل
وجو شاس بوخلر
ترجمة : الدكتور ملحم قربان
الموزع : النهضة العربية
الناشر : فرانكلين بيروت
الثمن : ٦٠ قرشا

لن يزال الانســـان مشغولا بالقضـــايا الفلسفية مابقي له عقل واع ينظر في العـــالم

الكون وفي أسرار نفسه. وهذا الكتاب يعرض أهم القضايا الفلسفية التي استحوذت على اهتمام المفكرين منذ أمد طويل ، وراعى المؤلفان فيه بساطة المادة ، وسهولة الاسلوب والرغبة في التوضيح مع ضرب الامثلة التي يعين الطالب المبتدىء والقارىء غير المتخصص على فهم هذه الموضوعات العويصة بسهولة ويسر ، فهو أصلح مايكون للأغراض المدرسية والجامعية وللطالب الذي يريد الاكتفاء بالخلاصة العامة ، أو تمهيدا لقراءة المتون الاصلية للفلاسفة انفسهم ، كما يصلح للقراءة الحرة ، ولاسيما انه مزود بارشاد الى المراجع الاساسية الهامة . فالاستاذان المؤلفان من أكبر أساتذة الفلسفة في جامعة كولومبيا ، والمترجم استاذ الفلسفة بجامعة بيروت الامريكية وقد جاءت ترجمته واضحة سلسة .

التجربة والصراع الاجتماعي

تاليف : ميرل كيرتي
ترجمة : دكتور محمد جواد رضا
مراجعة : الدكتور خالد الهاشمي
الموزع : النهضة العربية
الناشر فرانكلين بيروت
الثمن : ٧٢ قرشا

يكشف هذا الكتاب عن القوى والعوامل الاجتماعية ، وصلتها بالتربية والتعليم عن طريق تحليل الافكار الاجتماعية للمربين الامريكيين الذين يمثل كل منهم روح العصر الذي عاش فيه .

وقد عالج المؤلف ـ وهو استاذ في جامعة كولومبيا بنيويورك ـ بحثه معالجة علمية موضوعية لانه من العلماء المتخصصين في تاريخ الفكر الاجتماعي ومن المهتمين بالشئون التربوية على نطاق واسع في أمريكا واليابان والهند وبلاد كثيرة غيرها .

وينادي المؤلف بتحرير المدارس من سلطان الكنيسة ولا سيما في المرحلة الاولى . بحيث تشرف عليها الدولة تمام الاشراف ، كما ينادي بتعميم التعليم العام بحيث يكون حقا متاحا للذكور والاناث ، بلا تفريق وبلا مصروفات ، لان مصروفات التعليم جميعا يجب أن يتحملها دافعوا الضرائب لا أولياء الامور .

وقد قام على الترجمة والمراجعة أستاذان عراقيان متخصصان في التربية ونسقا الترجمة العربية تنسيقا يناسب مطالب المجتمع العربي .

رواد الصحافة في الولايات المتحدة

تاليف : جيرارد بريفين مبير
ترجمة : احمد ابو كف
الناشر : دار الكرنك
الثمن : ٣٠ قرشا

اذا كانت الصحافة الامريكية قادرة على ممارسة عملها في غير خوف أو انتقام ، فيما عدا ما يدخل في نطاق القذف أو الامن القومي ، فالفضل في هذا التقليد يرجع الى نفر من الصحفيين الاوائل . بهذه الحقيقة يستهل جيرارد مبير كتابه ، ثم يأخذ في اثباتها بترجمة لحياة بن هاريس وكامبل وجيمس فرنكلين . وهو اذ يروي سيرة كل منهم انما يعرض لنا في الواقع تاريخا موجزا ولكنه ملىء بالحيوية لنشأة الصحافة في العالم الجديد ، ولنضال الذين ترتبط أسماؤهم بهذا التاريخ .. من أجل ارساء تقاليد يجب أن تكون مرعية تماما اذا أريد من هذه الوسيلة الاعلامية أن تضطلع برسالتها

كان بن هاريس من أبناء لندن ، وسرعان ما جلب على نفسه سخط السلطات ، فحكم عليه بغرامة قدرها خمسمائة جنيه ، وبقضاء ساعات في الصليبة . اما سر السخط فلانه جرؤ على اصدار صحيفة أو نشرة ، « وليس من حق أحد أن يقول شيئا عن حكومة جلالته » أي ملك انجلترا جيمس الثاني « كما قال القاضي السير وليم سكروجز . ولكن المحاكمة تكشف عن تقليد أرساه هاريس ذلك انه أبى أن يدلي باسم كاتب المقال

لان هذا هو سر المهنة ، وانفضل أن ينال العقاب على أن يخرق مبدأ آمن به

وازاء التهديد المستمر قرر الهجرة الى العالم الجديد فوصل الى بوسطن ، ولم يمض وقت حتى أخرج العدد الاول من « الحوادث العامة » في ٢٥ سبتمبر ١٦١٠ ، فكانت أول صحيفة لا في بوسطن ، بل وفي العالم الجديد بأسره . ولكن العدد الاول كان هو الاخير اذ صودر بعد اربعة أيام من صدوره ، وقرر الحاكم عدم السماح مستقبلا بشيء من هذا القبيل بغير اذن سابق .

وجعل هاريس لنفسه مبدأ عبر عنه بقوله انه سيكشف عن ظروف الشئون العامة في الخارج والداخل ، وسيحصل على معلوماته لا من السلطات ، بل من كل من يتقدم اليه بمعلوماته ، ولن ينشر الحقائق وحدها ، بل سيعارض التقارير الزائفة التي تذاع بالباطل » . وهكذا وضع الحدود الواجبة التي يتعين أن يسير الصحفي في حدودها الحقيقية من أي مصدر ، ومكافحة الاكاذيب والاباطيل . وعاد هاريس الى لندن ليزاول نشاطه في حرية أوفر بعد الغاء الرقابة

وفي ٢٤ أبريل ١٧٠٤ ظهر العدد الاول من « رسالة أخبار بوسطن » وظلت قائمة حتى عام ١٧٧٦ وتولى رئاسة تحريرها الكثيرون منهم مارجريت درميير . وكانت أول جريدة دائمة في أمريكا ، وأول جريدة تنشر رسوما وملاحق ، وكانت أول جريدة تواجه مشكلات اصدار الصحف منها الحريق ، وصعوبة الحصول على الانباء بسبب تأخر وسائل المواصلات ، وصعوبة التأكد من صحة الاخبار التي تتلقاها . ومن التقاليد التي حرصت عليها أن تقدم « بيانا صادقا عن الوقائع في الداخل والخارج ، كما تصل .. من المصادر الصحيحة » ، بل ان هذا الحرص من جانب منشئها جون كامبل وصل الى حد المبالغة لدرجة أنه « ظهر خطأ في علامات الترقيم » في جملة عند نشرها » فلم يمض وقت حتى أعاد نشر الجملة مصححة »

لا شك أن الصحف اليوم تختلف عما كانت عليه فيما مضى ، ولكن أعظمها شأنا « تمضي على نفس التقاليد وتسير نحو

نفس الهدف ، وهو ما وصفه جون كامبل بقوله : ايراد الحقائق ايرادا أصيلا صادقا»

والكتاب الذى نقدمه يمتاز بالوضوح فى العرض وبالتفاصيل الحية فى غير اسراف، واستطاع المترجم الاستاذ أحمد أبو كف أن يبرز نفس الوضوح ويبعث نفس الحيوية، فى النص العربى ، وذلك كله فى أسلوب رصين ، مع أمانة بالغة فى التزام الاصل

وهو الامر الذى يجب أن يحرص عليه كل من يحاول ان ينقل عملا علميا أو أدبيا الى لغتنا العربية، واذا كان الكتاب خاصا بفترة من تاريخ الصحافة فى الولايات المتحدة ، الا أنه فى الوقت نفسه يبين لنا التقاليد التى ينبغى أن تتحلى بها الصحافة ،والصعاب التى تواجهها والمتاعب التى تلقاها فى أى بلد كان

نظرية التكامل الاقتصادى

تأليف : بيلا بالاسا
ترجمة : د ٠ راشد البراوى
الناشر : دار النهضة العربية
الثمن : ٥٠ قرشا

موضوع التكتلات الاقتصادية لاح فى الافق بوضوح ، واصبح موضع الاهتمام فى العالم منذ أن انتهت الحرب العالمية الثانية ٠٠ ثم بدأ يتبلور بمرور الوقت ٠٠ وخاصة بعد أن برزت السوق الاوربية المشتركة الى عالم الوجود

والتكامل الاقتصادى كما يشرحه مؤلف الكتاب هو عملية وحالة ٠ فبوصفه عملية يتضمن التدابير التى يراد منها الغاء التمييز بين الوحدات الاقتصادية المنتمية الى دول قومية مختلفة ٠ واذا نظرنا اليه على أنه حالة فان فى الامكان ان يتمثل فى انتفاء صور التفرقة بين الاقتصاديات القومية

والتكامل قد لا يتحقق مرة واحدة ٠ من الممكن تحقيقه على درجات متفاوتة ٠ وجدير بالذكر ان السوق المشتركة ـ أية سوق مشتركة ـ هى صورة ارقى من صور التكامل الاقتصادى

وهذا التكامل لا يعترف بالحواجز التى تعرقل النشاط الاقتصادى المتصل عبر الحدود القومية ٠ وهو يجنب الدول حالات الكساد ، ويساندها فى المحافظة على العمالة الكاملة ، ويحل مشكلات التنمية الاقليمية وينظم نقابات المنتجين Cartels والاحتكارات ٠٠٠ وما الى ذلك ٠٠

والكتاب الذى نقدم له يعتبر من أهم البحوث الشاملة التى تتناول نظرية التكامل الاقتصادى بصوره المختلفة ومراحله المتباينة، وذلك من الناحيتين النظرية والتطبيقية ٠ فالمؤلف لا يقتصر على مناقشة المبادىء النظرية التى تقوم عليها فكرة التكامل ولكنه يمضيه باستمرار الى تطبيقها على المشروعات القائمة فى الوقت الحاضر ، وعلى مستوى دول العالم كله ٠٠

ونحن فى بلاد العروبة فى حاجة الى اقامة سوق مشتركة ننمى عن طريقها اقتصادياتنا، وقد قرأنا فى الصحف والمجلات عن امكان قيام سوق عربية مشتركة ٠٠ ولو تحقق هذا ، فسيتحقق أمل من آمال العرب ، وهو الاكتفاء الذاتى ، ورفع مستوى المعيشة ، وحماية المنتجات من المضاربات والمنافسة

لكن كيف يتسنى لنا أن نقيم سوقا مشتركة ، ونجعلها تقف ندا للسوق الاوربية مثلا ٠٠ ان بين دفتى هذا السفر الكبير نظرية كاملة للتكامل الاقتصادى قد نستفيد منها ٠٠ خاصة وأن مترجم الكتاب الدكتور راشد البراوى قد بسطه لنا تبسيطا ـ على عادته دائما ـ بحيث جاء خاليا من التعقيدات، والالفاظ الغريبة ٠٠٠

ابناء عم
مجموعة قصصية

بقلم : وصفى آل وصفى
الناشر : مطبعة الفنار المصرية
الثمن : ١٥ قرشا

ان اسعفتنى الذاكرة هذه هى المجموعة القصصية الثانية للكاتب الاديب وصفى آل وصفى ، بعد مجموعته الاولى « وراء الرجاله التى كتبنا عنها فى حينها

ووصفي آل وصفي لاشك أنه من الموهوبين في كتابة القصة . ولست أناقش هنا هل هو يعالج هذا الفن وفق ما يريده النقاد أم لا ، وهل قصصه القصيرة تسير وفق الخطوط التي يتمسك بها أولئك الذين يقفون ، وفي أيديهم المقارع والعصي ، ينزلون بها على رأس كل من يحيد عن هذه الخطـوط ... انني أعرض أعماله ، والقارئ له الحكم

ان المؤلف درس القانون ، وهو يعمل مأمورا للضرائب ، أي انه غارق الى أذنيه في الارقام والقوانين ومشروعات القوانين.. ورغم ذلك فان موهبته القصصية تظل تزن في رأسه كمن يشعر بوجع في الدماغ ، فلا يهدأ له بال الا بعد أن يخرج عملا فنيا من بنات أفكاره ، وحي قريحته ...

وفي رأيي ـ الذي يتفق مع رأي القصاص حسين القباني مقدم المجموعة ـ أن أعمال المؤلف تنم عن أصالة في الفكر ، وقدرة على التعبير ، ودراية بفن الصياغة القصصية . وحسبه انه كاتب مجتهد يحترم قلمه ،ويحترم القارئ عن طريق احترامه لما يقدمه له من عبارة فكره ، وخلاصة مشاعره وتجاربه

وأنا أختلف مع الصديق حسين القباني في سبيل بعض قصص المجموعة على البعض الآخر . فكل القصص محبوكة حبكا جيدا . وان كان المؤلف قد خلق أوعية جديدة أو قوالب جديدة صب فيها قصصه

ولا بد أن يكون القارئ في اشتياق الى قراءة ما تتضمنه هذه المجموعة . ولكني أعرض له قصة واحدة على سبيل المثال .. هي قصة غابة واحدة » فهي قصة رمزية ، وبناؤها الفني محكم ، وهي تناقش الخير والشر الباطل .. انها باختصار تعرض للقارئ قطاعات مختلفة من الحياة ، وتؤكد أن الخير لم يذهب من هذه الدنيا . انه موجـود ، الدنيا بخير .. وعالمنا الذي نعيش فيه ليس سوى غابة واحدة فيها الخير ، وفيها الشر، لا نجاة للخير بالهروب فالشر في كل مكان . انما أمل الخير الوحيد في اتحاد بني الانسان وصمودهم ... لنصف قوة الشر في صفوف الاخيار ، ونصف عجرفة الباغي من قزع جبان ..!

ان أدب وصفي آل وصفي أدب جارح ،أو أدب عدواني كما يسمونه في أوربا . ان أدبه ذو أظفار ينشبها في وجه التقاليد مثل صوت يوحنا « الصارخ في البرية .. أعدوا طريق الرب » ..

وهذا واضح جدا في كتبه .. وان كان ضبابيا في مجموعتي قصصه

الوجودية مذهب انساني

تأليف : جان بول سارتر
ترجمة : عبد المنعم الحفني
الناشر : مطبعة الدار المصرية
الثمن : ١٠ قروش

ليس هذا كتاب وضعه سارتر لكي يكون مؤلفا يبحث في المذهب الوجودي ، انما هو في الاصل عبارة عن محاضرة ألقاها في نادي ماننيا ، ثم طلب اليه أن يعيدها حتى يستطيع خصومه الرد عليها ، فأعادها أكثر من مرة ، ورد على رد الخصوم ... وقام بترجمة هذا كله الى لغة الضاد الاستاذ عبد المنعم الحفني ..

وسارتر يهدف في فلسفته الى تحرير الانسان ، ووسائله لهذا الهدف هي أدبه الذي يتمثل في كتبه وقصصه ومسرحياته ومحاضراته . وأدب سارتر له خاصيتان جوهريتان مفادهما أن الادب الذي يدعو اليه هو أدب التزام أولا ، ثم هو بعد ذلك أدب مواقف . وحول الالتزام تدور أكثر قضايا سارتر العامة في فلسفة الاداء ، وحول المواقف تتركز الخصائص الفنية التي تتطلبها دعوة الالتزام

لكن الوجودية كأي دعوة جديدة أو مذهب فلسفي لاقت معارضة من البعض .. فقد اتهمها البعض ، وخاصة الماركسيون المتطرفون بأنها دعوة للاستسلام لليأس ، وأنها تبرز النواحي البشعة في الموقف الانساني ، وأنها تنسى أن في العالم شيئا مثل بسمة الاطفال ،وأنها تعزل الانسان عن العالم وتحصره في وجوده الفردي ، وتنكر حقيقة وجدية ما يفعله

البشر ، وانها تنزع نزعة ذاتية ، وتفرط فى ذلك

وقد رد سارتر على هـؤلاء جميعا ردا حاسما ، ووضع النقط على الحروف . وقال ضمن ما قاله ان الوجودية فلسفة متفائلة فانها فى صميمها تضع الانسان مواجها لذاته ، وحرا يختار لنفسه ما يشاء . وهى تجعل للانسان كرامة أكبر مما للحجارة أو المنضدة ، والانسان فى الوجودية صانع مستقبله

وقد ختم الكتاب بمناقشـة غاية فى الطرافة والتشويق بين سارتر والكاتب الماركسى ناقيل

ونحب ان نذكر ان ترجمة الكتاب جاءت ترجمة متمكنة غاية فى البساطة ...

المعجم الالمانى
المانى — عربى

تاليف : المهندس وديع فانوس
مراجعة : دكتور مراد كامل
الناشر : مكتبة الخانجى — القاهرة
مكتبة المثنى — بغداد
الثمن : جنيهان

بلادنا صارت دولة صـناعية كبرى منتجاتنا غزت أسواق العالم . أصبحنا نعتمد فى معظم احتياجاتنا على صناعتنا . وقل حجم الواردات بدرجة ملحوظة . ونحـن فى بداية نهضتنا الصناعية استعنا ببعض الخبرات الاجنبية . ولكن هذه الاستعانة لم تطل ، فالعقل العربى سريع الفهم وسريع الالتقاط .. وسريع الهضم

وفى طريق الصناعة الزاهرة من المفيد جدا ان نطلع على الثقافة الصناعية التى ألمّ بها الناس الذين سبقونا . ولهذا فاننا بحـاجة الى ترجمة الكتب التى تبحث فى الصناعة ، والنظريات الصناعية . وقد ترجم فعـلا العديد من الكتب حتى أصبحت المكتبة الصناعية عندنا زاخرة بأحدث ما يصدر فى كل بلاد العالم ..

وفى ترجمتنا للكتب نحتاج الى الرجوع الى القواميس والمعاجم . ولكن يجب الا تفهم دعوتنا الى الرجوع الى هذه القواميس والمعـاجم . ان حركة الترجمة عنـدنا ضعيفة ، او انه ليس عندنا من يستطيعون ترجمة الكتب بدون الرجوع الى القواميس والمعـاجم . ان بلادنا تزخر بالناس عاشوا فى بلاد الدنيا ، واصبحوا يعرفون لغاتها كأبنائها او اكثر . لكن ترجمة الكتب الصناعية باللذات تحتاج الى دقة . فاى خطأ قد يؤدى الى افساد عمل هام عنـدما يطبق عمليا . ومن هنا جاءت اهمية الرجوع الى القواميس والمعاجم للتثبت من الحقائق...

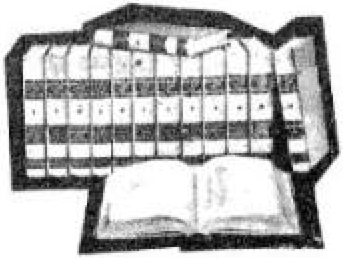
والمعجم الذى تقوم بنشره مكتبتا الخانجى بالقاهرة ، والمثنى ببغداد لا يسـتطيع أن يستغنى عنه كل عربى يتقن الالمانيـة . وهو يصلح للمهندس ، كما يصلح للطبيب والعالم والاديب . وفضلا عن ذلك فالمعجم يمتـاز بميزات قلما نجدها فى أترابه من المعـاجم والقواميس . فهو يضم بين غلافيـه المتن العربى لحوالى ٦٠ الف كلمة . وكل كلمة المانية لم يقتصر المؤلف على ايراد معنـاها العربى حرفيا .

لقد حاول المؤلف جهده أن يعطينا المعانى العربية المختلفة للكلمة الالمانية الواحـدة مثال ذلك .. كلمة Kipp ذكر لهـا مؤلف القاموس ٧ معانى وهى : حافة «ركن» طرف ، شفة ، موقف خطير ، سن المنشار ، ميزان وتمحيص ، وكذلك كلمـة Kirr معانيها العديدة هى : أليف ، لين العريكة ، شائع ، ممتثل ، مستأنس

ان هذا المعجم فيه جهد مبـذول ، وفى مقدمته وعود من المؤلف باصـدار قواميس أخرى ، ونحن من جانبنا ننتظر هذه القواميس التى ستكون بمثابة العمد القوية ، للتأكد والمساعدة على الترجمة الامينة

ونستطيع أن تحكم على مدى الجهد اذا عرفت يا عزيزى القارىء أن هذا المعجم الضخم قد استغرق من المؤلف حوالى ٢٠ سـنة . أما المراجع الدكتور مراد كامل فهـو غنى عن عن التعريف ، فهو أحد أعضاء مجمـع الخالدين ، ويتقن ١٩ لغة ، وهو رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة القاهرة


مكتبة الخانجي
تهنئ الشعب العربي الكريم
وتقدم للقراء العرب في كل مكان
بهذه الأيام المباركة
مجموعة قيمة من ذخائر
التراث ..
والكتب الحديثة
الثمن
مواطنون لا رعايا .. بقلم : خالد محمد خالد ١٢
ليل له آخر .. قصة : يوسف السباعي ١٠٠
المعجم الألماني (ألماني - عربي) للمهندس وديع فانوس ٢٠٠
يوم الإسلام . للمرحوم أحمد أمين ٤٠
جدد حياتك محمد الغزالي ١٥
طريق المجد للشباب ٢٠
التثقيف الذاتي لسلامة موسى ٢٥
عقلي وعقلك ٣٠
تقويم البلدان لأبي الفداء ٣٥٠
انشاء الدوائر .. لمحيي الدين بن عربي ٣٠٠
الأنساب المتفقة للقيسراني ١٢٥
المصاحف .. للسجستاني ٢٥٠
المسالك والممالك لابن خرداذبة ٢٠٠
تطلب النسخ من مكتبة الخانجي بالقاهرة ، والمثنى ببغداد ، ومن المكتبات الكبرى في العالم العربي



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

المعركة من اجل زعامة المحافظين

The Fight for the Tory Leadership

الكاتب : راندولف تشرشل

Randolph Churchill

الناشر : هينمان

الثمن : ٧ شلنات ، ٦ بنسات

لقد انقضى أكثر من خمسة اشهر على المؤتمر الذى عقده المحافظون فى بلاكبول ، وعلى الدسائس التى شهدها امبيريال هوتيل ، مما انتهى باختيار سير اليك دوجلاس هيوم خلفا للمستر هارولد ماكميلان ليحتل مكانه فى داوننج ستريت . وبدا كأنما الناس أخذوا ينسون ماحدث ، وان كانت التفاصيل الدقيقة المتعلقة بأزمة زعامة المحافظين ، لها أهميتها التاريخية ، لا من حيث أنها حددت الشخص الذى قدر له أن يكون رئيسا لوزراء بريطانيا ، فحسب ، بل ولانها تكشف أيضا من الاساليب التى يتبعها هذا الحزب كما توضح أين تكمن القوة الحقيقية . وكان لزاما أن تطفو هذه التفاصيل الى السطح وهذا مافعله راندولف تشرشل بكتابه الذى أثار ضجة كبرى فى الاوساط السياسية والصحفية . والكتاب مهم لانه أول محاولة جديدة لازاحة الستار عما كان يجرى فى الخفاء خلال تلك الايام القلقة ، كما يزيد من أهميته أن ماكميلان نفسه زود المؤلف بالكثير من التفصيلات الواردة فى الكتاب . وأهم من هذا أن راندولف يقدم لنا عرضا مفصلا وواضحا للايام الأخيرة من رئاسة ماكميلان حين كان راقدا فى سرير مرضه محاولا الوصول الى حل للازمة ، وهذا مايبدد الاتهام الذى تردد بأن ماكميلان كان « يحدد » خلفه

يصف لنا المؤلف كيف أنه فى يوم الاثنين بعد بلاكبول حين كان حزب المحافظين يسوده الاضطراب ، أملى ماكميلان مذكرة بعث بها الى وزارته .

أوضح فيها أنه لايستطيع أن يدلى بمشورته وأنه يجب أخذ آراء الوزارة ومجلسى البرلمان والحزب . ووافقت الوزارة على هذا الاسلوب ، ونقلت نتيجة الاستفتاء الى رئيس الوزراء المريض فى صباح الثلاثاء . وأظهر الذين قاموا باستطلاع الرأى وهم لورد ولهورن عن الوزارة ، ومارتن ردمين عن مجلس العموم ، ولورد سانت ألدوين عن مجلس اللوردات ولورد بول عن الحزب ، أن هيوم يتقدم على منافسيه ولكن بصعوبة ، وان هيلشام وبتلر متعادلان . وبعد ظهر ذلك اليوم دعا مكميلان الاربعة وراح كل منهم يدلى أمام زملائه بما انتهى اليه ، واقتنعوا جميعا بأن هيوم له الاسبقية . وهنا يقول راندولف تشرشل أن مثل هذه التحريات لم تحدث من قبل فى أى حزب بريطانى ، وهو

يطلق على هذا الاسلوب عبارة ديموقراطية الحافظين . اما خصوم هيوم فاعترضوا على الطريقة التى اتبعت قائلين انها مزيج غير موفق من العمليات المعتادة والاستفتاء الديموقراطى . وكان أصعب الايام هو يوم الجمعة حين دعى هيوم الى القصر ، وهنا يكشف تشرشل عن امور جديدة ، فبعد أن أخفق أنصار مودلنج ليلة الخميس فى خطتهم من أجل ابعاد هيوم عندما اجتمعوا فى بيت اينوخ باول ، حدثت محاولة أخرى فى آخر لحظة صباح الجمعة وكان الذى نظمها هو هيلشام ، بل ان الاخير عقد اجتماعا ثلاثيا ضم بتلر ومودلنج ، ثم عقد اجتماعا ثانيا ضم هيوم نفسه حيث واجهوه باعتراضاتهم ، ولكن الوقت كان قد فات اذ تمكن هيوم من نيل تأييد الاغلبية

ويعترف تشرشل بأن بعض أجزاء من القصة التى يرويها ، ليست كاملةتماما ، مثال ذلك أنه ينكر الرواية التى ترددت فى بعض الصحف وهى أن بتلر حاول فى صباح الجمعة أن يتصل تليفونيا بالمستر ماكميلان ولكنه لم يتمكن من ذلك . الا انه يبدو أن بتلر كان ينتظر شيئا فىذلك اليوم ، ولكن هذا الشىء لم يزح الستار عنه بعد . وفى كتابه يهاجم تشرشل صحيفة التايمز لانها نشرت صباح الجمعة وقبل توجه هيوم الى القصر عنوانا غريبا هو « قد تستدعى الملكة المستر بتلر اليوم » .

واذا كان المستر تشرشل قد كشف عن حقائق كثيرة الا انه أغفل تقديم جواب على عدد من الاسئلة دارت بأذهان الناس، لماذا مثلا تعجل هيلشام فى التنازل عن لقبه ؟ وما الذى كان يهدف اليه مودلنج وماذا كان يعمل ؟ وهل كان فى امكان بتلر أن يتولى رئاسة الوزارة لو انه لعب أوراقه بمهارة ؟ من المؤكد أن ماكميلان لم يكن راغبا فى حدوث الامر الاخير . هذه أسئلة كان القارىء يتوقع من المؤلف أن يلقى عليها بعض الضوء . ولكن المؤكد أيضا ان من اكبر أسباب فوز هيوم بالمنصب ان منافسيه كانوا مختلفين فيما بينهم ، وكان كل منهم يعمل لحسابه الخاص

ابطال وزنادقة : تاريخ سياسى للفكر الغربى

HEROES AND HERETICS : A Political History of western Thought

المؤلف : باروز دنهام
Barrows Dunham
الناشر : ديفورد (فيلادلفيا)
الثمن : ٦ دولارات ، ٩٥ سنتا

ان الابطال والزنادقة الذين يتحدث عنهم باروز دنهام فى كتابه هذا الذى نقدمه ، ليسوا فئتين متعارضتين ولكنهم يمثلون فئة الزنادقة البطوليين ممن سجل التاريخ اسماءهم وفعالهم . وهم مجموعة تبدو الغرابة فى اختيارهم : فهناك سقراط بكأس السم الذى أهلك به نفسه ، وبيلاجيوس ، وابيلارد العاشق والعالم ، ومارتن لوثر وكلفن زعيما حركة الاصلاح الدينى واللذان لا يميل اليهما المؤلف كثيرا ، وجان دارك التى يكاد يعبدها . وهناك ايضا جون لوك « مؤسس التقليد الليبرالى » ، وفولتير الساخر ، وكارل ماركس الذى يزأر فى وجه الرأسماليين وهناك مجموعة أخرى من بين أفرادها شخصية فريدة هى يسوع الناصرى : هؤلاء جميعا من العظماء ، ولكنا لا نقابلهم فى موكب واحد الا فى هذا الكتاب ، وهم هنا لانهم جميعا منشقون على عصورهم ، واذن يمكن أن نصف الكتاب بانه عبارة عن تاريخ الانشقاق وفلسفته ..

ولكن لماذا يمجد دنهام هؤلاء المنشقين ؟

انه يقدم لنا الاجابة على النحو الآتى :

ان الارثوذكسية (أى العقيدةالصحيحة) ليست ولاء للحقيقة ولكنها ولاء لتنظيم معين . لنفرض مثلا أنك تؤمن بقصة الخليقة أو بالمعجزات أو بالثالوث المقدس .. فهل يرجع هذا الى انك امعنت النظر فى الادلة فوجدتها تجبرك على الاقتناع . يكاد من المؤكد أن يكون الامر خلاف هذا . السبب هو انك تنتمى الى كنيسة تقف بقوتها ومركزها وراء هذه المعتقدات تفرضها عليك بقوة لاتستطيع مقاومتها حتى ولو كانت قوة لاتدركها

ومن اين يأتى التنظيم نفسه بهذه

المعتقدات ؟ هل بطريق العلم ؟ أو من التاريخ النقدى أو من التأمل والتفكير ؟ كلا على وجه التأكيد . ان معظمها مصدره الشعر البدائي والباقي كان وليد الضرورات . فالذين كتبوا قصة الخليقة في التوراة لم يعرفوا شيئا عن التاريخ وانما تصوروا كيف كان في الامكان أن تحدث هذه الاشياء ، فراحوا يسطرونها في براءة . والذين أوردوا أخبار المعجزات لم يعرفوا شيئا عن العلم وقواعده ، وكتبوا ماسجلوه ، بروح من الحرية الساذجة ، استمدوا من قواعد الاحتمال . وماذا عن فكرة الثالوث المقدس ؟ انها ليست بالعلم أو الفلسفة المنزلة .. ولكنها كما يقول المؤلف نوع من « الفقه » أملته الضرورة عندما أرادت الكنيسة ان تنتصر على أعدائها وتسود العالم . ومن هذا نخلص الى نظرية دنهام وهي أن مايقال له العقيدة الصحيحة (الارثوذكسية) هي أولا وليدة الخيال لا العقل ، ثم أخذت النظمات المختلفة تحافظ عليها بدافع من مصلحتها

والآن مامعنى الزندقة أو الهرطقة ؟ انها — في رأى الكاتب — محاولة للكشف عما هو حقيقى ، وهذا الهدف يجعل العلم والفلسفة على صراع مع الارثوذكسية . ومن هذا فصراع الهرطقة ضد الارثوذكسية هو معركة بين العقل النزاع الى البحث وبين المصالح الثابتة ، أو بين الحقيقة والسلطة ، وبين العلم والحقيقة .. فالاسلوب العلمى في نظر دنهام هو الاسلوب الوحيد الذى يطمئن اليه في البحث عن الحقيقة ، حتى في مجال الدين

هذه النظرة تنكرها الارثوذكسية بشدة ولاسباب واضحة . ولكن « بعد أربعين قرنا من الصراع فان الارثوذكسية هي التى تقف الآن موقف الدفاع » . كان من السهل حمل جاليليو على أن ينكر آراءه . في القرن السابع عشر ، فلما جاء القرن ١٩ صعب اتخاذ مثل هذا الاجراء مع الذين طلعوا بنظريات فلكية مماثلة . وقوبل داروين بالسخرية والاستهزاء . ولكنه أصبح بطلا في النهاية . والنتيجة انه حين يرتبط الايمان بحب الحقيقة ، فان الارثوذكسية القديمة المتعصبة مآلها الى الزوال . وهذا مايحاول المؤلف أن يثبته وهو يروى لنا قصص أولئك الذين خرجوا على الافكار السائدة في عصورهم وعلى التقاليد الفكرية وراحوا يخضعونها لمقياس جديد هو اكتشاف الحقيقة

وبالرغم من هذا فان بارون دنهام لايتمشى مع منطقه حتى النهاية أو مع نظريته . فما من شك أن الاكوينى وبتلر وماتسيل يندرجون في عداد الارثوذكس ، ولكن من الصعب ان نقول عنهم انهم كانوا أسرى « لغير المعقول » بأكثر مما كان عليه غيرهم من المثقفين . وكان لوثر وجورج فوكس من الثائرين على العقائد السائدة في زمانهما ، ولكنا لانجد في أقوالهما الحماسية مايوحى بذلك السعى العلمى والموضوعى وراء الحقيقة . والكاتب شديد الاعجاب بجان دارك ولكنها تبدو نشازا في موكب يضم سقراط وجون لوك وسبينوزا ، فهذه المراهقة الامية بالاصوات الغريبة التى زعمت أنها كانت تسمعها ، كانت تتحرك مدفوعة بذلك المزيج المضطرب من الشعر والحقيقة وهو مايعده دنهام الامارة التى تتميز بها الارثوذكسية

والحجج التى يدلى بها المؤلف أحيانا ليست قوية في اقناعها ، وابرز مثال على هذا قصة المسيح . انه يعتبر القصة «قصيدة شعرية» سامية ، ولكنها ليست علما » . فالمسيح في نظره كان « ثوريا عاملا » ويقول « وفي اعتقادى أن المسيح كشخصية تاريخية ، كان زعيم حركة مسلحة للتحرير الوطنى » . أما أن هذا الرأى مخالف لما ورد في الاناجيل ، فلأن الاناجيل كتبت « وهي تضع السياسة الجارية في اعتبارها » ، بمعنى أن الذين كتبوها كانوا يشعرون بالخوف من الدولة الرومانية فأرادوا تهدئة خواطرها فقالوا ان الحركة المسيحية لم تكن حركة هدامة ولاتسعى الى ملكوت الارض اطلاقا وانما تتحدث عن مملكة السماء . ويحاول الكاتب أن يستشهد بفقرات وعبارات وردت في العهد الجديد ، ولكنها لاتكفى دليلا مقنعا يثبت به نظريه بمثل هذه الجسراة عن أهداف المسيح وخلقه

الواقع أن الكتاب يبعث على الجدل والتفكير ، ولكن أكبر ميزة فيه انه يبين أن معظم العقائد التى تتكون منها

الارثوذكسية ، هى فى طريقها الى الزوال تحت وطأة البحث العلمى . انه يريد ان يطلب منا جميعا ان نوفق بين معتقداتنا وبين الادلة ، دائما وفى كل مكان ، وهذه دعوة لا خلاف بشأنها اليوم ولعلها تبرر هذا العمل الذى قام به وقدمه الى القراء

الذهاب الى المدينة ، وقصص أخرى

GOING TO TOWN
And other stories
المؤلف : يورى كازاكوف
Yuri Kazakov
الناشر : هوتون ميفلين « بوستن »
الثمن : ٤ دولارات ، ٩٥ سنتا

لعل ابرز ظاهرة يتميز بها الفن القصصى فى الاتحاد السوفييتى اليوم ، انه يكاد ان يقتصر على القصة القصيرة ، مقتديا بالتقليد الكبير الذى وضعه تشيكوف . فالكتاب الشبان ينظرون الى الرواية novel على انها قالب « ستالينى » له اوضاعه وتقاليده التى تحد من جهودهم فى سبيل التعبير عن افكارهم ومشاعرهم . فخلال عصر ستالين الذى دام ربع قرن ، كان الادب الروسى — والرواية بوجه خاص — مسرحا تلقن منه الدولة للشعب آراءها وتلقى بعظاتها وتتحدث عن اهدافها كما تصورها ذلك الحاكم . كانت « الواقعية الاشتراكية » تشترط ان يكون للرواية موضوع هو الصراع بين « البطل الايجابى » و « البطل السلبى » ، ويجب ان ينتهى بانتصار الطرف الاول دائما ، ولهذا لا تعجب اذا مل الشعب ذلك النوع من الرواية ، واذ ملهــا الكتاب بعد ستالين تحولوا الى القصة القصيرة التى تعالج شطرا من الحقيقة ، يوحى بفكرة او يبعث على التفكير ، ولكن دون ان يحل شيئا مهما كان

وفى مقدمة الشبان الذين يمكسون هذا الاتجاه الجديد ، يورى كازاكوف (٣٦ سنة) . وفى هذه المجموعة من القصص التى تترجم الى الانجليزية لاول مرة ، نراه يسخر لا من التقاليد التى سار عليها الادب السوفييتى خلال عصر ستالين فحسب ، بل انه يهاجم ايضا تلك الاسطورة التى يمجدها المجتمع السوفييتى عن « الحياة الجماعية » . ان اهتماماته وعواطفه منصبة على طريدى هذه الحياة والخارجين عليها والارواح الضائعة فيها ، فنجد من بين ابطال قصصه السكارى والمتشردين والنسوة القبيحات المنبوذات . وفى قصته « آدم وحواء » صورة مجردة لرسام رفضه المجتمع فانتهى به الحال الى الابتعاد عن الحياة البشرية بأسرها . ولهذا السبب تعرض كازاكوف للاتهام من جانب الدوائر الادبية الرسمية بأنه « متشائم » و « منحل » وعاجز عن التمييز بين الخير والشر . لكن لا يمكن ان يقال عنه انه مجرد من الشعور الاخلاقى ، انه فى الحقيقة يتحدث عن الضعف البشرى وعدم عصمة الانسان ، وعما يصاحب ذلك من الشرور

وفى قصص كازاكوف نراه يمجد الحب بين الرجال والنساء ، وبين الاباء والاطفال ، واهم من هذا حب الانسان للطبيعة . والبيئة التى يصورها هى المناطق القاحلة المغطاة بالجليد فى شمال الاتحاد السوفييتى ، والبحر الابيض White Sea والانهار والغابات — وكلها اماكن يستطيع ان يعيش فيها المرء دون ان يخرق عزلته احد . وقد تبدو قصصه ساذجة او عاطفية ، كأن نرى المراهقات يتحملن آلام الحب الاول ، ونرى الام وهى تجرى فى الطريق وقد تملكها اليأس وهى تودع ابنها . ومع ذلك فهى قصص تمتاز بالبراءة ، تلك الصفة التى نلقاها عند تولستوى والتى استطاع ان يحافظ عليها باسترناك من بعده .. !

جولين جورينو

Julio Jurenito
الكاتب : ايليا اهرنبرج ترجمه عن الروسية انا بوستوك »
الناشر : دبفور) فيلادلفيا (
Ilya Ehrenburg
الثمن : ٣ دولارات ، ٩٥ سنتا

يطلق بعض النقاد الغربيين على ايليا اهرنبرج عبارة « الكاتب السوفييتى

الذي اراندي اقنعة كثيرة في اماكن كثيرة » . وفي جميع الاستفتاءات التي اجريت في الغرب حول الادباء السوفيت ، نجده يحتل المكان الثاني بعد ميخائيل سولوخوف ، صاحب الملاحم القوزاقية الرائعة . وترجع شهرة الرجل الى أن رواياته وقصص أسفاره مليئة بالحياة وتعالج مسائل كانت لها أهميتها ، والواقع أن من حسن حظه أنه كان شاهدا عيان او شريكا في بعض الاحداث الهامة ؛ من قبيل الحرب الاهلية الاسبانية ، ودخول هتلر الى باريس او الغزو الالماني للاتحاد السوفيتي ، وموت ستالين وللرجل مقدرة فائقة على التلاؤم مع الظروف والاحداث الامر الذي جعل في امكانه أن يعكس في كتاباته التغييرات التي طرأت على الجو السياسي او التقاليد الفنية ، وبلغ من قدرته في هذا المجال ان لاحظ أحد النقاد السوفيت أن اهرنبرج يبدو بوجه جديد في كل كتاب جديد يخرجه

غير أن هناك رواية راحت تصلح لفهم هذا الرجل الذي يشتد بشأنه الجدل ، والذي يتميز بالغموض ، والخصيب الانتاج ، والذي يعتبر أوسع الكتاب السوفيت شهرة واكثرهم اقبالا على كتبه من جانب مواطنيه وغيرهم . هذه هي رواية « جوليو جورنيتو » التي تعتبر أول عمل أدبي هام أخرجه ، فقبل ظهورها لم تكن حياته محددة . ففيما بين عامي ١٩٠٨ ، ١٩١٧ كان لاجئا سياسيا في باريس ، واعتقد في نفسه أنه شاعر موهوب ، وكتب قصائد قيمة واتصل برجال مدرسة السرياليين الفنية ، وعمل مراسلا لصحيفة من الدرجة الثانية في سان بطرسبرج . وبعد نشوب ثورة ١٩١٧ عاد الى الروسيا ومر بتجارب عدة . كان عضوا في الطليعة الادبية ، وضحية لتجارب الحرب الاهلية ، ومعارضا للبلاشفة في اشعاره ، ثم أصبح بعد ذلك صديقا للوى النفوذ من الشيوعيين ورفيقا لهم في أسفارهم . وفي عام ١٩٢١ سمح له بالسفر الى اوروبا ليوافي الصحف بتقارير من الغرب الآخذ في الانحلال . وكان البوليس الفرنسي يشك في كل من يحمل جواز سفر سوفيتي ولهذا طردوه من باريس فأقام في بلجيكا

ونشر روايته المشار اليها في عام ١٩٢٢ فثبتت مركزه كأحد الكتاب الذين ينتظرهم مستقبل باهر ، وسرعان ما ثبت هذا التنبؤ بالكتب الكثيرة التي اخرجها حتى صار في مقدمة او على رأس الادباء السوفيت . وكانت كتبه تطبع بالآلاف ، ولكن صدر القرار بمنع تداول « جوليو جورنيتو » ، ولم يسمح بعودتها الى الظهور الا بعد اربعين سنة عندما صدر المجلد الاول من مؤلفاته

الواقع أن اهرنبرج ولد ليكون هداما ، ولكنه لم يجرؤ على تقبل هذا المصير الذي اختاره له القدر واضطر الى أن يسير مع التيار . وخلال حياته ارتدى أكثر من قناع ، وهذه الاقنعة نراها في « المغامرات الشاذة التي قام بها جوليو جورنيتو وتلاميذه الستة » . وجوليو مكسيكي شاب ؛ ولعله صورة للمؤلف نفسه ، ذلك أن تعليقات البطل على الحضارة الاوربية والثورة البلشفية تعكس أفكار اهرنبرج ومشاعره الخاصة . فهو يهزأ بالتفكير البورجوازي ، ويضحك من جشع الراسماليين ونفاق الساسة ، ويسخر من الاخلاق والدين ، ومن الحب والتدخين والتليفون والحرب والزواج والتطرف

وجورنيتو لا يؤمن بشيء ويكره الاحكام المطلقة ويمقت الاكاذيب . وهو يتخذ صورا متعددة ، فيغدو رجلا من رجال المال ، وثوريا ، ودبلوماسيا ، والتلاميذ الذين يصاحبونه في رحلاته يمثلون – أو المفروض أنهم يمثلون – السمات البارزة والنقائص الظاهرة في شعب كل بلد يزورونه

فالمستر كول ، الامريكي الغني ، يؤمن بكتابين فقط هما الانجيل ودفتر الشيكات . والمسيو ديليه ، رئيس ادارة شركة حانوتية ، يمجد الوضوح ، والنساء الصغيرات ، ويدعو الى عدم الاسراف في استخدام النطق والاعتدال والكبرياء القومي . والبكسليشين الروسي الضعيف ، يحدثنا من حياته في الحانات القذرة حيث مزج الفودكا بدموع السكر ، ويلقي الخطب الطويلة عن [illegible] التألم . أما شميت الالماني فمتعلق بالنظام والتنظيم الى حد أنه على استعداد لان ينضم الى اليمين المتطرف او اليسار المتطرف بشرط أن

يحول أي منهما الحياة الى جدول زمني ثابت ، وهو يهزأ من بوميا كى التشرد الايطالى الذى يفضل الشوشاء على العمل ، والتبلد على النظم ، كما يرفض عائشة الزنجية الوافدة من السنغال والتى تقوم بصنع الاصنام من الخشب

ومن طريق هذه الشخصيات يرفض امرنبرج المجتمع التجارى القائم فى الغرب ، ولكنه فى الوقت نفسه يجد الثورة البلشفية مخادعة تماما . انه يسأل : لماذا يتحدث الشيوعيون بهذا الهراء عن دفاعهم عن الحرية دون أن يجدوا فى انفسهم الشجاعة كى يقولوا انهم يبنون دولة قائمة على الارقام ، تبقى على السجون القيصرية ولا تعمل الا على زيادة عدد البيروقراطيين ؟

ان امرنبرج فى هذه الرواية يجمع بين شيئين وهما الميول الهدامة « النيهيليست » التى امتاز بها بعض الفوضويين الروس قديما ، وبين روح باريس الذكية ، الساخرة والقاسية

كوبا : ماساة امريكية

CUBA : An American Tragedy

الكاتب : روبرت شير ، موريس زيتلين

Robert Schéer and Maurice Zeitlin

الناشر : بنجوين

الثمن : ٥ شلنات

يقول المؤلف « اذا كانت الفرص ضئيلة اليوم امام الديموقراطية السياسية فى كوبا ، واذا كانت كوبا تقبل وتقلد الاساليب السوفيتية بروح خالية من النقد ... فان هذا نتيجة السياسات التى سارت عليها حكومة الولايات المتحدة » . هذه النظرية التى يدور عليها الكتاب ، لقى القبول فى أوساط كثيرة فى أوربا ، لكن الحقائق لا تدعمها ، كما أنها ليست موضع القبول من جانب الكوبيين انفسهم الذين لا ينسبون التطورات التى سارت فيها بلادهم ، الى أخطاء امريكا أو غيرها . فالمشروع الحر فى كوبا لم يقتله كاسترو ، وانما قتل نفسه بنفسه قبل ذلك بوقت طويل - ان كوبا ، على خلاف معظم بلاد امريكا اللاتينية ، كانت (الى حد كبير) بلدا صناعيا ، ولان صناعة السكر الآخذة فى التدهور ، لم تعد تنافس فى الخارج على الاسواق ، ولكنها قنعت بالحصص التى خصصتها لها ادارة شئون السكر

وحدث التدخل من جانب الدولة فى الصناعة عدة مرات قبل عام ١٩٥٨ ، حتى أن عددا من المنظمين كانوا يفضلون أن يحولوا ادارة مشروعاتهم الى أيدى وزارة العمل ، بسبب عجزهم عن الوقوف فى وجه النقابات العمالية التى كانت تسيطر عليها البيروقراطية . والمؤسسات الاخرى (مثل الجيش والبيروقراطية والكنيسة) اما أنها ذوت وتدهورت ، أو أنها لم تكن ذات أصول متغلغلة فى أعماق التربة الكوبية . وكانت الديموقراطية السياسية أداة يستفيد منها أصحاب النفوذ والمصالح . وبهذا يتضح ان معظم القوى التى كانت تشكل قيدا على التطور ، كانت قد انهارت فى كوبا قبل أن يثور كاسترو ضد باتيستا ، وان كان ذلك الانهيار قد حجبه مظهر ثراء زائف . وفى الوقت نفسه كان هناك حزب شيوعى مضت على قيامه فترة لا تقل عن ٣٠ عاما ، وكانت له سيطرة على النقابات

فعندما اقام كاسترو الديموقراطية الشعبية فى كوبا ، لم يكن ذلك رد فعل من جانبه ضد الولايات المتحدة ، أو تمشيا مع متطلبات مؤامرة ما اعدت قبل ذلك بوقت طويل ، بل انه لم ينكث بوعده فيخون ثورة ليبرالية وعد بها ، كان الاسلوب الذى أخذ به فى الحكم هو المخرج السهل امامه فى ظل البناء الاجتماعى والاقتصادى الذى كان قائما فى كوبا فى ١٩٥٨ — ١٩٥٩

فخلال الشهور الستة الاولى من حكمه حاول بشدة أن يخلق شيئا جديدا يختلف من الشيوعية ، ولكنه أخفق لان النظم الموجودة آنذاك كانت اضعف من أن تساند عملية الاصلاح التدريجى . ربما كان اصدقاء كاسترو المقربون اليه (راؤول كاسترو ، جويفارا) قريبين من الشيوعيين منذ حوالى عام ١٩٥٦ ، واستغل الشيوعيون النظاميون القدامى الفرص المتاحة لهم ، وربما كان كاسترو حريصا على أن يجد نوعا من التفسير لدوره فى التاريخ . ولكن العامل الحاسم فى التحول

الذى طرأ على كوبا كان نوع أدوات الانتاج فى بلد أساس رخائه صناعة السكر ، وهى أدوات كانت فى وضع يمكن للقلة من الاثرياء ولا يدع للاغلبية الساحقة سوى الفاقة والشقاء . من المؤكد ان الحكومة الامريكية تصرفت بغباء ، ولكن ليس صحيحا أن هذا هو السبب الرئيسى فى التحول الذى حدث فى كوبا

بلاد العرب السعيدة « اليمن »

ARABIA FELIX

الكاتب ثوركيلد هانسن « وترجمه ج. ك. هالا فارلين »

Thorkild Hansen

الناشر : كولينز

الثمن : ٣٠ شلنا

بالرغم من قلة عدد الذين يعرفون كارستن نيبور Carsten Nie buhr أو يقرأون ماكتبه ، فقد كان الرجل من ألمع الرحالة فى القرن الثامن عشر ، وهو الذى رسم أول خريطة للبحر الاحمر يحتذيها معالمه واول خريطة لليمن . وولد نيبور فى عام ١٧٣٣ من أسرة اشتغل أفرادها بالفلاحة طيلة أجيال متعاقبة ، وبدأ تعليمه فى سن الثانية والعشرين ، ودرس علم الفلك ، واشتغل بأعمال المساحة . ولما بلغ السابعة والعشرين من عمره وقع عليه اختيار ملك الدانمرك لينضم الى خمسة آخرين ، كلفوا بازاحة الستار عن أسرار الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة العربية . وعاد وحده بعد سبع سنوات من الاسفار ، ومأساة هذه الحادثة هى موضوع الكتاب الذى نقدمه . ان قدرا كبيرا من المعلومات التى كان يعرفها العالم عن اليمن حتى وقت قصير ، ضمنه نيبور فى كتاب ضخم من مجلدين ، ولكن لم يظهر قبل الان كتاب يروى لنا بالدرجة الكافية قصة المأساة التى عاشها الرحالة الستة ، وقصة التراكم التدريجى للمشاكل التى عانوه والاخطاء التى وقعوا فيها . كان هؤلاء القوم مدفوعين بالاسطورة التى كانت تتحدث عن اليمن القديمة ، وكان الامل يحدوهم فى أن يشهدوا البلد الذى كانت ثروة الشرق تفرغ فى موانيه حيث يجرى توزيعها ونقلها الى البلاد الاخرى . وظلت اليمن معروفة عندهم باسم « بلاد العرب السعيدة » . ولكن ، بعد قضاء عام فى مصر ، وبعد رحلة فاشلة من أجل اكتشاف شبه جزيرة سيناء ، وصلوا الى شاطىء اليمن الشمالى ، فلم يجدوا أثرا باقيا يدل على طريق البخور المشهور فى التاريخ ، وانما وجدوا أرضا أهلكها الاهمال الذى دام قرونا

وصلت الجماعة فى أواخر عام ١٨٦٢ وقضت الشتاء فى بهجة وهى تجمع عينات من النباتات والحفريات، وتضيف مدنا وأماكن كثيرة الى الخريطة التى أعدها نيبور ، وتنعم بالعيش وسط الشعب الودود وبالمناظر الخلابة الممثلة فى حقول البن الممتدة على سفوح الجبال والتلال ، وهى مناظر قلما نجد مثيلا لها فى بلد آخر

وباقتراب عام ١٨٦٢ من نهايته انتهت تلك الفترة البهيجة من حياة الرحالة ذلك أن بلدة بيت الفقيه التى اقاموا فيها تعتبر من أشد جهات العالم حرارة ، وكانت الملاريا خطرا دائما ولم يكن تشخيصها معروفا بعد . واخطأ الرحالة اذ قرروا قضاء الصيف فى « مخا » ، فلما صعدوا أخيرا الى المناطق المرتفعة للوصول الى صنعاء التى رحب بهم أميرها ، كان اثنان منهم قد قضيا نحبهما ، بينما تركوا ثالثا مريضا فى الطريق

وسافرتهم رحلة العودة الى الهند حيث فقد نيبور آخر رفاقه ، وبالرغم من مرضه استطاع بقوة ارادته أن يرجع الى وطنه عن طريق الخليج العربى وبغداد وسوريا . هذا وان العمل الذى قام به ليظل حتى الان شيئا لاغنى عنه لكل من يريد ارتياد بلاد الجمهورية العربية اليمنية

اعنة السلطة : تاريخ دستورى للولايات المتحدة

THE REINS OF POWER :
A Constitution al History of the United States

الكاتب : برنارد شفارتز

Bernard Schwartz

الناشر : هل ، وانج « نيويورك »

الثمن : ٤ دولارات ، ٥٠ سنتا

من العبارات المأثورة عن جون ستيوارت مل قوله : « لا يزال امامنا الكثير الذى يتعين

أن نقوله ، بصدد جميع الموضوعات الكبيرة ، ولا شك أن من هذه الموضوعات والتي تشغل بال المواطنين الامريكيين الموضوع المتعلق بتطورهم الدستوري والمشكلات التي تحاول أن تجد لها حلا المؤسسات الدستورية القائمة في الولايات المتحدة ، والكتاب الذي نقدمه مصداق لعبارة مل سالفة الذكر . اما المؤلف وهو أستاذ القانون في جامعة نيويورك ، فالموضوع الذي يعالجه ليس غريبا عليه فهو صاحب بحث يعتبر من المراجع الهامة في العالم عن القانون الدستوري ، ولكن ميزة الكتاب الحالي هي في بساطة العرض ووضوح الفكرة بحيث يستطيع القارىء العادي أن يطالعه وأن يستفيد منه

ويبدأ الكتاب بالنص المنقول عن جلادستون من أن الدستور الامريكي « أعجب عمل في وقت معلوم أنجزه عقل الانسان وغرضه » ، ولكن المؤلف يبين في تفصيل كثير ، هذا الخطأ الذي وقع فيه جلادستون ، وكيف أن الذين صاغوا هذا الدستور كانوا متأثرين الى حد كبير بجون لوك وسير ادوارد كوك ، وان كنا نرى أن من الغرابة في هذا الصدد اغفال أثر الفيلسوف الفرنسي منتسكيو والذي تحدث عنه أحد الآباء المؤسسين « للولايات المتحدة » بأنه الطرف الذي كانوا دائما يقتبسون منه ويشيرون اليه ويرجعون اليه . والموضوعات الاولى التي يعالجها المؤلف هي الاساليب التي كانت تسير عليها الحكومات الاستعمارية ، والحلول الوسطى التي توصلوا اليها في مؤتمر فيلادلفيا ، والغموض المتعمد الذي يشوب بعض نصوص الدستور ومنها العلاقة بين رئيس الجمهورية والكونجرس . بعد ذلك ينتقل المؤلف الى « البطل » الذي يستأثر باعجابه ، وهو جون مارشال الذي ظل كبيرا للقضاة طيلة ٣٤ عاما والذي استطاع أن يجعل من المحكمة العليا ، مشرعا كما كانت قاضيا ، بحيث كانت الاحكام التي تصدر عبارة عن تفسيرات للدستور فزادته وضوحا وثباتا واصبحت مبادىء جديدة لها قوة نصوص الدستور نفسه

وعندما يعالج « الدستور المعاصر » يبدو أن المؤلف يعلق أهمية خاصة على العلاقة بين رئيس الجمهورية والكونجرس ، فيقول : « اذا كان هناك شيء يثير الاضطراب في صفوف الذين يدرسون النظام السياسي الامريكي اليوم ، فذلك الشيء هو التدهور الذي طرأ على مركز الفرع التشريعي من الحكومة ، بل يمكن القول انه كلما زادت مسئوليات الشعب العالمية تضاءلت سلطة الكونجرس في سلطته ، حينما عرض عليه برنامج كنيدي التشريعي ؟ وعلى اكتفى مجلس الشيوخ بمجرد التصديق على اتفاقية الحظر الجزئي للتجارب النووية والتي جرى التوقيع عليها بموسكو في أغسطس من العام الماضي ؟ وفي بريطانيا العظمى تضاءل نفوذ « أم البرلمانات » . ولكن الكونجرس الامريكي لم يهبط الى مثل هذه الحالة من العجز » وهنا قد نرى أن توازن بين رأي شفارتز عن تناقص سلطة ومكانة الكونجرس ، وبين رأي والتر ليبمان المعلق السياسي المعروف ، في كتابه « فلسفة الحياة العامة » اذ يرى أن من أكبر الاخطار التي أصابت الدول الديموقراطية في الغرب ، طغيان الفرع التشريعي على حساب سلطة الفرع التنفيذي

واذ يعرض المؤلف للمسألة التي تشغل الاهتمام الآن في الولايات المتحدة ، وهي مسألة التفرقة العنصرية ، نراه يقفل هذا بصورة مرضية فيقول : « وكما هو معروف فان دعم « القرار الصادر في عام ١٩٥٤ عن التفرقة » قد بعث من جديد الجدل بين سلطة الولايات وسلطة الحكومة الاتحادية . انشبح سيادة الدولة والذي رقد في مكانه الذي يستحقه .. قد تحرك فجأة .. » والواضح أن في هذه العبارة تقليلا لاهمية المسألة . من العبارات المأثورة عن الكاردينال فليرى أنه حين عرض عليه « مشروع للسلام الدائم » الذي أعده سان بيير ، أبدى هذه الملاحظة « رائع ، ولكن هناك شيئا ينقصه ، اذ لا أراه ينص على ارسال مبشرين يعملون على تغيير قلوب الامراء » . وهذا ما ينطبق على الولايات المتحدة . انها بحاجة الآن الى من يستطيعون تغيير افكار رجال الهيئات التشريعية حتى يمكن بذلك أن يتحول الوعد الصادر منذ قرن مضى بشأن مركز الزنوج ومساواتهم بالبيض ، الى حقيقة واقعية

منذ أسابيع قلائل حذر القاضي أيرل وارن من أخطار ثلاثة تهدد « الاسس التي يقوم عليها الدستور » وكان يفكر وهو يلقي بذلك التحذير ، في رغبة بعض الولايات في

دعوة مؤتمر دستورى لادخال تعديلات على الدستور ، بدون أن تصدر من الكونجرس أو أن يوافق عليها • ومن التعديلات المقترحة اعطاء الهيئات التشريعية بالولايات حق تعديل دستور البلاد كلها بدون الموافقة السابقة أو اللاحقة من جانب الكونجرس • وثمة اقتراح آخر وهو أن تحل محل المحكمة العليا محكمة أخرى للاتحاد تتكون من كبار القضاة فى الولايات الخمسين • وكنا ننتظر من المؤلف أن يناقش هذه المقترحات التى يراها وارن أخطارا تهدد الدستور ، كذلك مما يؤخذ على الكتاب أنه لم يتوسع فى الحديث عن النتائج التى ينتظر أن تترتب على بعض القرارات الشهيرة التى صدرت من المحكمة العليا فى المدة الاخيرة ، بالرغم من أنه فعل هذا الشيء بالنسبة الى بعض القرارات الهامة فى الماضى

الفيجارو الحقيقى : حياة كارون دى بومارشيه الخارقة للمألوف

THE REAL FIGARO :
The Extra-ordinary Career of Coron de Beaumarchais

الكاتب : سينثيا كوكس
Cynthia Cox
الناشر : كوارد ماك ــ كان « ونيويورك »
الثمن : ٤ دولارات ، ٥٠ سنتا

ان بيير اوغسطين كارون ، الذى اتخذ لنفسه اسم بومارشيه عندما ابتسم له الحظ ، ليذكره الناس بسبب الملهاتين اللامعتين « حلاق اشبيلية » و « زواج فيجارو » ، وهما من أروع الاعمال الفنية وأن حجبتهما الصور الموسيقية التى اخرجهما روسينى وموزار . ليس من السهل أن تجد كاتبا يقدر على خلق شخصيات تصبح لها هذه السمة بوصفها نماذج عالمية ، وقد خلق بورماشيه اثنتين من هذه الشخصيات وهما تشيروبين وفيجارو والاخير يمثل ذلك الطراز من الناس الذى يمارس كل شيء ، والذى يستطيع أن يظل حيا وسط غابة المجتمع ، بفضل استخدام مواهبه الذهنية ، والذى يضحك دائما لان البديل عن هذا هو البكاء والصراخ

وبالرغم من أنه كتب اثنتين من أروع الملاهى فى القرنين الاخيرين ، فان بومارشيه لم يكن كاتبا مسرحيا محترفا ، لان أعماله الاخرى دون المتوسط بوجه عام ، انه لم ينجح الا فى «حلاق اشبيلية» و « زواج فيجارو » حيث خلق شخصيتين حقيقتين وأضفى عليهما روحا انسانية تسامى فوق أية سخرية اجتماعية ، وهنا نلاحظ أنهما فى الواقع صورتان لجانبين من شخصية وحياة المؤلف نفسه

لقد بدأ بومارشيه صانعا للساعات ، واستخدم مهنته سلما التنقل عن طريقه الى فرساى حيث أصبح معشوق ابنة لويس الخامس عشر . واشتبك فى مبارزة انتهت بموت غريمه ، ثم أصبح شريكا ووكيلا لبارى ــ دوفرنى وهو ذلك البيت المالى القوى ، وحصل على مركز فى البلاط ولم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره . ثم خسر مركزه نتيجة قضيتين مثيرتين حيث أصدر كتيبات ضد القضاة مما جعل اسمه معروفا فى أوروبا . وبعد ذلك بوقت دخل فى خدمة المخابرات الفرنسية وكانت له يد فى القرار الذى اتخذه لويس السادس عشر بمساعدة الثوار الامريكيين ضد الاستعمار البريطانى . ونظم ورأس شركة وهمية (كانت تناصرها سرا فرنسا واسبانيا) بقصد تسليح ٢٠٠٠٠ جندى أمريكى وتزويدهم بالمعدات ، ولكنه فشل فى الحصول على مليم واحد من الكونجرس . وقام بعد ذلك بمغامرة فى ميدان النشر (باصدار مجموعة مؤلفات فولتير) خسر فيها ثروة ، وكتب مسرحيات ، وناضل ضد الكوميدى فرانسيز من أجل الحصص التى يستحقها ، وانشأ أول جمعية للمؤلفين المسرحيين

وبالرغم من الخسائر المالية والقضايا التى اشتبك فيها ، فقد كان على قدر كاف من الثراء بحيث استطاع أن يبنى قصرا به ٢٠٠ نافذة ، أمام الباستيل ــ وخسر كل شيء فى الثورة الفرنسية التى حياها بالشكوك أكثر منها بالامل . لقد اعتبر البعض ــ وبحق الى حد ما ــ أن مسرحياته المعروفة كانت ثورية ، ولكن المؤلف كان أبعد من ان يكون ثوريا . انه

فى الواقع صورة من فيجارو كما وصفه بأنه « متحمس فى اللهو والسرور ، يعمل فى كل شيء كى يكسب عيشه ، طموح بدافع الغرور ، يكد ويكدح بفعل الضرورة ، يقرض الشعر كوسيلة للترويح من النفس ، ويضع الموسيقى من حين لآخر ، وعاشق فى نوبات جنونية . لقد رأيت كل شيء ، وفعلت كل شيء ، واستفدت من كل شيء » . ان فيجارو هـذا هو بومارشيه نفسه . غير أن بومارشيه لم يظل يعيش بمجرد ارادته ، فحبه الشديد للثراء طغى على كل مواهبه وحيويته ، كما كان وغدا أفاقا أيضا ، ومتآمـرا وجاسوسا محترفا

مكافح من اجل السلام

PEACE A GITATOR

الكاتب : نات هنتوف

Nat Hentoff

الناشر : شركة مكميلان ، نيويورك

الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

ظل أ . ج . موست نحوا من ثلاثين عاما ، يعمل بلا انقطاع من أجل الغاء الحرب . وخلال هذه الفترة شهدنا أعظم صراع مسلح فى تاريخ البشرية ، وحروبا عدة صغيرة لايزال بعضها مستمرا حتى اليوم . ولكن هذا كله لم يثبط من همة موست الذى يعتقد أن له رسالة يبشر بها ويدعو الناس الى الايمان بها ، وهى القضاء على العنف ، وهو مايزال محتفظا بقوة حماسه بالرغم من بلوغه الثمانين من عمره . وهو لايشعر بالراحة الا اذا كان فى السجن ، سواء على وشك الدخول فيه أو الخروج منه كى يعود اليه من جديد . واشترك فى جميع الحملات والمظاهرات من أجل مقاومة الحرب : رحلة السلام من سان فرنسسكو الى موسكو ، سفن الاحتجاج على القنبلة الذرية والتى سار بها ركابها فى الباسفيك والبحر البلطى ، ومحاولة منع انزال الغواصات الذرية ، والمظاهرات التى أقيمت عند مقر الامم المتحدة والمنشآت العسكرية وغير ذلك .

وهكذا جعل من نفسه قوة معنوية بالنسبة الى الآلاف من الناس

وقد موست فى الاراضى الواطئة وجيء به الى الولايات المتحدة وهو فى السادسة من العمر ، وتربى وسط جالية هولندية فى متشيجان . وعلمه أهله كى يصبح من رجال الدين فى الكنيسة الكلفينية ، ولكنه لم يكن ليأبه كثيرا بالفوارق بين الشيع الدينية . وعمل سنوات زعيما عماليا ، وتحول الى التروتسكية خلال الثلاثينات ، ولكنه عاد من جديد الى حظيرة المسيحية والى الاشتغال بالدعوة الى السلام ، وظل ١٢ عاما رئيسا « لرابطة التوفيق » ، وهناك راح يلقن مبادئه وافكاره للكثيرين من الشبان الذين قدر لهم أن يلعبوا أدوارا هامة فى مؤتمر المساواة العنصرية ، وعصبة مقاومة الحروب ، ومع مارتن لوثر كنج الزعيم الزنجى . لكنه يدرك فى الوقت نفسه أن فكرة عدم استعمال العنف لاتلقى استجابة الا من جانب طراز غير عادى من الناس ومن فريق ضئيل من السكان

وتعرض موست للكثير من المتاعب بسبب استعداده للتعاون مع الشيوعيين حينما كانوا يقفون الى جانبه . واعتبره بعض أعضاء الكونجرس عميلا للاتحاد السوفيتى اذ لم يستطيعوا أن يتصوروا كيف يتحول الى داعية سلام رجل كان تروتسكيا خلال فترة من حياته . ولم يوفق مع الاتحاد السوفيتى الذى منع زحف السلام على موسكو ومنع « سفينة السلام » التى أراد أصحابها أن تسير فى البحر البلطى حتى ميناء لنينجراد

قد يعتبر البعض موست متعصبا أو خياليا بعيدا عن الواقعية وعاجزا عن ادراك حقائق العالم الذى نعيش فيه ، ولكن لايستطيع احد أن ينكر على الرجل اخلاصه فى الحملة التى يشنها ، ولو أن هناك الالوف مثله فى جهات متفرقة من العالم لربما استطاعوا أن يشيعوا مبادئهم وأن يدعموا دعوتهم الى القضاء على الحرب بعد أن أصبحت الحرب أداة تهدد بدمار العالم نتيجة التطورات التكنولوجية الرهيبة التى شهدها ميدان الاسلحة النووية

فكرة!

كنت اشكو من الارق !

كنت اتقلب فى فراشى ، وكاننى انام على سرير من الدبابيس !

ثم عاد لى النوم اللذيذ بعد طول الغياب !

عاد لى .. بعد ان بدات احاسب نفسى ، بدلا من حساب الناس !

لم اعد ارقد فى فراشى كل ليلة واستعرض الاخطاء التى وقع فيها غيرى .. اننى ارقد فى فراشى واحاسب نفسى !

وقد اراح هذا الحساب اعصابى وضاعف عدد اصدقائى ، وزادنى احتراما لنفسى !

اننى اراجع نفسى كل ليلة ، واناقشها تصرفاتها وآراءها ، واحاول ان اطمئن نفسى اننى لم اظلم غيرى فى النهار !

وفى بعض الليالى اضبط نفسى متلبسا بالانتصار فى معركة غير متكافئة ، استعملت فيها مدفعا رشاشا فى مواجهة خصم لايملك الا الحجارة والطوب ! وافزع من هذا الانتصار الرخيص ، واقفز من فراشى واجلس الى مكتبى ، اكتب خطاب ندم واعتذار لخصمى !

وكسبت بخطابات الاعتذار عددا من أعدائى القدماء .. وكسبت احترامى لنفسى !

فان الرجوع عن الخطأ دليل على القوة .. وتسجيل الاعتراف بالخطأ على الورق ، دليل على الثقة بالنفس!

ثم ان الايام قد علمتنى ان الانتصارات الزائفة لاتعيش.! انها اقصر عمرا من الزهور ! فان الحقائق دائما تسلط انوارها ، وتكشف الباطل للناس !

ولهذا لاأضيع وقتى بالتمسك باخطائى !

اننى اسارع بالاعتراف بها ، قبل ان تكشفها الايام !

ولا ارجىء اعترافى الى الاسبوع القادم او الشهر القادم ! اننى اريح نفسى واريح الناس بالاعتراف بها فى اليوم التالى ! ولا الف اعترافى بالخطأ فى الورق المفضض .. ولا أحاول ان اخلق لنفسى المبررات . انى اتراجع عن الخطأ بلا لف او دوران

ولهذا انام الليل .. فقد ارحت عقلى وارحت قلبى ... وكسبت احترامى لنفسى !

على امين

فى عدد إبريل من الهلال

٠٠٣ عبد الرحمن صدقى : صداقة خمسين سنة .. !
٠١١ طاهر الطناحى : العقاد .. حياته ، ايمانه ، حبه .. !
٠٢٠ دائرة معارف « الهلال »
٠٢١ سهير القلماوى : خمسة فى عين العدو .. !
٠٢٨ ناصر النشاشيبى : لغز فى شارع الرشيد .. !
٠٣٨ أنيس منصور : الادب الشفاف ..
٠٥٠ احمد حمروش : الفن خارج الحدود
٠٥٤ راشد البراوى : المعركة القادمة فى بريطانيا .. !
٠٦٤ صالح جودت : كليوباترة السابعة ..
٠٧٢ اخبار الغد ..
٠٧٦ افكارهم
٠٨٢ « ويك اند » فى الريف .. تصوير شريف ذو الفقار
٠٩٦ نظمى لوقا : نقد التليفزيون
٠٩٨ قصة ابراهيم المصرى : الحاج رضوان
١٠٨ فى الطريق الى .. شارع النجاح
١١٤ احمد الصاوى محمد : الدراما ..
١٢٨ اخبار الموضة
١٣٧ صاروخان يقدم : ضحكات العالم فى شهر
١٤٢ حبيب جاماتى : فى ذكرى شيكسبير الـ ٤٠٠ ؟!

١٤٩ كتاب الشهر :

قصة الدبلوماسية الصهيونية

تأليف : ألان تايلور — عرض وتقديم : أحمد بهاء الدين

١٦١ مكتبة مجلة « الهلال »

صداقة ٥٠ سنة
عبد الرحمن صدقى



مفاجأة شيكسبير
حبيب جاماتى



لغز شارع الرشيد
ناصر النشاشيبى



العقاد
طاهر الطناحى




الهلال

كلمات عاشت

● هذا هو السد العالي الذي دارت حوله المعارك ، وحارب من أجله الأبطال ● هذا هو السد العالي الذي شهد كل هذا الكفاح : واستحق كل هذا الكفاح ● ان الطريق الذي نسلكه في غاياتنا يجب ان يتناسب في جلاله مع هذه الغايات ● ان الشعوب تقيم النصب التذكارية تخليدا لانتصاراتها الكبرى . واننا لنعتبر السد العالي هو النصب التذكاري لمعركة العرب وانطلاق القومية العربية ● ان الأرض الجديدة التي نحصل عليها من السد العالي هدف بالغ الأهمية ، ولكن القيمة الكبرى للسد هي قيمته كعزم وارادة وتصميم ● ان السد العالي تذكار حي خلاق ، وليس مجرد حجر أصم ، انه حياة جديدة متجددة، انه قوة دافعة للتطور !.

« الرئيس جمال عبد الناصر »

الهلال

العدد ٥ — سنة ٧٢

يصدر عن مؤسسة دار الهلال

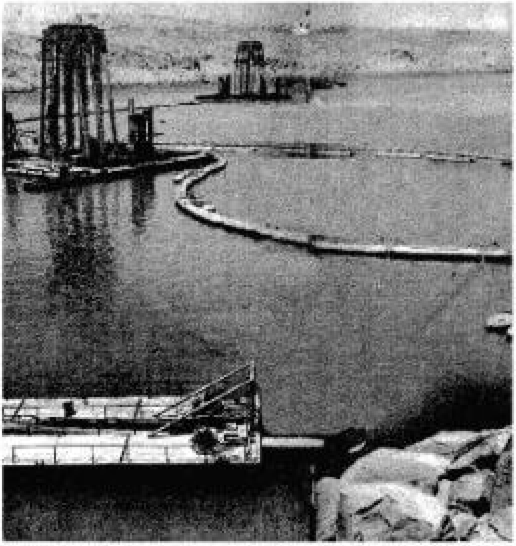
أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢

رئيس مجلس الادارة
أحمد بهاء الدين

مدير التحرير
طاهر أحمد الطناحي

أول مايو سنة ١٩٦٤ — ١٦ ذو الحجة سنة ١٣٨٣


بطل السد العالي
يفتتح مرحلته الأولى
بعد أيام.
طاهر الطناحي.



« الحمد لله .. هذا هو السد العالي » ! ..

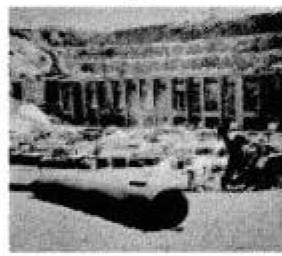
هذه هي العبارة التي قالها بطل السد العالي الرئيس جمال عبد الناصر حينما أرسى الحجر الأول لأكبر سد في العالم يقوم على النيل الخالد في ١٠ يناير سنة ١٩٦٠ ، هتف بها معه الشعب العربي كله مكررا هذا الحمد لله الذي وفقه لهذا المشروع رغم المؤامرات والعقبات ، وأمده في جهوده لتحقيقه . وكان هذا النصر عظيما للعروبة وللعرب على أعدائهم الذين وضعوا في طريق هذا المشروع الجليل كثيرا من الصخور التي استطاع هذا الزعيم العربي بتأييد شعبه وإرادته القوية أن يحطمها تحطيما ، وأن يتغلب عليها بما أوتي من عزيمة قوية ، وتصميم قاطع . وكانت قيمة النصر الكبرى كما قال الرئيس : « إنه إرادة حرة ، وطاقة متدفقة وتصميم يحالفه التوفيق على المقاومة والنصر ، وأثبتنا أننا نستطيع الصمود للعواصف ، ومسايرة العواصف ، وعشنا فيها ، لم نعشها بعد ما صمدنا للعدوان .. عشنا في العدوان ، ثم عشنا بعد العدوان لنحقق الهدف الذي صممنا عليه ، ولنبني أرضنا في النصف الثاني من القرن العشرين بوسائل النصف الثاني من القرن العشرين »

كانت هذه الإرادة القوية المطلقة هي القيمة الكبرى في تحقيق هذا المشروع وقام السد بمرحلته الأولى بفضل هذه الإرادة في أقل من المدة

أحد الأقمـــار التي تم إنتاجها



محطة توليـــد الكهرباء الجديدة





صورة جامعة لجسم السد

المقررة لها اذ كان من المقرر ان تتم
هذه المرحلة في اخر سنة ١٩٦٤ ،
والآن سيحتفل بها في منتصف شهر
مايو الحالي.

وهذه المرحلة من اهم المراحل
الكبرى في السد العالي التي تشتمل
على ما يلي :

١ ـ جسم السد ، ويتكون من
السد الجزئي الامامي ، والسد
الجزئي الخلفي ، والسد الرئيسي

٢ ـ مجرى تحويل النهر ـ وهي
قناة التحويل

٣ ـ محطة توليد الكهرباء

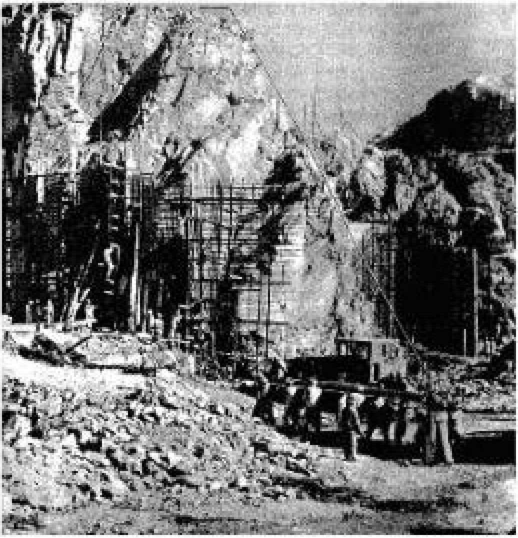
ويبلغ ارتفاع السد فوق قاع
النهر ١١٠ امتار وطوله عند القمة
٣٦٠٠ متر ، وعرضه عند القاع
٩٨٠ مترا وعند القمة ٤٠ مترا .
اما عرض الطريق فوقه فهو
اربعون مترا

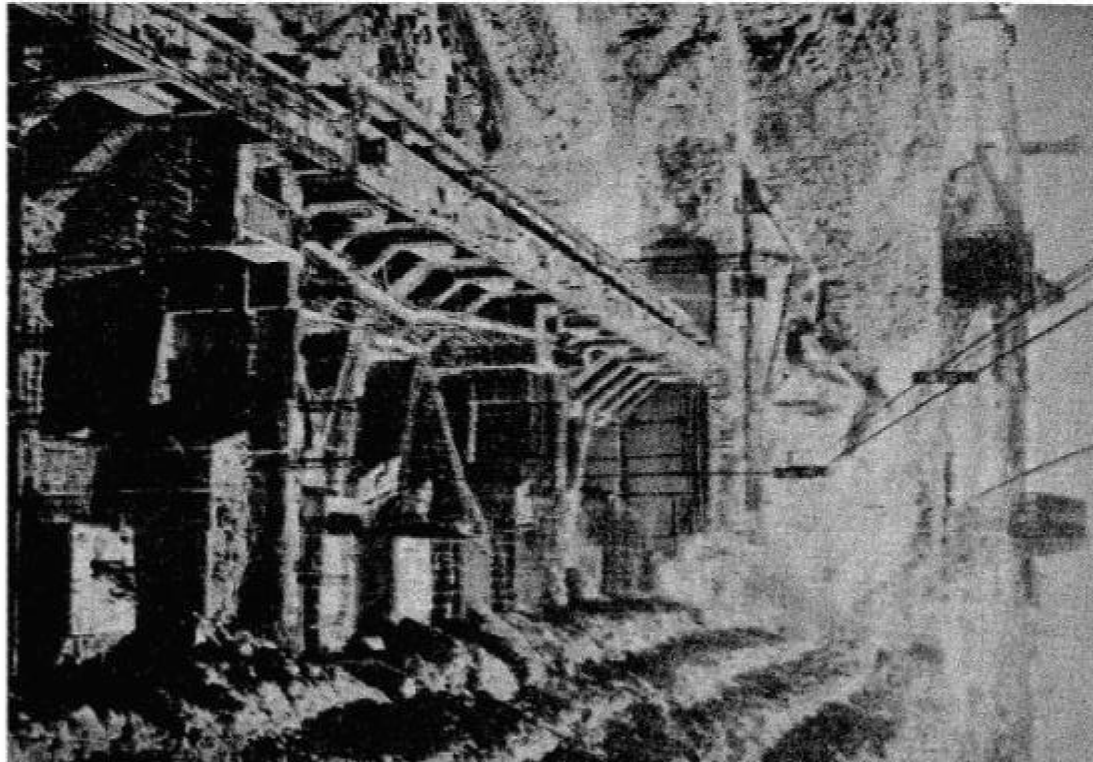
ويستعمل السد الجزئي الامامي
ـ وهو المرحلة التي تمت الآن ـ في
تخزين مياه النيل حيث يصل ارتفاعه
فوق قاع النهر خمسين مترا وطوله
عبر النهر ٥٨٠ مترا مما يساعد على
توفير مياه اضافية في زراعة الاراضي
تبلغ اربعة مليارات متر مكعب سنة
١٩٦٧ . ومن لم يمكن القول بان
انتهاء بناء هذه المرحلة الاولى يعتبر
الخطوة الاولى في تحقيق اهدافه
منها :

● الحصول على مزايا اقتصادية
في مجال التوسع الزراعي

● تخزين مياه الفيضان التي
تذهب الى البحر المتوسط سدى

السواعد العربية
ترسم مستقبلها





هذا البناء الشامخ .. عنوان على الارادة العربية الحرة

* وقاية البلاد من خطر الفيضان العالى
* تحسين الملاحة ووسائل الصرف في الاراضي الزراعي
* مضاعفة الطاقة الكهربائية
* زيادة الثروة السمكية ، وتهيئة كثير من وسائل الترفيه والسياحة في البحيرة التي ستتكون أمامه

***

وسوف يتكون امام السد العالى بحيرة واسعة تعتبر ثاني بحيرات العالم ۰ وتمتد الى مساحة خمسمائة كيلو متر بعرض عشرة كيلو مترات تقريبا ويبلغ اقصى عرض لهـا عشرين كيلو مترا ۰ واكبر عمق لها تسعون مترا وتتسع هذه البحيرة لمياه قدرها (۱۵۷۰۰۰ متر مكعب)

وستعطى بحيرة السد العالى تصرفا كل عام « ۷٤۰۰۰ مليون متر مكعب » ۰ اى بزيادة قدرها حوالى اربعين في المائة من الحاجة المائية لمصر والسودان

وستستعمل هذه الزيادة في التوسع في زراعة نحو مليوني فدان من اراضي الجمهورية العربية المتحدة ونحو ثلاثة ملايين فدان من اراضى جمهورية السودان

وقناة التحويل المكشوفة ، هي مجرى عميق يبلغ عمقه ۸۰ مترا ۰ وفي وقت الفيضان تستطيع هذه القناة تحويل « ۱۱۰۰۰ متر مكعب في الثانية الواحدة» اوبعبارة اخرى ما يصل الى ۹۵۰ مليون متر مكعب في اليوم تقريبا ۰ وبذلك تفوق قدرتها قدرة اى قناة صناعية في العالم

ويعمل الان في مشروع السد العالى كله نحو ۳۳ الف مهندس وعامل

والى جانب الاعمال الجارية في السد سيسير العمل العلمي بهمة في الابحاث الطوبوغرافية والجيولوجية على مسارات خطوط نقل القوى الكهربائية من محطة السد العالي الى مختلف انحاء الجمهورية ۰ وقد بدىء فعلا في تصميمها

وتبلغ النفقات الاجمالية لبناء السد العالى كله وانشاء محطة توليد الكهرباء ، ومد الخطوط الكهربائية « مبلغ ۲۱۳ مليونا من الجنيهات » بما في ذلك تعويضات حلفا وبلاد النوبة واذا اضفنا الى هذا المبلغ ما تتكلفه مشروعات الري واصلاح الاراضى ، وانشاء الطرق والمشاكن والمرافق العامة بلغت قيمة النفقات النهائية حوالى « ٤۱۵ مليونا من الجنيهات » ولكن الدخل الذى سيعود على الجمهورية العربية المتحدة من هذا المشروع يبلغ في العام كما يأتي :

۱ ــ الدخل القومي ۲۳٤ مليون جنيه زيادة على الدخل الاصلي .

۲ ــ الدخل الحكومي ۲۲ مليون جنيه زيادة على الدخل الاصلي .

وبذلك يغطى المشروع تكاليفه في اقل من سنتين بخلاف ما سيعود على الحكومة من اموال نتيجة لبيعها الاراضي التى سيتم اصلاحها للزراعة

محمد عوض محمد



ضيفنا ... رئيس الاتحاد السوفيتي

في اليوم السادس من مارس سنة ١٩٥٣ ابلغ الشعب السوفيتي أن ستالين قد مات. ولا شك ان موته كان نقطة تحول في تاريخ الاتحاد السوفيتي، بقطع النظر عما ترتبت عليه من آثار في التاريخ البشرى كله..

لم يكن العهد الستاليني خاليا من التطورات في الاتحادالسوفييتي ولم تقف فيه عجلة التقدم. فقد انتشر التعليم في جميع مراحله، وتقدمت الصناعات. ولكن الناس سيذكرون لذلك العهد بوجهخاص أنه عهد «تطهير»، سفكت اليه الدماء

كان من الطبيعي أن يتنفس الناس الصعداء من بعده، وأن يتطلعوا الىعصر جديد. يتناسون فيها الويلات التى المت بهم. وكان من الجائز ـ كنتيجة لرد الفعل ـ أن يفلت الزمام من يد حكام لم يتمرسوا بعد بشئون الحكم ولم يعتادوا ان يحملوا التبعات، وقد مضى على البلاد عهد طويل ليس لاحد في البلاد كلمة غير كلمةالزعيم ستالين، ولا يسمع صوت غير صوته

ولكن من حسن حظ الاتحاد السوفيتي، ان وفاة ستالين لم تحدث ارتباكا ولم تتبعها سوى فترة تنسيق وتنظيم قصيرة

فقد شاءت المقادير ان يكون فى طليعة الجهاز السياسى ، من أحسن ادراك الموقف الجديد ، وما يتطلبه من خطط جديدة حاسمة ، ولكنها بعيدة كل البعد عن العنف وعن الشدة وعن سياسة التطهير الستالينية . وكان فى مقدمة ساسة العهد الجديد رجلان : بولجانين وخروشوف ، الى ان تنحى بولجانين ، واضطلع خروشوف باكبر منصب فى الدولة فحمل العبء كاحسن ما يمكن ان يحمله رجل ، واثبت انه قائد شعبى ، يجمع بين رجحان العقل وخفة الظل ، وحسبنا ما قاله عنه غير واحد من الكتاب الغربيين : « ان شعب روسيا — المرة الاولى فى حياته — يسير كله وراء قائد واحد »

***

وفى هذا المقال نأتى باختصار على النواحى الاساسية التى امتاز بها هذا العهد الجديد . والشئون الهامة التى عالجها فى الداخل والخارج :

١ — **تحطيم الاصنام** : من اهم الامور التى افتتح بها خروشوف نشاطه انه انزل ستالين من عليائه وبالطبع كانت عبادة ستالين قد استقرت فى بعض الانفس فهالهم تحطيم الصنم على هذه الصورة . وبهتوا لما راوا ، وظلوا واجمين فترة من الزمن الى ان شاهدوا من اعمال خروشوف العديدة .. ما جعلهم ينسون ستالين وتمجيد ستالين

ولم يكتف خروشوف بتحطيم الصنم ستالين ، بل اهاب ببنى وطنه ان يقلعوا تماما عن عبادة الاوثان وتمجيد الافراد . انان هذا يجعل الفرد فى النهاية مغرورا ليس فيه خير لنفسه ولا لوطنه

٢ — **الرخاء** : ومن أهم ما عنى به خروشوف . تعميم الرخاء وزيادة الانتاج . لقد كانت أكبر عيوب العهد الستالينى ان كل الانتاج كان منصبا على شىء واحد وهو الصناعات الثقيلة . أما السلع الاستهلاكية فلم يكن يظفر بها الا كل ذى حظ عظيم . لذلك كان الشعب محروما ومقترا عليه . وقد ادرك ساسة اليوم أن من أكبر الاخطار أن يظل الناس يعانون اشد الحاجة الى أبسط السلع فى الملبس والادوات المنزلية وبعض ادوات الترف والزينة . لذلك دأبت الحكومة على الزيادة فى انتاج الغلات الاستهلاكية بوفرة عظيمة لم يكن للناس عهد بمثلها

٣ — **سعة الصدر** : وقد صاحب هذا الرخاء المادى شىء كثير من التسامح وسعة الصدر ، وقد كان للكتابة والتاليف والانتاج الفنى والادبى والعلمى نصيب من هذا التسامح ، ومع ذلك لم يترتب على هذه الحرية شىء من مظاهر التهور والتبجح التى تعقب عادة عهود الكبت

٤ ـ **تقدم العلم** : ودهش العالم حين ظهر له فجأة ما حققه الاتحاد السوفييتي من النبوغ العلمي . وما وصل اليه من شأو بهر الناس في الشرق والغرب . لقد كان تقدم امريكا في تحطيم الذرة سبق خيل للناس أنها بزت دول العالم . واذ بنا نفاجأ ـ كما فوجئت امريكا نفسها ـ بنجاح الاتحاد السوفيتي هو ايضا في هذا الميدان، وفي القدرة على ابتكار القنابل الذرية والهيدوروجينية . واذ هو يبرز ايضا في ميدان جديد : ميدان الصواريخ وملاحة الفضاء والاقمار الصناعية . وارسال رجال يجوبون الاجواء .. ويسبحون في السماء. حتى ذهلت أمريكا من هذا التقدم الهائل .. الذى لا تزال ـ رغم الجهود الامريكية والاموال ـ للرجال و « النساء » الروس فيه فضل السبق والتقدم

بلد للغربيين احيانا ان يصفوا أبناء المعسكر الشرقي بأنهم «عبيد» .. ثم لا يشعرون بخجل من ان يكون « العبيد » . قد بزوهم في ميدان العلوم والفنون وتفوقوا عليهم حتى اخذ الامريكيون يعيدون النظر في نظام التعليم عندهم .. بعد ان كانوا يتوهمون انه أرقى النظم وأمثلها

***

هذا بعض ما حققه العهد الجديد في داخل الاتحاد السوفييتي .. أما خارج الاتحاد فلننظر اولا الى المعسكر الشرقي نفسه ، وعلاقات الدول المتحدة مع الاتحاد السوفييتي في العقيدة الاشتراكية .. لقد كانت طريقة ستالين أن يصطنع وسائل القهر والبطش في داخل المعسكر الشرقي نفسه . فلا يخرج احد عن رايه ولا يأتمر احد الا بأمره ، حتى في الشئون غير ذات الخطر . ولذلك نشأ النزاع المرير بينه وبين يوجوسلافيا . من اجل اختلافات لا تتصل بالمذهب ، وليس فيها اى خروج على الاشتراكية . ولكن راى ستالين الا تكون هناك اشتراكية الا طبقا لما يرسم ويخطط ويقضى .. فلم يستطع تيتو ان يلعن للطغيان . ولا شك ان عددا كبيرا من الدول الاشتراكية اخذت تضيق ذرعا بهذا القهر . ولو لم يقض ستالين نحبه ، لكان من الجائز ، بل من المرجح ، أن يظهر قادة آخرون من طراز تيتو ، وبذلك ينهار المعسكر كله

لقد ساد الجدل طويلا ، ومنذ زمن غير قليل ، حول فكرة الاشتراكية ، وأنها قد تتشكل في كل بلد بصورة خاصة تبعا لاختلاف الزمان والمكان . كذلك الاساليب والوسائل قد تختلف في قطر عن قطر . وقد احس خروشوف بما يتهدد كيان المعسكر ، ولعله أن يكون من انصار «اختلاف الوسائل» نحو الهدف الاشتراكى ، فلم يلبث ان سادت المودة بين الاتحاد

السوفيتى وجميع دول المعسكر الشرقى ، ما دامت حريصة على البقاء داخل الوحدة ، متمسكة بأن تظل فى حظيرة الكتلة الشيوعية ...

لم يشذ عن هذا سوى الصين الشعبية وصديقتها الصغيرة البانيا . وسنفرد لهذا ذكرا خاصا فيما بعد ..

***

ننتقل الان من النطاق الشيوعى، الى المحيط العالمى . ولعل خروشوف ان يكون قد حقق فى هذا المجال أعظم انتصاراته ، وجدير بنا ان نتأمل فى نخبة منها الواحدة تلو الاخرى :

١ ـ التعايش السلمى : لقد نادى خروشوف ، بأنه من الممكن الميسور ان تعيش الدول جميعا فى سلم ومودة وصداقة ، برغم الاختلاف المذهبى . فمن الحماقة ان يسير الناس نحو الحرب ، لمجرد اختلافهم فى العقيدة . وهكذا نرى خروشوف مرة اخرى يميل الى الاعتدال والحكمة عن ايمان ويقين . لانه يعلم تمام العلم أن الشعوب لا تريد الحرب ، وتنفر من مجرد التفكير فى الحرب . وان الشعب السوفيتى لا يقل فى بغضه للحرب عن أى شعب آخر . ان الدول الغربية لم تقبل فكرة « التعايش السلمى » بسهولة . واخذت تسيء الظن فى صدق النوايا السوفيتية . ومع ذلك ذهب كثير من الغربيين يطوفون فى أنحاء الاتحاد السوفيتى وعادوا جميعا يؤكدون أن الروس يبغضون الحرب ولا ينشدون الا السلم

٢ ـ التسامح مع المعسكر الغربى :

على الرغم من المناداة بالتعايش السلمى ، لم ير المعسكر الغربى بأسا فى التجسس جهارا على



روسيا . ومن ذلك حادث الطائرة الامريكية التى اسقطها الاتحاد السوفيتى ، سالمة ، وحوكم طيارها منذ نحو اربع سنوات . ومن الغريب أن يتم هذا التجسس فى وقت سيعقد فيه مؤتمر «قمة» فى فرنسا بعد بضعة أسابيع . وقد اعدت لهذا المؤتمر العدة ، وتحرك

الرئيس ايزنهاور وحاشيته وتطلع الناس الى ما قد يسفر عنه مؤتمر الاقطـاب هـذا من خير وبركة للانسانية. واذ بهذا الحادث البعيد عن العقل والفطنة يفسد الامر كله ويضـطر معه خروشـوف الى ان ينفجر غضبا ، ويعلن سخطه للعالم

ومع ذلك لم يمض عـام وبعض عام حتى يعاد الطيار — بعد الحكم عليه — الى اوطانه والى اسرته فى الولايات المتحدة

ومنذ بضعة اشهر اسقطت طائرة امريكية فى المـانيا الشرقية . ومع ذلك رضى الاتحـاد السوفييتى ان يعيد الطيـارين بعـد ان اكـد له الرئيس الامريكى انها لم تكن طائرة تجسس ، وانه سـيصدر اوامره حتى لا تقترب طائرة حربية امريكية من اراضى المعسكر الشرقى

٣ — التراجع فى مسألة «كوبا» !

كثير من العقلاء يرون ان القرار الذى اتخذه خروشوف فى الرجوع عن اقامة قواعد صاروخية فى كوبا من احكم القرارات التى اتخذها فى حيـاته ، ويتسم بمنتهى العقـل وضبط النفس والشجاعة . ولقد يتساءل البعض لماذا ترسل روسيا صواريخها وتنصب لهـا قواعد فى كوبا ، اذا كان فى نيتها العدول عن هذه الخطة . وقد تكون هنـالك ظروف لا نعرفها . ولابد لنـا ان نذكر ان لامريكا قواعد فى تركيـا وايران ملاصقة للوطن الروسى.. وهذه القواعد كانت دائما شـوكة فى جنب الاتحاد السوفييتى . وقد انضمت كوبا الى المعسكر الشيوعى الذى يرى انه وحدة سياسية لابد لها ان تدافع عن نفسها الا يحق فى شرعة الانصاف ، لدولة تحيط بها القواعد المعادية ، ان تبنى لها ايضا قواعد ممـاثلة بالقرب من اراضى خصومها ؟

من الجائز ان هذه الاعتبارات العسـكرية لم يكن امرها متروكا لخروشوف وحده . ولكنه لم يلبث حين راى ان فى الامر خطـرا على السلم العالمى ، ان آثر التسامح . وكان جون كنيدى اول من هنأه على اتخاذه هذا القرار

٤ — سياسته مع الصين الشعبية:

لم ينكر ماو — تسى — تونج يوما انه مدين لروسيا وللمسـاعدات الروسية بما حققته الصين الشعبية من تقدم ونجـاح . وكان قادة الصين لا يفتأون يكررون عبارات الشكر فى عهد ستالين ! ولكن لم تعجبهم فكرة « التعايش السلمى» .. ويرون انها تناقض الماركسية الصميمة . وان فيها خروجا عـلى العقيدة الشيوعية الخالصـة . ولذلك لم يتردد حكام الصـين الشعبية فى التنديد بساسة روسيا عامة وخروشوف خاصة ، زاعمين انا قد تحالف مع «الراسماليين» . واسرفوا فى الخصومة الى ابعد ما كان يتوقعـه احد . ولابد من الاعتراف بأن الساسة الروس لم يبدءوا بالهجوم ، وقد كانوا يرجون دائما ان تنقلب الخصـومة الى

صلح ورضا ويعود الصفاء الى ماكان عليه

وعلى الرغم من كثرة ما كتب في هذا الخصام العنيف ، يخيل لنا أن هنالك امورا لم يكشف عنها النقاب بعد . وأن سرها قد ينكشف يوما . فيظهر للناس منه ماكان خافيا . والذى يبدو للمطلع أن خروشوف قد اصطنع الحلم الى ابعد الحدود ، ولم يسرف في الخصومة .. ان الذى ينادى بالتعايش السلمى مع الدول الرأسمالية يعز عليه بلا شك « الا يكون على وفاق مع الدول الشيوعية .. ولذلك لا تزال نرى وفود الاتحاد السوفييتى في الامم المتحدة ومؤتمراتها .. يطالبون دائما بضم الصين وبأن يمثل الشعب الصينى مكانه بين الشعوب

٥ ــ محاربة الاستعمار ومساعدة الدول النامية :

لقد جعل خروشوف من محاربة الاستعمار والتشهير به دينا ومذهبا، يجند له الدعاة والخطباء والانصار في كل ظرف وفي كل مناسبة .. ومع التسليم بأن الاستعمار مشرف على الزوال في كل مكان . وان الفضل الاول في هذا يرجع الى الشعوب المكافحة فلا شك أن الفضل الثانى يرجع الى مساندة الاتحاد السوفييتى ، ووقوفه الى جانب الشعوب المغلوبة على أمرها يؤيدها ويشد أزرها . ولعل انتصار الاتحاد السوفييتى للشعوب الضعيفة هو السبب الاكبر في بعض الدول الغربية لحكام روسيا

ولم يكتف الاتحاد السوفيتى بمساعدة الدول النامية سياسيا بل بذل جهده في مساعدتها في المجال الاقتصادى ايضا مع أن موارده وامكانياته اقل مما لدى الدول الغربية ومع ذلك لم يتردد في الاتفاق دون أن يضع له شروطا صعبة ، ودون أن يكثر فيه من المن والاذى

٦ ــ الحظر الجزئى للتجارب النووية :

لايستطيع احد ان ينكر ان خروشوف كان السابق في المناداة بحظر تفجير القنابل الذرية أووقفها فترة من الزمن . ولقد طالما زعم خصومه بأن هذا كله من قبيل الدعاية . فكان رد خروشوف ان ليتهم يقومون بهذا الحظر . ولوعلى سبيل الدعاية . وقد وفق أخيرا الى اقناع زعيم امريكى من طراز جديد لم تعرفه امريكا من قبل وهو الرئيس كنيدى رحمة الله. فاستطاع الاثنان ان يخطوا بالعالم هذه الخطوة العظيمة نحو السلم ونحو تهدئة الخواطر

***

اما بعد . فان هذا عرض موجز سريع لطائفة من الامجاد التى حققها زائر مصر الكريم نيكيتا خروشوف، الذى استطاع ان ينتزع الاعجاب من قلوب الناس في مشارق الارض ومغاربها ، وان ينتزع من الكثيرين الاعتراف بأياديه البيضاء على قضية السلم في هذا العالم المضطرب

حكمت أبوزيد



المرأة العربية في معركة البناء

اعترفت الشعوب البدائية منذ بدء الخليقة بفضل المرأة .. فهي المانحة لنعمة الخصوبة ، وعلى عاتقها يقع عبء تنمية المجتمع عدديا . هذه الموهبة الالهية حفظت للمرأة اهميتها ومكانتها على طول العصور الماضية ، وستظل بفضلها عضوا لا غنى عنه في مجتمع يريد الاستقرار والبقاء . .

بيد أن تقييم نعمة الخصوبة كان يختلف بحسب المجتمع الذى تنتمى اليه المراة . فهى حينا ترتفع عندما يقل عدد النساء عن الرجال ، وحينا تنخفض اذا ما زادت النسبة العددية للمراة . .

والتاريخ البيولوجى للجنس البشرى يشير الى ضرورة ارتباط الرجل والمراة من اجل حفظ الجنس والتكاثر البشرى ومن اجل اختلاف الاجناس ومن اجل استمرار الحياة ، ومن اجل السهر على شئون الاسرة . فمن المحال ان تتصور تفتح القدرات الانسانية ونمو

الخبرات الاجتماعية دون هـذا التلاقي والتواصل والتراحم . والواقع ان قصة آدم وحواء في ابسط معانيها تروى حقيقة هذا التواصل التاريخي والبيولوجي والنفسي والاقتصادي

فالرجل والمراة كونا معا الاسرة ، كونا البطن ، ثم العشيرة ، ثم القبيلة ثم القرية ، ثم المدينة ثم الوطن ، ثم العالم اجمع ..

وعكف الرجل والمراة على استخدام خبرات الطبيعة من اجل استمرار عملية النمو والتقدم .. فحين كان الرجل يسعى وراء رزقه كانت المراة تجمع الثمار ، وتستأنس الحيوان وتسخره لخدمة الاسرة ثم تعلمت كيف تفلح الارض ، وكيف تروى الزرع ، وكيف تجنى الحصاد

***

ونحن حين نرجع الى تاريخ بلادنا نرى صور هذا التعاون واضحة ظاهرة ..

لقد عرفت المراة العربية بالجد فى العمل منذ عرفت طريقها الى الانتاج منذ اقدم العصور . . . فاشتغلت حينا بالزراعة ، وحينا بالصناعة ، وحينا بالتجارة .

وحين ننتقل الى الصحراء ، الى التاريخ العميق ، هناك فى البادية العربية منذ اقدم العصور ايضا .. تجد المراة العربية فى الجاهلية اكبر عون للرجل على بناء المجتمع . تعيش فى خيمتها تنسج العباءة والدثار للزوج والولد ، وتتبادل السلع الفائضة مع القبائل المجاورة لتزيد من دخلها ، وتعكف على صناعة الالبان لتتغذى منها القبيلة .

لقد عاشت المراة العربية فى جاهليتها فى بيئة ذات تقاليد موروثة ، وعادات مرعية وتوسلت الى معرفة اساليب الحياة بعمليات الممارسة والتقليد والتلقين

كما شاركت فى نشاط الجماعة المادي والمعنوى ، فمارست بذلك الحياة الكاملة للجماعة .. وهي تبدأ من نقطة التعليم للمعيشة فى بيئة قاسية كان لها من التكيف لاوضاعها ، بقدر ما استطاعت ان يكون لها نصيب فى معركة البناء .

وحين جاء الاسلام وضح مركز المراة العربية الاجتماعي وضوحا تاما . فالاسلام دين الفرد والجماعة يعمل على تنظيم الحياة على قاعدتي الدنيا والدين . لقد عنى الاسلام على الاهتمام بشئون المراة باعتبارها نصف المجتمع ، وبدونها يصبح المجتمع مشلولا او اعرج ..

***

وان كثيرا من آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول الكريم لتدل بوضوح على ان العمل لم يفرض على الرجل وحده ، وانما هو حق وواجب ايضا

واذا كان القصد بدور المراة فى التنمية هو للتعبير عن مدى اسهامها فى الانتاج البشري ، فلابد لنا من ان نقرر ان المراة العربية قد لعبت دورها فى بناء الاسرة بنجاح ، فكانت خير ام لبنيها ، واصلح راعية لاسرتها . ومن اجل هذا كله كان

اعتزاز العربي بنسبة الى أمه ؛ اعتزازه بنسبة الى ابيه . بل ان هناك من القبائل من آثر الانتساب الى الام . . وكذلك من الملوك العرب مثل « معمر بن هند » ومثل المناذرة في الحيرة الذين نسبوا الى امهم «ماء السماء » وهي « ماوية بنت عوف ابن جشم » ملكة العراق .

اذن فالام العربية بحق صانعة الاجيال . كانت الام المنجبة، وكانت المربية لهؤلاء الذين حملوا على اكتافهم عبء تأسيس وبناء الامبراطورية العربية في ازهى عصورها الجيدة . .

***

وكما كان للمراة المصرية طوال العصور الماضية دور هام في معركة البناء والتعمير ، فان لها اليوم دورها الايجابي في معركة التنمية . . فهي تعمل في الحقل جنبا الى جنب مع زوجها ، لان طبيعة الحياة في الريف تفرض الاعتماد الاساسي على ثمرات الارض ، وطبيعة الحياة الريفية تفرض ايضا مشاركة جميع افراد الاسرة وتعاونهم على العمل ، ذلك لان الاسرة الريفية تعتبر الوحدة الاجتماعية الاساس الذى ترتكز عليه حياة الفرد ، وكلما ضاقت السبل امام الاسرة واحاطت بها الازمات المالية ، كلما قست الطبيعة على سكان الريف كانت استجابة المراة لمطالب الحياة فعالة وملموسة . .

ترى هل اعترف المجتمع الريفي بمدى ما تسهم به المراة في معركة الحياة ؟

وهل حاول العلماء حصر وتقييم حصيلة انتاجها وما تؤدى من عمل على الارض الزراعية على نطاق واسع ؟

من الخطأ ان نقول ان المراة العربية في الريف قد نالت حظها الكامل من الاعتراف والتقدير لقاء اسهامها الفعال في اقتصاديات اسرتها وتنمية مجتمعها . .

***

وعند الاشارة الى تأثير عملية اشراك المراة في معركة البناء مع المستوى الاقتصادي للاسرة ، نجد في المدن طبقة من النساء تعيش في جو راكد ابعد المراة عن كل نشاط . . اى ان موقف المراة الحضرية حتى نهاية الحلقة الثانية من القرن العشرين تقريبا ، كان يختلف اساسا عن موقف المراة الريفية . اذ لم تشترك هذه المراة الحضرية في معركة البناء . ذلك انها ظلت مكبلة بالتقاليد ولم تستطع استخدام قدراتها الكامنة ، فبقي لها دورها الوحيد في المدينة وهو انجاب الاطفال وتربيتهم في سنوات الحضانة وتعليمهم العادات واللغة

لكن منذ حلول العقد الثالث من القرن العشرين ، بدات المراة الحضرية تعيش معركة التحدى والصراع من اجل تحطيم اغلالها . . التى كان الاستعمار يلعب دورا كبيرا في تكبيلها بها . وقد تحدت المراة القوانين المتعلقة بها وبحقوقها ، وبدات تصارع الآداب الفكرية والاجتماعية التى كانت تشكك في

قدرة الرجل على العمل ، كما كانت تشكك فى قدرة المرأة على خوض معركة الحياة ..

وفترة التحدى والصراع استغرقت كفاح المرأة من عهد قاسم امين الى ايام ثورة ١٩١٩ . ثم استمرت حتى كانت ثورتنا الخالدة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. التى قدمت للمرأة ثمار تحديها وصراعها مع الرواسب والتقاليد التى زيفها المستعمر على مجتمعنا الذى مارس التعاون المثمر بين الرجل والمرأة على مر العصور

ولو حاولنا ان نقوم بعملية تقييم الدور الذى قامت به المرأة الحديثة فى الجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية . فان النظرة الى دور المرأة فى هذه المعركة تفرض علينا ان نقرر منذ البدء اننا نعنى بهذه المعركة ليس مجرد استخدام الطاقات البشرية فى عملية زيادة الانتاج والخدمات بطريقة توفر السعادة والرخاء للانسان ، وانما تتضمن هذه العملية اساسا خطوات ثورية تهدف الى تغيير حضارى .

ونحن فى الجمهورية العربية المتحدة نتطلع الى مثل هذا التغيير

« ان مجتمع الكفاية والعدل قادر على ان يصوغ فيما اخلاقية جديدة لا تؤثر عليها القوى الضاغطة المتخلفة والتى عانى منها مجتمعنا طويلا »

هذه العبارة وردت فى ميثاق العمل الوطنى الصادر فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ، وهى تدل بوضوح على ضرورة عملية التغيير الحضارى .. ولكن كيف تتم هذه العملية ؟

ماهو موقف المرأة من عملية التغيير هذه ؟ وما هو اسلوبها فيها ؟

وانا اعتقد ان اقوى واهم واعظم معالم هذا التغيير الحضارى هو التصريح بالمساواة بين الرجل والمرأة حق نص عليه الميثاق ، ووضعته الثورة موضع التنفيذ منذ البدء ، حين قررت حق المرأة فى الانتخاب والترشيح عام ١٩٥٦ ، وقبل اعلان الميثاق بست سنوات

وهكذا صار الميثاق وثيقة تاريخية ونهاية لمرحلة كفاح قامت به المرأة العربية من اجل حريتها ..

وقد استطاعت المرأة العربية حين فتحت لها ابواب العلم على مصاريعها وفتحت لها ميادين العمل ، استطاعت ان تبرهن ايجابيا على انها تستطيع الخلق والابتكار

ولا اذهب بعيدا ، فانها قد تمكنت فى عدد من المراحل التعليمية من التفوق على زميلها الطالب سواء فى المجال العلمى او الادبى ، ولدينا الكثيرات ممن اصبحن استاذات فى الجامعات . اما عدد الطالبات بالنسبة لعدد الطلبة فى المراحل التعليمية فقد اصبح حوالى ٥٥٪ فى مطلع هذا العام ١٩٦٣

هذا فى المدينة .. اما فى الريف فان الزراعة والتجارة والخدمات لا تزال تجتذب اكبر عدد من النساء ، اما لانها تتفق مع طبيعة البيئة ، او لان التصنيع فى الريف لم يبدأ بعد

خطواته العملية الا منذ وقت قريب

على أن المراة الريفية ماتزال تقوم بالصناعات اليدوية الصغيرة ، وتساهم مساهمة فعالة فى زيادة دخل الاسرة

***

هذه لمحة سريعة عن دور المراة فى التنمية الاقتصادية

اما دورها فى التنمية الاجتماعية، فهو اجل واخطر .. لماذا ؟

لان طبيعة المراة بحكم وظيفتها كربة اسرة ، وبحكم فطرتها تنطوى على العطاء اكثر من الاخذ .. اتجهت دائما الى رعاية القطاع المتخلف سواء فى الاسرة او فى المجتمع . فهى ترعى الطفل حتى يشب عن الطوق وترعى العجزة والأحداث واللقطاء ، حتى يصبحوا مواطنين صالحين

لكن فلسفة المستقبل لعمل المراة العربية فى بلادنا اجتماعيا، لن تشمل الطفل والحدث والكهل المحتاج عندنا فقط ، انما لابد ان تمتد الى المرحلة الانسانية الشاملة وهذا هو الدور الجدير بالمراة العربية ان تؤديه ، وهى تستطيع ان تؤديه .

والآن .. عندما نفكر فى التخطيط لمستقبل المراة فى التنمية الاقتصادية او الاجتماعية ، فانه يتحتم علينا ان ندعو المراة اولا الى التخلص من العقد النفسية .. هذا حق يجب ان نواجهه

وهناك ايضا واجب آخر على زميلها الرجل فى العمل ، فى ميدان الوظيفة او فى ميدان التطوع قد يستلزم هذا الواجب تغيير اتجاهات الرجل ، وتغيير تفكيره تربية لاجيال عدة ، فتبدأ البداية من الاسرة

المراة التى تشكو اليوم من موقف الرجل منها ، تستطيع ان تعمل عملا بناء بأن تربى أبناءها بالشكل الذى يتفق مع مبدأ التعاون بين الرجل والمراة .. مبدأ المشاركة الايجابية فى اعادة صنع الحياة ..

واظن ان اسهام المراة فى عملية تغيير اتجاهات الرجل ، لابد ان يأخذ طابعا ايجابيا بدلا من الطابع الانفعالى . واذا كان الميثاق قد رسم بناء المجتمع الاشتراكى الديموقراطى التعاونى ، فلابد من اعداد جيل ، بل اجيال من الذكور والاناث فى داخل هذا الاطار . فقد جعل الميثاق من المراة ركيزة هامة فى ميدان التنمية الاجتماعية .

على المراة اذن أن تتلمس الطريق الى ربط مصيرها باهداف المجتمع، وليس ربط أهداف المراة بمصير المراة . فلم يعد لهذا الفصل مكان .. لقد ارتبط مصير المراة بمصير المجتمع ، وأرتبطت أهدافها باهدافه تاكيدا لطابع الفطرة وتطبيقا لاحكام الميثاق العظيم ..

وبعد

فلابد للمراة العربية فى مجتمعنا الجديد من أن تقوم وتنهض وتتخلص من عقدها . وستجد نفسها تحت ظل الميثاق وطبيعة الحياة وجوهر الدين قادرة على اقتحام كل عمل والاسهام فى كل بناء .. !

عباس العقاد



أنا..

سألنا الفقيد العظيم ان يكتب عن نفسه موضوعا بهـــذا العنوان ، فاعتذر . ثم مالبث ان اجاب الى كتابته . ونحن ننشره فى ذكرى الاربعين لوفاته

الكاتب الامريكى « وندل هولمز » يقول ان الانسان ـ كل انســـان بلا استثناء ـ انما هو ثلاثة اشخاص فى صورة واحدة

الانسان كما خلقه الله

والانسان كما يراه الناس

والانسان كما يرى هو نفسه

فمن من هؤلاء الاشخاص الثلاثة هو المقصود بعباس العقاد

ومن قال انى اعرف هؤلاء الاشخاص الثلاثة معرفة تحقيق او معرفة تقريب ؟

من قال انى اعرف عباس العقاد كما خلقه الله ؟

ومن قال انى اعرف عباس العقاد كما يراه الناس ؟

ومن قال انى اعرف عباس العقاد كمـــا اراه ، وانا لا اراه على حال واحد كل يوم ؟

هذه هى الصعوبة الاولى ، ولا اتحدث عن غيرها من الصعوبات

ولكنى اضربها مثلا واحدا من امثلة كثيرة ، ثم اختصر الطريق وانتقل الى الموضوع من قريب

ان المحرر لا يسألنى بطبيعة الحال عن « عباس العقاد » كما خلقه الله

فالله جل وعلا هو الاولى بان يساله محرر عن هذا . . ان كان بينـــه وبين الله طريق اتصال

وهو لا يسالنى بطبيعة الحال عن « عباس العقاد » كما يراه الناس

فالناس هم المسئولون عن ذلك ، وليس بينه وبينهم حجاب . بل عنده منهم بين قرائه كثيرون

اذن هو يسالنى عن « عباس العقاد » كما أراه

الرجل المجهول

وعباس العقاد كما اراه ـ بالاختصار ـ هو شىء آخـر مختلف كل الاختلاف عن الشخص الذى يراه الكثيرون ، من الاصدقاء أو من الاعداء

هو شخص استغربه كل الاستغراب حين اسمعهم يصفونه أو يتحدثون عنه . حتى ليخطر لى فى اكثر الاحيان أنهم يتحدثون عن انسان لم اعرفه قط ولم التق به مرة فى مكان

فاضحك بينى وبين نفسى واقول : ويل التاريخ من المؤرخين

اقول ، ويل التاريخ من المؤرخين لان الناس لا يعرفون من يعيش بينهم فى قيد الحياة ومن يسمعهم ويسمعونه ويكتب لهم ويقراونه ، فـــكيف

يعرفون من تقدم به الزمن الف سنة ، ولم ينظر اليهم قط ولم ينظروا اليه ؟

فعباس العقاد هو في رأى بعض الناس مع اختلاف التعبير وحسن النية ، هو رجل مفرط الكبرياء

ورجل مفرط القسوة والجفاء

ورجل يعيش بين الكتب ، ولا يباشر الحياة كما يباشرها سائر الناس



من هذا المكان اخرج العقاد عشرات الكتب



ملابس العقاد ..
فى يد ابن اخيـه

ورجل يملكه سلطان المنطق والتفكير ولا سلطان للقلب ولا للعاطفة عليه

ورجل يصبح ويمسى فى الجد الصارم فلا تفتر شفتاه بضحكة واحدة الا بعد استغفار واغتصاب

هذا هو عباس العقاد فى راى بعض الناس

واقسم بكل ما يقسم به الرجل الشريف ان عباس العقاد هذا رجل لا اعرفه ولا رأيته ولا عشت معه لحظة واحدة ولا التقيت به فى طريق

ونقيض ذلك هو الاقرب الى الصواب

نقيض ذلك هو رجل مفرط فى التواضع ، ورجل مفرط فى الرحمة واللين ورجل لا يعيش بين الكتب الا لانه يباشر الحياة ، رجل لا يفلت لحظة واحدة فى ليله ونهاره من سلطان القلب والعاطفة ورجل وسع شدقاه من الضحك ما يملأ مسرحا من مسارح الفكاهة فى روايات شارلى شابلن جميعا

هذا الرجل هو نقيض ذاك

ولا اقول ان هذا الرجل هو عباس العقاد بالضبط والتحقيق ، ولكنى اريد ان اقول انهم لو وصفوه بهذه الصفة ، لكانوا اقرب جدا الى الصواب، ولامكننى أن اعرفه من وصفه اذا التقيت به هنا او هناك ، خلافا لذلك الرجل المجهول الذى لا اعرفه بحال !

مكان التواضع واللين

اننى لا ازعم اننى مفرط فى التواضع

ولكننى اعلم علم اليقين اننى لم اعامل انسانا قط معاملة صغير أو حقير،

الا أن يكون ذلك جزاء له على سوء أدب

وأعلم علم اليقين انني امقت الغطرسة على خلق الله ، ولهذا احارب كل دكتاتور بما استطيع ولو لم تكن بيني وبينه صلة مكان أو زمان ، كما حاربت هتلر ونابليون واخرين

وانا لا ازعم انني مفرط في الرقة واللين

ولكنني أعلم علم اليقين انني اجازف بحياتي ، ولا اصبر على منظر مؤلم أو على شكاية ضعيف

فعندما كنت في سجن مصر ، رجوت الطبيب أن يختار لي وقتا للرياضة غير الوقت الذي تنصب فيه آلة الجلد لعقوبة المسجونين

فدهش الطبيب ، وظن أنه يسمع نادرة من نوادر الاعاجيب

وقال لي في صراحة ، ماكنت اتخيل أن اسمع مثل هـذا الطلب من العقاد « الجبار »

واصبت في السجن بنزلة حنجرية حادة حرمتني النوم وسلبتني الراحة ، ولم تزل هذه النزلة الحنجرية عندي مقدمة لاخطر الامراض كما حدث قبل نيف وعشرين سنة ، ونجوت منها يومئذ بمعجزة من معجزات العلاج والعناية وتبديل الهواء ، ومن أجل هذه النزلة الحنجرية البس في الشتاء تلك الكوفية التي علقتها الصحف الفكاهية في رقبتي لا تحل عنها في صيف أو شتاء ، ولا في صبح او مساء ، حتى اوشكت أن تكون من علامات تحقيق الشخصية قبل الملامح والاعضاء

وكانت زنزانة السجن التي اعتقلت بها على مقربة من احواض الماء ، شديدة الرطوبة والبرودة ، يحيط بها الاسفلت من اسفلها الى اعلاها ، ولا تدخلها الشمس الا بالاشارة من بعيد

فعرض المحامون امري على المحكمة ، وحولته المحكمة الى النيابة ، ودرسته النيابة مع وزارة الداخلية ومصلحة السجون ، وتقرر بعد البحث الطويل نقلي الى المستشفى واقامتي هناك في غرفة عالية تشرف على ميدان فسيح وحديقة مشرقة ، وتتصل بالداخلين والخارجين أثناء النهار ويتردد عليها الاطباء والموكلون بالخدمة الطبية من الصباح الى الصباح

فرج من الله ، وامنية عسيرة التحقيق تمهدت بعـد جهد جهيد !

فصعدت الى المستشفى وانا اعتقد ان الخطر الاكبر قد زال او هان ، ولكني لم البث هناك ساعة حتى شعرت أن الزنزانة المغلقة اهون الف مرة من هذا المكان الذي اصغي فيه الى أنين المرضى وشكاية المصابين والموجعين . ثم غالبت نفسي ساعة فساعة ، حتى بلغت الطاقة مـداها ولما يطلع الفجر من الليلة الاولى ، واذا بي انهض من سريري وانادي حارس الليل ليوقظ ضابط السجن ويعود بي الى الزنزانة من حيث اتيت ، ولتفعل

النزلة الحنجرية وعواقبها الوخيمة مابدا لها أن تفعل

أنا اعلم من نفسي هذا ، واعلم أن الرحمة المفرطة باب من ابواب العذاب في حياتي منذ النشأة الاولى ، واعلم ما أعلم عن تلك العواطف التي يتحدث بها بعض الفضوليين ولا يعرفون منها غير التصنع والتمثيل وتدميع العيون وتبليل المناديل ، ثم أسمع جبلا من هذه الجبال البشرية يذكر الرحمة وما اليها ، كأنها حلية لا يزين الله بها الا أمثاله ، ولا يعطل الله منها الا أمثال عباس العقاد ... فماذا يكون حكمي بعد هذا على آراء الناس في الناس ؟

لن يكون الا قلة اعتداد برای من الاراء ، يحسبونها الكبرياء وليست هي الكبرياء ، ولكنها موقف من لا يبالي أن يعتقد من يشاء مايشاء

كرامة الادب والادباء

الا أن الناس معذورون بعض العذر في شبهة الكبرياء هذه ، وأن كانوا لايطالبون أنفسهم بأقل مجهود في تصحيح هذه الشبهات

فقد اراد الله ـ وله الحمد ـ ان يخلقني على الرغم مني متحديا « تحديا خصوصيا » لكل تقليد من التقاليد السخيفة التي كانت ولا تزال شائعة في البلاد المصرية والبلاد الشرقية على العموم

أنا اطلب الكرامة من طريق الادب والثقافة ، واعتبر الادب والثقافة رسالة مقدسة يحق لصاحبها ان يصان شرفه بين أعلى الطبقات الاجتماعية بل بين ارفع المقامات الانسانية بغير استثناء

أفي ذلك عار ؟ أفي ذلك موجب للحقد والضغينة ؟

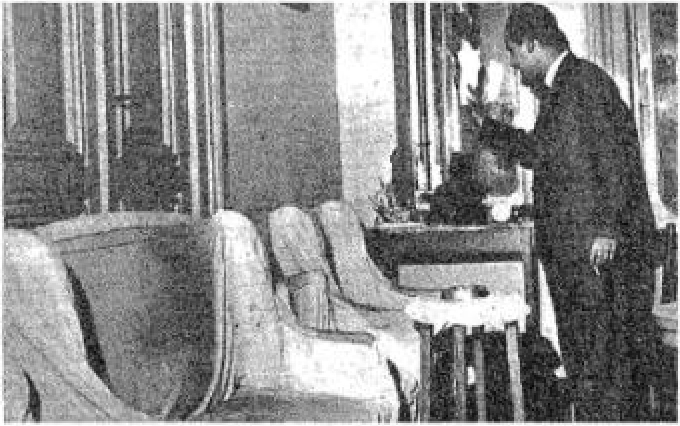
كلا ! بل فيه مأثرة وفيه فضل جديد على عالم الادب في هذا الشرق المسكين الذي كان أدباؤه لا يرتفعون عن منزلة المضحكين والندماء المهرجين على موائد الاغنياء والرؤساء ، فاذا ارتفعوا عن هذه المنزلة قليلا أو كثيرا ، فهم لا يرتفعون بفضل الادب والفن ، بل بفضل وظيفة يعتصمون بها او شهادة علمية ينتحلون سمعتها ، أو ثروة يحسبون من أهلها ، ثم يحترمون لاجلها على الرغم من كونهم كتابا وشعراء !

وهاهو ذا انسان يعرف حقه في الكرامة ولا يعرف حقا لتلك الاصنام الاجتماعية تفرضه عليه

صنم المال ، وصنم العناوين العلمية والشارات الرسمية ، وصنم المناصب ، وصنم الالقاب ، كيف تتجاهلها يا هذا وكيف تطلب الكرامة لنفسك من غير طريقها ؟

ان الاصنام لا تقنع بما دون العبادة ، فكيف بالاغراض وقلة المبالاة ؟ وكيف بالتحطيم والكفران ؟

جهنم الارباب جميعا قليلة ـ قليلة جدا ـ في جانب هذا الذنب العظيم



ندوة العقاد .. كانت
تجتمع في هذه الغرفة

واذا بهذه الاصنام جميعا تدعونى الى دافع الجزية المفروضة عن يد ونحن صاغرون ، واذا بها جميعا تعود خالية الوفاض غير محفول بما تعمل وما تقول

قالت : اتريد لك حقا وكرامة ؟

قلت : نعم ..

قالت : اذن كن غنيا والا فليس لك كرامة ..

قلت : كلا . ساكون غنيا عن الغنى ، ولى الكرامة التى اريدها ..

قالت : اذن كن صاحب لقب وعنوان ..

قلت : كلا . سيعرفنى العالم والاديب ، وساصعد فى هذه السماء صعودا حيث ترحف الالقاب والعناوين

قالت : اذن كن صاحب منصب ، كن صاحب احساب وانساب ، كن شيئا فى طريقى ولك المسعدة متى بعد ذلك فى كل طريق

قلت : سامضى فى كل طريق اريد المضى فيه ، ولا حاجة بى اليك

ثم دارت الايام ، والتقيت بالاصنام

قالت فى شماتة وهى تتساءل : كيف الحال ؟

قلت : عال .. انت تعلمين على الاقل اننى لم ادفع الجزية المفروضة ، وانت تعلمين على الاقل أننى لم اخسر شيئا بعنيتى

قالت : نعم ولكنك تعبت كثيرا وخرجت آخر المطاف بسمعة الكبرياء والجفاء !

قلت : يغفر الله لك ايتها الاصنام ! .. اتعنين السمعة على الالسنة والاشاعة فى المجالس وسوء القالة بين الفارغين ؟ .. هذه ايضا صنم من الاصنام التى لا اعرف لها جزية تؤدى . فاكتبى جزيتها وجزيتك فى حساب واحد ، وانتظرى بالاجل الى يوم الدين !

ولا عجب أن تغضب الاصنام غضبتها التى تضيق بها اللحوم والدماء ، ولكن العجب ان يغضب عبادها المساكين الذين لا يظفرون منها بطائل ، واعجب منه ان يغضب عبادها الحانقون عليها المتلهفون على الخلاص منها، لانهم نسوا هذا واصبحوا يذكرون ان واحدا افلح حيث يفشلون ، فلماذا تمرد فاستطاع ، وهم يتمردون فلا يستطيعون ؟

ذلك هو الثار الذى لا يغفر !

وذلك وامثاله هو الاصل الاصيل فى شبهة الكبرياء ، اسوقه على هذا النحو الذى لا يشبه الاعتذار ، وافسره بهذا التفسير الذى لا يتضمنه طلب البراءة .. لاننى اكره الاعتذار عن الحسنات حينما يفاخر الناس الناس بالسيئات والوصمات ، وبحسبى اننى نازل عن حقى فى الثناء ، لما صنعت من جميل لكرامة الادب والادباء

العزلة والانطواء

وعذر آخر للناس ـ وان لا ذنب لى فيه ـ ان يذهب بعضهم من النقيض الى النقيض فى فهم رجل يعيش بينهم على قيد الحياة

عذر هؤلاء اننى مطبوع على العزلة والانطواء على النفس فى احسن الاحوال واسوئها على السواء

ولا حيلة لى فى ذلك لان اسبابه عميقة يرجع بعضها الى الوراثة وبعضها الى الطفولة الباكرة ، وبعضها الى تجارب الدنيا التى لا تنسى

ورثت حب العزلة من كلا الابوين

وعرض لى حادث دون السابعة من عمرى امثله الان كأننى حضرته منذ يومين وهو حادث الوباء الذى كان معروفا باسم الهيضة او الهواء الاصفر فى أسوان

اقفرت المدينة شيئا فشيئا من سكانها

مات كثيرون منهم ورحل آخرون ، وخلا الشارع الذى اقيم فيه فاغلقت الحكومة ابوابه ولطختها بالعلامة الحمراء التى معناها ان هذا البيت قد زاره الوباء

ومن لحظة الى لحظة يتراءى فى الشارع نعش عابر يمشى من ورائه رجلان او ثلاثة ، وقد يكون بينهم وبين ركوب هذا النعش مسافة الطريق ،

وتوصيلة أخرى من توصيلاته التى لا تنقطع طول النهار
وبيتنا وحده فيه اصابتان
وليس فى الشارع اذا خرجت اليه طفل واحد يحوم بين تلك البيوت المغلقة بالعلامة الحمراء
واذا نزلت الى شارع النيل حيث كان يطيب لى التجـــوال على غير هدى ، وجدته مقفرا من السفن والناس ، ومن حين الى حين تعبر فى النيل سفينة شاردة لا تجترىء على ملامسة الشاطىء خوفا من العدوى.
ويصيح منها صائح كلما لمح على المورد زميلا يسأله عن الخبر :
كم المحصول اليوم ؟
انيجيبه : مصرى كامل .. او مجيدى .. او بينتو .. او نصف جنيه فقط فى أسلم الايام
ما لهذا المحصول ؟ وما هذه العملة التى يحسبونه بها ؟
انها تهكم المصائب الوجيع !
انه عدد الموتى فى ذلك اليوم : جنيه مصرى كامل اى مائة ميت ، ونصف جنيه اى خمسون ، ولم اسمع قط الريال الا فى ختام الموسم الشنيع : موسم الحصاد !
صورة لا انساها ، ولا التفت اليها الا تمثلت وحشتها وبلواها ، واليها ولا شك يرجع شيء من هذه الوحشة التى تحبب الى الخلوة والانفراد
وتزيد عليها تجارب الدنيا التى لا تنسى وخلاصتها ان العواطف المزيفة اروج فى هذه الدنيا من العواطف الصحيحة . فلا اسف اذن على رأى الناس فى الناس ، ولا اعتداد اذن بما يقال ومن يقول

الصداقة والعداوة

ما اسلفتــه لا اذكره على انه فضـــائل محمـودة ، ولا على انه رذائـل مذمومة
ولكنه صفات حقيقية وكفى
ومن هذه الصفات الحقيقية التى اعهدها فى نفسى اننى لا اميـل الى التوسط فى الصداقة ولا فى العداوة . فلا اعرف انسانا نصفه صـديق ونصفه عدو ، وانما اعرفه صديقا مائة فى المائة ، أو عدوا مائة فى المائة ، ولا تهمنى مع ذلك عداوته اذا حفظها لنفسه ... ولكنه اذا تعقبنى بها وابى الا ان يكشف عنها فهى الحرب التى لا توسط فيها كذلك : اما كاسر واما مكسور ... الا ان يريحنى احتقاره من عناء هذا وذاك
ومن هذه الصفات أننى أمام الالفة أو العادة ضعيف لا اقدم على التبديل الا بعد عناء طويل

ومثل من امثلة ذلك ان البيت الذى اسكنه قد تغير له اربعة من الملاك، وانا الساكن فيه لا اتغير

وانني فى مصر الجديدة ودكان حلاقى فى شارع محمد على الى الان ، لانني منذ عشرين سنة كنت اسكن هناك

وانني كنت اشكو مرض الكلى قبل نيف وعشرين سنة ، فأشار على الطبيب باتباع نظام مخصوص فى الطعام يناسب الحالة التى اشكوها ، وقد زالت تلك الحالة بعد سنة واحدة ، ولكنني لا ازال الى الساعة اجرى على النظام الذى الفته من جرائها ، ولا استطيب أن اعود الى كل طعام !

الظنون والتجديد

ومن هذه الصفات ان الظنون عندى قوية السلطان ، وعلة ذلك عندى معالجة التفكير المنطقى فى كل شيء ، فليس اسهل فى المنطق من فتح ابواب الاحتمالات . اما اغلاقها — او الجزم بنفيها — فلا يكون الا ببرهان قاطع ، والبراهين القاطعة قليل

ومن هذه الصفات أن التجديد والمحافظة عندى يتقيان فى معظم الامور ، وعلة ذلك على ما اعتقد انني نشأت باسوان ، وهى اعرق مدينة بين مدن مصر القديمة بموروثاتها التى لا تبلى ، وهى فى الوقت نفسه مدينة أوربية فى الشتاء ، أو كانت كذلك يوم نشأت بها نشأتى الاولى ، فأوربا كلها كانت تتراءى هناك كل شتاء بملاهيها وازيائها وعاداتها ومؤلفاتها وفنونها واختلاف اقوامها ، وهذه هى المصادمة الدائمة التى تلجىء النفس الواعية الى الجمع فى كل ساعة بين القطبين

ويطول الشرح باحصاء جميع الصفات المعلومة والمجهولة

وحسبى ما كتبت لبلوغ المقصود

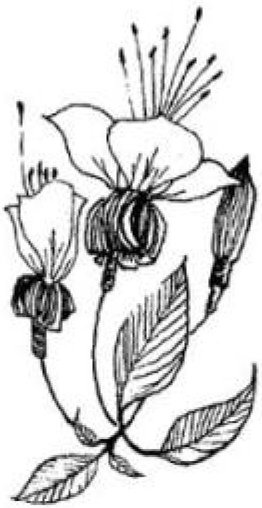
●●●

● انا اومن ايمانا قويا بمزايا الصمت ، واستطيع أن اتكلم ساعات وساعات فى هذا الموضوع !

برنارد شو

أمير بقطر

فلسفة شم النسيم



في وادي النيل من الشوامخ الثوابت الذاهبة في أعماق الزمن ، ما أحاطها بهالة من التقديس والاجلال ، والعظمة والاحترام ، وفي مقدمتها النيل والكرنك ، والهرم الاكبر ، وابو الهول وشم النسيم .. تدور عجلات التاريخ ، وتطوى معها الأجيال والاحداث الضخام ، ويسدل الستار على دول وملوك وغزاة ، وتدك معالم ، وتشيد على انقاضها منشآت وحصون ، وتبقى هذه الشوامخ ثابتة تتحدى الزمان ، كأطواد ايفرست ، وشاموتكس ، وماتاهورن

وشم النسيم عيد يكتنفه الكثير من الغموض والابهام مثل أبي الهول الذي يثير — في صمته — علامات الدهشة والاستغراب . وشم النسيم لا يعرف احد كيف نشأ ، ومتى .. كل ما نعرفه عنه انه عاصر الفراعنة وقدماء المصريين ، غالبا منذ فجر التاريخ ، وانه اقدم

بكثير من اليهودية والمسيحية والاسلام

ويختلف شم النسيم عن سائر الاعياد التى يحتفل بها المصريون، فى انه عيد مصرى صميم لايشاركهم فيه غيرهم من الامم ، اذا استثنينا الاعياد المرتبطة ببعض الاحداث السياسية الهامة .. وهو العيد الوحيد الذى تحتفل به الامة المصرية جمعاء ، بغض النظر عن اختلاف أديانهم ومذاهبهم ، وبغض النظر عما قد يكون بينهم من فوارق الجنس والسلالة والاصل. واكثر من ذلك تشاركهم فى الاحتفال به الجاليات الاجنبية المستوطنة ، واحيانا الجماعات السياحية العابرة

وقد بقى على ممر السنين دون سواه من الاعياد المصرية القديمة ، اللهم الا الاحتفال بوفاء النيل ، وان كان هذا العيد الاخير ينقصه القاء العروس العذراء ، سواء اكانت هذه اسطورة خلدتها الاجيال ، ام هى حقيقة واقعة

وشم النسيم عند المصريين بدء الربيع ، ذلك الفصل من السنة الذى تذخر فى جنبات روضته الفيتانة الحياة ، وتخضر الحقول، وينبعث النسيم ، فينفخ الاجسام ويملأ الصدور ، ويجمع الناس زرافات حول الطبيعة ، يتسامرون ويتضاحكون ، وبجمالها يستمتعون

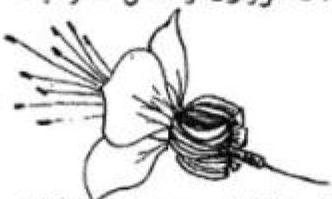
رمز الحياة والحب

ولعل اهم مدلول لهذا العيد القومى العتيد ، انه رمز الحياة.. فيه يتمثل الاخصاب والحب معا ان يقبل الناس فيه بالاجماع على اكل البيض فى نهم وشراهة ، وكان ذلك فريضة مقدسة لابد لكل فردمن أدائها ! وهل فى ذلك من عجب ؟ أليست البيضة بدء الحياة ؟ اليست هى الخلية الاولى التى من نواتها تنبثق الحياة فى كل من الانسان والحيوان ؟ ولم يهرع الناس ، كبارا وصغارا ، وذكورا واناثا ، وشيوخا وولدانا الى حدائق الزهور ، يقتطفون منها الورود والرياحين ، ويستنشقون من ارضها الطيبة واريجها الفواح، رحيق الحب ؟ او ليست الزهور رمز الحب ؟ الا يمتاز الانسان عن الحيوان بان الاخصاب والحب يسيران جنبا الى جنب ؟

اجل .. البيض والزهور ، ولكن لعمرى ، هل ننسى البصل ؟ الاخصاب والحب ، فى حاجة الى حارس يقيهما شر الكيد والحسد، والضر والاذى . ولهذا كانت الحكمة فى اكل البصل ، او على الاقل شمه. هكذا اعتقد المصريون من قديم الزمان بان البصل يطرد الارواح الشريرة ، ويرد كيد العدو والعزول فى صدره . ولعل اشد اعداء الاحباب العزول . ان نصف الاغانى المصرية ، والقديمة منها على الاخص ، تتحدث عن العزول ، ولسنا نعرف او نسمع عن اغنية واحدة فى بلد آخر تذكر هذا النوع من العدو الذى يخافه الاحباب المصريون ، ويكثرون من

التحدث عنه فى اناشيدهم الغرامية ، ويخشون منه تعكير صفوهم ، والتفريق بينهم ، والكيد لهم . ولسنا نعرف امة كالامة المصرية تخشى على الذرية من عين الحسود ، والبصل فى اعتقاد شعبها « عود فى عين الحسود » وشم النسيم خير الواسم للانتفاع بفعله السحرى

وهناك ظاهرة اخرى على جانب عظيم من الاهمية ، ذات صلة وثيقة بالاخصاب والحب ، وتبدو بأجلى وضوح فى عيد شم النسيم ، اكثر منها فى اى عيد اخر . واقصد بهذه الظاهرة ، النزهة النيلية . انها ليست مجرد نزهة عادية ، فى مئات الزوارق والسفن الشراعية



التى تقل الناس جماعات وزرافات ، وهى تمخر عباب النهر جيئة ورواحا بين الضفتين .. انها احتفال برب الاخصاب ، وتقديس لعظمته ، واعتراف بفضله على الارض الطيبة ، التى يرويها بمائه ويغذيها بطميه ، وينساب فيهامن جنوب الوادى الى شماله ، فينبت الزرع ، وتزدهر الحقول ، ويعم الرخاء ، وتعج الكائنات – نباتا وانسانا وحيوانا – بالحياة .. وهل هناك حياة بلا نيل ؟

ماذا وراء الاسم ؟

وقد استعاروا فى تسميته هذا العيد اسم حاسة من اقدم الحواس ، واشدها نفعا للكثير من السلالات فى المملكة الحيوانية ولحاسة الشم قصة تجمع بين العلم والخيال ، فهى مكملة لحاسة الذوق ، فاذا تعطلت ، عجز صاحبها عن تذوق الاشياء على الوجه الاكمل . وهذا ما يحدث عندما يصاب الشخص بالزكام .. وللشم والذوق علاقة بالحب ، لا تقل صلة عن علاقة البصر واللمس به . ولا تزال بعض الشعوب البدائية تتخذ الانوف وسيلة للتحية كما نتخذ نحن الايدى . وعدد يذكر من الفصائل الحيوانية يستعين بحاسة الشم فى التقرب الى الانثى . وقد عرف الاحباب منذ اقدم العصور ، ان اعذب القبلات ماساهمت فيهما حاستا الشم والذوق معا . وليس ثمة مجالس للغرام لا يبرم فيها المكان بالطيب والعطر . وقد تزهد الحسناء البدائية فى الثياب كلية . او تكتفى منها بغلالة من اوراق الشجر او اعواد النبات تستر بها عورتها ولكنها لا تتوانى عن ان تتعهد جسمها العارى بشتى انواع العطور ، وتملأ كوخها برائحة البخور . وكلما ارتقت المرأة فى السلم الاجتماعى ، اخترع لها الكيمائيون ارقى اصناف الروائح العطرية النفاذة الرقراقة ، والمساحيق الفواحة . وكثيرا ما

يولع الرجل باريج نوع منها ، لانها النوع المحبب عند المرأة التي يعجب بها . فاذا غابت عنه هذه المرأة أو هجرته ، احتفظ بعطرها تخليدا لها ، واصبح هذا العطر عنده أجمل ذكرياتها . الم يقل الشاعر:

ورد الخدود أرق من ورد الربا في واعلب
هذا يشم ولا يضم وذا يشم ويضم

هذا عن اللفظ الاول من اسم هذا العيد المصرى ، عن الربيع ، عيد الحب والاخصاب . اما عن اللفظ الثاني ، فيدعو الحديث عنه الى التساؤل : اى نسيم هذا الذى اشتهر به هذا العيد ؟ اهو نسيم البر الذى يهب على الوادى من الصحراء الشرقية من ناحية ، والصحراء الغربية من ناحية ؟ ام هو نسيم النيل الذى يحمل مع انفاسه الرطبة ، اسرار الاجيال الخوالى ، وتاريخ الشعوب التى عاشت على ضفتيه ، من منابعه فى جوف القارة ، الى مصبه فى الشمال القاصى ، طوال عشرات الالوف من السنين ؟ ام هو نسيم البحر ، المشبع بتاريخ اثينا وروما واندونيسيا ، وما تحفل به معالمها من جمال وجلال ، وثقافات وعلوم ، وصلات وفلسفات ؟ ام هو نسيم الحب ؟ ام هو هذه كلها مجتمعة ، تصافح الانوف روائحها المنوعة العطرة ؟



ليالى شم النسيم

وقد نسى كاتب هذه الكلمة الكثير من ذكريات البلدة التى

قضى فيها مرحلة الطفولة وشطرا من مرحلة المراهقة ، ولكن ليالي شم النسيم لا تزال واضحة في ذهنه ، تتراقص صورها وظلالها الحالمة امام عينيه ، بكل ما فيها من مرح ، ومجون وهرج ، ومغامرات، ومشاغبات . كان يخيل الى ان جميع السكان – عن بكرة ابيهم – يشدون رحالهم الى حيث يطيب لهم المقام في اطراف المدينة وضواحيها ، منذ الساعة التي يلف فيها الكون الظلام ، الى ان تلوح تباشير الصباح او بعد ذلك بسويعات ، وكانت القلة القليلة منهم ، هي التي لا تتاهب للخروج الا في منتصف الليل ، وان كانت لا تنام الا لماما

كنت ارى الحياة في تلك الليالي دنيا حافلة بالمتع البريئة واللذات الضحلة الساذجة ، وكانها الطفولة في سنواتها المبكرة . اولئك جيران الحي جمع العيد شملهم، فتعاهدوا على ان يكونوا يدا واحدة في كل حديقة يرتادونها ، وفي كل مركب شراعي ينقلهم الى حيث يشاءون ، وان يكو[illegible] يحملونه من زاد وشراب ، متاعا مشاعا بينهم ، وان يدفعوا جماعة كل الذي يقع على احدهم من عبث العابثين . وهذه زمرة من بنات البلد تراصصن ككتلة واحدة فوق عربة « كارو » ويشتركن في اغنية شعبية على نغمات المزمار ، تتواسطهن راقصة هاوية تهتز وتتمايل ، فيتمايل معها سائر الرفاق . وهذه عصبة من افراد اسرة واحدة او عدة اسرات اضناهم التعب في نهاية ليلة حافلة بالمفاجآت فافترشوا رقعة خضراء من مكان لاخوان فيه ولا مناضد واخرج كل منهم لفافة من الطعام ، واخذوا يتقاسمون ويتبادلون ما بها من بيض وخبز وحلوى وفاكهة ولحوم ، يتخللها « الفسيخ » التقليدى تنبعث منه رائحة خبيثة ، تطرد اشد الارواح الشريرة باساً وتقتل اشد الجراثيم فتكا . وكان عبيره الخانق ومذاقه اللاذع يختلط باريج الزهور وشذى النعناع والرياحين التي اقتطفوها من الحدائق ، والقوم عن كل هذا لا هون في غمرة من الرضا واحلام النهار

ومن المناظر التي لا انساها مئات من طلاب اكبر معهد في الصعيد – في ذلك الحين الوا على انفسهم كل عام في هذا العيد ان يجردوا غابة النخيل الكثيفة في ذلك المعهد من اغصانه، ويشتركوا في مظاهرات صبيانية صاخبة ، غنائ[illegible] حماسية ، [illegible] في آخر الامر بالاشتباك في معركة مع رجال البوليس ، تهزم فيها الشرطة منسحبة بسلام . وكان يندس بين اولئك الطلبة نفر منهم ، ممن وقف تحصيلهم الدراسي على جدول الضرب والوصايا العشر ، وكانوا اجلافا من بعض قرى الصعيد السحيقة ، تجاوزت اعمارهم السن الفعلية باعوام ، وفي اجسامهم رصيد ضخم من العنف والوحشية والرجولة ..

إبراهيم بيومي مدكور

العقاد المؤمن

للفقيد الكريم جوانب شتى وميادين متعددة
وبودى هنا ان اتحدث عن العقاد المؤمن ، وان يتسع المجال لذكر كل ما خلف من آيات ايمانه . ولقد كان رحمه الله مؤمنا عميق الايمان ، فهم الدين فهما حقيقيا ، ودافع عنه دفاعا مجيدا . صدق به قلبه ، واقتنع به عقله ، فى وقت شككت فيه المادية فى كثير من اصول الاديان الثابتة

***

كان العقاد يرى ان الدين ضرورة اجتماعية ، تسمو على المصلحة الوطنية والحاجات الحيوية ، وجد قبل وجود الاوطان ، ولا يغنى عنه سد الحاجات المادية على اختلافها . وهو ابقى وافسح من الزمان والمكان ، تستمسك به الاجيال ويتوارثه الخلف عن السلف ، وتؤمن به جماعات بشرية من بيئات واجناس متعددة

والايمان عنده ظاهرة طبيعية فى حياة الافراد والجماعات ، هو الاصل وما عداه الاستثناء . فغير المؤمن انسان غير طبيعى ، هو شاذ فى حيرته واضطرابه ، شاذ فى يأسه وانعزاله . هو الشذوذ بعينه ، ينكره مجتمعه ، ولا يقوى على ان يواجهه بكل ما يجول بخاطره . فى حين أن الايمان ركن ركين المؤمنين ، ورابطة وثيقة بين الاخوة فى الدين

والفلسفة المادية مهما تنكرت للاديان وانكرتها ، تنتهى الى آراء تريد بها ان تكون دينا وعقيدة . ولكنها فى الواقع عقيدة واهية لا تقوى على الزمن ، ولا تصمد لاحداث الدهر . وما أن تحل بالمادى محنة او تنزل به كارثة حتى يفيق من غفلته ، ويخرج من ماديته ليلوذ بعالم الروح ، عالم الامل والطمأنينة ، عالم النور والهداية . ومن نعم الله على خلقه ان يجدوه فى ساعات الشدة ، وان يلجئوا اليه فى الضراء

والعقيدة الاسلامية ملاذ المسلمين جميعاً في مشارق الارض ومغاربها . تمنحهم ما تمنحهم من امل ورجاء وثقة وطمأنينة . وتربطهم برباط أخوة الاسلام الوثيق . هي عقيدة العدل والمساواة ؛ عقيدة الاخوة والمحبة عقيدة التعاون والتعاضد ، عقيدة القلب والعقل ، عقيدة الدين والدنيا تفتح للمسلمين ابواب المعرفة ، وتحث على البحث والنظر . تسمح لهم بقبول ما يستحدثه العلم والفن على مر الزمن ، ولا تحرمهم شيئاً من خير العلم والحضارة

وكم عرض العقاد للدين والعقيدة في كتبه ومؤلفاته ، في احاديثه واذاعاته . في مقالاته ومساجلاته . في عبقرياته وفلسفاته . ونكتفي بأن نشير منها الى كتابين اثنين . هما : « الله » . و « الفلسفة القرآنية »

ففي الاول اثبت بوضوح ان التوحيد اشرف العقائد الالهية ؛ وأجدرها بالفكر الانساني في اسمى مراتبه ؛ وان الاله الواحد ذات تخالف جميع الذوات . هو خير مطلق وكمال مطلق ، وليس لعقولنا المحدودة ان تحيط بهذا الكمال . ولا يتنافى كماله مع وجود الشر في العالم ؛ لان في وجوده حكمة بل ومصلحة . ففي الآفات عظة وعبرة ؛ وهي بلا نزاع سبيل من سبيل الارتقاء وتنازع الاحياء . وللالام غاية ، ولاشك في انها وسيلة من وسائل التهذيب والتطهير

وفي « الفلسفة القرآنية » ، يشرح العقاد مبادىء الاسلام السامية ؛ ويبين ان دعوته قامت على الحق والحرية ؛ والعدل والمساواة ؛وحددت علاقات الافراد بعضهم ببعض ، ورسمت للحكم نظماً هي خير ما تساس به الجماعات

ويحاول العقاد ايضاً ان يرد على الشبه التي اثيرت حول بعض التعاليم الاسلامية ؛ ان في الزواج والطلاق ، او في الرق والقصاص . ويظهر مدى تلاقي هذه التعاليم مع ارقى المبادىء الفلسفية والاجتماعية ؛ ويبرهن على انها سبقت اتجاهات العلم الحديث . ويقرر في اختصار أن الفلسفة القرآنية خير ما تتكفل به الاديان من عقيدة تعمر الضمير ؛ وتطلق للعقل العنان في سبيل الخير والمعرفة ؛ وتحقق سعادة الارواح والابدان

***

هذا هو عباس العقاد المؤمن ، وليس ثمة شيء أخلد لذكره من أن نردد بعض آرائه ، ونوجه النظر الى دراساته

اما العقاد العربي فمجال القول فيه ذو سعة ، فقد كان عربياً بروحه ودمه ، بقلبه ولسانه ، بصوته وقلمه ..

رحم الله العقاد العربي المؤمن رحمة واسعة ، وجزاه عن الاسلام والعروبة خير الجزاء



سهير القلماوى

مشاكل عالمنا الحديث

كيف تتحقق رسالة الابقاء على شباب الانسانيه وهو يخوض معركة «الانا» في سبيل معركة «النحن» ؟..

يقول بعض الباحثين فى هذا الموضوع ان مشاكل الشباب هى هى فى كل زمان وكل مكان . انها كلها وفى جوهرها عبارة عن صعاب المعركة التى يخوضها الشاب بعد ان خاض فترة المراهقة وبذل الكثير فى سبيل اثبات ذاته واقناع كل من حوله بوجوده . تلك المعركة الجديدة التى تتحول فيها « الانا » الى « نحن » ما أمكن فى سبيل تحقيق الذات تحقيقا اكبر فى اطار الجماعة . انها معركة الحرية العملية الحقه لا الحرية المجردة الزائفة . انها معركة التأقلم على اداء رسالة الانسان فى حياة الانسانية كلها . ويطيل هؤلاء الباحثون فى شرح صعاب هذه المعركة ويحاولون ما وسعهم الجهد ارجاع كل المشاكل الى هذه النقطة الرئيسية او الجوهر الاساسى

ولكن باحثين اخرين متحمسين يحذرون من مثل هذا القول وينادون بتفاهة هذه التعميمات على العصر الحاضر بنوع خاص ، ويقولون ان كلام هؤلاء الباحثين قد يصدق على الشباب فى الاجيال السابقة .. أما شباب هذا العصر فقد طرأت على حياته من الظروف الجوهرية ما يجعل هذه المعركة مخالفة لكل ما سبق من معارك الشباب فى تاريخ

الانسانية ..

ان شباب هذا العصر يعانى من المشاكل الفريدة التى لم يسبق لها مثيل ولا شبيه الوانا لا يمكن ان نضمها بسذاجه الى هذا الخضم القديم من المشاكل ، وانما هى ظواهر جديدة كل الجدة لا ترجع الى الاصول القديمة بأى حال من الاحوال . وعلى ذلك فان خطر التعميم هنا جسيم ولا يمكن السكوت عليه

واول هذه الظروف التى تجعل مشاكل الشباب فى العصر الحديث مختلفة عما سبق .. هو هذه السرعة المذهلة التى يتقدم بها الانسان فى اكتشاف المجهول . هذا التقدم العلمى اللاهث وراء غايات تلهث بدورها وراء آفاق وآفاق ارحب لا حدود لها يسم حياتنا الحاضره بسمات لم تكن لها اصول ولا جذور فى الماضى

فمثلا هذا الجديد فى عالم الطب أو صحة الانسان . ماذا أوجد بالنسبة للشباب ؟ لقد اوجد حالات فريدة تعقد مشاكله بشكل جديد وهى لذلك تحتاج الى معالجة جديدة لقد قلت نسبة الوفيات فى سكان العالم فقلت نسبة الذين يموتون من الاطفال فى السنة الاولى من حياتهم وقلت الاوبئة واتقى الطب الجراحى اخطار الموت من الجراحات بعمليات نقل الدم ومخترعات البنسلين وغيرها وبذلك وغيره ترتب امران :

الاول : ازدياد عدد السكان وازدحامهم المذهل فى المدن الكبرى



الرقص المجنون .. يلجأ اليه بعض الشباب فرارا من المسئولية

وهي مراكز الحضارة وصخب الحياة.

والثاني : ان الشباب اصبح ساخرا في الواقع من الشيوخ . فلم يعد الشيخ يعاصر جيله وحده ، جيل قريب اوفر منه علما وتجربة ، وجيل مدلل يتمتع بصحة جيدة وقدرة على العمل ، واحداث الجيلين يزحمان عليه مجالس العمل ومجالاته فإذا المنافسة غير متكافئة ولا عادلة وإذا بها ايضا خطوة من حيث دلالة الصد والاقلال المدة

***

لقد كان الشباب يشعر دائما انه وان كان يقل تجربة فهو اوفر علما واكثر نشاطا واكثر اتصالا بواقع الحياة ، ولكن هذه الميزات اخذت تتضاءل بتقدم العلم الحديث ، وإذا الشيوخ يشاركونه قربا من الواقع ويشاركونه نشاطا ويزيدون عليه خبرة الممارسة الطويلة فماذا يصنع ؟ ...

ويتقدم العلم الحديث متخصصا في مرحلة بدأ الشباب يحس احساسا اكثر حدة من حيث تقدم المعلومات التي تعلمها في المدرسة ، كان الشباب قديما يفخر على ابيه انه تعلم في المدرسة جديدا فهو لا يعرف الابجدية

جيدا - ولكن ماذا يحدث اليوم ، ان الشاب ما يكاد يخرج من المدرسة حتى يكتشف ان الذين يكبرونه بعام او عامين يعلمون عن احدث شيئا احدث مما تعلم ، وهذا هو الحياة في صف الشيوخ من حيث المعلومات العلمية العملية على الاقل وذلك شيئا لابد له من ان يتزود بعلم

جديد متجدد باستمرار ، وتساعده في ذلك هي وسائل نشر الثقافة الدائمة المتجددة عن طريق الكتب والمجلات ووسائل الاعلام كلها وهذه الوسيلة متاحة للشيوخ والشباب على حد سواء - بل قد يكون الشيوخ اقدر على التزود بها منه فماذا يصنع ؟ ...

اما ازدياد العدد وتزاحم السكان على نحو لم يسبق له مثيل فان ذلك يسد ابواب العمل ويجعل معركة الرزق اشد وانكى ، ولكن هناك الاخطر يؤثر في حياة الفرد اثارا حية وهذه الاثار تتصل بالشباب اكثر مما تتصل بالشيوخ في جميع اطوارها ، ان حياة الجماعة اصبحت



المؤتمرات الدولية .. ما اكثرها .. ولكن ... يوم مؤتمر جديد

اعسر واكثر تشعبا . كان الشاب قديما يخرج من المدرسة بمجموعة صغيرة من الاصدقاء يستطيع ان يقضى حياته كلها دون ان يضيف اليها احدا .. وان اضاف فانه يضيف قلة قليلة . اما اليوم فانه يضطر الى صداقات كثيرة عابرة . هى فى كثرتها لا تشبع عواطفه ، وهى فى عبورها عنيفة الاثر فى شعوره بالامن او بالاستقرار

ان نظرة الى مجموعات الشباب اليوم وما يبذل من مجهود فى سبيل ان يجد كل شاب لنفسه مكانا من نشاط الجماعة لهو صورة مصغرة لما يحدث فى ميدان الحياة الواسع العريض . وكما يضطر الانسان فى زحمة المكان الى ان يظل واقفا ، او يقنع بجزء صغير من مقعد .. فكذلك لم يعد من الممكن لشباب هذا العهد ان يجلس على المقاعد المريحة الكبيرة التى كان يجلس عليها شباب الجيل الماضى . ان المنافسة تشتد .. ومع ذلك لابد للشباب من ان يتمسك بالمثل العليا فى الاخلاق والسلوك لانه لو لم يتمسك فانه يسقط ببساطة ودون جدال . لا لان علماء الاخلاق او فقهاء الدين يسقطونه وانما لان الحياة نفسها بطبائع الاشياء وسنة الحياة هى التى ستسقطه قبل ان يسقطه علماء الاخلاق او فقهاء الدين

***

وبتقدم العلم المذهل لم تعد البيئات مغفلة على ذاتها قليلا أو كثيرا وانما انفتحت ابواب الاوطان جميعا على بعضها البعض . انصت الى اذاعة من اليابان وبعد دقائق اسمع اذاعة من افريقيا ، ثم اخرى من امريكا .. وهكذا . والاذاعة تنقل اخبارا وثقافة ودراسات ، ومن خلال ذلك تنقل الى انماطا من الحياة ، ونماذج من السلوك وسلما من القيم . واصعد الى الطائرة فاذا انا بعد ساعات فى اخر الدنيا ارى واسمع واباشر اقداما ما كان يمكن لا لاجدادى ولا لابائى ان يتصوروا انه كان من الممكن ان اختلط هذا الاختلاط بمختلف شعوب الارض . وتحس الشعوب كلها الحاجة الى التلاقى ويدق ناقوس العلم فى مجالات الدمار والتخريب منذرا بحرب مفنية ساحقة فيزداد الناس تعلقا بالسلام ، ولا يمكن للسلام ان يبنى على ارض من الخلافات او الاختلافات الجوهرية . ان الانسان هو الانسان حيث كان فهلم نلتقى وهلم نتفاهم ، واذا مؤتمرات ومؤتمرات . كنا نصادف مؤتمرا فى العام فاذا بنا نحضر المؤتمرات كما نحضر اللجان المحلية لاى شأن من الشئون .. وهكذا تتلاقى الشعوب ، لانها تحس ضرورة التلاقى .

وفى جمال هذا التلاقى ودفئه ماذا نصادف ؟

فيما تتصارع ومناهج حياة تتنافس ، وسلالم من القيم تختلط . وعلى الشيوخ والشباب خاصة مهمة ايجاد طريق للمستقبل وسط هذا الزحام . والشيوخ قد مروا بمثل هذه التجارب على نطاق ابسط واكثر

سذاجة يوم اقلموا انفسهم في معركة « الانا » مع « النحن » ولكن الشباب يواجه المعركتين معا . انه ليس « أنا » بل « نحن » وهو ليس « نحن » الضيقة المحدودة بحدود الوطن او الاهل · وانما هو « نحن » الواسعة العريضة التي تموج بمختلف القيم وشتى التيارات ·· !

وهنا تبرز الحاجة الماسة الى الشيوخ · هؤلاء الشيوخ الذين كانت الاجيال السابقة من الشباب تسخر من جمودهم او قدمهم او ابتسار الصلة بينهم وبين الواقع · انهم هم وحدهم الملاذ في هذه المعركة المزدوجة معركة « أنا » المتطورة نحو « نحن » · ان الانسانية كلها تخوض هذه المعركة في شكل شعوب مرت بمرحلة اثبات الذات ، واخذت في مرحلة التأقلم على الحياة مع سائر الذوات بحيث تحافظ كل منها على شخصيتها ولكن بحيث تسفر ايضا مع المجموع في سبيل شخصية اضخم او أفضل هي الشخصية الانسانية العالمية

وكثير من الشباب يفر من ضخامة المعركة فاذا به يعبر عن الفشل المؤسي بحركات عصبية · بالرقص المجنون او الفنون المعربدة باسم الجديد فاذا فتشتها لا تجد شيئا له قيمة البناء او جرثومة الخلود · ولكن الكثرة الاكبر من الشباب تحمل الرسالة التي ناءت بها الجبال صاعدة صاعدة نحو انسانية اعمق وعالمية أرحب

والى جانب هذه السمات الضخمة التي تجعل مشاكل الشباب اعنف واعسر ·· تقف مشاكل فرعية كثيرة مترتبة عليها . ولعل مشكلة خروج المرأة الى العمل من هذه النتائج والآثار لتقدم العلم المذهل فلقد اعفيت المرأة من كثير جدا مما كانت تقوم به جدتها · اعمال الية في المنزل قامت بها المصانع باوفر واكثر اتقانا مما كانت تقوم به المرأة فرديا في بيتها · حتى العناية بصحة الطفل كم ذا كانت تسهر الام لليالي مثلا الى جانب طفل اصابه ميكروب التيفود ؟ شهرا او اكثر ، يختصرها « المتيسين » اليوم الى يومين او ثلاثة · غير الوقاية المتيسرة وغير المستشفيات التي تكثر وتتحسن يوما بعد يوم

لذلك ولغيره اصبح خروج المرأة من بيتها ضرورة ، وعملها في المجتمع ضرورة حتمية سلمنا بذلك اليوم او غدا · واوجد هذا في حياة الاسرة عديدا من المشاكل ينعكس على حياة الشاب فتزيد ظروفه تعقيدا · ولكن الاهم انه يزيد مهمة الامومة عسرا لانه يجعلها اعمق واطول واشق ·

فهل تنهض المرأة الى مستوى هذه المسئولية المزدوجة الجديدة ؟! ·· وهل تستطيع في هذا الجيل ان تصل الى ان تعمق امومتها وتثريها من تجارب العمل ومعرفة الحياة بكل ابعادها ؟ ! · قد اكون مسرفة في التنازل اذا قلت نعم بالنسبة لهذا الجيل ولكنى قطعا اقرر الواقع اذا

قلت نعم سيصل الجيل القادم الى اكثر مما نؤمل له .. !

***

واخيرا أن تقدم العلم السريع المذهل يولد كثيرا من المشاكل الجديدة للشباب ، ولكن وهذا هو الاهم والاعظم يتيح لهم فى ظله حياة اكثر رفاهية واوفر خيرا وادعى الى ان تكون مجلبة للسعادة لو انهم احسنوا استعماله ، ان مكتشفات العلم يمكن ان تكون وسيلة دمار ، ويمكن أن تكون وسيلة حياة افضل والانسان هو الذى يختار لنفسه الغاية التى يسخر فى سبيلها جهود العقل وثمرات البحث العلمى ..

وهذا الانسان الذى سيختار ، يحتاج ولا شك الى أن يرتفع عاطفيا ونفسيا الى مستوى مسئولية الاختيار تلك . وبالعلوم الانسانية والفنون وما يمكن ان تحقق من تقدم .. وما حققت بالفعل الى اليوم من تقدم نستطيع ان نربى فى الانسان تلك الملكات التى بواسطتها سيختار لنفسه طريق الحياة ونهج التقدم . ومن هنا كان نشر هذه العلوم على اكبر مجموعة ممكنة من سكان الارض ضرورة قصوى فى حياة انسان النصف الثانى من القرن العشرين . لابد ان يقف الانسان فى سرعة العدو اللاهث وراء الجديد فى عالم العلم ليسأل نفسه فيم كل هذا؟! وعلام ؟ ! والى اى شىء يقود ؟! وفى مرحلة الشباب اكثر من اية مرحلة اخرى فى الحياة نجد الحاجة الماسة الى صقل النفس بالعلوم الانسانية وبالفنون حتى لا يكبح بنا وبالعالم جموح الشباب فندمر بأيدينا حياة الانسان وجهود مئات من القرون فى سبيل نزوة شابة جموح الشباب

ان الشباب الذى عقد العلم الحديث مشاكله مع الشيوخ قد اقترب من الشيوخ قربا لم يصل اليه فى أى زمان مضى من تاريخ الانسانية انه يحس نفس الاحساس بسرور الحياة السريع الدافق من حوله دون ان يركب أمواجه . ومن هنا تنشأ الحاجة الماسة على نحو ملح ، لم تصادفه الانسانية من قبل ، الى ان يتكاتف الشيوخ والشباب معا يدا واحدة فى سبيل تحقيق هذه الرسالة العظمى .. رسالة شباب الانسانية وهى تخوض معركة «الانا» فى سبيل « النحن » .

●

الدليل الحاسم

قالت عاملة تسباك التذاكر لصديقتها :

لم أعد يا عزيزتى جميلة جدا كما كنت فيما مضى !

— لماذا ؟ ماالذى اوحى اليك بهذه الفكرة ؟

— لان الرجال اصبحوا الان يعدون باقى النقود التى اعطيها لهم بدقة !

الربيع .. في العالم

العباقرة والربيع

شعراء الخيال والموسيقى والحب هم الذين استطاعوا الكتابة عن الربيع فحين اراد «موزار» ان يسمو بموسيقاه لم يجد الا ان يقول : « يحس المرء بالربيع فى موسيقاى »

وعندما تحدثت « جورج صاند » عن الحب والغرام قالت : « فى كل ربيع حب جديد »

ولعل احدا لم يصور الربيع تصويرا صادقا واقعيا مثل الشاعر الفرنسى الكبير « بول جيرالدى » حين وصف الربيع بالشعور لا بالالفاظ .. وبالاحساس لا بالكلمات حين قال : « كم احب الربيع لما جلبه لى من سعادة .. وكم امقته لما تركه فى نفسى من مرارة »

وعمر بن الخطاب ، امير المؤمنين قال : مروا الناس ان يخرجوا الى الصحارى ايام الربيع ليروا كيف يحيى الله الارض بعد موتها »

عشرة الاف جنيه

حدث ايام نابليون الثالث . ان وقع احد قواده فى غرام راقصة جميلة . وبلغ من تعلقه بها ان اقسم يوما على ان يعطيها كل ثروته . وفعلا بر بالقسم ، فارسل اليها فى ليلة شم النسيم بيضة فى صندوق كبير تحمله عربة يجرها حصانان . فلما فتحتها لم تملك ان شهقت من هول المفاجأة التى وجدتها بداخلها، فقد كانت الجوهرات التى بداخلها تساوى عشرة الاف جنيه

تقاليع

كان من تقاليد البلاط الفرنسى فى عهد الملك لويس الرابع عشر ان تقام فى مساء عيد الفصح حفلة راقصة تستمر حتى صباح اليوم التالى . وفى علمه المناسبة تقدم الى الملك اكوام من البيض المزخرف والمنقوش ،فيوزعها على اعضاء حاشيته وحراسه . وظهرت فى عهد لويس الخامس عشر عادة نقش القصائد على بيض الفصح . وحدث ان قدمت فلاحة اليه بيضة راعه كبر حجمها ، فعهد بها الى صائغه الخاص ، ليصنع لها اطارا وقاعدة من الذهب ثم قدمها هدية الى عشيقته « مدام دى بارى »


« الدراويش » .. من لوحات محمود سعيد الثلاثة العديدة

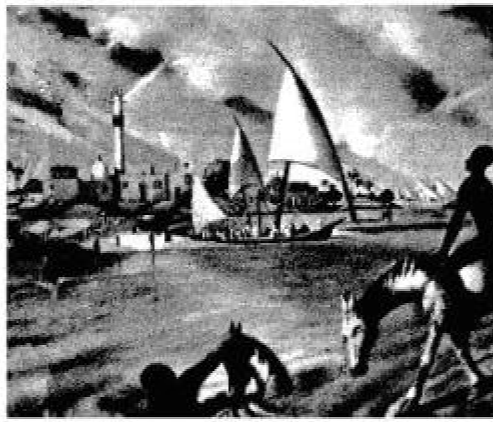
أحمد موسى

فقيد الفن
محمود سعيد

انجبت مدينة الاسكندرية التى يبلغ عمرها نحو الفي سنة الكثيرين من أساطين العلـــوم والفنون والآداب الكلاسيكية التي انطلقت منها المعرفة الى بلاد جنوب أوربا في العصر القديم — وفي اليوم وفي عصرنا هذا قد انجبت ثلاثة فحول توائم سيد درويش الذي يعتبر بحق حجر الزاوية في تطـــور الموسيقى الحالية والانتقال بها من الرتابة ووحدة التفاعيل والتصاعق

محمود سعيد

بنظـام « التخت » الى المسرح الوطني مستمدا من الشعب مادة ورسالته والعماله والهامه ؛ وثانيهما توفيق الحكيم وهو بحق حجر الزاوية الثانية في القصـة المصرية التي عبرت وسجلت جانبا كبيرا من حياتنا في اسلوب منطقي وحوار رائع لا يجاريه فيه كاتب آخر ؛ أما الثالث فهو محمـود سعيد القاضي الفنان الذي ترك





« البدوية » .. رسمها الفنان وجيوده في عرضه

●

بلدية بمناظرها البديعة وبنسائها المعروفة ...

كرسي القضاء ليتفرغ للرسم بكل أحاسيسه ومشاعره ووجدانه .

واذا كانت المهنة تلقي ظلها على فكر صاحبها ، والفنان يعبر عن المشاهد ومشاكل الحياة فان الثلاثة الكبار قد التزموا بتمثيل البيئة المصرية العربية تمثيلا مصريا عربيا خالصا . وكما أن توفيق الحكيم قد درس القانون واشتغل

وكيلا للنائب العام ومديرا قانونيا للتحقيقات قبل ان يتفرغ للقصة ؛ فان كتابته تنم قطعا على العقلية القانونية التى تزن كل شىء بميزان المنطق القانونى ، وربما يكون هذا سر تزمته فى حواره ، فلا يخرج ابدا من المنطق ولا يبعد عن الجوهر شأن المحقق الباحث عن الحقيقة

وهذا الدستور نفسه يمكن تطبيقه على محمود سعيد الذى درس القانون واشتغل قاضيا وطلب الاحالة الى المعاش فى سن الخمسين من عمره وكان وقتئذ مستشارا . ويبدو ان جلوسه الى منصة القضاء قد اثر فى عقليته وفى ترتيب تعبيراته وفى اتزان احكامه مما جعله يتمسك فى كل لوحاته بالبيئة المصرية العربية التى استلهمها مادة لوحيه وانتاجه

واذا كانت البيئة تؤثر فى انتاج الفنان لانها معلمه الاول كما يقول «دورر» فان المشاهدة ، او السفر وزيارة المتاحف ودور العرض والكنائس الكبرى من اعظم العوامل التى تعود على اعمال الفنان « بالصقل » ، ولهذا فليس عجيبا عندما نستعرض لوحات محمود سعيد ان نجد مع تمسكه بالفن المستلهم من ارض مصر انه قد تأثر فى الكثير من لوحاته بطريقة الانشاء الفنى لدى بعض فنانى عصر النهضة من حيث الزحمة حينا واشتمال اللوحة على اكثر من قصة متماسكة حينا آخر . ولولا اختيار محمود سعيد لالوان ذات زهو وبريق ولمعان خاص ميزته « بالمصرية العربية » لكان محمود سعيد من الفنانين العالميين الذين لا نعرف لهم جنسية الا عن طريق النسوس وليس عن طريق اللوحات

وعندما نستعرض لوحات محمود سعيد بغية الوصول الى تحديد اسلوبه نجد انه بمعيشته معظم حياته على ساحل البحر الابيض قد تعلق بحب البشرة البرنزية اللون المكتسبة من الاشعة البنفسجية الكثيرة الانتشار على السواحل عادة ، كما انه تعلق بحب المناظر الشعبية حبا ملك عليه كل مشاعره وجعله يستلهمها مادة معظم لوحاته

***

ولا بد لنا ان نذكر انه يمكن تقسيم انتاجه الفنى الى مرحلتين رئيسيتين اولاهما من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٥٠ حيث نراه يسير متقدما فى بطء نحو الكمال لاسيما عندما نلاحظ تمسكه بقواعد الانشاء الفنى على القاعدة الكلاسيكية التى تعنى بادراك معانى الجمال والولوع بالقوام الرشيق الملىء الى الحد المتفق عليه عند الكلاسيكيين فلا يصل الى امتلاء الاجسام عند روبنز ولا يكون فى ضآلتها عند ماكس كلينجر ، مع الميل الى ملء المساحات بالزخارف والنقوش

واما المرحلة الثانية فهى منذ ١٩٥٠ الى وقتنا الحاضر وفيها



* السيدة العربية .. كما تصورها محمود سعيد ..



* بنت البلد * ذات الملامح الوطنية

نلاحظ ميله التدريجي الى التبسيط والرغبة في التعبير التأثري التجريدي

وهناك ضمن مجموعته العظيمة شخصية « بورتريه » بذل فيها جهدا أثبت قدرته على حفظ الملامح في قوة بالاضافة الى الدراية باصول التشريح حالة كونه لم يتخرج من مدرسة الفنون ولم يدرس الرسم على اساتذة معينين . ونزعته في استقصاء الحقيقة كقاض دفعت به الى القدرة العجيبة في التعبير عن مشاعر النفس وتحليل اسرارها وسبر غورها عن طريق التدرج اللوني واستخدام الظل والنور استخداما يثير الاعجاب والتقدير

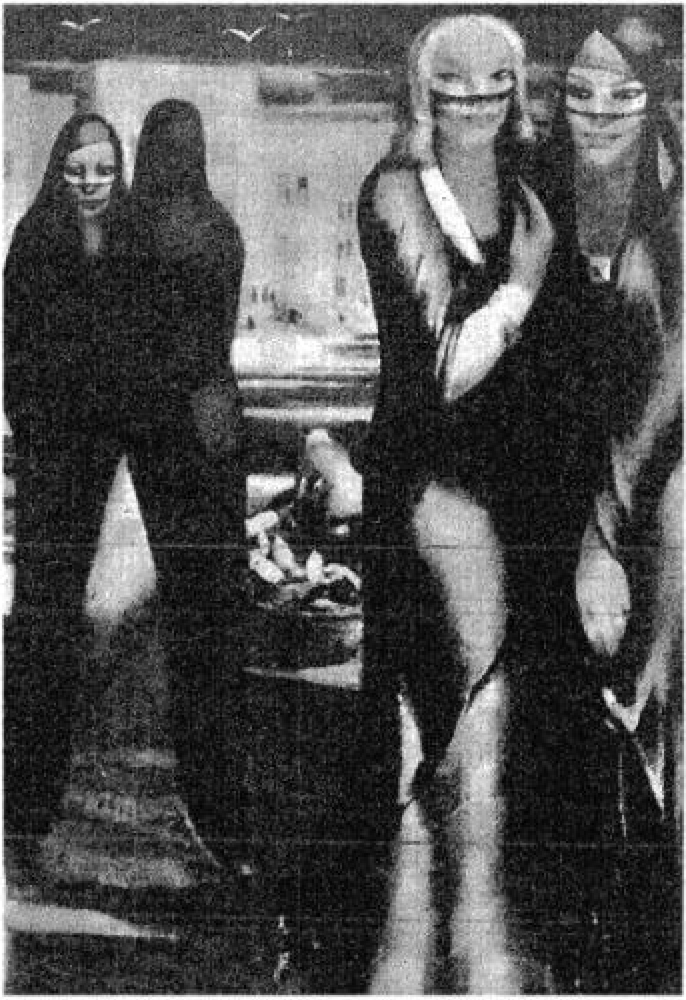
وكان محمود سعيد من قارئي كتب علم النفس بطبيعة وظيفته كرجل قانون ، ولكنه الى جانب ذلك قرا عن الاحلام والكبت والعقد النفسية عند فرويد ولهذا اثره في فنه حيث اجاد في التعبير عن هذه المشاعر الانسانية والعواطف والميول التي لا يمكن التخلي عن تسجيلها ما دام جادا في البحث عن حقيقة الانسان في عنفوانه وجبروته وبطولاته وكذلك في ليونته وانسانيته وصفائه وتسامحه

لقد اكتسب محمود سعيد خبرة عظيمة في الدراسات النفسية كما افادته وظيفته كقاض بحسن الاستماع والانصات في اتجاهاته الفنية ودرايته بنزعات النفس واثرها في حركات الجسم وتعبيرات قسمات الوجه — ولكنا نؤمن بانه لم يكن ملتزما في تطبيق قواعد الانشاء الفني ؛ بل كان يجافيها حينا ويلتزمها حينا آخر مما جعل تنوع لوحاته جديرا بالدراسة والفحص والتأريخ

***

واذا كان محمود سعيد قد انتقل ، فان لوحاته ستظل ذكرى عاطرة في تاريخ الفن المصري الحديث على اعتباره احد الرسامين الكبار الذين دانوا بوطنهم واستلهموا مادة وحيهم من الحياة الخالصة لشعبه ومن الذين ساهموا بقسط كبير في التوعية الفنية بما في بلادنا من مناظر وعادات جديرة بان تكون في لوحات فنية يقتنيها الناس في بيوتهم بعدما كانت بيوت الكبراء تأنف من ان يكون من بين ما يحفظ فيها لوحات تمثل جمال هذا البلد او عادات اهله

وقد قرر الدكتور حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد وهو الرجل الذي عرف بعظيم اليقظة والتشجيع على احياء الفنون الشعبية .. اقامة تمثال نصفي للفنان محمود سعيد ومع ترحيبنا بهذا فاننا نود أن تعنى الدولة بجمع لوحات هذا الفنان في مختلف المراحل لتكون عقدا متكاملا على غرار ما فعلته الدولة للفنان محمود مختار



«بنات بحرى» اشتهر الفنان الراحل بتسجيل جمـــالهن . . .

ناصر النشاشيبي

لغز..

شارع الرشيد.. أيضا



الرئيس عبد السلام محمد عارف

انتهى الكاتب في «الهلال» الماضي في محاولته البحث عن حل للغز شارع الرشيد عند الحديث الذي ادلى به ياور عبد الكريم قاسم عما يعرفه عن الرجل الذي حكم بغداد بالالغاز مدة ٥ سنوات . ويعود الكاتب في هـذا المقال الى حل اللغز مستشهدا لاول مرة باقوال الرجل الذي فجر ثورة ١٤ يولية (تموز)..عبد السلام محمد عارف ..

قلت لنفسي وأنا استمع الى الرئيس العراقى عبد السلام محمد عارف وهو يحدثنى عن عبد الكريم قاسم او « لغز شارع الرشيد »

ـ ليتني أستطيع ذات يوم قريب ، وأكتب فصلا طويلا فى كتاب طويل ، أجعل عنوانه : « قصة رجلين » .. واتحدث فيه عن الصفحات الشيقة الطريفة التى تضم قصة أول لقاء بين عبدالسلام عارف وعبد الكريم قاسم .. وأين؟ وكيف ؟ ومتى ؟ . ثم قصة حياتهما معا .. سنة بعد سنة .. ولقاء بعد لقاء .. وفراق بعد عداء .. ثم قصة دور كل منهما فى ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ .. والشهور الاولى لكل منهما فى كرسى الحكم .. ثم الخلاف .. والافتراق .. والمحاكمة .. والسجن .. وتكر الايام ، وتدور عجلة الزمن ، ويأتى يوم ١٤ رمضان وتنطلق الرصاصة الاولى على جدار وزارة الدفاع العراقية ، ثم تسقط بعدها أول صاروخ من الجو على مبنى الوزارة نفسها ، ويتحد الشعب ، وتمشى المظاهرات ، وتقوم الثورة ، ويخرج عبد السلام محمد عارف من منزله الذى كان اشبه بسجن دائم له : الى مبنى الاذاعة ، حيث كان بانتظاره هناك كبار ضباط الجيش العراقى .. وبانتظاره أيضا « عبد الكريم قاسم » .. والمهداوى .. وقد زالت عن كل منهما هيبة السلطان وبدا كل منهما هزيلا .. ضعيفا .. خائرا .. مستسلما ..

ويجتمع عبد السلام مع صحبه طويلا .. ويتداولون فى مصير عبد الكريم قاسم ، ونوع الحكم الذى سيصدر ضده ، ويقول عبدالسلام عارف الى رفاقه الضباط :

ـ اخرجوا الى مكتبكم الخاص فى الغرفة المجاورة ، وادرسوا الامر لوحدكم ثم تعالوا هنا ومعكم القرار النهائى وانا مستعد ان « أمشى » مع اى قرار تتخذونه . ويخرج الضباط من الغرفة المجاورة ، ويبحثون ، ويتناقشون ، ويقررون اعدام عبد الكريم قاسم . ثم يدخلون الى عبد السلام محمد عارف فى غرفته ، ومعهم قرارهم . ويقرأ عبد السلام عارف نص القرار فتدمع عينيه ويقول لهم :

ـ انا لا استطيع ان اوافق معكم على هذا القرار . لا أستطيع ان أشترك فى الحكم على قاسم بالاعدام . لقد عاهدته ذات يوم من عام ١٩٥٨ ان أحافظ عليه ، ولا أستطيع اليوم ان اتنكر لذلك العهد ..

وقال له احد الضباط : ولكن قاسم فى عام ١٩٦٣ غير قاسم فى عام ١٩٥٨ ! لقد تنكر لك ، وسجنك ، واعتدى علينا ، وحكم البلد بالحديد والنار .. وانت بهذا فى حل من عهدك له ..

وهز عبد السلام محمد عارف راسه علامة عدم الموافقة وقال مرة اخرى :

ـ لا ! لا استطيع . انكم ـ وقد اتخذتم قراركم بالاجماع ـ تستطيعون ان تمشوا فى تنفيذه الى النهاية . ولكنى انا لا استطيع

ان ...سع امضائى على اعدام قاسم وتركهم ، وخرج !

ورفض عارف أن يوافق بامضائه على قرار اتخذه جميع الضباط القضاة باعدام قاسم ..

ورفض ان يبقى فى مبنى دار الاذاعة ، ساعة تنفيذ حكم الاعدام فى قاسم ..

ولكن ..

لماذا بدأت القصة من نهايتها ؟

لماذا لا ابدأها من الاول .. فى اول يوم التقى فيه عبد السلام عارف ، بعبد الكريم قاسم ؟ .

لقد جلست أروع ساعتين من وقت الرئيس العراقى ، وهو غارق فى ذكرياته ، يحدثنى بأطرافها عن صديقه القديم .. عبد الكريم قاسم ..

وقلت لعبدالسلام عارف : ليتنى ـ ياسيادة المشير ـ استطيع ان اكتب قصتك ـ بالتفصيل ـ مع عبد الكريم قاسم ..

قال لى عارف : اتركها يا .. فأنا سأرويها فى كتابى ! .

قلت : قد تضمها الى ذكرياتك الكثيرة ، ولكنى لا اطمع الا ان اجعل منها فصلا يكون عنوانه : قصة رجلين !

قال : ولكنها فى معظم فصولها ، دامية !

قلت : وهذا ما يجعلها تبحث عمن يكتبها ! .

قال : ولكنى احتاج فى بعض فصولها الى الرجوع للاسماء والتواريخ ..

قلت : ان ذاكرتك اقوى من .. الورق !

قال وهو يلتفت بكرسيه الكبير صوب مقعده فى مكتبه بالقصر الجمهورى ببغداد :

ــ كان ذلك فى عام ١٩٣٨ .. وكنت انا تلميذا فى الكلية العسكرية وكانت الكلية تحتوى على اربع فصائل .. وكنت انا فى الفصل الاول .. وكان عبد الكريم قاسم يأتى ــ كأحد اساتذة الكلية ــ يحاضر علينا ــ او يحاضرنا مرتين فى كل اسبوع ..

واستطرد عبد السلام عارف يقول لى :

ــ وهكذا كان عبد الكريم قاسم احد اساتذتى ! وكان اول لقاء لى معه عندما كان هو استاذا فى الكلية العسكرية وكنت انا احد تلامذتها ! ولا اخفى عليك حيرتى عندما تخرجت فى عام ١٩٣٩ فى الكلية ، وكان على ان افترق عن عبد الكريم قاسم الذى مدنى بأسباب الصداقة ! فقد ابتعد كل منا عن الآخر لمدة ثلاث سنوات ، عدنا بعدها والتقينا عام ١٩٤٢ فى مدينة « البصرة » ..

قلت مقاطعا : كيف .. وفى اية ظروف ؟

قال الرئيس عارف : كنت فى ذلك العام قد استقر بى العمل كضابط « للاستخبارات » العسكرية فى الجيش فى مدينة البصرة بجنوب العراق ، وكانت طبيعة العمل تتعلق بتنظيم الجيش اكثر من اى شىء آخر ، وجاء عبد الكريم قاسم الى بلدة « الناصرية » وأقام فى منزل واحد مع شقيقى « عبد الرحمن » حيث كان قد اصبح يشغل منصبا

عسكريا مسئولا فى اللواء . وقد استقبلته عندما التقينابكل احترام، واحطتهبالرعاية والتقدير. واشعرته بمكانة الاستاذ منى . ولكنى لم اشركه فى عملى او تفكيرى الوطنى . ورغم كل ما كان بيننا من صداقة ، فقد قمت انا بتاسيس اول « خلية وطنية » فى « البصرة » دون أن اخبره ؛ ودون ان أدعه يعلم بها . ولكن صداقتنا لم تعجب أحد كبار الضباط الموالين للقصر والحكومة يومذاك وهواللواء «بهاءالدين نورى » الذى اصبح فيما بعد سفيرا للعراق فى طهران ثم فى عمان ، فأمر بنقلى من البصرة الى الناصرية ، وامر بنقل «قاسم » الى « جالولا »

ومضى عبد السلام محمد عارف يقول :

ـ ثم اختارونى ضابطا مدربا فى الكلية العسكرية فى ٢٧ سنة ١٩٤٦ وبقيت فيها عاماكاملا حتى تركتها الى منصب عسكرى جديد فى كركوك! وهناك التقيت مع عبد الكريم قاسم من جديد . جئت انا الى كركوك كمساعد لآمر الفوج وكان قاسم آمرا لذلك الفوج . الى أن وقعت حرب فلسطين ، عام ١٩٤٨ ، فكنت انا على راس الضباط الذين سافروا الى تلك الحرب .. وكان عبد الكريم قاسم معى !

قلت للرئيس عارف : وهل التقيتما فى نفس اللواء ؟

قال : لا ! انا كنتفى مدينة«جنين» نفسها ، وكان عبد الكريم قاسم فى مدينة فلسطينية مجاورة لجنين لعلها « كفر قاسم » ! . ولكننا كنا نلتقى دواما خلال اقامتنا فى فلسطين

قلت للرئيس مقاطعا :

ـ كنت أود أن أسألك عن ذكرياتك فى تلك الحرب ..

قال :

ـ قمت بفك الحصار الصهيونى عن قلعة « جنين » واستولينا على « المزار » الذى كان فى قبضة اليهود ، ولكنهم فىبغداد بطريقة « اكو اوامر وماكو أوامر » اعادوناالى خطوطناالاولى فانسحبنا الى الخلف .. وتمت مهزلةالحرب الفلسطينية على آخرها بكل مافيها من معنى المأساة ،حتى اعادونى الى بغداد ، ومنها الى الموصل ، ثم الى كركوك مرة أخرى ، وعندما اصبح « نور الدين محمود »رئيسا لاركان الجيش ، صدر الامر بنقلى الى مقر قيادة الجيش وتوليت عدة مناصب مهمة استطعت من خلالها ان اسدى الى صديقى القديم «عبد الكريم قاسم» عدة خدمات ، وأن « استعمل » نفوذى لكى يصبح هو « آمرا للواء » ! . وبعدهابعام واحد التقينا فى « دائرة تدريب المناورات» وعملنا فى هذه الدائرة معا حتى صدر له الامر بان يتولى رئاسة اللواء الذى كان مقررا أن يسافر الى سوريافى ذلك الوقت ثم الغى القرار .. وبقيت انا فى المناورات. الى ان عاد قاسم الى منصب « آمر اللواء ١٩ » عام ١٩٥٤ . ونقلت انا فى منصب « آمر فوج » يتبع اللواء الذى يقوده قاسم ..

• واستطرد عبد السلام عارفيقول لى :

ــ وقد رحب بي قاسم أشد الترحيب .. وسعد بوجودي معه في لواء واحد .. ولم يرض ان يسلمني مجرد فوج واحدمن افواج اللواء ، وانما سلمني ــ بالفعل ــ اللواء باكمله ..

قلت مقاطعا :

ــ وهل هذا بسبب علمه بميولك الوطنية ؟.

قال الرئيس عارف :

ــ لا ! الى الان لم يكن قاسم قد اطلع على شيء من ميولي الوطنية وانما كان يرتاح لي . ويثق بكلامي ويسعد بمجلسي . وكان يعتمد على كل الاعتماد . ولم اكن الاحظ لديه اي ميل سياسي خاص يشجعني على ان افاتحه بميولي لكي نبدأ العمل معا ! . كنت اذكر انني تحدثت اليه مرة واحدة عن الشر الذي حمله الانجليز معهم الى بلدنا ، وعن دسائسهم ومؤامراتهم ، فلم الحظ عليه اي تغيير ! . كان اما ان يهز رأسه موافقا .. او يصمت واجما ! وعندما استطردت للحديث عن شرور السياسيين القدامى في البلاد ، لم ينبس قاسم بكلمة واحدة ! .

قلت للرئيس عارف :

ــ وكيف تفسر هذا كله ؟ .

قال الرئيس عارف : لا ادري ! لم تكن الفكرة قد تكشفت [illegible] ولم يتكشف هذا الامر الى ان سافر في الامر بالفعل للتدريب والدراسة في بريطانيا !

[illegible] الرئيس العراقي [illegible] [illegible]

اقامته في بلاد الانجليز !

ــ وسافرت الى بريطانيا . والى المانيا الغربية وبقيت هناك حتى عام ١٩٥٦ عندما امروني بالعودة الى بغداد ، والاستعداد للسفر الى الاردن !

ولكن :

ويقول لي عبد السلام عارف :

ــ ما ان عدت الى بغداد حتى لاحظت بعض التطور السياسي الفكري قد طرأ على نفسية عبد الكريم قاسم ، كان هذا في عام ١٩٥٦ كما قلت لك .. لا قبل ذلك بدأ قاسم ــ مثلا ــ يتصل بالضباط .. ويسعى لمقابلتهم .. ويخرج من عزلته من اجلهم ..

قلت : هل تعني انه بدأ يتصل بالضباط .. الاحرار .. في الجيش ؟

قال الرئيس عارف : اجل ! وعلى راسهم ناجي طالب .. والمرحوم الشواف .. واخي عبد الرحمن ..

قلت : وهل كان هؤلاء الضباط الاحرار على اتصال بك ايضا . .

قال الرئيس عارف : بكل تاكيد ، ويضاف اليهم الضابط « رجب عبد المجيد ، وطاهر يحيى ، ووصفي طاهر ، ومحمد سبع . وعبدالوهاب امين » وعدد اخر من الضباط . ولكن [illegible] انما على اتفاق تام مع [illegible]

[illegible] وعدم البت فيها [illegible] حركتنا أي تقدم . [illegible] تحد الحركة على [illegible] عدم اعتمادي على [illegible] لان معظمهم

٠.ن من بين تلامذتى فى الكلية الحربية ..

واستراح الرئيس عارف قليلا قبل أن يكمل حديثه لى فقال :

واخيرا جاء عام ١٩٥٧ .. وكنت انا اشغل منصب آمر الفوج الثالث فى اللواء التاسع عشر ! .. ثم قرر المسئولون انشاء لواء اخر والعهد بادارته لى مما يبعدنى عن قاسم .. وقد تألم قاسم بسبب ذلك كثيرا . كان يريد أن ابقى معه . ولكنى قلت لـه !

ـ كنا ننفث روحنا يا « كريم » فى لواء واحد ، والان أصبح تحت سيطرتنا لواءان اثنان .. وهـذا مايجب أن يسرك ، لا أن يغضبك !.

وبالفعل انفرجت أسارير « قاسم » . وبدأت أتحدث اليه عن وجوب القيام بحركة ما ! وقررنا أن ننفذ « الحركة » فى عام ١٩٥٧ ولكن « جماعتنا » فى بغداد قرروا تأجيلها ؛ وقلت لقاسم انني اريد ان اقوم بالحركة وحدى . ولكنه قال: وأنا معك ! وانتظرنا الفرصة المواتية حتى جاء عام ١٩٥٨ .. وتطورت الظروف بالشكل الذى نريده وصدر لى الامر بالسفر مع لوائى الى .. الاردن ؛ فكان ذلك ايذانا لى بأن اضرب ضربتى واقوم بالحركة .. التى انتظرتها طويلا !

قلت للرئيس عارف مقاطعا :

ـ يهمنى أن اعرف تفاصيل ماجرى فى يوم ١٤ تموز ، دقيقة بدقيقة ، لا لأنى اجهل هذه التفاصيل ، بل لكى اعرف بالضبط الدور الذى قام به عبد الكريم قاسم فى ذلك اليوم .

وابتسم الرئيس « عارف » وقال لى :

ـ ان الذى أذكره انا ـ بصورة عامة ـ هو اننى زحفت على بغداد ، وقمت بالثورة ، ونجحت الثورة ، واحتلت قواتى جميع المراكز الحساسة فى البلد ، وكل ذلك قبل ان يدخل عبد الكريم قاسم بقواته .. الى بغداد !

قلت : ولكنى ارجو ـ مرة أخرى ـ ان اسمع منك التفاصيل ..

قال : لا ! لن أقلها لك بنفسى ، انني افضل ان ينقلها اليك واحد غيرى من الذين شهدوا ذلك اليوم بأنفسهم ، هذا « فؤاد الركابى » ـ مثلا ـ اسأله عما رأى فى ذلك اليوم الحاسم ، تجد عنده كل شيء ..

وكان صديقى « فؤاد الركابى » ـ وزير الاعمار السابق فى العراق ـ ينتظرنى فى فندق « بغداد » لكي نكمل معا حديثا كنا قد بدأناه فى الليلة السابقة ..

وقلت لفؤاد الركابى ونحن نحتل ركنا منعزلا فى صالون فندق بغداد:

ـ لقد طلب منى الرئيس عارف ان اسألك عن معلوماتك فى يوم الثورة .. بالتفصيل ؟

ودهش « الركابى » من سؤالى وقال :

ـ انا ؟ .

قلت : أجـل . انت ! وقد ذكر اسمك شخصيا ..

قال فؤاد الركابى مستفهما :

ـ الم يخصص الرئيس الموضوع

الذي يريدني ان اتحدث عنه ؟

قلت :

ـ الرئيس سمح لى ان أعرف كل شيء .. وانا بدوري أسالك ان تقول لي كل شيء ..

قال فؤاد :

ـ لا أكتمك سرا باننا كنا على علم بموعد قيام الثورة ، فعندما سمعنا بنجاحها ، تنادينا ـ نحن الممثلين لجميع الاحزاب السياسية ـ الى الاجتماع باسم « الجبهة » التى تمثل الجميع ، وقررنا تأييدها ! . وبالفعل صدر قرار الجبهة بايفادي ـ انا وصديق شنشل ـ الي وزارة الدفاع واعلان تأييدنا للثورة ..

قلت : متى .. اعنى فى اية ساعة بالضبط كان ذلك ؟

قال فؤاد : فى الحادية عشرة من صباح يوم الثورة ! .

قلت : ومن وجدتهم فى وزارة الدفاع ؟

قال : فى تلك الساعة ، لم يكن عبد الكريم قاسم قد دخل بغداد بعد ! وقد وقفنا ـ انا وصديق شنشل ـ قليلا على باب الوزارة نتحدث الى بعض الضباط ، فشاهدنا عبد الكريم قاسم يأتى الينا من بعيد ، وبيده رشاش صغير .. وعلى وجهه علامات الاضطراب . وصافحنا قاسم ، ومشى معنا الى مبنى الوزارة .. واتجهنا جميعا الى مكتب وزير الدفاع الذى أصبح ـ ويا لسخرية الاقدار ـ فيما بعد المكتب الخاص لعبد الكريم قاسم ! . وهناك جلسنا قليلا ، وجاء الساعي يحمل اكواب الشاى .. وراح قاسم يشرب الشاى باضطراب شديد وكانه يخشى أن يدخل علينا احد ..

قلت لفؤاد : واين كان عبد السلام عارف فى تلك اللحظة :

قال : فى مبنى دار الاذاعة . . يوجه من هناك عمليات الثورة !

قلت : وعبد الكريم قاسم يكتفى بشرب الشاى .. أليس كذلك ؟

قال : ليس هذا فقط ! بل انه ـ اى قاسم ـ رفض ان يتحمل اية مسئولية بالنسبة لسير مخطط الثورة حتى بعد نجاحها ، انني اذكر انه دخل علينا ونحن جلوس فى تلك الساعة ، ضابط من رجال الجيش وقال « لقاسم » ان هناك قطاعات فى مدينة « المسيب » التى يقودها « رفيق عارف » الموالى للعهد الملكى قد بدات تتحرك الى بغداد لاسقاط الثورة .. فماذا نفعل ؟ واضطرب عبد الكريم قاسم ، وقال للضابط : اذهب الى عبد السلام عارف فى مبنى الاذاعة وهو يعطيك التعليمات اللازمة !

وضحك فؤاد الركابى وكانه قد تذكر شيئا اخر :

فقلت له : ماذا .. ماذا ايضا ؟

قال : ثم دخل علينا كذلك ضابط اخر اسمه المقدم « الجبانى » قادما الينا يحمل رسالة من الضابط الطيار « عارف عبد الرازق » يقول فيها انه أستولى على قاعدة « الحبانية » وينتظر منا التعليمات لكى يعود بها الى « الحبانية » ! .

فصاح به عبد الكريم قاسم : ليس عندى شيء .. ولا شيء ! اذهب الى عبد السلام عارف فى

مبنى الاذاعة وخذ منه التعليمات..

وكذلك .. بعد ان تمت عملية القاء القبض على « رفيق عارف » واعلن ان « فاضل المهداوى » قد اخذ مكانه مؤقتا .. سألوا قاسم عندما جاءهم الخبر : هل نرسل لهم برقية تعلمهم فيها بموافقتنا على تعيين المهداوى ؟

اجابهم : لا ادرى ، اسألوا عبد السلام عارف ! .

وتوقف فؤاد الركابى قليلا قبل ان يقول :

ــ هذا كله اكبر الدليل على ان دور عبد الكريم قاسم فى الثورة ،لم يكن يزيد عن دور اى فرد منا .. ودور اى فرد منا لم يكن يزيد بالنسبة لدور الرئيس عبد السلام عارف عن .. صقر كبير !

« .. وجلسنا ننتظر ان يحدد عارف ــ معالم هذه الثورة » .

« .. الى ان بلغت الساعة الرابعة بعد الظهر ، وجاء الينا عبد السلام وكان قد أنهى « الموقف» تماما »

« .. وجلسنا حول عارف نستمع الى حديثه واخباره » ..

وبدأ الضباط يدخلون علينا فى المكتب ويشاركوننا الحديث . ثم توجه عدد منهم بطلب الى قاسم ــ وكان قاسم قد اشترك بالكلام ــ طلبوا منه تشكيل مجلس قيادة الثورة ! ولكن قاسم تجاهل الطلب فأعاد الضباط الطلب . فتلعثم قاسم ، وتردد ، وقال انا لا استطيع ان أقرر شيئا الا اذا وافق عبد السلام عارف .. انه هو الذى قاد الثورة .. لذلك نرجو ان تتركوا لنا الموضوع لكى نبحثه مع الاخ عارف

وتطلعنا الى عبد السلام عارف ، واذ بنا امام شاب يثق كل الثقة فى نفسه، يتحدث وكأنه قادم الينا من رحلة بحرية حلوة .. هادىء .. مستريح . على عكس ما كانت عليه حالة عبد الكريم قاسم

وقال عارف بهدوء :

ــ اخوانى . كلمة قصيرة فقط اريد ان اقولها لكم . الان أستطيع ان اخبركم ان الثورة قد انتهت ، وانتصرت ، واصبح على كل فرد منكم بعد الان ان يؤدى مسئولياته كاملة تجاه هذه الثورة ، ولكى تؤدى هذه المسئوليات بنجاح ، على كل فرد منا ان يلتحق بالمهمة الموكولة اليه .. وغدا صباحا سيباشر مجلس الوزراء دراسة جميع القضايا المقدمة من جميع الجهات ، وسنضع مقترحاتكم امام اعيننا ، اما الان فارجو كل منكم ان ينصرف الى مهمته » ..

وخيم على الحضور سكوت تام

وبدأ الضباط يخرجون من المكتب واحدا بعد الاخر ..

قلت لفؤاد الركابى :

ــ وقاسم .. ماذا فعل عبد الكريم قاسم ؟

قال : حاله مثل حالهم . كان يلتزم الصمت . ولا نسمع الا صوته عندما يرتشف .. الشاى !

وهكذا انتهى اليوم الاول للثورة

ترى ، ماهى قصة الايام الباقية؟ هذا ، ما سأفرد له صفحات أخرى ــ بلسان الرئيس عارف ــ فى « هلال » .. قادم جديد ! .

راشد البراوي

ما تحتاج إليه البرازيل

في سموت هذه المنطقة التي يشعر [illegible] ... العالي : « ان الناس متعطشون الى الحرية والعمل الاقتصادي والاستقلال الوطني – وهي اشياء لم يعرفوها او يحصلوا عليها ابدا .. والارد في طريقه الى اليقظة حتما وسوف لا يمضي وقت طويل حتى يشكل هؤلاء الناس مصائرهم ، لا بوصفهم من الاتباع ، ولا تمشيا مع الاهداف العقيمة للحرب الباردة او رغبات واشنطن او موسكو .. وانما وفقا للضرورات المنبثقة من تاريخهم وثقافاتهم وآمالهم .. »

على ضوء المعاني العميقة التي تتضمنها هذه العبارات نستعرض الاحداث الاخيرة التي كانت البرازيل مسرحا لها واسفرت عن [illegible] رئيس جمهورية جولارت Goulart والتجائه الى اوروجواي . ان الانقلاب الذي حدث [illegible] المنزل او [illegible] عنه طريق مباشر او غير مباشر ؛ انما هو في جوهره انعكاس للصراع العميق في المجتمع البرازيلي بين متطلبات الثورة الصناعية والتكنولوجية .. وبين النظام الاجتماعي الذي لم يتطور منذ القضاء على الملكية في عام ١٨٨٩ ، بل ان الكثير من عناصر هذا النظام يرجع الى العصر الاستعماري نفسه

في ختام الفصل الاول من كتاب «امريكا اللاتينية» [illegible] المؤلف [illegible] !



منظر عام لمدينة ريو دي جانيرو

وتعتبر البرازيل اعظم دول امريكا اللاتينية مساحة (٣٫٩ مليون ميل مربع) وسكانا (٧١ مليون نسمة طبقا لتقرير رسمي عن عام ١٩٦٠) ، ومن هذه الناحية تلي الولايات المتحدة في نصف الكرة الغربي ، ولهذا فان اى تحول اجتماعي له شانه لابد وان يؤثر في بقية العالم الامريكي اللاتيني

***

وقد حبت الطبيعة هذا البلد موارد هائلة يمكن ان تكون قوة دافعة على التقدم . وتعتبر البرازيل بوجه عام بلدا زراعيا حيث يعيش على الزراعة حوالي ٦٢ في المائة من السكان ، ولكن الواقع ان نسبة صغيرة من المساحة الصالحة للاستغلال الزراعي هي التي تخضع للمحراث نظرا لصعوبة المواصلات وقلة السكان في المناطق الداخلية بوجه خاص .

***

وتضم البرازيل ثروات معدنية على جانب كبير من الاهمية . فهي المصدر الوحيد بالعالم للبللور الكوارتز الممتاز النوع ، كما انها مصدر هام للماس الصناعي ، وثاني دولة في العالم الغربي لانتاج الكروم « ويقدر احتياطيه باربعة ملايين طن » . وعلى شواطيء ولايات ريو دي جانيرو واسبريتو سانتو وباهيا توجد رمال المونازيت التي تحتوي على معدن الثوريوم الذي يستخدم بديلا من اليورانيوم . والمنجنيز على درجة عالية من الجودة ، ويقدر الاحتياطي منه في اقليم أمابا وحده بنحو ١٠ ملايين طن . اما موارد الفحم والحديد فهائلة

وهناك امكانيات لا حد لها من حيث توليد الطاقة الكهربائية ، وتقدر باكثر من ١٥٫٥ مليون كيلوات وبذلك فهي تشغل من هذه الناحية المركز الرابع في العالم ، ولكن الطاقة المولدة في عام ١٩٦١ لم تزد على ٥٫١ ملايين كيلوات

قوة جديدة تظهر

ويعتبر جوتوبلو د . فارجاس منشيء البرازيل الحديثة ، ومنقذها من براثن الازمة التي اصابتها في الثلاثينات من القرن العشرين . فقد تمكن بمهارته السياسية ان يدعم العلاقات التجارية مع غير عملاء البرازيل التقليديين وهما الولايات المتحدة وبريطانيا ، بحيث انه عندما نشبت الحرب العالمية الثانية لم تعد البرازيل تعتمد اعتمادا كليا على البن واصبحت قادرة على البقاء ، واخذت تسير بسرعة في طريق التصنيع ، بحيث انه في عام ١٩٤٣ اصبح الانتاج الصناعي يزيد ٤٣ مرة عما كان عليه في عام ١٩٠٧ . واستعان الرجل بمئات الالوف من اليابانيين المهاجرين ليحول بلاده الى زراعة القطن « حوالي ٤ ملايين بالة في السنة » واصبحت تصدر المنسوجات القطنية وتستخدم

الصناعة القطنية حوالى ربع القوة العاملة فى القطاع الصناعى ، وحوالى نصف هذه الصناعة فى ولاية ساو باولو وحدها . وانشأ اولئك اليابانيون ايضا صناعة حريرية ضخمة ، وفى خلال خمس سنوات تقدمت صناعة الورق فارتفع الانتاج من بضعة آلاف من الاطنان الى نصف مليون طن فى السنة . واخرجت



الرئيس السابق جولارت

البلاد مختلف انواع المنتجات الجديدة ، مثل عمل الاطارات من الكاوتشوك ، والمنتجات الجلدية ، والعدد والمواد الكيماوية والاسمنت والعقاقير الطبية . وسعى فارجاس الى البحث عن مصادر الثروة المعدنية . وكان الجيولوجيون يؤكدون عدم وجود البترول ، فضرب بآرائهم عرض الحائط واستخدم خبراء من بلاد مختلفة ، وكوفىء على مثابرته حيث اكتشف البترول وقيل آنذاك ان البرازيل تسبح على بحر من البترول « وان كانت البلاد تستورد حتى الان كميات غير قليلة من المشتقات البترولية » . وكانت بالبرازيل عدة مصانع صغيرة للصلب « وهى التى تملك ربع احتياطى العالم من الحديد الممتاز » ، ولكن فارجاس انشأ فى عام ١٩٤١ « شركة الصلب الاهلية » المملوكة للحكومة ، واستطاع ان يحمل بنك الاستيراد والتصدير فى الولايات المتحدة على ان يمنحه المال اللازم ، وكان البنك من قبل يرفض الاقراض للمشروعات الحكومية . وبذلك بدأ انشاء مصنع الصلب الضخم « فولتا ريدواندا » الواقعة فى منتصف الطريق بين ساو باولو وريودى جانيرو . وجفف المستنقعات وانشأ عددا من الطرق الرئيسية وهكذا اصبحت البرازيل لاول مرة فى تاريخها دولة لا تعتمد على تصدير الخامات ، وانما اخذت تسير نحو اقتصاد متنوع العناصر

***

والواقع ان عهد فارجاس حقق تقدما ماديا لا يمكن انكاره ، ولكن لم يحدث تقدم مماثل فى الميدانين الاجتماعى والسياسى ، اذ لم يحدث اى تغيير فى البنيان الاقطاعى القائم ولم يعمل الدكتاتور المستنير شيئا لتحسين حالة الفلاحين والعمال الزراعيين ؛ وكل ما اصابهم هجرة عدة آلاف الى المراكز الصناعية الجديدة ، ثم اخذت هذه المراكز الصناعية والمدن الجديدة تجتذب ابناء الريف حتى ازدحمت بهم ؛

فنشأت مشكلة ضخمة هي البطالة ولكن حدث شيء اخر ذلك ان التقدم الصناعي خلق طبقة جديدة من الراسماليين الذين اشتغلوا بالصناعة واعمال البناء والمقاولات والمضاربة في العقارات ، وهذه الطبقة الجديدة انحازت الى الطبقة الاقطاعية لتماثل المصالح بينهما .

وهذا التحالف هو من بين العناصر القوية التي تحكم البرازيل في الحقيقة وتقف في وجه اية محاولات من أجل الاصلاح الاجتماعي كالحد من تضخم الثراء . ومكافحة الفساد والرشوة . وتعديل نظم الضرائب بحيث يقع العبء على اصحاب الدخول الكبيرة . ومن صفوف رجال هاتين الطبقتين الحكام في الولايات . واعضاء الهيئة التشريعية وكبار رجال الكنيسة والجيش ، بل ان جولارت نفسه ، برغم ما بدا منه اخيرا من ميول ليبرالية . هو من كبار اصحاب الملايين ولعل هذا يفسر تراخيه طيلة معظم المدة التي قضاها في رئاسة الجمهورية في وضع برنامج عملي للاصلاح الاجتماعي

وبالرغم من هذه الاعتبارات فان فارجاس كان عاملا له شأنه في اطلاق قوى جديدة من عقالها . فالدستور الجديد الذي اصدره منح حقوقا جديدة للطبقة العاملة . وقصر يوم العمل على ثماني ساعات وقيد ساعات العمل الليلي . والغى تشغيل الاطفال . ووفر الرعاية الطبية للمرضى من العمال وللامهات في حالة الوضع . واصبح شعار البلاد « البرازيل للبرازيليين » : وكانت الدولة من الناحية النظرية هي المالكة لجميع الثروة والممتلكات الوطنية . وفي أواخر ايامه اخذ يقترب من الرجل العادي اي جماهير الشعب ، فانشأ « حزب العمال » . ورفض ان تعامل البرازيل الا على قدم المساواة مع اية دولة أخرى »، « وبذلك كان ايضا صانع القومية الجديدة الجريئة ، وسياسة الحياد ، والتعاون الدولي الشامل ، مما سار عليه فيما بعد كوادروس وجولارت» على حد قول الكاتب كارلتون بيلز في المؤلف الذي سلفت الاشارة اليه

حكم الجنرالات

لقد سقط المستعمر الاسباني أو البرتغالي منذ عهد طويل ، وحصلت بلاد امريكا اللاتينية على استقلالها، واقامت النظام الجمهوري ، ولكن هذا المستعمر الذي كان يفرض سلطانه على البلاد ، عاد فاحتل مكانه شخص اخر هو الجنرال المغامر . والواقع أن تاريخ دول امريكا اللاتينية انما هو عبارة عن سلسلة من انقلابات يدبرها أولئك المغامرون ، فيتولون الحكم بأنفسهم أو يعهدوا به الى صنائعهم ، ولكن دون أن يستخدموا القوة العسكرية التي ساندتهم ، فيقومون بتحقيق سياسات اقتصادية واجتماعية تهدف الى توفير الكفاية والعدل ،

والبرازيل ليست استثناء من القاعدة . ففارجاس القوى والذى أعيد انتخابه رئيسا للجمهورية فى عام ١٩٥٠ ، أرغمه الجيش على التخلى عن منصبه ، فانتحر فى ٢٤ اغسطس من عام ١٩٥٤ . وخلفه جانيو كودروس ولكن الجيش لم يرض عنه وطرده اذ أجبره على الاستقالة فى ٢٥ اغسطس ١٩٦١ (وكان قد انتخب فى ١٧ اكتوبر ١٩٦٠) . ولولا المظاهرات الشعبية والغضب الذى استشعره عدد من حكام الولايات ، والانشقاق الذى حدث فى آخر لحظة فى صفوف القوات المسلحة ، والاضرابات التى نظمتها نقابات العمال ، لتولى الحكم احد القواد المتمردين والمتآمرين . وخلفه جولارت الذى اطيح بهاخير بعد انقلاب قواد الجيوش عليه . ولكن الامر الذى يلفت النظر والذى ازاح الستار عنه ضابط من الذين اشتركوا فى المؤامرة ، على ماروت الانباء ، ان تدبير التمرد بدأ منذ عامين اى بعد ان تولى جولارت رئاسة الجمهورية بفترة يسيرة ، وكان الباعث على تدبير هذا التمرد — كما ذكر رجاله — أن جولارت كان يريد أن يسير بالبلاد فى اتجاه يسارى . . هذه هى القوة التى عرقلت ولا تزال تعرقل الجهود الاصلاحية الحاسمة التى يراد بذلها فى بلاد المنطقة الامريكية اللاتينية وهى فى كثير من الاحوال على صلات بمصالح أجنبية قوية

فالانقلاب الاخير فى البرازيل هو — كما سبق القول — احدى حلقات الصراع العميق بين مطالب الجماهير التى تعانى من الفقر والجهل والمرض وبين ما اسماه كوادروس « القوى الرجعية » حين أرغم على الاستقالة . هذه القوى هى المصالح الاقطاعية المسيطرة على الزراعة ، الراسمالية الكبيرة التى أوجدتها الثورة الصناعية الحديثة التى بدأت فى عهد فارجاس والمصالح الاجنبية التى تتحكم فى صناعة البرازيل وعلاقتها التجاريه ، والقوة العسكرية التى ترتبط بالاقطاعيين والراسماليين بروابط الدم أو وشائج المصلحة المتبادلة ، وثمة الهرم فى التنظيم الكنسى . ولا ننسى أن الكنيسة بالرغم من فصلها عن الدولة فى عام ١٩٤٨ ، ذات نفوذ روحى قوى من جهة كما أن لها امتيازات وممتلكات كبيرة من جهة اخرى

هل اخفق جولارت ؟

ان الكثير من الدوائر فى داخل البرازيل وخارجها ، توجه اتهامات متعددة الى الرئيس السابق ، فتزعم مثلا أنه كان يعتزم احداث انقلاب يقيم به حكما دكتاتوريا ، ويقول أن اخاه خطب منذ فترة قبل الاحداث التى وقعت ، فدعا الى الغاء الكونجرس ووضع دستور جديد . وثمة دوائر أخرى ترميه باليسارية او الشيوعية وخاصة بعد الاجراء

الذي اتخذ من ناحية الملكية الزراعية وراحت تردد انه كان يعتزم تاميم الارض

***

غير ان عـــددا من المــــراقبين المحايدين لهم وجهة نظر اخرى ، فالمعروف ان جولارت من كبار ملاك الاراضي ومن أصحاب الملايين ، وهو عندهم رجل كان يفتقر الى الحسم والجراة في التفكير والتنفيذ ، ويرجع المركز الذي اكتسبه الى تزعمـــه حزب العمال المعتـــدل . حقيقـــة استعان في حكومته بعدد من ذوى الميول اليسارية ، ولكن ليس في هذا الدليل على يسارية متطــرفة ، ويقول هؤلاء المراقبون ان كلا من الطرفين كان ينظر الى الاخر بعين الشك والحذر ، ويريد ان يستخدمه في تقوية مركزه وتحقيق مآربه . ويضيف هؤلاء ان جولارت . . بالرغم من انقضاء فترة كافية على توليه رئاسة الدولة ــ لم يعلن لنفســه برنامجا اجتماعيا واقتصاديا واضحا ، ولم يتخذ اية خطوات نحو السير في طريق الاصلاح الاجتماعي ، ومن هنا يقول المراقبون انه عندما اتخذ الاجراءات التي عجلت بنهايته أراد من وراء تلك الحركة اكتســـاب عطف شعبي عندما احس ان ثمــة شيء يدبر ضده . وسواء صـــح هذا التفسيـــر او لم يصح ، اذ المعروف انه نال تأييدا كـــبيرا في الاستفتاء الشعبي الاخير ، فالواقع ان الخطأ الذي وقع فيـــه انه لم يحاول تنظيم قوى شـــعبية قادرة على الوقوف الى جانبه ، كما أنه عجز عن كسب تأييد الجيش الى وجهة نظره ، بل ان بعض تصرفاته اثارت شكوك القواد وجعلتهم يظنون انه يعتزم تفويض سلطتهم عـــلى القوات التي تحت امرتهم . كذلك فان من العوامل التي أضعفت من مركزه عجزه عن وضع حد للتضخم الشديد الذي اخذ بخناق البـــلاد وكان يزداد حدة سريعا وباطراد

لمن الحكم ؟

وبعـــد خروج جولارت انتخب رئيس مجلس النواب رانيـــيرى مازيللي ، رئيسا مؤقتا للجمهورية الى ان ينتخب الكونجرس رئيـــسا ليشغل المنصب الى ان تجـــرى انتخابات الرئاسة العادية في العام القادم ولم تمض ايام حتى ارتفعت اصوات تدعو الى الاسراع باجـــراء الانتخابات ، وتم ذلك بالفعل ووقع الاختيار على الجنرال كاستلو برانكو وهكذا تولى الحكم أحد الجنرالات ، فهـــى الابتدا الدسائس والمناورات .

***

ان ما تحتاج البرازيل اليه رجل تقدمي يتسم بالقدرة مع الجسم والايمان ووضـــوح الرؤ ، حتى يستطيـــع ان يوفق بين الثورة الصـــناعية والتكنولوجية وبين المصـــالح الاساسية للشعب البرازيلي

استراحة ٥ دقائق

● يجب تقييد الحرية ... حتى يستطيع كل انسان أن يتملك نصيبا منها !
بيرك

● وقت الفراغ هو الوقت الذى يستطيع الرجل العاقل أن يصنع فيه شيئا نافعا . لهذا يسعد به الرجل الدءوب ، أما الكسول فلا يعرف له طعما
بنيامين فرانكلين

● دع الجهالة تتكلم كما يحلو لها .. فستظل المعرفة دائما محتفظة بقيمتها الى النهاية
دى فونتين

● من طلب المعرفة ، فلابد أن يعمل للوصول اليها
دكتور جونسون

● المرأة العادية تتفوق على معظم الرجال الافذاذ فى شىء واحد .. هو الحب !
لابرير

تشرفنا !

ذهبت الام الى باريس لزيارة ابنها الطالب بجامعتها والاطمئنان عليه لحاجة ، وطرقت باب مسكنه ففتحت لها صديقته الحسناء وقالت لها :
ــ هل تريدين ياسيدتى مقابلة هنرى ؟ انه ليس هنا الان ، فهل من رسالة أبلغها اليه . أنا اخته ...
ــ اهلا وسهلا ! تشرفنا ! تعالى اقبلك يا ابنتى العزيزة ، فأنا أمه !

أحسن طريقة

قالت الام للمحلل النفسى الذى يعالج ابنها :
ــ نحن نربى ابننا أحسن تربية ونعامله بالنصائح ، وكل ماهنالك أنه يرتكب أخطاء ونعاقبه عليها فورا حتى يعرفها ولا يكررها . ولكنه كان يتألم من معاقبته أمام الضيوف ، فصرنا نقول له كلما أخطأ امامهم : « سننظر فى هذا الموضوع فيما بعد . » حتى اذا خرج الضيوف عاقبناه بشدة . ولكن القلق كان يزعجنا طول السهرة انتظارا لانصراف الضيوف كى توقع عليه الجـــزاء الرادع . واخيرا وجدنا ان أحسن طريقة هى تأديبـــه مقدما ، قبل أن يخطىء !

كتاب الهلال : يقدم

كازانوفا

بقلم

ستيفان زفايج

الأديب النمسوي الكبير

يصدر ٥ مايو ١٩٦٤

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

حينما تهرم حواء

للشاعر علي الجندي

كلُّ أنثى إذا تناهتْ بها السِّنُّ ترى أنها تناهتْ جمالا

وترى أنها الكَعابُ شبابا وترى أنها القَناةُ اعتدالا

وترى أنها بلطف ابتسامٍ وكلامٍ تُجَدِّل الأبطالا

وتراها تَغار من بنتها الصغرى فتَلْقَى من كيدها الأهوالا

قل لها : يا صغيرةَ السن يا حسناء !! تُلْفِ العِطْفَيْن ماجا دَلالا

وتراها تَضاحكتْ مِلءَ شِدْقَيْها وصاحت : يا ما أحَيْلى الوِصالا

مَنْ لحوّاءَ بالتواضع حتّى لا تراها تَمْشي عليها(1) اختيالا

عوَّدَتْنا « حوّاءُ » عادةَ سَوْءٍ أنها تبتغي الذي لَنْ يُنالا

ليتَ حوّاءَ تبلغ الرُّشْدَ والعَشْرُ خَريفٌ فلا تُريغ المحالا

قبلَها أمُّها تناولتِ « التُفّاحَ » ظنًّا بأن تنالَ الكمالا

فهوى « آدمٌ » بها وعصى اللهَ وقد كان للصَّلاح مِثالا

واستعاضا من الفراديس تلك الأرضَ ، فاستقبلا الأذى أشكالا

ليتَ حوّاءَ لم تلِدْنا فكُنّا لا نعاني الأوجاعَ والأوجالا

(1) عليها : الضمير للأرض المفهومة من السياق

نظمي لوقا

مع العباقرة

إبن رشد
سقراط قرطبة

٤٥٢ ذكر فضل العرب على الحضارة الاوربية ، كان فضل هذا الرجل ابرز الافضال في هذا المجال ، فكان ولم يزل ابعد العرب اثرا في الفكر الغربي .. فهو اكبر شراح ارسطو ، والطبيب الشاعر الفيلسوف محب الحكمة ورائدها وفارسها المعلم « ابن رشد » ، الذى استحق — عن جدارة — ان يقرن اسمه باسم ابي الفلسفة العقلية « سقراط » اول شهيد لحرية الراى ، وبطل شجاعة الاعتقاد في جميع الازمان ، لما بين الرجلين من تشابه في تأصيل التفكير والمنافحة عن العقل والتعرض للمحنة في هذا السبيل

اما سقراط الافريق ، ففي اثينا في القرن الخامس قبل الميلاد كان منبته ومسرح تعليمه ... ثم ماساة محنته واستشهاده الرائع في سبيل حرية الفكر

واما سقراط العرب ، ففي قرطبة الاندلسية في القرن السادس للهجرة كان مولده ومسرح تعليمه ، ثم ماساة محنته التي توشك ان تكون استشهادا في سبيل سيادة سلطان العقل وحرية الضمير وامانته ...

واذا شئنا تفسيرا للاختلاف في حياة الرجلين ، وفي اسلوبيهما في التعليم والدعوة ، وجب علينا ان نرجع الى اختلاف ظروف الحياة

فى الامتين : امة الاغريق قبل الميلاد بخمسة قرون ـ وفى اثينا على الخصوص ـ وامة العرب فى القرن السادس الهجرى وفى الاندلس بالذات ..

***

فى اثينا كانت الحكومة مدنية « علمانية » ، والدين لا اثر له فى الناس الا طقوس كهان واساطير اوثان . فلا سلطان لرجاله على الحكومة ونظامها ؛ والحكومة ديموقراطية فى صورتها المطلقة التى تكل اختيار الناس للمناصب كبيرها وصغيرها الى القرعة التى تجرى بواسطة « حبات الفول » حتى سميت الدولة باسم دولة « حبات الفول » ..

وفى مثل ذلك الجو ، يطلق العنان لكل ذى وجدان وعقل ولسان ، يقول مايشتهى ، ويدعو الناس الى مايشاء ، فلا وازع من دين ؛ ولا رادع من كهانة ؛ ولارقيب من السلطان ؛الاماجنحت اليه الغوغاء ومن يملكون مقادهم فى ظل دولة « حبات الفول » . سواء بالرشوة او الملق او اثارة الخواطر واستغلال الجهل الفاشم بين صفوفهم . ولذا ظهر صاحب الفلسفة هناك سافر الوجه يخاطب الناس بما يشاء ، صادرا فى ذلك عن رأيه الصريح .. فكان اسلوب الفلسفة هو الجدل الواضح والتصدى للموضوعات والمسائل تصديا مباشرا ...

اما فى الاندلس ، فالدولة خلافة دينية فى اساسها وفى مظاهرها جميعا ، والعرب هناك فى منزل حرب وديار غزو ، والعدو المحارب باسم الدين قبل اسم القومية والوطنية قائم متربص لا يكف عن المناوشة والتأليب ...

وفى مثل هذه الظروف ، لايكون ثمة مجال امام الفيلسوف معلم الحكمة العقلية الداعى الى مسالكها سوى التنكر واخفاء وجهه بقناع كان اهل العصر يسمونه « التقية» اى اتقاء غوائل السلطان بالتخفى فى القول والكتابة وما الى ذلك من وسائل الرمز والتستر ، بحيث يصل اهل الرأى الى المقصود من بين السطور لا من صريح اللفظ فى السطور ذاتها ..

ولمثل هذا كتب الكاتبون بلغة « كليلة ودمنة » فى الادب ، ولمثل هذا يعمد اصحاب الفلسفة الى انتهاج اسلوب « الشراح » « والمعلقين » ؛ فيعرضون آراء السابقين من اهل الحكمة ويفسرونها وفى غضون التعليق عليها يلقون المبادىء والبذور التى يحرصون على استنباتها فى العقول والسرائر والسرائر ، حتى اذا حاسبهم من يملك سلطة الحساب ، قالوا : « انما نحن مفسرون ومترجمون ، وناقل الكفر ليس بكافر » !

ومن هذا القبيل ، كان ابن رشد الشارح العظيم لفلسفة ارسطو .. اختار ذلك السبيل لنفسه ، وهو فى الحقيقة يوشك ان يكون مكرها على سلوكه بحكم العصر

والبيئة وظروف الحكم فى الداخل والخارج على السواء ..

فاذا اضفنا الى هذا الفرق بين الامتين فرقا جسيما بين الرجلين زادت المباينة وضوحا ؛ ولم تبق ثمة حاجة الى مزيد من التفسير والتبرير ..

***

كان سقراط أثينيا صانع تماثيل وابن قابلة ، ورجلا من سواد الناس ذوى المهن .. اما سقراط قرطبة العربى « ابن رشد » فكان قاضيا من رجال الدين وصاحب افتاء فيه ؛ وسليل اسرة من رجال الدين واعلام الشريعة والقضاء والفقه ، فهو ابعد مايكون عن التحرر من الالتزام فى أقواله وافعاله - بحكم الوراثة وحكم العمل ، فضلا عن حكم البيئة والنظام السياسى والاجتماعى

وعلى حسب الظروف تختلف الوسائل والاساليب للغرض الواحد وشبيه ذلك جدا بنظرية الاوانى المستطرقة المعروفة لتلاميذ المدارس ؛ ومؤداها ان السوائل تتخذ شكل الاناء الذى توضع فيه ، واذا تعددت اشكال الآنية واتصل بعضها ببعض اتخذ السائل المصبوب فيها مستوى واحدا وان اختلفت تشكلاته بحسب شكل كل فرع من فروع الآنية

كذلك الحال فى التعليم العقلى ، فانه يتخذ فى كل امة شكلا تفرضه طريقة الحكم واحوال المجتمع ، ولاسيما من حيث الاباحة او التضييق او الحظر

فمن الغبن الفادح اذن لابن رشد ؛ ان يقال عنه انه مقلد او تابع لانتهاجه خطة شرح ارسطو ، حتى انهم حين يقولون « المعلم » فهم يعنون ارسطو ، وحين يقولون « الشارح » فهم يعنون « ابن رشد » !

ان الشارح هنا يجب الا يؤخذ على معنى « التابع » وهو معنى يضاد ويقابل معنى « الاصالة » والابتكار .. والفيصل الصحيح فى هذا الامر ان ابن رشد لو عاش فى أثينا قبل الميلاد بخمسة قرون لنعم بما فيها من حرية التعبير ، ولكان صاحب مهنة لا تطالبه بالالتزام الامين لمعبد او ديوان ، ولكان حريا أن ينطلق برايه سافر الوجه مثلما انطلق سقراط أثينا

ولو انعكست الاية ، وعاش سقراط فى قرطبة فى القرن السادس للهجرة وانحدر من سلالة قضاة ورجال شريعة ، لما جنح الى الراى السافر ولاحتال لقاصده ؛ ولم يجد بدا من الافصاح عنها فى صورة مستترة تنفذ اليها بصائر أهلها المبرزين لادراكها خلسة .. ولايكون ذلك فى الادب الا رمزا فى القالب ، ولا يكون فى الحكمة العقلية الاشرحا وتعليقا

فلا ينبغى ان نغفل عن هذا الوزن الصحيح لمنهج الشرح ، او نتورط فى التقليل من اصالة ابن رشد ومركزه الرائد فى التعليم العقلى والتمكين لسلطان العقل

وتوطيد حكمته في امته على ضوء ظروف عصره وظـــروف مولده ونشأته

والدليل الحاسم على اصـــالة ذلك الذى زعم نفسه مجرد شارح لاقوال غيره ، انه لم يترك فرصة اثناء الشرح الا نفذ منهـــا الى اغراضه . ولم يجده هذا الستر الشديد ؛ فكانت دعوته العقلية تتالق في نظر مريديه ، وتتوهج وتوشك ان تندلع نارا في انظـــار خصومه وخصوم مذهبه في الراى؛ فاحصوا ماف هذا « الشـــارح » المزعوم من خطورة اصيلة ،ونكبوه نكبة بجب ــ على ضوء التســـتر الذي التزمه وتحراه ــ ان تقاس بنكبة ــ سقراط الاثيني قبل ذلك بنيف وسبعة عشر قرنا

وحسبه من المخاطرة في الدعوة الى الحرية العقلية والى المساواة بين البشر ، والى ماتسميه في هذا العصر « التقدمية » ، ان يحرص على ايراد الراى الذى يزعج خصوم التحرر ، ويتلمس في شروحـــه وفقهه الاراء التى تخدم قضـــية الحرية ، مستغلا قدســـية ذوى الاسماء الكبيرة من السلف الصالح؛ فلا يفوته مثلا ان يذكر رأيا مهجورا للطبرى بانه يجوز ان تكون المراة حاكما على الاطلاق في كل شيء . ومعنى هذا ان تتولى المراة القضاء والافتاء والوزارة والسلطة وسائر المناصب التى حددها الشرع !..

وهو يسوق هذا الراى من غير ان يؤيده بشيء من عنده ، مكتفيا بايراده على عهدة قائلة .. وحسبه ذلك فضلا وهو يتوارى تحـــت قناع الشارح ، ويقنع بالتخيـــير وسيلة في بعض الاحيان للاعـــراب عن مراده واتجاهه .. نقـــول حسبه ذلك فضلا ، لان اختيـــار المرء رائد عقله

ان هذا القاضي الوقور المتزمت الذى يتجنب بحكم مولده ونشأته في بيت علم وفقه اسباب اســـقاط الهيبة ، لابد له من التعرض لامور خاصة بالاسلام وليس لارسطو فيها راى ، فلا يسعه ان يعـــزو الراى فيها الى ارسطو ، ولامناص له في هذه الحالة من التصريح براى فيها على عهدته شخصيا . وهنـــا يسفر بلا ريب عن التزامه المنهج العقلى المحض التزاما امينا

ويظهر ذلك باجلى وضوح عندما يتعرض ابن رشد للتصـــوف . وكان سلطان الامام ابى حامد الغـــزالى في الاوج . والغزالي هو قطـــب التصوف الذى حارب الفلســـفة العقلية بكل جبروت . ولا سيما في كتابه « تهافت الفلسفة » .مما جعل الناس ينظرون الى الفلسفة والحكمة العقليـــة نظـــرة توجس وارتياب . حتى صار الشـــعار السائد هو « اللهم ايمانا كايمـــان العجائز » !

وفي هذا الجو يكون الانحيـــاز لجانب الفلسفة ــ ولو تحت ستار الشرح ــ مخاطرة عظمى ،ولاسيما من فقيه وقاضي ورجل من رجـــال الدولة والشريعة . ولكن ابن رشد

لايقف من التصوف موقفا سلبيا . بل يؤلف فى الرد على الامام الغزالى كتابه الشهير « تهافت التهافت » . فيزيد بذلك من تعريض نفسه لارتياب أهل التزمت ، ثم يهاجم التصوف بالادلة العقلية والشرعية معا ، فى كتابه « الكشف عن مناهج الادلة » ، ليبين للناس أن الدين والفلسفة لا يتعارضان لدى الانسان المستنير المؤمن

***

ولمثل هذه الاراء التي تنادى بسلطان العقل ، وان الشرع يوصى الناس بالاعتماد على العقل واتخاذ منهجه فى تفكيرهم وسلوكهم ، ثار عليه أهل الجمود ، والبوا العامة ضده . وكان الرجل ـ بشهادة الجميع ـ شديد الحرص على دينه يؤدى الصلوات فى مواقيتها ، ويتشدد فى اركان دينه كافة . ولم يشهد عليه مثل الذى شاع بين أهل زمانه من المجون أو الشراب أو الغزل أو تعاطى صناعة الغناء والموسيقى

ووصل الامر فى هذه المحنة الى حد رجم الغوغاء اياه بالحجارة ـ هو وابنه ـ عندما دخلا مسجدا بقرطبة لصلاة العصر ، وهو القاضى سليل القضاة ، والفقيه سليل الفقهاء !

انزل به هذا الاذى من اراد أن يحررهم من الكسل العقلى الموبق ، والجمود . ولكن رسالته تجاوزت عصره لتعيش فى عقول اجيال كثيرة من امم الغرب وامم الشرق على السواء

مقتطفات

بيضة اوجينى

لعل اغلى هدية من البيض هى التى قدمها نابليون الثالث للامبراطورة اوجينى ، وكانت عبارة عن بيضة من الذهب تحمل اسم « اوجينى » مرصعا بالاحجار الكريمة ، وفى داخلها عقد فاخر من اللؤلؤ قدر ثمنه بنحو الفى جنيه

مقالب البيض

تلقى احد قياصرة الروس بيضة من الذهب اتضح انها محشوة بالتفجيرات . فقد كانت عبارة عن قنبلة زمنية كان المقدر ان تنفجر فى جيبه ليلة العيد ارسلها احد اعداله السياسيين . والذى جعل القيصر يشك فى البيضة هو ثقل وزنها فسلمها الى الاخصائيين ، وهكذا انقذ نفسه فى الوقت المناسب

تقاليد

فى ترانسلفانيا ينتظر الشبان الفتيات خارج البيوت عند قدوم الربيع وفى يد كل منهم دلو مل‌ء ماء ، فاذا اقبلت احداهن [illegible] [illegible] على راسها ولا يكف عن هذا حتى تفدى نفسها بكمية من البيض الملون الذى حملته عند خروجها

فى بعض دول اوربا الشرقية يخفى الكبار البيض الملون فى ارض الحديقة ، فاذا رجع الاولاد من صلاة العيد فى الكنيسة امضوا ساعات حافلة فى البحث عن هذا البيض المدفون

وفى هولندا يعتبر عيد الفصح من الافراح الشعبية فكان اهل كل قرية يجتمعون فى ساحة الكنيسة ، وقد حمل كل منهم اكبر عدد يستطيع ان يجمعه من البيض ، فيضعون احمالهم على الارض ، ويدورون حولها راقصين .. فاذا حمى وطيس الرقص انبرى من بين الراقصين شاب يتقدم الى العذراء التى تروق له فيدعوها الى مراقصته وسط اكوام البيض ، حتى اذا اتما رقصهما دون ان يحطما بيضة واحدة كانت الفتاة من نصيب الشاب فيعقد زواجه بها

في الطريق إلى... شارع النجاح

الحظ سابقا

البلطية .. ابنة رامي

انها تسلق سلم النجاح بسرعة عجيبة! .. نفس السرعة التي تتسلق بها أصابعها السلم الموسيقي وهي تعزف على البيانو!

انها تقع أحيانا أثناء تسلقها .. ولكنها لا تأسى سوء حظها وتضيع الوقت في الحسرة والحزن .. وانما تصنع من هذا الفشل وسيلة تدفعها من جديد الى تسلق سلم النجاح!

ان آخر درجات السلم التي وصلت اليها **نفريد الشبيشي** عندما قامت بدور البطولة في أوبريت «مهر العروسة» .. كانت تلعب دور «نرجس» فتاة بورسعيد التي يحبها الفتى الصياد «معروف» ويجمع لها المهر .. وكانت نرجس في نظره هي أجمل بنت يستطيع أن يصطادها .. وكانت تحركات نفريد على المسرح وصوتها أثناء الحوار يذكر المتفرج دائما بأنها .. البلطية الحسناء!

***

ان البلطية الحسناء بدأت حكايتها مع الفن وهي طفلة .. عندما كانت تلميذة صغيرة تشترك في حفلات مدرستها «البوسباستير» وتردد الأغاني الدينية مع بقية التلميذات بطريقة الكورال الديني؟

وتعلق بالغناء .. عندما تقول لها.... مدرستها أن صوتها فيه حلاوة ..و..و.. وخبرة!.. وتبدأ تغني في منزلها .. لنفسها فقط .. وبصوت مرتفع!

ثم تجد أول من يستمع اليها .. انها عمتها .. كانت تطلب منها أن تغني لها .. وتشجعها .. وتنصحها أن تحفظ اغنيات أم كلثوم .. وتقلدها امامها .. اما أبوها.. فكان يمنعها من الغناء .. كان يقول لها: انا أحب الفن .. ولكني لا أريد لابنتي ان تصبح مغنية .. فان الوسط الفني في بلادنا لا يشجعني على ذلك!

لكن الفنانة الصغيرة تصر على ان تمارس هوايتها الفنية .. وتغني في حفلات زفاف وأعياد ميلاد أقاربها وصديقاتها .. دون أن يعلم والدها!

***

وتبدأ البلطية الحسناء .. تضع قدمها على أولى درجات السلم عندما تشترك في حفل تقيمه شركة شل بعيدها الخامس .. وتغني «عودت عيني» لأم كلثوم .. ويتصادف أن يكون الشاعر الكبير أحمد رامي من بين المدعوين .. وعندما تنتهي الأغنية يقوم رامي ليقبل الفنانة الصغيرة ويتنبأ لها بمستقبل في عالم الطرب .. ويعدها ان يمهد لها الطريق الى الاذاعة .. ويتبناها فنيا .. ويطلق عليها «نفريد

راس » وكانت وقتئذ صبية في الخامسة عشرة !

ويقدمها راس الى المرحوم محمد حسن الشجاعى .. ويمتحنها الشجاعى بنفسه .. لتغنى له أغنية شامية .. ويسألها الشجاعى : أسورية أنت أم من لبنان ؟ وتجيب : من مصر ! .. ويدهش الفنان العملاق ويقول لها ان في صوتك انطلاقة صوت مطربى جبل لبنان . ان لديك خامة ممتازة !

ويزغرد قلب الصبية الفنانة . فهذه الشهادة يقولها لها « رضوان » الاذاعة الذى يقف على بابها .. وتتصور أنها أصبحت مطربة تقدم صوتها لميكروفون الاذاعة فيسمعها الناس في كل مكان !

لكنها تفاجأ بالشجاعى يقول لها .. ان الفن موهبة .. ولابد من صقلها بالدراسة ثم ينصحها بالالتحاق بمعهد الموسيقى لتدرس الصوت والآلات !

وعلى الفور .. تتقدم فريد الى معهد الموسيقى العربية وهى في السادسة عشرة وتدرس الغناء وتتدرب على الموشحات والادوار القديمة وعلى العزف .. ويدرس لها أساتذة الغناء الشرقى ابراهيم شفيق ورفعت جرانة وجيمة محمد على .. وتملأ فراغ يومها .. النهار في الدراسة والمساء في التمرين اليومى المنتظم

وفى عام ١٩٦٠ تغنى فريد في حفل عيد استقلال لبنان بقاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة مع صباح وفايزة .. ويسجل لها المرحوم المأمون أبو شوشة اغنية أم كلثوم أروح لمين التى غنتها في ٣٥ دقيقة ... وكانت هذه هى أول أغنية تذاع بصوتها في الاذاعة !

***

وتتقدم فريد الى التليفزيون عند



فريد البنبيلى.. تبناها راس وبدأت تخطو الى شارع النجاح

افتتاحه .. ويمتحنهـــا الفنـان رياض السنباطي والمخرج محمـــد سالم وبعض المسئولين في التليفزيون

وتنجح .. ويختارها محمد سالم لتقدم عدة أغنيات في برنامجه القديم « البيانو الأبيض » لحنها لها عبد الحميد توفيق زكي

ثم تقدم عدة أغنيات أخرى في برنامــج الهواة بالتليفزيون من كلمـــات والدها محمد البشبيشي الذي أصبـح يشجعها الآن

وعندما تشكل لجنة لاختيار الاصـــوات الجديدة في التليفزيون من رفعت جــرانة وعباس أحمد وعبد الحميد عبد الرحمــن وعبد الحليم نويرة .. تتقدم مع ٨٦ صوتا يتقدمون للامتحان .. فتقدم للجنــة عدة موشحات وأغنية خاصة بها !

وفي هذه المرة لا يخدع قلبهـا عنـــدما يزغرد عندما نالت أعلى الدرجات على جميع المتقدمين للامتحان !

***

وتسجل الفنانة الشابة عـــددا من الأغنيات والأوبريتات الصـــغيرة في التليفزيون من ألحان سليمان فتح الله وكامل أحمد على .. ثم يرشحها شفيق أبو عوف لتغني في مسرح البـــالون .. فتشترك في تابلوهات « فرح حمودو » و « زورونى كل سنة مرة » و « اسكندرية مريه » وتذاع هذه التابلوهات ضـــمن برامج مهرجان التليفزيون في الاسكندرية في سبتمبر من العام الماضي ! . ثم تســـجل عددا من الأغنيات الخاصة بها في ينـــاير الماضي للبرنامج العام وبرنامج مع الشعب بالاذاعة الى جانب اوبريت فوانيس رمضان الذي لحنه لها عبد المنعم البارودي وأذيع في رمضان الماضي بصوت العرب وأوبريت آخر من رمضان أذيع بمجلة التليفـــزيون ولحنه شفيق أبو عوف ولحن لعـز الدين حسنى أذيع بمجلة الأغاني التي يخرجها روبير صايغ

***

ولا تكتفي الفنانة الشابة بدرجات السلم التي صعدتها بسرعة .. فهي تضع قدمها الصغيرة على سلمة أخرى عندما تتقـدم الى المسرح الغنائي وتقف أمام لجنــة من عبد الحليم نويرة وبليغ حمدى ورتيبــة الحفني .. ليمتحنوها في « السولفيج » وأغنية « سواو » .. يختارونها بعـــدها مباشرة لتلعب دور البطلة « نرجس » في مهر العروسة !

***

وتؤدي تغريد هذا الدور بتفـــوق كبير وتلفت أنظار الجماهير اليها .. وتجتـــذب التصفيق من أكفهم عندما تغني أغنيتهـــا « يوري يباش » .. وتقبلها رتيبة الحفني ويهنئها بليغ وتسقط دموع الفـــرح على خديها في أول يناير الماضي ..

أن تغريد البشبيشي .. أو تغـــريد رامي كما أطلق عليها شاعر الشباب ... عمرها الآن ٢١ عاما .. أن وقع أقدامها بدأ يسمعه الذين يسيرون في الشارع الكبير ..

ليه كل ما أشكي اليـــك
تبعــد عنيـــك عن عنيـــه
لو كنت باصعب عليـــك
رأفيني واعطـــف عـــلى
خليني اشوف طيف احلامي
مابين جفـــونك
خليني انـــور احـــلامي
من نـــور جبينـــك
وان كنت غضبان من قلبي
ايـــــه ذنب عيـــني
دي عيني هي رســـولي
بينـــك وبيني
وحيـــاة جميلهـــا عليك
رأفيني واعطـــف عـــلى

من عامل طباعة .. الى كاتب قصة !

أول كتاب يصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والاداب بقلم عامل طباعة .. اسمه « سحاب وطين » !

***

الكتاب مجموعة قصص من حياة الناس .. والكاتب عمل أكثر من عشر سنوات في جمع الحروف ورصها وحفرها .. لكنه لم يحول نفسه الى آلة .. فقد كان يدرس المقال الذي يجمع حروفه أثنـاء قراءته له .. ويحلل شخصية كاتبه .. ويفهـــم اتجاهه .. ويستخلص أهدافه .. حتى استطاع أن يخلق من هذه الحـــروف المصنوعة من الرصاص .. ودرسته الأولى

.. التي نقلته بدورها من عامل طباعة الى كاتب قصة !

ان حياة **ابراهيم البوهي** هي نفسها قصة .. انه يكتب قصصه من حياة الناس . لكنه لا يستطيع ان يكتب قصة حياته .. انه لا يستطيع أن يعتصر الالم الذي عاشه ليقدمه للقارىء عصيرا طازجا .. وهو نفس الالم الذي صنع من ابراهيم البوهي كاتب قصة . . !

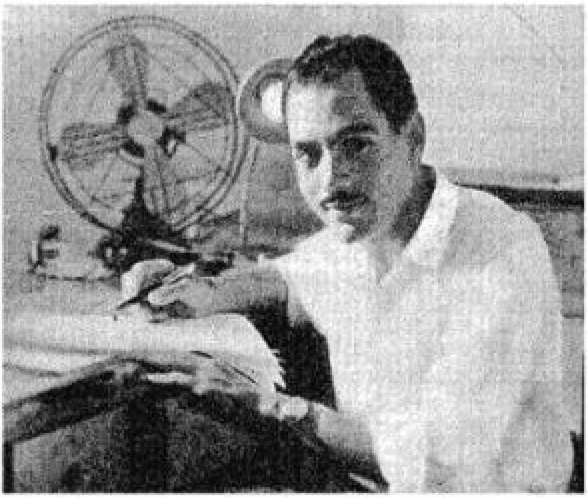
انه لا يذكر تماما المشاهد الاولى من قصة الالم ! ..

فهو يراها صورا مهزوزة في ضباب بعيد .. صورة أبيه وهو يخسر أمواله في البورصة ويهاجر الى السودان ويتركه وحيدا مع أمه ! .. وصورة امه وهي تبحث عن عمل للولد الصغير يساعدها في أكل العيش ! .. وصورة المطبعة التي عرفت ساقاه الصغيرتان طريقهما اليها ، والتي كان يتقاضى منها عشرة قروش في نهاية كل شهر .. فيعطي جزءا منها لامه ، والباقي يستاجر كتبا . يقرؤها ويردها الى اصحابها ..

***

ويعيش الولد الصغير أحلامه الوردية في ليالي صباه مع سيف بن ذي يزن وعنترة وأبو زيد وألف ليلة وليلة .. وعشرات من الكتب الصفراء التي كان يجدها مجلدة في مكتبة المطبعة التي يعمل بها .. ثم يعيش ليالي أخرى مع أزجال بيرم وأبو بثينة وابن الليل .. ومع شعر شوقي وحافظ ورامي .. ولا يعبأ بضحكات زملائه العمال الذين كانوا يسخرون منه ويطلقون عليه « حضرة الشاعر » !

ويلتقي ابراهيم بأديب معروف في بلده المنصورة هو السيد الفازي .. ويكتشف الفازي موهبة الفتى الصغير .. ويساعده



ابراهيم البوهي عامل الطباعة .. الذي تحول الى كاتب قصة

فى اختيار الكتب التى تنمى موهبته .. ثم يشجعه على الكتابة .. ولاول مرة يجلس الاديب الصغير ليمسك بالقلم ويكتب خواطره !

ويخجل فى بادىء الامر أن يطلع أحدا على الصفحات التى تعود أن يكتبها كل يوم .. لكنه يفاجأ باعجاب السيد العازى بها عندما يطلع عليها .. ويبدأ التلميذ فى تسجيل خواطره بالقلم .. ويبدأ الاستاذ فى توجيه تلميذه ونشر كتاباته فى الجريدة الاقليمية التى يصدرها فى المنصورة باسم جريدة « النهار » !

وفى عام ١٩٥٦ يتعرف ابراهيم على صديق من المنصورة يكتب القصة القصيرة فيلتقيان كل يوم ويسهران فى القـــراءة والكتابة وعرض أعمالهما الفنية على بعضهما وتبادل الخبرات .. ثم يكونان جمعية ادبية مع بعض الاصدقاء فى المنصورة .. ويشترك الجميع فى الندوات الادبية وتبـــادل الكتب ..

***

ويفاجأ ابراهيم البوهى بنفسه يكتب القصة القصيرة .. ويحمسه صـــديقه على ارسال قصصه الى صحف القاهرة .. ولا يقتل حماس الاديب الصغير أن تلقى كل كتاباته فى سلة المهملات فى مكاتب رؤساء التحرير ! .. بل يظل يرسل الجديد فيما يكتب .. حتى يفاجأ بمجلة قاهرية اسمها « كل القصص » تنشر له قصته الاولى .. وبعدها تتابع مجلات « الفن » و « التحـــــرير » و « الصباح » و « قصص للجميـــع » و « صباح الخير » و « المســاء » و « روزاليوسف » و « الحياة » و « الهدف » و « الشعب » تنشر انتاج القصاص الجديد !

وفى عام ١٩٥٩ يعود الوالد من السودان ويرجع معه الاستقرار الى العائلة .. ويترك الفتى مهنة الطباعة ليعمـــل فى مخابز الانطان بالمنصورة ..

***

وفى مارس عام ١٩٦١ تنشر مجـــلة « صباح الخير » تحقيقا صحفيا عن المواهب الفنية المدفونة فى الاقاليم .. وتتحدث عن العامل الاديب الذى يعيش بمحافظة الدقهلية .. وعندما تصدر مجلة « المنصورة »

يتقدم ابراهيم البوهى اليها بانتاجه الادبى .. ويعينه رئيس التحرير محررا بالمجلة على الفور .. ويواصل الى جانب التحقيقات الصحفية التى يقدمها على صفحات المجلة الاقليمية نشر مجموعات قصصية اولا بأول

***

إن ابراهيم البوهى .. العامل الذى أصبح كاتبا للقصة القصيرة صـــدر له كتابان .. الاول مجموعة قصصية نشرها له المجلس الاعلى للفنون فى مشروع نشر الكتاب الاول للمؤلفين الناشئين وقدمها يحيى حقى للقراء .. والثانى مجموعة قصصية اخرى اصدرتها الدار القوميــة للطباعة والنشر .. وبذلك يكون عامل الطبـــاعة الاديب قد اخترق أول زقاق فى طريقه الى شارع النجاح !

مس ايجيبت .. بنت ١٩ !

ليلة صيف منذ سنوات طويلة .. انها لاتزال تذكرها وكأنها حلم تكاد تلمس معالمه ..

كانت طفلة .. عندما عادت من السينما مع شقيقتها .. وشاهدت الفيلم معلقة فى مخيلتهما .. انها المرة الاولى التى تذهبان فيها الى السينما .. ويبدأن تمثيل ليلى مراد وأنور وجدى .. « أبوك » « حبيب الروح » .. فتغلقان عليهما باب الحجرة لتقلد احداهما ليلى مراد .. وتقوم الاخرى بدور أنور وجدى !

لكنها كثيرا ماكانت تتخاصم مع شقيقتها .. لتمثل أمام المرآة .. الدور بمفردها ..!

[illegible] تحية كاريوكا .. اسمها « ابنة الست » .. ويعجبها رقص تحية .. وتقلدها فى البيت .. خاصة انها ليست فى حاجة لشخص آخر يبادلها الرقص ... فهى تستطيع أن ترقص وحدها دون أن تتخاصم أختها !

وفى مدرسة العباسية الابتـــدائية .. تنضم زينب توفيق الى جمعية « الزهرات » للتمثيل والغناء .. وتشترك الطفـــلة الصغيرة فى حفلات السمر التى تقيمهــا المدرسة بالرقص وغناء بعض أغنيات ام كلثوم التى تعشقها .. وتحتفل مدرسة [illegible] فى أحد هذه الحفلات انها



زينب توفيق .. احفظوا هذا الاسم ..!

أمام موهبة ! .. فالبنت الصغيرة لديها اذن موسيقية .. وتبدأ على الفور تعلمها العزف على البيانو ! . وتشعر البنت الصغيرة عندما تجلس أمام البيانو أنها قد فتحت عالما جديداً يحمل السعادة اليها !.

***

وفي المدرسة الثانوية .. تنضم الى جمعية المرشدات وتشترك في الحفلات التي تقيمها المدرسة في قاعة ايوارت وقاعة احتفالات جامعة القاهرة .. وتنضم الى جمعية الموسيقى لتعزف على البيانو ... عالمها الجديد ! . وعندما يزور المدرسة مفتش الموسيقى يعجب بعزفها .. ثم يعلمها العزف على الكمان .. وتشعر الفتاة الصغيرة أنها قد اكتشفت بالكمان عالما آخر غير عالم البيانو !.. وفي أسابيع قليلة تصبح زينب رئيسة فريق الموسيقى والسمر .. وتحصل على عدد كبير من الميداليات الذهبية وشهادات التفوق .. الى جانب زيادة في الدرجات كانت تساعدها على التفوق في المجموع الكلي في نهاية العام .

وعندما تذهب الفتاة السمراء الصغيرة مع فريق الموسيقى في رحلة الى ستديومصر .. وتتجمع مع زميلاتها وزملائها حول البلاتوه يشاهدن تصوير رقصة لفرقة رضا في فيلم « الرجل الثاني » .. تدهش لجمال المجموعات الراقصة والحركات التوقيعية والشعبية التي تراها .. وتجد نفسها تقف في البلاتوه تقلد الراقصات.. ويراها محمود رضا .. وكان لايزال يجمع أفراد فرقة رضا في بداية تكوينها ..ويطلب منها أن تؤدي بعض الحركات .. ويعجب بطريقة الاداء ويلمس فيها الاستعداد .. وتبدأ على الفور في العمل مع الفرقة .. وتشترك فعلا في رقصات « قناديل خمسة » و« الثاني السحري » و « الوحدة » و « تبين زين » و « حرامي القفة »

.. لم تسافر مع الفرقة الى حلب ودمشق عام ١٩٥٩ وكانت لاتزال فى الرابعة عشرة من عمرها !

***

وفى بداية عام ١٩٦٠ يتكرر المشهد !
كانت فى دار الاوبرا .. تشاهد تدريبات الفرقة القومية للفنون الشعبية ولم تكن قد ظهرت للجمهور بعد ! .. وتقف وراء الكواليس تقلد حركات الرقص الكلاسيكى والباليه .. ويشاهدها هذه المرة الدكتور احمد سعد الدين مدير الفرقة وقتئذ .. ويعرضها على المدرب الروسى « بوريس رامازين» الذى يمتحنها ويقرران استعدادها ممتاز وانها قطعت مرحلة طويلة من التدريب .. لكن صغر سنها كاد يحول دون التحاقها بالفرقة .. الا ان ضخامة جسمها اهلها للقبول

***

وتظل تواصل التدريبات مع الفرقة لمدة ثلاثة اعوام قبل الظهور امام الجمهور .. تحصل خلالها على الثانوية العامه وتدخل كلية التجارة بجامعة القاهرة .. لكنها لا تنقطع عن التدريب .. ساعة من الرقص الكلاسيكى و ٥ ساعات من الرقص الشعبى كل يوم ! .. حتى تقف مع الفرقة على مسرح البالون وتشترك فى مجموعة من الرقصات الناجحة : « المناديل » و « الطرح » و « الحرب » و « النوبة » و « بور سعيد » و « العاجات » و « الفرعونى » و « المصيان » و « العيش » و « السلة » .. ويستمر العرض شهرا كاملا تنتقل بعده الفرقة الى بورسعيد لمدة اسبوع

***

وفى الصيف الماضى تسافر مع الفرقة الى تونس للاشتراك فى المهرجان الدولى للفنون الشعبية الذى اشتركت فيه فرنسا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وتركيا وايطاليا وتونس .. ويحصل الفريق العربى على المرتبة الثالثة .. ويختارون الراقصة السمراء زينب توفيق « مس ايجيبت » فى مسابقة تقام هناك .. وتمثل الفنانة الحسناء الفريق العربى فى الحفلات .. وتظهر صورها على أغلفة الصحف والمجلات الفنية فى تونس

***

ان زينب توفيق .. لاتزال فى الثامنة عشرة من عمرها ..
احفظوا اسمها .. فهى تسير فى الطريق الموصل الى .. شارع النجاح ..

اللغز

نزل اثنان من أعيان الريف بمدينة باريس فى فندق واحد ، وذات مساء خرجا معا للنزهة وراغ أحدهما وذهب فقضى بمفرده سهرة حمراء ، فاغتاظ زميله واتفق مع فراش الفندق على احضار بطتين حيتين وضعهما فى حمام زميله وملا البانيو بالماء وتركهما فيه ، ثم ذهب الى حجرته ونام . وبعد نصف الليل حضر الآخر سكرانا ودخل الحمام فوجد ذلك المنظر ، فذهب وأيقظ زميله
– انظر الى هذا الشيء العجيب . انه للغز محير !
– لابد ياصديقى انهما دخلا من النافذة
– طبعا . هذا بديهى . ولكن مايحيرنى هو كيف استطاعتا ان تملا البانيو بالماء !

الرد خالص

مرض نابليون الثالث وطلب طبيبه الخاص فوجده مريضا ، فاستدعى طبيبا آخر ، ولكن الطبيب لم يرق صاحب الجلالة ، فقال له متهكما :
– كم جبانة ملاتها بنشاطك هذا الجم يادكتور ؟
– اقل بكثير من الجبانات التى ملاتموها جلالتكم بنشاطكم الفذ ، ولهذا لم أصل بعد الى الشهرة التى تتمتعون بها جلالتكم !

ثروت أباظة :



مضمون جديد فى مسرح الحكيم

فى المسرحية الاخيرة التى اصدرها استاذنا توفيق الحكيم شاء ان يقدم فى نهايتها بعض آرائه عن فترة اللامعقول ولست اعرض هنا لهذه الاراء . وانما لفت نظرى حديث أستاذنا الكبير عن مضمون المسرحية نفسه . أو ان شئت الدقة فهو حديثة عن عنوان المسرحية . ان توفيق الحكيم يرى انه من خطل الرأى أن يصل الانسان الى القمر ومشكلة الطعام فى أرضه لم تحل بعد . وقد كان من الايسر أن يوفر الانسان الطعام لكل فم فى الأرض ثم يبحث بعد ذلك عن القمر

ويقول الاستاذ الكبير ان هذا التفكير راوده فترة طويلة ثم انتهز فرصة تمثيله لمصر مندوبا بهيئة اليونسكو التابعة للامم المتحدة بباريس وفكر فى امكان القيام بخطوة صغيرة نحو التنفيذ العملى لمشكلة السلام ، وما يرتبط بها من مسائل .. مثل الطعام والغاء الجوع .

يقول : فكرت فى أن تقوم منظمة

اليونسكو بانشاء ادارة خاصة جديدة من بين اداراتها لبحث هذا الموضوع على أسس علمية خيالية ٠٠ واقول خيالية لان الامم المتحدة تضـــم منظمة للاغذية والزراعـــة تبحث مشكلة الطعام على اساس علمي واقعي فتعقد المؤتمرات للنظر في تحسين الزراعة في الدول النامية بتحسير وسائل الانتاج على قدر الامكان ٠ كل ذلك في حدود الواقع ٠ أي داخل اطار النظم القائمة والاقتصاد القائم من أسواق واحتكارات وفواصـــل وجمارك وغير ذلك تم في حـــدود الاسس العلمية المعروفة والمعمول بها في الحاضر فقط دون البحث فيما يمكن أن يكون عليه العلم في الغد ٠ ودون الخوض في تصور عالم جديد واقتصاديات جديدة تتلاشى فيها كل تلك المعوقات التي تقف في وجـه السلام والحرية والطعام ٠

* * *

ويقول أستاذنا : « ولم يكن هذا في نظري هو كل ما يجب عمله » ٠ ان الاكتفاء بمثل هذه المنظمات التي تقوم على اسس الامر الواقع والاوضاع القائمة من علم حاضر ومجتمع قائم واقتصاديات قائمة شأنه شـــان الاكتفاء بحالة العلم في القرن الماضي لتصنع على اساسه سفينة الفضاء ٠ وهذا مالم يحدث ٠ وما لا يمكن ان يحدث ٠ ان الذي حدث هو شيء اخر هو البدء بالخيال والتصور ٠ أي القفز فوق حـــدود العلم المعروف وقتئذ بنظرياته المحدودة القـــاصرة والشروع فورا وفعلا في بناء سفينة فضاء من الخيال على أساس نظريات علمية لم تكتشف بعد ٠ هذا البناء الخيالي كان بمثابة النموذج الصغير الذي تأملته اجيال من العقول ٠ وجهدت وجاهدت في سبيل تحقيقه على المستوى الواقعي

ورأى استاذنا أن أول خطـــوة في التنفيذ العملي لمشكلة السلام وما يتبعها ٠٠ هي بناء نموذج صغير بجميع تفصيلاته ٠ واعد الاستاذ الكبير مذكرة كاملة بفكره هـــذا وهم بتقديمها الى الهيئة ولكنه وجد أن تحقيق اقتراحه تكتنفه الصعوبات وقتئذ فصرف النظر عن تقديمه وظل الاقتراح بين اوراق استاذنا حتى نشره على الناس ممثلا بمسرحيتـه طعام لكل فم

* * *

ولا اخفي عليكم أنني وقفت طويلا امام هذا الحديث الذي ساقه استاذنا الكبير

كيف يمكن لهذا الكلام المنسجم المعقول أن يوحي أدبا يوصف بأنه لا معقول ٠ وان كنت أعتقد مخلصا أن مسرحية طعام لكل فم ليســت من أدب اللامعقول ٠ فالحوار فيهـا معقول يأخذ بعضه برقاب بعض في هذه الاستاذة الواعية الفـــذة التي عهدناها من أستاذ المسرح في الشرق العربي ٠ وليس في المسرحية من اللامعقول الا أن قصة فيها تـــدور من داخل قصة ٠ وهذه القصة تبتت

من ماء طفح على حائط البطلين نتيجة مسح الجيران في الدور الاعلى لارض الغرفة • من بقعة الماء يتجسد لبطلي القصة أشخاص آخرون يجرون بينهم حديثا آخر رائعا غاية الروعة عميقا غاية العمق يفلسف الحياة بأفكارها ودوافعها وتطور المشاعر فيها عبر الاجيال • ليس في القصة من غير المعقول الا ظهور هؤلاء الاشخاص من بقعة الماء القذر الذى طفح على الحائط

والمسرحية تأخذ سمتها بعد ذلك الى النهاية ويختفى الاشخاص بعد أن يثيروا في نفس البطلين مكامن آراء وبواعث جديدة في الحياة • ويحاول البطلان ان يعيدا ابطـــال قصة الحائط الى الحياة فيصيبهما الفشل المطلق

* * *

وقد تشـــعر من وراء النص أن أستاذنا الكبير يرنو الى فكرة نشوء الحياة واختفائها وقـــد يصيبك الدوار اذا قارنت بين الحيـــاة الحقيقية وتلك الحيـــاة الموهومة النابتة من ماء قذر طفح به حائط جامد •

[illegible] في رأسك لا تتصل بهذا الرأى الذى أسوق • وقد تكتفى بما قدمه اليك استاذنا العملاق دون محاولة منك أن تنبش بأفكارك وراء ما يقدمه ظاهر النص، ولكنك دائما ستقف معجبـــا غاية الاعجاب بما قدمه توفيق الحكيم •

فانى أعتقد أن الفصلين الاولين من هذه المسرحيه يعتبران قمة من قمم الحكيم .. وما قمم الحكيم بالشيء الهين

المهم أن أستاذنا الكبير قد استلهم مسرحيته من هذه الفكرة التي راودته كثيرا والتى أعد بها مذكرة وان لم يقدمها

* * *

ونستطيع بذلك أن نتبين الى أى مدى تمتد وظيفة الفنـــان • فهى لا تقف عند النظر الى المجتمع ونقده أو تقديمه بغير نقد • وهى لا تقف عند تقديم الاراء والافكار للمجتمع • وهى لا تقف عند مجرد الفن بكل ما للفن من وظائف للحياة •• وانما تمتد وظيفة الكاتب والفنان الى أن يكون حلم الانسانية وآمالها

فهو يحلم للانسانية ويستشف من وراء حجب الخيال ومن بواعث كوامن الامال ما يصبو اليه الانسان في

وان كثيرا مما تتمتع به الحياة اليوم من واقع مرفه ســـعيد كان بالامس خيال فنان تلقفه عالم فحوله الى حقيقة وواقع

فالفنان في الحياة اذن هو العالم نحيه • هو [illegible] الشرارة التى تتوهج فجأة في رأس الانسانية يلتقطهـــا الباحث أو العالم لتصبح على يده أو على يد من يليه حقيقة تتمتع بهـــا الانسانية ولا تشقى

فلن نجد فنـــانا فكر في القنبلة الذرية قبل ميلادها • وقد نجد فنانا

فكر في كثير من المستحدثات الاخرى التى تنعم بها الانسانية اليوم

* * *

وقد وقفت عند حديث استاذنا الكبير افكر أيضا فى هذا الميدان الذى فتحه للفنانين من مضمون جديد . فان كثيرا من الفنانين يقعد بهم الفقر فى المضمون عن انشاء أعمال فنية جديدة . وأعتقد أن استاذنا الحكيم قد فتح لهم مجالا لهذا الحديث الذى ساقه فى تعقيبه على مسرحيته الاخيرة

بل انه فتح لهم ميدانا آخر لم أجد فى مصر من سعى اليه .. هو ميدان الحلم . ميدان ما وراء الواقع الملموس الذى نحيا فيه . كان الرائد الذى شق ما وراء المستقبل من آمال المستقبل . وكم تصبح سعيدة حياة الفنان اذا ما استطاع أن يجول فيما وراء حجب المستقبل تاركا العقل يأمل ويرجو دون أن تربطه بالحقيقة المرة روابط . ولا يخاف الكاتب أن تنزلق به قدمه الى ميدان اللامعقول . فأحلام الفنان قد تعرف الامال ولكنها لا تعرف الخرافة

* * *

لقد عودنا توفيق الحكيم ان يكون رائدا فى أعماله . وهو اليوم رائد كما عودنا . وما احب الينا أن يسعى الفنانون فى هذا الطريق الجديد الذى فتحه لهم هذا الرائد القديم الجديد .. الجديد دائما .. !

طلب صغير

ذهبت احدى القرويات الفرنسيات العجائز الى محل مصور فوتوغراف فى عاصمة المقاطعة وطلبت اليه أن يكبر لها صورة ابنها الغائب فى كندا ، وبعد ان اتفقت معه على الثمن ، قالت :

ــ ولكن لى طلبا صغيرا جدا .. أن تحذف هذا البيريه الذى يلبسه على رأسه .. لانى اريد أن يرى الناس شعره الكثير المتموجات !

غير معقول !

حضر الطبيب لفحص الغلام المريض ، فسأل والدته بعد أن خلع الصغير ثيابه :

ــ كم عمر هذا الفتى ؟

ــ عشر سنوات ...

ــ فقط ؟ هذا غير معقول

ــ وهل تظنني لا أعرف عمر ابني الذى ولدته من احشائى ؟ لماذا تقول أن هذا غير معقول : ألانه أكبر من سنه ؟

ــ كلا . بل لان كل هذه القذارة التى تغطى جسمه لا يمكن ان تتجمع فى عشر سنوات فقط !


البنت ...
تبحث عن حواء

أخبار الموضة

البساطة تبحث عنها حواء

اختلفت أزياء الربيع هذا العام عن السنوات السابقة .. إن خبراء الموضة في الماضي كانوا يتقنون التصميمات ، ويتسابقون التفنن في التصميمات .. اعتقادا منهم أن هذا يرضي « حواء » التي تبحث دائما عن الجديد ..

ويبدو أن هؤلاء الخبراء لم يجهدوا رغباتهم من الجنس اللطيف .. [illegible] الآن بدأوا يفهمون رغبة حواء ومزاجها .. إن حواء تحب البساطة الممزوجة بالأناقة .. ولذلك كان [illegible] في العالم [illegible] في تصميماتها .. اتجه خبراء الأزياء إلى البساطة .. حفظوا تصميماتهم من الطبيعة ومن ألوان الزهور ..

إن مجلة « الهلال » تقدم لك يا سيدتي مجموعة مبتكرة اختاروا منها ما يناسب الرشاقة والرقة .. وتبرز مفاتنك وأناقتك .. على شرط ألا تحمي ميزانية زوجك .. !



الذيل الطويل مع جمالك .. اختاري ما يناسبك



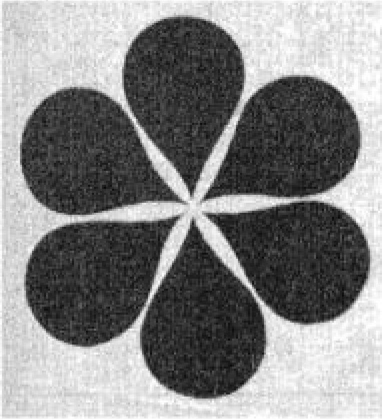
والتسريحة الجديدة أيضا تجعل وجهك ساحرا





هل تعجبك هذه التسريحة .. اذا اعجبتك اذهبي بها الى الكوافير ...





وهذا الانسامبل اسمه « شقاوة » .. هل تهوين الشقاوة .. !






قصة صوفي عبد الله
مذنب..
أم
غير مذنب؟

كان سريع الخطو ، يسبق حراسه بقامته المديدة ، في بزة أنيقة ، وربطة عنق فاخرة ، يحاول ان يخترق الدهليز الطويل في خطوتين ، كأنما هو ذاهب الى حفل ! لم يشعر بالاغلال التي تقيد يديه وتحول بينه وبين الانطلاق الذي ينشده ! لم يشعر بنظرات الناس من حوله يتفحصونه كأنه من عالم لا ينتمي الى عالمهم ، لم يشعر بتدافع الصبية بالمناكب يحاولون اللحاق به ، وتعليقاتهم الساخرة واتهاماتهم المقذعة تتساقط امامه وخلفه ! ..

***

وقابلته عاصفة من الطنين وهو يخطو داخل القفص الحديدي ، ذكرته بالمنحل هناك ، بجانب بيته الصغير في القرية .. وحاول ان يرفع يده ليطرد النحل الذي راح يطن طنينا مزعجا حول راسه ، ولكن يده لم تطاوعه ! احس بها ثقيلة ، مرهقة ، ككيس من الرمل ، تدب فيه اطنان من النمل ! ..

ولم يعبأ بيده ، ونسي كل شيء .. نسي القاعة ومن فيها ، نسي الحراس من حوله ، نسي اللص من يمينه وتاجر المخدرات من يساره وذابت عيناه في عينين خضراوين واسعتين ، تتحلقهما هالتان سوداوان وتغطيهما طبقة من الدمع الحبيس بذلت صاحبتهما اقصى ما تستطيع لتمنع الدمع من الانحدار ...

كان قلبه يحدثه انها ستحضر رغم الاخبار التي وصلته انها مريضة .. كان يعلم ان هذه الجلسة لا يمكن ان تفوتها ، لانه برىء .. برىء من كل مانسب اليه ، ولابد انها ارادت ان تكون اول من تلقى التهاني ، اول من يضع يده في يده واول من يطبع قبلة الفخر والاعزاز على وجه زوجها الحبيب ..

لن يأبه لاى انسان في الوجود ، لن يسأل عن كل من حوله ، سيأخذها بين ذراعيه ، سيحتضنها بلهفة ، سيودع فمها الجميل كل اشتياقه وحبه ... لن يتركها من بين احضانه مهما فعلوا .. اليست زوجته ؟!

ولكن ! ما بالها تجلس بعيدا هكذا ؟! لماذا لم تأت بجانب القفص ليشعر بانفاسها العطرة ، ويتنسم عبيرها الانثوى المسكر ؟! ترى ، هل تضع العطر الذي يحبه ؟ .. انه في حاجة اليها ، في حاجة الى كلماتها العذبة .. في حاجة لسماع صوتها الساحر .. في حاجة الى حنانها الدافق ... العلها لم تشتق اليه ؟! كلا . انه يرى في عينيها رغبة ملحة ان ترتمي بين احضانه ، ما الذي يمنعها اذن ؟!

***

آه ! هاهم سجانوها يمنعونها من الحركة ، يضربون حولها نطاقا من حديد الرقابة حتى لاتتحرك من مكانها ! .. انهم مثل سجانيه .. بل ربما افظع منهم !.. لماذا لم يقتلهم جميعا ؟.. الاب، الام، اخوها، زوج اختها وخالها وعمها ؟! كان يجب أن تتخلص منهم جميعا



.. دفعة واحدة .. كان يجب ان يمحوهم عن وجه الارض ، هـم الذين افسدوا حياتها وحياته .. هم الذين احالوا جنة حبهمـا الى جحيم .. ليس كافيا ان يقتـل اباها وامها .. ليتهم يطلقـون سراحه يوما واحدا .. بل ساعة واحدة .. ليطهر العالم من هؤلاء المناكير ... ليس عدلا ان يغتـل هو هكذا ويترك هؤلاء الشـياطين يعيشون فى الارض فسادا .. كان الاولى ان يقبض عليهم هم ويقطعون اربا اربا !..

انظروا كيف يحولون بينها وبين التحرك !. كيف يمنعونهـا من الاقتراب من زوجها .. حبيبها !. يريدون التأثير عليها ... يرغبون فى خداعها !.. يحاولون ان يدخلوا فى روعها انني أنا الذى قتلت اباها وامها لكى يوغروا صدرها على .. لكى يجعلوها تكرهنى ... تشـهد ضدى ! تسلم رأسى للمشـنقة ليرتاحوا منى ، ليستولوا عليهـا وعـلى ابنتى .. ابنتى حبيبتى نوال ..

***

وأحس برعشة وحنين ...

اين نوال ؟. لماذا لم تحضرها معها ؟! الم تعلم ان اليوم يوم نصر ابيها ... يوم اعلان براءته ؟! لعلها حرصت أن تجنبها هذا المنظـر وهى طفلة .. طبيعى عندها حق .. فالمنظر غير سار والاطفـال ترسب فى نفوسهم ذكريات الطفولة بشكل مزعج ... وربما لازمها هذا



الاحساس طوال حياتها .. وهو احساس موجع ، مؤلم فلا تسخط وليس من مصلحتنا ان نسببه لها بعدا نفسيه ، بل الافضل ان نسدل ستار على هذه الفترة المزعجة من حياتنا ، ولا نشير اليها امامها من بعيد او قريب .. حتى لا نشوه نظرتها الى ابيها .. يجب ان تحتفظ له دائما بالمكان الاول في الحب والاحترام والاجلال

.. لماذا ينظر اخوها الي هكذا ؟ الجبان ! سأربيه ... سأعلمه كيف يحترم زوج اخته .. ولكن الذنب ليس ذنبه ، بل ذنبي انا .. انا الذي اتخذته صديقا .. انا الذي وثقت فيه .. انا الذي أودعته اسراري واسرار حياتي .. فغدر بي ... اعطى ، الدنيا فكرة خاطئة .. افهمها اني اريد ان استولي على ... وفاء .. زوجتي ..

.. هل يعقل هذا ؟! هل معنى ان اشتري مصاغها لاسدد به الديون التي اغرقتني فترة الخطبة لاحضر لها هدايا .. لاشرفها امام اهلها وصديقاتها وقريباتها ، هل معنى هذا انني اريد ان اسرقها .. اريد ان اجردها حتى من ملابسها !.. آه لو اراها والدنيا ... لو استرددت حياتها .. لما ترددت عن افراغ عشر رصاصات في قلبها هذه المرة ، لا ثلاث .. هي التي اوغرت صدر وفاء علي .. هي التي حطمت حياتنا .. والرجل « الشاب » زوجها .. الرجل الحرج ، عديم الشخصية .. كان منقادا اليها ! كلاهما قضية مسلمة .. مرة .. لقد ارحت البشرية منه .. فمثل هؤلاء مرضى « سر » ، لانهم سبة ، عورة في جبين المجتمع .. يجب استئصالهم طبعا سيحكم براءتي ، فمن غير المعقول ان اقف مكتوف اليدين، انا ارى بيتي ينهار .. ارى زوجتي تساق منه الى حيث لا ادري !. ارى ابنتي الوحيدة بين ذراعي جدتها !. ابنتي التي كان لا يغمض لها جفن الا على صدري .. ابنتي التي لم تكن تفارقني حتى في محل عملي كانت تجري في حديقة المركز بخطواتها المتعثرة .. كانت تستأثر باهتمام كل من حولها بلغتها اللطيفة .. كانت حياتي كلها .. كانت املي ... ارادت ان تحرمني منها فحرمتها هي من الحياة .. وبعد ذلك تتهم بالقتل ! اليس الافضل ان نقول

على مثيلات هذه المرأة المنكودة ؟ التى تعيث فى الدنيا فسادا ، من ان نحرم طفلة بريئة من ابيها ؟! طفلة متفتحة للحياة .. وبعد ذلك يقولون اننى قاتل ! قاتل انا ؟!

***

وصرخ الحاجب !

ــ محكمة ..

وساد الصمت كانما القاعة اخليت ممن فيها ! واشرابت الاعناق ، ودقت الصدور ، وتسلطت العيون على الرئيس القصير القامة جدا ، المتورد الخدين ، الممتلىء الوجه وهو يتهادى فى مشيته بخطوات يحاول ان يرفع بها قامته بين مستشارين ولفرط طولهما ظهر بينهما رغم وسامته بالغ القصر بصورة ملحوظة ..

واحس كان رجليه لاتقويان على حمله ، والضابط المعين اليه يقوم فجاة ويجذبه معه !.. وينتزع من يده السيجارة ويدوسها بقدمه !..

وصك سمعه مرة ثانية ، صوت الحاجب ينادى على القضية الاولى والثانية والثالثة والرابعة ..

لاشك انه مريض ، لاشك ان برد السجن اصابه بروماتزم فى مفاصله .. سيخرج بعد لحظات الى نور الحياة .. ستعتنى به وفاء .. ستدفئه بجسدها الغض الذى يتفجر شبابا وحيوية .. ماذا اصابه ؟ لم يمرض طول حياته .. لا يذكر انه احس يوما بمثل هذه القشعريرة .. كل شىء سينتهى .. سيمحى من ذاكرته ، حينما تظهر براءته ويستانفا الحياة فى عشهما الهادىء فى الريف .. لن يجعل احدا من اقاربها يدنو من البيت .. لن يروا ظلها مرة ثانية .. سيجعلها اسعد امراة فى العالم .. سيغرقها بالثياب والحلى وكل ما تشتهى ليخرس السنتهم ، ويفضح نياتهم .. انها تكرههم لانهم يبعدونها عنه .. لم يسمحوا لها بالاقتراب منه طوال مدة المحاكمة !.

سيعرف كيف ينتقم ..

***

ــ المتهم رافت الجندى

وتعانقت عيناه بعينى الرئيس وهو جالس فوق المنصة لا يبين منه سوى رقبة بيضاء يعلوها وجه مستدير متورد املس ناعم كوجوه الاطفال !..

وبهت الوجه امام عينيه ، وراى امامه وجه ابنته نوال !. نوال بوجهها الجميل الابيض الطفلى !. وامتلات عيناه حنانا ، وصوت الرئيس ياتيه من بعيد :

ــ مذنب ام غير مذنب ؟

ولم يدر بما نطق !. كان يبتسم ويحدق فى صورة ابنته الجميلة الماثلة امامه ! ..

ونودى على وفاء .. زوجته .. فتحولت عيناه من وجه ابنته الى وجه زوجته .. ونطق قلبه قبل لسانه :

ــ حبيبتى ..

واحس بجسمه يرتعد وهو يراقبها ! ولم يصدق سمعه !. كلا . ليست وفاء التى تتكلم

لقد نوموها : خدروها ، ليضعوا على شفتيها هذه الكلمات !. ليست وفاء التى تتهمه بقتل ابيها وامها !. هى تعلم تماما انه لم يقتلهما .. كلا .. مستحيل !

وتحولت عيناه من وجه زوجته الى الوجه الابيض الاملس الجالس على المنصة .. وجه ابنته نوال ..

ربما نوال تقول الحقيقة ، تكذب والدتها ، فالاطفال لايعرفون الكذب .. الاطفال لا يستطيع احد التأثير عليهم بسهوله .. نوال تحبه ولن تشهد ضده ..

لكنه لم ير نوال ، تحول الوجه المستدير الاملس الطفلى .. الى وجه صارم !.. واطلت القسوة من العينين الوديعتين

حتى نوال .. نوال الحبيبة .. نوال الطفلة .. استطاع هؤلاء الشياطين التأثير عليها !. استطاعوا ان يقنعوها ان والدها قاتل ، منهم .. مجرم !..

وحينما سيق الى السجن ليقضى عقوبة الاشغال المؤبدة ، كان وجهان صغيران يتراقصان امام عينيه ويحجبان عنه موضع قدميه حتى كاد يتعثر مرتين !..

صوفى عبد الله



هذه الصورة ليست لفلاحة مصرية تحمل الزلعة ولكنها لملكة جمال امريكا « بيتى ماكلين » فى الولايات المتحدة وقد زارت القاهرة وشاهدت عرضا للازياء فاعجبت بالزى الفلاحى المصرى فلبسته وسجلت لها الهلال هذه الصورة التى تراها على الغلاف

« تصوير منير فريد »



الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
روائع المسرح العالمي
٤٩
اعرف نفسك
تأليف : بول هرفيو
ترجمة : نعمات عبد الله رشدي
مراجعة : فؤاد كامل عبد العزيز
تقديم : دكتور أنور لوقا
سلسلة مسرحيات عالمية بأقلام الصفوة المختارة من أعلام الكتاب مع دراسة لكل كاتب وتحليل لكل مسرحية
تصدر يوم ٤ مايو ١٩٦٤
الثمن ٥ قروش
الموزع : مكتبة الخانجي - القاهرة
١١ شارع عبد العزيز - ت : ٤٣١٤٨
وتطلب من : مكتبة المثنى - بغداد ● مكتبة دار العلم للملايين - بيروت
مكتبة المنار - تونس ● مكتبة الرشاد - الدار البيضاء

أحمد حمروش :



بين التمثيل الصامت والديكتاتور العظيم



ربما

كانت ادق اللحظات عند الممثل هى تلك التى لا يتكلم فيها .. لحظات الصمت التى تظهر مختلف التعبيرات على وجهه ، وفى حركة جسمه واشارات يديه ... هذه اللحظات الصامتة هى الاختبار الحقيقى لفن الممثل

قديما كان الممثلون يلبسون الاقنعة ، وما زالوا كذلك فى المسرحيات التقليدية فى الشرق الاقصى .. وجه الممثل لا يظهر ولا تتضح التأثيرات النفسية التى تدور فى أعماقه .. ومن هنا كان التمثيل غاية فى البساطة والبدائية حتى اننا نستطيع القول باننا لانعرف شيئا عن التعبير بحركات الوجه عند الممثلين فى عهد الاغريق .. وكان الشاعر احيانا يقدم بنفسه بالتمثيل كما كان يفعل كل من سوفوكليس واريستوفان

فى الماضى البعيد كان وضوح الكلمات وشاعرية الالقاء هى اهم مقومات التمثيل .. اما اليوم فالامر يختلف كثيرا . وما يكابده الممثل فى اعماقه يجب ان يظهر للجمهور ... هذه الحالة يعبر عنها ستانسلافسكى اثناء حيرته التى وضعت يده على الحقيقة

يقول ستانسلافسكى متسائلا

« يالله .. ياربى الرحيم كيف شاهدت روحى ومسخت ادوارى وقضت عليها تلك العادات الزائفة والحيل المسرحية المصطنعة البعيدة عن الفن ، والرغبة فى ارضاء

الجمهور وتملقه ، والطرق الخاطئة فى معالجة الخلق والابتكار الصحيح ... يا ترى ماذا كان فى وسعى ان افعل ، وكيف انقذ أدوارى من العطب الذى مسخها وشوه جمالها والتحجر الروحى الذى طرأ عليها واستبداد العادة الظالمة التى جعلت تمثيلى شعوذة آلية بعيدة عن الصدق ؟ »

ويجيب ستانسلافسكى على هذه التساؤلات بقوله :

« كانت تواجهنى الحاجة الماسة الى مكياج روحى قبل كل حفلة ، لان المكياج المادى وحده لم يكن كافيا » !!

ويستطرد قائلا :

« ان القدرة على الخلق فوق خشبة المسرح تتطلب ما يمكن تسميته بالجو او « المزاج الخلاق » ... لقد ادركت ذلك لا بروحى فقط ، ولكن بجسمى ايضا ... والادراك عند الممثل ليس معناه ان يدرك بعقله فحسب ، ولكن معناه ان يحس ... ان يشعر ... ويشعر بجسمه كله

والقدرة على « المزاج الخلاق » .. توهب للممثل العبقرى فى كامل هيئتها الطبيعية ..

ويضرب ستانسلافسكى مثلا بعباقرة المسرح اليانورا دوز ، ويرمولوفا ، وتشاليابين وغيرهم قائلا :

« كان من ايسر الامور على ان الاحظ هذا التشابه فى حريتهم الجسمانية ، فى طواعية ابدانهم ، وعدم التجائهم بتاتا الى « الخرق » او تقلص العضلات ، او الاسراف فى بذل الطاقة ... لقد كانت اجسامهم انسيابية ، وهى الاشارات الداخلية التى تصدر اليها من ارادانهم »

***

دراسة ستانسلافسكى هذه ...




الوان من الدراما .. فى طريقها الى الاندثار

الى ان التمثيل ليس كلمات تلقى ... وانما هو اندماج صادق من الممثل في دوره ولو كان الدورزائفا ... فان الكلمات يمكن ان تكون علامات او اشارات لفكرة من الافكار او راى من الاراء ... ويكملها ويزيد في قيمتها الحركة والاشارة وملامح الوجه والعينين وحركة الجسم

وفي كلمات هو «التمثيل الصامت او البانتوميم »

والتمثيل الصامت يحتاج الى سيطرة كاملة على العضلات، ومرونة فائقة في حركات الجسم ، وتركيز كامل على طبيعة الدور

اذكر انني دخلت الى كواليس مسرح الجيب بالقاهرة لتحية الممثلين البريطانيين الذين قدموا لنا « ماكبث في الجيب » .. فوجدتهم يقومون بحركات راقصة مثل حركات الباليه ..!

لم يمضوا وقت راحتهم في خمول وكسل ...

ومن هنا كانت حركتهم اثناء التمثيل على خشبة المسرح تتسم بالرقة والرشاقة والمرونة

***

الممثل الموهوب يستطيع ان يجد حركات حية وبسيطة تكون مميزة للشخصية التي يؤديها ، وشعور الممثل الداخلي لا يمكن ان يكون منفصلا عن الحركات الجسدية .. واذا حاول الممثل عصر ذهنه لايجاد شعور معين واظهاره للجمهور ، فان ذلك سوف يكون شيئا عقيما اذا لم يرتبط بالحركة المناسبة

ونعود الى ستانسلافسكي فنردد قوله « **ان الحل الصحيح للمسالة الجسمانية يساعدنا على خلق حالة نفسية ملائمة** »

***

والتمثيل الصامت فن قديم عريق .. وهو يتجدد في عصرنا الحاضر .. ففي بعض البلاد المتقدمة فرق خاصة للتمثيل الصامت ، لا تنطق فيها لفظة ولا يدور حوار .. وانما يتم كل شيء عن طريق حركات الجسم والاشارات وتعبيرات الوجه ... تماما كما تؤدي رقصات الباليه دورها بلا حوار

بلاد الشرق الاقصى هي منبع التمثيل الصامت في الهند والصين واليابان ..

عندما كنت في الشرق الاقصى : شاهدت الوانا من التعبير الصامت في الرقص والتمثيل

في تايلاند مثلا شاهدت الوانا من الدراما القديمة التي كادت تندثر، ولم تعد لها مسارح خاصة مستديمة ، وانما تقدم احيانا في المناسبات الهامة

مسرحيات الخون وهي ترتبط بحفلات تتويج الملوك ، ولكنها تحللت حتى اصبحت لونا من الوان التسلية فقط ... ويلبس فيها الممثلون من الرجال اقنعة تظهر طبيعة ادوارهم ... ونادرا ماتلعب النساء ادوارا في هذه المسرحيات

(ن » الخون » تسبح من رقصات تحتاج الى مرونة شديدة ، ولذلك فانه لا يمكن للممثل ان يظهر على المسرح قبل تدريب رياضي عنيف ، يمتد على الاقل لمدة عام كامل

ويغلب على هذا اللون من المسرحيات التمثيل الصامت رغم انهم يلبسون الاقنعة ... وهذا يؤكد عراقة هذا الفن وجذوره التاريخية

***

وفي اليابان توجد طريقتان للتعبير الصامت ... « هاتاراكى » وهى رقصات للآلهة والشياطين والابطال « ومونوماني » وهى تعتمد على المحاكاة والتقليد

والمبادئ الاولية للتمثيل الصامت في بلاد الشرق الاقصى تقول ان هناك ٦٤ حركة للايدى والاصابع ، ١٠٠ حركة للارجل ، ١٣ حركة للراس ، ٣٦ حركة للعين

وهذا الفن يرجع الى ايام بوذا أى قبل الميلاد بحوالى ستمائة عام ... وهو يرتبط بالنواحي الدينية غالبا

والذين يزورون بلاد الشرق الاقصى ... يلمسون فعلا ان الفنون فيها عريقة القدم ، وانها ترتبط بالاساطير ... وتعيش مع الناس جيلا بعد جيل ... فالرقص ليس عملا من اعمال الاثارة ... انه لا يحرك الغرائز ، ولا تكشف فيه الراقصات عن اجسامهن

والغريب انني في تايلاند شاهدت قصة اسمها « دافا ونج » اخذت عن سيرة المسلمين ... وفيها الركوع والسجود تم على نغمات موسيقية هادئة يعزفها العازفون وهم جلوس على الارض

الاقنعة والموسيقى كانت من متطلبات التمثيل ... ولكنها اليوم اصبحت غير ذي موضوع ... وان كان بعض المخرجين من اصحاب الافكار الجديدة يحاولون استخدام الاقنعة من جديد ... ولكنها محاولات — في رايي — طريقها قصير ومسدود

وبدلا من الاقنعه والموسيقى يصبح الفنان مسئولا عن التعبير الصادق عن افكار المؤلف في حدود الشخصية التي رسمها عن طريق حركات الوجه وملامحه وتعدد الحركات الجسدية والاشارات والتعبيرات المتنوعة الفنية بالالوان الفنية المختلفة

***

ووقف مع التمثيل الصامت فنان عبقري عظيم ... هو شارلي شابلن

ونعود الى عام ١٩٢٧ ..

كان شارلي قد انهى من اعداد سيناريو « انوار المدينة » بعد جهد استمر مايقرب من ثلاث سنوات..

وفي هذا العام حدث اكبر انقلاب في عالم السينما ... اذ تحولت السينما الى ناطقة واخذت شركة افلام اخوان وارنر تنتج فيلم « مغنى موسيقى الجاز » الذي ظهر فيه المطرب المشهور ال جولسون

واختفى مع هذا التطور اسماء

كثيرة لم تعد تصلح للسينما التى تتكلم وتتحدث ... واخذ آخرون يتدربون على النطق بالالفاظ ...

ولكن شارلى وقف وحده مؤمنا بنفسه واثقا من عبقريته وقال كلمته الشهيرة « السينما الناطقة تحطم اقدم فنون العالم « البانتوميم » اى فن التعبير بالتمثيل الصامت دون كلام أو الفاظ — انها تفسد الجمال العظيم الذى يوحيه الصمت »

وانتج شارلى شابلن فيلمه الجديد ... صامتا ..!

وانتج فيلمه التالى فى عهد السينما الناطقة « العصر الحديث » صامتا ايضا

ولكن هنالك شيئا ما غير تفكير شارلى شابلن ..

كان من عادته ان يدرس تأثير افلامه عن الجماهير ... وقد حدث ان زار دارا للعرض فى لوس انجيلوس لمشاهدة فيلمه « العصر الحديث » ... ولاحظ ان الاطفال لايضحكون كما يجب اثناء مشاهدة الفيلم حتى جاءت اغنية قصيرة ينطق فيها شارلى بالفاظ مبهمة لا معنى لها الا مجرد فيمتها الصوتية المعبرة ... وهنا ضج الاطفال بالضحك لمجرد سماعهم صوت شارلى الناطق فى فيلمه الصامت

هذه الحادثة غيرت تفكيره ..

قرر ان يكون فيلمه الجديد « الديكتاتور العظيم » ناطقا ..

لم يكتف بذلك .. وانما سلك منهجا جديدا ... اذ القى فى هذا الفيلم اطول حديث القاه ممثل دفعة واحدة فى كل تاريخ الفيلم الناطق

وكما كان شارلى عبقريا فى صمته ... أثبت انه ايضا عبقريا فى حديثه ..

وانقل هنا كلمات شارلى فى اطول حديث عرفته صناعة السينما ... لانه يظهر ان المعانى الطيبة يستجيب لها الناس من اعماق قلوبهم مهما خالفت القواعد الفنية المعروفة

***

وقد شاهدت هذا الفيلم فى برلين مقر هتلر وعاصمة النازية



« هاناراكو » رقصة شعبية من اليابان ..

عام ١٩٥٨ ... ولم يخل في السينما مقعد واحد شاغر ... والتهبت الاكف بالتصفيق بعد كلمة شارلي الطويلة التي يقول فيها ... واذا انقلها عن كتاب «عزيزي شارلي»:

« متأسف ... لا اريد ان اكون امبراطورا – ليس هذا شأني – فأنا لا احب ان احكم احدا ... او اهزم احدا ، بل احب ان اساعد – على قدر المستطاع – كل انسان ... اساعد كل الناس .. السود والبيض

« علينا جميعا ان نساعد احدنا الآخر ... هكذا هم الناس .. نريد ان نحيا من السعادة ، لا ان نعيش على حساب بؤس الآخرين ... لا نريد ان يكره احدنا الآخر ويحتقره

« يوجد مكان كاف لكل فرد في هذا العالم ، والارض الطيبة غنية بما فيه الكفاية ، ويمكنها ان تكفي كل الناس ، ومن الممكن ان يكون طريق الحياة حرا وجميلا

***

« ولكننا قد ضللنا الطريق سمم الطمع روح الرجال .. وطوق الدنيا بالكراهية .. وقادنا الى الشقاء واراقة الدماء

« لقد اوجدنا السرعة في كل شيء واسرعنا كثيرا ... لكننا اغلقنا الباب على انفسنا

من الممكن للآلات الصانعة ان تمنحنا الكثير ... لكنها تركتنا نهبا للحاجة والعوز

« لقد نجح العلم ونجحت المدنية في ان تخلق منا خبثاء ، واوصلنا ذكاؤنا الى قسوة القلب وغلظته .. وباعدت بيننا وبين الشفقة والرحمة

***

« اننا نفكر كثيرا جدا .. ولا نحس اطلاقا ..

« اننا في حاجة الى الانسانية والحنان .. قبل حاجتنا الى الآلات الميكانيكية ، ونحن في حاجة الى الشفقة والى الرحمة والى التهذيب والى الكياسة ... اكثر من حاجتنا الى الذكاء وسعة العقل ..

« والا .. فستظل الحياة جافة قاسية موحشة ، وسنخسر كل شيء

« لقد قربتنا الطائرة والراديو بعضنا من بعض ، وطبيعة هذه المخترعات الاصلية تنطق بطيبة الانسان وبحسن نواياه ، وتنادي هذه المخترعات بالاخوة المتبادلة بين كل افراد الدنيا ... وباتحادنا جميعا

« وحتى الآن ... يصل صوتي الى الملايين في كل مكان .. الملايين من الرجال والنساء والاطفال .. الملايين من ضحايا النظام الديكتاتوري الذي يعذب ويسجن المخلوقات البريئة

« الى كل من يسمعني الان اقول: لا تيأسوا ، ما البؤس الذي يخيم علينا الا علامة انقشاع الطمع وانتهاء عهد الشره ، ماهو الا مرارة الرجال الخائفين من تقدم الانسانية

« سيزول حقد الناس، وسيموت الدكتاتوريون ، والقوة التي سلبوا الشعب اياها ستعود الى الشعب . . ان الشواذ والمكروهين وحدهم هم القادرون على كراهية الناس

« ايها الجنود . . »

لا تحاربوا من اجل الاستعباد . . . حاربوا من اجل الحرية . . .

« ان مملكة الله قلب الانسان »

كما ورد في انجيل القديس لوقا

« نعم انها في قلب الانسان . . لا في قلب الرجل واحد فقط ، ولا في قلب جماعة من الرجال . . انها في قلب الانسان . . في قلوب كل الناس . . انتم الناس اصحاب القدرة على خلق الآلات ، القدرة على خلق السعادة ، انتم الناس القادرون على جعل هذه الحياة حرة وجميلة . . . فلتجعلوا هذه الحياة مغامرة بديعة

من اجل ذلك فلنستعمل باسم الديموقراطية هذه القدرة . . دعونا نحارب ونكافح من اجل عالم جديد . . عالم مهذب محترم يعطي الرجال مستقبلا ، ويعطي العجائز تأمينا وضمانا اجتماعيا

لقد وعد الاوغاد الوحوش من الحكام شعوبهم بمثل هذه الوعود ليصلوا الى الحكم ، لكن كذبوا على شعوبهم ولم يحققوا ما وعدوا به . . ولن يحققوه ابدا . . يحرر الدكتاتوريون انفسهم . . ولكنهم يستعبدون الشعوب

والآن . .

فلنحارب لنحقق هذه الوعود :

فلنحارب لنحرر العالم ، فلنترك الحدود الوطنية الضيقة ، ولنترك جانبا ـ الطمع والشر والكراهية والحقد . . . فلنحارب من اجل عالم معقول حكيم ، عالم يتضافر فيه العلم والتقدم لاسعاد الناس

« ايها الجنود . .



الاقنعة كانت من متطلبات الرقص في ايرلندا

فلنتحد باسم الديمقراطية »

***

هنا ينتهي حديث شارلي تعمدت ان اسجله كاملا تقريبا : لاظهر ان الفنان المدافع عن الصمت استخدم اطول حديث في عالم السينما . . . ليحقق عن الطريقين هدفه في الدفاع عن الانسان والحرية والسلام

صالح جودت

مع الشاعرة سلوى في ديوانها.. ظلال وضوء



بائع « بسكوت الفانيليا » ... أو « بسكوت البانليا » ... كما يسمى هو نفسه ... بائع تلك الرقائق المخروطية الحلوة ... في صندوق اسطواني طويل يحمله على ظهره ، يجوس به خلال كل طريق ، وهو يصيح مناديا على بضاعته « بسكوت البانليا » ... ثم يعقب صيحته ـ عندنا في القاهرة ـ بنفخة في بوق ، او مزمار ، تستهوي الصغار ، فلا يلبثون أن يهرعوا اليه من كل فج ، ويتسابقوا الى شراء حلواه فرحين مرحين ...

لقد مر هذا الرجل من حياتنا جميعا ...

مر من طفولاتنا ... وانتهى .

ولكنه لايزال يمر في الطرقات ...

لايزال يمر من طفولات كل جيل ، دون أن نحسه او نسمعه او نتحرك له نحن الكبار

ولكن الشاعرة المصرية سلوى حجازي ، صاحبة هذا الديوان الفرنسي الصغير الرشيق OMBRES ET CLARTE اى « ظلال وضوء » الذي صدر أخيرا عن الدار القومية : تعود الى مهد طفولتها ذات يوم على شاطئ بورسعيد ، وقد أصبحت اما لثلاثة اطفال ، وترى هذا

الرجل ـ نفس الرجل الذى مر من طفولتها وعاشر اول صباها هنـاك ... ثم غابت صورته عنها منذ عشر سنوات ـ تعود فتراه . فى نفس سماته ، ونفس جلبابه ، ونفس مهنته ، كأنما الزمن لم يغير منـه شيئا

***

وبائع بسكوت الفانيليا هناك ، فى بورسعيد . لا يختلف عن صـاحبه الذى فى القاهرة ، الا فى شىء واحد ، هو أنه يغرى الصغار . بعـد سيحنه المعهودة . بدق الصنجات ، اما صاحبه الذى فى القاهرة . فانه يغريهم بنفخة البوق او المزمار

تعود سلوى اليه بعد عشر سنوات ، وتسرع بخيالها فى ايامهـا معـه ... ايام كانت صبية تلهو على البحر ، وهى لاتحمل هما الا هم انتظار مرور هذا الرجل ، لتظفر بشىء من رقائقه الحلوة

هاهى ذى تتأمله اليوم ، وكأنما الزمن لم يغير منه شيئا

ثم تزداد تأملا فيه ، فترى ان الزمن قد غير منـه مثل ما غير منهـا . فقد لمست فى وجهه تجاعيد الزمن ، وبهت جلبـابه ـ نفس الجلبـاب القديم ـ ولم يعد يقوى على حمل صندوقه الاسطوانى الكبير على ظهره، فاصبح يدفعه أمامه على مركبة صغيرة

وتتأوه سلوى ... وتقول له :

اهكذا الدهر بنا يجرى ...
ويأكل العمر ، ولا ندرى ؟
ذكرنى مرآك كيف انقضت
عشرة اعوام من العمر
وأنت فى مغربها ، لم تزل
كما وعتك العين فى الفجر
تدق صنجاتك ، تلك التى
كانت تهز النفس بالبشر
ونفس جلبـابك ، لولا البلى
محا ظـلال اللون والسطر

ثم تصف ما تجد من حاله ، فتقول :

عشرة اعوام ، توالى على
حالك فيهـا حادث الدهر
عدا على وجهك عادى الضنى
فاغتـال منـه بسـمة الثغر
وذاك صـندوقك ، ما خطبه
بعـد السـنين المرة العشر ؟
تدفعه الآن على مركب

وكنت تدليه على الظهر !

أجل ... تغير الرجل ... كما تغيرت سلوى ، التي ستطرد قائلة :

أجل ، تغيرنا ، وهذى أنا
أقول : أصبحت أنا غيرى
وهذه الحلوى التى طالما
أغرت صبانا ، لم تعد تغرى
ودقة الصنجات في مسمعى
خلت من البهجة والبشر

***

وتعدو سلوى وراء الرجل لتحصل على بعض رقائقه ... لا لنفسها هذه المرة ... بل لطفلتها ... وتقول له :

فان أكن أقبلت فى لهفة
عليك اذ تمشي على البحر
فليس اقبالى لاجلى أنا
كشان أيام الصبا الغر
لكن اقبالى لاجل ابنتى
فاننى قد فاتنى دورى
وكلما القاك فى شارع
أرى دموعى بالاسى تجرى
كأنك الماضى الذى عشته
فى ظل أحلام المنى البكر
ذوى مع الايام فردوسه
ومال ما فيه من الزهر

ومن تذكار الصبا : تثور شجون سلوى ، وتتساقط حبات الدموع من عينيها ، ثم تكفكف دموعها ، وترتسم على شفتيها ابتسامة مرة ؛ وتبتعد بعينيها عن البائع العجوز ، وتتوجه بهما الى طفلتها الصغيرة التى فى يدها ؛ السعيدة بما بين أناملها الصغيرة من « بسكوت العائليا » فتهمس لها فى شجن عميق :

ياطفلتى ، حاضرك المزدهى
قد كان ماضى من الامر
قد كان ماضى ، وشيعته
بكل مافيه من السحر
قد كان ماضى ، وضيعته
بالخوف ، بالغفلة ، بالكبر

عيشـــية انت اليوم ، واســـتمتعي
بخير ما فيه من الخير
والتهميه لحظـة لحظـة
واغتنميه قبل أن يجرى
لاتتمنى ان يمر الصـبا
وتبلغى مثلى من العمـر
فان أيام الصـــبا ان مضت
مضى زمان الورد والعطـر
لو صـــادفتنا لحظة حلوة
من بعـده ، لم تخل من مر

لم تصل فلسفة القصـيده الى ذروتها فى هذين البيتين .. بيتى الختام ... حين تدرك سلوى انها فى نصحها لابنتها ليست الا مخـدوعه خادعة ، فباطالما نصحتها امها بمثل هذا فى طفولتها :

ياطفلتى ، أمك فى نصـــحها
تغرق فى الوهم الى الصـغر
كم مرة قالت لها امهـا
هـذا ، فلم تســمع ولم تدر

***

قصتى مع هذه القصيده الانسانيه ؛ اننى اختطفتها من يد سـلوى ، يوم أن تمنيت إن يقرأ شعرها قراء العربيه ، الذين لايحسنون الفرنسية

وعرضت ديوانها الفرنسى على ثلاثة من اصدقائها الكبار : احمـد رامى ، وكامل الشناوى وانا ... لينقلوا قصـــائدها الى العربية ... شـعرا

واخترت انا هذه القصيده ، مع بعض قصائد اخرى

اخترت هذه القصيدة بالذات ، لما فيها من انسانية دافقة ... لانهـا قصيدة مرت من طفولة كل انسان ...، فى صمت

فى صمت نصيدته سلوى واحسنت تصويره

ومقياس القصيده الجميلة عندى : ان اقرأها ، فاتمنى لو انى كنت صاحبها

وحرصت على ترجمتها ، حتى احس انى شريك فيها

وهى ـ فى تقديرى ـ اجمل ماكتبت سلوى ... اعنى اجمـل مافى ديوانها « ظلال وضوء »

ولست اقول هذا لاننى صاحب الترجمه ، فقـد ترجمت لهـا عدة قصائد اخرى من هذا الديوان ... كلها رقيق وأنيق ... ولكن واحدة منها ـ فى حسبانى ـ لاتصل الى ذروة هذه القصيدة

من تلك القصائد الاخرى التى ترجمتها لسلوى ، قصيدة عاطفية حلوة ، اسمها « أول ضعف »

وهى تصف فيها معركة الانسان المتماسك مع قلبه ، حينما يتمرد هذا القلب على صاحبه ، ويهفو لنداء الحب

تقول سلوى :

كان قلبى فى الهوى طوع يدى
ان تهامست اليه يهتدى
ماله اليوم عصى ؟ ماله
خان ميثاقى وجافى موعدى ؟
طالما عاهدنى أن يتقى
قسوة الحب وظلم الحسد
ماله يمشى الى أهوائه
مشية الطفل الشقى الامرد ؟
ايها القلب الذى ضقت بكبتى واصطبارك
انى أسمع آهاتك حرى من قرارك
لاتهددنى على صبرى وصمتى بانتحارك
لاتهددنى ، ولا تنفذ لضعفى باقتدارك
انا لا ادرى الى اين اسير
ولما ارتضى عيش الاسير ؟
واذا عشت حياتى ، مثلما
عشت ماضى ، فما اشقى المصير !
قدر يا قلب ، ما فى طوقنا
غير أن نحياه لليوم الاخير
وقضاء فى ضمير الغيب ، ان
صح يوما ان للغيب ضمير
ويله من تزحف الاقدار بالقيد اليه
اذ يرى كاس المنى مبذولة بين يديه
ثم لايملك ان يسكبها فى شفتيه
ويمر العمر ، والحرمان مكتوب عليه
ايها القلب الذى يشقى حياتى
باهوائى المنى والنزوات
انت تدرى اننى محرومة
انا لا املك حرية ذاتى
وكلانا رهن قيد ظالم
دون ذنب ، فاعنى فى ثباتى

انى اخشى اذا اغريتنى
ان ارى اول ضعف فى حيـاتى

❋❋❋

وللشاعر رامى مقدمة كتبها بالفرنسية لهذا الديوان ، يتحدث فيهـا عن شعر سلوى حديثا تكاد تستشاف من كلماته وتعبيراته عبير الزهر ، وتسمع منه نغمات الطير

وانى لاحب ان اشركك فى المتعة بهذه المقدمة ، كما اشركتك فى المتعة بذلك الشعر ...

يقول رامى :

« لو ان الشاعرة سلوى صورت على هيئة الطير ، لكانت بلبلا يرفرف على غصن مياس ، يرسل فى مطلع الفجر اغنية يطرب لها الظل والماء ، ويصغى اليها الطير فى مسرى الهواء

ولو ان لهـذه المجموعة من الشعر نسخة مسموعة ، لطربت لهـا كل اذن ، من ذلك البلبل ، لبدع توقيعه وحسن ترجيعه

« فما بالك اذا كان لهذا الديوان نسخة مسموعة ومرئية ... اذن لرات العين المتطلعة ذلك البلبل الفريد ، وهو يتلـع جيده ويرسـل ترديده ، ويحرك راسه الصغير حركات متناسقة على وقع لحنه الموزون

هـذه هى الصورة التى اراها للشاعرة سلوى ، كلما سمعت منهـا قطعة من الشعر صاغتها من شغاف القلب ، وصبغتها بالوان الخاطر ، ورددتها على ايقاع القلوب »

●●●

نصب !

أخذ بائع الصحف يصيح :

ــ جريمة نصب خطيرة ! عدد الضحايا ٢٢ .. ملحق ! ملحق !

فاشترى أحد المارة نسخة واخذ يقلبها بحثا عن جريمة النصب فلم يجد شيئا على الاطلاق ، فصاح غاضبا :

ــ ولكن هذا غير صحيح ! ليست فى الصحيفة كلمة واحدة من هذا ..

ولكن البائع كان قد ابتعد وهو يصيح :

ــ جريمة نصب خطيرة . عدد الضحايا ٢٣ ..

●●●

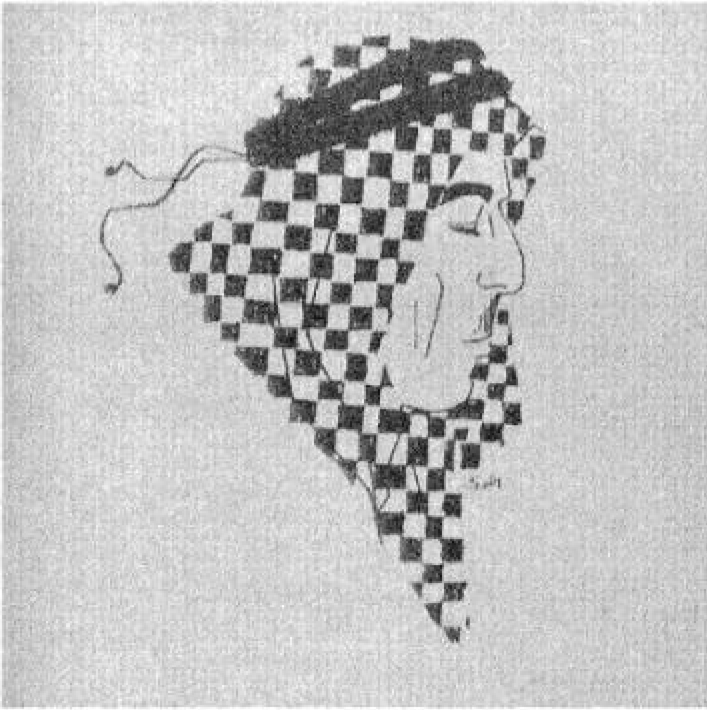
قاسم الخطاط
يكتب من بغداد :

صفحات مطوية من حياة الرصافي

في مارس (آزار) الماضي حلت الذكرى الثامنة عشرة لوفاة شاعر العرب الكبير الفقيد معروف الرصافي ، الرجل الذي عاش حياة عريضة حافلة زخرت بالمتناقضات وبالمفارقات الغريبة وترك وراءه دويا لا تزال اصداؤه تتردد حتى يومنا هذا . وكأن المتنبي كان يعنيه حين قال :

وتركك في الدنيا دويا كانما
تداول سمع الدهر أنمله العشر

لقد درس علوم الجادة (التي تدرس في المدارس الدينية وهي : النحو والبلاغة والمنطق) ، فكانت دراسته دينية على يد العلامة الكبير المرحوم محمود شكري الآلوسي ؛ وبعد فترة قصيرة اتهم بانتهاك حرمة الدين وأصدر مفتي بغداد المرحوم يوسف العطا فتوى بوجوب اعدام الرصافي شنقا .. ثم اتهم بعد ذلك بالالحاد والزندقة .. مرات عديدة وانتخب عضوا في «مجلس المبعوثان



العثماني» من لواء المنتفك بالعراق، وكان زميلا في هذا المجلس العصر الامير فيصل بن الحسين، فيصل الحجاز .. الذي نصب بعد ذلك ملكا على العراق؛ ثم انتهى به الامر الى دكان صغير يبيع فيه السجاير بالاعظمية ليكسب قوت يومه خلال الحرب العالمية الاخيرة ..

عاش منعما في ذروة الترف بالاستانة، ثم ذاق الفقر المدقع في احقر حواري بغداد واحطها ..

ومع ان الكثيرين قد كتبوا عن الرصافي، فما زالت في حياته بعض الصفحات المطوية لم يتطرق اليها الكتاب الذين درسوه

حدثني استاذنا العلامة المرحوم الشيخ محمد جلال العباسي، الذي درست عليه المنطق والبلاغة، قال:

كان ذلك في العهد العثماني، وكان ناظم باشا واليا على العراق، وفي احد ايام الجمعة، كنت في جامع الوزير ببغداد؛ وقد احتشد فيه

جمع غفير ينتظرون سماع الوعظ .
وما ان اعتلى الواعظ كرسيه حتى دخل الجامع معروف الرصافي يحف به جمع غفير ، وكان معه صديقه المرحوم عبدالطيف ثنيان ، الكاتب الاديب

وتقدم الرصافي الى المنبر وانزل الواعظ ثم اعتلى المنبر والقى خطبة حماسية يحث فيها الناس على التمسك بمبادىء حزب الاتحاد والترقي الذي يدعو الى الحرية والعدالة والمساواة بين الناس في الحقوق والامتيازات

وكانت في الحق خطبة بليغة ،

وكثر اللغط حول الموضوع وكثرت الاجتماعات والاحاديث ، واخيرا اجتمع اعضاء الحزب في احد مساجد بغداد وراحوا يتدارسون الطرق الواجب اتباعها للقضاء على جماعة حزب الاتحاد والترقي وعلى راسهم الرصافي

وطلب بعض العقلاء الى السيد سعيد النقشبندي ان يعظ هؤلاء الثائرين ويصدهم عن تعصبهم ، فوقف فيهم خطيبا وطلب منهم الا يتعجلوا وان يتبعوا الطرق القانونية الصميمة ضد الرصافي وجماعته ، بان يرفعوا الامر الى الحاكم ، ثم

صفحات مطوية لم تنشر من قبل عن الشاعر العربي الكبير .. معروف الرصافي

الا ان الحاضرين استاءوا من عمل الرصافي واصحابه اذ اعتبروا انزاله الواعظ من منبره تجاسرا منه وخرقا لحرمة الدين ، بالاضافة الى استهانته بحرمة المسجد وقت صلاة الجمعة

وكان رد المجتمعين في المسجد على تحدي الرصافي ، انهم انشأوا بعد صلاة الجمعة حزبا سموه « الحزب الاهلي » ترأسه رجال الدين ، وكان هدفه العمل على الاقتصاص من الرصافي ، ومكافحة انصار حزب الاتحاد والترقي

الى رئيسه ، ثم الى الوالي .. فان لم يستمع اليهم احد ، فليرفعوا امرهم الى الصدر الاعظم — رئيس الوزراء — ، فان لم ينصفهم رفعوا امرهم الى السلطان ، فان يئسوا فما عليهم الا ان يرفعوا شكواهم الى الله ، فهو الحاكم الاعلى ..

لكن الجمهور الثائر ابى ان يتبع هذه الطرق الطويلة ، وقالوا انهم انما اجتمعوا ليحسموا الأمر ، لا لينتظروا هذه الاجراءات الطويلة ، وتعالت الصرخات بوجوب الذهاب الى الوالي ، فان لم يفعل شيئا

فسيقومون هم بتنفيذ حكم الاعدام في الرصافي وصاحبه عبد اللطيف ثنيان

وتحرك الجمع الثائر الى الباب الشرقي حيث كان منزل الوالي ناظم باشا ، وهم يحملون واعظهم السيد سعيد النقشبندي ، واضطر الوالي امام هذا الجمع الثائر ان يصدر امره بالقاء القبض على الرصافي وصديقه ثنيان ، واودعهما السجن ، حيث قضيا فيه بضعة ايام حتى هدأت ثائرة الجموع ، فأطلق سراحهما ، ولم يلتفت الى الفتوى التي صدرت باعدام الرصافي

***

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يتهم فيها الرصافي بالالحاد والزندقة والكفر .. ففي أوائل عام ١٩٤٤ أصدر الرصافي كتابه (رسائل التعليقات) ، فأحدث ضجة كبرى بين رجال الدين الذين اتهموه بالالحاد والكفر ، وسارعوا الى مطالبة السلطات باتخاذ الاجراءات لمحاكمته . وانتهى الأمر بان أوعزت السلطات العليا الى مدير الاوقاف العام حينذاك ، المرحوم الاستاذ رءوف الكبيسي ، بان يرسل الكتاب الى عدد من كبار اساتذة علوم الدين ، يسألهم رأيهم فيه . فوجه كتابا دوريا الى عدد من العلماء سألهم فيه :

— هل في الكتاب ما يمس الدين الإسلامي الحنيف بسوء ؟

وكان في مقدمة العلماء الذين ارسل اليهم كتاب الرصافي ، العلامة الفقيد المرحوم فهمي المدرس

وخلال ذلك هاجم عدد من المتعصبين بيت الرصافي وحاولوا قتله ، وظلوا زمنا يتربصون به ليقتلوه

حتى جاء جواب الفقيد فهمي المدرس ، فالقم الداعين الى القول بالحاد الرصافي وكفره حجرا ، ولما كان جواب فهمي المدرس من الوثائق التاريخية الهامة ، ويعتبر مرجعا للدارسين والباحثين ، فانني ارى من المصلحة اثبات نصه ، لينتفع به من يشاء ، وهذا هو نصه :

بغداد في ١٩٤٤/٣/٦

صاحب السعادة حضرة مدير الاوقاف العام المحترم

جواب كتابكم المؤرخ ٤٤/٢/٢٦ والمرقم بعدد ٢٢٧٨

يحتوي كتاب الرصافي على ثلاثة فصول . الفصل الأول : في (وحدة الوجود) التي هي اساس التصوف ، أي الفلسفة الإسلامية ، فند الرصافي في هذا الفصل مزاعم زكي مبارك حول مصطلحات السادة الصوفية وشرحها شرحا يزيل الشك والابهام ، ويزيد المشترك بينهما بحثه هذا المذهب . وهذا البحث الدقيق الفلسفي ، انما يفهمه أهله ، لا الذين يقتصر اشتغالهم على كتب الجادة ولم يطرقوا باب الفلسفة . على أن مبادىء التصوف كانت مثار النزاع بين علماء الظاهر (أي الفقهاء) وبين علماء الباطن (أي الصوفية) منذ ان انتشر مذهبهم على أثر تعريب الفلسفة اليونانية

فى عهد المامون ، حتى ادى النزاع الى تكفير بعض المشايخ الصوفية واهانتهم ، فلا غرابة فيما لو كانت تعليقات الرصافى فى هذا الباب مبعث التحامل والانتقاد ولاسيما فى هذا العصر الذى اندرست فيه معالم التصوف وعز نصيره .

ويلى هذه التعليقات البحث عن الحق والباطل والخير والشر والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار، فى معرض مناقشته الدكتور المومأ اليه (الدكتور زكى مبارك) ، ومن المعلوم ان علماء الدين ذهبوا فى هذه المسائل مذاهب شتى، ومنهم المعتزلة والصوفية ، والرصافى اخذ بمذهب الصوفية

والفصل الثانى : رد على ادعاء زكى مبارك بعدم وجود النثر الفنى فى العصر الجاهلى ، وهو بحث ادبى بحت لا علاقة له بالدين

والفصل الثالث : تعليقات على كتاب (التاريخ الاسلامى لمؤلفه السنيور كليتانى حول بياناته المخالفة للحقيقة والواقع ، لفقها هذا المستشرق ، اما جهلا منه ، واما اراد بها الحط من كرامة الرسول (ص) وقد كان الرصافى فى تعليقاته عليها موفقا ، واما استشهاد الرصافى بيت المعرى (صفحة ١٧٥) . فانما استشهد به لتحليل غريزة الانسان، لا لغرض شائن كما يزعم البعض من حملة العلم الناقص ، والعلم الناقص قد يوقع صاحبه فى الضلال

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

اذ لا يعقل ان رجلا يدافع عن الاسلام والمسلمين وعن شخصية سيد الاولين والآخرين ، دفاعا مجيدا ، ثم ينقض دفاعه المجيد بهفوة لا تغتفر

وبالاجمال لم يظهر لنا فى تعليقات الرصافى ما يمس كرامة الدين ، بل ظهر لنا انه قوى الايمان بالله ورسوله ، راسخ الاعتقاد بما جاء به القرآن . ومن كفر مسلما فقد كفر

فهمى المدرس

***

هذه بعض الصفحات المطوية من حياة شاعر العرب الكبير معروف الرصافى ؛ تلك الحياة الحافلة العريضة ..

●●●

علامة

غادر المسافر فراشه فى عربة النوم الى عربة الاكل فى القطار وظل يشرب الخمر ساعتين لم يجز من الاهتداء الى نمرة نومه فسأل الفراش ان يساعده على ذلك

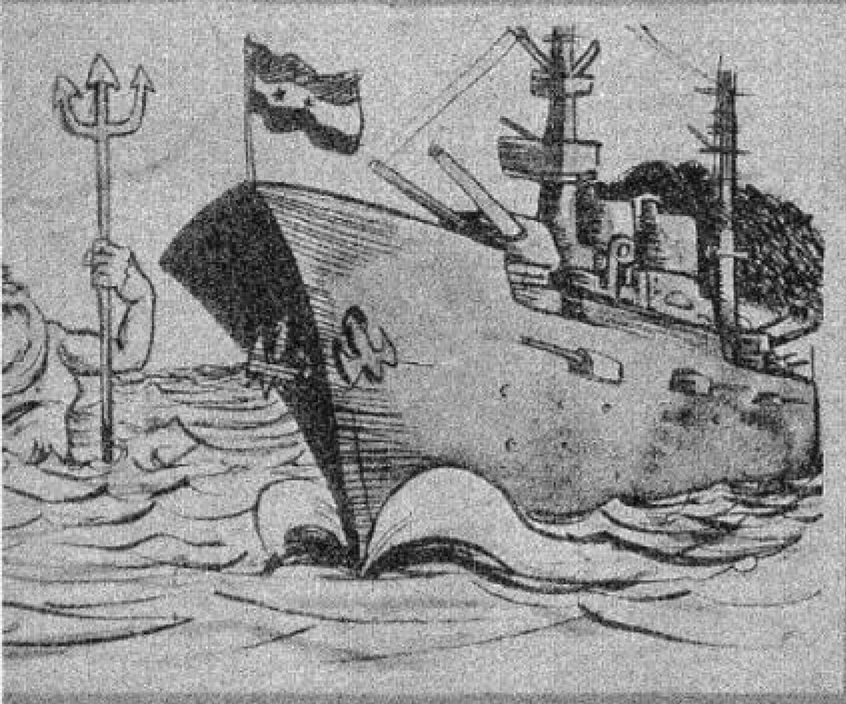
ــ الا تعرف رقم غرفتك ياسيدى !

ــ كلا

ــ الهست لديك اى فكرة تساعد على الاهتداء اليها ...

ــ بل عندى علامة واضحة ... فقد لاحظت عندما دخلتها بعد الظهر انها تطل على بحيرة !

ضحكات العالم في شهر



نبتون اله الحرب .. تعظيم سلاح ادوات الجمهورية العربية المتحـ

يقدمها : صاروخان

- باه .. ايدك باردة كده ليه . الليلة ياحبيبى

روما



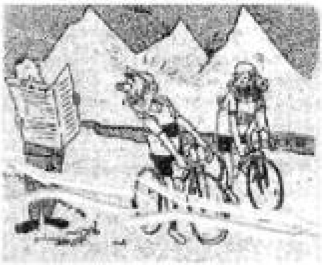
●

السكرتيرة - أنا ما قبلتكش النهاردة الصبح علشان انت زعلت قوى لما اتاخرت عن المكتب متاخرة امبارح .. !





المدير قصير النظر
ـ انا قلت لك ألف مرة .. متلبسيش بنطلون فى المكتب .. !
امريكا



المتسابق لزميله ـ
ياه ، ده شارلى كسب السباق .. !
فورر ـ باريس


الزوجه ـ شايف الجيران .. دايماعلى الوضع ده .. زى مايكونوا مجوزين الاسبوع اللى فات
الزوج ـ ياعبيطة .. دى طريقة جديدة عشان يسد بقها


المنحوس ـ ماليش بخت .. حتى لما أجي انتحر .. !

مسرحية ريتشارد جاشوني :

زائر من عطارد !

هل في استطاعة الانسان ان يخرج من نفسه ليرى حقيقته كما يراها الآخرون ؟

واذا كان هذا ممكنا فى لحظة معينة من لحظات حياته فما هى هذه اللحظة ؟ وما هى العناصر التى تتجمع لتصنع من هذه اللحظة قمة مأسوية تتشعب بعدها طرق حياته يمينا ويسارا ، وعلوا وسفلى ؟ فاما أن ينسلخ عن ماضيه ويولد ولادة جديدة لحياة جديدة ، واما أن ينتصر الماضى ويستعبده الى الابد ، فلا خلاص له بعد ذلك من هاوية الانانية المهلكة ؟

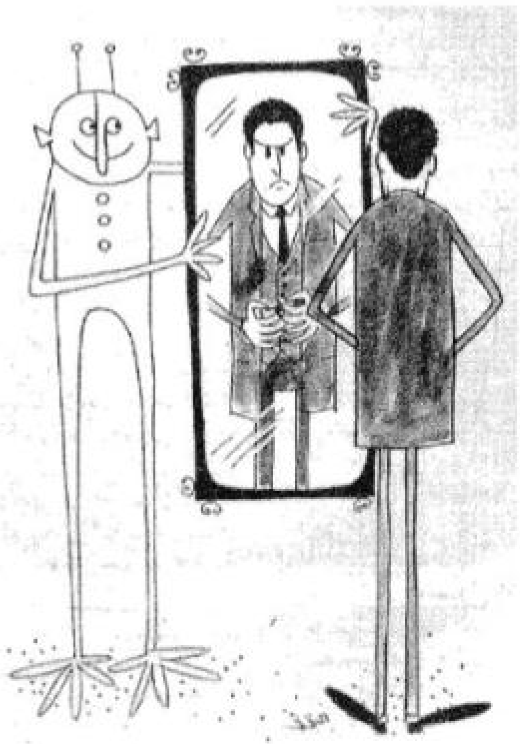
وما الذى يجعل الانسان فى هذه الازمة الدرامية يختار نمطا جديدا من الحياة أو يفضل نمطه القديم الذى يجعله على الدوام حفنة من التراب لحقير تتحرك فوق أديم الارض حينا الى ان تفغر الارض فاها فى نهاية حياته فيرتد التراب الى التراب ؟

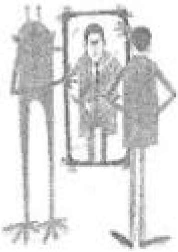
فى هذه المسرحية ، التى تثير الابتسام ، أكثر من اشارة الى هذه الاسئلة ، وأكثر من معنى يبعث على التفكير فى الاجابات الخطيرة التى يمكن أن تثور فى فكر الانسان ووجدانه ، ففى كل واحد منا بضعة من بطلها هوراس ، فهوراس الى حد ما هو جميع الناس ، والدرس الذى تلقته هوراس حرى أن يتأمله جميع الناس .

***

ونحن فى الفصل الاول فى قاعة الجلوس الفسيحة ببيت انسان نرى اسمه هوراس باركر ، بها مقاعد وثيرة وأرائك ومنضدة كبيرة للقراءة ودواليب للكتب وخزانة للمعاطف والقبعات . وعندما يرفع الستار نرى

الخادم « بللا » تضيء النور ، ومن خلال زجاج النوافذ الكبيرة نرى الثلج يتساقط فى الخارج قبل أن تسدل الستائر ، وتنحرف لالقاء مزيد من الفحم فى نيران المدفأة . ثم تدخل « ميمي تميلر » وقد ارتدت ثوب السهرة تأهبا للتوجه الى حفل راقص ، ومن خلفها العمة « مارتا باركر » فى ثوب سهرة آخر ، وتدهش السيدتان لعدم وجود هوراس مع أنه وعدهما أن يصحبهما الى الحفل الراقص ، وقد أزف موعد الحفل وهو غائب عن الدار ولم يلبس ثياب السهرة ، وتدركان ان أنانيته تغلبت عليه كالعادة فخزلهما ولعله انصرف لشراء كتب عن النجوم والكواكب لان الثقافة الفلكية وابحاث الفضاء هوايته الوحيدة ..





وميمى غاضبة لذلك أشد الغضب لانها تحبه ، وهو خطيبها ، ولكنه يهملها أشد الاهمال ، وفجأة يدخل هوراس وعلى معطفه آثار الثلج ، فتجرى نحوه ميمى وتقبله بحرارة فيقبلها ببرود ، وتنفجر عمته فتصب التقريع على رأسه لانانيته وانصرافه الى هوايته الفلكية مفسدا عليهما لذتهما ومتناسيا وعده لهما بهذه السهرة الممتعة ، وهو يصر بعناد وبرود على أن أحوال المريخ وعطارد أجدر بالاهتمام فى نظره من الخروج فى هذا البرد لمشاهدة حفنة من الحمقى يتواثبون على نغمات الموسيقى فى ثياب خفيفة حتى الرابعة صباحا ، فى دار سيدة حمقاء مثلهم هى مسز كلاردس ..

بل انه أكثر من هذا ينعت ميمى بالبلاهة والانانية لانها لا تفكر فى راحته وصحته وتريد أن تكلفه هذا الضجر والعناء والتعرض للبرد ، لتنسى ميمى كل شىء وتحضر له الوسائد كي يستريح في مقعده الوثير . ويامرها كأنها خادمة ، أن تبحث له عن غليونه في غرفته بالطابق الاعلى ، فتسرع ميمى الى هناك وتنتهز عمته الفرصة لتوبيخه بمزيد من العنف على سوء استغلاله لعواطف هذه الفتاة الرقيقة ، التى آوتها المرحومة والدته بعد أن وجدتها مشردة فى طفولتها الاولى ، مجهولة الابوين وربتها بكل اعزاز ، ولكنه يصر على تقبل حبها ببرود متعال ويسخرها لخدمته كأنها عبدة !

***

وتعود ميمى منزعجة لانها لم تجد الغليون ، فيضع هوراس يده فى جيبه ويخرجه ، فهو لم يفتش فى جيوبه قبل أن يجشمها عناء الصعود والبحث ، ولكن ميمى لا تلومه بل تقرر التنازل عن السهرة ، فتخرج العمة غاضبة لاسرافها فى الخضوع وتنصرف لبعض شأنها فى حجرة أخرى ، وتنتهز ميمى هذه الفرصة لتعيد سؤالها على هوراس : أهو يحبها حقا ؟ أم هو سيتزوجها احتراما لارادة والدته المتوفاة ؟ فهى لا تريد عطفا بل حبا ، وهى لا تفهم الحب بغير حنان ورقة ، فيؤكد لها هوراس أن أهل العلم لديهم ما يشغلهم عن اظهار العواطف ، فتأسف ميمى لان هوراس من اهل العلم وتتمنى لو كان أقل علما واكثر عطفا وحبا ! فيكون رده العجيب انه سيشترى لها غدا حليه من الجواهر الثمينة تدخل

السرور على قلبها ، فهو يفضل ان يدع شـــياكته تتولى الاعراب عن عواطفه بدلا من لسانه وشفتيه . !

وتقبل ميمى جبينه معلنة أنهـا ستخلع ثيابها وتنام ، وما ان تبلغ الباب حتى يناديهـــا ، فتظن أنه يريدها ليقول لها كلمة رقيقة او يمنحها قبلة ، فتعود متهللة الوجه بالامل ، واذا به يقول لها :

ـ لا تنسى أن تتصـــل تليفونيا بشركة الكهرباء ، لان التيار يضطرب وينقطع فى بعض الاحيان منذ بضع ليال !

وتظهر خيبة الامل على وجه ميمى وهى تؤكد له أنها لن تنسى ذلك ٠ وفى هذه اللحظة تدخل الخادمة بلا معلنة قدوم مستر ديسى ، وتدخل العمةمارتا وتخف لاستقباله مسرورة بحضوره كى يصحبهما الى الحفلـــة الراقصة بعد أن خذلهما هوراس ، ويبدو الضيق الشديد على هوراس لحضوره ولكن العمة تتجاهل ذلك ، وتأتى به الى الحجرة،ويظهر هوراس منتهى الجلافة فى معاملته ٠ ويرد على عباراته المهذبة بخشونة بالغة ، ويفهمه أنه ليس متلهفا علىمراقصة ميمى الآن فلديه متسع لمراقصتهـا طول العمر بعد الزواج ٠ فينتهز الضيف الفرصةويهنىءميمى ويهنىء هوراس ، ولكنميمى تقول انالزواج لم يتقرر بصفة نهائية ٠

***

وعندما ينصرف الثلاثة للتوجه الى المرقص فى سيارة ديسى تتراجع ميمى لحظة وترد الى هوراس خاتم الخطبة لانهـا لم تعد تؤمن بحبـه لها ، ولان أنانيته تمنعه من حب اى انسان سوى شخصه ، حتى أنه لا يبالى بجرح شعور الناس جميعا مهما كانوا مهذبين مثل مستر ديسى ٠

ويذهل هوراس لحظةثم يلوذبأنانيته فيهز كتفيه وينصرف لقراءة كتاب عن عطارد بعض الوقت ، ثم تدخل الخادمة بلا وتقول ان ثمة زائرا يحمل رسالة اليه من صديق له ، واذا الزائر شحاذا جاء بتوصية من صاحب له كى يدبر له عملا فقدكان هذا الرجل غنيا ثم افلس فى احدى نكبات البورصة مع أنه من اذكى الناس ، ولكن هوراس يطرده بغلظة ويرفض أن يعطيه أجر المواصلات للعودة من هذه الضاحية البعيـــدة للمدينة ٠ ولا تجد فى ترقيق قلبه حكاية الرجل المؤثرة ، وكيف أنه وهو رجل الاعمال المتعلم يقوم بأحط الاعمال مثل ازالة الثلج عنالسلالم، واستدعاء سيارات الاجرة للخارجين من الحفلات والســهرات ، وكيف تنكرت له الدنيا فسلبته زوجتـــه بالموت وسلبته طفلته الوحيدة التى فقدت منه ولم يعثر عليهـــا وكان اسمها ميمى ٠ ويغلظ له هوراس ويطرده مكسور الخاطر لا امل له الا فى استجداء الملاليم نظير تنظيف السلالم منالثلج الذى يسقطبغزارة ـ لحسن حظه ـ فى هذه الليلة !

***

ويعـــود هوراس الى القراءة عن



عطارد • وبعد هنيهة ينقطع النور الكهربائى ، ويصيح فى الظلام ساخطا على ميمى التى نسيت الاتصال بشركة الكهرباء لانصراف تفكيرها كله الى الرقص واللهو ، ويتهمها بالانانية ! ولكن فى اللحظة التالية يعود التيار الكهربائى ويعود هوراس للقراءة بصوت مرتفع عن كائنات حية راقية فى عطارد قد يأتينا زائر منها كما أتى كولمبس الى أمريكا ، فيكتشف الارض وسكانها من البشر ، ويعلمهم من أفانين المعرفة ونظم الاصلاح مايحل جميع مشكلات الارض !

ويغمض هوراس عينيه فى نشوة بهذه الفكرة البديعة ، ثم لا يلبث أن يفتحها فزعا على صوت رعد وضجة عالية وينطفىء النور لحظة ثم يعود واذا أمامه وسط هالة من الضوء الاخضر شخص مهيب ضخم البنية يخبره أنه رسول من عطارد مكلف بمهمة خاصة على الارض ، ولدى هوراس بالذات • كي يعلمه أحوج ما يحتاج اليه البشر ، وهو الايثار والاقلاع عن الانانية • لان معهد الابحاث فى عطارد اثبت أن سكان الارض أشد كائنات الكون انانية • وأن سكان لندن أشد سكان الارض انانية • وأن هوراس باركر أشد سكان لندن أنانية !

ويهم هوراس بطرده كما طرد المتسول ، ولكن مندوب عطارد يرفع سبابته فاذا هوراس يسقط على كرسيه •• وكأنما هو مكبل بحبال غليظة فلا يستطيع الحراك • ثم يذكره بما صنعه فى النصف الساعة الاخير من ضروب الانانية ازاء خطيبته وعمته ومستر ديسى والمتسول المسكين • ويبدو من المناقشة ان هوراس عاجز عن تبين حقيقة أفعاله ومشاعره ، فيكابر مكابرة شديدة ويقرر مندوب عطارد أن يبدأ فى تلقينه الدرس اللازم على الفور ، ويشير بسبابته له أن يقف فاذا به ينتفض واقفا كأن عشرين رجلا يدفعونه من ظهره وكتفيه ، ويأمره بارتداء معطفه السميك ، فيختار من خزانة المعاطف أثقل معاطفه الستة وقبعة ، ثم يحاول العصيان عن الخروج لشدة البرد • ومرة ثالثة يرفع اصبعه فاذا به يسقط على الارض سقطة شديدة ، ثم يحرك مندوب عطارد اصبعه الى فوق فكأن عشرين رجلا رفعوه من كتفيه قائما على قدميه ، ويشير الى الباب فكأن عشرين رجلا يدفعونه من ظهره الى الخارج •

وينزل الستار على الفصـــل الاول .

***

ونحن في الفصل الثاني في الطريق العام . وفي مواجهتنا سلم منزل مسز كلارنس حيث الحفلة الراقصة الساهرة بالداخل. وهناك شارعان عن يمين وعن يسار ، وبيوت اخرى غارقة في الظلام . والثلج يغطي الارض والسلالم بطبقة كثيفة ..

هوراس : لن أعود الى الانانيـــة ياسيادة المندوب دعني الآن اعود الى بيتي فالبرد شديد . وقد يمر من هنا أحد أو يخرج الناس من السهرة فيتجمعـــون حـــول نورك الاخضر الذي يحيط بك وتحدث ضجة ..

المنـــدوب : لا تفكر في هذا فلا يمكن أن يراني او يسمعني احد سواك . لاني موفد خصيصا اليك . ونحن لم نبدأ بعد تلقينك الدرس !.

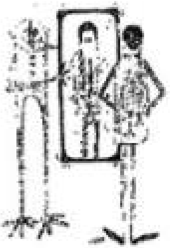
وفي هذه اللحظة تقبل امـــراة فقيرة تطلب من هوراس صــــدقة صغيرة . بنسا واحدا ، فيامره ، مندوب عطارد ان يعطيها جنيهـــا ذهبيا . وتنظر المراة في الجنيه ، وتخشى أن يكون هوراس مخطئـــا فتنبهه الى جسامة المبلغ ، ولكنه يرجوها ان تأخذه وتنصرف حتى ينتهي من هذه المهمة ، وبعد انصرافها يسأله المندوب :

هل كان سعيدا بما منحـــه من المال ، فيستنكر هوراس هـــــذا الســـؤال لانه لم يعطها المـــال الا امتثالا لارادته

المندوب : اذن فلن تشعر بسعادة وانت تشعر بالاكراه والخضوع .

ولن تتعلم درسك حتى تشـــعر بالسعادة في البذل ، والآن اريدمنك أن ترى وتسمع شيئا يصحح لك فكرتك عن نفسك ويعرفك حقيقة راي الناس فيك ، حتى ميمي التي تعتقد انها تحبك حبا بغير حدود !

ويرفع مندوب عطارد يده. فاذا الاضواء تشع من نافذة كـبيرة في بيت مســـز كلارنس ، واذا خلف الزجاج ميمي ومستر ديسي يتحدثان معا ، ويبدو من الحديث أن ميمي مستمتعة جدا بالسهرة والرقص ، ولا يكدرها الا ما اظهره هوراس من انانية واستهتار برغباتهـــا .. رغم اخلاصها الشديد وتفانيها في توفير الراحة له . ويلح عليها ديسي الا تتزوج هوراس لانه سيشقيها بانانيته ويصـــارحها ديسي بحبه لها وانه لا يعتبر نفســه جديرا بها ، ولكنه يتمنى أن تمنحه فرصة لاكتســـاب قلبها. وتسر ميمي لهذا التصريح وان كانت تعجب لانها لم تزل تحب هوراس مع انه يشعرها دائما بانها هي التي ليست جديرة به ، ويعود ديسي الى الالحاح عليها ويعدها أن يخصص حياته لاســـعادها . ثم يعرض عليها خاتما اعده للخطبة . ويرجوها أن تسمح له بوضـــعه حول اصبعها . وتبدي ميمي اعجابها بالخاتم الجميل . ولكن قبـــل أن تجيب بلا أو نعم ينطفيء النور من النافذة ويختفي الصوت.. وينفجر



غضب هوراس ويتهم ميمى بخفة العقل مثل سائر النساء وان الماسة التى تحلى الخاتم قد بهرتها ، ولكنه سيشترى لها غدا ماسات اثمن منها عشر مرات فهو رجل غنى !

ويتبهه مندوب عطارد الى ان تفكيره انانى مثل سائر الرجال الاغنياء الذين يظنون ان فخامة الحلى كافية لاكتساب محبة القلوب

ولا يبدو أن هوراس اكترث بكلام المندوب ، فهو واثق ان عمته مارتا ستمنع ميمى من الاقدام على هذا الزواج الاحمق بديسى ، فهو ابن أخيها وحبها له بغير حدود

***

ومرة اخرى يشير مندوب عطارد بيده فترى النور فى نافذة اخرى ، وتشاهد وراء الزجاج العمة مارتا مع ربة البيت مسز كلارنس ونسمعهما تتحدثان . واذا بالعمة مارتا تحمل عليه حملة شديدة ، وتتهمه بجمود القلب واختلال العقل نتيجة لما يعانيه من نقص فى الشعور . وتندد بسوء معاملته لميمى . وعدم اكتراثه لمتاعب الناس او سعادتهم ، فلا يهمه الا ما يصيب شخصه . وهى مسرورة لان ميمى أخبرتها الليلة بفسخها لخطبته ، فهى لن تجد الا الشقاء الابدى بزواجها منه . ثم تدخل عليهما ميمى شاحبة الوجه وترتمى على صدر العمة مارتا ، وتنهض ربة البيت لتأمر لها بشراب منعش . وعندئذ تخبر ميمى العمة مارتا ان ديسى طلب يدها وتريها الخاتم ، فتشجعها على قبول هذا الشاب اللطيف المهذب ، وأن ابن أخيها هوراس لا يلومن الا نفسه على سخافة عقله وانانيته ، فهو يستحق ان يحرم من نعمة السعادة التى لا يقدرها قدرها !

وباشارة من يد مندوب عطارد تختفى الانوار من النافذة ويختفى الصوت ، ويعود هوراس الى الزمجرة والاحتجاج ..

المندوب : لماذا تلومهم على رأيهم فيك وأنت لم تصنع فى حياتك شيئا لارضاء الاخرين او اسعادهم ؟ تفكيرك كله فى نفسك . وهذه هى مصيبة البشر جميعا . كل يفكر فى نفسه . يستوى فى هذا الافراد والجماعات والدول . ولذا كان تاريخ حضارتكم سلسلة من الحروب الحمقاء !

***

وفى هذه اللحظة تسمع صفارات وصيحات ويقبل أشخاص من الشارع

الايمن متجهين الى الشارع الايسر • وهم يتصايحون بوقوع حادث • فقد دهمت سيارة رجلا يسير معزوجته• ويدعو مندوب عطارد هوراس أن يمد يد العون ، فيهز كتفيه ويقول ان ذلك ليس من شأنه • وأن رجال الامن سيقومون بالواجب الذي يتقاضون مرتباتهم عنه ، وسيحملونه الى المستشفى ليسعفه الاطباء الذين يتقاضون اجورهم لهذا الغرض ••

ويقبل الناس عائدين من الشارع الايسر حاملين المصاب وهم يلعنون ركاب السيارات الذين لا يلتزمون الحذر والحرص على أرواح المشاة. ويفكرون في وضع المصاب على الارض الى أن تحضر سيارة الاسعاف لان المصاب يتألم من حملهم اياه بغير نقالة ، ويهيب مندوب عطارد بهوراس أن يعطيهم معطفه ليفرشوه له فوق الثلج • فيستنكر ذلك لانه معطف ثمين من وبر الجمل . فيرفع مندوب عطارد اصبعه ، واذا هوراس يترنح يمينا ويسارا وينكمش كأن عشرين رجلا ينهالون عليه ضربا ، ويصيح معلنا استعداده لخلع معطفه ثم يخلعه فعلا ويفرشه للمصاب على الجليد ، فيوسدونه فوقه وتنحني زوجته الشابة عليه لتشجعه ، والمصاب يتوجع لحالها وما ستصنعه مع الاطفال وهو راقد في المستشفى ولا مورد لهم سوى اجره اليومي الذي سينقطع ••

ويقول مندوب عطارد لهوراس أن هذه فرصته لتقديم العون • ويلمح هوراس بوادر الشر في عيني مندوب عطارد فيتوسل اليه • أن يرحمه فكل ما في جيبه الان أوراق من ذات العشرة جنيهات •

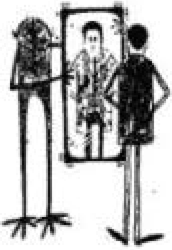
المندوب : أعط كل ما معك لامرأته • كله ! والا ألقيتك على الارض متوجعا مثل توجعه

ويهم المندوب برفع يده فيسرع هوراس بإعطاء زوجة المصاب مجموعة من الاوراق المالية يدفعها في يدها دفعا كمن يريد ان ينتهي من مهمة اليمة ، ويحمل الناس منه ذلك على محمل الكرم ، فيدعون له ، وهو ضيق بشكرهم ودعائهم لشدة ما به من غيظ ، فيحملون ذلك منه على محمل الحياء والتواضع ، ويزدادون له شكرا ، ويكون الطبيب قد وصل من بيته القريب بعد أن دق احدهم بابه ، فيشد على يد هوراس ويشكره بحرارة • ثم تحضر ناقلة الاسعاف وتحمل المصاب ويتفرق الجمع •• ويأخذ هوراس في مناشدة مندوب عطارد أن يعتقه لوجه الله وكفاه ما تلقى من دروس في الرقة والايثار ، ولكن مندوب عطارد يهز رأسه باصرار

هوراس : ماذا ؟ هل بقى شيء آخر تعذبني به ؟

المندوب : بل أعلمك به ! اسمع !

ويسمع صوت بائع صحف مقبلا ينادي على طبعة خاصة تحمل نبأ افلاس اكبر بنك في المدينة • وتفتح أبواب البيوت ومنها بيت مسز كلارنس ويشترى الناس الصحف• ويشتري هوراس نسخة ما أن يرى عناوينها الضخمة حتى يصرخ :



هوراس : قضى على ! ضاع كل مالى ! أفلس البنك الذى بــه كل ثروتى !

المنعوب : هون عليك . كثيرون فى الدنيا فقراء مثلك . لست الفقير الوحيد

هوراس : هذا أمر فظيع . كنت غنيا جـدا وأنا الان لا أملك شروى نقير !

المنعوب : أنت ترى ذلك أمــرا فظيعا لانه اصابك انت . اما افلاس الاخرين وفقرهم فلم يحـرك فيك ساكنا . هيا بنا نسمع ما يقولـه الناس داخل الدار عن الكارثة التى حلت بك

***

ويشير المندوب بيده فتضــاء النوافذ ونسمع فى الداخل صوت ربة الــدار وديسى والعمة مارتا يتناقشون فى افـلاس هوراس . وتبدى مسز كلارتيس ربـة البيت شماتة به ، وتتمنى الا يكون الافلاس مس ميمى والعمة مارتا . فتقــول العمة مارتا انهما سحبتا رصيدهما من ذلك البنك منذ اسبوعين بناء على نصيحة صديق ، ولــكن هوراس رفض تلك النصيحة . وان على ابن اخيها الان ان يبحث عن عمــل . ولكن ميمى تذكرها بأن هوراس لا يحسن أى عمل من الاعمال ، وتتوجه الى ديسى بالرجاء ان كان يحبهــا حقا ان يتوسط له فى الحصول على أى عمل يعيش منه !

***

ويناشد هوراس مندوب عطارد ان يرحمه من هذا العذاب ويسمح له بالانصراف الى بيته ليفــكر فى أحزانه ويدبر شئونه . فما شاهده الليلة يصلح مادة لكتــاب يبيعه ويحصل على شىء من المال يعيش منه او فى وسعه أن يبيع البيت ويقيم فى حجرة مفروشة ويجعل من ثمن البيت رأس مال يعيش منه . فمندوب عطارد لم يتمكن من هزيمته رغم هذه الكوارث كلها ..

المنعوب : ربما ! ولكن اسمع !

وتنطفىء انوار البيت ، ويسمع من بعيد صوت سيارة الحريق

المنعوب : ألا تحــدثك نفسك بالمساعدة فى اطفاء هذا الحريق ؟

هوراس : يا للحماقة ! هذا عمل رجال الاطفاء الذى يتقاضون عنــه أجورهم وليس عملى انا

المنعوب : عندنا فى عطــارد كل شىء من شأن كل انســان . فكل واحد يقدم للاخرين ما يستطيع ..

وفى هذه اللحظة تقبل الخادمة بللا وهى تجرى بكل قوتها ، وتدنى

جرس باب مسز كـــلارنس وتعلن للخادم الذى يفتحه لها انها تريـد سيدتها على عجل لان النار شبت فى البيت !

ويهم هوارس بالجرى . ولكن مندوب عطارد يمنعه باشــارة من اصبعه ويذكره بأن أطفاء الحرائق من شأن الرجال الذين يتقاضون مرتباتهم للقيام بهـذا العمل . ويناشده هوارس أن يقتله دفعـة واحدة خيرا من هذا العذاب المتقطع. فيجيبه أنه سيفعل به ما هو أقسى من الموت . سيتركه معدما بلابيت يتسول لقمته فى الطرقات مثل ذلك الشحاذ الذى طرده اليوم بلا رحمة

***

ويقبل فى هذه اللحظة الشحاذ فلا يعرف هوارس ،ويحادثه فيسأله ماذا يصنع فى الشـــارع فى هذه الساعة ؛ فيقول انه لا ماوى له وقد ذهبت ثروته واحترق بيته ،فيرحب به المتسول ترحيب الزملاء ويدعو للتعاون معه فى الاستجداء نظير فتح أبواب السيارات واستدعاء سيارات الاجرة وتنظيف السلالم للسيدات والسادة من الجليد المتراكم

ويشرعان فى تنظيف سلالم بيت مسز كلارنس بقطعة خشب يعثران عليها فى الشارع ، ويبـدأ المدعوون فى الانصراف والشحاذان يقـدمان التحيات ويذكران ما صـنعاه من خدمة ، فيجدان فظاظة تشبه تماما فظاظة هوراس مع الفقراء والضعفاء وتظهر ميمى مع ديسى فى فرجة الباب . فيهم هوراس بالتوارى . ويصيح الشحاذ ان هذه بعينها ابنته التى فقدها . فهى الان تشبه أمها تماما . ويريد ان ينـدفع اليهـا ويخبرها بالحقيقة ، وعندئذ يمنعه هوراس بكل قوته ويقول له أن تلك المفاجاة ستحطم مستقبلها وتفقـدها مكانتها وخطيبها حين يرى النـاس والدها فى هذه الهيئة الزرية . وأن من واجبه وقد هوت به الحياة الى هذا الدرك الاسفل ان يتركها تتمتع بالحياة ولا يهوى بها الى مستواه .

هوراس : هناك شىء اسمه حنان الاب ، وهذا الحنـان يوجب عليك التضحية !

وعندئذ يبتسم مندوب عطـــارد ويقول له :

المندوب : لقد بدأت أخيرا تتعلم ما هو الحب الحقيقى !

***

وينصرف اخر الضيوف من غير ان يحصلا على بنس واحد . فيطرق هوراس باب مسز كلارنس ويعرفها بنفسه تحت الحاح جوعه وجـوع زميله ، ويطلبان شيئا من بقــايا المأدبة . ولكن مسز كلارنس تتنكر له وتطرده بلا رحمة . ويكاد يسقط الشحاذ على الارض من الاعياء لانه لم ياكل شيئا منذ امس . فيسأل هوراس مندوب عطارد ماذا يصنع له بعد هذا وهو متالم أشد الالم ، فيطلب اليه ان يفتش فى جيبه . ويطيعه هوراس ويجد ورقة من فئة الجنيه الواحد يكاد يطير به فرحا . ويصيح بزميله :

هوراس : معي جنيه يا صاحبي ! سننفقه مناصفة ! منـــاصفة يا صاحبي .

وينزل الستار عن الفصل الثاني

***

ويرتفع الستار عن الفصل الثالث فاذا نحن في نفس منظر الفصـــل الاول . وهوراس نائم في مقعـده الوثير وصوت سيارة الحريق يدوى في الخارج ، فيستيقظ وينظر الى ملابسه النظيفة من كل اثر الثلج ويدرك انه كان نائما . ومع هـــذا ينهض بسرعة ويطل من النافذة ثم يعود الى خزانة المعاطف فيأخذ كل ما بها ويجرى الى الخـــارج لان المنكوبين الناجين من الحريق بثياب النوم سيحتاجون اليها !

وما ان يخرج حتى تدخل العمـة مارتا وميمى . ولا تجـــدان اثرا لهوراس ولا لمعاطفه وقبعته فتتعجبان لخروجه في هذا البرد قبيل الفجر . وبعد لحظات يقتحم الحجرة عددمن الاطفال والنساء والشيوخ المذعورين المشعثين وقد ارتدى بعضهم معاطف هوراس . وتنزعج العمة مارتا ولكن بعضهم يفسرون لها الأمر وانهــم حضروا بدعوة من مستر باركر رب البيت ،وتتبادل العمة مارتا وميمى النظرات في دهشة ثم «تنهمكان في العناية بالاطفال وتدفئتهم

***

وبعد قليل يدخل هوراس ومعه الطبيب الذى رأيناه في الفصـــل السابق ، وينصرف الطبيب لتضميد بعض الحروق . وينصرف هوراس مع ميمى الى تـــوزيع اللاجئين على حجرات النوم . ثم يتنازل هوراس عن حجرته لطفل جريح ويختارالنوم على أريكة في حجرة الجلوس ..

وحين يتم اعداد كل شيء ولايبقى الا هوراس وعمته وميمى في حجرة الجلوس ، ويأخذ في أعداد الاريكة لنومه، حتى تقبل عليه عمته لتعتذر اليه عن التوبيخ الذى صبته عليه في اول الليل ، ولكنه يؤكد لها أنهـا كانت على حق حينئذ ، وأنه قدأدرك غلطته . فتقبله عمته مسرورة به . وتخرج الى حجرتها وعندئذ تتقدم اليه ميمى . ولكن قبـــل ان تتكلم يندفع في الاعتذار لها عن كل ما سببه لها من شقاء بجفـــاف طبعه وانانيته . ولا يقبل منها أى احتجاج

ميمى : بل انا التى لم احســـن فهمك يا هوراس

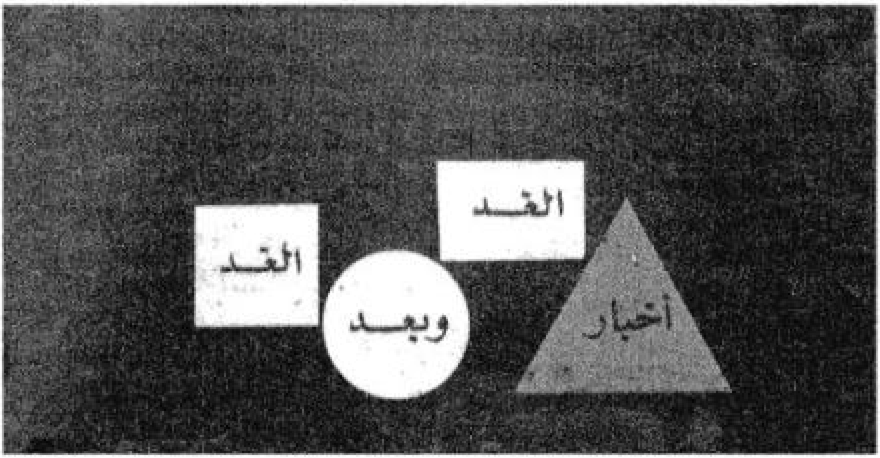
هــوراس : بالعكس ! انت التى غيرت مجرى تفكيرى بموقفك الحازم منى حين رددت الى الخاتم . وكل ما أرجوه منك ان تصـــدقى الان اننى بحاجة شديدة الى مســـاعدتك كى تجعلى منى رجلا آخر

ميمى : مساعدتك ؟ كيف ؟

هوراس : « يتناول الخـــاتم من فوق المنضدة » بأن تســـمحى لى أن يضع هوراس الجديد هذا الخاتم في اصبعك

وتمد اليه ميمى يـــدها ليضع الخاتم في اصبعها

بينما ينزل ستار الختام

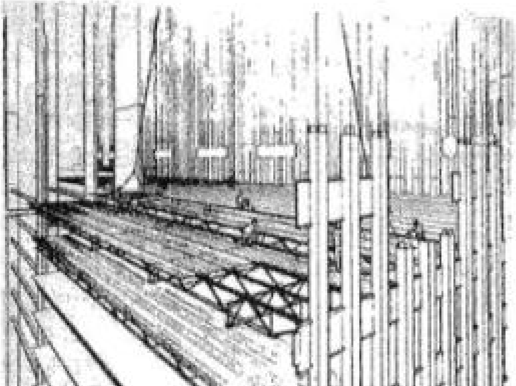


يواصل العلماء الليل بالنهار لتوفير الراحة والسعادة لي ولك ولكل الناس . وفي كل يوم ، بل في كل ساعة تكتشف عقولهم الجبارة حاجات جديدة . انهم يؤمنون بأن الغد هو أمل البشرية في الراحة والرفاهية

* فعندما بنى الامريكان أعلى وأضخم عمارة في العالم وهي الامباير ستيت Empire State

* ارتفاعها ٢٥٠ مترا تقريبا ».. لم يصدق الناس أن عقل الانسان الجبار وقوته المحدودة يمكن أن يبني هذه الخوارق .. تماما كما كان يظن بعض الناس استحالة بناء السد العالي وتحويل مجرى نهر النيل

لكن هذه الخوارق والمستحيلات صارت



رسم تخطيطي للطريقة التي سيبني بها عمالقة الغد ؟

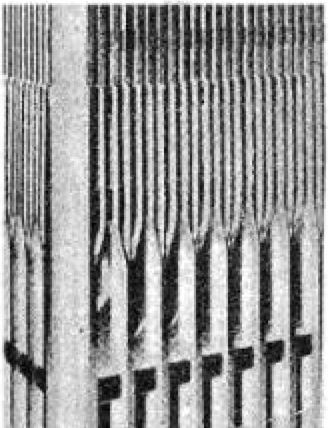


حقائق .. العرب سيحتفلون ببناء المرحلة الاولى من السد العالى وتحويل مجرى نهر النيل فى ١٥ مايو ، منتصف هذا الشهر ، والامباير ستيت صارت موضة قديمة لا تلائم تقدم الانسان فى عصر الصواريخ ومحطات الفضاء ..

ان أحد المهندسين الامريكان قد وضع مشروع عمارتين تجعلان ناطحات السحاب وكأنها أقزام . ففى حى منهاتن بنيويورك سوف تبنى عمارتان يبلغ ارتفاع الواحدة ٤١١ من الامتار . وكل منهما يحتوى على ١١٠ طوابق ، وستستخدمان كمركز للتجارة العالمية World Center of Commerce

صورة رائعة لعملاقى الغد !

أعمدة الخرسانة عصب عمارات الغد !



والعقل الذى فكر فى هاتين العمارتين وقام بعمل نموذج لهمـــا هو المهندس اليابانى الاصل ، الامريكى المولد مينوروياماساكى
Minoro Yamasaky

وهذا البناء الضخم سيتكلف ٣٥٠ مليون دولار ، وستتكلف اجور العمال والمهندسين الذين ســـيشتغلون هذا المشروع حوالى ٢٠٠ مليون دولار

والمعروف عن هذا المهندس فى تصميماته الانشائية انه لايستخدم الحديد والالومينيوم والزجاج فى مبانيه فقط ٠٠ ولكنه ايضـا يحب الفخامة والعظمة فى منشآته

والعمارتان ستقامان على ارض مساحتهــا ٦٥٠٠٠ من الامتار المربعة ٠ ولان العمارتين سيكون موقعهما فى حى منهاتن وهو قلب نيويورك النابض بالحيـــاة والحركة ، فقد تعرض هذا المشروع الضـــــخم لكثير من الاعتراضات من الســـكان الذين عليهم أن يخلوا مساكنهم الحالية التى ستهدم ٠ولذلك فانهم سيعوضون عنها بمبالغ خيالية

والخبراء يقولون أن الأرباح التى ستعود بعد البناء سوف تعوض هذه التكاليف كلها فى وقت قصير ٠ فمساحة المـــكاتب التى ستؤجر ستكون حوالى ٩٢٩٠٠٠ متر مربع وايجار المتر المربع الواحد حوالى ٧٠ دولارا٠ وهذا الايجار ستدفعه الشركات التى ستشغل هاتين العمـــارتين ٠٠ وهى شركات التامين والتصدير وادارات الشركات الصناعية ٠٠ وغيرها ٠٠

ويقدر عدد الذين سيعملون داخل هاتين العمارتين يوميا بحوالى ٥٠٠٠٠ شخص ٠ وسيكون عدد الزوار من انحاء العالم اسبوعيا حوالى ٨٠٠٠٠ شخص

وسيبنى فندق كبير بجوار هاتين العمارتين يحتوى على ٦٠٠ حجرة مزودة بكافة وسائل الراحة الحديثة ٠ والعمارتان نفســـهما ستزودان بصالات عرض تجعل الزائر يرى كل انواع البضاعة الامريكية المعدة للتصدير الى الخارج٠٠مما سيكون دعاية كبيرة لانتعاش الاقتصاد الامريكى ٠٠

واسفل هاتين العمارتين سيبنى جــراج ضخم تسير فيه شـــبكة الخطوط الحديدية محفور تسير فيه شبكة الخطوط الحديدية التى تربط نيويورك كلها ٠ وســـــيكون بالعمارتين حوالى ٢٣٠ مصعدا لتوصـــــيل الموظفين الى اماكن عملهم ٠ وستكون هذه



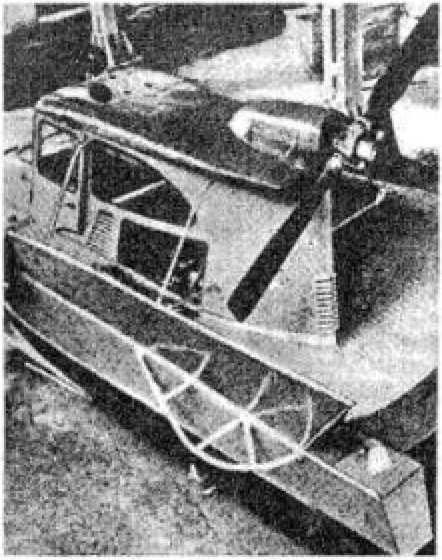
المهنـــــدس الذى صمم عملاقى الغد ، انه يابانى الاصـــل امريكى المولد

المصاعد على ثلاث مجمــــوعات : الاولى من الطابق الارضى الى الطابق الـ ٤١ ٠ ثم من هذا الطابق تبدأ المصاعد من النوع السريع « الاكسبريس » حتى الدور الـ ٧٤ ٠ ومن هذا الطابق تبدأ المصـــاعد ذات السرعة العادية ٠٠

وسيكون للعمارتين برجان يبنى كل منهما من الصلب الغير قابل للصدأ ٠ أما العمارتان نفسهما فستحملهما أعمدة من الصلب بين كل عمود والاخر مسافة طولها متر واحد ٠ وبين الاعمدة توجد الواح بللورية عرض كل منها ٥٠ سم ، وارتفاعه هو ارتفاع الطابق كله ٠٠

بقى أن تعرف أيهــا القارئ، أن اعجوبة القرن العشرين سينتهى العمل فيها عام ١٩٧٠ ٠٠ وسيبدأ البناء فى العام القادم ١٩٦٥ ٠٠

مواصلات حديثة



انا نعرف ان مناخ شمال الاتحاد السوفيتي مناخ جليدي . المياه تتجمد طوال ايام السنة . والطبيعة هناك تعارض بشدة انشاء شبكة مواصلات . والعلماء السوفييت لم يقفوا عاجزين امام هذه الطبيعة الجبارة . ان الطبيعة لم تعد عقبة في طريق تقدم الانسان ، فقد ابتكروا وسيلة مواصلات جديدة . انها سيارة جديدة تستطيع ان تسير فوق الثلج والجليد ، كما تسير فوق الماء وتطير في الهواء . وهذه السيارة تدفعها قوة المروحة المركبة فوق ظهرها .. وبذلك لا يعوقها احتكاك الماء وضغطه وكذلك الجليد المتراكم ..

ان هذه السيارة الجديدة ستحمل البريد والغذاء الى اهل الشمال ..

تليفون جديد

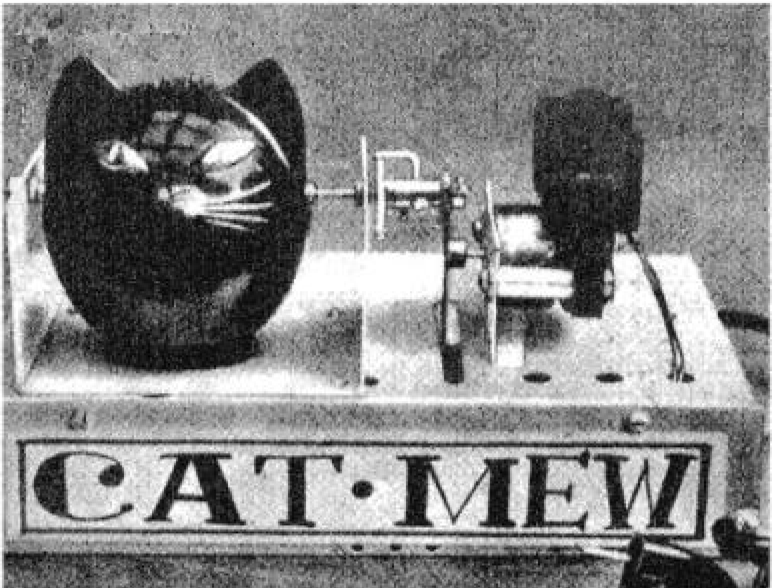


ان السويسريين مشهورون بالصناعة الدقيقة .. ولكنهم صنعوا هذه المرة آلة تليفون عجيبة . ان هذه الالة توجد بها اسماء المشتركين الذين تتصل بهم دائما . وهي منقوشة على تذاكر بها ثقوب خاصة . وعندما تطلب الرقم الذي تريده عليك بوضع التذكرة المكتوب عليها الاسم في الثقب .. فتقوم هي بادارة الرقم ، وتوصلك اوتوماتيكيا بمن تريد محادثته

وآلة التليفون الجديدة تستطيع ان تستخدمها ايضا مباشرة كجرس خاص ويصلك بالموظفين اذا كنت احد المديرين في شركة او مؤسسة .. وذلك اذا ضغطت على زر معين

فالفئران كثيرة التوالد ، والمصايد الآلية لم تعد تنفع في القضاء عليها وعلى الامراض التي قد تسببها • واحدث مصيدة بطريقة علمية صنعت في اليابان • انها قطعة صناعية تستطيع ان تستخدم مجموعة منها كديكور لمنزلك • وهي تضاء بالكهرباء ، وتستطيع ان تستخدمها بالليل فانها تحدث صوتا يشبه مواء القطط الذى تخشاه الفئران لتهرب من بيتك • والصوت الذى يحدثه هذا الابتكار الجديد لا يكون مستمرا ، وانما متقطعا •• كل بضعة دقائق حسبما تريد ، وبالاضافة الى ذلك فان العينين تضاء اوتوماتيكيا ايضا •• كأنها عيون قط اليف « بطفش » الفئران

مصيدة القط





✱ كتب **صلاح جلال** المحرر العلمي « بالاهرام » : ان استكمال حفر انفاق السد العالي واستكمال بناء اساسات محطة الكهرباء عند مخارج الانفاق ، ليس عملية هندسية معجزة .. بقدر ما هو اكتشاف لقدرات الانسان المصري على ان يصنع الكثير ..!

✱ في راي الدكتور **احمد كمال زكي** : اننا نحب ان يكون لدينا ادب مقاومة ، ولكننا نحب اكثر ان تكون المقاومة في حدود امكانياتنا الاصيلة ، فلا نصرخ ، ولا نكابر ، ولا ندعي ما لا طاقة لنا به ، فأدبنا ـ وخاصة ادب النكبة الفلسطينية ـ لم يزل في دور التعبئة والانتظار ، وكل ما صدر منه ليس في حقيقته اكثر من محاولات اجهاض لجنين لم يكتمل نموه بعد ..

✱ يقول **الدكتور عز الدين اسماعيل** في الآداب : انه مهما غلا ادباء « الفن للفن » ، فان الفن ، والشعر منه بخاصة ، يبقى يتلاحم في الحياة والكون والانسان ، فالفن والبيئة حتمية كونية ، ونبع يستقيان منه مادة حياتهما ..!

✱ كتب **رجاء النقاش** يقول : ان العقاد كان ركنا ضخما من اركان الثقافة العربية ، أقنع القارىء المصري بالحضارة المصرية من خلال الثقافة العربية نفسها ، وساهم مساهمة واعية في احياء الفكر الكلاسيكي العربي ، وألبسه ثيابا مصرية مقبولة .. وهذا مجهود ضخم لم يكن يقوى عليه الا عقل العقاد وعمقه ..!

✱ قالت **مجلة « الحوادث »** ردا على الاديب اللبناني سعيد عقل : ان الناقد المتاز ليس مضطرا ان يجمع موهبة التأليف والوضع الخلاق الى موهبة حسن استقراء النصوص الادبية والمقابلة بينها وتحليلها ، فالناقد في مهمته هو واسطة بين الاديب والجمهور .. ومهمته القاء الاضواء الكاشفة المنطلقة من ذوقه وثقافته

✱ قال **محمود تيمور** : ان القصصي كالممثل ، له في حياته الخاصة شخصية واحدة ، ولكنه يستطيع ان يتقمص كل يوم شخصية جديدة .. طبعا بعد ان يدرس ابعادها ويعيش في جوها ..

✱ يقول **موسى صبري** : اننا اذا اردنا ان نتمرس على النقد والنقد الذاتي .. ليجب ان نبدأ بأنفسنا ، يجب ان نقدم القدوة والمثل .. ومن العار أن تنقلب معارك النقد بين الكتاب الى مناحات لتبادل الشتائم والسباب

✱ في راي **نعمان عاشور** : ان المسرح فن جديد على ادبنا العربي يتخذ اللغة ـ وسيلة ـ كأي لون آخر من الوان الادب .. لكن لغة المسرح تخضع لقواعد .. غير ما تخضع له لغة الكلام المكتوب على الورق .. وفي رايي ان الذي يطلقون عليه اللغة العامية في المسرح .. هي أحسن وسيلة تعبير صالحة للجمهور

✱ قال **انيس منصور** في « المصور » : انه يتمنى أن يترجم كتاب الاديب دنيس دي ريمون « العذاب والمجتمع » الى اللغة العربية فهو مجهود صادق من باحث مخلص ، وفيه محاولة مستمرة للبحث عن مفتاح ، ولو صغير ، لقلب الانسان من مئات السنين

* كتب **محمد صدقى الجباخنجى** يقول عن الفنان محمود سعيد الذى توفى فى الشهر الماضى : لقد عاش محمود سعيد لفنه أكثر من أى شىء آخر ، وهو قد أتم رسالته .. فاستحق تكريم الدولة له . طالب بأن توضع سيرة حياته فى كتاب ، وأن توضع لوحاته فى متحف دائم له !

* كتب **محمد فريد ابو حديد** فى مجلة «الثقافة» : انه عند موازنة الادب فى عصرين يجب الا يكون المقياس النظرة الفنية أو عناصر التجديد والتجريب ، وانما يجب ان يقترن هذا كله بمقياس هام وهو علاقة الادب بالحياة فى كل من العصرين

* يقول **الدكتور زكريا ابراهيم** فى « قافلة الزيت » : ان البيئة الاجتماعية قد تتسبب فى ارتفاع نسبة النكات السخيفة او الفكاهات المبتذلة نظرا لان من شأن الوسط الاجتماعى ان يضعف لدى الافراد القــــدرة على التمييز ، كما ان بعض المجتمعات قد تعمل على تنوع الفانين النكتة

* كتب **ستيفن سبنــدر** فى مجلة « سترداى ريفيو » الامريكية فى مقال عن كتاب السير : ان انتشار شى شذوذ العظماء يعنى نوعا من الطبقية ، ذلك ان كل ما يحدث فى حياة الرجل العظيم ايا كان طابعه الخاص ، له اثره فى نفس الرجل وفى عمله ومهنته

* يقول **الدكتور سهيل ادريس** فى مجلة « الآداب » البيروتية عن ادب النكبة فى العالم العربى وعدم ارتفاع مستواه : ان حداثة النكبة على ادبائنا لا يبيح لهم الاستبطان العميق الذى يتطلبه الانتاج الادبى بوجه عام ، كما ترجع الظاهرة الى التأزم النفسى الذى يعانيه المفكرون العرب من اثر النكبة

* طالب **الدكتور راشد البراوى** فى « الثقافة » برفع سن الزواج الى ١٨ ، ٢٠ سنة لكل من الفتاة والشاب على التوالى ، والقيام بدعاية علمية مركزة فى جميع الاوساط لبيان المضار الناجمة من اطلاق حرية انجاب الاطفال

* كتب الدكتور **حسين فوزى** فى « **الأهرام** » يقول : ان الفن بحاجة الى العناية برواده ، ورعايتهم ، ولا يكفى ان تقام المعارض وتفتح المتاحف دون امداد روحى وعقلى ، وشرح وتحليل لناحية العمل الفنى فى العمارة والصورة والتمثال

...وأخبارهم

* « دراسة نقدية » اسم أحدث كتاب يصدر ليحيى حقى

* خلال هذا الشهر يقيم مجلس الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ثلاث رحلات الى اسوان

* ستصدر لجنة الفنون التشكيلية بمجلس الفنون مجلة جديدة عنوانها «مجلة الفن التشكيلى » يرأس تحريرها الفنان الانطباعى يوسف كامل ، ويدير تحريرها الفنان بدر الدين ابو غازى

* اصدر مجمع اللغة العربية الجزء ١٧ من مجلته التى يرأس تحريرها زكى المهندس نائب رئيس المجمع

* سعد الدين وهبه يصدر له كتاب

بعنوان : « فى السينما والمسرح »

* « دراسات فى الرواية المصرية » كتاب جديد للدكتور على الراعى رئيس مجلس ادارة فنون المسرح والموسيقى ..

* زار القاهرة فى الشهر الماضى الصحفى الفرنسى كلود استيبه رئيس تحرير صحيفة « ليبراسيون » .. بدعوة من مصلحة الاستعلامات

* من التقاليد البوذية ان يقضى كل مؤمن شطرا من حياته .. وربما كل حياته ان كان من الصالحين — يرتدى مسوح الرهبان ويعيش معيشة التقشف والزهد

* لمناسبة الاحتفال الكبير باتمام المرحلة الاولى من مشروع السد العالى ، تصدر مصلحة السياحة بالجمهورية العربية المتحدة كتابا عن اسوان باسم « مذكرات سائح »

* تخرج فرنسا فيلما عن شاعر بريطانيا اللورد بايرون المتوفى فى القرن التاسع عشر . القصة من تأليف كاتب السير الفرنسى المعروف اندريه موروا

* اكتشف فى المكسيك آثار مدينة قديمة تضم ٣٤ هرما .. يقال انها ترجع الى عصر امبراطورية الازوتيك . تم الكشف على يد بعثة من الباحثين من جامعة السوربون الفرنسية

* تحتفل فرنسا قريبا بمرور ٧٥ سنة على اقامة برج ايفل . يصدر شارل بريبان مدير دار المحفوظات الاهلية السابق كتابا عن البرج من وجهة النظر الاوربية

* صدر فى نيويورك كتاب بالانجليزية عن « الموسيقى الشعبية فى مصر » . الكتاب من تأليف بياتريس ماكلين زوجة مدير الجامعة الامريكية فى القاهرة ، سابقا

* أعلنت وزارة الصحة فى جمهورية المانيا الاتحادية ان ١٠٠ الف يموتون سنويا بسبب اضطرابات الدورة الدموية ، وان ضحايا السرطان ١٢٠ الفا فى السنة

* « اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى » اسم كتاب (٧٠٠ صفحة) للدكتور محمد مصطفى هدارة ، وفيه يعالج اثر البيئة والعوامل الاجتماعية التى اثرت فى الشعر والشعراء

* صدرت فى بيروت طبعة جديدة حققها لفيف من الباحثين لكتاب « مجمع البيان فى تفسير القرآن » تأليف الشيخ ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

* اكتشف على مقربة من مطار النزهة بالاسكندرية بحيرة يعيش فيها سمك متوحش يعيش تحت اعشاب يصعب الوصول اليها . يقدر الخبراء فى علم الاحياء المائية ان هذا السمك عمره حوالى ٥٠ سنة

* تهدى مدينة الاسكندرية نموذجا لفنارها القديم « فاروس » مصنوعا من الفضة ، الى نيكيتا خروشوف . خروشوف يزور الجمهورية العربية المتحدة هذا الشهر حيث يحضر الاحتفال بتحويل مجرى النيل

* تزور القاهرة فى اول اغسطس القادم ولمدة اسبوعين فرقة الرقص الشعبى الرسمية فى جمهورية الصين الشعبية . الفرقة تضم ٧٠ راقصا وراقصة

* صدر فى نيويورك طابع بريد تذكارى لمناسبة افتتاح المعرض الدولى . الطابع يحمل صورة للكرة الارضية وهى رمز المعرض

* تدل الاحصائيات الرسمية عن سنة ١٩٦١ — ١٩٦٢ ، ان فى بريطانيا ٩٢ شخصا فقط يزيد دخل الواحد منهم على ١٠٠ الف جنيه فى السنة

* تقرر فى نيودلهى الا يدعى اكثر من ١٠٠ شخص الى اية حفلة تقدم فيها الاطعمة المصنوعة من القمح ، وذلك بسبب وجود ازمة فى المواد الغذائية

* احدث قصة **لمحمود تيمور** بعنوان : « الطاقية » لم يفرغ من كتابتها حتى الآن

* الفرديرى **محمد خليل** يحضر لرسالة ماجيستير فى فرع جامعة القاهرة بالخرطوم عن « السحر عند قبائل جنوب السودان » يشرف على هذه الرسالة الدكتور على احمد عيسى استاذ الاجتماع بجامعة الاسكندرية

* **جمال العطيفى** اول عربى ينال دكتوراه فى القانون من الصحافة

* ستنشىء **وزارة الصحة** اول مستشفى تجميل فى الشرق . سيتكلف المستشفى

١١٠ آلاف من الجنيهات

* زار المؤرخ الانجليزي **ارنولد توينبي** الجمهورية العربية المتحدة ، والقى عدة محاضرات فيها ، قال عن السد العالي انه عمل عظيم يفخر به شعب الجمهورية العربية المتحدة ، وسوف يساعد على تدعيم خطة التنمية ، غادر القاهرة في صباح ١٩٦٤/٤/١٤

* في اول مايو الحالي سيعقد مؤتمر المرأة العربية الفلسطينية في قطاع غزة ، تشترك في المؤتمر وفود تمثل المرأة الفلسطينية في الدول العربية

* اول هذا الشهر تصدر وزارة الثقافة والارشاد القومي بالجمهورية العربية المتحدة مجلة شهرية عن الكتاب العربي ، يرأس تحريرها علي ادهم ، وستتخصص في عرض ونقد وتحليل اهم الكتب التي تصدر في مصر والعالم

* احدث ديوان شعر لصلاح عبد الصبور صدر في الشهر الماضي بعنوان : « احلام الفارس القديم »

* في الجمهورية العربية المتحدة ٢٤ نادي لكرة القدم من الدرجة الاولى بخلاف مئات من نوادي الدرجة الثانية ، والنوادي الخاصة

* لورد ستيفن رانسمان اكبر مؤرخ انجليزي لتاريخ العصور الوسطى والحروب الصليبية زار القاهرة في الشهر الماضي

* في ٧ من هذا الشهر يصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف الكتاب رقم ٢٩ من سلسلة أعلام العرب عن احمد زكي ابو شادي الملقب بشيخ العروبة تأليف أنور الجندي

* « الطريق » قصة **نجيب محفوظ** الجديدة صدرت عن مطبعة مصر في ١٨٨ صفحة وثمنها ٢٠ قرشا

* الفنان **صلاح طاهر** مدير دار أوبرا القاهرة اقام معرضا للوحاته في الغرفة التجارية . افتتحه الدكتور حاتم

* مسرحية سارتر « سجناء الطونا » ستمثل على مسرح الحكيم بالقاهرة

* اول هذا الشهر يقام بالقاهرة مهرجان الفيلم الهندي

* صدر في القاهرة **لاحمد نجيب هاشم** سفير الجمهورية العربية المتحدة في ايطاليا كتاب بعنوان : « جمهورية ايطاليا » الكتاب الفه ايطاليان هما : جون آدامز ، وباولو باريللي

* « سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » لابن نباته المصري نشرته دار الفكر العربي ، وحققه محمد ابوالفضل ابراهيم

* الدكتور عبد العزيز السيد وزير التعليم العالي قرر اعفاء الطلبة الفلسطينيين في جامعات ومعاهد الجمهورية العربية من اداء الرسوم الاضافية المقررة

* « حتى يعود القمر » قصة طويلة تصدر لمحمود السعدني المحرر في « روز اليوسف » و « صباح الخير »

* الشاعر الليبي راشد الزبير السنوسي أصدر ديوان شعر في ٩٣ صفحة في بيروت

* مات في الشهر الماضي محمد مصطفى حمام الشاعر والزجال والكاتب والصحفي ، وكان مصطفى حمام يعرفه اهل الفن والادب راوية مجيدا ، كان بيرم التونسي في بعض الاحيان يرجع اليه اذا نسي شعره ..

* من قرارات مؤتمر تنمية أسوان الذي عقد في الجمهورية العربية المتحدة انشاء مصح عالمي يضم ٥٠ غرفة ومزود بأحدث الاجهزة

* يقيم مجلس الفنون والآداب بالقاهرة معرضا لأعمال الفنانين التشكيليين العرب خلال شهر اغسطس القادم في اثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي الثاني

* محمود سامي احمد مراقب النشر بالمؤسسة المصرية العامة للتأليف تصدر له هذا الشهر قصة بعنوان : « الماس »

..واخبارها من ٧٠ سنه

* قالت « الهلال » ان اللغة القبطية كانت لغة قدماء المصريين ينقشونها على آثارهم بالاحرف الهيروغليفية . اما الحرف الذى تكتب به الآن فهو الحرف اليونانى اتخذه الاقباط منذ تسلط اليونان عليهم ، نظرا لسهولة كتابته واختصاره بالنسبة للحروف الهيروغليفية

* قرر مجلس النظار تخصيص ١٥٠ الف جنيه لاقامة دار جديدة للمتحف المصرى بعد أن تعالت الشكوى من جانب الجمهور والصحف بسبب بعد المتحف القديم عن العاصمة

* جاء فى مجلة « الهلال » ان اسم ابو الهول فى اللغة القبطية القديمة هو « حورمخى » اى شمس الافقين ، يعنون بذلك الشمس فى حالى الشروق والغروب

* ذكر المستر لنكستر العالم بالطيور انه رأى بعضا من الطيور البحرية وهى تطير سبعة أيام متوالية بلياليها وتقطع ١٦٠ كيلومترا فى الساعة دون أن تتعب

* فى تقرير للبوستة المصرية ان عدد مكاتب البريد فى عام ١٨٩٢ بلغ ٦٠٣ مقابل ٢٩٢ مكتبا فى عام ١٨٨٩ ، وانه فى سنة ١٨٩٣ زاد دخل المصلحة على نفقاتها بمبلغ ٢٤٣٠٢ جنيه ، عدا ما تقلته الحكومة مجانا وتقدر قيمته بنحو ٤٠ الف جنيه

* بلغ عدد الجرائد فى القطر المصرى ٦٠ جريدة منها ٣١ عربية ، ٢٩ افرنجية بالرغم من أن عدد الذين يتكلمون بالعربية حوالى ٧ ملايين شخص مقابل ربع مليون يتكلمون باللغات الافرنجية . لم يبدأ صدور المجلات العلمية الا منذ سنة ١٨٨٥

* « تاريخ حياة المغفور له على باشا مبارك » ، اسم كتاب اصدره الدكتور محمد درى واعتمد فيه على كتاب الخطط التوفيقية لصاحب الترجمة

* تم فى يوم ٢٣ مايو الاحتفال بافتتاح المعرض السكندرى الوطنى

* جاء فى محاضرة القيت باجتماع فى لندن لجمعية التنقيب من آثار فلسطين : ان اقدم مراكز العمران السورى كانت فى جبل لبنان وليست فى البلاد الجنوبية

* اثبتت الابحاث وجود تل كبير بقرب الطاهنة فى الوجه القبلى ، يضم نحو نصف مليون طن من السماد الجيد اذ فيه مقدار كبير من املاح النيتروجين ، كما ان فى الارض هناك كثيرا من هذه الاملاح ، كذلك فالتلال شرقى القاهرة لا تخلو من الاملاح النيتروجينية والفسفورية

* ذكرت مجلة « المقتطف » ان الكتاب الاقدمين يقولون ان طاليس الحكيم نسب قوة الجلب فى المغنطيس وقطع الكهرباء اذا فركت الى روح كامنة فيها ، ولذلك يعتبر زعيما للعلماء الباحثين فى الكهربائية

* منح اول امتياز بالتليفون فى اوائل سنة ١٨٧٦ فلم تمض ١٧ سنة حتى اشترك فيه ٢٣٢ الف شخص فى الولايات ويتكلمون به كل سنة ٦٠٠ مليون مرة

* لايزال الخلاف ناشبا بشأن مجلس بلدى الاسكندرية ، وذكرت الصحف ان هناك اتجاهات مختلفة منها الغاؤه أو تغيير اعضائه أو تعديل قوانينه . سبب الخلاف موقف الاعضاء المصريين القومى



كتاب الشهر

زواج اليوم !

تأليف : جون واليس

عرض وتلخيص

صوفي عبد الله



الزواج

كلمة واحدة يستعملها جميع الناس ولكن معنى هذه الكلمة ليس واحدا عند جميع الناس . لأن هذا المعنى يختلف باختلاف نظر كل رجل وامرأة الى نفسه والى الحياة والى صلاته بغيره من الناس والى الصورة المثلى التى يريد تحقيقها من وراء تلك العلاقات

ولكن الاكثرين ينظرون فى هذه الايام الى الزواج نظرة عملية فى الغالب ، والسبب فى هذا ببساطة أن نظرة الناس الى الحياة فى عصرنا هذا تغلب عليها الصبغة العملية . ونظرتهم الى انفسهم لا تخلو ايضا من هذه الصبغة ، فالزواج عندهم شركة تقوم على اتفاق المصالح والاهداف واقامة بيت واحد . والبيت فى هذه الحالة مكان يحتاج الى أثاث وتجهيز . فكل شىء فى نظر هؤلاء العمليين لابد ان يحسب له حساب عملى تراعى فيه المطلوبات والامكانيات .. أما ما عدا ذلك فليس له اهمية كبيرة

وفريق آخر من « المصريين » ينظرون الى الزواج نظرة حسية . او بعبارة أدق نظرة جنسية . فاساس الزواج الموفق عندهم أن يكون هناك توافق جنسى بين الزوجين . وما عدا ذلك فهو عندهم فضول لا يقدم ولا يؤخر كثيرا . ومثل هؤلاء متى بردت حدة انفعالاتهم الجنسية بعد فترة من الزواج راح كل من الزوجين ينشد للذاته منهلا آخر لم تخلق جدته ولم تذهب طرافته وطلاوته . والى هذا الفريق من المصريين تعزى تلك النسبة المرتفعة فى تعاقب الزواج والطلاق من غير مبرر ظاهر

وهناك فريق ثالث من المصريين ينظرون الى الزواج نظرة اجتماعية . فاهم خصائص الزواج عندهم أنه مظهر اجتماعى يتيح لهم الاستقبال والذهاب الى الحفلات والسهرات معا والقيام بالواجبات المظهرية المألوفة . وهؤلاء الناس يهتمون أشد الاهتمام بفخامة حفلات الزفاف وباختيار الاثاث والستائر وادوات المائدة الفضية ، فهم يتحركون دائما تحت الاضواء وكأنهم يعيشون فى واجهة كبيرة من الزجاج . ومثل هؤلاء قلما تسمع عن خلافات تقع بينهم لسبب بسيط وهو أنه لا « احتكاك » فيما بينهم . فكل منهم يحفظ دوره ويقوم بتمثيله وكأنه تحت أنظار مئات المتفرجين حتى وهم فى خلواتهم الزوجية !

وغير هؤلاء وهؤلاء من ينظرون الى الزواج نظرة دينية فهو فى اعتبارهم « رباط مقدس » وليس علاقة بشرية فى المقام الاول

وفى نهاية المطاف يأتى هؤلاء الذين ينظرون الى الزواج على اعتبار انه علاقة شخصية بين رجل معين وامرأة معينة . وهؤلاء هم الذين يرفضون النواحى المظهرية ولا يسمحون فى الوقت نفسه للجنس أو للمال أن يكونا العاملين الوحيدين فى اقامة تلك العلاقة التى تمتزج فيها عناصر شتى لتخلق شيئا جديدا بالكلية ليس جنسا وان لم يكن خاليا من الجنس . وليس شركة اقتصادية وان لم يكن خاليا من الاعتبار الاقتصادى . وليس وظيفة اجتماعية وان لم يكن خاليا من الاعتبار الاجتماعى . انه ذلك كله ولكنه شىء مختلف عن ذلك كله . كما ان الماء فيه من الاوكسيجين والايدروجين ولكنه شئ آخر غير هذين

❁❁❁

وحين نتكلم عن الزواج فلابد حتما من أن نتكلم عن شىء يسبقه فى عصرنا هذا بصورة او بأخرى .. وهذا الشىء هو الحب

ان كلمة الزواج تقترن فى الذهن بكلمة الحب . والعكس بالعكس . ولكن الحب لا يخلو من أن يكون نوعا من السحر يستولى على المرء . ولذا يقولون ان الحب اعمى . ولكن الخطبة والزواج ليسا أمرين لاإراديين كالحب ، بل هما قراران اراديان جدا .

فكيف نختار شريك الحياة ؟

انا اذا سألنا كثيرين من الازواج لم يكن الجواب سهلا عليهم . وقد يرى الكثيرون منهم أن السؤال ليس عسيرا فحسب بل هو سخيف أيضا . وقد نسمع اجابات ليس بينها تشابه على الاطلاق من قبيل « احببت انه رجلى او امرأتى » أو « لقد وجدتها جذابة وظريفة وعاقلة » . او « رأيت لها مشية رشيقة تدل على شخصية قوية واعتداد بالنفس » . او « وجدت لديها الحنان والاهتمام والتهذيب او حب الفكاهة » .. !

وفي بعض الاحيان نسمع من المرأة :

— كان شديد الشبه بأبى الذى اعبده

أو نسمع من الرجل :

— كانت تشبه أمى فى كثير جدا من طباعها

أو نسمع من الاثنين :

— كانت بيننا أشياء كثيرة جدا مشتركة. كان من الممكن ان نكون توأمين . لقد خلق كل منا للآخر

والحقيقة ان كثيرا من افكارنا الاساسية من الزواج وحياة الاسرة ترجع فى نشأتها إلى ظروف طفولتنا . وليس معنى ذلك طبعا أن الانسان يريد حتما ان تكون حياته الزوجية على مثال حياة ابويه . فربما كان الواقع هو العكس تماما عندما تكون التجربة فى الطفولة مؤلمة . فعندئذ يقول الشخص لنفسه :

— سأحرص على أن تكون الامور فى حياتى المستقبلة على خلاف هذا

والتصميم العكسى دائما يكون صارما مصحوبا بالاصرار والعناد بحيث يثور الشخص ويشتد اذا وجد الامور فى بيته شبيهة من بعض نواحيها بما اقترن فى طفولته بالالم والتعاسة

وفى أحوال كثيرة تكون صورة الحياة الزوجية مزيجا من صورة الطفولة ومن نقيضها . فيتمنى الفتى او الفتاة فى شريك الحياة او شريكتها مشابه من الام أو الاب فى صفات معينة ، ويقرران فى الوقت نفسه الاصرار على صفات مناقضة للاب ، والام فى نواح معينة

ومما يؤثر فى تكوين فكرة الحياة الزوجية الطريقة التى ينشأ بها لدى الفتى والفتاة الاحساس بالشبه الجنسى والحافز الجنسى ، ورد الفعل المترتب على ذلك الاحساس . فثمة فرق كبير بين من يكون رد الفعل لديه عند المراهقة هو الغموض او التقزز والاستنكاف او الشعور بالغواية الشريرة او الاحساس بالرغبة فى التحدى والخوض فى تلك المسائل وما يتصل بها بطريقة مكشوفة بصرف النظر عن ظروف الزمان والمكان .. او اعتبار هذا الحافز الجنسى طاقة يتم التنفيس عنها فى ملاعب الرياضة والرحلات والهوايات او انه شيء عدوانى من جانب الرجل يستغل به ضعف المرأة او استكانتها . او أنه اهدار سخيف مضحك للطاقة الحيوية او انه فى النهاية الطريقة المثلى للتعبير عن الاعجاب او الحب

وأيا كان رد الفعل ، فمما لاشك فيه أن تنبه الحافز الجنسى فى نهاية الطفولة لايمكن الا ان يكون خطيرا وهاما وذا اثر حاسم فى تكوين عقلية الفتى او الفتاة . بل اننا نتعلم اهمية الجنس حتى قبل أن تصبح لدينا القدرة النوعية بمظاهرها الجسدية بزمن طويل .

وهذا وحده كاف لاحاطة ذلك الحافز الخطير بسحابة من الغموض مهما كان « الناخ » العقلى لهذا الموضوع صريحا واضحا بسيطا فى المجتمع المصرى الذى نعيش فيه سواء فى المدرسة او فى البيت

●●●

ومما يزيد فى خطورة هذا الموضوع ان الاهل يخفون من الاطفال العلاقة بين الجنس والزواج . فلا يدرك هؤلاء ان بين ابائهم وامهاتهم تلك العلاقة الجسدية الحميمة المعينة ، وانهم واخوتهم الصغار يجيئون الى الحياة نتيجة طبيعية لذلك الاتصال الجسدى

ولسنا نعتقد ان ذلك التصرف خاطىء . كلا . أن بعض البسطاء او الذين يزعمون ان الطفل يمكن ان يفهم حقيقة العلاقة بين ابويه لانه على علم بالوسائل الطبيعية فى انجاب النسل من طريق مالاحظه فى دروس العلوم العامة او فى الحيوانات المنزلية . فالبيت الذى يخلو من الدجاج والحمام والعصافير قد لايخلو من القطط او الكلاب او الاغنام والدواب . فسر التناسل المزعوم ليس محجوبا عن عقل الطفل



والرد على هؤلاء ان تلك الناحية بالذات هى المانع القوى من كشف العلاقة الزوجية بين الابوين . لان مايقع بين الذكور والاناث من الطيور والحيوانات ينبغى الا يكون هو النموذج الذى يفهم منه الطفل او يتصور علاقة أبيه بأمه . ان تلك العلاقة هى الاتصال الجنسى الحيوانى بين الذكور والاناث وهى صورة غير صحيحة على الاطلاق لتلك العلاقة فالحيوانات تتناسل وتتواصل جنسيا ؛ اما البشر فربط بينهم شىء اقوى من الجنس .. وليس الجنس الا احد جوانبه ومظاهره . وهذا الشىء لن ينهيا الاطفال بعد لادراكه كما يدركون الجنس لدى الحيوانات . بل يجب أن يتعلموه بالتدريج من القدوة ، ومن التفاصيل الصغيرة المتراكمة !

ان ذلك الشىء العسير الغامض على الاطفال هو الحب ، واهم آثار تكوين القدرة الجنسية عند المراهقة هو التحول من الارتباط بداخل الاسرة الى الاستقلال الشخصى فى الرأى والسلوك وتكوين علاقات خارجية . انها الفطام العاطفى والعقلى . فالوالدان اللذان كانا كل شىء بالنسبة لنا يصبحان مجرد عنصر مهم وأساس نستند عليه فى وجودنا لا يمكننا بعد ان نستغنى عنهم ، ولكنه مجرد أساس ومجرد سند يدفعنا فى ابتداء حياة جديدة مستقلة تنمو فيها شخصيتنا

ومن اهم مظاهر الاستقلال ونمو الشخصية تكون علاقات منحرفة أو عادية تجاه الجنس الآخر

***

ومن الشائع جدا فى هذه المرحلة ان يبدو الغلام منافسا لابيه . وان تبدو الفتاة ــ على نحو ما ــ منافسة لامها . ومن الجائز ان يبدو هذه المنافسة فى صورة حادة انحرافية . ولكنها فى الغالب تكون منافسة وديه تقترن باعادة تقييم الابوين على ضوء ماتكتسبه من معلومات من الناس ؛ وعلى ضوء الصورة التى تكونها لمثلنا الأعلى فى الحياة . فلا يعود الاب هو البطل الاوحد . ولا تعود الأم هى القديسة الكاملة

وعلى قدر توفر الحرية والسعادة للطفل لا يجد حرجا فى ذلك النمو ولا يصطدم بحوائل تسبب له صراعا بين ميوله وواجبه نحو اسرته . فهذه الفترة هى فترة الميل الى تجريب الاجنحة الجديدة والقدرة على الطيران بعيدا عن العش الى مسافات قليلة فى البداية قد تمتد عند النضج الى رحلات تعبر البحار والقارات . والطفل السعيد حقا هو الذى يقوم بتلك التجارب فى مراهقته وبفاعته من غير ان يجد لذلك صدى من الانزعاج الشديد أو القلق او التحريم الذى يقوم فى وجهه وكأنه قضبان سجن رهيب !

ان رد الفعل فى حالة الحجر والكبت سيكون الاصرار على تحقيق حياة تناقض تماما صورة الابوين . وهذا هو التفسير الصحيح لكثير من الزيجات الرعناء والمغامرات الجنسية المتهورة التى يقدم عليها صغار الفتيان والفتيات للافلات من طغيان الاسرة

ولكن اى زواج حتى ولو كان طائشا عاصفا ، لا يمكن ان يتم من غير طرفين . والعبرة بالتآلف بعد ذلك والتوافق من الناحية النفسية عموما لا من الناحية الجنسية التى كانت هى الغرض الاوحد فى البداية . فان تم هذا التوافق النفسى بين الشابين المنحرفين او الجانحين فمن الجائز ان يستقر ذلك الزواج ويثبت للزمن ويثمر ثمراته الطبيعية رغم خلو

الزوجين من الازان . ولكن هذه الحالات قليلة جدا فى الواقع .. والغالب ان ينتهى الزواج العاصف نهاية عاصفة

والملاحظ ، ابتداء من فترة المراهقة ، ان عوامل الجاذبية فى الجنسين تختلف اختلافا اساسيا . فالفتى يشعر بجاذبية الفتاة مركزة فى محاسنها الجسدية الجزئية او التفصيلية ، مثل استدارة اعضائها او بضاضة بشرتها او حلاوة عينيها وعذوبة صوتها . وهذه كلها على العموم محاسن جسدية حسية لها ارتباط شديد بالحافز الجنسى . اما الفتاة فأول ماتحسه من جاذبية الفتى هو شخصيته عموما . وبطبيعة الحال لا تخلو هذه الشخصية العامة من علاقة بالمنظر البدنى فى مجموعه . ولكنها لا تتركز فى عضو معين من اعضاء جسده بصفة اساسية ..

***

ويبدو الفارق واضحا بين الفتى والفتاة فى هذه الناحية اذا اعتبرنا انه ليس من النادر ان يصارحك الشاب بأن اهم ما استولى عليه فى فتاة معينة هو ساقاها . فما اشيع حب سيقان النساء لدى الرجال ! اما المرأة فليس من الشائع ان تسمعها تقول ان مافتنها فى شاب معين هو شكل ذراعيه او دقة خصره او ارتفاع صدره أو أى شيء من هذه الجزئيات

وهذا دليل قوى على ان الرجل ادنى الى الحسيات فى تأثره بالمرأة ثم يتدرج من الحسيات الى الاعجاب بشخصيتها أو عدم الاعجاب بها فى مرحلة تالية من علاقتهما . والمرأة بالعكس تميل الى الفتى فى جملته ثم يحدث لديها التأثر من جزئيات جسده فى مرحلة تالية

ومن هنا نجد كثيرا من الفتيات والنساء يشكون من « انحطاط » نظرة الرجال اليهن . وانهم لا يحبونهن ، وان هدفهم كله هو اجسادهن لا اشخاصهن . فى حين ان المرأة تحب الرجل لشخصه أو لذاته لا للاثارة الحسدية مجردة من شخصه

وهذا معناه على الاقل أن الحب عند الرجل يبدأ اثارة جنسية ثم قد يتحول الى عاطفة عامه . واما المرأة فيبدأ الحب عندها عاطفة عامة ثم يثمر اثارة جنسية وتدرك النساء بالفطرة هذا الخلاف ..

ولذا نجد المرأة هى التى تتبرج للرجل على المستوى الحضارى . وهذا بخلاف ما نجده لدى سائر الحيوانات من تبرج الذكر للانثى .. !

وكل ما يرجى من التربية الذهنية السليمة ان تحدث شيئا من التوفيق بين هاتين الطريقتين فى الاحساس الجنسى ، بحيث يتعلم الشاب بالتدرج كيف يحب المرأة لشخصها لا لجسدها وما يثيره فيه وان تتعلم الفتاة كيف تفهم الفتى وتضع للناحية البدنية قيمتها فلا تنفر منها ولا تزدرى افراد الجنس الاخر بسببها

***

واول شيء يجب أن يتعلمه الفتى والفتاة كى يصلحا للزواج هو تمام التخلص من تأثير الابوين على كل منهما . فكل منهما يرتبط بالاخر ارتباطا لا يمكن ان يكون سليما الا اذا دخل بيت الزوجية بنفسية مستقلة غير مستعبدة لما يحدث فى بيت آخر حتى ولو كان هذا البيت هو بيت ابويه الذى نشأ وتربى فيه

وبطبيعة الحال قد توجد حوائل مادية دون الاستقلال . واهم هذه الحوائل فى عصرنا هى ازمة المساكن . فما اكثر من يضطرون بعد الزواج للاقامة فى بيت والدى الزوج او والدى الزوجة . وفى الحالة الاولى تشعر الزوجة الجديدة انها غريبة او متطفلة على بيت اشخاص آخرين هم اهل زوجها ، مهما كانت ام الزوج حسنة النية . لان ام الزوج فى هذه الحالة ستتصرف تصرفا طبيعيا على حسب ما تعودته طول حياتها من السيادة بلا شريك فى بيتها . مما يشعر زوجة الابن بغير قصد بانها زائدة عن الحاجة فيثير بها المكان ويفقد الزواج اول مزاياه الا وهى مزية الاستقلال النفسى فى المعيشة

اما فى حالة السكن فى بيت اهل الزوجة فالوضع مختلف . لان ام الزوجة لن تتكلف مجهودا خاصا فى مراعاة شعور ابنتها . وستستمر الامور على ماكانت عليه فتجد الزوجة الجديدة من دفء حنان الابوين ماينسيها كل تفكير فى الاستقلال النفسى والمادى . اما موقف الزوج فى هذه الحالة فيحتاج الى مزيد من التأمل . فاما ان يكون راغبا فى الاستقلال بشخصيته وفى هذه الحالة تحدث الاحتكاكات بينه وبين



حماته التي تضعه تحت الرقابة وتشحن ذهن ابنتها ضد زوجها بدافع من الحرص الطبيعي في مصلحتها من وجهة نظرها . اما اذا كان زوج البنت من النوع المسالم فسيجد نفسه تحت مادة قصيرة جدا وقد افرط في صفة المسالمة هذه وانقلب الى ما يشبه حال القاصر تحت الوصاية بالنسبة لحماته المسيطرة . وسيكون من الصعب جدا عليه ان يسترد شخصيته حتى بعد الرحيل عن مسكن حماته . لان شبحها سيظل مهيمنا على البيت الجديد من خلال ذهن زوجته . ولن تحرمهما الحماة من زيارات متلاحقة بقصد التفقد والرعاية !

لذلك نعتبر هذه المشكلة ابرز مشكلات الزواج المصرى . ويجب بأية صورة من الصور ان يتخذ الزوجان لهما سكنا مستقلا مهما كان صغيرا منذ اول يوم في حياتهما الزوجية . والا كان معنى الزواج هو مجرد المعاشرة الجسدية واسقاط كل معنى آخر للزواج ؛ وفي مقدمة هذه المعاني تكامل الشخصية المستقلة . او نمو شجرة جديدة لا مجرد فرع كبير من شجرة قديمة .. !!

ان عواطف الولاء المتبادل هي لباب الزواج المصرى . ونجاح الزواج يتوقف اولا وقبل كل شيء على نقاء ولاء كل من الزوجين للآخر دون سواه . ودون ... وهذه تشمل العلاقات الجنسية والعاطفية كما تشمل العلاقات الابوية

والذى نلاحظه بناء على تجاربنا المستفيضة ان الزوجين اللذين يخضعان للظروف بسهولة ويقبلان الاقامة في احد البيتين الكبيرين تكون نضجهما للزواج نضجا نفسيا وانفعاليا لم يتم بعد . ويكون نزوعهما الى الاستقلال عن العش الاسرى قد توقف نموه او تخلف . وهى حالة تحتاج الى علاج نفساني . ولذا ننصح هؤلاء الا يقدموا على الزواج في هذه الظروف وان ينتظروا لا انتظارا لازمة المساكن ، بل انتظارا للاستعداد النفسي للزواج ، وانتظارا ... تمام نضجهما الانفعالي

ومن هذا نفهم بسهولة ان الزواج حالة نفسية او عقلية قبل ان تكون حالة مادية او جنسية

***

ويأتي بعد هذه المشكلة مشكلة اخرى لم تكن قائمة قبل عصرنا هذا . ونعني بها مشكلة الزوجة العاملة . فهل تستمر الفتاة العاملة في القيام بعملها خارج البيت بعد الزواج او عليها ان تستقر في البيت ؟

الكثيرون يقولون ان الزوجة تستطيع مواصلة العمل للمساعدة على تدعيم البيت الجديد واتمام تجهيزه خاصة وان ظروف الحياة العصرية تقتضي الوانا من اجهزة الترفيه والرفاهية التي اصبحت في حكم الضروريات

ولكن هؤلاء يقولون ايضا ان المرأة العاملة يجب ان تترك العمل بعد انجاب طفلها الاول لتتفرغ لتربيته ولرعاية البيت . وان على الزوج في هذه الحالة ان ينهض بعبء الاسرة وحده وقد اخذ عددها يتزايد . وهو كلام له وجاهته بغير شك ولكن تنفيذه لا يخلو من عقبات . لان تزايد اعباء الاسرة بانجاب الاطفال يجعل الزوج شبه عاجز عن القيام وحده بكل شيء

ويجب الا ننسى عوامل نفسية اخرى تسيطر على المرأة العاملة . ان جو البيت بالنسبة لها غير مألوف . ومع طول الوقت ستعتبره شبه سجن . لان عادات العمل خارج البيت جعلتها تكيف نفسها على جو معين . فالخروج في الهواء الطلق . وركوب المواصلات العامة . وجو المكاتب بما فيه من اخذ ورد ومناقشات مع الزملاء و... ومشكلات متجددة في

سير العمل . والشعور بالاهمية والنفوذ والفائدة للناس وجو الزمالة . كل ذلك بمثابة تنفس الهواء الطلق بالنسبة لرئتها النفسية . وبدون هذه التفاصيل الصغيرة تشعر بالاختناق

ويضاف الى هذا عامل الاستقلال المادي . فالمرأة التي تعودت أن تكسب من عملها لا تهضم بسهولة أن تعتمد في كل صغيرة وكبيرة من احتياجاتها الشخصية ومصروفها على ما يكسبه شخص آخر ، حتى ولو كان هذا الشخص هو الزوج

وهذا هو السبب في سأم كثيرات من الزوجات بعد فترة من ترك العمل وذبول نضارتهن ومحاولات بعضهن العودة الى ميدان الاعمال بعد أن يكبر الطفل قليلا

***

لهذه الاسباب كلها يجب في عصرنا هذا ان ننظر الى عمل الزوجة نظرة خاصة . ومن المستحسن منح اجازات وضع طويلة ولو بنصف الاجر أو ربعه ، ثم منح الامهات فرصة الاستمرار بعد تلك الاجازات في العمل بشروط خاصة وفي حدود معينة لعل احسنها هو نظام نصف الوقت . مع عناية المؤسسات المختلفة بمراكز الحضانة التي تلحق بكل مؤسسة بها نساء عاملات . على ان تكون هذه المراكز جزء من القسم الطبي بالمؤسسة وتحت اشراف اطباء وحكيمات بصفة مستمرة . وبهذه الطريقة لا تفقد المؤسسات كفاية العاملات بها عندما يتزوجن أو ينجبن .. لان تدريب كل موظف كله اشبه بالتربية التي تحتاج الى جهد ووقت ليس من الصالح ان يذهبا هدرا . وفي الوقت نفسه ليس من الصالح الشخصي للزوجين ان تضحي الزوجة باطفالها في سبيل العمل ، ولا ان يضحي البيت برفاهه المادي في سبيل رعاية الاطفال خصوصا وان هذه الرعاية للاطفال لا يمكن ان تستغنى عن الرخاء المادي ورفع مستوى المعيشة في الاسرة . بالاضافة الى العامل النفسي بالنسبة للزوجة نفسها حين تجد نفسها حبيسة فتشعر انها شهيدة في الزواج وليست سعيدة به

ومع الامومة يلقى على الابوين عبء من نوع آخر . ان أيام الخطبة وشهر العسل والشهور التالية قبل الانجاب عودت كلا من الزوجين على الاستئثار بالاخر بلا شريك . ولكن مولد الطفل الاول يغير الموقف تماما . فلابد ان يرتب الزوج نفسه على اساس أن هذه الزوجة اللطيفة المشغولة بسعادته وراحته لن تستطيع المواظبة على هذا المنوال عندما تصبح اما . فمن واجبه في مدة الحمل أن يعد نفسه لدور غير دور العاشق والزوج ، هو دور الاب .. !

ونحن نبدأ بتوجيه هذا الكلام للزوج لان الشعور بالابوة أصعب بكثير من الشعور بالامومة . انه شعور يحتاج الى مجهود نفسي والى تدريب وتعمق في الرؤية . اما الامومة فهي اقرب كثيرا الى غريزة المرأة ولا تحتاج الى تعليم او مجهود

ان معظم المشكلات تأتي من جانب الرجل بعد الانجاب ، لانه يغار من طفله ، ويعتقد انه سلب منه زوجته الحبيبة التي كانت كلها له تملأ عليه حياته . وطبيعي ان على الزوجة الحكيمة العصرية أن تربي في الزوج هذا الشعور وان تجعل من الابن رباطا جديدا يربطها بالاب لا فاصلا يبعدها عنه

واسلم الطرق الى هذه الغاية ان تجعل الزوجة من الطفل « موضوعا » يجد الاثنان لذة مشتركة في الاهتمام به . وتوجه الزوج بطريقة لبقة الى مشاركتها في العناية بالوليد والتسلية بمناغاته بحيث ينتهي الامر بالزوج الى ان يحب زوجته « من خلال » طفلهما بعد ان كان يحبها حبا مباشرا فحسب

***

ان على نجاح هذه الخطة يتوقف استمرار الحياة الزوجية بكل حرارتها وتماسكها ، والا فان الزوج سينفق معظم أوقاته خارج البيت ، ويضيق بازعاج الطفل له . وليس هذا الازعاج سوى ذريعة يخفي بها غيرته من انصراف زوجته انصرافا طاغيا اعمى الى حبيبها الصغير الجديد

ومتى انتهت مشكلة الطفل الاول ستكون سفينة الزواج قد نجت من المخاطر الاساسية واستقرت في طريق يزداد امنا وسعادة ومتعة بمرور الزمن



الأمريكي القبيح

هذا فيلم امريكي جديد ، قصته مأخوذة من كتاب اثار ضجة كبيرة جدا عندما صدر فى الولايات المتحدة . لقد كان كتابا سياسيا صيغ فى قالب قصصي . اراد مؤلفاه وليام ليدرر واوجين بيرديك ان يكون بمثابة جرس الانذار ، فجعلا له مقدمة اكدا فيها ان « الامريكي القبيح » قصة خيالية ، ولكنها تستند الى الواقع . ان معظم حوادثها قد وقعت بالفعل لا فى آسيا وحدها وانما فى سائر أرجاء العالم ، أو بالتحديد فى الدول التسع والخمسين التى يعمل فيها اكثر من مليونى امريكى ..

وفى نهاية الكتب اضاف المؤلفان فصلا .. يمكن ان يعتبر مقالا سياسيا جريئا . لقد أوضحا فيه الهدف الذى من أجله الفا هذه القصة . وهذا الهدف هو تنبيه واشنطون الى « سوء اختيار » سفرائها ومبعوثيها الدبلوماسيين ! ..

وأبرز ما جاء فى هـذا المقال حقيقة غريبة مستقاة من احصاء نشرته جريدة «نيويورك تايمز» فى ١٨ مارس سنة ١٩٥٨: « ان خمسين فى المائة من رجال السلك السياسى الامريكى لا يعرفون اية لغة اجنبية» ومن هنا كان بعض السفراء الامريكيين فى الدول الاسيوية يضطرون الى ارسال الجرائد المحلية الى واشنطون لكى تترجمها لهم ! بل واكثر من هذا ، أن السفراء الامريكيين فى فرنسا وايطاليا والمانيا واسبانيا لا يستطيعون ان يتكلموا لغات هذه البلاد « وان كان السفير الامريكى فى باريس يجيد الالمانية ، بينما يستطيع السفير الامريكى فى برلين ان يتكلم الفرنسية ..! »

تقابل هذه الحقيقة الغريبة صورة عكسية فى موسكو . حيث يتقن تسعة اعشار الدبلوماسيين السوفييت لغة البلد الذى يذهبون اليه قراءة وكتابة وحديثا ؛ وذلك

قبل أن يغادروا موسكو الى مناصبهم الجديدة وليس مجرد الالمام باللغات هو الهدف من هذه القصة . أن الغرض الحقيقي ابعد من هذا بكثير . فالمقصود هو أن الدبلوماسيين الامريكيين لا يفهمون الشعوب الاخرى . بل انهم لا يحاولون فهمها

وحقق الكتاب نجاحا كبيرا . فقد طبع منه حوالي اربعة ملايين نسخة . وترجم الى معظم اللغات . وكان من الطبيعي - بعد كل هذا النجاح - ان تسعى هوليوود الى اخراج « الامريكي القبيح » على الشاشة. الا ان تحويل هذه القصة الى فيلم لم يكن عملية سهلة . فان القصة كما جاءت في الكتاب . كانت مجرد لوحات سياسية . واضطر السيناريست الى ربطها في خط رئيسي واحد

اضف الى هذا مشكلة اخرى . وهي ان مارلون براندو قام ببطولة هذا الفيلم ! .. ومارلون براندو النجم الوحيد الذي لم تستطع هوليوود أن « تروضه » . ولا يزال حتى الان « غير مستأنس » ، وغير اليفا وهو يظهر في هذا الفيلم - لاول مرة - مرتديا بدلة وكرافتة . فهو يمثل دور سفير. ولذلك اضطر الى ان يبدو حليقا انيقا نظيفا طول الوقت ، على غير العادة ! .

واليك الآن قصة الفيلم في صور !

سعد الدين .

١ - مين هاريسون كارتر ماك هوايت « مارلون براندو » سفيرا للولايات المتحدة الامريكية في سرخان ، وهي دولة جديدة في جنوب شرق آسيا . وكان قبل تعيينه صحفيا مشهورا ومعا عزز قرار تعيينه انه يعتبر صديقا شخصيا للزعيم ديونج ، احب شخصية الى قلب شعب سرخان





١ – عرس سيمعي ماك هوايت وزوجته ماريان « ساندرا تشيرش » في لحظة وصولهما الى مطار سرخان للموت ، عندما هاجمتهما مظاهرة معادية . تحولت حفلة الاستقبال الرسمية الهادئة الى مظاهرة صاخبة في غاية العنف

٢ – وفي تلك الليلة يذهب ماك هوايت لزيارة صديقه القديم ديونج « ايجي اوكادا » لكي يعرف لماذا حاول المتظاهرون الشيوعيون اغتياله عند وصوله الى المطار . ويشعر ماك هوايت بخيبة امل عندما يسمع صديقه ديونج يردد الدعايات الشيوعية ويقول ان مواطنيه يريدون ان يستغل ماك هوايت مركزه ونفوذه لوقف العمل في مشروع الشاه شبكة طرق . وهو مشروع يتم تنفيذه بواسطة اموال المساعدة الاجنبية . ويقول ديونج ان هــذا المشروع لا يخدم الا مصالح « كوين ساى » رئيس الوزراء وحده !





٤ ـ يذهب السفير ماك هوايت في اليوم التالي لزيارة مشروع شبكة الطرق . ويقابل هناك المهندس المشرف على تنفيذه هومر اكينز «بات هنجل» وزوجته ايما «جوسلين براندو» التي تدير مستشفى للأطفال



٥ ـ يذهل ماك هوايت من ضخامة المشروع ، ويكتب الى واشنطن توصية بضرورة العامه طالبا اعتماد النفقات اللازمة له . بينما يقرر الزعيم الوطني «ديونج» ان يبدأ الصيام عن الأكل ويقسم ان يصوم حتى يقف العمل في المشروع !



٦ ـ يقترح مالك هوايت على كوين ساي رئيس الوزراء نقل مشروع شبكة الطرق من مكانه الحالي الى شمال سرخان . ويقترح السفير ايضا اقامة احتفال في مركز انشاء المشروع

٧ ـ يقع حادث قتل يهز دولة سرخان . الشيوعيون يقتلون عاملا من عمال بناء المشروع . ويجعلون الحادث يبدو وكأن المسئول عن ارتكابه موظف امريكي مخمور . يتوسل الكينز الى مالك هوايت لوقف العمل في المشروع ، وتحويل الأموال المخصصة له الى انشاء مستشفى تحتاج اليه البلاد . ولكن مالك هوايت يصر على استمرار العمل في مشروع شبكة الطرق ، ويصمم على اقامة الاحتفال على الرغم من صيام « ديونج » وحمة المعارضة العنيفة





٨ ـ يطلع الشيوعيون ديونج على ما ينوي السفير الامريكي عمله . ويتفق معهم ديونج على أن يتولى قيادة حركة تحريرية ، ولكنه يشترط عليهم الا يتدخل في الحركة جندي واحد من الشمال . انه يريدها حركة انفصالية خالصة . ويعده الكولونيل « تشي » (الزعيم الشيوعي) بذلك

٩ ـ لا ينفذ الشيوعيون وعدهم لديونج . يدبرون حركة ثورية تزحف من الشمال في نفس اللحظة التي يبدا فيها الاحتفال بمشروع شبكة الطرق ●





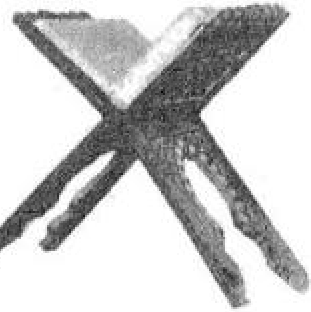
١٠ ـ عندمابدا الاحتفال بالمشروع ، ينسف الثوار المخربون جزءا رئيسيا من شبكة الطرق ، ويشلون مستشفى الاطفال .. ويتركون خلفهم الخراب والموت والبؤس ...

١١ ـ أصبحت سرخان فى حالة حصار . يحصل السفير ماك هوايت ومساعده جرينجر « ارلز هيل » على صور ووثائق توضح اشتراك الشيوعيين فى هذه الاعمال التخريبية وتكشف مؤامرة دبروها لاغتيال ديونج . يعترف كوين ساى رئيس الوزراء بان ديونج لم يكن شيوعيا فى يوم من الايام . يفاجأ ماكهوايت بهذه التفاصيل فيهرع الى ديونج ويبلغه بالمؤامرة المدبرة لاغتياله





١٢ ـ لا يصدق ديونج ان حلفاءه قد خدعوه . الا انه يتلقى مكالمة تليفونية تثبت له هذه الحقيقة التي تزعجه . ويدرك عندئذ انه يجب عليه ان يتباحث فورا مع كوين ساى على اعادة الاستقرار الى وطنه المهدد بحرب اهلية . وعندما يتأهب للخروج يبادره سكرتيره ـ الذى كان موضع ثقته ! ... باطلاق الرصاص عليه . وقبل ان يلفظ ديونج انفاسه الاخيرة يطلب من انصاره المخلصين وضع دستور جديد بالاتفاق مع كوين ساى . ويقول لهم ايضا انه يجب استئناف العمل فى مشروع شبكة الطرق



مكتبة مجلة الهلال العربية

الآثار الباقية عن القرون الخالية

الناشر : مكتبة المثنى ببغداد
مكتبة الخانجي بالقاهرة
الثمن : ٣ جنيهات ونصف

كانت أتابع دائما الأحاديث القيمة التي يجريها محررو الصحف على لسان كبار الأدباء والكتاب .. أمثال الدكتور طه حسين والمرحوم العقاد والزيات وغيرهم من المفكرين . فكان يستهويني السؤال التقليدي الذي لا يخلو أي حديث منه .. وهو بماذا تنصح الشباب العربي الذي يريد أن يعيش على قلمه ، ويحمل الكتابة والتأليف مهنته ؟!

وكما كان هذا السؤال تقليديا . فإن اجابات العمالقة كانت هي الأخرى شبه تقليدية .. مضمونها متقارب . فهم دائما ينصحون الشباب أن يأخذوا قسطهم من الثقافة العربية .. يقرأون الشعر العربي في عصور ازدهاره ، ويقرأون المفكرين ، والفلاسفة والمؤرخين العرب . فالثقافة العربية التي تملأ بطون الكتب الصفراء هي القاعدة ، أو الأساس الذي يمكن أن يخرج أديبا ..

لكن الاجابات المتقاربة كانت في رأيي نوعا من الأصوات التي تطلق في الفضاء ، فالكتب التي تضم بين دفتيها ما كان ينصح به العمالقة لم تكن متوفرة . كانت مثل الجواهر النادرة لا تتداول . وإن تدوولت ففي ضيق محدود جدا لا يتناسب مع الشباب المتطلع . فالنسخ قليلة حتى في المكتبات العامة وكل من يملك نسخة يحرص عليها ، ويقفل عليها باب مكتبته فلا تخرج منها ..

لكن الآمال بدأت تتفتح ، والكتب بدأت تصل الى عقول من يريدونها ، والجواهر المخزونة بها بدأت تمد يدها لمن يطلبها . والفضل في هذا يرجع الى المسئولين عن الثقافة عندنا . والى تقدم الطباعة ، والى ظهور ناشرين جدد عندهم من الجرأة والاقدام ما يجعلهم يجازفون باعادة طبع هذه الكتب ونشرها لا يبغون من ذلك مغنما .. ومن هؤلاء مكتبة المثنى ببغداد . فقد أعدت مشروعا لاعادة طبع أكثر من ٤٠٠ كتاب من تراث العرب وذخائرهم . وبدأ شباب الأدباء يقرأون أساتذة التاريخ الاسلامي ، والفلسفة الاسلامية والشعراء العرب ، بدأوا يصادقون الطبري وابن الأثير ، وابن خلدون وأبا الفرج الاصفهاني ، وذا الرمة والمقريزي .. وغيرهم .

والكتاب الذي نقدمه هو للبيروني الذي عاش في القرن الخامس الهجري . وقد أهداه للخليفة المنصور . وهو يتضمن معلومات فلكية تعتبر من أهم ما أثر عن الفلك بعد كتاب « المجسطي » لاقليدس . وقد ذكر المؤلف فيه أشياء عن الأيام

والشهور والاعياد عند مختلف الشعوب .. هذا بالاضافة الى معلومات وافية عن تقاليد العرب واعيادهم وتطـورها حتى مجيء الاسلام .. فضلا عن ذلك فهـو يتضمن تاريخا اسطوريا عن أشهر ملوك الفـرس واليونان وبابل وملوك النصـارى .. ويعقد المؤلف بينهم وبين الديانات المختلفة من يهودية ومسيحية واسلام .

اننا نطالب المزيد من نشر ذخائر العرب، خاصة وأن عندنا دور النشر تهتم الآن بهذه الكنوز ..

عشرة من الخالدين

بقلم : ابراهيم المصرى
الناشر : دار المعارف
الثمن : ٣ قروش

تولستوى ، اميـل زولا ، شـكسبير طاغور ، بودلير ، اندريه جيد ، مارسـل بروست ، ميكلانجلو ، بتهوفن .. هذه كلها وغيرها اسماء أعلام فى القصة والادب والشعر والموسيقى وكل الفنون والاداب .. تتردد على الالسنة وانجبت عشرات بل مئات الافكار على صفحات آلاف الكتب القيمة . ولابد لكل من يبحث عن زاد الثقافة الغربية أن يقرأ لهؤلاء .. بل المفروض أن يكون كل مثقف قد قرأ لهم ، وقرأ عنهم ، فكلهـم تركوا قبل أن يوسدوا قبورهم نقاطا بيضاء حفظها لهم التاريخ العالمى

فمثلا تولستوى هو القصصى الروسى ابن الطبقة الارستقراطية ، والذى ورث عـن اسرته المال الوفير والضياع الواسعة . كما اقترن بزوجة عذبته وجعلت حياته نكدا .. وربما كانت هذه الحياة هى السبب الرئيسى الذى جعله يبدع مذهبـا جديدا فى الفن القصصى يمزج فيه البساطة بالصـدق ، ويرسم فيه الاشخاص من الظاهر .. تاركا العواطف لا يحللها

انه أحد أساتذة المدرسـة الروسية فى القصة ، انه استاذ تشيكوف ومكسيم جوركى .. وغيرهما من القصاصين الكبار . وهو صـاحب الروائع الخالدة .. « الحـرب والسلام » و « أنا كارنينـا » و « البعث » وهو صاحب الفلسفة الاشتراكية التى جعلت أهل طبقته ينقلبون عليه ، بل جعلت اسرته كلها تنقلب عليه الا ابنته الكسندرا التى مازالت تعيش فى الولايات المتحدة بعد أن هربت من بلادها ..

ان تولستوى قد ملك ارضه للفلاحين وتجرد من أمواله ووزعهـا على الفقراء، ونزل عن حقوق نشر مؤلفاته لاعمال البر .

أما زولا ، ومارسيل بروست ، واندريه جيد فهم أيضا قصاصون كبار . لهم فى هذا الفن مذاهب جديدة ربت تلاميذ كبارا ..

وتعاليمهم مازال يأخذ بهـا بعض كبار القصاصين فى العالم . فزولا هو الذى حمل المذهب الطبيعى فى القصة وصاحب «نانا» و « تريزا » وهو استاذ الوصف فى القصص

وبروست صـاحب « فى البحث عن الزمن الضائع » هو أحد اعمدة القصة المعاصرة وهو يقرن بجيمس جويس من أصـحاب التداعى واللاشعور فى الفـن القصصى . ان أغلب القاصين اليوم يجدون فى « تحـرر » بروست وأسـلوبه ما يجعلهم يقـسمون « النماذج » التى تبعد كل البعد عن نماذج تولستوى وزولا ودستويفسكى .. وغيرهم

أما بيتهوفن الفنان الموسيقى الذى كان يملى ارادته حتى على الحـكام ، فان مآثره مازالت تلمسها وتشنف آذان عشاق الموسيقى .. لقد وصـل حد الاعجاز فى سيمفونيته التاسعة ، مع انه ألفها وهو أصم ..

ولو عرضت للشخصيات كلهـا التى تناولها الكتاب لاحتجت الى مساحة ضخمة مما يقصر عنه المقام . فلكل واحد من هؤلاء فارس ميدانه ، وصاحب مذهب أو فلسفة وله أتباع كثيرون ولا يسعنى الا أن احيل القارىء الى هذا الكتاب .. فهو فى رأيى مفتاح لهذه الباقة الكبيرة من الشخصيات الاسطورية

والكتاب ان دل على شيء رغم ضآلتـه ، فانما يدل على سعة اطلاع مؤلفه ، واحاطته بالثقافة الغربية ، وهضمه لها ، ولا غرابة فى ذلك . فابراهيم المصرى واحد من أساتذة فن القصة عندنا ، بل هـو رائد من رواد هذا الفن الاوائل ..

قالوا ..

بقلم : أنيس منصور
الناشر : دار القلم
الثمن ٢٠ قرشا

هذا الكتاب هو « تقليعة » أنيس منصور

الجديدة لم أكن أتوقع أن يجمع أنيس منصور كل ما كان يذيل به مقالاته فى الصحف والمجلات من شعارات وينشرها فى كتاب أنيق مزود برسوم لكبار الفنانين

وهذه الشعارات فى رأيى عبارة عن رسوم كاريكاتورية لمواقف معينة .. مواقفه هو ..فالشعارات معظمها عن حواء .. بل كلها تقريبا عن حواء بطريقة لذيذة . انها رسوم فيها مبالغة ، ولكن لها معنى ..

وموقف أنيس منصور من المرأة .. حتى الشهور القليلة الاخيرة معروف . انه موقف الشخص الذى يعجب بحواء جدا .. ولكنه يخافها فى نفس الوقت . ان المرأة عند أنيس منصور مجهول ، وهو عنده حب استطلاع شديد .و يريد أن يكتشف هذا المجهول .. بطريقة معينة . ويبدو انه اكتشف ذلك المجهول .. أخيرا

انه يقول ان المرأة مخلوق جميل عندما يراها بخياله ولكنه عندما يقابلها ويكلمها يصدم بهذا الواقع الجميل فيراه اقل جمالا. فكل رجل يعرف المرأة ، أى امرأة ، فى ظروف غير طبيعية . وهذه الظروف هى التى تجعل فهم المرأة للرجل غير منطقى وغير سليم

لكن الكتاب يثبت عكس ذلك ، فالمرأة برغم هذه الشعارات التى جاءت فى الكتاب ويفهم من ظاهرها أن المؤلف يخافها أو يكرهها تحب أنيس منصور . وهو يريد أن يلفت نظرها اليه . ولم يجد وسيلة الى أن يتقرب منها وتلتفت هى اليه خيرا من أن يظهر لها العداء ، ويرميها بقذائفه اللاذعة .. من قلعته التى هى أحلام أنيس منصور نفسه . فأنيس كان ينافس الكثيرين وهو يقول لها : انى أحبك .. ولكنها لم تسمعه ...

واخيرا يبدو أنها سمعته ، التفتت اليه.. وتزوج أنيس منصور ، ونزل من القلعة التى كان يرمى بها حواء ، ادخلها اليها ، أو هو خرج منها اليها ..

وكلامى صحيح .. فأنيس منصور قد كف عن تذييل مقالاته بالشعارات.لزل من القلعة التى كان يرمى منها الطوب .. وصار شعاره ان لم أكن متزوجا .. لوددت أن أكون متزوجا .. وعلى الاصح لقد بدأت أفهم المرأة التى تشبه لوحات بيكاسو .. بدأت أحبها.. أحبها فقط

ولكن هل يستمر هذا الحب ؟!

اقتصاديات العالم العربي
من الخليج الى المحيط

تاليف : دكتور راشد البراوى
الناشر : مكتبة النهضة
الثمن : ٥٠ قرشا

خلال العصر العثماني ، ومن قبله العصر المملوكي ، ران الركود على الوطن العربي ، لم يتأثر بالثورات العلمية والفنية التى شهدتها أوربا الغربية مثلا ، والتى انتقلت منها بدرجات متفاوتة الى اقاليم وبلاد أخرى فى اوربا وآسيا والعالم الجديد . أى ان الوطن العربي عاش خلال فترة الحكم العثماني فيما يشبه العزلة عن المؤثرات العالمية التقدمية الى حد كبير ..

ولما انتهى الاستعمار العثماني جاء الانتداب والاحتلال لجميع أجزاء الوطن العربي .. فحولاه الى منطقة متوفرة على انتاج المواد الغذائية اللازمة دون محاولة من جانبه الى تطوير أساليب الانتاج، وانتاج المواد الزراعية والمعدنية التى يحتاج اليها فى دعم تطوره الصناعي ..

لكن هذا البناء الغير السليم بدأ يتداعى بالتدريج ، وكان أقوى وأول معول هو الثورة التى نشبت فى مصر فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فكانت ايذانا بحركة الانطلاق من دائرة التخلف . وأخذت مفاهيمها وأهدافها تنتقل الى بقية اجزاء الوطن العربي . تؤثر من أكثر من ناحية ..

والكتاب الذى يقدمه الدكتور راشد البراوى هذه المرة من تأليفه . فقد اعتدنا ان نكتب فى هذا الباب عن مترجماته الغزيرة الوافية فى عالم الاقتصاد . وهو فى هذا الكتاب يعرض لعناصر الاقتصاد فى الوطن العربي كله . ولى عرضه لا يتحدث فقط عما هو قائم فعلا ، وانما يتحدث عن تاريخ الاقتصاديات فى الوطن العربي باعتبار ما كان، وما سيكون ..

انه يتحدث أول ما يتحدث عن الزراعة التى هى الحرفة الرئيسية فى العالم العربي .. وهى مصدر الثروة والدخل حتى الآن . كما يتحدث عن الثروة الحيوانية التى تمثل بعض المصادر الى اعتبارها مصدر العيش لحوالى ٢٥٪ من السكان . ثم ينتقل الى المعادن ويعرض للابحاث والدراسات التى اجريت ، وكيفية استغلالها . ثم يعرض لقطاع الصناعة ، يطنب فى الحديث عن الصناعة فى الجمهورية العربية المتحدة . ثم يعرض للتجارة والمواصلات ، وقناة السويس ، والنقل الجوى

وهو يعرض للتطور الحديث . ويقول ان علاماته قد لاحت فى الافق . فالنظرة الى الاقتصاد تغيرت . بدأت الاهتمامات بخطط التنمية . واضطلاع رأس المال العام بتنفيذ عدد من المشروعات الانتاجية . والاتجاه الى التخلص من السيطرة الاجنبية على الاقتصاد القومى ..

وقد وضع المؤلف حلولا للنهوض بالاقتصاد العربي . ومن هذه الحلول ادخال التكامل الاقتصادى . وانشاء اتحاد جمركى أو سوق مشتركة على غرار السوق الاوربية المشتركة لبلاد أمريكا الوسطى ...

وكان حديث المؤلف عن كل بلد عربي على حدة ، مع ربطه ببقية بلاد العروبة .. وخاصة عندما تحدث عن البترول العربي أمل المستقبل ان هذا الكتاب جدير بالدراسة

الغريب فى عالم الحيوان

تاليف : روبرت لون
ترجمة : الدكتور كامل عطا
الناشر : دار المعارف
مؤسسة فرانكلين
الثمن : ٣٠ قرشا

تصدر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر مجموعة ضخمة من الكتب .. بالاضافة الى العديد من السلاسل مثل سلسلة « تعال معى الى ... » ، وسلسلة « الف باء ... » وسلسلة « بحوث تربوية فى خدمة العلم » ... الخ .

وهذا الكتاب هو رقم ١٣ من سلسلة « كل شيء عن ... » التى تمتاز بتبسيط كل أنواع العلوم والمعرفة للقارىء الناشىء .. حتى تتسع مداركه ، فربما تكون فيه موهبة ما تعمل على تنميتها وصقلها . وقد سبق لهذه السلسلة ان أصدرت الكتب الآتية : الراديو والتليفزيون ، الصحراء ، الطيور ، عجائب الكيميا ، البراكين والزلازل، النجوم، الجو وتقلباته ، المنطقتان المتجمدتان، الاقمار الصناعية ، دنيا الحشرات، الكهرباء، والحيتان

ومؤسسة فرانكلين بصدد اخراج الكتب الآتية : اشهر المخترعين ومخترعاتهم ، الانهار العظيمة فى العالم ، البحر ، البعثات العلمية الشهيرة

وهذا الكتاب يقف الناشيء على عجائب عالمنا المذهل . انه يحتوى أخبارا عجيبة عن السحالي التي تغير الوانها ، وطول لسانهاهو طول جسمها الضخم . وعن الاسماك التي تعيش قرب قاع الانهار وتحمى نفسها امام كل مهاجم بصدمات كهربائية تتولد منها . وفي المناطق الاستوائية يأتي الكتاب بحيوانات لديية ، ولكن لا مخ لها ، تقضى معظم حياتها منقلبة على ظهورها . وفي مناطق اخرى حيوانات شاذة يكسو جسمها الفراء والوبر، ولها مناقير من الجلد .. ومع هذا فهي تبيض !

ولم يذكر الكتاب هذه الاخبار وغيرها شفويا ولكنه اتبعها برسومات توضيحية بالالوان غاية في الطرافة

واذا كان الكتاب يأتي بعجائب المخلوقات في انحاء الولايات المتحدة فقط .. فانه ضمنا يشمل عجائب المخلوقات في العالم ..

ان اطفالنا يجب ان نبث فيهم حب القراءة والاستطلاع وذلك بقراءتهم الكتب المفيدة .. مثل كتب مؤسسة فرانكلين ...

اليوميات
الجزء الاول

لفقيد الادب العربي العظيم :
الاستاذ عباس محمود العقاد
الناشر : دار المعارف
الثمن : ١٠٠ قرش

« تضم هذه المجموعة — التي ستصدر في اجزاء — محصول أكثر من عشر سنوات من التعليقات التي نشرت تحت عنوان « اليوميات » بصحيفة الاخبار اليومية » ومعها تعليقات لفصول اخرى نشرت في هذه الصحيفة وفي غيرها من الصحف أو المجلات بمختلف العناوين ..

« وتتسم الكتابات التي احتوتها هذه المجموعة بالسمات التي يدل عليها عنوانها : « اليوميات والصحفيات » ، وهي امتداد المجال ، وتجدد المناسبات ، وسهولة التناول ، وسرعة المساجلة في حينها بين النقد والرد ، أو بين السؤال والجواب ..

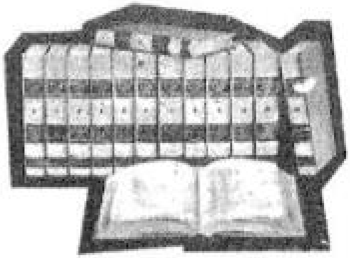
ولا يفهم من عنوان اليوميات انها بنت يومها أو بنت ساعتها ، انما يفهم منه أن مناسباتها العارضة قد تكون بنت يومها — بل بنت ساعتها ولحظتها — ولكنها مجرد مناسبات عارضة للكلام في موضوع غير عارض ، أو غير مؤقت بزمن من الازمان في معظم الاحيان

« وقد تيسر تقسيم بعضها حسب موضوعاتها الشاملة ، ولكنها في جملتها تتأبى على التقسيم والتوزيع ، لان الاستطراد الذي لامناص منه في الموضوعات المتنقلة كثيرا مايجمع في اليومية الواحدة كلاما يصلح لالحاقه بباب العقائد والمذاهب كما يصلح لالحاقه بباب التراجم والشخصيات ، مع التطرق من هنا وهناك الى مسائل الاجتماع والاخلاق ، أو مسائل الاداب والفنون ، وقد يغني من حصرها في الابواب المحدودة أن نتبع في ختام الكتاب بفهرس الاعلام والمباحث يدل على مواضعها من الصفحات ، ولا حاجة معه الى مراعاة التسلسل في ترتيب الايام ..

« على ان المجموعة كلها قد تلحق بباب واحد من أبواب التأليف القديم والحديث ، بل هو الاصل في كلمة التأليف التي تعني جمع الشوارد ونقلها من الوحشة المتباعدة الى الالفة المتقاربة . ثم انتقل هذا الباب في العصر الحديث بعنوان واسع يسلك فيه أشتات الرسائل والذكرات واليوميات الخاصة أو اليوميات العامة ، ومنها هذه اليوميات التي كتبت من قبل ، وجمعت اليوم »

بهذا الميزان الدقيق غاية الدقة الذي عرف به عملاق الادب العربي وأعظم كتابه ومفكريه وزن مجموعته الرائعة من الخواطر والتأملات والتصويبات والتحديدات والتوجيهات في اقتصاد شديد ، لن ينزل حكم التاريخ منه قيد أنملة ، ولكنه سيزيد عليه من الثناء والتقدير القناطير المقنطرة





مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

لا حاجة الى الجوع
NONEED FOR HUNGER

المؤلف : جوناثان جارست
Jonathan Garst

الناشر : راندوم هاوس
الثمن : ٣ دولارات ، ٩٥ سنتا

مؤلف هذا الكتاب يمارس الزراعة بالفعل، وحاصل على درجة الدكتوراه فى العلوم الزراعية ، وكان من قبل يعمل فى وزارة الزراعة الامريكية ، ومن هنا فانه يجمع بين الناحيتين النظرية والتطبيقية . وفضلا عن هذا ، فهو شقيق روزول « بكسر الواو » دعت الداعية الى استخدام الاساليب المتقدمة فى الزراعة فى كون رابيدز بولاية ايوا والذى استضاف صديقه خروشوف عندما زار الرئيس السوفيتى الولايات المتحدة فى عام ١٦٥٩ ، ووضع جوناثان كتابه هذا لانه أحس ان « الاثارة » تخفى المغزى الخطير لزيارة خروشوف

والفكرة الرئيسية التى يستهل بها المؤلف بحثه تتلخص فى أن فى الامكان توفير الغذاء الكافى لسكان العالم اليوم ، والتحسن التغذية من الطرق المؤدية الى ابطاء سرعة الانفجار السكانى الذى يقتضاه يتضاعف عدد أفراد الجنس البشرى كل أربعين عاما، والحجة التى يستند اليها هى انه حيثما يتوافر الغذاء فان آمال الناس فى حياة افضل تشكل دوافع تعمل على تقييد نمو عدد السكان

ان الرجل الذى حصل على التغذية الطيبة لا يأكل الا ضعف ما يتناوله الشخص الذى يتضور جوعا ، والملاحظ أن ١٥٠٠ كالورى فى اليوم للغذاء يكاد يجعل صاحبه على شفا هاوية الموت جوعا ، بينما ضعف هذا الرقم يعتبر فى العادة أكثر مما ينبغى . وعلى هذا الاساس فالزيادات التى نحتاج اليها فى انتاج الغذاء من أجل تحسين التغذية غير الواعية، هى زيادات قليلة وفى الامكان تحقيقها كما يذهب الى هذا الراى ، المؤلف الذى سبق له أن عمل مستشارا زراعيا فى امريكا الجنوبية والاتحاد السوفيتى ورومانيا وبولنده

ومما يذكره المؤلف بعد ذلك هو تاريخ موجز للثورة التى حدثت فى الانتاجية ، وهى ثورة تيمنا بالاعوال التى كانت شائعة فى مزرعة الاسرة فى كون رابيدز فى عام ١٩١٥ ، وتتناول المشكلات التى تواجهها امريكا الجنوبية والهند وآسيا فى عام ١٩٦٤ . ويشرح الكتاب كيف أن التحسينات فى زراعة النبات وتربية الحيوان ، والمخصبات ، والمبيدات الحشرية ، والمواد التى تقاوم الآفات واساليب التغذية، هذه كلها أحدثت تكنكات يمكن تصديرها ، ولهذا فانها جريمة من الدرجة الاولى ان نجد أى شخص فى هذا

العالم يفتقر الى الغذاء في العقد التالي »

***

لم يعد الانسان يختار النباتات وانما هو يخلقها كما حدث بالنسبة الى الذرة الهجين التي تعتبر ثورة في عالم الزراعة . وكذلك قطعت تربية الحيوان شوطا بعيدا في هذا الاتجاه نفسه . ومعنى المخصبات الكيماوية أن الفلاحين لم يعودوا يتطلعون الى التربة وحدها لتمدهم بالخصوبة . وانما بدلا من هذا يضيفون اليها المعادن والازوت مما يحتاج اليه المحصول

ويقدم لنا المؤلف الادلة الكثيرة التي تثبت أن الانسان قد حل من الناحية التكنولوجية مشكلة الغذاء . ثم يأخذ بعد ذلك في ابراز الاختلافات والفوارق السياسية والاقتصادية والثقافية التي تعوق اسباب هذه المعرفة . ويقدم لنا الحلول المستمدة من تجاربه . فيقترح مثلا مبادلة السماد بالذرة في السلفادور . وانشاء مزرعة نموذجية على مقربة من برازيليا . وفي الهند تقديم الاسمدة الى الملايين من صغار الفلاحين على أن يجري تمويل العملية بأبسط الوسائل . وفي الختام يقدم لنا جاروست هذا التحذير « ان افتراض اننا نعرف على نحو افضل كيف نعيش لان معرفتنا بالاساليب الانتاجية افضل . افتراض ينطوي على عجرفة خالصة »

الباسفيك الجنوبي الغربي منذ عام ١٩٠٠

THE SOUTH WEST PACIFIC SINCE 1900

A modern History. Australia, New Zeland, The Islands antrostica

المؤلف : س . هارتل جراتان « ٧٥٩ صفحة »

C. Hartley Gratton

الناشر : مطبعة جامعة ميتشيجان

الثمن : ١٠ دولارات

بعد أن أصدر الاستاذ هارتل جراتان « الباسفيك الجنوبي الغربي حتى عام ١٩٠٠» يقدم لنا الان « الباسفيك الجنوبي الغربي منذ عام ١٩٠٠ » . ومن هذين المجلدين يتكون تاريخ شامل . مستند الى أدق المصادر وأوثقها . للمنطقة كلها . حتى أن النقاد الغربيين يقولون أنه « ما من أحد قبله قام بهذه المهمة بمثل هذا الاتقان . وسيظل مدينا له كل من سيأتون بعده » . والقسم الاول من المجلد يتناول قصة استراليا من النقطة التي توقفت عندها في المجلد الاول . أي بدء تكوين الكومنولث الاسترالي في عام ١٩٠١ . والمعالم البارزة هي الحرب العالمية الاولى بما سببته من أزمة بالنسبة الى التجنيد الاجباري ، وفترة ما بين الحربين . وتتميز بكساد اقتصادي في الداخل ورغبة عربية في السماح لبريطانيا بتقرير علاقات استراليا الخارجية . والحرب العالمية الثانية والتي وضعت خلالها حكومة عمالية نموذجا لدولة الرفاهية . ثم الفترة التي أعقبت تلك الحرب وفيها سيطرت على الحكم حكومة غير عمالية أو حكومة منزيس بعبارة أدق . وفي هذه الفترة بدا واضحا أن أمن استراليا يعتمد على أمن الولايات المتحدة أكثر مما يرتبط ببريطانيا . وفي هذا العرض كله نجد تحليلا قويا ومقنعا لعلاقة استراليا بكل من بريطانيا والولايات المتحدة . والاراء المختلفة بصدد هذا الموضوع . فضلا عن آراء الحزبين العمال وغير العمال حول المسائل الاقتصادية والسياسية . ويقدم لنا المؤلف ترجمة لحياة رئيس الوزراء منزيس ويلقي أضواء متعددة على خلقه . كما يصدر أحكاما طيبة او قاسية على بعض الزعماء السياسيين .. الا أننا نلاحظ أنه يعالج بايجاز عن عمد أو يغفل تماما حوادث لها أهميتها في تاريخ استراليا مثل ثورة جون ت . لانج . رئيس وزراء نيو ساوث ويلز . والاضطراب الاجتماعي أثناء عهد الازمة الاقتصادية . والاخفاق او النجاح الذي حققته مشروعات الهجرة وارتداد الجاسوس السوفيتي بتروف الذي طلب اعتباره لاجئا سياسيا وكان يعمل في السفارة السوفيتية . والسبب في هذا الايجاز او الاغفال هو أن جراتان يركز اهتمامه على القادة السياسيين وليس على رجل الشارع ، وعلى المعالم الاجتماعية العريضة وليس على ردود الافعال الشعبية

ويعرض لنا المؤلف تاريخ نيوزيلندا من وجهة نظر عمالية . بعمالة الخاصة هي الولاء القوي لبريطانيا على نحو لم تعرفه الاخيرة من جانب الممتلكات المستقلة الاخرى ، والصراع الطويل الناجح الذي اضطلع به زعماء الماوري كي يصمدوا الزحف الى مجتمعهم . ومحاولة تحصين منتجي المواد الرئيسية ضد تقلبات السوق العالمية بأن تضمن لهم الحكومة أثمانا مجزية وعن طريق فرض قيود أخرى ، وهناك قسم رائع عن الثقافة والادب في نيوزيلندا

ويتناول القسم الثالث من الكتاب قصة جزر الباسفيك وهي مجموعات ميلانيزيا وميكرونيزيا وبولينيزيا . وهو يعرض هذا كله على نحو لم يسبقه اليه كاتب آخر . وليس أدل على شمول العرض من أن تاريخ كل جزيرة يروى بتفصيل كثير . سواء كانت

جزيرة كبيرة مثل غينيا الجديدة ولاجراند تيرا » والمعروفة في الانجليزية باسم نيـو كاليدونيا أو جزيرة صغيرة جدا مثل كانتون التي تخضع لادارة ثنائية تتولاها بريطانيـا والولايات المتحدة

وهناك تاريخ النزاع الجـزر التي كانت مملوكة لالمانيا وتقلها خلال الحرب العـالمية الاولى ، فانتقلت غينيا الجديدة الالمانية الى استراليا ، وسلموا القريبة الى نيوزيلندا ، وميكرونيزيا الى اليابان » ثم استولت عليهـا الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ».

وهناك مشكلة السكان في جزر فيجي حيث نجد أن الهنود الذين سبق أن جيء بهـم للعمل في مزارع السكر ، أصبحوا يفوقون أهل فيجي عددا ، وأصبح من المتعين حماية الاخيرين ضد تكاثر الهنود . وهناك المملكة الوحيدة في جزيرة تونجا الخاضعة للحماية البريطانية ، وتحكمها الملكة سالوتي منـذ نصف قرن تقريبا

ويستمد العـرض جماله من التعميمات التي يصدرها المؤلف عن عالم الجزر بصورته الكلية ، عن مشكلاته الاقتصادية » اذ لا يعدو انتاجه أن يكون هامشيا من وجهة نظر السوق المالية » ومتاعبه السياسية » وليس من سبيل لتحقيق رفاهية الجزر الا بانشاء وحدات مترابطة وان كان هذا الحل يصطدم بحقيقة كون هذه المستعمرات مرتبطة سياسيا بالدول التي تسيطر عليها .

***

وفي الجزء الاخير من الكتاب الخاص بالقارة المتجمدة الجنوبية ، يعرض لنا المؤلف محاولات اكتشاف مجاهلها منذ بداية القـرن الحالي حتى السنة الجيوفيزيقية « ١٩٥٧ ــ ٥٨ » وهنا نلاحظ التحول الذي طرأ على عمليـة اكتشاف تلك القارة ، ففي مكان المستكشف البطول حل العمل الذي تتولاه فرق متعاونة، ثم أعقبته فرق تنظمها وتبعث بها الحكومات نفسها . والنقطة البارزة في هذا الموضوع هي تقدم تكنولوجية الاستكشاف ، ولمـا كانت هذه المنطقة هي المكان الذي يتركز فيه صيد الحيتان لهذا تقدمت ايضا تكنولوجيه صيدها . ويفحص المؤلف بدقة اتجاهات الحـكومات وبخاصة موقف الولايات المتحدة من حيـث رفضها الاعتراف بأية حقوق اقليمية في هذه القارة ، كما يحلل ويمحص النزاع الذي كاد يصل الى حالة الحرب ، بين بريطانيـا والارجنتين » خلال الحرب العالمية الثانية » حول جزر فالكلاند ، ويختم جراهام هـذا القسم بايراد المواد الواردة في المعاهدة التي وقعتها في عام ١٩٥٩ الثناعشرة دولة تعمل في القارة الجنوبية ، وأهمها المواد الخاصـة بتجريدها من الاسلحة . وتسري المعاهدة لمدة ثلاثين عاما ، الامر الذي يجعل التعاون الدولي يحل محل الدعاوي الاقليمية المتنافسة . ويفترض المؤلف أن يستمر هذا التعـاون ، وهذا الافتراض مستند الى أن أهمية القـارة الجنوبية علمية أكثر منها اقتصـادية أو استراتيجية ، فاذا ظل هذا الظن صـحيحا فسوف يدوم التعاون المشار اليه

القسيس ومرتلة الاناشيد

THE MINISTER AND THE CHOIR SINGER

المؤلف : وليم . م . كونستلر

William M. Kunstler

الناشر : وليم مورو

الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

لقد مر أكثر من اربعين عاما ، منذ صباح ذلك اليوم من شهر سبتمبر عام ١٩٢٢ ،حيث كان فتى وفتاة يسيران في طريق اعتـاد العشاق ارتياده في أطراف بلدة نيوبر نزويك عندما فوجئا برؤية جثتي ادوارد هويلر هول القس الرسيم ، والينور ملز » بكسر الميم زوجة سادن الكنيسة الجميلة ومرتلة الاناشيد فيها . وكانا يرقدان جنبـا الى جنب فوق ظهورهما ، تحت احدى أشجار الاجاص . وتناثرت فوق جسديهما خطابات السيدة ملز الغرامية . ولم تمض ثلاث ساعات حتى كان المارة الذين تجمعوا قد نزعـوا كل أوراق الشجر ولحاها ، وبدأ رجـال البـوليس والنيابة في مقاطعتي سمرست وميدلسكس تحقيق جريمة قتل تحقيقا اتسم بالاضطراب والاخطاء مما لم يحدث في أية جريمة قتـل أخرى في الازمنة الحديثة . لقد ارتكبـت الجريمة في عام ١٩٢٢ ولكن لم يفصل فيها الا في عام ١٩٢٦ حين أصدرت هيئة محلفين قرارها بادانة أرملة هول التي كانت تشغل مركزا بارزا في المجتمع ، وشقيقيها . وذلك على أساس شهادة سبق أن رفضتـها هيئة محلفين في عام ١٩٢٢ ، ولكنها عادت فبرزت من جديد بفضل صحيفة ديلي ميرور التي أرادت من وراء بعث الحيـاة في تلك الشهادة أن تبز مجلة ديلي نيوز في الاثارة ولفت أنظار الناس بها . لقد بدأ في عام ١٩٢٦ أن القضية طويت صفحاتها الى الابد الى أن طلع المستر وليم كونستلر بكتـابه هذا الذي نعرضه ، فقدم لنا قصة الجـريمة

بكل ما فيها من عناصر الاثارة ، وقصة العجز الذى أبداه المحققون على نحو ليس له مثيل . ومما يضفى على الكتاب اهمية خاصة انالمؤلف محام تخصص فيقضايا الحريات المدنية والحقوق المدنية ، كما أنه فى الوقت نفسه أستاذ القانون فى مدرسة القانون بنيويورك وكلية بيس .

ان الاسلوب الذى اتبع فيالتحقيق يتضح عندما نعرف أن أحد رجال البوليس اللذين وصلا أولا الى مكان الجريمة اكتفى بحراسة الجثتين وقد حول عينيه عن الجرح العميق فى عنق السيدة والذى ملاه السوس والديدان تماما ، وترك الناس يدوسون الحشيش باقدامهم ويقبلون شجرة الاجاص ويحاول بعضهم بعضا بطاقة للمستر هول كانت مرتكزة على كعب حذائه الايسر . كان مصير تلك البطاقة التى ظلت تتنقل طيلة أربع سنوات بين أيدى المحققين ، نموذجا للتحقيق المفجع . فقد أخذت البطاقة الى مكتب رجل النيابة فى سومرست ، ثم الى ليو بروتوريك وحولت الى « شخص ما » فى مكتب نائب ميدلسكس ، وفى صيف عام ١٩٢٦ انتقلت الى مكتب خبير فى البصمات فى نيو وارك ، وبعدها نقلت الى رئيس تحرير الميرور ومنه الى خبير آخر ، واخيرا — وليس احد يدرى او يعلم متى حدث ذلك — الى مكتب وكيل نيابة سمرفيل . وبعد هذه الجولات الضخمة وجد المدعى العام وعضو الشيوخ بالولاية ، اسكندر سمبسون ، فى نفسه الجرأة على أن يقدم البطاقة الى المحكمة كالدليل رقم ١٧ !

يا لها من عملية مفزعة وتدعو الى السخرية فى الوقت نفسه . وللمستر كونستلر ميزة على كتاب الروايات البوليسية الآخرين ، ذلك أنه لم يكن — مثلهم — فى حاجة الى أن يخلق شخصيات قصته ، وانما وجدهم جميعا تحت تصرفه ، وهو يقدمهم لنا بطريقة تبعث على الاعجاب ، ان الذى يستأثر بالاهتمام ليس فرانسيس هول الارملة الثرية الوادعة للقسيس العاشق ، ولا جيمس مسلز الزوج المتبلد الذهن ، أو هنرى ستيفز او اخوه ويلى الذى أثار دهشة المحكمة ورجال الصحافة حين اثبت خلال الاستجواب أنه أكثر من ند للمدعى العام ، ذلك الرجل الممتاز فى مهنته

كانت الشخصية التى تحتل العناوين الرئيسية هى السيدة جيبسون المعروفة باسم « امرأة الخنازير » وهى التى أعلنت انها شاهدت بعينيها الجريمة وهى ترتكب .وجى بها الى المحكمة من مستشفى جرسى سيتى محمولة على نقالة وأدلت بشهادتها وهى راقدة فوق النقالة بدلا من أن تجلس فى مكان الشهود « وفى الكتاب صورة لهذا كله » .
هذه المرأة التى عرف عنها الادمان على الكذب والتى لم تكن ثابتة بالحق حتى انها لم تكن متأكدة من اسمها ، هى المسئولة عن الحكم الذى صدر ضد ثلاثة من أقرانها فى البشرية ويذل المدعى العام كل ما ملك من جهد كى يستخلص من تلك الشهادة الدليل القاطع على الادانة

ولكن بعد انقضاء ٣٦ عاما وفى خريف عام ١٩٦٢ وجد المستر كونستلر وكيل نيابة مقاطعة سمرست بعض أوراق مفكرة فى صندوق من الكرتون فى مكتب النائب ، وكانت الاوراق ملفوفة بقطعة من الورق الاصفر وعليها توقيع جيمس ماسون ، كبير المحققين فى عام ١٩٢٢ ، وفى احد أوراق المفكرة وبخط امرأة الخنازير ، الدليل القاطع على أنها كذبت فى الشهادة التى أدلت بها ، ولا بد أن المستر سمبسون كان يعرف انه يحاول ادانة ثلاثة أشخاص بتهمة القتل بناء على شهادة باطلة

واذا كان القارىء ممن يحبون أن يعرفوا ، كيف تحل عقدة الرواية البوليسية فان عليه أن يتابع الادلة المنطقية التى يعرضها المؤلف فى الفصل الاخير ، ومنها يستطيع ان صح التحليل — أن يرى أن بعض الذين كان فى وسعهم أن يذكروا اسماء القتلة الحقيقيين أو أحدهم على الاقل ، كانوا ممن يشهدون المحاكمة . بل انه ليستطيع أن يتأكد من أن اعضاء هيئة المحلفين « وان لم يقل المؤلف هذا » هو الذى أطلق الرصاصات التى قتلت هول والباتور ثم حز رقبة السيدة من اذن الى الاخرى ، فان صح هذا فلا بد أنه شعر برضاء ذاتى اذ وجد الفرصة لينضم الى زملائه فى اصدار قرار الادانة ضد أرملة هول وأخويها . وفى الفقرات الاخيرة من الكتاب يلاحظ المؤلف أن الحل الذى يعرضه سبق أن أوحى به كثيرون منذ البداية ، ثم يذكر لنا أسبابا تفسر لماذا لم يسر رجال البوليس والنيابة فى التحقيق على النحو الذى كان لا بد أن يكشف عن الحقيقة

الهلال ثمن العدد :

فى قطر والبحرين		٣٠ آنة
فى ليبيا	بنغازى	١٤٠ مليما
	طرابلس	١٥٠ مليما
فى الجزائر		١٢٥ فرنكا
فى المغرب		١٥٠ فرنكا

الهلال الاشتراكات :

قيمة الاشتراك : عن سنة (١٢ عددا) فى الجمهوريه العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى ٧٠٠ مليم بالبريد العادى و ٨٠٠ مليم بالبريد المسجل . وجنيه مصرى واحد و ٢٠٠ مليم بالطائرة – فى الامريكتين دولاران بالبريد العادى و ٣ دولارات بالبريد المسجل و ١٢ دولارا بالطائرة – فى سائر أنحاء العالم ٢٠ شلنا بالبريد العادى و ٣٠ شلنا بالبريد المسجل و ٦٥ شلنا بالطائرة

وقيمة الاشتراكات تسدد مقدما فى ج.ع.م. باذن بريد – وفى السودان بحوالة بريدية – وفى الخارج بتحويل مصرفى قابل للصرف فى القاهرة لامر مؤسسة دار الهلال

فى عدد مايو من الهلال

٠٠٣ طاهر الطناحى : بطل السد ..
٠١٢ محمد عوض محمد : رئيس الاتحاد السوفيتى
٠١٨ حكمت ابو زيد : المرأة العربية فى معركة البناء
٠٢٢ عباس العقاد : انا ..
٠٣٣ امير بقطر : فلسفة شم النسيم
٠٣٨ ابراهيم بيومى مدكور : العقاد المؤمن ..
٠٤٠ سهير القلماوى : مشاكل عالمنا الحديث
٠٤٨ احمد موسى : فقيد الفن محمود سعيد ..
٠٥٦ ناصر النشاشيبى : لغز شارع الرشيد .. ايضا
٠٦٤ راشد البراوى : ما تحتاج اليه البرازيل
٠٧٣ على الجندى : حينما تهرم حواء ..
٠٧٤ نظمى لوقا : ابن رشد .. سقراط قرطبة
٠٨٠ احمد حمروش : بين التمثيل الصامت ..
٠٨٩ اخبار الموضة
٠٩٦ قصة صوفى عبد الله : مذنب ام غير مذنب
١٠٣ ثروت اباظة : مضمون جديد فى مسرح الحكيم
١٠٧ فى الطريق الى .. شارع النجاح
١١٥ صالح جودت : مع الشاعرة سلوى ..
١٢١ قاسم الخطاط : صفحات مطوية من حياة الرصافى
١٢٧ صاروخان يقدم : ضحكات العالم فى شهر
١٣١ مسرحية ريتشارد جاتشونى : زائر من عطارد
١٤٤ اخبار الغد ..
١٥٠ افكارهم ..
١٦٢ فيلم الشهر
١٧٠ مكتبة مجلة الهلال

المرأة العربية
حكمت ابو زيد



ضيفنا ..
محمد عوض محمد



شم النسيم
امير بقطر



فقيد الفن
احمد موسى



الهلال

يونية ١٩٦٤ — ٧٠ مليما

AL HILAL — June 1964





صورة الغلاف

الربيع موسم الزهور والشباب والابتسامات ، انه عودة الحياة ، وعندما تلبس الطبيعة ابهى حللها .. تتفتح آمال الانسان ، فتشاركها ابتسامتها وجمالها ، ويحلو للزهرات الجميلات أن تجالسها وتناجيها .. وتبوح لها بأسرارها
« تصوير محمد فريد »

الهلال

تصدر عن مؤسسة دار الهلال

اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢

رئيس مجلس الادارة
احمد بهاء الدين

مدير التحرير
طاهر احمد الطناحي

اول يونية ١٩٦٤ م

٢٠ المحرم ١٣٨٤ هـ

العدد ٦
السنة ٧٢

كلمات عاشت

* يا رجال مصر ، ويا نساءها وأطفالها : هنا أمام الدنيا كلها رمز حي لارادتكم وتصميمكم ، ومقدرتكم على العمل ، وعلى الفداء .. هنا بهذا السد العالى تذكار لانتصاركم على كل اعتداء ، هنا صورة رائعة لأحلامكم صنعها العمل الذى يحرك الجبال ..

« جمال عبد الناصر »

* جدير بالسد العالى أن يكون المعجزة الثامنة .. ان النيل الجبار العاتى قد خضع لارادة الانسان اليوم حينما تغير مجراه .. ان الانتصار الذى حققته الجمهورية العربية المتحدة هو انتصار عظيم حقا لارادة العمل ..

« نيكيتا خروشوف »

* فى هذا اليوم السعيد ، الذى نعتبره يوم العروبة ، يوم العمل ، سنبقى نعمل كعمل السد العالى لايجاد شعب قوى ، لتكوين أمة عربية قوية

« عبد السلام عارف »

* ان انجاز المرحلة الأولى من بناء السد العالى ليعد خطوة جبارة ، ولبنة أساسية لبناء صرح الاقتصاد العربى وتدعيمه لرفع مستوى الجماهير ..

« أحمد بن بيللا »

طاهر الطناحى :

منذ عشر سنوات

"يونيو" شهر الجمهورية والجلاء والزحف المقدس

في تاريخ الشعوب الناهضة أيام مجيدة تحتفل بها كلما مرت مواسمها الباسمة ودورتها السعيدة كل عام . لانها تذكر فيها معالم نهضتها واعمالها العظيمة ورجالها العظماء الذين قاموا فيها بهذه الاعمال ، وخدموا بها شعوبهم واوطانهم ، وغيروا مجرى تاريخهم ، ودفعوا بعجلة التاريخ الى خطوات جديدة ، وتطور جديد فى حياة هذه الشعوب والاوطان . فاذا بالشعب السعيد الذى يتاح له من ابنائه عظيم يخلص له . ويتفانى فى خدمته ، ويعمل لرقيه ، قد انتقل الى طور جديد ، واتجه الى مستقبل جديد ، لم يكن يحدث لولا هذا العظيم الذى اتاحه القدر ، وكانت اهدافه هى جماع امانى الشعب ، وتحقيق هذه الامانى بما أوتى من همة عالية ، وارادة قوية ، وعزم واصرار على الوصول الى ما يريد

وكذلك كان حظ الشعب المصرى من جمال عبد الناصر ، فقد أتاح الله لمصر العربية هذا الزعيم العربى ، فحقق لها امانيها الكبرى .!

شهر الجمهورية

وكان تحقيق كل امنية من هذه الامانى انتصارا بعد



انتصار ، فبعد أن انتصر فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حقق حرية الامة من الحكم الملكى الاستبدادى ، ففى « يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ » الغيت الملكية ، واعلنت الجمهورية ...!

وجاء اعلان الجمهورية فى مصر ، نتيجة حتمية للتطور الذى احدثته الثورة فى كيان مصر السياسى ، والاجتماعى ، وحياة الشعب المصرى الخاصة والعامة

وقد طبقت الجمهورية جميع القوانين والقرارات والانظمة التى وضعتها الثورة ، وقررتها فى سنتها الاولى ، وانجزت مابدات به ووضعت اساسه . وفى مقدمته قانون الاصلاح الزراعى ، وتحديد الملكية الزراعية لتحطيم الاقطاع ، والقضاء على الحزبية ، ومحو الالقاب ، وجعل السيادة للشعب ، ثم صدر قرار بمصادرة املاك اسرة محمد على ، باعتبار أن اموال هذه الاسرة هى اموال الامة ، لانها لم تحصل عليها بالطرق الشرعية ، بل بالمصادرة ، فما صودر بالامس صودر اليوم ...!

الجلاء التام

وفى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ — اى منذ عشر سنوات — تم توقيع اتفاقية جلاء الانجليز عن الاراضى المصرية فى البهو الفرعونى بمجلس الامة بين الجانبين المصرى والانجليزى

وعلى اثر توقيع هذه الاتفاقية اذاع الرئيس جمال عبد الناصر كلمة تاريخية أشار فيها الى كفاح الاجيال المصرية فى سبيل تحقيق « الجلاء » واعتبر هذا الحادث من اعظم الحوادث الكبرى فى تاريخ مصر الحديث ، وابتهل الى الله ان يعطى مصر على الدوام الامل والثقة والشجاعة والقدوة على بناء العهد الجديد ـ عهد الحرية والاستقلال ـ وقال :

« ان مرحلة من كفاحنا قد انتهت ، ومرحلة جديدة توشك ان تبدأ .. هاتوا ايديكم ، وخذوا ايدينا ، وتعالوا نبن وطننا من جديد بالحب والتسامح والفهم المتبادل » .!

وفى ١٨ شهر يونيو سنة ١٩٥٦ تحقق جلاء الانجليز عن الاراضى المصرية جلاء تاما نهائيا ، فوجه الرئيس الى الشعب المصرى عن طريق الاذاعة كلمة بليغة هنأ فيها الشعب بهذا الحادث التاريخى العظيم ، جاء فيها :

« ان هذا الجيل من شعب مصر على موعد مع القدر ، فمنذ اكثر من الفى سنة ووطننا يحكمه الغزاة، والحلم الضائع لابنائه ان يعود وطنهم يوما اليهم

« ومنذ اكثر من خمسمائة سنة ووطننا يئن تحت سنابك خيل المماليك وأجناد المماليك واحفاد المماليك ، يفرضون عليه الايتقدم ولا يتطور

« ومنذ اكثر من مائة وخمسين سنة ووطننا لاسرة واحدة تملكه وتحكمه ، تبعثر ثروته ، وتبدد تراثه لحسابها او لحساب وجودها . وقدر لهذا الجيل ان يشعر بانتفاضة الحرية التي اسقطت الاسرة المالكة الحاكمة

« ومنذ اكثر من سبعين سنة ووطننا يتكبر ويتجبر فيه محتل غريب . الكلمة كلمته ، والأمر أمره . وقدر لهذا الجيل ان يشهد بعينيه فلول المحتل الغريب تتسلل خارجة عائدة من حيث اتت ... »!

وفى نفس هذا اليوم سافر الرئيس الى « بور سعيد » وقصد الى السرادق الكبير الذى اقيم فى مبنى البحرية، وقد ازدان السرادق باعلام التحرير والزهور ، واصطفت القطع البحرية المصرية امام منصة الرئيس ، وقد ازدانت هى والسفن الراسية فى الميناء بالأعلام المختلفة الالوان . ثم قام الرئيس الى مكان سارية العلم ، وحمل علم مصر ، وقبله فى خشوع . ثم رفعه بيده ، فاخذ يرتفع على السارية خفاقا على ارض مصر الحرة . ووسط موجات الفرح والحماسة التى غمرت جميع سكان البلاد ، القى كلمة تاريخية جاء فيها :

« ايها المواطنون .. هذه لحظة العمر ، بل ان هذه اللحظة هى العمر كله ، لقد كنا نحلم ونتمنى .. كنا نحلم ونتمنى اليوم الذى تحين فيه هذه اللحظة .. اننا



في ١٨ يونية ١٩٥٦ رفع الرئيس جمال عبد الناصر العلم على أرض مصر الحرة قائلا : أن هذه اللحظة هي العمر كله ... !!

اليوم نعيش لحظة حرم منها الآباء ، وحرم منها الاجداد ..حرم منها اخوان لكم كافحوا على مر السنين لتحقيق هذه الامنيــة ، وليرتفع العلم وحده فى السماء..»

وفى اليوم التالى (١٩ يونيو سنة ١٩٥٦) اقيم فى القاهرة مؤتمر شعبى عام ابتهاجابهذا العيد — عيد الجلاء — خطب فيه الرئيس خطبة ضافية ، وقد حضره جماهير الشعب ورؤساء البعثات الاجنبية فى مصر ، واشترك فيه بعثات عسكرية من جميع الدول العربية ، واعلن الرئيس فيه سياسة مصر الداخلية وسياستها الخارجية على ضوء الحوادث فى ذلك الحين

الزحف المقدس

وفى يومى ٢٤ و ٢٥ من يونيو — يونيو ايضا — سنة ١٩٥٦انتخب الشعب الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية فى استفتاءشعبى على الموافقة التامة على انتخابه عام باغلبية ساحقة بلغت ٩ر٩٩٪ وهذه النتيجة اثبتت اجماع الامة لرياسة الجمهورية . وفى مساءيوم ٢٥ يونيو أقام نادى الضباط حفلا تاريخيا كبيرا تكريما للرئيس جمال عبد الناصر القى فيه خطبة بليغة أعلن فيها الزحف المقدس ..زحف الشعب نحو اهدافه الكبرى من اجل حياته وحريته ، وقال فيها :

« لقد اعلنت مصر جميعها انها تسير فى زحف مقدس نحو الاهداف الكبرى التى كانت تشعر بها على مر السنين .. اعلنت مصر فى هذه الايام انها تعى وتعرف وتحس وتشعر ، واعلن كل فرد من ابناء مصر انه كان فى المعركة يكافح ويقاتل ، واعلن كلّ فرد من ابناء مصر ، بل اعلنوا انهم جميعا كانوا فى صميم المعركةوفىداخلها ، وانهم لم يكونوا ابدا سلبيين

« .. واليوم وقد أعلنت نتيجة الاستفتاء ، واعلن الشعب ارادته التى كنا ننتظرها .. وعن نفسىإنا اعتبر هذه الارادة امرا وخدمة عامة

« وكما تمسكت الطليعة — القوات المسلحة — بالمبادىء وبالمثل العليا ، وبالمحبة والتعاون ، فهذا سبيلى دائما .. وانا فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن اشعر بالمسئولية الكبرى ، فقد كنت اتتبع نتيجة الاستفتاء ، وكلما زادت الاصوات المؤيدة كنت اشعر بهذه المسئولية ، واشعربانالواجب يكبر ، والمسئولية تعظم

« وانا ادخل اليوم فى هذه المرحلة ، كما دخلت فى ٢٣ يوليو . لقد بدات مع الطليعة فى ٢٣ يوليو ، وليس امامى سوى هدف واحد ، كان يتمثل فى مصلحة مصر ، وفى اهداف مصر ، لم افكر ابدا فى مصيرى ، ولم افكر ابدا فى نتيجة هذا العمل ، ولكنى كنت أفكر اننى اعمل بما يمليه على ضميرى ...!

« انا اليوم اقول اننى ابدا هذه



الزعيم الرئيس جمال يوقع مسودة
اتفاقية الجلاء في أكتوبر ١٩٥٤ م

المرحلة ، كما بدأت المرحلة الاولى فى ٢٣ يوليو . لاافكر الا فى اهداف مصر ، ولاافكر الا فى مصلحة مصر . لم افكر مطلقا فى مصيرى . ولكنى ساعمل ما يمليه على ضميرى . هذه هى وسيلتى . وهذا هو سبيلى مع المسئولية الكبرى ..»!

وقد صدق جمال عبد الناصر ، فقد عمل منذ قامت الثورة ومنذ انتخب رئيسا للجمهورية باعمال مجيدة ، وبما يمليه عليه ضميره ، وانتصر فى كل عمل عظيم قام به . فمعد هذه الانتصارات التى سبقت انتخابه للرياسة ،جاءت الانتصارات الباهرة والاعمال العظيمة مقترنة بالنجاح والتوفيق

فقد انتصر جمال يوم اعلن تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ ورد الى بلاده حقوقها المهضومة التى كان يسيطر عليها المستعمرون .. وانتصر جمال على المؤامرة الحربية الثلاثية التى شنتها بريطانيا وفرنسا وصنيعتهما دولة اسرائيل .. وانتصر جمال فى المعركة الدبلوماسية بجمعية الامم المتحدة التى ايدته فيها ٧٥ دولة اعترفت بسيادة مصر فى ارضها ، وحقها فى الحرية والاستقلال

وانتصر جمال فى الدعوة الى الوحدة العربية ، فأصبحت الشعوب العربية كتلة قوية واحدة متعاونة ضد الاستعمار والمستعمرين ، وضد الغاصبين المعتدين

وانتصر جمال عبد الناصر على حلف بغداد بسياسته الرشيدة التى تقوم على الحياد الايجابى حتى اعتنقت هذه السياسة كثير من الشعوب الافريقية والاسيوية

وانتصر جمال فى سياسته الخارجية التى اعلنها فى الامم المتحدة ، والتى تقوم على التعايش السلمى ، وتحريم الحرب

وانتصر جمال فى تحقيق مشروع السد العالى .. هذا المشروع التاريخى العظيم الذى افتتح مرحلته الاولى بنجاح باهر فى منتصف مايو الماضى

وانتصر جمال فى تنظيم اداة الحكم تنظيما يكفل لها السير بنجاح فى ادارة البلاد وتدبير شئونها تدبيرا يحقق المصلحة العامة ، ويكفل الكفاية والعدالة الاجتماعية ، ويسير بالبلاد الى الامام ، ويوفر الرخاء لابناء الشعب ولاسيما فى الميادين الصناعية والزراعية

انتصر جمال فى هذا كله ، وانتصر انتصارا مرموقا فى رفع شأن الشرق الاوسط ، والعالم العربى بتلك السياسة الرشيدة ذات الشخصية المستقلة التى يتنافس عليها المعسكران الدوليان — الشرقى والغربى — بل انتصر فى توجيه دول العالم الى تأييد السلام حبا فى سعادة الانسانية وتحقيقا لحياة سلمية بين الدول التى تقوم على التفاهم والتعاون والخير العام لجميع البشر

ميخائيل نعيمة :

هوامش

فصلان من كتاب « هوامش » يقوم الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمه بتأليفه الان · وهو يحتوى على خطرات وتاملات فى الادب والمجتمع والحياة خص بهما «الهلال»

١ ــ عطاء الموت

غرستها بيدى يوم كانت تخانتها تخانة خنصرى ، وقامتها لا ترتفع فوق التراب اكثر من نصف المتر · اما عدد اوراقها فما أظنه كان يتجاوز العشرين · ولقد غرست الى جانبها عودا طويلا وقويا ومستقيما ، وربطتها الى العود ليصــــونها فى طفولتها من عبث الرياح والثلوج ، ولتنمو نموا مستقيما

ومضيت أرعى غرستى بعينى وقلبى قبل يدى ، فلا يمر يوم ، فى اى فصل من الفصول ، الا واطل عليها من شبابى مرات ومرات لارى انى خير هى وعافية وسلام · واذا كانت فى حاجة الى شىء من الماء والسماد ، او الى المقرض لتشذيب الزائد من اغصــانها !! ولكم ابهجتنى أن القى عليهــا السلام ذات صباح من ربيعها الثانى ، فاذا بها ترد السلام بالسنة حفنة

من الازهار البيض المكوكبة في قلبهـا . ثم لكم زاد في بهجتي الا ينتصف الصيف حتى تصبح الحفنة من الزهر حفنات من الكرز المتورد الوجنتين، المستطيل العنق ، الشهي المزاق ، والذي حجمه بحجم حبة القراصـيا الكبيرة

استقبلنا ـ أنا وغرستي ـ عشرين ربيعا ، وعشرين صيفا وخريفـا وشتاء ، كنا في خلالها نسير في اتجاهين متعاكسين دون أن يبتعد واحدنا عن الاخر .. فقد كانت قواى البدنية الى التقلص والنفاد ، وقواها الى التمدد والازدياد .. حتى انى بت عاجزا عن الوصول الى قمتهـا ولو بالسلالم العالية .. وحتى ان الرجل الذى ابتاع غلتها في السنة الماضية أعياه قطفها في يوم واحد

الا اننا ـ انا وغرستي ـ وان مشينا في اتجاهين متعاكسين . كنـا ابدا متلاصقين بقلبينا وروحينا . فمـا اطللت مـرة عليهـا من شباكي ، وفي اى يوم أو فصل ، الا شـعرت بانني أطل على خـدين امين ، ورفيق صديق ، أو على دنيا من السحر والفتنة . وعلى الاخص عندما تكتسى غرستي بخضرة الربيع وتمضى اماليدها الطرية تستطيل وتمعن في الصعود .. فتضحك للشـمس الضـاحكة ، وتختلج اوراقها الندية لدغدغة النسيم ، وفي اختلاجها تتكشف عن آلاف الثمار العالـقة بالافانين تمتص من صدورها الطاقة على النمو .. اذ هي تمتص الوانها العجيبة وطعمها اللذيذ

وكان الربيع الاخير ـ ربيع هذه السنة ـ فأزهرت غرستي كالمعتاد ، ثم لم تلبث ان اكتست بالخضرة ، ولم تلبث ازهارها ان عقدت . ولكن عيني اجفلت ، واضطرب قلبي ايما اضطراب .. اذ راحت الايام تكـر والثمر على غرستي لا يلتمع وينتفخ كما يلتمع وينتفخ على جاراتها .والورق على أغصانها لايتسع ولا يسـمن . واماليدها لاتستطيل وتصعد في الفضاء .. بل كانت وكأنها تعاني من لعنة ، أو من لجـام ، أو من كابوس ..

وما هو غير شهر وبعض الشهر ، حتى اخذت الثمار على غرستي تحمر قبل الاوان ، واخذت الاوراق تصفر على هذا الغصن ، ثم على ذاك ، الى أن لم يبق غير غصنين أو ثلاثة لم يدركها الاصفرار .. فأيقنت ان ذلك الاصفرار لم يكن غير اصفرار الموت . استشرت اكثر من خبير ، فلم تجدني خبرتهم فتيلا ، وخانتني جميع الحيل ، فاستسلمت . لقد كانت غرستي

الحبيبة الجميلة ، الكريمة ، في سكرة الموت ٠٠ !

وشق علي جدا ان يطول احتضار غرستي بعد ان عايشتها وعايشتني عشرين عاما ، فاطعمتها من قلبي ، واطعمتني من قلبها ٠ وما بقيت اطيق ان اطل من شباكي فاشهد صراعها الصامت مع الموت ٠ ولذلك أمـــرت بقطعها ، وهربت من البيت لكيلا اشهد المأساة بعيني ٠٠

في مساء ذلك اليوم ، جلست الى مائدة العشاء وفي نفسي جنازة ٠٠ فلم اتناول مما على المائدة غير حبات قليلة من الكرز الاحمر

ما أظن انني تذوقت في حياتي كرزا احلى منه واشهى ٠٠

وعندما سألت عن تلك الحبات من أين جيء بها .. قيل لي انها من الشجرة التي قطعوها قبل ساعتين ..!

ب ــ شحاذ

كنا ونحن صغار ، نخاف من الشحاذين ونحتمي منهم بامهاتنا فقيافة الشحاذ وحدها كانت تكفي لاثارة الرعب في قلوبنا : سروال مهلهل ، ممزق ، ومرقع الى حد ان لا تتبين نســيجه الاصلي ، وقميص طلقته ازراره من زمان ، وجفاه الماء والصابون ، وكثرت شقوقه فبانت من خلالها بقع متفاوتة الحجم من الجلد والشعر ، وغطاء على الراس قد يكون كوفية تناثرت خيوطها ، أو خرقة بالية ، أو طربوشا كان من حقه ان يتقاعد منذ نصف قرن ، وحذاء تطل الرجل من ثقوبه وشقوقه ، ولا يدري اي منجم من اي مادة صنع ٠٠

ولتكتمل القيافة كان لابد من مخلاة تتدلى من الكتف ونصيبها من المتانة والنظافة نصيب السروال والقميص والحذاء وغطاء الرأس ٠٠ مثلما لم يكن بد من عصا تبدو ، في الغالب ، وكأنها ذنب الكلب ٠ واذا اتفق وكان الشــحاذ محدودب الظهر ، كث اللحية ، زبد العينين ، أو كان في وجهه وباقي بدنه عاهة من العــاهات فبامــكانك أن تتخيــل الرعب الذي يبعثه في نفوسنا منظره ٠ اضف الى ذلك ما كنا نراه في مشية الشحاذين الوتيدة ، وفي وجوههم الكالحة من مذلة وانكسار ٠ فما اذكر انني رأيت مرة شحاذا يبتسم ، او اني سمعت واحدا يضحك ٠ فكأن المهنة تقضي عليهم بان يطردوا من وجوههم جميع امارات القوة والرجاء والسرور

فلا عجب ان تلجأ امهاتنا الى تخويفنا بالشحاذين كلما تضــايقن من شيطناتنا :

« اهدءوا ! والا ناديت الشحاذ »

أما أن وجود الشحاذين في الارض هو غل في اعناق المتحكمين في مقدرات ابناء الارض فذلك ما لم تقله لنا امهاتنا في اي يوم من الايام

***

واتفق ذات صباح من الصيف الذي فيه عدت من المهجر الى مسقط راسي في سفح صنين ان اشتد بي الشوق الى رحلة اقوم بها وحدي في الجبال .. فارتديت بنطلون « غولف » من النوع الذي يربط طرفاه السفليان تحت الركبتين فيتدليان الى منتصف البطن · ولبست قميصا بليت جدته · واعتمرت قبعة من الكاكي تطفطف فوق عيني واذني · وعلقت في كتفي كيسا من الكتان الاسمر وضعت فيه كتابا وبعض الزاد واخذت بيدي عصا غليظة من السنديان ، وانطلقت في طريقي

واذا بي ، بعد دقائق من السير ، التقى في الطريق بصبي حافي القدمين متورد الوجنتين ، منفوش الشعر ، أسود العينين . واذا بالصبي ــ وما اظنه كان فوق السادسة ــ يتوقف بغتة حالما وقع بصره علي ، ثم يتأملني بالكثير من الدهشة ، ثم يدور على عقبيه ويطفق يعدو ، وهو يصيح باعلى صوته :

ــ امي ! .. امي .. ليك الشحاذ .. ليك الشحا ــ ا ــ ا ــ ذ »

وتفتح الام للصبي ذراعيها ، وتضمه الى صدرها ، وتقبل جبينه ، وتهدىء روعه · وكانت جالسة على عتبة بيتها بجانب الطريق ·· الا انها ما ان رأتني وعرفتني حتى لطمت الولد لطمتين ، ودفعته من حضنها ووقفت تؤهل بي وتعتذر عن « قباحة » ابنها : « يا عيب الشوم ! ياعيب الشوم! »

فقلت لها ، وانا موقن انها لن تفهم ما اقول :

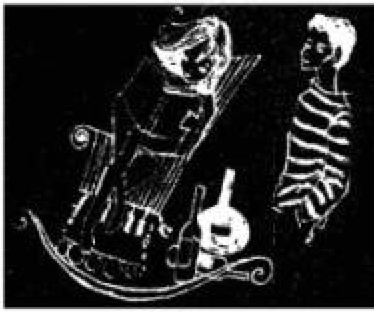
« أينطق بالحق وتضربينه ؟ حرام ·· حرام ! »

وكيف كان لها ان تفهم انني كنت في سبيل لاستعطي قبسا من النور ، ولمحة من الجمال ، ودفقة من نسيان الذات ، وان جميع الناس والكائنات ليسوا باكثر من شحاذين على أبواب الحياة ؟

رسائل ميخائيل نعيمة

يرجو ميخائيل نعيمة من جميع الذين لديهم رسائل منه ان يردوها ــ او نسخا منها ــ اليه لينشرها في مجلد خاص

دكتور أمير بقطر :



ان تربية الاولاد المثالية ، تتطلب وجـود
الاب والام ، وان يسهم كل منهما بنصيبه

انحراف الشباب ما هي أسبابه ؟

تجتاح بلدان اوروبا وامريكا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبسببها ، موجة صاخبة من انحراف الشباب ، فتيانا وفتيات . ففى كل من السويد ، والدانمرك ، والمانيا الغربية ، وانجلترا وفرنسا ، وامريكا ، وغيرها ، جيوش جرارة ، وزرافات ، ومجموعات من المراهقين والمراهقات الذين خلعوا عذار الحياء ، واخذوا يعيثون فى الارض فسادا ، متخذين لانفسهم شعارات هدامة ، وازياء صارخة تسترعى الانظار ، وتمجها الاذواق السليمة . فمن سراويل ضيقة ملاصقة للسيقان ، الى سترات من الجلد السميك الاسود ، الى هراوات غليظة ، واحذية وحشية المنظر ، الى لحى كثيفة متهدلة ، وشعور مهلهلة مسترسلة

وقد جندت لهم كل عاصمة ومدينة كبرى جيشا من رجال الشرطة ، تجاوز عددهم فى بعض الجهات الالوف ، لمطاردة المشاغبين ، والمدمنين ، ولصوص السيارات ، والذين يسطون على المتاجر الصغيرة ، ويتعدون على المارة فى المتنزهات العامة ، والاماكن غير المطروقة . هذا عدا الايغال فى موبقات داعرة ، والسنة فاحشة ، وفتنة وشحناء ، وعداوة قاسية لرجال الامن ، وعدا ذلك من جرائم الاحداث التى أدت الى

احالة ٢٠٪ من اطفال تتراوح اعمارهم بين ١٠ سنوات و ١٧ سنة الى المحاكم فى امريكا وحدها ، واذانة نسبة كبيرة منهم

غياب الاب

وقد دلت الدراسات التى اجريت على عشرات الالوف من طلاب المدارس الثانوية فى السنوات النهائية والسنوات الاولى من الكليات الجامعية ، ان هذه الحالة نشأت فى الاصل عقب الحرب العالمية الثانية وفى خلالها ، حينما حرم الذكور من اطفال تلك الفترة ، لاسيما ابناء الطبقات الاجتماعية السفلى ، من وجود آبائهم ، فنشأوا بين احضان امهاتهم ، وتخلقوا بصفات الانوثة ، فلما كبروا ارادوا التعويض عما فقدوه من صفات الرجولة وسماتها ، فاوغلوا فى اعمال العنف ، وتمادوا فى مظاهر العدوان تغطية للموقف . ويقول العلماء الذين تولوا هذه الدراسات ، انه كلما طالت غيبة الاب ، وصغر عمر الابن ، زاد الانحراف شدة ، وزادت الاخلاق تدهورا

وتتبع الباحثون صغار هؤلاء الاحداث الاشقياء الذين ولدوا بعد تلك الحرب بعشر سنوات او اكثر ، فاتضح لهم ان تغيب آبائهم كان من اهم العوامل التى حدت بهم الى الانحراف ، اى ان سلوكهم المعوج ، واعمال العنف التى يرتكبونها لم تكن الا نتيجة افتقارهم الى الكثير من صفات الذكورة ، ومحاولتهم اليائسة لتصنع الرجولة

التقليد والمحاكاة

وفضلا عن ذلك فان موجة الانحراف هذه قد تفشت فى بعض البلدان الاخرى التى لم تكتو بنار الحرب ، كبلدان امريكا اللاتينية ، اذ يبدو ان التقليد والمحاكاة والتضامن من صفات هذا العصر ، لاسيما فيما يتعلق بالجيل الحديث من مراهقين ومراهقات ويافعين ويافعات

وهذه مملكة السويد ، تلك البلاد الوادعة التى تفاخر بأن بعض محاكمها الجنائية لا تتشكل الا مرة فى كل عشرات من السنين لخلوها من الجرائم .. تلك البلاد يضج سكانها بالشكوى من استهتار احداثها ذكورا واناثا ، ويضطر ثلاثون من كبار اطبائها اخيرا الى بث شكواهم لمليكهم ، ومطالبته باتخاذ اجراءات حاسمة لوضع الامور فى نصابها . وهذه انجلترا بما عرف عنها من مراعاة التقاليد ، قام المراهقون فيها فى عيد الفصح منذ اسابيع باعمال تخريبية مدمرة ، وقلب السيارات ، وتحطيم الحانات وصالات الرقص وسرقة المحال التجارية والاشتباك على

الشاطىء ، والاشتباك مع الشرطة . والغريب أن ماحدث فى انجلترا حدث مثله تماما فى بعض ولايات اميركا ، وبالمناسبة عينها ، اى عيد الفصح

وتثير هذه الانحرافات سخط الراى العـام ، ووقوف أولى الحل والربط حيارى ، مكتوفى الايدى امام المشاكل الاجتماعية والجنسـية التى تتسبب عن هذه الموجة الصاخبة التى طال عليها الاجل وقد مضى عليها اكثر من عشرة اعوام . ومن هذه المشاكل التزاوج بين المنحرفين فى سن مبكرة ، تكاد تنعدم فيها المسئولية التى يتطلبها عش الزوجية وانجاب الذرية . وحسب القارىء ان يعلم ان نصف مليون طفل يولد سنويا فى ولايات اميركا المتحـدة لامهـات مراهقات . وقد ثبت من الدراسات الاجتماعية المختلفة ان زواج المراهقين والمراهقات ، تعلو بسببه نسبة الطلاق ، والفرقة ، وتغيب الازواج غيبة متقطعة ، وتشرد الذرية ، وبؤس الحياة الزوجية

قبل الزواج

ومن المظاهر التى تقلق بال الآباء والامهات ، وتثير اشد الاسـتياء فيهم ، أن بناتهم المراهقات يحملن قبل عقد الزواج . وتدل احصاءات سنة ١٩٦١ ، على أن الفتيات الاميركيات المنحرفات اللاتى تزوجن بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة من العمر ، حمل ٣١٪ منهن قبل اتمام مراسيم الزواج . وبلغت هذه النسـبة سنة ١٩٦٢ واحدا فى كل ٦ زيجات من جميع الاعمار . وتزيد هذه النسبة فى الدانمرك حيث تبلغ ٣ فى كل ٥ زيجات

ويغمض بعض افراد المجتمع فى البلدان الشمالية عيونهم لانتشـار هذه الظاهرة ، لان حمل الفتاة فى فترة الخطبة فى اعتقادهم مسالة شكلية



على كل حال من الوجهة العملية ، طالما أن الزواج تستوفى اجراءاته فى النهاية . اما المشكلة التى تقض مضاجعهم حقيقة ، هى الصعود المستمر فى نسبة المواليد غير الشرعيين ، لاسيما بين المراهقات ، بسبب موجة الانحرافات . وينظر المجتمع الغربى الى هذه الظاهرة المؤلمة نظرة انسانية ، فينشىء مؤسسات لرعاية أولئك الامهات العزباوات ، وايجاد أسر موثوق بصلاحيتها لتبنى المواليد والعناية بتربيتهم . والطلب ، أى الاقبال على هؤلاء الاطفال ، اكثر من العرض بمراحل . ومن المبادىء المتفق عليها فى تلك الاوساط اليوم ، انه لا يوجد اطفال شرعيون ، انما يوجد آباء وأمهات غير شرعيين

احصاءات عجيبة

والاحصاءات الخاصة بهذا الجانب من الموضوع من الممكن ان تشغل عدة صفحات من هذه المجلة ، وحسبنا ان نضع امام القارىء بعضا منها ، مع مراعاة انها تشمل المراهقين وغيرهم ، وان كانت الارقام تدل على أن اكثر امهات المواليد غير الشرعيين لا تزيد اعمارهن فى هذه الاحصاءات على ٢٤ عاما

فى مدينة برستول الصناعية فى انجلترا ، وجد فى سنة ١٩٦٣ ، أن ٩٪ من جميع المواليد غير شرعيين ، وان ١٣ من كل ٤٠ اما غير متزوجة من طالبات المدارس . وبلغ مجموع المواليد غير الشرعيين فى بريطانيا العظمى سنة ١٩٦٢ ، خمسين الفا . ومن حيث الاعمار بين الامهات غير المتزوجات ، تدل ارقام سنة ١٩٦١ ، على ان نسبة المواليد غير الشرعيين عند الامهات المراهقات كانت ١٦ فى كل الف مولود . يقابل ذلك ٤١ فى كل الف ، بين من تراوحت اعمارهن بين ٢٠ و ٢٥ سنة

وكان كاتب هذه السطور يزور مرة مدرسة ثانوية فى احدى المدن





الصناعية الكبرى تضم أكثر من عشرة آلاف طالب وطالبة ، ومن الاسئلة التي وجهتها لمديرها : ما أهم المشاكل التي تواجهها في ادارة هذا المعهد الكبير الذي يجمع بين الدراسات النظرية وعشرات الصناعات والمهن الفنية ؟ فكان في مقدمة القائمة ، الطالبات اللاتي يحملن سفاحا ، وقد علمت منه أن النسبة العامة في كل المدن ١٣ طالبة ثانوية في كل ألف . والغالبية العظمى من هؤلاء من الفتيات المنحرفات ، بسبب تغيب الاب وانحلال الاسرة بوجه عام بين الطبقات العمالية الفقيرة

وليس ثمة ريب ان ارتفاع نسبة المواليد غير الشرعيين في بلاد العالم لايعزى كله الى المراهقات المنحرفات ، بيد أن الارقام المزعجة التي تسجلها احصاءات بلدان أوروبا الشمالية ، وبلدان امريكا ـ لاسيما اللاتينية ـ تنسب اكثرها الى فتيات تلك المرحلة من العمر التي تنزلق الغالبية منهن فيها بسبب تفكك الاسرة وعوز الوالدين أو عدم وجود احدهما أو كليهما كلية . وهذه بعض امثلة ننقلها عن احصاء سنة ١٩٥٧ :

في اليابان في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد طفلان غير شرعيين
في ايطاليا في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٣ اطفال غير شرعيين
في ولايات امريكا في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٤ر٧ أطفال غير شرعيين
في انجلترا وويلز في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٥ اطفال غير شرعيين
في الدانمرك في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٧ أطفال غير شرعيين
في البرازيل في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ١٥ طفلا غير شرعي
في المكسيك في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٢٣ طفلا غير شرعي
في الارجنتين في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٢٨ طفلا غير شرعي
في بيرو في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٤٣ طفلا غير شرعي
في فنزويلا في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٥٧ طفلا غير شرعي
في بناما في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٧١ طفلا غير شرعي
في جميكا في كل ١٠٠ طفل يولد حيا يوجد ٧٢ طفلا غير شرعي

وقد علق احد المفكرين على هذه الارقام المخيفة بقوله ان المسائل الجنسية قد اصبحت مشكلة صحية أجتماعية لا أخلاقية

ادمان المخدرات

ومن الانحرافات التي تعبيء لها السلطات المحلية في كل مدينة كبرى أقصى جهودها ادمان المخدرات . فغضلا عن ارتفاع نسبة المدمنين بين الاحداث المنحرفين والمنحرفات ، يشتغل بعضهم بترويج المخدرات وبيعها لرفاقهم خاصة وللجمهور بوجه عام . ويوجد في مدينة نيويورك

وحدها ٢٣ نوعا من هذه المخدرات . ويلاقى رجال الشرطة بالغ الصعوبة فى تعقب مرتكبي هذه الجرائم ، لان الراى العام يستنكر كل اجراء يشتم منه العنف ؛ نسبة لصغر أعمار أولئك الاشقياء . ومما يزيد هذه المشكلة تعقدا ان الادمان فى هذه المرحلة المبكرة من العمر يجر فى أذياله شتى انواع الموبقات . فقد تبين ان المناطق التى تنتشر فيها بؤر المخدرات ، تعج عادة بالبغاء ، والتشرد ، والحمل سفاحا ، والاسر المهدمة ، وارتفاع نسبة الوفيات بين المواليد ، والسرقة ، والتعدى على الغير

ولم تسلم ادارات المرور من عبث الكثيرين من المنحرفين الذين يقودون سياراتهم الخاصة ، او السيارات التى يسرقونها ، خاصة فى المانيا وولايات أمريكا المتحدة . ففى هذه الاخيرة وجد أن اولئك الذين تقل أعمارهم عن ٢٥ عاما يتسببون فى وقوع ٣٠٪ من الحوادث

انحراف نحو الانوثة

وقد تفرع من هذا البحث الذى انصب كله على انحراف الشباب ، بحث آخر بعيد عنه من ناحية ، ولكنه يمت اليه بصلة من ناحية اخرى . وسنكتفى هنا بايقاف القارىء على نتيجة هذا البحث الآخر ، بعد ذكر الحقائق الآتية :

اتضح مما جاء فى هذا المقال ، ان الطفل الذى يتغيب عنه ابوه فى حياته المبكرة ، يشب مفتقرا الى صفات الذكورة ، ويكون اقرب الى الاتسام بصفات الانوثة . ولذا يحاول عند بلوغه مرحلة المراهقة او الاقتراب منها ، أن يعوض عن صفات الذكورة التى حرم منها ، بالعنف والانحراف تغطية للموقف . وكلما طالت غيبة الاب ، وكانت سن الطفل مبكرة ، هبطت عنده صفات الذكورة ، وارتفعت صفات الانوثة

تبين كذلك ان فى الاسر الراقية التى لاينحرف فيها اولادها ، يتصف البنون والبنات على السواء بصفات احد الوالدين الذى يكون اشد اتصالا بهم . اى أن البنت التى تحقق ذاتيتها وتؤكدها بكثرة اتصالها بأبيها واعجابها بصفاته ، اى بالتلبيس identification كما يقولون ، تغلب عليها صفات الذكورة . والصبى الذى يهجر ابوه زوجته او يتغيب سنتين او ثلاثا او اكثر عنه ، يضطر بحكم اتصاله بأمه ان يشب وصفات الانوثة تغلب عليه ، لانه يؤكد ذاتيته بالتحلى بصفات أمه

ومن ناحية أخرى وجد ان الاناث بطبيعتهن يتفوقن على الذكور فى الاستعداد اللغوى لاسيما الشفوى ، ووضوح العبارة والميل للغة او اللغات بوجه عام ، كما أن الذكور يتفوقن على الاناث فى التعليل والمنطق والرياضيات . وقد أيد هذه النظرية الاخصائيون فى الاختبارات

السيكولوجية التى تبين درجة الذكورة فى الاشخاص ودرجة الانوثة ، أى أنهم وجدوا أن الافراد الذين تعلو درجاتهم فى صفات الذكورة كما تدل عليها هذه الاختبارات ، يميلون الى المنطق والتعليل والرياضيات ، والذين تعلو درجاتهم فى صفات الانوثة ، يميلون الى القدرات اللغوية . وينطبق هذا على الجنسين

وبناء على ذلك اتضح أن البنت التى تمتاز بميولها الرياضية والتعليلية ، تكون عادة قد شبت منذ صغرها شديدةالاتصال والاعجاب والتحقيقالذاتى بشخصيةذكر ـ والدها او منقاممقامه ـ قليلةالاتصال او التلبيس بشخصية انثى ـ الام او من قام مقامها ـ

وثبت من دراسة أجريت علىطلبة جامعة ستانفورد الشهيرة وطالباتها بأميركا ، أن الطلبة والطالبات الذين يتفوقون فى القدرات اللغوية ، ولا يميلون للرياضيات ، كان آباؤهمقدتغيبوا عن بيت الزوجية سنوات عدة ، وانه فى اثناء وجودهم قلما اتصلوا بأولادهم او تحدثوا اليهم فى أحوالهم الشخصية او اظهروا اهتماما بذكر امرهم ، وان الامهات دون الآباء كن يتولين أمر الاولاد ـ بنين وبنات ـ ويوقعن عليهم العقوبة كلما اقتضى الحال ، دون الآباء

وخلاصة هذا البحث فى شقيه مايأتى :

١ ـ ان اتصال الاب بأولاده الذكور وعنايته بهم واهتمامه بأحوالهم الشخصية يؤكد فيهم صفات الذكورة التى قصدت الطبيعة ان يشبوا عليها . وغيبة الاب تحرمهم من بعض هذه الصفات وقد تعترضهم بعض الانحرافات تعويضا عنها . ولعل واضع الشرع الخاص بالحضانة كان عليما بذلك ، اذ نص على ان تسلم الام المطلقة الى الزوج الابن الذكر فى السابعة من عمره

٢ ـ ان البنت فى شديد الحاجة الى تحقيق شخصيتها بالاتصال بأمها والتلبيس بصفاتها حتى لا تحرم من صفات الانوثة التى هي رأس مالها قبل كل شيء اخر

٣ ـ ان تربية الاولاد ـ ذكورا واناثا ـ المثالية تتطلب وجود الاب والام ، وان يسهم كل فى هذه التربية ، وان يقوم بالدور الذى قصدت الطبيعة ان يقوم به

●

التاريخ الصحيح

ولدت الطفلة ماريان فى يوم العيد الثانى لزواج والديها بالضبط
وتعودت الاسرة ان تقيم دائما احتفالا بهيجا بهذه المناسبة المزدوجة
فكانت الطفلة كلما سئلت عن تاريخميلادها تقول :
ـ لقد ولدت فى نفس اليوم الذى تزوجت فيه امى !

دكتور محمد عوض محمد

تجارب في المجال الدولي



لجنـة من الغرفة المصرية .. ونائب الملك وليمها .. !

في اللغة العربية الفصحى لفـــظ يقال لها كان وأخواتها وإن وأخواتها وفي المجال الدولي منظمات من هذا الطراز تستطيع أن تسميها بالأمم المتحدة وأخواتها ومن الخطأ أن يقال إن الأمم المتحدة أسرة ، مكونة من أم وبناتها ؛ بل الصواب أنها أخوات متجاورات ، يربط بينهن الحب والوئام حقيقة ؛ ولكن كلا منها مستقلة تمام الاستقلال ، متعاونة ما أمكن التعاون ؛ لها ميزانيتها الخاصة ، تنفقها كما تشاء لها لا كما تصدره جمعيتها العامة من قرارات

وقد يبدو لبعضنا أن يتساءل إذا كانت هذه المجموعة من الأخوات ، فما الأم التي أنجبتها جميعا . ولست أملك ردا على هذا السؤال إلا القول بأنه من الجائز أن تعتبر العصبة هي الأم التي ولدتها جميعا . فهذه الأم مثلا قد جاءها المخاض إلى جذع النخلة في عام ١٩٤٥ فولدت منظمة الأمم المتحدة ، في مدينة سان فرانسسكو ، ثم نقلت فيما بعد إلى نيويورك . وقد شهدت بنفسي هذه الولادة ، وأستطيع أن أشهد أنها كانت ولادة عسيرة ، نجا فيها المولود بأعجوبة

وعلى أثر هذا الحدث ، أخذت المواليد تتابع باطراد وانتظام ؛ فولدت يونسكو في لندن واستقرت في باريس ، وولدت الصحة العالمية واتخذت لها مسكنا مختارا في جنيف ، والأغذية والزراعة و[illegible]

المختـار مدينـة روما ، وغيرها

ومما يدل على ان هذه المنظمات الدوليـة اخوات متعاونات ، ان واحدة من اكبرها واخطـرها وهى منظمة العمل فى جنيف نشـأت وترعرعت قبل مولد الامم المتحدة بربع قرن . فلما تكونت المنظمـات الجديدة انضمت اليها . وهنـاك بالطبع لجنة تنسيق يشـهدها رؤساء هذه المنظمات ، ويراسها فى الغالب السكرتير العام للامم المتحدة ، حيثما تجتمع للمشاورة فى التعاون فى مختلف المشروعات ، وقد يكون الاجتماع فى نيويورك او فى غيرها من العواصم

***

ولاشك ان منظمة الامم المتحدة فى نيويورك هى الاخت « الكبرى »، وان كان مكتب العمـل فى جنيف اقدم ميلادا . . لان ميدان تخصص الامم المتحدة اوسع واضخم ، فهى تشرف على شئون الامن والسياسة الدولية والعلاقات الاقتصـادية والاجتماعية . وقد اصبح لهـا جنود مجندة ، وكتائب محتشدة ، فى مختلف الديار والاقطار . ولذلك



فى المؤتمرات الدوليـة تكثر الاشكال والالوان واللغات والكتاب مع استاذة من كوبا ، واخرى من بريطانيـا

كانت لها الميزانية الضخمة ، التى لاتكفيها . وحسبنا دليلا على عظمتها انها الوحيدة فى المنظمات الدولية الغارقة الى ذقنها فى الديون ومع ذلك تظل تمارس نشاطها دون ادنى تفكير فى التقتير او الاقتصاد

***

ان هناك مبدأ مقررا لدى الامم المتحدة واخواتها : ان يتولى اعمال السكرتارية فيها عدد غفير يختار من جميع رعايا الدول الاعضاء . وان يكون هناك توزيع جغرافى عادل فى مناصب كل منظمة : فاذا توافرت الكفاية والدراية والالمام الجيد بلغة او اكثر من اللغات الرئيسية (الفرنسية والانجليزية والاسبانية والروسية) . فان مبدأ التوزيع الجغرافى كفيل بان يضمن للمجد المجتهد منصبا فى المنظمة التى يؤهله لها تخصصه وبراعته

وعلى الرغم من ان الموظف الدولى يتناول مرتبه المحترم ، المصفى من جميع الضرائب ، ويتسلمه من ادارة المنظمة ، فلا بد لنا ان نذكر ان المورد الاول لجميع الاموال الدولية هو الاشتراكات السنوية التى تؤديها الدول الاعضاء . لذلك كان حقا لكل دولة ان ينال بعض رعاياها المناصب فى كل منظمة . ولابد لها أن ترشح الممتازين من ابنائها حتى يبيضوا وجهها من جهة ، ويصيبوا النجاح وسط الافواج العديدة الوافدة من جميع الاقطار

لهذا فانى أعيد هنا ماناديت به من قبل بان القائمين بشئون التعليم فى مصر يجب الا يالوا جهدا فى تخريج عدد من الاكفاء النابهين من أبناء وبنات هذه الجمهورية . وان يهتموا بوجه خاص برفع مستوى اللغة الانجليزية والفرنسية . ولقد رايت عندمازرت بلغاريا ، انوزارة التعليم هناك انشأت مدارس خاصة اطلقت عليها اسم المدارس الانجليزية . تسير على منهج خاص يرمى بكل وسيلة ممكنة الى انتاج طائفة من الطلاب فى المستوى الجامعى ، ولهم جميعا المام ممتاز باللغة الانجليزية . وذلك خدمة لبرنامج السياحة من جهة ، وللاسهام فى النشاط الدولى من جهة اخرى

ان حالة المصريين اليوم فى المنظمات الدولية حالة لابأس بها . وقد استطعنا ان نرسل من الجمهورية العربية طائفة من ابنائنا الاكفاء .. ولكن لابد من المتابعة والمداومة ، فان المرء يكبر وتتقدم به السن ويبلغ من الكبر عتيا . ولابد ان تهيىء الجيل بعد الجيل . وان يكون الخلف أفضل من السلف : والا ضيعنا حقنا المقرر بالاسهام الدائم فى المنظمات الدولية . التى ندفع لها الاشتراك كل عام بانتظام واطراد

***

وبعد ، فانى أختم هذا الحديث بخلاصة تجاربى فى المجال الدولى

لعل فى هذا فائدة . لقد كانت لى تجارب فى الامم المتحدة واخواتها، وبوجه خاص فى الاخت المسماة يونسكو .. وهى الوحيدة التى طلبت منى أن أعمل فى هيئتها التأسيسية سنة ١٩٤٦ ، وجعلتنى رئيسا لشعبة العلوم الاجتماعية. وهى وظيفة لم اتقدم لها ولم اكن اعرف الكثير من شئون اليونسكو. ولكن رشحنى أخ كريم . وكانت المنظمة فى عهد الانشاء والتكوين . ومعظم الوظائف لم تشغل . وقد قمت بانشاء شعبة العلوم الاجتماعية ووضع مشروع لبرامجها وانتظرت حتى أجتمع المؤتمر الاول واقر تلك النظم . وعدت بعد ذلك الى منصبى فى جامعة القاهرة

هذه هى الفترة الوحيدة التى قضيتها « موظفا » بالمعنى الصحيح فى منظمة دولية اما فيما عدا ذلك فلم أكن موظفا ، بل كنت عضوا فى وفد مصر الذى يجتمع مع وفود سائر الدول الاعضاء فى هيئة جمعية عامة لكى تقر الميزانية والبرنامج وتتخذ القرارات اللازمة لحسن سير المنظمة : وهذه الجمعية العامة كانت تجتمع مرة فى كل عام ؛ ثم أصبحت منذ سنة ١٩٥٢ تجتمع مرة كل عامين . ويشرف على المنظمة فى هذه الفترة المجلس التنفيذى الذى كان أعضاؤه ١٨ ثم ٢٢ ثم ٢٤ . وعدد اعضائه الان ثلاثون ولذلك تحرص الدول وتتنافس تنافسا شديدا .. لكى تظفر بعضوية المجلس التنفيذى

وقد تفضلت مصر فرشحتنى لعضوية المجلس التنفيذى عام ١٩٥٤ . والعضوية لمدة ٤ سنوات قابلة للتجديد أربع سنوات أخرى. وقد جددت عضويتى سنة ١٩٥٨ . وانتهت بنهاية عام ١٩٦٢ ... وقد أصبحت بفضل حسن ظن زملائى رئيسا للمجلس ؛ المهيمن على شئون المنظمة الى نهاية عضويتى وانتهت رئاستى بانتهاء عضويتى . وهى غير قابلة للتجديد . وعدت الى مصر فى اوائل عام ١٩٦٣ وانا أحسب أن عملى فى المجال الدولى قد انتهى، وقد كاد ان ينطبق على قول الشاعر:

والقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

ولكن كان فى الغيب أمر لم أكن أتوقعه ، فقد شاءت المقادير أن لا يستقر بى النوى وأن يطلب منى أن أشمر عن ساعد الجد لكى أؤدى خدمة رأى اولو الامر أن يكلفونى بها . واولو الامر هنا لم يكونوا من منظمة اليونسكو بل من منظمة العمل الدولى فى جنيف

وهذا التكليف يكشف للقارىء عن ناحية أخرى من النشاط الدولى ، وهى انتداب شخص لتأدية عمل فى دولة من الدول الاعضاء ، بناء على طلب هذه الدولة . وقد كان من حسن حظى ان تكون الدولة الداعية هى السودان ؛ وأن مكتب العمل الدولى بجنيف ، يرى بحسن نية أن لى بعض الالمام ببعض شئون السودان

وانى لجـــالس يوما فى صيف سنة ١٩٦٣ على رمال مرسى مطروح اذا خطاب يصلنى من مدير منظمة العمل ، بأن أقوم «بمأمورية» فى السودان ، مدتها شهران

وعلى الرغم من العبارات الكريمة والثناء العاطر الذى وجــه الى فى خطاب التكليف فانى لم أكد ابرق بأنى قابل شاكر ، حتى جاءتنى «التعليمات» بأن أسلم نفسى للكشف الطبى ، لكى أحصن ضد الجدري ، والكوليرا ، وجميع أصناف الحميات من صفراء وحمراء وتيفود ، وأن أذهب الى الطبيب الفاضل الذى اختارته المنظمة من بين أطباء القاهرة واذا أنا أخضع عنده لاختبار فى السمع والبصر وأنواع الضـغط المختلفة ودقات القلب ، كما قال شوقى :

دقات قلب المرء قائلة له :
ان الحياة دقائق وثوانى

وكذلك لم ينسوا أن يفحصـوا أسنانى . وقد تساءلت مندهشـا أكل هذا من أجل خدمة شـهرين اثنين ؟ فكان الرد انك لو خدمت يوما أو بعض يوم لابد لك أن تخضع لكل هذا البلاء

وقد تم بعد ذلك كل شيء على ما يرام وسـعدت بزيارة الســودان شهرين . وعدت فى أوائل هــذا العام ، وقصدت الى جنيف لكى أرفع تقريرى وأناقش أولى الامر فيه .. وانتهت مهمتى بسلام

ومثل هذه المأموريات القصيرة ، بمثابة ما يكلف به المرء بعد أن



فى استوكهلم عاصمة السويد .. ذهب وفد من المجلس التنفيذى يدعو لانقاذ آثار النوبة . رئيس الوفد تحدث مع ملك السويد ..!

يحال الى المعاش . وهي تتركز في موضوع محدد ، وتتم في زمن وجيز ولا ينبغي أن يضجر احد من تلك الاختبارات الطبية ، فان عاقبتهـــا حميدة

***

وانتهز هذه الفرصة لكي أحذر القاصدين الى مدينـــة جنيف بأن حركة المرور فيها عنيفة . وقد كان من نصيبي وأنا أعبر من رصيف الى رصيف أن سقطت على الثرى وهو من الاسمنت المسلح . وقد أسقطني موتوسيكل مسرع . ولم أصب الا بما يسمى كسرا بسيطا في الذراع اليسرى . وقدشهدلي طبيب الاسعاف بأن عظامي من النوع الجيد . وان الذراع انكسرت ولم تتحـــطم بل ظلت متماسكة متشبثة بعضها ببعض وأن في وسعي أن أعود بالطائرة في الغد ، والا أغير من برنامجي . بعد ان تربط الذراع ربطا محكما

وقد عدت في اليـــوم التالي الى الاوطان في غير مشقة وأنا أذكر قول الشاعر بعد أن تصرفت فيه قليلا بما يناسب المقام :

تغرب عن الاوطان في طلب العـلا
وسافر ففي الاسفار بعض فوائد
تفـرج هم واكتســاب معيشــة
وكسر ذراع في المرور وســاعد

***

وبعد فاني أرجو الا يرفض أحد العمل في المنظمات الدولية بسبب هذه الاحداث لان المرء يأتيه نصيبه منها وهو قابع في منزله

عبدالرحمن صدقي :



الربيع
في الآداب العالمية

في هذا الكون القديم **الربيع** هو شبيبته المتجددة ، والزهر من الربيع هو ابتسامته التى تفتر عنها بشاشته المتوردة

ولا يذكر الربيع ، الا ويذكر معه الحب ، فهما ابدا قرينان ، سواء في الطبيعة أم في الانسان . ولا نحسب بنا حاجة الى اقامة البرهان واطالة البيان في أمر كهذا ، يحسه كل منا ، من حيث هو انسان ، ويشهده في كل مظاهر الطبيعة من حوله بخبرة الدارس العالم ، ونظرة الاديب الفنان

ومن ثمة لا يسعنا في هذا المقال ، ونحن في حضرة الجمال ، الا ان نعدل عن طريقة الاقناع ، الى نزهة الامتاع ، بما نعرضه هنا من شتى الشواهد ، نختارها من اكثر من واحد من أسفار الاداب العالمية في الشرق والغرب

ولنبدأ بأقدم ماوصل الينا من الاسفار القديمة في هذا الباب ، وهو نشيد الانشاد ، حيث يتغنى سليمان الحكيم بالحب ، وحيث الحب في هذه القصيدة الحارة المتقدة ، هو المدار والقطب

ولقد زعمنا في صدر هذا الكلام أنه مامن منشد أيا كان ، يتغنى بالربيع الا وتغنى بالحب ، وكذلك العكس ، فالامر سيان ، لانهما قرينان . فهل يشذ سليمان ؟ كلا ، بل هكذا صنع صاحب نشيد الانشاد فيما أداره على لسان « شوليت » البدوية الفلاحة الحسناء :

« ذاك صوت حبيبي ، هو ذا آت يطفر فوق الجبال ويجتاز

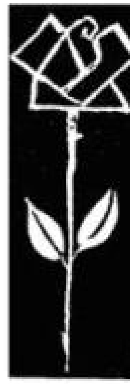
التلال ، كأنه فى خفته الغزال . هو ذا يبلغ دارنا ، ويقف عند جدارنا ، ويقبل على نافذتى متطلعا خلال شبابيكها ، ثم يهيب بى قائلا :

« قومى يا حبيبتى ، قومى يا جميلتى وتعالى ! هذا الشتاء قد ولى واختفى ، وانقطع المطر وانتفى ، وهذا الزهر الفضى ، قد اخذ يبزغ باسما على وجه الارض . وآن أوان التطريب والغناء ، فتردد فى الحقول سجع الورقاء . واحمرت ثمار التين نضجا ، وتضوعت اعراش الكروم أرجا . فقومى يا حبيبتى ، قومى يا جميلتى ، وتعالى ! »

والربيع ليس مجرد منظر موتق جميل ، وانما هو أكثر من ذلك شعور مخامر دخيل . فثمة فى الهواء نعومة هفافة منعشة ، وثمة فى الضياء لطافة شفافة مؤنسة . ثم الالوان فى الزهر ليست مما تقر به العينان فحسب ، والالحان من صوادح الطير ليست مما تلذه الاذان فحسب ، فان الخريف لا يعدم الالوان ، كما أن الصيف لا يخلو من الالحان . ولكن فى الوان الربيع والحانه ما تخف له النفس ، وينتعش به الحس ،



عندما يأتى الربيع يحلو للزهرات الجميلات الخروج الى الحدائق يحكين اسرارهن للورد ويعملن بنصائحه .. !



وتتحرك له دواعي الحياة . ومن ثمة مابين الربيع والحب من صلة فى عالم الواقع وعالم الشعر

***

ومن اشهر ماورد فى دواوين الشعر العربى قول ابي تمام فى مقدم الربيع ، يصف فى الابيات الاولى صحو السماء فى الربيع ، وماقى هذا الصحو الندى من مائية وصفاء ، تقابل ماكانت ترسله سماء الشتاء الممطرة من ماء . قال :

نزلت مقدمة الربيع حميدة
ويد الشتاء جديدة لا تكفر
مطر يذوب الصحو منه ، وبعده
صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان ، فالانواء غيث ظاهر
لك وجهه ، والصحو غيث مضمر

ثم قال :

ياصاحبي تقصيا نظريكما
تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه
زهر الربى فكانما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى اذا
حل الربيع فانما هي منظر

ولقد اجاد ابو تمام التعبير ، وعلى الاخص فى البيت الاخير ، عما يمتلك النفس فى الربيع ويستغرقها بكليتها من الشعور الفني بالجمال ، حتى ليغيب عن البال ، ان الدنيا مضطرب معاش ، ومعترك نضال ، وحتى ليبلغ من نشوة الحس وغلبتها على وعى النفس ، ان لانرى الدنيا الا معرض جمال ومسرح خيال ، وكانما لا شأن لها غير هذه الحال :

دنيا معاش للورى حتى اذا
حل الربيع فانما هى منظر

ولاشك فى ان ابا تمام قد اجاد غاية الاجادة فى تصوير هذا المنظر ، منظر الربيع ، ولكنه لم يمنح الربيع حياة كالتى منحه اياها البحترى فى ابياته المشهورة . فالربيع ليس عند البحترى منظرا ، بل يشخصه الشاعر لنا حياة نابضة ، ويصور مقدمه علينا مقدم اله من ارباب يونان الاقدمين يختال من فرط الجمال ، رائع الحسن ، ضاحك السن

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النوروز فى غلس الدجى
اوائل ورد كن بالامس نوما
يفتقها برد الندى فكانه
يبث حديثا كان قبل مكتما
ترى شجراً رد الربيع لباسه
عليه كما نشرت وشياً منمنما

ورق نسيم الربيع حتى حسبته
يجيء بانفاس الاحبة نعمـــا
فما يحبس الراح التى أنت خلها
ومما يمنع الاوتار ان تترنمـا !
على ان عبقرية ابن الرومى فى فحولتها قد ألهمته فى صفة الربيع مالعله اقرب الى اصالة السليقة واعمق فى الفطرة واكثر شـمولا للطبيعة :
ضحك الربيع الى بـكى الديم
وغدا يسـوى النبت بالقـمم
وترى الازاهـر فيـه واصـفة
آلاء ذى الجبروت والعظـم
ترف لابصـار كحلن بهـا
ليرين كيف عجائب الحـكم
متبلج الضحـوات مشرقهـا
متـارج الأسحار والعتـم
تجـد الـوحوش به كفايتهـا
والطـير فيـه عتيـدة الطعـم
فظباؤه تضحى بمنتطـح
وحمامه تضحى بمختصـم
ان الربيع لكالشباب ، وان الصـ
يف ، يتبعـه لكالهـرم

* * *

وليس يخلو من التغنى بالربيع ادب امة فى مشارق الارض ومغاربها وانه ليطيب للقارىء ولا ريب ونحن فى الربيع ان لا نقف عند هـذا الحد . فالربيع الذى يحيينا بالف لون وشكل من الزهر ، جدير بان احييه بالمزيد من الشعر ، وخاصة ان ذلك عندى من ايسر الامور . فلكل امة فى مكتبتى خزانة تشتمل على مراجع فى تاريخها وادابهـا وفنها . فحسبى ان انطلـع الى كتبى فى الخزانة الفارسية مثلا ، لانشدكم من رباعيات الخيام هذه الرباعية فى الربيع :

هاج عندى الربيع شجوا واشواقا لديه قديمة العهد
تأنس النفس بالتفرد والوحدة فى ظل حاله الرغد
حيث تحكى الازهار راحة موسى فى بياض النوار والورد
ولها نفحة كانفاس عيسى باعثات للميت من لحد

***

ثم اتوجه وجهة الشرق الاقصى لانشدكم للشـاعر « ايسبه » مقطوعة من المقطوعات الدقاق القصار التى اشتهر بهـا الادب اليابانى ، وكانما هى صـورة لاهل اليابان انفسهم بما هم عليـه من اجسام دقيقة ، وقامات قصيرة ، وحياة مبسطة انيقة قليلة الفضول :

« لقد وافى الربيع ، فكل نبت مما تنبت الارض ، ينبض من جديد احر النبض ، بحياة متقدة جديدة وهذه ساعات النهار الذهبية تطول معه مشرقة سعيدة ، وفى ظلال المساء تهب النسمات الرخاء عطرة بليلة

ولـكن مابال الازهار أسرع الى البوار من غيرها ، ونحن اشـد ماتكون شغفا بها ! »

* * *

وحسبنا هذا من شعر الشرق أدناه واقصاه ، ولننظر ناحيـة الغرب نظرة قبل أن يبلغ بنا القول منتهاه ، فما الغرب بأقل من الشرق احتفالا بالربيع . فالشـعراء الغربيون الذين عرضوا للربيـع

بالوصف البديع كثيرون . وقد طال بي الوقوف عندهم للمفاضلة بينهم ، فما يتسع هذا المقام لاكثر من مثال واحد . واني يتسنى لي ذلك ، وهم في نظرهم للربيع واحساسهم به وتناولهم له في شعرهم انماط ومذاهب ، وكلهم في نمطه وعلى مذهبه فريد عصره ، ونسيج وحده . اجل ، لقد عرفت حيالهم معنى الحيرة في الخيرة كما يقول الفرنسيون . فلا غرو اذا قلت ان الامر انتهى بي بعد حين الى العدول عنهم اجمعين . والاكتفاء بايراد مقطوعة من الشعر الغنائي لشاعر من شعراء القرن السادس عشر الميلادي ، لا تمتاز باية خصوصية في الشعور والتفكير ، وكل مايستهوي قارئها في اصلها الانجليزي ، هو رنة جرسها اللفظي وروح الطرب والمرح التي تسري فيها . ولا مطمع لي في نقل ماق القصيدة من موسيقية ، ولكني ارجو على الاقل ان لا تكون قد زايلتها الحيوية في ترجمتي العربية :

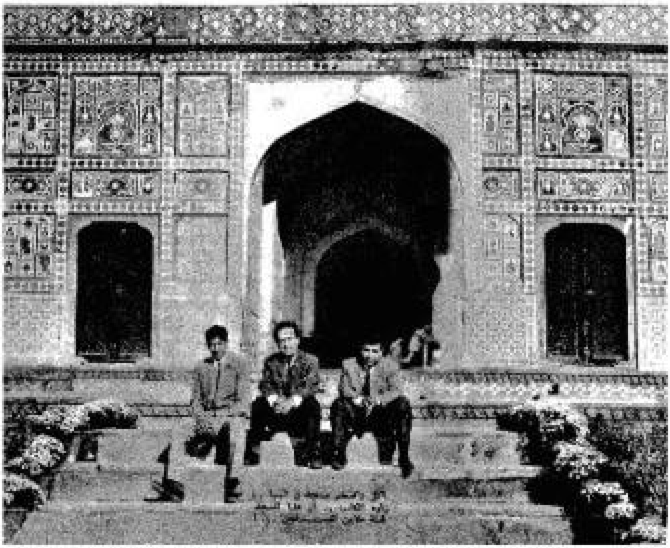
« الربيع ، وياتعم الربيع ، هو ملك زمانه ، في شبابه وعنفوانه ، كل شيء فيه مزدهر ومبتسم ..

لقد رق الهواء وزالت عنه لذعته ، وصفا اديم السماء واشرقت صفحته ، تتغنى صوادح الطير في جنته المرموقة ، وترقص الصبايا الملاح في حلقة منسوقة . وثمة الدور الريفية زانتها الخضرة وزادتها بهجة ، وعندها الحملان تطفر وتلعب كما يفعل الصبيان ، والرعاة يقضون يومهم ، في التطريب والزمر في قصبهم ، وكل الطبيعة تتغنى مثل غنائهم ، وثمة الحقول تتنفس عن اطيب الارج من حولنا ، والرياحين تلثم في كل خطوة اقدامنا ، وتحت الخمائل يتناجى الشباب مع المحبين ، وفي دفء الشمس يتسامر الازواج المسنين ، وكل الطبيعة تسمر وتتناجى مثلهم . هو ذا الربيع ، وياتعم الربيع »

***

ونحن اذا كنا قد جمعنا هذه الشذرات مما قيل في الربيع من هنا وهناك في مشارق الارض ومغاربها ، فذلك كيما نجعل هذه الزهرات المنظومة باقة واحدة نهديها باسم الشرق والغرب تحية للربيع ، فهي منه واليه . واكبر الظن عندي ان بين هذه المقطوعات الشعرية ، شرقية وغربية ، من المشابه مايقوم شاهدا - الى جانب غيره من الشواهد - على وحدة الشعور الانساني حيال كل ما هو طبيعي





١٠٠ مليون مسلم!

وقفت طويلا امام قبر «محمد على جنـــة » مؤسس دولةالمائة مليون مسلم فى الباكستان لقـد قلت لمرافقى وانا انفض عنى غبار السفر فى قصر الضيـــافة الرسمى بكراتشى :

ــ اريد ان احج الى .. المزار !

قال : هل تعنى مزار « القـائد اعظم » ؟

قلت : وهل هناك « مزار » غيره فى الباكستان ؟

قال : اذن نذهب الان .. لان ابواب المزار مقفلة بعد الظهر بسبب اعمال البناء الجارية هناك ..

وركبنا السيارة الى مزار«محمد على » .. فوجدنا عشرات العمـال منهمكين فى تشييد قبةكبيرةمسلحة بالاسمنت ، فى اطراف مدينـــة كراتشى ، وعلى ربوة عالية فسيحة خصصت لان تكون المقر الاخيـر « لمحمد على جنة » على ان يقـام بجوارها فيما بعد معهد للدراسات الاسلامية .. وجامع .. وجامعة !

ودخلنا المبنى فاذا بنا امام سلم حلزونى ينزل بنا حـوالى اربعين درجة الى تحت الارض .. وخرجنا منها الى فسحة ضيقة يتوسطهـا قبر صغيرمبنى بالرخام وقد تحلت جدرانه بالاية الكريمة : **((اذا جاء نصر الله والفتح ورايت النـاس يدخلون فى دين الله افواجا ،فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا))** وعلى جانب اخر من القبر ، حفرت الاية الكريمة باحرف عربيةواسعة : **((انا فتحنا لك فتحا مبينا))** ..

وقرات الفاتحة ..

ودرت حول القبر ، مرة بعـــد مرة وكانى افتش عن شىء مجهول ، او كانى اريد ان اقول للســاكن فى جوف القبر .. شيئا . ان الساكن هنا ليس شخصا عاديا ! كان حرا فى اسلاميته، ومستقلافى شخصيته، وشرقيا فى روحانيته ، وكبـيرا فى جراته ، وعناده وتصميمه !

قالت لى شقيقته « فاطمة جنة» وهى تحدثنى عنه :

ــ كان اعظم ما فى اخى . . . استقلاله !

وبهذه الصفات استطاع «محمد على جنة » ان يخـــلق دولة ، وان يجمع شعبا ! ولكنه مات ولم يجن ثمرات غرسه المبارك ، الا قليلا . فقد نبت الغرس ، وترعرع ،وكبر، وعاش ، ولكن بعد ان سقط محمد على جنة ، ميتا .. شهيدا !

وقلت لمرافقى وانا امشى خارجا عبر سلم القبر الحلزونى :

ــ هيا بنا .. ان جو القبـــر يهدنى !

ومشينا نصعد السلالم دون ان نتكلم . كان كل منا يحـاول ان يحبس فى صدره غصة تكاد تسحب الدموع من عينيه ..

وادرك مرافقي شحوب الالم يغمر عضلات وجهى فقال لى :

ــ سنذهب فى جولة عبر مدينة كراتشى ..

وقبل ان ينتظر جـوابى ، قال للسائق :

ــ عد بنا الى المدينة ..

ولم تكد نسير بضع مئـات من الامتار حتى اشار مرافقى الى ربوة

عالية قريبة من الطريق العام وقال لى :

ـ هذه الربوة اسمها : « هانى مون لودج » ! أى « مسكن شهر العسل » .. وهى مشهورة لدى « الاسماعيليين » لانها المكان الذى ولد فيه .. زعيمهم الروحى اغا خان !

قلت وانا اشير الى مكان يجاور الربوة :

ـ وماذا هناك . .

قال : هذه مستعمرة «كورنجى» .. اكبر معسكرات اللاجئين المسلمين الذين طردتهم حكومة الهند .. من اراضيها ! وبجانبها مستعمرة «لاندى » .. وفى كل من المستعمرتين اكثر من ١٥ الف منزل!

عجبا ، لماذا تذكرت الان ، أهلى وبلدى ؟

لماذا ارى شبيها بين هذا المكان وامكنة اخرى كثيرة فى بلادى فى غور الاردن .. فى تلال القدس .. فى شواطىء غزة ؟ .

لماذا ؟

وهل قدر لى ، او قدر على ، ان احمل هموم بلادى معى الى هنا .. على بعد ثلاثة الاف ميل من الشرق العربى ؟!

ولم اصح من تفكيرى الا على صوت المرافق يقول لى وسط شوارع كراتشى :

ـ هذا .. الى يميننا .. مبنى نادى « السند » .. وعمره اكثر من مائة وخمسين سنة .. وقد بناه الانجليز ليكون وقفا على شبابهم .. ولكن ابوابه اليوم مفتوحة للجميع .. انه اكبر اندية كراتشى !.

ومشت السيارة الى الجنوب الغربى .. صوب الشاطىء . ووصلنا الى حى « كلفتون » .. او حى السفارات .. والباحة . . والارستقراطية الباكستانية!ووقفنا على شاطىء البحر وكأننا نتنسم الهواء القادم الينا من بلادنا .. من شرقنا الحبيب ! وكانت الشمس قد غربت وخيم الهدوء على الشاطىء فزاده رهبة وجمالا . وقلت لمرافقى :

ـ هل تدرى ماذا ينقص هذا الشاطىء الساحر ؟

قال : ماذا ؟

قلت : ينقصه بشر يسبح فيه !. اننى لا ارى هنا الا صبية وشيوخا ترى هل اختفى الشباب والصبايا من حياة باكستان ؟

وابتسم مرافقى ابتسامة لها معناها :

ـ اجل !

قلت : عد بنا اذن الى مكان آخر .. اننى اكره العزلة بدون بشر !

واجابنى بلغة الاوردو :

ـ اتشا .. ومعناها اجل ..

وعدنا الى شاطىء آخر يتوسطه اكبر اندية التجديف فى البلاد ! .

وقال لى مرافقى :

ـ هنا نستطيع ان نجلس على الشاطىء .. وان نتناول طعام العشاء ! ان جلالة ملكة الانجليز « اليزابث الثانية » قد جاءت الى هذا النادى واعربت عن سرورها لزيارته . . .

قلت ضاحكا : إنك تأخذني إلى المكان الذي أحبب لشقيقها الأخرى .. مرجريت !!

وصعدنا إلى نادي البحث لنجد عشرات من العائلات الانجليزية والأمريكية وقد احتلوا معظم الموائد وطلبوا شربونوباكون وراعصرنا أن هذا النادي لا يقل عصرا عن عمر نادي « السند » في الاسكندرية لقد بناه الانجليز ٢٧ – ١٨٧٩ دوما دال على حاله القديم ؛ بأعمدته الخشبية السوداء .. وأرضيته الخشبية المتشققة .. وجو الراقي المعروف ! . ولكن أجمل ما فيه أن يحصل العشو أو الزائر على طعامه من أجود أنواع السمك الذي يتم صيده من الشاطيء بنفسه على الطلب ! .

***

وبعد العشاء كنا على موعد مع سهرة طرب ورقص لنشاهد أنواع الفن الباكستاني .. إن الرقص هنا — واسمه « بارت ناتيم » — نشأتها في جنوب شبه القارة الهندية أيام أمراء « كرناتك » المسلمين أو أيام المغول وأسمر « أندد » ، وكان موجودا قبل مجيء الإنجليزيين في الهند وهو — أي الرقص — عبارة عن مشاعر التقديس والعبودية لإلهة الحب ! .

ومن لا يعبد الحب ! .

إن المطربة الباكستانية الشهيرة « تكلت سيما » ، تنتظرنا لنعبد الحب « معنا » أو نعبد الحب « معها » ! ..

وبدأت المطربة الصغيرة التي تشبه القارئ بوستال تغني :

« السحب يأسى يحبني كل »

« كلا يبعدني عن لحظاته وعيونك »



رئيس جمهورية الهند السابق يتحدث مع ناصر النشاشيبي ..

« إنني من كالنرجس »

« حبيبي أيها الروح ! القول »

« هي تعبير من الرؤيا التي رأيتها ..

« لم تنس حيلك وخيالك خير ذلك »

« سببا للاضطراب والقلق ..

« إنني أرى طلعتك الجميلة ..

« بالأمس كان شخصا يبقى في دمي ..

« ويدخل قلبي ..

« تعال .. يرد لي قلبي ؛ وهات حماياتي التي أخذتها مني ! »

واستمع نفسي — ومعي كل الحاضرين ؛ القول الصوت الرائع الحزين

— آه ..

لتبدأ المطربة في أغنية أخرى تقول فيها :

« كل يوم صالبني وعذابتي على جرحي وخطيئتي ..

« إنني من الحب ! أنا أعمال الحب والجنون الخلود ..

« نحن دائما أهل وفاء ! فلا تكسر قلبي عندما تراني

« أجازي الحب .. بالحب !

« لا تغضب إن رأيتني سيأخذني — أحبك ؟ »

وتعود وتقول :

— آه ..

لتبتسم الصغيرة « تكلت سيما » والدموع في عينيها وتهز رأسها في الحفلة صغيرة ظلمة .. الشكر ! وأقول لرفاقي متسائلا :

— والآن ..

ويرد مرافقي :

— نعود إلى قصر الضيافة للراحة والنوم .. إننا على موعد في صباح الغد الباكر ؛ السفر إلى .. باكستان الشرقية !

***

الساعة الآن الخامسة صباحا . أي الثالثة صباحا بتوقيت القاهرة ..

وخيوط الفجر تنسل عبر

الحديقة الكبيـــرة التي تلف قصر الضيافة الرسمي ..

واصحو على صوت « البيرر » او الخادم وهو يدق على باب غرفتي دقات خفيفة ، وبيده الاخرى يحمل طعام الافطار ..

واسمه : نور الدين ..

ويدخل « نور الدين » واسنــانه البيض تكشف عن ابتسامتـــــه الصافية ويقول بالانجليزية :

ــ صباح الخير ! . ان المـرافق ينتظر في الصالون المجاور ..

قلت : وما الذي جـاء به الى هنا ؟ .

قال : ان السيارة تنتظـــر في الخارج لكي تحملكم الى المطار ! .

وخرج « نور الدين » لكي يعود بمجموعة من جرائد الصباح :

ثم بزجاجة من المياه المعدنية ..

ثم لكي يفتح الشباك المطـل على احلى مجموعة من أزهار اسيا .

ان هذا القصر ــ قصر الضيافة ــ يتوسط اجمل الحدائق التي رايتها في حياتي ، وفيه ــ في هــذا القصر بالذات ــ نزل معظم الملوك والرؤساء الذين زاروا باكستان . وفيـــــه دارت مباحثات حلف بغــداد بين نوري السعيـــد وسهروردي ! ثم تحول القصر الى منزل خاص يـسكنه المرحوم « محمد على » وزير خارجية باكستان السابق . وبعد وفاته اعيد القصر الى مـــــسكن للضيوف .. ضيوف الدولة الرسميين !

***

وبعد اقل من نصف ساعة ، كنت قد انهيت استعدادي ، وحزمت حقيبتي ، وارتديت ثيابي ، وركبت السيارة مع مرافقي الى المطار ! .

وهناك ، كانت طائرة « البوينج » الجبـــارة .. تربض بانتظارنا لكي تحملنا الى « ديكا » عاصمـــــــة باكستان الشرقية ، وعلى بعــــد الفى ميل ، من كراتشي !

***

ودارت محركات الطائرة ..

وغرقت في مقعـــــدي .. وفي احلامي !

ــ الى اين ؟ . وماذا تريد من هناك؟ وما الذي يحملك على ان تحلق فوق القارة بأسرها ، وتتحمـــــل التعب . والارهاق . والخطـــر . والحر . لكي تصل الى « ديكا » !. ومن يدريك ؟ . وبما يكون هنـــاك بعض الاصـــابات بالكوليرا .. واصابات بالسل .. واصــابات بالجدري .. وانت لا تحمل شهادة تطعيم واحدة ضد اي مرض من هذه الامراض .. فهل تساوي الرحلة كل هذه المخــاطر ؟ كنت افهم أن تكون وجهتك باريس .. أو روما أو استوكهولم . اما هنا . ماذا لك هنا . وماذا تريد من هنا ؟ »

واسمع نفسي أجيب :

***

ــ هنا قطعة من عقيدتي .. من ديني .. من اسلاميتي ! هنا يتردد صوت المؤذن خمس مرات في اليوم يذكر الله .. ويذكر محمــدا .. وينادي الى الصـــلاة ! هنا اخوتي .. اخوان مذهبي .. اخوان ايماني!

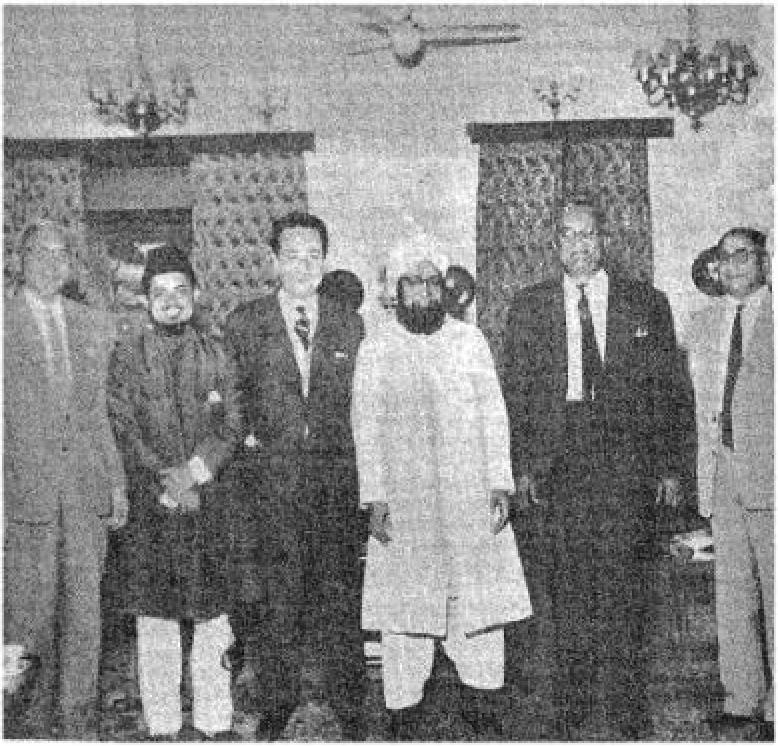
فقد سبقني الاسلام الى هنا منذ أكثر من ألف سنة ، ووقف على حدود بورما ، وعلى شواطىء خليج « البنغال » ، والمحيط الهندي .. وجبال الهيمالايا .. واراضي التبت .. فاصبح من حقه علينا ان نتفقد حال اهله والمؤمنين به . ان هذا جزء من فريضتنا كمسلمين . انه جزء من واجبنا كمحمديين . انه جزء من مسلكنا .. كموحدين !

والطائرة على علو خمسة وثلاثين الف قدم .!

وتحتنا تمضي المدن الهندية واحدة بعد الاخرى : احمد اباد .. ناجور .. كلكتا .. نيودلهي ..

وتمضي ثلاث ساعات ..

صورة تذكارية مع زعيم المعارضة في مجلس النواب الباكستاني السيد فريد ..



وتقول « خالدة » المضـــيفة الباكستانية الحسناء :

ــ بعد دقائق نهبط فى مطار .. دكا !

وتمضى الدقائق الثلاث ..

وتلتقى عجلات الطـائرة بأرض مطار العاصمة الشرقية للباكستان

وكان أول ما استقبلنى فى عاصمة باكستان الشرقية ، هى « عجلة البسكليت » التى يقودها ويجرها .. بدل الالة والحيوان ، انسـان واحد من البشر !

هكذا تعيش باكستان فى هـذه الايام المتطورة ..

تعيش بين طائرة « البـوينج » النفاثة .. جنبا الى جنب مع عجلة البسكلينت البشرية التى يسمونها هنا : « الركشا » !

واذا كانت طائرة « البوينج » تنفث الدخان الاسود فى طيرانها ، فان بسكليت « الركشـــا » ترغم صاحبها الذى يجرها على ان يغرق على الدوام فى بحـــر من العرق .. والمرض .. وبالتالى : السل !

ومعظم الذين يجرون «الركشا» يتعرضون لمرض الـسل ..!

ولا اعرف فى حياتى وسـيلة للانتقال خالية من معانى الانسانية، كهذه الوسيلة ..!

ولا أعرف عمـــلا احق بحكومة باكستان ان تمنعه بجرة قلم ، كهذا العمل ..

ومن المطار ــ نقلونى الى فندق « شاه باغ » .. او الفندق الوحيد فى المدينة .. الثانية !

وهنـاك جاء من يحملنى لمقابلة فخامة السيد « محمد أيوب خان» رئيس جمهورية .. باكستان !

وسالنى أيوب خان :

هل زرت أعظم غابة فى اسيا .؟

قلت مستفهما :

ــ اين هى ..

قال : هنا .. على بعـد نصف ساعة بالطائرة .. اسـمها غابة « ساندر بون » وتضم ــ وحدها ــ أعظم ملوك الغابة فى العالم ، واسمه النمر البنغالى ! وهى غابة خطيرة .. وشهيرة .. وساحرة يتوسطها نهر « بوسان » الشهير ..

وعلى الفور أمر فخامة الرئيس الباكستانى أن اسـتقل طائرته الخاصة وامضى بها من « دكا » الى غابة «ساندر بون» لكى اشاهد أكثر الحيوانات افتراسا ، واشدها خطرا .. وأعنى به النمر البنغالى!

وأعود الى بعض الحديث عن هذه المدينة ــ دكا ــ فأقول :

قال لى السيد «الطاف جوهر» المدير العام لمصلحة الاستعلامات الباكستانية ، وهو يصف لى أول مرة زار فيها مدينة « دكا » :

عندما جئت الى هنـــا فى عام ١٩٤٧ لم أجد فى هذه المدينة كلها سوى : ناد واحد للانجليز ..

وطريق واحد .. وأحد عشر منزلا!

وضحك مدير الدعاية الباكستانية وقال :

اما اليوم فهاهى المدينة امامك .. شوارعها فسيحة .. غاباتهـا .. حدائقها .. متاجرها .. كل شىء فيها قد تغير وتبدل ، فقد

فوجئنا منذ عام ونصف بان ملكة الانجليز ـ اليزابث ـ قد اعربت عن رغبتها في زيارة باكستان الشرقية ! وعندئذ وجهت الدولة كل جهدها الى بناء « ديكا » وفتح الشوارع وسط غاباتها ، ورفعها الى المستوى المطلوب .. حتى تحققت المعجزة واصبحت العاصمة الثانية على الصورة التى تراها اليوم ..

وجلست على شرفة فندق « شاه باغ » وحيدا افكر فى هذه النسور التى تجلس فوق فروع الشجر ، فاذا ابصرت على الارض قطعة لحم ، انقضت عليها كالصاروخ ، وافترستها !

وافكر فى ان هذا البلد الثانى من الدنيا الاسلامية استطاع أن يمنع بيع المشروبات الروحية احتراما .. للشعائر الاسلامية !

وافكر فى انى الان وسط اكبر بلد فى العالم لتصدير « الجوت »!

واخيرا ، افكر فى جو هذا البلد العجيب ! ففى شهر ابريل ومايو تبدأ الاعاصير بسرعة مائة وعشرين ميلا فى الساعة ! ثم تبدا الامطار بعدها فى منتصف يوليو .. وتستمر فى عنفها وقرتها وفيضاناتها حتى شهر سبتمبر ! ان معدل مايسقط هنا من المطر فى العام الواحد يزيد عن مائة .. بوصة ! انها الامطار الموسمية المخيفة !

افكر في كل ذلك ٠٠ وارى امامى مجموعة الملايين من سكان باكستان الشرقية ـ وعددهم يزيد عن خمسين مليونا فى القسم الشرقى فقط ـ يمرون وقد ارتدى الرجال لباس « اللونجى » وهى عبارة عن ملاية يلفونها حول وسطهم طولها ثلاثة ياردات ، وتشبه زى اهل « بورما » ٠٠ وقد ارتدت النساء لباس « السارى » ٠٠ واكتظت الارصفة بالبشر ٠٠ وسكن الجو ٠٠ وعلا فى السماء صوت مؤذن يدعو الى الصلاة ٠٠ الله أكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠ واذ بالارصفة تخلو من اهلها ، واذ بالشوارع تقفر من اصحابها ، واذ بالحوانيت تغلق أبوابها ، واذ بالملايين يصطفون وسط الشوارع والارصفة والحدائق ٠٠ ووجهتهم القبلة الشرقية ٠٠ وقلوبهم مع الله ٠٠ !

هذا هو الاسلام فى باكستان !

انه كل شيء ٠٠ وفى كل مكان !

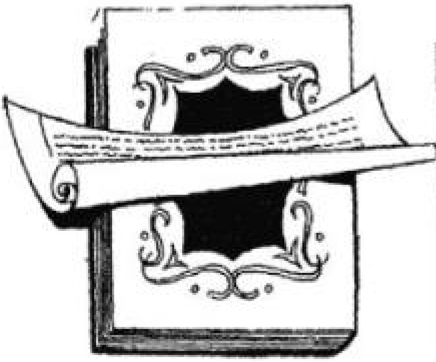
وحاولت ان اقارن بين سكان باكستان الشرقية ، وسكان باكستان الغربية ! ووجدت انسكان القسم الغربى اوفر صحة ، واكثر نشاطا وعافية ٠ لقد رأيت افراد قبائل « الباتان » الاشداء فى القسم الغربى ، وعلى حدود الافغان ، يعطون اوضح صورة للصحة والقوة والعافية بينما هنا ـ فى القسم الشرقى ـ قد تحالفت الظروف الجوية القاسية مع الرطوبة ، مع الحر ، فافسدت على الخمسين مليونا من سكان هذا الجزء فى العالم ، صحتهم وعافيتهم! عجبا ٠٠

ورأيتهم هنا ياكلون « اللوف »

الذى نستعمله نحن هنا فى الغسيل
•• ويسمونه الزنكا ••
ولا ادرى كيف يستسيغون طعم
« اللوف » جنبا الى جنب مع طعم
افخم انواع السمك فى العالم ،
واسمه عندهم « الهلسه » ••
ما علينا ••

لقد قضيت فى باكستان الشرقية
مدة اربعة ايام لا احسبها قد ذهبت
هباء ، ولكن السماء قد عوضتنى
عنها ، باحلى ما يمكن ان تكون عليه
الزيارات ، والجولات ، والاقامة ،
فى باكستان الغربية •• فى لاهور
•• وبندى •• وبيشاور••ومجمدى
اللآلىء التى تزين عقد المائة مليون
مسلم فى باكستان ..
ان هذه المدن بكل ما فيها من
عظمة ، وتاريخ ، ومساجد ، وحياة ،
تستحق ان يحج اليها !
لقد رايت فيها الجمال ، اروع
الجمال البشرى ، والطبيعى ورايت
فيها الحب •• والموسيقى والفن !
ورايت فيها احلى جبال العالم ••
واعلاها •• جبال الهيمالايا ••
ورايت فيها « صبيحه » اشهر
مطربة وممثلة بين المائة مليون
باكستانى •• رايتها تمثل وتغنى
فى اعظم ستوديو سينمائى فى
لاهور •• ستوديو « ايفرنيو » !
قلت « لصبيحه » : كم تتقاضين
اجرا عن الفيلم الواحد ؟
قالت والابتسامة المغمزة على
وجهها الحلو :
ـ خمسة وعشرين الف روبية !
ورايت بساتين « شالمار » الحالمة
•• الراقصة •• الساحرة !
وسحرتنى ، بجمالها ، بفنها ،
بحياتها ، دنيا باكستان الخالدة !
وقال لى مرافقى :
ـ هل معنى هذا انك لم تجد
شيئا لم ينل اعجابك فى باكستان !
قلت : لا ! ان هناك الكثير من
الاشياء التى لم تعجبنى فى بلادكم،
لم يعجبنى مثلا مضغ حشائش
« البان » التى تتملىء بها أفواه
شعبكم !
لم يعجبنى ان يكون اسم
الجرسون عندكم ـ حتى بالعامية ـ
مأخوذ من الانجليزية •• « بيرر »او
الشيال !
لم يعجبنى ان تجرى عملية غسيل
ثيابكم على طريقة ضربها فوق الارض
ونشرها على الحشائش !
لم يعجبنى ان تتولى النسور
المحلقة فى السماء مهمة تنظيف
شوارعكم من تلك اللحوم
الفاسدة ، والقاذورات بدلا من عمال
البلدية وكذلك لم تعجبنى تلك
البحيرات الصغيرة وسط المدينة
وتسمونها عندكم « البوندز » وكلها
مملوءة بالقاذورات والاوساخ ••
ورغم ذلك يستعملها الشعب ••
للاستحمام !
ولم اكمل ••
اننى ضعيف امام دولة ناشئة
شقيقة ، تبنى نفسها ، وتبنى شعبها
وتبنى مستقبلها ، تحت راية الاسلام
•• والايمان :
وسمها : باكستان !
سلام على قلب ، تركته هناك••

علي أدهم :



المذكرات السياسية وكتابة التاريخ

كان المؤرخون القدامى سواء في الشرق أو الغرب لا يشغلون في أغلب الأحيان أنفسهم بما نسميه في عصرنا الحاضر بالحركات اللاشخصية والمؤثرات الاقتصادية وعوامل القوى الطبيعية مثل الموقع الجغرافي والأحوال الجوية وسائر العناصر البيئية ، وكانوا يقصرون اهتمامهم ويقفون بحوثهم على علاقة الناس بعضهم ببعض ، وبخاصة هؤلاء الذين وضعتهم الظروف أو سمت بهم قدراتهم الفردية الى المكانة الشماء والمنصب العالي ، والكثير من صفحات الكتب التاريخية القديمة يدور حول أخبار الملوك والوزراء وكبار القواد وأعيان الدولة وحوادث القصور ودسائس رجال الحاشية وما تورطوا فيه من أجرام ؛ وما نصبوا من حبائل ، وما حبكوا من دسائس ، ومؤامرات ، وما دبروا من مكائد ووشايات ، واصطنعوا من حيل في التماس السلطة ونيل الحظوة وتوطيد النفوذ ومقارعة الخصوم والتغلب على المنافسين ، وقد ظلت هذه الطريقة ظاهرة الأثر في كتابة التاريخ حتى منتصف القرن التاسع عشر على وجه التقريب ؛ فنرى مثلا مؤرخا عظيما راسخ القدم في كتابة التاريخ مثل توماس كارلايل لا يعنى في كتابه عن تاريخ الثورة الفرنسية بتتبع العوامل الاقتصادية التي كان لها أثر قوي في أحداث الثورة أو التمهيد لوقوعها على الأقل ويكتفي بأن يقدم لنا صورا باهرة لأحداث الثورة ومشاهير الشخصيات التي ظهرت على مسرح الحوادث في ابان اشتعالها

ولا نزاع في أن طريقة المؤرخين المحدثين التي تعنى بتتبع أثر الحركات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتقدر ما للعوامل الطبيعية والنفسية من قوة في تكوين التاريخ ولا تكتفي بالنظر الى الفواجع الفردية والأهواء الشخصية أقرب الى الصحة وأدق في البحث وأوفق في تصوير الماضي ، ولكن هذا مع ذلك لا يقلل من قيمة طريقة المؤرخين القدامى وانما يكملها ويسد ما بها من ثغرات ويستدرك ما يعرض

لها من الاخطاء ، لانه لا نزاع في ان الميول البشرية والعواطف والاهواء الشخصيــة والنزوات الفردية تلعب في التاريخ دورا مأثورا ، واذا كان المؤرخون القدماء قد اسرفوا في اغفال أثر العوامل الاقتصادية والبيئية فكذلك بعض المؤرخين المحدثين قد بالغوا في انكار الدور الذي تلعبه في التاريخ العوامل الشخصية ، وعندي ان المؤرخ الحق في العصر الحاضر هو الذي يوازن بين تأثير هذين العاملين

ومما يعين على تقــدير هذا العامل الشخصي في الحركات التاريخية الاطلاع على المذكرات السياسية التي يكتبها بعض الرجال البارزين الذين اشتركوا في توجيه سياسة بلادهم سواء في الاوقات الحرجة والمواقف الحاسمة او في أوقات السلم والاحوال العادية ، وقد تظهر هذه المذكرات السياسية في صور تراجم ذاتية يكتبها السياسيون عن تجاربهم وحوادث حياتهم او في صورة ذكريات وتأملات اوسرد تاريخي للفترة التي أسند اليهم فيها القيام بمهام الدولة وتصريف شئونها ويصدق على أكثر هذه الكتابات ما ذكره المؤرخ البريطاني الكبير العلامة جوش في فصل له شائق من التراجم الذاتية السياسية ، وهو قوله : « التراجم الذاتية من أقرب أنواع الادب واقواها جاذبية ، ومعظم الناس يحبون التحدث عن انفسهم ، ويشعر البعض بدافع الى الكتابة عن انفسهم ، وذلك لكي يتحدثوا الى معاصريهم والى الذين يخلفونهم عن انفسهم وما فعلوه وماحاولوا فعله »... ومن مأثور الاقوال عند الرومان : « لن أموت موتا كاملا » وقولهم : « الفن طويل والحياة قصيرة » وقولهم : « لقد أقمت نصبا أبقى من النحاس » وهذه الكلمات الذائعة المأثورة تتضمن الحنين الى حياة أطول من الحياة المتاحة لنا ، والتراجم الذاتية من احد وجوه النظر احتجاج انساني على حدود الزمان والمكان التي لا محيص عنهما ومحاولة لايجاد علاقة بالمستقبل الذي لا نراه ، وهي محاولة مثيرة للعطف ومنطوية كذلك على الكبرياء

وشــهادة رجل العمل الذي راقب الحوادث عن قرب وعرف الكثير من أسرارها ودخائلها لها قيمتها ، وقد يكون كاتب المذكرات السياسية ممن لايحسنون التعبير ولا يجيدون الانشاء والتصوير ، ولكن أهمية المعلومات التي يدونها تضمن لمذكراته البقاء وتزود عنها الاغفال والنسيان ، ومع



توماس كارليل
لم يهتم
بالعوامل
الاقتصادية

ذلك فان أهمية الحوادث التي تتضمنها المذكرات السياسية لاتحظى بسعة الانتشار وشدة الاقبال على قراءتها والعناية بها الا اذا اقترنت بالاسلوب البليغ والتصوير البارع مثل مذكرات الكاردينال دي رتز المشهورة في الادب الفرنسي والتي لا تزال تقرأ الى اليوم لاهميتها التاريخية وما بها من براعة السرد واجادة التصوير ، والفرصة سانحة لكتاب المذكرات السياسية لمزج الادب بالسياسة

***

وكتاب المذكرات السياسية يحاولون أن يسجلوا التاريخ من وجهة نظرهم الذاتية ، وهي من غير شك عظيمة النفع للمؤرخين لانها تكشف لهم الكثير من الاسرار وتعينهم على فهم الكثير من البواعث والنيات الكامنة وراء الاحداث التاريخية ، والذين يكتبون عن حياة نابليون وعصره في الوقت الحاضر لا يكتفون بالاعتماد على الحوادث التاريخية المعروفة وانما يرجعون الى حد كبير في فهم شخصيته على ما كتبه أمثال منتولون وجورجو ولاكازاس وغيرهم ممن صحبوه طويلا وخالطوه في السراء والضراء، كما أن كتاب تاريخ أوروبا الحديث بوجه عام يستعينون بمذكرات أمثال تاليران ومترنخ وبسمارك وغيرهم من كبار الساسة الذين لعبوا أدوارا بارزة وعرفوا من بواطن الامور وخفايا السياسة ما قد يغيب عن علم الكثيرين

على ان المذكرات السياسية لها عيوبها الى جانب مزاياها التي لا تنكر ، وأهم عيوبها ان الانسان بطبيعته يجد صعوبة شديدة في التخلص من أهوائه ونزعاته الخاصة ، والحوادث التي يرويها عن نفسه وعن الناس الذين خالطهم قد يشوبها تأثره بحب ذاته ومحاولته تبرير أفعاله ، وقد يكون الانسان أمينا مخلصا صريح الرأي صادق الحديث ولكن تنقصه مع ذلك القدرة على التحليل والتعليل والتحري والاستقصاء ، وقد يكون عارفا بنفسه وحسن التقدير لغيره ولكن تعوزه مع ذلك الامانة الموضوعية والنزاهة العلمية ، واوفر الناس عقلا وارجحهم وزنا قد تكون عنده أسباب خفية تدعو الى كتمان بعض الحقائق او التقليل من أهميتها أو المبالغة في أهميتها وتضخيم شأنها والتزيد في رواية الحوادث والاضافة اليها

وقد أشار كاتب التراجم المعاصر أندريه موروا الى عيب آخر كثيرا ما يعرض لكتاب المذكرات ، وهذا العيب هو النسيان وخيانة الذاكرة ، واذكر أني سمعت مرة من أحد الذين شغلوا بعض المناصب السياسية الهامة انه كتب مذكرات تبلغ آلاف الصفحات ، ولو انه حاول تقديمها للطبع لاضطر بطبيعة الحال الى أن يختصرها ويحذف منها الكثير وبذلك يدخل عنصر الاختيار ، وهو يقوم على النظرة الذاتية والمزاج الشخصي، والذاكرة ليست وحدها التي تخذلنا وتخوننا فاننا بطبيعتنا نميل الى تذكر الحوادث التي تسرنا ونؤثر أن نستبعد من ذاكرتنا الحوادث التي تنال من شخصيتنا وتمس كبرياءنا ، واكثر المذكرات السياسية كتبها كتابها في خريف حياتهم وبعد انسحابهم من ميادين السياسة وابتعادهم عن الوثائق والاسانيد والمراجع التي تؤيد رواياتهم وتدعم صحة حديثهم وربما كانت المذكرات السياسية التي يبذل كاتبها الجهد في الظهور بمظهر الشاهد النزيه والقاضي العادل أشد خطرا في تسوية التاريخ وتضليل المؤرخين من المذكرات السياسية التي تظهر فيها ميول الكاتب ونزعاته واضحة صارخة ، فقد يتوارى التحيز الشديد وراء التظاهر بالنزاهة وادعاء الموضوعية

***

ومن أقدم المذكرات السياسية في الادب العربي المذكرات التي كتبها « الامير عبدالله ابن بلقين آخر ملوك بني زيري بغرناطة » ، وهو المسمى بكتاب « **التبيان** » وقد نشره وحققه المستشرق أ . ليفي بروفنسال نقلا من النسخة الوحيدة المحفوظة بجامع القرويين في فاس

وقد جرى الامير عبد الله في كتابة هذه المذكرات على الطريقة المألوفة عند اكثر كتاب المذكرات السياسية ، وهي النظر الى الحوادث التي تقع تحت أبصارهم من زاوية النظر الشخصية ومحاولة تبرير موقفهم وسلوكهم ، وقد عاش الامير عبدالله المذكور في فترة خطيرة وهي عهد ملوك الطوائف بالاندلس ، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، وحاول أن يدافع فيها عن موقفه أمام الاخطار التي كانت تهدد مملكة غرناطة ، وهو يقدم لنا



ابن خلدون
ارخ للدول
والجماعات

فى هذه المذكرات سردا مفصلا لكل الحوادث التى ادت الى استيلاء الفونس السادس على مدينة طليطلة عام ٤٧٨ والى تدخل المرابطين فى السنة التالية مما ادى الى وقوع معركة الزلاقة الشهيرة التى كان لانتصار المسلمين فيها تحت قيادة الامير يوسف بن تاشفين اثر كبير فى تأخير اجلائهم من شبه الجزيرة

وليس من المألوف ان نجد فى تاريخ حوادث العالم الاسلامى اميرا يعنى بالكتابة عن الحوادث التى شاهدها وشارك فيها ولذلك تعد مذكرات الامير عبدالله الزيرى من المذكرات النادرة الى كتبها امير للدفاع عن نفسه وافادة معاصريه والاجيال التالية

والامير عبد الله هو ابن بلقين بن باديس ابن زيرى الملك الثالث والاخير لمملكة غرناطة التى اسسها فرع منحدر من اسرة بنى زيرى البربرية الصنهاجية ، وقد ولد سنة ٤٤٧ هجرية وحين بعد وفاة ابيه سيف الدولة فى عام ٤٥٦ كولى عهد لجده الامير باديس ، ثم اعتلى بعده عرش غرناطة فى سنه ٤٦٩ بينما اصبح اخوه تميم المعز اميرا مستقلا فى مالقة

ولم يكن عهد الامير عبد الله سوى سلسلة من الاضطرابات فى داخل مملكته وخلافات مع جيرانه من ملوك الطوائف وملك قشتالة الفونس السادس

وقد اشترك الامير عبد الله فى معركة الزلاقة ومحاصرة حصن لبيط ولكن اتفاقه مع الملك النصرانى ادى الى ضياع عرشه ، فقد اغضب ذلك امير المرابطين يوسف بن تاشفين فحاصر غرناطة عام ٤٨٣ واضطر عبد الله الى التسليم وعزل وارسل الى المنفى بمدينة اغمات فى جنوب المغرب الاقصى ، وفى هذا المنفى كتب الامير هذه المذكرات التى تلقى بعض الضوء الكاشف على حوادث ذلك العهد ، وتوضح بطريقة افضل من كتابة التاريخ الخالصة الانحلال الاجتماعى والسياسى الذى اصاب مسلمى الاندلس قبل معركة الزلاقة مما اضطر الامير المرابطى الى انتزاع عروش ملوك الطوائف لمعالجة الموقف واصلاح الحال ، ومذكرات الامير عبد الله على ما بها من عيوب مرجع له قيمته فى فهم طبيعة عصره ونفسية الكثيرين من رجاله البارزين الذين



جون راسل
اصدر مذكراته
في القرن ١٩

اشتركوا في حوادثه مثل المعتمد بن عباد وابي بكر بن عمار وابن الافطس ويوسف ابن تاشفين وغيرهم من اعيان ذلك العصر

والترجمة الذاتية التي كتبها ابن خلدون لنفسه واسماها « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا » تعد من قبيل المذكرات السياسية ، لقد اراد ابن خلدون الذي ارخ للدول والجماعات والافراد أن يكتب في هذا الكتاب تاريخ حياته ويعرفنا بسلفه واسرته ومختلف أدوار حياته وترجمته لنفسه تشخص الكثير من الصفات التي اشتهر بها ، ففيها ثقته العظيمة بنفسه واعتزازه بقدرته ، وهو يتحدث في زهو وخيلاء عما لقيه في حياته من ضروب التكريم والاعجاب والتقدير ، ويقول من نفسه انه سليل أسرة عريقة وبيت من بيوتات الرياسة والسياسة في الاندلس ويرجع تاريخ اسرته الى عهد فتح الاندلس ويقول انها يمنية الاصل وان احد اجداده استقل بامارة اشبيلية وقتل بعد ذلك واستشهد بعض أفراد الاسرة في معركة الزلاقة ، وان الاسرة نزحت الى تونس لما اضطربت امور المسلمين بالاندلس واستولى الاسبانيون على معظم ثغورها وحواضرها ، وفي تونس تقلب افراد من الاسرة في مناصب الحجابة والوزارة ، وقد كانت حياة ابن خلدون حافلة ملأى بالحوادث والتجارب ، لقد اشتغل الرجل بالادب والسياسة

والقضاء وخدم ملوك عصره وامراءه ؛ واتصل بهم اتصالا وثيقا وعرف أسرار السياسة وخفايا تياراتها وسحب الجيوش واستهدف للدسائس والمكايد وتعرض للأخطار والشدائد ، وتنقل في العواصم الزاهرة والبوادي المقفرة ، ودخل الاندلس وسفر بها بين السلطان ابن الاحمر وملك قشتالة ؛ وهو يقول ان ملك قشتالة عامله من الكرامة بما لامزيد عليه ، وعلم اوليته عند سلفه باشبيلية وطلب منه المقام عنده وان يرد عليه تراث سلفه ؛ ولقد جاء ابن خلدون الى مصر وولي القضاء بها ؛ ولقي الامرين من السعاية به والتاليب عليه ؛ وكان واسع الدهاء عظيم الحيلة ؛ ولذا استطاع أن يقاوم الكيد والدس ويحتفظ براسه على كتفيه

ويصف لنا ابن خلدون لقاءه لتيمورلنك في أثناء حصاره لمدينة دمشق وكيف دلي من سور المدينة ودخوله على تيمورلنك والحديث الذي دار بينهما ؛ ويروي ابن خلدون انه قال لتيمورلنك : « انني ألفت كتابا في تاريخ العالم وحليته بذكرك » فقال له تيمورلنك : « كيف ساغ لك أن تذكرني فيه وتذكر بختنصر مع انما خربنا العالم ؟ »

فأجابه ابن خلدون في لباقة وحسن تخلص : « انما الكما العظيمة الحقتكما بالذكر مع ذوي المراتب الجسيمة ، أو بما يقارب ذلك من العبارات ؛ وكانت هذه العبارة وامثالها من عبارات الاطراء والملاينة والاسترضاء التي كان يتأنق في اختيارها هذا السياسي المحنك مما جعل الطاغية السفاح يأنس به ويرضى عنه ، ولا نزاع في ان كتاب ابن خلدون يلقي ضوءا باهرا على حياته وحوادث عصره برغم ما يلزم الباحث من الحذر والاحتياط عند تلقي المعلومات التي يلقي بها الينا لانها متأثرة بلون مزاجه ومحاولته اكبار شأن نفسه



غاريبالدي
قائد ثورة

والمفاخرة باعماله شأن سائر كتاب المذكرات السياسية

ومن أشهر المذكرات السياسية التي كتبت في آسيا في العصور الحديثة الترجمة الذاتية التي كتبها لنفسه بابر شاه مؤسس الدولة المغولية بالهند وهي تبدأ من مستهل القرن السادس عشر الميلادي ؛ وكان بابر من الشخصيات العجيبة الفذة التي عرفها التاريخ ؛ وكان علاوة على تفوقه في قيادة الجيوش وادارة المعارك الحربية سياسيا بارعا وأديبا يجيد الكتابة ويحسن التعبير عن نفسه ؛ وتمتاز مذكراته بصدقها وصراحتها حتى قالوا عنها أنها تشبه أعترافات جان جاك روسو ؛ وقد ذكر فيها بابر جوانب شخصيته المختلفة مثل حبه للمناظر الطبيعية والمدن والمباني وشدة اكباره كوالدته والاهواء والشهوات التي عصفت بنفسه ؛ والأخطار التي خاض غمارها وخرج منها سالما ؛ وهو فيها صريح في ذكر مساوئه وسقطاته بقدر صراحته في ذكر اعماله المجيدة ومواقفه العظيمة ؛ وهي كسائر المذكرات السياسية تلقي ضوءا على شخصيته واحوال عصره

وتدظهرت في القرن التاسع عشرمذكرات سياسية كثيرة كتبها كبار الساسة الذين اشتركوا في أحداثه مثل تاليران ومترنخ والكاردينال كونسالفي والسياسي الأسباني مانويل جودوي والوزير المؤرخ جيزوه والسياسي البريطاني السير جون راسل والزعيم الوطني المجاهدعرابيالذيوالسياسي



احمد عرابي مذكراته مرجع موثوق به

الالمانى بسمطوك والسياسى الفرنسى اميل أوليفييه

ومن اشهر المذكرات السياسية التى ظهرت فى القرن العشرين مذكرات فون بيلوف وهى تكشف لنا الكثير من دخائل السياسة الالمانية فى عهد الامبراطور غليوم الثانى وفترة ما قبل الحرب الكبرى الأولى ، وكتاب « كفاحى » الذى كتبه هتلر يعد من قبيل المذكرات السياسية التى تبين بواعث اتجاهات المانيا فى العهد الهتلرى ، ومذكرات السياسى الفرنسى بوانكريه تبين لنا كذلك اتجاهات السياسة الفرنسية من عام ١٨٧١ الى عام ١٩١٤ كما يمكن أن تعرف الكثير عن السياسة البريطانية فى فترة ما قبل الحرب الكبرى الأولى من مذكرات اسكويث ومورلى وهالدين وجراى ولويد جورج

ومن المذكرات السياسية التى لا يجد مؤرخو مصر الحديثة مندوحة عن الرجوع اليها مذكرات الزعيم المصرى احمد عرابى ومذكرات عبد العزيز فهمى ، واذا قدر الظهور لمذكرات الزعيم سعد زغلول والزعيم محمد فريد وغيرهما من رجال مصر الذين اشتركوا فى الحوادث السياسية الهامة فانها ستكون عظيمة النفع للمؤرخين وسائر القراء ، وستكون الموازنة بين المعلومات الواردة فى هذه المذكرات مما يساعد على تمحيص الحوادث واستجلاء الحقائق



سعد زغلول
تناول فترة هامة
من حياة مصر

دكتور أحمد موسى :



شكسبير و الفن

لا يعرف تاريخ الحضـارة كله كاتبا شاعرا كانت له منزلة شيكسبير الذى انقضى على مولده اربعمائة سنة لم يمض منها أسبوع دون ان يكون لاحد آثاره ذكر فى حديث أو مجلة او ان تكون أحدى مسرحياته ممثلة فى أى مسرح من مسارح العالم

شخصيته عجيبة غريبة أنتجت فى أثنين وعشرين عاما انتاجا أدبيا لانظير له عند غيره من الكتاب ، الى حد اثار الشكوك حول وجوده حينا وحول ماخلف حينا آخر . وقام جماعة من بنى جلدته بانكار وجوده واسناد اعماله الى غيره من الشعراء والكتاب : ولم يتناول الشك اعماله الا لاعجازها وفرط ماجاء فيها ممثلا لمأساة الانسان حينا ، ولمأساة العقل البشرى حينا آخر فى اسلوب لايتقدم ولايبلى . جاء بعضها فى كوميديات وبعضها فى قصص تاريخى وبعضها فى تراجيديات وهى كلها تمثل تراثا هائلا قال عنه احد الكتاب : لو وضع تراث شيكسبير فى كفة والهند فى كفة أمام الانجليز فانهم ولاشك يفضلون الاولى على الثانية ولو تضوروا جوعا

وقرأت مرة ان كاتبا كبيرا من الالمان ارخ لجوته وارخ لبيتهوفن وارخ لبيسمارك .. ولكنه عندما

جاء الى شيكسبير تراجع قائلا ان التاريخ لهذه العبقرية عمل مضنى يحتاج الى اكثر من مؤلف

ونحن هنا لانتناول الا ناحية واحدة من النواحى التى تمت بالصلة الى شيكسبير وهى ناحية اثره على الفن

وهذه مناسبة نعود فيها فنتذكر انهم يقسمون الفن الى زمانى لشغله حيزا من الزمان كالشعر والخطابة والموسيقى ، ومكانى لشغله حيزا من المكان كالرسم والنحت والعمارة ، ولكنه زمانى مكانى عندما يشغل حيزا من الزمان والمكان سويا كالتمثيل

ولهذا كان اثر شيكسبير عظيما فى الفن « الزمكانى » الذى يتطلب مسرحا له بيئة معينة ذات نقوش وأثاث وازياء ومبان من طراز يتفق مع القطعة الخالدة

ومع اعتراف جوته وشيللر بأثره فيهما ومع انقضاء المائة السنة الاخيرة فى بحوث واعمال ادبية كلها تتصل بشيكسبير وتاريخ مولده والاطلاع على دفتر التعميد فى بلدته والتاكد من تزوجه الى

بيت شكسبير فى ستراتفورد ..



لندن وتوثيق أماكن اقامته فيها ، كما تتصل بارجاع كل ماكتب الى أصول قديمة تاريخية وأدبية ، فان شخصيته العظيمة زادت قدرا وتألقا عندما يتضح أنه بلغ فى أسلوبه الكتابى وابداعه الانسانى وسعة أفقه واستلهامه المشاعر الانسانية الصادقة وخضوعه الى ناموس الطبيعة

ونحن هنا ننظر الى صورته وصورة البيت المتواضع الذى ولد فيه وكلاهما لفنانين معاصرين يكشفان عن طراز المبانى والازياء وبساطة العيش مع توافر الهدوء والبعد عن الزحمة التى حالت بين معظم الناس وبين الانتاج العقلى

أما صورة المنظر الثانى من الفصل الثالث لكوميديا «الاخطاء» فهى تفصح عن قدرة الفنان فى التعبير السليم لموقف جمع بين الايضاح والعبث . ولاتقل روعة صورة المنظر الثانى من الفصل الرابع من نفس الكوميديا

وكريسيدا الفتاة التى لايعرف الوفاء الى قلبها سبيلا وقعت مستسلمة تفكر فى تدبير الغد ، مع انها كانت ابنة أحد كهنة ترويا ، والتصوير الشعرى فى هذه التراجيديا أوحى الى الرسام بهذه الخطوط الرقيقة التى لايستطيع سواء الوصول اليها بهذه الدقة والعناية والجمال البعيد عن الادعاء

وفى تراجيديا « تيمون الاثينى » نرى الممثل جورج بينيت فى دور « ابيمانتوس » والصورة يكمل بعضها بعضافالاثاثوالزى والصور الحائطية لاتخرج عن موضوع واحد

ونظرة « عطيل » الى زوجته « ديز ديمونا » ومطالبته بالمنديل تبين لنا كيف ان الفنان سجل ما وصل اليه المخرج تسجيلا عجيبا

اما انطونيو وكليوباترا وهى ممسكة بيمناها بالافعى التى كاد رأسها يرتمى على مكان القلب فهى من أعظم ماسجل هذا الفنان

وهنا نذكر ان شيكسبير فى هذه التراجيديا كان أعظم من جون درايدن المتوفى سنة ١٧٠٠ والذى صور انطونيو فى صورة العاشق الولهان المجرد من الارادة

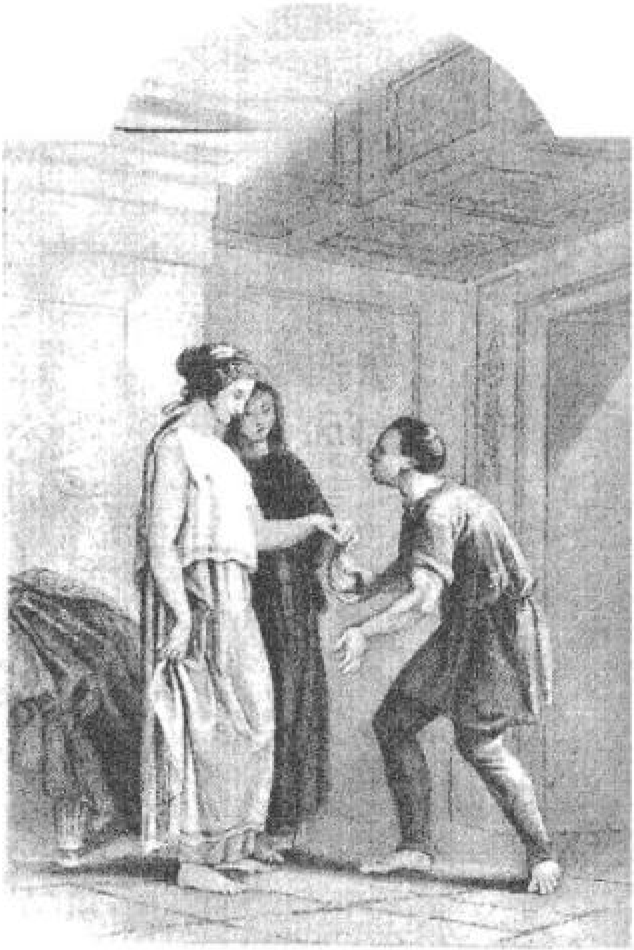
وفى الصورة الاخيرة نرى « كينج لير » راقدا على فراش الموت كما جاء بالمنظر السابع من الفصل الرابع للتراجيدا التى تحمل هذا الاسم

ومما تقدم نجد ان كل أنواع الفن قد سارت يدا فى يد نحو هدف واحد هو بلوغ الغاية الجمالية



انطونيو وكليوباترا المنظر الثاني من الفصل الخامس

المنظر الثاني من الفصل الرابع في كوميديا «الاخطاء»



كريسيدا غير الوفية
ابنة احد كهنة تروبا





« الملك لير » راقد على فراش الموت كما جاء بالمنظر السابع من الفصل الرابع للتراجيديا التى تحمل هذا الاسم



الممثل جورج بينيت فى دور ابيمانتوس فى تراجيــديا « تيمون الاثينى »



« عطيل » .. يمسك بزوجته ديزدمونا ، ويطالبها بالمنديل .. !

فاروق خورشيد :

الكابوس المكيف الهواء

امريكا ليست مكانا صالحا لحياة الفنان ينمو فيه ويترعرع .. ان الحياة فيها عبارة عن موت متحرك .. !

تأليف : هنرى ميللر

يكاد هنرى ميللر يكون من الكتاب القلائل الذين لا يعرف عنهم المثقف العربى الكثير برغم ما يتمتع به من مكانة كبيرة فى الادب العالمى بعامة والادب الامريكى بخاصة ، حتى ليقول عنه لورانس داريل :

— **« ان الادب الامريكى المعاصر يبدا وينتهى عند الاعمال التى قدمها هنرى ميللر . »**

والواقع ان هنرى ميللر يكاد يكون الكاتب الكبير الوحيد الذى لم يترجم اى عمل من اعماله الى اللغة العربية على الرغم من ظهور اعماله كلها او معظمها باكثر من لغة من اللغات الادبية الحية اليوم

وربما يرجع السبب فى هذا الى انه من الكتاب الذين تصعب ترجمتهم بحيث لا يفقد حيويته وترابطه ، فهو من الذين يهتمون باللغة وصياغتها قدر اهتمامهم بالفكرة والشكل معا .. ولهؤلاء الكتاب لغتهم الخاصة او لعلنا نقرب المسألة اذا قلنا ان لكل منهم قاموسه الخاص الذى لا يمكن ان يفهم اى عمل من اعماله الا بادراك سر هذا القاموس ومفاتيح استعمال الالفاظ التى تتردد كثيرا فيه

فاللفظ عند هنرى ميللر ليس مجرد اداة ناقلة للمعنى ، بل ان اللفظ عنده وحدة ادبية بتكرارها يكمل العمل الادبى كله

فاللفظ له دلالته ، واللفظ ايضا له اهميته بما يحدث من جرس موسيقى وبما يقدم من ايحاءات وظلال ترسمها طريقة استعمال الكاتب له وكيفية تطويعه ليحمل من المعانى ما قد يبعد به تماما عن المعنى القاموسى المعروف والمستعمل عند العامة ، فيصبح له عنده من دلالة بذاتها بل دلالة وايحاءات تعجز غيره من الالفاظ مهما كثرت عن الابانة عنها والاشارة اليها

وليست المسألة مسألة الفاظ وحسب ، بل ان هنرى ميللر من هؤلاء الكتاب الذين يكتبون وانظارهم تتطلع الى داخل ذواتهم لا الى خارجها .. فهو حريص كل الحرص على ان يكشف اعماق هذه الذات واسرارها وان يضع يده على جوانب ضعفها وتمزقها .. محاولا تفسير سر هذا الضعف والتمزق ، ومدركا انه ان استطاع ان يزيح عن هذه النفس ما يحجب حقيقتها عن العيون فقد نجح فى ان يضيف الى الثقافة الانسانية زادا جديدا يعينها على اتمام الكشف عن الجوهر الانسانى فى حقيقته واصالته .

والحكاية الخارجية التى يتكون ابطالها من مجموعة من الناس يخلقهم هو بنفسه ويدير بينهم الاحداث لا تعنيه الا بقدر ما تتيح له الفرصة ليكشف عن شىء ليسه هو ، فهو يكتب الاحداث التى تدور فى

الخارج وعينه مفتوحة على حقيقة ما يريد أن يقول من داخله هو نفسه .. فالحدث الروائي الآن لا قيمة له لانه حدث مزور لعبت في رسمه المهارة والكلاب دورا كبيرا انما القيمة الحقيقية هي لهذا الصدع الذي يحس به يمزق نفسه ويدفعه دفعا الى تعريتها امام الناس .. وهو بنفس هذا المفهوم يمد يديه حتى المنكبين ليغوص بهما في اعماق كل نفس تصادفه ليحاول أن يتلمس الاسرار الدفينة التي تخفيها هذه النفس في خجل وخوف لانها هي بذاتها التي تكون السر الذي يجعل منها شيئا منفردا عن غيرها من النفوس الاخرى

وربما يكون السر أيضا أن هنري ميللر صاحب موقف واضح من الحضارة الالية المعاصرة ، انه من هؤلاء الكتاب الذين اساءهم الهلع من تحكم الالة في الانسان وسيطرتها عليه تمهيدا تحيله الى رقم ورمز لا الى حقيقة من لحم ودم واعصاب واحلام .

وهنري ميللر في هذا العمل الذي نقدمه (الكابوس المكيف الهواء The Air Conditioned Night-Mare) يندفع بكل قوة وحماس ليكتشف من ضياع الروح في زحمة دوي الالة وصخبها ! انه امريكي يعود الى بلاده من اوروبا محاولا ان يكتشف نفسه في ظل الارض الاصلية التي انجبته وكونته .. ولكنه سرعان ما ينكر الارض والناس بل وينكر نفسه كذلك . فكل شيء حوله زائف مزور ، يخفي الزخرف فيه أن الحقيقة قد ضاعت وان الانسان قد تاه

وفي عنف واصرار يركب عربته ليدور حول امريكا كلها من ولاية الى ولاية ، ومن مكان الى مكان بحثا عن الروح .. تارة في اعمال الفنانين ، وتارة في كتب المؤلفين ، وتارة في انغام الموسيقيين ، وتارة اخرة في افكار الفلاسفة ، ولكنه في كل مرة يخرج بقبضة هواء ! بل هو يخرج بأن يصبح عبدا للالة التي تحمله ، للسيارة التي تدور به ، ليفرد منها اكثر من فصل كأنها اصبحت شيئا جوهريا حيا اكثر منه حياة ، واكثر منه استقلالا وذاتية ! انه كابوس رهيب .. حلم قاتم مخيف ، ولكن الناس تحتمله ، ولكن العالم لا يلتفت الى حقيقته لانه كابوس مكيف الهواء

* * *

وتبدا رحلة هنري ميللر في وطنه الذي يعود اليه بعد غياب طويل في العالم القديم بزيارة مدينة اسمها (الامل الجديد) وهي مدينة عليها مسحة اوروبية لستهوي العائد الذي يحمل للعالم القديم اجمل الذكريات واشد الوفاء ، والمدينة أيضا ، كما يقول هو ، واحدة من مراكز الفن في امريكا . ولكنها تطبع في ذهنه حقيقة خطيرة وهامة وهي انه لا امل للفنان في مدينة الامل الجديد . فلا يجد فيها من الفنانين من حياة الكلاب الا هؤلاء الذين يمكن تسميتهم باسم الفنانين التجاريين ، فهؤلاء تعطي لهم منازل جميلة ومراسم اجمل وموديلات اكثر



هنري فورد
خلقت مصانعه
عالما جديدا

جمالا ورشاقة . اما الآخرون فهم يعيشون على هامش الحياة . ويقول ميللر

« ولقد تأكد هذا الخاطر وعمق كلما توغلت في رحلتي . فامريكا ليست مكانا صالحا للفنان »

ان الحقيقة التي يكتشفها ميللر تثبت له ان الحيوانات الضالة تعيش حياة اكرم من حياة الكاتب الخلاق او الرسام او الموسيقي المبدع .. لماذا ؟ انه يجيب عن هذا السؤال حين يقول بعد رحلة قطع فيها عشرة آلاف ميل :

— « ان الارض هنا رائعة ولكنها مخيفة ، وهي مخيفة لانه لا يوجد مكان آخر في العالم قد تم فيه الطلاق النهائي بين الانسان والطبيعة ، اجل لم اشاهد في مكان آخر هذه الحياة الروتينية الآلية الصماء ، كتلك التي واجهتني في عنفه واصرار كلما توغلت في ارض امريكا »

وميللر يقول هذا الكلام وهو عائد من ارض الحضارة العريقة القديمة بتقاليدها ومثلها ؛ من اوروبا بعامة ومن بلاد اليونان بخاصة وبعد ان قضى سنوات عدة يعيش في باريس حياة كلها تبحث عن الجمال وعن الفن وعن الانسان . ترى ماذا يقول لو عاد يجول بسيارته في اوروبا بل وفي العالم كله ؟

ترى ايستطيع ان هذه المفاهيم الامريكية قد اصبحت هي السائدة ، وان الآلة في زحفها قد طردت حلمه القديم ، وان الناس قد عقدوا زواجا مقدسا رهيبا بينهم وبين الآلة في كل مكان !!

ان ميللر لا يقوم برحلته بمفهوم السائح الذي يريد ان يستمتع .. وانما هو يقوم بها بمفهوم الباحث الذي يريد ان يعرف . ولكنه ليس وحيدا في رحلته ، انه يصطحب معه منذ بدء الرحلة كتاب « رومان رولان » وفي احد فنادق مدينة بيتسبرج ينتهي من قراءة الجزء الخاص براما كريشنا في كتاب رومان رولان ويقول في صيحة حادة : بيتسبرج وراما كريشنا .. هل من الممكن ان يكون هناك ما هو اقسى تناقضا وتنافرا ! احدهما رمز القوة الوحشية والثراء ، والآخر صورة حقيقية للحب والحكمة ! ويستمر في صياحه وكانما يهذي : انا هنا في حجرة واسعة من فندق حديث مزودة بكل وسائل الراحة الآلية واحدثها ؛ السرير نظيف ومريح ، والحمام الملحق في غاية الاناقة والنظافة ، والاضواء كافية ومريحة ؛ وكل شيء احلم به متاح في وفرة ومتابعة . ولكنني منقبض ؛ منقبض الى اقصى مدى يمكن ان تعبر عنه هذه الكلمة .. لو انني ظللت شاغلا هذه الحجرة لحظة واحدة اكثر من هذا لساجن ، او انتحر ! انها روح هذا المكان ؛ ارواح الرجال الذين بنوا هذه المدينة المخيفة تتسلل عبر الجدران .. ان الهواء مشبع بروح الجريمة .. وهي تخنقني .. منذ لحظات خرجت استنشق الهواء ، وعندما عدت كنت في روسيا القيصرية . لقد كنت ايفان الحيف .. يتبعني قطيع من السفاحين .. هاهم مدججون بالسلاح ؛ بالخناجر والقدارات ؛ انهم رجال يطيعون في عبودية ، ويطلقون النار ليفتكوا عند اول اشارة ..

هذه الالفاظ المتوترة انما ترسم صورة قلق حقيقي خانق يحسه ميللر وهو يحاول في مرارة ان يعرف السبب في احساسه الحاد بأن هناك شيئا قد ضاع . لعله الطريقة التي بدأ بها الشعب الامريكي

تكونه ، لقد هرب الامريكيون من اوطانهم الاصلية بحثا عن السلام والسعادة ، وبحثا عن الحرية العقائدية والسياسية ولكنهم بدءوا حياتهم في الارض الجديدة بسرقة وتسميم وقتل ، بل وبابادة سكان البلاد الاصليين . وعندما اكتشف الذهب بعد هذا فعلوا ذلك كله مع المكسيكيين .

انها حقائق رهيبة وشوهاء ، ولكنها الحقائق التي قفزت الى ذهن ميللر وهو يعيش على نفس الارض التي شاهدت هذه البداية ثم سارت في طريق العنف الى آخر مداه ؛ ثم اسلمت قيادها للآلة لتخلق الزيف في كل شيء لحياة مخيفة لانها فقدت روحها ..

ويقول ميللر : « ان الشيء المخيف حقيقة في امريكا انه لا مهرب من الطاحونة التي خلقناها بايدينا .. فليس هناك بطل واحد من ابطال الحقيقة الذين لا يعرفون الخوف في دنيا الطباعة عندنا .. وليست هناك شركة افلام واحدة تعمل من اجل الفن بدلا من الربح والربح وحده ، وليس لدينا مسرح جدير بأن يطلق عليه اسم المسرح .. وما لدينا من المسارح مركز كله في مدينة واحدة ، وليست لدينا موسيقى جديرة بالحديث الا ما تعلمناه من الزنوج ، ولن نستطيع ان نجد بين كتابنا سوى حفنة من

الكتاب الذين يمكن ان نسميهم بالكتاب الخلاقين ..

ان هذا يمتد الى كل مرافق الحياة ، المدن مرتفعة المبانى واسعة الشوارع ولكن بلا روح .. ان الروح قد ماتت اثناء التقدم الآلى والمدنية الامريكية الحديثة

ويقول ميللر : « ان الآف السنين التى طحنت اوروبا بالحروب لم تستطع ان تدمر فيها ما دمرته مائة سنة فى حياتنا ! من اجل السلام والتقدم ! » . والدول الاوروبية تستطيع ان تلوم كل منها الاخرى على ما حل بها من دمار . اما نحن فلن نلوم الا انفسنا على ما حل بالارض من دمار (انه عالم خلقته مصانع فورد ، خلقته الآلة فى سرعة مذهلة ليعيش فى سرعة مذهلة ويموت اسرع مما عاش .. ان والت ديزنى هو الامريكى الوحيد — ولو انى اعتقد انه لا يدرك هذا — الذى يعبر عن الرعب الذى نعيش فيه ، انه سيد الكوابيس .. انه الصورة المعبرة عن العالم الذى خلقه هنرى فورد وامثاله .. ان ابطاله ليسوا رجالا حقيقيين ولكنهم اكثر حياة من الرجال الحقيقيين فهم رجال الحلم .. انهم يخبروننا عن الحقيقة التى نخبئها فى انفسنا تحت جلودنا ، الحقيقة التى تقول اننا نعيش فى كابوس ، ومهما كيفت الآلات الحديثة هواءه فهو كابوس حقيقى ..

* * *

ان هناك شيئا واحدا تستطيع امريكا ان تقدمه للعالم . انه ليس الفن ، ليس الحقيقة ، ليس المبدا .. انه المال .. والمال وحده ! ويذكر ميللر قصة ذلك الفنان



والت ديزنى يعبر عن الرعب الذى نعيش فيه

الروسي الهارب الذي كان يعيش في باريس على الجوع وحده ، وابحث له الفرصة لتحقيق امله في السفر الى امريكا ارض الاحلام .. وسافر وعاش فيها يرسم ويكسب الدولارات ويكون اسما وشهرة واسعة ، ولكنه فوجيء به ذات يوم في احد بارات باريس مهلهل الثياب من جديد بادي الجوع كما كان ، وساله ميللر عما راى ولماذا عاد .. وقال الفنان الروسي : « لقد كان الامر في البداية رائعا حتى لقد حسبت نفسي في الفردوس ، ولكن ما جدوى ان تعيش في الفردوس اذا كان سكانه كلهم من الاطفال الاشقياء ، وماذا افعل بالمال وانا لا اجد مقابله المتعة الحقيقية ، وماذا افعل بالشهرة اذا كنت احس انه لا يوجد من يفهم قيمة ما اعمل ؟ انني اعود الى باريس ضائع المستقبل ، لكنني اعود لاعيش ، حقا انني هنا من جديد لا اجد ما آكله ولكنني اجد ما اتنفسه واحياه .. ان امريكا ليست مكان حياة للفنان ، ان الحياة فيها موت يتحرك ؟

ووسط هذا كله ينتهي ميللر من قراءة الجزء الثاني من كتاب رومان رولان عن سوامي فيفيكاناندا .. ووسط الصراع والسباق والمعركة من اجل التفوق ، ووسط ضياع كل معالم الروح والذات في غمار المدينة الآلية الصاخبة يقرأ ميللر مما نقله رولان عن فيفيكاناندا قوله :

« ان الرجال العظام الذين عرفهم العالم قد ذهبوا دون ان يعرفهم احد .. ان بوذا والمسيح اللذين نعرفهما ليسا سوى بطلين من الدرجة الثانية اذا ما قارناهما بالرجال العظماء الذين لا يعرف العالم منهم شيئا .. ان المئات من هؤلاء الرجال الابطال عاشوا في كل بلد يعملون في صمت ! في صمت عاشوا وفي صمت ذهبوا .. وعندما حان الوقت وجدت افكارهم متنفسها على يد بوذا والمسيح ، وهكذا لم نعرف من كل هؤلاء الابطال سوى آخرهم .. ان الرجال العظماء لا يطمحون من وراء معرفتهم الى الشهرة او المجد .. انهم يتركون افكارهم للعالم دون ان يدعوا لانفسهم اي حق فيها ، انهم لا يؤسسون مذاهب ، ولا يدعون الجماعات . انهم لا يريدون شيئا انهم فقط يذوبون حبا

« وفي حياة جاوتاما بوذا نلاحظ انه يقول دائما انه البوذا الخامس والعشرون .. اما الاربعة والعشرون السابقون له فنحن لا نعرف منهم شيئا رغم انه من المؤكد ان بوذا الذى يذكره التاريخ قد اقام فلسفته على اسس مما اقاموا هم . ان الرجال العظام هادئون صامتون ، مجهولون . انهم الرجال الذين يعرفون حقا معنى الفكر وقوته . انهم واثقون انهم لو اغلقوا على انفسهم كهفا وتوصلوا الى خمس افكار حقيقية ثم ماتوا .. لخلدت هذه الافكار الخمس على مر الاجيال . لسوف تتسلق افكارهم هذه الجبال وتخترق المحيطات وتجوس خلال العالم . ولسوف يتغلغلون في اعماق قلوب الانسانية وعقولهم ويثيرون بها الرجال والنساء الذين سيعطون افكارهم هذه صورتها الماثلة .. سيظل المسيح وبوذا يجوسان الارض ليعلما الناس هذه الحقائق الخالدة : « ان الانسان قريب جدا من الله قربا يمنعه من العدوان والقتل والتدمير والصراع فوق الارض البائسة الشقية .. ان طريق الله هو طريق الحب ؟

* * *

ان روح الدين ، روح الشرق الفياض الخالد الآمن هي التي تسبب لميللر كل هذا التناقض الذي يحسه وهو يجوب امريكا لقد عاش في اوروبا متململا من كل ما تعانيه من تمزق وحيرة ، وكان في قلبه حلم كبير ، ان بلاد العالم الجديد : امريكا وطنه ، هي الامل والخلاص . ولكنه عندما ذهب الى ارض احلامه ، تحول حلمه الى كابوس رهيب بمزله وبؤرته وبجملة بفضل عليها مال اوروبا من تمزق منشؤه الصراع بين المادة والروح . اما في امريكا فقد انتصرت الآلة وهزمت الروح .. الا ان هنالك املا يلوح انه فيفيكاناندا وراما كريشنا وغيرهما من فلاسفة الشرق .. ان الامل هو ريح الايمان التي ما زالت تهب من الشرق الذى لم تطحنه الآلة بعد ..

* * *

لقد كتب هنرى ميللر كتابه هذا في عام ١٩٣٩ وظهرت طبعته الاولى في امريكا في عام ١٩٤٥ واليوم .. انستطيع حقا ان نقول ان عجلة الآلة المخيفة لم تمتد الى الشرق ايضا ؟ انستطيع ان نشجب معه الحضارة الآلية التي تمثلت ايام كتب الكتاب في الحضارة الامريكية منحين الامل في تيار يهب ؟ ومن اين يهب ؟ هل ما زال في دنيانا في هذا العصر مكان لتيار الايمان .. والروح .. ام انه الطوفان !!



ايفان الرهيب .. كان كابوسا ، ولكنه لم يكن مكيفا ..

هناك وقت للحب

ليس لتاريخ ميلاد المرأة شأن يذكر فى حياتها العاطفية . وليس لجاذبية المرأة سن معينة تذبل عندها وتتلاشى .. فما دامت المرأة قادرة على الحب ، فانها تحتفظ بسحرها وفتنتها ايا كانت سنها .. والرجل قد يظل يبحث عن السعادة زمنا طويلا دون جدوى ثم تسعده امرأة جاوزت سن الشباب .. !

لقد احب لويس الرابع عشر مدام دى مانتينون حبا صارخا عنيفا ، وهى فى التاسعة والاربعين ، وتزوجها .. لقد كانت ساحرة فاتنة — وهى فى الخمسين — والا ماتزوجها الملك .. فلم يكن غرا ، ولم تكن تنقصه التجارب ، ولم يشتهر بين النساء بالفضيلة

وحين ضحى ادوارد الثامن بتاج

بريطانيا فى سبيل الحب والهوى ، كانت الفاتنة التى ضحى الملك من اجلها بالتاج سيدة جاوزت الاربعين من عمرها ! ..

لقد كانت مارى آن زوجة دزرائيلى رئيس وزراء انجلترا على حافة الموت ، حين تناولت ورقا فى لون البنفسج وكتبت المراة التى تجاوزت الثمانين الى زوجها رسالة فياضة بالامل .. نعم بالامل ، وهى مشرفة على الموت :

« الى زوجى العزيز .. زوجى انا . اذا قدر لى ان اغادر هذه الدنيا قبلك ، فاصدر اوامرك كى ندفن معا .. فى قبر واحد . والآن ياحبيبى لقد كنت لى زوجا كاملا ، كما كنت محبا وفيا .. فوداعا يا عزيزى ديزى ، ولا تعش وحيدا يا حبيبى ، وانما ارجو أن توفق الى من تخلص لك الحب : والود ، والوفاء ، كما اخلصت لك مارى آن ... »

والشباب لا يستأثر بالجمال .. فان السحر الذى ينبعث من المراة الكاملة الانوثة ، من ذكائها وحديثها ، من ثقافتها وخبرتها .. هذا السحر اشد اثرا فى الرجال من الجمال الصارخ ، جمال الشباب الذى لم تثقله الخبرة .. فقلما توحى الفتاة بحب دائم ، وانما توحى عادة بحب صارخ عنيف .. وكلما كانت جذوة الحب الصارخ ملتهبة ، كانت اقرب الى الانطفاء ..

ان المراة الكاملة الانوثة التى صقلتها الخبرة والتجارب ، قلما تستأثر بالرجل عن طريق احساساته وغرائزه ، وانما تتجه عادة الى عواطفه ، الى عقله ، وترضى فيه رغبات الجسم والعقل والقلب جميعا .. ومثل هذا الحب لا تنال منه الايام ..

وانه لمن العسير ان تحدد سنا معينة تفقد فيها المراة جاذبيتها ، وتكف هى نفسها عن الحب .. ففى الحياة العادية كثيرا ما نقابل نساء جاوزن سن الشباب ، ومع هذا فهن محبات محبوبات .. رغم اننا اعتدنا ان نقول أن هذه حالات شاذة ، ولا يقاس عليها ..

والواقع انها حالات شائعة فى الاسر السعيدة التى يربط الحب فيها بين الزوجين برباط مقدس .. لكننا لا نلتفت اليها ، لانها لا تعلن عن نفسها

فلى صديقة جاوزت الخمسين ، ولكنها تبدو فى اناقة وفتنة امراة فى الثلاثين .. وهى تبادل زوجها حبا قويا عنيفا ، وتحرص على أن تنفرد به اسبوعا فى صيف كل عام على أحد الشواطىء مخلفة بنيها وبناتها فى القاهرة .. وبعد أن يقضى الزوجان « أسبوع العسل » يلحق بهما أفراد الاسرة

وشاقنى ان اعرف سر جاذبيتها التى تحتفظ بها على الدوام ، وذات مساء وكنت أسير معها على الشاطىء نستمتع بالنسيم ، وكانت تبدو فاتنة سعيدة بالحياة والحب .. فلما ابديت لها اعجابى ، رنت الى بطرف عينيها ، وقالت وهى تبتسم :

— ارى فى عينيك سؤالا حائرا ، ولكنى التمس لك العذر ، فحين كنت فى العشرين من عمرى كنت احسب أن الحياة العاطفية للمراة تنتهى فى سن الثلاثين ، فتخلف الحب والهوى لتستقبل عهدا جديدا هو عهد الامومة .. فلما بلغت الثلاثين ، قلت فى نفسى ان المراة تستطيع أن تحب حتى تبلغ الاربعين . فلما بلغت الاربعين ، اطلت فى عمر الحب عشر سنوات أخرى .. واليوم وقد جاوزت الخمسين ما زلت مفتونة بزوجى وهو ايضا مفتون بى .. فادركت بتجربتى الشخصية ان المراة تستطيع أن تحب وتكون محبوبة حتى سن متاخرة جدا .. وستعجبين اذا علمت أن ظروف عمل زوجى اذا اضطرته للسفر ، شعر كلانا بألم الفراق كما يفعل المحبون من الشبان ..

— وما السر فى ذلك ؟ ..

— السر اننى حريصة على جمالى وفتنتى ، ازيد دائما من ثقافتى .. اعمل كل ما اشعر أنه يدخل السعادة الى قلب زوجى لارضيه .. اما هو فحريص دائما على كل ما يجعلنى فخور به ..

وبهذا الحديث الشيق زاد فى اعتقادى أن المراة وحدها ، هى التى تستطيع ان تطيل فى عمر الحب .. فكم من نساء انتهت حياتهن العاطفية فى سن مبكرة ، بينما اخريات يوحين بالحب والهوى ، حتى سن متقدمة جدا .. بل ان الحب العنيف ، والعواطف المشبوبة ، قلما تكون من وحى نساء شابات .!

والحب هو سر الحيوية والشباب والجاذبية التى تتمتع بها المراة المحبة المحبوبة .. فالمراة لها من العمر سن قلبها ، لا عدد ما عاشت من سنين .. والقلب الفتى الشاب يضفى على المراة شبابا ، وسحرا

وقد جرت الصحافة على نشر صور الفتيات اللاتى يفضن بالانوثة الصارخة ، والجاذبية الحسية التى لاتخطئها العين ، وتفيض فى الحديث عن غرامهن ونزواتهن .. اما الغرام الدائم ، غرام المراة بعد الاربعين ، فقلما تعنى به الصحافة الا استغلالا لفضيحة ، او تهكما من عاطفة انسانية نبيلة .. !

ان المراة الكاملة لا تعلن عن حبها وانما يكفيها ان تعيش هذا الحب

ليس للمراة اذن ان تياس من الحياة والحب مهما طال بها ربيع الانتظار ، لقد خلقت المراة من اجل انسان آخر تهب له نفسها وروحها .. اما حب الذات والحقد والكراهية فعواطف غريبة عن طبيعة المراة ، دخيلة عليها ، فمن النساء من تزوجن فى سن الاربعين واستمتعن بحياة هانئة سعيدة ؟ فالمراة لابد واجدة سعادتها يوما اذا احتفظت بقلبها صافيا نقيا ، لا حقد فيه ولا كراهية ولا بغضاء .

لقد خلقت المراة للحب والبذل والوفاء .. والحب والبذل والوفاء تضفى عليها جمالا وسحرا .

أخبار الغد

وبعد الغد

ان اخبار الغد .. وبعد الغد ليست مجموعة من احلام العلماء يحلمون بها وهم نيام او جلوس فى مكاتبهم . انها عبارة عن نواة لمشاريع مستقبلة ستتحقق . فالعالم او الباحث الذى يفكر فى مشروع ويعمل تخطيطا لهذا المشروع .. انما يتحدث عنه وقد قطع شوطا كبيرا فى التفكير والتامل والتجارب

فالدنيا التى نعيش فيها الآن تتغير انها ستصبح دنيا جديدة ، لان الانسان الذى يعيش عليها يتطور كل يوم مع تفكيره واحتياجاته ومعاملاته

❊ ❊ ❊

الانسان فى الغد الجديد سيعيش فى سعادة .. ان كل طلباته سيجدها امامه. فالعقول الالكترونية ستعرف رغباته وتحققها فورا

والمنطقة التى يعيش فيها الانسان سوف تتغير ايضا .. ان العلماء اجمعوا على ان احسن مكان يناسب الانسان الجديد هو احضان الطبيعة . ولهذا فانهم خططوا المشروعات الهائلة لكى يوفروا له الطبيعة الصناعية

ان انسان الغد سيعيش فى قرى صناعية فوق سطح الارض . اما باطنها فسيكون فيه العجب ، ان باطن الارض سيكون المكان المناسب للمصانع وطرق المواصلات . ولهذا فان المنطقة التى يعيش فيها سوف لاتعرف الغبار والصراخ وضجيج السيارات والقطارات .وستكون القرى مزودة ببحيرات صناعية وجبال صناعيه ، وسيتمكن انسان الغد من التحكم فى حالة الجو من حيث الدفء والبرد والرطوبة والجفاف . كما انه سيتحكم فى أشعة الشمس .. حسبما يريد

والمنازل التى سيسكن فيها الانسان سيكون فيها العجب . انها منازل ذات اشكال عجيبة ومكيفة الهواء ، وبها مطابخ الكترونية تعرف الوان الطعام التى تشتهيه نفسك وكذلك المشروبات وتقدمها لك عندما تريد

وسيكون فى بيتك السكرتيرة الالكترونية والتليفون الالكترونى الذى سيرد على المكالمات ويضبط لك المواعيد ، ويتولى ايقاظك من نومك

❊ ❊ ❊

ان دنيا الغد فيها العجب
انها ستريح بالك ، وتقضى على متاعبك

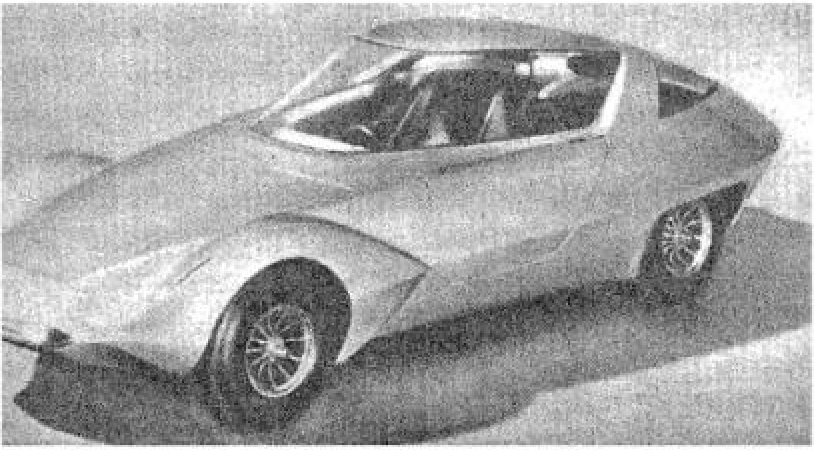
❊ ❊ ❊

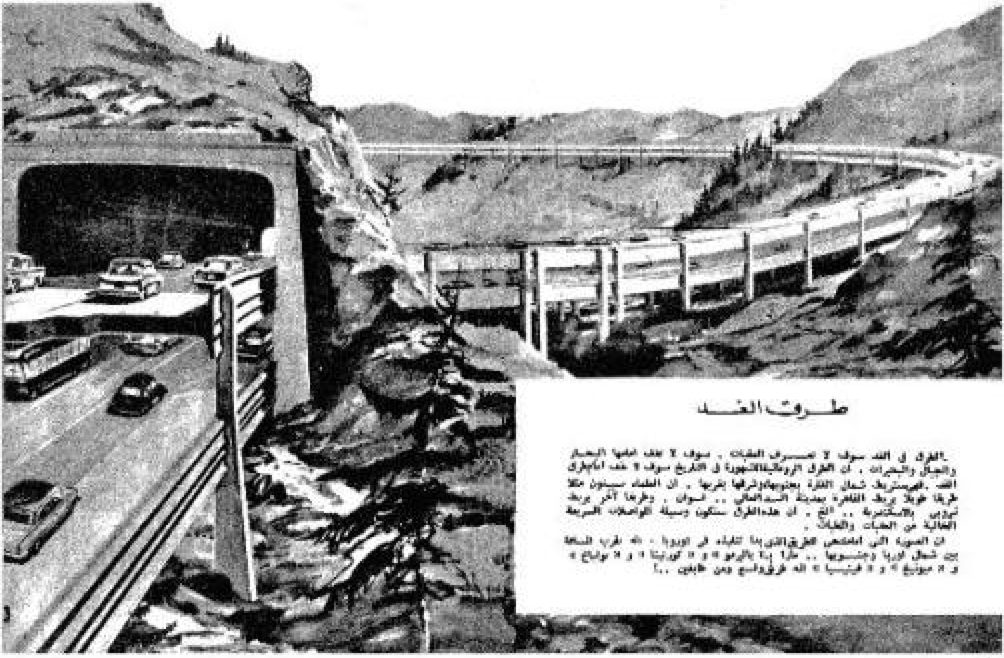
وفى هذا الشهر نقدم للقارىء مجموعة فى نتاج عقول العلماء .. انها حاجات ستتحقق وتوفر لى ولك وللانسانية كل ما تتمناه..!



سيارة لك وحدك!

وصلتنا خطابات من القراء يطلبون مشاهدة سيارات الغد . وقد سبق ان نشرنا عن السيارات التي تطير في الهواء ، وتمشي على الماء ..
وهذه مجموعة من السيارات الجديدة التي ستصنع في السنوات القليلة القادمة . انها تمتاز باحجامها الصغيرة ، وسرعة الحركة . وهي مصممة بطرق خاصة تلائم انسان الغد .. في رياضته ورحلاته للنزهة
هل هذه السيارات هي التي ستستخدم عند وصول الانسان الى الكواكب . ان العلماء الذين وضعوا فكرتها لم يقولوا ذلك ..!





طرق الغد

الطرق في الغد سوف لا تعرف العقبات . سوف لا تقف امامها البحار والجبال والبحيرات . ان الطرق الرومانية المشهورة في التاريخ سوف لا تقف امام طرق الغد . فهي ستربط شمال القارة بجنوبها وشرقها بغربها . ان العلماء سيبنون مثلا طريقا طويلا يربط القاهرة بمدينة السد العالي .. اسوان ، وطريقا آخر يربط تونس بالاسكندرية .. الخ . ان هذه الطرق ستكون وسيلة المواصلات السريعة الخالية من العقبات والعثرات .

ان الصورة التي امامك هي الطريق الذي بدأ تنفيذه في اوروبا ، انه يقرب المسافة بين شمال اوربا وجنوبها .. مارا بـ « باليرمو » و « كورتينا » و « بولزانو » و « ميونيخ » و « فيينا » انه طريق واسع ومن طابقين ..!

حفظ الذاكرة فى أقراص

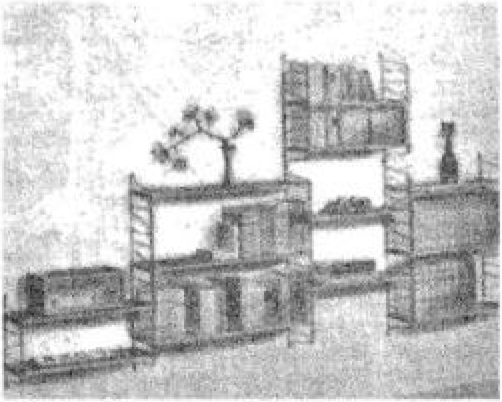
سيأتى اليوم الذى تصنف فيه الافكار بعد ان تحفظها فى أقراص ، وهذه الاقراص ستضعها فى انابيب ترجع اليها عند الطلب . وأول من فكر فى هذا العالم الامريكى ماك كونيل .. الذى احضر مجموعة ديدان تعيش فى البرك العذبة ، واجرى عليها تجارب اثبت بعدها انها من الممكن ان تحفظ الذاكرة .. وان الصدمات الكهربائية التى يسلطها عليها لاول مرة تؤثر عليها تأثيرا لا تنساه ابدا . وقد جاء بعده مجموعة من العلماء واجروا التجارب على الارانب فنجحت وقد تأكد لدى العلماء ان الصبغة الكيميائية من الممكن ان تحفظ الذاكرة لو ركبت تركيبا خاصا ..

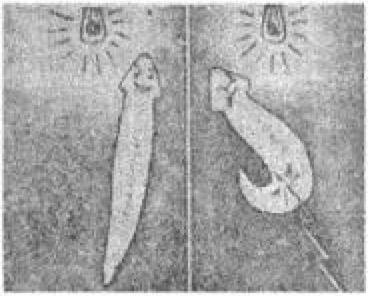
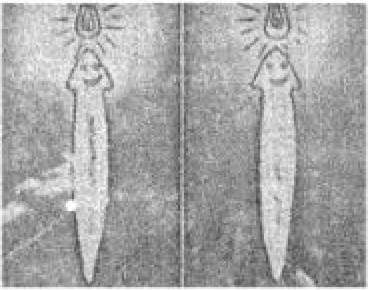
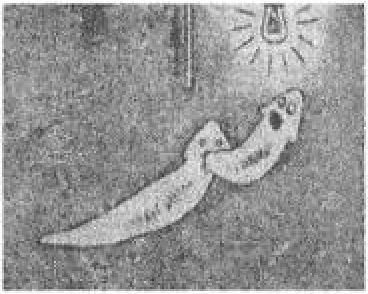
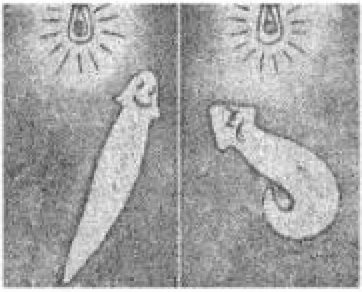
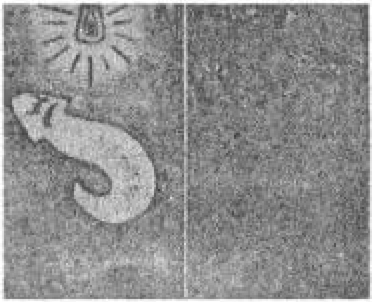
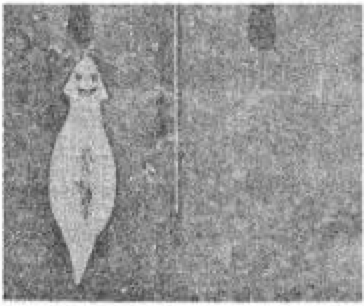
ان اقراص الذاكرة ستباع قريبا فى الاجزخانات .. !

ديدان البلانيرنا Planaria التى الهمت العالم الأمريكى بداية الطريق الى حفظ الذاكرة والسلوك فى اقراص

مكتبة أنيقة

وهذه مكتبة كاملة بسيطة من القوائم المعدنية يمكن ان تكون جزءا من ديكور منزلك



دكتور كمال موسى:



أول طبيب رأى قاع العين

من الباحثين الاعلام الطبيب الألمانى الكبير هرمان فون هيلمهولتس .. الذى عاش ومات فى القرن التاسع عشر من ١٨٢٤ – ١٨٩٤ . وقبل هيلمهولتس كانت العين .. اغلى جوهرة فى جسم الانسان شيئا مجهولا ، وكان وصف الدواء لها اذا مرضت يقوم على الحدس والتخمين . كان كل شىء وراء حدقة العين مجهولا . اعصاب العين كانت شيئا خرافيا ، قاع العين لم تكن المعلومات عنه تكفى الطبيب ، ولا تنقع غلته . وكان جراحو الطب الباطنى، والاعصاب، والمخ يتخبطون فى تشخيصاتهم . وكان اقدامهم على اجراء العمليات الجراحية الخطيرة قضاء وقدرا وتجربة لا يعرف هل ستؤدى الى الخطأ او الى الصواب. فالعلاج قبل هيلمهولتس كان ظاهريا ، فالطبيب لا يرى داخل

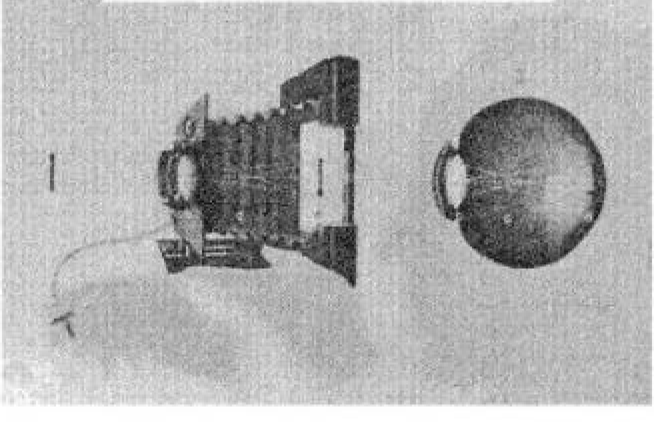
الجوهرة ، وما وراء الجوهرة من اعصاب وعروق يجرى فيها سائل الحياة .. الدم ..

وللعالم الكبير هيلمهولتس قصة لعبت فيها المصادفة التى ادت الى هذا الاكتشاف الخطير ، والذى يعتبر نقطة تحول فى تاريخ الطب والجراحة . ان هذا الطبيب الكبير لم يكن يحلم ان الته البسيطة التى اخترعها ستؤدى الى انقلاب خطير فى الطب عامة ، وطب العيون خاصة

فعندماشب هيلمهولتس لم تكن الظروف مواتية .. لكى تسمح له بالالتحاق بكلية العلوم فى المانيا . كان هذا الطبيب يحلم بدراسة العلوم الطبيعية ، لكن هناك فارقا كبيرا بين الاحلام والحقائق .. فالبعد بينهما كالبعد بين السماء والارض . ولهذا اضطر الى الالتحاق بمعهد فيلهلم للطب والجراحة فى برلين .. حيث كان يسمح للطلبة بدراسة الطب بالمجان على شريطةتعهدهم بالخدمة فى الجيش بعد التخرج . وتخرج الطبيب بسرعة فى عام ١٨٤٢ بعد ان قدم رسالته بعنوان « التكوين التشريحى للجهاز العصبى فى الحيوانات اللافقرية »

واشتغل هيلمهولتس كمساعد جراح فى مستشفى الشاريتى .ثم اشتغل فى ضاحية بوتسدام كطبيب فى الجيش . لكن هوايته وتعلقه بدراسة العلوم الطبيعية لم تخمد..

مقارنة بين عين الانسان .. وكاميرا التصوير .. !



فالهواية تظل تلح على هذا العالم النابغ ، وتجعله يقرأ في هذا العلم كثيراً ، ويتعمق فيه .. حتى انه في عام ١٨٤٧ اخرج مؤلفه القيم بعنوان « بقاء القوى »

* * *

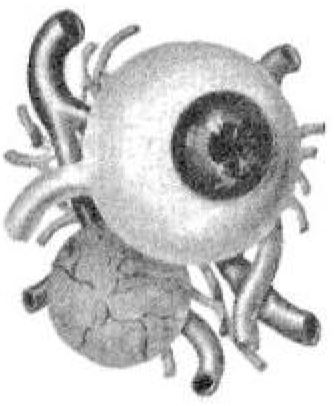
ونعود الى قصة الاكتشاف الخطير .. الذى يبدأ مع بداية منتصف القرن التاسع عشر ، ونقصد به « منظار فحص قاع العين » أو ما يسمى في لغات العالم « مرآة العين »

كان تشخيص الامراض في الولايات المتحدة حينذاك يعتمد اساسا على عين الطبيب واذنه .. عن طريق السماعات .. بينما اوربا تحاول في ذلك الحين ايجاد وسائل اقوى للتشخيص . وهيلمهولتس اعترف انه لم يخترع منظار العين من بنات افكاره .. انه يقول في مذكراته انه اعتمد على ابحاث عالم قبله اسمه بريكه Brucke .. كان يجرى ابحاثه على عيون القطط . واعترف هذا العالم النبيل ان بريكه لو انه استمر لكان قد توصل الى الاكتشاف الذى توصل اليه هيلمهولتس

قام هيلمهولتس بالبحث عن اسهل وسيلة لاضاءة انسان العين ، التى لم يتوصل اليها بريكه . وعندما يضيء انسان العين يستطيع الطبيب بمنظاره أن يرى العصب البصرى ، والشبكية في الانسان وهو على قيد الحياة ، فالاطباء قبله كانوا لا يرون كل هذه الأشياء الا بعد ان يموت الانسان او اذا افقد بصره ، واضطروا الى اخراج العينين من مقلتيهما ..

ولكي يشاهد هيلمهولتس قاع العين في الانسان الحى قام بتجارب مضنية . يقال انه ظل اسبوعا بلانوم هو ومساعده . وقد اضنت كثرة التجارب مساعده حتى اضطر الى الهرب ، فاخذ يعمل وحده بأن يعكس ضوءا شديدا على عينيه

صورة معكوسة من قرنية العين لطبيب يضع امام عينيه مرآة فحص قاع العين .!



مستعينا ببعض الالواح الزجاجية الرقيقة الشفافة .. حتى استطاع ان يرى قاع عينه

واخيرا اكمل اكتشافه الخطير ؛ واصبح الطبيب يستطيع ان يرى تيمان عيون مرضاه بوضوح . وقد ادى هذا الاكتشاف الى التخصص فى الطب عامة ؛ وطب العيون خاصة . واحدث هذا المنظار انقلابا فى علم التشخيص

وباكتشاف هذا المنظار امكن صناعة النظارات وصارت العدسات تصنع بطرق جديدة



العرب اول من قاموا بجراحة العين . . !

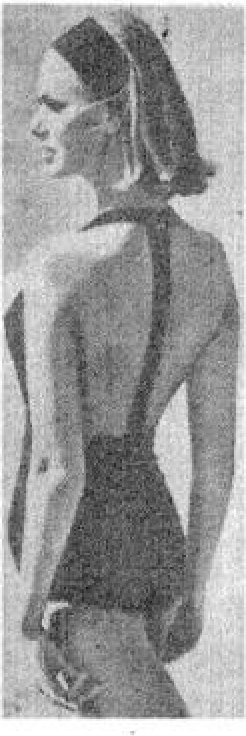


هرمان هيلمهولتس صاحب الاختراع الكبير .. عندما كان استاذا للطبيعة فى جامعة برلين . .

عطيات إسماعيل:

أخبار الموضة







ثلاثة مايوهات موضة عام ١٩٦٤ .
لاحظي خطوطها الجديدة .. !

●

فستان أنيق من الشيفون تستطيعين زخرفته بيديك .. اذا كنت من هواة الفنون ... !


أخبار الموضة

عندما تهب نسمات الصيف .. تتجه الانظار الى بيوت الازياء .. والى شواطئ البحار . ونحن نشاطرك يا سيدتي هذا الاتجاه ، ان مندوبي « الهلال » في عواصم الدنيا يتجولون على الشواطئ ، ويتصيدون بيوت الموضة .. ليأتوا اليك بالاخبار « الطازجة » عن موضة الصيف ١٩٦٤ ، ان الموضة في هذا العام تختلف خطوطها عن الاعوام السابقة

لقد ابتكر خبراء الازياء اضافات جديدة الى المايوهات ، واغطية الرأس ، والبرنسات ايضا واختاروا لها البدعة لا تكلفك الكثير

ان المايوه من القطعة الواحدة صار يشبه البكيني ، فالجسم الخلفي يبرز ظهرك .. لان حمالاته رفيعة جدا .. ومر بحمالتين او حمالة واحدة



الشال من نفس القماش المنقط بالاسود ..



فستان من القماش المنقط بالابيض يبرز رشاقتك ..

والوان المايوهات وكل ملابس الصيف تمتاز بالالوان الزاهية والجذابة ، ويصنعونها من قماش يشبه جلد الثعبان في مرونته

ان مجلة الهلال تقدم لك تشكيلة جميلة من ازياء هذا الصيف من فلورنسا وكابيتوليا والريفيرا .. ومن البحر في ايطاليا

***

وتنصحك خبيرات التجميل الا تنسي غطاء الرأس حتى يحتفظ شعرك بحيويته ، كما ينصحونك بشراء نظارة شمس تناسب وجهك

وعند نزولك الى الماء ، لا تستمري في اول يوم اكثر من عشر دقائق ، واستفيدي من الحمامات في الظل وعندما تخرجين من الماء عليك بدش ماء حلو للتخلص من بلورات الاملاح المتبقية على جسمك

وعلى الصفحات التالية .. تشكيلة كبيرة من احدث ما انتجته عقول اباطرة الموضة في العالم من المايوهات والاكسسوارات وملابس الصيف ، انهم يمدون ايديهم اليك ويضعون خبراتهم وجهودهم لارضائك ابتغاء اعجابك .. فهم يعرفون لا ابراز رشاقتك وجمالك وتألقك ..



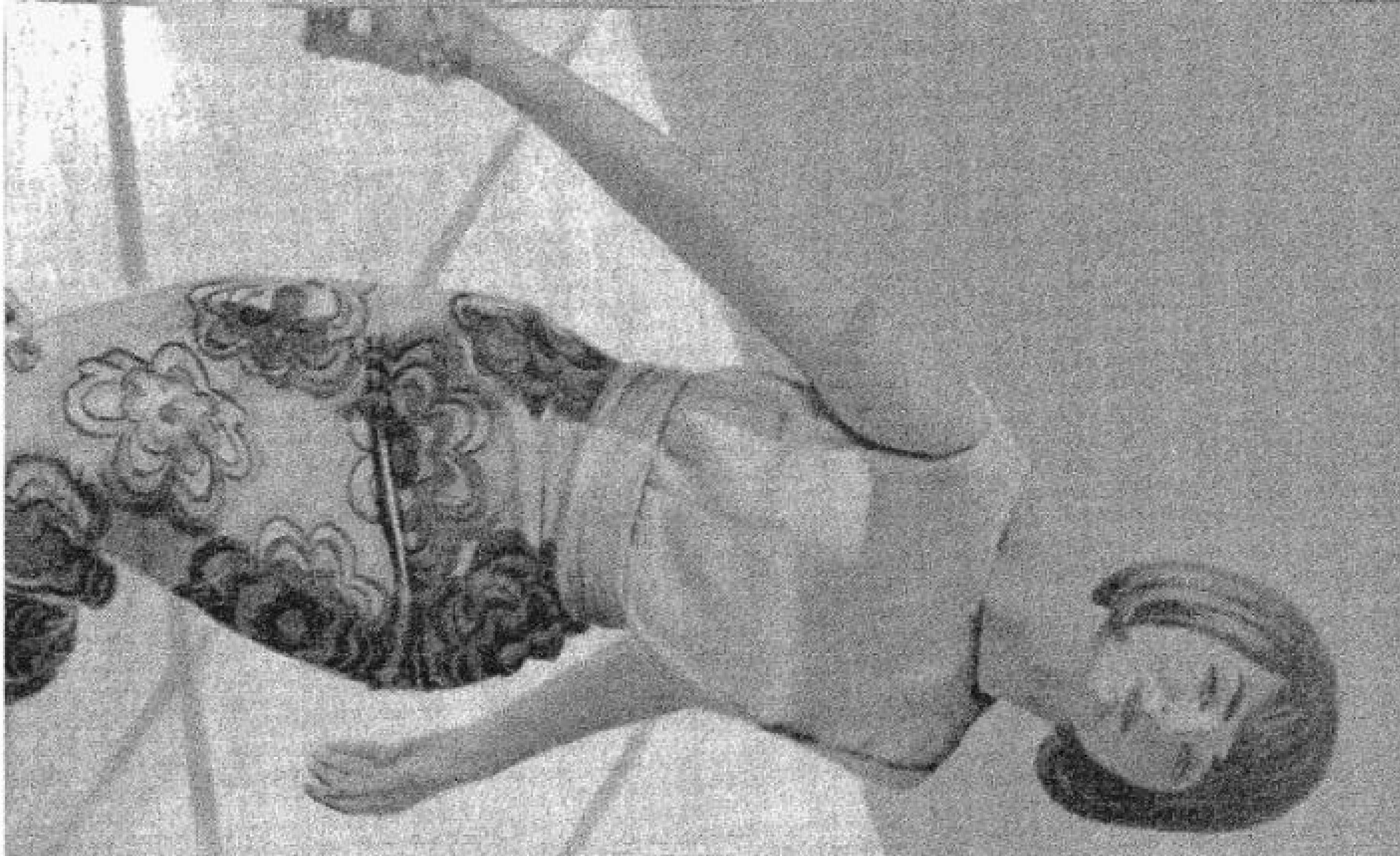




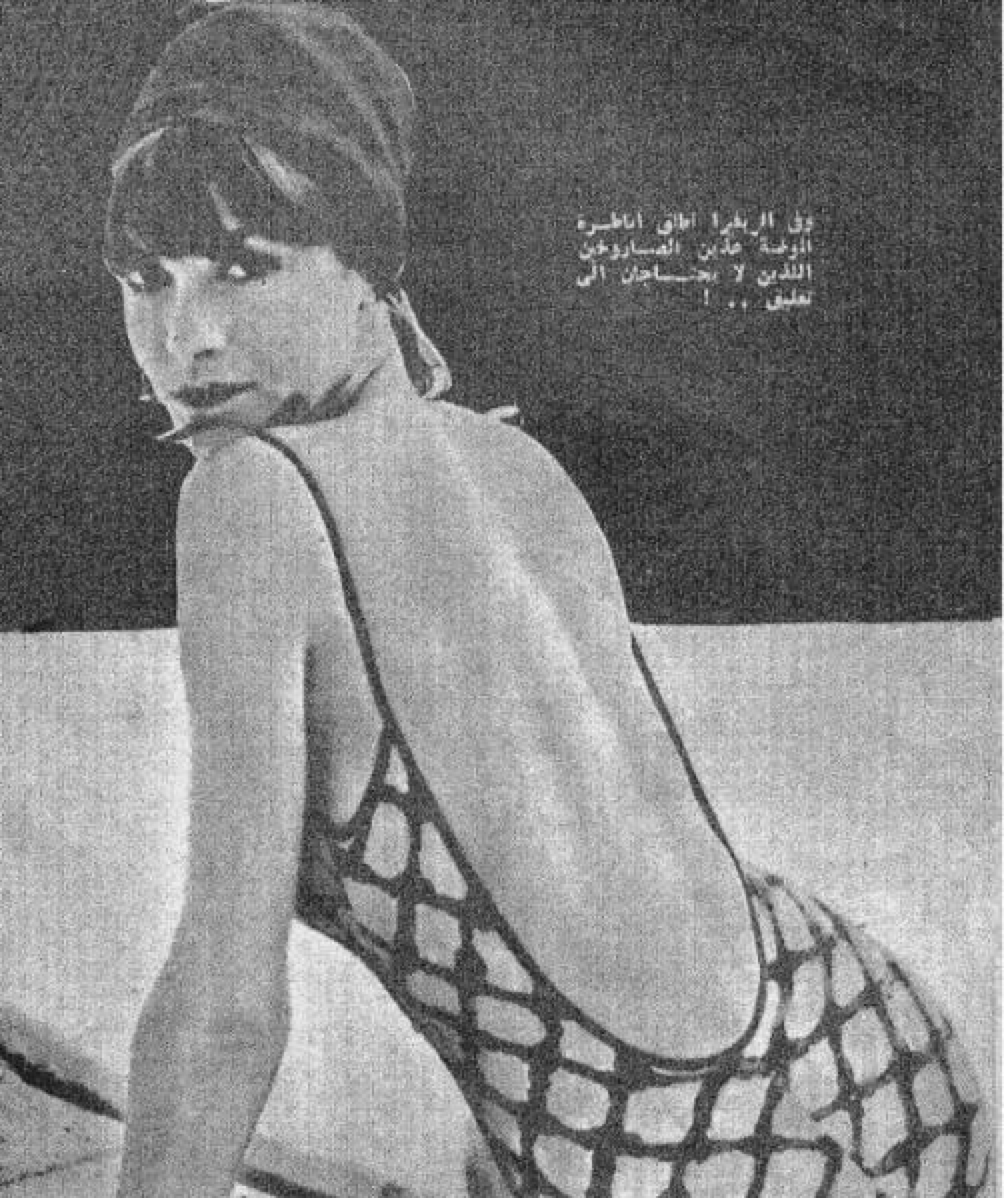
وهذه تشكيلة
أخرى للمايوهات
وملابس البحر من
شاطيء الليدو في
ايطاليا ..!





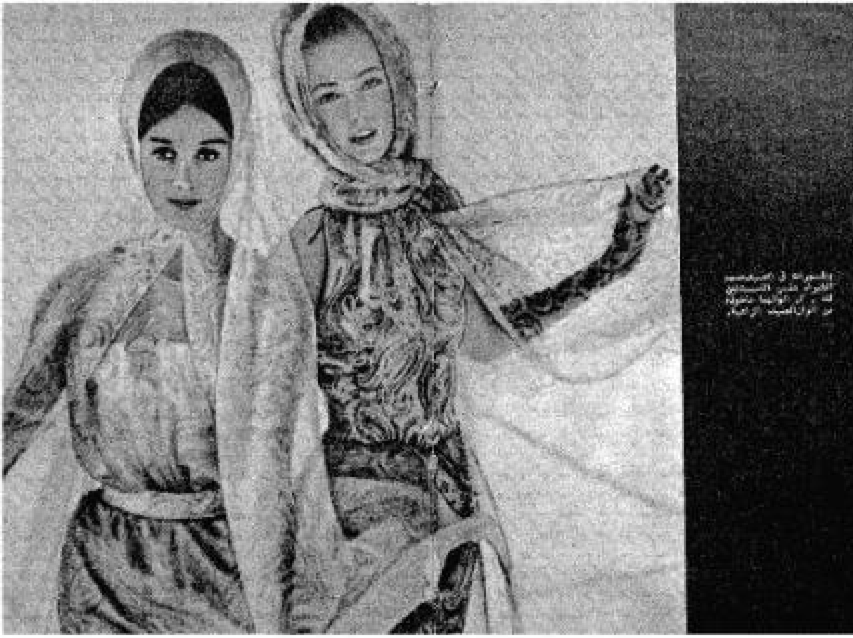


ومن الولايات المتحدة يقدم لك خبراء الموضة هذين الاسلوبين. يمكنك استعمال القماش السائل في صنعهما . لاحظ البساطة في التفصيل واللون وتسريحة الشعر



وفي الريفيرا اطلق اناظره
الوجه هذين الصاروخين
اللذين لا يحتاجان الى
تعليق .. !





علي الجندي :

قارئة الفنجان الحسناء !



نظرت في فنجان القهوة بعد فراغي من شربه فقالت : « هل تسمح لي أن أقرأ بختك ؟ » فقلت : « إني أعرف بختي مقدما » ! فقالت : « لابد من قراءته فإنه يحوي أسرارا خطيرة ! »

وفي هذه القصيدة تسجيل لما دار بيننا من حوار طريف !!

ليس بختي بالذي أجهله   إنّ بختي ليس بالبخت السعيدْ
أتُرى العلمَ الذي أعهده   فوقَه علمٌ لدى الحسن جديد
كيف يحتاج إلى « عَرّافةٍ »   أعرفُ الناس بأسرار الوجود
ذاك حظي لم يزل يصحبني   منذُ قالوا : زَيَّنَ المهدَ وليد
لا تَزيديني به علما ، فما   خَبَر الأشواقَ كالصبّ العميد
أتُرى الفنجانَ في أسطاره   يكشف الأحوال : من بيض وسود
كلُّ يومٍ كأخيه في الأسى   وزمانُ النَّحْس لا يأتي بعيد

***

فأجابت : شاعرٌ منطلق   بالخيالات إلى الأفق البعيد
شِعرُهُ المزري بأزهار الرّبا   وَحْيُ شيطان من الجن مريد
يجعل الحبَّة من أوهامه   قبةً شمّاء كالقصر المشيد
ويُحيل الماءَ جمرًا لاهبًا   وردةَ الزهرَ أشواكَ حديد
ويَرى الصبحَ ظلاما دامسا   وظباءَ الحسن أشباهَ القُرود

لك في الفنجان نَهْجٌ لا حبٌّ ... منه ترقَى للمعالي وتسود

وانتقالٌ فيه تعلو رتبةً ... يومىءُ الناسُ إليها بالسجود

ولك العمر طويلاً خيطُه ... محصَدَ الفَتْل على الدهر مديد

وقوافٍ مُذْهَبات شُرُدٌ ... تنفح الدنيا بأنغام الخلود

وجميعُ الناس إلا ساقطاً ... لك خِلٌّ ، وصديق ، ووَدِيد

ثم ماذا بعد ذا واختنقت ... كلماتٌ خلفها ترجيعُ عُود

وسرى في وجنتَيْها خَفَرٌ ... ألهبَ وقدتُه وردَ الخدود

وتنزَّى خوط بانٍ ناعم ... فتنزَّى منه رمانُ النهود

ورمت وجهى بطَرْف فاترٍ ... أو طفرِ الأهداب ، للصَّيد صيود

ثم راحت في شرود فاتنٍ ... ليتَ شعري ما الذي يَعْنِي الشرود.

قلت : يا حسناء بالحسن الذي ... ليس فيه لك مِثْلٌ أو نَدِيد

نَبِّئيني بالذي أضمرتِه ... فإليه هزَّني الشوق الشديد

فَتَفرَّى ثغرُها عن بسمة ... كشفتْ سِمْطَيْن من در نضيد

وأجابتْ : طيبةٌ سائغة ... تُلْهِم الشاعرَ معسولَ القصيدْ

تبتغي الحبَّ نقيا طاهرا ... ليس من وعد به ، أو من وعيد

ليس فيه من وصال نَجْتَنِي ... شهدَه الحُلْوَ ، وما فيه صدود

هو حبٌّ لست أدري وصفَه ... غيرَ قولي : إنه حبٌّ فريد

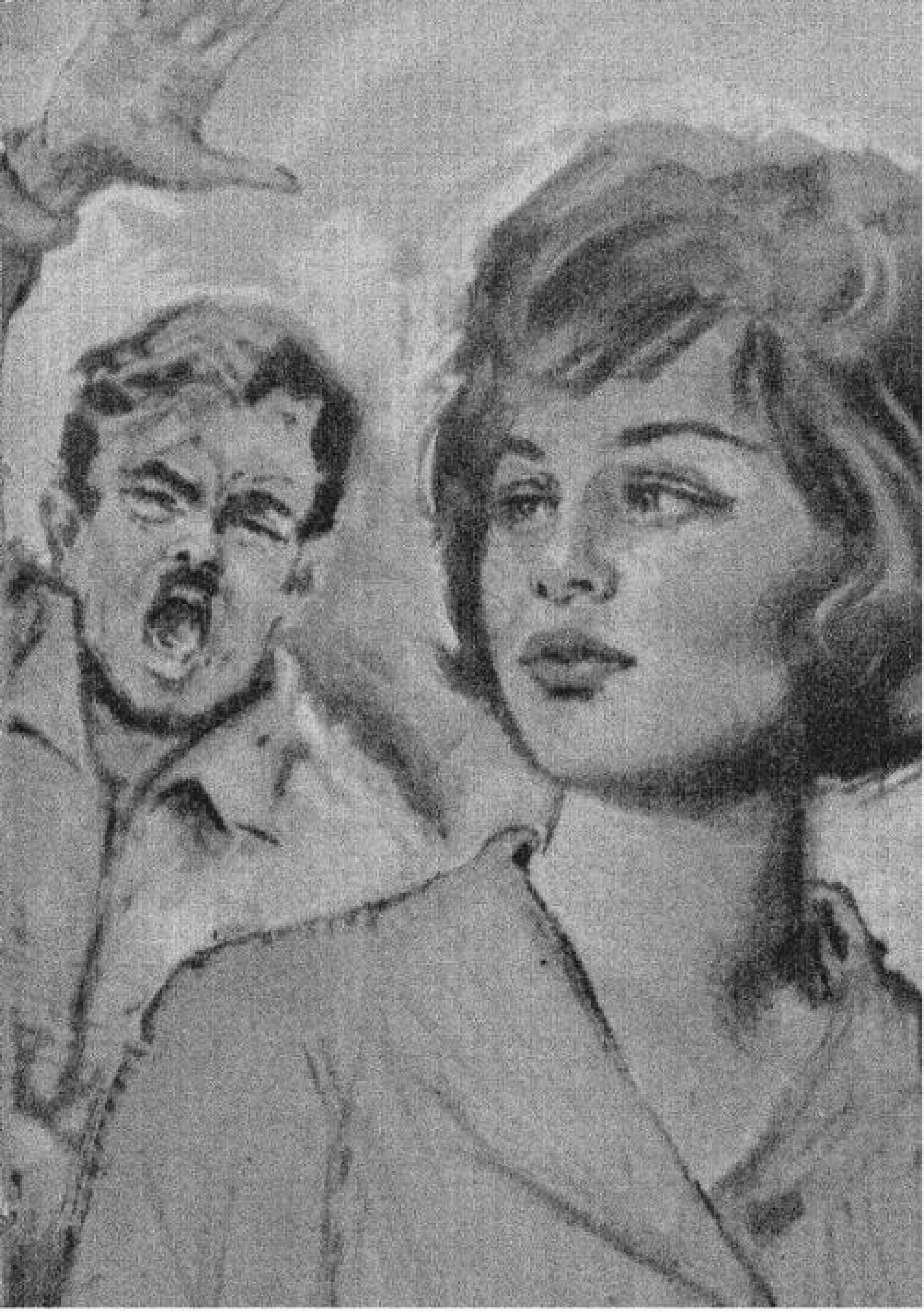
أنتَ « قيسِي » أو « جميلي » صبوةً ... وأنا « بثنة » أو « ليلى » الخرود(1)

فقال الحقّ وصارحني به ... هل تريد الحب ؟ قل : إني أريد

قلت : « ليلى » أنت تُصْفِيني الهوى ... وأنا « قيسك » والله شهيد !!

---

(1) الخرود : البِكر ، والحيية الطويلة السكوت





نعم عدت

لم أكن ادرى ما مكانى فى هذا البيت الذى تفتحت فيه عيناى على الحياة .. أى حياة .. لقد استقبلتنى فى هذا البيت حياة نكدة يصحبنى فيها صوت عنيف فيه قسوة ، وانيه غيظ ، وفيه حقد ، وليس فيه رحمة ولا اشفاق ، انها سيدة البيت توقظنى كل يوم بهذا الصياح .. الذى ان اهملته اصابتنى صفعة كفيلة بأن تردنى من نومى الى هذه الحياة النكدة التى اشقى بها . ثم مازال ادور فى دوامة العمل اليومى حتى تسلمنى هذه الدوامة الى فراش حقير الجأ اليه منذ أول الليل ..

قصة : ثروت أباظة

لم أكن أدرى ما مكانى فى هذا البيت .. أنا لست خادمة فيه ، فقد كنت اقول لرجل البيت يا ابى وهو ابى . ولكن اى قيمة لهذا النداء ، لعلى ان كنت خادمة ما استطعت ان ابرز هذا العناء الذى الاقيه .. ولكننى لم اكن .. ولكن ما هو فى البيت ، انه شىء يصيب طعامه فى الصباح والظهيرة ثم يختفى عنى الى الصباح التالى . فقد كانت القهوة هى بيته الثانى الذى يحظى منه بأوفر نصيب من العناية . حتى انى لا اذكر اليوم متى استطعت ان اجلس الى ابى ، لعله كان مريضا يوما وجلست اليه ، او لعل .. ماذا .. !

لم يكن هناك من سبب اخر يجعله يقيم فى البيت الا المرض ، وعرفت انه موظف بمصلحة حكومية . ولا ادرى لماذا أحسست ان ابى رجل طيب ولكنه من هؤلاء الذين لا تحس وجودهم اذا حضروا ولا غيابهم اذا غابوا . ولكننى انا دون الناس اجمعين كنت احس وجوده وغيابه وان كان هو لا يهتم بشىء من أمرى .. اكان ذلك عن طبيعة فيه تعودت الا تعنى بشىء ، ام كان ذلك وليد خوف من زوجته التى لا تحبنى ولا تحب ان ترى فيض رعاية من ابى ينسكب على .. لا ادرى ..

لم اكن ادرى الا ان ابى بعيد عنى بعد امى التى واراها التراب منذ سنوات والتى جاءت بعدها هذه السيدة التى لا أعرف منها الا هذه الاصوات الصاخبة وهذا الوجه العابس وهذا اللسان الحاد .. لا ارتاح منه الا حين انفرد بغرفتى التى جمعت بها كل ما وقعت عليه يدى من جرائد او مجلات او كتب ثم ما أزال بها حتى يغلبنى النوم غلبة لا اطيق لها دفعا فانام . كانت هذه كل الاوقات التى تنقلنى الى دنيا اخرى بعيدة كل البعد عن صخب السيدة ولسانها وقسوتها ، فانا نائمة بين اذرع حانية من الامال والاحلام وبين احضان رحيمة من العطف احس لها فى قلبى هناءة ، وتخضل بها ايامى الخشنة وتورق فيها شجرة حياتى اليابسة الجرداء ..

وكنت التقى بالحياة جميعها فى هذه الصفحات التى حويتها اقرؤها منذ صدر الليل حتى آخره . كنت التقى بالحياة التى حرمتها فى بيت ابى . ولم يعد لى من امل الا ان اغادر هذا البيت عن اى سبيل .. وداعبنى الامل فترة طويلة من الزمان فكنت التذ بهذه المداعبة وانعم بها ..

هكذا كانت حياتى .. مزيجا من الالام والاسى ومن الامال والقسوة ومن المرارة والنعيم . حتى كان يوم . لا انساه يا ابنتى ، وكيف لى ان انساه ؟! لقد وجدت نفسى محل اهتمام ولم اكن فى يوم مثار اهتمام ، ووجدت نفسى البس شيئا جديدا ، ثم وجدت نفسى



موضعا لابد كثيرة من الصديقات والقريبات تزين شعرى ووجهى ، ثم وجدتنى يا ابنتي اجلس الى شاب شديد الاناقة ، كثير الحركات ، فيه غرور ، وفيه تكلف ، وفيه زوج المستقبل ورفيق العمر . منقذى من زوجة ابي الى الحرية التى كنت اهفو اليها .. فاغضيت عن عيوبه عينا كانت تتطلع الى الخلاص من اى سبيل حتى لو كان هذا السبيل هو ذلك الشاب الذى كان يذكرنى بالكواء وقد زاد من كمية النشا فجعل الملابس غير قابلة للحركة .. كان النشا فى الافندى زائدا .. زائدا جدا .. ولكنى قبلته .. فى نفسى اما قبوله كزوج فامر كان قد تم الاتفاق عليه دون رجوع الى ... بسيطة .. فما اهون هذا التحكم بين ماكنت اعانيه ..

وانتقلت الى بيت زوجى .. اتراه كان يعلم ماعانيته فى بيت ابى من سوء عيش وامتهان .. اتراه كان يدرى كيف حياتى مع زوجة ابى .. اتراه كان يدرى . ام كانت شخصية ابى الهشة كافية عنده ليعرف أى لاشىء هو فى البيت وبالتالى أى عذاب كنت القاه انا

لاأعرف عن معلوماته ببيتنا شيئا ، ولا اعرف ان كان قد استنتج ام كان على علم ولكننى اعرف انه لم يكن الشخص الذى اردت ان يكون . ولكن على ايه حال جئت انت يا ابنتى .. جئت عقب الزواج مباشرة فكنت انت

حياتي .. جمعت فيك امال الصبا المبددة ، وهناء الطفولة الموءود ، وعبث الشباب الذي لم اتمتع به .. وجعلتك عوضي عن طفولة بلا ام ولا اب ، وعن شباب خابت آماله ، وعن زواج بهذا الزوج العربيد القاسي الذي لا يرحم نفسه ولا يرحم بيته ..

***

انقلب الفتى الذي جار عليه الكواء بالنشا الى شخص سكير .. لا ينتهي من شربها .. كانت الخمر له كالماء للنشا ، كان يميع حتى لا يستطيع ان يتماسك ، وكان لا يعي ما يقول ، وكان يضربني فاحتمل لاني كنت احملك ثم احتمل لانك كنت ما زلت طفلة .

واصبح الضرب له عادة .. سواء كان مخمورا او كان مفيقا ، واصبح الاحتمال لي عادة انا ايضا ، او هو عادة قديمة رجعت اليها بعد ترك قصير . واحتملت .. كيف لا احتمل .. والى اين اذهب ان غضبت .. الى بيت أبي .. الى زوجة التي كان خروجي من بيتها امل عمرها .. لا مناص لي من البقاء والاحتمال ..

كان أبوك يحبك ، ولكن حبه لك لم يكن شفيعا لي عنده ، بل ظل يقسو علي كما كان يقسو ، وظللت احتمل كما كنت احتمل .

***

واصبح صباح حمل الينا ان زوج أبي مريضة مرضا خطرا قد يكون قاضيا .. ولم اختبر مشاعري في ذلك الحين ، فليس الانتقام من طباعي ، وما عادت لي بها صلة ، فما يعنيني في شيء ان تموت او تحيا ، بل لعلني كنت ارجو ان تعيش لتقوم بشأن ابي الذي يحتاج اليها ..

ولكنها ماتت ، واقيمت ليالي المأتم .. ثلاث ليال .. اقمت فيها ببيت ابي وكنت انت معي ؛ وكان ابوك يأتي كل يوم بعض الحين ثم ينصرف . وفي اليوم الثالث كان مقررا ان ابيت في بيت ابي ايضا ثم اعود الى بيتنا في اليوم الرابع ، ولكني وجدت المعزيات قد انصرفن مبكرات ، ووجدت ابي نائما لا يحتاج الى شيء ؛ وكان جو البيت خانقا وكان القيظ شديدا ، فجمعت حقيبتنا وخرجت وانت معي الى بيتنا ..

ابنتي : انت لا تعرفين ماذا وجدنا هناك ، وكل ما تعرفينه ان اباك انهال علي ضربا لاني عدت على غير موعد ووجدته مع امراة غريبة في فراشي ، انت لا تعرفين معنى هذا الحادث اليوم فكل ما شهدته امراة عارية تقفز واب مخمور يضرب ، ثم عدنا أنا وانت الى الطريق ثانية الى حيث اقمنا ليلتين ولم نقم الليلة الثالثة .. عدنا الى هذا البيت لنقيم .. ليالي .. وليالي .. !

كان ابي نائما ولم اخبره بشيء .. ماذا اقول له .. اقول ان زوجي طلقني لاني انا وجدته مع امراة في فراشي . لن يصدق احد

هذا .. طلقني نعم طلقني ، فانت لا تدركين معنى هذه الكلمة الآن ابنتي . ولكنك ستدركين حين توقظك زوج ابيك في الصباح الباكر بلكزة من قبضتها او ركلة من قدمها ، وتلقي بك الى ارض البيت لتمسحيه ، والى الآنية لتنظفيه فان اخطأت زادتك لكزا وضربا .. وحينئذ ستدركين .
حين تضحكين فتجدين زوج ابيك تكشر عن غضب ان ضحكت ، حين تغضبين فتجدين زوج ابيك تضحك عن فرح ان غضبت ... حينئذ ستدركين .
حين تلتمسين ملجأ ولا ملجأ وتبحثين عن أب فتختلسه منك زوجه ببسمة ، وعن ام فلا تطالعك الا ذكريات قاتمة عن أم ضربت وطردت .. وطلقت .. تدركين يومئذ يا ابنتي ما الطلاق .

لو كان ابوك يكرهك . اذن لضمنت انه لن يطلبك ، وانك ستقيمين معي في كسرة من بيت ابي .. ولكنه يحبك وسيطلبك .. اي عذاب ينتظرك هناك يابنية .. اي عذاب .

***

اليوم يا ابنتي يوم الجمعة ، وقد انتصف النهار ، ولابد ان صديقة ابيك قد رحلت عنه ، ولابد انه وحده في البيت .. هيه يا ابنتي .. انى في طريقي اليه .. سارتمي على قدميه ليغفر لي انني وجدته مع امرأة على فراشي ... وسيتمتع هو بمنظري مرتمية على قدميه وسيرى نفسه الها قوى الاسر ترتمي على قدميه النساء مهما يكن الحق في غير جانبه .. وهو يا ابنتي من الغرور بحيث لن يفكر الا في نفسه ، لن يمر بذهنه لحظة انني عدت حتى تعيشي يا ابنتي .. نعم عدت ..

هذا هو الفرق !

كان لويس السادس عشر ميالا للبساطة في حركاته .. سقطت منه قطعة نقود ذهبية تحت المائدة ، فرفع بيده شمعدانا وطلب من احد الوصفاء البحث عنه تحت المائدة . وكان الامير كونديه حاضرا فوجد هذا التصرف غير لائق بملك فرنسا .. فاخرج من كيسه قبضة كاملة من النقود الذهبية . نثرها تحت المائدة وحرم على الوصفاء جمعها له .

فنظر اليه الملك طويلا ثم قال :

ــ ظروفك تسمح لك بهذا ايها الامير .. اما انا فاميل على نقود رعاياي .. انها ليست ملكي !

دكتور أحمد كمال زكى :

لماذا.. الأسطورة؟!



ما السبب فى غموض الشعر العربى المعاصر ؟ اى الاساطير الزم الى تعبيرنا الحديث ؟ ادب اللامعقول يجد مرتعا خصبا فى الاساطير ..!

— ١ —

منذ أراد أول انسان أن يعبر التعبير الفنى ، والاسطورة موضوع تعبيره . سل النقوش الاولى البعيدة ، واقرأ ما كتبه رجال الانثروبولوجيا .. فلقد ولد الشعر من السحر ونما مع الدين ، قبل ان يعيش عصر العقل ! واذا كان هناك من يتنبأ بذبول زهرة الفن هذه الايام لاننا فى عصر العقل ، فقد فاتهم أن الفن يستطيع ان يخطف « رعد »العلم ويتمثل « ترتيلات » الاقتصاديين ويتغنى « أمنيات » اليوطوبيا الجديدة

وان الادب فى الواقع لآخذ فى تحقيق هذا ، فلا عجب ان يقول بعض النقاد المحدثين « **ان الاديب الآن كما لو كان يبدأ من جديد ليعيش عصره ، فينبغى**

أن تكون بدايته هي الاسطورة » وسواء أكان الامر على ذلك النحو أم شاكله فقط فاننا ينبغي أن نقرر أن هــذا يتفق والاصرار الشــديد على ربط الفنون ـ والادب فن منها بطبيعة الحال ـ بالميثولوجيا والماضي البعيد ·
ولقد تجمل هنا محاولات « يونج » لربط الحلم بالاسطورة نقطة انطــلاق لهذا العمل ، إلا أن استمرارها حتى هذه الايام يؤكد العلاقة الحقيقيــة بين الاسطورة وبين العقل الباطن الجماعي في اطاره الادبي

وفي رأيي أن المدرسة الايماجية Imagism وعلى رأسها عزرا باوند كانت تقدم البرهان العملي على خصوبة الاسطورة في التعبير الادبي · لقد ظهرت الايماجية مع الرمزية ، وكانت تصدر عن خطط مرسومة تستهدف خلق ثورة في الشعر عن طريق النظم الحر ، بينما راحت الاعمال النثرية تستوحي الاغريق والسومريين والمصريين القدماء بعد أن اتخــذت طابع « البرجسونية » بحيث شكت في المنطق الارسطي المعروف ونادت بصدق الحدس والبصيرة ، ولعل جيمس جويس في قصته « أوليس » مثل واحد من الامثلة النثرية الكثيرة

على أننا يجب أن نقول بادىء ذي بدء ان الشعر الحديث كان مجــال الاسطورة الحقيقي ، وقد ازدهرت هذه الاسطورة لدى هؤلاء الذين أطلق عليهم « شعراء القطنة » من أمثال باوند واليوت وجيمس جويس . ونحن نلحظ على سبيل المثــال ان اليوت في قصيدته المشهورة « الارض الخــراب » ينكب على الماضي انكبابه على الرموز المبهمة والكتابات المعقدة . ولقت الميثولوجيا عنده كل المصدود ؛ وجادت عليه الخرافات جدوى كشفت من أنه لم يجعلها محـــورا لنشاطه الملائي بقدر ما جعلها ولبنة اجتماعية تشخص فيها الآفات الروحية التي اصابت عصره ، فكأنه أضاف اليها أبعادا جديدة

ويذكرنا اليوت بالشاعر العربي علي أحمد سعيد ـ وقد أطلق على نفسه « أدونيس » أحيانا و « مهيار » أحيانا اخرى ـ وهو يصطنع الموت والبعث ويبدو أن غيره من أمثال بدر شاكر السياب وخليل الحاوي ويوسف الخال قد فتنوا بالاسطورة نفسها فشغلوا بها حتى سمعوا بالتموزيين

والجميع يكادون يرون ان العالم قد وصل الى الطريق المسدود ، ولم يعد العلم يفي بحاجة الانسان الى أن يعيش العيش الرغيد · ومن ثم لا سبيل الى بعث حقيقي الا بعد موت ربما كان رحلة او تهويما او رؤى لا تلوح الا في الظلام !

شيء عجيب حقا ، الا أنه يغري بالتعلق بتموز ، ولهذا راح التموزيون العرب يلحون على الاسطورة البابلية ويستغلون ابعادها من أجل تصوير ضياع الانسان وموته على قاعدة دينامية ، أي ضياع من أجل أن يصــل الى الحقيقة وموت من أجل أن يبعث لحياة جديدة ، وهكذا

وشبيه بأسطورة تموز ما يحفظه الادب المصري عن أوزيريس وعودته من عالم الاموات الى الارض فتجدد الحياة على سطحها كل ربيع ؛ وقد استغلها أكثر من شاعر محدث في معرض الموت والنوم والشتاء والليل ازاء البعث واليقظة والصيف والنهار ؛ مؤمنا بأنها لا تعدو أن تكون من قبيل التجارب المتكررة تكرر انماط الحياة .

ولم يكن الادب العربى القديم خلوا من محاولات ادبائه تجسيد معانيهم باصطناع الاساطير وتضمينها حوادث تمتد أسبابها الى عصرهم . فجرير شاعر النقائض الكبير يقول :

اذا ما الليل هاج صدى حزينا
بكى جزعا عليه الى الممات

فيستحضر اعتقاد العرب الاولين بأن القتيل اذا لم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه ، هامة ، يقال لها الصدى فتصيح : اسقونى .. اسقونى ! ولا تسكت حتى يقع الثأر . وصدى المقتول فى البيت هو للزبير . وكان قتل غدرا فى قبيلة الفرزدق خصمه . فعيرها بذلك الشاعر رابطا بين فكرة ميتولوجية ومنطق عصره فى التبرير . ويبدو أنه كان مفتونا بالاسطورة نفسها الى حد بعيد ، وبخاصة فى تلب القبيلة ذاتها ، اذ يذكر صدى آخر لزاد بن الاقعس قتل ولم تأخذ هى — فى هذه المرة — بثأره . فقال :

وبات الصدى يدعو عقالا وضمضما

فان جمعنا بين عصر الشاعر وماضيه ظهرت الحقيقة وارتبطت الاسباب ومن ثم ينبغى أن نقدر تماما هذا الطراز الفنى من التصوير على أساس الرجوع الى الاصل مهما نتوغل مع هذا الاصل فى القدم. غير أننا نلاحظ أن جريرا وهو يرسم صورة الصدى كان يصدر عن ايمان بأنه يقرر حقيقة ولا يرصد أسطورة ، وتقريره الحقيقة فى هذا الاطار التصويرى تسليم ما بارتباط الفن بالميثولوجيا بالوحى بالحلم بكل رمز يكتنى به عن رغبة فى حل سبق أن ارتضته التجربة الانسانية ، والتجربة الانسانية معادة وليس تحت الشمس جديد !

وهناك نوع من الرمز يتحول حتى يصبح فى آخر الامر محاولات لخلق أساطير جديدة، أو بعبارة أخرى يصطنع الاديب فيه « تكنيك » الاسطورة ، فيكتب عبد الرحمن فهمى مثلا « يوميات أموديس » قصة ، ويكتب صلاح عبد الصبور « لحن » قصيدة ، ومن قبلهما كتب شيلى « أوزيماندياس » Ozymandias مستقطبا فيها خواطره العاطفى أو احساساته بالوحشة التى تشبه وحشة الصحراء ، كما كتب ييتس « ليدا والبجعة » عن غاية سياسية فى الاصل ، والبجعة كما نعرف ترمز الى زفس فى الاسطورة القديمة .

تلك على أية حال امثلة مفردة ولكنها دالة على قيمة الرمز وارتباطه بالاسطورة ، ونستطيع أن نضيف أن المحدثين من أدباء العصر فاقوا الايماجيين والرمزيين فى الاقبال على الميثولوجيا . حتى لقد غدت عباراتهم كأنها امتدادات لتاريخ راسخ القدم ، فضلا عن وجود عبارات أخرى يومض الرمز فيها وميضا محيرا ، ولاول مرة يكون النور مثار احساس بالابهام !

— ٢ —

فهل آن الوقت لنقول آن من اسباب غموض الادب المعاصر — ولا سيما الشعر المرسل منه — الاعتماد على الاسطورة وخلقها ؟

لا تعنينا الاجابة عن هذا السؤال ، لان أمامنا سؤالا أخطر منه هو : هل ثمة قاعدة للاستعانة بالاساطير ؟. ويلحق به سؤال آخـــر هو : أى الاساطير ألزم الى تعبيرنا الادبى الحديث ؟

والحقيقة ان امكانيات اية اسطورة لايمكن ان تستغل الا اذا اتيح لها الاديب الذى يفهم مغزاها لتطبيق « حالته » بها ، ولا يشترط ان يرتبط الادباء بأساطير قومهم ، فليست الاقنعة بالفيصل فى تقييم التعبير ، فضلا عن ان الاساطير فى بدئها كانت للجـــدود ، وهؤلاء ورثوها احفادهم جيلا بعد جيل

ومع ذلك فقد نلمح فى أساطير الشعوب جانبا من مكونات شخصيتهم ، غير ان هذا لا يعفينا قط من تأكيد علائق قديمة فى هذه الاساطير . كهذه العلاقة التى تظهر فى أسطورة تموز عند البابليين وأسطورتى ديونيسوس عند الاغريق وأوزيريس عند الفراعنة ، وكهذه العلاقة التى تظهر بين حوريس المصرى المخلص وهرقل الاغريقى البطل وخريسسبا الايرانى المنقذ

والامثلة أكثر من هذا ، غير أننا نكتفى بما ذكرنا لاننا سنرى ــ عند التطبيق ــ أن الادباء ينهلون من الاساطير دون نظر الى اقليم . فعل أحمد سعيد مثلا يستغل تراث الاغريق استغلاله لتراث العرب على حد سواء ، ويوسف الخال يتأثر بـ عزرا باوند واليوت اللذين نهلا من ميثولوجيا الشرق ، وجيمس جويس يكتب « اوليس » التى اشرنا اليها متكئا على الاوديسا ، والسياب وصلاح عبد الصبور يستوحيان أوديب ، والثانى يسام سأم اليوت ، وينتظر زوال الجدب الذى تمثله حضارة العصر .

ونصل على هذا النحو الى اجابة السؤال الاول ، وهو عن قاعدة الاستعانة بالاساطير . فليس يلزم والحال على ما بينا أن نقول ان الاستعانة بأسطورة هندية غير الاســـتعانة بأسطورة مصرية غير الاستعانة بأســـطورة فينيقية وهكذا . وانما يلزم الفهم والتمثيل ، فهم الموقف المعاصر والاذابة فى شبيهه الاسطورى ليكون الكل الذى يعطى الاحساس بالصدق التلقائى

وفى ضوء هذا تصبح تجربة « سيزيف » أو « بروميثيوس » أو « اوديب » مكونا عصريا أو مجالا للكشف عن أغوار انسان العصر ، وتكفى الاشارة لاحدها عند شاعر عربى لكى نسبر غور التجربة ، الا اذا ضعفت القرينة الى حد انها تعجز عن القاء الاضواء الكافية . يقول ادونيس وهو يبرر بصورة أورفيوس :

عاشق التحرج فى عتمات الجحيم
حجرا غير أننى أضىء
فى سرير الاله القديم .
كلماتى رياح تهز الحياة
وغنائى شرار

ونحس على الفور بتصور الشاعر ، فلم تدل صورته على أورفيوس الذى كان يحرك بقيثاره وشعره الجماد ويبنى بهما « مدنا » ، ويهز أعمـــاق

« برسيفون » زوجة « بلوتو » الارضى . فضلا عن أنها لم يستقم لها لمدلول المباشر بحيث تكشف عن واقع نفسى معين . وليس أدل على فشل الشاعر من صيحته فى آخر القصيدة :

انى نخة لا اله يجيء
انى ساحر الغبار

ولكن قد يكون الاختلاف فى فهم « النص » دليلا على وجود القارىء القاصر، فليس لازما ان يكون القصور من جانب الفنان . وليس فهم القارىء نفسه — من ناحية أخرى — مقياسا لاى توفيق . وفى هذه الحال او لكى يكون الخلف فى أضيق الحدود ، يجب على الاديب ان يكون صدوره عن المناسب دائما ، والا فليكن استخدامه للاسطورة بلا قيد ما كان قادرا على الايهام والتجسيد ، فلا يحتاج الى الناقد الذى يقول مثلا : لقد ضاع البطل هنا كما ضاع اوليس أو ان البطلة تبحث عن « الحق » كما بحثت عنه ايزيس من قبل !

ان التعبير بالاسطورة الزم اليه بساطة الاولين ، ويوم يصبح شهوة لتأكيد ثقافة او رغبة فى تعمية ، فانه يفقد هدفه الاصيل وهو تصوير الوعى الحضارى بعفوية افتقدها وارتبط بها القدماء

— ٣ —

وفى الانماط النثرية يميل ادباؤنا الى استقطاب عناصر الاسطورة فى عرضهم قضايا انسان العصر ، بل يحاول بعضهم — ولا سيما الشباب منهم — أن يغلفوا افكارهم فى صور ورموز تجعل انتاجهم أكثر غرابة من انتاج سابقيهم . ولسنا نزعم فى تبرير هذا أنهم يحاولون الارتداد الى عصر الخرافة باعتباره يعطى الحلول النهائية لقضاياهم ، وانما نزعم أنهم بدأوا يؤكدون معرفتهم بالحياة عن طريق معرفتهم أنفسهم . ومن أسباب معرفة النفس ، التعامل بالتفسير الاسطورى باعتباره أقرب تفسير ، لانه يرتبط بالاعماق أو باللاوعى الجماعى اذا أخذنا بما يقوله يونج

ولقد كان اتجاه الادب بصفة عامة — فى الثلث الثانى من هذا القرن — نحو استمداد مادته من دراسة النفس وتعمق أغوارها ، عاملا مشجعا للاستقطاب الاسطورى ، ولا سيما عندما أخذ الكتاب يغيرون على اللامعقول مع انه أحد مجالات العلوم النفسية . ومعنى هذا أن أدب اللامعقول ليس فى الحقيقة الابعثا جديدا للاساطير ، ما دامت العناية قد اتجهت الى الغوص فى متاهات اللاوعى وفوضوية الاحلام

وربما كان توفيق الحكيم فى مقدمة رمزيى المسرح الذين استفتوا اللاوعى وخاضوا تجارب اللامعقول . ونستطيع ان نقول ان استخدامه شهرزاد بأبعادها الفارسية والبغدادية والقاهرية لايختلف عن استخدامه أثرا من آثار الفولكلور فى « ياطالع الشجرة » . وان يكن ثمة من يؤكد أنه انتقل بمسرحيته الاخيرة الى الوجود الحيوى بعد أن قيد نفسه فى « شهرزاد » بالرمز العقلى

وقد أعلن توفيق الحكيم عن موقفه الجديد في مقدمة مسرحيته حين قال **« وموقف الانسان في الكون موقف عجيب ، انه يريد دائما أن يتكلم وان يسأل وان يتلقى جوابا »** ، وكان هذا نفسه هو موقفه في شـــهر زاد . فشهريار يسأل ، ووزيره قمر يسأل . والعبد المشيق يسأل . بينما تراوغ شهرزاد كما تراوغ الحياة أو الطبيعة كما يقول المؤلف

ويبدو أن توفيق الحكيم الذى شغل بجوهر الحياة فى « ياطالع الشجرة » كان يحاول أن يتعرف على الوانها فى « شهر زاد » وهو من أجل ذلك يقدم شهريار فى لونها الفكرى . ويقدم وزيره فى لونها العاطفى . ويقدم العبد فى لونها الشبقى

شهريار يصرح لزوجته قائلا « ما أنت الا عقل عظيم » والوزير يقول لها وقد حاولت أن تغويه « ما أنت الا قلب كبير » والعبد يقول بعد أن أغوته « ما أنت الا جسد جميل »

وشهرزاد فى تلك الابعاد نموذج يعكس الاستعانة بالاسطورة عن احدى المشكلات الاساسية التى تصدى لمعالجتها توفيق الحكيم، وصور بها أعماقه فى حدود ما منحته حضارة العصر . ولقد غدت المسرحية بعد طبعها أكثر أعمال المعاصرين عرضة للجدل ، وان تكن لم تقطع برأى، الا أن يكون هدف المؤلف أن يسأل بلا توقع لجواب . غير أننا نلاحظ أنها تكشف عن أزمة الانسان العربى ــ أو المصرى بخاصة ــ الذى اوصلته تربيته المحافظة مع نزعته الى التحرر الى ما يعتبر قلقا أو تطلعا نفسيا الى ما وراء ما يقـــال

هل المرأة هى ما ترسمه يوطوبيا آبائه ؟

توفيق الحكيم لا يجيب ، ولكنه يحس انها ليست هى التى يراها فى قناعها الحضارى . هى مريضة مرضا ما وان يكن لا يشخص الداء ، وهى مسوقة بغريزة عمياء ربما كانت الحرية التى تمنح لها سبب عماها . ولكن اضطراب القيم هو نقطة البدء دائما !

وهو بعد ذلك تفتنه الرموز ، ولا سيما فيما يتصل باساليب المعرفة . وقد وجد فى الفولكلور وفى السحر والكهانة ما ربطه بالانسان الاول يوم كان يهرع الى الغيبيات يستفتيها . والنماذج التى لجـــا اليـــها فى « شهر زاد » كانت من المفاهيم التى لها علاقة بأسرار الشرق . وهو يفترض ان قارئه عارف بها ، ومن ثم مر عليها فى عجلة . وكان تعبيره عنها فى صور محسوسة لا تحتاج الى تعليقات ، ولكنها لا ترتبط ارتباطا منطقيا . من هذه تقع الادعى فى دن سمسم اربعين يوما ، لا يطعم خلالها سوى الجوز والتين !

ومن المحقق أن المسرحية بمثل هذا كان يجب أن تغرى بمسائل أخرى . مرأينا الدكتور طه حسين يكتب « أحلام شهر زاد » وقد عكس القسم

الاكبر منها على أوضاع العصر السياسية . واستمد رمزه الاساسي من مكوناته الحضارية دون تمسك كبير بحرفية الحكاية على ما يرويها ابن النديم في فهرسته أو ما يرويها صاحب السيرة الشعبية عندنا

وقد رسم فيها شخصيات تشعر بعجزها وقلقها . وهي تسعى للتمسك بالحياة بكل وسيلة ، لكنها غالبا ما تفشل . لانها لا تلجأ دائما الى العقل . وعندما قدرت فاتنة ـ وهي تكاد تكون صورة من شهر زاد ـ على هذا العقل انقذت المملكة من فناء مؤكد

ويجد الدكتور طه حسين في شخصية فاتنة وتدبيرها نقطة لانطلاقه الى تحديد مصير الانسان المعاصر ، بغض النظر عن قوى الظلم وتدبير الاعداء ، وهو متفائل وحاسم بعكس توفيق الحكيم . فقد ردت الى الشعب حقوقه المغصوبة ، وبرىء شهريار ، وساد السلام

واذا كانت شهرزاد طه حسين رصدت في أربعينات القرن ففي الخمسينات كتب عبد الرحمن جبير « شهرزاد ملكة » رواية أجاب فيها عن بعض مايحيط بها هي وبخرافات « كليلة ودمنة » من تساؤلات . ويجب الا نتصور أن الكاتب احتاج الى أن يحدد « مغزى » معينا ، فلقد بدا أنه لا يريد اكثر من مران عقلي برغم . انه يصرح في مقدمته « بانها قصة الصراع العنيف الذى يدور في كل عصر حول طرائق الحكم »

ومن المحقق ان المطالبة باشتراك الادب في معركة الحكم ليس امرا جديدا ، ولكن الجديد عند جبير هو ربطه بين أساطير اكثر من بلد في دعوته . فكليلة ودمنة ذات الاصل الهندى تختلط بشهرزاد ذات الاصل الايراني ، ويخطط العقل العربى تخطيطات جديدة تضفي على السياسة مفهوما عربيا للعدل والمساواة

وكان شعور المؤلف في روايته تجاه الماضي حادا ، واتخذت حدته مظهر ابراز أغلب الشخصيات المشهورة عند الفرس والهنود ، فمن شهرزاد الى بيدبا ومن شهريار الى دبشليم ، الى صور أخرى ورموز لم تكن ميتة بين يديه ، بل تحركت ترسم وتدبر ، وتضع افاقا لميثولوجيا جديدة اذا صح هذا التعبير ، وكانت في اخر الامر تصويرا لمبدأ سياسي محافظ يدعو الى الديموقراطية على أساس أن القوى الهامة في أى مجتمع توجد عند الاذكياء حتى اذا كانوا من صنف شهرزاد

ـ ٤ ـ

وليس يعنينا في النثر أكثر من هذا ، بين من كتب عن شهرزاد ومن كتب عن غيرها ، فان انتقلنا الى الشعر ، فكأنما ننتقل الى الميدان الحقيقي للاساطير ، أو كأنما نسمع القصيد يقول : هذه بضاعتنا ردت الينا !

ونحن نقرأ أفكار الشعراء المعاصرين فنرى مادة هذه الافكار في رموز تجعل شعرهم مسيرا أكثر من أى شعر سابق . لقد كان بيشي يتحسر على اخفاقه في التوفيق بين رموزه وصلتها بالاحلام ، وكان كثيرا ما يلجأ الى رؤى النساك ويتحول الى الضمائل التجريبية السوداء ـ كما يقول ريتشاردز ـ وما اليوم فيقوم الشعراء الشباب بمحاولات رائعة لان يكونوا مثله مع رفض التجربة كله وبتسليم بكل الاساطير الشعبية دون ايمان ولا ايثار

صلاح عبد الصبور مثلا يرحل كما يرحل السندباد ويحكي حكايات القرية كما حكى حكايات المغول وقصص التوراة ، وطالما وجد ملاذه في رموز الصوفية والدراويش . ثم اهتدى في الفترة الاخيرة من حياته الى نوع من الشعر الغرامي ارتفع بايماءاته ورموزه الى أعلى من مستوى شعراء الغزل العاديين . وأخيرا وبعد معركة متكافئة بينه وبين الواقع ، اصبح جحوده للمدنية الحديثة يشبه جحود اليوت بعد أن كان مجرد محاولات للتقرب منه

وبدر شاكر السياب يرفض ــ فيما يبدو ــ الظواهر المعاصرة لانها أعراض للانحلال والعدم ، وهو يقلب صفحات حياته ــ وكان المفروض أن تكون مشرقة بعد السيادة العلمية التي تسم العصر ــ فلا يرى الا السواد ولا يسمع من رنين الكلمات سوى نعيق الغربان وارتطامات الفئوس فوق اللحود وأنين الجوعى . وربما كانت حكايات « يأجوج ومأجوج » و « قابيل وهابيل » و « فاوست » و « أوديب » و « الخضر » مما يؤكد احساسه بالعدمية ، غير انه لدهشتنا يستعين برموز تموزية للتعبير عن فكرة النهوض الجديد او البعث المنتظر

فهو شاعر موت وشاعر حياة . وان يكن تصويره للحياة قائما على ضرورة تقديم النذور للاله « بعل » ليعود الخصب ، وما اصعب المهمة ، ومن ثم فليكن العجز

ويداى .. لا مخلب للصراع
فأسعى بها في دروب المدينه
ولا قبضة لابتعاث الحياة من الطين ..
لكنها محض طينة !

ويحضرنا هنا غير صلاح والسياب شعراء آخرون طغت عليهم أساطير الماضي اهمهم في رأيي خليل الحاوي ، وأكبرهم سعيد عقل ، وأخصبهم أدونيس او علي احمد سعيد . وسكوتنا عن ذكر غيرهم لا يعني اهمالنا الشبان الواعدين من أمثال علي كنعان ومصطفى خضر . والاخيران يستغلان الصورة الاسطورية كمضمون يبعد عن اعوجاج المذهبين ، ولا يخضعون في الوقت نفسه للاساليب الرومانسية في التعبير

وأنا أختم بأدونيس لانه بديوانه « أغاني مهيار الدمشقي » الذي طبع في بيروت سنة ١٩٦١ حاول أن يبحث عن ذاته الحضارية فأخفق ، مع أن أسعد رزوق يقرر انه كان في خمسينات هذا القرن وبرغم الحاحه على الجدب والفقر واليأس واللا شيء يؤمن بعودة « تموز المنقذ » والغد الاحلى . ويبدو أن الشاعر وجد نفسه فجأة في ظروف سياسية لم يقبلها . فترك دمشق ــ في سنوات الوحدة ــ ولجأ الى بيروت ليضيع بين مغاور الكبريت وسحائب البخور وقد أصبح يمشي في الهاوية وله قامة الريح !

أصبح الشاعر الذي كان يتغنى بتموز كأسطورة لعودة الخصب الى

الارض اليباب ، كافرا بكل أمل ، وحل الفراغ عنده فى كل شىء بل تخلى عن تسميته بأدونيس واختار « مهيار » ليكون حاكما يحيا فى ملكوت الريح ويخونه اصحابه ، واذا هو فى مدينة الانصار غريب حتى ليحترق

لاقيه بامدينة الانصار
بالشوك او لاقيه بالحجار
وعلقى يديه
ترسا يمر القبر
من احتها وأرجى صفحايه
بالوشم او بالجمر
وتيحترق مهيار !

وكان قد رحل كما رحل « يوليس » وبحث كما بحث « شداد عاد » واراد ان يكون كما كان « سيزيف » فى الاسطورة الاغريقية ، ولكنه انتهى الى الضياع حتى ليقول فى قصيدته « أوديس »

من أنت من اى اللدرى اتيت
بالغة عذراء لا يعرفها سواك
ما اسمك .. اى راية حملت او رميت
تسال : الكبنوس ؟
تريد ان تكشف وجه الميت
تسال من اى اللدرى اتيت
تسال ما اسمى .. اسمى انا اوديس
اجيء من ارض بلا حدود
محمولة فوق ظهر الناس
ضعت هنا وضعت مع قصائد هناك
وها انا فى الرعب واليأس
اجهل ان ابقى وان أعود !

اننا نرى على أحمد سعيد فى هذا الديوان شاعرا مجيدا بحق ، ولكننا نراه أيضا يتخذ من الغيبوبة المفككة وسيلة من وسائل التدمير • واذا كانت رؤاه ترفض كل علاقة بالوضع الذى جعله ينكر تموز فقد كان ينبغى الا يقلب العلاقات فيرمى غيره بالصبا لانه فى موقفه يبدو لهؤلاء الغير صابئا

●

الدليل

قال المريض الثرى للطبيب :
ـ مازلت بعد هذا العلاج الطويل اشعر بانحطاط شديد فى قوتى العامة .. اريد دواء مقويا فعالا لانى اخشى ان اشعر ان جهودك معى كانت بلا فائدة ..
فقال الطبيب باسما :
ـ اطمئن يا سيدى .. فستشعر ان جهودى معك لم تكن عديمة الفائدة بمجرد الاطلاع على الفاتورة التى سأرسلها اليك !..

دكتور نظمي لوقا

مع العباقرة

رجل ديانته التسامح

اقترن اسمه على ألسنة السواد من الناس بالانكار المطلق والالحاد ، ولكنه في واقع الامر اكتسب هذه السمعة المضللة من اعوامه الثمانين التي قضى ستين منها في حرب لا تفتر ضد كل قوى التعصب المقيت والتزمت والجمود الذي يكبل الحياة ويحول دون انطلاقتها الحرة الراشدة ويزيف العدالة والخير والحق ..

وكان ابواه قد عمداه في ٢٣ من نوفمبر سنة ١٨٩١ باسم «فرانسوا» وهما مقيمان على اليأس من بقائه على قيد الحياة أشهرا معدودات ، فضلا عن بلوغ سن اليفاعة والرجولة لشدة هزاله وضعف بنيته .. بيد أن هذا الطفل العليل برهن جسده على حيوية ذهنيه خارقة ، حتى انه كان — وهو في الثالثة من عمره — يتلو عن ظهر قلب قصيدة من اصعب القصائد الفلسفية ~~ولعل حفظه~~ لها هو الذي وجه حياته ومستقبله في عالم الفكر توجيها حاسما

وحسبك ان تعلم ان هذه القصيدة تندد بالتعصب ، ومنها :

« الناس جميعا كل منهم يفكر بسلطان الهوى

« فالبعض منهم يقول هذا أبيض

« والبعض الآخر يقول هذا أسود

« فهم جميعا لا يتفقون على رأى

« والمتعصبون المتزمتون من الناس
« هم احرى الجميع ان يتقبلوا في يسر
« الخرافة والضلال والاباطيل ! »

واعجب ما في الامر أن الذى لقنه هذه القصيدة ووجهه هذه الوجهة هو الاب « شاتونانى » القس المستنير الذى تولى تثقيفه ، وكان من اشد الناس كراهة لضيق الافق والتزمت في الرأى والتنطع في العصبية

وتتم المفارقة في حياة « فولتير » الحافلة بالمفارقات حين نعلم انه التحق في العاشرة من عمره بمدارس الجزويت أو اليسوعيين ، وهم معلمون بارعون يحسنون التثقيف في الآداب القديمة ، ولهم عناية شديدة بتعلم البيان والبلاغة والجدل والمنطق ، فكان لهؤلاء القسس فضل شحذ وصقل الاسلحة الطبيعية والملكات الفطرية الفذة لدى هذا الطفل الموهوب المتوقد العقل المرهف الاعصاب . وبدأ يجرب سلاح سخريته الماضي في قصائد يؤلفها في التندر باساتذته الجزويت في اسلوب تغلب عليه المعابثة والمجون ، بيد أن حب النبوغ تغلب لدى هؤلاء الاساتذة القسس على ضيقهم بمشاغباته فكانوا يتولون اذاعة شعره الهجائى فيهم مزهوين باقتدار تلميذهم ابن الثانية عشرة على نظم هذا القريض السهل السائغ الخفيف الروح الذى تتداوله الالسن في يسر واستمتاع

وتخرج فولتير في مدارس اليسوعيين وهو دون العشرين ، فأراده ابوه مسجل العقود الثرى على دراسة القانون فتصنع الطاعة وانصرف الى دراسة الادب وممارسته وما أن بلغ العشرين حتى كان شعره اللاذع الظريف وبديهته الحاضرة في الاجوبة المسكتة والهجو المقزع قد فتح له أبواب مجالس الاشراف والوجهاء يتفكهون بحديثه ويسمعون منه التعريض المضحك البارع بكل من لم يحضر المجلس من الاصدقاء أو الخصوم . وكان يعامل اولئك الدوقات وغيرهم من النبلاء معاملة الانداد . وينال منهم بلسانه بكل تبسط وبلا وجل ، فجر ذلك عليه علقة ساخنة من خدام اولئك الاشراف الكبار ، ثم نسبت اليه اشعار توزع سرا في هجو نظام الحكم وكبار رجال العهد بالاسلوب الساخر المعروف عنه . فزج به في سجن الباستيل حيث قضى اكثر من عام ..

وكانت هذه « العلقة » ثم هذا الاعتقال الشرارة التى قدحت في نفس الشاب فولتير الاتجاه الجاد الى محاربة الاستبداد والظلم الاجتماعى والفردى والدفاع عن قدسية حرية الرأى خدمة للصالح العام لا للمصالح الخاصة ، فانتهى بذلك عهد السخرية اللاهية التى كانت تصدر عنه ولا غاية لها الا اظهار البراعة وحب الفكاهة والادلال بالقدرة على التطاول على كل شيء

وعلى كل مكانة مهما علت

وبعد اكثر من عام فى السجن افرج عنه الوصى على العرش استجابة لوساطة محبى أدبه ، واستقبله فى القصر ، فقال له فولتير فى تهكم :

ـ اشكر لحكومة جلالة الملك اهتمامها بتحمل نفقات طعامى هذه المدة الطويلة . ولا مانع لدى من استمرارها فى ذلك ، ولكن بشرط الا تشمل باهتمامها موضوع سكنى واقامتى !

واستمر فولتير يوزع سخريته على الجميع ، ولم يسلم من ذلك الوصى نفسه ، وهو الذى افرج عنه ، ولكن الحكومة كانت تكتفى بنفيه فى قصور بعض اصدقائه النبلاء محبى الادب فى انحاء الريف مددا متفاوتة يعود بعدها الى باريس ليمارس سخريته اللاذعة بلا تورع وكان يقضى هذه الفترة اساسا فى تاليف مسرحيات شعرية لم تنجح عند تمثيلها . وظلت سمعته قائمة على شعره الساخر ولسانه اللاذع فى المناقشة

وذات مرة تعالى عليه أحد النبلاء فى المناقشة قائلا :

ـ من أنت حتى ترفع صوتك اذ تناقشنى ؟

فأجابه فولتير بخبث :

ـ قد لا اكون من اصحاب الاسماء الكبيرة ، ولكنى على كل حال لست وصمة للاسم الذى احمله أيها السيد !

واعقبت ذلك علقة حامية جدا من خدم ذلك السيد . وكبر الامر على الاديب النابغة فقرر أن يتعلم استخدام السيف والاسلحة النارية ، ثم طلب ذلك النبيل للمبارزة فسخر منه وابى عليه هذا الشرف الذى لا يناله الا الاكفاء ، فأقام فولتير الدنيا واقعدها حتى اضطروا لاحتجازه بضعة ايام فى الباستيل ثم امروه بمغادرة فرنسا كلهـا ، فكان ذلك ايذانا بانضمامه صراحة الى معسكر المعارضين للحكم القائم بمبادئه ونظمه ، والدليل على ذلك اختياره انجلترا كعبة الحرية السياسية يومئذ مقرا له فى المنفى ، قائلا :

ـ هذا بلد يكرم الفنون ويثيب على التفوق فيها . ولئن كانت فيه طبقات متفاوتة متميزة الا أن الجميع فيه سواسية امام القانون فى الكرامة البشرية ، والامتياز العقلى هو الفارق الوحيد الحاسم بين الناس . فهنا يستطيع الانسان أن يفكر وهو مكفول الحرية والكرامة وفى مأمن من جميع ضروب الخوف المشين

وفى انجلترا التقى فولتير بأمير الساخرين الانجليز « سويفت » . وعندما أصدر سويفت كتابه الخالد « رحلات جليفر » شرع فولتير فى ترجمته الى الفرنسية . وهناك أيضا عرف فولتير العلامة «نيوتن» وشهد مسرحيات شيكسبير

وبعد فترة طويلة من النفى تسلل

فولتير عائدا الى فرنسا واقام خارج باريس وكتب الى صديق له من الوزراء يوسطه فى السماح له بأن « يجر اغلاله فى شوارع باريس » . وهى اشارة لاذعة الى انه لا حياة فى باريس بلا أغلال

ويقال انه تعلم من الانجليز اساليب التجارة ، فاشتغل بتوريد الاغذية للجيش وضارب فى البورصة واستثمر ارباحه فى المتاجرة مع امريكا فجنى من ذلك ثروة لم تتح لشاعر قبله ، وكان اتجاهه الادبى فى تلك الفترة مسرحيات تاريخية هدفها الحقيقى التنديد بالاوضاع القائمة

وفى سنة ١٧٣١ ماتت ممثلة من اعظم ممثلات فرنسا ورفضت الكنيسة الكاثوليكية الصلاة على جثمانها ، وهى خطة كانت تتبعها مع جميع الممثلين والممثلات ، فاهتز وجدان محبي الفنون وشيعت جنازة الفنانة الكبيرة ودفنت فى مكان خرب على شاطىء السين ، وكان فولتير — على المعهود من ضعف صحته — بين الساعين على قدميه وراء نعشها وآب من الجنازة لينشر على الناس قصيدة ملتهبة يندد فيها بالتزمت والتعصب والخرافة التى تعيش فى القلوب والضمائر فتحتل مكانا كان ينبغى أن تهيمن منه المبادىء السامية والمحبة والتسامح وحب الجمال وتوقير الفضل والنبوغ وتقديس الحرية والتسامى ، واعقب ذلك بنشر رسائل فلسفية يندد فيها بالخلافات المذهبية الرعناء والتعصب

وما ان نشر المجلد الذى يضم هذه الرسائل الفلسفية حتى صدرت الاوامر بمصادرته واحراقه على يد الجلاد امام سلم قصر العدالة . وزج بالناشر فى الباستيل ففر فولتير الى مقاطعة اللورين ثم الى بروسيا فكانت الشعلة التى انبعثت من احراق كتابه بمثابة النار المقدسة التى كانت توقد قديما على رءوس الجبال تكريما للابطال . واصبح فولتير منذ تلك اللحظة رمزا فى أوربا كلها لمقاومة الطغيان والحجر على حرية الفكر

ولما بلغ فولتير الخمسين كان نفر من المستنيرين قد وصلوا الى مناصب البلاط الرفيعة فى فرنسا فاستقدموه وعينوه فى منصب مؤرخ البلاط الرسمى ، وكلف بكتابة تاريخ لحروب الملك . وأطمعه ذلك فى الظفر بعضوية الاكاديمية الفرنسية التى تضم من هم أهون منه قدرا من الكتاب والمفكرين . ولكن نفوذ الكنيسة أسقطه عند اجراء القرعة . فانتهج فولتير خطة مهادنة الكنيسة وراح يذكر الناس بأنه تلميذ اليسوعيين بعد كل شيء ! وظل يترضى البابا الى أن ظفر بعضوية الاكاديمية

وما من شك أنه كان أخلق بفولتير أن يظل خارج الاكاديمية من أن يسعى اليها بهذا الثمن الباهظ ، وبهذا الاسلوب الرخيص . ثم ما عضوية الاكاديمية بعد كل شيء ؟

ان خسارتها بفوات عضويته اضعاف خسارته بذلك الفوات ولا مراء !

ولم تطل هذه المـداراة طويلا ، وغلبت الرجل روحه الوثابة وحماسته المتوقدة للحق والعدل والحرية ، فتمرد عقله على حياة البلاط بما فيها من تزمت وتسلط على العقـول والضمائر ، وانطلق لسانه الساخر في قسوة لا ترحم أدت به الى المنفى مرة أخرى فى قصور أصدقائه المنبثة فى الريف

وفى هـذه الفترة ألف فولتير اقاصيصه الرمزية التى كان يظنها تلهية وتزجيـة فراغ فاذا بها — وبا للسخرية التى ألحقتها هـذه الروائع بفطنة مؤلفها الساخر وهو يظنها من مسقط القول ! — تتكفل بتخليد اسمه ، فهى أبقى آثاره التى يذكر بها فى هذا العصر · ومن طريف المفارقة أن فولتير أبى أن يطبعها لانها فكاهات مجالس محدودة ولا تستحق النشر !

وبعد هذه الفترة اشترى بجانب من ثروته الكبيرة ضيعة على حدود سويسرا واعتكف ليعنى بصحته الضعيفة وعاش ربع قرن يزعم فى مطلع كل يوم منه أنه سيموت قبل الغروب · وينكب على الكتابة كل يوم ساعات طويلة ليقول ما فى نفسه قبل فوات الاوان !

وتحول قصره فى «فرنى» الى بلاط دولى يقصده عشـاق الفن وحرية الفكر والحرية السياسـية واعداء الظلم وضحايا المظالم من سائر بقاع اوربا ، وهو يلقى الناس بالبشاشة ويقرأ عليهم اخر فصوله ويشتغل باخراج مسرحياته على مسرحه الخاص ليراها ضيوفه ، ويشارك فى زراعة الحديقة ويتوسط فى انصاف المظلومين من الفلاحين ويلعب الشـطرنج مع صديقه القس الجزويتى الشيخ كل يوم · والناس يعجبون من عدو التعصب المذهبى واكرامه لرجل الدين المسن وحفاوته به

وهو لا يرى فى ذلك عجبا فقلبه الكبير يفيض بالشكر للفئة التى علمته · وهو فى كراهته للتعصب لا يكره أشخاصا بسبب مذهبهم ولا يمنع نفسـه ان يرى من يأنس فيهم الفضل أيا كان مذهبهم !

وكان العبقرى الشـيخ اذا غلب فى الشطرنج قلب الرقعة غاضـبا لاضاعة الوقت هباء · أما اذا ربح فلا يبالى أن يستمر اللعب ساعات !

وعين هذا الاب اليسوعى قسـا للكنيسة التى بنـاها فى قصره ، وشـيد لنفسـه قبرا نصفه تحت هيكلها ونصفه الاخـر خارجها ، مطلا على المسرح الذى شيده ملاصقا للكنيسـة !

وظل فولتير حتى سن الثمانين يصحو فى الخامسة صباحا وينام قرب منتصف الليل ويوزع نشاطه بين التجارب الزراعية وتحسين نتاج الخيل والكتابة واملاء الرسـائل والبحوث والقصص والمسرحيـات واستقبال الضيوف الكثيرين ورواية النكت المبتكرة الجريئة

وانبرى وقد ناهز الثمانين للدفاع

عن شاب راح ضحية الاضطهاد الدينى ، ولم تكن تربطه به صلة شخصية ، ولكنه جعل من قضيته رمزا للجمود الفكرى الذى ادى الى اعدام ذلك الشخص بتهمة مشكوك فى صحتها

وعقب هـذه المعركة التى ألب فولتير فيها الراى العام تأليبا شديدا رحل الى باريس وهو فى الثالثة والثمانين من عمره . دخلها متوجسا ولكنه وجد جميع اهل باريس المستنيرين من بين انصاره المتحمسين فاستقبلوه استقبال الغزاة حتى صار ملك باريس غير المتوج . وصارت تحركاته مواكب زاخرة ليس لها مثيل ، ولكن الساخر العظيم هز رأسه قائلا :

ـ ما أكثر المهللين لى اليوم ! ولكنهم وا أسفاه سيجتمعون بهذه الكثرة وهذه الحماسة عينها لو ان المناسبة كانت للاحتفال بتعذيبى واحراقى

ومرض فى باريس وعانى آلاما شديدة من سرطان البروستاتا ، ولما مات أبى الكهنة دفنه فى مقابر المؤمنين وهددوا بنبش قبره وطرح جثته للكلاب ، فنقل جثمانه الى قرية كان كاهنها من ذوى قرباه ، وحفظ قلبه فى مكتبة باريس الاهلية

وهكذا انتهت حياة رسول كانت رسالته التسامح وديانته حرية الفكر والضمير وفارس حارب بكل قوته وشجاعته التعصب والخرافة وضيق الافق ...



* كتب **احمد رشدي صالح** في « أخبار اليوم » أن المثقفين ــ أينما كانوا ــ هم الملح النادر في طعام كل أمة ، وينبغي أن يكونوا في مستوى المسئولية التاريخية المتزايدة وأن يتخذوا موقف المبادأة والنشاط الإيجابي ، ويسهموا في بناء حياتنا الجديدة بعمل أكثر فعالية

* يقول **محمد فريد ابوحديد** في « الثقافة » أننا ننتظر من تجاربنا الادبية الجديدة الوصول الى الطريقة اليسيرة التي نتمكن بها من معرفة حقيقة أنفسنا وحقيقة عقليتنا ، ومن معرفة مواطن قوتنا ومواطن ضعفنا بصراحة

* كتب **وليم انج** في مجلة ستردای ريفيو أن النقد اللاذع الذي وجهته الصحافة الى المسرح الامريكي خلال الثلاثين عاما الماضية ، أدى الى اختفاء كثير من المسارح والى هروب الكثير من الممثلين الذين يعملون في هذه المهنة حتى أن مدينة شيكاغو الكبيرة خلت من المسارح

* يقول **حمد الرجيب** من وزارة الشئون الاجتماعية في الكويت أن من رايه تشجيع احتراف الفنانين لان الاحتراف يتيح للفنان التفرغ لعمله ، فقد أصبح الفن مهنة وعلما له دراساته المتخصصة

* في مقال **للدكتورة سمحة أمين الخولي** بمجلة « الرائد العربي » أن فقدان الشخصية الموسيقية ظاهرة عامة تشترك فيها شعوب الشرقين الاوسط والاقصى لانها جميعا تعرضت موسيقاها المحلية لمنافسة عنيفة مركزة من الخارج أضعفتها الى حد بعيد

* كتبت صحيفة **صنداي تايمز** تقول ، احتمال اجراء الانتخابات العامة في بريطانيا في أكتوبر القادم أزعج الناشرين لان الفر لا يهتمون بالكتب في مثل هذه الفترة وهم يعتبرون مثل هذه الفترة كارثة وقد تصيب عالم الكتب

* في حديث نشرته صحيفة كومسومولسكايا السوفييتية قال **نيكيتا خروشوف** ان التوازن بين القوى السياسية في العالم قد تحقق بحيث أصبح من الممكن منع نشوب الحرب

* في رسالة لمراسل الاهرام في لندن أن الانجليز يعتبرون المدارس العامة مظهر للتمييز الطبقي لان نفقاتها الباهظة تحد من العسير على أبناء الطبقة الفقيرة الالتحاق بها ، بل والطبقة المتوسطة أيضا

* كتب **اسامة عانوني** في مجلة « فاقا الزيت » يقول ان العقاد يتميز عن أي اديب عربي آخر بانه ذو ثقافة مستوعبة جامعة فأدب العقاد عنده مزيج من الثقافات المتنوعة بحيث يصعب ردها الى نوع واحد مستقل من ألوان الثقافة « الادبية والاجتماعية والعلمية »

* كتب **عبدالرحمن الخميسي** يقول أسعدني أن يعاود محمود أمين العالم نشاطه في عالم النقد الادبي والفني · فالعالم اح

رواد النقد الادبي الاشتراكي الذي يربط بين الادب والحياة . وأن الادب لا بد ان يخدم حاضر الانسان ومصيره .

* قال **ابراهيم زكي القناوي** وكيل وزارة السد العالي : ان الحقيقة التي ينبغي ان نفخر بها هي أن السد العالي أعظم سدود العالم . فهي جميعا تتضاءل أمام جبروته وضخامته .. وهو يقف بينها عملاقا شامخا

* كتب **نعمان عاشور** معلقا على مسرحية « الفرافير » ليوسف ادريس : ان يوسف عرف كيف يكسب في مسرحيته . وبالاصح يختم بها فترة من التمرس على الكتابة للمسرح كان لا بد له أن يجتازها للتعرف على حقيقة الدراما ، ومفهومها المقصود الشامل الذي يمكن ان يسع كافة الالوان في مسرحية واحدة

* يقول **الدكتور محمد مندور** : ان أدبنا الحديث تركز معظمه في دراسة حياة ومشاكل الطبقة الوسطى ، وهو يقلل او يكاد دراسة حياة الطبقة العاملة ، ولهذا أقترح عمل دراسات للعمال الذين فيهم خامة الكتابة والتاليف .. وذلك ليستطيعوا تاليف مسرحيات تعكس حياة هذه الطبقة الهامة في مجتمعنا

* كتب **عبدالفتاح البارودي** يقول : ان جامعاتنا بدأت تهتم بالفنون الشعبية ، وهذه تغييرات هامة في العقلية الجامعية ، ولهذا فان الرسالة التي يعدها « أحمد على مرسي » المعيد بالجامعة من « فن الموال » يجب أن تلقى عليها الاضواء .. وعلى كل من يبحثون مشكلاتنا الادبية والفنية بوعي وفهم أن يدعموا

* كتب **توفيق الحكيم** بعد زيارته للسد العالي يقول : ان الذي يحرك الجبل اليوم ، ويحول النهر ليست الالات والمعدات ، انها الارادة والعزم والتصميم . ان الادوات والالات اجهزة صماء لا تدب فيها الحياة .. الا بشرارة الارادة .. !

* علق **مفتي الجمهورية العربية المتحدة** على خبر الدجاجة التي باضت بيضة مكتوب عليها « محمد » قال : ان الاسلام أقوى من أن يثبت في قلوب المسلمين ببيضة دجاجة تظهر في جنوب افريقيا او في حلوان ، وهذه الظاهرة ليست لها دلالة دينية معينة ، والايمان بوجود مثل هذه الظواهر كمظهر للتدين ليس موقفا اسلاميا . فالتدين معروف ، وما عداه شعوذة !

* يقول **علي امين** في « فكرة » بالاخبار : اذا أخطأت فلا تتسامح مع نفسك ، سارع بتصحيح الخطأ والاعتذار عنه . واذا اخطأ غيرك ، فتسامح معه . وحاول أن تكسبه بحبك وحنانك . « السماء تبتسم للذين يحاسبون أنفسهم ولا يحاسبون الناس .. !

* كتب المرحوم **عباس العقاد** في مذكراته التي لم تنشر : ليست المسألة في الجمال مسألة درجة أو شكل محدد . ولكنها مسألة دلالة معنوية لا تقدر بالدرجات والحدود . ولهذا يساوي الاجمل في بعض الاحيان ألوفا ممن يكون في مرتبته في الجمال

* وكتب **العقاد** ايضا : العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة حرب ودية تجمع بين أمتع ما في العداء من لذة الانتصار ، وأمتع ما في الصداقة من لذة الالفة والمعاونة

* في رأي **احمد عباس صالح** بمجلة الكاتب : ان السد العالي ليس بناء صخريا في قلب النهر يسد مجراه ، وليس تحويلا لمجرى أزلي ظل في مكانه ملايين السنين ، وليس وسيلة بشرية لاستخراج الطاقة من عنصر من عناصر الطبيعة . انه ذلك الطوفان البشري المتحد الجماعات المندفع لحقق فكرة .. ويجسدها

* قارن **انور المعداوي** بين الشاعر الانجليزي لورد بايرون ، وبين الشاعر المصري علي محمود طه . قال : ان كليهما لم يخلق للالم وانما خلق للذة ، ولم يخلق للدمعة وانما خلق للابتسامة ، ولم يخلق للقيد وانما خلق للتحليق .. شأن كل طائر متحرر الجناح

... وأخبارهم

* من المقرر اقامة معرض دائم للكتب العالمية فى القاهرة . وسوف يعرض كل كتاب يصدر فى أى مكان بالعالم لمدة ٣٠ يوما وبعد شهر واحد من صدوره

* يجرى البحث فى جمهورية أوزبكستان السوفييتية عن مكتبة أولغ بيك الفلكى وعالم الرياضة فى الاوزبكى الشهير الذى عاش فى القرن الخامس عشر

* ستقوم وزارة الثقافة الهندية بترجمة عدة كتب لطه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وغيرهم الى ١٧ لغة متداولة فى الهند

* طلبت اليونسكو من مجلس الفنون بالقاهرة أن يختار اثنين من المفكرين العرب للاحتفال بهما لمدة أسبوع فى عام ١٩٦٥ ، وقد وقع الاختيار على الصوفى محيى الدين بن العربى والمؤرخ المقريزى

* « دراسات فنية فى الادب العربى » اسم الكتاب الجديد الذى أصدره الدكتور عبدالكريم اليافى الاستاذ بكلية الاداب فى جامعة دمشق

* ينتظر أن يقام أسبوع للغة العربية فى الجزائر لتنشيط اللغة العربية ، وشكلت لجنة لهذا الغرض وستعمل على توثيق العلاقات الثقافية بين الجزائر والبلاد العربية الاخرى

* يصدر عن دار صادر ببيروت كتاب « **الكامل فى التاريخ لابن الاثير** » . تقوم نخبة من المؤرخين المتخصصين بمراجعة أجزاء الكتاب قبل طبعه

* انتدبت وزارة المعارف السعودية مدير ادارة المكتبات العامة بها للقيام بجولة دراسية فى أوروبا وأمريكا وبعض البلدان الآسيوية للاطلاع على أحدث النظم والمطبوعات فى المكتبات العالمية

* تم فى المغرب انشاء مجلس وطنى للثقافة والفنون الشعبية والمجلس الجديد يتبع وزارة الانباء

* سوف تقوم وزارة مجلة « **اللغات** » التونسية بالاشتراك مع دار الكتب الشرقية فى تونس باصدار سلسلة من الكتب الشهرية التى تعالج شئون الفكر والادب والاجتماع . أول كتاب هو « أرونا الحياة » وهو مجموعة قصص للسيدة ناجية ثامر

* وافقت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية على مبدأ توحيد الاشهر العربية فى جميع الدول العربية ، وذلك على ضوء تطور العلوم الحديثة

* أوشك المستشرق الفرنسى فنسان مونتاى على الفراغ من ترجمة الجزء الاول من مقدمة ابن خلدون الى الفرنسية وذلك بتكليف من منظمة اليونسكو

* قام المستشرق السوفييتى **الجيابي كراتشكو** مع بعض أعضاء معهد شئون الشعوب الآسيوية بعمل ترجمة جديدة لمعانى القرآن

* أصدر مكتب دولة امامة عمان كتابين هما كفاح عمان والمسألة العمانية بقلم **اسماعيل أبو هلال** الملحق الصحفى فى بغداد

* يقوم **عامر العقاد** بجمع المقالات التى نشرها الاديب الراحل عباس محمود العقاد ، وكذلك مذكراته الخاصة ومئات الرسائل التى بعث بها العقاد الى أصدقائه والتى تلقاها منهم . سيكون اسم الكتاب « ما بعد البعد »

* لمناسبة الاحتفال بمرور ٤٠٠ سنة على مولد شيكسبير صدر فى بريطانيا خلال أسبوع واحد ٧٠ كتابا عن الشاعر الكبير

* عثرت البعثة السويسرية التي تقوم بالتنقيب عن الآثار بالاقصر على بقايا طريق مرصوف بالحجر الجيري يمتد تجاه المدخل الرئيسي لمعبد امينوفيس الثالث بين تمثالي ممنون ..

* الدكتورة ميلي نوفهولم استاذة علم تقسيم النباتات بعلوم القاهرة والسويدية الاصل دخلت المجمع العلمي المصري ماكاديمية العلوم الطبيعية» .انها أول سيدة تدخله منذ ١٠ سنوات

* نجح العلماء العرب في معهد علوم البحار بالغردقة في انتاج غذاء جديد للاسماك صغيرة وذلك بتجفيف مخلفاتها وطحنها ، يطلق على الغذاء الجديد بدرة السمك وكنا نستورده من الخارج

* اوبرا لاترافياتا هي أول أوبرا تعرض بالقاهرة على مسرح الاوبرا بعد أوبرا الارملة الطروب »

* مكتبة احمد لطفي السيد « ١٨٠٠٠ كتاب » سيهديها ورثته الى محافظة الدقهلية

* الحصان العربي اصبح اسمه « البرذون » وهي من الكلمات العربية الفصحى التي اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

* أول سيدة تقوم بالتدريس بجامعة ليبيا هي : الدكتورة سيدة عمارة الاستاذة المساعدة بعلوم عين شمس » انتدبت للتدريس هناك

* خلال هذا الشهر سيصدر مجلس الفنون والآداب الكتب الآتية في مشروع نشر الكتاب الاول والرسائل الجامعية : كتب هي : « علي محمود طه » . « ملحمة ثورة » . « الصحافة والسلام العالمي » . « صورة من الحياة والسجن » . «أبوزكريا الفراء » . « الادب في حماسة أبي تمام » . « المجتمع في شعر احمد الزين » . « الانتاج الادبي في الاسكندرية » . « العامل الديني في الشعر المصري الحديث » . « القلم شاردة »

* كتاب عن « محمود سعيد » يضم تاريخ حياته ومجموعة من لوحاته يصدره الفنان بدر الدين أبو غازي

* مجلة بعنوان « الصوت والصورة » يصدرها التليفزيون العربي خلال هذا الشهر .. ويحررها سعد لبيب سكرتير عام التليفزيون وآخرون

* محمود سامي أحمد صدرت له عن مؤسسة التأليف بالقاهرة مسرحية بعنوان « ارض العرب » .. وهي تتحدث عن موقعة عين جالوت التي انتصر فيها المصريون على التتار

* ٧٥٠٠٠ كتيب عن اسوان أصدرتها مصلحة السياحة

* اشادت صحيفة الديلي تلجراف البريطانية بتمثيل العمال والفلاحين بمجلس الامة . وذلك في مقال لها بعنوان « مشروعات عبد الناصر في مصر »

* أعدت وزارة البحث العلمي بالقاهرة مشروعا يتضمن انشاء ٦ محطات للارصاد البحرية على طول الشواطيء المصرية للحصول على تنبؤات علمية سليمة

* تقرر اطلاق اسم المرحوم عباس محمود العقاد على مدرسة مصر الجديدة الثانوية تخليدا لذكراه

* يقيم الزجالون السكندريون في عيد الثورة القادم مهرجانهم الاول للزجل .. تكونت لجنة التحضير للمهرجان من الزجالين ابو فراج ، واحمد السمرة ، وكامل حسني ، ورزق حسن

* عاد مستشار مؤسسة فرانكلين الاستاذ حسن جلال العروسي من رحلته التي زار فيها الاردن ، والكويت ، ولبنان ، والجزائر ، والمغرب ، وروما ، وباريس ، وسويسرا ، وذلك بعد أن زار مؤسسات نشر الكتب وطبعها

* احتفلت كلية الهندسة بجامعة روما في الشهر الماضي بمرور ١٠٠ سنة على انشائها

* فرانز كافكا لسمير وهبي وستنشره دار المعارف

* قرر المجلس الاعلى للجامعات بالقاهرة الغاء نظام الفصلين بجميع السنوات من العام القادم . كما قرر انشاء مؤسسة تعمل على تخفيض ثمن الكتاب الجامعي

..واخبار من ٧٠ سنه

* تقرر اشتراك مصر في مؤتمر اللغات الشرقية المزمع انعقاده بمدينة جنيف في شهر سبتمبر ١٨٩٤

* نشرت الصحف نبأ عن وفاة سلطان مراكش بغتة في داخلية بلاده ، والشائع انه مات مسموما وأنهم اقاموا مكانه ابنه عبد العزيز

* قالت « الهلال » ردا على سؤال من أحد القراء ان الـ المورمون«ويدعون أنفسهم «قديسي الزمن الاخير» بدعة مسيحية نشأت في امريكا في اوائل القرن التاسع عشر ، وكانوا يبيحون تعدد الزوجات ثم عادوا فحرموه وبلغ عددهم في أمريكا ١٤٤٣٥٢ طبقا لاحصاء عن عام ١٨٩٠

* بدأ طبع الجزء الثاني من كتاب « الطب المنزلي » لمؤلفه الدكتور ابراهيم افندي منصور

* صدر كتاب « المرأة في الشرق » وهي رواية ادبية تأليف مرقص فهمي ، وفكرتها الرئيسية انه يجب الاجتهاد من أجل تشييد هيئة اجتماعية تعد في صف الامم المتقدمة ولو كان فيها بعض النقص

* جاء في البرقيات أن انكلترا عقدت معاهدة مع البلجيك تقضي بمنح مديرية الغزال لحكومة الكونغو ما دام الملك ليوبولد وخلفاؤه ملوكا على الكونغو ، ومقابل هذا تحصل بريطانيا على قطعة مستطيلة من الارض بين بحيرتي تنجانيقا والبرت ادوارد

* اخترع بعض الالمان قميصا لايخرقه الرصاص وقد جربوه باطلاق الرصاص عليه فثبت نجاحه

* اختلف الفحامون واصحاب الفحم في بورسعيد فاضربوا وتوقفوا عن العمل مدة وعملت الحكومة على تسوية المشكلة

* قالت مجلة « الهلال » ان كلمة « خنفشار » تطلق عند العرب على من كان مكثارا ملفقا كثير الدعوى قليل المادة

* دلت الاحصاءات على أن في الولايات المتحدة نحو ٣ ملايين من الايامى « النساء اللاتي لا أزواج لهن » وهذا يعادل خمس عدد الاناث من بنات ٢٠ سنة فما فوق

* اكتشف رجال الآثار المصريون مدفنا قديما قرب القوصية لرجل من رجال الملك بيبي الاول وفيه تماثيل خشبية منحوتة منها تمثال خبازين بعجان وتمثال بائع حلوى وسلته أمامه وهو جالس القرفصاء

* في أوروبا وامريكا ٥١ الف معمل من معامل البيرة منها ٢٦٢٤٠ معملا في المانيا وتليها انجلترا وفيها ١٢٨٧٤ معملا ، ويبلغ انتاج البلدين ٧٣٥٠ مليون لتر في عام ١٨٩٣

* نشر الكاتب الفرنسي جول سيمون مقالا طالب فيه باتخاذ التدابير لتحقيق نزع السلاح وقال ان أوروبا تسير في طريق الافلاس بسبب تضخم الانفاق على التسلح

* من رأي بعض العلماء أن اسم الاهرام باللغة اليونانية مأخوذ من كلمة برموس الهيروغليفية وهي تدل على اسم السطح المائل من سطوح الهرم

دكتور راشد البراوي

المعركة الفاصلة في الجنوب العربي!

اشتعلت النار الثائرة مرة أخرى على جزء من الوطن العربي

حيث بدأت المعركة الفاصلة في الجنوب اليمني المحتل بعد أن أعلن جمال عبد الناصر في الخطاب التاريخي الذي ألقاه في القناة زيارته للجمهورية العربية اليمنية، أنه صار من المتعين على الاستعمار البريطاني أن يتخلى عن آخر معاقله فوق الأرض العربية وإن لم يفعل هذا باختياره فسوف يرغمه على الخروج بقوة الكفاح الثوري الجارف.

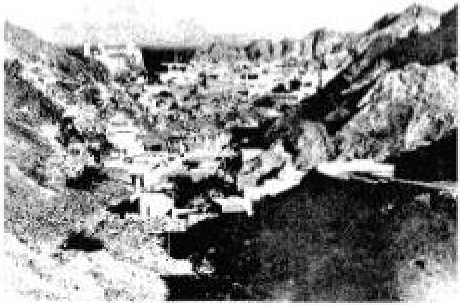
وتبلغ مساحة المنطقة ١١٢,٣٠٠ من الأميال المربعة، أما عدد السكان فتقدره المصادر البريطانية بنحو ٦٦٠,٠٠٠ نسمة وإن جعلتهم مصادر أخرى في حدود ٩٠٠ ألف نسمة. وهي تنقسم إلى:

(أ) عدن وتوابعها

(ب) المحميات

وتقع عدن على مسافة ١٠٠ ميل إلى الشرق من بوغاز باب المندب على هيئة شبه جزيرة بركانية على

من فوق الجبال الشاهقة .. يطل أبناء الجنوب العربي استعداداً للمعركة الفاصلة ...



الساحل العربي، وطبقاً للأمر الصادر عام ١٩٣٦ أصبحت تعرف باسم «مستعمرة عدن» اعتباراً من أول أبريل عام ١٩٣٧. وأعيد تنظيمها طبقاً للأمر الصادر في عام ١٩٥٨، وبمقتضاه أصبح هناك مجلس تشريعي يتكون من ١٢ عضواً بالانتخاب، ٥ أعضاء بحكم مناصبهم، ٦ أعضاء بالتعيين، فضلاً عن رئيس يعينه الحاكم البريطاني. أما المجلس التنفيذي فصار يتكون من ٥ أعضاء بحكم وظائفهم، ٥ أعضاء من الأعضاء المنتخبين أو المعينين في المجلس التشريعي وعلى رأس هؤلاء جميعاً الحاكم البريطاني. ومن هنا يتضح أن التنظيم الجديد لم يغير من الوضع القديم، إذ احتفظ بالسلطة الفعلية في أيدي الإدارة البريطانية، ولهذا قاطعه الزعماء الوطنيون، وصمموا على المقاومة إلى أن يحققوا الاستقلال الفعلي.

***

وتبلغ مساحة عدن ٧٥ ميلاً مربعاً، ويقدر عدد السكان حسب آخر تقدير في عام ١٩٦٢ بما يقرب من ٢١٠ ألف نسمة. ويرجع استمساك بريطانيا بها إلى أكثر من سبب، فالميناء من أهم المحطات لتموين الأساطيل البحرية والجوية البريطانية، ومحطة تموين رئيسية على الطريق البحري من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، وفيها مطار ضخم حديث في «خورمكسر» يصلها جواً مع جميع أنحاء العالم، كما تم في عام ١٩٥٤ إنشاء مصفاة في البريقة بعدن، تستطيع تكرير خمسة ملايين طن من البترول في السنة، ومن هنا تتبين أهمية عدن الاستراتيجية من جهة، ومن حيث عمليات التكرير من جهة أخرى، خاصة إذا ذكرنا أن إنشاء المصفاة جاء بعد تأميم البترول الإيراني على يدي الدكتور محمد مصدق وما تبعه من إغلاق معمل التكرير الضخم في عبادان والتدويل

ند الى العمل الا بعد تسوية الازمة لايرانية فيما بعد

غير ان هذه الاعتبارات هي ذاتها تى تولد عنها نقيضها اى القوة جديدة التى دخلت في ميدان الكفاح ند الاستعمار . فنظروا لاهمية بدن كمحطة رئيسية على طريق للاحة البحرية ، وكونها مركزا هاما لاستيراد والتصدير تستورد منه مظم الاسواق فى شبه الجزيرة عربية وغيرها من البلاد المجاورة ثل الصومال واثيوبيا ، وبسبب جود صناعة التكرير ونشاط سناعة استخراج الملح بحيث يقدر لصادر منه باكثر من ٢٠٠ الف طن فى لسنة ـ تقول انه بسبب هذه عتبارات جميعا نشطت حركة عمالية قوية ذات أهداف تحريرية ضالية ، تزعمت الكفاح الوطنى الدعوة من اجل الحرية والعدل لاجتماعى

اما المحميات فتحدها من الشرق جزاء من سلطنة مسقط وعمان ، من الشمال والغرب المملكة العربية لسعودية والربع الخالى واليمن . ق فبراير من عام ١٩٣٤ تم التوقيع لى معاهدة صنعاء بين الحكومتين لبريطانية واليمنية على تثبيت لحدود الجنوبية لليمن بصفة ؤقتة على اساس الابقاء على ا الوضع القائم » فى وقت التوقيع لى المعاهدة ، وبهذا قبلت حكومة لائمة ان تمالىء الاستعمار البريطانى فاتاحت له الفرصة بعد ان اطمأن على حدود المحميات المتاخمة لليمن كى ينفذ أهدافه ويوسع من سلطانه . ومهما يكن من أمر فما كان للائمة ان يبدوا هذا التنازل الذى اعتبره الشعب فى اليمن وفى الجنوب اليمنى المحتل خيانة لفكرة وحدة الوطن اليمنى كله ، ويبلغ طول ساحل المحميات ٧٥٠ ميلا ويمتد من حصن مراد فى الغرب الى نقطة الالتقاء مع أراضى مسقط وعمان .

وتنقسم هذه المحميات (أو محمية عدن كما أطلق عليها) الى غربية وشرقية ، ومساحة المحميات الغربية نحو ٣٧٫٦١٠ ميل مربع ، وتتكون من :

(١) سلطنات لحج ، الفضلى ، العوالق العليا ، العوالق السفلى والعوازل ، يافع العليا ، يافع السفلى والحواشب .

(ب) امارتى بيحان والاميرى

(ج) مشيخات العقارب ، الشعيبى ، الموسطه، الظبى ،المفلحى الحضرمى ، العلوى ، والقطيبى .

(د) مشيخة دثينة وعاصمتها مودية .

اما المحميات الشرقية ومساحتها ٧٣٫٣٩٠ ميلا مربعا ، وتتألف من مشيختى عرقة وحورا ، ومن خمس سلطنات هى :

(١) الواحدى وعاصمتها حبان وميناؤها بلحاف

(٢) الواحدى ـ بشر على

(٣) مهرة

(٤) سلطنتا حضرموت وهما القعيطى والكثيرى .

واذا كانت هذه السلطنات والامارات والمشيخات تعتبر مناطق صغيرة متناثرة ، وقد يتراءى لدى النظرة السريعة أنها اقليم فقير ، يعيش معظم اهله على زراعة انواع من الحبوب التى تزودهم بغذائهم ، وعلى تربية الثروة الحيوانية من الابل والماشية والماعز والاغنام ، الا ان الواقع ان تمسك بريطانيا بالمنطقة كلها يرجع الى اعتبارات لها اهميتها الاقتصادية ، فالى جانب البن فى اليوافع مثلا ، وانواع الفاكهة كالبطيخ والشمام والتفاح والمانجو والموز فى سلطنة لحج التى تعتبر من اخصب الواحات فى جنوبى الجزيرة العربية ، ادخلت فى السنوات الحديثة زراعة القطن ولما نجحت التجارب الاولية عملت السلطات البريطانية على تعميمه وتوسيع مساحة الاراضى التى تزرع قطنا ، حتى اصبح الانتاج حوالى ٤٠ الف بالة فى السنة . ومن أجل توسيع رقعته ادخل ايضا نظام استعمال المضخات على الآبار وبخاصة فى حضرموت ، ذلك أن الزراعة فى المحميات بوجه عام تعتمد على الرى من المياه الجوفية . الا ان الامكانيات وافرة امام التوسع فى زراعة هذا النبات او المحصول النقدى اللازم للصناعة ، لان المساحة القابلة للزراعة لاتقل عن مليون فدان لايزرع منها الآن سوى ١٥٠,٠٠٠ فدان لكن مستوى معيشة اهل الزراعة ، وهم اكثر من ٩٠٪ من مجموع السكان على درجة كبيرة من الانخفاض ، وهنا يكمن أحد الاسباب القوية وراء حركة التحرر القومى

***

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فبالرغم من عدم اجراء الدراسات الجيولوجية والتعدينية بطريقة شاملة ، او هكذا تصرح المصادر البريطانية ، الا ان ماتم منها اثبت ان فى جبال الشواطىء مقادير كبيرة من فحم الليجنيت والاحجار الزيتية والنحاس ، وقد يتساءل المرء عن السبب الذى من اجله وقع الاختيار على عدن لانشاء المصفاة فى ظاهرها . ربما يقال انها على طريق الملاحة البحرية ولهذا يسهل عليها التزود بالوقود من مشتقات البترول التى تنتجها هذه المصفاة ؛ ولكن يبدو ان ثمة سببا آخر لم يعلن عنه ، ذلك هو مادلت عليه الابحاث الاولية من وجود البترول ، فاذا تحقق هذا سهل نقل الخام الى المصفاة وفى هذا تقليل للنفقات . واذا كان البترول لم يستخرج حتى الآن ، واذا كانت اعمال التنقيب لاتجرى على الوجه السليم ، فلأن المصالح البترولية البريطانية جريا على عادتها ، تكتفى بمنابعها الحالية تاركة ماق بطن الارض ليكون من الاحتياطى للمستقبل

واذا كانت الحركة القومية فى الجنوب اليمنى المحتل قد بلغت الذروة اليوم ودخلت فى معركتها الفاصلة مع الاستعمار البريطانى الذى تقوضت دعائمه منذ ختام

الحرب العالمية الثانية ، الا أن جذورها تمتد الى سنوات خلت ، والى سنة ١٩٥٢ بالذات ، حين قامت ثورة مصر فى ٢٣ يوليو وجعلت أول اهدافها القضاء على الاستعمار ، وحققت الهدف ، وراح جمال عبد الناصر يعلن بصوت عال أن القومية العربية حقيقة تاريخية مؤكدة ، وأن العالم العربي — بصورته الكلية — يجب ان يتطهر من الرجس الاستعمارى

وتوالت الاحداث سراعا . ففى عام ١٩٥٦ دبر الاستعمار مؤامرة ثلاثية على مصر اثر تأميم قناة السويس ، فوقفت مصر صامدة واندحر الاستعمار وانتصر عبد الناصر فكان النصر فى حقيقته نصرا لكل العرب . وفى عام ١٩٥٨ تمت الوحدة مع سوريا وظهرت الجمهورية العربية المتحدة الى عالم الوجود ، فكانت فصلا جديدا فى تاريخ القومية العربية ، واحيت الامال فى وحدة عربية شاملة . وفى نفس العام حدثت ثورة العراق وتحطم حلف بغداد الذى خلقه الاستعمار ، بالرغم من الانحراف الغريب الذى اعتور الثورة او بعض قادتها بعبارة اصح وهبت ريح التغيير على القارة الافريقية واستجمعت القومية الافريقية قواها ، وراحت بلاد القارة تنتزع استقلالها ، واحدة تلو الاخرى وانحسر المد الاستعمارى ثم جاءت ثورة اليمن ونجحت بعد ان اطاحت بحكم الائمة الرجعى

هذه الاحداث كلها التى بدأت بالفعل بعد ثورة مصر فى عام ١٩٥٢ كان لابد ان يتردد صداها فى الجنوب اليمنى المحتل . وان يتفاعل اثرها مع الظروف الموضوعية فيه التى اسلفنا الاشارة اليها ، واخذ المزيج يتجمع ويتراكم ، فاذا بالتغييرات الكمية تتحول الى تغيير كيفى : واذا بالشعب فى هذه المنطقة العربية يعلن تصميمه على نيل حريته . فلما اعلن عبد الناصر دعوته الصريحة فى اليمن فى عيد الاضحى .. كانت اشبه بساعة الصفر .. وقامت الثورة

***

على ضوء هذه الاحداث المتتابعة والمؤثرات المتلاحقة يجب أن نفسر سياسة بريطانيا ازاء عدن والمحميات وكان فى مقدمة التحول المظهرى فى هذه السياسة التعديل الذى ادخل على نظام ادارة مستعمرة عدن طبقا للامر فى المجلس الصادر فى اكتوبر من عام ١٩٥٨ والذى خلق واجهة أو لافتة دستورية لم تستطع ان تخفى ما وراءها من السلطات البريطانية .

وفى ١١ فبراير من عام ١٩٥٩ ، وبايعاز من السلطات البريطانية ، قامت خمس من المحميات العربية بتكوين ما اطلق عليه اسم اتحاد الامارات العربية فى الجنوب ، وفى اكتوبر من العام نفسه انضم الى هذا التنظيم — او قل ارغم على الانضمام — سلطان لحج . ولحقت به سلطنة العوالق السفلي ومشيخة الدثينة فى فبراير من عام ١٩٦٠ . (ثم سلطنة الواحدى فى مارس ١٩٦٣ ،

وفي ٤ ابريل ١٩٦٢ تغير اسم الاتحاد الى اتحاد الجنوب العربي ، واتخذ له عاصمة هي الاتحاد ٠ وبمقتضى الاتفاق الذي تم بين مستعمرة عدن ووزراء الاتحاد في مايو من عام ١٩٦٢ ، انضمت المستعمرة الى الاتحاد في ١٨ يناير ١٩٦٣ ، واقر الاتفاق المجلس التشريعي العدني والمجلس الاتحادي وصدقت عليه الحكومة البريطانية. ويلاحظ بهذا الصدد ان بريطانيا احتفظت بالسيادة على المستعمرة وبحق الانسحاب من الاتحاد ٠ وفي عام ١٩٦٣ نفسه اريلت جميع الحواجز بين اعضاء الاتحاد ، وقيل بهذه المناسبة انه انشئت (سوق مشتركة) في الجنوب المحتل ٠

لقد أدركت بريطانيا أن بقاءها اصبح مهددا بالخطر ، وايقنت عبث المحاولة من اجل الاحتفاظ بسلطانها على أساس المعاهدات والاتفاقيات التي سبق ان فرضتها فرضا على

بدا العمانيون يظهرون اسيادهم علنا من الجنود الانجليز ٠٠ ويتحدونهم ٠٠ !



ذلك العدد من الامارات والسلطنات والمشيخات المتفرقة · ورأت كذلك، وبخاصة بعد نشوب الثورة اليمنية ارتفاع الاصوات داعية الى تحقيق الوحدة · فكان أن قررت اولا ايجاد تنظيم دستورى ظاهره ان يحكم الشعب نفسه بنفسه . وحقيقته الاحتفاظ بسلطانها ، على غرار ما حققته لها معاهدة ١٩٣٠ مع العراق ١٩٣٦ مع مصر · ثم قررت ثانيا خلق ذلك الاتحاد المزيف . ناسية ان الوحدة المنشودة هي وحدة الوطن الام وهو الجمهورية العربية اليمنية . كخطوة في سبيل الوحدة العربية الشاملة · ولكن هذه التغييرات لم تكن لتخدع احدا من ابناء الجنوب المحتل الذين تبينوا حقيقتها ومغزاها وهدفها

ثم جد عامل اذكى الشعور القومى التهابا . ذلك هو موقف التحدى الذى اتخذته بريطانيا ازاء النظام الجديد في اليمن . وتاييدها السافر احيانا والمقنع احيانا اخرى لفلول الرجعية وأخيرا اتخاذها من عدن والمحميات قواعد تشن منها الغارات على اراضى الجمهورية اليمنية كما حدث في الاعتداء على قرية حريب اصبح واضحا ان بريطانيا تستهدف القضاء على الثورة اليمنية . وبالتالى على آمال أهل الجنوب في الحرية والوحدة · واذن آمن الشعب كله بان السبيل الوحيد لمقاومة هذه المؤامرات هو القضاء على الاستعمار البريطانى . وتدعم الايمان واكتسب قوة عندما اعلن عبد الناصر دعوته بضرورة رحيل هذا الاستعمار عن الارض العربية

***

لقد نشبت الثورة وسوف تسير فى طريقها قدما · والان ، قد يتساءل البعض عن احتمالات النجاح المقدر لها ، وهنا نلاحظ ان ثمة امكانيات تملكها هذه الثورة : **اولا** هناك التصميم الذى يبديه الشعب ، ذلك التصميم الذى اتخذ طابعا عمليا فعالا وراحت جموع الثوار تشن الهجمات على القوات البريطانية · وثوار الجنوب لهم مزايا تنبعث من طبيعة بلادهم ، اذ يستطيعون ممارسة حرب عصابات على نطاق واسع ، كما فعلت الجزائر من قبل ، محتمين بالجبال والشعاب والفيافى الشاسعة ومعنى هذا ان الاعتبارات الطبوغرافية فى صالحهم · اما الطائرات البريطانية فسوف تقف عاجزة امام هذا الضرب من القتال · ومما يلفت النظر ان الشعور المعادى للاستعمار اصبح يشمل جماهير المنطقة باسرها

ثانيا : التاييد المعنوى الكامل وفى المجال الدولى ، من جانب الجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة ، ثم من جانب الشعب فى جميع الوطن العربى بوجه عام ، ولا شك ان الاستعمار قد لمس طبيعة هذا التاييد عند ما شن عدوانه على مصر فى عام ١٩٥٦ · والوطن العربى يملك من الامكانيات ، او من الاسلحة المتعددة ما ينبغى ان يقنع بريطانيا بالتزام

جادة الحكمة والا فقدت ما تبقى لها من مصالح اقتصادية كبـيرة فى المنطقة العربية بكاملها .

ثالثا : ولانستطيع ان نغفـل تأييد الامم المتحدة التى سبق لهـا ان اتخذت قرارا بتصفية الاستعمار ويحث على منح الاستقلال لجميـع الشعوب التى لا تزال تخضـع لسيطرة اجنبية ، ولما تأزمت الامور فى عدن شكلت لجنة دولية للتحقيق في مطالب الشعب العربي بالجنوب، فأبت بريطانيا ان تسمح لها بدخول المنطقة ، ولكن تقرير اللجنة ذكر ان الامال هناك معلقة على المنظمة العالمية واشارت الى ضرورة الاستجابة الى المطالب الوطنية ، ثم جاء قـرار الجمعيـة العامة فى الدورة الثامنة عشرة يعرب عن الاسف بسـبب رفض بعض الدول الاسـتعمارية التعاون مع المنظمة العالمية

رابعا : ونستطيع ان نضيف الى القوى المؤيدة الرأى العام فى الدول الآسيوية والافريقيـة وفى غيرها من الدول المحبة للسلام .

خامسا : واخيرا ـ وليس آخرا ـ فان فى بريطانيا ذاتها اصـواتا واعية ترتفع محذرة حكومتها من سياسـتها الخـاطئة وناصحة بتصحيحها

لقد بدأت المعركة الفـاصلة ، والدلائل كلها تشير الى أن ميزان القوة النسبية يميل باطراد ناحية الحركة الوطنية فى الجنوب المحتل، مما يجعل النتيجة مقررة منذ الان ، وهى تصفية الاستعمار البريطانى ، مهما كانت التضحيات



جندى « عمانى » ... يحمل سلاحه ..



ضحكات
في
شهر
العالم
يقدمها
نجيب

مقارنة



ـ أنا اللى شفتها قبلك



ـ أنا كنت هنا قبلك

سامى الغداير
سويسرا



الوصول . . . !
للرسام ستيفان ديغجس
موئد بولند ـ بولندة

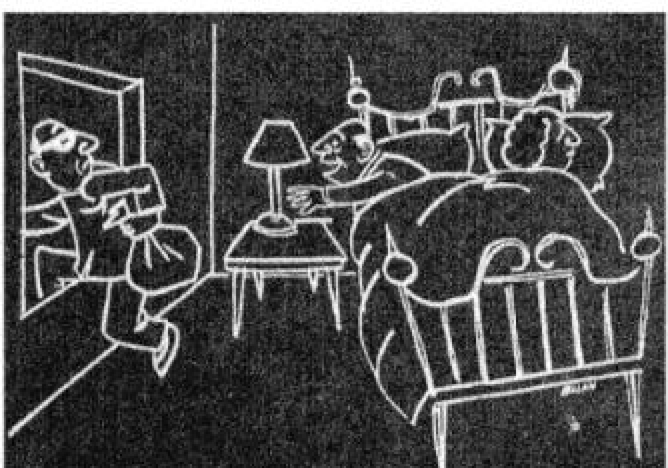


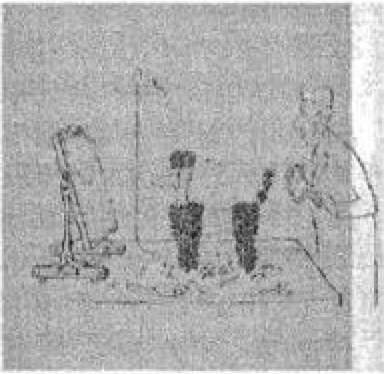
— هس لحسن تصحى

ديرشبيجل — المانيا

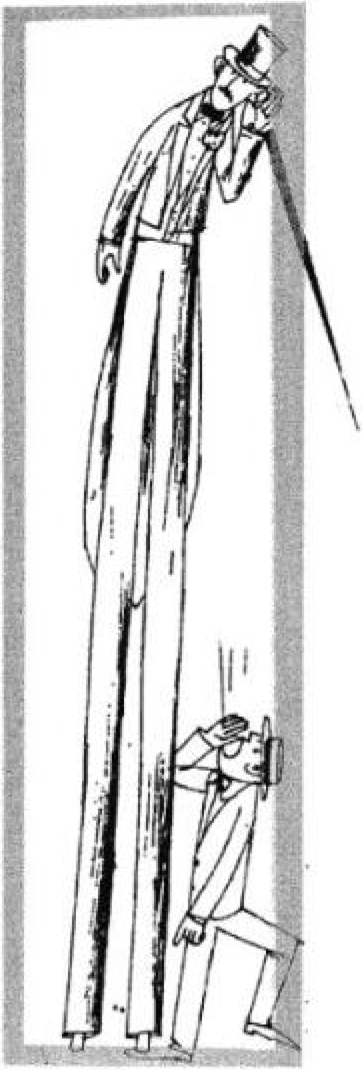
الـزوج — والنبي ياعم يا حرامي تقوللي .. ازاي بتقدر تخرج من غير ما حد يحس

شانكرز — الهند





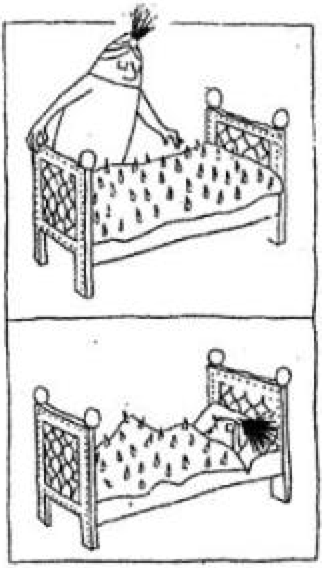
بدون تعليق ..!
للرسام كارل سراند



بدون تعليق ..!
للرسام سميلى

في الجمرك ..!
بغش ـ لندن

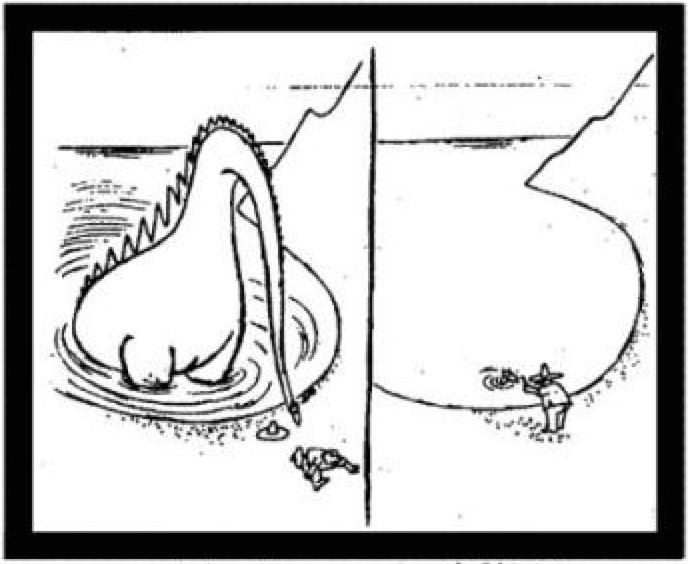




بدون تعليق ..!
درشبيجل – المانيا



مأساة الرجل المزواج ..!
لوك – امريكا



بدون تعليق ! ..

لود ـ أمريكا



بدون تعليق .. !

سكالا ـ ايطاليا

إبراهيم المصري :



الغيرة مرض خطير .. يهدم البيوت ويقضي على السعادة الزوجية .. فاذا شاءت الزوجة ان تصون عش الزوجية ، وتحمي نفسها .. يجب ان تطلق الغيرة الى الابد .. !

ماذا لو أحب زوجك ؟!

الرجل قد يخون امرأته ، ثم يريد ان يفرض عليها الوفاء . انه يقول : أن خيانتى انا لن يترتب عليها اى اثر ، اما خيانة زوجتى فتصيبنى فى شرفى وفى كبريائى وفى سلالتى . انه ينظر الي نفسه والى المجتمع والى مصلحة اسرته فقط ، أما قلب امرأته فلا يعنيه ، واما عذابها فلا يكترث له . ولكن قلب المراة هو قاعدة الاسرة . وكل خيانة تزعزع قلب المراة وتثير غيرتها ، تزعزع بالتالى صرح الاسرة وقد تقوضه . ذلك لان المراة لاتنظر الى الاسرة باعتبارها وحدة اجتماعية قوامها المصلحة فقط ، بل تنظر اليها قبل كل شيء باعتبارها وحدة وجدانية تقتضى المشاركة فى الحب ، والمساواة فى الوفاء والاخلاص

***

وليس من شك فى أن الوفاء المتبادل هو غذاء المراة ، هو حافز حياتها وجهادها واستعدادها لانكار النفس وبذل شتى التضحيات .. فخيانة الرجل لا تطعنها فى كرامتها فقط ، بل تطعنها فى كبريائها الانثوية ايضا . اى فى شعورها بان محاسن امراة غريبة كانت اقدر من محاسنها هى فى اجتذاب الرجل الذى كان

بالامس لها وحدها . وهكذا تنتهك الخيانة شخصيتها بوصفها انثى ، وتنتهك كرامتها امام اترابها والناس وتجردها من كل اعتبار اجتماعي

والمراة متى احست انها منتهكة فى انوثتها وفى نظر الناس ، فهى قد تتمرد وتثور وقد تعصف بها غيرتها الحاقدة فتبذل نفسها عن عمد، كى تثار ممن خانها ، وتؤكد على الاقل فتنة حسنها وسلطان انوثتها، ولو حطمت فى هذا السبيل اسرتها، ومستقبلها ، وحياتها

***

والواقع ان كل زوجة تريد ان تحرص على كرامتها ، لتستطيع ان تحرص على زوجها وبيتها واولادها . بيد ان كرامتها لاتتحقق الا بوفاء زوجها لها . وهذا هو السر فى اضطرابها وخوفها وغيرتها . فهى تخاف من قسط الحرية الذى يتمتع به زوجها فى الخارج ، وتشك فى هذه الحرية ، وترتاب فى استخدامها ، وتخشى أن تتحول من حرية بريئة الى حرية اثيمة تهددها وتهدد ابناءها . فيجب ان نلتمس العذر للمراة فى غيرتها . ولكن آفة المراة كامنة فى خيالها . اذ هى لشدة انسياقها وراء العاطفة والخيال ، كثيرا ما تسرف فى الغيرة القائمة على مجرد الظنون والاوهام . فتكرب الرجل وتثيره . فتنتهى غيرتها الى عكس المراد منها ، اى الى هدم حياتها وتشريد اولادها . ومع ذلك فجوهر غيرة المراة ينهض على الدفاع عن حق مشروع وعلى الرغبة فى خدمة الغير . وهذا ما يجب ان يفهمه الرجل ويقدره. فلا ينزع الى المبالغة فى التشبث بحريته ، ولا يستخدمها ابدا فى التغرير بامراته

والحق ان الرجل كلما احب زوجته ، وعف عن غيرها ، واخلص فى خدمة أولاده وبيته ، تضاعف احساس الزوجة بالاستقرار والامن والثقة . فلطفت هى ذاتها غيرتها من تلقاء نفسها ، ومنحت زوجها عن طواعية واختيار قسطه المشروع فى الحياة والحرية

***

ولكن ماذا يحدث لو تنكر الرجل لواجبه ، واساء استخدام حريته ، وخان امراته بالفعل ؟ . .

هل من مصلحة المراة ان تشتد عندئذ فى غيرتها ، وان ترتعد فرقا امام غريمتها ، وان تنقلب عدوا لزوجها ، وان تفكر هى ايضا فى خيانته بما انه هو ايضا قد خانها ، فتغامر باسرتها وبيتها واولادها ؟ .

كان فى وسعى ان اجيب على هذا السؤال . ولكنى آثرت ان تجيب عليه امراة . امراة أعرفها حق المعرفة ، واعرف أن زوجها قد خانها ، واعرف أنها تعذبت بخيانته عذابا لا يطاق . فكيف قابلت تلك السيدة غدر زوجها ، وكيف عالجت موقفها ، وكيف تصرفت حيال غريمتها ؟ ! . هذا ما اردت ان استجليه منها . وهذا هو اعترافها:

قالت السيدة :

« نحن النساء لا نكاد نتزوج حتى يبدأ كفاحنا المرير للاحتفاظ

بالرجل الذى عقدنا عليه كل آمالنا . ونحن نعلم ان الرجل نظرا لاعتداده بحريته وقوته وبما أحرز أيام عزوبته من نصر على البعض منا ، يظل بعد الزواج متضجرا وقلقا ، ومتبرما بالقيد الذى يكبله بضرورة الاخلاص والوفاء لامرأة واحدة . لذلك نحن نغار عليه ، ونكافح ما استطعنا للاحتفاظ به . ولكنه برغم كفاحنا قد يزهد فينا ، وقد يشرع فى خيانتنا ، وقد يتمادى فى هذه الخيانة الى حد تحطيم بيوتنا وحياتنا . فالتوجس منه على مستقبلنا ومستقبل أولادنا ، يظل كامنا فى نفوسنا حتى ولو كان الزوج رجلا وفيا ومخلصا . بيد اننا اذا وقعت الخيانة بالفعل وعلمنا او احسسنا بها ، تصورنا على الفور غريمتنا ، وهالنا تفوقها علينا . ففقدنا على الفور صوابنا ، واستبدت بنا فى لحظة غيرة مخبولة حمقاء هى التى توردنا فى النهاية ولا ريب مورد التهلكة . وهذا ما اريد أن الفت اليه نظر الزوجات . فلتسمع كل منهن ما سأقوله ، ولتنقشه فى صفحة ذهنها :

***

« صحيح أن الرجل معتز بحريته وقوته وانه ميال الى التمتع . ولكن الملاحظ فى طبيعته انه يقدم فى الغالب على الخيانة للتفريج والتغيير فقط ، ودون ان يفكر اول الامر فى تدمير بيته والانفصال عن زوجته وتشريد اولاده . وهو حتى لو أحب امرأة واتصل بها واتخذها خليلة ، فرغبته فى الحرص على بيته تظل متمكنة منه وعميقة فيه . فشهوته قد تدفعه الى الخارج ولكن قلبه يكون مع ذلك منجذبا الى البيت . فالمعركة اذ ذاك تنشب بين جسده وقلبه ، بين لذته وواجبه ، بين المرأة الغريبة التى لم يعرفها تماما وان يكن قد امتلكها ، وبين الزوجة التى ألفها واعتاد عليها وأعقب منها ابناءه وعاش معها السنين الطوال . فهو اذن حائر وموزع ومتخبط . فاذا اجال البصر حوله فى تلك الفترة ، واحس ان امرأته قد فطنت الى خيانته او تأكدت منها ، وان خيانته قد اشعلت فى صدرها نار غيرة مروعة افسدت اخلاقها وشوهت طباعها واحالتها الى مخلوقة فظة غليظة متمردة ، فهذه الغيرة بالذات هى التى تدافعه الى التشبث بخليلته ، وهى التى تلقى فى روعه أن خليلته لابد أن تكون افضل من زوجته ، وانه لن يجد السعادة الا معها . وعندئذ يكره امرأته الثائرة المتمردة التى جعلت من حياته البيتية جحيما ، فيناصبها العداء فترة ثم يضيق ذرعا بها ، فيطلقها ويهدم بيتها . .

« ذلك هو الخطر المتربص بالمرأة التى يخونها زوجها . اذ هى بغيرتها قد تحطم نفسها وبيتها ، كما ان فى مقدورها لو قهرت غيرتها أن تقهر غريمتها وتسترد زوجها وتنقذ بيتها

« وهذا هو الدرس الذى

استخلصته أنا من حياتي الزوجية .
فقد خانني زوجي مع امرأة مطلقة
دون أن يفكر في الانفصال عني .
فتعذبت أنا بخيانته عذابا مريرا ،
وتمردت عليه أول الأمر وثارت
غيرتي ثورة عارمة . ولكني سرعان
ما شعرت أن هذه الغيرة هي التي
ستبغض زوجي في وتدفعه دفعا
الى طلاقي والاقتران بغريمتي ..
أي الى هدم بيتي وتشريد أولادي
.. **فغالبت نفسي** ، واستجمعت
مدخر قواي ، وعالجت تلك الغيرة
المدمرة بهذه الوسائل العشر التي
أرجو أن تمعن النظر فيها كل
زوجة :

أولا ـ كنت أتعذب . ولكنني
كتمت غيرتي جهدي كيلا أدلل على
ضعفي وقلة حيلتي وعجز أنوثتي ،
فأعترف اعترافا صريحا بأن غريمتي
أقوى وأجمل مني

ثانيا ـ تجنبت كل نزاع يمكن
أن تثيره غيرتي التي أحسست أنها
تشوش عقلي ، وتلهب تصوري ،
وتشيع مختلف ضروب الكبر
والقسوة في أعمالي وأقوالي .
فتضاعف نفور زوجي مني ،
وتسوقه الى طلب الراحة والخلاص
عند غريمتي

ثالثا ـ تفانيت في خدمة أولادي
وبيتي كيلا يجد زوجي في مسلكي
أي عيب يبرر خيانته لي أو يدفعه
في يوم من الأيام الى الانفصال
عني

رابعا ـ لم أدع الهم يتطرق الى
نفسي ، ويؤيسني من قدرتي على
اجتذاب زوجي . فاعتنيت بمظهري
وأناقتي عناية أبرزت جمالي ،
وردت الى الثقة في قوتي على
المجاهدة والكفاح

خامسا : أدركت أن الزوج
لا يقدم على خيانة زوجته الا اذا
أحس بنقص عميق فيها أو بنقص
عميق في الحياة البيتية التي هيأتها
له . فبحثت أنا عن مواطن النقص



في شخصي وبيتي ، وحاولت أن
أستكملها ، مستعينة في ذلك بعقلي
وتفكيري وحسن نيتي

سادسا ـ أخذت زوجي بالرقة
والدماثة والحنان بدل المناواة
والمكايدة والتحدي ، ولم أعترضه
في شيء ، أو أعانده في شيء ، كي
ألقى في روعه أن بيته هو ملجؤه ،
وأنه لن يجد الوفاء والاخلاص

والراحة الا فيه ، ولن يستطيع مهما حاول أن يستغنى عنه

سابعا ـ تربت اليه اولاده ، وحببتهم فيه ، وعودتهم احترامه، كي يزداد تعلقا بهم . فيعز عليه ان يطعنهم فى مستقبلهم وحياتهم لو تمادى فى الخيانة وفكر فى هدم بيته من اجل خليلته

ثامنا ـ ادركت ايضا ان جمود شخصية الزوجة وبلادتها وخمولها، هى التى تدفع زوجها فى الغالب الى غيرتها . فأبيت ان اجمد على حال ، وبذلت جهدى كي أتجدد فى اخلاقى وطباعي ومظهرى ونظرتى الى الحياة ، بحيث أساير كل تجدد يمكن ان يطرأ على شخصية زوجي، فيرى فى شريكة تستجيب لافكاره وعواطفه ، لا مجرد أنثى تعيش لرغبة بدنه وخدمة بيته واولاده

تاسعا ـ تركت له الحرية المطلقة فى غدوه ورواحه ولم اشعره ابدا انه مكبل ، كي يحس بمسئوليته ويقدر ثقتى العظيمة فيه وهو بعيد عنى . فيحاسب ذاته امام ضميره ، ويصبح فى النهاية وفيا لى من تلقاء نفسه

عاشرا ـ أردت برغم خيانته أن أكون أفضل منه ، وان أظل ثابتة على عهده ، حريصة على عفتى ، مستمسكة بشرفى ، ذائدة عن سمعتى ، شعورا منى بأنى لو اطلقت العنان لكمدى وحنقى ، فسأكره ولا ريب زوجي . فيصبح من العسير على ان اواصل الحياة معه ، ومن العسير على ألا انظر الى رجل سواه . وعندئذ تعصف بى غرائزى . فيجرفنى التيار ، فأتدهور وأسقط . وأكون أنا التى هدمت بيتى وشردت أولادى بيدى

***

« هذه هى الوسائل التى استخدمتها لقهر غيرتى ، وقهر غريمتى ، والتغلب على المخاطر المروعة التى كانت تهددنى ..

ولقد نجحت وتفوقت . فأحس زوجي بقيمتى ، وأسرته تضحياتى، وادرك انه يكون نذلا خسيسا مجرما لو ضحي بى وبأولاده فى سبيل خليلته . فزهد فيها ، ثم استفاق ضميره فانصرف عنها ، وعاد الى نادما تائبا مستغفرا

« وفرحت انا وابتهجت ، واعتقدت انى ساعيش العمر كله مطمئنة وسعيدة . ولكن عاطفة جديدة ، عاطفة خبيثة ، عاطفة لم احسب ابدا حسابها ، افاجأتنى اذ ذاك ، وتمكنت منى ، وكدت ان افقد تحت تأثيرها الوبيل كل ما احرزت من تفوق وانتصار

« شعرت برغم توبة زوجي الصادقة ، وبرغم تحوله واستقامته واخلاصه ، ان شيئا بعيدا فى نفسى ما يزال يصدنى عنه ، وانى ما زلت افكر فى خيانته ، وأتوجس منه ، ولا اثق فى توبته ، بل احقد عليه فى صميم ذاتى حقدا عنيدا لانه اذلنى، ولا استطيع الا ان اذكره بفعلته الشائنة الوقت بعد الاخر ، واعذبه بهذه الذكرى واعذب نفسى

« واوشك الحقد الدفين ، حقد

المراة على الزوج الذى خانها ، ان يطغى على ، ويثير خوفى ، ويسمم فرحتى ، ويحطم كل ما بنيت . فارتعدت فرائصي ، وأسرعت فكبحت حقدي ، وحكمت عقلى . ونظرت الى الواقع النقى الصريح الماثل الان فى سلوك زوجي ، وادركت .. ادركت اننا ان لم نقدر توبة التائب ، وابينا الا ان نذكره بذنبه ونعيره به ، فمما لاشك فيه ان ظلمنا اياه لابد ان يوئسه من توبته فلا يدفعه فقط الى كرهنا والى معاودة اقتراف الذنب ثأرا من قسوتنا وحقدنا وظلمنا ، بل يدفعه آخر الامر الى الثورة علينا واليأس من حياة تجمعه بنا ، فيكون حقدنا على ذنب مضى هو الذى يهدد حياتنا كلها اليوم وغدا

***

« وما كدت أشرب نفسى هذه الفكرة حتى ايقنت أن كرم الصفح مقرونا بالنسيان هو الذى يبنى ، اما مرارة الحقد مقرونة بالتشفى افهى التى تهدم . فجاهدت ايضا حتى استاصلت جرثومة الحقد من قلبى ، وصفحت عن زوجي ، ولم اتناس خيانته بل اردت ان انساها تماما وان اسدل عليها وعلى الماضى الستار

« وهكذا ربحت شريك حياتي ، وقهرت غريمتى قبل أن تقهرنى . فانقذت بعقلى وارادتى وصبرى كل شيء : بيتى واولادي ومستقبلي ! » .

***

هذا ما قالته لى تلك السيدة ، وهذا ما يجب أن تمعن النظر فيه كل زوجة يخونها زوجها ، اذا شاءت أن تصون بيتها ، وتحمى نفسها ، ولا تدع الغيرة تفقدها صوابها ، فتلقى بها مهزومة وصريعة عند قدمى غريمة لها

●

الإتعاب

وجد أحدهم فى قطار المترو بباريس ورقة من فئة المائة فرنك على الارض .. فكاد يطير بها فرحا ، ولكنه اراد ان يستوثق من انها ليست مزيفة ، فقدمها الى رجل كان جالسا امامه بالصدفة قائلا :

ــ عفوك يا سيدى .. هل لك ان تخبرنى عن هذه الورقة : هل هى زائفة ؟ ..

فتناول الرجل الورقة ونظر فيها قائلا :

ــ كلا .. انها صحيحة ! ..

ثم وضعها فى جيبه .. وقبل أن يستطيع صاحب الورقة ان يقول شيئا لفرط ذهوله ، استطرد الرجل قائلا :

ــ واعطنى ايضا مائتى فرنك ..

ــ لماذا ؟ .. كيف ؟ .. بل اعطنى انت نقودى !

ــ أنا محام .. والحد الادنى لاتعاب الاستشارة هو ثلاثمائة فرنك ..

إستراحة ٥ دقائق

تشرفنا

كان الكاتب المسرحي الامريكي الشهير يوجين اونيل يكره برناردشو كرها شديدا ويحتقر فنه . وفي ذات يوم كان مسافرا بالباخرة وصعد الى السطح الاعلى ليشاهد المنظر على أحسن وجه . واذا بأحد الضباط يصيح به :

ـ هذا المكان مخصص للربان ومحرم على الركاب . انزل فورا !

فقال له اونيل :

يحسن بك أيها الشاب ان تغير لهجتك فأنت تخاطب اعظم كاتب مسرحي في عصرنا .

ـ آسف جدا .. ولكن مع هذا لابد لك من النزول يا مستر شو !

في الموضوع

كان المارشال مونتجومري يهتم دائما بمراجعة قائمة الافلام المختارة بواسطة الشئون العامة لعرضها على الجنود . وذات يوم استرعى انتباهه عنوان أحد الافلام في تلك القائمة .. لقد كان هذا العنوان « الجيش الاحمر »

وعلى الفور استدعى المارشال جميع الضباط العاملين تحت قيادته في صالة عرض الافلام ، والقى فيهم محاضرة قصيرة عن الاهمية القصوى لآلة الحرب الروسية وانهم يجب ان يفتحوا عيونهم جيدا للاستفادة من كل منظر في هذا الفيلم . ثم اطفئت الانوار وقرأ الضباط على الشاشة العنوان التالي :

« الجيش الاحمر »

« فيلم علمي من حياة النمل »

السبب !

ذهب الوزير السابق ديربتون الى السينما مع زوجته . وكانت امامهما في الصف سيدة تضع على رأسها قبعة من أحدث طراز

والتفتت السيدة بعد قليل وقالت :

ـ عفوكما ـ هل تضايقكما قبعتي ؟

فأجاب الوزير السابق بكل تهذيب :

ـ انها لا تضايقني كثيرا بسبب حجب الشاشة عن عيني .. فهذا ليس مهما .. ولكن المهم ان زوجتي تحدثني منذ دخلنا عن وجوب شراء قبعة مماثلة لها !

George N. Patterson

PEKING VERSUS DELHI

كتاب الشهر

بكين ضد دلهي

تأليف : جورج ن . باترسون

عرض وتلخيص : د . راشد البراوي

بكين ضد دلهي

عندما قامت فى الهند والصين حكومات جديدة ، بقادة جدد وسياسات جديدة ، تحكم ما يقرب من نصف سكان العالم .. ساد الشعور لدى المراقبين أن تشوب النزاع بين الدولتين مسألة وقت فقط ولم تمض عشر سنوات حتى تحقق ما توقعوه . والكتاب الحالى هو احدث وادق ما كتب عن الموضوع ، ويستقصي جذور الخلاف ، والعوامل والقوى الكامنة وراءه ، واحتمالات المستقبل . . .

كان الغريمان الرئيسيان فى آسيا يقدران فى هدوء وسكون امكانية نشوب الحرب بينهما ، انما هى العوامل التى يحتمل أن تعجل بهذا الصراع ! كذلك ، ما هى العوامل التى ادت الى وقوع الازمة الحالية بينهما ولما تنقض على استقلالهما سنوات ثلاث ! .. هذان هما السؤالان اللذان احاول الاجابة عنهما فى هذا الكتاب . واستباقا لما قد يوجه من نقد بسبب ايراد كثير من التفاصيل التاريخية بصدد مناطق مثل نيبال وبوتان وسيكيم ، أود ان اقول ان هذا راجع الى اعتقادى ان فى هذه المناطق تكمن العوامل التى يمكن ان تعجل بالصراع بين العملاقين الاسيويين

الطريق الى باريس

ان الموضوع هام بغير شك لان نتيجة **الصراع بين العملاقين سوف تقرر مجرى تاريخ العالم فى المستقبل .** يذكر ان لينين سبق ان قال (وان لم يكتشف احد بعد صحة ما ينسب اليه) : **« ان الطريق الى باريس يمر ببكين وكلكتا » ، ثم جاء ماوتسى تونج بعد ذلك بسنوات طوال ليعلن « ان الطريق الى غزو العالم يمر بهافانا واكرا وكلكتا »** ، والرجلان على الاقل يتفقان بشأن كلكتا . والى هاتين النبوءتين أضاف نهرو بلهجة قاتمة ان اى عدوان جديد على اراضى الهند سوف يؤدى الى حرب مع الصين ، يمكن أن تسير بالعالم نحو حرب ثالثة

بوابة السلام السماوى

فى عام ١٩٤٩ ، وبينما المانيا واليابان قد بدأتا تفيقان من كابوس الهزيمة ، كانت الصين تتفكك من الداخل ، فالجيش الاحمر قد سيطر على الاقاليم الواقعة شمالى نهر يانجتسى ، وحنوده شيانج كاى شيك فى جنوبه لا تفكر الا فى الهرب . وتدفق على المدن الكبرى ملايين اللاجئين سعيا وراء الطعام والمأوى ، وملايين المشردين بغير قيادة يجولون الريف ينهبون ويسرقون . وحلقت



الاسعار بجنون ،واصبحت العملة الصينية لا قيمة لها ، حتى أني شاهدت اطفالا يلعبون بأوراق من فئة ١٠٠٠٠ دولار صيني . وعندما ذهبت لشراء شيء عادي اضطررت أن احمل معي حقيبة من هذه الاوراق لفئة العشرة آلاف دولار ! هل كانت هذه حشرجة الموت يطلقها شعب ، أو أنها نهاية عصر وبداية عهد جديد ؟

وفي ابريل من عام ١٩٤٩ نفسه اصدر ماوتسي تونج الاوامر الى الجيش الاحمر بالزحف في اتجاه الجنوب والشمال الغربي لتحرير بقية الصين ،وسقطت المدن الكبرى واحدة بعد الاخرى . وفي اول اكتوبر ومن ميدان تين آن من(بوابة السلام السماوي) اعلن قيام الحكومة المركزية لجمهورية الصين الشعبية برئاسة ماو ، وعين شواين لاي رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية . واستدعى الاخير ممثلي الدول في بكين وسلم اليهم رسالة يدعو فيها الى اقامة العلاقات الدبلوماسية بين بلادهم والحكومة الصينية الجديدة

ولم يكد ينتهي الاسبوع الاول من يناير ١٩٥٠ حتى اعترفت « بريطانيا » بالنظام الجديد ، واعترفت به الدول الكبرى في آسيا : الهند ، وباكستان ، وبورما ، واندونيسيا

النذير

في عام ١٩٣٦ زار شواين لاي وشوليه موسكو ، واعلن ماو للدول الاجنبية : «عندما هزم الامبرياليون الصين في الحرب انتزعوا منها الكثير من الولايات التي كانت تابعة لها ، وجزءا من اراضيها» فاستولت اليابان على كوريا وتايوان « فرموزا » وجزر ريوكيو وبسكادورس وميناء بورت آرثر ، فاستولت بريطانيا على بورما وبوتان ونيبال وهونج كونج ، واحتلت فرنسا انام وحتى ان بلدا ضئيل الشأن مثل البرتغال ... انتزع ماكاو »

تايوان ، التبت ، كوريا ، بورما ، بوتان نيبال ، هونج كونج وانام ... هكذا تحددت

سياسة الصين الخارجية ، وهي تحرير الاراضي الصينية السابقة مهما كان الذي يحكمها او يملكها . وامام جمع حاشد في بكين عام ١٩٥٠ خطب شوانيه فقال : « ان جيش التحرير الشعبي العظيم سوف يسير نحو انتصارات اخرى الى أن يتم تحرير آسيا كلها » ، ومن الطبيعي ان هذا التحرير يشمل الهند ايضا ، مما يدل عليه خطاب بعث به ماوتسي تونج الى الحزب الشيوعي الهندي الذي نشره بصحيفته في يناير ١٩٥٠ ، وجاء فيه « من المؤكد ان الهند لن تظل طويلا تحت نير الامبريالية ، وسوف تدخل في الأسرة الديموقراطية الشعبية الاشتراكية »

مواعيد مع القدر

قبل انتصاف ليل ١٤ اغسطس ١٩٤٧ ، وامام البرلمان المجتمع انتظارا للساعة الثانية عشرة مرة معلنة استقلال الهند ، قال جواهر لال نهرو : « منذ سنوات طوال ضربنا موعدا مع القدر » . وبعد أشهر ثلاثة عاد ليؤكد ان « الهند بلد القدر ... **وعلينا ان نتصرف كرجال ونساء اختارهم القدر ، فننظر الى جميع مشكلاتنا على اساس تلك الصورة الكبيرة للقدر وللعالم ولاسيا » هذه الرؤيا المتعلقة بدور الهند الذى اختاره لها القدر ، في الشئون الاسيوية والعالمية هي سر الجهود التي يبذلها نهرو كي يجعل سياساته تعبر الهوة التي تفصل بين القوى المتنازعة ، في داخل بلاده وخارجها**

ما الطريق الذى اختاره القدر للهند والذى تريد ان تسير فيه وأن تحمل معها على السير فيه الدول الاخرى التى تخلصت من الاستعمار في اسيا وافريقيا ؟ كان نهرو منذ عام ١٩٣٦ يؤمن بالتصنيع باعتباره الحل للمشكلات الحيوية التى تواجه بلاده وزادت اسفاره الى الخارج من ايمانه بالاشتراكية مع احترام الفرد في الوقت نفسه ، وكانت اشتراكيته تحمل طابع التفسير الماركسي ولكنه في نفس الوقت يرفض الرأى الذى يعتبر الماركسية مذهبا لايمكن ان يطرأ عليه تحول او تطور . كان يرى ان الهند بحاجة الى ثورة اقتصادية واجتماعية على اساس فلسفة لبنثام وهى تحقيق اكبر الخير لاكبر عدد من الناس ،

وهذه الثورة ممكنة بغير العنف أو الحرب الطبقية . هذه النظرة جعلت منه شخصا فريدا ، ذلك انه كان ماركسيا يؤمن بالاساليب الديموقراطية

هذا الدور نظر اليه الشيوعيون في الصين بعين الشك ، انهم أيضا على موعد مع القدر وهو ان يسير العالم في الطريق الذى اختطوه ، وبخاصة في آسيا . واذن فهناك قوتان تتنازعان الموعد مع القدر ، وهذه القوة يجب ان تكون الصين الشيوعية

تضاؤل الآمال

في قصة حياته يروى نهرو انطباعاته عن الزيارة التى قام بها الى الصين قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية : « ملأنى سرورا انى وجدتهان وليتي في تقاربه الصين والهند ؛ كان يشاركنى فيها تماما قادة الصين ، وبصفة أخص ذلك الرجل العظيم الذى اصبح رمز وحدة الصين وعزمها على ان تكون حرة » وهذا الرجل العظيم كان شيانج كاى شيك الذى تأثر بدوره من الصورة التى ارتسمت في ذهن شعبه وهى رؤية آسيا مستقلة متحدة ؛ ولكن يحدثنا السيد بانيكار انه عندماعين سفيرا للهند في الصين اكتشف ان نظرة الكومنتانج « حزب شيانج كاى شيك » وان كانت ودية ، الا انها نظرة الاخ الأكبر الى اخيه الاصغر

وقام النظام الجديد في الصين وبينما اسرعت الهند الى الاعتراف به كانت آمال نهرو بشأن توحيد اسيا عن طريق التعاون والصداقة بين اكبر بلدين فيها قدتضاءلت فقال في حديث له من الاذاعة البريطانية موضحا اسباب اعترافه :

« لقد اتخذت الصين شكلا جديدا وصورة جديدة ، وسواء نحب هذا الشكل وهذه الصورة ، فعلينا أن نعترف أن شعبا عظيما ولد من جديد وعلى ادراك بقوته الجديدة . وفي هذه القوة الجديدة ، تصرفت الصين احيانا على نحو اشعر ازاءه بالاسف العميق »

ولا شك ان آمال نهرو في التعاون والصداقة بين البلدين الكبيرين زادت ضعفا حينما علم بأمر التعليمات التى بعث بها ليو شاو — تشى من بكين الى الاحزاب الشيوعية في آسيا ، وجاء فيها : « أن الهند التى يتزعمها نهرو لم تحصل على

مركز الدوميتيون اى الممتلكات المستقلة» الا منذ عامين .. ولكن المستر نهرو الذى يركب وراء الاستعماريين وهو عميلهم ، يعتبر نفسه فعلا زعيم الشعوب الاسيوية ... لقد اعلن ان يونان محمية هندية ، والان يعلن ان التبت لم تعترف أبدا بسيادة الصين عليها ؟ . وكانت هذه التعليمات فى سبتمبر ١٩٤٩

اما سر هذه الحملة على الرئيس الهندى فلأنه كان صاحب الفكرة فى انعقاد مؤتمر الدول التسع عشرة الذى اجتمع بمدينة دلهى فى يناير ١٩٤٦ لتعبئة الرأى العام العالمى ضد أعمال هولندا فى اندونيسيا ، ولم يكن الشيوعيون الصينيون قد تمكنوا بعد من اقامة حكمهم فى الصين كلها ، فاحسوا أن الجولة الاولى فى الصراع على الزعامة فى اسيا» قد ربحها نهرو ومعه الهند

بردعة اسيا

فى عام ١٩٤٧ عقد مؤتمر اسيوى فى مدينة دلهى ، دعى اليه الى جانب الوفد الصينى ، وفد يمثل التبت . وفى حفل الافتتاح عرضت فى قاعة المؤتمر خريطة ضخمة لاسيا بدا منها ان التبت تقع خارج حدود «الصين ، فاحتج مندوب الكومنتانج وغيرت الخريطة بعد ذلك . ولما استولى الشيوعيون على الحكم فى بكين كتبت صحيفة « البناء الجديد » تتهم كلا من بريطانيا والولايات المتحدة بانهما « يأملان فى استخدام الهند كقاعدة لهما فى اسيا لمقاومة الديموقراطيات الجديدة .. ان التبت هى الحد الطبيعى للهند .. ولكى يحتفظا بسلطانهما على الهند ، يجب أن يسيطرا على التبت »

فما هى التبت أو « بردعة آسيا » كما يقال . الواقع أن هناك خلطا كبيرا بشأن حدودها ، وذلك لاسباب عدة فى مقدمتها بعد البلاد من حيث الموقع الجغرافى وعدم اهتمام حكومتها بالشئون الخارجية وميل الحكومات الصينية المتعاقبة الى مد حدودها بعيدا نحو الغرب . فبين الحدود الغربية للصين الاصلية والمناطق التى لحكومة التبت الولاية عليها، يقع اقليما خام Kham وآمدو Amdo ويشكلان ثلثى مساحة التبت كلها ويضمان حوالى ٨٠ ٪ من السكان ، وهما أعلى اجزاء البلاد اذ يبلغ متوسط الارتفاع ١٥٫٠٠٠ قدم ، وهناك ٣٩ قبيلة



نهرو آمن بان التصنيع هو الحل الجدى للمشكلات الحيوية

كبيرة فى خام ، ٢٥ فى آمدو. وهذه القبائل اذا لم تتحد فيما بينها ضد عدوها المشترك ، الصين ، فانها تحارب بعضها بعضا فى العادة . والامر الوحيد الذى يوحدها بخلاف ذلك ، هو معارضتهما للحكومة المركزية فى لاسا العاصمة

● ● ●

وحسب اقوال الكتاب الصينيين يرجع اول اتصال بين اهل كل من الصين والتبت الى عام ٢٢٢٠ قبل الميلاد حين طرد الامبراطور شون رجال قبائل سانمو الى اقليم اسمه سان واى الذى كتب عنه الصينيون فيما بعد انه يشكل ثلاثة اجزاء من التبت . وفى سنة ٥٦٠ م هاجم الصينيون لاسا واستولوا عليها ، ولكن فى القرن الثامن اصبحت التبت دولة عسكرية كبرى فى عهد حاكمها لى - لونج ديتسن ، تمتد من العاصمة الصينية شانجان الى نهر الكنج فى الهند ،

ومن حدود تركستان الى بورما ، ولكنها في القرن الثالث عشر أصبحت دولة تابعة للمغول في عهد ملكهم جنكيزخان . وفي عام ١٧٢٧ أقيم عمود عند يوم جنوب غربي باتانج ليبين الحدود بين التبت والصين ، فسلمت جميع الاراضي الواقعة غربي هذا الخط الى الدالاى لاما تحت سيادة امبراطور الصين ، بينما اعتبر زعماء اقليمى خام وآمدو أمراء اقطاعيين وشبه مستقلين وتابعين للصين . وظل هذا التنظيم قائما ومرعيا الى ان غزا الصينيون التبت في عام ١٩٠٥ ــ ١٩٠٦ تحت قيادة الجنرال شاو ايره ــ فنج . ولكن النفوذ الصينى تضاءل بالتدريج . وفي عام ١٩١٢ عقد مؤتمر في سملا يمثل بريطانيا والصين والتبت ، تقسم الاخيرة الى منطقتين وهما التبت الخارجية « القريبة من الهند » والتبت الداخلية « القريبة من الصين » ، واعترف بسيادة الصين على التبت كلها ، ولكن تعهدت الصين بعدم العمل على تحويل التبت الى مقاطعة صينية . وتم الاتفاق في ابريل ١٩١٤ ولكن الحكومة الصينية رفضت التوقيع عليه

هذا هو المكان الذى بدا فيه اختبار السياسة الخارجية للهند ، ففى يولية من ١٩٥٠ اعلنت الهند ان التبت لم تكن ابدا خاضعة للسيادة الصينية . وفي ٣٠ سبتمبر وهو تاريخ الذكرى الاولى لقيام النظام الصينى الجديد أعلن شواين لاى عزم حكومته على « تحرير شعب التبت وحراسة الحدود الصينية » ، ثم اعلن الصينيون في ٢٥ اكتوبر ان عملية التحرير بدأت . **فماذا فعلت الهند ؟ قبلت الامر الواقع** ، اذ يحدثنا « سردار بانيكار » عن الاحتجاج الذى قدمته حكومته الى بكين وان كان ترى اللهجة فانه « اعترف بسيادة الصين على التبت ونفى كل رغبة في التدخل في شئونها »

بهذا تحدد مصير التبت ، ولكن الموقف الذى اتخذته دلهى اظهر للصين أن الهند على استعداد للسير خطوات بعيدة في طريق التنازلات والحلول الوسطى تمشيا مع سياستها القائمة الآن على وجود « دولتين كبيرتين » في آسيا ، وهذا مما يمكن استغلاله على نحو مفيد في مجالات اخرى

هل كانت الهند مخلب قط ؟

سارت الصين في عملية « التحرير » بحذر فاعلنت انها ستمنح أهل التبت الاستقلال الداخلى والحرية الدينية،وسوف تحمى الدالاى لاماوتحترم العادات الموجودة، ولن تعزل الموظفين من مناصبهم . وسر هذا الحذر أن حادثا خطيرا يوشك ان يقع في مكان آخر ، ذلك هو نشوب الحرب في كوريا في يولية ١٩٥٠ . وفي هذه الحرب كان السفير الهندى واسطة الاتصال بين بكين والغرب ، كما قررت الهند ان تلعب دورا في تسوية النزاع ، ورحبت الصين بدور « الوساطة » هذا وشجعته

واخذت العلاقات تزداد توثقا بين البلدين فتألفت رابطة الصداقة بين الهند والصين في ربيع ١٩٥٢، وزارت بكين وفود تمثل النقابات الهندية ، وجرى تبادل الوفود الثقافية ، واشتركت الهند مع غيرها في ايجاد التسوية التى انتهت بتقسيم فيتنام الى قسمين وهى التسوية التى كانت تعتبر نصرا للسياسة الصينية ، وزار نهرو الصين في اكتوبر ١٩٥٤ . وقبل الزيارة باشهر كان قد تم التوقيع على اتفاق وردت فيه لاول مرة عبارة « اقليم التبت التابع للصين »، وكانت المفاوضات قد جرت على اساس خمسة مبادىء اتفق عليها وهى احترام كل طرف لاراضى الآخر وسيادته ، وعدم الاعتداء ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية لاى منهما ، والمساواة والمنفعة المتبادلة ، والتعايش السلمى . وهذه المبادىء دعمها مؤتمر باندونج الذى وصفه نهرو امام البرلمان بانه كان « حادثا تاريخيا »

لقد استفادت الصين من دور الوساطة الذى قامت به الهند في كوريا ، ولكنها لم تتحول في قرارة نفسها عن استراتيجيتها الاصلية وهى ان تكون الزعيم الحقيقى لآسيا . للهند أن تتمتع بالاسترخاء تحت شمس العالم المثالى الذى تتصوره ، أما الصين فستعمل على دعم المكاسب التى حققتها ، وعلى التقدم الى مناطق جديدة . ولهذا لم يمر شهران على انفضاض مؤتمر باندونج حتى عبر الجنود الصينيون حدود الهند في أول غزو

استعلاهي ، وكانوا يستمدون للتسرب الى بورما ، وعزل الاخيرة مع نيبال ، عن النفوذ الهندي

نيبال سيف الالهة

ظلت نيبال ، شأنها في هذا شأن التبت ، حتى عام ١٩٥٤ ، من البلاد القلائل « المغلقة » في العالم ، بسبب تضاريسها الوعرة وموقعها الجغرافي وسط جبال هيمالايا . ولا يعرف أصل الكلمة ، ولكن هناك نظرية تقول انها مكونة من « نيه » No « اسم قديس » ، « بالا » ومعناها « الذي هو موضع الرعاية » فكان نيبال معناها « البلد الذي يرعاه نيه » . ويعرفها الجغرافيون الحديثون بأنها البلد الذي يقع في داخل الحدود الحالية لمملكة جوركا . وهي ملأى بالجبال العالية ، فالى جانب ٥٠ قمة يتراوح ارتفاعها بين ٢٣ ، ٢٩ الف قدم فوق سطح البحر ، هناك أيضا ٢٨ قمة يتجاوز ارتفاعها ٢٢ الف قدم ، ولم يتسلقها أحد وليست لها اسماء تطلق عليها

وتاريخها القديم محوط بالغموض ، الا ان الذي لا شك فيه أن ما يقال له الآن وادي خاتماندو كان في الاصل بحيرة ضخمة ، والوادي نفسه عرضه ٢٤٢ ميلا مربعا ويرتفع عن سطح البحر ٤٥٠٠ قدم ، وتحيط به القمم العالية وتمتد وراءه افرست ، أعلى قمة بالعالم

لسنا نعرف على وجه التحديد كيف تحولت البحيرة الى واد ، ولكن الهندوس والبوذيين الاوائل ينسبون هذا الى الالهين كريشنا ومانجوسري Manjusri اللذين شقا ممرا في الجبال بضربة سيف واحدة فاختفى الماء من البحيرة . وبغض النظر عن المعجزة فان اسم الاله الثاني يتكون من كلمتين وهما « سري » Sri ومعناها « الوفور » مانجو أومانشو أي متشوريا . ويقال ان هذا الاله جعل دار ماكار أول ملك على نيبال ، وراح الاثنان ينظمانها وفق الخطوط الصينية ، مما لاتزال تلمس آثاره لا في المعرفة والتجارة والثقافة النيبالية فحسب ، بل وفي الابنية أيضا

رئيس الوزراء بالوراثة

وتقلبت حظوظ نيبال الى أن دخلت في



ماوتسي تونج .. رأى تحرير الاراضي الصينية . . .

دائرة النفوذ البريطاني غير المباشر بمقتضى معاهدة وقعت في عام ١٨١٦ . وظلت البلاد نهبا للمنازعات والمؤامرات الى أن تولى جونج بهادور رئاسة الوزارة ، وهو الذي دبر بإيعاز من الملكة المذبحة التي راح ضحيتها ٥٠٠ من النبلاء ، واخذ يقضي على خصومه واحدا بعد الآخر ، وعمل على تزويج افراد اسرته من افراد الاسر الغنية ذات النفوذ ، وتقرب الى الانجليز

وعمل على تمدين البلاد ورفع مستوى المعيشة ، وعدل القانون الوحشي الذي كان يعاقب الجرائم الصغيرة بفقأ الاعين وقطع الايدي والشنق ، الا أن أهم ما استحدثه انه جعل وظيفة رئيس الوزراء وراثية في اسرته ، على أن يتولاها أكبر الاخوة الاحياء سنا ، ويعهد الى من يليه في السن بالمناصب الرئيسية الاخرى في المملكة ، ولكنه لم يعمد

الى التاج الملكية . وحصل الملك على أن يمنحه حق الحياة والموت فى نيبال وتعيين الموظفين وطردهم ، واعلان الحرب وعقد الصلح ، وعلى اضفاء هذه السلطات على خلفائه . غير أن انغماس الاسر الكبيرة فى نيبال فى العلاقات النسائية غير الشرعية تطلب اجراء تعديلات فى نظام « الرانا » « رئاسة الوزارة » فقسم افراد الاسرة الى طوائف ثلاث وهى الطائفة «أ» وتشمل الاولاد الشرعيين ، والطائفة «ب» وتشمل الاولاد الذين يعترف الازواج الرانا بالزواج بنساء من خارج الاسرة وذلك بعد الولادة ، ثم الطائفة « ج» وهم الاولاد غير الشرعيين . ومهما يكن من أمر فقد كان الحكم فى نيبال احتكارا لقلة من الاسرات الاقطاعية ، ولهذا بدأ الشباب الذى تلقى علومه فى الهند يفكر فى اصلاح الاوضاع ، واخذ يتأثر بالحركة القومية الهندية التى نشطت فى القرن العشرين

الانقلاب الملكى

وبالرغم من أن الهند كانت تؤيد ايةحركة ديموقراطية فى نيبال الا أنها لم تبد اهتماما مباشرا بالتطورات الجارية فيها ، ولكن لما استتب الامر للشيوعيين فى الصين ، بدأت الحكومة الهندية فى عقد سلسلة من المعاهدات مع الدول الواقعة على حدودها، فوقعت معاهدة مع بوتان فى ٨ اغسطس ١٩٤٩ ، ومع سيكيم فى ٥ ديسمبر ١٩٥٠، واخيرا — وبعد مفاوضات طويلة مضنية — مع نيبال فى يولية ١٩٥٠

اما سياسة الهند ازاء نيبال فقد حددها نهرو فى خطاب القاه امام البرلمان فى ١٧ مارس ١٩٥٠ بعد زيارة قام بها رئيس وزراء نيبال لدلهى ، بقوله : « ليس فى امكان الحكومة الهندية أن تسمح بالعدوان على نيبال من اية جهة ، حتى مع عدم وجود تحالف عسكرى بين البلدين . ان اى غزو يمكن أن تتعرض له نيبال .. سوف يمس سلامة الهند »

غير أن الاحوال الداخلية فى نيبال اخذت تزداد سوءا بسبب سيادة الاقطاع وانتشار الفساد والرشوة ، ودعا حزب المؤتمر النيبالى الى العصيان المدنى والقيام باضراب عام فى ١٢ يناير ١٩٥٥ ، وطالب بطائفة من الاصلاحات والحريات ، وتدين ولى العهد اتهمهم بالعلول عن الحركة واعدا باتخاذ الاجراءات الفعالة لاجابة هذه المطالب . ومات الملك وكان يعالج فى فرنسا ، فخلفه ولى عهده ، الملك الحالى ما هندرا بيربيكرام شاه ديفا

وفى ١٢ فبراير ١٩٥٩ أعلن دستور جديد لاول مرة فى البلاد ، ولكن الملك احتفظ لنفسه بسلطات واسعة بشأن اختيار رئيس الوزراء واقالته ، وتعيين اعضاء مجلس الدولة « شبيه بالمجلس الخصوصى فى بريطانيا » . واجريت الانتخابات فأحرز حزب المؤتمر الاغلبية . ولكن خطرا جديدا من ناحية الشمال قد نشب بسبب التطورات التى وقعت فى التبت وبلغت ذروتها فى فرار الدالاى لاما فى مارس ١٩٥٩ ، كما قامت الصين بعد هروبه باستعدادات عسكرية على طول حدود التبت وبخاصة حدودها مع نيبال ، وهنا صرح نهرو بعد زيارة الى الهند قام بها رئيس وزراء نيبال كويرالا ، بأن الهند لن تقف ساكتة ازاء أى اعتداء على نيبال ، فاثار التصريح موجة الغضب فى الاخيرة اذ اعتبرته تدخلا فى شئونها

وفى ١٥ ديسمبر ١٩٦٠ أعلن الملك انه قرر أن يتولى الحكم مباشرة وانه زج برئيس الوزراء وغيره من الزعماء السياسيين فى السجن ، وقامت حملة معادية للهند فى البلاد اذ ترددت الشائعات بأنها كانت تنوى ارسال قوة عسكرية لمساعدة رئيس الوزراء قبل وقوع الانقلاب الملكى . اما حكومة بكين فأيدت الاجراء الذى تم ، وزار شواين لاى نيبال ، ثم شكلت لجنة لتخطيط الحدود ، كما زار الملك بكين . كانت سياسة الصين العمل على ارضاء نيبال وبورما كى تبعدهما عن الهند ، ووقعت معاهدة بشأن الحدود وراحت الوكالات الرسمية فى نيبال تعلن أنها حصلت على كل طلباتها وبخاصة فيما يتعلق بافرست التى لها رنين عاطفى فى نفوس الاهالى . ولكن لما نشرت المعاهدة فى ١٣ اكتوبر ١٩٦١ اتضح أن القمة ستظل تابعة للبلدين . ثم عقد اتفاق اخر سمحت به نيبال للصين بانشاء طريق يربط بين التبت وخاتماندو وبذلك يربط لاول مرة الصين بعاصمة نيبال وللامر أهمية من الناحية الاستراتيجية

لقد لعبت بكين دورها بمهارة وكسبت ود

قبال وأبعدها عن الهند . ولكن ماتزال ترن عبارة ماوتسى تونج التى سبق أن اقتبسناها « .. لقد استولت بريطانيا على بورما وبوتان ونيبال .. »

الدالاى لاما يهرب

بدأت الصين تنفذ فى عام ١٩٥٢ تخطيطا للاصلاح الزراعى ولكنها قصرته على التبت الشرقيـــة . وفى عام ١٩٥٤ وقع حادثان على جانب كبير من الاهمية ، أولهما توقيع الاتفاق التجارى بين الهند والصــين ، واعلان المبادىء الخمسة التى وردت فيها لاول مرة عبارة « اقليم التبت التابع للصين » مما اثار شكوك أهل التبت اذ شعروا ان البلدين يتصرفان فى شئون بلادهم كمــا يشاءان . والحادث الثــانى هــو زيارة الدالاى لاما لبكين ، وهذه الزيارة اقنعته بأن الصين لن تتردد من اى عمل يحول بلاده الى مقاطعة تصطبغ بالصبغة الصينية تماما . وفى اثناء زيارة قام بها بين عام ١٩٥٦ ومارس ١٩٥٧ الى الهند بقصد الحــج طلب من حكومة الهند السماح له بالالتجاء اليهــا ولكنها اقنعته بالعودة الى عاصمته

***

لكن الثورة فى التبت الشرقية اشتدت ثم انتقلت روح المقاومة الى لاسا تفــوق عام ١٩٥٩ .. وفجـــأة اعلن ان الدالاى لاما وحاشيته وصلوا الى الهند ، ومن الطريف ان النبأ اذيع من بكين وثارت المعارضـــة فى البرلمان الهندى وتساءلت عن الطريقـة التى استطاعت بها الصين ان تعرف هــذا السر ، وقالت انه لابد ان هناك عمـــلاء للصين فى المستويات العليا من الحكومة . وشنت بكين حملة دعاية عنيفة ضد الهند وأعلنت ان ماحدث فى ذلك الاقليم الجبلى هو مســالة داخلية بحته تخص الصين وحدها « ولم يعد سرا ان ما كان الدالاى لاما يفكر فيه لدى وصوله الى الهند هو مناشـــدة الامم المتحدة بتقديم المساعدة العاجلة من اى نوع — عسكرى واقتصادى وسياسى —



شواين لاى .. له دور كبير فى سياسة الصــين ...

للتبت ، ولكنه التزم الصمت بناء على توجيه من المستر نهرو ، ومن مستشاريه » وفى نوفمبر ١٩٥٩ توجه وفد من أبناء التبت الى الامم المتحدة طالبا منها ادراج الموضوع فى جدول أعمالها ، ولكن الدول الكبرى ابت أن تثير الموضوع

خط ماكماهون

ان الاقليم الجبلى الذى يحد الهند من ناحية جبال هيمالايا ، يمتد اكثر من ٢٠٠٠ ميل ، ويبلغ عرضــه فى المتوسط حوالى ٢٠٠ ميل . وتقول الهند ان المناطق الواقعة على امتداد هذه المسافة الطويلة من جبال كوان لون فى اقصى الشمال الى اتصالهــا ببورما فى الجنوب الشرقى ، كانت دائمــا داخلة فى الاختصاص الهندى وان قامت فيها احيانا امارات مستقلة . وفى سنــة ١٩١٢ عقد مؤتمر فى سملا « كما قلنــا » برئاسة سيرهنرى ماكماهون ، وصــل الى

اتفاق وقعه ممثلو أعضائه الثلاثة ، بريطانيا والصين والتبت ، بالأحرف الأولى ، ولكن الحكومة الصينية رفضت التصديق عليه، بينما صدقت عليه بريطانيا والتبت . وكان خط ماكماهون الذي أقره المؤتمر يكون الحد الشمالي والحد الشمالي الشرقي لولاية آسام ، واطلق على منطقة تتعمق مسافة ١٠٠ ميل داخل هذا الحد ، اسم « وكالة الحدود الشمالية الشرقية » وتعرف اختصارا باسم نيفا NEFA . هذه المنطقة الأخيرة والواقعة بين بوتان وبورما تطالب بها الصين أيضا ، واحتلت جزءا منها في عام ١٩٦٠ ثم غزتها كلها بعد ذلك

نجاشي بوتان له ١٠٠ زوجة

ان تاريخ بوتان القديم ضاع بسبب نكبتين ، الحريق الذي شب في ديربوناخا ، وزلزال عام ١٨٩٧ اللذان دمرا الكثير من المباني الهامة التي تضم المخطوطات . وكذلك دمر حريق في سوناجاشي أكبر دار للطباعة في البلاد . وتروي الأساطير أن من أعظم الشخصيات في تاريخ بوتان حاكم يعرف باسم نجاشي ، بصفة كتابها بأنه كان يمتاز بحكمة سيدنا سليمان ، ويقال انه تزوج أجمل النساء في الهند والتبت وبلغ عددهن المائة . ويحيط غموض اشد بأصل بوتان وشعبها ، بل ان كلمة « بوتان » لا يعرف من أين تشتق ، ولكن العلماء يعتقدون ان أهل التبت ، وبوتان من عنصر واحد ، فالبوتانيون من نسل أهل التبت القدماء ، وبخاصة من التبت الشرقية ، وامتزجوا بقبائل آسام ، ولكنهم ما يزالون محتفظين في حياتهم بخواص أهل التبت وهي طول القامة وقوة البنية ، وبملامح المغول ، اما في سفوح الجبال فهم أقصر قامة ولونهم أميل الى السمرة ويقتربون من الهنود . وتبلغ مساحة بوتان اليوم ١٨٠٠٠ ميل مربع تقريبا ، وحدها الشمالي الذي ينتظر ان يلعب دورا حاسما في المستقبل القريب لم يخطط بوضوح أبدا . وتمتد الحدود الجنوبية بحذاء سفوح الهيمالايا حيث تلتقي بسهول الهند في مناطق الشاي بالبنغال الشمالية وآسام ، ولكن معظم هذه المناطق كانت من قبل تابعة لبوتان ثم ضمتها بريطانيا بالقوة وفي عام ١٨٦٥ وقعت معاهدة بين بريطانيا وبوتان ، عدلت في عام ١٩١٠ وبمقتضى التعديل تعهدت الحكومة البريطانية بعدم التدخل في شئون بوتان الداخلية، ومقابل هذا تعهدت الأخيرة بأن تسترشد بتوجيهات الحكومة البريطانية ، في علاقاتها الخارجية وهذه المعاهدة التي كان القصد منها منع استعمار الصينيين لبوتان ، صدقت عليها حكومة الهند المستقلة في عام ١٩٤٩ .

ويبلغ عدد سكان بوتان ٧٠٠,٠٠٠ وهو رقم يدعو الى الشك ، اذ قدر في عام ١٩٢٥ بما لا يزيد من ٣٠٠ الف نسمة

وبالرغم من ان حكومة الهند أعلنت انها ستواجه أي اعتداء على بوتان ، الا ان أهل الأخيرة يشكون في هذا خاصة ان الراجا توجه الى دلهي من أجل عقد اتفاق عسكري فلم ينجح في تحقيق الغرض . اما الصين فواصلت حشد قوات كبيرة على حدود بوتان ، وعملت على نشر دعايتها بين أهلها ، ووعدتهم بالكثير من المساعدات . « ودعاية الصينيين ذكية ، فهم لا يكتفون ببيان المظالم الناشئة من وجود الاقطاع في كل مكان ، ولكنهم يدفعون اثمانا طيبة لجميع البضائع التي يشترونها .. وهم يبينون أيضا ان أهل بوتان والتبت من أصل واحد ويتكلمون لغة واحدة ويعترفون بالدالاي لاما رئيسا روحيا لهم ، وان تجارتهم كانت دائما مع التبت ، وان الصلة بين أهل بوتان والهند ضئيلة او لم يكن لها وجود »

ان في بوتان شعورا قويا معاديا للهند ، وبالرغم من انهم ليسوا شيوعيين الا انهم كانوا مرتبطين بجيرانهم الذين في الشمال بروابط تاريخية واقتصادية وجنسية ، واذا اختار الصينيون الزحف على بوتان فسوف يقولون ان التاريخ والشعب يؤيدانهم ، بينما لن تستند الهند الا الى نص في معاهدة ورثتها من عهد الاستعمار البريطاني . ان سقوط بوتان في أيدي الصينيين يجعل سيكيم عديمة القيمة من الناحية الاستراتيجية ويمنحهم الحق بالمطالبة بمناطق دارجيلنج ودوارز وهي أعظم جهات العالم انتاجا للشاي، وبحقول البترول في آسام ويصبحون في سهول البنغال الغربية ولا يبعدون عن كلكتا بأكثر من ٣٠٠ ميل ..

الخنجر المسموم

ان اقليم سيكيم صغير وفير ذي شأن لولا

ان وادى شومبى وهوعلى شكل مثلث مقلوب والذى يحتله الآن جيش التحرير التابع للصين الشعبية ، يشبه خنجرا مصوبا الى قلب الهند. وتقع دولة سيكيم على الهيمالايا الشرقية، وتحدها التبت من الشمال والشمال الشرقى ، وتتاخمها بوتان من الجنوب الشرقى ونيبال من الغرب ، ومنطقة دارجيلنج « بالبنغال الغربية » من الجنوب . وتبلغ مساحتها ٢٨١٨ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ١٦٥ر٠٠٠ نسمة . وطبقا لمعاهدة عقدت فى مارس ١٨٩٠ بين بريطانيا والصين اعترفت الاخيرة بحماية بريطانيا على سيكيم . وعلى اساس هذه المعاهدة وقعت سيكيم فى ٥ ديسمبر ١٩٥٠ معاهدة اعترفت فيها بحماية الهند ، ومع احتفاظها باستقلال داخلى الا انها سلمت الى حكومة الهند ادارة شئونها الخارجية

ولكن الصين اعترضت على ان يكون للهند وضع خاص هناك نورالخست فى مؤتمر لجنة الحدود المنعقد فى عام ١٩٦٠ مناقشة حدود سيكيم وبوتان ، واعلنت أن معاهدة ١٩٥٠ باطلة لان المهراجا الذى وقعها ليس الحاكم الشرعى وانما هو من سلالة عميل عينه البريطانيون فى القرن الماضى ، أما الحاكم الشرعى فهو لاما التبت . وتحشد قوة صينية قوامها من ٥٠ الى ١٠٠ الف رجل فى الممرات المؤدية الى سيكيم كما يقوم الصينيون بانشاء الاستحكامات وأوكار المدافع ومد الطرق . وتحذرهم الهند من انها ستقاوم اية محاولة من جانبهم « لتحرير » سيكيم التى هى تحت الحماية الهندية

ولكن الشعب فى سيكيم ثائر على السياسة الهندية وثائر على المهراجا الذى اعلن انه خطب فتاة أمريكية

طريق الغزو

ان دارجيلنج وكاليمبونج مدينتان صغيرتان عند سفوح الهيمالايا فى شمال البنغال ، ولكن اهميتهما تتجاوز حجمهما بشكل واضح لانهما تقعان على جانبى نهر تيستا الذى يقول عنه خبراء الهند العسكريون انه الطريق الذى يحتمل ان يستخدمه الصينيون فى حالة غزو الهند . وتتمثل ثروة دارجيلنج فى زراعة الشاى ولكنها تأثرت كثيرا فى السنوات الاخيرة بفعل الضرائب الفادحة التى فرضتها حكومة الهند على الزراع



الدالاى لاما .. هرب امام الجحافل الصينية

نتيجة حاجتها الى المال لتنفيذ مشروعات التنمية . وانتشر الاستياء وعم السخط وهذا ما استغله الدعاية الشيوعية . ولقد قال الحزب الشيوعى فيها أن الحدود بين الهند والتبت لم تخط نهائيا ، وطالب باستقلال دارجيلنج الذاتى كخطوة فى الطريق الى ضم البلدة الى الصين

واخيرا

ماذا سيتمخض عنه المستقبل ؟ ان العرض الذى قدمناه يبين انه منذ ان نجحت الصين فى « تحرير » التبت فى عام ١٩٥٠ لم تخف اطماعها فى الاستيلاء على الاقاليم التى ترى انها كانت تابعة من قبل لها، ومنذ البداية واصلت الصين سياستها ومنذ ان تحركت قواتها الى لاداخ واحتلتها كان العمل تذيرا بما قد يعقبه وهو نيبال وسيكيم وبوتان . ان هناك صراعا على زعامة آسيا ، فهل يتزعمها ماو او نهرو ؟ وهو سؤال تنطوى الاجابة عليه على اخطر النتائج بالنسبة الى التاريخ ، لا فى آسيا وحدها فحسب بل وفى العالم ايضا



روايات الهلال
تقدم
قصة مدينتين
الجزء الأول
بقلم
تشارلز ديكنز
رئيس التحرير
طاهر الطناحي
تصدر ١٥ يونية
الثمن ٨ قروش

صوفي عبد الله

حواء الجديدة



الجمال والذوق

الذوق كالجمال .. هبة .. حين تغدقها الطبيعة على أحد من الناس تكون قد أعطته كنزا من أثمن كنوزها التي لا تقدر بمال ..

الذوق الفطري .. كالجمال الطبيعي .. نعمة لا تستطيع يد الانسان ـ مهما بلغت براعتها ـ أن تصل الى مستواها الرفيع ..

ولكن يد الانسان كما تستطيع أن تعالج عيوب الجمال الفطري تستطيع أيضا أن تتدارك بالتهذيب جوانب النقص في الذوق الفطري ..

فمن التي ترضى لنفسها أن تظل عيوب شكلها أو قوامها أو شعرها معرضة لعيون الناس التي تنظر اليها من تحت لفوق ومن فوق لتحت ؟ .

من اجل هذه الغيرة الشديدة على الجمال ، كانت صناعة التجميل من أقدم صناعات الحضارة .. ولااظن صناعات كثيرة سبقت استخدام زيت الشعر والكحل .. ولا اظن فنونا كثيرة اهم عند المراة اليوم من مبتكرات الازياء ، وجراحات التجميل ، ومبتكرات تصفيف الشعر ..

اهتمام طبيعي ومعقول ... وضروري ، ولولاه لصارت الكرة الارضية معرضا للقبح لا متحفا للجمال كما هي الان ..

ولكن ما قيمة الجمال والتجميل، من غير ذوق .. او استذواق ؟ .

الذوق هوجمال الروح .. وجمال السلوك .. ورشاقة التصرف

المبنى على تفكير واحساس ..

وهذا النوع من الجمال .. جمال الذوق .. أحس فى بعض الاحيان ان جيلنا الصاعد .. الجيل الذى ورث تركة المساواة والحرية .. فى حاجة الى معاهد متخصصة فى الارتفاع بمستواه. معاهد لا تقل عددا ومهارة عن صالونات الحلاقين وبيوت الازياء .. وكما تتعلم الفتاة الجديدة كيف تلبس وتتزين وكيف تتكلم .. وكيف تمشى برشاقة هى موسيقى العيون .. يجب أن تتعلم أيضا أشياء كثيرة دقيقة ناعمة تدخل تحت عنوان الذوق ..

وكما تغيرت مقاييس الجمال من جيل لجيل .. تغيرت أيضا أحكام الذوق السليم والسلوك الانيق من جيل لجيل

جمال زمان جدا كان جمال التختروان . ثم اصبحت المرأة الجميلة هى الدمية الرقيقة الضعيفة التى تتمسكن حتى تتمكن .. وعلى الرجل أن يحميها ويضربها ويتقاتل عليها .. لانها ضعيفة مكسورة الجناح يجب أن يضعها تحت جناحه ..

واصبحنا فى عصر جديد .. وزاحمت المرأة الرجل فى كل شيء : فى العمل ، فى العلم ، فى كسب لقمة العيش .. وفى لبس الافرول والبنطلون .. وزاحمته أيضا فى السماء ..

وفتحنا عيوننا على مقاييس جديدة للجمال

جمال اليوم خفة ونشاط وقوة

ولابد للجمال الجديد من سلوك جديد ، وذوق جديد

ان الفتى اليوم لا يرى من واجبه أن يخلى مقعده فى مكان عام لسيدة ولو فى سن أمه ، لانه فتح عينيه على حواء قوية قادرة تزاحمه وتنافسه وليست أضعف منه فى شيء ..

وقد يكون هذا مفهوما أو غير مفهوم ، ولكنه لا يعنينا ..

أما الذى ليس مفهوما ان حواء الجديدة القادرة القوية تعفى نفسها من مسئوليات قوتها وقدرتها ومكانتها ..

لقد كانت تتمتع بحقوق الضعيف حينما كانت ضعيفة ، وكان الرجل يعتبر نفسه مسئولا بحكم قوته عن ضعفها .. فكيف لا تلتزم حواء الجديدة القوية بمسئوليات قوتها؟.

كان الرجل يقف لها ويجلسها يوم كانت « حرمة غلبانة » فكيف لا تقف هى اليوم وتجلس الرجل كبير السن والمريض والمرأة الحامل والسيدة العجوز ؟

ان المساواة مع الرجل لا تعنى مجرد « البرطعة » ، والانتشاء بالتحرر الطارىء .. فهناك بعد هذه المساواة النظرية قاعدة للافضلية لا مفر من أن تحترمها حواء كى تحترم نفسها وتثبت انها جديرة بالاحترام من الرجال ..

جال هذا بخاطرى يوم شهدت حفلا لتكريم شخص له مقامه الرفيع

فى دنيا الفن والعلم والادب .واكتظ المكان بجمع كبير من تلاميذوتلميذات الرجل العظيم ومعظمهم من شباب الجنسين الذين لم يتموا تعليمهم بعد يحتلون المقاعد الامامية من حوله

وحدث أن وصل احد المدعوين ، وكان معروفا بمكانته الادبية فوقف صاحب الحفل يرحب به ، ونظر حواليه لعله يجد له مكانا مناسبا ولكن أحدا لم يتحرك من مكانه ! فلا العلم ، ولا المكانة ، ولا اى شيء فى الدنيا ، استطاع أن يهز القطيع الصغير ويشعره بالخجل من تصرفاته المعيبة ! .

ووضع القادم الكبير حدا للحرج بأن انزوى بين شابين صغيرين شاركهما كرسيهما بضع دقائق ثم تسلل خارجا ..

وقلت فى نفسى : شيء سخيف ..

ولكن الجلسة كانت تدخر لى ما هو أسخف : فقد دخلت سيدة مشهورة ، ذات مكانة مرموقة ، ووقف المحتفى به يحييها ، وظل واقفا عسى أن تجد لها مكانا ..

وتطلعت الى « المحروسات » اللاتى تحدق كراسيهن بالرجل وما منهن الا وهى تعرف هذه السيدة .. وهى بحكم السن والاثر العام بمثابة الاستاذة لاساتذتهن .. ولكن كل محروسة من هؤلاء كانت ـ على مايظهر ـ مقتنعة بأن فورمة شعرها المنسقة وثوبها المحبوك وكعبها العالى يعفيها من قواعد اللياقة والذوق .. « ولا حدش احسن من حد » .. « وكلنا بنات تسعة » ..

ان المسألة ليست بهذه البساطة .. او هذه الفوضى .. فهناك افضلية السن ، وافضلية العلم ، وافضلية الخدمة العامة .. وعشرات المعايير التى تحدد مراتب الاحترام لذوى الفضل

واذا كان الثراء فى بعض المجتمعات يفرض احترام أصحابه ، وكان الجاه يفرض احترام اصحابه . فليس معنى انتهاء دولة المال والجاه انتهاء دولة الاحترام والتقدير ، بل كل ما هنالك ان موجبات الاحترام والتقدير الان اصبحت ذات طابع جديد ..

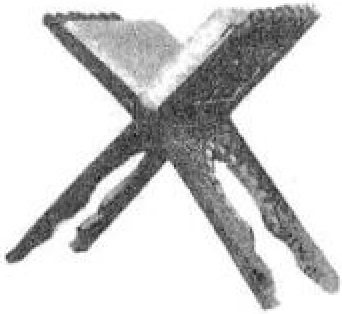
ان الفتاة التى لا تحترم السن ليست جديرة بحقوق الحرية التى ورثتها فى هذا العصر بلا مجهود . والفتاة التى لا تحترم العلم والراى ليست أهلا لحقوق الحرية التى ورثتها وهى تجهل ثمنها ومسئوليتها .. لانها لاتختلف فى شيء عن الوارث السفيه الذى ولد بملعقة من ذهب فى فمه ، فهو فرحان بشبابه وميراثه لا يشعر ان لاى شيء فى الدنيا قيمة الا شخصه الغالى ..

نريد لكن اخلاقا تتناسب مع حريتكن المكسوبة ومساواتكن . نريد رقة فى الاحساس لا بلادة . نريد حياء واحتراما للاقدار وللسن وللمرض وللامومة ..

نريد هذا كله لان القوة والحرية بغيره ، تكون طاقة جامحة عمياء .. تكون خسارة لا كسبا



الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
روائع المسرح العالمى
٥٠
الخصى
تأليف: ترونتيوس أشير
دكتور محمد سليم سالم
ترجمة: أحمد رفعت
راجعه: دكتور محمد صقر خفاجة
سلسلة مسرحيات عالمية لأقلام الصفوة الممتازة من أعلام الكتاب مع دراسة لكل كاتب وتحليل لكل مسرحية
تصدر يوم
٤
يونيو
١٩٦٤
الثمن
٥
قروش
التوزيع مكتبة الخانجى .. القاهرة
١١ شارع عبد العزيز - ت: ٤٣١٤٨
وتطلب من: مكتبة المثنى - بغداد ● مكتبة دار العلم للملايين - بيروت
مكتبة المنار - تونس ● مكتبة الرشاد - الدار البيضاء



مكتبة مجلة الهلال العربية

أسس الفلسفة

تأليف : الدكتور توفيق الطويل
الناشر : دار النهضة العربية
الثمن : ٧٥ قرشا

هذا عالم يكتب مستانيا ، ويفكر مستانيا، ويعبر مستانيا ، فتحس وأنت تطالع بحثه أنك في صحبة رجل أمين شديد الاحساس بمسئوليته ، حريص على النهوض بها . ومن عناصر الامانة عنده أن يكون واضحا مبسطا ، لا يحاول الاحتماء وراء الغموض والغطغطة

ويزيد من صعوبة هذه الخطة أن موضوع الكتاب « أسس الفلسفة واصولها » جعل على المؤلف أن يكون محايدا ، يذكر عيوب كل مذهب ومحاسنه ، ولا يرفض المذهب الواحد جملة . فبالغا ما بلغ ضيق الباحث بمذهب ما ـ أو حتى بالاسس التى يقوم عليها مذهب ما ـ فانه واجد فى ثناياه بعض ما يروقه ويرضيه، ومثل هذا يقال عن المذهب متى كان مثارا لاعجاب الباحث المنصف : ان مواضع الضعف لا يتنافى وجودها مع مواطن الاعجاب ، ومنهج البحث العلمى لا يحتمل التحيز ولا يستقيم مع التعصب ، ولا يضيق بالنزاع بين المذاهب وهى تنشد الحقيقة فى مظانها

ويبدو منهج المؤلف على أجل صوره فى مناقشته للفلاسفة الوضعيين الذين ينكرون قيام الفلسفة أساسا ولا يسلمون الا بشكل بحث يمكن تحقيق نتائجه بالتجربة ، وبذلك ينتفى ـ فى مذهبهم ـ كل نزاع فكرى حول الحقيقة بالمعنى الفلسفى . فهو يناقش هذا الرأى بسماحة وان كان يضيق به أشد الضيق وينكره أشد الانكار ، بيد أنه يحرص على بيان مواضع القوة فى مذهبهم هنا حرصه على بيان مواضع النقص والتهافت

•••

والكتاب فى خمسة أبواب يعرض فى أولها مجال الفلسفة ومنهجها مع الموازنة بين منهج البحث عند العقليين وعند التجريبيين . ويبين كيف تنقسم الفلسفة الى بحث الوجود وبحث المعرفة وبحث القيم . ثم درس كل بحث منها بالتفصيل فى باب مستقل وبذلك تمت أربعة أبواب وبقى باب أخير خصصه المؤلف للفلسفة الاسلامية قائمة برأسها مجالا ومنهجا ، قياما بحق العروبة على المؤلف والقراء . وانصرف الكلام فى هذا الباب بالطبع الى علم الكلام والتصوف اجمالا

وفى نهاية الكتاب الضخم كشاف رائق

لكبار الاعلام فى الفلسفة مع تاريخ وفاة من مات منهم ، ويلى ذلك دليل لاهم المذاهب والمدارس ، وفى النهاية معجم فى ترجمة المصطلحات والمسائل · مع عناية المؤلف بذكر مصادر كل فصل فى ختامه ، وفى هوامش صفحاته ، فجاء الكتاب ذخيرة لدارسى الفلسفة لا تقدر بثمن

النظام الدولى والسلام العالمى

تاليف : ا·ل·كلود
ترجمة وتصدير وتعقيب :
الدكتور عبد الله العريان
الناشر : دار النهضة العربية
مؤسسة فرانكلين
الثمن : ٩٠ قرشا

نشر المؤلف هذا الكتاب فى لغته الاصلية بعنوان أدبى شاعرى هو « من السيف الى المحراث » وان كان فى حقيقة موضوعه كتابا عن النظام الدولى والسلام العالمى · ولذا آثر المترجم الفاضل ان يترجمه بذلك العنوان العلمى الصريح ، ولا سيما أن المؤلف نفسه يمثل وجهة النظر التنظيمية التجريبية فى السياسة الدولية ، وليس من أنصار المدرسة المثالية الخيالية ، ولا من نقيضتها المدرسة الواقعية التى تأخذ بالامر الواقع

فالمدرسة التنظيمية التجريبية اذن هى « الوسط الذهبى » بين أحلام فلاسفة السلام ومشروعاتهم المثالية – من قبيل «كانت» و «بنثه» و «سولى» وبين واقعية الدبلوماسيين العملية التى تعتبر العلاقات الدولية «عمليات قوة » وسائلها الاساسية الاقناع والمساومة مع التلويح باستخدام القوة !

اما هذه المدرسة الوسطى بين هذين الطرفين فهى المدرسة التنظيمية التجريبية التى تقوم على تنمية الترابط الاقتصادى والاجتماعى والثقافى بين الدول ، وهو الاتجاه الذى يتسم به العصر الحاضر فعلا منذ انشاء الامم المتحدة ، مما يحتم على الدول الا تصدر فى تصرفاتها عن مصالحها الجوهرية الضيقة فحسب ، بل تراعى فى هذه التصرفات مصالح الدول الاخرى ومقتضيات الترابط الدولى

وبذلك وجب « تنظيم » المرافق الدولية على النحو الذى يهيىء استغلالها على الوجه الاكمل ويكفل انتفاع جميع الدول بها ·ولا سيما انه ترتب على الثورة الصناعية تقريب المسافات بين أجزاء العالم المختلفة وازدياد الترابط الاقتصادى ، وأصبح من المتعذر على اى دولة ان تعيش فى عزلة عن باقى الدول· وهكذا تفرض فكرة المجتمع الدولى نفسها بما تقتضيه من تنظيم للمرافق الدولية والتعاون السياسى لمنع الحروب وحفظ السلام والامن الدولى باقامة منظمات دولية دائمة تشرف على تحقيق هذه الاغراض السياسية والفنية

والكتاب دفاع حار عن هذا الرأى وتأكيد لارتباط مستقبل الانسان فى العالم اجمع – بل فى الكون كله – بمستقبل « التنظيم الدولى » دفاع حار ولكنه علمى وبطرائق بحث متنوعة مبتكرة ، فالكتاب دعامة أساسية فى مكتبتنا السياسية المعاصرة ·

قصة شجرة
مجموعة اقاصيص

تاليف : محمد عبد العزيز
الناشر : مؤسسة التاليف
الثمن : ٥ قروش

الاستاذ محمد عبد العزيز مخرج مسرحى شاب تعلق بالادب منذ سنوات طويلة ، وله محاولات طيبة فيه ، وعناية بسلامة الاسلوب· وهذه – فيما نعلم – أول مجموعة قصصية له

وأول ما يلفت النظر فى هذه المجموعة شاعرية كاتبها ·فهو شديد الانفعال بالطبيعة فى مظاهرها الفطرية الصغيرة التى لا يكاد الرجل العادى يلقى اليها بالا · وهذا هو السر فى اطلاق اسم « قصة شجرة » على هذه المجموعة ، وهو عنوان القصة الاولى فيها ، ومعظم أبطاله من الاطفال البسطاء · حتى يخيل الى القارىء العابر انها قصص كتبت للاطفال · ولكن الفرق كبير بين ما يكتب

للاطفال وما يكتب عنه الاطفال . بل ان الرجال من أبطال قصصه — على قلة عددهم — فيهم بساطة الاطفال وصفاؤهم . وكان الجميع نسخ من نفسية المؤلف في صدقها وصفائها . وأحسن المؤلف اختيار الاسلوب العربي البسيط الشفاف الذى يصلح للتعبير عن هذا الصفاء النفسي

وفي قصته « جنازة حارة » من الطاقة الشعرية ما يكاد يجعلها قصيدة ، بطلها كلب ضال من كلاب الطريق . ومن هذه النفس الحساسة ينتظر المزيد من الخير والتجويد

ايليا أبو ماضي
دراسة تحليلية

تأليف : جعفر الخياط
الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة
مكتبة الرشاد بالمغرب
الثمن : ٣٠ قرشا

هذه الدراسة عن الشاعر المهجري « ايليا أبو ماضي » الذى ولد في بكفيا بلبنان، وعاش ١١ سنة في الاسكندرية .. حيث تفتحت فيها مواهبه فقال اول أشعاره التى ضمنها ديوانه البكر « ديوان الماضي » ومعظمه منظومات ساذجة ولكنها تبشر بموهبة في عالم الشعر

ويبدو ان ايليا كانت فيه موهبة صحفية أيضا .. فما أن شد الرحال الى المهجر ، حتى تحول من بائع سجاير وخردوات في الاسكندرية الى صحفي لامع . فتولى في أول أمره ادارة جريدة « مرآة العرب » . ثم استقل بالعمل واصدر سنة ١٩٢٩ « جريدة السمير » الشهرية .. وقد مات وهو يصدرها يومية في حي بروكلين بنيويورك

وايليا أبو ماضي عاش حياته في المهجر على أوسع نطاقها . فكان عضوا في الرابطة القلمية التى كانت مركز اشعاع الثقافة العربية هناك، وزامل فيها جبران وميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد .. وغيرهم

وهناك أيضا أصدر دواوينه الناضجة .. « الجداول » و « الخمائل » و « ديوان ايليا أبو ماضي » و « تبر وتراب »

وشعر « ايليا أبو ماضي » له نكهة خاصة ومذاق خاص . وهو في الواقع يمثل احدى مراحل التطور في الشعر العربي . من حيث أغراضه ومعانيه وبعض أساليبه . ان شعر المهجر في الزمن الحديث أشبه بشعر الاندلس العربية في أزهى عصور الشعر العربية . وشعر ايليا أقرب الى النزعة الجديدة في الشعر العربي الحديث التى تزعمها عبد الرحمن شكري والمازني والعقاد وخليل مطران . وهو — كما يقول المرحوم العقاد — قد وفق في شعره بين أسلوب المجددين وأسلوب الاقدمين! والقارىء لشعره يرى اتساع أغراضه بحيث شملت المستوى الانساني كله . وهذا يرجع في رأينا الى سمة ثقافته ، والى اطلاعه الذكي على الشعر الغربي . ان شعره يستوعب ومضات الفكر ، ونبضات القلب ، ومطامح الحياة ، وحرارة العاطفة . كما انه جمع بين الحيرة والقلق في عمق فلسفي قائم على التجربة العلمية والذهنية

وعند تقييم شعر أبي ماضي فان التاريخ سيقول عنه أنه من الشعراء العرب الكبار المجددين . وقد شهد له بذلك جبران ، وميخائيل نعيمة ، ومطران . والعقاد ، وطه حسين ، وشوقي ضيف وغيرهم . ونحن نخالف مؤلف الكتاب في تشبيه أبي ماضي بمحيي الدين بن عربي والحلاج وغيرهما فهذا الشاعر له أسلوبه الخاص وأغراضه وان كانت قد خضعت لبعض تأثراته به

واذا كان أستاذنا طه حسين قد أخذ على الشاعر بعض الاخطاء في النحو والصرف كما أخذ عليه بعض التعقيد اللفظي وعدم التزامه قافية موحدة في القصيدة . فان هذه هنات من الممكن أن تغتفر له . ونحن نعرف ان شعراء كثيرين لم يلتزموا وحدة القافية .. ومع ذلك اعترف لهم النقاد بالتفوق والاجادة

أما هذه الدراسة التى نقدمها ، فهي ليست جديدة كما يذكر المؤلف . لقد صدرت عن

ايليا دراسات وافية كان الاجدر بالمؤلف ان يقرأها ويستعين بها . فان هذه الدراسة أشبه بدراسة الاستاذ العقاد لابي نواس مع الفارق . فشتان ما بين الدراستين .. والمؤلفين . كما انها تشبه الدراسة التي أصدرها صالح جودت هذا العام عن الشاعر المصري م.ع. الهمشري . التي أنصح المؤلف بقراءة هاتين الدراستين ..

مقرر مختصر فى التحليل الكيفى شبه الميكرونى

تاليف : كولدويل كنج
ترجمة : نخبة من العلماء العرب
مراجعة : د . عزت محمد خيري
الناشر : دار المعرفة
الثمن : ٧٦ قرشا

نحن الان نتجه الى تصنيع بلادنا بسرعة الصواريخ ، إننا نحاول القضاء على الاسطورة التي روجها الاستعمار بان بلادنا زراعية ، ولا تصلح الا للزراعة ، وأن عليها ان تكون مخزن مواد خام فقط . ونحن نسير بخطوات سريعة في مضمار الصناعة لابد أن ندرس بدقة وعمق الابحاث التي ستعيننا . وهذا يتطلب ترجمة الكتب العلمية الى اللغة العربية لتكون لنا مكتبة علمية عربية وافية تمد يدها لمن يريدها .

ومؤسسة فرانكلين بالقاهرة تصدر ضمن ما تصدر سلسلة كتب بعنوان « مجموعة الكتب الدراسية والمراجع الامريكية المترجمة » وهذه السلسلة تهتم بالكتب والابحاث العلمية الرصينة ، ويختارها للترجمة عندنا هيئات علمية مشهود لها بالكفاءة وسعة الاطلاع

وقد اختار المجلس الاعلى للعلوم « سابقا » هذا الكتاب لاهميته باعتباره مرجعا يفيد طلبة الجامعات والمعاهد العربية ، بل الاساتذة أنفسهم ..

والكتاب كما يذكر المستشار حسن جلال العروسي في تصديره .. هو الاول من نوعه . فلم يسبق أن ترجم أو الف كتاب في هذا الميدان من قبل في بلادنا . وهو في الواقع تطوير ضخم في عالم الكيمياء التحليلية انه يضع الاسس القوية للحد من استهلاك الكيماويات والتوسع في اقامة المعامل . التي تتطلبها الزيادة المضطردة في عدد الدارسين .. وذلك باستخدام طرق التحليل شبه الميكروني . فبينما يستخدم الطالب في طرق التحليل العادية بضعة جرامات من الاجسام الصلبة ، وعشرات أو مئات المليمترات من المحاليل .. فانه يكفي لاجراء هذه التجربة في ضوء التحليل شبه الميكروني بضعة مليجرامات من الجوامد ، وبضع قطرات من السوائل . وبذلك ينخفض استهلاك الكيماويات ، والادوات ، كما تتوفر سعة المعامل والمعدات والايدي العاملة هذا بالاضافة الى تجنيب الباحثين أخطار الغازات الضارة بالصحة .

ولقد أخذت بهذه الطريقة الجديدة في التحليل الكيميائي جامعات كثيرة ، ونجحت في خفض التكاليف بنسب كبيرة .

ولهذا فان الكتاب ضروري جدا لعلمائنا . ان تطبيق ما فيه من نظريات ضرورة تقتضيها ظروف الدفع الثوري عندنا .. لتنشئة جيل من العلماء يواكبون نهضتنا الكبيرة ..

حول الغلط والفصيح
على السنة الكتاب

تاليف : ابو الفضر المنسي
الناشر : مكتبة دار العروبة
الثمن : ١٠ قروش

لغتنا العربية هي القاسم المشترك الاعظم في قوميتنا ، وبدونها يفقد وطننا العربي أهم مقوماته . فاللغة العربية هي الرباط المقدس، أو السلسلة الفقرية التي تجمع قلوب العرب في أمة واحدة . ولهذا فان البلاد العربية التي سيطر عليها الاستعمار ردحا طويلا من الزمن ، وكاد يقتل لغتها العربية .. تعاني الآن من جراء صراعات جمة . الجزائر مثلا بعد أن نالت استقلالها بالثورة ، تقوم فيها الآن ثورة سلمية أخرى ، فالاستعمار أثناء وجوده فيها حاول قتل اللغة العربية ، واحلال الفرنسية محلها .. وقد نجح في ذلك بعض الشيء .. حتى ان الاخضر الابراهيمي سفير الجزائر بالقاهرة صرح ذات مرة : ان مشكلة الجزائر الكبرى الان هي مشكلة التعريب ..

ان اللغة العربية تحتاج الى حماية ورعاية واحترام من كل الذين يتكلمون بها. فهي لها أعداء ، وهي منذ أن نزل القرآن الكريم في صراع مع الذين يقاومونها ..وعلى مر التاريخ نجد العلماء النحويين يتصدون لمن يحاول هدم اللغة . ومن هؤلاء النحويين واللغويين يونس بن حبيب ، وأبو عمرو بن العلاء والاصمعي ، وسيبويه ، والخليل بن احمد والفراء ، وابن جني ، والسيوطي ، وابن مضاء القرطبي ، والزبيدي ، وغيرهم كثير..

وهذا الكتيب الصغير الذي نقدمه يحاول وضع بعض النقط على الحروف، وذلك بتصحيح الاخطاء الشائعة في لغتنا التي نكتب بها . فالمؤلف يأخذ على بعض الكتاب انهم يخطئون في بعض تعبيراتهم .. وهذه الاخطاء تنعكس على الذين يقرءون .. مما يكون له أسوأ الاثر ، في انتشار الاخطاء ولهذا فهو يورد مجموعة من الافعال والاسماء ، والتعبيرات التي تكتب خطأ ، ويصححها مستشهدا في ذلك بقواميس اللغة ، مثل المحيط ولسان العرب، ومستشهدا أيضا ببعض الابيات الشعرية العربية التي تخدم هدفه ...

انني أنصح الذين يمسكون الاقلام بقراءة هذا الكتيب الصغير ، كما أنصح الذين يقومون بعملية التصحيح في الصحف والمجلات ودور النشر دراسته بعناية ..

أحمد أبو كف :

من وحي الإسكندرية



للشاعر : عادل الغضبان

كيف يكتب الشاعر التاريخ؟ وكيف يمزج بين عرائس شعره وحوادث التاريخ .. مهما كانت جافة غير مشوقة ؟!

أن التعبير بالشعر عن التاريخ لن لا يرقى اليه الا من طبعوا .. ومن يملكون موهبة خاصة ..

وعلى طول الشعر العربي وعرضه نجد شعراء مؤرخين اجادوا وخلدت قصائدهم على مر الايام ، وصارت من الوثائق التاريخية الكبرى . من هذه القصائد التاريخية .. قصيدة فتح « عمورية » لشاعرنا العربي الكبير « أبو تمام » .. وهى التى مطلعها :

السيف أصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

ومن هذه القصائد ايضا المطولات الخالدة لابي الطيب المتنبي، وهو يصف حروب سيف الدولة ..

وهذا الديوان البليغ للشاعر العربي عادل الغضبان من الممكن اعتباره وثيقة لتاريخ الاسكندرية منذ انشائها .. حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ . وقد استطاع الشاعر ان يلم بهذا التاريخ ، ويعطينا صورة واضحة كاملة للحوادث السياسية والاجتماعية الكبرى

والشاعر عندما يكتب قصائده .. فانه يتناول الموضوعات التى تستهويه ، والاسكندرية بالذات التى تستهوى هذا الشاعر المطبوع .. كانت ولا تزال وحى كثير من الشعراء . فهى عروس البحر وعروس الطبيعة الجميلة .. وهى لؤلؤة البحر الابيض المتوسط واجمل ثغوره

* * *

ولتاليف هذه السيمفونية عن الاسكندرية

قصه أشبه بالقصيدة الجميلة • فقد دعا مجلس الفنون والآداب الشاعر الى مهرجان الشعر الذي يعقده بالاسكندرية • فأثارت هذه الدعوة في نفسه اعجابا صبيا في الضلوع لجوهرة البحر ·· ونظم هذه القصائد ··

وموضوع الديوان يشمل تاريخ الاسكندرية منذ أن أسسها الاسكندر الأكبر المقدوني • حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ بقيادة البطل العربي الأسمر جمال عبد الناصر • وكان مجيء الاسكندر الى مصر احدى حلقات سلسلة فتوحاته في الشرق للقضاء على الامبراطورية الفارسية ونشر الثقافة الهلينية

وقد رحب المصريون بالاسكندر ، واعتبروه منقذا لهم من الظلم الفارسي • ونادوا به الها • وقد أعجبه مكان جميل على شاطيء البحر كان عليه قرية صغيرة اسمها راكودة Rachotis فأنشأ عليها مدينة الخيال الملهمة التي حملت اسمه :

عشت طول الدهر يا اسكندرية
الق الحسن ومجلى العبقرية

قسما لوصور الخلد لنا
كنت الا صورة الخلد البهيه

ود « اسكندر » لو تبنى له
تحفة الدنيا فقامت بالوصية

وطنى يزحف منصور الظبى
في الفرافين وفي الهند القصية

* * *

لكن الاسكندر مات في الشرق • بعد أن دانت له امم الارض ملوكا ورعية وتوزعت مملكته على قواده فكانت مصر من نصيب بطليموس • الذي اسس فيها دولة البطالمة وكانت آخر ملكة فيها كليوباترة ·· التي انتحرت بعد أن هزم الرومان حبيبها انطونيو

·· خوفا من ان تعرض في اسواق روما كالسبى على الرجال

* * *

وبعد ان ظلت مصر ودحا من الزمن ولاية رومانية ·· جاءها النور بالفتح الاسلامي بقيادة عمرو بن العاص :

ساد في عاصمة الدنيا الأمس
يوم ثل الروم عرش البطالمة
طال ليل الظلم حتى شقه
سيف « عمرو » والسيوف العمرية

* * *

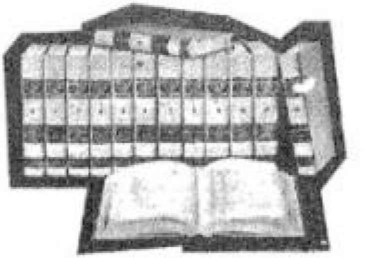
ثم يسرد الديوان لتاريخ مصر والاسكندرية بعد الفتح العربي • فقد توالت عليها عهود من الظلم على أيدي الاتراك والمماليك والفرنسيين والانجليز الى ان جاء ناصر الحق بالفتح المبين ، وطلع الفجر بقيام ثورة ٢٣ يولية

زيفوا الحق الى أن جاءهم
ناصر الحق سليل المصريه
فاسترد الغيل من غاصبه
وطوى منه البنود الاجنبيه
فاذا الثغر جمال كله
ورسى العز بساتين جنيه

وفي عهد جمال ليست الاسكندرية أبهى حللها ، وتزينت لؤلؤة البحر وبدت للناظرين صورة ربانية ·· وذلك بعد أن لمستها عصا الثورة السحرية ؛ فصارت كما بدت مهبطا للوحي والجمال والشعر والفن

* * *

ان عادل الغضبان لم يؤلف قصيدة • ولكن ربات الشعر او عرائسه ، قد الهمته هذه السمفونية الجميلة • وهو بالتالي لم يبخل علينا بهذه الهدية النفيسة التي ضمنها ديوانه الرقيق الانيق ··



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

الصناعة المؤممة والملكية العامة

Nationalized industry and public ownership

المؤلف : وليم ا . روبسون
William A. Robson

الناشر : جورج الن ، انوين ليتمن

الثمن : ٥٠ شلنا

اصبح تكوين قطاع عام من الظاهرات التي تتميز بها الحياة الاقتصادية الحديثة وبخاصة في البلاد الجديدة في اسيا وافريقيا . والكتاب الذي نعرض له هنا وقد اعده الاستاذ وليم ا . روبسون من مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية ، دراسة مستفيضة في حوالي ٦٠٠ صفحة ، علمية وموضوعية ، يحلل فيها المؤلف ويناقش بعض النظريات والافكار التي برزت في السنوات الحديثة حول الاسلوب الذي ينبغي اتباعه في ادارة المشروع العام ، وحول الاغراض التي ينبغي ان يسعى الى تحقيقها . واذا كان البحث منصبا اساسا على التجربة البريطانية الا أن ما يتضمنه من آراء ومقترحات وتوجيهات يصلح مرشدا للبلاد الاخرى

ويقسم المؤلف المشروعات العامة الى سبع فئات وهي المرافق العامة ، النقل والمواصلات ، والبنوك والائتمان والتأمين ، والمشروعات الانمائية المتعددة الاغراض مثل وادي التنيسي في الولايات المتحدة الامريكية والصناعات الاساسية الوطيدة الدعائم ، والصناعات أو الخدمات الجديدة ، والنشاط الثقافي

وينتقل المؤلف الى بيان الانظمة المختلفة التي طبقت فهناك قيام وزارة او مصلحة حكومية بالعمل (البريد والتلغراف والتليفون والاذاعة) ، والهيئات المحلية ، والمشروع المختلط الذي يجمع بين الملكية العامة والملكية الخاصة وهو نوع شائع في كثير من البلدان مثل شيلي والمكسيك واسبانيا ونيوزيلندا وفرنسا ، وهناك الشركة المساهمة وهي الاسلوب الذي اتبع في الهند . وأخيرا هناك الهيئة العامة او المؤسسة العامة ويعتبرها الاستاذ روبسون أهم ابتكار تفتق عنه الذهن في القرن العشرين

ويطالعنا المؤلف بطائفة من المبادىء أولها تحرر الهيئة من الرقابة البرلمانية فيما يتعلق بالادارة وليس من حيث السياسة العامة ، وخلوها من المصلحة الذاتية فهي حارس على الصالح العام حسب تعبير المستر هربرت موريسون ، وبعبارة أخرى فالمعيار الاساسي ليس اولا وقبل كل شيء تحقيق الربح وان كان ليس ثمة ما يمنع من هذا التحقيق . ونلاحظ أن المؤلف يفضل في هذا الصدد استخدام كلمة « فائض » بدلا من كلمة « ربح » وهذا الفائض يستغل فيما يزيد من كفاءة المشروع . والمبدأ الاخر أن العاملين في هذا النوع من التنظيم لا يعتبرون جزءا من موظفي الحكومة . كذلك فان ميزانية الهيئة مستقلة عن ميزانية الدولة وان كان

هناك قدر بالغ من رقابة الخزانة العامة على نواح معينة من العمليات المالية

ويتعرض المؤلف بعد ذلك لموضوعات التنظيم والادارة ، رقابة الحكومة ، وفحص حسابات الهيئة ومراقبتها ، ومجلس الادارة وتشكيله ومدة العضوية وعدم تعرضها لكثرة التقلبات السياسية. ومن المسائل الهامة التى يعالجها مجالس المستهلكين والمجالس الاستشارية ذلك ان المستهلك فى حاجة الى ان توفر له الحماية الكافية ضد الهيئات العامة التى تشغل فى الواقع مركزا احتكاريا بالنسبة الى الكثير من الصناعات والخدمات . وهنا كذلك تبدو اهمية انشاء اقسام او ادارات خاصة بالعلاقات العامة لتكون صلة فعالة بين المستهلكين والهيئة

وفى الفصل السادس عشر يتحدث المؤلف عن صور متعددة من الملكية العامة ، وهذه قد تكون على صورة التأميم الكامل ، او على هيئة المشروع المختلط والذى تكون فيه الغلبة فى الملكية والادارة للدولة ، كما أن من اشكال الملكية العامة المشروعات التعاونية . وهذا الرأى الاخير مما يدعو اليه الكثيرون من الاشتراكيين الحدثيين فى انجلترا وعدد من بلاد القارة الاوربية ، كما أبده هارولد لاسكى فى كتابه « قواعد السياسة » وان حذر فى الوقت نفسه من أن هذا المبدأ لاتصلح له انواع معينة من المشروعات كاستغلال المناجم او ادارة السكك الحديدية او الصناعات الهندسية

وان كتاب « الصناعة المؤممة والملكية العامة » من المؤلفات الجديرة حقا بأن تكون موضع الدرس والفحص من جانب كل الذين يهمهم نجاح المشروعات العامة فى أداء الرسالة التى اسندت اليها

طيبة فى عصر امنحتب الثالث

THEBES IN THE TIME OF AMUNHOTEP

الكاتبة : اليزابث ريفشتاهل
Elizabeth Riefstahl
الناشر : جامعة اوكلاهوما
الثمن : ٢ دولار ، ٧٥ سنتا

فى منتصف الفترة تقريبا بين توحيد مصر على يدى مينا (حوالى عام ٣١٠٠ قبل الميلاد) والغزو الذى تعرضت له من قبل الاسكندر الاكبر (سنة ٣٣٢ ق.م) ، كان عهد الملك امنحتب الثالث (١٣٩٧ ـ ١٣٦٠ ق.م) الذى يعتبر «العصر الذهبى» لمصر القديمة ، والذى يعالجه الكتاب الحالى وهو من السلسلة المعروفة باسم مركز الحضارة . ان موقع طيبة الذى يتوسط الوجهين القبلى والبحرى جعل منها عاصمة مرغوبا فيها ، ومنذ أن طرد أحمس الاول (١٥٧٠ ـ ١٥٤٦ ق.م) الهكسوس من البلاد ، سارت مصر وطيبة بخطى واسعة نحو قمة مجدهما وعظمتهما ، واصبحت طيبة المدينة التى يكثر فيها الذهب « انتشار التراب فى الارض »

ومن الاثار والحفريات التى ازاح عنها العلماء الستار ، ومن السجلات المكتوبة التى خلفها القدماء ، ومن الرسوم التى تزين المقابر المصرية القديمة ، ومن طريق العمل فى مصر عندما كانت المؤلفة سكرتيرة المركز الامريكى للابحاث ، استطاعت اليزابث ريفشتاهل أن تقدم لنا هذه التحفة الرائعة من مصر زاه شهدته طيبة ، ولكن من خلال ذلك الوصف للعاصمة تبرز لنا مصر ذاتها فى ذلك العصر ، فنعلم الكثير من جوانب الحياة القديمة كالميلاد والزواج والموت والمشاغل والمسرات والضرائب والحرف والتقاليد والعادات والقوانين ، وكل ذلك بدقة العالم الذى يستمد معلوماته من المصادر الاصلية ويعتمد على البراعة فى الربط والتحليل والاستنباط

هذه المدينة التى كان امنحتب الثالث يحكم البلاد منها ؛ كانت ـ على غرار جميع المدن أو العواصم ـ مليئة بالمتناقضات فالثراء يعيش جنبا الى جنب مع الفقر . وعلى جانبى النيل قامت المعابد الضخمة وهى أوفر عددا مما تشهد به آثارها التى لاتزال باقية حتى اليوم . وعلى امتداد الجانب الغربى من النهر انتشرت مقابر العظماء المقدسة ، أما الفقراء فكان حظهم أن يدفنوا فى التراب مع الحشرات ومالى حكمها

ولقد اشترك امنحتب الرابع الذى يعرفه التاريخ باسم اخناتون ، مع أبيه فى الاعوام الاخيرة من حكمه ، ثم خلفه بعد وفاته فى عام ١٣٦٠ ، فادخل تغييرات حاسمة فى العبادة والتقاليد الدينية ، وهذه الاصلاحات الدينية وضعت حدا للاسرة الثامنة عشرة الشهيرة ، وكانت بداية مرحلة من الاضمحلال . وانشأ الفرعون الشاب عاصمة جديدة هى أخيتاتون لتكون مركزا لعبادة الاله الجديد آتون أى قرص الشمس المرئى . ولكن طيبة قاومت هذه التغييرات وظلت على قيد البقاء بالرغم من محاولات اخناتون للقضاء على جميع آثار الديانة القديمة وعبادة آمون ، الا أن أيام مجدها كانت قد ولت

أصبحت طيبة بالنسبة الى الاسرات التى جاءت بعد ذلك مجرد مزار يحج اليه الناس ، ومكان يدفنون فيه . وبالتدريج ، وفى بطء ، راحت معالمها تزول ومساحتها تتضاءل بفعل الطبيعة والزمن ، ونتيجة أعمال النهب والسرقة من جانب اللصوص ، فانتهكت حرمة المقابر المقدسة ، وسلب الكثير من محتوياتها الثمينة ، واتخذ الفلاحون من المعابد حظائر يحفظون فيها قطعانهم ، وبنيت الاكواخ الطينية فى داخل قاعات المعابد وساحاتها الفسيحة ، وانتقل الرهبان فى العصر المسيحى الاول للاقامة فى داخل قبور النبلاء القدامى . ونقلت المسلات التى كانت تزدان بها العاصمة ، واليوم تضم روما واحدة منها بينما تقوم أخرى فى استانبول ، شاهدا على عظمة مصر ومجد عاصمتها طيبة

وحياة المؤلفة جعلتها أهلا لاخراج هذا الكتاب الذى يقع فى ٢١٢ صفحة ، فقد كانت سنوات طويلة على اتصال بالمتاحف ومستشارة فى ميدان الفن المصرى القديم والثقافة المصرية القديمة ، كما تمكنت عن طريق عملها مع البعثة الاثرية الامريكية فى مصر من أن ترى المكان الذى قامت فيه تلك العاصمة ، وأن تدرس الآثار الباقية دراسة حقلية ، وأن تطالع الكتابات التى على الجدران وأن تقرأ السجلات التى خلفها لنا القدماء على أوراق البردى

تاريخ افريقيا جنوبى الصحراء الكبرى

A HISTORY OF AFRICA South of the Sahara

المؤلف : دونالد ل . ويدنر
Donald L. Wiedner

الناشر : راندوم هاوس

من أبرز المظاهر الدالة على الاهمية الكبيرة التى أصبحت تحتلها القارة الافريقية كقوة لها وزنها فى العالم اليوم ، هذا السيل الجارف من المؤلفات التى تخرجها المطابع الغربية ، والتى تعالج نواحى معينة أو مشكلات معينة أو مناطق أو بلاد معينة فى هذه القارة . غير أن الكتاب الذى نقدمه يمتاز على غيره بصفة الشمول .. ذلك أنه يتناول تاريخ افريقيا جنوبى الصحراء الكبرى منذ العصور الموغلة فى القدم حتى عهد موجة التحرر الحديثة التى بلغت ذروتها فى عام ١٩٦٠ بوجه خاص . والمؤلف اذ يستعرض هذا التاريخ الطويل فيما يقرب من ٦٠٠ صفحة ، يلقى ضوءا واضحا على الموارد والامكانيات الظاهرة والكامنة ، وطبيعة المشكلات العنصرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تواجه الدولة الافريقية الجديدة ، وعلى الآمال التى تجيش فى صدور شعوبها وقادتها . ويزيد من قيمة الكتاب كمرجع للطلاب والدارسين ذلك العدد الكبير من الخرائط وعددها ٣٤ خريطة تتناول المظاهر الرئيسية من مختلف النواحى ومن أقدم العصور ، ولعل ما يلفت النظر فيها الخرائط المتعلقة بالهجرات البشرية على مر العصور

ويتساءل المؤلف : هل لافريقيا تاريخ ، جرى العرف على القول بأنه لا وجود للتاريخ الا اذا توافرت السجلات المكتوبة والمخلفات الاثرية مما يمكن الاعتماد عليه فى وضع تاريخ متصل ، وهو ما نلقاه فى حالة مصر ووادى النيل وشمال افريقيا . وكان الاعتقاد السائد أن الشعب الافريقى جنوبى الصحراء لم يكن له تاريخ الى أن بدأ الاتصال بينه وبين الاوربيين . ويرد

المؤلف على هذا بقوله : « ان الطرق الحديثة والتطورات الحديثة في الابحاث قد غيرت هذه الصورة تغييرا جوهريا . فلم تعد الوثائق والآثار بالمصدر الوحيد للمعرفة التاريخية . وفي السنوات الحديثة أمدتنا الطرق الدقيقة بالكثير من المادة الصحيحة ، بل وفي حالات عديدة قادت الطرق الجديدة الى اكتشاف وثائق او مخلفات أفريقيا لولاها لما عرفت النور . ففي حالة افريقيا نلقى الكثير من المادة التي تصلح لكتابة التاريخ ، في الاساطير العلمانية والدينية ، ومنها نعرف الكثير عن أسماء الملوك والزعماء والدول والممالك والهجرات البشرية والاحداث الكبرى . وهناك ايضا عدد من الروايات المكتوبة لها قيمة بالغة ، والكثير منها سطره الرحالة أو العلماء العرب ، وقليل منها خلفه افريقيون من الزنوج باللغة العربية ، وكلها تلقي الضوء على أحداث في أجزاء من افريقية الشرقية والغربية ، وبعضها يسبق وصول الاوربيين بأكثر من عشرة قرون

وينقسم الكتاب الى ثلاثة أجزاء ، أولها عن أفريقيا القديمة فيتحدث عن القبائل واصولها ومصادرها وهجراتها ، وعن التأثير العربي الكبير وبخاصة على الساحل الشرقي ، وعن الدول والممالك والامبراطوريات التي قامت في الشرق والغرب ، وفي ختام هذا الجزء عرض للغزوات التي تعرض لها جنوب أفريقيا ، واستعراض للافكار العنصرية التي تحولت فيما بعد الى سياسة التفرقة العنصرية التي تنتهجها الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا

وفي القسم الثاني تحليل لأثر اتصال القارة بالاوربيين ، فزادت خطورة الرق وبدأت هذه التجارة تستنزف موارد القارة ، واشتركت فيها الدول الاوربية بلا استثناء لتزويد المزارع والمناجم في العالم الجديد بالايدي العاملة . ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك الى معالجة الصراع الذي نشب بين الدول الاوربية والذي انتهى بتقسيم القارة بينها في القرن التاسع عشر . أما الجزء الثالث فيتحدث عن القوى الجديدة التي ظهرت وأدت الى بعث الحركة القومية ، ويتابع التطورات التي انتهت باستقلال عدد كبير من البلاد الافريقية حتى عام ١٩٦١ . ويقول المؤلف انه في الاقليم الشاسع الممتد بين جنوب افريقيا والصحراء الكبرى انتقلت زعامة غير البيض الى ايدي صفوة معادية للقبلية ومن تلقى أفرادها التعليم الاوربي. هذه الجماعات التي تلتهب نفوسها بمشاعر العداء للاستعمار تقبلت من وعي وعمد نوعا من الوطنية الاقتصادية والسياسية . لقد وجدت القومية ذاتيتها في معارضة القبلية والاستعمار

ومن الطبيعي أن يتعرض المؤلف ، وهو غربي ، لخطر الشيوعية على افريقيا ، وهنا يقول ان هذا الخطر يمكن ان ينشأ في حالات ثلاث (ا) ان يقدم الغرب على أي تصرف يعيد الى الاذهان ذكرى الاستعمار الاقتصادي والسياسي (ب) التفكك الداخلي أو الاحساس بالاخفاق في النواحي الاقتصادية (حـ) واخفاق الغرب في أن يدرك أن جهود اية حكومة افريقية لتعويض ماتعانيه من النقص في رأس المال لاغراض التنمية ، ليست بالضرورة فكرة تمليها موسكو

أما من ناحية الدبلوماسية الدولية فان ما يهم معظم افريقيا هو نفسها .. أي استقلالها وتنميتها وأن تتولى بنفسها توجيه مصائرها، ولاتهمها الكتل الدولية . ان حياد افريقيا منبعث من اعتقاد شعوبها أن عليها ان توجه مواردها التي لاتزال محدودة ، الى « اللحاق » بالعالم ، ولذلك فهي تخشى انقسامها الى كتل لان هذا العمل يعرقل جهودها من أجل التقدم. أضف الى هذا ان « البلقنة » الحالية في القارة هي من الاشياء التي يشعر الافريقيون بالاستياء منها

القيصر

THE KAISER

الكاتبة : فرجينيا كاولز

Virginia Cowles

الناشر : هاربر ، بو

الثمن : ٦ دولارات ، ٩٥ سنتا

في رأي فرجينيا كاولز ، وهي من كتاب السير الممتازين ، ان فلهلم « القيصر ولـ»

كان ضحية الظروف التى عاش فيها ، اذ من سوء حظه انه ورث عرشا وتقليدا ملكيا لا مكان لهما فى القرن العشرين ، وورث الاشراف الاسمى على تنظيم سياسى وعسكرى وضع اسسه رجل عبقرى هو بسمارك

فبعد اخراج بســمارك من منصب المستشارية فى عام ١٨٩٠ لم تخرج المانيا فى عهد امبراطورها الجديد غلهلم رجالا من ذوى المواهب الفذة ، وانما اخرجت عددا من الادعياء مثل البرنس بيلوف او الاشخاص الامناء ولكنهم لايعدون ان يكونوا من البيروقراطيين الذين يفتقــرون الى الكفاية من امثال بتمان هولفيج . هذا الطراز من الرجال كان عاجزا عن العمل المنتظم ، وتعوزه القــدرة على الرأى السديد ، ويتصف بالتقلب فى الاتجاهات .. اى ليست له اهـداف واضــحة ومحـددة يعمل من اجل بلوغهـا ، وهو مايميز الرجل السياسى بالمعنى الصحيح. واكثر من هذا فمن العوامل التى جعلت غلهلم ، على حد قول الكاتبة ، نكبة على المانيا وعلى العالم فى الوقت نفسه ، انه وهو ولى العهد لم ينل ذلك القدر من التعليم الذى يتفق مع المسئوليات التى سوف تقع على كاهله او مع طبيعة العصر الذى سوف ينهض فيه بعبء هذه المسئوليات. وتقول الكاتبة ايضا ان الكثير من النكبات التى حلت به وببلاده يرجع الى ميله الى اساليبه المسرحية ، فهو مثلا الذى اطلق على الالمان اسم « الهون » ، وكان معروفا فى برلين باسم « الرجل الذى ينقصــه ضبط النفس » ، بل ان الكثير من المتاعب التى تعرض لها كان مردها الى انه لم يكن يعـرف متى يتكلم ومتى يلتـزم الصمت ، بل ولم يعرف كيف يعبر عن افكاره بطريقة لبقة . وفضلا عن هـذا فان من سوء حظ الرجل ان معظم الامراء الالمان كانوا يعتبرون آل هوهنزلرن ادعياء لايستاهلون ان تكون مصائر المانيا الجديدة الموحـدة فى ايديهم . هؤلاء الامــراء لم ينظروا الذن الى غلهلم الثانى بعين التقدير والاحترام ، اذ كان الامبراطور الحقيقى فى رأيهم هو الرجل الذى يقيم فى فينا عاصمة الامبراطورية الرومانية المقدســة القديمة التى سبق لنابليون ان قال انها ليست امبراطورية ولا رومانية ولا مقدسة

ولعل الخطأ الاساسى فى خلق الامبراطور التعس هو استخفافه بالامور وعدم التعمق فى تعرف اسبابها الحقيقية . فعنـدما تقدمت به السن وهو فى منفاه اعلن ان اكبر خطأ وقعت فيه المانيا كان اشتباكها فى الصراع مع بريطانيا ، ولكنه نسى ان سياسته البحرية التى اراد بها تحطيم قوة بريطانيا البحرية وبالتالى نفوذها الخارجى هى التى كانت العامل الرئيسى فى توتر العلاقات بين البلدين ، ذلك التوتر الذى اخذ يشــتد باطراد حتى وصــل الى الاشتباك المسلح فى الحرب العالمية الاولى

الحضارة الامريكية الحياة والفكر فى الولايات المتحـدة اليـوم • • •

AMERICA AS A CIVILISATION (life and Thought in the United States Today)

المؤلف : ماكس ليرنر

Max Lerner

الناشر : سيمون دشوستر

الثمن : ١٠ دولارات

عمل المؤلف ماكس ليرنر فى كليات العلوم الاجتمـــاعية ، وهو اليــوم استاذ لمادة الحضارة الامريكية فى جامعة برانديس ، واشرف على تحرير دائرة معارف العلوم الاجتماعية ، وهذا كله فضلا عن مساهمته فى عدد من المجلات ذات المنزلة العلمية الواضحة . وبهذه الصورة الخلفية قام باعداد هذا الكتاب الذى يقع فى اكثر من الف صفحة

لقد سبق للفرنسى توكفيل ان اخرج كتابه « الديموقراطية الامريكية » وشعب الولايات المتحـــدة فى العصر البكر من

تاريخـــــه ، لم أعقبـــــه اللورد برايس البريطاني فأصدر مؤلفه في الموضوع نفسه بعد أن نجحت الثورة الصناعية في هذا البلد ، وكلا الكتابين مرجعان لا غنى عنهما . واليوم تشغل الولايات المتحدة مركزا قياديا في العالم ، في السياسة والتكنولوجيا والقوة العسكرية ، وتملك موارد ضخمة اقتصادية ، وتقف على رأس معسكر كبير في العالم

ولكن هناك اسئلة كثيرة لابد أن تدور بالاذهان : كيف يعيش الناس في الولايات المتحدة ، ويحكمون انفســـهم ؟ وكيف ينقســـمون الى مجموعات عنصرية او طبقية ؟ وكيف يعملون ويلهون ويعبرون عن طاقتهم الخلاقة في الفن والادب ؟ وما المبادىء التي تبقى على تماسك حضارتهم ؟ وما المعتقدات التي تكسبهم القوة ، والاحلام والمخاوف التي تحركهم ؟ وبعبارة أخرى ، ما الذي يجعل من هذا البلد حضارة وليس مجرد خليط من الارادات والشهوات الفردية ؟ هذه الاسئلة لابد من معرفة الاجابة عنها حتى يتسنى الحكم على الدور الذي تلعبه امريكا اليوم وفي الغد ، وعلى تصرفاتها وسياساتها ، وعلى اهدافها ، هي مايحاول المؤلف ان يجيب عليها بعد اثنى عشر عاما من البحث . وهو اذ يفعل هذا يطرح العواطف جانبا ويلتزم الحقائق الموضوعية ، ولايسمح للاوهام المتوارثة او السائدة أن تحجب الحقائق عن نظـره ، وهو حين يجعل القارىء يتبين هذه الحضارة الامريكية في صورتها الكلية يجعله أيضا يدرك تفصيلاتها في الوقت نفســـه . واذا كان يقلل من الاهتمام بالاوهام العاطفية الا انه يضفي قيمة كبيرة على ماتملك امريكا من قوى هائلة للنمو والتغير . وهـــذا هو الذي يكشف فعلا عن ثورية أمريكا ، بمعنى انه حتى في العقد الاخير حدثت تغييرات حولت الصـــورة الاجتماعية . والكتاب يخلو من عنصرين يفقدان أمثال هـــذه الدراســة ، فهو لايركز اهتمامه على النقد الاتهامي وتصوير الانحلال الوشيك ، ولا هو تبرير للاخطاء او اعتذار عن الثغرات . وهو أيضا لايقوم على مجرد الاشـــادة بأسلوب الامريكيين في الحياة ، ولا على الرثاء لهذا الاسلوب

ان المؤلف يضـــع التأكيد على المعنى الداخلي للحضـــارة الامريكية المعاصرة وعلاقتها بالعالم اليوم . انه يرى امريكا تمثل مســـتوى عاليا من التكنولوجية والثقافة ، وذات قوة اقتصادية وعسكرية وسياسية هائلة ، وليس لها من منافس في هذا المجال سوى الاتحاد السوفيتي . وهو يرفض الفكرة التي تذهب الى اعتبار الحضارة الامريكية ذيلا لحضـــارة أوربا الغربية

البرنس يوجين أوف سافوى
PRINCE EUGENE OF SAVOY

المؤلف : نيكولاس هندرسن
Nicholas Henderson
الناشر : ويدنفيلد ونيكولسون.
الثمن : ٤٢ شلنا

كان البرنس يوجين أوف سافوى من اولئك الناس الذين يثيرون الدهشة في النفوس ، وكان عبقريا يغالي في انكار الذات ، لايتوانى عن اداء الواجب اذا مادعى اليه . هذه الصفات الى جانب مواهبه الطبيعية وقدر معقول من الطموح ، جعلته مدى أربعين عاما تقريبا الشخصية الرئيسية على مسرح الاحداث الاوربية . ولعله ما من أجنبي له دين في عنق بريطانيا مثل ماكان له ، ومع ذلك فان الكتاب الذي أخرجه نيكولاس هندرسن هو الاول من نوعه عن الرجل باللغة الانجليزية . لقد كان نابليون وهو العبقرية العسكرية المرموقة ، يجعله بين سبعة من اكبر القواد الذين سجل التاريخ أسماءهم وهم الاسكندر ، وهانيبال ، ويوليوس قيصر ، وجوستاف أدولف ، وتورين ، وفردريك الاكبر . وكان القائد الانجليزى الكبير

مارلبورو يحترمه ويعرف أنه مدين بالكثير الى يوجين فى احراز الانتصارات فى معارك بلنهايم وأودينارد وملبلاكيه ، ومع ذلك فان هذا الفضل الكبير الذى يعترف به ماربورو ، كان موضع النسيان والاغفال من جانب الكثيرين من المؤرخين الانجليز

كان البرنس دبلوماسيا على درجة عالية من المهارة والعناد ولكنه كان يتصف أيضا بالامانة والنزاهة . وعرفت عنه رعايته للفنون . وهو الذى وضع حدا لزحف الاتراك صوب غرب أوربا ، كما اشترك مع مارلبورو فى تحطيم احلام لويس الرابع عشر فى السيطرة على أوربا ، وفى انقاذ امبراطورية هبسبرج من براثنه ، وفى انه جعل فى امكان بريطانيا أن تخرج من حروبها مع فرنسا دولة تجارية واستعمارية كبرى

وللمؤلف مقدرة فائقة فى العرض سواء كان يصف لنا حملة حربية ، أو يحلل الدسائس التى يزخر بها البلاط الملكى ، أو يكشف الغطاء من الاعيب الدبلوماسية ، أو يبين لنا عبقرية يوجين العسكرية أو يسجل كنوزه الفنية . ولكن بالكتاب ميزة يندر أن نلقاها فى التراجم ، ذلك أن المؤلف لايحاول أن يبرز اهمية بطله على حساب الاشخاص الآخرين ، فنراه يعرض لنا كفاءة مارلبورو خالصة ، ويظهر فيلار — خصم يوجين فى المعارك — فى ضوئه الصحيح وينسب اليه الفضل حينما يستحقه ، اما الملوك والملكات فان المستر هندرسن يذكرهم بوصفهم مجرد ظلال أو أشباح

وبالرغم من هذه المزايا التى تجعل هذا الكتاب حجة فى الموضوع الذى يعالجه ، الا أنه يترك القارىء فى حيرة بشأن السر الغامض الذى يحيط بالرجل. اننا لانعرف شيئا عن حياته الخاصة ومن الدوافع المعقدة الى درجة بالغة والتى مكنته من الارتفاع السريع فى سن مبكرة واحتفاظه بمركزه فترة طويلة . انه لم يترك وراءه خطابات أو رسائل او اوراقا خاصة ، ومات دون أن يتزوج ولم يخلف ذرية من بعده . حقيقة تتضمن الوثائق أعماله العامة ، ولكن أحدا من معاصريه لم يحتفظ بمذكرات يسجل فيها مايتصل بحياة البرنس الخاصة ولا ماكان الناس يتحدثون به عنه . لماذا لم يتزوج ؟ هل كان يعانى من شذوذ جنسى بحيث يفضل الذكور على الاناث ؟ هل كان يعانى من ضعف جنسى جعله لايفكر فى الزواج ؟ هل كانت له علاقات جنسية أو غرامية حرص على اخفاء امرها ونجح فى هذا الاخفاء ؟ وهل فضل أن يعيش أعزب خشية أن يؤثر الزواج ومايسفر عنه من علاقات ومسئوليات ، فى تحقيق اهدافه فى الحياة العامة ؟ هذه كلها اسئلة قد يود القارىء أن يجد الاجابة عنها ، ولكن الكتاب جاء خلوا من اشباع هذه الحاجة

وكانت بنية يوجين لاتلفت النظر ولهذا رفض لويس الرابع عشر أن يضمه الى جيشه وأراد أن يجعل منه قسيسا ، فدفعه بذلك الى التماس الملجأ فى معسكر العدو ، وهناك تجلت مواهبه الكثيرة . كان ذا قدرة بالغة على الاحتمال ، وسريعا فى العمل الى حد التهور بحيث يعلق كل شىء على ضربة واحدة ولكنه لم يكن يقدم على توجيه تلك الضربة الا بعد الدرس العميق . وكان يحتقر التردد والتذبذب والتصرفات التعسفية أو الحلول الوسطى ، ومع ذلك كان يخدم بولاء منقطع النظير أجبن سادة وأشدهم بعدا عن الحزم والحسم . واذا احاطت به أزمة ، مهما كان عنفها ، فانه كان يتلقاها بهدوء بل وببرود لم يأخذ فى تحليل الموقف دون اعتبار للعواطف أو ماقد يحكمها ، حتى اذا انتهى الى قرار بادر بسرعة مخيفة الى تنفيذه . وكانت حياته غريبة ، ففى سن العشرين كان شخصا مفلسا لايملك شيئا ، فأصبح قائدا فى سن الثانية والعشرين ، والقائد الأعلى الذى حطم الاتراك فى موقعة زنتا وهو فى الرابعة والثلاثين من العمر . ومع ذلك رفض عرش بولندا ولو اراده لناله ببساطة ، ورفض تكوين أسرة تحمل اسمه وذكراه

هوامش
ميخائيل نعيمه



لماذا الاسطورة ؟
احمد كمال زكي



اول طبيب
كمال موسى



الكابوس المكيف
فاروق خورشيد



فى عدد يونية من الهلال

٠٠٤ طاهر الطناحى : منذ عشر سنوات
٠١١ ميخائيل نعيمه : هوامش
٠١٥ امير بقطر : انحراف الشباب
٠٢٢ محمد عوض محمد : تجاربى فى المجال الدولى !
٠٢٩ عبد الرحمن صدقي : الربيع في الآداب العالمية
٠٣٤ ناصر النشاشيبى : ١٠٠ مليون مسلم
٠٤٥ على أدهم : المذكرات السياسية وكتابة التاريخ
٠٥٣ احمد موسى : شيكسبير والفن
٠٦١ فاروق خورشيد : الكابوس المكيف الهواء
٠٦٧ هناك وقت للحب
٠٧٠ اخبار الغد ..
٠٧٨ كمال موسى : اول طبيب رأى قاع العين
٠٨٢ اخبار الموضة ..
٠٩٦ على الجندى : قارئة الفنجان الحسناء
٠٩٨ قصة ثروت اباظة : نعم .. عدت
١٠٤ احمد كمال زكي : لماذا .. الاسطوره ؟!
١١٣ نظمى لوقا : رجل ديانته السامح
١١٩ افكارهم .
١٢٤ راشد البراوى : المعركة الفاصلة فى الجنوب العر
١٣٣ بهجت يقدم : ضحكات العالم فى شهر
١٤١ ابراهيم المصرى : ماذا لو احب زوجك ؟!

١٤٩ كتاب الشهر :

بكين ضد دلهى

تأليف : جورج ن . باترسون   عرض وتلخيص : راشد البراوى

١٦١ سوفى عبد الله : حواء الجديدة
١٦٥ مكتبة مجلة « الهلال » العربية
١٧٠ احمد ابو كف : من وحى الاسكندرية
١٧٢ مكتبة مجلة « الهلال » الافرنجية

الهلال



كلمات عاشت

● اصلاح الاراضي .. لا يقل روعة عن بناء السد العالي «علي صبري» ● انا ضعيف البنية ولكني لست ضعيف الارادة «[illegible]» ● ان قانون الصحفي الممتاز يجب ان يكون داخل نفسه .. انه لا ينبغي ان يكون مكتوبا على الورق ، بل ... على قلبه «[illegible]» ● اعطني مكانا خارج الارض .. وانا احرك الارض «أرشميدس» ● انني محتاج الى ان احدق في العقول الشابه لكي يبقى ينابيع فكري في تدفق مستمر «[illegible]» ● تتزوج المرأة لتدخل الى المجتمع ، ويتزوج الرجل ليهرب منه. «[illegible]» ● يحتاج الحق الى رجلين .. احدهما ينطق به ، والآخر يفهمه. «جبران» ● الحرية سجن .. ما بقي على وجه الارض انسان واحد مستعبد . «البير كامي» ● الانسان .. هو الحيوان الوحيد الذي يخجل لانه الوحيد الذي يفعل ما يخجل . «مارك توين» ● كنا نسير التاريخ .. فاصبح الان يسيرنا «سارتر» ● احذر ان يسخر من احلام الشباب فان السخرية منها عارض من اعراض مرض الشيخوخة بسميه الرضى .. الحكمة «شكسبير في [illegible]»

الهلال العدد السابع السنة ٧٢

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال

اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢

رئيس مجلس الادارة : احمد بهاء الدين

رئيس التحرير
كامل زهيري

مدير التحرير
طاهر أحمد الطناحي

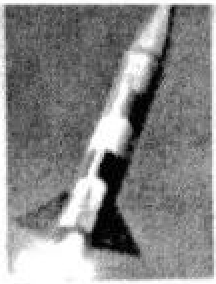
اول يولية سنة ١٩٦٤ م ٢١ صفر سنة ١٣٨٤ هـ



٩ اعوام في السجن ، و ١٧ عاما في الوزارة ، فماذا صنع نهرو؟! ص٧٥



برناردشو ... بدأ حياته ناقدا موسيقيا ... آراؤه ص ٩٢



الانطلاق العلمي ... الى الفضاء وفي التطور الاجتماعي ص ٦

في هذا العدد :

٠٠٢ احمد بهاء الدين : مطلوب مجلة ..
٠٠٦ محمود امين العالم : معنى الحرية في مجتمعنا
٠١٢ د. عبد الملك عودة : اسرائيل والقارة السوداء
٠٢٠ ارنولد توينبي : لماذا اكره الغرب ؟
٠٢٨ الروح .. والصورة
٠٣٤ د. محمد انيس : مؤرخ مجهول..سبق الجبرتي
٠٤٥ بهجت يقدم : ضحكات العالم في شهر
٠٥٠ قصة جمال عمراني : القالب
٠٥٦ طاهر الطناحي يقدم : دموع الحب ..
٠٦٤ كباريهات السياسة
٠٦٨ صالح جودت : امريكا والثورة الجنسية الثانية
٠٧٥ كامل زهيري : نهرو .. اشتراكي في ثياب بيضاء
٠٨٦ د.سهير القلماوي : نبين زين
٠٩٢ راي برنارد شو في الموسيقى
٠٩٨ قصة الديكولتيه .. بين الجمال والوقاحة
١٠٢ دائرة معارف « الهلال »
١٠٤ فيجاي شوهان : شيكسبير .. وافريقيا
١١٠ احمد رشدى صالح : مع المتفرجين ..
١١٧ غدا .. وبعد غد
١٢٠ ابراهيم عامر : مصير الملكية الفردية في الزراعة
١٣٠ د. راشد البراوي : اتجاهات ثورية ..
١٤٠ احمد ابراهيم الشريف : ابو ذر..فارس العدالة
١٤٧ رمسيس يونان : تولوز لوتريك ..اعظم المتشردين
١٦٣ افكارهم ..
١٧٢ عبدالرحمن صدقي : حكاية الصعيدي والافرنجية
١٨٣ خليل نور الدين : تفسير جديد لمسرحية يا طالع الشجرة
١٩٣ صوفي عبدالله تقدم مسرحية : السكون الكبير
٢٠٢ مكتبة مجلة « الهلال »

الفن الساخن .. في اللون النظرة - صورة من اندونيسيا



أحمد بهاء الدين:

مطلوب مجلة تقدم : النظرة العربية

عندما جلسنا ـ الزميل كامل زهيري وانا ـ نفكر في الصورة التي يجب أن تكون عليها « الهلال » لم نلبث أن اتفقنا على أنها يجب أن تكون مجلة : تقدم النظرة العربية الجديدة الى الحياة

أن مجتمعنا ـ في مصر وفي كل قطر عربي ـ يمر بمرحلة من التجديد والتطور ، لم يسبق لها مثيل ، منذ ألف سنة !

كيف كان ذلك ؟

لاكثر من الف سبب

انفجار عوامل الثورة في داخل المجتمع ذاته بعد أن طال اختمارها والتحضير لها . اشتباك مجتمعنا بكل مجتمعات العالم عن طريق ملايين من « الاسلاك » الموصلة للتيار : اسلاك المواصلات . والصور . والسينما والاذاعة والورق . والسفر .اهتزاز العالم من حولنا بعشرات من التحولات الكبرى التي أحدثها ـ وما يزال ـ العلم ، والنضال الاجتماعي ، والفكر . الطموح الغامر الى المساواة : المساواة في الكرامة .وفي الحرية . وفي متعة الحياة

هكذا تفجرت الينابيع وتدفقت الشلالات . وامتزج في الموج الصاعد المتلاطم كل شيء . القديم والجديد الماضي والمستقبل . الالم والامل . العقد القديمة والاندفاعات الجديدة

ومن يشك في عمق التحول وسرعته ، يكفيه ان يلقى نظرة واحدة الى أي علاقة من العلاقات المحيطة به ، وسوف يجد أنها محل جدل ، وصراع ، وتأمل : علاقة الشاب بالفتاة . علاقة الاب بالبنات والابناء . علاقة الغني بالفقير . علاقة السلطة بالمواطنين . علاقة المادة بالفكر . علاقة الانسان بالطبيعة . علاقة الفن بالمجتمع . علاقة الدول ببعضها . علاقة العلم بالحرب والسلام . علاقة الافراد بالنظم . علاقة الشكل بالموضوع

كل هذا يثور حوله الجدل

الجديدة إلى الحياة

والصراع . خصوصا فى مجتمعاتنا العربية : فاذا كانت بعض هذه القضايا قد وصلت الى مستقر نسبى لها فى بعض الدول الاخرى هنا أو هناك ، فهى فى بلادنا بالذات، بوصفها بلاد نامية ناهضة فى مرحلة اليقظة والتساؤل والعمل ، مازالت كلها قضايا ساخنة

وفى هذا الموج المتلاطم لابد أن تكون لنا « نظرة » واضحة ، والا فقدنا رءوسنا ، واختل توازننا وسحبتنا دوامات الموج الى القاع بدلا من أن تدفعنا الى السطح ..

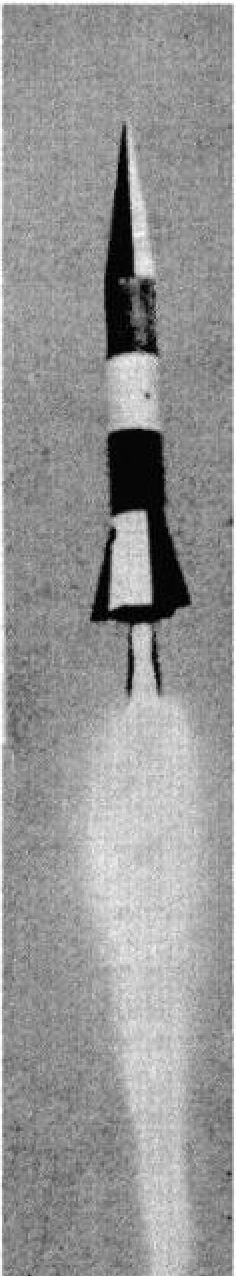
وهذه « النظرة العربية الجديدة الى الحياة » ليست جديدة بمعنى انه لاجذور لها . ولكنها جديدة بمعنى أنها تنضج تحت كل شمس جديدة يطلع بها صبح جديد . ان الطائرة تحلق من مطار . والصاروخ ينطلق من قاعدة . والقمر الصناعى يسبح فى الفضاء باشارات تصدر له من الارض . كذلك فان « النظرة الجديدة » مهما بلغت ثوريتها فهى لا تغفل لحظة واحدة عن تراثها القديم .. تعتز به ، وتستلهمه ، وتعيد النظر فيه ، وتنقيه من الاوهام ، والافكار الخاطئة . اى تنظر اليه نظرة جديدة لاهى معتدة به ولا هى متبرئة منه

وهذا ما يجب على « الهلال » أن تساهم فيه . ان المجلة الشهرية صديق أطول وفاء للقارىء من الجريدة اليومية او المجلة الاسبوعية . انها تعاشر القارىء شهرا كاملا ، قبل ان تنضم الى مكتبته حيث تعيش سنوات أنها هناك دائما لساعات فكره أو قلقه أو تامله . انها دائما هناك تنتظر ساعة فراغه من ضجة الحياة اليومية ، لمحاولة الارتفاع فوق هذه الضجة ومحاولة فهمها وتفسيرها ووضعها فى « نظام » ..

وهذا مايجب ان تحاوله « الهلال » وما نرجو أن يتضح شهرا بعد شهر .. مع كل عدد جديد

محمود أمين العالم :

معنى الحرية في مجتمعنا الجديد



ما تزال الانسانية تختلف حول معانى كلمات بسيطة للغاية. ولا يقف الخلاف عند حدود الصدام اللغوى ، وانما ينتقل الى صدام المدارس الفكرية والنظم الاجتماعية بل والصدام المسلح كذلك . ذلك ان الخلاف فى الحقيقة ليس خلافا لغويا تحسمه المعاجم ، وانما هو خلاف فى فلسفة الحياة نفسها ، خلاف فى تفسير التاريخ

والحرية كلمة بسيطة للغاية ، حبيبة للغاية ، يتنفسها الانسان كل يوم ، وفى كل بقعة من بقاع الارض وفى اى وضع من اوضاع الحياة . وما اشد الخلاف واحد الصدام حولها . فعلى جانبى المتاريس الفكرية والاجتماعية والعسكرية ، يرتفع شعارها . ولكن .. مع أى جانب من الجانبين تقف الحرية بحق ؟! وماهى حقيقة الحرية ؟ هل الحرية هى المنافسة الحرة فى النظام الرأسمالى ، أم الحرية هى التوجيه الاقتصادى فى النظام الاشتراكى ؟ هل الحرية اختيار مطلق من أى قيد ، وانفصال كامل عن قيم الجماعة .. كما يقول بعض الوجوديين ، أم هى اتصال ومسئولية اجتماعية ؟ هل كان حى ابن يقظان وربنسون كروزو اكثر

حرية وهما متوحدان فى جزيرتيهما ، ام اكتسبا مزيدا من الحرية بلقاء سلامان وابسال وجمعه ومجتمع الجماعة ؟

ما معنى الحرية ؟

هل لها معنى ثابت محدد ، ام هى مفهوم عام تتغير دلالته باختلاف الظروف التاريخية والاجتماعية ؟!

ما احوجنا الى الاجابة عن هذه الاسئلة ، فنحن فى مرحلة انطلاقتنا اشد ما تكون حاجة الى شحذ اسلحتنا الفكرية

والحرية من اخطر هذه الاسلحة .

ان الحرية فى الميثاق محور لابوابه جميعا لامجرد باب من ابوابه العشرة ، وهى فى مجتمعنا الجديد ، ليست مجرد قيمة معنوية ، وانما هى قيمة مادية وعملية كذلك .. تتدفق بالحرارة والحيوية والحماس والوعى فى مختلف مرافق الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على السواء

على أن كثيرا من المواطنين مازالوا يفتقدون المعنى الحقيقى للحرية ، ويتعلقون بمفهوم ليبرالى لا يتفق مع ملابساتنا الثورية الجديدة . وفضلا عن ذلك فان اسواق الكتب تزخر بعديد من الكتب التى تقيم تناقضا بين بناء الاشتراكية والاستمتاع بالحرية ، بين التحرر الاقتصادى والتحرر الاجتماعى والسياسى ، بل ما اكثر الكتب التى تروج للمفاهيم الوجودية عن الحرية ، باعتبارها الفعل المنعتق من كل قيد ، وما اكثر الكتب كذلك التى تروج للمفهوم الليبرالى للحرية ، حرية المجتمعات الرأسمالية . ولعل الميثاق ان يكون انضج ما كتب حتى الان عن المفهوم العلمى الصحيح للحرية

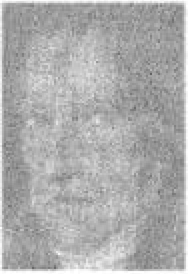
الا ان الحرية فى بلادنا معركة بغير شك ، معركة فكرية من اجل اشاعة مفهومها العلمى بين المواطنين جميعا وهى معركة عملية من اجل حسن تطبيق روح الميثاق وممارسته وتطويره ، فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية جميعا

***

ان الحرية مفهوم اجتماعى تختلف دلالته ووظيفته باختلاف الملابسات التاريخية والاجتماعية . فالحرية فى ظل المجتمع العبودى ، غير الحرية فى ظل النظم الاقطاعية ، غير الحرية فى النظام الرأسمالى ، غير الحرية فى النظام الاشتراكى ، غير الحرية عندما تزول النظم السياسية وتختفى الدولة وتقوم حكومة الاشياء ، ويتحقق



سبينوزا ... وافق بين الانسان والطبيعة



هيجل ...

ارقى وأرفع مستوى للحرية الانسانية

ولعل من انضج التعاريف القديمة للحرية تعريف فيلسوفنا العربي العظيم ابن رشد ، الذى استطاع أن يتبين فيها لقاء بين ضرورتين،ضرورة انسانية وضرورة طبيعية ، وكذلك تعريف الفيلسوف العظيم الهولندى اسبينوزا الذى وقف على نفس ارضية ابن رشد تقريبا . الا أن تعريف هيجل للحرية كان هو بغير شك أنضج وارقى التعريفات جميعا ، وكان اساسا لمفهومها العلمى الصحيح

يعرف هيجل الحرية بانها معرفة الضرورة حقا ان معرفة الضرورة والسيطرة عليها وتوجيهها لصالح الانسان هو جوهر الحرية . والضرورة اما ضرورة طبيعية او اجتماعية او نفسية ، فالجاذبية الارضية مثلا ضرورة طبيعية . ولهذا فان معرفتنا بقوانينها وسيطرتنا عليها ، هو جوهر تحررنا منها . ان الطائرة والصاروخ والقمر الصناعى تعد تعبيرا رائعا عن حرية الانسان ، عن سيطرته على الضرورة الطبيعية وتوجيهها . والثورات الاجتماعية وانجازها لتغيرات حاسمة فى النظم الاجتماعية تعني فى جوهرها سيطرة الانسان على الضرورة الاجتماعية وتوجيهها لصالحه ، ولهذا فهى تعبير عن الحرية .. وهكذا

وفى كل مرحلة من مراحل التاريخ ضرورة اجتماعية معينة . والضرورة الاجتماعية فى مجتمع العبيد غير الضرورة فيما تلاه من مجتمعات ونظم . ولهذا اختلف مفهوم الحرية كما ذكرنا ، باختلاف النظم الاجتماعية

كانت الحرية فى العصر العبودي هى اساسا حرية السادة ، حرية مالكى العبيد . وكانت الحرية تتسع لك بمقدار اتساع ملكيتك للعبيد

وكانت الحرية فى النظم الاقطاعية محدودة بهذه النظم . وفى منطلق النظام الراسمالى ، منطلق الثورة البورجوازية ، كان شعار « دعه يعمل ، دعه يمر » هو جوهر الثورة والنظام الجديد . كانت الضرورة الاجتماعية هى تغيير علاقات الاقطاع ونظام الريع الى علاقات انتاج راسمالى وعمل مأجور . وكانت حرية العمل والملكية الفردية حرية السوق،

حرية المنافسة ، هي الوسائل الاولى الاساسية للسيطرة على هذه الضرورة ثم تحولت النظم الراسمالية من المنافسة الحرة الى الاحتكار والاستعمار والحروب الشاملة ، وبلغت فى بعض البلاد الى حد الالغاء السافر او المقنع للحرية التى بدات بها هذه النظم انطلاقها

وبنضج الافكار الاشتراكية اخذ ينضج المفهوم الجديد للحرية ، النابع من الضرورة الاجتماعية الجديدة ، ضرورة الغاء الاحتكار والاستغلال وبناء مجتمع بشرى خال منهما . ولهذا كان التوجيه الاقتصادى والتأميم والملكية العامة لوسائل الانتاج فى المجتمع الاشتراكى بعدا جديدا من ابعاد الحرية ، يتيح لها مضمونا اكثر رقيا ونضجا

ولقد صاحب هذه المفاهيم المختلفة اشكال سياسية كذلك . فلكل نظام من نظم المجتمع ولكل مفهوم من مفاهيم الحرية اشكالها الديمقراطية المعبرة عنها ، والملائمة لها والمحدودة بحدودها

الحرية فى انجلترا مثلا .. انها فى جوهرها حرية الاحتكارات البريطانية فى السيطرة والربح والاستغلال على حساب المستعمرات البريطانية الباقية ، والفئات الكادحة من الشعب البريطانى . حقا ، هناك حرية تعبير ، حرية تكوين احزاب من اقصى اليمين الى اقصى اليسار . حرية ان تقول وان تفعل فى هايدبارك ما تشاء ، وهناك بغير شك ضمانات دستورية وديمقراطية طيبة استطاع الشعب البريطانى ان ينتزعها بكفاحه الطويل . ولكن رغم هذه الاشكال الديمقراطية ، فان المضمون الجوهرى للحرية فى بريطانيا هو حرية المالكين ، حرية أصحاب رءوس الاموال . وبتعبير اخر ، من يسيطر على الضرورة الاجتماعية فى انجلترا هل الشعب العامل ، ام الارستقراطية المالكة ؟

لاشك ان الشعب العامل لا يتبقى له غير الفتات ، وهو وان كان فتاتا وفيرا احيانا فهو فتات ، اما ثمرات العمل الذى تنجزه شعوب المستعمرات البريطانية والشعب البريطانى ففى جيوب هذه الارستقراطية المالكة اساسا . وعلى هذا فالحرية هناك برغم كل تشكيلاتها وضماناتها هى فى الجوهر حرية النهب والاستغلال والاستعمار

وفى بلادنا ..

اى الوضعين اكثر حرية ، مصر قبل ثورة ٢٣ يولية ٥٢ أم مصر بعدها ؟!

فى مصر قبل ١٩٥٢ كانت هناك احزاب ، ومعارك دستورية ، وبرلمان وانتخابات ووزارات تقوم واخرى تقعد ، وجرائد ومجلات مملوكة للاحزاب أو للافراد ، ومعارضة برلمانية ... و ... و ...

وفى مصر الثورة ليس ثمة احزاب ولا صراع حزبى ، ليس ثمة معارضة برلمانية بالمعنى التقليدى ولا ملكية فردية للجرائد والمجلات .. الخ . الخ

فاى الوضعين اكثر حرية ؟

لاشك انه رغم النشاط الديمقراطى المجيد ، والمكاسب الدستورية والديمقراطية التى كان ينتزعها الشعب انتزاعا فى مصر ما قبل الثورة فان مضمون الحرية فى ذلك الوقت

كان يعنى فى جوهره حرية الرجعية والاقطاع وكبار الراسماليين والاستعمار . لم تكن البرلمانات تمثل الادارة الحقيقية للشعب ، رغم ماكان يحيط بها من كفاح شعبى ، ولم تكن تمثل سيطرة الشعب على الضرورة الاجتماعية فى البلاد. وكانت السيطرة على مقدرات الحياة فى بلادنا فى أيدى الرجعيين والاستغلاليين والاستعماريين . ولهذا كانت الحرية أساسا هى حريتهم لا حرية الشعب، برغم كل المظاهر والاشكال الخارجية

وعند قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تحققت أسس أرقى للحرية . وان لم تتضح مظاهرها واشكالها منذ البداية

ان انتقال السلطة فى مصر يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ من ايدى الرجعية والاستعمار ، الى الايدى الوطنية ، يعد في ذاته تغيرا في المضمون العام لحرية فى مصر . وبانتقال العمل الثورى فى بلادنا من مرحلة الثورة الوطنية الى مرحلة الثورة الاجتماعية، من التغيير الثورى الذى يبدأ بجهاز الدولة الى التغيير الثورى فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية نفسها ، من التغيير الذى يحققه فى البداية الجيش بقيادة الضباط الاحرار ، الى التغيير الجذرى الذى يشارك معهم فيه الملايين من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، من الانتقال من سلطة مجلس الثورة الى سلطة الشعب العامل فى مختلف القيادات والمجالس المحلية والشعبية والادارية والانتاجية والتشريعية ، والى نسبة العمال والفلاحين المقررة فى مجلس الامة والمجالس الشعبية ، ومجالس الانتاج من سيادة الملكية الخاصة الى ملكية الشعب لوسائل الانتاج ، من مصر الوطنية الى مصر الاشتراكية ، يتطور كذلك مفهوم الحرية ويتخذ ابعادا واعماقا اخصب وارحب ، رغم غياب كثير من الاشكال الديمقراطية التقليدية ، التى عرفتها المجتمعات الراسمالية وعرفتها مصر ما قبل الثورة

ان اجراءات يولية الثورية وماتلاها كانت اسسا راسخة لمضمون جديد للحرية . وما كان تحويل مجرى النيل الا تجسيدا ماديا لهذا المضمون الثورى الجديد للحرية . لم يكن مجرد تحويل لمجرى نهر ، لم يكن مجرد معرفة لقوانين الحركة والبناء والتحويل ، بل كان فضلا عن هذا توجيها لهذه المعرفة لخدمة الانسان . هذا هو المعنى الثورى لاجراءات التاميم ولتحويل مجرى النيل ، والتقدم العلمى والتكنولوجى فى بلادنا ، ولاطلاقنا للصاروخ والاقمار الصناعية ، انها جميعا تجسيد للمعنى الجديد للحرية المسيطرة على القانون الاجتماعى والطبيعى وتوجيهه لصالح الانسان العربى ، والتقدم الانسانى

***

وكما تختلف الضرورة الاجتماعية من مجتمع الى مجتمع ومن ثورة الى ثورة ، تختلف كذلك اشكال تحقيق الحرية ، التى هى سيطرة على هذه الضرورة

فاذا كانت الحرية فى المجتمع الرأسمالى تتخذ شكل تعدد الاحزاب، والجمعيات التاسيسية ، والمعارضة

البرلمانية ، والصحافة الفردية . الخ الخ .. فان ذلك ينبع بغير شك من تعدد الطبقات الاجتماعية، ويعبر عن صراع السلطة فيما بينها . وعلى ذلك فان هذا الشكل قد لايصلح تعبيرا من الحرية فى مجتمع اشتراكى ذابت فيه الطبقات الى شعب عامل موحد الارادة والمصلحة ، او فى طريقه الى هذا . بل قد تكون الدعوة الى تعدد الاحزاب وتنظيم المعارضة ، الخ .. دعوة فى الحقيقة الى اعادة احياء الطبقات المصفاة وتسليحها تسليحا تنظيميا وسياسيا ، تمهيدا لاحيائها اقتصاديا كذلك . وهكذا تصبح هذه الدعوة «دعوة الى الثورة المضادة» دعوة مناقضة للحرية وان تزيت بزى الحرية

***

عندما انتصرت الثورة الجزائرية، قامت دعوتان الى الحرية ، دعوة الى الحريات الليبرالية ؛ حرية تكوين الاحزاب ، والمعارضة المنظمة و.و.و وكان يتزعم هذه الدعوة عباس فرحات وكانت هناك دعوة أخرى يتزعمها بن بيللا ، وكانت تدعو الى التنظيم الثورى الواحد لقوى الثورة الجزائرية وحدة كل القوى الاشتراكية فى جبهة التحرير . فأى الدعوتين هى دعوة الحرية حقا ؟!

انها دعوة بن بيللا بغير شك . ذلك لان الدعوة الى الحرية الليبرالية فى الجزائر كانت تعنى تعبئة وتنظيم كل القوى الاجتماعية الرجعية والعميلة الى جانب تفتيت القوى الثورية وتشتيت طاقاتها . وكان هذا يعنى بالدقة التمهيد لصراع



بن بيللا .. تنظيم ثورى واحد

طبقى حاد غير موجه يمكن ان يعرقل البناء الاشتراكي .. ان لم يشل الثورة الجزائرية نفسها وينتكس بها ان الملابسات الخاصة بالثورة الجزائرية ، قد حددت لها هذا الطريق الخاص الذى اكده ودعمه المؤتمر الاخير لجبهة التحرير .. طريق وحدة كل القوى الثورية فى اطار جبهة التحرير ، هذا هو طريق بناء الاشتراكية هناك وهو طريق الحرية الحقة للشعب العربى فى الجزائر

***

وفى بلادنا ..

هناك شكلان من اشكال الحياة البرلمانية ، هناك الشكل التقليدى ، الانتخابات العامة المباشرة ، من غير قيد طبقى ، اللهم الا قيد السن

والنصاب المالى ، وهناك الشكل الجديد المقيد بنسبة معينة للعمال والفلاحين هي نصف المقاعد على الاقل . فاى الشكلين اكثر تعبيرا عن ارادة الشعب ، وارقى تجسيدا للحرية ؟! انه بغير شك الشكل الجديد رغم قيود النسبة ، بل بفضل قيود النسبة !

هكذا ينبغي ان نفهم الحرية ونمارسها ونطورها

***

ولكن هناك من الكتاب من يصدر فهمهم للحرية في بلادنا وتقديرهم لها عن رؤية عاطفية ليبراليه خالصة

ان الدعوة الى تعدد الاحزاب الاجتماعية ، او الى تنظيم المعارضة البرلمانية ، واستقلالية الصحافة عن التنظيم السياسي ، انها هي دعاوى ليبرالية حقا ، لا تتبين الظروف الموضوعية الخالصة التي تمر بها بلادنا . انها دعوة في الحقيقة الى اعادة تنظيم الطبقات الاجتماعية تنظيما سياسيا وفكريا رغم تصفية مصالحها الاقتصادية . انها دعوة في الحقيقة الى الثورة المضادة مهما اتسم قائلها بالاخلاص والامانة العقلية والجدية وحسن النية

ان طريق الحرية في بلادنا ليس طريق البرلمانية الليبرالية ، ليس طريق تعدد الاحزاب، وانما هو طريق التحالف الثوري لقوى الشعب العامل والتنظيم الثوري القائد ، انه طريق البرلمان الشعبي والمجالس الشعبية، طريق اغلبية العمال والفلاحين، طريق القيادة الجماعية والرقابة الشعبية ، طريق النقد والنقد الذاتي ، طريق سيطرة الشعب الواعية على قوانين حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومشاركته الفعالة في توجيهها ؛ طريق التنمية الاقتصادية الى غير حد ، طريق تخطي معدلات الانتاج بالوعي والحماس ، طريق المبادرة الخلاقة في مجالات الانتاج والثقافة والخدمة العامة والبناء

وهذا الطريق ـ كما ذكرت في البداية ـ معركة !

ان مفهوم الحرية بين الجماهير مازال غامضا تشيع منه بقايا ليبرالية ان قيم الحرية في الميثاق مازال ـ في كثير من المجالات ـ شعارات اكثر منها حقائق حية . وما تزال العادات القديمة وروح الفردية والاجهزة البيروقراطية والسلبية حوائط عالية في وجه القيم الجديدة

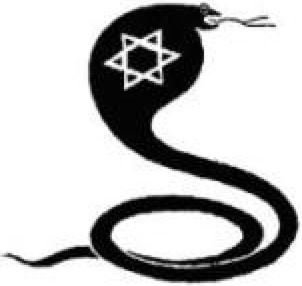
انها معركة ينمو خلالها وبفضلها التحالف والاندماج الثوري بين كل القوى التقدمية البانية في بلادنا ، في اطار الاتحاد الاشتراكي وفي تنظيمه الطليعي ، كما ينمو خلالها وبفضلها مضمون الحرية نفسها ويرقى الى غير حد

ان المفهوم الثوري للحرية ينبغي ان يشيع وينطلق في المصنع والحقل والمؤسسة الاقتصادية والجمعية التعاونية والمدرسة ودور الثقافة ومعاهد التعليم ..

فهذا هو المعنى العميق لمرحلة الانطلاق

وهذا هو المعنى الذي نحتفل به في العيد الثالث عشر لثورة يوليه المتجددة المجيدة

الدكتور عبد الملك عودة :



اسرائيل .. والقارة السوداء

ان الكفاح ضد التسلل الاسرائيلي في القارة الافريقية يستلزم منا ان نعرف باستمرار القواعد التي تقوم على اساسها العلاقات الاسرائيلية الافريقية ، وان نعرف دائما الوسائل والتابلات من هذه العلاقات

كما يجب ان نلاحظ بدقة علمية الظروف الموضوعية التي تحيا فيها افريقيا في النصف الثاني من القرن العشرين، وكيف تواجه هذه الدول الافريقية المستقلة مشكلات مجتمعاتها وما فيها من ميراث تاريخي اجتماعي تركته فترة التبعية الاستعمارية الطويلة . ومن دراسة جانبي الموقف داخليا وخارجيا يتوافر لنا وضوح الرؤية ، فنستطيع ان نرسم الاجراءات والمواقف والخطط التي تزيد موقفنا العربي ثقلا وفعالية ، وتجعل كفتنا هي الراجحة باستمرار

ويجب الا تقتصر مثل هذه الدراسة على متابعة النشاط الرسمي المتعارف عليه في القانون الدولي والدبلوماسي فقط ، انما يجب ان تمتد الى خارج نطاق نشاط الاجهزة الحكومية الرسمية المخصصة لاداء هذه الوظيفة طبقا لتنظيم ادوات الحكومة الحديثة ، فقد ظهرت بجوار هذه الاجهزة الحكومية الرسمية جماعات ومنظمات وهيئات اقليمية ودولية فنية وعلمية تنشيء ايضا علاقات فيما بينها

واسرائيل بالذات تستغل هذا النوع الثاني من العلاقات اقصى درجات الاستغلال خاصة وان المفهوم العالمي المعاصر يشجع عليه ويدعمه . وهذا واضح في عمل منظمات ووكالات الامم المتحدة ، ففي داخلها يظهر دور الهيئات والمنظمات غير الحكومية . ومن امثلة هذه المنظمات الاتحاد الدولي لجمعيات الامم المتحدة ، والاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة ، والاتحاد الدولي لنقابات العمال المسيحية ، والاتحاد العالمي

للمحاربين القدماء ، وغرفة التجارة الدولية والاتحاد العالمي لنقابات العمال ، والاتحاد الدولي للجامعيات والاتحاد الدولي للمحاميات ، واتحاد الطرق الدولي ، وجمعية ... ـابات المسيحية العالمية ، ورابطة ... ـوية الصليب الاحمر ، ومجلس النساء الدولي ، واللجنة الاستشارية العالمية لجمعية الاصدقاء ، والاتحاد الدولي للصحفيين الاحرار .. والجمعيات الدينية والاجتماعية والثقافية والخيرية

وهذه العينة من الاسماء اخترناها من وسط قوائم اسماء هذه الجمعيات والهيئات ، والتي تحضر بانتظام جميع اجتماعات فروع المنظمة الدولية ووكالاتها المتخصصة .. وهي جميعا تمارس نشاطها في نطاق الامم المتحدة كما ان لها دورها في التأثير على الرأي العام في بلادها وفي الضغط على الاجهزة الحكومية والبرلمانية والجماعات ذات الاثر والاحزاب والنقابات ..

الاجهزة الحاكمة في اسرائيل

وتختص هذه الاجهزة بالعلاقات الدولية وهي التي تساعد على تنفيذها وتهيئة الظروف لتحقيق اهدافها. واسرائيل تختلف عن غيرها من المجتمعات الاخرى في ان بها ثلاث منظمات قومية سياسية كبرى تكاد تكون لها



حكومتها الخاصة التي ... باشر مهامها بجوار الحكومة النظامية وما بها من ادارات ومصالح وهيئات سرية وعلنية ، توجد الوكالة اليهودية المنبثقة عن المؤتمر الصهيوني الدولي ويوجد الاتحاد العام للعمال « الهستدروت » . ويباشر كل منهما وظائف سياسية هامة في ميدان العلاقات الخارجية.

ومثل هذا الوضع لابد ان يثير تناقضات وتضاربا في تخطيط العمل والتنفيذ

ولكن هذا التناقض والتضارب لا يظهر حتى الآن بسبب سيطرة حزب الماباي على قيادة هذه التنظيمات الثلاث حتى أن بعض المسئولين عن السياسة وتخطيطها وتنفيذها يشغل نفس المنصب في هيئتين او اكثر . ولذا يمضي اكثر من مؤلف اجنبي الى القول ان حزب الماباي هو مفتاح فهم النظام السياسي الاسرائيلي . ومع اقرارنا بهذه الحقيقة ، الا اننا لا ننكر أثر الصراعات الداخلية القائمة في الحزب ، وان كانت لم تصل بعد الى درجة الانفجار الداخلي

ولهذا يجب أن نلتفت الى هذه الحالة الخاصة : أن ثلاثة اجهزة تعمل في هذا الميدان ، هذه الاجهزة ليست على مستوى واحد من التنظيم وطرق العمل وطاقة ووسائل التنفيذ ، واجراءات التطبيق .. بمعنى أن الجهاز الحكومي المتمثل في وزارة الخارجية والاجهزة الحكومية المتخصصة والبعوث الدبلوماسية يعمل كمؤسسة حكومية رسمية وفي نطاق العلاقة مع ما يقابله من اجهزة في الدول الافريقية . بينما جهاز الوكالة اليهودية والمؤتمر الصهيوني الدولي يعملان كمؤسسة غير حكومية في نطاق الاقليات اليهودية ، وفي نطاق المشتغلين بوسائل الاعلام والنشر ، وفي نطاق النشاط الاهلي كالجمعيات والروابط . بينما جهاز الهستدروت يعمل على مستوى التنظيمات العمالية والنقابية مع نشاط اقتصادي يتمثل في شركات ومؤسسات تجارية ومالية

وتعمل هذه الاجهزة الثلاثة مجتمعة احيانا او منفردة احيانا اخرى ، طبقا للوضع السياسي والاقتصادي الذي تكون عليه الدولة الافريقية قبل الاستقلال او بعد الاستقلال وقد يسبق احدها بالعمل قبل الآخرين ويكون عمله تمهيدا لوصول الجهازين الآخرين وبدء نشاطهما ، ثم يعملون جميعا سويا في سبيل غايات واحدة في النهاية



مؤتمر الملوك والرؤساء العرب .. أصدر بيانه المشهور في يناير ١٩٦٤

حزب الماباى والاحزاب الاشتراكية

ان دور هذا الحزب في حياة اسرائيل يتضح اكثر اذا نظرنا الى علاقته بالاحزاب الاشتراكية المنطوية تحت لواء ما يسمى بالدولية الثانية أو الدولية الاشتراكية . مثل حزب الماباى . وقد وصلت هذه بعض الاحزاب الاشتراكية الاخرى في اسرائيل مثل حزب الماباى . وقد وصلت هذه الاحزاب الى الحكم في غرب اوروبا ، مثل الحزب الاشتراكي الفرنسي ، وحزب العمال البريطاني ، والحزب الاشتراكي الديموقراطي في المانيا . وتتمتع هذه الاحزاب عندما لا تكون في الحكم بتأثير فعال في الدعاية وفي الرأى العام الداخلي .. وخطر هذا الوضع يرجع بلا شك الى تأثير الاشتراكيين الاوربيين في حياة وافكار بعض الاحزاب والهيئات والزعامات في افريقيا

فلقد انضم حزب الماباى « حزب عمال اسرائيل » الى مؤتمرات الدولية الاشتراكية منذ عام ١٩٣٠ ، وواظب على حضور جلساتها ، ونمى علاقاته مع هذه الاحزاب على اساس حزبي ، وعلى اساس شخصي فردى

وتتضح خطورة هذه العلاقة خارج اوروبا في ظهور فكرة عقد **المؤتمر الاشتراكي الاول في رانجون** عاصمة بورما عام ١٩٥٣ . لقد حضره حزب الماباى مع باقي الاحزاب الاشتراكية الاسيوية . وحضر **مراقبون** من بلاد افريقية اهمها ساحل الذهب « غانا منذ الاستقلال عام ١٩٥٧ » وكينيا واوغندا ونيجيريا . وقد أسهم حزب الماباى في نشاط الهيئة التنفيذية التي تكونت اثر هذا الاجتماع ، وحضر ايضا **المؤتمر الثاني الذى** عقد في بومباى عام ١٩٥٦ .

كما ظهر تدعيم هذه الاحزاب « الاشتراكية » لحزب الماباى ... عندما تقرر عقد دورة هذه الدولية الاشتراكية في تل أبيب في ابريل عام ١٩٦٠ . وقرارات هذا الاجتماع توسع علاقة اسرائيل بهذه الاحزاب والارض المشتركة بينهما في مسائل الفكر والاوضاع السياسية الدولية !

اهداف السياسة الاسرائيلية

أن المحور الرئيسى للسياسات الاسرائيلية الخارجية هو استمرار رفض العرب قبول اسرائيل كجزء من المنطقة ورفضهم التسوية والصلح مع هذه الدولة العنصرية الاستعمارية .. وترتيبا على هذا تبحث اسرائيل عن اسباب وعناصر الامن والحماية . وتهتم بزيادة قوتها العسكرية وتقوية اقتصادها وتوسيع العلاقات الاقتصادية الخارجية والعمل على استمرار الهجرة اليهودية لاسرائيل ؛ والبحث عن الاصدقاء او العملاء .. فى المجتمع الدولى

وقد اجمل رئيس وزراء اسرائيل هذه الاهداف فى استمرار ضمان موارد التسليح مع جلب اليهود من الخارج ليكونوا عماد هذه القوة العسكرية . ومن هنا بدأ يظهر دور وقيمة افريقيا . فالعلاقات مع الدول الجديدة فى آسيا وافريقيا تمثل من وجهة النظر الاسرائيلية كسبا لاصدقاء جدد قد يرجحون الكفة الاسرائيلية

وكما يقول رئيس وزراء اسرائيل : ان هذا العمل يساعد اسرائيل على اختراق حاجز التطويق الذى يفرضه العرب حولها ؛ فاذا افلحوا فى هذا — من وجهة نظره — فيمكن مع نمو الموقف فرض الصلح والتعاون مع الدول العربية . كما ان **التقوية الاقتصادية** الاسرائيلية تأتى بزيادة التعامل والتبادل على نطاق عالمى ، وهذا يأتى بتحطيم خطط المقاطعة العربية .. اى زيادة العلاقات المستمرة مع آسيا وافريقيا .

***

ويسيطر على قادة اسرائيل من الناحية الفكرية صورة المجتمع «والدولة والنموذج» .. ولذا يركزون على اجتذاب اهتمام الزعماء والقيادات السياسية والطلابية والعمالية والنسائية .. وتستعمل اسرائيل صفات الاشتراكية والديموقراطية بكثرة . ويتردد فى خطب وكتابات قادتها انها — اى اسرائيل : « دولة صغيرة ذات رسالة تنمى مجتمعها بالعلم والعمل ؛ وان عندها تجربة يمكن للدول الاسيوية الافريقية ان تستفيد منها ! »

وفى هذه النقطة بالذات تعمل اسرائيل للاستفادة من الظرف الجغرافى . فهى تقع وسط دائرة عربية معادية تمتد فى آسيا وافريقيا . ومعنى هذا انقطاع وانعدام طرق الاتصال البرى والجوى . ومن ثم لا يبقى امامها من وسائل المواصلات سوى **الطرق البحرية** . فاذا استعملت هذا الطريق البحرى كانت شواطىء افريقيا هى اول الشواطىء التى تقابلها بعد أن تدور حول الشواطىء العربية المعادية ، وهذا واضح فى استعمال طريق البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق ثم الدوران حول افريقيا للاتصال بالدول غير الاوروبية والامريكية . وحتى بعد استعمال طريق خليج العقبة والبحر الاحمر **وهذا واضح فى اهتمامات اسرائيل بالعلاقات مع اثيوبيا واريتريا والصومال الفرنسى « جيبوتى »**

اسرائيل فى المجال الدولى

أن اسرائيل ليست دولة عادية الوجود والنشأة . لقد قامت فى وضع استثنائى اهدرت فيه القيم والعدالة الدولية والانسانية وترتيبا على هذا يظل اهتمام اسرائيل مشدودا باستمرار الى هذه المنظمة الدولية . وهى لذلك تهتم اشد الاهتمام بهذه المنظمة وتنوع عضويتها واتجاهات الدول الاعضاء فيها . وعلى هذا فالاهتمام يكون موجها اصلا الى افريقيا

***

ان تركيب المنظمة الدولية عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ شهد وجود اربع دول افريقية هى مصر واثيوبيا وليبيريا والدولة العنصرية البيضاء فى جنوب افريقيا . وكانت موازين القوى فى المنظمة فى يد المعسكر الغربى عامة والولايات المتحدة الامريكية خاصة . وبازدياد نمو حركات الاستقلال ازداد ظهور الدول الحديثة فى آسيا وافريقيا .. وما جاءت الدورة العاشرة للجمعية العامة للامم المتحدة حتى وصل عدد الدول الاسيوية الى ٢١ دولة . بينما كان عدد الدول الافريقية خمس دول فقط . وكان عدد الدول الاعضاء من الامريكتين واستراليا ثابتا فى حين ارتفع عدد الاعضاء من الدول الاوربية الى ٢٦ دولة . ومعنى هذا ان افريقيا ابتداء من عام ١٩٥٥ . هى التى تؤثر فى موازين التصويت وفى الاتجاهات السياسية

ولما كانت القضية الفلسطينية هى احدى المشكلات الدولية الاساسية فى عالمنا المعاصر لهذا ستكون الدول الافريقية الجديدة ذات رأى فى هذه القضية . ولما كانت هذه الدول الافريقية الجديدة على غير معرفة كاملة دقيقة بالقضية . لذلك رأت اسرائيل ان عليها ان تسرع الى الدول الافريقية

الجديدة لتكسب صداقتها وتسبق الدول العربية ، فى هذا المضمار

وفى هذا المعنى تحدث فردريك بولاند رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦٠ فقال :

« عند انشاء الامم المتحدة كان الاعضاء الاصليون ٥١ دولة من بينهم ٢٢ دولة هى مجموعة دول غرب اوروبا وامريكا الشمالية وامريكا اللاتينية ، اى انهم كانوا يمثلون الاغلبية المطلقة . وفى عام ١٩٦٠ اصبح عدد الاعضاء ٩٩ دولة . وارتفع عدد اعضاء كتلة الدول الاوروبية الغربية والامريكية الى ٢١ دولة فى حين اصبح عدد الدول الاسيوية الافريقية وغير المنحازة والمحايدة لايقل عن ٤٥ دولة . وهذا معناه ان الدول الغربية التى مارست نفوذا دائما فى الامم المتحدة ، ووجهت القرارات والتوصيات طبقا لسياستها ، لم تصبح اليوم هى الاغلبية بل اصبحت المجموعة الافريقية الاسيوية هى المؤثرة فى سياسات والجاهات الجمعية العامة . »

وفى داخل هذه المجموعة الاسيوية الافريقية حدث تطور اعطى الدول الافريقية الاهمية الاولى . من الارقام التالية

	الدول الافريقية الاعضاء	الدول الاسيوية الاعضاء
حتى عام ١٩٥٥	٤	١٨
حتى عام ١٩٥٦	٧	٢٠
حتى عام ١٩٦٢	٣٢	٢١

سياسة اسرائيل الاقتصادية

ان الاصل الذى نما فى اذهان وفكر الحركة الصهيونية الدولية ، وما ظهر فى عقلية ومفاهيم مؤيديهم من ساسة الدول الرأسمالية واصحاب المصالح الاقتصادية فيها ... هو ان تكون اسرائيل مركزا اقتصاديا متطورا ، وصناعيا متقدما ، ومؤثرا فى وسط بيئة زراعية عربية متأخرة واقتصادية متخلفة ، وتركيب اجتماعى ينتسب للقرون الوسطى وان كان يعيش على خريطة القرن العشرين . ومن ثم تنشط هذه البيئة الاسرائيلية فى هذه الدائرة العربية وتمتد من ورائها موجات ودوائر . وتفسير هذا يتضح عندما نتذكر صورة ومفهوم الاستعمار الجديد

ولكن هذا المخطط تعطل بسبب الموقف السياسى والاقتصادى العربى الذى يرفض الوجود الاسرائيلى ويتمسك بعدم الصلح وعدم التفاهم . وترتيبا على هذا وجدت اسرائيل وحلفاؤها ان قبول هذا الموقف معناه قبول الحكم بالموت التدريجى . ومن ثم فقد فكروا فى مخطط مضاد وهو تخطى هذا الحصار العربى الى ما خلفه من دول آسيوية وافريقية غير عربية . وهذه الخطوة لها نتيجتين : الاولى هى معاكسة السياسة العربية ومحاولة العمل على احباطها .. والثانية هى الاستجابة لطبيعة التركيب والوجود الاسرائيلى اى المركز الاقتصادى المتحرك لحساب نفسه ولحساب غيره من المصالح الاقتصادية الاوروبية والامريكية التى تساندها وتوسع لها الطريق فى افريقيا .

وفى هذه النقطة يجب ان نعرف آثار ونتائج الاستعمار الاوروبى فى افريقيا

لقد نشرت الدول الاستعمارية الاوروبية لغاتها وثقافتها ، وخلقت بطول المدة فئات وطبقات جديدة من القيادات والخبراء والفنيين يعتقدون ان نماذج غرب اوروبا الحضارية والتكنولوجية هى افضل النماذج التى يرغبون فى تطوير بلادهم على غرارها .. وعلى هذا فان الجو الثقافى السائد لدى الصفوة والنخبة القائدة فى الدول الافريقية هو المناخ الثقافى الحضارى الاوروبى . وهذا يعطى اسرائيل امكانية التغلغل فى هذا الجو الذى يجعل اللغتين الانجليزية والفرنسية هما اداة التعبير والحديث والكتابة . وبالنسبة لتكوين اسرائيل السكانى نجد ان هاتين اللغتين متداولتان ، كما ان الجرائد والمجلات الواردة من اوروبا وامريكا والتى تحمل وجهات نظر الفكر الغربى هى الصحف وسبل الاعلام المتداولة فى افريقيا فى الغالب

ومن جانب اخر نجد ان الدول الاستعمارية قد ساعدت التسلل الاسرائيلى الى افريقيا وخلقت سبل الاتصال ووسائله ، لقد استقبلت فى المستعمرات الافريقية ممثلى اسرائيل والوكالة اليهودية والهستدروت قبل الاستقلال ، ومنعت الاتصال العربى بهذه المستعمرات حتى يوم اعلان الاستقلال .

ويجب الا ننسى آثار الاتصال الاسرائيلى الاوروبى الامريكى فى نطاق نشاط المنظمات والهيئات الاجتماعية والطلابية والنقابية .. وقد اتاح هذا لاسرائيل فرصة العمل مع المنظمات والهيئات الافريقية المماثلة التى



موديبوكيتا .. افريقي ثائر

عملت في الميدان الدولي .. بخاصة ونحن نعرف أن العرب بعد اشتعال نيران ثورتهم السياسية والاجتماعية قد وقفوا مواقف جادة ازاء هذه المنظمات الدولية التي تساند الدول الاوروبية والامريكية

ومن جانب ثالث يجب ان نقدر قيمة ثروات افريقيا وما بها من موارد أولية ومدى ما قدمته في عمليات بناء الكيان الاقتصادي الاوروبي منذ بدء الاستعمار حتى اليوم . وهذا يأخذنا الى كشف مناورات الاستعمار الجديد في هذه الدول الافريقية بعد التسليم باعلان الاستقلال . وفي هذا المجال تظهر اسرائيل بدور حامل الميكروب . وقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن هذه العلاقة في خطبته التي القاها في افتتاح المؤتمر الاقتصادي الاسيوي الافريقي عام ١٩٦٠ بقوله :

ان اسرائيل تحصل سنويا على ٣٠٠ مليون دولار معونة لكي تعيش .. فكيف يستطيع المتسول ان يعطي الحسنات ؟ كيف يستطيع الذي يبحث عن ٣٠٠ مليون دولار لكي يعيش ان يعطي المعونات للدول الاسيوية الافريقية؟! »

وضع اسرائيل اجتماعي والفكري

ان التركيب الفكري الاجتماعي الذي تعتنقه القيادات السياسية والادارية الاسرائيلية - وغالبيتهم من بين الوافدين من اوروبا وامريكا - ينعكس على السياسة والعلاقات السياسية الداخلية والخارجية .. ومن ثم يكون بناء الانماط والتركيبات الاقتصادية والاجتماعية

ومتطلبات هذه الوضعية التي تتفق مع الموقف الاسرائيلي العام والعداء العربي الدائم - هي تمثيل نقطة او مركز استيراد من اوروبا وامريكا ليكونوا نقطة تصدير إلى آسيا وافريقيا . وكلمتا استيراد وتصدير لا تعنيان البضائع فقط . انما تمتد الى رأس المال والخبرات والخدمات .. الخ . هذا بجانب سياستهم الاقتصادية الطويلة الامد القائمة على تثبيت الوضعية الاسرائيلية والاقتصاد الاسرائيلي كجزء من المنطقة وارغام العرب على الصلح وقبول الامر الواقع

ويرتبط بهذا .. الصورة التي ترغب اسرائيل في أن تعرض نفسها فيها امام الدول الافريقية الاسيوية . فهي صراحة لا تفصح عن حقائق ارتباطها بالمعسكر الغربي الرأسمالي حضاريا واقتصاديا . وانما هي تقدم نفسها في صورة النموذج للدولة الصغيرة المكافحة . ويجب ان نقدر - نحن العرب - هذا المدخل حق قدره - فهي تعرض نفسها امام متعلمين ومثقفين وقيادات افريقية لم تعرف قضية

فلسطين الحقيقية ، واذا حدث ان بعضهم سمع عليها قبل الاستقلال ، فان مصادر معلوماتهم الوحيدة كانت .. الفكر الاوروبي الغربي اليميني واليساري ، واسرائيل قد استفادت من هذا فائدة عظمى . فقد حدث بين الحربين العالميتين وبعد الحرب العالمية الثانية ان كل الدراسات الاوروبية والامريكية التي اشارت الى قضية فلسطين، انما كانت دراسات منحازة للجانب الاسرائيلي مع تحامل شديد على الموقف العربي . وكثير من كتاب اليسار والاشتراكيين اسهموا في هذه الدراسات .

ان قيمة هذا الوضع الفكري ان هذه القيادات الفكرية الافريقية انما تربت سياسيا وفكريا في مدارس الحزبية والسياسة الاوروبية . وعمل عدد كبير منهم في نشاط الاحزاب اليسارية في غرب اوروبا ، وعلى هذا فقد امتصوا هذا المفهوم الاسرائيلي للقضية منذ ايام شبابهم وعملهم السياسي قبل الوصول للحكم

ان كثيرا من الزعامات البارزة في اليسار الاوروبي – بخاصة المفكرين منهم – يعتنقون الديانة اليهودية . وهذا يمهد ارضية النشاط الاسرائيلي الصهيوني .. وفي هذه المنطقة يجب ان نعرف قيمة الدراسات الخاصة بوضع الاقليات في المجتمعات الحديثة وارتباطها بقضايا التحرر الليبرالي احيانا والتحرر الاشتراكي اليساري في احيان اخرى ..

اسرائيل بالنسبة للعرب

تمثل دول افريقيا غير العربية ظهر الوطن العربي . فهي تواجه شبه جزيرة العرب على طول الساحل الشرقي وهي تمتد على الحدود الجنوبية للدول الافريقية العربية . وهذا يعطي لها مركزا استراتيجيا خطيرا اذا كانت على عداء مع الدول العربية او تمثل اعداء القضايا العربية من اتخاذها مناطق هجوم ووثوب ضد الوطن العربي

وعلى هذا فان اسرائيل تحاول خلق نقط تهديد لظهر الامة العربية ومنطقة العمق الاستراتيجي الضرورية للثورة العربية ، مع .. مستفيدة من محاولات جلب انتباه الوطن العربي الموجه ضدها الى ميادين قريبة قد يخفف هذا الضغط عليها

والدول الاستعمارية تتعاون مع اسرائيل ايضا في هذا المخطط اذ انها سوريا مستعمرة في الدخول في معركة ضد الثورة العربية الشاملة

ومن جانب آخر فان الدول الافريقية التي تستقل تنضم للامم المتحدة وتدخل تبعا لذلك مجموعة الدول الاسيوية الافريقية .. واسرائيل ممنوعة حتى اليوم من الانضمام لهذه المجموعة في الامم المتحدة وممنوعة من حضور مؤتمراتها منذ باندونج ١٩٥٥ . وعلى هذا فالخطة ايضا تهدف الى كسر هذا الحصار السياسي العربي ضد اسرائيل . وهي تحاول ان تزيد عدد اصدقائها ومؤيديها في افريقيا لعل اليوم يأتي حين تطلب الانضمام الى المجموعة الاسيوية الافريقية فتجد من هؤلاء الاصدقاء والمؤيدين اغلبية تفرض هذا، او يحدث ان تنسحب الدول العربية من هذه المجموعة وفي كلا الاحتمالين يكسب الاستعمار الغربي والصهيوني وادواته في التسلل الى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية

***

واذا كانت هذه الافكار وهذه الاوضاع هي التي ترسم الخط السياسي الخارجي لاسرائيل تجاه هذه الدولة ، فان معرفتنا – نحن العرب عامة و ج.ع.م خاصة بهذا الموقف وابعاده هي التي تجعلنا نعمل على احباطه وتدميره وتحن في هذا نلتزم اساسا فكريا اوضحه ميثاق العمل الوطني الذي يقول :

« ان اصرار شعبنا على تصفية العدوان الاسرائيلي على جزء من الوطن الفلسطيني هو تصميم على تصفية جيب من اخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب . وليس تعقب سياستنا للتسلل الاسرائيلي في افريقيا غير محاولة لحصر انتشار سرطان استعماري خطر »

وهذا هو ما عناه ملوك ورؤساء الدول العربية في بيانهم المشهور في يناير ١٩٦٤ عقب انتهاء اعمال مؤتمر القمة العربي بالقاهرة والذي يقول :

« .. ويأملون ان الدول الافريقية والاسيوية التي آمنت بمبادىء باندونج وارتبطت بميثاق اديس ابابا ، وضحت بالكثير في محاربة الاستعمار وكافحت التمييز العنصري ، وتعرضت وما زالت تتعرض للاخطار والمطامع الاستعمارية الصهيونية وخاصة في افريقيا – هذه الدول جميعا ستقدم خالص التأييد والعون للعرب في نضالهم العادل » »



ارنولد توينبي :

لماذا أكره الغرب ؟

اقول بصراحة انني اكره الحضارة الغربية المعاصرة فانني بطبيعة الحال ارمي من وراء ذلك - الى حد ما - الى اغاظة رفاقي الغربيين . فموقفي من هذه الحضارة الغربية جانب منه لايخلو من الهزل ، ولكنه في الوقت نفسه لا يخلو من جانب جدي

ان كراهيتي للغرب كراهيـــة صحيحة بعيدة عن الزيف والتهويل ولكنها لا تخلو - بل ولا يمكن أن تخلو - من التلطف والهوادة ولولا هذا الشعور لما كنت حريا أن أحس الضياع كلما خطر لي أن من الممكن فقدان مقري في لندن الذي ينتظر عودتي اليه من كل رحلة أقوم بها

فأنا لندني المولد والنشأة ، ولم يخالجني التمرد على مسقط راسي، الا انني اكره ازدحام هــذه المدينة بوسائل المواصلات وحركة المـرور الميكانيكية ازدحاما يصل الى درجة الاحتقان . ولست أجهل أن هذه الآفة تتمثل بوضوح وبمثل ذلك السوء في سائر مدن العالم الكبرى بعد الحــرب . ولو قامت لجنـة



رينبي .. ضاق بالحضارة الغربية



بريطانية (لا وجود لها الآن فعلا) باخراجي من لندن أحسبني مستطيعا ان أستوطن ادنبره او ملبورن او روما او هامبورج او بوسطن . ولكنى لن أشعر بالايناس والطمانينة التى تلازم الشعور بالتوطن لو انني أقمت اقامة دائمة في نيويورك او شيكاغو او بيتسبرج اوجلاسجو او مانشستر اوميلانو . ولست اخالني ايضا مستطيعا ان اضرب بجذوري في كيوتو او دمشق او استانبول ، او حتى في اثينا ، مع أنني احب كل مدينة من هذه

المدن الجميلة غير الغربية واعجب بها

لقد كانت « سرة » الارض في دولة الاغريق القديمة حجرا أثريا في جزيرة دلفي . اما «سرة» الارض بالنسبة لي فليست في بلاد الاغريق (وان كان قلبي وعقلي يقيمان هناك) ان سرة عالمي هي نصب البرت التذكاري في حدائق



هتلر .. نقطة سوداء في تاريخ الغرب

كنزينجتون

وقد يكون هذا النصب الانجليزي قبيح الشكل بصورة مضحكة ، ولكنها بالنسبة لي مالوفة الفة تدعو للطمانينة . فقد كنت ألعب حول درجات سلالمها وانا طفل صغير . وافريزه هو الذى علمني أسماء كبار الشعراء والفنانين والمفكرين من اهل الماضي . ومجموعات الاشكال القائمة عند أركانه الاربعة هي التي وضعت امام ناظري قارات العالم القديم الاربع على الخريطة

اجل ان المرء سجين زمانه ومكانه، فانا انتمي الى عصر ما قبل الفاشية . فالموسيقى الغربية الكلاسيكية هي الموسيقى الوحيدة التي تستريح اليها اذناي . أحيانا أسمع موسيقى الجاز فما أشد ما يستولي على القلق واشعر بالعداء والنفور ... لاني ارى عالمي التقليدي وقد انتصرت عليه افريقيا الاسيوية وغزته غزوا ! ولئن كنت - سياسيا - في جانب افريقيا ضد قوى الاستعمار الغربية ، فانني اذا وصل الامر الى الموسيقى اجد هذه الطاقة الاستعمارية الثقافية الافريقية تحفزني حفزا على اعزاز كل ما يتمثل في ماضي الغرب من موسيقى سابقة على هذه الموجة الافريقية الغازية !

وان يكون المرء سجين زمانه ومكانه عنصر من عناصر القيود والحدود الانسانية ، فللانسان كما للشجر جذور . وهذه الجذور تقيده الى موضعه ، ولكن جذور الانسان على خلاف جذور النبات ذات تكوين عاطفي وفكري ، ولذا صار من خصائص الطبيعة البشرية ان نتمرد على حدودنا وقيودنا البشرية ونحاول التسامي فوقها

وانا شخصيا مؤرخ الى جانب كوني انسانا

واسلوب المؤرخ فى التمرد ان يحاول تحرير نفسه من الحدود الضيقة التى يفرضها عليه دم عروقه وثرى بلاده ، لان مهمة المؤرخ ان يجوب ، فى حرية ، آفاق الزمان والمكان

ان الحضارة التى ولد فيها الانسان مسئمة جدا لمجرد كونها مالوفة له ، ولقد كان من حسن حظى أن تعلمت الاغريقية واللاتينية فكان ذلك بمثابة بساط سحرى امتطيته منطلقا من القرن العشرين الميلادى الى القرن الثالث قبل المسيح ، ومن شمال الاطلنطى الى شرق البحر المتوسط . وكم كنت اكره حفظ اسماء وتواريخ ملوك انجلترا . ويلحق بهؤلاء فى مستوى السوء عندى ملوك اسرائيل لان ترجمة العهد القديم برعاية الملك جيمس اصبحت فى الواقع جزءا من الادب الانجليزى ، ولكنى كنت اجد لذة فى تحسس طريقى بين البطالمة والسلوقيين

اما تاريخ انجلترا الدستورى فنظرة واحدة الى فهرس مدرسة أوكسفورد للتاريخ الحديث والمتوسط كافية لصدى عن المطالعة فى هذا الموضوع . اما تاريخ الاسلام وتاريخ البوذية فيفتحان امامى عالمين جديدين ساحرين

ان الحضارة الغربية الحديثة يضيق بها صدرى ، لا لانها غربية بل لانها حضارتى التى انتمى اليها



موسوليني . . سار في طريق هتلر

ولانني مؤرخ في الوقت نفسه . فلو اتفق لى ان أولد سنة ١٨٨٩ في بلاد الصين ــ لا في انجلترا ــ لكنت حريا ان أضيق اليوم بالصين ابتداء من تاريخ بويى وشيان كاى تشيك الى شوان لاى . اما وانا مؤرخ غربى فضيقى ينصب على الغرب المعاصر لانه يحبسني بين طياته ويمنعني من الرجوع القهقرى الى ما وراء آلة الزمن ومن التوجه الى روسيا ودار السلام والقارة الهندية وآسيا الشرقية ، فغربيتي تجعل من المستحيل على ان أتأقلم ثقافيا بأى حضارة من هذه الحضارات المعاصرة ، وهذا في حد ذاته قيد على حريتي الانسانية ابغضه وأضيق به

***

يضاف الى هذا كله ان لدى سببا هائلا لكراهة الغرب اهم من كل ما ذكرته آنفا ، فمنذ شببت عن الطوق (وانا الآن في الخامسة والسبعين من عمرى) اشتبك الغرب في حربين عالميتين واخرج للدنيا مذاهب الشيوعية والفاشية والاشتراكية القومية ، كما اخرج موسوليني وهتلر ومكارثي ، وهذه الكبائر الغربية تجعلني أنا الغربي أشعر بالقلق وعدم الامان لقد اقترف رفاقي الغربيون من أهل المانيا جرائم كثيرة فكيف اضمن ان مواطني الانجليز لا يمكن ان يقترفوا مثل هذه الجرائم ؟

بل اننا اقترفنا بالفعل جريمة قتل بضعة آلاف من المدنيين العزل في بورسعيد سنة ١٩٥٦ ، فما الذي يمكن أن أتعفف عن اقترافه بعد هذه الجناية النكراء ؟ بل ما الذي يمكن ان احجم عنه انا شخصيا لو ان هذا الجنون الاجرامي الغربي المعاصر استطاع ان يمتد الى ويقتنصني ؟

لكم كان يسعدني ويرفع من روحي المعنوية ويعفيني من ارتجافة الحزن التي اشعربها الآن تجاه آثار الغرب المعاصر بعد الحرب ، لو انني استطعت ان أكون مواطنا هنديا من مواطني المهاتما غاندي ، لارفيقا غربيا لهتلر !

أجل كنت حريا ان اطيق حتى الاقامة في «بنارس» بكل ما فيها ثمنا لتحررى من صحبة هتلر . ولكن لافكاك لى من هتلر ! فهذا الرفيق في الحضارة الغربية الذى ولد معى في اسبوع واحد سيظل يرود حياتي المقيدة بالغرب حتى النهاية

والى جانب هذه الجرائم والآثام الغربية المعاصرة ثمة عيوب في الحياة الغربية المعاصرة اراها منفرة . فلئن كنت أكره العبودية السالفة للفرد ازاء الجماعة في اليابان ، فاني اكره ايضا بصورة اشد ذلك المدى المتطرف الذى ذهبت اليه الفردية في الغرب المعاصر ، ولاسيما مايبدونه هناك من قسوة وجمود تجاه العجائز . فالحضارة الغربية المعاصرة فيما اعتقد أول حضارة ليس فيها للمتقدمين في السن مكان يحتلونه بصورة طبيعية في

بيوت اولادهم البالغين . وكلما نظرت الى هذه القسوة الغريبة بعين غير غريبة وجدتها شيئا مروعا

واكره كذلك آفة اخرى من آفات الغرب المعاصر هى المكانة الضخمة التى يحتلها الاعلان . لقد استطاع الاعلان ان يجعل من استغلال بلاهة الناس فنا رفيعا ، بحيث يزج بسلع لا لزوم لها الى داخل الحلوق المتخمة فى حين يظل ثلثا سكان العالم من البشر فى الوقت الحاضر فى حاجة ماسة الى ضرورات الحياة العادية

وانها لصورة سيئة قبيحة لمجتمع الرخاء . فان قيل لى ان الاعلان هو ثمن الرخاء اجبت بلا تردد اننا اذن قد اشترينا الرخاء بأبهظ الاثمان

واذ انظر ورائى الى تاريخ الغرب الماضى الذى كانت آثاره موجودة فى طفولتى لا يسعنى الا الاعجاب بما كان فى القرن التاسع عشر فى الغرب من تأجيل موفق لسن

مكارثى .. حقيبة مملوءة بالاتهامات



اليقظة الجنسية ولسن الخبرة الجنسية والشغف الجنسي الى ما بعد سن البلوغ الجسدي بوقت طويل

وقد تقول لى ان هذا ضد الطبيعة . ولكن عبرة التاريخ تعلمنا قبل كل شيء ان جهود الانسان موجهة الى التسامي بالطبيعة أو التسامي فوقها في المقام الاول ، بحيث نتغلب على الحدود العضوية التي ورثناها عن اسلافنا من الحيوان !

ان سائر المجتمعات البشرية تتغلب على الموت بايجاد انظمة معينة تتلقاها جيلا بعد جيل . والجنس ليس اقل خطورة من الموت في ميراثنا العضوى ، وقد استطاعت حضارة الغرب في القرن التاسع عشر أن تسوس الجنس بنجاح نسبي جدير بالتنويه ، لانها اجلت سن اليقظة الجنسية في الوقت الذى اطالت فيه فترة التعليم . وقد كان ذلك - بالاضافة الى ما ورثه الغرب عن حضارته في القرن السابع عشر من التفكير الشخصي المستقبل بدلا من الاعتماد على التقاليد والافكار الموروثة - هو الذى اقام صرح المدنية الغربية في القرون القليلة الاخيرة

***

لقد كان الغربيون في القرن التاسع عشر يتندون - وبحق - بنظام زواج الاطفال في الهند ، وياسفون - بحق ايضا - كلما راوا فتى مسلما ذا مواهب فكرية واعدة يقدم على الانتحار الفكرى بالانغماس في العلاقة الجنسية عن طريق الزواج بمجرد وصوله الى سن البلوغ . ولكن الغرب في القرن العشرين يسير اليوم في الاتجاه بعينه الذى كان الغرب في القرن التاسع عشر يندد به عن جدارة وبحرارة

ان الغرب المعاصر أصيب بنفاد الصبر وجنون التعجل بحيث يعبد السرعة للسرعة ، وكل هذا من شأنه ان يسبب تخريبا شديدا في تربية اطفالنا ، لاننا نستعجل نموهم بالقوة كما تسمن الدجاج في مصانع التفريخ ومزارع الدواجن فيؤدى ذلك الى تنبيههم لمسائل الجنس قبل الاوان ، بل قبل البلوغ البدني الفعلى ، وبذلك نحرمهم من حقهم الانساني في التمتع بالطفولة البريئة

وقد بدأت هذه الموجة من « التوعية » باللذات قبل الاوان في الولايات المتحدة الامريكية ، ثم تفشت منها الى بريطانيا . والله وحده اعلم كم أمة من أمم الغرب ستغزوها هذه الموجة العاتية من التربية المنحرفة والانحلال الاخلاقى

ان سياستنا الحاضرة في تنشئة الجيل الجديد متناقضة أشد التناقض ، ففي حين نخفض سن التنبه الجنسي وسن الخبرة الجنسية ايضا الى المستوى الذى كان سائدا في الهند ، نعمد الى اطالة مدة الدراسة في معاهد التعليم ..

ومعنى هذا اننا نرغم فتياتنا

وفتياتنا على التنبه الجنسي في سن الثانية عشرة او الثالثة عشرة ثم نطلب اليهم ان يطيلوا مدة دراستهم بحيث يخرجون وقد اقتربوا من سن الثلاثين . فكيف نتوقع منهم ان تنصرف اذهانهم الى التعلم طوال هذه السنوات الست عشرة بعد ذلك التنبه الجنسي المبكر وهم في معاهد للتعليم المختلط ؟

نحن فخورون بالتوسع في التعليم الثانوي العالي والدراسات العليا واتاحتها للجميع ، ولكننا نحرث في البحر ما لم نعد الى سياسة أجدادنا من حيث اطالة مرحلة البراءة الجنسية . فاننا اذا تابرنا على السياسة المتبعة حاليا ــ وهي سياسة تشبه اسلوب الهند القديم ــ فان الجيل الجديد من معاهد الدراسات العليا عندنا سيغدو من الوجهة العملية شبيها بالنوادي الاجتماعية المخصصة للعلاقات الجنسية

❋❋❋

ان هذا السلوك الجنسي السابق لاوانه من اكبر النقائص الاخلاقية في حضارة الغرب المعاصرة . أما أهم نقائصه الفكرية فاصراره على تقسيم العالم الى شظايا تزداد صغرا بمضي الايام . فقد انقسم الجنس البشرى الى عدد هائل من الدول

وانا اكره الوطنية واكره التخصص وكلاهما من سمات الانحراف الغربي فما اغربه من عالم يولد فيه الانسان !

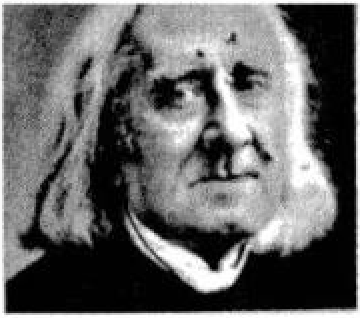
ومنذ ولدت وانا أجد من حولي مشغولين بابتكارات معقدة جدا وهكذا كان علي ان اتعلم ركوب الدراجة وركوب الموتسيكل وقيادة السيارات ثم ها انذا أجوب العالم في السيارات والطائرات بسرعة مذهلة لا تسمح للمسافر ان يتبين ما حوله من المناظر

❋❋❋

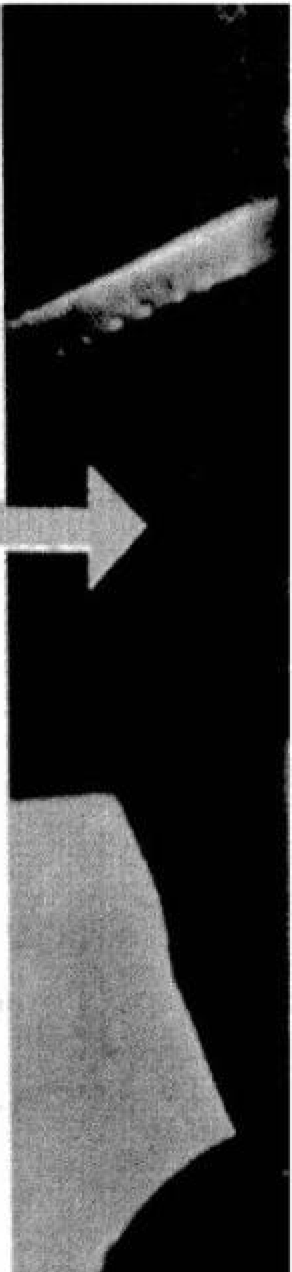
ان هذه الآلية تربكني وتروعني ولذا كنت اتمنى ان اولد في القرن الثالث قبل الميلاد في سوريا او في القرن السابع بعد الميلاد في الصين حتى لا تزعجني كل هذه الحياة الآلية التي يكتظ بها الغرب والحضارة الغربية . ولكنها كراهية كما قلت في البداية تشوبها الهوادة فأحفادي بعد كل شيء من ابناء الغرب . وانا ــ بالتأكيد ــ احب احفادي ، ولكني ايضا أريد لهم ان يحظوا بأحفاد ولا اريد ان يقدم الانسان الغربي يوما ما على الانتحار الجماعي بالاشتباك في حرب عالمية ثالثة تستخدم فيها الاسلحة النووية وانا اكره العلم الغربي لانه اكتشف هذه المخترعات المهلكة ، الا انى أومن بان حصافة رجل السياسة ستحول بينه وبين القضاء على ذلك العالم الغربي او تصفيته

وهذا الامل هو الذى يجعلني اعتقد انني لا اكره في اعماقي حضارة الغرب او احتقرها كما يخيل الى في لحظات اليأس الحادة التي تنتابني كلما رأيت ما يدل على ضلالات الغرب الوبيلة التي ذكرتها فيما تقدم





الموسيقار فرانز ليست للمصور نادار « ١٨٨٦ »



الرسام بيكاسو للمصور بن « ١٩٥٧ »

الــروح..

و

الصــورة

لم يعد الدرس الاول فى التصوير الفوتوغرافى ان تقول : ابتسم من فضلك .. !

ان هذه الابتسامة قد تكون متكلفة ، وقد تضيع حقيقة الشخصية . والمصور الفوتوغرافى الان يبحث عن الحقيقة ، فى الطبيعة ، وفى الشخصيات الانسانية

وقد اتفق « الهلال » مع مجموعة من كبار المصورين فى القاهرة ، والعالم ، لينقل لك الصورة وقصة الصورة

ان المصور العالمى « نادار » بدا حياته فى عام ١٨٥٤ ، صحفيا . كان يصور الشخصيات التى يقابلها حتى لا ينسى .. وكان نادار لا يقصد ان يصبح مصورا فوتوغرافيا

لقد كانت موضة هذا العصر هو الفن الكاميرا .. لانها تنقل الشخصية كما تراها . ولكن « نادار » ترك الصحافة ، وتفرغ للكاميرا ، واصبح اشهر مصور ترك وراءه تركة من الصور لاشهر علماء القرن التاسع عشر

ان صور « نادار » التقطت شخصيات الموسيقى فاجنر ، والناقد سانتبيف ، والرسام مانيه .. وجميعهم رضوا ان يجلسوا امامه ، ولم يقل لهم « نادار » تلك الجملة المعهودة .

ــ ابتسم من فضلك !

● أما المصور اليفون ، فقد بدأ حياته مصورا ، ويبدو انه سينتهى مصورا . اول صورة له للموسيقار رحمانينوف . وقد اصبح اليفون اغلى مصور فى امريكا والعالم . وهو لا يصور اى شىء فى العالم سوى الوجوه .. وقد رأى فى وجه كريشنامينون ، السياسى الهندى تعبيرا حاول تصويره فى صورة غريبة

● وادوار ستيشين ، المصور العالمى لم يكن ينوى فى البداية ان يصبح مصورا ، وكان يتمنى ان يصبح مخرجا . وقد اصبح فى النهاية صديقا للمثال رودان ، ثم تطوع فى الجيش ، ليصبح مصورا من الجو ، واخيرا استقر على الارض ليصور نجوم المسرح

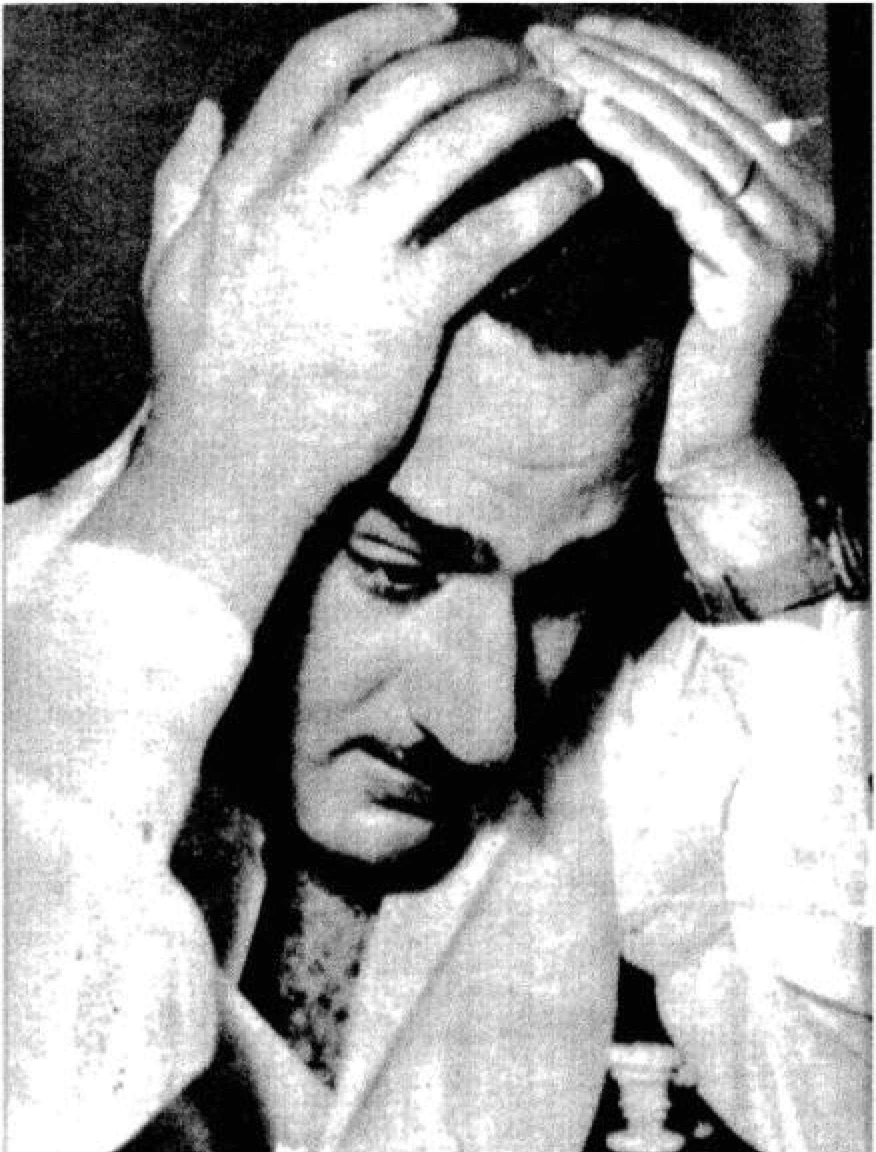
ان صورته لجريتا جاربو ، يبدو فيها الاخراج المتقن .. وقد استفاد ستيشين من دراساته المسرحية ، وحياته الطويلة بين الكواليس

● والمصور ارفين بين ، الذى صور بيكاسو هذه الصورة الغريبة الجميلة بدأ حياته رساما ، وهو امريكى عاش فى المكسيك حيث الالوان الزاهية ، والساخنة ، التى تلهم الرسام والمصور معا

ان ارفين بين ، لمعرفته السابقة بالرسم استطاع أن يركز النظرة على « عين » بيكاسو ... اليقظة ، التى تلتقط الحركة واللون بسرعة السهم ، ودقة الصقر

الرئيس عبدالناصر
للمصور مصرف « ١٩٥٤ »

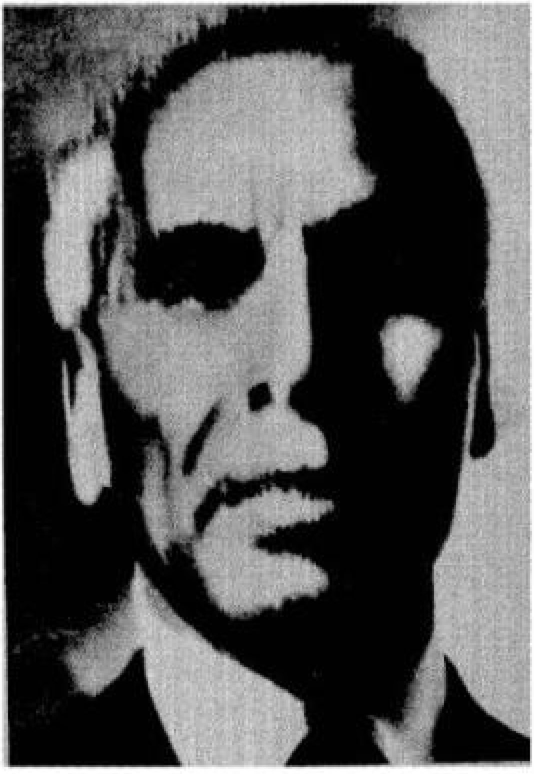






الروائي همينجواي ؛ للمصور كارش «١٩٥٧»

كرشنامينون للمصور الميون « ١٩٦٠ »



الممثلة جريتا جاربو ، لشتيشن « ١٩٢٨ » ..



دكتور محمد أحمد أنيس :



مؤرخ مجهول

ان تاريخ مصر يحتاج الى بحث دقيق ، وكشف علمي، وتحليل اجتماعي • وفى التاريخ ثغرات مجهولة ، وتحليلات غامضة ،وتفسيرات مريبة ، تحتاج كلها الى صفاء المراجعة ، وأمانة البحث

وقد اتفق « الهلال » مع :

الدكتور محمد أحمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة ، على أن يوالى قراءه بسلسلة من الدراسات الجادة والجديدة التى تلقى الضوء على ما خفى من أسرار تاريخنا المعاصر

وقد استطاع الدكتور

تاريخ

مصر في العصر العثماني ، أي من الفتح العثماني لمصر في سنة ١٥١٧ م حتى الاحتلال الفرنسي لها على يد بونابرت سنة ١٧٩٨ ، لم يحظ بعناية كافية من جانب المؤرخين حتى اليوم .

فمؤرخو مصر في العصور الوسطى ينهون تاريخهم بسقوط دولة المماليك وبالفتح العثماني ، ومؤرخو مصر الحديثة يبدأون بالحملة الفرنسية . وهكذا ظلت هذه الحقبة الطويلة مابين الفتح العثماني حتى الغزو الفرنسي حائرة بين هذين الفريقين من المؤرخين وان كانت تنتهي من الناحية الشرعية والرسمية الى تخصص مؤرخي مصر الحديثة .

ولعل السبب في تجاهل مؤرخي مصر الحديثة لهذه الحقبة من التاريخ المصرى ان التغيرات التى حدثت في مصر ابتداء من الحملة الفرنسية ، وعلى طول القرن التاسع عشر كانت سريعة ومتلاحقة وعميقة فشدت المؤرخين الى دراسة القرن التاسع عشر والافاضة في هذه الدراسة دون العناية الكافية بالفترة السابقة على الحملة الفرنسية

وفي اعتقادى أن هناك سببا آخر لهذا التجاهل وهو ان العناية بدراسة تاريخ مصر الحديث ارتبط في بدايته أوثق الارتباط بالدور الذى لعبه القصر ولاسيما على عهد الملك فؤاد في تنشيط الدراسات التاريخية الخاصة بمصر الحديثة — فقد كان من الطبيعي أن يقتصر هذا النشاط على عصرى محمد على واسماعيل ، ولذلك لم تهتم حركة التاريخ المصرى من البداية بعصر الحكم العثماني — والذين لا يرون هذا الرأى عليهم أن يذكروا رعاية القصر لمجموعة المؤرخين الاوربيين والامريكيين الذين تركزوا في الجمعية الملكية الجغرافية وعليهم أن يذكروا أن الارشيف المصرى « في دار الوثائق القومية بعابدين » يقتصر على وثائق عصرى محمد على واسماعيل ، فهى وحدها التى نقلت من القلعة الى عابدين ، وان مجرد وجود الارشيف التاريخى المصرى في القصر الملكى له دلالته في هذا المعنى

***

والحق ان التركيز على تاريخ مصر منذ الحملة الفرنسية فقط يبدو غريبا من زاوية التخصص التاريخى فتاريخ مصر منذ الحملة الفرنسية حتى الآن لا يزيد كثيرا عن قرن ونصف قرن من الزمان بينما يقترب تاريخ مصر ابان العصر العثمانى على ثلاثة قرون هى : القرن السادس عشر والقرن

سبق الجبرتي!



أنيس فى هذا المقال أن يكشف عن مؤرخ مجهول ، كتب عن فترة غامضة من تاريخ مصر ، والدكتور أنيس يلقى الضوء على المخطوطات التى توفر على بحثها ، ليكتب هذا المقال العظيم

السابع عشر والقرن الثامن عشر

حقيقة أن التغيرات التي حدثت في مصر منذ الاحتلال الفرنسي كانت سريعة وعميقة الاثر في نتائجها لأن عملية تحول المجتمع المصري من مجتمع اقطاعي الى مجتمع تسوده علاقات رأسمالية ، ومن مجتمع ديني الى مجتمع قومي علماني، هذه العملية قد تمت في القرن التاسع عشر ، ولاشك من ناحية اخرى ان مصر طوال العصر العثماني لم تتغير في تركيبها الاجتماعي الاساسي عما كانت عليه في العصر المملوكي فظلت مجتمعا اقطاعيا تابعا لدولة اقطاعية من نوع معين ، ولكن داخل هذا الاطار الاقطاعي العثماني شاهدت مصر تغيرات كثيرة لم يكن من الممكن تجاهلها الا من خلال موقف متعمد من المؤرخين .

وليس هنا مجال المناقشة او البحث في هذه التغيرات ، ولكن موضوع المؤرخين المصريين الذين عاشوا في ذلك العصر في حد ذاته دليل على رأينا هذا — فالمشهور من تلك الفترة العثمانية انها بدأت بمؤرخ كبير هو ابن اياس واختتمت بمؤرخ كبير أيضا هو الجبرتي، وبين هذين المؤرخين لا يعرف الا قلة نادرة — من المتخصصين — ان هناك مجموعة كبيرة من المؤرخين المجهولين الذين لم تر مؤلفات معظمهم النور حتى الآن

●●●

على انني اود ان اسارع بابداء تحفظ لما قلت ، فقد يفهم من كلامي خطأ انه لم تخرج دراسات في تاريخ مصر ابان العصر العثماني على الاطلاق — فالحقيقة غير ذلك؛ هناك دراسات وان كانت قليلة ولا تتناسب مع طول العصر واهميته . فمثلا اهتمت مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في لندن بهذه الفترة اهتماما ملحوظا منذ ان نشر الاستاذان جب وبوين عام ١٩٥٠ الجزءين الاول والثاني من كتابهما « المجتمع الاسلامي في القرن الثاني عشر » وفي العام الماضي نشر ستانفوردشو رسالته في جامعة هارفارد عن « التنظيم الاداري والمالي في مصر العثمانية » — وفي مصر ايضا كان هناك بعض الاهتمام بتاريخ هذه الفترة منذ الثلاثينات حين نشر استاذنا المرحوم محمد شفيق غربال عام ١٩٣٦ مخطوطة « رسالة حسين افندي الروزنامجي » واعقب ذلك رسالة المرحوم الاستاذ محمد محمد توفيق عن «خط الترمخ » وهو احد المخطوطات التي كانت تكتب بها حسابات المالية ، كما كتب الدكتور رفعت رمضان رسالة الماجستير عن « علي بك الكبير » . كذلك عني المؤرخون الفرنسيون بدراسة جانب هام من تاريخ مصر العثمانية وهو النشاط الاوربي خلال هذه الفترة فكتب شارلرو كتابه «الاساطيل الفرنسية في الليفانت » وكتابه « انجلترا وبرزخ السويس » .

●●●

ليست اذا قلة هذه الدراسات الخاصة بتاريخ مصر في العصر العثماني هي القضية التي نحن بصددها رغم صحتها ، ولكن المسألة هي ان كل هذه الكتابات خرجت من خلال دراسة الوثائق في الارشيفات المختلفة وحدها . فالدراسة التي تمت في مصر ولا سيما دراسة محمد محمد توفيق ورفعت رمضان استندت على الارشيف الموجود بالقلعة في القاهرة ودراسة شو على الارشيف التركي الخاص بمصر في استنبول ودراسة شارل رو مستمدة من الارشيف الفرنسي في الكيه دورسيه او الغرفة التجارية في مرسيليا او P.R.O. في لندن . ولكن لم ترجع هذه الدراسات كلها ودون استثناء الى كتابات المؤرخين المصريين الذين عاشوا في العصر العثماني مع انه لا يمكن دراسة هذه الفترة دراسة وافية دون الرجوع الى هذه الكتابات. فالوثائق الرسمية تعجز في كثير من الاحيان عن القاء أضواء على بعض القضايا الاجتماعية والفكرية وبالذات موقف المصريين من الحكم العثماني ولابد في هذه القضايا من الرجوع الى كتابات المؤرخين المصريين المعاصرين . .

ولابد ان يبرز سؤال هنا : **وما الذي منع المؤرخين المحدثين من الاستعانة بكتابات المؤرخين المصريين المعاصرين للعصر العثماني؟**

الاجابة الحاسمة على هذا هي أن الكتابات المصرية المعاصرة للعصر العثماني لازالت مخطوطة في اغلبها لم تر النور بعد ، وهي مكدسة في دور الكتب الاوربية .. ذلك لان غالبية هذه المخطوطات خرجت من مصر على يد الفرنسيين ابان الاحتلال الفرنسي وعلى طول القرن التاسع عشر . ولذلك فانني استبيح لنفسي بان اقول ان عملية نقل المخطوطات المصرية الخاصة بالعصر العثماني ابتداء من الحملة الفرنسية الى اوربا تعتبر بحق جزءا من عملية النهب الاستعماري التي حدثت لثرواتنا القومية المادية والفكرية



محمد علي .. حظي بعناية المؤرخين الغربيين

غير انني اعتقد ان هنالك عاملا آخر يفسر الى حد كبير ايضا اهمال المؤرخين المحدثين لكتابات المؤرخين المصريين المعاصرين للعصر العثماني بل وحتى في عدم ادراك ان هنالك مجموعة كبيرة من هذه الكتابات · هذا العامل هو المؤرخ **عبد الرحمن الجبرتي** فالجبرتي حظي باهتمام بالغ من المؤرخين العرب والاجانب على السواء ، والجبرتي عالج تاريخ العصر العثماني في مراحله الاخيرة في الجزئين الاول والثاني من كتابه **«عجائب الآثار في التراجم والاخبار»** غير ان الجبرتي في معالجته هذه لم يذكر شيئا عن المؤرخين الذين سبقوه · واكثر من ذلك نستشعر مما كتبه الجبرتي انه ليس هنالك مؤرخون سابقون عليه ساهموا في تدوين تاريخ هذه الفترة ـ فهو يقول في مقدمة كتابه « ولما عزمت على جمع ماكنت سودته واردت ان اصله بشيء قبله فلم أجد بعد البحث والتفتيش الا بعض كراريس سودها بعض العامة من الاجناد ركيكة التركيب مختلة التهذيب والترتيب ، وقد اعتراها النقص في مواضع من خلال بعض الوقائع ـ وكنت قد ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ولكنه على نسق في الجملة مطبوع لشخص يقال له احمد جلبي عبد الغني مبتدئا فيه من وقت تملك بني عثمان للديار المصرية وينتهي كغيره الى خمسين ومائة والف هجرية ، ثم ان ذلك الكتاب استعاره بعض الاصحاب وزلت به القدم ووقع في صندوق العدم ـ ومن ذلك الوقت الى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقييد ولم يسطر في هذا الشأن شيئا يفيده فرجعنا الى النقل من افواه الشيوخ المسنين ، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين وما انتقش على حجار ترب المقبورين » ·

ونفهم من كلام الجبرتي انه لم يطلع على ما كتبه السابقون عليه باستثناء كتاب **احمد جلبي عبد الغني** وانه استمد مادته التاريخية للفترة التي لم يعاصرها من افواه المسنين ودفاتر الكتبة والمباشرين ونقوش المقابر · ولما كنا نفترض دائما الدقة والامانة في كلام الجبرتي ، فانه من الواضح ان الجبرتي لم يكن يعلم بان هنالك الكثير من كتابات المؤرخين السابقين عليه · · فالجبرتي في رأيي لم يكن على دراية واسعة وشاملة بمؤرخي العصر · ولا يطعن هذا في الجبرتي بل يجعله ظاهرة فريدة من نوعها خرجت من لا شيء ، فلم تخرج من مدرسة تاريخية معينة · ولكن قوله هذا السابق الذكر وعلى وجه التحديد اعتماده فيما كتبه على دفاتر الكتبة والمباشرين ونقوش المقابر واقوال المسنين اوحى الى الكثيرين بالاعتقاد بانه ليس هنالك كتابة تاريخية في العصر العثماني قبل الجبرتي

***

اظلت الحديث حول هؤلاء المؤرخين السابقين على الجبرتي في العصر العثماني



اسماعيل .. الاثر من الفت عنهم الجمعية الجغرافية الملكية

دون ان ادخل حتى الآن للحديث عنهم بشكل مباشر . والواقع انه من الممكن تقسيم هؤلاء الى ثلاث مجموعات :

مجموعة **أصحاب التراجم** • وهـــذه ليست جديدة على التاريخ المصرى والتاريخ الاسلامى بصفة عامة ، ولكنها كانت أنشـط مدارس التاريخ فى العصر العثمانى . ومدرسة التراجم فى الواقع من أعرق والمنى المدارس التاريخية العربية ، والمعتقد انه ليس هناك امة عنيت بتدوين سير الشاعير من رجالها كما فعلت الامة العربية . فمنذ أن بدأ اسحق بوضع سيرة النبى والواقدى وابن سعد فى تأليف الطبقات الى يومنا هذا ومدرســة التراجم هى الغالبة على كتابة التــاريخ العربى . ولقد بلغ من ولع العرب بهــذا النوع من التاريخ لنوع التأليف فيه وانعقده على طريقة الطبقات بحيث قل ان تجد اهل فن او علم او فرقة من الفرق او اتباع مذهب من المذاهب لم توضع طبقة اوطبقات فى تراجمهم . ثم فى فترة متأخرة من التاريخ العربى لم تقتصر التراجم على طبقة بذاتهـا بل شملت الاعيان عامة فى قرن معين . ولعل أقدم المشهور من هذا النوع الاخير « سـمى انباء القرن الثامن الهجرى » لابن حجـر العسقلانى

***

هذه المدرسة بالذات ، اى مدرســة التراجم ، شهدت نوعا من الانتعــاش فى العصر العثمانى ــ وتتميز فى العصر العثمانى بأمرين :

أولهما : انهــا لم تعــرف الصــفة الاقليمية او المحلية التى عرفها التاريخ العام فليست هناك تراجم لاعيان بلد عربى بذاته وانما كلها او اغلبها تراجم لاعيان الشرق العربى .

وثانيهما : ان التفوق فى مدرسة التراجـم كان فى بلاد الشام فهى التى كانت فى الصدارة وهى التى اثرت فى غيرها من مدارس التراجم فى الشرق العربى : **فالغزى** صاحب « الكواكب الســائرة بأعيان المائة العاشرة » كان من غزة اصلا ورحل واستقر فى دمشق ، **وابن طولون** الدمشقى صاحب كتاب « ذخائر القصر فى تراجم نبلاء العصر » (من القرن العاشر الهجرى ايضا) كان دمشقيا ــ وفى القــرن الحادى عشر برز **نجم الدين حسن الصفورى** صاحب « تراجم الاعيان من ابناء الزمان » وكان من بلاد الشــام ، **ومصطفى فتح الله الحموى** صاحب « فوائد الارتحال ونتائج السـفر فى اخبار القرن الحادى عشر » كان من حماه **والمحبى** صاحب « خلاصة الاثر فى اعيــان القرن الحادى عشر » حموى الاصل كذلك ــ وحين نصل الى القرن الثانى عشر نجد **المرادى** مفتى دمشق وهو صاحب الفضل الاكبر فى توجيه عبد الرحمن الجبرتى الى كتابة التراجم . فلا يجب ان ننسى ان الجبرتى قد عنى عناية فائقة بالتراجم ، فالتراجم تحتل الجزء الاهم ــ فى رأينا ــ فى كتابه « **عجائب الاثار فى التراجم والاخبار** » ولقد يروى الجبرتى قصة صلته بالرادى عنــد ترجمته له فى عام ١٢٠٦ هـ

واذا كانت مدرسة التراجم هى ابرز وانشط مدارس التاريخ العربى فى العصر العثمانى وصاحبة تقاليد ضخمة فى كتابة التاريخ ، واذا كانت هذه المدرسة معنيا

بتاريخ الارستقراطية العربية السياسية والفكرية ، واذا كانت كتاباتها تعبيرا من التفتت الطائفي داخل المجتمع الاقطاعي العربي – فقد عرف هذا العصر مجموعة ثالثة مختلفة كل الاختلاف هي **مدرسة العوام** . ولم تكن هذه صناعتها كتابة التاريخ أو الاشتغال بالعلم بل كان اغلبهم من الأطباء مارسوا الكتابة التاريخية كنوع من الهواية والمتعة العقلية وظلت هذه المجموعة من الهواة المتوسطين موضع تجاهل تام من جانب المعاصرين لهم من العلماء وقد رأينا شيئا من هذا التجاهل في حديث الجبرتي عنهم . ولقد ترتب على ذلك ان ما لدينا من معلومات عنهم ضئيلة للغاية . واول هؤلاء **احمد بن زنبل** المحلي الرمال ؛ ولابن زنبل كتاب « **تاريخ اخذ مصر من الجراكسة** » وهو سجل واف لحوادث الفتح العثماني، ولهذا الكتاب مكانة كبيرة منذ تأليفه ، ومنه كتبت نسخة او نسخ شعبية مابرحت تسلية مقاهي القاهرة منذ القرن السادس عشر الميلادي ، كما يقول استاذنا الدكتور محمد مصطفى زيادة في كتابه « المؤرخون المصريون في القرن الخامس عشر » .

●●●

هذا بالنسبة للقرن العاشر الهجري ، ولكن القرن الحادي عشر يخلو – فيما يبدو – من هذا الفريق من المؤرخين او ربما كان هناك عدد منهم لم يصل الينا خبرهم بسبب ضياع مؤلفاتهم ابان الفتنة الداخلية أو الغزو الفرنسي . لكن القرن الثاني عشر يرى عددا منهم مثل : **احمد الدمرداش كتخدا عزبان** صاحب كتاب « الدرة المصانة في أخبار الكنانة » **وابراهيم مصطفى** صاحب كتاب « تاريخ وقائع مصر القاهرة » . ولاشك في ان اهم هؤلاء جميعا هو الدمرداش كتخدا عزبان وليست لدينا ترجمة له فلم يشر اليه الجبرتي في تراجمه ، كما لم يعثر في دفاتر دار المحفوظات بالقلعة على شيء يشير اليه . انما من الواضح من لقبه انه كان يتولى منصب الكتخدا في اوجاق العزب ، كذلك يشير المؤلف الى نفسه في كثير من مواضع كتابه عند ذكر الحوادث .

يتناول كتاب **احمد الدمرداش كتخدا عزبان** تاريخ مصر السياسي منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري « من ١٠٩٩ هـ على وجه التحديد » حتى سنة ١١٦٩ هـ . في الغمن الواضح ان المؤلف كان يكتب مذكرات لحوادث عاصرها او شاهدها ، واشترك فيها، وليس تحقيقا تاريخيا بالمعنى المتداول

ويبدو اهمية هذا الكتاب بالدرجة الاولى من اهمية الفترة التي عاشها المؤلف ، وهي النصف الاول من القرن الثامن عشر ، وهي فترة غنية بالاحداث ، بل هي في الغالب اغنى فترة من الناحية السياسية في تاريخ مصر العثمانية كله لانها الفترة التي شاهدت الصراع بين الحاميات العثمانية وانهيار النظام الاداري الذي وضعه كل من سليم وسليمان لحكم الباشوية المصرية ، ولما كان الجبرتي قد بدأ يكتب بدقة من ١١٩٠ هـ **فان كتاب عزبان يعتبر مكملا لكتابات الجبرتي**

ويزيد من اهمية الكتاب ان المؤلف اشترك بحكم منصبه في احداث هذه الفترة . لكان جزءا من الهيئة التركية الحاكمة ، ولذلك فقدرته على فهم ما كان يجري في دوائر الدولة العليا يفوق بكثير فهم الجبرتي

وفي كتاب عزبان ثروة ضخمة جدا من المصطلحات العسكرية والادارية والمالية الخاصة بالحكم العثماني في مصر ، وهي مسائل تفتقر اليها كتابات المشايخ من المؤرخين . على انه لايجب ان يفهم من هذا ان الكتاب هام فقط في فهم الأحوال السياسية في مصر خلال النصف الاول من القرن الثاني عشر .

الواقع انه يصور بدقة التركيب الاجتماعي لمجتمع القاهرة خلال هذه الفترة ولا سيما مجتمع العسكريين ومجتمع الحرفيين

●●●

تحدثت حتى الان عن مجموعتين من مؤرخي مصر في العصر العثماني هما اصحاب التراجم وجماعة العوام او الاجناد ، وبقي ان تتناول المجموعة الثالثة وهي صاحبة التاريخ العام من المؤرخين التقليديين الذين يبدأون بابن اياس وينتهون بالجبرتي ، والتي ينتمي اليها صاحبنا محمد بن أبي السرور البكري الصديقي . واغلب هذه الجماعة من العلماء الذين ظلوا او حاولوا سواء من ناحية فهمهم للتاريخ او طريقة كتابته متأثرين بمدرسة التاريخ الاسلامي

واذا كان ابن اياس يمثلهم في القرن العاشر ، والجبرتي في القرن الثاني عشر ، فان البكري هو بحق ممثل هذه الجماعة في القرن الحادي عشر

وليس البكري المؤرخ الوحيد الذي عاش وكتب في القرن الحادي عشر ، فهناك مؤرخون



غربال .. رسالة الروزنامجي

د. زيادة .. كتب عن ابن اياس



آخرون ينتمون الى هذا القرن ، ولكن البكرى اهمهم جميعا ، واغزرهم تأليفا ثم هو الوحيد الذى لم تنشر او حتى تطبع جميع مؤلفاته حتى الآن

وما لدينا من معلومات عن حياة المؤلف قليلة . فهو ينتمى الى بيت البكرية ، هذا البيت الذى احتفظ فى فترات طويلة بنقابة الاشراف فى مصر . ولذا فالشيخ محمد بن ابى السرور ينتمى اصلا الى تلك الطبقة المصرية الارستقراطية التى كانت تكون فى العصر العثمانى مع البكوات المماليك حلفا ضد السيادة العثمانية — وقد توفى المؤرخ عام ١٠٨٧ هـ ، بعد ان نشأ وعاش فى بيئة تميزت بالثراء والعلم والصلات الواسعة بالهيئة الحاكمة

كتب البكرى خمس كتب فى التاريخ — كتابه الاول الذى اسماه الكتاب الكبير هو « عيون الاخبار ونزهة الابصار » يجرى فيه على عادة المؤرخين المسلمين من بدء الخليقة حتى اواخر دولة الجراكسة المماليك فى مصر ، ويعتبر هذا تأليفا فى تاريخ الدولة الاسلامية فى الشرق والغرب العربى وان كان ينتهى بمصر وبدولة الجراكسة . والكتاب الذى يليه هو « **المنح الرحمانية فى ذكر الدولة العثمانية** » وقد بدأ الكتاب بتاريخ الدولة العثمانية منذ ايام عثمان حتى اذا وصل فى الباب التاسع الى السلطان سليم اخذ يذكر ولاة مصر الذين حكموا فى عهد كل سلطان ابتداء من سليم ، وقد توقف فى كتابه هذا عند زمن السلطان مراد سنة ١٠٤٢ هـ .

يتحول البكرى بعد ذلك الى التأليف الخالص فى تاريخ مصر وحدها . وله فى ذلك كتابان : اولهما « **الروضة الزهرية فى اخبار مصر والقاهرة المعزية** » ومن المؤكد انه كتب هذا الكتاب بعد كتابيه السابقين . فهو يقول فى مقدمة الروضة « فلما اتممت تاريخى الكبير المسمى بعيون الاخبار ونزهة الابصار ، واتممت تاريخى الصغير المسمى بالمنح الرحمانية فى ذكر الدولة العثمانية ؛ خطر لى ان اخص تاريخا اذكر فيه ملوك الديار المصرية والقاهرة المعزية من قبل الطوفان مع ذكر آل عثمان » وهو يقف فى هذا الكتاب عند سنة ١٠٣٥ هـ . والكتاب الآخر الخاص بتاريخ مصر هو « الكواكب السائرة فى اخبار مصر والقاهرة » ، ومن المؤكد انه صورة مكبرة لكتاب الروضة الزهرية مع فارق هام وهو ان الكواكب السائرة تمتد حتى عام ١٠٦٢ هـ ، بينما تقف الروضة عند سنة ١٠٣٥ هـ . ولما كان كتاب الكواكب السائرة اهم كتب البكرى على الاطلاق فقد رأيت ان اذكر شيئا عما نعرفه من النسخ الخطية له

ذكر كارل بروكلمان ثلاث نسخ للكواكب السائرة : واحدة فى ميونيخ تحت رقم ٣٩٨ والثانية فى باريس تحت رقم ١٨٥٢ « عربى » والثالثة فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم ٩٩٧٣ — ولم نتمكن من الحصول على نسخة ميونيخ اما نسخة باريس فمنها صورتان فى المكتبة التيمورية ، كما توجد منها صورة فى مكتبة معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة العربية واخرى فى مكتبة المعهد الفرنسى بالقاهرة . كما استطعنا ان نحصل على نسخة مصورة لهذا الكتاب من مكتبة ريلاندز بمانشستر تحت رقم ٢٧٧ . هذا



احـد مجـالس العلمـاء .. كان المؤرخ المجهـول واحـدا منهـم

بالاضافة الى نسخة مجهولة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٢٠٩ ح .

هذه هى النسخ الاربع التى استعنا بها فى بلانتذ فهى اقل أهمية لانها كتبت فى عام
ريلاندز فهى اقل اهمية لانها كتبت فى عام ١١٧٦ هـ ، المؤلف توفى فى ١٠٨٧ هـ ، ووقفت بتاريخها عند حوادث عام ١٠٥٥ هـ كما انه لم يرد فى نسخة ريلاندز تاريخ الذين تولوا القضاء فى مصر بل اكتفى الكتاب بذكر الولاة فقط . وتأتى بعدها فى الاهمية نسخة دار الكتب المصرية فقد كتبت عام ١٠٧٦ هـ ولكنها بدورها جاءت خالية من ذكر تاريخ القضاة ، كما يلاحظ من نسخة دار الكتب ان الصفحات الاولى من الكتاب غير موجودة

ويبقى بعد ذلك نسخة باريس ونسخة لندن

وهنا نجد ان بروكلمان وقع فى خطأين . الاول انه تصور انهما نسختان مختلفتان والواقع انهما نسخة واحدة والسبب فى ذلك انه جاء فى اخر نسخة المتحف البريطانى العبارة التالية « وكان الفراغ من نسخه فى أواخر شهر جمادى الاولى من شهور سنة خمس وستين والف على يد افقر العباد الى الكريم البارى عبد الجواد بن على الابيارى غفر الله ذنوبه » . كما ورد فى اخر نسخة باريس مايلى : « وكان الفراغ من نسخه فى أواخر جمادى الاولى من شهور سنة خمس وخمسين والف على يد افقر العباد الى الكريم البارى عبد الجواد بن على الابيارى غفر الله ذنوبه ».

ولما كانت النسخة الباريسية تتناول احداث حتى عام ١٠٦٣ شأنها شأن نسخة لندن ، فمن المؤكد ان سنة خمس وخمسين جاءت خطأ من الناسخ وان صحتها خمس وستين كما ورد فى النسخة اللندنية ، ولكن هذا الخطأ من الناسخ أوقع بروكلمان معه فى نفس الخطأ فاعتقد بأن نسخة باريس مختلفة عن نسخة لندن وان نسخة باريس تنتهى عند حوادث سنة ١٠٥٥ بينما تمتد نسخة لندن الى حوادث ١٠٦٥ والحقيقة التى يدركها القارىء عند قراءة المخطوط ان هذا غير صحيح . هذا الى جانب وحدة الخط، وهو دليل اخر

ان هذه النسخة الموجودة فى باريس ولندن **هى الاساس او النسخة العمدة فى الكواكب** السائرة لانها اقدم النسخ المعروفة لنا من ناحية ولانها تمتد الى تناول احداث عام ١٠٦٣ هـ

ولقد قسم البكرى كتابه فى تاريخ مصر الى مقدمة من حب الوطن ، والحث على سكن الامصار الكبار ، الى عشرين بابا ، ويقع تاريخ مصر كله منذ بدء الخليقة فى الباب الثالث ، وهو أكبر الابواب ، اما بقية الاجزاء فتتناول الحديث عن مصر واهل مصر محاسنهم وفضائلهم ونيلهم ومتنزهاتهم ودعاء الانبياء لمصر واهل مصر ، الى غير ذلك — اما بالنسبة **للجزء التاريخى** فالمؤلف لا يقدم جديدا بالنسبة للفترة السابقة عن الفتح العثمانى فاضافاته كلها تتعلق بالفترة العثمانية وخصوصا الفترة التى عاصرها . وهو يبدأ دائما بذكر تولية السلطان العثمانى فيتحدث عن ذلك فى سطر محيلا القارىء فى جملة متكررية لاصلها الى كتابة « المنح الرحمانية فى ذكر الدولة العثمانية » ليبدأ فى الحديث عن الباشوات الذين تولوا الباشوية فى عهد هذا السلطان ، ثم يعود عند نهاية الحديث عن حكم كل باشا فيذكر أسماء القضاة « الاتراك طبعا » الذين تولوا القضاء فى عهد هذا الباشا ، وفى الغالب يكتفى بالنسبة للقضاة بذكر أسمائهم دون الحديث عنهم

ولابد أن يثار هنا هذا السؤال : ماهى الاهمية التاريخية لما كتبه البكرى عن احداث مصر العثمانية ؟ ان هذه الاهمية تستمد دون شك من أهمية الفترة التى عاشها البكرى فابن ايلس ينتمى فى تفكير مؤرخى العصر المملوكى الى العصر المملوكى أكثر من انتمائه الى العصر العثمانى ولذلك وضعه الدكتور محمد مصطفى زيادة فى عداد مؤرخى القرن الخامس عشر على الرغم من أنه مات سنة ١٥٢٤م أى بعد الفتح العثمانى بثمانى سنوات ولقد عاصر ابن اياس الفتح العثمانى والتنظيمات العثمانية الاولى فى مصر ، ولكن ابن اياس يقف عند بداية العصر العثمانى لذلك لا تصور كتاباته انتقال المجتمع المصرى من العصر المملوكى الى العصر العثمانى . واذا كان ابن اياس قد بدأ هذه الفترة ببداية سيطرة العثمانيين ، فان الجبرتى من ناحية اخرى قد تسلم المجتمع المصرى بعد أن كانت قد انهارت تماما القوى العثمانية ، ولذلك **فعملية انتقال المجتمع المصرى من مجتمع مملوكى الى مجتمع عثمانى غير واردة فى ابن اياس ولا فى الجبرتى ولكنها واردة بكل تأكيد فى كتاب البكرى**

ان تاريخ البكرى وحده هو الذى يصور بدقة عملية الانتقال هذه

***

على أن هذا ليس الشىء الوحيد الذى يثير الاهتمام بكتاب البكرى بل ان البكرى نفسه يثير الاهتمام فى كتابته عن مصر . لقد اوضحت أنه قسم كتابه الى عشرين بابا ، تناول فى الباب الثالث وحده تاريخ مصر فى العصر العثمانى وبقيت الاجزاء التسعة عشر تدور حول محاسن مصر وفضائلها من كافة الوجوه . ففى الباب الرابع يكتب عن كور مصر وقراها ، وفى الخامس فى ذكر ما ورد فى فضل مصر ، والسادس فى ذكر دعاء الانبياء لمصر واهلها ، والسابع فى ذكر وصف العلماء لمصر ودعائهم لها — اختيارها للصحابة والملوك بعدهم ، والثامن فى ذكر من ولد بمصر من الانبياء والحكماء ، والعاشر فى ذكر ما بها من الثغور والمساجد الشريفة ومشاركة الحرمين ، والثالث عشر فيما اختصت به مصر دون غيرها من البلاد من ملبوس ومأكول ومشروب ومشموم

ونحن لانستطيع أن نمر مرورا عابرا على مغزى هذه الكتابات ، فحب البكرى لمصر حبا ملك عليه كل مشاعره أوضح ما يكون ليس فقط فى هذا التقسيم بل فيما كتب فى كل باب من هذه الابواب . ويصل حب البكرى بمصر ذروته فى الباب التاسع عشر الذى يسميه « ذكر ما اختصت به مصر والقاهرة من محاسن وفضائل وما شاركهما فيه غيرها وهو قليل بالنسبة اليها على سبيل



اثنـــان من جند الحاميـات . . أســاس الحـكم التركى فى مصر

التفصيل » . ويعتبر هذا الباب من أكبـر أبواب الكتاب اذ يقع فى ٤٠ صفحة ويفتتحه بقوله « اعلم ان مدينة القاهرة الان وكثرة خلقها وابنيتها من اسواق وشوارع وربوع وبيوت وجوامع ومدارس من العلوم المقطوع له بالحسن ، فلا حاجة الى المفاضلة فيـنه لانه من خواص هذا البلد السعيد . ولقـد توافرت الاخبار واجمع المسافرون والسياحون فى بلاد الله الشاسعة وارضه الواسعـه انه ليس الان فى الدنيا تحت قبة السمـاء من مشرقها الى مغربها مدينة اعمر بكثرة الخلق منها » .. ثم يعرض البكرى بعد هـذا الاستدلال المتحمس الى سرد ثمان واربعين سببا فى تفضيل مصر أرضا واهلا على غيرها من بلاد الدنيا . فيقول مثـلا فى السبب السادس والثلاثين « مما اختصـروا به من حسن اخلاقهم ورقة طباعهم واقتدارهم على الفصاحة وحسن أصواتهم وحلاوة لسـانهم وعدم اعتراضهم .. وحسن فهمهم فى العلوم الشرعيه وغيرها من سائر العلوم وسرعة اطاقة اخلاقهم وخفة ارواحهم » .. وفى السبب الخامس والثلاثين يذكر نساء مصر فيقـول « الخامس والثلاثون نساؤها الذين خلقهـم الله تعالى للتمتع بهن وطلب النسل منهـن ارق نساء الدنيا طبعا ، وأحلاهم صـورة ومنطقا واحسنهم شمائلا واجلهم ذاتا » . بل يشيع فى السبب الاربعين فيقـول .... ويقـول « وهم من ذرية الانبياء ، وكان لهم من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نسبا » .

***

ولم تكن عناية البكرى الفائقة بالحديث عن مصر والمصريين فى معظم كتابه هو الدليل الوحيد على الشعور الوطنى الجارف عند هذا المؤرخ ، انما يبدو هذا الشعور فى عبارته فى الباب الثالث من الكواكب السائرة وهو الذى يعالج فيه التاريخ السياسى بتتبع عداء الاتراك وكراهيتهم للمصريين ، ونحن نسوق هنا بعض الامثلة ردا على الرأى الذى لم نكن



واحـد من البكوات المماليك .. سبب الفوضى فى مصر فى القرن التاسع عشر ..!

يرى ان العلاقات العربية التركية قد دخلت مرحلة الازمة الا فى أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأت حركة التتريك فى العالم العربى . فالواقع ان ثمة شواهد كثيرة تدل من خلال ماذكره البكرى من وجود شعور بالكراهية بين الجانبين : العربى والتركى وقد أولى البكرى هذه الناحية اهتماما خاصا ـ فمثلا يذكر عند حديثه عن والى مصر جركس اسكندر باشا ـ الذى توفى سنة ٩٧٦ « وكان جبارا كثير التجبر مبغضا لاولاد العرب » . ثم يعود الى هذا الموضوع عند حديثه عن تمرد الحاميات العثمانية فى اواخر القرن العاشر الهجرى ، فيبدو من حديثه ان هذا التمرد كان مرتبطا بوجود أزمة فى العلاقة بين الاتراك والعرب ، هذا واضح كل الوضوح من تصرف المتمردين

ويقول البكرى فى وصفه لحركة التمرد هذه « وتعدى الأذى على حوانيت السوق بمصر ونهبت اسباب الناس وملبوسهم ، ونادوا بأن اولاد العرب لا يستخدمون مماليكا بيضاء مطلقا ، وان يكشف عليهم بعد ثلاثة ايام ، فمن وجد عنده مملوك ضرب عنقه . وصاروا يطعمون طوائف طوائف الى بيوت الاكابر بالات السلاح الى ان يأخذوا منهم مايريدون » وقد استمرت حركة تمرد الجنود والاتراك من ٩٩٦ الى ١١١٢ حين حكم مصر الوالى محمد باشا فتمكن من اخماد فتنة الاجناد وابطال مظالمهم ضد « اولاد العرب » .

وقد بلغ من اهتمام البكرى بهذا الحادث انه افرد له كتابا تحت عنوان « التفريج الكربة فى رفع الطلبة » سرد فيه حركة تمرد الاتراك على الباشوات العثمانيين فى ذلك الوقت واستيلائهم على القاهرة ومظالمهم نحو « اولاد العرب »

غير ان البكرى يعرض فى كتابه الكواكب السائرة لطرف من هذا الحدث الهام ويختمه بقوله بعد ان أجبرت العساكر الاتراك على الانسحاب من القاهرة « ودخل الى مصر فى غاية العظمة والابهة وسار العسكر يتجر من الصباح الى اذان الظهر . وكان يوما مشهودا وفتحا مبينا وهو فى الحقيقة الفتح الثانى لمصر فى الدولة العثمانية » .

ان هذه الاتجاهات الوطنية الصارخة فى كتابات البكرى تثير تساؤلا لا مفر منه ، وهو الى اى حد يمثل البكري باتجاهاته الوطنية هذه موقف الارستقراطية المصرية الداخلة فى تحالف مع البكوات المماليك او البيوت المملوكية لضرب النفوذ العثمانى ذلك التحالف الذى نراه فى اوضح صوره واصرحها بعد قرن من كتابات البكرى فى كتابات عبد الرحمن الجبرتى

ضحكات العالم في شهر!

بهجت



بعض الاحلام تتحقق على الورق

ان البيت الذي تحلم به ، تستطيع ان ترسمه على الورق ..
كما رسمه فنانو الكاريكاتير في العالم ..
مجلة « كانديد » الفرنسية .. طلبت من رساميها ان يصوروا بيت الاحلام . وطلبت « الهلال » من بهجت ان يرسم حلمه الخاص



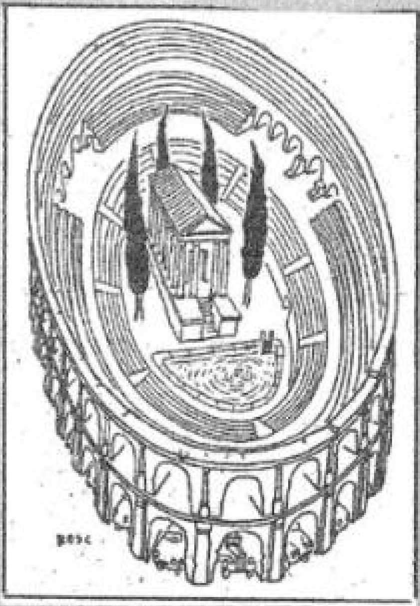
للرسام .. « ليتسو »



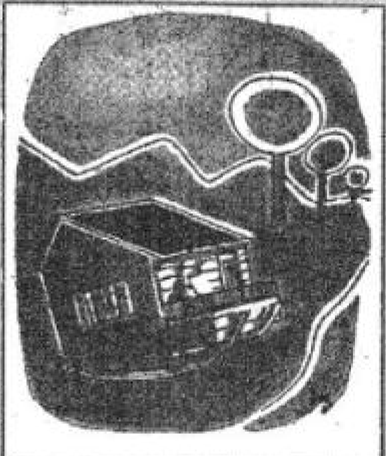
القط الأسود ..
للرسام « [illegible] »



[illegible] .. والكلب ..
للرسام « [illegible] »



رومانى للرسام البوسك »



كشك .. وخطرة للرسام
« لريس »



الخضرة والشلالة الصغيرة
للرسام « سولان »



بيت اسعد وفاء
للرسام « موس »



قصة من الجزائر

الغائب

بقلم: جمال عمران

من هذه الشرفة التي تطل على جزء من البحر . كانت لا تزال بقية من ضياء ليالي الصيف وعطرها . هذا العطر الرقيق يغمره انتعاش تحمله بعد أيام التعب . وكان صمت القرية يأتينا بموجة من السعادة . وكنا نسمع في هذه الساعة من الليل آخر أصوات البقر التي يجرها أحد الرعاة وهي تعلو ، بينما تنخفض أصوات العسكريين الذين يضربون بكعوب أحذيتهم أرضية الشوارع .

وأحيانا كانت الانفجارات الشديدة تقطع هذا الخدر البطيء، فلم أكن التفت اليها . لقد كنت هنا أقيم في ذهول كامل . فقد كنت أحس بنوع خاص من الحنان وكنت أحاول الا تضيع مني دقيقة او نبرة واحدة من حديثهم .. كأنني تلميذ نشيط . كنت أمثل فيهم أبي ، وجدي لأمي . وكانوا يتناقشون ، ويثيرون المشاكل ، ويقاطعون بعضهم البعض . وكان صوتهم هادئا معتدلا وكنت استمع اليهم بجذل وحماس كأنني أتنفس معهم . وبين حين وآخر . كان صوت أمي يصعد ، كصوت الكورس ،وهي مشغولة بالفرن

وكنت أعلم أن صوت العاصفة على وشك الهبوب ، لأن الموقف يتكرر عندنا كل يوم وكان أبي حين يراها ، وقد هزها الغضب ، يكتفي بأن يقطب حاجبيه علامة قلة المزاج . وكانت تستمر في القاء بعض الكلمات غير المفهومة . وكان جدي يكتفي بالسعال ، أو الإبتسام ، من وراء ذقنه الرمادية التي ترتجف

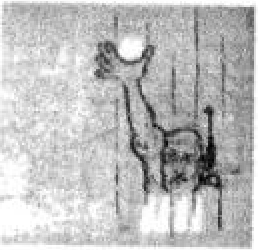
ثم يستقر الصمت تدريجيا ... كأنه نقطة زيت ... أو يستمر الحديث ولاينتهي

ماذا أقول عن هذه الخطب ؟

وماذا أقول عن مناجاة أبي لنفسه ، التي كنت أكتشفها خلسة ، وكأنه يحادث ظلا لايراه أحد غيره ؟

***

كنا في بداية عام ١٩٥٧ . وكان برد الشتاء قد بدأ ، ولكن البرد لم يكن شديدا .



وكانت الجزائر تحارب ، وكانت المدينة ، قد ألقى عليها الصمت ، والارهاب ، ظلا شديدا ... ينشره حظر التجول كل ليلة . وكان أبي قد وصل . ولانه عاد – كالعادة – متأخرا ، فلا يلبث أن ينام . ومن سريرى كنت أدرك صوته تماما . وكان الحوار الذى يدور فى غرفته مع امى يبدو لى كأنه يأتى من بعيد كنت اسمع ، وكان الكلام يشق الضباب!

– نعم . لتفهمى اننى سأتركك ، انك لم تعودى تتحملينني ولا أحد يستطيع حمل على البقاء

فلابد أن نستعد اليوم أو يوما آخر للانفصال . انك تعلمين – تماما كما أعلم – أكثر من أى وقت ..

« والحقيقة أن المناقشات استمرت منذ زمن بعيد »

واضاف وكأنه يختنق :

– نعم ، سوف أرحل

وكان صوته يصل الى ...

صوت ثقيل ، مثقل بالاحتمالات ، وكان يشق صمت الليل بطريقة غير متوقعة

وظللت منتبها الى تهدج صوته ، الذى يحترق بقلق مفاجئ .. وأنا لا أفهم شيئا

– ستهجرنا ، أتجرؤ على هجرنا هكذا ؟ الآن ؟ فى الوقت الذى نحتاجك فيه أشد الاحتياج

وظلت تكرر « أشد الاحتياج » .. بصوت باك

واحسست بالتبجل

وزاد قلقى المستمر ، من ذلك الاضطراب المفاجئ .. ولكن أبى كان يبدو عليه أنه لا يستطيع ان يقدم تفسيرا دقيقا .

وفى هذه اللحظة ، كان يهمنى أن أعرف، هل سيتركنا لانه لم يعد يحبنا ... أم مجرد نزوة طارئة

– لايوجد حل وسط

ومن الافضل أن نتحدث بهذه الطريقة سأمشى قبل أن الفجر

***

ووجدتنى أصيح فى داخل

غريب حقا . غريب : وكيف تنتهى هذه المشادة . انها ليست المرة الاولى التى يهدد فيها ، انهما يعودان كل مرة فيتصالحان

وسألته أمى بعد صمت طويل :

– وابنك فضيل .. ماذا أقول له ؟

وكان صوتها قد بدا عليه التأثر

وقال بصوت بارد :

– قولى له ما حدث .. !

وسمعت اسمى ، وظللت بلا حراك ، تائها فى مكمنى . وكنت ارتجف خشية أن يكتشف اننى أنصت الى الحديث

– الله رحيم ، لا تحمل هما . فضيل سوف ..

وحينئذ انقطع صوته

وقمت ومشيت على أطراف أصابعى ، ناحية الباب الذى لم يوصد تماما ونظرت اليهما بعينين مليئتين بالشجن

كانا متباعدين ، وقد تجمدا تماما . استبد بهما الحزن

وصرخت أمى :

– اذن ، ارحل ...

ارحل سريعا ، بدلا من أن تعذبنى على الدوام

وقبل أن يتجه ناحية الدولاب ، وقف لحظة وقد تجمدت عيناه عليها

وظلت تنظر اليه طويلا . مليا . كأنها لم تره من قبل . وأمام هذا المشهد انهارت دموعى التى كنت أكتمها حتى ذلك الحين .

قطعت انفاسي . وعلا صوت الباب . لم اصبح كل شيء صامتا موحشا . وبدأت اتقلب من جديد . وبعد لحظات كنت اندس تحت الغطاء وقد تجمدت . لا استطيع التحرك . ثم بدأت اسمع التنهدات ، والترجيع الذى يصعد وسط الظلام

واحسست ، بداية العذاب الذى يبدأ به القلق ، وكان احساسي حادا ، قبل ان ابذل جهدا كبيرا لاقاوم — فى خجـــل — تراقص الافكار التى تحاصرني

وهجم علي النوم سريعا

وفى الفجر ، صـــحوت على صرخة ، لم يشيجا واضحا : كانت أمي تبكي . وفتحت عيني فى خوف بعد هذه الليلة الطويلة

لقد رحل أبي . وزاد قلق الصباح

***

وظللنا على حالة اليأس ، منذ ان رحل أبي ، لا نتكلم

ولكن كان من الصعب أن اسكت

فأمي التى كانت تحس بالذنب من جهتي، كانت تتألم لى ، وقد تغلب الرعب علي ، وقد علا صوتها وان كانت قد أصبحت اهـــدأ مما كانت فيما مضى

وفهمت الصراع الذى يعتمل فى داخلها والندم الذى يداهمها . وادركت أنه لابد من أن اغريها بشيء . ولكنى لم استطع ان افعل شيئا . لانني لابد انأجد تفسيرا لما حدث ، هل ستعترف لى بأنه تركنا لانهما لايتفقان ؟ لاشك فى ذلك . واحيانا ، حين كنت أتمرد كانت تتولى الدفاع عن الغـــائب . وكنت استسلم . وكنت اشك فى القصـــة التى ترويها لى . « لقد قتلوا أباك » . حقا لقد كانت تتألم ، وكنت استجيب قليلا لتفسيراتها المـــاكرة التى تفاجئني بهـــا ، وما كان ينتهي اليه الحديث دائما ، فأثرت فى النهاية أن تفهمني أن أبي قد هجرنا ، وبدأنا نشير اليه فى بيتنا ، كمخلوق فاشل ، أو كمخلوق نعتبره ميتا . وزاد هياجي ، واتسعت هوة احزاني . واحيانا لم أكن استطيع الانين ، فكنت الجأ الى جدي .. مما يزيد من فاجعة الموقف

كان يهتز ، وكأنه يزداد شـــيخوخة على شيخوخته . واصبحت افكر ، انني متقل الروح ونما فى داخلى فضول شديد لاعرف مكان أبي لم يكن رجلا مفهوما . وكان غريبا

***

ومرت الحياة ، ثقيلة ، لا يتخللها المرح ، ولا شيء يقطع هذه الرتابة الاليمة . وكنت انتظر تلك اللحظة التى يتمزق فيها شيء أو ينفجر . ولم أعد أستطيع تحمل نفسي . ولما لم تكن الفتياء ، اضطررت الى الانقطاع عن المدرسة ، وبدأت بلا اقتناع — اعمل عند نجار . وكان يعطيني كثيرا من الوعـــود ، وقليلا من المال . أما امي ، فلم تكن متعلمة ، وكانت تفقد بصرها . كانت تعمل — وتقتل نفسها فى العمل — حتى نأكل . وكنـــا نحصد قليلا من المال ، ونعيش فى الاحزان، على المال الذى تكسبه امي ، واصبحت القى بعض الليالى الرهيبة وأنا اجتر نفس الافكار بلا جديد . وكانت كل الافكار تدور حول العمل والقلق

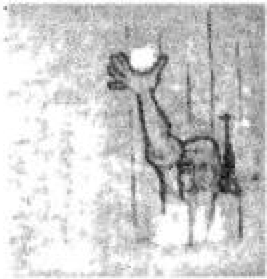
وفى احدى الامسيات ، قبل الانتهاء مـــن العمل ، تأخرت فى المقهى المجاور ، الذى وصل اليه مراد الجزمجي ، وحين رآني ، تحرك كي يتمالك نفسه ، ثم تقدم مني ووجهه متجهم أكثر من ان يكون قلقا . لم أكن قد رأيته منذ غادرنا أبي . ولم أكن أتوقع هذه المفاجأة . لخفضـــت رأسي . وحاولت ان أتجنبه . وكان الحي — فى ذلك اليـــوم — محاصرا . وفى الميدان العام كان الجنـــود يفتشون الاماكن فى قسوة ووحشية . وكان مرآهم غريبا

أما عن أهالينا ، فقد كانوا يشردون .. من منظر الجنود ، وكنت تحس أن ثمة نشاطا جديدا يثيرهم

وقال لى مراد :

— انتظر قليلا حتى أخرج معك

وكانت عيناه تنطقان بالاضطراب والهـــم



والتعب وكانت شفتاه يعلوهما برج يشوههما

قلت له :

ــ لا استطيع

على الرغم من أن تأخرى سوف يعدل من الروتين اليومى الذى سرت عليه .. لكن امى وحدها فى البيت . وقد بدا الليل فى الهبوط

ــ لاتقلق

وارتنا بدقته ناحية البنك . واطمئنه لى عصوه واخرج قهوته . وشفط جرعة مرة واحدة

ثم تردد مراد طويلا . كأنه يتردد امام حفرة . ثم قال فجأة :

ــ وابوك ؟

ورادت مخاوفى

باى حق يكلمنى،وبهذه الطريقة المتعالية؟ فقلت بطريقة ميكانيكية . لأننى لم أكن أتوقع سؤاله .

ــ نعم . وأبى ؟

وبنفس الطريقة المتعالية . ونفس العدوان قلت .

ــ أين هو ؟

وفى هذه اللحظة صوت نظره الى

فقلت . انه مشغول

وكان صوتى ينطق بكل الحسرج الذى احسته

فخبط مراد خبطة لطيفــة على كتفى .. فاسترحت قليلا . وقلت :

ــ نعم انه مشغول : كيف لم تعلم ذلك ؟

وبدا عليه التجهم على غير عادته

ــ فضيل . انك كبير . كم عمرك الآن ؟

ــ ثلاثة عشر عاما . نعم . ثلاثة عشر عاما

ــ اذن أنت رجل

وأخذت أتفحص وجهه الذى فسره الانفعال

ــ هل أنت نادم على أبيك ؟ أم تفخر له غيابه ؟

وخفضت رأسى . وانا احس بصــــوت حبيس :

ــ لا . لا افخر له . ولكن ذلك لايمنعنى من ان أحبه

فقد علمنى سوفى هذه اللحظة كنت أكلب

لقد علمنى ان أكون بعيد النظر . وأن أحس بالمسئولية

وابتسمت لمراد .. فقال :

ــ انه رجل . انه رجل عظيم .. لقــــد رأيته اليوم . وهو لا يتوقف عن التفكير فيك

وكاد القلق والخوف يحطمانى

ــ هل تريد أن تقول انك رأيته بعينيك؟ أين هو ؟

ولم يجبنى

وكان الاضطراب يملأ عينيه

ــ هل تعلم أن البوليس قد ذهب اليــكم اليوم ؟

ــ البوليس ؟ عندنا . لأى سبب ؟

ــ انهم يبحثون عنه

وقلت . وانا فى غاية الدهشة :

ــ ألهذا السبب .. يحاصرون الحى كله ؟

ــ أكل هذه الدوريات من أجله ؟

وانقطع الحديث لحظة

ــ لقد اخذوا حذرك . وهم يبحثون عنى

واخذ يقول لى القصة بحذر . وكنت أفهم بسرعة . فقد بدات افهم . ان غياب ابى اخذ يتلون بلون آحـــــمر . وبدا لى مخاطا بالمجد . وأخرسنى المفاجأة . فتركت مراد وهرولت تجاه بيتنا

واصبح كل شئ جميلا

أصبح جميلا

لقد لمست السر ... فاصبح لي واضحا وظللت اجرى كالمجنون تجاه البيت .

كالمجنون تماما

ماذا اقول ؟ وفى اية حال ، وجدت امي وقذفت بنفسي بين أحضان امي ، وأنا اقول :

– من أجل حريتنا ، يا امي ، انه مقاتل سنصبح احرارا

– نعم يا بني . مقاتل

وغمرت الدموع وجهها . واتسعت نظرتها

– سوف نزوره قريبا !

– أين ؟

واقتربت مني

وظلت صامتة لفترة

وعبرتني رعشة حتى عظامي

– لقد قبض عليه في بربروس .. وسيحاكم غدا ..

كان صوتها يعكس الامل والاضطراب

***

وفي المساء افرجوا عن جدي . لم يعد هناك حاجة الى اقلاقه بالمزيد . كانوا قد حكموا على ابي بالموت حرقا !

يالها من ميتة !

وبعد عشرة أيام ، تمكنا من زيارته ، ووجدناه خلف القضبان ، وكان يبدو كالجبل من القوة والنشاط . ونظر الى بحنان . وتحركت عيناه بحيوية فائقة . وابتلعت امي آهاتها

وقال ابي : نحن من مساجين السياسة ولن يقتلونا

– ولكنهم قتلوا عددا كبيرا

– انهم يخافون من الاستمرار . الكم تسمعون الانفجارات التي تعقب تنفيذ كل حكم اعدام

وانسابت تلك الثقة الرقيقة في صوته الى نفسي كالصدى

– نعم لقد كنت مع جاري نتناول بعد كل انفجار شيئا من اللبن أو عصير الليمون .. واخذ الحارس يهزنا، حتى يخلو المشي وسمعته ونحن ذاهبين ... وهو يصيح :

ابنى نذيل

وكنت سرحة غضب ... وصعدت الدموع الى عيني

***

وفي الغد ذهبت اليه في العاشرة . وأمام السجن كانت النساء المحجبات تزدحم وقد تملكهن الالم الشديد . وكن يتدافعن ليقرأن التعليمات المعلقة على الباب . وكانت من بينهن للاخذوجه .. التي ما ان رأتني حتى اندفعت الى واحتضنتني ثم انفجرت باكية

ودفعتني حنانها ورقتها المفاجئة ودموعها الى ان أكون اكثر قلقا ، واشد يقظة . كانت تحدثني ، ولم يكن حديثها مترابطا . من العبث ان تؤمن بالقدر ... وتجمدت وانا أحول نظرى عن هذا الفيضان من النساء

قلت والالم يقطعني ، وأنا اشق طريقي :

– فهمت

ويستيقظ شيء كان نائما لي داخل منذ زمن طويل ،واستولى على تماما .وصحبتني مجموعة من النساء الى البيت ، وكانهن يقمن بطقس من الطقوس . وحين وصلنا الى البيت ، انهارت امي ، فاندفعنا اليها ثم الى قدميها ، اناشدها الشجاعة .وظلت يداي في يديها وقتا طويلا . وعلت الزغاريد بشدة . ثم مالت الاصوات ، وعادت كانها النار . ثم هدأت الاصوات مرة ثانية ولفها الصمت . ثم تكلمت امي ، وقد إمتلأ صوتها بالشكوى والاستسلام :

اجلسوا يا أخوات

لقد مات « شهيد »

لنتناول القهوة معا

وسكت البكاء

***

وفي المساء ، كانت السحب ترسم رسوم « الارابيسك » وتصعد ناحية اليمين تجاه الضوء . وكان البحر رماديا . ولا يسمع الا صوت المياه

طاهر الطناحي يقدم :

دموع الحب

بين

الآنسة مي وعباس محمود العقاد

« احببت فى حياتى مرتين : احببت « سارة » . وهذا ليس أسمها الحقيقى ، وانما هو اسمها المستعار اطلقته عليها فى قصتى المعروفة بهذا الاسم .. واحببت « مارى زيادة » الاديبة المعروفة باسم « مى »

« كانت الاولى مثالا للانوثة الدافقة الناعمة الرقيقة ، لا يشغل رأسها الا الاهتمام بجمالها وأنوثتها ، ولكنها كانت — الى ذلك — مثقفة

« وكانت الثانية — وهى مى — مثقفة قوية الحجة ، تناقش وتهتم بتحرير المرأة واعطائها حقوقها السياسية ، وكانت جليسة علم وفن وادب ، وزميلة فى حياة الفكر ، اى ان اهتمامها كان موزعا بين الادب والانوثة

« كلتاهما جميلة ، ولكن الجمال فى « مى » كالحصن الذى يحيط به الخندق ، أما الجمال فى « سارة » فكالبستان الذى يحيط به جدول من الماء النمير ، هو جزء من البستان ، وهو للعبور أكثر مما يكون للصد والنفور ! »

ذلك ما سمعته من العقاد فى حديث معه . وقد نشر قصته عن « سارة » منذ سنوات ، أما قصته عن « مى » فكيف كانت ، وكيف



«مي» .. انها كالحصن
الذي يحيط به الخندق



العقاد .. كان يرسل خطاباته الى مي باسم « عباس » مجردا .. !

بدأت ، وكيف تطورت من زمالة فكرية ، الى صداقة ادبية ، ثم الى حب ، فغرام وهيام ودموع !!.

لقد عرف العقاد الآنسة « مي » قبل ان يعرف سارة بعدة سنوات .. عرفها عن بعد من مقالاتها في الصحف ، وتأليفها للكتب ، وعرفها عن كثب في صالونها الادبي الذى كان يؤمه كبار الادباء والمفكرين مساء كل ثلاثاء ، وكان هو اصغر رواد هذا الصالون سنا حين كان يؤمه منذ سنة ١٩١٥ و ١٩١٦ ، وكانت سنه لا تزيد على سبع وعشرين سنة ، وكانت سنها لا تتجاوز الحادية والعشرين ولكن كلاهما كان نجماً ساطعا في شباب الادباء وجيله المثقف الحديث

وحدث ان سافر الى اسوان على اثر مرض انتابه ، فبعثت اليه برسالة تسأل عن صحته . وتبلغه فيها تحيات أدباء الصالون الادبي : وتمنياتهم الطيبة له بالصحة والعافية فرد عليها برسالة انبأها فيها بأن طبيبا المانيا كان يزور اسوان سائحا طمأنه على صحته ، وقد فحصه فحصا دقيقا . وبدأها بقوله :

« آنستى الاديبة اللوذعية مى زيادة

« اكتب اليك الآن وانا اقرأ « سبنسر » فى « قصر ملا » ، وهو طلل دارس منصوب للرياح ، اقضى فيه الوحدة بين صفحات كتاب ، وقد جمع منظره بين وحشة القدم المتبدد ، ونضرة الصبا المتجدد . وقامت حوله روضة عالية تعرف باسمه ، ويرتاح اليها الطارق من سآمة ذلك الشبح المهجور فى اكمته . وهى رابية اثرية ذات طباق يعلو بعضها فوق بعض ، فى كل طبقة منها حياض الازهار والنوار ، ومنابت العشب والبهار ، تنتهى من بحبوحتها العليا الى جانبها الغربى فتشرف من ثم على النيل ، ويستقبلنى الجبل

الغربي تليه الجزر والجنادل المعترضة فى جوف النهر ، وهو ينساب بينها انسيابا ، فروعا وشعابا ، واجلس بعد الغروب ، فانظر امامي الى المقياس فى هيكله القديم ، والى النيل يجرى كانه لا يجرى ، والى الجنادل قد اطلعت رءوسها على متنه كانها بعض حيوان ، يتنسم هواء الليل ، والى الجبال ممتدة على طول الافق كالديباجة السوداء حول تلك المناظر الساحرة ... »

ويستمر فى وصف « قصر ملا » الى ان يقول :

« وقد كنت اتورد هذه الاماكن الفينة بعد الفينة اقضى هزيعا من الليل فاجلس الى صخر قديم ساوره النيل اعصارا ثم قنع بمسح اقدامه ، وطغى عليه اعواما ، فلم يظفر بغير المرور من امامه ، واعوض العزلة بمساجلة بنات الاحلام ومسامرة عرائس الشعر ، ولله هن ما اجذلهن واطربهن .. »

وبعد ان يستوعب وصف هذا القصر يذكر لها كيف عرف الطبيب الالماني . وهو يقرا كتابا لهينى فى معبد فيلا ثم يصف لها جو اسوان فى الشتاء . ويذكر انه نظم قصيدة طويلة فى ذلك الوصف يقول فيها :

اسوان تزهو حين يذ
بل كل مخضر نضير
فى كل مرباة بهـا
نـور تالق فوق نـور
بلد تجود له الطبيـ
ـعة بالصغير وبالكبير
لا تسجن شموسه
الا على غير البصير
نسماته برء العليـ
ـل وماؤه عذب نمير

وبعد ذلك يذكر لها انه فى شوق الى ندوتها ، ويطلب منها ابلاغ تحياته الى الاخوان ..!

***

واقام العقاد فى اسوان مدة بعيدا عن القاهرة ، فبعثت الآنسة مى رسالة اليه بداتها بقول المعرى :

علـلانى فـان بيض الامانى
فنيت والظلام ليس بفانى
ان تناسيتما وداد اناس
فاجعلانى من بعض من تذكرانى
رب ليل كانه الصبح فى الحسـ
ـن ، وان كان اسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو لما
وقف النجم وقفة الحيران

« هكذا قال حكيم المعرة وانا اعلم مقدما انه من اصحابك المقربين ، فرايت ان ابدا هذه الرسالة من القاهرة بابياته عسى ان يكون فيها تذكرة ، وعوض عن الوحشة والبعد .. »

ثم تحدثت عن ندوتها(صالونها) والحاضرين فيها ، واخبرته ان الاستاذ نجيب هواويني لم يحضر الاسبوع الماضى ، وكان الصحب مشوقين الى فكاهاته ودعاباته الظريفة . وقالت انها القت محاضرة فى النادى الشرقى عن « فضل مصر على الشرق » وكانت تتوق الى ان يسمعها ليقول لها رايه فيها « وعلى كل حال ، فان بعدك فى



اسوان لا يحول دون اطلاعك على هذه المحاضرة ، لانها ستنشر فى الصحف ، وارجو ان اعرف رأيك فيها » .!

❊❊❊

وكان جبران خليل جبران قد اصدر كتابه « المواكب » سنة ١٩١٩ فكتب العقاد مقالا فى جريدة الاهالى ينقد فيه هذا الكتاب ، وكشف فيه عن اخطاء لغوية ، وانحراف فى الفطرة والطبيعة الشاعرة والخيال السليم ، وحدث ان سافر الى اسوان ، فبعثت اليه « مى » رسالة تقول فيها بعد الديباجة والتحيات : « وقد لاحظت قسوتك على جبران خليل جبران وان كنت اوافقك على بعض ما قلت ، واعارضك فى البعض الآخر . ولا تتسع هذه الرسالة لان اقول لك ما اوافقك عليه ، وما اعارضك فيه ، واترك ذلك لفرصة اخرى .. والى لقاء قريب » مى

❊❊❊

وقد ارسل اليها العقاد ردا على هذه الرسالة يقول :

« آنستى العزيزة مى

« وصلنى خطابك الرقيق ، وقرأته ، وكم كنت اود ان اسمع او اقرأ النقاط التى وافقت عليها وعارضتها فى مقالى عن المواكب لجبران ، وانا اعرف ان له مكانة فى نفسك . وعلى كل ، فعندما نلتقى سأناقشك فيها ، اما عودتى من اسوان فلم افكر فيها الآن ، وقد تقصر او تطول ، وسأكتب لك حينما اعزم على السفر الى القاهرة . اما الجو فى اسوان ، فهو حار ، ونحن فى شهر مايو والسياح يسرعون فى العودة رغم من الحر فى ضيق شديد » عباس

فارسلت اليه خطابا مستعجلا على اثر هذه الرسالة ، تقول فيها :

« الاستاذ الجليل العقاد

« وصلتنى رسالتك ، وقصدت ان اكتب هذه على وجه السرعة قبل رحيلك من اسوان لكيلا تنسى ما وعدتنى به وانت معى بالقاهرة . واعتقد انه سيكون فى ذاكرتك

« لا تنسى حين الوقوف على اطلال « معبد فيلا » ابلاغ تحياتى الى النيل الخالد باسوان – فى هذا المكان الساحر الذى كنت اتمنى ان اكون بجوارك اثناء تريحك الطرف فى مياهه الذهبية الهادئة .. وسأكون فى انتظار عودتك .. وارجو ان اراك يوم وصولك مساء .. » مى

سهام الحب

مضت مدة بلا رسائل بين

الاستاذ العقاد ، والآنسة مى ، وكان هو قد شغل بالمعارك السياسية بين الوفد برياسة سعد زغلول ، وخصوم الوفد وعلى رأسهم عدلى يكن ، وعبد الخالق ثروت ، واسماعيل صدقى ، وكان هو كاتب الوفد الاول . وحدث ان سافرت فى صيف سنة ١٩٢٥ الى ايطاليا ، ثم غادرتها الى المانيا للزيارة ، فبينما هو جالس فى مكتبه هبطت عليه رسالة طويلة تصف فيها رحلتها الى روما ، وتحدثه عن اهم شىء فى نظره ، وهو «المكتبات». واخبرته عن كتاب للاديب الايطالى امانولى عثرت عليه ، وقالت : « ان رايت ان ارسله لك او يكون معى الى حين عودتى » . وسألته عن اخبار القاهرة ، واسفت لحرمانها من مناظر النيل الجميلة وقت الاصيل ، ولكنها تتعزى عنها بمناظر الحدائق التى تطل عليها من نافذة الفندق ، وقالت له : « سأحضر لك مجموعة من صور روما العريقة فى الفن والجمال والمدنية » . ثم كتبت له وصفا لينابيع روما فى اربع صفحات منفصلة عن الرسالة جعلت عنوانه : « نشيد الى ينابيع روما » اودعته فيه عواطفها الشابة المشبوبة التى تنم عن الحب المكبوت ، وثورة القلب المحروم ، وقد قالت فى هذا النشيد الذى لم تنشره فى كتاب من كتبها :

« تفيضين من كل صوب ـ يا ينابيع المدينة الخالدة ـ وتهزجين من كل ناحية وتنادين بالنابه والخامل على السواء ، ولك مساجلة مع المحروب والمحبور وصوتك يأبى الا المضى فى اصطحاب محكم مع جوق الاجيال التى تمر وتنقضى ، ومع البيان الناطق فى آثار التاريخ ، واطلال الحدثان

« على مقربة من المعابد والبيع والمحاريب ، وفى الساحات ، والميادين والحدائق ، عند ابواب المتاحف ، وتحت اروقة القصور ، فى جانب مدافن العامة والدهماء ، كما لدى ضرائح الآلهة والقياصرة والابطال ، ومضاجع البابوات والقديسين والشهداء

« على ضفتى نهر التيبر الاشهب ، كما فى غياض الهضاب السبع المحدقة بواديه ، فى جوار انقاض الماضى ، وعلى مشهد من الاعمدة والرتائج والافاريز واقواس النصر ، التى يزعم شاعرها انك ما زلت منتصبة فى انتظار مواكب ظفر جديد ـ أنت يا نوافر روما حاضرة فى كل مكان ، متفجرة منبجسة فى كل زمان ، شادية فى كل أين وآن .!

« للاشادة بصنيعك ، وتمجيد حسنك ، وتفخيم قدرتك ، عمدت يد الفن الى مقالع الرخام الملون ، ومناجم المرمر الشفاف ، ودرست عبقريات العصور خصائص الجمال والحب والحزن والحماسة والبطولة والطغيان ، واحكام القدر ومظاهر الطبيعة ، واحتجاب الروح الشاملة ، فصاغت لها جميعا نفيس الشخوص

واللعب والـكواسر والضـوارى والانصاب ، واقامتها عند فوهاتك ، وعلى حفافيك تمثل للاجيال اختلاج الكائنات ونزعات الارواح .!! »

ثم تقول فى هذا النشيد :

« كم ذا طلب عطشى الارتواء من المتول لدبك ، يا عيون روما ، وكم ذا سالت خريرك ان ينسينى نفسى الجريحة .. »

« كم ذا تمنيت أوضاع تماثيلك وملامحها ، وانا احسبها سعيدة بامتصاص روحها من روحك ، وارتباط نصيبها بنصيبك فى خدمة الفن وتمجيد العبقرية

« ... تأملتك فى الصباح والاصيل ، وعند انتصاف الليل ، يا ينابيع روما . وسمعتك قرب الصروح الشامخة ، وبين الاخربة الدارسة تـوقين فى نفس لا ينقطع معانى الضحك والبـكاء والعبث والتفجع ، والتهليل والنحيب ، والمجون والحكمة ، ففهمت منك ان

رسم للعقاد .. بريشة صديقه الفنان احمد صبرى



نسيج الزمان كنسيج المياه متماسك متناثر ، وان ركبه يمر ويبقى ، وان كل بداية تتلوها نهاية ، وكل نهاية تعقبها بداية ، وفهمت انك انت من أصدق الصور للازمنة المتدافعة فى المسافة ، ابدا فى ابتداء وانقضاء ، ابدافى انقضاء وابتداء . .

« . . . . نسيت نفسى يا للرغد ويا للهناء ، لكنى اعود ، فاذكرها ويشتد عطشى الملتهب العميق ، فالتقى من مائك يا ينابيع روما — واشرب شربة لها فى فمى طعم الترياق والكوثر

« لحظة ليس غير . لقد رجعت الى حالى ، فما ارتويت بقطرة الا كانت لهيبا فى الاوام الذى لا يرتوى ، وما فزت بفهم جديد الا كانت الخاطرة المستحدثة وقودا لعذاب فكرى ، وطمعه الى توسيع حدوده ، وما نعمت بنغمة عطف ، الا كانت زكوة لعاطفة الحنان التى لا تشبع فى ولا تكتفى . . » !

***

بعثت الآنسة مى هذا النشيد العاطفى الرقيق ضمن رسالتها من روما الى الاستاذ العقاد ، فحركت فى نفسه الشوق اليها ، وحفزته الى التعبير الصريح عما يضمره نحوها من شعور عميق وحب روحى صادق ، فرد عليها بهذه الابيات التى لم تنشر فى الديوان :

« آنستى العزيزة مى

القاهرة ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٥

« ابعث بهذه الابيات من وحى رسائلك الاخيرة :

آل روما لكمو منى الولاء
ولثناء عاطر بعد ثناء

وسلام كلما ضاء لنا
طالع الاصباح اوجن مساء

فى حماكم كعبة ترمقها
مهج منا وآماق ظماء

كعبة لا كالتى يعمرها
بينكم رهط القسوس الحنفاء

كرمت روما وذكراها بها
وبنو روما ومن تحت السماء

نزلت ثم جبجبا داعيا
وهى اولى بحجيج ودعاء

انت فى روما وفى مصر انا
بعدت شقتنا لولا التجاء

بيننا جيرة نور ساطع
فوق راسينا ونور فى الخفاء

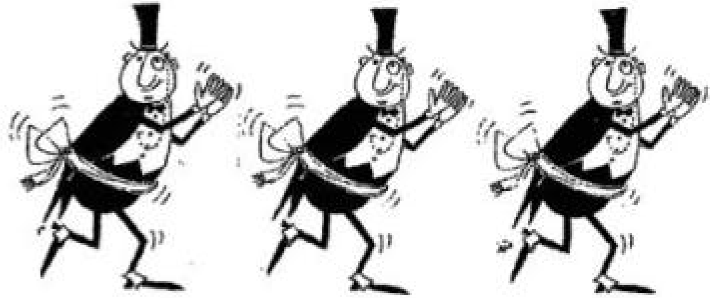
ارقب البدر اذا الليل سجا
فلنا فيه على البعد لقاء

وارود الشعر فى مثل الكرى
فاذا فيه من الطيف عزاء

حلم الصادى فمن يوقظه
وعلى « فيه » من الماء شفاء

(عباس)

وكان « العقاد يمضى رسائله دائما الى مى باسم « عباس » مجردا . وقد تلقت هذه الابيات بعد رحيلها من روما ، الى برلين عاصمة المانيا ، فوجدت فيها نفس الشعور العميق الذى تشعر به نحوه ، فردت عليه من برلين برسالة صريحة عبرت فيها عما تشعر به من حب وهيام . . كما سترى فى « العدد القادم »



كباريهات السياسة

تقدم الجارسون نحو أحد الزبائن فى مطعم من مطاعم برلين وقال له بأدب جم: « أرجوك ياسيدى أن تطفىء سيجارتك . أن التدخين ممنوع » .

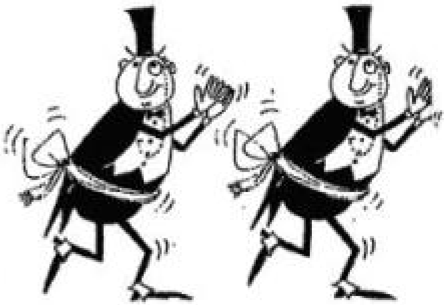
وقال الزبون الالمانى للخادم فى دهشة : « ولكن لايوجد اى أعلان عن حظر التدخين فى هذا المطعم »

***

وهنا أشار الجارسون الى صورة هتلر الكبيرة المعلقة فى صدر المطعم وقال للزبون : « الا ترى يا سيدى الاعلان ؟ انه خلف هذه الصورة المعلقة على الحائط اننا نضع الاعلان خلف الصورة حتى لايظن أحد اننا نصدر الأوامر للناس . ان حكومتنا يا سيدى تقدس حرية الفرد ، كما تعلم . اننا يا سيدى نطالبك بعدم التدخين لا كأمر ولكن لاننا نعرف أن التدخين ضار بصحتك ونحن لا نريد سوى مصلحتك »

***

كانت هذه أحدى الفقرات المشهورة فى برنامج كباريه « القنافذ » - Stachel schwein فى برلين فى أوائل عهد النازيين وكباريه « القنافذ » كان واحدا من الكباريهات السياسية التى عرفتها دول أوربا الوسطى دائما ، وخاصة برلين وفيينا



لقد ازدهرت الكباريهات السياسية بصفة خاصة فى برلين وڤينا ، ولا تزال مزدهرة حتى الآن . وليس ذلك مجرد مصادفة . ان اوربا الوسطى لم تكن محتاجة الى النظام والضبط والربط بقدر ماكانت محتاجة الى حماية الضعفاء من عسف السلطة والى احترام المسئولية الشخصية والسياسية للمواطن واحترام حقه فى ابداء رأيه فى نظام الحكم . ان هذه الظاهرة كانت واضحة بصفة خاصة فى امبراطورية النمسا والمجر . حيث كان الناس يساعدون انفسهم على أن يشفوا الشعب من جميع الامراض اذا ما تولوا الحكم . ولقد كان هذا التعهد ساذجا الى حد كبير كما ثبت بعد ذلك ، ولكن دوافعه كانت حقيقية . وهذا هو السبب فى ان النشاط الثقافى فى المدن الكبرى فى أوربا الوسطى كان نشاطا سياسيا الى حد بعيد

***

ونبتت الكباريهات السياسية فى برلين وڤينا من جذرين

ففى ڤينا زاد التشوق الى المسئولية السياسية نتيجة لانتشار التعليم العام . كما أن العمال تعلموا الكثير عن طريق تطور احتكاكهم بالتقدم المعقد فى الصناعة وقد تركز هذا التشوق بطبيعة الحال حول التقاليد القديمة لفن المضحكين والمهرجين الشعبيين الذين يعرضون فنهم فى شوارع المدن الكبرى وفى المسارح الصغيرة فى الريف والضواحى . كما تركزت هذه الاشواق الشعبية حول الاغانى الشعبية فى حدائق النبيذ حيث يجلس الناس حول الموائد الصغيرة يشربون ويدخنون ويشاركون المغنيين الشعبيين أغانيهم ويصفقون لخفة روح المغنى وتجديده لنكاته يوما بعد يوم

***

اما فى برلين ، فقد احتل المسرح الجاد مكانة خاصة فى احترام وحب الناس العاديين لاسباب طبقية . لقد كانت معظم الارستقراطية الالمانية تعيش متجمعة فى بلاطات صغيرة وكان البلاط الامبراطورى فى برلين عاجزا دائما عن أن يجتذب لنفسه العدد الكافى من رجال الحاشية . كان الامبراطور محاطا بوزرائه وكبار الموظفين والضباط المنتمين الى العائلات الكبيرة . وفى عهد الامبراطورية الالمانية تحول الجيش الى حد السخف بسبب مبالغة الضباط فى أناقتهم وغطرستهم ولم يشارك الناس العاديون فى المانيا حكامهم ابدا اعجابهم بالعسكريين . الناس العاديون فى المانيا يحبون أساتذة الجامعات والعلماء ورجال المسرح . كانوا يفسحون الطريق لاستاذ الجامعة عندما يقابلونه وكانوا يصفقون للممثلين الكبار ويظلون يهتفون لهم حتى تبح أصواتهم

***

بلغت الكباريهات السياسية ابعد ابعادها فى عهد حكم الامبراطور وليم الثانى عندما خفت الرقابة . وفى تلك الايام لم يكن على المغنى الشعبى او الممثل الكوميدى الا ان يضع مونوكلا على عينه ويتحرك على المسرح بخطوات عسكرية حتى يجعل المتفرجين يضجون بالضحك حتى قبل ان ينطق بكلمة واحدة . وعندما انهزمت المانيا فى الحرب العالمية الاولى زادت سخرية المواطنين الالمان من العسكريين لا لانهم كانوا ضعيفى الوطنية وانما لانهم لم يشعروا بأنهم هم الذين هزموا وانما شعروا بأن الذين هزموا هم العسكريون البروس المتغطرسون

وفى العقد الثانى من القرن الحالى ازدهرت الكباريهات السياسية . واصبحت

كباريهات برلين السياسية ذات شهرة عالمية لان كثيرا من الاجانب كانوا يزورونها ، ولان الكثيرين من العاملين فيها قد نفوا أو فروا الى الخارج . ثم أصبح من الصعب أكثر فأكثر ، استغفال الرقيب ، فكان على النكت والبرامج المضحكة السياسية أن تتلاءم مع تلك الايام الصعبة . وأصبح التهكم والنكت قارصا وفوضويا . وفي تلك الايام ازدهر مسرح أروين بيسكاتور Erwin Biscator البروليتاري ، وسجل برتولد بريخت وزملاؤه أولى خطوات النجاح

***

وعندما جاء النازيون الى السلطة بدأت ازمة الكباريهات السياسية في برلين حتى كادت أن تموت . وقد استقبل الفني المشهور كورت فايل Kurt Weill (الذي كتب عددا من الاغاني لبرتولت بريخت) النازيين بأغنية تهكمية أحدثت ضجة شديدة . وكانت الاغنية عن اغتيال يوليوس قيصر . ولكن النازيين لم يكونوا بهذا القدر من الغباء بحيث لا يفهمون مغزى الاغنية . ومن هنا فقد صدر امر النازيين بوقف الاغنية على الفور

ومن هنا بدأت نجوم الكباريهات السياسية يبحثون عن وسائل أخرى للتعبير عن سخطهم على النظام النازي . وظهرت النكت ذات المعنى المزدوج ، وهي التي طورها بريخت حتى بلغت القمة عندما بدأ انتاجه بالكتابة للكباريهات السياسية . لقد كتب بريخت واخرج عددا كبيرا من النكت المعقدة ذات المعنى المزدوج . وهذا النوع من النكت يشمل النكت التي يمكن أن يفهم معناها على وجهين : وجه بسيط هو الوجه الذي يفهم للوهلة الاولى ، ووجه آخر خفي ودقيق . وان من أبرز النماذج على ذلك الاسلوب مسرحية « خوف وبؤس الرايخ الثالث » Furcht and Elend des dritten Reiches التي كانت ادانة كاملة للهتلرية .

***

ومن بين رجال الكباريهات السياسية في برلين الذين اشتهروا بنكاتهم ضد النازيين فيرنر فينك werner finck

ان البرنامج الذي كان يقدمه لم يكن يزيد عن مونولوجات يلقيها بنفسه بأسلوب بارد ومهذب . ولكن كلماته كانت كالسهم الذي له مذاق اللبن الحليب . وكان يتعرض دائما لهجمات رجال الشرطة النازيين وذات ليلة ، وكانت هي آخر ليلة تقريبا لفيرنر فينك في برلين ؛ وقف ليقول للمتفرجين : « المحل كان مقفولا ليلة امس . المحل مفتوح الليلة . ولكن اذا بقي المحل مفتوحا اوسع مما يجب فانه سيصبح مقفولا مرة أخرى » وقد كان . فقد اقفل البوليس الكباريه بعد ذلك الى الابد !

***

واليوم لاتزال الكباريهات السياسية قائمة في برلين الشرقية والغربية على السواء . وأهم مايبرز من برامجها هو التعبير عن خشية الشعب الالماني من احياء النازية وعودة حكم النازيين . ان كباريهات برلين السياسية لاتعالج مشاكل الحاضر بقدر ما تعالج مشاكل الماضي . ومع هذا فان بعض الكباريهات السياسية في برلين يرسل النكات ضد فساد الحلفاء ، ويضحك الناس في الشرق كما في الغرب على « بون » والحكومة الاتحادية

***

ان الكباريهات السياسية في برلين هي التعبير في الرغبة الدائمة في توجيه النكت والضحكات والتهكم الى السلطة وهذه الرغبة يتميز بها بصفة خاصة سكان المدن . وكلما زاد اتساع المدينة زادت قوة وضخامة ضغط الموظفين وعسف السلطة وزادت بذلك حدة التهكم والتنكيت

ان لكل مجتمع عيوبه . ولكن عندما تصبح السلطة والامتيازات الطبقية والفئوية عميقة الجذور ، فان الهجوم عليها مباشرة لا يكون سليم العواقب . ومن هنا يتخذ الهجوم الشكل غير المباشر : شكل التنكيت السياسي الشائك في المجالس الخاصة ، وتصبح للنكت العامة معان خفية وتتخذ لنفسها اسلوب التورية وحكاية القصص الخرافية أو قصص من اشخاص من الاساطير أو من التاريخ القديم

ان التوتر بين مصادر السلطة — وليس بالضرورة تلك المصادر الممثلة في الحكومة فقط — وبين الفئات الاجتماعية الاخرى يجد متنفسه في برلين في الكباريهات السياسية . ان الكباريه السياسي أصبح اليوم يمثل رد فعل المواطن العادي ازاء من يملكون السلطة . وهو في الوقت نفسه صمام أمن المشاعر الجماهيرية العامة ... مشاعر النقص ... ومشاعر الرفض

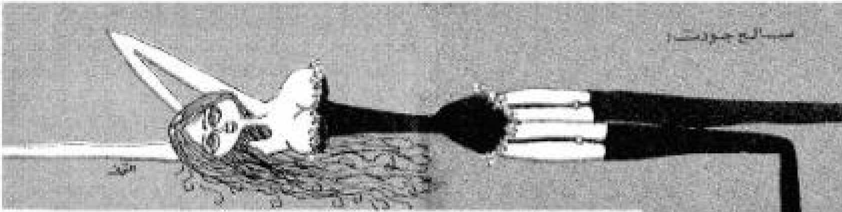
كتاب الهلال

أنا

بقلم
عباس محمود العقاد
تقديم
طاهر الطناحي

عدد خاص

يصدر في ٥ يوليه - الثمن ١٢ قرشا



صباح جودت

أمريكا والثورة الجنسية الثانية!

الحب الأخلاقي هو ما تحس بعده بأنك سعيد .. والحب اللاأخلاقي هو ما تحس بعده بأنك تعيس ..
ارنست همنجواي

علماء النفس المتجولون على أمريكا يسمون هذا العصر في ثورة جنسية، هي الثورة الثانية من نوعها في القرن العشرين، ويحددون بدايتها بسنة ١٩٦٠.

أما الثورة الجنسية الأولى، فيحددون بدايتها بانتهاء الحرب العالمية الأولى، أي بسنة ١٩٢٠.

حينما احتفل الشباب المتعب بتشييع جثمان مشغلي العصر الفيكتوري — عصر التزمت في بريطانيا، الذي كان له أثره في القارة كلها — وأعلنوا بداية عصر الجاز، بصخبه وضجيجه وعنفوانه وجنونه.

ومهما يكن من أمر، فإن الثورة الجنسية الأولى كانت تحمل طابع البراءة في الكثير من مظاهرها، كما يقول الكاتب الشهير ف. **سكوت فتز جيرالد** في كتابه «**هذا الجانب من الجنة**» حين يتذكر الناقوس لأمهات هذا العصر الذي عاش فيه، قائلاً لهن: «إنه كان **يحدث غراماً، أن تتعود بنات العصر الثاني على تقبيل الشبان لهن ... أما أمهات اليوم، فيكفي لهن أن يشكرن السماء أنا كان التقبيل هو كل ما تعودته بناتهن**»

• • •

والفارق بين ثورتي سنة ١٩٢٠ و ١٩٦٠ واضح كل الوضوح.

كانت الثورة الأولى ثورة أعصاب، أما الثورة الثانية، فثورة أجساد.

وكانت الأولى تعتمد على قلة جريئة، أما الثانية، فتعتمد على قاعدة واسعة.

في سنة ١٩٢٠، كان التحدث في الحرية الجنسية أمراً كفيلاً بإثارة غضب الرأي العام، أما اليوم، فالحديث عن الجنس أمر عادي، سواء في الحياة أو في الأدب.

إن الفارق بين الثورتين، هو الفارق بين الناس في ذلك العصر،

وفى عصرنا هذا . واساس هذا الفارق ، ان ابناء الثورة الاولى ؛ هم ابناء المتزمتين الذين وضعوا القــوانين الاخلاقيــة فى العصر الفيكتورى ، فوجد ابناؤهم قوانين موضوعة يستطيعون تنظيم الثورة ضدها

اما ابناء الثورة الثـانية ، فهم ابناء قوم عاشوا بين اشلاء تلك القوانين التى عبث بهـا الثـورة الاولى ، وهكـذا اصبح قانونهم الجديد ، هو ما يلخصــه الكاتب الامريكى الراحل الجهير ، **ارنست همينجواى** ، فى عبارة واحدة :

« العمـل الاخـلاقى » هو ما تصنعه ثم تحس بعده بانك سعيد، والعمل اللااخلاقى ، هو ما تصنعه ثم تحس بعده بانك شقى »

ولما كان تيار الامور المسموح بها فى هذا العصر واسع المدى ، جارفا لشباب هذا العصر ، فانهم فى غمار هذا التيار لا يكادون يجدون شيئا باقيا من القوانين الاخلاقية ليثوروا عليه

واقصى ما يملكه الآباء واوليـاء الامور والمعـلمون فى عصرنا هذا ؛ هو ان يقولوا لابنائهم « لا تفعـلوا كذا ... » على انهم يقولونهـا من اطراف السنتهم ، لا من اعماق القلوب

يقــول الاب **روبرت اليوت فيتش** ، وهو احد رواد التربيـة المسيحية فى امريكا : **ان الايمان والاخلاق لم تمت فى هذا العصر ، بل هى ابعـد ما تكـون عن حافة الموت ، ولكن سر العربدة الفكرية التى نشهدها حولنـا هو البحث المستميت عن معايير جـديدة لعصر جـديد**

وفى هذا القول كثير من الصحة. فنحن نرى الناس فى كل مجتمـع من العالم ، يتحدثون عن الجنس، ولكن حديثهم لا يعكس بالضرورة صورة ما يفعـلون ، وما يفعـلون لا يعكـس بالضرورة صـورة ما يحسون

* * *

ومـما يذكر فى هذا الصدد ـ ولو على سبيل التسلية ـ حديث الجهاز الذى اخترعه الدكتور **ولـيم رايـخ** ، الذى كان يعد من اذكى تلاميـذ **سيجموند فرويد** . وقد اصبح حينما بلغ وسـط العمر ، انموذجا كلاسيكيا للعلامة المجنون

اما الجهاز الذى اخترعه ، فكان عبارة عن صندوق خشبى ضيق ، وحول جوانبه شرائح من المعدن ، وبداخله حشـد مادى محســوس وملموس من « قوة الحياة » ... التى كان فرويد يسميها LIBIDO .. وكان رايخ يسميها ORGONE

وقد زعم الدكتـــور رايخ ان صندوقه السـحرى فيه الشفـاء لكثير من امراض الحضـارة وآلام الجسد ، كما ساد الاعتقاد يومئذ

الناس علانية

والاغانى التى تنبعث من ملايين مكبرات الاصوات فى العالم ، تملأ أجواء العالم بالانغام الحسية والانفعالية الصارخة التى يتضاءل الى جانبها شأن صندوق الدكتور رايخ

* * *

والحالة أوضح ما تكون فى عالم الادب ...

فمنذ ٣٥ سنة ، عد الناس روايتى «**كل شيء هادىء فى الميدان الغربى**» و «**ايلمر جانترى**» ادبا مكشوفا الى حد أن بعض الولايات المتحدة الامريكية — ومنها ولاية بوسطون — جعلتها فى قائمة المحظورات التى يستحق طابعها وناشرها وحاملها السجن

اما اليوم ، فقد كان لاحكام المحكمة العليا أثرها فى اطلاق سراح هذه القصص وامثالها وما هو أكثر منها اغراقا فى الجنس ... اللهم الا اذا بلغ الكتاب حد الوقاحة فى استخدام التعبيرات الجنسية العارية بكل صراحة

وكانت كتابات «**جون اوهارا**» تعد حتى وقت قريب ، موضع نقد كبير لما توغل فيه من احاديث الجنس ، فاذا هى اليوم تكاد تكون افلاطونية اذا قيست بكتابات «**كالدر ويلنجهام**» و «**جون ابدايك**» ... التى تستخدم فى سرد الحوادث الفاظا وتفاصيل لم تكن لترد فيما مضى الا فى كتب الطب ، وبألفاظ لاتينية !

وشر منهما ما يكتب «**هنرى ميلر**» صاحب «**مدار السرطان**» **ووليم بورو** صاحب «**الغداء العارى**» من قصص صارخة فى جنون الانحرافات الجنسية

ومع هذا ... فان هذه الكتب وامثالها منسوبة الى الادب فى هذا العصر ، وعشرات من الصحف والمجلات تقبل على نشرها ، مع الرسوم المتسقة معها ، الى حد ان **الدكتور بول جيبهارت** — وهو خليفة الدكتور الفريد كينزى فى معهد الابحاث الجنسية بجامعة انديانا — يقول انه تحدث مع بعض اصحاب الصحف ، وسألهم :

— اية مادة ابقيتم للمستقبل ؟ لقد قدمتم كل شيء عاريا للقراء ، فماذا ستقدمون فيما بعد ؟ !

ويقول الدكتور جيبهارت انه وجد أكثرهم قلقا من المستقبل بالفعل !!

وقد وصل جنون الحديث المكتوب والمسموع من الجنس فى هذا العصر الى حد المساس بكرامة العلم . ومن امثلة ذلك ان **الدكتور البرت ايليس** ، وهو طبيب نفسى مرموق المكانة ، أصدر أخيرا كتابا عنوانه «**الجنس والاعزب**» يشرح

فيه للشبان وسائل اغواء الفتيات

* * *

وعلى المسرح ... كثـــرت فى اوربا وامريكا فى المواسم الاخيرة ، المسرحيات التى تتنـاول قضـية الجنس ... بل ان هناك عددا من المسرحيات، ترتفع فيه الستارةعن مشهد مخدع ، فيه رجل وامراة !

ويقول النـاقد « والتر كـير » سـاخرا من هذه المشـاهد : « **يبدو ان المؤلفين يتعمدون اظهار رجـل وامراة فى مخدع ، لينفوا ان هذا العصر هو عصر الانحراف الجنسى ... والعلاقة بين الرجل والرجل ، والمراة والمراة** » !

ويقول ناقد آخر اكثر جـراة : « **لم يبق على المؤلفين بعد ذلك الا ان يقـدموا العمليـة ذاتهـا على المسرح** » !

والمسرحية الغنائية التى تقدمها برودواى الآن ، وعنوانها « **مـاذا يحمل سامى على الهـروب** » ... فيها اغنية اترجمها لكم حرفيا .. وتغنيها فتاة :

« لا بأس بالخمر ... انهـا تحطم الثلج

« والرقص بهذه الطريقة ، شىء نظيف

« ولكن ... لماذا تؤخر اجمـل ما يستطيع أن يفعله اثنان ؟

« لماذا لا نواجه الواقع ..

« ما دام هو احلى ، **واكمل** ، واوثق ...

« **ما يستطيع ان يفعله اثنان ؟** »

* * *

فى القرن الماضى ، قال احد ظرفاء الكتاب فى فرنسا : « **زمان .. كان الناس يفكرون فى حكاية العذراء ... الحمل بلا خطيئة .. اما الآن ، فانهم يفكرون فى الخطيئـــــة بلا حمل** » !

وقد اصبحت الخطيئة بلاحمل ، ايسر الامور فى هذا العصر ، بعد ان سـهلت عمليـة الاجهـاض ، وكثرت عقاقير منع الحمل ، وقضت المضـادات الحيوية « البنسلين ومشــتقاته » على الامـــراض الجنسية الرهيبـة

وشر من ذلك كله ، ان الناس كانوا يتهيبون المغامرات الجنسية خـوفا من غضـب السـماء ، اما اليوم ، فقد طغت المبادىء التى لا تؤمن بالسـماء ، فلم يعد هناك — عند الملاحدة — مطمع فى الجنة ولا خشية من النار ...

لم يعـد هنـاك ما يخيفهم من الجنس ...

* * *

وهكذا ماتت الطهارة فى اكثـر انحاء العالم ، ولم تلبس الحـداد عليها الا قلة من الناس !

كامل زهيرى :



امضى جواهر لال نهرو أكثر من تسعة أعوام فى السجون المختلفة، وأكثر من ١٧ عاماً فى الوزارة .. فكيف كان يفكر فى السجن وفى الوزارة ؟ . .

نهرو

اشتراكى فى ثياب بيضاء



أول منظر يعرض للزائر الغريب في الهند ، حين يزورها ، ويقيم فيها ، هو سماء الهند .

إن السماء هناك تختلف عن أي سماء في أي ناحية من العالم . فالسماء في أوربا ملبدة بالسحب ، قليلة الكواكب .. قريبة من الأرض تكاد تمسها .. ولا تبدو — في معظم [illegible] ، [illegible] ، وأنواع [illegible] ، [illegible] بالرمادي والأسود القاتم !

أما السماء عندنا فهي وسط بين الارتفاع عن الأرض ، والانخفاض إليها .

فالقمر [illegible] في سماء ، والزرقة [illegible] الياسمين ، والسحب خفيف كالقطن المنفوش ، ولا [illegible] العاتمة [illegible] !

إلا سماء الهند تختلف عن كل هذه السموات عندنا وفي أوربا .

إن [illegible] ، وقربها [illegible] ، والسماء [illegible] الأرض ، [illegible] كل [illegible] ، وهي [illegible] ، [illegible] فيها [illegible] !

ولعل سر هذه السماء المتميزة في الهند [illegible] ، وأن [illegible] تتحول [illegible] إلى [illegible] ، [illegible] الإثنين ، [illegible] السحاب [illegible] الأرض إلى حد [illegible] فيه [illegible] .

ومع [illegible] الإبداع ، [illegible] إلى [illegible] من [illegible] الإحساس [illegible] ، [illegible] مدى [illegible] ؟

[illegible] ، وهي [illegible] ، [illegible] عند [illegible] الهند ، هو ذلك الإحساس [illegible] أمام سماء الهند .. وجوها ؟



ولست ادرى هل تلك « السماء » هى التى خلقت الزهد ، وشجعت عليه ، ام ان الزهد هو الذى يرى السماء على هـــذه الصورة . ولكن الاكيد ان سماء الهنــد ترتفع بشكل خاص يلفت النظر ، ويمتص التطلع ، ويثير فى الانسان احساسا غريبا فى كل حال .

الزاهد .. المغترب

وحين وصلت الى الهند ، كان غاندى قد مات .. وتولى من بعده نهرو قيادة الحزب وزعامة الهند . ورن فى اذنى ، منذ الايام الاولى ، وانا ابحث فى شخصية نهرو ، ما قاله نهرو عن نفسه ذات يوم ، حين كان سجينا :

« لعل ما يستهوى الهنود فى شخصى هو احساسهم انى زاهد . فلقد عرفوا عنى اختلاطى بالمجتمع الراقى ، وانى كنت أحيا حياة مترفة ، ثم عرفوا عن زهدى من هذه الحياة ، وهذا المجتمع .. والزهد يستهوى دائما العقل الهندى ، ويبهره »

وفى كلمة « الزهد » وجدت اول خيط يفسر لى شخصية نهرو ، وجو الهند .

ان جواهر لال نهرو يحمــــل لقب «بانديت» ، وهو من طائفة البراهمــان ، أرقى الطوائف الهندوكية . ولد اجداده فى كشمير ، أجمل البلاد الهندية الجبلية التى يطلق عليها بغير غرور ، ولا تكلف « سويسرا البلاد الاسيوية » . ونزل من عــــائلة ارستوقراطية المال ، والعادات . ورث معرفة اللغة الاوردية ، واللغة الفارسية . والفارسية كانت ذات يوم هى لغة الارستوقراطيـة ، والشاعرية والحديث عن الجمال والتلاعب بالالفاظ ، والتحذلق .. كما كانت الفرنسية عند البعض فى وقت من الاوقات . وكـان ابوه محاميا ، ليبراليا ، اقرب الى الفكر المحافظ ، والايمان بالوطن واللذات ، وحب السلطة ، شأن كبار المحامين الذين يعتمدون على الجرأة والصلات الاجتماعية والبلاغة الرنيمة . وكان يمكن لجواهر لال ان يستمر فى هذه الحياة المترفة الا أن أباه يعرف كل ما يملك . والهند بلاد عجيبة حقا ، يبلغ فيها الترف الى حد التلف .. والفقر الى حد الجوع ونتوء العظام والمجاعات الدورية وجفاف الانهار ، والقحط الشديد !

لكن شيئا حدث فى حياة هذا الشــاب ، الرقيق اللامع ، بدل حياته تماما

فلقد ذهب الى انجلترا ، ودرس فى كمبريدج ، وهرو ، وتعرف على كتـابات « نيتشة » وبرناردشو ، وكان يمكن ان يعود فيبقى ، كما يقول « انجليزيا أكثر من ان يكون هنديا »

على العكس ، كان كل شيء معدا لينفصل نهرو عن الهند ، والهنود ، ويرتبـــط بالحضارة الاوربية ، وتقليد طرق الحيـاة الاوربية فى الملبس والمشرب والتفكير .

لكن الهند ـ حين عودته ـ بعد الحرب العالمية الاولى كانت تفيض بالازمات .

وكان ابوه موتيلال نهرو عضوا فى حزب المؤتمر الهندى ، الذى تكون منذ عام ١٨٩٨ وكان الحزب فى ذلك الحين يضم صنوفـا عديدة من العناصر المحافظة او الرجعية . وحين عاد جواهر لال نهرو الى الهنـــد حدثت حادثة غيرت مجرى حياته

الفلاحون والبانديت .

تيقظت عين نهرو الحساسة على عشرات الفلاحين الذين يشكون آلامهم .

فالاقطاع الذى يسمونه « الزاسيندار » يشنقهم بالعمل والجوع والعـــرى . و « السلطة » الانجليزية تنهال عليهـم بالضرب والبطش وطلقات الرصاص ، ولا ثمن أدوية لحياة الهندى حينذاك .

وكان من عادة الفلاحين ، حين يستبد بهم الشقاء ، ويأخذ بهم كل مأخذ ، أن يسيروا حفاة الاقدام ، أميالا عــديدة ، يزحفون مبتهلين ، يطلبون تخفيف الضريبة ، تأجيل الديون ، او يشكون من قلة الماء ، او يتمتمون بالانين والشكوى فى كلمـات مختلطة مضطربة لا تخرج من الحلوق

ويصف نهرو تلك اللحظات التى تنبه فيها لاول مرة لواقع الهند وحياة فلاحيها فيقول :

« نظرت اليهم ، والى بؤســـهم ، والى عرفانهم الشديد ، فأحسست بالخجل . الخجل من حياتى السهلة المريحة ، ومن





.. الى السجن



— كالملاح القلعة — من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال .

ضرائب حتى على الملح

وقد بدأ نهرو سجله الحافل بالسجون فى عام ١٩١٩ ، حين اصدر المؤتمر قرارا بمقاطعة زيارة « البرنس اوف ويلز » ، وكان نصيبه فى هذه المرة ستة شهور .

ثم القى عليه القبض مرة ثانية ، لانه كان يحرض على مقاطعةبيع المنسوجات الاجنبية ... وفى هذه المحاكمة ، قال نهرو عبارته المشهورة :

« منذ اقل من عشر سنوات ، عدت من انجلترا انجليزيا اكثر من منى هنديا . اما اليوم ، فاننى اتحمس كل الحماس من اجل الهند ، وحرية شعبها »

وحكم على الباندت جواهر لال — هذه المرة — بـ ١٨ شهرا .

وفى المحاكمة الثالثة ، حوكم نهرو لانه لم ينفذ امرا من السلطات بعدم البقاء فى دلهى ، وكان السيخ يطالبون ببعض الاصلاحات ، وكان نصيبه ستة شهور !

وفى المحاكمة الرابعة ، كان غاندى قد اصدر قرارا بمقاطعة احتكار الملح . لان شركة الهند الشرقية تحتكر بيع الملح ، وترفع اسعاره ، وكان غاندى قد قرر ان يخرج بحركته من مجرد الاحتجاج الى العمل الجماهيرى ... وسار غاندى على قدميه ومن حوله انصاره ، عشرات الاميال ، الى شاطىء المحيط ، حيث الملاحات التى تحتكرها الشركة الانجليزية . وكان قرار غاندى ، ان يلتقط كل هندى حصوة من الملح ، حتى يكون ذلك رمزا لكسر احتكار الشركة الانجليزية .

والتقطت الالاف المحتشدة ، النهبة ، الافا من حصوات الملح . وقبض على نهرو بين الاف الهنود من اعضاء حزب المؤتمر ، وحوكم ، وحكم عليه بستة شهور ، ولم يكد يفرج عنه ، وبمضى ثمانية ايام ، حتى قبض عليه لتحريض الفلاحين على عدم دفع الضرائب

وكانت التهمة — كالعادة — التحريض على كراهية الحكومة ... وقال نهرو ان

كراهية الحكومة اصبحت عقيدة كل هندى وايمانه الذى لا يلين

وفى المحاكمة السابقة ، طلب القاضى جعل الجلسة سرية ، فرفض نهرو ، ورفض الدفاع عن نفسه ، ووزع بيانا لم يتل فى الجلسة ، وفى هذا البيان يصل نهرو الى ذروة حماسه الملتهب ، ليقول :

ليس هذا دفاعا ولكنه كلمة شكر الى الفلاحين الذين اشعر بالفخر اننى انتمى الى الليهم . لقد اشعلوا النار ، فاتسعت نارهم ، حتى استهلكت **الاحتلال والاستغلال** البريطانى . ولسوف افكر فى داخل السجن ، فى اخوانى الفلاحين الذين يقيمون فى القرى ، ويعملون فى الحقول ، ويعرقون ويشقون ويتعذبون ، ولسوف اصلى ، حتى ينتصرون فى نضالهم العظيم ، حتى يصبح هذا العذاب والشقاء مجرد حلم يمت الى الماضى » .

خلاف مع غاندى

يقول نهرو : « **لم يكن غاندى يحس كثيرا بجمال وفن ما يصنعه الانسان ، وان كان مفتونا بجمال الطبيعة . فلم يكن بتاه « تاج محل » فى نظره غير ثمرة للسخرة . ولكنه اكتشف بطريقته الخاصة فن الحياة ، وجعل من حياته وحدة فنية فكل حركة من حركاته كانت ذات معنى ، وكانت تنطوى على شىء ساحر ومؤثر . فلقد كان يشع على الاخرين بالسلام الباطنى ، الذى اكتشفه . ولم يكن غاندى يسحر مستمعيه بالخطابة البليغة ، فلقد كانت لغته دائما بسيطة ، خالية من الكلمات غير المألوفة ، بل كان يسحرهم بصدق لهجته ، وقوة اخلاصه**

... ان نظرات غاندى العميقة الهادئة قادرة على ان تغوص فى اعماق الانسان .. وصوته الصافى الرائق يشق طريقه الى القلوب »

وقد ملك غاندى على نهرو نفسه وكيانه ، الخلص له ، واطاعه ، واحبه وعلى الرغم من الاختلافات الكثيرة — الفكرية والنظرية — بينهما ، والتى ظهرت فى خطابات نهرو من السجن الى غاندى ، الا ان نهرو كان يبدأ احتجاجه الشديد

بعبارات الحب ، ويتهيها ـ بعد العاصفة ـ بعبارات الحب الشديد

وفي الفترة ما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٠ كان نهرو أكثر ابتعادا ـ من الناحية الفكرية ـ عن غاندي ، وأكثر التصاقا به كزعيم وطني ، له جاذبية شديدة على الجماهير ، وفهم عميق للحركة الوطنية

وكان غاندي يقف في تفكيره عند حدود المعركة الوطنية . كان يمثل المرحلة التي سماها نهرو مرحلة « بناء الجسور » بين الطوائف والديانات والاقاليم المختلفة المتنازعة على الدوام . وكان نهرو يؤمن بان طريقة غاندي السلمية هي خير طريقة لشفاء الهند من هذه التمزقات والجروح المفتوحة ، الدامية على الدوام

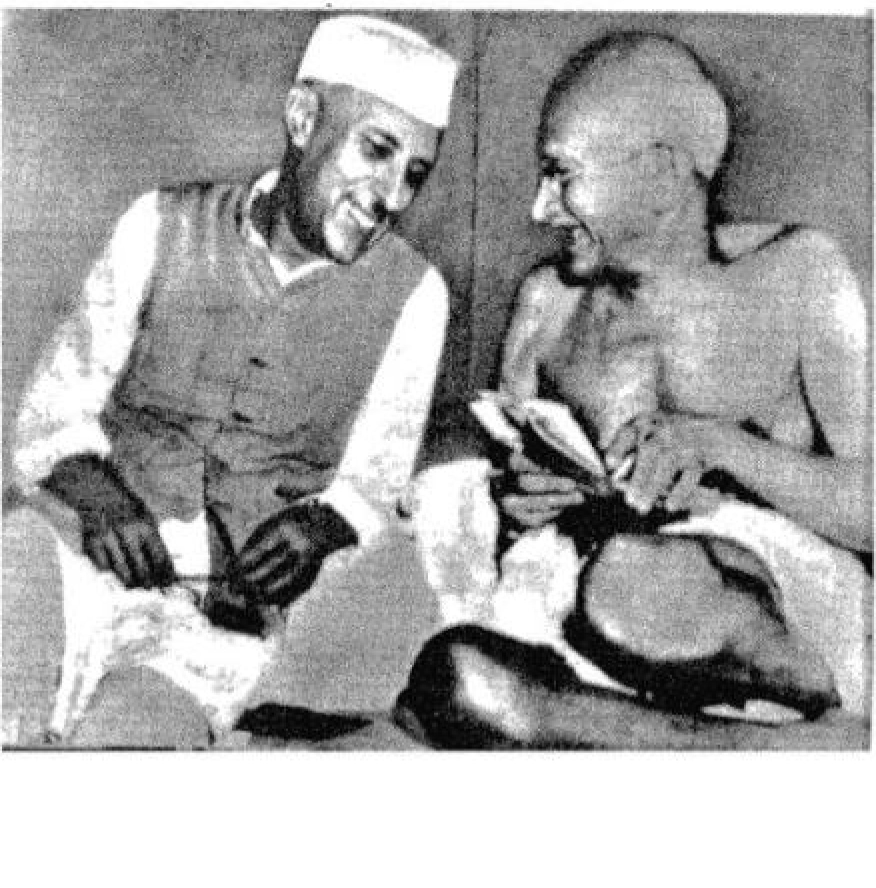
ولكن نهرو ـ من خلال احتكاكه بالثقافة الاوروبية ـ تشرب الافكار الاشتراكية ... ولم يخف نهرو في مذكراته التي كتبها في عام ١٩٣٠ ، انه تأثر تأثرا شديدا بالماركسية ، وانه تعاطف تعاطفا كبيرا مع الثورة البلشفية

وقد كان موقفه منها أقرب الى موقف هارولد لاسكي وبرنارد شو ، زعماء اليسار العمالي ، والجناح اليساري في الحركة النقابية البريطانية في ذلك الوقت

لقد تنازعته الماركسية من ناحيـة ، وتنازعه الاخلاص لليبرالية القرن التاسع عشر ، وحرصها على الفرد ، وحماسها « الجبال احيانا » بالديموقراطية لوجه الديموقراطية

ومن هنا ، كان نهرو يختلف في النظرة البعيدة عن غاندي ، وكان يتفق معه في النظرة القريبة ، وفي المعارك العاجلة

فنهرو هو اول من ابدى جزعه من ان القومية ليست نهاية في حد ذاتها ، **وان الاستقلال السياسي ليس هدفا نهائيا للكفاح الوطني** » ، وهو صاحب هذا الشعار الهام في عام ١٩٣٣ !



« اذا جاءت الحكومة الوطنية ، وتركت المصالح الاجنبية كما كانت قبل الاستقلال، فان استقلالها يصبح وهما وشبحا باهتا »

وهو الذى كتب فى مذكراته عام ١٩٢٧ :

ــ ان الحرية السياسية والاستقلال جوهريان ، ولكنهما ليسا اكثر من خطوتين فى الاتجاه السليم ، فبدون حرية اجتماعية، وبدون كيان اشتراكى للدولة ، والمجتمع، لا تستطيع الدولة أن تنمو ، وان تتطور ولا يستطيع الافراد كذلك ان ينموا ، او يتطوروا »

وعلى الرغم من وضوح هذه الافكار فى ذهن نهرو ، الا أنه كان يرى ان حزب المؤتمر لا يستطيع الذهاب الى بعيد ، أو كما يقول : « شعرت انني اغالى ، اذا توقعت من حزب المؤتمر ان يذهب بعيدا نحو تحديد هدف اجتماعى فى ذلك الوقت، لان المؤتمر كان مجرد هيئة قومية لم تتعود التفكير فى غير السياسة القومية »

ولقد ادرك غاندى نفسه هذا الاختلاف بينهما ، فقال :

« ان نهرو يسبق عصره . وهذا ما اخشاه عليه ، ولكننى احس ــ فى نفس الوقت ــ أن نهرو عاقل ، يستطيع ان يوازن بين الامور . »

اشتراكية نهرو

وقد كانت مشكلة نهرو فى البداية ،كيف يحول افكار حزب المؤتمر الوطنى ، وهو حزب جماهيرى ضخم ، الى الاهداف الاجتماعية ... وحين عاد من اوربا ، فى المرة الثانية ، وبعد ان زار روسيا ، وعرج على الاشتراكيين الاوربيين ، طالبه غاندى بان يضع مشروعا للقرار الخاص بالحقوق الاساسية ، والسياسة الاقتصادية . ولم يذكر نهرو فى مشروعه كلمة الاشتراكية . ولكن القرار ينص على « ان الدولة تملك أو تسيطر على الصناعات الرئيسية ، او الخدمات ، والمناجم ، والسكك الحديدية، والمياه ، والسفن ... كما ينص القرار على ضرورة اجراء اصلاح زراعى لتعديل حد الملكية الزراعية . وتخفيض الرتبات (حد اعلى للمرتبات) ، وتحديد حد ادنى للاجور .. ولحماية العجزة ، والمرضى والعمال المتعطلين »

وعرض هذا القرار على مؤتمر كراتشى، فثار كبار الملاك داخل الحزب ، واضطرت لجنة التقرير ان تنص صراحة على « ان المؤتمر لا ينوى الغاء الملكية الفردية بدون سبب عادل ، وبدون تعويض ، كما لا تحبذ حرب الطبقات »

وغضب جواهر لال نهرو لهذا التعديل، واعتبره تنازلا ، او تهدئة ..

فعاد فى مؤتمر لاهور (١٩٢٩) ليعلن :

ــ لا بد ان اعترف بصراحة ، انني جمهورى ، وانني اشتراكى لا اومن بالملوك ولا بالامراء ، ولا بالنظام الذى يخلق ملوك الصناعة ، الذين يسيطرون على حياة الناس اكثر من سيطرة الملوك القدماء ، ولا تختلف عن وسائل الارستوقراطية الاقطاعية »

واضاف ــ فى شبه حسرة :

« ولكننى اعترف انه قد لا تستطيع هيئة مثل المؤتمر الوطنى الهندى ان توافق على برنامج اشتراكى كامل . »

ثم يعود نهرو فى مؤتمر لاكنو (١٩٣٦) ليقول :

« الاشتراكية ليست عندى مجرد نظرية اقتصادية . انها ايمان حيوى أومن بها من كل قلبى ، وعقلى . انني اتمنى ان يصبح المؤتمر هيئة اشتراكية تشترك مع بقية القوى التى تعمل فى العالم من اجل حضارة جديدة »

قفزة واحدة

وفى هذه المرحلة ، كان نهرو يؤمن بضرورة الانتقال الثورى بالهند نحو الاشتراكية ، وكان يردد ما قاله لويدجورج « ليس هناك من خطيئة اخطر من ان يجتاز الانسان الهاوية بقفزتين .. فاجتياز الهاوية لا يتم الا بقفزة واحدة . »

ولكن نهرو لم يستطع ان يقفز بالهند قفزة واحدة !

فعلى الرغم من انه بدأ فى عام ١٩٤٧ ، فى الجمعية التأسيسية ليؤكد .. « انني اقف مع الاشتراكية ،وآمل ان تقف الهند مع الاشتراكية . واننى اومن ان العالم كله سيتجه هذا الاتجاه . » فانه واجه صعوبات شديدة فى التطبيق ، وصعوبات شديدة من جهاز الدولة الذى ورثه من الاستعمار والطائفية ، ومن الخلافات

القبلية ، والطائفية ، وخلافات الولايات ، نظرا لاتساع رقعة الهند ، ولعمق الخلافات القديمة التى تختفى لتظهر فى أثواب جديدة ... وتحت شعارات مختلفة

وقد حاول نهرو فى خلال سنوات حكمه ، أن يكون فوق حزب المؤتمر ، والاحزاب المعارضة وتشبث تشبثا شديدا بالنظام الديموقراطى الليبرالى الذى يؤمن بتعدد الاحزاب ، وحين قال له تيبورمند ، الكاتب والصحفى :

— الا يعنى تمسككم بهذه الديموقراطية انكم تريدون ان تنحتوا الصخر بفرشاة رسام

قال :

— ادرك هذا ، وادرك ان هذا قد يبطىء بالتطور الاشتراكى ... ولكننى اتمسك بهذا التحول البطىء ... الذى قد يكون شديد البطء ، يتطلب كثيرا من الصبر

اى نوع من الاشتراكية ؟

واذا كانت الماركسية قد اعطت لنهرو كما يقول ، كثيرا من الاركان المظلمة فى ذهنه ، فانه اصبح شديد الحماسة للانتقال الديمقراطى البطىء من القومية الى الاشتراكية ، وقد استطاع نهرو — بموهبته التوازنة ، التى يرجعها البعض الى الموهبة الهندية فى المزج بين الافكار ، ان يمزج بين القومية والتطلع الى الاشتراكية فى المرحلة الوطنية حتى عام ١٩٤٧ ، وبالمزج بين الديمقراطية والتطلع الى الاشتراكية فى مرحلة الحكم بعد الاستقلال

واذا كان نهرو زعيما وطنيا فريدا سبق عصره كما يقول غاندى ، فان هذا السبق يرجع الى تفتحه اللاعنفى والعقلى والروحى على عذاب الجماهير، حين كان ارستوقراطيا ، وتفتحه على الاشتراكية حينا كان وطنيا ، وتفتحه على السلام العالمى حين كان رئيسا للحكومة ...

وقد كان من اسبق الزعماء الوطنيين للتفتح على الحل الاشتراكى الذى صمم على ان يكون حلا ديموقراطيا اقرب الى افكار الفابية ، من الماركسية ، والى البرلمانية السلمية من الثورة المفاجئة

لقد كان نهرو اشتراكيا ، يلبس ثياب الهند القطنية البيضاء



دكتورة سهير القلماوي



تبين زين

اسمع صوتها عاليا منغما في الشارع الصغير وهي تقـــول « تبين زين » شـــابة تلبس السواد الســـابل من راسها الى قدميها وعلى صدرها عقود من خرز وما ظننته ذهبا يتدلى الى منتصف بطنها . وقد تدلت من انفها قطعة ذهبية منقوشـــة وغطى الكحل عينيها الجميلتين فاكسبهما حدة الصقر وقسوة غريبة على الملامح السوية الجميلة في وجهها . وكان وجهها البيضاوي اسمر صـــامد الجلد . لولا وشم ازرق على صدغها ولما كنت اسال عنها ممن حولي كانوا يقولون « غجرية تفتح البخت »

ولقد نادتهـــا الخادم عزيزة يوما وامي غائبة فجلست اليها على ارض الفناء الداخل في البيت ورأيتها وهي تخرج ودعتين كبيرتين تعطيهمـــا لعزيزة الخادم وتقول لها « اضمري ضميرك » وعزيزة جادة توشـــوش هامسة للودع . والغجرية ترمي به على قطعة قماش سوداء بالية قد حال لونها وتقول كـــلاما كثيرا مسجوعا بسرعة يختتم دائما بقولها « جول ان شا الله » فكانت عزيزة ترد وراءها قولتها « ان شا الله » في خشوع واستغراق

وامتدت يدي تعبث باحـــــدى الودعتين وكانت اول مرة أرى الودع هكذا كبيرا جميلا فما اشعر الابالم شديد اثر ضربة عصبية على يدي اريد بها ان اترك الودع ، فبكيت ولم يلتفت الى احد ..

واذكر اني بقيت اياما اســائل عزيزة عن كل هذا ولم يكن همها الا ان تقول « اياك ان تعـــرف الست شيئا مما حدث »

***

ودارت الايام وعرفت ان عزيزة لم تكن الا واحدة من ملايين البشر الذين يسعون جميعاالى معرفةالغيب كل منهم يعبر عن هـــذا النـــزوع والتحرق بطريقته . واما هي فقــد كانت تجد في صنعة هذه الغجرية ملاذا يطمئنها على هذا الغيب المعمى الذى حير الانسان منذ كان

ودارت الايام مرةأخرى فاذا بى أهتم بهذه الامور ، واذا بى أدرس هذا التعبير الشعبي في شتى صوره لألمس في روحه فطرة الانســـــان الطلقة الحرة وهي تعبر عن شتى النوازع الانسانية وشتى العواطف الانفعالات !

الغيب !

كم ذا وقف ببابه من الفلاسفة والعلماء فدرسوا وحدسوا وقالوا ! ولكن ..

كم ذا وقف ببابه ايضا الرجل العادي فحدس وسارع فاشبع رغبته بصورة او باخرى في ان يفك مغاليق أبوابه ، اوسارع وآمن ايماناساذجا اعمى بانه لا قدرة له على شيء عرف ام لم يعرف سعى ام لم يسع . والايمان لا يصبغ حياته كلهـــــا بالرضى والاطمئنان .. ذلك انه من تحت صفحته الثابتة تغلى ميـــاه الحيرة والتحرق فتضطرب لهانفسه وتصفو من خلال هـــذا الاضطراب روحه على نار الحيرة والخوف من الشر المجهول

ووقفت عند ظاهرة معرفـــــة المستقبل من خلال تأمل وضع بضع ودعات بعد أن تلقى حسبما اتفق

ان الذى يرتبها في هذا الوضع هو ارادة الله او هو حقيقة هـــذا الغيب الذى يخفي ونريد معرفته . اما قوانين العلم فانها اخر ما يفكر فيه الرجل الشعبي . وهل عرف كل شيء ؟

وما دام عاجزا عن ان يعـــرف الكثير من اسرار الحياة او الغيب فلماذا نحقر شأن من يؤمن بعجزه المطلق !

أليس هذا مجرد مبالغة في حقيقة مسلم بها ؟

ولكن ٠٠

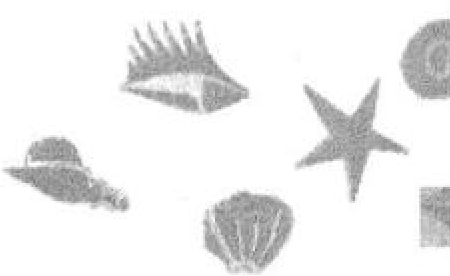
ما لنا ولتبرير الموقف فلندرس الموقف نفسه

ما اصل هذا الاعتقـــاد في ان أشياء تنثر هكذا كيفما اتفق فاذا ترتيبها الذي تخرج عليه يفتح لنـا رموز هذا الغيب المجهول ؟! ٠٠

يقال ان هذا يتصل اتصالامباشرا باستطلاع الغيب عن طريق المرايا او عن طريق صفحة الماء التي كانت أول مرآة رأى الانسان فيها صورته

لقد رأى الانسان صورته معكوسة على صفحة ماء النهر ٠٠ واذا الصورة تتحرك ، ولم يدر انها صورته ، وانما ظنها أول الامر جنية من جنيات البحر أو الماء ٠ ثم قليلا قليلا رآها روحا يتصل به اشد الاتصال او هي روحه فاخذ يكملها وهكذا اكتسب الماء صفة السحر

ولما بعد الانســـان نوعا ما عن الطبيعة التي كان يصبح ويمسي في كنفها وحدها . اتخذ لنفسه كأسا يشرب فيه الماء ، بدأ ينظر في هذا الماء مستطلعا اخبار الغيب ٠ واقدم نص يدل على ذلك ما جاء في قصة سيدنا يوسف عندما وضع كأسه او طاسة في عدل بنيامين أخيه ليعيد اخوته اليه ٠ فأمر الذي على بيته كما يقول الكتاب المقدس « **وطاس طاس الفضة تضع في فم عدل الصـــغير وثمن قمحه ٠ ففعل بحسب كلام يوسف الذي تكلم به فلما اضاء الصبح انصرف الرجال هم وحميرهم ٠ ولما كانوا قد خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا قال يوسف للذي على بيته اسع وراء الرجال ومتى ادركتهم فقل لهم لماذا جازيتم شرا عوضا عن خير اليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيـــه**



وهو يتفاءل به ٠ اساتم فيما صنعتم »

ولما عاد الاخوة ووقفوا بين يدى يوسف كرر عليهم هـذا المعنى ٠ **« فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذى فعلتم الم تعلموا ان رجلا مثل يتفاءل »**

وتروى القصص القـديمة ان سيدنا يوسف كان ينظر فى الماء فى هذا الكاس فيعرف من الذى سرق فيقبض عليه

***

والاساطير المصرية القديمة تحمل اكثر من غيرها دلائل على رؤية الغيب او المعمى فى ماء يشرب أو سـائل يوضع لهذا ٠ وما زلنا الى اليوم نرى بقايا هذا فيما يسمى « **ضرب المندل** » عندما نرسم بالحبر الاسود على يد صبى يشترط الا يكون بالغا دائرة او مربعا ثم يوضع الحبر فى كفه داخل الدائرة او المربع ، واحيانا يكون الحبر فى فنجان ثم ينوم الطفل بواسطة بخور وادعية ونداءات وطرق اخرى ، فاذا هو يتنبىء عن السارق الذى سرق

واساطير اليونان تحمل ايضـا اخبارا كثيرة عن المرآة السحرية ٠ تلك المرآة التى نصادفها فى قصة قطر الندى المعربة مثلا ٠٠ عنـدما تسأل الساحرة مرآتها هل هناك من هو أجمل منهـا ٠ فاذا ما نطقت المرآة ٠٠ بأن قطر الندى آجمل ٠ سعت بالشر سعيا وراء الصـغيرة البريئة لتقتلها حتى لا يكون هناك من هى اجمل منها ابدا

***

ولكن النظر الى السائل ٠٠ ماء او حبرا سواء او صفحة مرآة ، تشبه صفحة الماء يتطور الى صور كثيرة ٠ لقد كانوا يضعون فى الماء اشـياء يقلقلها الماء او يتحكم فى حركتها ٠ واول ذلك كان حجرا ملونا يرسب فى قاع الطاس او الكاس فتنعكس الوانه على الماء وتضطرب فتـكون مجالا أكبر لرؤية خيـالات وصور ورسوم حسبما يتوهم الناظر المحدق فى الماء ٠ وفى بعض الاماكن كان يوضع ورق شجر تطور الى ورق كتابة وكل ورقة ترمز الى شخص بعينه له من صلاته بمستطلع الغيب هذا ما يجعله محور الخـوف من المستقبل او محور الرجاء

ففى انجلترا فى مقاطعة دورستشر تكتب الفتاة الى اليوم ، اول حرف من اسماء المرشحين لزواجها وتضع الورق فى حوض ماء قبل ان تنام مسـاء وكل الحروف متجهة الى اسفل ٠ وعندما تصحو فى الصباح تفحص الاوراق ٠٠ فمن انقلبت الورقة الحاملة اول حرف من اسمه فى الماء كان هو المرشح الذى ترضى عنه الاقدار للزواج منها

وكذلك يفعل الهنود فى بعض انحاء الهند عندما يريدون معرفـة

السارق .. يكتبون اسماء من يشتبه فيهم على دوائر او كور من الشمع ويسقطونها في دلـو ماء فمن طفت الكورة التي تحمل اسمه كان هـو السارق

***

والناس يستطلعون الغيب في الماء والمرايا حسب اهتمامهم وانعكاسا لبيئتهم . فقوم الاسكيمو يلجئون للساحرة لتنظر في مرآتها خبر هذا الذى نزل الى البحر ولم يعد ،اميت هو ام ما يزال حيا ؟ وكثيرا ما تجدهم يذهبون الى الساحر ليرى على صفحة ماء الدلو او الكأس وجه السارق أو اسمه . وكثيرا ما يلجئون الى هذا الساحر لمعرفة المرضى او معرفـة العدو الذى يهدد أمنهم او حياتهم

ولكن حياة الناس تسير واذا بهذا الماء الذى اسقطت فيه حجارة ثم اوراق ثم كور من الشمع تسقط فيه حبات من الارز او من الفـول واذا وضع هذه الحبات هو ما يقرأ فيه الساحر . فعند اسقاط حبات الارز مثلا يذكر الساحر اسماء كل من يحتمل ان يكونوا هم المراد معرفة اسمائهم فمن ذكر اسمه اثنـاء التصاق ارزتين كان هو الرجـل المطلوب معرفته

وقليلا قليلا استعمل المـاء أو السائل كمجرد وسيلة لتتحـرك فيه الحبات قبل ان ينبىء وضعها القدرى عن مخبئات القـدر . فاذا عادة استطلاع الغيب من ترتيب ورقات الشاى بعد ان شرب ما فى الفنجان من سائل تنبىء عن المطلوب وقد شاع هذا الامر فى اسكوتلندا بشكل ظاهر ، وما يزال الى اليوم معروفا هناك . ثم شاعت ايضـا في أنحاء كثيرة عادة استطلاع الغيب من رواسب فنجان القهوة وهى عادة نعرفها في الشرق وما تزال تمارس بشكلها التقليدى الى اليوم

وتفرعت تسـاؤلات الغيب ، واصبحت تعم كل شيء تقريبا . فلم يعد المطلوب معرفة اخبار الغـائب أميت هو أم حى ، ولا معرفة متى يكون شريك الحياة ، ولا متى اعتدى على الملكية بالسرقة فحرم صاحبها من عزيز ما يملك .. وانما اصبح المطلوب معرفة ماذا يخبىء الغيب لنا عامة . وكثيرا ما يصحب هذا مقدمة يقدم بها صاحب الصنعة ، صنعة قراءة الفنجان ، عن اخلاق المستطلع ومميزاته ليوجد الجو النفسى الملائم لتصديقه : « **انت طيب ولـكن حسادك كثيرون . تعمـل الخير . والناس جاحدون، لك عدو يتتبعك** »

وهكذا من عموميات الحياة التى يظن المستطلع انها تنطبق عليـه وحده . فاذا ما اعد المستطلع نفسيا صدق ان مالا سيأتيه بعد نقطتين اى بعد وحدتين من الزمن .. يوم، اسبوع شهر ، وأن أزمة ستنفرج فجـأة بفضل صديق . وان حاسدا سيلقى جزاءه الخ ..

واللغة تختلف باختلاف معلومات صاحب الصنعة عن المستطلع . وقد



تصادف كثيرا جدا من الحقائق ولكن اى نوع من الحقائق؟ . بل قد تصادف فعلا اشياء محيرة عند بعض هؤلاء فاتحى البخت كما نسميهم ولا نستطيع لها تعليلا فيدفعنا هذا .. او يدفع بعضنا الى الايمان بصدق هذه الصناعة ، صناعة معرفة الغيب

***

لقد قرات عن مجموعة من هذه العادات فى بيئات مختلفة تتدرج فى سلم الحضارة من المدنية الراقية الى القبيلة البدائية فى ادغال الغابات فى افريقيا وامريكا الجنوبية او فى اعماق الثلوج فى سيبيريا . ولكنها على طرافتها وتميزها تشترك فى انها كلها تعبير عن تطلع انسانى فطرى الى معرفة الغيب : معرفة هذا الذى يحمله لنا الغيب من شر او خير . ولما كنا فى حياتنا نفاجأ كثيرا بتصرفات الغيب التى تنزل بنا فجاة فتبدل الكثير من سير الحياة ، ولما كان شر ما فى هذا الغيب وهو المرض او الموت المهدد للحياة نفسها والتحدى لاقوى غرائز الانسان ونوازعه وهى حب البقاء لما كان المرض والموت كثيرا ما ينزل فجأة فان حب استطلاع الغيب قد احيط دائما ابدا بالخوف منه .. الخوف من هذا الذى لا نعرف كيف ولا متى يصيبنا .. ؟! ..

***

أكانت « عزيزة » المسكينة تستطلع اخبار الغيب لتعرف عريسها المنتظر الذى تحلم بالحياة الناعمة فى ظله ؟ اكانت تستطلع اخبار مريض عزيز او غائب حبيب ؟ لا اعرف . وما كان لى ان اعرف وانا طفلة بعد لا ادرى شيئا . ولكنى اليوم اعرف اننا كلنا « عزيزة » وان لم نذهب الى الغجرية التى تفتح البخت . وكلنا فى عنف الخوف من الغيب المجهول قد نلجا الى ما لجات اليه

ترى ايمكن ان القى عزيزة اليوم لاقول لها ان ودعها الذى استخرج من الماء هو بقايا عادات وعادات بدأت باستطلاع اخبار الغيب على صفحة ماء النهر ثم المرآة ثم بقايا مادة جامدة تلقى فى سائل ؟!

ايمكن ان اقول لها ان هذه الغجرية ادعت لنفسها سلطة الماء فاخذت هى تقلقل الودع بين يديها ..

انى لا اعرف حتى اين انت يا عزيزة ، ولكنى مدينة لك بان حب استطلاع الغيب عندى قد تشعب فحمل ايضا حب معرفة اثر هذه الغريزة فى عادات القوم وتقاليدهم .. !

رأى برنارد شو فى الموسيقى



ان كثيرين يعرفون برنارد شو كاتبا واشتراكيا ومؤلفا دراميا ولكن برنارد شو بدأ حياته ناقدا موسيقيا يعمل بالقطعة ، ويكتب مقالاته باسم ايطالى مستعار ، هو اسم احدى الالات الموسيقية الغربية .

الاديب الاسطورة الذى كان أعظم كتاب العالم نصيبا من الشهرة فى النصف الاول من القرن العشرين ، وكان كثيرون ينظرون اليه باعتباره الخليفة الوحيد لسلفه العظيم فولتير على عرش السخرية والنقد اللاذع والدفاع عن الحرية بالمعنى الاجتماعى والمعنى السياسى معا ، وصاحب مدرسة كاملة فى الادب المسرحى الحديث . هذا الرجل « جورج برناردشو » أو ج . ب . ش . قضى



سنوات طويلة من صدر شبابه يبحث بكفاءته ونبوغه الادبى عن منفذ ضيق يخرج منه الى الجمهور ، ويدخل اليه منه شيء من المال يقيم به جسده النحيل الطويل الذي يتميز في قمته العليا بجبهة عريضة وعينين نفاذتين ولحية هائلة ..

ومن الاعمال التي « تسكعت » فيها عبقريته قبل بداية القـــرن العشرين الكتابة في الصحف الصغيرة والمجلات المصورة والــــرياضيــة الرخيصة في ابواب لم يكن رؤساء التحرير في ذلك الحين يهتمون بما يكتب فيها لانها لا تكاد تهم احدا!

وتلك هي ابواب النقد الفني في التصوير والموسيقى !

ويعترف برنارد شو بان الفضل في تذوقه الموسيقى يرجع قبل كل شيء الى والدته التي كانت تحترف الغناء وتعلمه لبنات الاسر في دبلن ثم في لندن ، ولمسترولى» الذي كان صديقا واستاذا لوالدته ثم اصبح « الطرف الثالث » للاسرة التي كان طرفاها الاصليان والدة برنارد شو والده نفسه !

وذات يوم في سنة ١٨٨٩ طلب من برنارد شو ان ينضم الى تحرير مجلة اسبوعية سياسية رياضية ، جديدة . ويقول انه كان قد قرأ كارل ماركس قراءة واعية دارسة قبل ان يقرأه لينين نفســـه بأربع عشرة سنة ، وغدا داعية متحمسا وخطيبا مهيجا للخواطر بين صفوف العمال لنشر الاشتراكية كلما وجد صندوق صابون يقف عليه في حديقة عامة او مقهى او على ناصية احـــد الشوارع . فلما التحق بهذه الوظيفة الصحفية لم يتردد في كتابة مقال اشتراكي من نار

وبالطبع فزع رئيس التحرير . ففي سنة ١٨٨٩ كانت الكتابة عن الاشتراكية نوعا من الخبال والهذيان في الصحف السيارة . لان مجرد طبع هذا الكلام يكفي لاثارة سلطات الامن وجمهور القراء في الامة التي

وصفها نابليون بانهـــا شعب من اصحاب الدكاكين !

ولكن صاحب المجلة كان رجـلا طيب القلب ولم يواجه برنارد شو بقرار الفصل قبـــل ان يقبض اول مرتب ، وطلب اليه ان يختار لنفسه نوعا اخر من الكتابة . فومضت فى ذهن برنارد شو فكرة تحرير عمود اسبوعى فى النقد الموسيقى · ورحب الرجل الطيب صاحب المجلة بالفكرة على الفور لا لأنه يحب الموســيقى والنقد الموسيقى ·· بل بالعكس لان هذا الموضوع لا يهمه او يهم احدا ولا ضرر من الكتابة فيه باى صورة حتى ولو كانت هذيانا او رطانة فنية غير مفهومة · وكل ما اوصاه بـــه ان يجتهد بقدر الامكان فى جعل تعليقاته بعيدة عن المصطلحات بحيث يتوهم القارىء انه يفهم ما يقرأ !

ولان كان برنارد شو حريصا على تحسين دخله وتمرين قلمه والدخول فى الوسط الصحفى للحصول على مركز ثابت بعض الشىء ، لم يطلب من صاحب المجلة مرتبا اكثـــر من جنيهين فى الاسبوع · ولكن يجب الا ننسى ان هذه النقود كانت بعملة سنة ١٨٨٩ التى تساوى قيمتهـــا الشرائية اكثر من عشرة اضـــعاف عملتنا فى الوقت الحاضر

وواجه برنارد شو اول مشكلة فى هذه المقالات وهى مشكلة التوقيــع الذى يضعه اسفل تعليقاته الاسبوعية على الموسيقى فى لندن · فاسم برنارد شو غير معروف لاحد ولا يغـــرى الناس بالقراءة · وج · ب · دن · اختصار لا يدل على شىء فى اذهان الناس · ولذا قرر ان يتخذ اسما مستعارا يوحى بان صاحبه يحمل لقبا اجنبيا من القاب النبلاء · ويبدو ان الوسط الفنى فى انجلترا يومئذ كان مصابا بما نســميه نحن الان عندنا « عقدة الخواجه » ·· ولكن الخواجة عند الانجليز من المستحسن فى حقل الموسيقى والتصوير ان يكون ايطاليا بقدر الامكان ··

وهكذا كان اســـم « كورنودى باسيتو » هو اول توقيع مستعار خرج به برنارد شو الى الجماهير · وهو فى الواقع ليس اسم شخص وانما اســم آلة موســيقية نادرة الاستعمال كان النسيان حريا ان يطويها فى العصر الحديث لولا ان موزار اصر على استخدامها فى احدى معزوفاته لا لشىء الا لما فى انغامها من شجن خفيف وافتقـــارها الى الحرارة مما يجعلها اصـــلح اداة للتعبير عن الاحساس المطلوب فى لحن جنائزى

ويعترف برنارد شو انه لم يكن حتى ذلك التاريخ قد سمع نغمـــة هذه الآلة المغمورة ، وانما قرأ عنها فحسب فى كتب الثقافة الموسيقية! ولما سمع نغمتها منفردة بعـــد ذلك بسنوات طويلة شـــعر انه ما كان ليختار اسمها لتوقيع مقالاته الاولى لو عرف فى الوقت المناسب حقيقة صوتها الاجش الذى يتنافى مـــع اللمعان والتوهج ، واللمعان والتوهج

هما الهدف الاول الذى كان يرمى اليه الناقد الموسيقى الشاب برنارد شو فى تلك السنين الاول

وبعد اكثر من ثلاث سنوات صقلت مواهب ناقدنا الشاب ،ووجد نفسه على راس المدرسة الحديثة فى الصحافة التى تقوم على الدراسة والثقافة وتكافح جهل الصحفيين بالموضوعات التى يتعرضون لها واستغلالهم — او استغفالهم — لجهل القراء . فالكتاب فى تلك الايام كانوا جهلاء غشاشين نصابين يكتبون لجمهور اشد منهم جهلا واكثر سذاجة

ومن هنا يقول برنارد شو انه القى فجاة على عاتقه مهمة عسيرة بغيضة الى نفسه، وهى مهمة التخلص من التهذيب والحياء كى يصحح للجمهور وللزملاء مقاييسهم العقلية والفنية ومعلوماتهم الثقافية بوجه عام

وفى مثل هذه المعارك العريضة تكون السخرية هى امضى سلاح . لانها تصبح فى يد الكاتب بمثابة المبضع فى يد الجراح يخرج به الاورام الخبيثة ويحاول ان يرد الى العقول وظائفها السليمة

***

وفى هذه الفترة احتفلت عواصم العالم الغربى بالعيد المئوى لموزار . ومن هذه العواصم لندن بطبيعة الحال . وكان طبيعيا جدا ان يكون اهتمام برنارد شو بالذات بالغا لان موزار احب الموسيقيين الذين تربى على الحانهم الشجية فى حجر امه الفنانة وفى كتف صديقها مستر لى الذى كان يقود الاوركسترا بطريقته الشيطانية الخاصة التى لا تعترف باصول الصنعة المقدسة لدى المحترفين

***

فماذا كتب شو ؟

لقد كان عيد موزار المئوى فرصة طيبة لكثير من النشاط الادبى والموسيقى . وجانب من هذا النشاط سهل يسير للغاية، ولاسيما بالنسبة للصحف المصورة ، لان المسالة لا تحتاج الى اكثر من بضعة صور لموزار فى سائر مراحل عمره ،ومنظر لمدينة سالزبورج وصورة مشهورة لمارى انطوانيت «على ان يذكر اسمها عند الكتابة مسبوقا بلقب « الملكة المنكودة الحظ » بمناسبة عرضه الزواج عليها فى سن مبكرة . ثم صورة للمؤلف الموسيقى الصغير عندما كان طوله لا يتجاوز ٧٥ سم وهو يسحق مدام بومبادور الهائلة بكلمته المشهورة « ومن هذه المراة التى تابى ان تقبلنى ؟ لقد قبلتنى الملكة ! » وما اعقب ذلك من اثارة عظيمة ثم صفحة من المخطوط الاصلى للسطور الاربعة الاولى لمعزوفة مشهورة من معزوفاته ، وما الى ذلك. فهذه الشذرات والتصاوير بالاضافة الى فقرات كبيرة من الترجمة الانجليزية للسيرة العظيمة التى كتبها له « اوتوجان » كافية بلا شك لاجتياز الصحفيين تجربة العيد

مثل فليست بهذه السهولة

ان شعار الجميع بالطبع هو : الاعجاب · الاعجاب · الاعجاب · ! ولكنك لن تجدشيئا تبرر به اعجابك بموزار على وجه التخصيص ما لم تكن ممتزما بصراحة ان تستغل جهـل الجمهور فتذكر له امثلة ونماذج من عبقريته الفريدة يمكن بسـهولة لعشرات من عازفي الارغن والمنشمدين المرتلين من الغلمان الذين لم يكتبوا قط ولن يكتبوا ابدا فى حيـاتهم سطرا واحدا من الموسيقى الاصيلة أن يكتبوا مثلهـا أو تزجى الى سيمفونياته وأوبراته الوانا من الثناء الاجوف يمكن تحويلها كلمة كلمة من غير وقوع فى التناقض والخطل الى سيمفونيات امثال سبور واوبرات امثال اوفنباخ من الموسيقيين الذين لا يصلون الى مرتبة العبقرية ، او تصوره للناس يؤلف الموسـيقى بصورة تلقائية مثلما يغرد الطـائر الصداح لانه تعود ان ينضج ،ويكمل الحانه العظيمة فى ذهنه قبـل ان يسجلها كتابة · اجـل انك ما لم تحاول امثال هذه الخدعات البالية لن تجد شيئا خاصا بالذات بموزار تجعله اساسا لكل ذلك الاعجاب ، لان الحقيقة الواقعة فى شأن موزار انه مثل براكسيتيليس ورفاييـل وموليير وشيكسبير لم يكن رائدا لاتجاه جديد او مؤسس مدرسة جديدة !

فقد جاء موزار فيختام اتجاهين لا على رأس ذلك الاتجـاه · ولئن كانت هناك بالتأكيـد أوبرات وسيمفونيات وسوناتات وتوزيعات موسيقية من تأليفه في وسعك أن تضع اصبعك عليها وتقول « هاهنا قمة الكمال فى هذا الاسلوب ، وما من أحد بلغت عبقريته يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة أبعد مما بلغته هذه السطور » فليس فى وسعك ان تقول « ها هنا خط جديد تماما فى الفن الموسيقى لم يحلم بايجاده أحد قط قبل موزار » · فهذا هايدن الذى مهد السبيل لسيمفونيات موزار كان فخورا بعبقرية موزار لاحساسه بماله فى تلك العبقرية من نصيب · ولعله كان حريا أن يكتب سيمفونية موزار لو أنه استطاع ذلك · ومع أنه لم يستطع · فقد وسعه على الاقل أن يشعر أن الانسان الذى بلغ هذه الذروة العليا من الابداع انما يقف فى الحقيقة فوق كتفيه العتيقتين ولكن هايدن نفسه كان حريا ان يجفل من مجرد التفكير فى تأليف الحركة الاولى فى معزوفة بتهوفن المسماة « البطولة » ــ أو ارتكابها كما كان حريا أن يسمى تأليف مثل هـذه الحركة ــ وكان لا بد أن يتنصل من كل مشاركة فى توجيه الموسيقى مثل هذه الوجهة البتهوفينية

اما الرجل الابعـد نظرا ، وهو الموسيقى « جلوك » فلم يحمـل موزار بين ذراعيه فحسب ليرى الى أقصى حدود النظر هدف حيـاته كمؤلف أوبرا ، بل ومهد أيضـا شيئا ما من الطريق الجديد الذى اظهر فيه موزار أعـظم مكنوناته

وقدراته مما أرغم جميع من أتوا بعده من الموهوبين حقا على الا يبددوا حياتهم فى تقليدات خائرة مائعة لاعماله العظيمة فاعترفوا لها بانها أعمال كلاسيكية منتهية يجب ألا تمس

ولكن الكثيرين من المفتونين بموزار لا يطيقون أن يقال لهم ان بطلهم المعبود لم يكن مؤسس سلالة عظيمة مع أن الذروة العليا للنجاح فى الفن أن تكون الاخير فى سلالتك لا الرجل الاول فيها . فأى انسان تقريبا فى استطاعته ان يصنع البداية فى أى شيء ، والصعوبة كل الصعوبة فى ان يصنع الختام المناسب اى الختام الاكمل الذى لا يتسنى لاحـد أن يتجـاوزه ، لانه لم يترك زيادة لمستزيد

ولو كان المبتدىء أعلى مرتبة من المختتم لكان علينا فى فنون الادب الخيالية ان نضع رجلا مثل الكابتن « توماس مين ريد » الذى ابتدأ بلا شك خطا جديدا فى الادب (هـو قصص المغامرات فى الادغال والحروب والبحار) فى موضع أعلى من تشارلز ديكنز الذى تلقى فن القصة على ما وجده عليه من قبل الا أنه بلغ بذلك الاتجاه القمة التى أرغمت كل من أتى بعده كائنا من كان على أحد أمرين لا ثالث لهما : اما أن يبتدع لونا جديدا من القصة ، واما أن ينزوى فى الصف خلف سلفه العظيم قانعا على أحسن الفروض — بمركز المقلد السطحى للعبقرية

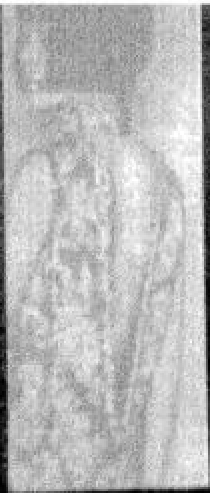
ولئن لم يجد موسيقى عظيم مثل هايدن غضاضة فى أن يصرح بدافع من عظمته الحقيقية كانسان بقوله : « أنا لست أفضل رجال مدرستى وان كنت أولهم » ففى وسع المفتونين بموزار أن يعترفوا بمثل ذلك الحبور وعن طيب خاطر بأن بطلهم المعبود لم يكن اول مدرسته او طليعتها ، ولكنه كان خير من أنجبته تلك المدرسة . كذلك براكسيتيليس ورفاييـــل واضرابهما خلت من قبلهم الطلائع والرواد من عظماء الرجال ، ولكن لم يات على اعقابهم من تابعيهم الا الحمقى !





قصة الديكولتيه بين الجمال والوقاحة!







تشكيلة من الديكولتيه .. انها من خطوط القرن العشرين .. اختارى منها ما يبرز جمالك .. ويناسب مجتمعك .. !

اباطرة الموضة فى كل عواصم العالم تدور بينهم المناقشات الحامية .. من اجلك يا سيدتى . انهم مختلفون على الصورة التى يجب ان يكون عليها الديكولتيه . وماهو الجزء الذى يتعرى من الصدر أو الظهر او الجنب .. ؟

والديكولتيه له تاريخ طويل .وأول حواء بالغت فى استخدام الديكولتيه كانت كليوباترا . كان الديكولتيه يعرى صدرها ، وجزءا كبيرا من ظهرها . وجاءت بعدها اجنس سوريل عشيقة شارل السابع ملك فرنسا فى منتصف القرن الخامس عشر ، وكانت تلبس نوعا من الديكولتيه اثار مواطنيها . فقد كانت تظهر « نصف » صدرها عاريا ..

وفى القرن السادس عشر تطورت خطوط الديكولتيه . وفى الفترة المسماة فى أوربا بفترة « الباروكة » كان امتلاء جسم السيدة موضة وكان الديكولتيه يصمم بطريقة تبرز هذا الامتلاء

ثم ظهرت فى القرن التاسع عشر خطوط جديدة للديكولتيه سميت بالموضة العارية وكانت بطلتها مدام ريكامي

وفى اواخر القرن التاسع عشر وبعد الانقلاب الصناعى فى أوربا سيطر على الازياء حذر شديد ، وكثر الحديث عن الحشمة . ولكن حواء حرصت على اظهار مفاتنها .. عن طريق الديكولتيهات المبتكرة ..

وقد أصبح الديكولتيه هذه الايام لنا مشروعا ... لكل النساء

اقلب الصفحة ◄

قصة الديكولتيه



اجنس سورل .. عشيقة الملك شارل السابع .. اثارت الشعب الفرنسي في القرن الخامس عشر عندما ارتدت هذا الديكولتيه الذي عرى صدرها ..



ابراز الصدر بحذر غلب على موضة القرن السادس عشر



حواء في القرن السابع عشر كانت ممتلئة الجسم وكانت خطوط الديكولتيه تبرز هذا الامتلاء ..



ديكولتيه القرن ١٩ .. بدأ يميل الى الحشمة .. وتخلص الى حد كبير من الوقاحة .. ولكن الفساتين كانت «مخرقة»



مدام ريكامييه .. ابتدعت خطوطا جديدة سماها الخبراء بالموضة العارية



ملابس ضيقة، وديكولتيه واسع، موضة القرن الذى نعيش فيه

دائرة معارف الهلال

دوائر المعارف ليست مجرد حشد وتكديس للمعلومات ، ليست مجرد احاطة جامعة مانعة بفروع المعرفة البشرية والنشاط البشرى والخبرة النظرية منها والعلمية ... انها هى كذلك وجهة نظر معينة !

فكل دائرة من دوائر المعارف فى مختلف اللغات والمجتمعات ومراحل التاريخ ، انما تصدر عن موقف فكرى واجتماعى وقومى معين . ان دائرة المعارف البريطانية سجل للثقافة والحضارة الانسانية ، ولكنها كذلك وجهة نظر الفكر السائد فى بريطانيا والنظام الاجتماعى السائد هناك فضلا عن الرؤية القومية الخاصة واللون القومى الخاص . حقا قد تجد زوايا من الفكر تختلف او تتناقض قليلا او كثيرا فى هذه المادة او تلك . الا ان الطابع العام لدائرة المعارف البريطانية، انها تصدر وتعبر عن الامبراطورية البريطانية

وهكذا الشأن فى كل دائرة معارف اخرى .. الامريكية والايطالية والفرنسية والسوفيتية .. الخ .الخ . انها جميعا تعبر وتصدر عن تراث قومى خاص ، وفلسفة اجتماعية معينة ، ورؤيا فكرية شاملة .. الى الفكر والانسان والطبيعة والكون

ونحن نعرف انه فى قلب علوم الطبيعة نفسها هناك خلافات فكرية ، خلافات فى تفسير الظواهر والنتائج المستخلصة . وعلى هذا فلن نجد فى دوائر المعارف خلافات حول تقييم معنى الثورة والدولة والاستعمار فحسب ، بل سنجد كذلك خلافات فى تقييم قوانين الوراثة ، ونظرية الاحتمالات الرياضية ، والبناء الداخلى للذرة

ستجد فى كل دائرة معارف وجهة نظر تضرب بجذورها العميقة فى الظروف القومية والتاريخية والاجتماعية والفكرية لكل بلد من البلاد

وعندما نفكر نحن فى وضع « دائرة معارف الهلال » ، فانها تصدر عن هذا الفهم كذلك. نريد دائرة معارف تعبر بحق عن واقعنا الثورى الجديد . وليس معنى هذا اننا نقف عند حدود هذا الواقع . لا ... وانما نتخذه زاوية اساسية لرؤيانا ، سواء عرضنا لتراثنا القديم ، او للخبرة المعاصرة ، او لآفاق التقدم البشرى . سواء عرضنا لمادة فكرية او اجتماعية او نفسية او طبيعية او كونية ، فاننا نصدر عن فهم علمى ، نابع من تراثنا القومى ، وخبرتنا الحضارية ، وفلسفتنا الانسانية ، وتجاربنا العملية

نحن لا نريد «دائرة معارف» هى تكديس لمعلومات ، وهى ترجمة من هذا المصدر او ذاك . ولا نريد «دائرة معارف» غير واضحة المعالم من الناحية الفكرية ، تسودها روح الاختلاط والتناقض ، تكتب فيها مادة بروح الفلسفة الوجودية ، واخرى بروح الفلسفة البرجماتية ، وثالثة بروح النظرة الجزئية ورابعة بروح الاستغراق الصوفى ، وخامسة بروح النزعة الفردية ، وسادسة بروح العلم وهكذا ..

ولكن ... لابد ان تكون هناك زاوية موحدة للرؤيا هى الزاوية العلمية

« دائرة معارف الهلال » محاولة جادة لتقديم وجهة نظر شاملة متطورة فى الفكر والمجتمع والكون ، نابعة من تراثنا القومى ، واوضاعنا الثورية ، ومنطلقنا العلمى

ثورة : ((تعريف عام)) :

لم ترد هذه الكلمة بمدلولها الاجتماعى فى دوائر المعارف البريطانية والايطالية والفرنسية واليهودية ودائرة معارف كولومبيا الامريكية (1) واكتفت بعض هذه الدوائر بالاشارة الى مدلول الكلمة فى علم الفلك والرياضة والزراعة ، وعرضت للثورات

المختلفة ـ كل في موضعها ـ كالفرنسية والانجليزية ... الخ دون تخصيص مادة للمدلول العام للثورة . ووردت كلمة الثورة في دائرة معارف « الاخلاق والدين » تحت مادة « العصيان » واشارت دائرة المعارف هذه الى أن التعليم والتطور الاخلاقي هما خير ضمان لتجنب الثورات . وربط كثير من المعاجم ودوائر المعارف بين الثورة والعنف واستخدام السلاح وسفك الدماء ، وخلط بين مدلولها ومدلول الانقلاب والتغيير الاصلاحي والتمرد والفتنة والعصيان . واعتبرها بعض المعاجم ودوائر المعارف مجرد تغيير في شكل الدولة او تعديل في الحكومة تصاحبه معبأة شعبية

على ان الثورة في الحقيقة هي تغيير جذري لعلاقات الانتاج السائدة في مجتمع ما . ولا يعتبر العنف أو سفك الدماء سمة جوهرية من سمات الثورة

***

وتنفجر الثورة عندما تعجز علاقات الانتاج القائمة عن الاستجابة لضرورات التقدم والاحتياجات الاساسية للجماهير الشعبية .

ويتوفر للثورة النجاح بمقدار فشل الطبقة الحاكمة في السيطرة على جهاز الدولة

والثورة البورجوازية الغاء لعلاقات الانتاج الاقطاعية القائمة على الريع والتبعية وبناء علاقات انتاج رأسمالية جديدة تقوم على الملكية الفردية والربح والعمل المأجور .

والثورة الاشتراكية هي الغاء لعلاقات الانتاج الرأسمالية ، وبناء علاقات انتاج جديدة متحررة من الاستغلال ، تتحقق فيها الملكية الاجتماعية العامة لوسائل الانتاج . والسيطرة على جهاز الدولة هي العملية الحاسمة الاولى في كل ثورة . ان استيلاء الطبقة الرأسمالية الجديدة على مراكز السلطة الاقطاعية ، شرط لنجاح واكمال الثورة البورجوازية . وسيطرة الشعب العامل على جهاز الدولة الرأسمالية الجديدة شرط لنجاح واكمال الثورة الاشتراكية . الا أن هذه السيطرة على جهاز الدولة قد تظل مجرد انقلاب ما لم يتم تغيير أساسي في اتجاه الدولة السياسي وتغيير جذري في علاقات الانتاج السائدة في المجتمع، واعادة بناء جهاز الدولة نفسها بما يتفق والتغيير الاجتماعي الجديد . وعلى الرغم من أن الثورات مراحل تختلف باختلاف ظروف العصر والمجتمع ، كثورات العبيد والثورات البورجوازية والثورات التحريرية . والثورات الاشتراكية ، الا أن تغيير علاقات القوى الدولية في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية وانتصار الاشتراكية في مناطق عديدة من العالم وانتشار الوعي الاشتراكي ، وضعضعة مراكز الاستعمار نتيجة النجاح العديد من الثورات الوطنية التحريرية في آسيا وافريقيا فضلا عن تطور التكنيك العلمي وسيادة السلام . قد ساعد على تداخل المراحل الثورية المختلفة ، فنجد ثورات في افريقيا مثلا تنتقل مباشرة من المرحلة القبلية الى مرحلة البناء الاشتراكي .. وهكذا .

ولعل ثورة ٢٣ يولية من أخصب النماذج على تداخل هذه المراحل الثورية فلقد بدأت هذه الثورة بالسيطرة على جهاز الدولة القديم ، وتحقيق تغييرات اصلاحية عميقة ، وانجاز تحرر وطني وسياسي . ثم اخذت بعد ذلك تنتقل الى التغيير الجذري في البناء الاساسي للمجتمع ، الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . ثم أخذت كذلك تعود الى جهاز الدولة نفسها بالتغيير والتطوير لتجعل منه تعبيرا صادقا عن حقيقة الواقع الثوري الجديد ، واداة ثورية في يد الشعب العامل .



فيجاى شوهان الشاعرة الهندية

شيكسبير وافريقيا

ان الشاعرة الهندية الشابة فيجاى شوهان ، تكتب عن مسرحية « العاصفة » التى كتبها شكسبير وصور فيها شخصية كاليبان الافريقى ..

كيف يتصور شكسبير افريقيا ؟ ولماذا ؟

وهل كان هذا الشاعر العظيم « الذى يحب الضعفاء ، وينتقم من الاقوياء » يعطف على افريقيا ؟

ان كل هذا هو ماتكشفه الشاعرة فيجاى شوهان ، فى مقالها عن مسرحية العاصفة ل «شيكسبير»

عطيل .. شخصية اخرى سوداء صورها شيكسبير ..





كاليبان .. كما صور احدى طبعات شيكسبر القديمة بمسرحية « العاصفة » ١٦١١

لكي تكون شخصيات القال قريبة من القارىء .. نذكر هذه النبذة عن مسرحية العاصفة : انها تتلخص في تنازل بروسبيرو لاخيه انطونيو عن دوقية ميلان، ولكن انطونيو طرد اخاه مع ابنته ميراندا بقذفه الى البحر حيث حملتهما الرياح الى جزيرة لا يسكنها سوى كاليبان ابن الساحرة سيكوراس .. التي سجنت شبحا هو اريل في داخل شجرة . وبموت الساحرة صار كاليبان ، وهو الرقيق المنشأ، مالكا للجزيرة ..

وقد استطاع بروسبيرو اطلاق سراح اريل، واستخدمه فيما يكلفه من مهام . اما كاليبان فجعله بروسبيرو خادما له . يؤدي له جميع الخدمات اللازمة مثل اشعال النار وصيد السمك والحيوان وحمل الخشب . ويرشده الى جميع مصادر ثروة الجزيرة . وبرغم هذا الخذ يسيء معاملته ، لانه كان لا يعتبره من ابنا البشر

وحدث ان جنحت سفينة الى الجزيرة كانت تضم انطونيو وملك نابولي واخاه سباستيان وابنه فرناندو واخرين . . .

ولما كان كاليبان يشعر بخيبة الامل .. فقد رضي ان يتآمر مع القادمين على بروسبيرو . لكن بروسبيرو كشف المؤامرة وأمر اريل بان يقذف المتآمرين الى المستنقعات والاجام ..

وتنتهي المسرحية بزواج فرناند من ميراند ورحيل القوم عن الجزيرة . واطلاق سراح اريل نهائيا ..!

فى رحلتنا من موسكو الى ياسنايا بوليانا فى عشية الذكرى الخمسين لوفاة تولستوى : قدمنا جو والاس الشاعر الكندى المشهور الى الروائى والشاعر الامريكى ف . ج . جيروم وزوجته الموهوبة أليس   على معرفة بمؤلفات جيروم وبخاصة مقاله النفاذ عن « الكتاب فى عالم متغير » ، ورحنا نتبادل آراءنا وافكارنا عن كافكا والادب الجديد والواقعية الاشتراكية والاتجاهات التى ظهرت فى الادب السوفييتى بعد ستالين . وحتى ذلك الحين لم نكن نعلم ان جيروم شاعر ايضا ، وكان أكثر ما اثر فى نفسى قصيدته العظيمة « كاليبان يتكلم » التى وضعها اثناء محاكمته بسبب افكاره التقدمية . فهى تقدم لنا تفسيرا جديدا لتلك الشخصية المفترى عليها كثيرا وهى شخصية كاليبان فى مسرحية « العاصفة » التى كتبها شيكسبير



وترجم لوى اراجون القصة الى الفرنسية وكتب عنها مقالا طويلا فى صحيفة « الاومانيتيه » . وعلق المغنى الزنجى المعروف بول روبسون عليها بقوله « الان يمكننا اخيرا أن نمثل العاصفة على المسرح » ، ويقصد بهذا أن فى وسعنا أن نسمع فى صوت كاليبان الالم المبرح والتمرد اللذين تحس بهما افريقيا التى تبعث الى الحياة من جديد

اعلم أن محاولة بذلت منذ سنوات قلائل لتفسير **العاصفة** على نحو جديد : عندما قام جون جليجود بدور بروسبيرو : فاظهره رجلا متآمرا شريرا وليس بالوالد الدافىء القلب الحنون ، كما درج على تصويره النقاد التقليديون . ومن جهة أخرى قدم لنا الممثل اليك كلوتر شخصية كاليبان كمخلوق بشرى الى درجة بعيدة ، انه جلف جدير بالحب ويثير الاشفاق ، ولكنه غير شرير . الا انه لا يزال علينا ان نجد على المسرح تفسيرا كاملا وماديا ملموسا لهذه الصورة الرمزية .. وهذا ما فعله جيروم فى قصيدته

***

كانت **العاصفة** حتى الان محل الاعجاب كمسرحية تنتهى بنغمة تنم عن الشفقة والحنان والاخوة العائلية . ان اجيالا من النقاد رأت فى بروسبيرو شخصية ابوية رقيقة يفيض قلبها بالعطف على البشر ، بينما رأت فى كاليبان تجسيدا للشر وهمجيا يستحق العقاب والمعاملة الوحشية ، بل ان من رأى البعض ان كلمة كاليبان Caliban هى خطأ فى هجاء كلمة « كانيبال » Cannibal التى معناها آكل لحوم البشر .

الا ان هذا كله لابد ان يبـــدو سخيفا بعد قراءة قصيدة جيروم . ولما كان كاليبان عبدا افريقيا أسود وبروسبيرو سيدا متحضرا ابيض . لهذا سرعان ماتتضح المعانى الكامنة اذا ما نظرنا الى **العاصفة** على انها مجاز سياسى

ان قصيدة جيروم تذكر المرء بقصـــيدة طـاغور عن أفريقية ، وقصيدة باتريس لومومبا الاخـيرة التى يذكر فيها كيف انالامبرياليين خدعوا الافريقيين البسطاءالسريعى التصديق عن اعطائهم اوراق الزينة الرخيصة كى يسلبوهم ثروتهــم المعدنية وبلادهم الشاسعة الا حاء. وكذلك نجدبروسبيرو يعامل ك بان برفق فى اول الامر ويعلمه لغتـه وديانته ومقابل هذا يريه الاخـيـر **« المنابع العذبة والمستنقعات الملحة والجهات الجرداء والبقاع الخصبة»** اى كل ثروة بلادة .

***

و « الجزيرة المسحورة » ليست احدى جزر البحر المتوسط اوجزر الهند الغربية ، ولكنها هى افريقية نفسها ، كما يستدل من اشـارات كثيرة فى المسرحية . فمثلا يسـال بروسبيرو الشـبح اوريل عن سيكوراكس ام كاليبان «اين ولدت؟ تكلم . خبرنى بذلك» فيرد اوريل « فى الجزائر يا سيدى » . اما ان شيكسبير بالرغم من كل روحـه الانسانية وعطفه على المظلومـين والمضطهدين ، لم يستطع الارتفاع فوق مستوى الاحقاد الطبقيـــة والعنصرية فى عصره ، فأمر ظـاهر تمـاما من مختلف تعليقـاته على افريقية والافريقيين فى المـرحيـة

لقد تزوجت كلاريل ابنة الونزو من ملك تونس فيقــول اوربان « ان التونسيين لم تحكمهم ملكة اجمل من كلاريل» كما يوجه سيباستيان النقد الى آلونزو لانه زوج ابنته من « رجل ليس اوربيا .

« سيدى لا تلومن الا نفسك على هـذه الخسارة الكبرى لانك ابيت ان تنعم على اوربا بابنتك وفرطت فيها لافريقى

ويرى ترنكيلو فى كاليبان مخلوقا نصفه سمكة ونصـــفه آدمى ، أو وحشاغريب الشكل يمكن ان يعرض امام الجماهير فى اوقات الاجازات :

« لا تجود بفلس واحد لتخفيف لوعة فى حين تدفع عشرة امثال ذلك لتتفرج على جثة هندى ميت »

وكلمة «هندى» تشــيـر الى « الهندى الاحمـــر » الذين كان يحضرهم المستعمرون ليعرضوا امام الناس فى انجلترا

وكانت سيكوراكس ام كاليبـان قد نفيت بسبب ممارسة السحر ولم ينقذها من الاعدام سوى عمل طيب قامت به

***

ويحدثنا شارلز لام ملخـــص مسرحيات شيكسبير وعارضها . ان شيكسبيريشير هنا الى قصة مؤداها ان الجزائر لم تستسلم لشـارل الخامس لان حاكمها عمل بناء على نبوءة ساحرة محلية راى فيهـا شيكسبير الساحرة سيكوراكس

ولكننا لا نجد فى المسرحية كلها كلمة عطف على كاليبان الذى يصور لنا على انه وحش قبيح الخلقة ، يتكلم لغة لا تعدو ان تكون تمتمة غريبة . وواضح ان آلهة سيكوراكس كانت الهة افريقية قديمة ؛ غير ان كاليبان ينتقد دورها فيقول عن سيتيبوس الذى كانت تعبده امه **« اعلم انه يبغضنى » تماما كما يحب بروسبيرو . من يدرى السبب ؟ »**

غير ان الهة كاليبان هى مجرد شياطين فى نظر بروسبيرو . وهذا يمثل نوعا من عجرفة الرجل المحدث النعمة ، والتى يبديها الجنس السيد بوجه عام ازاء المعتقدات القديمة والالهة والتى تعتنقها الشعوب الخاضعة له .

***

وكان الغربيون فى العصر الاول من توسعهم الاستعمارى يربطون بين اللون الاسود وبين فنون السحر الشريرة وقبح الخلقة ، وكان القرصان وتجار الرقيق وبناة الامبراطوريات يعودون من رحلاتهم بقصص خيالية عن مغامراتهم ونجاتهم من الاقزام واكلة لحوم البشر والهمج . ولهذا فمن الطبيعى ان ان يكون كاليبان « شيئا متوحشا » و « قادرا على اتيان كل شر »

وفى الوقت نفسه يعلم بروسبيرو مدى النفع الذى يؤديه كاليبان ، وفى هذا يقول لابنته ميراندا :

« لا نستطيع الاستغناء عنه لانه يضرم لنا النار ويجلب الخشب ويقوم باداء خدمات مفيدة لنا »

وكاليبان على معرفة بنبات بلاده وحيواناتها . كانت الجزيرة فى الاصل ملكا له . فقد ورثها عن امه سيكوراكس ؛ ولذلك سرعان ما احس بخيبة الامل من سوء معاملة بروسبيرو له ، واخذت روحه تحن الى الحرية . ولم يستطع شيكسبير بسبب واقعيته العظيمة ، ان يتجنب كلية التعبير عن العذاب الروحى والالم اللذين كان يشعر بهما كاليبان نتيجة معاملة بروسبيرو . ان روحه لم تسحق ، كما لم يتحول الى تابع ذليل .. وان كان يزرع الارض ويستخرج التفاح البرى بأظافره الطويلة ويصطاد الحيوانات لبروسبيرو وابنته . وهو يرى فى ستيفانو وترنكيلو آمالا فى التحرر النهائى من الطاغية العجوز بروسبيرو الذى يهدده دائما

***

وقوة بروسبيرو وتفوقه يستمدان من معرفته بالكتب ، اى بالعلم والتكنولوجيا ، وكاليبان يعرف هذا السر فيقول لستيفانو وترينكيلو : « انه غر احمق بغير كتبه »

وبالرغم من ان شيكسبير لم يستطع الارتفاع فوق احقاد عصره الا انه لا يخنق صوت الغضب فى

نفس كاليبان الذى يرفع علم الثورة ويغنى ويحلم بالحرية :

« لن اسد المجارى لصيد السمك لبروسبيرو ، عندما يأمرنى بذلك ، ولا امسح المائدة او اغسل الاطباق .
بان ، بان ، كاليبان له سيد جديد ، ورجل جديد .
الى ، الى ايتها الحرية ، الحرية ،الى ايتها الحرية

وشيكسبير الذى سمح بالحب والزواج بين عطيل وديدمونة لم يستطع احتمال تعلق كاليبان بميراندا واظهاره الود نحوها ، وان كانت المرأة الوحيدة التى عبرت حياته منذ وفاة امه . فبينما يصب عليه بروسبيرو اللعنات ، يقول :

« ايها العبد الكذاب الاثر ، الذى لايؤثر الشفقة

« لقد عاملتك على دنسك معاملة انسانية ، واسكنتك فى كهفى حتى شرعت فى ان تلمس عفة ابنتى »

فيرد كاليبان على الاتهامات قائلا :

« اوه ! اوه ! ليتنى انجزت ذلك ولم تمنعنى اذن لاسكنت الجزيرة نسلى »

اما جيردم فانه يجعل كاليبان يشكو من شيكسبير خالق شخصيته فيقول :

« ويلا من هذا يا شيكسبير دنست شرف خلقك كاليبان .
تخلص من رضائك على بروسبيرو حتى لا تشيع الراحة فى نفوس دعاة الفنية القرصان ، الذين يلتون بالقدام الغزاة شاطىء الانسان الحر ، آتى معهم بعقود الخزر والروم والاناجيل والمدافع
من اجل مجد الرب ، وقوة اسبانيا والفية شركة فرجينيا .

كان يمكن ان تكون هذه الافكار التى تعتمل فى اعماق ذهن كاليبان ولكن تمتمته الغريبة حالت بينه وبين التعبير عنها تعبيرا وافيا مناسبا

وكانت كل محاولة يقوم بها كاليبان للحصول على حريته ، يحبطها ويسحقها بروسبيرو . بفضل المساعدة النشيطة من جانب اريل الذى كان طابورا خامسا يعمل لحساب بروسبيرو .

واذا قيس اريل بكاليبان فانه بالرغم من كونه عبدا كان يشغل مركز الممتلكات المستقلة فى الامبراطورية البريطانية

ان النقاد الغربيين ، بدلا من ان يسجلوا الظلم الذى احاق بكاليبان قد امتدحوا شيكسبير اذ صوره على هيئة وحش دون مستوى البشر . ويقول شليجل : « ان كاليبان **خلق غريب تفتق عنه خيال عطى** » ، بل ان بعض النقاد يرون كاليبان قصيدة شعرية عن الارض كما لو ان شيكسبير رسم شخصيته على غرار الفلاح الروسى عند تولستوى . وهذا هو الموقف الذى يمثل الجنس السيد الذى يجد المتعة فى تمجيد ما تشعر به الشعوب الخاضعة له من شقاء وتأخر



ان قصيدة جيردم تصحح هذه النظرة فضلا عن كونها تخلق صورة قوية لروح كاليبان التى لاتقهر روح افريقيا الجديدة



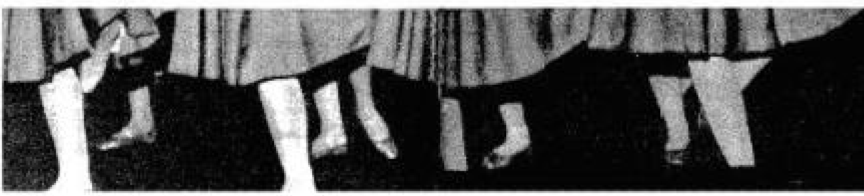
احمد رشدي صالح :

مع المتفرجين

[illegible]

٤٠ مسرحية جديدة

[illegible]



بروايانه الثلاث : « طعام لكل فم » و « يا طالع الشجرة » و « بيجماليون »

ومن أعمال المؤلفين الذين كتبوا لاول مرة للمسرح ، شهد الجمهور مسرحيات « الخبير » لصلاح حافظ و « الزلزال » لمصطفى محمود و « الازمة » لاحمد حمروش و « شفيقة ومتولى » لشوقى عبد الحكيم

وقدم كل من رشاد رشدى وسعد الدين وهبه ويوسف ادريس والفريد فرج رواية جديدة واحدة

وتغيب عن هذا الموسم الكاتب الذى قدم من قبل ست مسرحيات وهو نعمان عاشور .

ثلث مجموع المتفرجين للكوميدى

وكان أروج المسارح ، المسرح الكوميدى الذى شهده ثلث المجموع الكلى من هذا العدد الضخم

وكانت مسرحية « الخبير » لصلاح حافظ أقل مسرحيات الموسم رواجا

واثناء الاسابيع المتوالية اثارت مسرحيات بعينها ، انتباه النقاد ، والجمهور ، أما لارتفاع مستوى الاخراج كما حدث فى « الزلزال » أو لقوة هندسة بنائها الدرامى كما حدث فى مسرحية « يا طالع الشجرة » أو لموضوعها المثير للنقاش كما حدث فى مسرحية « الارانب » أو للتجديد الشديد فى تصور موضوعها وادائها واخراجها كما حدث فى مسرحية « الفرافير » ليوسف ادريس

ولعل سعد الدين وهبه ، ينفرد عن المؤلفين الاخرين ، بانه يوالى التاليف منذ ظهرت مسرحيته الاولى ، فلم يتخلف فى موسم منها ، عن تقديم عمل جديد ، وكانت « كوبرى الناموس » آخر مسرحياته ، من أروج المسرحيات من ناحية الدخل

المخرجون الجدد والقدامى

ومن ناحية الاخراج ، انضم مخرجون جدد ، الى صفوف المخرجين العاملين من قبل فأخرج فاروق الدمرداش مسرحية « حلاق بغداد » وكرم مطاوع مسرحية « الفرافير » واشترك فى اخراج مسرحيات الموسم سعد



الفرافير .. صيغة درامية جديدة فى مسارحنا ..

اردش وكمال يس ونبيل الالفى وجلال الشرقاوى وكمال عيد وفتوح نشاطى وحمدى غيث وعبد المنعم مدبولى وحسين كمال

واحدث اخراج « الخال فانيا » حدثا فنيا كبيرا ، فهذه الرواية التى اخرجها ليسلى بلاتون الفنان الروسى ، وساعده كمال يس الفنان العربى ، حققت فى القاهرة نجاحا من ناحية الجمهور ، بينما لا يعتبرها النقاد العالميون « مسرحية شباك » فاغلب الاحيان كانت « الخال فانيا » تسقط فى الشباك وتنجح عند النقاد .

٤ مسرحيات تستوحى الادب الشعبى

ومن ملامح الموسم الفريدة ، ان التاليف للمسرح ، قد تأثر بمصدرين كبيرين ... فهناك اربع مسرحيات استوحاها مؤلفوها من الاغانى والمواويل الشعبية .. مثل مسرحية « يا طالع الشجرة » لتوفيق الحكيم و « شفيقة ومتولى » لشوقى عبد الحكيم .. و « ادهم الشرقاوى » و « حلاق بغداد » المستوحاة من ألف ليلة

والمصدر الثانى ، هو المسرح العالمى الحديث الذى القى ظلاله على عناصر « اللامعقول » التى بدت هنا وهناك خاصة فى استخدام

الحوار الثنائى أو الثلاثى المنفصل بعضه عن بعض وكذلك بدت هذه العناصر ، فى تصميم بعض المسرحيات واستخدام الكورس على طريقة « بريخت » بل « الاقنعة » التى استعارها بريخت من المسرح الصينى ، لظهرت عند تنفيذ مسرحيات مؤلفة لمسرح الجيب

التنويع والشعر فى المسرح

والتجربة الشفافة ، تقدمها مسرحية ياطالع الشجرة » لتوفيق الحكيم فهى تقوم تنويع « جملة » أو « جملتين » من مؤلفة

الباليه الروسى .. على مسرح الاوبرا



شعبية معروفة .. هى أغنية اللعب « ياطالع الشجرة .. هات لى معاك بقرة .. تحلب وتسقينى بالملعقة الصينى الخ »

واختيار هذه الاغنية بالذات يفتح الابواب أمام النقاد . ان يحيوا نجاح الكاتب الكبير .. فأغانى اللعب التى ترسم صورا خارقة للعادة ، هى — عند التحليل — توأم لأغانى التصوف

و « ياطالع الشجرة » اغنية يلهو بهـا الأطفال ، لكنها تتحدث عن « الحمام الاخضر » الذى تستطيع أن تعتبره رمزا للاوليـاء وأصحاب القوة الخارقة ، كما تتحدث الاغنية عن زيارة قبر النبى ، وتشير الى الاشتياق لهذه الزيارة

وفى المسرحية ، تعطى « الشجرة » اكثر من رمز ، كما يحمل « الدرويش » و« الزوج » و « الزوجة » و « السحلية » و « القطار » نفسه وعامل التذاكر .. كل هؤلاء يحملون خيوط النسيج الرمزى ، الذى نسجه توفيق الحكيم فى بناء درامى فريد وحوار شعرى — كما لو كان الحكيم مؤلفا موسيقيا مدربا ، أو رساما من اتباع مدارس الفن المعاصرة الحديثة

وفى مسرحية « رحلة خارج السـور » للدكتور رشاد رشدى يزاوج المؤلف بين رموز الماضى ، وبين رموز الحاضر . ويستخدم مستويين مختلفين ، وفى وقت واحد

وعند قراءة نص المسرحية ، يشعر القارىء ان هناك « سندا » ملموسا يستطيع أن يستند اليه . ليفهم ويحلل بقية المسرحية

هذا السند الملموس هو محاولة اصلاح الكوبرى الذى انهمت قوائمه بطريقة فاسدة ، واراد مهندس شاب ، أن ينشئه من جديد على قواعد راسخة ، ويمده الى البر الاخر

ولا تنتهى الرواية ، قبـل أن يصل « الصراع » حول انشاء الكوبرى ، الى نتيجة ايجابية

وفى مسرحية « الفرافير » يستخدم يوسف ادريس ، صيغة درامية جديدة على مسارحنا ، فهو يلغى هذه المساحة التى تفصل خشبة المسرح عن مقاعد الجمهور

انه يدير أحداث المسرحية ، ويتمها ، على



لاترافياتا .. اول اوبرا عالمية قدمها المسرح الغنائي . . !

اساس ادماج « حلقة التمثيل » فى حلقة المشاهدة

وقد جسم المخرج كرم مطاوع هذه الصيغة ، فمد المسرح الى اعماق حلقة المشاهدة ، وادار التمثيل من بين صفوف المشاهدين ، وفوق خشبة المسرح ، بطريقة ناجحة

ولا نزاع فى ان استيحاء المأثورات الشعبية ــ فى ذاته ــ هو تعبير آخر عن محاولات التنويع فى الصيغة الدرامية واثراء موضوعات التأليف الدرامى

من وحى الف ليلة

وفى حالة « حلاق بغداد » التى تذكرنا بجو الف ليلة ، وقد عاد بروح عصرية ، نلمس خيطا متصلا فى تقاليد المسرح العربى بالذات . فمنذ منتصف القرن الماضى والف ليلة هى اهم المصادر الادبية ، التى لجأ اليها مؤلفو المسارح العربية ، فاخذوا منها للدراما ، وللمسرحية الغنائية ، وللكوميديا التاريخية . ولم يخل جيل من الاجيال ، من استخدام بعض عناصر هذه المجموعة الكبرى من القصص الشعبى

والحقيقة ان الف ليلة وليلة ، من اكثر مصادر العالم كله الادبية ، تأثيرا فى الفنون التعبيرية ، فقد استوحاها مؤلفو السيمفونيات ، والمسرحيات العالمية ، والقصص الخيالى الاوروبى والامريكى ، ويدل انتشار طبعاتها باللغات الاجنبية التى زادت على الالف طبعة حتى الان على ضخامة نفوذها ، فى الخيال الانسانى عموما

تفوق الفنون الشعبية والاستعراضية

ومن ناحية الفنون المسرحية الشعبية والموسيقية والاستعراضية ، يسجل الموسم الاخير ، اكثر من ظاهرة كبيرة فى حياتنا .

فاقامة المهرجان الدولى الاول للفنون الشعبية كان فى ذاته ، حدثا بعيد المدى ، فقد اشتركت فيه تسع دول اوروبية واسيوية ، من اليابان واسبانيا وبولندا والمانيا ورومانيا واليونان ويوغوسلافيا وبلغاريا والبانيا .. واشتركت فيه من الجمهورية العربية ، فرقة رضا والفرقة القومية للفنون الشعبية

ولاول مرة فى تاريخنا الفنى ، انعقد مهرجان دولى على نطاق الجمهورية كلها ، فقدمت هذه الفرق عروضها فى القاهرة والاسكندرية واسوان واسيوط وطنطا ودمنهور

ويقدر عدد الذين شاهدوا الحفلات المقفولة « داخل الاوبرا والمسارح » والحفلات المفتوحة بنحو ستين الى سبعين الف متفرج

وقدم المسرح الغنائى ، اول اوبرا عالمية هى « لاترافياتا » واوبريت عربية هى « مهر العروسة »

وارتفاع الستار عن المسرح الغنائى هو فى الحقيقة تأكيد واضح الى اتساع ما اسميناه بحالة الانفجار المسرحى .. ففن الاوبرا والاوبريت ، يضمر فى العالم الحديث تحت ضغط المسرح التجارى ، وبسبب ضخامة المجهودات والتكاليف ، ومدة التدريب التى

ينبغى بذلها فى هذا الفن

ويمتد عرض « لاترافياتا » مدة تفوق العروض التى قدمتها المسارح الغنائية فى السنوات الاخيرة

الاستعداد للموسم القادم

وبينما كانت ستائر موسم الشتاء الاخير، تنزل على نهايات الموسم ، كانت التدريبات والتجهيزات قد بدأت ، لتقديم أعمال جديدة، فى موسم الصيف الراهن ، وفى موسم الشتاء القادم

وحول مائدة القراءة ، فى مسرح الأزبكية ، كان المخرج كرم مطاوع ، يفحص مسرحية « يرما » التى كتبها شاعر اسبانيا الكبير فريدريكو جارسيا لوركا ، ويقدمها مسرح الجيب ، خارج مبناه التقليدى ، وأمام جمهور أوسع

والحقيقة ، ان هذه المسرحية ، ليست رواية « مسرح تجريبى صغير »

ان موضوعها وصياغتها ، وطريقة بنائها تجعلها رواية مسرح عادى كبير

يدور موضوعها — ببساطة — حول أشواق امرأة شابة جميلة ، متزوجة من فلاح مشغول عنها بعمله فى الحقل ، ورعى الأغنام . وتفيض عواطف « يرما » بهذا الشوق المشروع الى ميلاد طفل ، والى أن تعيش امرأة متزوجة

وفى الجانب الآخر ، يتصرف زوجها ، بطريقة محافظة جامدة ، لايحس بأشواقها ، ولا يستجيب لهذه الاشواق

وخلال مجموعة من المواقف الدرامية ، التى كساها لوركا ، بروح المأساة والشعر ، تتجدد معالم الصراع التراجيدى ، الذى ينتهى الى فشل « يرما » فى أن تكسب زوجها ، والى زيادة حدة شوقها للطفل الذى لايولد حتى لقد تصل هذه الاشواق المستبدة ، الى حد التوهم وممارسة الخرافات ، ثم تدفع يرما الى حافة الميل الجنونى فتقتل زوجها

ان هذه المسرحية ، من نماذج المسرح العالمى ، الذى يزاوج فيه المؤلف بين الواقع فى بساطته وسذاجته ، والشعر فى تألقه وجماله ، والرمز الخفيف ، الذى يطابق الاحداث الظاهرية

البرنامج الثانى لفرقة الفنون الشعبية

ومنذ فترة ، والفرقة القومية للفنون الشعبية ، تتدرب ، على برنامجها الثانى الذى يوشك أن تقدمه أثناء الاحتفالات بمرور ١٢ عاما على ثورة ٢٣ يوليو

والحديث عن هذا الفن الجديد يقود بالضرورة — الى الحديث عن اتساع رقعة التجربة الفنية عموما .. لفرق الرقص والغناء الشعبى ، التى ابرزتها المواسم الاخيرة ، تستخدم ثلاثة فنون أساسية ، هى فن « التعبير بالحركة الجسمية المنغمة » وفن « التأليف الموسيقى للرقص المسرحى » وفن « تصميم الأزياء والديكورات المسرحية » المناسبة لهذه الرقصات

وهناك أكثر من نقطة بداية ، لاعداد الرقصات الجديدة .. فمن الممكن أن يبدأ « مصمم الرقص » بوضع تركيبات الخطوات التى تؤلف الرقصة ، ثم يكسوها مؤلف الموسيقى باللحن . ومصمم الأزياء بالأزياء والاكسسوار والاطار التشكيلى المسرحى

ومن الممكن أن تبدأ تصميمات الرقصة والموسيقى والأزياء وخطة الاضاءة والاخراج ، فى وقت متقارب ، أو وقت واحد

ومن ملامح هذا النشاط الجديد على مسارحنا ، أن عدد الفنانين المشتركين فى فرق الفنون الشعبية والاستعراضية ، يحسب الآن بالمئات ، أكثرهم من طلاب معاهد التربية البدنية والفنية وطلاب الجامعات وخريجيها

السيرك القومى

وبعد احتفالات ٢٣ يوليو بأسابيع قليلة ، وربما فى بداية فصل الشتاء القادم ، تضم الى فرق الفنون المختلفة ، فرقة السيرك القومى

ان هذا الفن ، الذى هددته الاهمال فى الماضى ، بالاختفاء التام ، قد عاد الى الحياة ، تحمل أعباءه الدولة . وقد مضى على انشاء السيرك القومى — الذى يضم أكثر من مائة لاعب وفنان — سنتان وبضعة شهور . ويتألف برنامجه الاول ، الذى يوشك أن يقدمه فى القاهرة ويطوف به فى المحافظات ، من ثلاث نواح رئيسية هى « نمر » « الاكروبات » التى

تعتمد على براعة الجسم البشرى وعبقريته غير المحدودة

ومن اهم هذه النمر « العقلة الطائرة » و « اللوح الطائر » و «البامبوك» والتوازن اثناء السير وحمل الاثقال فوق السلك

والناحية الثانية هى نمر الحيوانات المستأنسة والمتوحشة ، التى تعتمد على استخدام المرئة بطبائع الحيوان وقدراته العقلية والجسمية

ويلعب « الحصان العربى الاصيل »دورا مميزا للسيرك القومى .. وتضاف الى الخيول مجموعة من الجمال ، والاسود والنمور والفيلة والشمبانزى ، والكلاب ..

والناحية الثالثة هى ناحية الموسيقى الساخرة والتهريج

والمدة التى امضاها اعضاء السيرك فى التدريب ، تحت اشراف ثلاثة خبراء عالميين، ليست طويلة ، برغم انها امتدت الى اكثر من عامين ..

لفن السيرك لم يعد مجرد فن « البطل » و « المهرج » و « الحيوان » بل اصبح فن « الاجهزة » الميكانيكية والكهربائية ، وفن الفنون الايمائية (التمثيلية الصامتة)والاداء الذى يشبه الاداء المسرحى

ومن التدريبات اليومية التى يتلقاها اعضاء السيرك ، فضلا عن تدريبات اللياقة البدنية ، تدريبات الرشاقة ، على ايدى اساتذة من معهد الباليه

الجمهور والندوات

وفى الموسم الاخير ، ظهرت حقيقة لايمكن الاستهانة بها

هذه الحقيقة تقول بوضوح ان الجمهور متعطش الى الثقافة الفنية والمسرحية .وقد وضحت هذه الحقيقة من اقبال الجمهور على ندوات مسرح الجيب . ومحاضرات الفنانين الانجليز والفرنسيين الذين زاروا القاهرة ، وفى موسم المحاضرات والندوات الحافل ، الذى نظمه مسرح الحكيم ، واقبل عليه الجمهور اقبالا منفردا ، يتفوق به على ندوات الجمعيات الادبية والثقافية التى عرفتها القاهرة فى سنوات كاملة

لقد اثبت الموسم الاخير ، ان مزيدا من النشاط فى ميادين الفن المسرحى والموسيقى والاستعراضى ، سيلقى بالتأكيد ترحيبا من الجمهور لان هذا الجمهور نفسه،كان محروما لمدة طويلة ، من وسائل الترويح والتثقيف المسرحية

ولكن الموسم الاخير ، يكشف كالمواسم السابقة عن ضرورة توسيع قاعدة الجمهور خارج القاهرة .. وتوسيع الخدمات المسرحية والفنية عموما، فى المدن الاقليمية بل الريف. فاذا كانت الارقام التى بدانا بها هذا العرض، تشير الى ماسميناه بانفجار مسرحى ، فانها ستتحول الى « فيضان » حقيقى اذا اتجهت الفرق ، من القاهرة الى المحافظات ،حسب خطة محددة تعطى الاولوية لعملية توسيع قاعدة الجمهور ، خارج القاهرة

وفرق الاقاليم ، لا تكفى وحدها ، فى ارضاء حاجة المواطنين فى الاقاليم

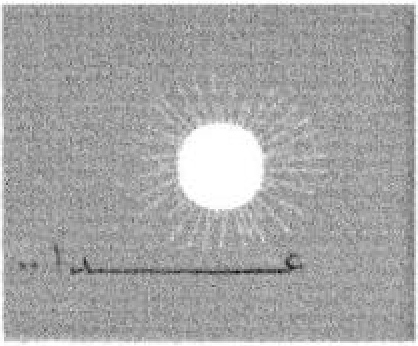
كما أن رحلات فرق القاهرة مهماتعددت، لن تغير وحدها ، حالة «الانتظار »و«الترقب» التى يعيشها الملايين خارج القاهرة

ان التخطيط الشامل ، يستفيد من حالة النشاط الحقيقية الموجودة الآن ، ليعطى اهمية اولى ، وقصوى لفرق الهواة ، كما يعطى اهمية كبرى لتوسيع قاعدة الفن خارج القاهرة . ولقد التقطت مئات كثيرة من الفنانين فى الفرق المختلفة ، وستزيد المئات، لتصبح الافا

مراكز التدريب ضرورة عاجلة

وهذه الصفوف المتزايدة من العاملين فى الفن والمطلوبين للانتاج الفنى ، لابد لها من « مراكز تدريب » تقوم باعداد الممثلين والمخرجين ، والراقصين ومصممى الرقصات، والعازفين ومصممى الازياء والديكورات المسرحية بل ادارة المسرح ، والعروض المسرحية

ان مرحلة الانطلاق التى نجتازها ،لاترجم نفسها ، فى مجال الفن المسرحى والفنون الشقيقة ، الى مرحلة مضاعفة التجهيز والانتاج .. مرحلة تزويد الاجيال العاملة بالامكانيات ، ومرحلة اعداد اجيال اخرى ، لمواجهة التوسع الحتمى ، فى تقديم هذه الفنون ، لجمهور تكفل له الحياة الاشتراكية نصيبا كافيا ، من الخدمات الفنية والثقافية، وبرامج مستمرة ، يدعمها زيادة الانتاج ، وتهديها اشتراكية الفن



غـــدا .. وبعد غـــد

انك اليوم قد تشكو من التعب . ولكنك غدا ستشكو من الراحة . هذا ما وصل اليه مندوبو « الهلال » بعد جولتهم في الدوائر العلمية ، ومراكز الابحاث !

ان مجموعة من الاقتراحات والابتكارات تنظرك .. وكلها تتحدث عن راحتك .

ففي المانيا ، صنعت احـدى الشركات جهازا يحمي سيارتك من السرقة ! اسم الجهاز auto-alarm انه يغنيك عن المنادى ، والحارس . فلو اقترب احد من السيارة ، ارسل صوتا مزعجا ، ينبـه السارق بعدم الاقتراب ، وصاحب السيارة بالعودة سريعا الى سيارته

لصوص السيارات يبحثون عن اختراع مضاد ، ولم يسعفهم احد

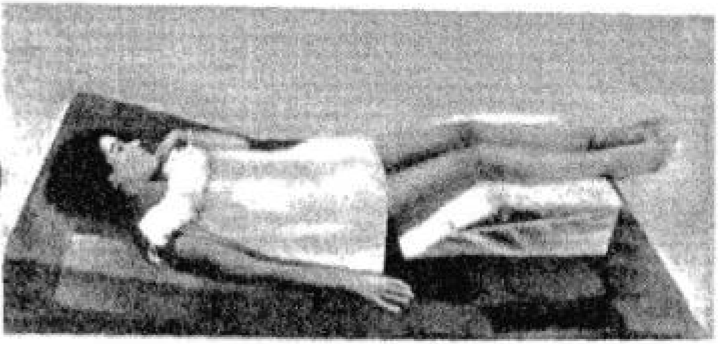
● وفي سويسرا ، اخترع العلماء سائلا لدهان السيارة ، لا يتغير ..

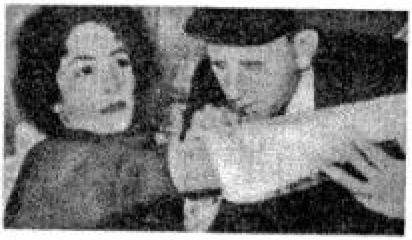
● وفي امريكا : صنعت احدى شركات الآلات الكهربائية مكواة حديثة ، تكون دائما ساخنة ، وعلى استعداد .

انها توفر لك بعض الدقائق ، وكثيرا من الكهرباء ، ولها ازرار تناسب « نـوع » القماش الذى تريد « كيه »

سـرير الغـــد

وعلماء الغد يهتمون براحة حواء ورشاقة جسمها . وقد ابتكر العلماء هذا السرير السحرى لراحـة الدورة الدموية . انه يتحرك في كل الاتجاهات ، ويمكن رفعـه او خفضه حسب الطلب . اما ماتراه في الصورة تحت سيقان هذه السيدة فهو جهاز سحرى يضمن سريان الدماء في كل الاطراف وعدم ركوده في الطرفين السفليين . وهـو خفيف الوزن ومريح ..





جبيرة من البلاستيك

وضع الذراع او القدم او الجسم كله في الجبس طريقة مرهقة للمريض وللطبيب وقد ابتكر العلماء جهازا من البلاستيك يمكن نفخه بالفم ، لا تضيع وقت الطبيب ، ولا تعوق المريض عن الحركة . ان هذه الجبائر الجديدة وزنها خفيف وثمنها معقول ..وهي تناسب انسان العصر الحديث ..

التعليم وأنت في مكانك

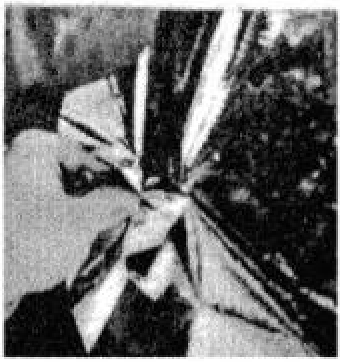
والعلماء ابتكروا طريقة جديدة لكي تتعلم قيادة السيارات بدون الم أو حوادث . وبدون ان تقضي على الالة سيارتك . انه نموذج سيارة بكل محتوياتها داخل حلبة واسعة جدا . ونموذج السيارة مثبت على قضبان ، وحوله الاشارات . ان العلم يشرح لك احسن وسيلة لقيادة سيارتك . وبعد ثلاثة ايام تكون قد «شربت» العملية ، وتخرج سائقا ماهرا ، محصنا ضد الحوادث وخرق الاشارات التي يزداد عددها كل يوم!





مرآة للممثلين وملوك الأناقة

هذه المرآة للفنانين والممثلين وملوك الاناقة والمشغولين الذين يقضون خارج منازلهم أكثر من الوقت الذى يقضونه فى الداخل . ان المرآة تشبه ورق السيجارة ، وتستطيع ان تطبقها ، وتضعها فى جيبك ، ثم تستطيع بعد ذلك ان تفردها اذا دعت الحاجة .. الى ان تضع ابتسامة على وجهك قبل ان تعود الى البيت أو تدخل الى المدير ، او تذهب لموعد « غرام » !



وداعا للتجاعيد

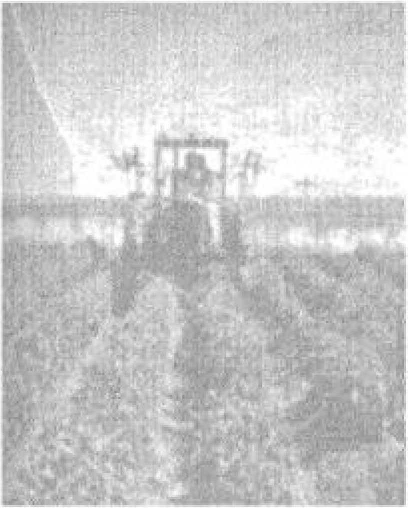
وقدا لن تحتاج حواء لاخفاء حقيقة سنها

ان الاختراعات تتنافس مع المساحيق ، ولكن المساحيق – كما تعلم – لم تعد تكفى . والحل هو عمليات التجميل .
ان هذه الصورة لدوقة وندسور ، التى تبلغ الآن من العمر ٦٧ سنة ، ويبدو واضحا ان زوجها لم يستسلم بعد لتقس الطبيب!



ابراهيم عامر :





مصير الملكية الفردية في الزراعة

لايمكن لاى ثورى أن يتجاهل اليوم الفلاحين أو أن يهتم بهم اهتماما عابرا ...

ان مستقبل ثورتنا يتوقف – الى حد بعيد – على مدى مساهمة الفلاحين مساهمة ايجابية واعية مستنيرة منظمة فيها ، ويتوقف على مدى تخلصهم من مستنقعات الفقر والجهل والامراض المستوطنة، كما يتوقف على مدى الترابط والوحدة النضالية بين سكان الريف وسكان المدن

ان التعاون الزراعى وعلاقاته بالملكية الفردية للارض ، وهى احدى المسألتين الزراعيتين اللتين طرحهما الرئيس جمال عبد الناصر على مجلس الامة من بين المسائل السبعة التى طرحها على المجلس لكى يبحثها ويجد لها الحلول

طرح الرئيس جمال عبد الناصر مشكلة الزراعة وضرورة تطويرها لتفي بدورها في التقدم الوطني . وذلك في البيان الذي القاه في افتتاح مجلس الامة في ٢٦ مارس ١٩٦٤ . وحرص الرئيس في بيانه على التنويه بعنصرين من العناصر الاساسية لهذه المشكلة وهما : .

– تنظيم الملكيات الفردية للارض تنظيما تعاونيا

– وعنصر العمال الزراعيين البالغ عددهم ثلاثة ملايين

وفيما يتعلق بالعنصر الاول ، قال قائد الثورة

« واذا كنا نعتمد الملكية الفردية للارض اساسا للثورة الزراعية ، فانه لا بد من تدعيم هذه الملكية بالتعاون الذى ينظم الجهد ، ويدعمه بالعلم الحديث »

ولقد جاء هذا القول مؤكدا ومدعما لما جاء في الميثاق الوطني من المشكلة نفسها حيث يقول :

« ان نجاح هذه المواجهة الثورية لمشكلة الزراعة ، هذه المواجهة القائمة على زيادة عدد الملاك لا يمكن تعزيزه الا بالتعاون الزراعي ، والا بالتوسع في مجالاته الى الحد الذي يكفل للملكيات الصغيرة للارض اقتصادا نشيطا »

التعاون شرط ملكية الارض

وتبين لنا هذه النصوص الاهمية التى تعلقها الثورة على التعاون الزراعي كشرط لا بد منه لتدعيم الملكية الفردية للارض التى تمثل أساس الثورة الزراعية . **ومعنى هذا ان الثورة لا ترى ان تكون الملكية الفردية للارض حرة بلا قيد ولا شرط ، او منطقة بلا تنظيم ، او ضمانات في حد ذاتها .. لتحقيق الثورة الزراعية الشاملة المنشودة** . وفي هذا ابلغ الرد على الذين يتحدثون عن الملكية الفردية للارض في حد ذاتها ، وبدون تنظيم تعاوني ، وعلى الذين يحاولون الفصل بين التنظيم الزراعي التعاوني والمسار الحتمي للثورة الزراعية

عناصر اخرى لمشكلة الزراعة

وقبل أن نتناول هذا العنصر الرئيسي من عناصر مشكلة الزراعة في مصر وهو عنصر **العلاقة الحتمية** بين الملكية الفردية للارض وتنظيم هذه الملكية تنظيما تعاونيا ، يعن لنا أن نشير بصفة عامة الى عناصر اخرى متنوعة من عناصر تلك المشكلة حتى تتيح الفرصة لمناقشة القضية على اوسع نطاق ممكن

والحق أن مشكلة الزراعة في بلادنا ـ شأنها في ذلك شأن مشاكل الزراعة في معظم البلاد التي تتشابه ظروفها مع ظروفنا ـ اكثر تعقيدا مما تبدو للوهلة الاولى ، كما أنها لا تلقى من الباحثين والمثقفين المشغولين بمشاكل المدينة واحتياجاتها القدر الضروري من



الاهتمام والدراسة ولا يحتاج الامر الى بيان مسهب عن **اهمية مركز الفلاحين والريف والزراعة** فى الثورة العربية المعاصرة ، ولكن قد يكفى فى التنبيه الى تلك الاهمية ان نشير الى ان الفلاحين يكونون نحو **ثلثى** مجموع الشعب ، وانهم يتكسبون معيشتهم — فى الغالب الاعم — من زراعة نحو **ستة ملايين** فدان هى مجموع الاراضى الزراعية فى البلاد حتى الان ، ويعيشون فى نحو **اربعة الاف قرية و ٢٠ الف عزبة** تمثل الجزء الاكبر من التكوينات الاجتماعية فى البلاد

والفلاحون المصريون هم المنتجون المباشرون بقوة عملهم للمنتجات الزراعية التى تتالف بشكل رئيسى من المواد الغذائية اللازمة لسد حاجات الشعب المعيشية .. وفى مقدمتها الحبوب مثل القمح والذرة والارز ، والمنتجات الحيوانية .. وفى مقدمتها اللحوم والالبان والبيض والدهنيات الحيوانية . كما انهم هم المنتجون للمواد الاولية التى تسد — بعد تصنيعها — حاجات اخرى من حاجات الشعب المعاشية ، مثل القطن وقصب السكر . والفلاحون هم كذلك المنتجون المباشرون للفائض من السلع الزراعية الذى يجرى تصديره الى الخارج والحصول على مقابل له من السلع المصنوعة او غير المصنوعة التى يحتاج اليها الاقتصاد الوطنى وتحتاج اليها خطة التنمية . ويقوم الفلاحون فى الوقت ذاته وفى خلال عملية الانتاج والتبادل الزراعى بانتاج فائض مالى يتجمع ليجرى استثماره فى زيادة التنمية الاقتصادية ورفع مستوى الانتاج

ومن هذا وغيره ، فان مشكلة الزراعة هى مشكلة الشعب كله واحدى المشكلات الرئيسية فى التنمية الاقتصادية التى قد يكون من الصعب الوصول بالتنمية الى مداها المنشود بدون ايجاد الحلول السلمية والعلمية لها

***

ان حل المشكلة الزراعية وتطوير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الريف شرط جوهرى لضمان وفاء الزراعة والفلاحين والريف بدورها الكامل فى تقدم التجربة الوطنية نحو الديموقراطية الاشتراكية

ومن العناصر الهامة للمشكلة الزراعية فى بلادنا عنصر كيفية تملك الارض واستغلالها بما يتضمنه ذلك من مستوى **الملكية الفردية ، ونوعيتها ، وشكل تنظيمها وطريقة الانتفاع بها ،** والعلاقة بين مالك الارض والمستاجر ، والعلاقة بين مالك الارض أو المستاجر من ناحية والعامل الزراعى من ناحية اخرى ،

نوعية العمالة الزراعية وطريقة تشغيل العامل وحصوله على اجره . والعلاقة بين المزارع والدولة وبخاصة فيما يتعلق بالضرائب والخدمات وغير ذلك . وطريقة التصرف في المحاصيل . وتنظيم الري . والادوات والتسهيلات المساعدة للانتاج الزراعي مثل البذور والاسمدة ؛ والمستوى العلمي والالي والتقني المستخدم في الزراعة . ومشكلة تحدد الارض وعلاقة ذلك بمعدل نمو السكان ودرجة احتكار الارض كفرص ملكية وفرص تصرف . وغير ذلك من العناصر الخاصة التي تتسم بها المشكلة الزراعية في ذاتها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، والعناصر العامة التي تربطها بنواحي النشاط الاجتماعي الاخرى في البلاد

تدعيم الملكية الفردية للارض

والواقع أن الثورة قد اتخذت منذ ٩ سبتمبر ١٩٥٢ اجراءات عدة هامة في سبيل توسيع قاعدة الملكية الفردية للارض ، واشباع جوع الفلاحين وارواء عطشهم التاريخي الى أن يفلحوا ويزرعوا ارضا هم سادتها ومالكوها ، وتدعيم تلك الملكية

ومن هذه الاجراءات تحديد الحد الاعلى للملكية الزراعية بمائة فدان للاسرة المكونة من الاب والزوجة والاولاد القصر ، وتحديد انه لا يجوز لمثل هذه الاسرة ان تحوز بطريق الايجار او وضع اليد او باية طريقة اخرى من طرق حيازة الاراضي الزراعية وما في حكمها غير المملوكة لهم ، مساحة تزيد على خمسين فدانا . كما لا تجوز الوكالة في ادارة واستغلال الاراضي الزراعية وما في حكمها فيما يزيد على هذا القدر . وتوزيع الاراضي المملوكة للدولة — وتبلغ نحو مليون ومائة الف فدان — على الفلاحين المحترفين للزراعة الذين لا تزيد ملكيتهم على فدانين . وهذا كله بالاضافة الى استيلاء الدولة على أراضي الاسرة المالكة والشركات الزراعية والملاك الاجانب ، وحل الاوقاف الاهلية ، والتوسع في اصلاح الاراضي ، وتوقع اتساع الرقعة الزراعية بعد اتمام السد العالي . كل هذه الاجراءات استهدفت توزيع الاراضي الزراعية على فقراء الفلاحين وصغار الملاك

ولم تقتصر اجراءات الثورة على زيادة الرقعة الزراعية الموزعة على صغار المزارعين ، **والاعيان** التي كانت تديرها وزارة الاوقاف وسلمتها الى الهيئة العامة للاصلاح الزراعي والمجالس المحلية ، والتركات الشاغرة التي تتخلف عن المتوفين من غير ورثة ، والاراضي المستولى عليها من الاجانب ويبلغ مجموع الاراضي التي يسري عليها قرار تخفيض الثمن نحو

٥٧٤ر٩٤٤ فدانا . وجاء هـذا القانون نتيجة للقانون الذى صدر بعدم تعويض الملاك عن الارض المستولى عليها منهم باعتبارها زائدة عن الحد الاعلى المقرر لهم

وامتدت هـذه الاجراءات التسهيلية لدعم قاعدة الملكية الفردية للارض وتوسيع قاعدتها ، تضمنت عديدا من الاجراءات الادارية والمالية التفصيلية ، مثل الاعفاء من الفوائد ورسوم التسجيل ونفقات الاستيلاء والتوزيع ، ومد اجل تسديد اقساط الارض ، وتسهيلات اخرى كثيرة

مبادىء مستقرة فى ثورتنا

غير ان توسيع قاعدة الملكية الفردية للارض وتدعيمها لا يجب ان يطغى ــ بأى حال من الاحوال ــ على المبادىء الاساسية المستقرة فى ثورتنا المجيدة وفى ميثاقنا الوطنى ، الا وهى ان الملكية الفردية ــ سواء فى الصناعة او الزراعة او التجارة او العقارات او غيرها من المجالات الاقتصادية الاخرى .. هى وظيفة اجتماعية

ويقرر الميثاق الوطنى انه « **يجب ان تكون هناك تفرقة واضحة بين نوعين من الملكية الخاصة : ملكية مستغلة او تفتح الباب للاستغلال ، وملكية غير مستغلة تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة اصحابها** »

كما استقر فى ثورتنا المجيدة ان التخطيط الاشتراكى الكفء هو الطريق الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة عملية وعلمية وانسانية لكى تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية

واستقر فى ثورتنا وميثاقها الوطنى ان التخطيط ــ فى اى مجال ــ مطالب بأن يجد حلا للمعادلة الصعبة التى يكمن فى حلها نجاح العمل الوطنى ماديا وانسانيا

هذه المعادلة هى : كيف يمكن ان نزيد الانتاج ، وفى نفس الوقت نزيد الاستهلاك فى السلع والخدمات ، هـذا مع استمرار التزايد فى المدخرات من اجل الاستثمارات الجديدة . هذه المعادلة الصعبة ذات الشعب الثلاث الحيوية تتطلب ايجاد تنظيم ذى كفاية عالية وقدرة يستطيع تعبئة القوى المنتجة ورفع كفايتها ماديا وفكريا وربطها بعملية الانتاج

ومعنى هذا ان الملكية الفردية للارض ــ ككل اشكال الملكية الفردية التى لا تزال موجودة فى مجتمعنا ــ هى ملكية مقيدة ومشروطة . وانه لا يعنى الاخذ بمبدأ تاميم الارض ، على العكس فى مجالى المال والصناعة ، ان الثورة تترك للملكية الزراعية الحبل على الغارب

ان الملكية الفردية للارض يجب ـ فى حدود الميثاق معنى وروحا ـ أن تهدف اساسا الى تحقيق تلك المبادىء والنتائج ، والا فانها تفقد مبرر وجودها واستمرارها

انها ملكية ذات وظيفة اجتماعية، ملكية غير مستغلة ولا تفتح الباب للاستغلال . ملكية مخططة تضمن استخدام جميع الموارد فى سبيل الخير للجميع . ملكية تزيد الانتاج والرفاهية والاستثمارات الجديدة، ملكية منظمة تنظيما ذا كفاية عالية

ومعنى هذا اننا نواجه فى الزراعة معادلة صعبة أخرى هى : كيف نحافظ على الملكية الفردية للارض مع منع هذه الملكية من أن تصبح مستغلة او تفتح الباب للاستغلال ومن ان تعرقل التخطيط والتنظيم والاستفادة بكفاية عالية من امكانياتنا البشرية والطبيعية والمادية فى الزراعة والريف

ومن هنا ، فاننا فى حاجة الى اجراءين مزدوجين كوجهى العملة الواحدة لتحقيق الثورة الزراعية الشاملة

هذان الاجراءان هما ـ فى وقت واحد وبدون اى انفصال بينهما باى درجة من الدرجات ـ ضمان تمليك الارض لمن يفلحونها ويقدمون بانفسهم على زراعتها ، وضمان تنظيم هذه الاراضى المملوكة ملكية فردية فى مزارع تعاونية اختيارية يمتد نشاطها الى جميع مراحل الانتاج الزراعى ، وتتقدم باطراد فى اشكالها واساليبها ، وتصبح نموذجا تضرب به الامثال على زيادة الانتاج ، وزيادة الاستهلاك فى السلع والخدمات ، وزيادة معدل التجميع الاستثمارى الجديد ، وتظهر آثارها المادية والاقتصادية والانسانية امام اعين الفلاحين جميعا

جوع الفلاح للارض

ان جوع الفلاح المصرى الى الارض ، وتعطشه الى أن يملك ما يفلح ويزرع ، ورغبته التاريخية وآماله الوطنية فى أن يكون سيد ارضه ، لامور لها ما يبررها تاريخيا واجتماعيا وسياسيا . فكثيراً ما عانى الفلاح المصرى من الحرمان من ملكية الارض ، اما بسبب تملك الدولة للارض وتشغيله فيها بالسخرة والكرباج ، واما بسبب احتكار ملاك الارض من الاقطاعيين والراسماليين وتشغيله بالايجار أو الاجر ،واما بسبب التحدد الطبيعى للارض الزراعية فى بلادنا

ومن المؤكد أن الثورة بالنسبة له انما يتحدد معناها ومضمونها بمدى اشباعها لجوعه الى الارض. ومن هنا ، فلا بد من أن توضع اماله المشروعة هذه موضع الاعتبار خلال مسار ثورتنا الزراعية وفى تجربتنا الوطنية فى الاشتراكية

ولكن لا يجب ان يكون تحقيق هذه الامال المشروعة على حساب

حاجات التنمية الوطنية العامة ، وعلى حساب حل المعادلة الصعبة، ولا ينبغي أن تكون الملكية الفردية للارض ـ سواء فى حدها الاعلى الذى يتمتع به كبار الملاك او فى حدها الادنى المقرر للملاك الجدد ـ عاملا معوقا للانتاج والرفاهية ، أو مصدرا جديدا من مصادر الاستغلال والفوضى الاقتصادية ـ الاجتماعية

ضرورة الحافز الفردى

ومن الضرورى أن نلاحظ هنا ان التجارب الاشتراكية الاخرى فى الزراعة قد برهنت على مدى تعقد مشكلة الزراعة وتعدد جوانبها ، كما برهنت على حيوية توافر الحافز الشخصى عند الفلاح لكى يزيد الانتاج ويحسن نوعه ، وقد ادى هذا الامر فى الاتحاد السوفيتى ـ مثلا ـ الى اعطاء الفلاح قطعة من الارض يزرعها لحسابه . وقد بلغت نسبة هذه الاراضى الخاصة نحو ٣ فى المائة من مجموع الاراضى الزراعية فى الاتحاد السوفييتى ، وتشير الاحصاءات الى انها تنتج نسبة ١٩ فى المائة من مجموع انتاج المواد الغذائية فى البلاد كلها

ونحن لا نستطيع أن نتجاهل تلك التجارب . ولا يجوز لنا أن نقع فى المصاعب نفسها . ولكننا لا نستطيع ايضا أن نتجاهل حيوية ضمان مساهمة الزراعة فى التنمية والانتاج والوفرة وهى الشرط الوحيد والمبرر الجوهرى للاشتراكية . كما لا يجوز لنا أن نعتبر أن الملكية الفردية للارض هدفا فى حد ذاته

متناقضات الملكيات الصغيرة

ومن الضرورى هنا أن نفهم أن الملكيات الصغيرة المفردة والمنفصلة فى الارض الزراعية مصاعب وعيوب تضر بهذه الملكيات ذاتها ، وتضر بمصالح صغار الملاك من الفلاحين والمزارعين

ان الملكيات الزراعية الصغيرة المفردة والمنفصلة تتناقض ـ بطبيعتها ـ مع تطور القوى الاجتماعية للعمل المنتج ، ومع ضرورة التوسع فى الانتاج الزراعى وتربية الماشية من اجل سد حاجات السكان من اللحوم والالبان ، ومع ضرورة تطبيق احدث الاكتشافات التقنية والعلمية المتقدمة فى الزراعة ، ومع ضرورة استخدام احدث الات الرى والحرث والحصاد والدرس فى الفلاحة . ومع ضرورة توفير افضل وسائل تشوين وتسويق المحاصيل

وتتناقض الملكيات الزراعية الصغيرة المفردة والمنفصلة مع ضرورات حماية الملاك الصغار من المستغلين والمضاربين والمرابين وذوى المال الفائض من كبار الملاك واغنياء الريف . وان اهمال هذه

الحماية الائتمانية لصغار الملاك من شأنه أن يزيد من فقر هؤلاء الملاك ، وأن يسلبهم ما يملكون ، كما يؤدي الى تفتت الارض وعزل المنتجين أنفسهم منها

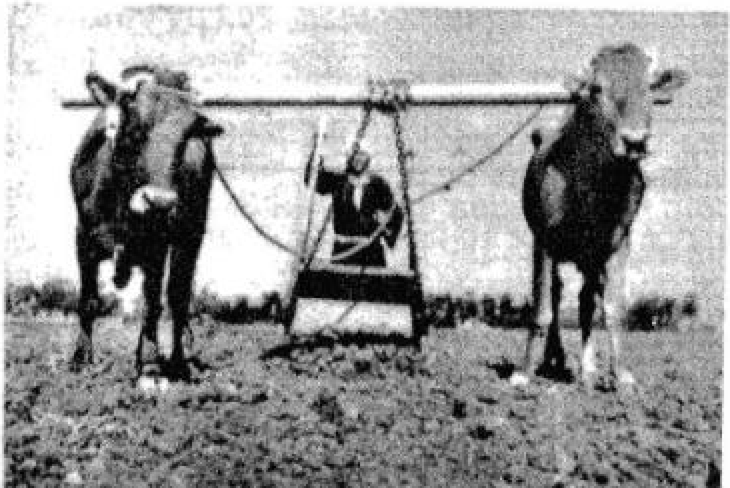
وتخلق الملكيات الزراعية الصغيرة المفردة والمنفصلة خطر المزيد من التفتت بسبب فعل قانون الاقتصاد الحر الذى لا بد وان يعمل عمله اذا تركت تلك الملكيات بدون تنظيم . وكذلك بسبب عمل قانون التوارث جيلا بعد جيل

وتتناقض الملكيات الزراعية الصغيرة المفردة والمنفصلة مع ضرورات حماية صغار الملاك من احتمالات التعسف من جانب الجهاز البيروقراطى والادارى للدولة . ومع ضرورات أن يتولى هؤلاء الملاك بأنفسهم ادارة أراضيهم داخل تنظيم اجتماعى يعبر عن ارادتهم ومصالحهم

لهذا ، فان مصلحة الملاك الصغار أن يحلوا هذه المتناقضات الكامنة في ملكياتهم الصغيرة حتى يستطيعوا أن يستمتعوا حقا بمزايا مايملكون ، وحتى يضمنوا فعلا حقوقهم المشروعة فى ملكيتهم

التعاون هو الضمان الوحيد

ومن هنا ، فان تنظيم الملكيات الفردية للارض تنظيما تعاونيا شاملا واختياريا هو الضمان الوحيد لحماية هذه الملكيات الفردية ،



والمحافظة على حقوق الفــلاحين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في ارضهم

ومن هنـــا لايملك المرء الا ان يلاحظ ان الذين عارضــوا تحديد الملكية عام ١٩٥٢ ـ اما من ناحية اليمين او من ناحية اليســـار المتطرف ـ هم الذين يعارضـــون اليوم بطرق اكثر التواء وغـــير مباشرة تنظيم الملكيات الصغيرة فى التعاونيات ، ويلتمسون فى سبيل ذلك حججا لا تختلف فى مضمونها وروحها عن مضـــمون وروح تلك الحجج التى استخدموها منـــذ اثنتى عشرة سنة : حجج قدسية الملكية الفردية ماثلة فى الحـــديدة المدقوقة فى الارض ، بصرف النظر عن الوظيفة الاجتمـــاعية لتلك الملكية ، او حجج التلويح باشباح ليس لها وجود فى بلادنا

ان تنظيم الملكيات الصغيرة على اساس تعاوني وجماعي هو ـ اولا وقبل كل شيء ـ فى مصـــلحة الملاك الصغار وضد مصلحة الملاك الكبار وجميع القوى المستغلة او الراغبة فى فتح باب الاستغلال فى ريفنا

ان التنظيم التعــاوني يكفل حماية الملكية الصغيرة من خطـــر الامتصاص والاحتواء الاقتصـــادي من جانب الوحدات الزراعـــة الاكبر ، ويكفل تحسين وســائل استثمار تلك الملكيات ؛ وضـمان التسهيلات الائتمانية والزراعيـــة والتقنية والعلمية لها ، ويكفل لهـــا افضل شروط لتسويق محاصيلها؛ كما يكفل افضل عائد لاصحابهـــا يستطيعون الاســـتفادة منه فى استثمارات رئيسية اكثر ، او فى الحصول على قدر اكبر من السلع والخدمات الاستهلاكية

عمل جماهيرى وسياسى

غير ان نشر التعـــاون الزراعى عمل جماهيرى وسياسى من الدرجة الاولى ، وليس مجرد عمل ادارى روتينى واقتصادى بحت

ولذلك فــلا بد مـــن ان تلقى مسئوليته بالدرجة الاولى ايضـــا على عاتق قيـــادات الاتحـــاد الاشتراكى ، وان يزداد الدور الذى تسهم به الهيئة العامة للاصـــلاح الزراعى فى هذا الســـبيل ، وان تجـــرى تعبئـــة اكبر عدد من المستنيرين والمثقفين الاشتراكيين من اجله

ان اقامة التعـــاون الزراعى وتدعيمه فى الريف امر يقتضى اكبر حملة توعية للفـــلاحين واثارة

حماسهم وشرح مزايا هذا التنظيم الخاصة والعامة ، واستخدام جميع وسائل الاعلام لهذا الغرض. ولابد ـ من الناحية العملية التطبيقية ـ من ضرب المثل على افضلية الاستثمار التعاونى للاستثمار الفردى المنفصل لتلك الملكيات الصغيرة الفردية بالنسبة للملكيات

***

والواقع ، ان المرحلة القادمة من ثورتنا ـ مرحلة الانطلاق العظيم ـ تقتضى كما اشار الرئيس **جمال عبد الناصر** ، تركيز الاهتمام على مشكلة الزراعة بغية الانتصار فى معركة اعادة توزيع الملكية الزراعية

وان المعركة القادمة تقتضى تعبئة جميع القوى الاشتراكية المخلصة ، وخاصة القيادات الاشتراكية المتمرسة بالعمل فى الريف ومع الفلاحين مباشرة ، من اجل اثارة الوعى والحماس والتنظيم فى الريف ، وبغية تعميق الجذور الثورية فى طول البلاد وعرضها ، وبغية تصفية جميع جيوب الرجعية والتخلف التى لا تزال تجد مكانا امينا لها فى الاربعة الاف قرية والعشرين الف عزبة المنتشرة على طول النيل من اسوان الى البحر المتوسط

وعلينا جميعا ان نخوض هذه المعركة بكل اخلاص وفهم واستنارة.
وعلى مثقفى القاهرة والمدن الكبرى ان يجندوا انفسهم ليشرحوا لصغار الملاك والفلاحين فوائد التعاون ونتائجه بكافة وسائل الايضاح والشرح ، وان يبينوا لهم حقيقة ما يكفله التعاون لهم من مصالح ذاتية واجتماعية ، وان يساعدوهم على تصحيح الاخطاء والنقائص التى تقع عند التنفيذ .
وعليهم ان يثيروا فيهم روح الحماس والفهم ، لا لحق الملكية الفردية للارض كحق مطلق مجرد ، وانما لحق الملكية الفردية للارض كوظيفة اجتماعية واداة للانتاج والرفاهية • وعليهم ان يوصلوا احتياجات الفلاحين وآمالهم الى انظار القاهرة واسماعها

***

ان مشكلة الزراعة فى مصر لا تزال مطروحة للمناقشة والحل والعمل بجميع عناصرها ، ومن الواجب على كل مثالى يتقدم برأيه فيها ، وأن يسهم فى استكمال ثورتنا فى هذا المجال الحيوى من مجالات العمل الثورى



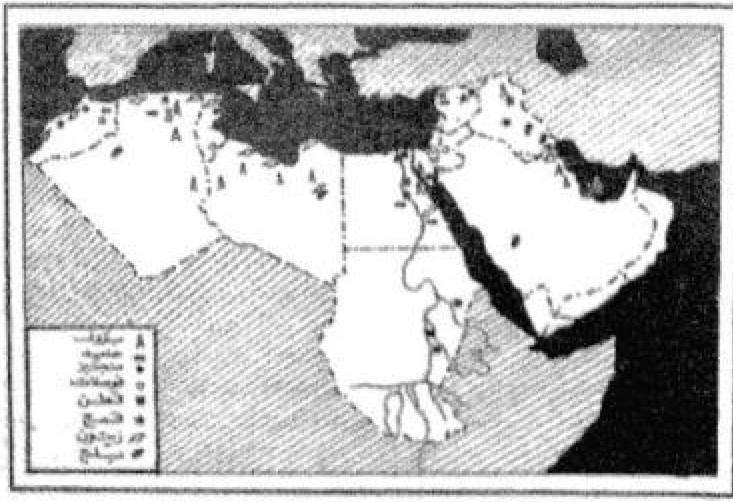
دكتور راشد البراوى:

اتجاهات ثورية في اقتصاد العالم العربي

درج الكثيرون من الدارسين على النظر الى العالم العربي فى صورته الكلية، على انه من الاقاليم المتخلفة او التى لم تستكمل نموها الاقتصادى ، فالاجتماعى ، بعد .. وذلك بالقياس الى اقاليم مثل اوربا الغربية وبلاد كالولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى واليابان ، وان كنا نبادر الى القول ان ظاهرة التخلف ليست مطلقة أو شاملة حيث قطعت بلاد عربية ؛ على رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، خطوات لها أهميتها من ناحية الخروج او محاولة الخروج من تلك الدائرة ، خلال السنوات الاخيرة

الا أننا اذ نتابع عملية التطور الاقتصادي فى وطننا العربى وبخاصة خلال العقد الزمنى الاخير ، تتراءى لنا اتجاهات جديدة وان تفاوتت فى درجة وضوحها ، ويمكن اعتبارها علامات على الطريق الذى ينبغى أن تسير فيه التنمية بمعناها السليم

ولعل اول ما يجب ان يلفت نظر المراقب ، **التحول الحاسم الذى طرا على النظرة الى الوظيفة التى تضطلع بها الدولة الحديثة ازاء الحياة الاقتصادية والتنظيم الاقتصادى** . كانت النظرة العتيقة قوامها عزوف الدولة عن التدخل فى النشاط الاقتصادى الا لاغراض توفير الامان ، وترك النهوض بالاقتصاد القومى للجهود الخاصة او الفردية ، والقرارات العفوية التى يتخذها المنظمون entrepreneurs وأصحاب رءوس الاموال الذين



الوطن العربي .. بلاد واسعة .. وموارد غنية

يقتصر دافعهم الرئيسي على مبلغ ما يحققه المشروع أو النشاط من عائد على أموالهم التى يستثمرونها او يشرفون على استثمارها لصالح اربابها . وهذا هو ما جرى العرف على تسميته بسياسة الاقتصاد المرسل أو الحرية الاقتصادية دعه يعمل Laissez-Faire وهى من أصول النظريات التى اقترنت ـ بوجه خاص ـ بظهور الثورة الصناعية وتدعيم الراسمالية الحديثة

***

وطبقا للنظرة القديمة لم تشأ الدولة ان تضطلع بدور ايجابى مباشر الا فى حدود ما اصطلح على اطلاق تعبير « المنافع العامة » أو « المرافق العامة » عليه والتى يعجز عنها راس المال الخاص بسبب فداحة تكاليفها ، او لا يقبل عليها اما لطول أمد انتظار الجزاء أو ضآلته النسبية ، ومن ذلك انشاء السدود والخزانات وحفر الترع ومد الطرق والخطوط الحديدية وتوفير وسائل الانارة ومياه الشرب . وحتى فى هذه الميادين كان لراس المال الخاص دور ، وكان راس المال هذا أجنبيا فى حالة البلاد العربية بحكم الاوضاع الاستعمارية المفروضة عليها .

ففى مصر وتونس مثلا كان جزء من الخطوط الحديدية ملكا للشركات الاجنبية ، وكذلك كانت محطات توليد الكهرباء وشبكات المياه والنقل فى داخل المدن ، خاضعة لسيطرة المصالح الاجنبية الخاصة الا أن اشتداد حدة الشعور بالتخلف وآثاره السيئة ، وبضرورة

التغلب عليه فى اقرب وقت ممكن ، خاصة وان امكانيات الانطلاق متوافرة .. نقول ان هذا كشف عن حقائق جديدة وهى ان راس المال الخاص وحده عاجز عن احتمال عبء هذا الانطلاق اما لقصوره او جبنه أو ضيق نظرته القومية الشاملة ، واذن فلا سبيل الى سد النقص أو الفراغ الناشىء عن تلك الاعتبارات ، الا بأن تتولى الدولة نفسها جانبا كبيرا من المهمة . هذه الحقيقة ومغزاها الكبير واضح ، عبر عنها الميثاق الوطنى الذى اعلن فى الجمهورية العربية المتحدة فى عام ١٩٦٢ ليكون فلسفة العمل واسلوبه فقال « **ان راس المال في تطوره الطبيعى فى البلاد التى ارغمت على التخلف لم يعد قادرا على ان يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الراسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة ، اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات .. ومن ناحية اخرى فان اتساع مسافة التخلف فى العالم بين السابقين وبين الذين يحاولون اللحاق بهم لم يعد يسمح بأن يترك منهاج التقدم للجهود الفردية العفوية التى لا يحركها غير دافع الربح الانانى . ان هذه الجهود بالتأكيد لم تعد قادرة على مواجهة التحدى . ان مواجهة التحدى لا يمكن ان تتم الا بثلاثة شروط : تجميع المدخرات الوطنية ، وضع كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات ، وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج** »

هذا التغيير الجذرى فى النظره الى وظيفة الدولة ؛ تجلى فى نواح عدة فى مقدمتها اضطلاع راس المال العام بتنفيذ عدد من المشروعات الانتاجية ، اما بصورة كلية واما بالتعاون مع راس المال الخاص بغض النظر عن تفاوت نسبة اشتراك العنصر الاول فقد تكون ٢٥ فى المائة أو ٥٠ فى المائة أو أكثر من ذلك تبعا لطبيعة المشروع . وكثير من هذه المشروعات ـ وبخاصة فى قطاع الصناعة ـ مما كان يعتبر حرما مقدسا لا يمسه الا النشاط الخاص . وبمعنى اخر ارسى الاساس الذى يبنى فوقه قطاع عام ، يتسع باطراد ، وله من القوة والقدرة ما يمكنه من احتمال المسئولية أو جانب طيب منها ، عن عملية التنمية الاقتصادية ، هذه الظاهرة هى السمة البارزة التى تميز التنظيم الاقتصادى فى العربية المتحدة ، كما نلاحظ ايضا وجود الاتجاه الى المشاركة فى العراق وسورية والكويت والاردن وليبيا وتونس والسودان ، مما نشير اليه على سبيل المثال لا الحصر

***

والظاهرة الثانية التى يمكن التعرف عليها بسهولة هى **الاتجاه الى تحرير الاقتصاديات القومية العربية من سيطرة المصالح الاجنبية القديمة** ، وهذا ما تحقق بصورة ظاهرة فى الجمهورية العربية المتحدة وكانت البداية الحاسمة تاميم

الشركة العالمية لقناة السويس فى يوليو من عام ١٩٥٦ ، ثم تمصير المؤسسات البريطانية والفرنسية اثر العدوان الثلاثى الخائب على مصر فى خريف العام نفسه، وتمصير المؤسسات البلجيكية الكبرى بعد ازمة الكونغو ، واخيرا تم التحرير بصورة شاملة حين صدرت القوانين التاريخية فى يوليو من عام ١٩٦١ . وعمدت الحكومة المغربية الى تاميم بعض المرافق العامة مثل الكهرباء ، والتى كانت اغلبيتها اجنبية او وثيقة الارتباط بالمصالح المالية الاجنبية . وفى الجزائر انتقل الى الملكية العامة عدد ضخم من المؤسسات الصناعة والتجارية والمرافق العامة ، وكلها كانت ملكا لرأس المال الفرنسى أساسا

***

وكان التحرر اتجاها واضحا فى ميدان الارض الزراعية ، فقضى قانون الاصلاح الزراعى الصادر فى سبتمبر ١٩٥٢ على الملكيات الزراعية الكبيرة التى كانت فى ايدى الاجانب ، واخيرا حرم تملك الاجانب للاراضى الزراعية . وكانت ظاهرة تملك الاجانب للارض الزراعية ذات ابعاد مخيفة فى المغرب العربى. فقد ذكرت لجنة التخطيط التونسية فى تقريرها أن ٤٧٠٠ من الاجانب كانوا يملكون ٦٠٠ الف هكتار من الارض الزراعية . وقدرت الملكية الاوربية للارض الزراعية فى الجزائر بحوالى ٢٫٧ مليون هكتار ، كلها تقريبا بالسهول والاودية الخصبة الواقعة على مقربة من ساحل البحر . وكان الاوربيون يملكون فى المغرب حوالى ٩ فى المائة من مجموع مساحة الارض الزراعية ، ولكن مزارعهم تنتج ٨٠ فى المائة من الطباق ، ٨٥ فى المائة من الموالح ، بل انها لتمثل ربع الانتاج الزراعى بوجه عام

وبعد الاستقلال الذى حصلت عليه البلاد الثلاث سارت فى طريق تعريب الملكية الزراعية ، ففى الجزائر قضى على هذه الظاهرة المخالفة للعدل والمساواة ، وقرر المغرب فى أواخر عام ١٩٦٣ الاستيلاء على مساحة قدرها ربع مليون هكتار ، وقررت حكومة تونس فى مايو من العام الحالى الاستيلاء على جميع الاراضى الزراعية المملوكة للاجانب

وفى الوقت نفسه اصبحت **الحكومات العربية بوجه عام تحيط توظيف رءوس الاموال الاجنبية الخاصة بقيود معينة حتى لا تنتزع السيطرة ، وحتى تمارس نشاطها فى النواحى الانتاجية التى تتمشى مع سياسة المجتمع واهدافه وتتفق مع المخططات المرسومة من اجل التنمية** . هذا الاتجاه لا يتعارض مع مبدأ الاستعانة برأس المال الاجنبى فى النواحى التى يقصر عنها رأس المال الوطنى ، او التى تتطلب انواعا معينة من الخبرة الفنية التى لا تتوافر محليا فى الوقت الحاضر ، ومن ذلك التنقيب عن النفط واستخراجه . وحتى فى هذه الحالة الاخيرة نجد الحكومات العربية تسهم فى رأس مال بعض الشركات

الجديدة التى تأسست لاغــراض البحث والتكرير ، مما تدل عليــه الاتفاقيات التى عقدت فى السنوات الاخيرة فى المغرب وتونس والعربية المتحدة

***

وكان من السمات المميزة للقطاع الزراعى فى الوطن العربى بوجه عام تركز الملكية الزراعية فى ايدى فئة صغيرة من كبار الملاك ، مما كان له اثر سىء بالنسبة الى العــدل فى التوزيع ، اذ كانت الاغلبية الساحقة من أهل الريف من المعدمين والاجراء ، والى الكفاية فى الانتاج بسبب عدم اهتمام كبار الملاك بصفة عامة بادخال الاساليب التكنولوجية الحديثة فى الزراعة ، ولان شــطرا ضخما من دخولهم كان ينفق فى غير الاوجــه الانتاجية ســـواء فى الزراعة او الصناعة مثلا . لهذا كله بدأ اتجاه قوى صوب اعادة النظر فى توزيع الاراضى الزراعية على نحو يحقـــق العدالة النسبية ويوسع بذلك من قاعدة الملكية . ليس الغرض أن تصبح الارض ملكية عامة وانمـــا الغرض هو تحويل المعدمين والاجراء الى ملاك ، وهذا وضع التأكيد عليه الميثاق الوطنى للجمهورية العــربية المتحدة

وكانت العربية المتحدة بالفعل رائدة فى هذا الميدان عند ما أصدرت فى ٩ سبتمبر من عام ١٩٥٢ قانون الاصلاح الزراعى الاول الذى جعل الحد الاقصى لما يجوز أن يتملكه الفرد ٢٠٠ فدان « والاسرة ٣٠٠ فدان اى الوالــدين والاولاد القصر » . ثم توالت التعديلات الى أن استقر الرأى على ما يحقق العدالة ولكنه يحافظ على مبدأى الملكية والارث .

وكان القـــانون المصرى الاول سابقة حذت حذوها بلاد عربيــة أخرى ، فاصدر العراق بعد ثــورة ١٤ يوليو عام ١٩٥٨ قانونا مماثلا جعل الحــد الاعلى للملكيــة ١٠٠٠ دونم من الارض المروية ، وضعف هذا الرقم بالنسبة الى الاراضى التى تعتمد على مياه المطر . وفى سبتمبر من عام ١٩٥٨ ، وبعد الوحدة مــع مصر فى فبراير من العام نفسه ، صدر قانون فى سوريا جعل الحد الاعلى للملكية ٨٠ هكتارا من الارض المروية ، ٣٠٠ من غيرها ، ثم ادخل تعديل على هذه المستويات فى عام ١٩٦٣ . وفى البلاد التى لم تأخذ بهذا الاسلوب فى تحديد الملكيــة بحكم القانون ، تسير الحكومات ــ كما فى الاردن مثلا ــ على قاعـــدة توزيع ما يتم استصلاحه من الاراضى البور ، على صغار الفلاحين والمعدمين بقصد زيادة عدد الملاك من ابنــاء القطاع الزراعى

ودفعا للآثار السيئة المترتبة على صغر حجم الوحدات الزراعية ، ورغبة فى الجمع بين العــدالة فى التوزيع والاستفادة من الانتـــاج الكبير ، وحرصا على اتباع دورات زراعيــة علمية . وعلى أن تسير التنميـــة الزراعية وفق الخطط المرســـومة للاقتصاد القومى ، طبق مبدأ التعاون وكثر عدد الجمعيات التعاونيـــة

الزراعية بشكل ظاهر . وهذا التعاون طبقا لفلسفة الجمهورية العربية المتحدة يمتد على جميع مراحل الانتاج

وثمة ناحية اخرى لها اهميتها القصوى ونقصد بها الاخذ بمبدأ تخطيط التنمية بقصد الاسراع بها من جهة لتعويض التخلف القديم ، ثم التنسيق بين تطور مختلف قطاعات الاقتصاد القومى من جهة اخرى

وأسلوب التخطيط هو ما أخذت به البلاد النامية بوجه عام فحقق نتائج طيبة . وتأسيسا على هذا الاتجاه انشئت فى معظم البلاد العربية مجالس او وزارات للتخطيط ، واستقدمت البعثات والهيئات الخبيرة من الخارج فى بعض هذه البلاد ، ووضعت خطط ذات اجال مقررة ، بدأ تنفيذ بعضها ، والبعض الاخر فى طريقه الى التنفيذ . ففى مصر بدأ المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى ، وهو من منجزات ثورة عام ١٩٥٢ ، نشاطه فى مستهل عام ١٩٥٣ ، ثم انشئت هيئة للتخطيط. وانتهى الامر بانشاء وزارة خاصة بشئونه . ووضعت مشروعات متسقة ، واخيرا اعدت الخطة لمضاعفة الدخل القومى خلال عشر سنوات « ١٩٥٩/٦٠ ــ ١٩٦٩/٧٠ » وسار التنفيذ فيها طبقا للاهداف المرسومة بل وتجاوزها فى بعض النواحي . ووضعت تونس مشروعا للتنمية على عشر سنوات ، وبدأت بالفعل فى تنفيذ ما يعرف باسم « المخطط الثلاثى » . واعد العراق خطة خمسية « ١٩٦١/٦٢ ــ ١٩٦٥/٦٦ تتضمن استثمارات جديدة قدرها ٣ر٥٦٦ مليون دينار منها ٢ر١١٢ مليون للزراعة ، ولكن تعطل التنفيذ بسبب الانحرافات التى فرضت على ثورة العراق فى عام ١٩٥٨ .

واعد الاردن مشروعا للتنمية ينفذ على سبع سنوات اعتبارا من عام ١٩٦٣ وينتهى فى عام ١٩٧٠ ، ويركز على المشكلة الرئيسية التى تواجه هذا البلد وهى الاعتماد على المعونات الاجنبية . ويهدف المشروع الى الاستغناء عن المساعدات الخارجية المباشرة للخزانة ، كما يهدف الى رفع الدخل القومى فى نهاية الفترة الى ١٥٦ مليون دينار . وطبقا للتقديرات يتطلب البرنامج الجديد استثمارات سنوية قدرها ٥ر٢٨ مليون دينار ، نصيب القطاع الخاص منها ١٣ مليونا أى أقل من النصف

وقررت الحكومة السودانية الاخذ بمبدأ التخطيط الشامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فاعدت خطة عشرية (١٩٦٠/٦١ ــ ١٩٧٠/٧١) تهدف الى زيادة الدخل القومى من ٣٥٠ الى ٥٦٠ مليون جنيه سودانى مما يؤدى الى ارتفاع الدخل الحقيقى للفرد بنسبة ٢٥ فى المائة. وتطبيقا للتوصيات التي تقدمت بها لجنة دولية استقدمتها ليبيا ، اعدت الحكومة خطة خمسية خصص لتنفيذها ــ الى جانب موارد اخرى ــ ٧٠ فى المائة من عائدات البترول، ومن هذا كله يتضح لنا ان التخطيط

اصبح الاسلوب الذى تتخذه البلاد العربية من اجل الخروج من دائرة التخلف الذى اثقل كاهلها زمنـــا طويلا

***

ويعتبـــر الوطن العـــــربى فى مجموعه ، باستثناء الجمهـــورية العربية المتحدة ، متخلفا من ناحية التصنيع ، فالصناعة لا تسهم الا بنسبة يسيرة من الدخل القومى . ان الاقتصاد العربى يعانى من افتقاره الى التوازن بين عناصره الرئيسية ، وفضلا عن هذا فقد كان اعتماده على انتاج المواد الاولية ، من زراعيـة ومعدنية ، بقصد التصدير الى البلاد الصـــناعية المتقدمة ، يجعله تحت رحمة الاسواق العالمية وما تتعرض له من تقلبات ، ولذلك فان من ابرز الاتجاهات التى تثير الاهتمـــام فى السنوات الحديثة ، التـــركيز على اهمية الصناعة ، وهو ما تدل عليه المشروعات التى اعدت للتنمية . ففى الاردن مثلا ـ وطبقا لتقديرات مجلس الاعمار ـ زاد الدخل الناشىء عن التعدين والصناعة بنسـبة ثمانى فى المائة خلال الســـــنوات ١٩٥٠ ـ ١٩٥٨ ، مما يشهد به ارتفاع انتاج الفوسفات من ٧ الاف طن فى عام ١٩٥٠ الى ٤٤٥ الف طن فى سنة ١٩٦١ . وتقضى الخطـة العشرية السودانية بأن يرتفع نصيب الصناعة من الدخل القومى من ٩ الى ١٧ فى المائة اى الى الضعف تقريبا . وفى الجمهورية العربية المتحدة اعد برنامج خمسى للصناعة (١٩٥٧ ـ ٦١) ثم خفضت مدة التنفيذ الى ثلاث سنوات ثم أعد برنامج ثان فى عام ١٩٦٠ ، وبعد ذلك أدمج فى الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية ، وطبقا لتقديراتها خصص للصناعة والكهرباء ٥٨٧ر٧ مليون جنيه أى بنسبة ٣٤ر١ فى المائة من جملة الاستثمارات . وفى تونس رصد فى خطة التنمية للسنوات الثلاث ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ ، مبلغ ٢٦٥ر٨ر٠٠٠ دينار منها ٢٩ر٦ر٠٠ دينار ثمن الات ومهمات للصناعة

ومعنى الاهتمام الجديد والسريع الخطى ، وان تباينت سرعة الخطو ، تحقيق التوازن بين عناصر الاقتصاد القومى ، استغلال المواد الطبيعية ، تقليل الاعتماد على الاسواق الاجنبية من أجل الحصول على السلع التى يمكن صنعها محليا ، وتوفير فرص التوظف لاكبر عـــــدد من الايدى البشرية التى تعانى من التعطل الكامل او الجزئى ، وفى هذا التعطل تبديد لطاقة ثمينة

***

ومن الاتجاهات ذات الدلالة البالغة نمو الشعور بضرورة الوحدة بين اجزاء الوطن العربى ، وكثر الحديث عن التكامل الاقتصادى ، وعن الحاجة الى انشاء اتحاد جمركى ، أو سوق مشتركة على غرار السوق الاوربية المشتركة أو السوق المشتركة لبلاد أمريكا الوسطى ، ومن الخطوات الهامة التى اتخذت فى هذا الصدد ، التوقيع على اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين الدول الاعضاء فى الجامعة العربية ، مع اتاحة فرصة الانضمام اليها للبلاد

العربية غير الاعضاء . ثم دخلت حركة الوحدة في مرحلة حاسمة حين توحدت سوريا ومصر في عام ١٩٥٨ وأقامت الجمهورية العربية المتحدة، فكان ذلك خطوة لها شأنها من الناحية الاقتصادية

وفي اواخر مايو عقد اتفاق التنسيق السياسي بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ويلعب فيه التكامل الاقتصادي دورا رئيسيا

***

ولعل اهم الاتجاهات الجديدة التي وضحت بالعالم العربي خلال السنوات القلائل الاخيرة ، والتي تسترعي اهتمام المراقبين من العرب والاجانب **الاتجاه الاشتراكي الذي سارت فيه بعض الحكومات العربية** والذي أصبح شعارا للكثير من المنظمات السياسية، بل اننا لنجد في الوقت نفسه أن المسئولين في بعض البلاد العربية يعلنون انهم يطبقون سياسة اشتراكية وان اختلفت الاساليب التي ينتهجونها مما يؤكد الاتجاه

وكانت الجمهورية العربية المتحدة أول بلد عربي بدأ في تطبيق هذه الفلسفة ، وفسر ميثاقها الوطني الامر بقوله « ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر ، وصولا ثوريا الى التقدم ، لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختياري، وانما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الامال العريضة للجماهير ، كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين» وأعلنت الجزائر انها قررت السير في الطريق الاشتراكي ، كما تحدث الاتفاق الاخير العربي ـ العراقي عن تحقيق العدل لجماهير الشعب العاملة ونص على انشاء لجنة للفكر الاشتراكي .

***

من العرض السابق يبدو واضحا أن وطننا العربي قد طرأت عليه في الميدان الاقتصادي اتجاهات حاسمة. وثورية ، سوف تصل به مافي ذلك شك، الى اهدافها في التقدم والارتقاء

بين خصمين

اختصم رجلان الى الرسول صلى الله عليه وسلم في مواريث وأشياء قد درست ، فقال عليه السلام :

ــ « لعل احدكما أن يكون الحن بحجته من الاخر ، فمن قضيت له بشيء من حق اخيه ، فانما اقطع له قطعة من النار ، فقال كل واحد من الرجلين :

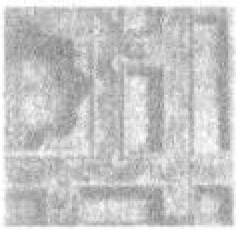
ــ حقي هذا .. لصاحبي

فقال :

ــ « لا .. ولكن اذهبا فتوخيا ، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه »

احمد ابراهيم الشريف :

أبو ذر ... فارس العدالة



أبو ذر الغفاري احد رجال هذه الطبقة الممتازة من صحابة رسول الله، عاصر الانقلاب الديني والفكري والاجتماعي الذي أحدثه الاسلام في الحياة العربية كلها ، وشهد القضية الاجتماعية منذ نشأتها ، فأسهم فيها ورضي منها ، ثم ثار لها ودافع عنها حين ظهر لها خصوم تعرضوا لمقرراتها بالتبديل والتغيير . وأدى الصراع بين انصارها وخصومها الى حدث ضخم هو اكبر ما واجـــه الامة الاسلامية من أحداث مست كيانها حتى عبر عنه في التاريخ الاســلامي بالفتنة الكبرى في عهد الخليفة الثالث عثمان

وأبوذر كان من أول الثائرين من غير شك ومن أظهـر المدافعين ، وهو بذلك صاحب ثورة في هذا الحدث الضخم وان لم يفكر في الفتنة وان لم يدع اليهـا أو يشارك في احداثها من بعد ، فلم يكن الرجل صاحب فتنة ولاداعية فتنة ، وانما كان صاحب مبدأ تهيأت له نفسه حتى من قبل اسلامه ، فهو يحرص عليه ويدافع عنه ، وكان صاحب مثل عليا امتلأ بهـا قلبه بعد اسلامه فهو يدعو اليها ، ويحرض الناس على التمسك بها ، ويثور لها حين يراها تمس

وابوذر كغيره من اصحاب النبي ، ذهب الصدر الاول من حياتهم في الجاهلية على التاريخ فلم يكد يحفظ منه شيئا ، ولم يخلقهم الاســلام خلقا جديدا من حيث حياة نفوسهم وعقولهم وقلوبهم فحسب ، وانمـا خلقهم خلقا جـــديدا في تاريخهم أيضا ، فحجب ماكان من حياتهم قبل أن يسلموا حتى لكأنهم ولدوا بالاسلام ميلادا جديدا

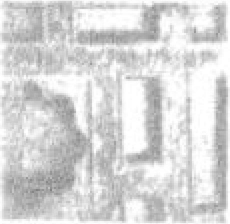
وكل مايعرف التـــاريخ من حياته في الجاهلية أنه رجل من قبيلة غفار الكنانية التي كانت تقيم بين مكة والمدينة على

طريق الشام ، وقد اختلف الرواة حتى في اسـمه فقيل جندب بن جنادة وهو أشهر ماقيل فيه ، وقيل برير بن عبدالله ، وقيل بريرة بن جنادة وقيل غير ذلك . وقد سماه النبي بعد اسلامه عبد الله واشتهر بأبي ذر . وكل ماعرفه له التاريخ من حياته الجاهلية أنه كان منقطعا عن الناس معتزلا لهم ، وأنه كان متبرما بحياة الجاهلية ومثلها ، شاكا في دياناتها وأصنامها ، باحثا عما كان يبحث عنه حكماء العرب من الحنيفية دين ابراهيم في الفترة التي سبقت الاسلام مباشرة ، متطلعا الى دين افضل مما كان عليه قومه ، حتى استقر به بحثه الى التوجه الى الله رب السموات والارض ، فتوجه اليه في صلاته حيث كان قومه من غفار يتوجهون بدعائهم الى مناة

***

روى عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر « لقد صليت يابن اخي قبل أن ألقى رسول الله (صلعم) بثلاث سنين » قال : فقلت « لمن ؟ » قال : « لله » فقلت : « فأين تتوجه ؟ » فقال « حيث وجهني الله عز وجل »

وإذن فقد كانت نفس أبي ذر مهيأة للاسلام قبل أن يسلم ، وكان متطلعا الى الدين الجديد قبل أن يسمع به ، فلما سمع به لم يبطىء أن يشد رحاله الى مكة ، وماكاد يلقى النبي ويسمع منه حتى



أسلم ، فكان خامس خمسة دخلوا في الاسلام . ولم يشأ أبوذر أن يخفي اسلامه كما أمره النبي ويرجع الى قومه فيخبرهم حتى يأتيه أمره ، فانه كان يرى أن على صاحب الحق أن يعلنه ، والا فما حق لايعلن !! ولو لقي فيه أصحابه العنت والاذى ، لذلك قال للنبي « والذي نفسي بيده لاصرخن بها بين ظهرانيهم »

ثم خرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » فقام اليه القوم يضربونه حتى أضجعوه . وأتى العباس وأكب عليه وقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه طريق تجارتكم الى الشام فأنقذه منهم . لكن أبا ذر لم يشأ أن ينصرف حتى يعاود القوم بتحديه ، فعاد من الغد فصاح بمثلها ، وعاد القوم اليه بمثل مافعلوا بالامس حتى خلصه العباس. ثم عاد الى قومه يقص عليهم أمر النبي وأمره ، وأقام بينهم يدعوهم الى الاسلام ويحاجهم ويجادلهم حتى كسب الى الاسلام أكثرهم ، وتريث الباقون منهم حتى قدم النبي اليهم في طريق هجرته الى المدينة فأسلموا جميعا . وظل أبوذر بين قومه حتى هاجر الى يثرب بعد غزوة الاحزاب

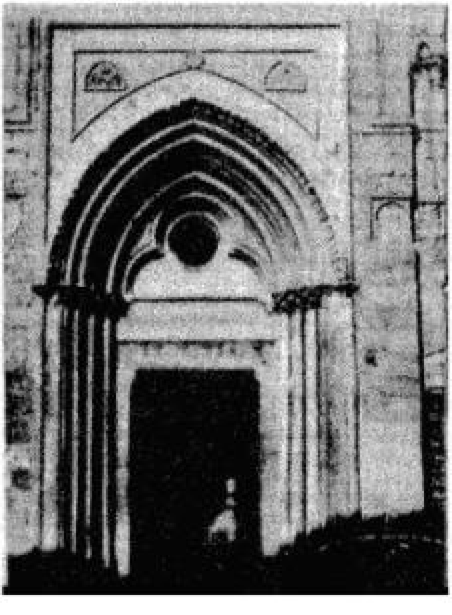
***

هذا كل مايحفظه التاريخ من مواقف لابي ذر في حياته الجاهلية وفي الفترة الاولى من اسلامه . وهو على قلته مفتاح شخصية الرجل : فهو رجل زاهد ، متبرم بنظم الحياة الجاهلية في أيامه ، راغب عن دياناتها وعاداتها ، متطلع الى الاصلاح ، باحث عن الحق ، وهو صريح صادق اللهجة ، شجاع لايكفيه أن يعرف الحق فيختزنه في نفسه مصانعة او تقية ، بل يرى لزاما عليه أن يعلنه في قوة ويدافع عنه في حرارة . تلك سمات أبي ذر ، وهي السمات التي لازمته طول حياته . ومن أجلها أحبه النبي وقربه وأثنى عليه احسن الثناء ، فكان يقول « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء رجلا اصدق لهجة من أبي ذر » وكان يقول « يبعث أبوذر أمة وحده »

تأخرت هجرة أبي ذر الى يثرب حتى انقضت غزوة الاحزاب فلم يشهدها ولم

يشهد من قبلها غزوة أحد ولا غزوة بدر ، ولعله لم يكن أمام ضرورة تلجئه الى الهجرة كالتى الجأت المسلمين من اهل مكة ، فقد كان بين قومه آمنا مطمئنا وقد أسلموا جميعا ، لكن نفسه تاقت الى جوار النبى والى الاخذ عنه مباشرة والى المشاركة فى الجهاد . ولعل نفسه انبعثت للجهاد حين سمع الآية الكريمة تتلى « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » فما يمنعه بعد ذلك من مشاركة اخوانه المجاهدين العاملين على اعلاء كلمة الله ونشر دينه ، والآن فليهاجر . وهاجر أبوذر الى يثرب وشارك فى الجهاد

وفى يثرب لزم المسجد عاكفا على العبادة منقطعا الى الله ، معرضا عن زخرف الدنيا وزينتها ، زاهدا فيما يقبل عليه الناس من مال وجاه ، يلزم النبى طيلة يومه فاذا جن الليل آوى الى المسجد ينام فيه مع جماعة من الفقراء من اصحاب رسول الله لم يكن لهم منازل ولا مأوى غير المسجد حتى عرفوا بأهل الصفة ، وكان النبى يدعوهم اليه بالليل اذا تعشى ليفرقهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم معه .



وقد اراد الله بأبى ذر خيرا ، فقد وجد مابلائم طبعه من الزهد ، وقد فتح الله قلبه وجعل فيه اليقين والصدق ، وجعل لسانه صادقا ، وخليقته مستقيمة ، وأذنه واعية ، وعينه بصيرة ، فسمع من الرسول ووعى ، وتعلم وحفظ ، وتحدث وروى فكان اعظم المحدثين ، وحاكى الرسول فى زهده فكان اشهر الزاهدين . وحفظ عن رسول الله وصايا واقتطعه واستلات بها نفسه واتخذ منها قاعدة حياته : « صل قرابتك وان قطعوك » ، « لاتخش فى الله لومة لائم » ، « قل الحق ولو كان مرا » . ورأى عاملا من عمال الصدقة قدم على النبى ومعه مال وقد قسمه قسمين وقال للنبى : هذا لكم ، وهذا اهدى لى . فظهر الغضب على وجه النبى ووقف يخطب الناس « اما بعد ، فانى استعمل رجالا منكم على امور مما ولانى الله ، فيأتى احدكم فيقول هذا لكم ، وهذه هدية اهديت لى . فهلا جلس فى بيت ابيه او بيت امه ، فينظر ايهدى له ام لا ؟ والذى نفسى بيده لايأخذ احد منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ... » . سمع ابوذر ذلك ووعاه . وقال له النبى يوما : « يا اباذر ، انت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدى » فقال متسائلا : « فى الله ؟ » فقال النبى « فى الله » وقال ابوذر قولة رجل صالح « مرحبا بأمر الله » ومن يومها استعد ابوذر ليقابل ابتلاء الله

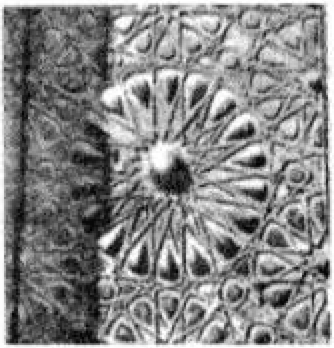
***

مات النبى بعد أن أقام دنيا وأقام دولة ، وأحدث فى حياة العرب بخاصة وحياة الانسانية بعامة انقلابا خطيرا لم تشهد الانسانية له مثيلا . ثم استخلف من بعده « أبوبكر » ثم عمر ، فكانت قاعدة حكمهما أن يسيرا سيرة النبى فى المسلمين ماوجدا الى ذلك سبيلا ، وحاولا أن ينشئا نظاما سياسيا يتحقق فيه العدل السياسى والاجتماعى بين الناس على نحو لم تستطع الانسانية أن تنشىء مثله على ماجربت من تجارب وبلغت من رقى ، وعلى مابلت من فنون الحكم وصور الحكومات ، فلقد سلكت الانسانية فى سبيل الحكم الصالح كل الطرق وجربت كل النظم فلم تنته الى غاية ، ومازالت حتى الآن تشكو الظلم والجور والاستذلال والاستغلال ،

ويبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس الحرية والعدل . وهذا النظام القويم هو الذى حاولت الخلافة الاسلامية فى عهد أبى بكر وعمر أن تنشئه ، فمات أبوبكر والتجربة لم تكد تبدأ ، وقتل عمر وقد خطا بالتجربة خطوات واسعة ، ولكنه لم يصل من عمله الى حد الرضا ، فقد روى عنه أنه كان يقول فى آخر خلافته « لو استقبلت من امرى ما استدبرت لأخذت من الاغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء » . واذن فقد كان عمر يرى أنه لم يبلغ من تحقيق العدل الاجتماعى ماكان يريد ، مع أن الناس جميعا لم يعرفوا أميرا حاول من العدل ماحاول عمر ، وحقق منه ماحقق عمر

كانت القاعدة الاساسية التى أقام أبوبكر وعمر عليها نظام حكمهما هى أن يسيرا سيرة النبى من المسلمين . وسيرة النبى من المسلمين معروفة الى أبعد حدود المعرفة ، وكان قوام هذه السيرة تحقيق العدل المطلق الخالص بين الناس . ولسنا فى حاجة فيما نظن الى أن نقيم دليلا على ذلك ، وبحسبنا أن نذكر أن الاسلام جاء بقضيتين اثنتين : ـ أولاهما التوحيد ، وثانيتهما المساواة بين الناس « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير »

وكان مايغيظ قريشا من النبى ودعوته أنه كان يدعو الى هذا العدل والى هذه المساواة ، فلم يفرق بين السود والسود ، ولا بين الحر والعبد ، ولا بين الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، وانما الناس سواسية كأسنان المشط لايمتاز بعضهم على بعض ولايصح أن يستعلى بعضهم على بعض . ولولا هذا الذى دعا اليه النبى من العدل والمساواة لما سخطت عليه قريش، فلو دعاها الى التوحيد وحده دون أن يعرض لنظامها الاجتماعى والاقتصادى ، لما عارضته ولما خاصمته ، فما كانت قريش مؤمنة بأوثانها وأصنامها ايمانا خالصا ولا كانت حريصة على آلهتها حرصا صادقا ، وماكانت قريش الا شاكة ساخرة تتخذ من هذا الدين الوثنى وسيلة لاستهواء العرب واستغلالهم . ولكنها سخطت على النبى لأنه عرض لنظامها



الاجتماعى فسوى بين الحر والعبد والغنى والفقير والقوى والضعيف ، وعرض لنظامها الاقتصادى فألغى ما ألغى من الربا وأخذ من أموال الاغنياء ليرد على الفقراء ، وفرض نوعا من العدل لايلائم منافع سادتها وكبرائها

فالمساواة بين الناس أحد الاساسين اللذين قام عليهما الاسلام ، وهما التوحيد والعدل . وقد سار النبى من أصحابه فى مكة وفى المدينة سيرة قوامها العدل المطلق فى الجليل من أمرهم وفى الخطير ، حتى استقر فى نفوس المسلمين أن العدل ركن من أركان الاسلام الاساسية ، وان الانحراف عنه انحراف عن الاسلام . ولقد مضى النبى فى رعاية العدل الى أبعد الحدود الممكنة حتى لقد كان من أصحابه من يستطيع أن ينكر عليه بعض مارأى من تصرفاته ولم يفهمها ، فلقد رأى بعضهم النبى حين قسم غنائم حنين يتألف بعض حديثى الاسلام فيعطيه أكثر من حقه ، فقال له : اعدل يامحمد فانك لم تعدل ، وكررها

حتى غضب النبي وقال له : ويحك ! لمن يعدل اذا لم اعدل ؟!

وهم بعض المسلمين أن يبطش بالرجل ، ولكن النبي كفهم عنه محتفظا لاصحابه بحريتهم وحقهم في المشورة والاعتراض والنقد . ثم سار في سنة العدل الى ابعد الشوط فكان لايؤثر نفسه بخير دون اصحابه الا ان يؤثره الله بهذا الخير في امر يوحيه اليه في القرآن ، فكان يشاورهم وينزل عند مشورتهم ، وكان يحارب معهم ويسالم معهم ، وكان يبني معهم المسجد ويحفر الخندق ويحمل التراب والاحجار كما يحملون ويتغنى معهم كما يتغنون ليستعينوا بالغناء على مشقة البناء والحفر ، يرى نفسه واحدا منهم قد آثره الله بالوحي والنبوة فلم يشأ ان يؤثر نفسه بأكثر مما آثره الله . وكتب السيرة والسنن تروي انه في مرضه الذي فارق به الدنيا سأل عن شيء من المال كان قد بقي عنده من مال المسلمين فأخرجه الى الناس ولم يبق منه شيئا ، وتوفي وهو لايملك صفراء ولا بيضاء ، واشتد على نفسه في ذلك واشتد عليه الله فيه أيضا ، ولم يكتف بالشدة مع نفسه بل اشتد على أهله في ذلك فقال « نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركناه صدقة »

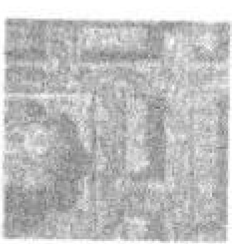
***

وشهد ذلك كله أبوبكر ووعاه ، وامتلا به قلبه ورضيت عنه نفسه . ثم شهد بعد ذلك صاحبي النبي من بعده يجتهدان أن يلحقا ملحقه ويسيرا سيرته ما استطاعا الى ذلك سبيلا : رأى ابابكر وقد صار خليفة يتولى امر المسلمين ويقف جهده ووقته على هذا الامر ، يريد أن يسعى في الارض يكسب قوته وقوت عياله كما يفعل الناس من حوله ، ولولا ان كفه الناس وفرضوا له رزقا من بيت المال لمضى لما يريد . وهم حين فرضوا له لم يوسعوا عليه من الرزق وانما اعطوه مايقيم أوده وأود أهله . وقد سار أبوبكر سيرة النبي نفسه فتحرج أن يموت وعنده من أموال المسلمين شيء ، فأوصى اهله انيردوا على عمر شيئا يسيرا كان عنده من أموال المسلمين، وقد رد أهله هذا الشيء اليسير الى عمر فقبله باكيا ، وقد كره أن يقول أبوبكر لربه رده اهلي وأبى عمر أن يقبله

ولم تطل خلافة ابي بكر ، ولكن خلافة عمر تجاوزت عشر سنين ، فأتيح له ان يرى الناس من عمله عجبا ، حتى لايكاد الناس يصدقون مايسمعون ، ويزعمون ان الرواة تكثروا فنسبوا الى عمر ما لا تكاد تصدقه النفوس لولا ماتثبته التاريخ الصحيح مما يلائم سيرة عمر وطبعه من الاحداث

***

كان عمر شديدا على الناس الى اقصى حدود الشدة في ذات الله ولكنه كان على نفسه أشد منه على الناس ، وماتعرف التاريخ الانساني كله يستطيع انيجد نظيرا في هذا الضمير الحي الحساس المتحرج الذي يخاف على نفسه مالايخاف وينكر من نفسه مالا ينكر ويأخذ نفسه من ضروب الشدة والعنف مالايأخذ به الرجل نفسه الا ان يكون من أولى العزم من الرجال . ويعرف التاريخ ان عمر حين رأى الشدة تنزل بالمسلمين في « عام الرمادة » ابى الا ان يشارك الناس في شدتهم بل أن يشارك فيها أعظمهم حظا من الفقر والضيق ، بل انه اشتد على اهله لتتبع أحوالهم حتى يشاركوا الناس فيما نزل بهم . وكان اذا نهى الناس عن شيء وحذرهم العقوبة ان فعلوه جمع اهله وقال لهم : اني قد نهيت الناس عن كذا وحذرتهم العقوبة انأتوه ، وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم ... فلا اعرفن أن أحدكم قد اتى مانهيت عنه الناس الا اضعفت له العقوبة



واذا كان عمر قد حرص على المساواة بين الناس وبين انفسهم وبين الناس وبين نفسه واهله ، فانه كان حريصا على أن يقيم بينهم العدل فى الاموال ، ففرض لكل واحد عطاءه رجلا كان ام امراة أو طفلا ورأى النساء يرفعن اطفالهن عن الرضاعة حتى يفرض لهم لانه كان لايفرض للطفل الا بعد الفطام ، فتألم لنفسه وفرض للطفل من حين الولادة

ولكنه رأى الثراء يزداد بين الاغنياء من عطائهم ومما يكسبون فلم يرض من ذلك ولم تطب به نفسه حتى قال : لو استقبلت من امرى ما استدبرت لاخذت من الاغنياء فضول اموالهم فرددتها على الفقراء . ولو مد لعمر فى أسباب الحياة لكان من الممكن أن يرى منه التاريخ الاسلامى فى اشتراكية المال عجبا

لقد كان عمر يرى ويعلن أن المال الذى يأتى من الفىء ومن الجزية ومن الخراج ملك المسلمين جميعا لايستأثر به واحد دون الناس ولايستأثر به فريق من الناس دون فريق ، وكان يرى أنه المسئول الاول والاخير على هذا المال أولا ورده الى أهله ثانيا . وكان يقول : لو ند جمل من ابل الصدقة فى ابعد الارض او أصابه مكروه لخشيت أن يسألنى الله عنه يوم القيامة وان عشت ليأتين الراعى فى جبل صنعاء نصيبه من هذا المال

ثم كان عمر يتحرج فى أخذ الصدقات الا بحقها ، وكان يأمر عماله بالعدل فى اخذها من كل حى من احياء العرب ثم يردوها على فقرائهم حتى يستغنوا من المسألة ثم يعودون عليه بالفائض فيصرفه فى حيث أمر الله فى القرآن

وهو الى كل ذلك لم يخص أهله بولاية ولا عمالة ولا يحمل منهم أحدا على رقاب الناس ، وحتى الخلافة لم يرشح لها واحدا من اهله مع من رشح

ورأى أبوذر كل هذا من الصاحبين فقرت به عينه ورضيت به نفسه فان ما امتلأت به نفسه من سيرة الرسول ومن هدى القرآن ومن مثل الاسلام رآه يسير على خير مايراد له فى حياة الخليفتين

وطعن عمر وآلت الخلافة الى عثمان على عهد منه للمسلمين عند اختياره أن يسير على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصاحبين ، وبايع أبوذر عثمان كما بايع غيره من المسلمين ، وفى نفسه أمل أن تجرى الحياة مجراها الذى علمه وشهده وآمن به ورضى عنه . ولكن التجربة التى بدأها النبى وسار فيها صاحباه لم يكتب لها ان تكتمل . فقد تغيرت ظروف الدولة بما تم من الفتوح وبما كثر من الفىء والجزية والخراج ، وتغيرت أحوال المسلمين بما كثر لديهم من المال ، وما يستتبع الثراء من شهوة المال وشهوة الاستمتاع وشهوة السلطان ، وتغيرت ظروف السياسة بما تغير من شخصية الخليفة ولينه وبره بأهله وايثارهم بالصلة والبر ، وتسلط هؤلاء الاهل عليه حتى حادوا به عن طريق صاحبيه

ورأى أبوذر هذا التغير كله فراعه الامر وهاله هذا التحول فى طريق التجربة الاسلامية ، ورأى لزاما عليه أن يستجيب لوصايا النبى فلاتأخذه فى الله لومة لائم وأن يقول الحق ولو كان مرا وان يستعد ان يبتلى فى الله

رأى كثيرا من اصحاب النبى يجمعون الاموال ويكنزون الذهب والفضة ويقتنون الضياع فى الامصار ويبنون الدور والقصور ، ويتصرفون الى ثرائهم والى قصورهم ، بينما تزداد طبقة الفقراء من حولهم . ورأى الخليفة يوسع على نفسه وعلى أهله بما لم يعهده من قبل فى حياة النبى ولا صاحبيه ، ورآه اذا عوتب تأول وقال كان ابوبكر وعمر يشتدان على اهلهما مرضاة لله وانا اصل رحمى واوسع على أهلى مرضاة لله ، وكان ذلك يجوز لو انه توسع من ماله الخاص ، ولكنه انما يتوسع من مال المسلمين ، ورآه يختص أهله بالولايات على غير استحقاق وعلى غير سابقة وعلى غير امتياز ، ثم اذا أساءوا السيرة وحادوا عن الجادة لم يعزل منهم احدا الا مكرها على العزل فكأنه يحملهم على رقاب الناس . ثم رأى هؤلاء العمال يستبيحون لانفسهم التصرف فى مال المسلمين ، فاذا سئلوا قالوا الفىء مال الله وهم عليه قوامون مادام الله قد جعل السلطة فى أيديهم

وآن لابى ذر الا تأخذه فى الله لومة لائم . رأى عثمان يعطى مروان بن الحكم مالا كثيرا ، ويعطى أخاه الحارث بن الحكم



لثلاثمائة ألف درهم ويعطي زيد بن ثابت الانصاري مائة ألف ويعطي غيرهم ، ويستمر في العطاء ، فينكر أبو ذر ذلك ويستكثره ويقول « بشر الكانزين بالنار» ويتلو قول الله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم »

ويشكو مروان ابا ذر الى عثمان فيرسل عثمان ينهاه ، فيقول أبو ذر : اينهاني عثمان عن كتاب الله وعيب من ترك أمر الله ! لان أرضى الله بسخط عثمان احب الى من ان ارضى عثمان بسخط الله .

واستمر أبو ذر في نقده وعيبه ودعوته الى القناعة والقصد وتبغيضه جمع المال حتى كان يوما عند عثمان وعنده كعب الاحبار ، ويسأل عثمان كعبا ! أيحل للامام ان يقترض من بيت المال ، فاذا أيسر ردها القرض ؟ ويجيب كعب : — لا أرى بذلك بأسا . فيغضب أبو ذر ويقول لكعب : يابن اليهودية اتعلمنا ديننا

فيغضب عثمان ويأمر أبا ذر أن يلحق بالشام

وفي الشام يقول ماقال في المدينة ويجتمع اليه الفقراء يسمعون له ويؤمنون على قوله ، فهو ينكر على معاوية أن يقول مال الله ولا يقول مال المسلمين ، وينكر عليه أن يبني الخضراء ويقول له ان كنت بنيتها من مال المسلمين فهي الخيانة وان كنت بنيتها من مالك فانما هو السرف . ويقول ويل للاغنياء من الفقراء

وخاف الاغنياء وشكوا الى معاوية ، وخاف معاوية فشكا الى عثمان

وأمر عثمان بتسيير أبي ذر من الشام غير حفي على مركب وعر . فلما بلغ المدينة مضى في دعوته يبشر الاغنياء بمكاو من نار ، ويعيب على عثمان أنه أطلق يده في مال المسلمين وأنه يستعمل على الولايات الاحداث وأبناء الطلقاء ، حتى ضاق به عثمان . فنفاه الى الربذة ليعيش وحيدا في الصحراء ونهى أن يودع ، لكن ناسا غضبوا له ممن كانوا على مثل رأيه فقد غضب له عمار بن ياسر فكاد عثمان ينفيه مثله وغضب له علي بن أبي طالب وتلاحى الرجلان وتحدى علي عثمان وقام المهاجرون الى عثمان فلاموه

كانت معارضة أبي ذر تتصل قبل كل شيء بالنظام الاجتماعي ، فقد كان يكره أن يغنى الغني حتى يكنز الذهب والفضة ، ويفتقر الفقير حتى لايجد مايسد حاجته ، وكان يكره أن يعطي الخليفة مال المسلمين للاغنياء فيزدادوا غنى ويزداد بذلك الفقراء فقرا . ويؤثر بالمال قوما لا حاجة لهم بالمال بينما يصرف المال عن المصالح العامة ، ثم كان يرى أن له الحق في أن ينقد ويعترض وليس الخليفة أن يسكته

***

ثم ازدادت معارضة ابي ذر وتعقدت فانتقلت الى السياسة فلم يكتف بلوم الخليفة وعماله على اطلاق أيديهم في المال بغير حق ، وانما جعل ينكر على الخليفة سياسته في التولية والعزل وايثار الاحداث وابناء الطلقاء على اصحاب السابقة والكفاءة

وهو مع كل هذه المعارضة لم يكن نزاعا الى فتنة ولا نازعا يدا من طاعة ولاممتنعا من الخليفة ان عاقبه ، وكان يقول :امرت ان اطيع وان امر على عبد مجدع . وقال للذين طلبوا اليه أن يقودهم الى الثورة الايجابية : لو صلبني عثمان على جذع من جذوع النخل لما عصيت

كانت معارضته اذن نقدا يرى له الحق فيه ، ومعارضته يبغي الاصلاح ورد الامر الى نصابه . ومع انه لم يوضع في فتنة ولم يدع لها ، ولم يقد ثورة ولم يعد لها الا انه هيأ لها ووضع بذرتها فنمت ، ولم يكتب له أن يشهدها فوافاه اجله في الربذة وحده الا من غلامه وامرأته وتحققت نبوءة النبي حيث قال : «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده »

رمسيس يونان:

تولوز لوتريك

أعظم المتشردين!



منذ مائة عام ، ولد لوتريك ، أعظم المتشردين ، وأقصر الرجال ، وأقدر

قزم

دمي، ضخم الرأس ضـــخم الأنف متفلطح الشفتين .. يرتدى الفخر الثياب ويتوكأ على عصـــا .. يمشي مشية البطريق فيجر ساقيه الصغيرتين جدا .. اذا نظرت فى وجهه الهيب بلحيتـــه ونظارته وقبعته المستديرة ، حسبته قاقسـيا او عضوا بالأكاديمية .. لكنه كان لايرى مع عصبته الا فى حانة او دار لهو او فيما هو اسوا من ذلك صيتا .. وكان لايجلس فى مكان حتى يأخذ فى رسم ما ترصده عينـاه اللتان شبهتا بعيني صقر ، فلا يكاد يكف عن الرسم والصخب واحتساء الخمر طوال الليل

هكذا كان الفنان المبدع هنرى ده تولوز لوتريك ، أو هكذا كان يبدو على الاقل .. وقد اشتهر حى مونمارتر فى تاريخ الفن بانه موطن ذلك النوع الخاص من العربدة الذى شاع بين العديد من الفنانين والشعراء منذ اواسط القرن التاسع عشر ، وصور هنرى مبرجيه طرائفه فى روايته الشهيرة : « مشاهد من حياة البوهيمية » التى صدرت عام ١٨٥١ . لكن هذا الحى لم يشهد قط دون ريب — على كثرة ما رأى من عجائب — شخصية أغرب مظهرا ومسلكا من شخصية هذا الفنان

وكان أبوه الـــكونت الفونس ده تولوز لوتريك ، وأمه الكونتيسة أديل ، من سلالة أسرة من أعرق الأسرات الارســتوقراطية ، اشتهر رجالها فى تاريخ فرنسا بالفروسية وروح المغامرة وحدة اللسان والولع احيانا بالملذات الى حد الفجور . وقد تمثلت كل هذه الصفات فى الوالد الفونس ، الى جانب غرابة فى الاطوار نادرة المثال . أما الام فكانت امراة رقيقة مثقفة ، خاب أملها بعد زواجها من ابن خالتها ، فوجهت كل رعايتها وحبها الى هذا الابن الوحيد . وقد دل هنرى منذ نعومة اظفاره على ألمعية وولع بالمزاح وعناد فى الطبع حتى لقبـــوه بالطاغيـــة الصغير . وبفضل ذكائه تعلم اللاتينيـــة واليونانية القديمة قبـل أن يبلغ الثامنة . وبفضل قوة شـــخصيته ، كان لا يتوسـط جماعة من الصبية حتى يبرز من بينهم لتؤول اليه زعامتهم . غير ان هذا الصبي المتوقد الجنان الدائب الحركة كان على خلاف آبائه وأجداده قصير القامة ضعيف البنية الى حد الهزال ، والى حد الحاجة الى التوكؤ على عصا . وقـــد انتقلت به والدته ، عمـــلا بنصيحة الاطباء الى الريف وشواطىء البحر، حتى يشتد عوده . الا أن كل ذلك لم يجد الا قليلا

وحدث وهو فى سن الثالثة عشرة أن زلت قدمه فوقع على الارض . فكانت نتيجة هذا الحادث التافه أن تهشمت عظمة فخـــذه اليسرى عند ملتقى الحرقفة . وما ان يمضى عام أو نحو ذلك حتى يتعثر مرة أخـرى فتتصدع عظمة فخذه اليمنى . وكان الاطباء قبل ذلك يأملون فى الشفاء ، لكنهم بعد هذا الحادث أجمعوا على اليأس من علاجه

***

ولا شك أن لوتريك قد أدرك عندئذ أنه لم يخلق لتلك الحياة الارستقراطية — حياة الغزل والفروسية والقنص — التى كان يؤهله لها مولده ونشأته . فهل يظل قعيدالبيت ، منطويا على نفسه ، منزويا عن أعين المجتمع، لا يتلقى — على أحسن تقدير — غير نظرات الأسى والعطف من قومه ؟! . كلا ! ان كل ما يجرى فى عروقه من دماء حارة ، وكل ما ورثه عن أجداده من عناد وصلابةمراس ،



من صور عذابه بالالوان ...

في ثياب مهرج ...!

ليثور على هذا المصير ، ويحمله على تحدي الاقدار ومواجهتها ندا لند . وقد كان منذ طفولته يهوى الرسم ، واشتدت هوايته هذه في اثناء الشهور الطويلة التى اضطر لقضائها ملازما لفراشه ، فقرر ان يكرس للفن مستقبله ، ليستعيض بهالته عن شرف محتده ، هذا الشرف الذى لم يعد بوسع مسخ مثله أن ينتسب اليه

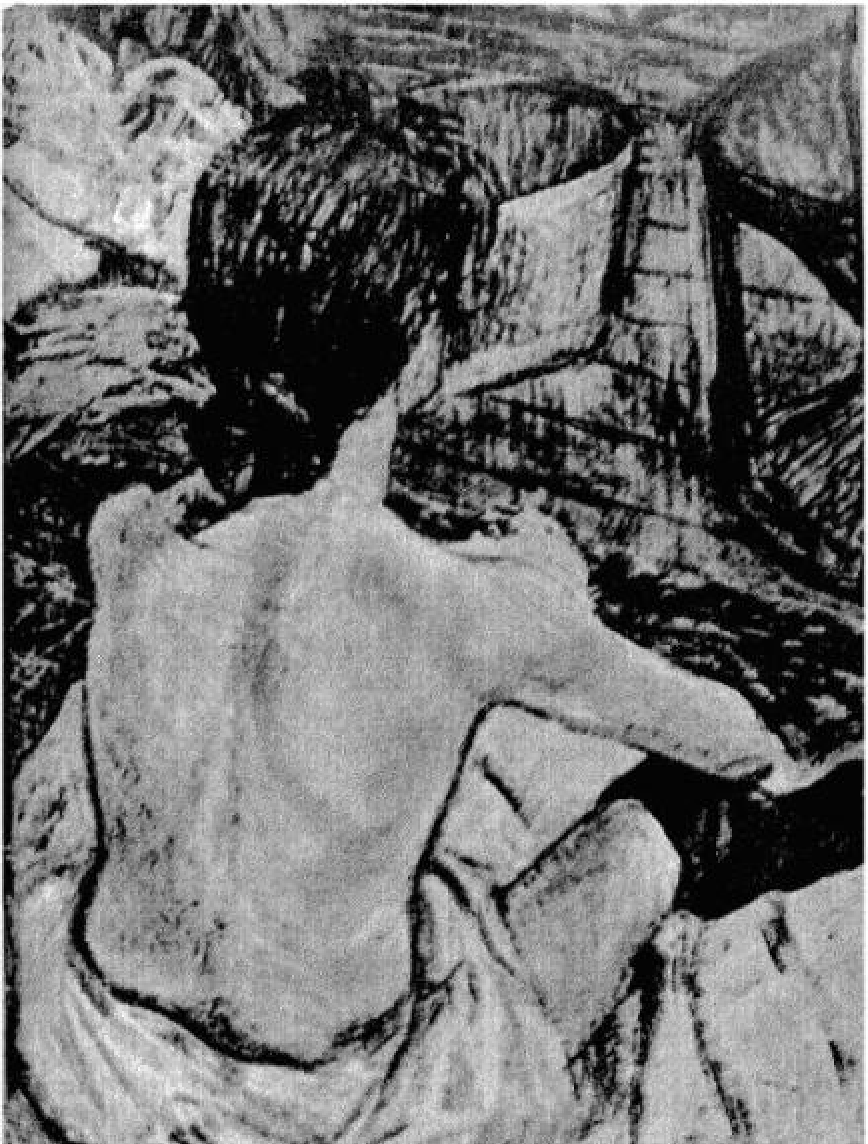
وانتقل الفتى الى باريس ليدرس في مرسم فنان أكاديمي مرموق يدعى « بونا » اشتهر بصور البورتريه التى كان لايرسمها الا لكبار الشخصيات في عصره ، فينال بفضلها الجوائز والاوسمة والنياشين ، ولكنه كان لايكاد يعرف في الواقع من الفن الا ما يكفى من الصنعة لتجميل الوجوه وابراز بريق الثياب والاحذية الفاخرة . واقبل الفتى على الدراسة في جد ونشاط عظيمين ، واستمع لنصائح استاذه وارشاداته في صبر لاينفد ، وكتب لاهله يقول انه قد ادرك الان أن تعلم الفن اشق مائة مرة من تعلم اللاتينية او اليونانية القديمة .. على أن « بونا » لم يلبث أن اغلق مرسمه ، فانتقل طلبته الى مرسم فنان آخر يدعى « كورمون » اشتهر بتصوير المشاهد التاريخية والاسطورية

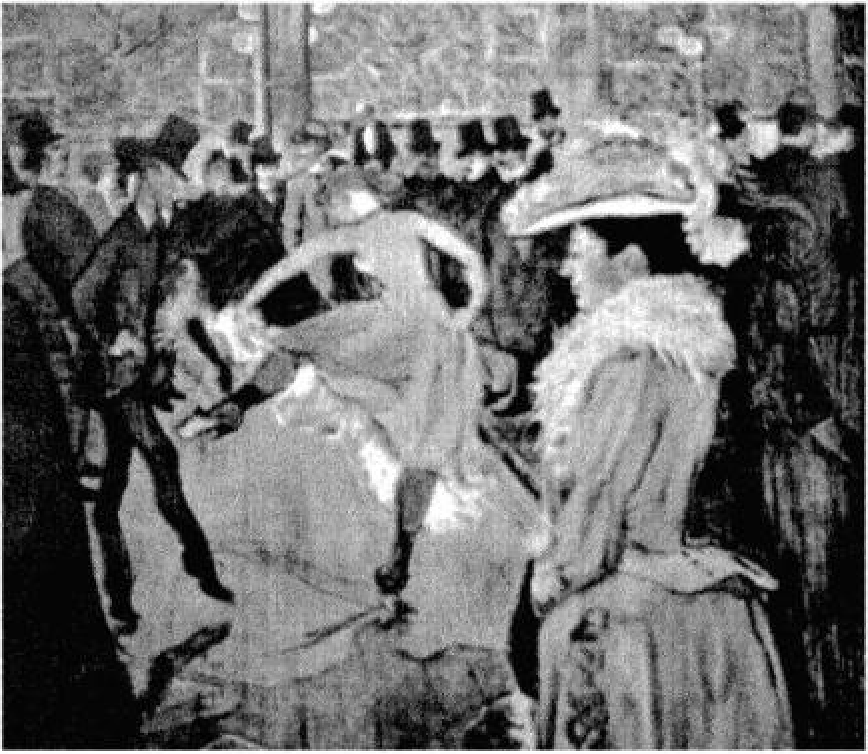
***

ولنتوقف لحظة لنتصور حال لوتريك عندما دخل أول مرة مرسم « بونا » وقد أخذ يجر ساقيه الصغيرتين جرا الى مكانه وسط الطلبة ، ثم قفزه ليحتل المقعد المرتفع امام لوحة الرسم .. ولنتصور ما اصابه عندئذ من نظرات هؤلاء الطلبة وتعليقاتهم الصريحة أو المهموسة .. كل ذلك كان خليقا بان يحمل أى فتى مثله على غض الطرف خجلا والانطواء على النفس . لكن لوتريك كان من معدن آخر . فقد كان هو اول من يسخر من نفسه . وكان بارع النكتة لطيف المعشر شديد الولع بحكاية النوادر ويطرب اشد الطرب لسماعها . وهكذا لم يلبث الا قليلا حتى التف من حوله الصحاب والخلان ، بل أصبح هو وسطهم بمثابة القائد ، يتبعونه حيثما ذهب ، ويستجيبون لنزواته وأهوائه

على أن مرسم « كورمون » لم يكن مجرد مكان للدراسة الاكاديمية وحكاية النوادر . فقد كانت تثور هناك بين الطلبة مناقشات حامية حول المذاهب الفنية الجديدة التى أخذت تغزو باريس ، فتثير سخط الاكاديميين من ناحية ، وحماس طائفة من المعجبين من الناحية الاخرى

ولنذكر في هذا الصدد أنه عندما ولد لوتريك كان قد مضى نحو أربعين عاما على انتصار الحركة الرومانتيكية في صالون ١٨٢٤ . وعند عرض « مانيه » « لوحته اوليمبيا » التى اثارت عاصفة هوجاء ، كان لوتريك لم يزل طفلا يحبو . فلما كان في العاشرة من عمره . أقيم معرض « التأثريين » الاول . وبينما هو طالب في مرسمه كورمون ، أقيم معرضهم السابع ، كما أقيم معرض







تخصص لوتريك في رسم الراقص والراقصات، وفي التقاط المفارقات بين «الوقار.. والخلاعة»

استلهم لوتريك الرسام «ديجا» ورسم هذه الصورة «التواليت» (١٨٩٦)



كبير للفن الياباني الذي كان قد أخذ يثير اهتمام المجددين من الفنانين الاوربيين

ولم يكن من طبع لوتريك أن يعنى بالنظريات والمذاهب . ولكنه كان ذا حس مرهف ، ونفس متطلعة متفتحة ، وعين تبصر وتميز الغث من السمين . فاستمالته الرسوم اليابانية بصراحة ألوانها ورشاقة خطوطها واناقة تكويناتها ، كما استمالته أساليب التأثريين في استخدام الألوان .

على أنه — على خلافهم — ظل طوال حياته ينفر من الرسم في الخلاء.

وتأثر لوتريك بعد ذلك بفنان جورج ، الذي زامله بعض الوقت في مرسم «كورمون» . وتأثر أكثر من ذلك بفن « ديجا » الذي اشتهر بلوحاته التي تمثل راقصات الباليه . لكن الطابع المميز لفن لوتريك انما جاءه من شخصيته هو وحياته . وأنه ليندر أن نجد رساما امتزج فنه بحياته مثلما امتزجا عند هذا الفنان . فلنعد الى ما كان من أمره بعد التحاقه بمرسم « كورمون »

كان هذا المرسم يقع عند اطراف حي مونمارتر . فأخذ لوتريك يتردد مع صحابه على حانات هـــذا الحي ، ثم لم يلبث أن هجر منزل أسرته الواقع بأحد أحياء باريس الراقية ، ليستقر في قلب مونمارتر . وكان عندئذ في نحو العشرين من عمره . ومنذ ذلك تبدأ حياته الفنية ، وحياته البوهيمية على حد سواء.

وكانت الحركة البوهيمية في فرنسا لدى نشأتها في أواسط القرن التاسع عشر حركة رومانتيكية عمادها طائفة من شباب الفنانين والادباء من ابناء الطبقة البورجوازية السائدة ، لم يرق لهم اسلوب الحياة التي كان يحياها آباؤهم . ولا ليمهم ومثلهم المتركزة في مجرد النجاح المادي . فتملصوا من قيود وسطهم سعيا وراء المغامرة . ونشدانا لمتعة الحياة في شتى صورها . لكن الجيل التالي من البوهيميين — جيل كورجيه وزولا وشانفلري — كان من نوع آخر ، اذ ان معظم هؤلاء الفنانين والادباء كان من أبناء الطبقات الفقيرة ، فكانت حياة الصعلكة والبوهيمية امرا طبيعيا بالنسبة اليهم . وليست شيئا مصطنعا كما كان الحال في الجيل السابق . لذلك كان هذا العصر هو عصر الواقعية والناتورالية . على أن هذا العصر الواقعي يبدو رومانتيكيا بالقياس الى العصر الذي يليه ، والذي مهد له بودلير.

عارية (١٨٩٢)



وتعني عصر فرلين ورامبو ولوتريامون وبوجان وفان جوخ . وفي هذا العصر بالذات نشأ تولوز لوتريك

ولما كانت هذه الحركة مبعثها الثورة على المجتمع البورجوازى ، وعلى القانون البورجوازى ، فقد كان من الطبيعى أن يعلن الفنان أو الاديب البوهيمى تضامنه مع كل من هم فى حكم المنبوذين من هذا المجتمع ، أو الخارجين على قانونه . ولم يجد البوهيميون رمزا تتمثل فيه حياة هؤلاء المنبوذين خيرا من شخصية المومس ، فاقتربوا منها واستوحوها ، وهكذا لعبت هذا الرمز فى فنونهم وآدابهم دورا اشبه بدور « فينوس » فيما سبق من عصور ، أو بدور « العذراء » لدى الفنانين الكاثوليك . ومن هنا كانت قصة « نانا » لزولا مثلا ، أو لوحة « أوليمبيا » لمانيه

وقد كان تولوز لوتريك ـ كما ذكرنا ـ سليل أسرة ارستقراطية . غير أن مزاجه الخاص ، بالاضافة الى عاهته الجسمانية قد حملاه على الخروج من نطاق هذه الاسرة والتمرد على المجتمع ، ثم اللحاق بزمرة الفنانين المتشردين . وكان انتقاله للحياة فى قلب مونمارتر أول علامات هذا الانفصال

***

ولم تكن مونمارتر فى ذلك الحين على صورتها المعروفة اليوم ، وانما كانت أقرب الى صورتها قبل ضمها الى باريس عام ١٨٦٠ عندما كانت ضاحية خضراء التلال تنساب وسطها مياه الينابيع ، وترتفع على رباها طواحين الهواء ، وتنتشر فى مروجاتها قطعان الماعز ترعاها فتيات صغيرات ساحرات العيون . غير أن جمال الموقع ، ورخص الحياة ويسرها وتحررها ، قد اجتذب اليها

اقتحم لوتريك كل شيء .. حتى المخادع ليلتقط بعينيه الجارحتين .. صورا ومواقف (١٨٩٥)

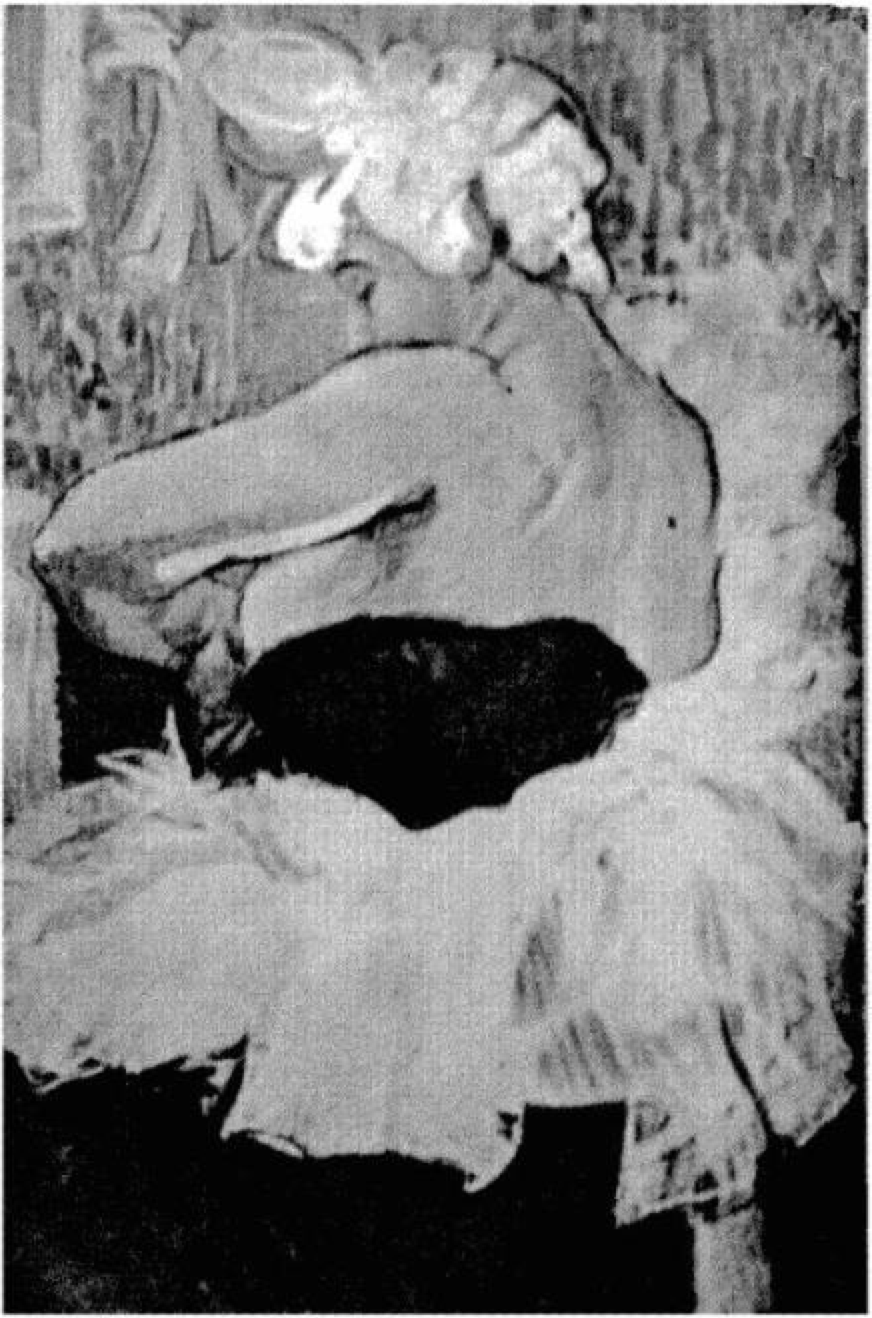




اعجب لوتريك بمهرجي وفنانات السيرك (١٨٩٥)

لا تصدق هذا الوقار .. ان هذا النهم زبون دائـــــم (١٨٩٣)







انتظـــار ..!

الضاحية الفنانين ، فما لبثت أن انتشرت فيها « الاتيلييهات » ، كما انتشرت الحانات والكباريهات الكبيرة والصغيرة ، الى جانب تلك الدور المخصصة للغناء « شانسونييه » التي اشتهرت بها باريس ، حيث ينشـد المتشدون نماذج من الشعر الجديد تارة ، ويترنمون بأهازيج قديمة أو حديثة لا تخلو من فجور تارة أخرى ، ويتهـكمون على المحافظين من الساسة ، أو رجال المجتمع بأغاني لا تخلو من بذاءة تارة ثالثة

وكان بعض هذه المقاهي أشبه بنواد يلتقي فيها الشعراء والمثقفون والفنانون ، وأخـذ لوتريك يتردد على واحد منها يدعى « القط الاسود » « لبشانوار » كما أخذ يتردد على كباريه شهير يدعى « مولان دلا جاليت » وقد اجتذبته اليه راقصة فاتنة في الثامنة عشرة من عمرها كانت تلقب « بالمتهومة » « لاجول » اشتهرت برقصة الكانكان كما اشتهرت بجسارتها وفجـورها ، فخلد كما صورتها في العشرات من لوحاته

وفي هذه الاثناء تعرف لوتريك بموديل حسناء كثيرا ما استوحاها رنوار وديجـا وبوفي ده شـــافان في لوحاتهم وتدعى سوزان فالادون . ولم يكن أحد يعلم في ذاك الحين أنها هي نفسها تهـوى الفن وتمارسه خفية . ويبدو أنها اعجبت بفن لوتريك القوى التعبير ، وكانت هي امرأة ذات شخصية قوية مستقلة ، ولا تتحرج في علاقاتها الجنسية ، فاصبحت موديله المختار وظلت عشيقته فترة من الزمن . وقداشتهر اسم سوزان فالادون بعد ذلك باعتبـارها والدة الفنان المعروف موريس اوتريللو

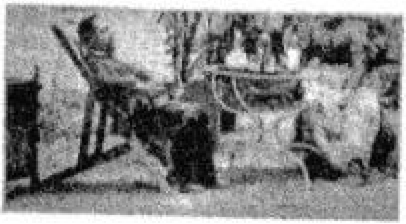
واذا قارنا اللوحتين اللتين رسـمهما لوتريك لسوزان بما رسمه لها رنوار من لوحات ، تبين لنـا الفارق واضحا بين شـخصيتي الفنانين . فرنوار في لوحاته يتغزل بمفاتن جسم هـذه الحسناء ذات العشرين ربيـعا ويتغنى بعينيها الزرقاوين وشفتيها العريضين ونديها الناهدين وشعرها الطويل الغـزير ، على حين يعنى لوتريك بالكشف عن شـخصيتها القـوية ، ويرسم شفتيها مطبقتين وعينيها ساهمتين تنمان عن أسى دفين

ورويدا رويدا يتبلور اسـلوب لوتريك الخاص في التصوير ، فتبرز معالمه جلية في لوحة كبيرة رائعة رسمها في سـن الرابعة والعشرين ، وهي لوحة « في سيرك

القبيح النبيل ...!







كان هذا القزم الضامر الاطراف لا يعرف النوم فاذا نام استلقى فى الغفاءة قصيرة ينشط بعدها يومين او ثلاثة !

فرنانقو » • ويقوم هـذا الاسلوب على التعبير عن الحركة والتعبير عن الشخصية فى آن واحد • فالحركة فى فنه ليست مجرد حركة جسمانية ، وانما هى انفعال نفسانى • والشخصية فى فنه ليست هى الوجه الظاهر ، وانما هى ما يستتر وراء هذا القناع من حقائق • وفى سبيل التعبير عن ذلك كله ، يستخدم لوتريك خطوطا تنهال على سطح اللوحة وكأنها ضربات سياط • وهى خطوط تبدو فى بساطتها واختزالها للتفاصيل كأنها مجرد تخطيطات كروكية رسمها الفنان عفوا دون كد او تعب

لكن الواقع انه كان من دأب لوتريك أن يطيل التأمل ويصور المشهد الواحد عشرات المرات حتى يصل الى التعبير الموجز البليغ الذى يرتقبه • ويحكى أنه ظـل يراقب احدى الراقصات خمسين ليلة متواصلة قبل أن يتمكن من رصد حركة معينة منهـا

***

وكانت السنوات العشر التالية فى حياة لوتريك سـنوات حافلة بالانتاج وحافلة بالمغامرات فى آن واحد • فهذا القزم الضامر الاطراف كان كتلة من الحيوية • كان لا يكف عن العربدة حتى لانكاد ندرى أين يجـد الوقت للانتاج • وكان لا ينقطع عن الانتاج حتى لانكاد ندرى أين يجد الوقت للعربدة • وكانت مونمارتر اذ ذاك تزداد يوما بعد يوم ازدهارا ، فلا يفتتح ملهى أو مقهى جديد حتى يهرع اليه لوتريك محاطا بخـلانه • وكانت الجمعيات الفنية الجديدة ـ مثـل





وكانت الغانيات وبائعات الهوى والموديلات
يتهافتن عليه ، وأعجبن بفنه ، الصورة
لاحدى موديلات لوتريك (١٩٠٠) ...

استطاع لوتريك أن يصور الحركة ،
والرقص ، والجو المشحون بالنغم والضوء الخافت ، وحفيف الثياب



جمعية الفنانين المستقلين في باريس وجماعة القرن العشرين في بروكسل — تتكاثر عاما بعد عام ، فلا يقام معرض لاحدى هـذه الجمعيات حتى يسارع لوتريك الى الاشتراك فيه بعدد من لوحاته ورسومه

وفي الوقت الذي كانت تحتفل فيه باريس بافتتاح **برج ايفـل** عام ١٨٨٩ ، كانت مونمارتر تحتفل بافتتاح ملهى عظيم جديد يعرف حتى اليوم باسم « مـولان روج » « الطاحونة الحمراء » · ومن يوم افتتـاح هذا الملهى — الذي حشد فيه صاحبه أبدع الراقصـات اللواتي كن يعملن في الملاهي الاخرى — أصبح لوتريك من رواده الدائمين· فقد وجد فيه غاياته المحبوبات وعلى رأسهن « لاجول » سيدة رقصة الكانـكان وسيدة بائعات الهوى ، وقد تزينت بثياب أجمـل وأثمن وكشفت عن صدرها حتى السرة ، ووضعت شريطا أسود حول عنقها ، وباقة من الزهور في شعرها

وشرع لوتريك على الفور في رسم لوحة كبيرة عنوانها « الرقص في المولان روج » · لكنه كعادته لم يعن بتصوير المظهر البراق لحياة عصره ، وانما انصب همه على هتك أستاره والكشف عن بواطنـه وأغواره · ولذلك لقب لوتريك بفيلاسكيز الغانيات

والى جانب الحانات والملاهي ، أخذ الفنان يتردد على تلك الدور التي يسـميها الفرنسيون « بالبيوت المغلقة » فكان يقيم فيها أياما بأكملها وسـط الوصيفـات ، يشاركهن المأكل والشراب ، ويبادلهن الود ، ويصغي الى أحاديثهن ، ويتفحص وجوههن وهن مستلقيات على الارائك شبه عاريات في انتظار الزبائن ، ثم يتناول قلمه ويأخذ في رسم هذا العالم المجـرد من كل تكلف ، مباعيا في اماطة اللثام عن الحقيقة الانسانية الكامنة في أعماق هؤلاء المنبوذات

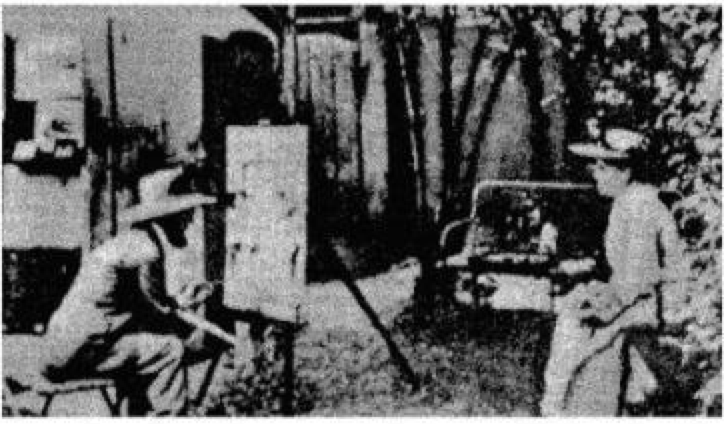
وفي نفس الوقت ، يذيع صيت لوتريك ، وبخاصة بعد قيامه بتصميم اعلان للمولان روج كان بمثابة فتح جديد في هذا الميدان، فيزداد الاقبال على فنه ، وتنشر مجموعات من رسومه في مجلدات ، ويدعى للاسهام في المجلات الادبية الحديثة ، ويثني عليه النقاد وكبار الفنانين ، وبخاصة ديجا الذي كان يبجله لوتريك غاية التبجيل

لم ينصرف لوتريك عن ملاهي مونمارتر ويأخذ في التردد على ما يسمى « بالكافيـه كونسير » في وسط باريس · وهناك يقع في هوى مغنية هيفاء تدعى ايفيت جيلبير ، وتعجب هي بفنه وتأنس لعشرته ، فيعكف على تصـويرها عشرات المرات ، ثم ينشر « البوما » باسمها يضم ست عشرة لوحة

***

وفي عام ١٨٩٣ فكر بعض أصدقاء لوتريك في اقامة معرض كبير لاعماله، كان الفنان عندئذ في سن الثامنة والعشرين ، وقد بلغ انتاجه حوالي ثلاثمائة لوحة بالاضافة الى الاعلانات الليتوغرافيات ومالا يحصى من الرسوم · فاختار لوتريك لمعرضه نحو ثلاثين لوحة ،

كارمن ، ماريا ، ليلي ، بريت .. كلهن صالحات مثله .. عشقن لوتريك .. وعشقن فنه . بريت .. احـداهن خلدها لوتريك ..!



معظمها مما استوحاه من « المولان روج » و « المولان دلاجاليت » . وقوبل المعرض بالترحيب من جانب معظم النقاد ، بل لقد كتب أحدهم يقول :

« اننا من زمن طويل لم نلتق بفنان له من الموهبة ما لتولوز لوتريك . وربما كان سر استاذيته انه يجمع على وفاق بين ملكتين متكاملتين ، وهما نفاذ التحليل ونفاذ وسائل التعبير .. »

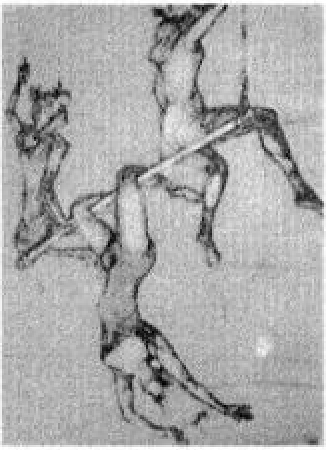
***

ويزداد نشاط لوتريك مع مرور الايام حدة حتى لا يكاد يذوق طعم النوم . انه الان أشبه بشعلة تحترق . اذا ما أغلقت الملاهي أبوابها خرج مع خلانه وقد اكتظت جيوبه بالرسوم ليطوف ببارات مونمارتر . فاذا ما أنهك صحابه السهر والشراب فانصرفوا عنه ، استأجر عربة وطلب من الحوذي أن يتجول به حيث يشاء . وفي هذه الاثناء يغفو لوتريك ساعة أوساعتين فما ان يرسل الفجر أول بشائره حتى يهبط من العربة ويدخل أول بار يقابله ليحتسي كأسا ثم ينطلق في حيوية عجيبة الى المطبعة ليخطط على الاحجار رسومه الليتوغرافية ويشرف على طباعتها . ويمضي النهار في الانتاج ، حتى اذا ما أقبل الليل انطلق كعادته الى مقهى أو مرقص أو الى واحد من تلك « البيوت المغلقة » التي أصبح يحس وسط أهلها كأنه في بيته

وفي هذه الآونة ، يفتتح في مونمارتر

امرأة في فراء (١٨٨٩)





السيرك (١٨٩٩)

بيت فخم جديد من هذه البيوت ، يزدان بافخر الرياش وأجمل الغانيات من شتى الجنسيات ، فيهرع اليه لوتريك ويغمر غانياته كعادته بالهدايا ، فيغمرنه بالعطف والود والرعاية . ولا يلبث أن يستقر في هذا البيت الذي طبقت شهرته الافاق ، فيأخذ في رسم صويحباته بوليت ، ومارسيل ، ورولاند ، وجابرييل ، ولوسي ، والزاء النمساوية .. ثم يخرج من كل ذلك بلوحة كبيرة عنوانها : « في الصالون »

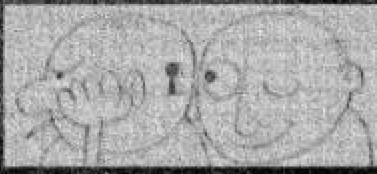
ومع كل هذا الجهد والسهر والتفاني ، ينغمس لوتريك أكثر فأكثر في الشراب حتى لا يكاد يكف عنه ساعة من ليل أونهار ، فيؤدي به ذلك في النهاية الى انهيارعصبي، ينقل على أثره الى مصحة للاستشفاء . وما ان يفيق من نوبته حتى يعود الى الرسم داخل المصحة . ويظل بضعة شهور منقطعا عن الشراب ، لكن حالته النفسية . وحالته الجسمانية كذلك ، تأخذان في التدهور السريع ، فيختفي مرحه وتضمحل موهبته . ثم يعود الى الشراب ، فيتفاقم مرضه وتزداد حاله سوءا على سوء

وفي ليلة خانقة من ليالي اغسطس ١٩٠١ ، ينهار هنري ده تولوز لوتريك وقد أصيب بالشلل . ولا يمضي أسبوعان حتى يلفظ أنفاسه الاخيرة ، قبل أن يتم عامه السابع والثلاثين . وهكذا تنطفيء حياة هذه الشخصية الفذة ، وهذا الفنان المبدع الذي صور — على حد قول احد النقاد — « شبحا الضحكات » و « جحيم الملذات »



كان لوبرند ساخراً مع نفسه ، جاداً .. مع الآخرين . كان يرسم نفسه المسخرة !! .. ويرسم واحدة . الفنانة!

أفكارهم



* تقول « الرائد العربي » ان الرجل المرأة يؤلفان شطرى الانسانية وهذا وجه تشابههما ، والرجل غير المرأة لقد أعد كل منهما لاداء مهام معينة وهذا وجه اختلافهما ، والرجل والمرأة مكملان الواحد للاخر وهذا وجه ائتلافهما

* قالت صحيفة الاوبزرفر : ان لبناء السد العالى مغزى سياسيا هاما ، فهو نقطة تحول ضخمة وعلامة هامة على طريق العلاقات بين دولة كبرى كالاتحاد السوفييتى ودولة غير منحازة كبرى كالجمهورية العربية المتحدة

* يقول محيى الدين محمد فى « الرائد » انه مع التطور الفخم فى الجهاز الثقافى ومن بعث اذاعى وتليفزيونى ضخم ومن سخاء فى توزيع المكافآت والجوائز السنوية ، فى الجمهورية العربية المتحدة فان الكاتب والمثقف ما زالا دون المستوى الذى يتمتع به امثالهما فى اضعف الدول الغربية او الاشتراكية اهتماما بهما

* كتب لويس عوض فى الاهرام : انه يحض الناس على الاستمساك بحقهم فى الانسحاب فى صمت بين فصول المسرحية اذا كان ما يرونه أو يسمعونه مصدر تعذيب لهم ، فالادب والفن لم يخلقا ليكونا من أدوات التعذيب

* فى راى الطبيب البريطانى ماكسويب ان سر الشخصيات التى عرفت فى التاريخ بقوتها الجسمانية غير العادية ، هو أنها مصابة ببعض الامراض ، فكان شمشون مصابا بنخر العظام

* تقول صحيفة « صنداى تايمز » : انه لا التشريع ولا التوسع فى الانفاق العام يضمنان كثرة حوادث الطرق ، وانما الحل الافضل والعملى يتمثل فى ان يركز الاهتمام فى تصميم النماذج الجديدة من السيارات، على كل ما يوفر الامان

جاء فى مجلة « العرفان » بمقال من المقتربين : ان المصريين من اشد الناس استمساكا بالارض نظرا لخصبها ووفرة مائها ولهذا لا نجد منهم بين الذين هاجروا الى امريكا وغيرها سوى عدد قليل بالقياس الى اهل لبنان وسوريا مثلا

* قال محمود السعدنى فى « صباح الخير » : انه لا حياء فى الثورة ولا لوم من الحق ولا فضل لاشتراكى على راسمالى الا بالنقد

* كتب الدكتور عبد القادر حاتم فى « الثقافة » ان الكاتب قوة اجتماعية عظيمة التأثير لانه يخاطب الجماهير ويتحدث الى شتى الفئات والاعمار ، ويؤثر فى عقلية الشعب وثقافة الجماهير ، ومن هنا لابد ان يكون الكاتب حرا لا تؤثر فيه المغريات المادية او الحسية ، ويستطيع ان يتفاعل مع الاحداث الجارية فى المجتمع

* يقول محمد اسماعيل محمد فى « الثقافة » ان المؤكد لدى عدد كبير من العلماء ان دانتى اقتبس فكرة كتابه من مؤثرات اسلامية مثل قصة الاسراء ، ورسالة الغفران ومؤلفات بعض المتصوفة المسلمين مثل محيى الدين بن عربى

* كتب رفيق خورى فى مجلة العلوم اللبنانية يقول : ان التفاهة الآن تسيطر على الشعر العربى الحديث ، فنحن فعلا فى عصر الانحطاط الشعرى الذى نشم عفن مستنقعاته ، نحن فى حاجة الى ظهور شعر

جديد ، صادق ، حي ، مشبع بالتجربة وغارسا جريته في أعماق مشكلة الانسان المعاصر .. لا راكبا على جمل أعرج في صحراء مجهولة ، لا يتذكر من مشاكل الدنيا غير « ما علمته أباه الوالدة » ..

* **في رأي الدكتور عمر فروخ : انه ليس في النتاج الادبي قطع جياد ، وقطع رديئة ، ان التراث الادبي يتألف من قطع جياد فقط ، لان الرديئة ليست من الادب أصلا ..**

* كتب الدكتور رشاد رشدي في مجلة المسرح يقول : ان مسرحياتنا بدأت تخرج من نمط الريبورتاجات الممسوخة والمواقف المصطنعة ، التي تقتحم من أجل الحصول من المتفرج على ابتسامة او دمعة او تصفيق ، ان « شحاتة » هذه المواقف قد بدأت تزول او تقل من النص المسرحي ويحل محلها اهتمام صادق بمشاكل صادقة ، وبنشاء مسرحي أكثر اتصالا ، اقرب الى الدراما .. منه الى الحدوتة ..

* **يقول علي ادهم في مجلة « الكتاب العربي » : ان العقاد حافظ على كرامة الادب ، ومكانة الفكر حتى في الاوقات العصيبة التي لم تعرف فيها للادب مكانة ، ولا ترعى له كرامة ، وقد اظهر العقاد ان الكرامة فوق المال ، وفوق الجاه .. وان لها في هذه الدنيا المكان الاول ، وللحياة المكان الثاني .**

* جاء في مقال بالعلوم اللبنانية : ان السد المبارك الذي تم بناء مرحلته الاولى في مايو الماضي سيبرهن بحق على انه سد جبار في وجه تسلل الاستعمار ، انه سيعود على الجمهورية العربية المتحدة بأرباح تقدر ب ٢٤٣ مليون جنيه سنويا ، وهذا يعادل نصف الدخل القومي بكامله في مصر قبل الثورة ..

* **كتب علي امين في فكرة بالاخبار يقول : انني غير راض عن أسلوب الهواة الذي نتبعه اليوم في الدعوة الى تحديد النسل ، طالب بمعاملة هذه الدعوةبنفس الاسلوب ونفس الطريقة ونفس القاطعية التي نفذنا بها مشروع السد العالي ..**

* يقول الدكتور احمد كمال زكي في الاداب البيروتية : ان شعر اليوم وقد ارتبط بروح العصر يحتاج الى اكثر مما مولجت به قصيدة الامس ، بحيث يصبح علينا ان نتسلح بأكثر أسباب المعرفة ، ومنها الفلسفة ، من أجل ان نجعل شعر اليوم يقرأ ومن اجل ان نتبين فيه التجربة بعد قراءته !..

* **وصف انيس منصور في الاخبار توفيق الحكيم بقوله : انه متدفع بعقل ، وضال بهدف ، ولا معقول بحساب .. ولذلك فان في درج مكتبه دراسة واضحة لخطواته ..**

* اكد صبري حافظ في الاداب : ان نجيب محفوظ أكثر كتاب مصر التصاقا بالواقع اليومي الذي يسفر عنه، واعمقهم فهما له ،وانه قد اثبت أن للفن دورا فعالا في تزويد احساس المتلقي بكل ما في الواقع من اخطاء ، وفي تعميق وعيه بشتى التناقضات التي يرتعش بها وجدان هذا الواقع ..!

***وصف عيسى فتوح اسلوب الكاتبة السورية غادة السمان صاحبة مجموعتي «عيناك قدري» « ولا بحر في بيروت» بقوله: لقد انصبت فيها روافد الاساليب العربية والاجنبية ، فأخذت من لورانس ، وهنري جيمس ، وديكنز وويلز عمق الافكار وقتامها ، ومن القرآن الكريمجمال الالفاظ وسمو البيان .. ثم صهرت ذلك كله في بوتقة كبيرة من التجارب الحياتية المتسمة بالعنف ، وحدة الصراع !**

* في مقال لاحمد عباس صالح بمجلة الكاتب يقول : ان الاشتراكية حقيقة علمية ، واقرب الرؤى المعاصرة الى أحلام البشرية ، ولذلك فهي لا تخشى الاراء المعارضة ولا الرؤى الخاطئة ، ومن هنا فهي لا تخفي رأسها في الرمال ، ولا تمنع نشر الاعمال الادبية والفنية المناوئة لها أو المختلفة معها .. الا اذا كانت خزعبلات دعائية ابعد ما تكون عن الفن والتفكير المخلص لنفسه ، وبالتالي فهي لا تفرض وصاية على التفكير ، بل تتركه حرا طليقا .. لان اقلام الكتاب الاشتراكيين تستطيع ان تكشف الزيف او الخطأ والضلال المنهجي العلمي ، والتفكير الموضوعي .. فتضع كل شيء في مكانه .

* نفس الرأى الذى جاء فى مسرحية « الطعام لكل فم » لتوفيق الحكيم ، والذى يقول أن أحلام العلماء والشعراء اذا اتجهت الى البحث عن طريق آخر ، فستحقق الطعام لكل الناس والرغيف لكل فم .. نفس هذا الرأى أعلنه سارتر وأكده ، فقد ناشد الأدباء والفنانين — فى الشهر الماضى — أن يتجهوا اليه ، وأن يحققوا بالاحلام والتصميم والعمل ، الرغيف لكل فم ! !

* كتب الكاتب اللبنانى عبد اللطيف شرارة يقول : أن اينشتين كان له عقلان، عقل علمى ، وعقل سياسى ، وان العقل السياسى ذهب ضحية العلمى ، فانه عبثا او كذبا منه دعا الى السلم ، وهو صهيونى وحارب القومية ، وكان يعتبر نفسه « هدية القدر » الى الشعب اليهودى ، وادعى العطف على المظلومين المحرومين ، وعمل على ظلم عرب فلسطين وحرمانهم من حقوقهم فى أرضهم وبلادهم وموارد رزقهم وكيانهم السياسى .. وان ذلك كله لن يدوم طويلا ! ..

* وصف عبد العزيز أحمد الصقر رئيس مجلس الامة الكويتى مجتمع بلاده فى مجلة العربى : بانه تغير بعد اكتشاف النفط ، وان هذا التغيير كان الى احسن ، فالجانب الاجتماعى من مظاهر التكافل المادى بين الكويتيين على اساس اسلامى عربى .. يحقق افضل صورة للاشتراكية الاسلامية العربية التى نشأ عليها المجتمع او استقرت على أساسها النظرة الاصيلة للخير العام ، وللعدالة الاجتماعية ! ..

* كتب الدكتور محمد احمد خلف الله فى « الرسالة » يقول : ان نهرو كان عظيما ! وكان ممن يؤمنون بالقيم ، وكان ممن تلازمهم أنفسهم فى المواقف الحرجة ، وكان فى أغلب حالاته يضحى برغباته الخاصة فى سبيل الاحتفاظ بقيمه التى يراها صالحة للحياة ، وجديرة بالعناية

* فى رأى الدكتور حسين فوزى بالاهرام : أن روائع العلم وما صنعته بالانسان المعاصر ، أطلقت نوازع وقلقت سدى العقل والحياة فاضطرب حال الفن فى زماننا .. الى ان يحين الوقت يهتدى فيه الانسان الى عصره ، ويوائم بين فنه وفكره وبين حياته المادية على الارض ..

... و أخبارهم

* تتكون مجموعة الفلبين من ٧١٠٠ جزيرة متناثرة منها ١١ جزيرة تشكل فيما بينها ٩٠٪ من المساحة الكلية ، والباقى من الصغر بحيث لا اسم لها

* انتخبت عواطف عبد الجليل الصحفية المصرية عضوا بالاتحاد العالمى للمشتغلين فى البحث العلمى، وهى السيدة الثانية فى الاتحاد من بين ٤١ دولة ، السيدة الاولى هى تارا بتروفنا عضو الاكاديمية السوفييتية

..

* « الصراع السكبير بين الاتحاد السوفييتى والصين » اسم كتاب اخير اصدره الدكتور راشد البراوى يتناول فيه تطور العلاقات بين الدولتين ، ويحلل الاسباب الايديولوجية والاقتصادية والسياسية والنفسية التى أدت الى تدهور هذه العلاقات

* أصدرت وزارة التعليم والآداب والعلوم فى جمهورية جنوب افريقيا أمرها الى جميع المؤسسات العلمية بعدم اخراج

جميع من يعملون فيها من الملونين ، تمشيا مع سياسة التفرقة العنصرية

* « كان لي قلب » اسم الديوان الجديد للشاعر راضي صدوق

* ترجم محمد شاهين الجوهري مسرحية « آل بابلت من شارع ويمبول » لرودلف بيزيه ، كتب مقدمة الترجمة دريني خشبة

* صدر الجزء الرابع « المواقف » لجان بول سارتر ، ويضم ابحاثا عن الفيلسوف الوجودي ميرلو بونتي والبير كامي وناتالي ساروت ، فضلا عن بعض مقالات في النقد التشكيلي

* نشرت وزارة البحث بالعراق البحث الذي وضعته الدكتورة عائشة عبد الرحمن عن « دار السلام في حياة ابي العلاء »

* « مدرسة الفضائح » هو الاسم الساخر الذي اطلقته الصحف الامريكية على المدارس العامة في مقاطعة البرنس ادوارد في فرجينيا ، بعد قرار مجلس المقاطعة باغلاق المدارس بدلا من قبول الزنوج فيها ، حكمت المحكمة العليا بعدم دستورية القرار

* تعرض الولايات المتحدة في العام القادم وثائق ومستندات عن المشروعات التي انجزها الانسان خلال ربع القرن الاخير . ستعرض كبسولة تحفظ الوثائق لمدة خمسين قرنا

* انشيء في حديقة الحيوان بلندن معهدان جديدان للقيام بأبحاث علمية على حياة الحيوانات ، ويعتبر المعهدان التنظيم الاول من نوعه بالعالم

* قررت جامعة كمبردج انشاء مكتبة عربية حديثة بها . قرر مجلس الفنون بالقاهرة اهداءها مجموعة من مؤلفات طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور

* اثبت العلماء في فيينا ان تجميد العصير قبل تعريضه للاشعاع يحفظ طعمه ونكهته ، كما أن الاشعاع يساعد على ابقائه طازجا فترة طويلة

* نجحت التجارب التي اجريت في الولايات المتحدة من أجل صنع مادة بلاستيكية من الخشب وذلك بنقعه في سائل غاز النشادر . سيؤدي هذا الكشف الى توسع كبير في استعمالات البلاستيك وخفض اثمان منتجاتها

* استمر عرض مسرحية الاخوة كارامازوف ثلاثة اشهر متوالية في دمشق

* صدرت في ٤٤٤ صفحة كبيرة ترجمة عربية لكتاب « تاريخ الفلسفة الامريكية » تأليف الاستاذ هربرت شنيدر . قام بالترجمة الدكتور محمد فتحي الشنيطي

* جاء في احصائية علمية انه في كل عام تحدث ٣٠٠ الف مرة ارضية ولا يشعر الانسان الا بستة الاف مرة ، منها ٢٠ زلزالا مدمرا ، الاحصائية نشرها مؤتمر الزلازل الدولي الذي اجتمع في باريس

* وقع الاختيار على الجمهورية العربية المتحدة لعقد الحلقة الدراسية للدول العربية في ميدان التليفزيون التربوي ، والتي قررتها منظمة اليونسكو التابعة للامم المتحدة

* يعقد في القاهرة في اكتوبر القادم المؤتمر الصحي الاسيوي الافريقي . من اهم الابحاث التي سوف تتناولها المؤتمر « الامراض الروماتزمية »

* « لقاء في الظهيرة » اسم فيلم مقتبس من رواية ميشيل بتسون ويشترك في انتاجه الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي تنفيذا لاتفاقيات التعاون الثقافي بين البلدين

* « فكتور هوجو روائيا » اسم كتاب اصدره الناقد الوجودي الفرنسي جورج بيرويه وحلل فيه ظاهرة الرومانسية الثورية في معالجة هوجو للواقع وربط بينه وبين الانتفاضات الاجتماعية في اواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر

* توفيق الحكيم يكتب مسرحية جديدة ذات شكل تقليدي . صرح بانه جرب اللامعقول في مسرحية ياطالع الشجرة ولكنه لجأ في النهاية الى العقل

* صدر في بريطانيا كتاب بعنوان « ديبلوماسي بين المحاربين » لروبرت مورى المبعوث الخاص السابق للرئيس ايزنهاور في لندن . يكشف الكتاب دور بريطانيا في العدوان الثلاثي على مصر

* معرض السد العالي الذي اقامته اخيرا الادارة العامة للفنون الجميلة بالقاهرة ، سيتجول في المحافظات . المعرض يضم ٢١٠ لقطة فنية من السد العالي

* كتاب عن « ابن طفيل » بقلم الدكتور زكي نجيب محمود يظهر قريبا

* اخيرا صدر كتاب هيمنجواي الذي وعدت به زوجته والذي طال انتظاره منذ وفاة الكاتب ، تحدث فيه هيمنجواي عن ذكرياته في باريس ايام الصعلكة والجوع . الكتاب بعنوان « المادبة المتحركة »

* احتفل في الاتحاد السوفييتي بالذكرى المائة والخمسين لميلاد الشاعر الاوكراني الكبير تاراس شفتشنكو .. الشاعر الذى غنى للارض والحياة والجمال ، وتمنى أن يصبح جميع الناس اخوة ، وابناء لشمس الحقيقة

* يجرى في فنلندا اعداد فيلم عن حياة الموسيقى العالمى « سيبليوس » سيكون الفيلم ناطقا بالانجليزية والفرنسية

* **سيفتتح في لندن مهرجان المسرح العالمى ويستمر ثلاثة اشهر ، سيكشف المهرجان عن الاساليب الجديدة في الاخراج وطرق المعالجة للنص ، تشترك في المهرجان فرقة الاولدفيك البريطانية ، وكذلك فرقة شيللر المسرحية في المانيا الاتحادية ،وكذلك فرقة المسرح البولندي المعاصر ، كما تقدم فرقة موسكو مسرحيتين من اعمال تشيكوف وجوجول**

* « الفردوس المفقود » كتاب جديد للدكتور حسين مؤنس عن الاندلس العربية

* صبحى جرجس المعيد بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة والمبعوث العربى لايطاليا ، تقدم الى جامعة سان مارك برسالة لنيل الماجستير عن المثال الراحل مختار ، عنوانها « سمات التطور الفنى عن المثال المصرى مختار »

* **بمناسبة الاحتفال بذكرى محيى الدين ابن عربى في ديسمبر القادم ، قررت لجنة الفلسفة بمجلس الفنون والاداب تكليف الدكتور أبو العلا عفيفى بترجمة النصوص الحكم » الى اللغة الانجليزية ، والدكتور عبد الرحمن بدوى بتأليف كتاب عنه**

* كلف مجلس الفنون **الدكتور محمد احمد انيس** استاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة بكتابة بحث عن المقاومة الشعبية المصرية في عهد الاحتلال الفرنسى

* « الاحتلال البريطانى في مصر والسودان » لعبد الرحمن الرافعى ترجمة مرسى سعد الدين الى الانجليزية

* شب حريق هائل في كييف اتى على الاف من الكتب والوثائق القيمة في مكتبة المدينة التى تضم ٦ الاف كتاب

* **مسرح العرائس الافغانى سيقدم موسما في القاهرة لمدة ١٥ يوما يبدأ في سبتمبر القادم**

* ٤٠٠ مجلد ومرجع في الاداب والفنون والعلوم أهدتها جامعة موسكو الى جامعة عين شمس

* « دنيا العلوم » مجلة علمية شهرية تصدرها نقابة المهن العلمية بالقاهرة ابتداء من هذا الشهر . رئيس تحريرها محمد القماش سكرتير عام نقابة المهن التعليمية بالقاهرة

* « شباك الربيع » مجموعة زجلية نشرها مجلس الفنون بالقاهرة للفنان الشعبى حامد الاطمس

* الناشر البريطانى دافيد بروفن يزور القاهرة باحثا عن احدث ما تشرته الجمهورية العربية المتحدة

* ارسلت دار النشر الفرنسية «سوى» Editions du Seuil الى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب تطلب انتاج الشعراء العرب المحدثين لترجمته الى الفرنسية

* **صدر اخيرا لوليم ساروبان رواية جديدة عنوانها « بين الصبيان والبنات » ويصفها النقاد بانها رواية قاسية مريرة بائسة .. لا تتلاءم لهجتها مع لهجة ماكتبه ساروبان قبل ذلك ، فكل شيء فيها كذب والحب فيها انتحار ، والموت تهريج اجتماعى ، انه تحول خطير في ادب ساروبان**

* **صدر في بيروت كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للمستشرقة الالمانية سيجريد هانكه ، ترجمة الى العربية فاروق بيضون وكمال الدسوقى**

* الاديبة الصحفية الايطالية اوريانا فالاسى **Oriana Fallaci** اصدرت روايتها الجديدة بعنوان « بنيلوب في الحرب » وهى عبارة عن قصة امرأة ايطالية مسترجلة ترحل لفتح أمريكا لتجد نفسها فيها مهزومة وخائفة ، انها تقول فيها عن امريكا : ان المرء لايرى فيها رجالا وشيوخا ، لانهم حين يبلغون الخمسين تكون النساء قد التهمهم ، فامريكا بلد الارامل والمطلقات !

* **اطلس جغرافى جديد للبلاد العربية اعده نخبة من اساتذة الجغرافيا العرب ستتولى طبعه ادارة المساحة العسكرية بالقاهرة ، عدد نسخه سيكون مليون نسخة**

* يدرس مجلس الفنون بالقاهرة اقامة مهرجان الشعر السادس بالسودان في نوفمبر القادم .. وذلك بعد انتهاء مؤتمر الادباء الذى سيعقد في بغداد في اكتوبر المقبل

* **وافق المؤتمر الثانى لدراسة مشكلات التعليم الجامعى الذى عقد بلبنان على**

انشاء اول اتحاد للجامعات العربيــــة ، مقره الدائم القاهرة ، سيعرض هذا القرار على اول اجتماع لجامعة الدول العربية سبتمبر القادم لاعتماده

* دعت نقابة أصحاب الصحف في الرباط الى تصفية الصحف التي يملكها الاجانب في المغرب

* ١٢٠ محطة تليفزيون من انحاء العالم دعاهم ودعا نجومهم التليفزيون المصري لمشاركته في الاحتفال بمهرجانه الثالث الذى سيقام في اغسطس القادم

* يوسف ادريس وسعد الدين وهبه وفتحي غانم يزورون موسكو ، حين زار يوسف ادريس الجزائر الف كتابا بالعامية المصرية !

..وأخبارهم

من ٧٠ سنة

* كتب حنا نقاش في « الهلال » ان ما نقرأه في اغلب جرائد مصر عن اتقان الاجواق الحاضرة واحكام تشخيصها ان هو الا حديث ترضية مضرة لانها تقف في وجه تقدم هذا الفن

* وصل فيضان دجلة حدا خطيرا فاحاط الماء بالكرخ واصبحت بغداد جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب على مسافة اقلها ساعتان واكثرها سبع ساعات ..

* اقرت الحكومة المصرية نهائيا على انشاء خزان النيل عند أسوان وأخذت في الاستعداد لمباشرة العمل فيه

* أصدر البابا منشورا قال فيه : انه يود قبل مماته أن يدعو جميع المجالس الى الائتلاف وان تجمع على عقيدة واحدة مؤسسة على الانجيل

* «الشفاء الاوام في رواية جابر عثرات الكرام » اسم رواية تمثيلية أدبية تأليف يعقوب جبرائيل مراد ترجمان قنصلاتو ايران القبس وقائعها من حادثة تاريخية في عهد الدولة الاموية ايام الخليفة سليمان ابن عبد الملك ، وتضم الرواية كثيراً من الاشعار بعضها للترنيم

* أضرب عمال السجاير في مصر بدعوى ان أصحاب معامل الدخان والسجاير وعدوهم بزيادة الاجور منذ خمس سنوات وانهم بدلا من زيادتها انقصوها من المعتاد حتى أصبحت لا تقوم بسد الرمق على ان أصحاب المعامل يربحون أرباحاً فاحشة واصبحوا من الاغنياء

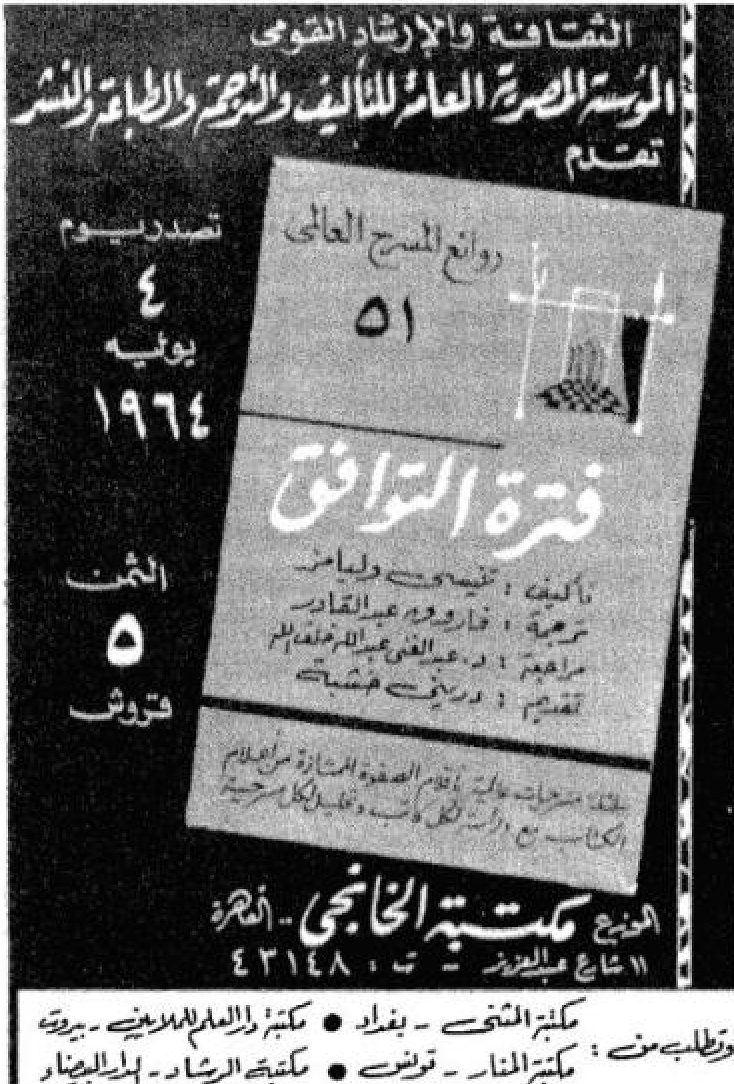
* ألفت نظارة المعارف المصرية لجنة من نخبة رجالها لتأليف كتاب من تاريخ اداب اللغة العربية لتعليمه في مدارسها ، وذلك يعتبر اول عمل من نوعه

* اصدر احمد نجيب مفتش وامين عموم الآثار المصرية كتاب « الاثر الجليل لقدماء وادى النيــل » وهو مجموعة محاضرات سبق ان القاها بتكليف من نظارة المعارف العمومية ، وفيها حديث مسهب عن النيل ومصر واصل سكانها وتاريخ العائلات وعلومها ومنافعهــا ووصف الآثار والغرض من بنائها

* قالت « المقتطف » ان نفقات الحرب في اوروبا تزيد على نفقات السلم ١٦ ضعفا ، وهذه الاموال لو وزعت على الشعوب لادى الى رخائها

* كتب اسعد داغر في «المقتطف» يقول : ان مما يعترض غالبا نجاح الشبان ويثنيهم عن التقدم استخفافهم بصغائر الامور ثم خوفهم من الغلط

* قدرت قيمة الذهب المستخرج من الارض فيما بين عامي ١٤٩٢ ، و ١٨٩٢ بنحو ١٧٥٠ مليون جنيه وقيمة الفضة ٢٢٣٢ مليون جنيه ، وقيمة كل من المعدنين منذ بدء التاريخ حتى عام ١٨٩٣ بنحو ٦٥٠٠ مليون جنيه ..


الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
روائع المسرح العالمي
٥١
فترة التوافق
تأليف : تينيسي وليامز
ترجمة : فاروق عبد القادر
مراجعة : د. عبد الغني عبد الله خلف الله
تقديم : د. رشدي خشبة
تصدر يوم
٤
يوليه
١٩٦٤
الثمن
٥
قروش
التوزيع مكتبة الخانجي - القاهرة
١١ شارع عبد العزيز - ت : ٤٣١٤٨
وتطلب من : مكتبة المثنى - بغداد • مكتبة دار العلم للملايين - بيروت
مكتبة المنار - تونس • مكتبة الرشاد - الدار البيضاء

الثقافة والارشاد القومي .. تقدم

المكتبة العربية

الثورة الثقافية

تحقيق التراث العربي

الموسيقى
العمارة
المسرح
الشعر
النثر
القصة
الفنون الشعبية
الفلسفة وعلم الاجتماع
التربية وعلم النفس
القانون والعلوم السياسية
التاريخ والآثار
الجغرافيا

التأليف في موضوعات تحتاج اليها المكتبة العربية

الموسيقى
الفنون التشكيلية
العمارة
المسرح
السينما
الشعر
النثر
القصة
التاريخ والآثار
الفلسفة وعلم الاجتماع
التربية وعلم النفس
القانون والعلوم السياسية
الاقتصاد والمالية العامة
الجغرافيا

الترجمة من العربية

الموسيقى
العمارة
المسرح
الشعر
النثر
القصة
التاريخ والآثار
الفلسفة وعلم الاجتماع
القانون والعلوم السياسية
الاقتصاد والمالية العامة
الجغرافيا

الترجمة الى العربية

العمارة
الموسيقى
المسرح
السينما
الشعر
الاقتصاد والمالية العامة
القصة
الفنون الشعبية
الفلسفة وعلم الاجتماع
التربية وعلم النفس
القانون والعلوم السياسية
التاريخ والآثار
الجغرافيا ..

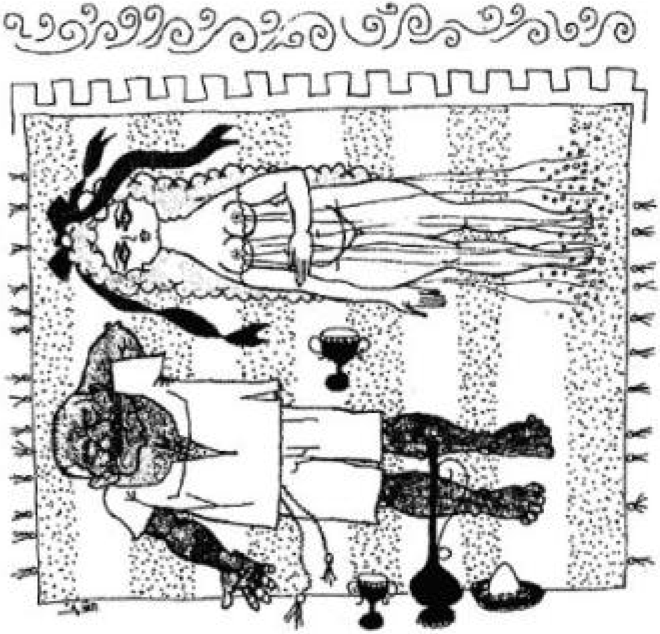
عبد الرحمن صدقى :

من القصص الشعبى القديم

حكاية الصعيدى والافرنجية

اذا كان عامة القراء يطالعون القصص الشعبي فى الف ليلة وليلة وامثالها للترفيه عن النفس وتزجية الفراغ بالمتعة الخيالية ، فان اهل الجد من العاكفين على دراسة التاريخ يطالعون أيضا القصص الشعبى ، ولكن لا لمجرد المتعة الخيالية ، بل باعتباره مرآة للتاريخ الاجتماعى ، ومصدرا من أهم مصادره . وذلك بعد اطالة النظر فى هذا القصص لتمحيصه ، وتصحيح ما قد يكون دخله من التحريف ، ليتسنى الكشف عن موضعه من حقائق التاريخ

وهذا ما اخذنا به انفسنا حين طالعنا كغيرنا « حكاية الصعيدى والافرنجية » وسط عشرات المئات من الحكايات المتفرقة التى لا يربط بينها زمان او ينتظمها مكان، فآثرنا أن نعيد هنا عرضها على ضوء التاريخ باعتبارها من ادب الحروب الصليبية ، فضلا عن كونها جديرة بان تعد من بواكير القصة القصيرة

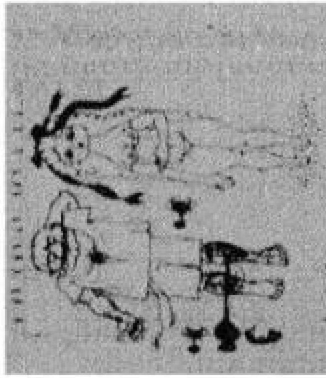


في الادب العربي منذ العصـــــور الوسطى ..

ولما كانت حوادث هذه القصة القصيرة موزعة بين القـــاهرة وفلسطين ودمشق ، في عهد حافل بالاحداث العالمية ، وهو عهــــد الحروب الصليبية في العصـــور الوسطى ، فقد راينا ان نسوق بين يدي القصة هذا التمهيد التاريخي :

شملت الفتوح الاســـلامية في القرن السابع الميـــلادي ارض فلسطين ، فكان دخول عمــر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشــدين بيت المقدس عام ٦٣٤ من التاريخ الميلادي ، وظلت فلسطين منذ ذلك الحين جزءا لايتجزا من العــالم الاسلامي ، ولم تزل ارض النبيين وبيت المقدس للمسلمين طـــوال تلك السنين ..

في اثناء ذلك ، حدث في العصور الوسطى وفي اواخر القرن الحادي عشر بالتعيين ، ان اعلن البابا باسم المسيحية الحرب الصـليبية عام ١٠٩٦، وزحفت جيوش الصليبيين



صوب فلسطين لاستخلاص بيت المقدس من ايدى المسلمين ، وكان المسلمون وقتئذ منقسمين على انفسهم بين سلطان الفاطميين ومركزه « القاهرة » ، وسلطان السلاجقة في ارض الروم (الاناضول) ومركزه نيقية ، وفي شمال الجزيرة العراقية ومركزه الموصل ، وفي الديار الشامية ومركزه دمشق وحلب ، فضلا عن سلطانهم في فارس . وكان السلاجقة الاتراك يرمون الشيعة الفاطميين في مصر بالانشقاق على الدين ، فضلا عما كان بينهما من التنازع الدنيوى والخصومة السياسية

وقد كانت فلسطين داخلة في حدود الدولة المصرية . فلما قامت دولة السلاجقة في سوريا قام التنازع عليها بين الطرفين ، وانتهى الامر بان استولى السلاجقة عليها وعلى بيت المقدس عام ١٠٧٦ وظلت أورشليم في حوزة الاتراك السلاجقة اكثر من العشرين سنة، فاشتكى من سوء معاملتهم الحجاج المسيحيون الذي كانوا يفدون من اطراف العالم الاوروبى لزيارة قبر المسيح ، ولما كان امبراطور الروم شديد الانزعاج من امتداد سلطنة السلاجقة في آسيا الصغرى حتى اصبحت حدودها مواجهة للقسطنطينية ، فقد اعلن باسم الدين شكواه واستنجد بالعالم المسيحي في غرب اوروبا. وانتهزت الكنيسة الغربية وعلى راسها البابا « اربان الثانى Urban II » هذه الفرصة ، لبسط نفوذها على المسيحية الشرقية التى كانت قد صارت لها كنيسة مستقلة عام ١٠٥٤ ، فاعلن البابا الحرب الصليبية ، ودعا اليها بين جموع الشعب المتدينين على انها مشيئة الله ، كما دعا اليها ملوك الغرب وفرسانهم وهم من أهل الاقطاع

***

وكانت زحوف الصليبيين تتقاطر من انحاء أوربا الغربية وتلتقى في القسطنطينية ، ومنها تنتقل الى آسيا الصغرى « الاناضول » حيث تشتبك في القتال مع الأتراك السلاجقة في ارض الروم ، وكان الكثير من الصليبيين يلقون حتفهم على حد السيوف والنبال التركية كما كان الاكثرون يلقون حتفهم تحت شمس الصيف المحرقة في اختراق الصحارى الشاسعة قبل البلوغ الى الاراضى المقدسة

وقد انتهز الفاطميون في مصر فرصة اشتغال الاتراك السلاجقة

بنزول الزحوف الصليبية في أرضهم بآسيا الصغرى ، فاسترجعوا منهم بيت المقدس في يوليو عام ١٠٩٨

وقد نجحت الحملة الصليبية الاولى التى كان يتزعمها الفرسان الاقطاعيون ، فاستولوا بقيادة زعمائها على الرها وانطاكية وطرابلس ، واخيرا على القدس التى دخلوها في يوم الجمعة ١٥ من يونية عام ١٠٩٩ حيث اقاموا الحكم في البلاد المقدسة على نظام الحكم الاقطاعى الذى الفوه في بلادهم ، فاصبح لكل اميرامارة عقد له لواؤها ، وكانت الرياسة العليا بطبيعة الحال لصاحب بيت المقدس وهو جودفرى دى بويون

Godefroi de Bouillon

الذى ابى عليه تقاه ان يتخذ لقب « ملك اورشليم » ، وقنع بان يكون لقبه « خادم قبر المسيح

«Avoué du Saint - Sepulcre».

ولعل خادم قبر المسيح » وزملاءه لم تكن في قلوبهم سماحة السيد المسيح عليه السلام ، بدليل ما ورد في الرسالة التى بعثوا بها في اثر استيلائهم على بيت المقدس الى البابا يبشرونه : (واذا اردت ان تعرف ما جرى لاعدائنا ، فاعلم ان رجالنا كانوا في معبد سليمان يركضون خيولهم في دم المشارقة المسلمين القذر فكانت خيولهم تخوض في ذلك الدم حتى الركب» . بيد أن هذه العقلية لم تلبث أن تغيرت . فهذا صاحب أورشليم الاول « جودفرى » الذى لم تطاوعه نفسه على أن يضع على رأسه تاجا من الذهب حيث كان على رأس المسيح اكليل من الشوك ، تدركه الوفاة فجاة في ١٨ يولية عام ١١٠٠ فيخلفه اخوه بدوان

Baudoin de Boulogne,

فلا يتردد في اتخاذ لقب « ملك اورشليم » ، ثم يتجاوز ذلك فيقيم لنفسه حفلة تتويج بالغة الابهة عظيمة الزينة ، في عيد ميلاد المسيح نفسه ، وفي بلدة « بيت لحم » التى ولد فيها المسيح في مزود الماشية في كوخ متواضع . كما اخذ الملك الجديد يغفل من حسابه الاعتبار الدينى تمكينا لسلطانه الدنيوى ، فصارت نظرته الى المسيحيين والمسلمين على السواء نظرة ملك الى الرعية . ولقد بلغ من اغفال ملك القدس لرسالته الصليبية وطبيعته الغربية وقوميته الافرنجية انه كان يظهر في القدس في مظهر ملوك الارض من عوامل الشرق ، وعليه برنس منسوج بخيوط الذهب ، ومن حوله الحرس في شكة فاخرة ، وقد تقدمه حامل الشارة يحمل ترسا من الذهب متوهجا كاللهب

وكذلك طاب للملك الفرنسى المسيحى ارخاء لحيته مع التضمخ بالطيوب والعطور ، حتى كان يبدو كأنه امير من امراء العرب الترك المسلمين ، وكان يشجع الناس على أن يحيوه التحية الشرقية ، كم كان طعامه وهو متربع ، فى جلسته على سجادة من السجاد الشرقى

ولم تلبث هذه الحياة الشرقية ان شملت المجتمع الطبيعى كله في فلسطين من اعلاه الى أدناه



ولا نقول هذا المقال على سبيل الاستنتاج والاستدلال ، بل اعتمادا على ما يرويه معاصر لهذا العهد من المسيحيين الفرنسيين ، وهو الاب فوشيه من مدينة شارتر «Foucher de Chartres» الذى كان راهبا فيها حتى عام ١١٢٧ حين لحق بالصليبيين الاوائل فى فلسطين ولازم « بودوان »ملك أورشليم منقطعا لخدمته الدينية ، وترك لنا فى كتابه «تاريخ أورشليم» صورة لهذه الحقبة لا يعدو فيها ما شهده بعينى راسه أو أخذه عن شهود عيان

ومما قاله فوشيه كذلك فى وصف ما طرا على المجتمع الصليبى كله فى مملكة اورشليم قوله : ان الذين كانوا بالامس فرنسيين او ايطاليين اصبحوا الان شرقيين اجمعين . وهذا الرجل الذى جاء من ريمس ارشارتر اصبح اليوم ينتسب الى صور أو انطاكية ، كانما هو من هذه او تلك فى الصميم . لقد نسى بلده الاصلى ، فلم يعد اسم وطنه الاول يجرى على لسانه أو يتمثل طيفه فى جنانه . والكثير منهم اخذ ينتهج فى شئون بيته ومعاملة زوجه مادرج عليه أهل البلاد أنفسهم

بل ان هنالك من الفرنسيين من اتخذ زوجة ارمنية أو سورية مسيحية ، وقد تكون على دين المسلمين . واما لغة الكلام فنحن هنا نتكلم العربية على حسب لهجاتها المحلية . ومن كان منا فى بلاده من اهل الفاقة المعسرين ، فانه اليوم واجد نفسه بقدرة الله وفضله من خواص الاغنياء واهل النعمة المترفين . وثمة من يحكم اليوم مدينة باكملها من مدن الشرق بعد أن كان فى أوربا لا يحلم أن يتولى الامر فى قرية ... فكيف العودة الى الغرب او التفكير فى الغرب ، والكل هنا ناعمون فى الشرق بما يشتهون ؟

***

هذه صورة المجتمع فى فلسطين العربية فى القرن الثانى عشر ، بعد ما كان من استيلاء الصليبيين عليها على اثر الحملة الاولى ، وما اعقب ذلك من نسيانهم الرسالة الصليبية والحياة الغربية ، وتحولهم الى طلب الدنيا يتكالبون على الحكم والاستمتاع بحياة الترف الشرقى

والصورة كما سبق أن ذكرنا ــ صورة تاريخية من تدوين مؤرخ معاصر من الصليبيين ، كان فى فلسطين فى ذلك العهد ملازما لملك اورشليم نفسه « بدوان » ، وهى صريحة الدلالة على ما دخل على

اصحاب الحملة الصليبية الغربية انفسهم من التحول عن تعصبهم القديم للدين والوطن وسائر المبادىء والتقاليد الموروثة ، وكيف انهم لم يبق لهم من مطلب فى هذه الدنيا الجديدة فى هذا المجتمع الغريب الخليط ، غير جمع كل ما امكن جمعه من المال ، وطلب اقصى ما يمكن نيله من المتعة

ولكننا وقد وقفنا على هذه الصورة للمؤرخ المسيحى المعاصر مصورا فيها ماشهده من غلبة الروح الشرقية على الصليبيين الغالبين على أورشليم وبلاد الساحل، نود — ولا ريب — لو عثرنا على صورة من هذا القبيل لمؤرخ أو قاص من جانب العرب المعاصرين كذلك للحروب الصليبية ، فهل ترانا موفقين ؟

انه لمن حسن الاتفاق أن يكون الامر كذلك . فقد عثرنا على هذه الصورة المطلوبة فيما تركه السلف لنا من الحكايات فى تراث القصص الشعبى القديم ، وهى حكاية « الفلاح الصعيدى والسيدة الافرنجية » التى ترجع الى عهد الايوبيين فى مصر والشام ، وبطلهم العظيم السلطان الناصر صلاح الدين ، وماكان من حروبه مع الصليبيين

وسوف نتوخى — ونحن نعيد هذه الحكاية مع قليل من التجديد فى الاسلوب — اضافة ما يجب ابرازه فيها من معالم التاريخ ، فضلا عما سبق أن قدمناه فى مقدمة كلامنا، وما نحن موردوه تعقيبا عليها ، وذلك احتفالا منا بها ، توكيدا لاهميتها ، وزيادة فى متعتها

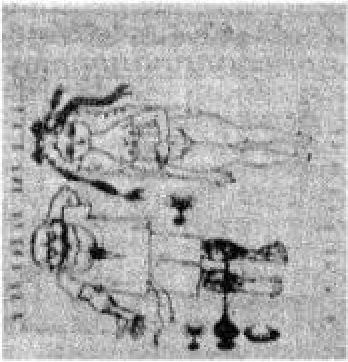
***

بعد أعوام قلائل من وفاة السلطان الناصر صلاح الدين الايوبى كان متولى القاهرة شجاع الدين محمد يطوف مع رجاله فى بلاد الصعيد ، فنزل ليلة فى دار فلاح كان شيخ البلد فى تلك الناحية ، فاحسن ضيافتهم واكرمهم وكان ذلك الشيخ الكبير السن الاشعث اللحية اسمر شديد السمرة . وقد استأذن فى تقديم أولاده ، فاذا هم أولاد صغار ، بيض بياضا مشربا بحمرة ، وشعرهم اصهب ظاهر الشقرة ، وعيونهم شديدة الزرقة . فلم يتمالك المتولى نفسه من العجب ، وقال له « يا شيخ مابال أولادك هؤلاء بيضا ، وأنت شديد السمرة » . فجذب الشيخ الصعيدى أولاده الى صدره وهو يمسح على شعرهم الذهبى الناعم وقال « مولاى هؤلاء أمهم افرنجية ، وقد اشتريتها من سبايا الحرب فى ايام السلطان الناصر صلاح الدين ، بعد وقعة حطين المباركة كتب للمسلمين فيها النصر المبين فى الخامس والعشرين من ربيع الثانى سنة ٥٨٣ (١١٨٧) ميلادية . ولكن ، لقد مضى على ذلك زمان طويل . كنت اذ ذاك فى عهد الشباب فقال المتولى « ياشيخ ان شئت فاتحفنا بهذا الحديث »

فقال الشيخ الصعيدى « حبا وكرامة . والحق ان أمرى مع زوجتى الافرنجية له حديث عجيب

وهنا سادت لحظة صمت كان فيها الشيخ الصعيدى شاخص الطرف سارح الخيال يستحضر ذكريات شبابه . ثم قال : اعلموا انى كنت منذ مبدا أمرى ازاول زراعة الكتان فى بلدى ، مثل أبى وجدى . وفى احد السنين كنت زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته ، وبلغ الغاية التى ليست بعدها غاية ، بعد أن صرفت عليه خمسمائة دينار . فلما اردت بيعه لم يجىء لى فيه عرض اكثر مما انفقت . فاسقط فى يدى

واخيرا نصح لى بعضهم ان اذهب بالكتان الى « عكا » لعلى اربح فيه ربحا عظيما . وكانت عكا فى ذلك الوقت فى يد الافرنج منذ اوائل سنة ٤٩٧ » أواخر



١١٠٢ ميلادية » للعبث الى عكا ، وكان أول ما فعلته ان بعت نصف ما معي من الكتان جملة واحدة الى بعض السماسرة التجار صبرا الى ستة أشهر . وبعدها اتخذت لي حانوتا في المدينة لبيع النصف الباقي للناس بالفرق لاجني من ذلك ربحا اعظم واوفر.

فبينما أنا في الحانوت ابيع اذ مرت بي سيدة افرنجية وكانت سافرة الوجه مكشوفة الشعر وتلك عادة نساء الافرنج يمشين في السوق بلا نقاب فأتت لتشترى منى كتانا ، وهناك وقفت امامي جميلة بيضاء لطيفة . واتيح لي دون مخالسة أن املأ عيني من محاسن فتنتها ونضرتها . وكنت كلما زدت نظرا الى جمالها زاد اختبال عقلي بها ووقوعي في غرامها فجعلت اطاولها في البيع وتساهلت معها في الثمن. فأخذت ما شاءته من الكتان وانا أتبعها نظرى حتى اختفت

* * *

وبعد أيام عادت الحسناء الافرنجية لتشترى منى كتانا ، فبعت لها شيئا منه ، وتساهلت معها في الثمن أكثر من المرة الأولى من تلقاء نفسي دون مماكسة منها . فأدركت انني أغرمت بها وتعلقت نفسي بحبها . ومضت لتعود .

ولكنها جعلت قلبي ذلك تكرر مجيئها ومعها عجوز . ولما كان الحب قد أخذ بمجامع قلبي واستحوذ على لبي ، فقد انتهزت وجود العجوز وحدها الى جانب الميزان ، وافضيت اليها بحقيقة شعوري نحو السيدة ، ثم افصحت لها عن مرادي « اني كما ترين قد شغفت بحبها ، فهل تحتالين لي في الاتصال بها ؟ »

فقالت : « احتال لك في ذلك : ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا : أنا وانت وهية .. ومع ذلك لابد ان تبذل مالا »

فقلت لها : « يا عمتي اذا ذهبت روحي نظير اجتماعي بها ، فما هو بالكثير »

ووقع الاتفاق على أن ادفع لها خمسين دينارا وتجيء الي بها . فجهزت الخمسين دينارا وسلمتها للعجوز على الفور . فلما أخذت الخمسين دينارا تركتني الى حيث خاطبت الحسناء ، ثم سرعان ما عادت تحمل بشرى الى قائلة : « هيىء لها موضعا في بيتك ، وهى تجيء اليك في هذه الليلة » . وانصرفتعني بعد أن استخبرت عن موقع البيت على وجه التحقيق والتدقيق

اما انا فانصرفت عن حانوتي معجلا قبيل غروب الشمس ومضيت الى داري فجهزت الشموع وما قدرت عليه من مأكل ومشرب وحلوى . وكانت الدار مطلة على البحر ، وكان ذلك في زمن الصيف ، ففرشت على سطح الدار ومكثت ارتقب.

***

وسرعان ما لمحت الغادة الافرنجية قادمة .. ففتحت لها وادخلتها الى الدار ومضيت بها الى المجلس المهيأ على السطح فأكلنا وشربنا . ولما كان السطح مشرفا على البحر فقد طاب على مشهد منعجلتنا في القمراء وقد جن الليل وغصت بالنجوم السماء ، وانعكست اضواؤها على سطح الماء ، وكنت والحسناء قد رقدنا جنبا الى جنب نواكن منظر الكون في سكون الليل تحت هذه السماء المزدانة بالنجوم أوقع في نفسي خشية الله فاذا هاجس يهجس في نفسي : « أما تستحي من الله عز وجل ، وهذه لجة بحره ، وهذه قبة سمائه ، واتضطرب هنا وتعصى الله الجبار مع هذه النصرانية اللهم اني اشهدك اني قد عففت عن هذه النصرانية حياء منك » .. وعلى هذه النية ، أعرضت عن الحسناء وادرت اليها ظهرى ونمت ، وأما هى ، فلم تغمض لها عين ، وقامت في السحر ولم تخاطبني بكلمة ، وخرجت غضبى

اما انا ، فقد خرجت بعدها الى حانوتي فجلست فيه أبيع بضاعتى على جارى

عادتي ، فاذا بالحسناء الافرنجية قد عبرت على هي والعجوز ، وكانت معرضة وعليها سيماء الغضب ، ومع ذلك فهي تبهر النظر كأنها القمر . فدهشت في مكاني ، واحسست من فرط الشوق اليها انى هالك . فقلت في نفسي : « من انت حتى تتركهذه الجارية . هل انت من أولياء الله الزاهدين او من أحبابه المتصوفين ؟ هل انت السرى السقطى أو جنيد البغدادى ؟ ما انت الا فلاح من اولئك الفلاحين الاشداء في الصعيد وهم ليسوا بالعاجزين عن النساء ، ولا هم بالزاهدين ، ثم لحقت بالعجوز وامسكت بذراعها قائلا : « ارجعي الى بها » فقالت : « وحق المسيح ، ما ترجع الا بمائة دينار » فقلت : « أعطيك » ، وانقدتها اياها في التو والساعة

وفي المساء جاءتني الغادة الافرنجية ، والتقينا في داري كالمرة الثانية وفي هذه الليلة في المجلس نفسه وامام البحر نفسه وتحت السماء والنجوم نفسها راجعتني هواجس الامس ، فعففت عن المرأة . وفي الصباح انتفضت الحسناء قائمة ومضت وهي نائمة اشد ما تكون النقمة ولم البث بعدها ان مضيت الى حانوتي ، وبعد قليل عبرت العجوز وحدها وهي عابسة غاضبة . فما لحتها حتى تمثلت لى الحسناء الافرنجية فتضاعف شوقي وتضعضع حسى فقمت اليها مغلوبا على امرى وانا اكرر القول « ارجعي بها الى . ارجعي بها الى » فقالت : « وحق المسيح ما بقيت ايها المسلم تفرح بها عندك الا بخمسماية دينار او تموت كمدا » وانصرفت عنى وكنت ارتعد من الجزع لفكرة الحرمان منها بعد ان بلوت قلة صبرى عنها وايقنت انى دون وصلها هالك ، فعزمت انى ان اقرم ثمن الكتان للاجتماع بها وافدى نفسى بذلك . وما شعرت الا بالمنادى ينادي يامعشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت قبل اوانها القدر لها وقد أمهلنا من هنا من المسلمين اسبوعا ليقضوا اشغالهم وينصرفوا الى بلادهم »

وكان من ذلك أن انقطعت الافرنجية عنى ، فانصرفت الى بيع ما تبقى عندى من الكتان وتحصيل ثمن ما اشتراه الناس مؤجلا ، والمقايضة على ما بقى منه بضاعة

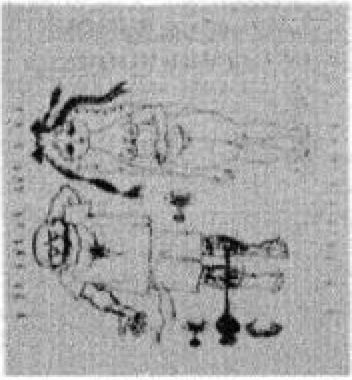
وخرجت من « عكا » وفي قلبي ما فيه من شدة الوجد واللهفة على تلك النصرانية التي اخذت مالي واستولت على قلبي وجعلت وجهتي دمشق الشام ، وكانت دمشق وقتئذ قاعدة الملك وملتقى القوات الحربية الوافدة من الجزيرة وديار بكر وسائر اطراف الشام ومصر ليكون فى دمشق توجيهها الى حيث يراد من مواقع الهجوم على مملكة الفرنجة في فلسطين ، لطردهم منها وتحرير ارضها من العلوج الغاصبين ، وكانت دمشق غاصة بالجموع ، وحركة التجارة فيها رائجة . فبعت البضاعة التى اخذتها من « عكا » بانفس ثمن لانقطاع وصولها بعد نشوب الحرب من جديد

والاحقت انتصارات السلطان الناصر صلاح الدين على الفرنجة فيما جرى من الوقائع واسر ملوكهم وفتح بلاد الساحل وقد كان من ذلك ان وقع في أيدي المنتصرين ما لا حصر له من الاسرى وجوارى السبي . فصرت اتجر في الحسان من جوارى السبي المستكثرين ليذهب ما بقلبي من الغادة الافرنجية ، ولم ازل ملازما التجارة فيهن حتى مضت على ثلاث سنوات

واتفق ان كانت عندي جارية حسناء ، فمضيت بها الى مخيمات عسكر السلطان ، فادخلوني الى حضرته في ساعة استجمامه ، فعرضتها عليه فأمر بشرائها . فاتفق معى رجاله على مائة دينار ، وسلمني منها تسعون دينارا ، وبقى لى عشرة دنانير لم توجد في الخزانة في ذلك اليوم لما كان من انفاق الاموال جميعها في محاربة الافرنج . فرأى للخلاص من هذا الموقف ان يمضوا بى الى الخيام التى اودعوا فيها جوارى السبي ، ليخيروني بين بنات الافرنج لآخذ واحدة منهن بالعشرة دنانير الباقية لى . فنظرت ما في تلك الخيام وتأملت في جميع السبي ، فاذا بينهن الجارية الافرنجية التى كنت تعلقت بها ، فلم أصدق عيني لتحققت منها وعرفتها حق المعرفة . وكنت قد علمت من صاحبتها العجوز انها امرأة فارس من فرسان الافرنج . فصحت بمن معى على الفور « اعطوني هذه » وأخذتها

***

ولما صرت الى خيمتي قلت لها : « اتعرفينني » . قالت « لا » . قلت : « أنا صاحبك الذى كنت اتاجر في الكتان ، وقد جرى لى معك ما جرى ، ثم اعلنتني صاحبتك العجوز انى ما بقيت انظرك الا بخمسمائة دنانير ، وها انذا قد اخذتك ملكا بعشرة دنانير » . فحدقت النصرانية نظرها تتعرفنى ، ثم



طرقت ، وبعد لحظة قالت . « أيها المسلم هذا التوفيق من عند ربك هو سر من أسرار دينك . وها أنا أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » وهكذا اسلمت على يدي وحسن اسلامها . فوقع ذلك في نفسي حتى أني عاهدت الله الا آتي اليها الا بعد عتقها وزواجها على يد القاضي .

ومضيت بها الى القاضي « أبو المحاسن بهاء الدين بن شداد » الذي كان قد اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين منذ عام ٥٨٤ ﻫ (١١٨٨) تولاه قضاء العسكر ، وكان يصحبه السلطان في السلم والحرب حيثما توجه . وحكيت للقاضي بهاء الدين بن شداد ما جرى ، فعقد لي على تلك الافرنجية وهي مسلمة ، فأصبحت حليلتي وبعدها بت معها ، وما كان أسعدني حين علمت بحملها مني . ولما رحل العسكر بعد أن انعقدت الهدنة الأخيرة مع ملك الانجليز الفارس « ريتشارد قلب الأسد » مضيت الى مدينة دمشق مع زوجتي الافرنجية المسلمة ، وأقمنا فيها حتى أتى رسل السلطان يطلبون الاسارى والسبي بالاتفاق وقع بين الملوك . فرد كل ما في حوزته من أسرى من النساء والرجال ، فلم يبق غير المرأة التي عندي . فعاد رسل السلطان يقولون ان امرأة الفارس فلان لم تحضر ومازالوا يسألونها ويلحون في طلبها حتى كشفوا أنها عندي . فطلبوها مني ، فدخلت عليها وأنا في شدة الوله وقد تغير لوني ، فقالت لي : « مالك وما الذي أصابك ؟ » فقلت : « جاء رسول يأخذ الاسارى جميعهم وطلبوك مني » فقالت « لا بأس عليك ، أوصلني الى السلطان ، وأنا اعرف ما سأقوله بين يديه » فأخذتها الى الديوان ، وأحضرتها قدام السلطان الناصر ، وكان رسول ملك الافرنج جالسا على يمينه ، وقلت « هذه هي المرأة التي عندي » . فقال السلطان : « لقد فك الله اسرك أنت وغيرك فهل ترجعين الى بلادك » فقالت للسلطان : « أنا قد أسلمت وحملت وهذه بطني كما ترون ، وما بقيت الافرنج تنتفع بي » فقال لها رسول ملك الافرنج « أيهما أحب اليك ، هذا المسلم او زوجك الفارس فلان » فقالت له كما قالت للسلطان فقال الرسول لمن معه من الافرنج : « هل سمعتم كلامها » قالوا « نعم » وعندها ادار الرسول وجهه الى وقال : « خذ امرأتك وامض بها »

***

وما كنت أمضي بها ، حتى كان الرسول قد ارسل خلفي عاجلا . فلما رجعت اليه لأرى ما يريد قال : « ان أمها أرسلت اليها معي وديعة ، وقالت ان بنتي أسيره وهي عريانة ومرادي أن توصل اليها هذا الصندوق ، فخذه وسلمه اليها » .

فتسلمت الصندوق ، ومضيت به الى الدار وأعطيته لها ، ففتحته ، فرأيت فيه قماشها بعينه ، ووجدت الصرتين الذهب والخمسين دينارا ، والمائة دينار ، وقد رأيت الجميع برباطي لم يتغير منها شيء »

وهنا ختم الشيخ الصعيدي حديثه العجيب من مغامرته العاطفية ايام الحروب الصليبية ، قائلا : « هكذا شاء الله أن يوفقني الى هذه الافرنجية ويرزقني بهؤلاء الاولاد منها

وبهذا تنتهي حكاية « الفلاح الصعيدي والسيدة الافرنجية » نهايتها السعيدة في القاهرة ، بعد أن امتد مسرح حوادثها الى ميناء

عكا ودمشق وغيرها من البلاد الاسلامية اثناء الحروب الصليبية في عهد بطل الشرق والاسلام الناصر صلاح الدين الايوبي .

***

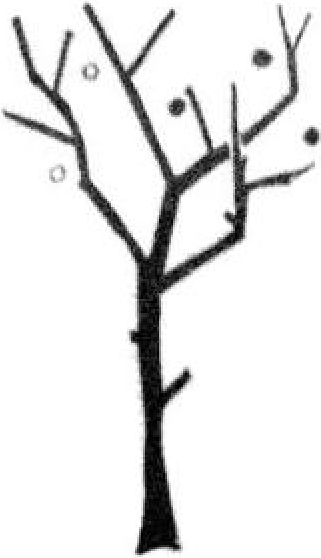
وليس من العسير بعد تحقيقنا ما احاط بهذه الحكاية من ملابساتها التاريخية ان نشفع ما ذكرناه عن اماكن وقائعها بزمان وقوعها استيفاء للبحث . فنقول ان الهدنة التي قطعت على فلاحنا الصعيدي مغامرته الاولى مع السيدة الافرنجية في عكا هي فيما يهدينا اليه تحقيقنا تلك الهدنة التي توخى عقدها الكونت ريموند صاحب طرابلس الذي كان الوصي على ملك القدس الطفل بودوان الرابع مع السلطان الناصر صلاح الدين لمدة اربع سنوات تقع ما بين ٥٨٠ ــ ٥٨٤ هجرية وتوافق ١١٨٤ ــ ١١٨٨ ميلادية . والثابت في التاريخ ان هذه الهدنة انقطعت بعد سنتين بسبب اعتداء صاحب قلعة الكرك الكونت رجينالد دى شاتيون ــ وكان يسميه المسلمون « ارناط » ــ في الطريق بين مصر وسوريا على قافلة كانت تحمل تجارة عظيمة ، وكان من المسافرين معها للحج اخت السلطان صلاح الدين نفسه . فاعتبر السلطان هذا الاعتداء الذي وقع عام ٥٨٦ هجرية « الموافق ١١٨٦ » ميلادية نقضا للهدنة ، فاعلن على المعتدين الصليبيين حربا حاسمة استرد فيها مدينة القدس عام ١١٨٧ وغيرها من المدن المحتلة ، ولم يغمد سلاحه ضدهم الا سنة ١١٩٢ اى قبل وفاته بسنة واحدة ومن حيث ان حكاية فلاحنا الصعيدي تروى ــ كما قدمنا ــ انقطاع صلته بالسيدة الافرنجية في عكا عندما نودي بالمسلمين في عكا بضرورة الرحيل منها لانقطاع الهدنة ، ومن حيث ان تاريخ انقطاع الهدنة كانت سنة ٥٨٢ هجرية الموافقة ١١٨٦ ميلادية ، فيكون ذلك العام او الذى قبله هو تاريخ بدء مغامرات فلاحنا الصعيدي في مملكة اورشليم في عهد الصليبيين

***

ولا شك عندنا في ان هذه القصة بعد اعادة عرضنا لها على ضوء التاريخ ، تصبح ذات قيمة لا تقل عن قيمة الكتاب القديم الذى كتبه الراهب المسيحي المعاصر بعنوان « تاريخ أورشليم » ، ان لم يكن من ناحية التاريخ السياسي ، فمن ناحية تصوير المجتمع في تلك الحقبة من التاريخ التى التقى فيها الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ذلك اللقاء الذى كان له الاثر البعيد في نهضة الغرب وتقدم الحضارة البشرية وبدء التاريخ الحديث

خليل نور الدين :

تفسير جديد لمسرحية ياطالع الشجرة





توفيق الحكيم

ثار الجدل أخيرا بشكل قد يبدو مبالغا فيه حول مسرحية توفيق الحكيم الجديدة (ياطالع الشجرة)

والمسرحية تستأهل كل هذا الجدل ، ذلك انها فوق انها من لون جديد على المسرح العربي .. فهي غنية كل الغنى سواء من حيث الشكل او من حيث المضمون

ولقد اشتد الخلاف بين النقاد وآخره ماكان بين الاستاذ رشدى صالح والاستاذ سعد اردش من خلاف فى ندوة التليفزيون التى اذيعت منذ مدة . ولعل اشتداد الخلاف حول المسرحية كان وليد التكييف غير الدقيق لطبيعتها ذلك ان الاجماع كاد ان ينعقد على انها من نوع المسرحيات اللامعقولة وهذا التكييف محل نظر

ان مسرحية العبث او اللامعقول انما تقوم على حوار يبدو

انه عبث ، هو اشبه بالخطــوط المرسلة غير المترابطة التي تعطى فى نهاية الامر احساسا كليا بمعنى انسانى معين ، يهدف فى هذا النوع من المسرحيات الى اثبـات عبث الحياة على نحو أو آخر . فاذا ماوضع هذا الحوار تحت منظـار المنطق او العقل بدا بعيـــدا كل البعد عنهما ، بدا عبثا او لامعقولا

وليست كذلك مسرحيةالحكيم. واذا كان للقارىء الحق كل الحق فى أن يفهم مايستهدفه الحكيم من مسرحيته ،فانه يتعين عليناان نشير اشارة عابرة الى المصدر التاريخى لهذا النوع من المسرحيات ، وان نلمح الى فلسفة هـذا النهج من المعالجة المسرحية ، اذ انه من شأن هذا الايضاح ان يلقى الكثير من الاضواء على ماقد يبدو غامضا من النص المسرحى. وقد يعين تلخيص المسرحية على زيادة هذه الاضواء

***

ان المسرحية لايجدى معهـــا التلخيص ـ الا الى حد ـ ذلك ان كل حرف فيها يشترك فى بنـــاء المسرحية.واذا كان لابد من تلخيص

صلاح قابيل .. فى دور المحقق..!



احداثها فتقول :

ان بطل المسرحية كان يعمل مفتش قطارات طيلة حياته ، الى ان احيل الى المعاش ، وتزوج من ارملة ورثت من زوجها السابق بيتا ، وحملت منه حملا اسقطته عمدا ، اذ كانت تظن حينئذ ان وقت الحمل لم يحن بعد ، ولم تنجب بعد ذلك ابدا

وتعيش حزينة بعد ذلك على هذا الذى اسقطته . ثم يحدث ان تغيب الزوجة أكثر من يومين دون سبب واضح .. فيبلغ الزوج البوليس بغيابها .. ويحقق ضابط البوليس واقعة الغياب .. وتبدا شبهاته تتجه نحو الزوج ، ويتهمه انه هو الذى قتل زوجته ... ودفنها تحت الشجرة الموجودة بفناء المنزل •• والتى يهتم الزوج كل الاهتمام بتسميدها ورعايتها .. كما يهتم فى نفس الوقت بسحلية سماها – ام محمد – كانت تسكن جحرا اسفل الشجرة . لقد هم بأن يقتل السحلية عندما رآها اول مرة .. ثم اعتاد عليها فتركها وشأنها

ان السحلية كانت تخرج من جحرها ، وتعود اليه فى المواعيد التى تخرج فيها زوجته وتعود .. ولما غابت زوجته ، خرجت السحلية هى الاخرى ، ولم تعد .. انه لم يكن يحمل لزوجته مشاعر باعثة على القتل ، ويثبت ذلك للضابط المحقق بان يستحضر الماضى .. ويدور الحديث امام الضابط بين الرجل وزوجته – الحديث الذى كان يدور بينهما قبل غيابها – وقد انعدمت فواصل الزمان والمكان – ويتبين من الحديث انه لايفكر الا فى شجرته بينما هى لاتفكر الا فى سقطها .. هى همها الحياة .. وهو لا يعنيه الا الشجرة والمال

ويروى للضابط تاريخ حياته فى القطار قبل احالته الى المعاش .. ويستحضر صورة الماضى – مرة ثانية – فيظهر القطار ، ويظهر اهتمامه الكبير بعد الاشجار التى على جانبى الطريق •• وفجأة يدخل الى مقصورته فى القطار صوفى يتنبأ له بانه سيقتل زوجته .. وينتهى الحوار بان يستنتج الضابط من اقوال الزوج انه قد قتل زوجته .. فيقبض عليه ، ويزج به فى السجن .. ثم تظهر الزوجة بعد ذلك ، وتقول للضابط انها كانت غائبة فى بعض شأنها ، وهى حية ترزق كما يرى •• ويفرج عن الزوج

ويدور حوار بينه وبين زوجته حول سبب غيابها . ويسألها اين كانت طوال يومين كاملين .. فلما ترفض الاجابة .. يقتلها .. ثم اذا بجثتها تنتقل من تلقاء نفسها تحت شجرة الزوج لتضع له سمادا مثاليا .. السماد المثالى الذى كان يحلم به .. ولتخرج له شجرته ما كان يحلم به من ثمار على مدار السنة .. فتخرج بذلك عن طبيعتها وتخرج فى كل شهر ثمرة من نوع


مفتش القطارات .. بطل المسرحية .!

هذه خلاصة سريعة لشكل المسرحية ولااقول لموضوع المسرحية

***

ان مسرحية الحكيم من نوع جديد على المسرح العربي .. انها من المسرحيات التى يطلق عليها اصطلاحا .. مسرحيات الاحلام : .
فماهي مسرحيات الاحلام هذه ؟!.
ليس هذا النوع من المسرحيات جديدا على المسرح العالمى .. بل لعله من اقدم انواع المسرحيات . حتى انه قبل ان يبدا هذا القرن .. تزعم الكاتب المسرحي — ستراندبرج — هذا اللون من المسرحيات وطوره تطويرا كبيرا .. ومن مسرحياته المعروفة مسرحية الى دمشق Till Damascus كتب الجزء الاول والثاني منها سنة ١٨٩٨ وكتب الجزء الثالث سنة ١٩٠٤ وفيها نرى شيئا مختلفا تماما عن المسرحيات التى كانت سائدة عندئذ ، فهو يعرض الاحلام عرضا مسرحيا .. وقد سار ستراندبرج على نفس هذا الاسلوب المرحى فى مسرحية الحلم The Dream play ومسرحية الشبح سوناتا The Spook Sonata وفى هذه المسرحيات حاول ستراندبرج ان يسير على خطة معينة فى معالجة المسرحية .. لقد استفاد من اسلوب الاحلام ، الذى يتميز بميزتين رئيسيتين :
الاولى : — ميزة تفكك عناصر الحلم

والثانية : ـ ظاهرة منطقية الحلم ، رغم هذا التفكك الظاهر

فكل شيء محتمل ويمكن حدوثه في المسرحية كما في الاحلام . . . هذا الى ان سترانديرج قد تخلص من قيد الزمن والمكان ، في بناء مسرحياته هذه . . مسرحيات الاحلام

فالخيال اذن يمكنه ان يبتكر نماذج جديدة من المسرحيات مستمدا اصولها من اساس واقعي ساذج . . . وان لم تخل هذه السذاجة من عمق . . ويمكن أيضا أن يستخلص الكاتب المسرحي من انشودة شعبية . . . ـ مثل ـ يا طالع الشجرة ـ الكثير من المعاني ويعالجها على اسلوب الاحلام حيث ينمحي الزمان والمكان . . وحيث تمتلىء المسرحية بالخيالات والاعمال الغريبة التي قد تبدو مرتجلة أو عفوية ـ كما في الحلم ـ وان كانت في حقيقة امرها ترمز مثله الى معان محددة منطقية . . . ولان الحلم هو اساس فكرة هذا النوع من المسرحيات فان الكاتب سواء أكان سترانديرج أم (. . الحكيم . .) وغيرهما يستوحي الأحلام ، وما يجري فيها فيما يورده بمسرحياته من احداث . انه لا يتقيد حينئذ بالتقاليد او القوانين . . او باي قيد يضعه المجتمع : . انه يتحرر في كتابته من جميع قيود اليقظة . . . انه ينفلت حتى من قيد

الضمير . ذلك ان الضمير يقف مكتوف الأيدي ازاء الحلم . . ان الحلم مصدره ـ على ما استقر عليه علماء النفس ـ اللاشعور . . حيث تنزاح عن النفس رقابة الرقيب، وسلطان الذات او الانا . . . . ومن فوقهما الذات العليا . . او الأنا العليا . .

هذه واحدة . . .

. . والثانية . . هي أن الحلم يبدو ان له جانبين . . جانب ظاهر ، وهو مايراه الحالم من احداث . . وجانب ثان باطن . . وهو يتمثل في حقيقة ما تشير اليه الاحداث الظاهرة في الحلم من معان خفية .

فالمحتويات الظاهرة

Manifest Content

هي الوصف الظاهر لاحداث الحلم البادية للحالم، وتتسم هذه الاحداث بالتفكك والابتعاد عن القانون والمنطق والضمير ـ على النحو الغالب في الاحلام ـ ولهذه الاحداث علاقة بالخبرات او المثيرات الخارجية القريبة او الحسية المباشرة . ولكن الحلم في العادة له معنى أعمق من هذا الذي يبدو للحالم . انمحتويات الحلم الظاهرة . . ان هي الا صورة مقنعة (اوتنكرية او رمزية) لامور اخرى.

مثال ذلك . . ايذاء الاب لابنه . . انه يثير في نفس الابن عوامل الغضب . . . انه يتمنى ان ينتقم . . ولكن الاداب العامة وتقاليد المجتمع تحتم عليه ان يقابل هذا الاعتداء

برضا . هذا الرضا يفرضه المجتمع على الذات (الانا) فتضطر الذات ازاء هذه النظم والتقاليد .. ان تكبت بمساعدة الذات العليا كراهية الاب والنزعة الى الانتقام منه .. وفى ليلة ماقد يحلم الابن انه قد قتل اسدا أو ثعبانا .. او سحلية .. – والاسد والثعبان والسحلية كلها صور رمزية او مقنعة يمكن ان تمثل الوالد .. وهي المحتويات الظاهرة للحلم . اما مضمون الحلم فهو الانتقام من الاب

مسرحية الاحلام اذن والتي كان ستراندبرج احد اعلامها فى اواخر القرن ١٩ هي نفسها مسرحية توفيق الحكيم يا طالع الشجرة .. هى لا من حيث النص ولكن من حيث فكرة البناء الدرامى .. واسلوب الكاتبين وفلسفة كل منهما فى معالجة الفكرة الدرامية التى يريد ابرازها

***

ولعله من عجيب المصادفات ان تبدا مسرحية الحلم لاستراندبرج بمحاولة بين صانع زجاج وابنته وهما ينظران الى قلعة يزيد علوها باستمرار ... لماذا ... ؟؟

لانهما قد وضعا فيها سمادا ولذا فانه ينبغى أن يبدو عليها الازدهار والنماء . وفى مسرحية الحكيم ذات الفكرة .. يسمد الزوج الشجرة بالسماد تلو السماد لتنتج من كل زوج بهيج .. واخر المطاف يسمدها بجثة زوجته لتعلو وتزدهر هى الاخرى . كما علت قلعة ستراند برج الزجاجية بعد تسميدها

مسرحية توفيق الحكيم اذن هى احدى مسرحيات الاحلام .. وهذا الفهم كفيل بأن يفسر ذلك الحشد من الرموز الذى امتلأت به المسرحية .. واشارت فى نفس الوقت فى وضوح الى مضمون هذه الرموز

من الواضح اذن أن الحكيم كما قال هو – قد استوحى فكرتها من الانشودة الشعبية .. « او الحلم » ..

حلم اليقظة الشعبى الذى يقول ..

يا طالع الشجرة
هات لى معاك بقرة
تحلب وتدينى
بالمعلقة الصينى
الخ ...

ان لهذه الانشودة « كما هو الحال فى اى حلم » مضمونا ظاهرا يشير الى المنشد الشعبى الفقير كان حالما فى يقظته . يسأل طالع الشجرة أن يأتى له ببقرة تدر عليه لبنا ومعه اداة متواضعة .. لما كان يبدو ترفا فى نظره « المعلقة الصينى » هذا هو المضمون الظاهر اما ما يرمز اليه هذا المضمون فهو أن الفلكلور الشعبى الذي كان يترجم امانى هذا الشعب .. الفقير الجائع .. – بهذه الاغنية – يتمنى ان يحصل على الغذاء .. الغذاء الضرورى .. « اللبن » ولكنه يتطلع الى ان يأتيه هذا الغذاء على سبيل الدوام والاستقرار ..

فيحقق له امنه .. امن لقمةالعيش ... وهو لذلك لا يطلب لبنا وانما يطلب بقرة ، تعطيه اللبن صباح مساء .. وهو بعد ان حصل على ضروراته يتطلع الى نوعمتواضعمن الترفيه يرمز اليه بالملعقة الصينى

ولكن من الذى يستطيع انيحقق له هذه الامنية .؟!

انه ذلك القوى الصاعد الى قمة الشجرة ... حيث توجد الثمار .. وحيث يمكن اقتطاف هذه الثمار .. طالع الشجرة اذن هو صاحب السلطان الاقتصادى ... الاقطاعى صاحب رأس المال ، الذى يزداد غنى كل يوم .. ويرمزالمنشد الشعبى الى هذا المعنى بقوله « يا طالع الشجرة » .. ان الصعود هو رمز القوة والارتفاع

***

هذه الفكرة الرئيسية فىالانشودة الشعبية التى استوحاها الحكيم فى احدى عبقرياته الجديدة ، التى نعتقد انها فاقت كل ماكتب ،وصبها بعد ذلك فى مسرحية من مسرحيات الاحلام ، حيث تنعدم المقاييس والسنن ، ويزول الزمان ويزول المكان .. وتزول القيم الاجتماعية التى تكبل الرأى ، ليبرز المعنى بعد ذلك فى رمزية بليغة واضحة ... تصرخ للسامع او المشاهد بحقيقة مضمون المسرحية ، دون ان تقفق سبيل ذلك عوائق الزمان او المكان او اية عوائق اخرى ايا كان نوعها .

على هذا الفهم يمكن ان تفسر حلم الحكيم ، او مسرحية الحكيم بعبارة اخرى

ان الحكيم يشير الى ان بطل القصة (الزوج) وهو الذى عاش حياته على هامش الدنيا يركب قطار الحياة ، شأنه شأن الملايين من المسافرين ، كان يتطلع فى صمته وتفاهته فى نهم الى خيرات وقوة ليس له منها شىء .. ترمز اليها تلك الاشجار التى كان يمر عليها قطار الحياة ، غاديا رائحا وهو لايتعب من عدها واحصائها ، دون ان يملك وقتئذ من امرها شيئا .

انه كان متيما بهذه الاشجار ، التى ترمز الى الثروة والقوة .. فلما ملك شجرة عن طريق مصادفة الزواج من زوجته ، افرغ حلم حياته لانماء هذه الشجرة .. لانماء اداة الاستثمار هذه .. ان اغلى ماتصبو اليه نفسه هو امتلاك وسيلة القوة هذه .. الشجرة .. لقد اصبح راسماليا نهما بعد ان امتلكها .. انه لاينظر الى زوجته ولا يحدثها الا عن الشجرة وثمارها .. او استثمارها . هى تتحدث عن الحياة التى تتمثل فى ذلك الحمل الذى اسقطته بيدها من زوجها السابق دون ان تدرى مغبة هذا الاسقاط او السقوط بوصفه منصبا على الحمل ولكن بوصفه منصبا على ثمار الشجرة .. شجرة البرتقال .. او قل ان شئت شجرة الخلد وملك لا يفنى .. شجرة آدم التى اخرجته من الجنة . الشجرة أهم عنده من زوجته ومن الحياة نفسها..بحيث انه فى نهاية المطاف سيئد الحياة

ذاتها ، جثة زوجته بعد أن يقتلها) تحت اقدام الشجرة لتثمر وتثمر هذه الثمار الشيطانية ..ولوكانت حياة الاخرين نفسها هى الثمن الذى يقبل من أجله ان يسفح دماءهم لتثمر هذه الشجرة ..

ثم يأتيه الصوفى الذى يرمز هنا ــ فى رأيى ــ الى القدر ليقول له انه مكتوب عليه ان يقتل زوجته.. اما من اين اتى الصوفى بهذه النبوءة ..؟!

انه منطق الامور الذى يجيب.. ذلك ان الصوفى يعلم من امر مفتش القطار كل شىء ويعلم مقدار نهمه وتطلعه الى أن تخرج هذه الشجرة عن طبيعتها ، فتهبه فى كل شهر ثمارا جديدة مختلفة.. رمان مشمش .. خوخ .. الخ على مدار السنة .. وهى لاتثبت ذلك الا اذا سمدت بافخر انواع السماد .. الحياة البشرية .. جثة زوجته ــ وهو من النهم بحيث يسهل على حكيم الحكيم (الصوفى) ان يتنبأ بأنه لابد وان يقوم بالضرورة وبحكم طبيعة الامور بقتل زوجته لتخرج له الشجرة مايريد .. أتعلى يضحى عندئذ بالكثير .. ان زوجته خليقة ــ فى نظره ــ بان تستخدم سمادا أو وقودا لهذه الشجرة اذ قد بلغ استخفافه بأمرها بأن جعل لها معادلا موضوعيا .. السحلية (ام محمد) فهى تخرج كما تخرج السحلية وفى نفس الموعد وتعود حينما تعود وفى نفس اللحظة .. وهو قد هم بان يقتل السحلية عندما رآها للمرة الاولى ثم احجم لارحمة بها .. ولكن لانه قدتعودها .. انه لم يجد فائدة من وراء قتلها انه قد تعودها كما تعود زوجته..

وحتى يؤكد الحكيم هذا المعنى ابرز واقعة غياب السحلية اكثر من يومين حينما غابت الزوجة نفس الفترة ثم عادا معا

***

رجل هذه نظرته الى حياة الناس ، التى يرمز لها الكاتب بحياة زوجته وسقطها يسهل عليه ان يقتلها .. ان يستخدم جثتها وقودا او سمادا لشجرة استثماره التى اصبح يعيش بها ولها ومن اجلها حتى اصبح المال عنده غاية بدلا من ان يكون وسيلة .. رجل قد انقلبت فى نظره القيم والاوضاع راسا على عقب الى الحد الذى يقتل معه زوجته ليسعد بهامطامعه وهو قبل ذلك كله يقتلها لسبب واه .. أو للاسبب فهو يسألها حينما غابت اين كنت ..؟ فلما ترفض الاجابة يقتلها .. انه لم يكن يغار عليها .. هكذا قالت المسرحية .. انه لم يكن يشك فيها .. هكذا قالت ايضا .. اما لماذا هو قد قتلها ..؟ فالسبب بعد كل ماذكرنا قد اصبح واضحا كل الوضوح .

انه قتلها لان حياتها (**الحياة**) **فى نظره لاتساوى شيئا .. اللهم الان** تكون سمادا مثاليا يخرج من هذه الشجرة المعجزات فتخرج على مرور الاشهر ازواجا مختلفة من الثمار ترضى جشعه وحلمه القديم اذ يعد

الاشجار على الطريق وهـو يركب قطار الحياة .. حينما لم يكن له من امر هذه الحياة شيئا . بقى ان نقول ان ماقد يبدو من انعـدام الفواصل الزمانية او المكانيـــة فى المسرحية .. كما حدث عندما راى الزوج أن يثبت للضابط المحقق أنه لم يكن على خلاف مع زوجته الغائبة يستدعى ان يقتلها .. فلا تلبث ان تحضر هى من الماضى ويجلس هو الى جوارها .. ويعاد المشهد الذى حدث منذ سنين أمام المحقق أثناء قيامه بالتحقيق .. اى ان الماضى يصبح حاضرا .. تنمحى بينهما فواصل الزمان والمكان .. هـذا هو أسلوب الحلم .. ومضمونه فى مسرحية من مسرحيات الاحلام وبعد ..

هذه هى مسرحيـة الحكيم .. كما نراها قـد وضعها فى نص أحكم بناءه .. أبعـده فى رأينا عن فكرة اللامعقول .. مدرسـة يحتذى بها من مدارس المسرح وان كانت من نوع مسرحيات الاحلام..

ورب قائل ان الاحلام وهـم .. ونقول وهل الوهم فى حد ذاته الا حقيقة

ولايفوتنا ان نحيى فى اكبار كل من أسهم فى هذه المسرحية بنصيبه، وعلى راسهم السادة سعد أردش وجلال الشرقاوى وصلاح منصور والسيدة نجمة ابراهيم .. لقـد تالق كل واحد منهم كما لم يتالق من قبل

نستطيع ان نقول ان الفـكرة الاساسية لهذه المسرحية التى تهاجم الجشع الراسمالى.. هى ان شهوة المال والرغبة المجنونة فى الحيـاة والقوة من شانها ان تعمى عن حقيقة الحياة بل ومن شانها ان تقضى على هذه الحياة نفسها

زوجة القتيل .. اختفت يومين..!



مسرحية الشهر

السكين الكبير!

مسرحية

الكاتب الأمريكي

كليفورد

أوديتس

ترجمة وتقديم

صوفي

عبد الله





كليفورد أودتس

السكين الكبير

هل يستطيع الانسان الأمين لمبدئه ومثاليته بالغة ما بلغت موهبته ومكانته أن يعيش مبدأه كما يريد اذا كان قد سمح لنفسه مرة واحدة أن يقع تحت سلطان الاغراء المادى الذى تمارسه الاتحادات الضخمة والشركات الكبرى فى مجتمع قائم على التنافس المالى وعبادة الدولار وتعتبر نفسها فى حالة حرب شاملة تستبيح كل شىء وتحقق النصر بأى ثمن !

ان شعار مثل هذه الحرب أن النقود لا رائحة لها مهما كان مصدرها . فكل النقود نظيفة حتى ولو كانت ثمرة لاقذر العمليات والوسائل .. كل الوسائل مشروعة مادامت تؤدى الى النصر وسحق الاعداء والنافسين والسيطرة على السوق . فلا الرحمة ولا الشرف ولا الكرامة لها مكان أو معنى فى قاموس ذلك النظام !

وعلى منوال مسرحيات ابسن يبدأ الفصل الاول وقد وقع خطأ ما فى الماضى فاذا بهذا الخطأ الدفين لا يندثر ولا يتلاشى . بل يظل ينخر فى بناء الحاضر ، حتى تصل الاحداث الى ذروتها ، فيبرز ذلك الماضى من بطن الارض ليتحدى بطل المسرحية ويتقاضاه فى النهاية الثمن الفاجع ...

واذ يرتفع ستار الفصل الاول نلقى أنفسنا فى قاعة اللعب بقصر تشارلى كاسل فى بيفرلى هيلز حى النجوم فى هوليوود عاصمة السينما الامريكية . ومركز نشاط الوف اللاعبين من الدولارات وما تمثله من سلطان ظاهر أو باطن والوقت بعد ظهر يوم من أيام الصيف . وندرك لاول وهلة شيئا قريبا لهذا الملك من ملوك الشاشة والشهرة والفن والثراء مضطر لمصانعة امرأة صفيقة تعمل محررة فنية وصناعتها نشر الاراجيف وتشويه سمعة الرجال والنساء وهى فى الواقع أداة تحركها أيدى أصحاب الشركات الخفية وتتيح لها نشر لغطها وافترائها فى مجموعة من الجرائد فى وقت واحد يبلغ عدد قرائها ١٨ مليونا من القراء يوميا . وهذه الصحفية اسمها باتريشيا وتتمتع بصفاقة مثيرة ولكن تشارلى ملك الشاشة ومعبود الجماهير يقابل سماجتها بالتزلف والمداراة ويقابل لوريالهاوغمزاتها بالتودد ، فلا تزداد الا ايغالا فى الاشارة الى أصله الالمانى التواضع وكأنها تهدده باثارة هذه المسألة لتشوه سمعته فى أعقاب حرب ضد ألمانيا . ثم تنتقل من ذلك الى الخوض فى علاقته بزوجته وماعتراها من فتور يؤذن بالطلاق ، وهو يؤكد لها أن زوجته تقيم على الشاطىء مع ابنهما الوحيد بمناسبة حلول فصل الصيف ورعاية لصحة الصغير ، فتنتقل من ذلك الى ملاحقته بالاسئلة ، عن تجديد عقده مع

هوف رئيس مجلس ادارة الشركة التى تحتكر مواهبه ، فتدرك أن هذه التهديدات جزء من حملة الاعصاب التى يراد بها ارغام تشارلى على امضاء عقد التجديد لمدة أربع عشرة سنة ، ولسبب تجهله يراوغ تشارلى فى الاجابة ، فتعود باتريشيا الى غموض من ناحية جديدة هى صديقه « بليس » مدير دعاية الشركة ، فتذكره أن بليس إدانه القضاء منذ عام وحبس عشرة شهور فكيف تعيده الشركة الى منصب مدير الدعاية لمجرد انه صديقه القديم ؟ واعجب من هذا ان جريمة بليس غير مقطوعة الصلة بتشارلى نفسه، لان بليس سرق فى ليلة عيد الميلاد سيارة تشارلى وهو فى الاستوديو يقضى السهرة ودهم طفلا فقتله ولم يقف بل هرب وأعاد السيارة الى مكانها فى فناء الاستوديو ، وعقب البوليس السيارة ووجه التهمة الى تشارلى لولا ان بليس انبرى فى اللحظة الاخيرة واعترف بكل شيء . وتلح باتريشيا فى تفاصيل هذه المسألة القديمة غير مبالية بشعور بليس الموجود فى الحجرة وكأنها تتحدى أو تتوعد تشارلى اذا لم يخضع بأن كل شيء سيتحطم ، حتى مستقبل صديقه

ويتخاذل الرجلان امام هذه المرأة المتطرسة وهى تستعرض عضلاتها الصحفية على طريقة الصحافة الصفراء القائمة على اللغط والتشهير ، واذا بماريون زوجة تشارلى تدخل فجأة لاخذ مزيد من البياضات الى المصيف بعد أن اضاع الغسل هناك أكياس الوسائد ، وتنتهز باتريشيا هذه المناسبة فتسألها بوقاحة هل تستخدم هى وتشارلى سريرا واحدا أم ينامان فى سريرين منفصلين فى المرة الأخيرة منذ خصامهما ؟ وتحملق ماريون فى وجهها دهشة ولكن باتريشيا تقول :

ـ وماوجه العجب فى هذا السؤال ؟ لقد أصبح الطلاق فى مجتمعنا شيئا شائعا وعاديا جدا كالاصابة بالزكام

ـ سواء أكان عاديا أم غير عادى فعلاقتى بزوجى ليست من شأنك وليس لك أن تتدخلى فيما لايعنيك !

ـ انت ابنها الصغيرة من لجسر على محاجبتى بهذا ؟

ـ يبدو اننى الشخص الوحيد فى هذه المدينة الذى يجد لديه من الرجولة مايمكنه من ابقائك عند حدك . مع السلامة !

***

وتخرج باتريشيا مترعدة وتشارلى فى حالة فزع اشفاقا من النتائج الرهيبة ولكن ماريون تقف بثبات وتحول الهجوم الى تشارلى نفسه وتطالبه بأن يكون الرجل الذى كانت تعرفه سابقا . وتطلب منه بصراحة أن يخبرها الان عن موقفه الحاسم من تجديد العقد . لانها لن تعود اليه هى وابنها اذا وقع عقد التجديد

ـ ولكن ماذا ستصنعين وحدك ياماريون فى مواجهة العالم اجمع انت فتاة وحيدة فى الدنيا ليست لك اسرة وليس لك أصدقاء سوى هانك وهو صديق مشترك بينى وبينك ؟

ـ وهانك هذا طلب يدى للزواج ليلة أمس اذا طلقتك !

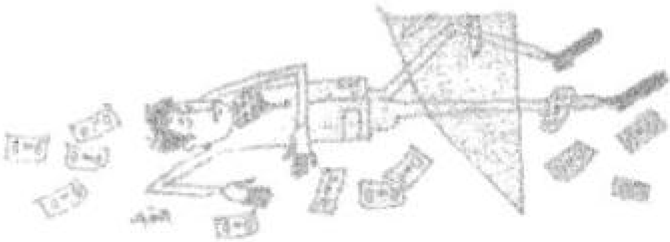
ويكاد يصعق تشارلى ، ولكن ماريون ترده الى موضوع العقد لانه الحد الفاصل بينهما

ـ ان ذلك العقد معناه أكثر من ربع مليون دولار فى السنة ياماريون على مدى ١٤ عاما ، أى ثلاثة ملايين ونصف

ـ ان هذا العقد ياتشارلى معناه العبودية والخيانة فى المدة الباقية من حياتك العملية . لقد كنت وانت ممثل مسرحى تفيض بالحيوية والتطلع الفنى وتعيش مبادئك اما الان

ـ اعرف اننى الان ثور ميكانيكى يدير لولبه « هوف » ، ولكن ماذا اصنع ، وانا اسيره الان للسبب الذى تعرفينه جيدا . وامضاء العقد هو فديتى الوحيدة

ـ وهل تسمى هذا فدية ؟ انك ستعيش لتمثل ادوارا تافهة كأدوارك فى الافلام العشرة الاخيرة تكرر فيها نفسك وتقدم الجمهور مثلا سيئة ونماذج مريضة وسلبية تخدعهم عن الوجه الحقيقى لحياتهم ريثما يقوم هوف وشركاؤه بتشل جيوبهم



وتشل ماق قلوبهم أيضا من بقية الحماسة للحياة والايمان بقيمها . انك بما تسميه قدية تبيع نفسك لتحارب قيم الفن والحياة التي عشت لها على المسرح

— وماذا أصنع ؟

— تعهد له ألا تمثل على الشاشة لحساب أحد غيره ماحييت !

— هذا لن يكفيه سيحطمني ويشهر بي ويتسبب في افلاسي .

— لقد جئنا الى هنا منذ سنوات لا نملك الا حقيبة ثيابنا . فما علينا ان نرحل من هنا على هذه الصورة لتمثل على المسرح

— الممثل المسرحي قد ينتظر أعواما قبل أن يجد النور اللائق

— أرأيت ؟ انه عندما يمثل سيكون نوره لائقا . وهذا هو المهم ان تصنع ماهو جدير بك لا مايخزيك ولكنه يتخمك بالمال وبالشهرة

— آه . وماذا يربح الانسان ..

— بالضبط ! .. وسيكون هذا الدخل المحدود ثروة ضخمة ونحن نعيش بضمائر راضية . وليس بالخبز وحده يحيا الانسان . والآن أتركك لتقرر مصيرنا .

***

وتخرج ماريون بعد هذا الانذار النهائي عائدة الى الشاطىء ويدخل وكيل اعمال تشارلي الفني العجوز دانزيجر ليحمل اليه قلق هوف وضيقه بهذه المماطلة وأنه مستعد لزيادة الاجر . فلا الوكيل ولا هوف ولا أحد يفسر هذا التمنع بسببه الحقيقي ، بل الجميع يعزونه الى الرغبة في المساومة المادية . ويكاد الوكيل العجوز يجن حين يكتشف أن تشارلي يعني فعلا عدم تجديد العقد فينقلب اعجابه بحصافته المالية الى استنكار وحيرة . ويزداد الموقف تعقدا بدخول ماركس هوف ومعه مدير مكتبه سمايلي رجل العصابات السابق لاتمام المباحثات النهائية بنفسه

ويلجأ رجل الاعمال الكبير الى الترغيب حينا والتهديد الملتوى حينا آخر ويزيد الاجر السنوى بمقدار الربع ولكنه يصطدم بالرفض اليات

— انني ياهوف اريد أن اغادر هوليوود الى الابد ولن اشتغل بالسينما بعد اليوم سأتعهد لك بهذا كتابة

ويرفض هوف لان تشارلي منجم ذهب في نظره ولن يسمح له بالافلات من يده .

— واذا رفضت التوقيع ؟

ولا يجيب هوف بل يثبت عينيه في عيني تشارلي ويخرج قلما ذهبيا يقول انه القلم الذى وقع به الجنرال ماك ارثر شروط وقف القتال التى املاها على اليابانيين . ويحدق تشارلي في عيني هوف قليلا ثم يوقع العقد في صمت !

***

ويرن جرس التليفون واذا ماريون تسأله ماذا قرر ، فيخبرها بما صنع وهو يكاد يبكى ، فتغلق الاتصال في وجهه وتتركه مع وكيل أعماله في حالة قنوط لايستطيع وكيله أن يخرجه منها

وتقع حوادث الفصل الثاني في ساعة

متأخرة من الليل بعد اسبوع ، وفيه نجد محاولات أخرى أثناء حفلة خاصة في قصر تشارلي لمحاولة التقريب بينه وبين زوجته ، ولكن ماريون تصر على موقفها وتقذف في وجهه بحقيقته :

ـ انك تشبع ولا علم لك لانك تعرف الخير وتبيعه بثمن من الجاه الزائف والامان السطحي ، فتنزل في كل يوم عن بشريتك ، واستمراري معك ينزل بي في كل يوم من بشريتي . وهذا مالا أستطيعه !

ـ خذى الامور في يسر وتساهل

ـ أخذ الامور الخطيرة باليسر والتساهل هو بداية كل انحدار في هذه الحياة . لانه بداية الاستهانة بالقيم الحقيقية

***

وعلى اثر ذلك تنهض ماريون للانصراف حيث تقيم في الصيف ، وعبثا يناشدها تشارلي أن تبقى ويحاول تحريك عواطفها نحوه ، فيبدو واضحا أنها تحبه ولكنها تأبى لحبهما هذه الحياة الخسيسة وأكثر من هذا تخبره انها أسقطت على اجهاض نفسها غداة توقيعه التجديد . وعندئذ تثور ثائرته ويكاد يبطش بها فتصارحه بأن ذلك التوقيع اثبت لها أنه ليس جديرا بالابوة الشريفة كما تفهمها

في هذه اللحظة يرن جرس الباب واذا بالداخل هانك جاء ليصحب ماريون في سيارته الى منزلها بالصيف . ويبدأ بين الصديقين القديمين نقاش جاد حول موقف هانك من ماريون وعرضه الزواج عليها

ـ ولكنك فقدتها منذ سنوات . فلماذا تحكم عليها بالوحدة ؟ لقد استقلت شخصيا من كتابة السيناريو لشركات السينما بعد انتهاء السنة الاولى من العقد . رفضت التجديد رغم العرض المغرى وسأرحل الى نيويورك لاؤلف كتابا جديا ينفع الناس ويفهمه لهم بدلا من تأليف هذه الافلام السخيفة

ـ ولكن ماريون لن تتركني ، لا تنتظر أن تلحق بك . لن أطلقها

وهنا تتدخل ماريون وتعلن أن هذه مسألة تتعلق بها وحدها . وانها ستقابل محاميها لطلب الطلاق منذ الغد ، وينصرف الاثنان ويبقى تشارلي في حالة يأس وانكسار . ثم فجأة يفتح الباب بالمفتاح وتدخل ماريون . انها لم تستطع أن تقاوم شفقتها . وعندما يقبل يديها تهزه بعنف وتناشده ان يكبر ويبلغ أشده ويكون رجلا قبل أن يفوت الاوان

***

وفي الفصل الثالث نجد أنفسنا بعد الظهر وقد مضت بضعة أيام ، واذا هانك يقبل لتحية الوداع قبل رحيله عن هوليوود واذا به في استقامته وصراحته لا يقيم وزنا للعرف ولا يتردد في اعلان أسفه لان ماريون ستعيش في هذا الجو الموبوء : جو تزييف القيم الذى يعمل على تعطيل التطور في عصر نووى ، انها الخيانة والانهزامية واليأس ، ويواجه تشارلي بأنه باع نفسه وعليه الآن أن يستسلم بلا مقاومة لان نصف الثالية أسوا أسطورة بين البادىء والتابع . وهى الالتهاب البريتوني الذى يصيب الروح في المجتمع الامريكي فعلى تشارلي الآن أن ينسى ماضيه الكريم الجيد كي يسعد سعادة لاهية ولكنه يعلم أن ذلك للاسف لا يكفي لسعادة ماريون ، لان أنصاف الرجال غير قادرين على اسعاد المرأة الكاملة .!

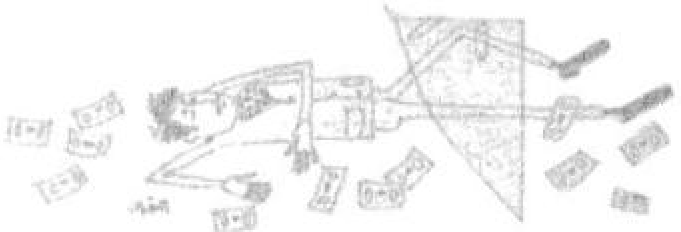
ـ وأنت ؟ أانت رجل كامل ؟

ـ أنا رجل كسيح بحاجة الى ماريون لتساعده على الكفاح . لانه رغم كساحه مؤمن بشيء

ـ لن تنالها . وان كنت أعذرك في حبها ، ولكن لماذا تهجر هوليوود لتتعرض للجوع ؟ لماذا لاننسى مافات ونعيش هنا ونعود كما كنا صديقين ؟ لماذا تبحث عن الفشل ؟

ـ لان الفشل هو الشيء الوحيد السليم الباقي في الحياة الامريكية

وينصرف هانك على الاثر راحلا الى نيويورك ، وتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة في تضييق الخناق على تشارلي ، ونفهم من السياق على ضوء اتصالات سمايلي مدير مكتب هوف « البلطجي » أن تشارلي يحاول أن يستغل ثغرة في العقد الجديد



تحتفظ له بحق الموافقة أو عدم الموافقة على السيناريو الذى يسند اليه دور البطولة فيه . وقد جعل من هذه الفقرة مركزا دفاعيا أخيرا يقاوم به تسلط الشركة ويحميه من الانحدار التام . والى هذا كان يشير هاتك عندما قال انه نصف مثالى

ولكن الشركة لا تقف مكتوفة اليدين أمام هذا التمرد وتحاول أن ترغم تشارلى على الخضوع بطريقة ملتوية . فهناك فتاة من الكومبارس تدعى «ديكسى» هى الشاهدة الوحيدة الموجودة على وجه الدنيا التى تستطيع أن تقرر أمام القضاء فى أى وقت ان الحادثة المنسوبة الى بليس ، وهى حادثة قتل طفل خطأ ليلة عيد الميلاد — ليس مرتكبها الحقيقى بليس الذى عوقب بالسجن عشرة أشهر ، وانما مرتكبها الحقيقى هو تشارلى نفسه . فقد كان سكران وأخذ تلك الفتاة فى سيارته متجها الى فندق خلوى ، ولانشغاله بعناقها أثناء القيادة قتل الطفل !

***

ونفهم شيئا آخر ، نفهم ان هوف وأعوانه فى تلك الليلة اتهموا تشارلى بالتنصل واقنعوا بليس بتحمل الاتهام ، وهكذا استطاعوا الحصول على « زلة » يشهرونها سيفا على عنق تشارلى كلما حاول التمرد

ولم يكن تشارلى يعلم ان ديكسى موجودة فى المدينة ، فقد اختفت عقب الحادث خوفا من الفضيحة ، ولكن هوف وأعوانه بحثوا عنها وعثروا عليها فى الوقت المناسب

ولانهم يعرفون موقف ماريون زوجة تشارلى ، وانها هى التى تقف وراءه تحرضه على المقاومة قرروا أن يصيبوا عصفورين بحجر واحد ليتخلصوا من ماريون فى نفس الوقت الذى يرغمون فيه تشارلى على الاستسلام التام

والطريقة المثلى لذلك ان تطالب ديكسى بشىء واحد لا تتنازل عنه ثمنا لاغلاق فمها ، وهذا الشىء الزواج من تشارلى بعد أن يطلق زوجته ماريون . فالقانون لا يبيح للزوجة أن تشهد ضد زوجها . وبذلك الزواج يكون فى مأمن الى الابد من وقوعه تحت طائلة القانون ما دام متزوجا من ديكسى هذه ولا يحاول الافتراق عنها . وديكسى فتاة من النوع الرخيص الذى تغص بالآلاف منه مدينة هوليوود . انها مستعدة لكل شىء . وقد تقلبت بأرخص الأثمان والوعود بين أحضان رجال السينما صغارا وكبارا . ومن السهل على هوف وأعوانه ان يحركوها حسب أهوائهم بعد ارغام تشارلى على الزواج منها وبذلك يضمنون استسلامه ووجود عميلة لهم فى المكان الذى تشغله عفوة للمودة مثل ماريون

ويثور تشارلى ويواجه هوف لاول مرة برأيه الصريح فيه . انه رجل مجرم لا يتورع فى سبيل السيطرة الاقتصادية والمنافسة والكسب عن ارتكاب أى نوع من الجرائم مهما كانت وضيعة

ولا يصدق الموجودون آذانهم . فكيف

يمكن ان يقال شيئا كهذا لامبراطور هوليوود الذى بدأ حياته ما سح احذية.
ويحاول وكيل تشارلى أن يلطف الجو ، ولكن وقت ذلك قد فات

وينهض هوف واقفا وقد استولى عليه برود شديد

ـ ان هذا الرجل يدفن نفسه بكلماته. عليك ياسمايلى غدا صباحا ان تتصل بقلم قضايانا كى يبحثوا فى العقد عن اى منفذ يؤدى الى فسخه • واذا كانت شركة هوف المتحدة ستخسر اثمن نجومها الذكور وتشطب من دفاترها اهم مورد من مواردها ففى استطاعتنا أن نخلق نجوما آخرين لاننا أكثر من شركة ومن اتحاد . لاننا امبراطورية وليس امام من يقاومنا الا الموت .

ثم يلتفت هوف الى وكيل اعمال تشارلى قائلا :

ـ ان أسرة الطفل القتيل وشركات التأمين ستتلقى منا توجيهات وسيتولى محامونا العمل باسمهم لتجريد تشارلى من ثيابه هو وزوجته للوفاء بالتعويضات المدنية

ـ أهذا قرارك الاخير يا ماركوس هوف ؟

ـ هذا .. أو تضحى ماريون بنفسها وهى التى اقترنت من تشارلى مرتين فى السنوات الثلاث الاخيرة باختيارها فتطلقه لتتزوجه ديكس

واذ تبدى ماريون دهشتها واستنكارها وترفعها ، يلقى هوف بقنبلته الاخيرة ، وهى اسوأ الجميع :

ـ لم هذا الترفع كله وماريون تحب كاتب سيناريو كان فى خدمتنا الى بضعة ايام مضت ؟!

ـ هذا غير صحيح !

ـ وكانت تشاجمه بين الحين والحين!

وتهم ماريون بالهجوم على هوف ولكن تشارلى يمنعها لانه يريد أن يسوى هذه المسألة بينه وبين هوف شخصيا ويطالبه بالاثبات

ـ ان زوجتك هى التى ستقدم الاثبات فلدينا احاديثها على اسطوانات نقلا عن تسجيلات حدثت فى مكتبه ، وعلى الاريكة العريضة الموجودة هناك . ولم تكن تعنى بالطبع الحصول على هذه الاسرار الشخصية ولكن بوليسنا الخاص فى الشركة يقوم بهذه التسجيلات على سبيل الاحتياط بالنسبة لجميع من يعملون لدينا ...

ـ وأين هذه التسجيلات ؟

ـ فى سيارتى

ـ احضرها .

فيأمر هوف مدير مكتبه باحضارها ثم يشرع فى التحدث من مبدئه القائل « عش ودع الاخرين يعيشون » ولكن موقف ماريون العدائى باسم المثل الرفيعة يضطره لاستخدام هذا السلاح ضدها . فكل شىء جائز فى الحرب

***

وتحاول ماريون أن تؤكد لتشارلى انه لايمكن أن توجد فى هذه التسجيلات اشياء تعيبها . ويعود سمايلى بمظروف كبير به التسجيلات فيومىء اليه هوف أن يسلم المظروف الى تشارلى . وبعد ذلك يتجه تشارلى الى هوف فيصفعه ويطلب اليه الانصراف فينصرف وهو يتوعده بالسحق التام ماديا ومعنويا ، وانه اذا لزم الامر سيبقيه اربعة عشر عاما بغير عمل الى ان تنتهى مدة العقد ، ولن يجرؤ مسرح او شركة سينمائية على استخدامه

ولا يبقى مع تشارلى وماريون سوى وكيل أعماله العجوز الذى يحاول التخفيف عنهما . ويقترح أن يذهب بنفسه الى ديكس فيشترى سكوتها بعشرة الاف دولار هى كل ماادخره فى حياته ، واذا كان لابد لها من زوج بأى شكل ..

تشارلى : هذا جميل جدا منك يا عزيزى ولكن أوانه فات . فلست مستعدا ان استمر فى تغطية جريمة بجريمة اخرى كما حدث لماكبث .

اذهب أنت ياصديقى الى بيتك وسأعرف كيف اتدبر الأمر

وينصرف الرجل الطيب ويبقى الزوجان وجها لوجه ، فينظر تشارلى الى ماريون

بابتسامة حزينة ثم يشعل سيجارة ويخرجها من فمه فيقدمها اليها . ثم يطلب اليها أن تجلس في حجرة . وتنقضي فترة صمت . ثم يسألها هل رحل هاتك عن المدينة ? فتقول له انه لن يرحل قبل الغد . فيقول لها أن هاتك يحسن التفكير فلماذا لا ندعوه بالتليفون ليشترك معنا في الرأي . وتتصل به ماريون وتدعوه للحضور . وما أن تضع السماعة حتى يقول لها تشارلي بهدوء

ـ ينبغي الا يشب ابننا كما يشب ابناء الاغنياء . والان اعزف لي على البيانو شيئا من الموسيقى الكلاسيكية . اعزفي شيئا يفتح النفس للحياة لمثل الغد سيكون ذلك مستقبل افضل

***

وفيما هي تعزف يرن تشارلي الجرس ويكلف خادمه الزنجي العجوز باعداد حمام ساخن له ، ويصعد السلم الى الطابق العلوى حيث الحمام بعد ان يقبل جبينها ويقول لها بصوت حنون

ـ احبك . اما الماضي فلن نتحدث عنه

ثم يضرب باسطوانات التسجيلات حانقة الدفاة فيحطمها

وبعد أن تعزف ماريون قليلا تدعو الخادم وتكلفه بحمل مزيد من المناشف الى الحمام كي يستخدمها تشارلي . وبعد قليل تسمع دقات عالية من أعلى . وتتكرر الطرقات ثم يسمع صياح الخادم المنزعج ان سيده لا يجيب الطرق ولا يفتح باب الحمام . ويسود الهرج في الوقت الذي يصل فيه الى البيت هاتك وسمايلي .

اما سمايلي فيحمل نبأ مصرع ديكي تحت عجلات سيارة بوليس وهي تعبر الشارع سكرانة . وبذلك اختفى معها الشبح الذي يتهدد تشارلي

***

ولكن شيئا اخر كان قد حدث قبل ذلك بدقيقة ، فعندما يكسر باب الحمام يكون تشارلي ملقى على الارض وقد فارق الحياة منتحرا

كان عليه أن يستسلم فيموت عقلا وضميرا ، أو يتعرض للفضيحة فينتهي تاريخه في الوحل . أو يفارق الحياة التي لم يستطع أن يعيشها كما يريد احتجاجا على نمط اجتماعي لا يسمح بالحياة ..

رداءة التصوير

كان تريستان برنار يكره التصوير الكاريكاتوري كرها شديدا ويقول ان الصورة الزيتية فيها ٢٥ ٪ من الشخصية المرسومة و ٧٥ ٪ من شخصية الرسام . والصورة الفوتوغرافية فيها ٣٥ ٪ من الموضوع و ٦٥ ٪ من المصور . اما الكاريكاتور فالرسام فيه بنسبة ١٠٠ ٪ !.. والدليل على هذا اني دخلت عند صديق لي فرايت على الحائط كاريكاتورا كبيرا يمثلني . ولكنه كان في نظري قبيحا جدا لا يشبهني اطلاقا وجميع ملامحي فيه مشوهة . ولكنه يمثل الروح العامة لشخصيتي رغم ذلك فالتفت وطلبت من صديقي ان يعطيني هذه الصورة وفي نيتي ان احرقها حتى لا يراها احد . ولكن صديقي اعتذر بان ما امامي ليس صورة وانما هي مرآة !

بغل اسكتلندي

في يوم ٦ يونية نشرت جريدة مانشستر جارديان ان صيادا في جرالزند بجنوب انجلترا صاد ثلاث سمكات من الرنجة ووجد في جوف كل منها شلنا

وفي يوم ١٠ يونية نشرت نفس الجريدة نبأ يفيد ان اسطول الصيد الاسكوتلندي تحرك نحو اقصى الشمال قاصدا مياه جرالزند في اقصى الجنوب !

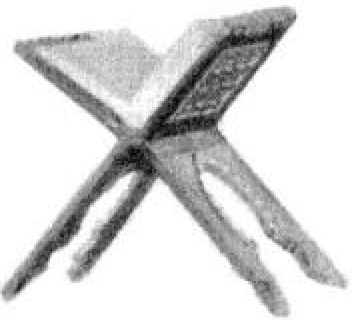
ثمن العدد

فى قطر والبحرين		٣٠ آنة
فى ليبيا	بنغازى	١٤٠ مليما
	طرابلس	١٥٠ مليما
فى الجزائر		١٢٥ فرنكا
فى المغرب		١٥٠ فرنكا

الاشتراكات:

قيمة الاشتراك : عن سنة (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى ٧٠٠ مليم بالبريد العادى و ٨٠٠ مليم بالبريد المسجل . وجنيه مصرى واحد و ٢٠٠ مليم بالطائرة — فى الامريكتين دولاران بالبريد العادى و ٣ دولارات بالبريد المسجل و ١٢ دولارا بالطائرة — فى سائر انحاء العالم ٢٠ شلنا بالبريد العادى و ٣٠ شلنا بالبريد المسجل و ٦٥ شلنا بالطائرة

وقيمة الاشتراكات تسدد مقدما فى ج.ع.م. باذن بريد — وفى السودان بحوالة بريدية — وفى الخارج بتحويل مصرفى قابل للصرف فى القاهرة لامر مؤسسة دار الهلال



مكتبة مجلة الهلال العربية

إينشتاين والنسبة
للدكتور مصطفى محمود

الناشر : دار النهضة العربية
٨٠ صفحة متوسطة
الثمن : ٢٥ قرشا

هذا كتاب من النوع الذي لا تسهل قراءته . فهو يحتاج الى تركيز . والى معاودة التلاوة والنظر في كل فقرة من فقراته

كتاب – بالاختصار – من النوع المتعب

ولهذا السبب نفسه فهو كتاب يجب أن يقرأ . لأنه من النوع الذي يضيء الطريق للعقل . ويفتح عين الفكر على رؤية حديثة للكون . والرؤية مطلب حتمي للانسان بمعنى الكلمة . وان كان الكثيرون جدا لا يبالون الى هذا المطلب الشاق الذي يراه غيرهم مطلبا بديهيا جدا

ما علينا . المهم ان هذا الكتاب الصغير من اهم ما صدر في السنوات الاخيرة ولست أشك في انه سيكون اهم ما يقرؤه الكثيرون . لانه سيغير لهم حياتهم ، ويعتبر نقطة تحول في تاريخهم العقلي

هذا الكتاب موضوعه انهيار اليقين العلمي القديم الذي يقول أن السماء زرقاء والحقول خضراء والرمال صفراء . والعسل حلو والعلقم مر . والماء سائل والجليد صلب والزجاج شفاف والجدران صماء

والطرقة التي حطمت هذا اليقين – كما يقول مصطفى محمود – هي عقل اينشتاين . عن طريق نظرية النسبية في سنة ١٩٠٥ ، وعلى أساسها صنعت القنبلة الذرية ، وسائر التطبيقات النووية التي غيرت وجه الحضارة في الحرب والسلم معا .

* * *

ولنظرية النسبة جانبها الفلسفي . بل ان جانبها الرياضي صادر أصلا عن الجانب الفلسفي ، أو « الرؤية الصوفية » التي ومضت في عقل أينشتاين . وصلة التصوف بالمنطق وبالرياضة صلة طالما تحدث فيها الفلاسفة . ومن آخرهم تناولا لهذا الجانب برتراند راسل صديق اينشتاين وزميله في النبوغ الرياضي الفلسفي وأحد كبار شارحيه

وأمام هذا الجانب الفلسفي آثر الدكتور مصطفى محمود ان يقف بالقراء قليلا . أما الجانب الرياضي فتركه بمعادلاته للرياضيين، وخيرا صنع ، لان المفهوم الفلسفي العام هو الذي يعني كل انسان . أما المفهوم الرياضي فلا يعني الا المتخصصين

ومن هذه البداية ، بداية الشك في الحقيقة بالمعنى القديم ـ وهو شك ذهب اليه فلاسفة كثيرون اشهرهم ديكارت وكانت ـ بدأ مصطفى محمود الرحلة الى معنى المكان ، ومعنى الزمان ، والحركة ، والكتلة ، الى أن وصل بالسلامة الى « البعد الرابع » ـ أشهر مكتشفات اينشتاين

والرحلة عسيرة ، ولكن الدكتور مصطفى محمود يقدم للقراء كل وسائل الراحة والامان بغرفة مكيفة الهواء ، سهلة «نسبيا» ولكنها جادة جدا ، ومقنعة جدا .. ومفيدة جدا جدا ..

لماذا نعلم

اعداد : لويز شارب
ترجمة وتقديم : الدكتور محمد علي العريان
الناشر : عالم الكتب
مؤسسة فرانكلين
الثمن : ٥٥ قرشا

في هذا الكتاب عدد كبير من المقالات عن الموضوع بأقلام معلمين مشهورين في مصر ، وفي أمريكا

ولكن أحسن ما في الكتاب ـ وكل ما فيه قيم حقا ـ هو هذه المقدمة الرائعة التي كتبها عاليا الشاب النابغ الدكتور محمد علي العريان ، هذه المقدمة كانت جديرة بأن تطبع وحدها لتكون كتابا مستقلا ، لانها في حقيقة الامر « ماجستير » من الطراز الاول ؛ يقدم قيما جديدة وراء آفاق التعليم ، وبالنسبة للمعلم العربي على الخصوص

« تاريخ الانسان في أخلاقه المدنية لاينفصل عن تاريخ التعليم والمعلم »

من هذه النقطة بدأ العريان بيانه الرائع عن المعلم والتعليم ، ليقول ان « نفحات التعليم مشروطة بالحافز على دخول المهنة »، فان كان ذلك الحافز هو المال أو الارتزاق فقد سلك المعلم سبيل الهوان مضطرا في سبيل القوت ، وان كان الحافز هو السلطة ونفوذ الكلمة فما أخيب سعي المعلم ، والخلق بمن كان همه التطلع الى ما في يد غيره أن يكون أتعس الناس حالا وأعظمهم غيظا ، حتى أن وصل الى آخر درجات السلم ، وان كان الحافز مجرد شغل النفس دفعا للسأم والملل فهو امرؤ خاوي الصدر محكوم عليه بالبوار ، ومن ضاقت عليه نفسه كانت المهنة عليه أضيق ومن ثقلت عليه أخلاقه كانت المهنة عليه أثقل .. أما من كان حافزه الرغبة في خدمة المجموع ونفع الناس واقتناع الناشئة وترشيدهم واسعاد الانسانية والاسهام بأوفى قسط مستطاع في تثمير امكانات الحياة المتاحة للمرء تثميرا يترتب عليه سعادته وسعادة المجموع ، فذلك هو المعلم بالمعنى الصحيح للكلمة ، المتصف بالاريحية

ومهنة التعليم لا تقاس بمقياس الصفقات والمقامرات و « المرتبات » ولكنها تقاس بالبواعث والحوافز والايمان ، فليس وظيفة المعلم : استهلاك القيم ، بل انتاج القيم ، وشتان بين المستهلك والمنتج ، فالمعلم الاصل وسائر المهن الاخرى هي الفروع !

لقد صدق هـ ، ج ويلز حين قال : « ان المعلم وحده هو الذى يحول بين الحضارة الانسانية وبين الاحتضار ، لان الحضارة العالمية سباق بين التعليم والتجارة » ولكن المعلم لا يكون معلما اذا فقد كرامته الذاتية ، اذ كيف يعلم الناس الكرامة وهو منها خلاء ، ان فاقد الشيء لا يعطيه !

ان المعلم النبي ، المعلم الذى تتوفر فيه حلوة النبوة ... حلوة الرسالة بقيم جديدة من الشجاعة والاخلاص والاريحية وحب الانسانية هو الذى سيصنع العالم الجديد ، وينقذ الحضارة ، والسلالة البشرية !

وهذا هو جواب عنوان الكتاب :
لماذا نعلم ؟

مشكاة الانوار

لابي حامد الغزالي

تحقيق وتقديم :
الدكتور ابوالعلا عفيفي
الناشر : الدار القومية
الثمن : ١٣ قرشا

موضوع رسالة « مشكاة الانوار » كما يقول الغزالي هو اسرار الانوار الالهية

مقرونة بتأويل ما تشير اليه ظواهر الايات المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى : « الله نور السموات والارض » فالغزالى له نظرة فلسفية اشراقية يحاول فى ضوئها أن يؤول آية النور .. فهو لا يأخذ الآية وغيرها من الايات والاحاديث على ظاهرها فحسب، بل يبحث عن الاسرار الالهية التى تنطوى عليها جريا على منهجه الخاص فى التأويل . وهو يبدأ بمناقشة معنى « النور » ومستوياته لدى العامة والخاصة تمهيدا لبيان ان الله تعالى نور الانوار أو النور الاقصى الحقيقى الذى تنبعث منه سائر الانوار التى لا تسمى أنوارا الا على سبيل المجاز .. فكان الغزالى بدأ بالتسليم بأن للعالم أصلا مغايرا له وان هذا الاصل هو النور الحقيقى أو النور بالذات

والنص المحقق مراجع على أهم المخطوطات ومبين به الاختلافات بين تفاصيلها بدقة ، وأهم ما فيه تلك الدراسة الجميلة التى صدر بها الدكتور عفيفى لهذا الكتاب ، مناقشا تأثر الغزالى بأساسوعات أفلوطين وغيره من حكماء اليونان

الكاتب وعالمه

تأليف : تشارلس مورجان

ترجمة : دكتور شكرى عياد

الناشر : سجل العرب

الثمن : ٢٠ قرشا

فى هذا الكتاب الجيد مجموعة طيبة من محاضرات ألقاها الكاتب الانجليزى الكبير تشارلس مورجان فى السوربون بباريس وفى عدد من الجامعات الانجليزية ، وقد تخير لها الميدان النقدى ، بعد أن كثر اللغط حول هذا الميدان فى السنوات الاخيرة

ويتضح لنا موقف مورجان من هذه المسألة : مسألة علاقة الكاتب بعالمه ، من تلك المهارة التى افتتح بها محاضرته جامعة جلاسجو « المشكلة الكبيرة القادمة التى يجب على المدنية الحديثة أن تواجهها وتحلها هى مشكلة المحافظة على حرية الفكر من هجوم العقائد المتعصبة والقوية مجتمع الحرية ضد التوغل الاستبدادى الذى يهدد الان . أو باختصار كيف تضمن لنا ولاولادنا ان نعيش ونفكر ونموت بوصفنا رجالا ونساء نملك عقولنا وأرواحنا ، لا بوصفنا كتيبة مراقبة مسوقة ليس لها من الفضيلة الا الخضوع !

ما مكان الفنان فى المجتمع الحر ؟ ما واجبه نحو هذا المجتمع ؟ ما واجب المجتمع نحوه ؟ .. هذه هى القضايا الهامة التى يتناولها هذا الكتاب الهام ، أيا كانت وجهة نظر المرء من هذه القضايا شخصيا

تطور الفكر السياسى

الجزء الثانى

تأليف : جورج سباين

ترجمة : حسن جلال العروسى

الناشر : دار المعارف

مؤسسة فرانكلين

الثمن : ٥٥ قرشا

كان الجزء الاول من هذا الكتاب يتناول نظرية « دولة المدينة » على نحو ما عرفها الاقدمون ، ولا سيما الاغريق وفى ضوء هذه الدولة ناقش ذلك الجزء فلسفات أهمها فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو فى السياسة

أما هذا الكتاب الثانى فيناقش نظرية « المجتمع العالمى » . كما ظهرت فى ظلال الحكم الرومانى الذى شمل العالم المعروف وقتئذ ، ثم تطورت فى العصور التالية ، ولا سيما لدى كبار فلاسفة الكنيسة ، الى نهاية القرون الوسطى

وبهذا تكون قد تمت الحلقة السابقة للعصور الحديثة بصورة تعرفنا بالاصول التاريخية والفلسفية للانظمة والنظريات التى

نعيش فى ظلالها اليوم ـ فكريا على الاقل ـ ونراها تمضى فى كل يوم من آراء واحتمالات جديدة تهم المليين بمصير المجتمع الانسانى ونظمه السياسية

ان السياسة فى هذا الكتاب تيار فكرى يتصل بنسيج الحياة نفسه وتدخل فيه الفلسفة والقانون وعلم الاجتماع

[illegible]

اعداد : لورنس مارتن

تعريب وتعليق : خيرى حماد

الناشر : الدار القومية

الثمن : ٥ قروش

عنوان هذا الكتاب من التعبيرات الجديدة التى برزت فى لغة السياسة العالمية بعد سنوات من انقضاء الحرب العالمية الثانية، ثم لم يلبث هذا التعبير ان احتل مكانا هاما جدا بعد وقت قصير من ولادته ، اذ ابدته كتلة الدول غير المنحازة من نشاط وحنكة أثرت على توازن القوى فى العالم

وهما فى الواقع تعبيران لا تعبير واحد ، يجتمعان أحيانا على موقف واحد ، ويختلفان أحيانا أخرى فيمثلان شيئين مختلفين ، ولكنهما عادة يمثلان اتجاها بعينه هو اتجاه « الكتلة الثالثة »

وهذا الكتاب يبين الفرق بين الحياد بالمعنى القديم والحياد الجديد الذى يتميز بالايجابية ، ويوضح اثر هذه السياسة الجديدة فى معترك القوى على الصعيد الدولى

وقد أسهم فى تحرير هذا الكتاب عدد كبير من الكتاب السياسيين تناولوا الموضوع من اطرافه جميعا تاريخيا ودبلوماسيا ، وحللوا شخصيات أبطال هذا الاتجاه السياسى الجديد ، وبينوا المشكلات التى يتعين عليه مواجهتها ومدى امكانياته لهذه المواجهة

مطلب صعب

قال الهيثم بن عدى :

ـ بينما أنا فى الكوفة اذا برجل مكفوف البصر وقد وقف على نخاس من نخاسى الدواب ، فقال له :

ـ ابغى حمارا ، ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر . اذا خلا له الطريق تدفق ، واذا كثر الزحام ترفق ، وان اقللت علفه صبر ، وان اكثرته شكر . واذا ركبته هام ، وان ركبه غيرى نام . .

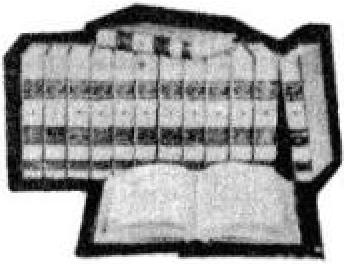
فقال له النخاس :

ـ ويحك يا عبد الله . اصبر . فاذا مسخ الله القاضى حمارا اصبت به حاجتك انشاءالله !

ما الفائدة ؟!

ما فائدة الجزع مما لا بد منه . وما فائدة الطمع فيما لا يرجى منه ؟ !

عمر بن عبد العزيز



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

نهاية حلفا : امريكا ومستقبل اوربا

The End of Alliance America and the Future of Europe

المؤلف : رونالد ستيل

Ronald Steel

الناشر : مطبعة فايكنج

الثمن : ٣ دولارات ، ٧٥ سنتا

ان النظرية التى يدور عليها هذا الكتاب الذى أخرجه أخيرا المستر رونالد ستيل وهو موظف سابق فى وزارة الخارجية الامريكية وله خبرة واسعة باوربا ، تتلخص فى أن الموقف الذى من اجله أنشئت منظمة حلف شمال الاطلنطى ، لم يعد له وجود. وقد أخفقت السياسة الامريكية فى أن تأخذ فى حسبانها درجة الانتعاش الذى حققته أوربا ، والاهمية المترتبة على كون الولايات المتحدة فقدت احتكارها الذرى . ويحتمل أن السياسة الامريكية وبغير وعى منها ، لا تزال قائمة على أساس ان أوربا لا تحميها سوى قوة امريكا الذرية ، وأن من الخيانة المقاومة الجدية لتفوق امريكا الذى تعتبره هذه السياسة شيئا لا يحتمل النقاش . ولهذا فان النظرة الامريكية أصبحت فى نظر المؤلف مجافية لحقائق العصر

فأولا ليست أوربا اليوم بتلك المجموعة الجائية على ركبتيها والتى تتكون من دول هبطت روحها المعنوية ، وهو ما كانت عليه عندما خلق مشروع مارشال لمساعدتها، وأنشيء حلف شمال الاطلنطى

ان أوربا اليوم فى حالة ازدهار : وقادرة تماما على ضمان الدفاع عن نفسها ، ومنافسة قوى للولايات المتحدة فى الميدان الاقتصادى، وفى وسعها ان تصبح سريعا قوة ذرية لها اهميتها ، وان كان المؤلف لا يتوقع بأنها سوف تقف من هذه الناحية على قدم المساواة مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى . وفى ظل هذه الظروف أصبح من الحماقة التعلق بالشعارات والمذاهب التى كانت سائدة فى فترة الحرب الكورية ، أى فى أوائل الخمسينات من القرن الحالى

ان ما يريده المؤلف أن تفعله امريكا فى المستقبل ، والمستقبل غير البعيد ، هو أن تسحب قواتها من أوربا ، وأن ترفع الحظر المفروض على حرية ألمانيا الاتحادية فى العمل، وأن تعترف بأن العصر الذى يدور فيه العالم حول محور واحد هو الدولتان الكبيرتان ، عصر قد انتهى ، ولن يعود

ليس من السهل تلخيص الحجج التى يدلى بها رونالد ستيل ، ولكن لا بد أن اوافق على أن الحماس لتوحيد ألمانيا أمر مقصور عليها، وأن الموقف الاساسى الذى يتخذه الجنرال ديجول يلقى تأييدا فى أوربا أكثر مما يعتقده الناس فى الولايات المتحدة ، وأن من

المستحيل الوصول الى تسوية في أوروبا الا اذا قبلت المانيا الغربية الحدود التي يمثلها خط الاودورنيس

كما ان اية حكومة سوفيتية لن تسمح بانضمام المانيا الى حلف شمال الاطلنطي

التاريخ الموجز لحرب الثورة

The Compact of the Revolutionary War

المؤلف : ر . ارنست ، تريفور ن. ديبوى

R. Ernest Dupuy & Traver N. Dupey

الناشر : كتب كولونل

الثمن : ٦ دولارات ، ٩٥ سنتا

الثورة الامريكية

The American Revolution

المؤلف : اوتو تريفليان

Otto Trevelyan

الناشر : شركة دافيد ماكاى

الثمن : ١٠ دولارات

الثورة الامريكية

The American Revolution

المؤلف : هيو رانكين

Hugh P. Rankin

الناشر : اولاد ج . ب . بتنام

الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

يطالعنا بنديتو كروكتس في كتابه«التاريخ كقصة للحرية » بنظرية قوامها ان جميع التاريخ له طابع التاريخ المعاصر ، بمعنى أن التاريخ يكشف عن الزمن الذى كتب فيه بقدر ما يكشف عن الزمن الذى كتب عنه

وهذه النظرية اكثر انطباقا على المؤلفات التاريخية التي وضعت عن الثورة الامريكية، فلمدة نصف قرن أو أكثر بعد انتهاء هذه الحرب ، ظلت المؤلفات التى تؤرخها تعكس روح الفخر فى الجمهورية الشابة بافكار وبسالة الآباء الاولين الذين اثاروها

كانت الحرب قصة بخيوط بيضاء وسوداء للشرور البريطانية والفضائل الاستعمارية . وبعد ذلك رأى مؤرخو القرن التاسع عشر فيها جهادا مقدسا لنيلا شنته الاتجاهات المحافظة السنية الطيبة لا على القيم التاجية بقصد تحطيمها ، وانما على أولئك الساسة البريطانيين السذج الذين ارادوا تحطيمتلك القيم . ورواحت مؤلفات أخرى تشبع اربابها بروح الوطنية التي نمت بعد الحرب الاهلية تعالج الثورة على أنها ملحمة بطولية ،واخذت تنظر الى الحرب بروح الاسطورة أكثر منها بروح تكتب التاريخ كما ينبغى ان يكون

ومن الغريب أن اثنين من المؤرخين هما اللذان كانا أول من يصنع الثورة فى أبعادها البعيدة عن طريق الدراسات النفاذة التىقاما بها عن الفترة السابقة لنشوب الثورة ،وبذلك قدما لنا الصورة الخلفية لها . وكانالجمهوتد كشانتج المعاصر لهما ، فى الربع الاول من القرن الحالى ، أول من وضع تاريخا للثورة يقوم على التفكير والتأمل ، ولهذا السبب وحده لم يلق الرواج والشعبية اللذين كانا من نصيب المؤلفات التي كانت تمنى أساسا بأنتكون مرآة ينعكس عليها عصرها. وبحلول الثلاثينات من القرن ، وتمشيا مع روح العصر ، صورت الثورة فى أيدى شارل ومارى بيرد واتباعهما الى مجرد حادث آخر فى قصة الحتمية الاقتصادية . وبعد ذلك ، ومنناحية التواريخ الهامة ، تعرضت الثورة للنسيان النسبى الى أن ظهرت مؤلفات جـون ميلر فى الاربعينات

وتميزت المؤلفات التي وضعت عن الثورة الامريكية بعشرات من الدراسات الخاصةالتي تمتاز بالقدرة ،وتثير التفكير ،وبالتالي يعد امام القارئ المرضى سبيل لمعرفة المشكلات المرئية ، والشخصيات الرئيسية والحوادث الكبرى فى الثورة ، وهذا هو عيبالدراسات التى تنصب على جوانب معينة . وهكذا اصبحت الحاجة ماسة الى المؤلفات التي تشبع رغبة مثل هذا القارئ ، ومن هنا الاهمية الكبرى لكتابى « التاريخ الموجز للثورة الامريكية » و « الثورة الامريكية » اللذين نعرض لهما هنا .

لم يصدر قبل ذلك تاريخ عسكرى وافى لحرب التحرير بالرغم من العدد الكبير من الدراسات المفصلة للغاية ، التى تناولتمعارك او حملات فردية ، ولهذا فان الكتاب الاول ومؤلفاه من ضباط الجيش المتقاعدين ، هو أفضل ما كتبه عن الثورة ، وبشكل موجز متماسك ، بوصفها نزاعا عسكريا . [illegible] الاسراف فى الالقاب نجد ارنست وتريفور

وتيبوى يعرضان أصول كل حملة وكل اشتباك، ويحللانها بمهارة الجراح ويربطانهما ثم يربطان بينهما وبين الاستراتيجية الكلية العامة . وبالرغم مما يظهران من وعي بالنواحي غير العسكرية من الثورة ، فانهما لا يقاومان أى اغراء يمكن أن يحيد بهما عن غرضهما الاصيل وهو رواية الاحداث «العسكرية» . ومن رأى المؤلفين أن «الثورة» لم تكن مجرد انشقاق بريطاني وانما كانت ايضا نجاحا لاهل المستعمرات الامريكية

واذا كان المؤلفان قد اقتصرا على المظاهر العسكرية للثورة ، فان ما يكمن تحتهما من تيارات سياسية واجتماعية وفلسفية ، ويبدو واضحا في كتاب تريفيليان «الثورة الامريكية» الذي يقع في ستة مجلدات . والذى يعتبر كتابا صالحا لكل العصور ، كما يعد مؤلفه المفسر لمصير أمريكا ومستقبلهما . ولكن ينتقص من أهمية هذا المؤرخ الى حد ما أنه بالرغم من كونه انجليزيا وعضوا بالبرلمان ، يبدو متحيزا لامريكا ، الامر الذى يجعله أحيانا يمر مرورا عابرا ، أو يتجاوز أحداثا غير عسكرية لها أهميتها

ورأى ناشرو كتاب « الثورة الامريكية » لصاحبه هيو رانكين ، أن يصفوه بانه «تاريخ جديد عظيم للحرب من أجل استقلال امريكا» وان كان المؤلف في المقدمة التي صدر بهما كتابه ، ينكر أن يكون طموحا الى هذه الدرجة

ان الكتاب ليس تاريخا أو جديدا ، ولكنه تجميع وربط بين مقتطفات منتخبة من روايات سجلها عدد من الذين اشتركوا في الحرب ورأوا احداثها باعينهم

هذه النظرة الى الحياة

عالم رجل يؤمن بالتطور

This view of life : The World of an Evolutionist

المؤلف : جورج جيلورد سيمبسون
George Gaylord Simpson
الناشر : هاركورت ، جريس والعالم
الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

كتب الكثير في السنوات الحديثة عن الشقاق بين الثقافتين العلمية والادبية وهو شقاق يجانبه التوفيق ، كما أنه ليس ثمة ضرورة الى وجوده . فالعلم ليس سرا غامضا لا يهم الا عددا محدودا من الخبراء ، كما ان الكثير من الكشوف الكبرى العلمية يمتاز بالبساطة وامكانية فهمه . هذا وان الناس بوجه عام لتزداد حياتهم الباطنية ثراء لو تعلموا كيف يقدرون ما يمثله العلم والاتجاه العلمي، في الحقيقة الا ان سد الثغرة الفاصلة هذه ليس بالأمر السهل ، وانما هو عملية شاقة . واذ يحاول العلماء هذا فانهم يواجهون التحدى من ناحيتين ، أولهما انه يتعين عليهم أن يفكروا بامعان ودقة أكثر من ذى قبل في العلاقات بين الكشوف العلمية والنظريات المستمدة منهما ، وبين تراث الانسان الثقافي والروحي والناحية الثانية ان على العلماء من ذوى القدرة على الافصاح عن افكارهم ان يحاولوا التحدث الى من هم ليسوا من العلماء ، محاولين بذلك سد الثغرة . وهذا ما سعى إليه جورج سيمبسون، وهو عالم من خريجي جامعة هارفارد ، وله الكثير من المؤلفات عن التطور

ان عنواني الفصلين الاولين وهما « العالم الذي قادنا اليه داروين » ، « بعد مائة عام بعد داروين » يوحيان بمضمون الكتاب والهدف منه . فكشف التطور العضوى ودراسته يهيئان لنا معلومات أساسية تمكننا من أن نفهم انفسنا ، وأن نفهم مركزنا في العالم . ذلك أن التطور ما هو الا العملية التي ظهر بها الانسان الى الوجود . وهذا الفهم يساعد على تبديد الكثير من الافكار الفلسفية واللاهوتية التي ترجع الى عهد ما قبل التقدم العلمي الحديث والتي لا تتفق مع النظريات العلمية ، ولكنها افكار لا تزال غالبة على العوالم الذاتية للكثيرين منا

ويعتبر المؤلف من مؤسسي نظرية التطور البيولوجية او التأليفية . وهو يبدو في أفضل مواهبه عندما ينتقد ذلك الرأى الذى ينحو نحو تبسيط الامور ، والذى يعتنقه الكثيرون من العلماء . وهو انهم لو عرفوا الكثير عن أبسط العمليات الطبيعية والكيميائية لأمكن أن يفسروا كل شيء آخر نفسه بطريقة آلية

وفي الفصل الاخير من كتابه يواجه سيمبسون مشكلة مستقبل الانسان من ناحية التطور . هل يسير تطوره الى أعلى ، أم يتجه الى أسفل . وبعبارة أخرى هل التقدم من نصيب الانسان أم أن مآله الانحطاط ؟ وهل

سيصبح في مقدور الانسان ان يتحكم في الطريق الذي يتخذه تطوره ؟ !

ان نظريات بيولوجية ظهرت ، بعضها يشيع روح التشاؤم من ناحية مستقبل الانسان ، والبعض الاخر يقدم صورة وردية زاهية . ولكن سيمبسون يؤيده الامل في الوصول الى حل معقول في المستقبل ، ولكنه يصل الى هذه النتيجة دون ان يقلل من الاخطار التي تنجم من التغير البيولوجي الذي يطلق له العنان ، ومن التكاثر السكاني الطليق

طريق الصدام : ازمة الصواريخ الكوبية والتعايش السلمي

Collision course, the Cuban missile crisis and coexistence

المؤلف : هنري م . باكشتر
Henry M. Pachter

الناشر : بال مال

الثمن : ٣٢ شلنا ، ٦ سنتات

ان ازمة الصواريخ الكوبية ، اكتوبر نوفمبر ١٩٦٢ ، اطلعت الاوربيين على حقيقة قاسية وهي التهديد النووي وعجزهم النسبي عن استيائه في حالة نشوب صراع جدي بين الدولتين الكبيرتين اللتين تملكان اعظم القدرات النووية . وفي هذا الكتاب يقدم الدكتور باكشتر خلاصة وافية للاحداث يوما بيوم ، بل ساعة بساعة ، التي جعلت العالم يشعر أنه واقف على حافة الهاوية الرهيبة، ولكن للكتاب ميزة أخرى وهو انه بحث يتسم بالدقة والاتزان ، للدوافع والاعتبارات والشخصيات والاهداف التي تقرر السياسة الامريكية في منطقة الكاريبي . كما يقدم لنا فحصا للسياسة الامريكية على ضوء القوى التي تحكم المنازعات بين الدول الكبرى

ويبدأ الكتاب بتحليل نشأة الازمة عندما وافق الاتحاد السوفييتي على تزويد كوبا بأسلحة حديثة ـ بما فيها الصواريخ ـ وهي أسلحة كان الغرض منها دفاعيا ، واتخذت الصين من هذا في بيانها عنه ما استخدمت تعبير « ما يقال له اسلحة الدفاع » . وتعلم ان ادخال الصواريخ ، ان لم يكن خطرا عسكريا بالغا على أمن الولايات المتحدة ، الا ان السكوت عليه كان كفيلا بالمساس هيبة الولايات المتحدة في امريكا اللاتينية ، بوجه خاص ، وفي نظر حلفائها والبلاد غير الملتزمة بوجه عام . وكانت الانباء الواردة من رجال المخابرات تشير الى نشاط غير عادي في كوبا ، فتقرر القيام برحلات جوية استطلاعية، اسفرت في يوم ١٤ اكتوبر عن الحصول على صور فوتوغرافية تؤكد هذا النشاط وطبيعته، وكانت مفاجأة في مجلس الامن حين حاول المندوب السوفييتي الانكار ثم التشكيك ، فقام أدلاي ستيفنسون بعرضها على الاعضاء

وقررت امريكا القيام باجراء تبدو انه اخذ السوفييت على غرة ، وكان الغرض منه ان يقع قبل أن تتم اقامة القواعد الصاروخية وتطورت الاحداث واتضح للحكومة السوفييتية أن هناك تصميما على غزو كوبا ذاتها أو تدمير القواعد من الجو . وهنا بعث خروشوف برسالة يوافق فيها على سحب صواريخه علم بنشرها البيت الابيض وامر باحاطتها بالسرية ولكن رئيس الوزراء السوفييتي عاد فبعث برسالة اخرى نشرت في موسكو قبل وصولها الى واشنطون ، وفيها يبدي الاستعداد لسحب الصواريخ اذا قبلت الولايات المتحدة ازالة قواعدها في تركيا واليونان . كانت القواعد قد فقدت قيمتها في نظر الاستراتيجيين وهو ما اثبتته ازمة كوبا بشكل ظاهر . ولكن سحبها من تركيا واليونان في ظل تلك الظروف كان يعتبر من وجهة نظر امريكا رضوخا للضغط ، ومن هنا تجاهلت الرسالة الثانية واعدت ردها على الرسالة الاولى . وهنا اضطر الاتحاد السوفييتي الى الموافقة على سحب الصواريخ على أن تقوم بالتأكد من ذلك لجنة من المراقبين التابعين للامم المتحدة

وبالرغم من الخاتمة التي انتهت اليها الازمة فان المؤلف يوحي بأن التصرف الذي أقدمت عليه الولايات المتحدة كان نوعا من المقامرة اذ ربما كان رد الفعل من الجانب السوفييتي على خلاف ما توقعت . كذلك كان ارسال الصواريخ الى كوبا بدوره نوعا من المقامرة قام على تقدير غير واقعي تماما لرد الفعل الامريكي

ثم يأخذ المؤلف في تفسير موقف الاتحاد السوفييتي حين وافق على سحب الصواريخ فقال ان ذلك منبعث من السياسة التي انتهجها منذ أعلنت في مؤتمرات الحزب وهي

سياسة التعايش السلمى . وبعد ذلك يحلل معنى هذه السياسة وعناصرها ومظـــاهرها والدوافع عليهـــا . ويقـــول المؤلف :

« اظهرت الازمة الكوبية ان التعـــايش ليس نهاية النزاع ، وانما هو احد اشكاله .. ان غرضى هو أن ادرس احداث اكتوبر فى هذا الضوء، بوصفها تجريبا على التعايش ،وبذلك أتمكن من اكتشاف القواعد التى تحكم اللعبـة الدبلوماسية فى ظل ظروف الورطة النووية » .

ومما يضفى على هذا الكتاب أهمية : أن يضم فى أكثر من مائة صفحة مجمـــوعة أحسن انتقاؤها ، من الوثائق عن ســـياسة الولايات المتحدة ازاء أمريكا اللاتينية ، وعن القانون الدولى الذى يحكم الحصار البحرى ، والامن الامريكى الذى يتعلق بنصف الكرة الغربى ، والوثائق الخاصة بالازمة ..بما فيها مناقشات مجلس الامن والرسائل المتبادلة بين الحكومتين الامريكية والسوفييتية وغيرها

شاهد على المعونة

Witness for Aid

المؤلف : فرانك م . كوفين

Frank M. Coffin

الناشر : هوتون ميفلين

الثمن : ٤ دولارات ونصف

فى هذا الكتاب الذى يدور حول المعونات التى تقدمها الولايات المتحدة الى البلاد الاخرى يحاول المؤلف فرانك م . كوفين أن يعالج مسائل ثلاثا تتمثل فى أسئلة ثلاثة . السؤال الاول هو : هل لبرامج المعونة الامريكيـــة أهدافها السليمة ؟ انه يرى أن الهدف هو الدفاع عن العالم الحر وتحقيق نموه فى الاجل الطويل ، وهذا يتكون من العمل فى سبيل على تقوية اقتصاديات البلاد الغربية والبلاد غير الملتزمة مما يخلق روح الاستقلال والمحافظة عليه . وجوهر هذه المعونة هو النمـــو الاقتصادى والتنمية . وبالرغم من أن المعونة العسكرية لا تسهم بشىء فى تحقيق هــــذا الغرض ، الا أن المؤلف يساير الكونجـــرس والحكومات الامريكية المتعاقبة . فى ادراج الجانب العسكرى فى نطاق المعونة . غير أن هذا يدعم الرأى الخاطىء بأن المعونة سلاح فعال فى الحرب الباردة مما ... مثقولة بما يعقبها من خيبة أمل ...

ويرى المؤلف ان المعونة ... لا ينبغى وقفها من حين لاخر لمجرد ... البلاد لا ترضى امريكا عن تصرفاتها ... يجب التأكيد على أهمية وجوب ... فى الرأى بصدد المعونة التى تقدم ... الواقعة فيما وراء البحار ، وهذا ... الرأى يجب أن يستند على التأييد ... جانب الشعب لاهدافها وعلى ... مستنير بتوفيرها

والسؤال الثانى هو : هل ينفق الأ... على المعونة مبالغ اكثر مما يجب ؟ ... عنده على السؤال بالنفى ، وهذا ال... الاسطورة التى تذهب الى ان ثلاثة بليون التى أنفقت حتى الآن كان ينبغى أن تخ... الغرض المنشود . كما أن من هذا ال... يخصص لاغراض المعونة الاقتصادية الى ال... الآخذة بأسباب النمو ، سوى سبعة ... لم يلفت النظر الى أن أربعة أخماس المساعدات الاقتصادية اليوم عبارة عن سلع وخـــدما تشترى فى الولايات المتحدة . أما الاثر بالنسبة الى ميزان المدفوعات الامريكى فضئيل ، ويمكن تلافيه أثرا كبيرا اذا أخذنا فى الاعتبـــار ما تؤدى اليه هذه المعونة من تنمية الصناعات والاعمال المخصصة للتصدير ، ويرى المؤلف أن على الدول الاخرى الثانية أن تتحمـــل نصيبا أكبر مما تتحمل الآن فى تقـــديم المساعدات اللازمة للدفاع عن العالم الحر

أما السؤال الثالث والاهم فهو : هل تقدم المعونة على نحو سـ... بالطريق السليم؟ ويرد المؤلف بقوله ان الادارات المختصة بهذا الموضوع يعوزها الـ... دقة الفهم والتعالى من التبلد والتـ... من الاستقرار . ... برامج ... أيضا ... وفى القائمين عـ... حيث أن من أكبر الاخطاء كثرة تغيير مديـ... الهيئات والمؤســـسات المخصصة لاغراض المعونة

ومن العقبات التى يشير اليها المؤلف هذه المراجعة السنوية من جانب الكونجرس لبرامج المعونة وتكاليفها لانها فى معظم الاحوال مراجعة شكلية ولكنها تستنفد وقت الموظفين وجهودهم ومواردهم ، ولهذا يحسن وضع برنامج طويل الامد يحل محل هذه الفوضى

...زى

...ارئ

...عدة من دماء الفكر لا تمحوها مياه البحار
...علم والثقافة عنوان تقدم الأمم . وعلامة
... لا يذبل ، أو يموت !

... الى ماضيك .. لوجدت كنوزا لا تكفى
... لتنقل لك بعض صفحاتها المشرقة !

... الدول فى « الفكر العربى » والشواهد
... لا يقلون عددا من العلماء والجغرافيين
...ين وصلوا الى أعماق الريف .. أو مياه
... الدائمة

...نهضة الفكرية التى تهب رياحها الآن لا يمكن
...وأن تثبت أركانها ، ما لم تتطلع للجديد ،
...وقت تبحث فى القديم المفيد ، والقديم
... والقديم الذى كان مرئيا ومدهشا وجديدا

...ا للبث أحد المعاجم أو قواميس الفكر
...ربية أو الفرنسية — لوجدت أسماء لامعة
... ابن سينا ، وابن رشد ، والفارابى ، والكندى ،
...دون ، وابن طفيل ، وحنين بن إسحاق ...

...لفكر العربى لم يكن — حينذاك — حبيس بيئه ،
...نا القرفصاء ، كما قد يتوهم البعض . فكثيرون
...بلادهم ، وتحركوا ، وتحمسوا ، وجابوا الآفاق ،
...ا بالأمم والأفكار المختلفة ، وفتحوا عقولهم
... لكثير من الأفكار والآراء ... وتبادل الخبرات
... هذا الاحتكاك ، وهذا الصدام العظيم ..
...لفكر العربى ، وازدهر

... الهلال » ... صفحاته دائما على المستقبل ،
... بالقديم ، الغنى بالتجارب
...

... كنوز الماضى — بلا شك لنا لا تنسى من التطلع الى
...

ولكن التطلع الى الأمام لا يعنى قطع جذور الفكر
... الانطلاق فى فراغ

...ويرجو « الهلال » أن يوفق فى رحلته التى يبدؤها
... شهر معك ... لينقل اليك كل ما هو جديد ...
... مفيد

« رئيس التحرير »

على الغلاف الأخير



تولوز لوتريك ، أعظم المتشردين، وأقصر الرجال، وأقدر فنانى عصره .. صور عنايه بالألوان . . ص ١٤٧



الهلال



كلمات عاشت

● ان الاستقلال فى افريقيا معناه الحرية لكل من يقطن القارة سواء الاقلية البيضاء ، او الاغلبية السوداء « جومو كينياتا » ● ان الخطوة الايجابية الاولى نحو الوحدة الافريقية ، هى وحدة الفكر التى لاتتحقق الا باللقاء المباشر على ارفع الجهات « جمال عبد الناصر » ● ان الامل يساورنى فى أن المصاعب الصلبة سيتاح التغلب عليها ، وان القارة الافريقية ستنال ماهو حقها من تمثيل عادل « اوثانت » ● القاهرة تخلق افقا للتفاهم بين العالم العربى .. والافريقى « سيكوتورى » ● الصدق، انسان كسائر الناس، عندما يتحدث عن نفسه بصدق، يتحدث باسم جميع الناس.. ومن اجلهم جميعا « سيمون بوفوار — المثقفون » ● بعض الناس مثل الاصفار ، لابد ان يوضع امامهم عدد صحيح كى يتحولوا من العدم الى الوجود الفعال !.. « بلزاك » ● الحلم .. هو اكبر دليل على النبل « شيكسبير » ● ليس الشقاء والتعاسة فى ان يكون انسان ضريرا .. بل فى الا يستطيع تحمل ذلك « الشاعر ميلتون » ... ● اذا اردت ان تعرف اخلاق رجل فضع السلطة فى يده .. ثم انظر كيف يتصرف !! « مونتسكيو » ● اصبحت امريكا تمثل الماضى .. اما المستقبل فيتمثل فى افريقيا « مالكولم اكس — الزعيم الزنجى »

الهلال

العدد الثامن — السنة ٧٢

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢

رئيس مجلس الادارة : **أحمد بهاء الدين**

رئيس التحرير	مدير التحرير
كامل زهيرى	**طاهر الطناحى**

أول اغسطس سنة ١٩٦٤ م — ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٨٤ هـ

٤.. احمد بهاء الدين : وحـدة اوربا .. ام وحدة الاطلنطى ؟!

١٢. محمود امين العالم : اكثر من طريق الى الاشتراكية

٢٤. من عمار اوزجان الى جميلة بوحريد

٣٤. الروح والصورة

٣٨. قوامى نكرومة : انا .. والفلسفة

٥٢. اسحكات العالم .. يقدمها عزت

٦٠. د. عبد المحسن صالح : هذا السر العظيم .. الحياة

٦٨. كامل زهيرى : هجرة المثقفين

٧٧. افكارهم .. واخبارهم

عبد الرحمن صدقى : الفن والطبيعة

٩٢. د. سهير القلماوى : مشكلات الفنـــان الافريقى

١٠٤ د. عبد العزيز نوار : بين العراق ومصر فى القرن ١٩

١١٠ د. راشـد البراوى : امريكا بين اليمن .. واقصى اليمين

١١٦ ابراهيم عامر : الى اين يتجه التعـــاون الزراعى ؟!

١٢٩ مسرحية للحريم فقط : كل شىء فى الحديقة جابلز كوبر ــ تقديم : صوق عبد اﻟ

١٤٠ احمد رشدى صالح : مع المتفرجين

١٤٧ رمسيس يونان : مود ليــــانى .. امير الصعاليك ..!

١٦٢ قصة محمد عبد الحليم عبد الله : البيت لربعة

١٧٠ دائرة معارف « الهلال »

١٧١ شارلى شابلن : كيف اضحك الجماهير ؟!

١٨٠ طاهر الطناحى : غراميات العقاد ..

١٩٦ لاجديد فى الموضة .. البوبو ، واللامعقول !

٢٠١ مكتبة مجلة « الهلال » العربية

٢٠٥ مكتبة مجلة « الهلال » الافرنجية



ماهو مصير التعـــاون الزراعى فى التجــربة الاشـــتراكية ص ١١٧



قصة هذا الاسود الذى اصبح سفيرا للجزائر فى اكرا ص ٦٨



صــورة الغلاف لوحة لامير الصعاليك الموهوب « مود لياني » ص ١٤٧



شارلى شابلن يعترف بفلسـفته فى اضـحاك الجماهير ص ١٧٤ ..

أحمد بهاء الدين :

وحدة أوربا أم وحدة الأطلنطي ؟



خطط ديجول تستحق الدراسة



في القرن السابع عشر ، عندما وجد الفيلسوف الالماني « ليبنتز » ان الاوروبيين لا يكفون عن القتال بعضهم ضد بعض ، اقترح عليهم ان يوجهوا هذه الطاقة خارج أوربا . واقترح – بالتفصيل – ان تتجه السويد وبولندا الى غزو روسيا ، وانجلترا تتفرغ لغزو امريكا الشمالية ، واسبانيا الى امريكا الجنوبية ، وهولندا الى الهند ، وفرنسا الى شمال افريقيا ثم فرنسا الى مصر ..

هكذا تشتت طاقة وربا وتتباعد فلا تعود بعد ذلك الى التصادم بدا

وقد ذهبت شعوب اوروبا بالفعل الى ابعد اركان الارض ، غازية مقاتلة ، ولكن هذا لم يوقف الحرب بينها ، بل اضاف الى اسباب الحروب بينها اسبابا جديدة : فقد صارت المعارك التي تدور في مساحات ضيقة في أوروبا تحدد مصائر مئات الملايين من البشر خارج اوروبا ..

لم تطفيء مغامرة الاستعمار الذي من ظمأ اوروبا ولم تخمد قلقها . الما



يقيت ظلى كالقدر الموضوع على النار

ومن هذا الغليان المحتدم ، خرجت موجات مهاجرة عبر المحيط الى الارض الجديدة في أمريكا لتحاول أن تقيم هناك امتدادا للحضارة الاوروبية ، امتدادا اقدر على النمو ، بحكم تحرره من ركام العصور الوسطى والاقطاع ، فلم يلبث أن تشكل هناك ، بالولايات المتحدة الامريكية ، امتداد هائل قوى للمجتمع الفردى الرأسمالي ، بعد تعرض هذا النظام للاخطار في البوتقة الاوروبية التى لاتكف من الغليان ..

***

وبالمثل ، خرجت من نفس هذا الغليان الاوربى المحتدم شرارة أخرى ، سارت هذه المرة الى الشرق حتى أبواب آسيا ، حيث قامت الثورة الشيوعية في روسيا ، ووجد المجتمع الشيوعى الجماعى ، أول تطبيق هائل له ، بعد أن نضج كفكرة وحركة في بوتقة أوروبا ! ..

والغريب أن قوة الابنين الاوروبيين — في الشرق والغرب — قد تعاظمتا الى حد هائل ، حتى جاءا مرة الى أوروبا الام على صوت استغاثاتها ، لينقذاها من حريق النازية الرهيب ..

وتقاسم العملاقان أوروبا القديمة التى بدت مع نهاية الحرب عجوزا فانية ، سوف تعيش حتى آخر عمرها على صدقات الآخرين ..

***

ولكن أوروبا بدأت تسترد أنفاسها ، وتسترجع شبابها ..

والذى يعنينا هنا هو الجزء الغربى من أوروبا الذى لاذ منذ نهاية الحرب بحماية أمريكا ووصايتها . ذلك أنه لم تكد تمضى سنوات قليلة حتى اكتشفت أمريكا أن هذا القسم انما لاذ بها حاملا معه كل تناقضاته ، ومطامحه ، حاملا من كل عناصر غليانه الا ... وعلقه العريق ، فاذا به يتململ في قيد الحكم



وحدة
اوربا .

الامريكي الكبير ..

ان غرب أوروبا يحاول الآن ان يسير في طريق الوحدة ..

وأمريكا تؤيد هذه الوحدة ، وتعمل لها منذ زمن بعيد ..

وبعض الناس يجدون نوعا من التناقض بين تأييد امريكا للوحدة الاوروبية من جهة ، وخوفها - المفهوم - من منافسة هذا الكيان القوى الجديد لها من جهة اخرى ..

ولابد لفهم « عقدة الرواية » من جولة قصيرة في العقل الامريكي نفسه ..

أمريكا واوربا الجديدة

ان قصة الحلم الامريكي الكبير ، والتململ الاوروبي من قيد هذا الحلم ، هما أبرز نقطة من نقط الخلاف الناشبة في المعسكر الغربي ، في اللحظة الراهنة

في سنة ١٩٥٩ ، طلبت لجنة الشئون الخارجية في الكونجرس الامريكي ، برئاسة السناتور فولبرايت ، من معهد السياسة الخارجية في جامعة بنسلفانيا ، ان يقوم بدراسة شاملة لحساب اللجنة ، عن سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه غرب اوروبا . وبعد مايقرب من سنة من الدراسة والبحث والرجوع الى المصادر الرسمية قدم المعهد هذه الدراسة الى لجنة الشئون الخارجية التي اعتبرتها من وثائقها ..

ماذا تقول هذه الدراسة المثيرة ، عن « اوربا الجديدة » كما يصورها الحلم الامريكي ؟ ..

من البداية ، تسجل هذه الوثيقة النادرة ؛ أن حلف شمال الاطلنطي له هدفان لايستغنى احدهما عن الاخر :

الاول ، هدف عسكري ، هو الدفاع عن المعسكر الغربي ضد المعسكر الشيوعي

والثاني ، وهو الذي يعنينا في هذا البحث ، هو اقامة « **مجتمع اطلنطي** » تربطه **علاقات ثقافية** ، وتراث حضاري ، وتعاون سياسي واقتصادي ..

ان اهمية اوربا بالنسبة لامريكا ، امر من السهل جدا توضيحه من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية . فمن الناحية الاقتصادية يكفي القول بان غرب أوربا تكاد تكون اكبر مستورد من امريكا واكبر مصدر لها . ومن الناحية العسكرية واضح أن الاستراتيجية العسكرية الأمريكية ازاء المعسكر الشيوعي تحتاج الى غرب أوربا . ومن الناحية السياسية ، مازال الصراع الروسي بين الشرق والغرب ، رغم اشتداده في شتى أطراف الارض ، الا انه يهتم اهمية خاصة باوربا ..

ولكن التقرير يحذر من الوقوف السطحي عند هذه الاعتبارات ، على اهميتها ، واعتبارها هي كل مايهم امريكا في الموضوع ..

فاهم من هذه الاسباب العسكرية والسياسية والاقتصادية المباشرة ، أن الجذور الحية للحضارة الامريكية الراهنة مازالت في غرب اوروبا

ان نجاح دول حلف الاطلنطي في الوقوف سياسيا وعسكريا واقتصاديا ضد الخصم الشيوعي ، لايكفي وهو نجاح مهدد دائما بالخطر ، لو وقف عند حد هذه المهمة السلبية المحض . ان نجاحها في المدى الطويل ، في رأى التقرير ، يتوقف على مدى توفيقها في اقامة « **مجتمع اطلنطي** » يرتكز على أساس متين من

الحقائق المستمرة . أن هذا « **المجتمع الاطلنطي** » ، بكلمات التقرير ، لايقبل التجزئة ، والولايات المتحدة الامريكية جزء لايتجزأ منه .. وان شئنا الدقة فهو « **مجتمع شمال الاطلنطي** » ، وليس مجتمع الاطلنطي بوجه عام

وليس يعنينا هنا في الدرجة الاولى ، مايعتقد التقرير انه الاسس الحضارية الثلاثة لهذه « **الوحدة الاطلنطية** » وهي اسس اغريقيــة .. ورومانيــة ومسيحية .. كذلك ليس يعنينا هنا أن نناقش بالتفصيل مدى صحة اعتقاد التقرير في أن هذه الكتلة « الشمال اطلنطية » هي الوريثة الوحيدة للحضارة الغربية .. لاننا لانوافق أساسا على أن التراث الحضاري الانساني له هذه المنابع المحدودة ولا على انه يصب في بحيرات مغلقة ، محصورة في أسوار معسكر واحد او مجتمع انساني واحد ..

المهم ، هو أن « **الحلم الامريكي** » يبدأ من نقطة الايمان بأن مجتمع شمال الاطلنطي هو الوريث الحقيقي للحضارة الغربية ، وانه على هذا النحو يواجه تحديا أعمق من مجرد أن يكون تحديا عسكريا او سياسيا ، وانه لهذا لايكفي لمواجهة الوقوف عند أسباب القوة العسكرية والسياسية : انما لابد من اقامة نسيج جديد ، لمجتمع تترابط جذوره وفروعه وخلاياه بالتدريج ، هو « **مجتمع شمال الاطلنطي** » ، الذي يضم الولايات المتحدة الامريكية وغرب اوروبا .. مجتمع ليس المحيط الواسع سوى بحيرة داخلية فيه

التخطيط الوحدوي

لكن هــذا التخطيط الوحــدوي الواسع ، يوازيه حلم وحدوي أصغر نطاقا ، هو حلم الوحدة الاوربية .. اي وحدة غرب أوروبا .. فكيف ينظر العقل الامريكي الى هذه المحاولة : هل هي عامل يقرب أجل الوحدة الاطلنطية الشاملة ، أم هي عقبة تنبت في طريقها ؟



ام وحدة شمال الاطلنطي

عندما نسترجع موقف الولايات المتحدة من هذه الوحدة الاوربية ، منذ كانت نبتة صغيرة ، نجدها كانت متدفعة منذ البداية في تأييدها ..

منذ البداية ، لان البداية كانت تحمل أسبابا عملية قوية تدعو الى هــذا التأييد : فيومهــا كان غــرب أوروبا ضعيفا ومهلهلا ، جرحته الحرب ، ومزقته الخلافات الحادة الاوروبية وكان أهم مايشغل بال أمريكا هو أن توقف المــد الشيوعي ، وأن تصنع من غرب أوروبا جلدا صلبا يقف في وجه هذا المد ... فوجدت في كل طوبة تقام في بناء الوحدة الاوروبية طوبة تقام في نفس الوقت في الســد الضخم في وجه المد الشيوعي .. واصرار أمريكا الســوبر ، على ادخال



غرب المانيا في هذا البناء ، رغم المعارضة الداخلية الهائلة في انجلترا وفي فرنسا بالذات ، تلك المعارضة التي أسقطت الوزارة تلو الوزارة في فرنسا . نموذج على درجة اندفاع امريكا في هذا المجال ..

***

ومن الناحية الاقتصادية ، لم يكن يبدو لامريكا وقتها أن الامر ينطوي على أي خطر بالنسبة لها بالعكس ، فان التجارة الامريكية وقتها كانت تغزو كل [illegible] انسحبت منه التجارة الاوربية في اسيا وافريقيا بسبب ما لحقها من عجز وتخريب . كما أن هذا الطقس الاوربي الذي يدعو الى الوحدة ويقلل من شأن الحواجز القومية القديمة ، كان طقسا مناسبا لتدفق رؤوس الاموال الامريكية على غرب أوروبا تدفقا هائلا بحثا عن الاستثمارات المربحة .

هكذا .. عندما قدمت أمريكا عرضا تقدر مائة مليون دولار الى أول مشروع « وحدوي » أوروبي وهو : مؤسسة الفحم والصلب الاوروبية

ارتفعت أصوات بعض رجال الصناعة في أمريكا تقول : كيف تساعد امريكا صناعة ثقيلة أوربية لن تلبث أن تنافس الصناعات الامريكية الثقيلة .. ولكن هذه الاصوات لم تلبث أن خمدت : اذ قيل لها انه عن طريق هذا القرض أمكن وضع شروط لنشاط المنظمة تجعله غير ضار بالتجارة الامريكية فضلا عن ان المزايا السياسية والاقتصادية الاكثر شمولا والتي تعود على الغرب من هذا الاتجاه ، أكثر بكثير من التفكير الضيق لرجال صناعة الصلب في أمريكا ..

عود الى التقرير

ونعود مرة أخرى الى التقرير الذي أشرت اليه في أول هذا الحديث ، والذي اعتقد ، من مجموع التصرفات السياسية الامريكية ، خصوصا في عهد رئاسة جون كينيدي ، انه يمثل العقل الامريكي ويعبر عن الحلم الامريكي الكبير الى حد بعيد

لنعود الى هذا التقرير ، لنجده يقول : ان هذا الاتجاه الى اقامة مؤسسات أوروبية مشتركة ، ثم سوق أوروبية مشتركة ، ثم وحدة أوروبية .. هذا الاتجاه كان لابد منه على أي حال :

فنحن نواجه فى عالم اليوم تحولات كبرى، من بينها انهيار الامبراطوريات القديمة بركائزها السياسية والاقتصادية ، وتواجه حاجة ملحة لدى بعض الدول الى ايجاد كيانات اكبر من الكيانات القومية القديمة ؛ لان هذه الكيانات اقدر على ان تمنح مواطنيها مالا تقدر على منحهم اياه الكيانات القومية الصغيرة من رخاء وقوة . لان الكيان الاكبر يسود بمزايا الانتاج الكبير ، والسوق الكبير ..

ويسجل التقرير أن هذا هو ماحدث بالفعل :

لقد استرجع الاقتصاد الاوروبى قوته بشكل مذهل فى سرعته وقوته . وبدأ يظهر نسيج اوروبى حقيقى فى صورة تلك الفئات المتزايدة المرتبطة بعمليات الانتاج الكبير والتوزيع الكبير والتجارة الواسعة . وفى مقدمتها : الموظفون الرسميون الذين يعملون فى المنظمات الاوروبية الجديدة المتشعبة والمرتبطة بعمليات الانتاج فى شكلها الجديد ، والمديرون والمتقلدون فى الصناعات والتجارات التى اتخذت اتجاها اوروبيا شاملا فى نشاطها ، والقيادات العمالية المتعاونة مع هذا الاتجاه

والسنوات التى تلت تقديم هذا التقرير سجلت بدورها اندفاعا جديدا فى هذا الاتجاه ، وسجلت خطوات واسعة خطاها السوق الاوروبى المشترك فى مجال رفع الرسوم الجمركية على المواد الصناعية ، وتوحيد التعريفة الجمركية فى مجال الزراعة الى حد ما ، وحرية انتقال رؤوس الاموال والايدى العاملة على السواء

وكل هذا حسن ، من وجهة نظر الحلم الامريكى الكبير

ولكن .. !

ان التقرير قد سجل ايضا ، منذ خمس سنوات ، المخاوف التى تحقق بعضها اليوم واصبحت نقط صدام حقيقى ...

هذه الاخطار التى راى التقرير انها تهدد الحلم الامريكى الكبير هى :

أولا ـ ان القوى المرتبطة بحركة الوحدة الاوروبية ؛ رغم نموها السريع فهى لم تستطع بعد أن تجعل هذه الحركة مطلبا شعبيا له جذور عميقة بين الجماهير فضلا عن أن القوى الداعية للوحدة الاوروبية مختلفة الى حد كبير من حيث ايديولوجيتها ، ونظرتها الى فكرة الوحدة وتصورها الاخيرلها ..

ثانيا ـ خطر عودة الروح القومية الى الظهور فى بعض دول غرب أوروبا ، مما يصعب قيام الوحدة الاوروبية

على أن الخطرين السابقين ، يتصلان فى الواقع بحركة الوحدة الاوروبية من الداخل ، أما الخطران الثالث والرابع اللذان يوردهما التقرير بعد ذلك ، فهما اللذان يجب أن نتوقف عندهما ، لانهما يدوران حول علاقة حركة الوحدة الاوروبية بالولايات المتحدة الامريكية وهما :

قنبلة ذرية خاصة !





١٥٠٠ مؤسسة امريكية دخلت السوق الاوربية المشتركة

ثالثا (استئنافا للترقيم السابق) « — خطر اشتداد النزعة الداعية الى الحياد فى اوروبا .. أى الحياد بين روسيا وامريكا ، الامر الذى يضع حاجزا سياسيا فى وسط « مجتمع شمال الاطلنطى » المرغوب

رابعا — خطر ظهور « الروح القارية » .. التى يقول عنها التقرير بالحرف الواحد « ان **ظهور الروح القارية المغلقة على نفسها فى غرب اوروبا يمكن ان يحول كل اجهزة الوحدة الاوروبية الى اجهزة معادية للدول الاخرى الاعضاء فى حلف الاطلنطى** » .. وطبعا « **الدول الاخرى الاعضاء فى حلف شمال الاطلنطى** » التى يشير اليها التقرير هما فى الدرجة الاولى امريكا .. ثم انجلترا ، فى حالة نجاح حركة منعها نهائيا من الدخول فى دائرة الوحدة الاوروبية

ان التقرير يعتقد ان العوامل التى تغذى نزعة الحياد هى الخوف من قيام حرب ذرية شاملة تدمر العالم ، والخوف من قيام حرب غير ذرية بين روسيا وامريكا تكون اوروبا من ميادينها .. وعدم اطمئنان الكثيرين فى اوروبا القديمة الى زعامة امريكا للغرب وهى بهذه التجربة القليلة فى الحياة الدولية المعقدة ..

اما العوامل التى تغذى « **الروح القارية** » فهى فى رأى التقرير : ان اوروبا قد استردت قوتها كما كانت بعد الحرب ، وانها بالتالى بدأت تحاول ان تلعب دورا عالميا جديدا وبدأت تسترد بالفعل بعض الاسواق العالمية التى فقدتها خلال فترة دمارها بعد الحرب ازاء المنافسة الامريكية

.. وان اوروبا بدأت تشعر ان شبح الحرب يبتعد ، وان المد الشيوعى أصبح « **مستأنسا** » ..

ويضيف التقرير الى ذلك :

خوف كثير من المثقفين الاوروبيين مما يسمونه « الطريقة الامريكية فى الحياة » بما يعتقدونه فيها من اكتفاء بالقيم المادية ، وهبوط فى المستويات الثقافية ، فضلا من اعتقاد جانب قوى من الرأى العام ان امريكا لا يمكن ان تضحى بوجودها القومى ساعة الخطر لمجرد الدفاع من غرب اوروبا مما يجعلهم يفكرون فى ايجاد قوة اوروبية ذاتية مستقلة من امريكا ..

وعندما نمعن النظر فيما توالى بعد ذلك من احداث نجد ان كثيرا من هذه القسمات المبهمة قد وجدت تعبيرها السياسى فيما يطلق عليه اليوم اسم « **الديجولية** » .. اى فى السياسة الخاصة التى ينتهجها الجنرال ديجول ، ويحاول ان يقود اليها غرب اوروبا كله

ففى يوم ١٤ يناير ، اعلن **الجنرال ديجول** فى مؤتمر صحفى شهير رفض دخول انجلترا عضوا فى السوق الاوروبية المشتركة

وكتب **بول هنرى سباك** بعد ذلك بشهور ، بحثا فى مجلة الشئون الخارجية اطلق فيه على هذا اليوم اسم « **اليوم الاثنين الاسود** » اذ اعتبره نقطة تحول فى حركة الوحدة الاوروبية ، تبتعد فيها هذه الحركة من منطق « مجتمع شمال الاطلنطى »

ذلك ان ديجول لم يكن فى الواقع يريد ان يطرد انجلترا من الوحدة الاوروبية ، ولكنه كان يريد ان يطرد امريكا . وانجلترا ليست فى نظره سوى « **حصان طروادة** » الامريكى الذى يريد ان يدخل الوحدة الاوروبية حاملا معه النفوذ الامريكى ، والزعامة الامريكية

ان ديجول يرى التطور التاريخى من زاوية تختلف تماما عن نظرة اصحاب الحلم الامريكى الكبير ، كما تختلف عن نظرة الاتحاد السوفيتى ايضا

انه لا يؤمن بان اوروبا وامريكا يمكن ان تنصهرا فى بوتقة واحدة تفرض عليها

امريكا طابعها . انه على العكس يؤمن بان الوحدة الاوروبية هي الحقيقة الواحدة الباقية . اكثر من ذلك هو يعتقد ان تقسيم اوروبا الراهن الى شيوعية ورأسمالية سيختفي ، وستعود اوروبا « من الاورال الى الاطلنطي » كيانا حضاريا اساسيا يقود العالم ..

وكل مانراه من صور الخلاف كل يوم بين ديجول وبين بعض الحكومات الاوروبية الاخرى حول السوق الاوروبية المشتركة ، وحول العلاقات مع انجلترا او مع امريكا .. كل هذه الصور هي تفاصيل متفرعة من النقطة الاصلية : **ديجول يريد للوحدة الاوروبية ان تتم بطريقة تجعلها كيانا مستقلا قائما بذاته ، في حين ان خصومه يريدونها وحدة منفتحة على سائر اعضاء حلف شمال الاطلنطي ، طبقا للتخطيط الامريكي الواسع ..**

وكل مانراه من خلافات بين ديجول وبين امريكا حول السياسة العسكرية لحلف الاطلنطي مرجعه لنفس هذه النقطة الرئيسية ..

تفاصيل الخلافات

وتفاصيل هذه الخلافات على درجة كبيرة من التعقيد ومن الاهمية معا .. ولكنها تحتاج الى دراسة مستقلة قائمة بذاتها ..

يكفي هنا ، استكمالا للصورة ، ان نشير الى ابرز ملامحها ..

● **ففي المجال العسكري** ، يصمم ديجول على ان تصنع فرنسا قنبلتها الذرية الخاصة بها . لا لان هذه القنبلة في حد ذاتها سوف تصبح حدثا خطيرا ، ولكن لانه في الاساس يرفض الفكر العسكري الأمريكي الذي يريد ان تتخصص اوروبا في الاسلحة غير الذرية وتترك لامريكا احتكار السلاح الذري . فهذه الفكرة اساسها ان يكون السلاح الغربي واحد ، يكمل بعضه بعضا ، ولكن ديجول يراه ذوبانا تحت زعامة امريكا وسيطرتها المطلقة ، حيث ان من يملك السلاح الذري ستكون له بالتاكيد اليد العليا ..

● **وفي المجال الاقتصادي** ، نجد ان ديجول بعد ان أوقف حركة ضم انجلترا الى السوق المشتركة صمم على الاسراع في الاتفاق على اسعار موحدة للمواد الغذائية ، بطريقة تطرد التجارة الامريكية من القارة الى حد بعيد .. لم تنبه دول السوق الاوروبية المشتركة الى خطورة « الزلزال » دول السوق برؤوس الاموال الاموال الامريكية واستيلاء هذه الاموال على بعض الصناعات الاوروبية الهامة

والاحصاءات هي التي تلقى الضوء على خطورة هذا الوضع بالنسبة للعلاقات اوروبا وامريكا

فهذه الاحصاءات تقول ان فرنسا فيها حوالي ٥٠٠ شركة تحكمها الاموال الامريكية بشكل مباشر أو غير مباشر

وانه منذ بدء السوق الاوروبية المشتركة زحفت الى اوروبا ١٥٠٠ مؤسسة امريكية . من هذه المؤسسات ٢١٨ مؤسسة في فرنسا و ٢١٥ في المانيا و ١٩٧ في ايطاليا و ٣١١ في باقي دول السوق

والاحصاءات تقول ان رؤوس الاموال الامريكية المستثمرة في الانتاج في أوروبا وصلت سنة ١٩٦١ الى ٣٥٢٣ مليون دولار في انجلترا و ١١٧٠ مليون في المانيا و ٨٤٠ مليون دولار في فرنسا و ٤٦٧ مليون دولار في ايطاليا و ٢٠٨ مليون





ديجول يقول :

بريطانيا ليست جزءا من القارة الاوربية

دولار فى هولندا و ٢٥٦ مليون دولار فى بلجيكا

بل ان احصاء فرنسيا نشر اخيرا يقول: ان ٤٪ من رؤوس الاموال المنتجة فى فرنسا امريكية وان الاموال الامريكية تنتج حاليا ٧٥٪ من انتاج فرنسا فى وسائل النقل و ٦٠٪ من الالات الزراعية و ٥٠٪ من المصابيح و ٣٠٪ من الادوات الكهربائية و ١٢٪ من الاجهزة الالكترونية وهذه الصورة لاشك متكررة فى سائر انحاء غرب أوروبا ..

وبينما يقول أنصار « وحدة شمال الاطلنطى » ان هذا وضع مفيد لاوربا لانه يساهم فى قوة أوروبا الانتاجية وفى ايجاد فرص أوسع للعمل ، يقول أنصار الوحدة الاوروبية المنفصلة عن الاطلنطى ان هذا الوضع يحرم اى دولة أوروبية من أى فرصة جدية لعمل تخطيط قومى حتى فى الاطار الرأسمالى لان صناعات كبرى تتخذ قراراتها فى ديترويت وفيلادلفيا ونيويورك وليس فى أوروبا . ولان هذا الوضع يؤدى عمليا الى احتكار امريكا للتقدم الفنى والعلمى استنادا الى أن هذه الابحاث تجرى فى امريكا وتستورد جاهزة الى أوروبا لانتاجها فقط ، مما يجعل الفروع الاوروبية لهذه الصناعات عاجزة عن الانطلاق بمفردها لو احتاج الامر : تماما كالصواريخ ذات الرؤوس النووية التى تعرض أمريكا على أوروبا أن تستخدمها بشرط ان تبقى أسرارها فى يد أمريكا

ان « الروح القارية » التى كانت أمريكا تخشى أن تنبعث فى غرب أوروبا ، قد وجدت المعبر القوى عنها فى شخص الجنرال ديجول ..

ومن الطريف أن ديجول حين أعلن رفض قبول انجلترا فى السوق الاوروبية استخدم نفس التعبير الذى استخدمه التقرير المقدم الى الكونجرس منذ سنوات .. فقد قال ديجول مامعناه . ان انجلترا جزيرة ، كانت دائما دولة بحرية تنقصها « الروح القارية » كما يعرفها ابناء اوربا

فديجول يرى أن بحر المانش اوسع من ان يسمح باقامة كيان واحد مع انجلترا ... فما بالنا بالمحيط الاطلنطى الذى يفصل امريكا عن أوروبا !..

ولكن « الحلم الامريكى الكبير » لايتردد فى المقاومة !. فبالرغم من أن امريكا نفسها بدأت تقوى فيها الاصوات التى تطالب باعادة النظر فى العلاقة بأوروبا بعد أن عادت أوروبا تسترد من أمريكا بعض أسواقها العالمية الضائعة ..وبعد أن زادت أسعار المنتجات الامريكية الى درجة تجعلها عاجزة عن المنافسة وبعد أن أصبح عجز ميزان المدفوعات الامريكى يصل أحيانا الى ٢ بليون دولار ، بينما يزداد مالدى أوربا من الذهب والدولارات ويصل فائض ميزانها التجارى أحيانا الى ٢ بليون دولار .. رغم هذه الاصوات ، فمازالت امريكا تعتقد أنها محتاجة الى وجود أوربا قوية موحدة ، لان التحدى الاساسى مازال هو تحدى العالم الشيوعى الذى يهدد بأن يزيد انتاجه عن انتاج الولايات المتحدة فى بعض السلع بعد سنة ١٩٨٠ . ولان امريكا تعتقد أن الديجولية هى ظاهرة طارئة مرتبطة بشخص ديجول أكثر مما هى مرتبطة بتيار حقيقى عميق فى أوروبا

وسوف يحتاج الامر الى عشر سنوات على الاقل قبل أن نعرف نتيجة حاسمة لهذا السؤال التاريخى

هل يصبح الاطلنطى مجرد بحيرة مالحة كبيرة فى داخل وحدة اطلنطية كبيرة ، أم يثبت المحيط انه حاجز اعمق مما يبدو على السطح !!

محمود أمين العالم:

• هل هناك طريق ثالث
بين الاشتراكية والرأسمالية

أكثر من طريق؟
إلى الاشتراكية



الثورة الاشتراكية

هل هناك طريق ثالث بين الراسمالية والاشتراكية ؟

بالطبع لا .. فلا طريق ثالث بينهما

لا طريق ثالث بين الاستغلال والغاء الاستغلال ..

لا طريق ثالث بين الملكية الفردية والملكية العامة لوسائل الانتاج ..

لا طريق ثالث بين سيطرة حفنة من الراسماليين ، وسيطرة الشعب على جهاز الدولة



اشتراكية زائفة

موسوليني



هتلر

ثورة مضادة

لا تعادل
ولا توازن
ولا توسط
بين الرأسمالية
والاشتراكية

لكن بعض الكتاب يخلطون بين هذه الحقيقة ، وبين حقيقة أخرى هى : انه لا طريق واحد نحو الاشتراكية ، وانما عشرات الطرق ، بل طرق لا حصر لها ، بل طرق الى الاشتراكية بعدد الشعوب والامم والتجارب الاجتماعية والخصائص القومية والملابسات التاريخية

انهم يخلطون بين تنوع الطرق المفضية الى الاشتراكية ، وبين الطريق الثالث بين الاشتراكية والراسمالية ، فيجعلون من تنوع الطرق الى الاشتراكية ايهاما بتنوع الاشتراكية نفسها من حيث الجوهر ، بل ايهاما بطريق ثالث بين الاشتراكية والراسمالية!

وهناك من المفكرين من يحلو لهم الدعوة الجهيرة الى الطريق الثالث ... الدعوة الى التقارب الفكرى والعملى بين الاشتراكية والراسمالية ، لاستنبات شىء جديد ، تخفف فيه الاشتراكية من ملكيتها العامة وسلطتها الشعبية ، وتخفف فيه الراسمالية من فرديتها واستغلاليتها ، ويتم اللقاء واللقاح بين الاطراف المتباعدة المتباغضة !!

انها دعوة الى نظرية متعادلة متوازنة بين الاشتراكية

والراسمالية ، وهى فى الحقيقة دعوة الى تغطية سوءات الرأسمالية والسعى الى اطالة عمرها بالاصلاحات المؤقتة ، وهى دعوة الى خديعة الجماهير الشعبية عن حقيقة الاشتراكية !

وما أكثر النظريات التى سعت وما تزال تسعى لتحقيق هذه الخديعة تحت ستار الاشتراكية نفسها .

هكذا كانت الاشتراكية الوطنية التى أقامها النظام الهتلرى فى المانيا . لم تكن غير ثورة مضادة حرفت الشعب الالمانى عن ثورته الحقيقية . فلم يكن تاميم بنك الرايخ ، ولم تكن كل مظاهر الاشتراكية الزائفة التى ادعاها هتلر الا تنظيما لأبشع اشكال الاستغلال والقهر الطبقى لمصلحة الاحتكارات الالمانية

* * *

ولم تكن ملكية الدولة لبعض قطاعات الصناعة فى نظام موسولينى ، ولم تكن النقابات المشتركة من العمال وأصحاب الاعمال ، وغيرها من المظاهر الاشتراكية الزائفة فى ايطاليا الفاشية ، لم تكن طريقا ثالثا بين الاشتراكية والراسمالية ،بل كانت تدعيما مباشرا للاحتكارات الايطالية وتعبيرا عن مصالحها الاستغلالية

وليست الدعوة الى الراسمالية الشعبية عند بعض مفكرى أمريكا غير شعوذة نظرية لتحقيق الهدف نفسه : اخفاء حقيقة الاستغلال الراسمالى ، وصرف جماهير الشعب عن معركة القضاء عليه ببعض الاصلاحات المؤقتة

وكذلك شأن الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى أوربا .. ماذا تدعو اليه ، وماذا حققته بالفعل عندما تولت السلطة ؟!

لا شيء خارج نطاق النظام الراسمالى ، لا شيء خارج اطار القهر الطبقى ، والاستغلال

ان قادة هذه الاحزاب يعبرون فى الحقيقة عن مصالح الاحتكارات الاوربية . انهم يتعاملون مع حلف الاطلنطى وينفذون خططه ، ويشنون الحروب الاستعمارية ، كما فعل حزب جى موليه الاشتراكى الفرنسى . بل لعل المعنى الوحيد « لاشتراكية » جى موليه هذا هو « اشتراكه » فى العدوان الثلاثى على بلادنا ؟!

ماذا قدمت هذه الاحزاب الى شعوبها عندما تولت السلطة ؟

بعض الضرائب التصاعدية ، تاميم بعض المرافق العامة ، والمشروعات الموشكة على الافلاس ، اصدار بعض التشريعات الاجتماعية النافعة ؟! حسنا .. لسنا ضد هذا .. بل نرحب به . ولكنها جميعا اجراءات أصلاحية لا تغير من الطبيعة

الاستغلالية للنظام الاجتماعي السائد ، ولا تحرم حفنة من كبار الاحتكاريين من الانفراد بحصيلة الوعاء العام للثروة القومية

انهم لم يقدموا طريقاً ثالث.. ان كان ثمة طريق ثالث . وانما واصلوا طريق التنمية الراسمالية نفسها بوسائل اكثر ذكاء ومهارة

وفى وطننا العربي الكبير ـ فى مشرقه ومغربه ـ تلوح راية الاشتراكية فى أيدى بعض المغامرين ، ولكنها اشتراكية خالية من أى مفهوم نظرى علمي للواقع ، اشتراكية عاجزة عن أن يكون لها برنامج ثوري مدروس ، اشتراكية تثبت فى التطبيق أنها ضد الاشتراكية العلمية ، ضد التقدم الاجتماعي والتوحيد القومي

فعندما وقع الانفصال الرجعي فى سوريا فى سبتمبر ١٩٦١ لم يكن هذا الانفصال الا رد فعل رجعي فى مواجهة الاجراءات الثورية التى صدرت فى يولية ١٩٦١ ، ورغم هذا رفع قادة الانفصال أعلام الوحدة والاشتراكية

وفى الجزائر كذلك حاول نفر من المغامرين اخفاء عدائهم للثورة الاشتراكية ولاجراءاتها الثورية ، وقيادتها الرشيدة الحازمة ، تحت ستار من الاعلام الاشتراكية المتطرفة الزائفة . ولكنهم سرعان ما اسفروا عن وجه عمالتهم للاستعمار ، وخيانتهم للاستقلال

ان هذه الدعوات الاشتراكية لا تقدم اذن طريقا ثالثا ، بل تسير فى طريق الرجعية



الأفغاني

الدين قوة نضالية

والاستغلال ، وتعتبر بهذا ثورة مضادة وان اتخذت مظهرا اشتراكيا زائفا شأن كل الثورات المضادة !

وهكذا ...

لا تعادل ولا توازن ولا توسط بين الاشتراكية والراسمالية . كل محاولة للتعادل والتوازن والتوسط بينهما هي فى الحقيقة محاولة راسمالية ، لخدمة الراسمالية ، واطالة ايامها المحدودة

* * *

وفى بلادنا وفى الجزائر وفى بلدان اخرى من افريقيا ، تتحقق نظم اشتراكية جديدة ، وهى اشتراكية حقيقية غير زائفة ، تصدر عن تجارب ثورية اصيلة ، ليست وسطا بين الاشتراكية والراسمالية

والحق انه رغم محاولات

التزييف الفكرى والعملى ، فان الانتقال الى الاشتراكية هي السمة الجوهرية لعالم اليوم بل هى اعظم حقائق عصرنا الراهن .

ان العالم اجمع بمختلف مجتمعاته ونظمه ومستوياته الاقتصادية والقومية والثقافية ، ينتقل الى الاشتراكية

فى المجتمعات الراسمالية الشديدة النمو ، كما فى المجتمعات المستقلة الحديثة النمو ، فى المجتمعات القبلية والاقطاعية ، فى المجتمعات التابعة للاستعمار ، المناضلة من أجل تحررها الوطنى ، تتحقق هذا الرحلة التاريخية الجديدة المجيدة الى الاشتراكية وتتخذ اشكالا مختلفة من الصراع السياسى والاجتماعى والطبقى والتحريرى

وهى اشتراكية واحدة ، ينتقل اليها عالم متنوع الملابسات والمستويات والقوميات !

ولهذا كان من المحتم ان يتم هذا الانتقال بمختلف الوسائل والاساليب والطرق التى تنبع اساسا من طبيعة كل مجتمع ، وكل قومية ، وفقا لمستوى تقدمها الاجتماعى ، وملابساتها السياسية والاقتصادية السائدة .

وليس هذا سمة للانتقال الى الاشتراكية فحسب ، بل هى السمة العامة للظواهر الاجتماعية كلها كما سيتضح لنا بعد قليل

فالثورة البورجوازية تحققت فى فرنسا على غير ما تحققت به فى انجلترا أو المانيا أو ايطاليا أو روسيا ، وعلى غير ما تحققت به فى دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية فى ظل السيطرة الاستعمارية ، وخلال نضالها التحريرى . وتحققت فى منطلق النظام الراسمالى بطريقة تختلف عن تحققها فى ظل سيادة النظام الاستعمارى أو فى مرحلة تفككه وانهياره ، وقيام النظام الاشتراكى كنظام عالمى فى مواجهته

بل ان الاوضاع الاقطاعية السابقة على الراسمالية تختلف وتتنوع من مجتمع الى آخر ، ومن ملابسات اجتماعية وطبيعية الى ملابسات اجتماعية وطبيعية اخرى

ان العلاقات الاقطاعية فى سهول أوربا التى تعيش على الامطار ، أو فروع الانهار ، تختلف عن العلاقات الاقطاعية التى تقوم على جوانب الانهار الكبيرة كنهر النيل وما يستلزمه نظام الرى من سلطة مركزية موحدة

وهكذا ... ظاهرة اجتماعية ذات سمة عامة ، تختلف فى التطبيق والممارسة باختلاف الظروف الاجتماعية والملابسات القومية

ولكن ...

لماذا نحرص على تأكيد هذه السمة العامة للاشتراكية ، لماذا لا نكتفي بالقول باشتراكية عربية وأخرى افريقية وثالثة آسيوية ورابعة أوربية ، وخامسة و ... و.. الى غير ذلك بحسب مختلف القارات والبلدان والملابسات ؟!

حقا ...

ليس هناك ما هو أخطر من الاقتصار على هذه السمة العامة للاشتراكية ، والسعي الى تطبيقها تطبيقا آليا ، بغير مراعاة لملابسات محلية أو صفات قومية ، بغير أن تكون تعبيرا عن احتياج أو ضرورة اجتماعية خاصة . فهذا هو معنى استيراد الثورات الاشتراكية ، أو تصديرها . والقانون الاساسي لكل ثورة أنها لا تستورد ولا تصدر وانما تنبع من قوانين المجتمع نفسه ، وضروراته الباطنة ، وملابساته القومية الخاصة ، في اطار الظروف العامة للعصر . والثورات التي تفرض من الخارج أو تقلد غيرها من الثورات تقليدا آليا أو تطبق القسمات العامة للثورة دون مميزاتها النوعية الخاصة ، ثورات فاشلة بالضرورة ، ان اعتبرت ثورات على الاطلاق

***

ولكن الاقتصار على السمة العامة للثورة الاشتراكية لا يقل خطرا عن اغفال هذه السمة العامة ، وتجاهلها تماما ، تحت ستار الحرص على السمات الخاصة ، واحترام التجربة المحلية والتمسك بالخصائص القومية . فباسم هذا كله يفتقر العمل الثوري الى التوجيه والتخطيط النظري ، ويصبح فريسة للتلقائية وفقدان الاتجاه

والحق أن القانون الاجتماعي يختلف عن القانون الطبيعي . كلاهما بغير شك له صفة الموضوعية والضرورة . ولكنهما يختلفان في الطبيعة لانهما يعبران عن ظاهرتين مختلفتين . فالقانون الطبيعي تعبير عن ظواهر مادية .. أما القانون الاجتماعي فتعبير عن ظواهر انسانية حية متميزة بالارادة والوعي . وتتحقق القوانين الاجتماعية ، رغم موضوعيتها ، عن طريق الارادات الانسانية وملابسات الانسان الطبيعية والاجتماعية ولهذا يختلف مجرى تحقيق القانون الاجتماعي ، ويتنوع بتنوع الارادات والملابسات المحيطة بها . ويختلف القانون الواحد باختلاف الملابسات التي يتحقق فيها . ويصبح له جانبان : جانب عام وجانب خاص . والاشتراكية كظاهرة اجتماعية لها قوانينها العامة ولها كذلك قوانينها الخاصة في التطبيق والممارسة

النظرية العامة ، دون التجربة الخاصة .. جمود وعزلة عن الحياة والثورة



جى موليه



ارنست بيلن

الثورية فى البلد المحدد والملابسات المعينة

ولا شك أن الاقتصار على السمة العامة للقانون الاجتماعى جمود وتوقف وافراغ للقانون الاجتماعى من طبيعته الاجتماعية الحية . ولا شك كذلك أن الاقتصار على الصفة الخاصة للقانون الاجتماعى دون الاسترشاد بسمته العامة ، موقف تجريبى ، يفتقد البوصلة النظرية فى العمل الثورى

***

ولسنا بالطبع ضد النظرية العامة فى تفسير حركة التاريخ وفى صياغة هذه الحركة ، ولكننا ضد الجمود النظرى ، ضد اتخاذ الصيغة النظرية الواحدة فى مختلف العمليات الاجتماعية المتنوعة دون مراعاة للمميزات الخاصة لكل عملية . ان هذا خلط بين طبيعة القانون الاجتماعى وطبيعة القانون الطبيعى

ولسنا كذلك ضد اعتبار التجربة الاجتماعية ، والتطبيق الاجتماعى ، مصدرا أساسيا وحيدا ، للنضارة الدائمة والخصوبة المتجددة لكل فكر نظرى . فالحياة بغير شك أغنى من أى تعريف نظرى . ولا قيمة لأى تعريف نظرى مالم يكن تعميما لتجربة حية وانعكاسا لها . وما لم يختبر دائما فى حركة الواقع المتجدد . ولكن ثمة فارقا بين الالتجاء الى التجربة لاختبار النظرية العامة ، واستخلاص السمات الخاصة ، خلال الممارسة والتطبيق ، بالمحاولة والخطأ ، وبين الاقتصار على العمل والممارسة دون التخطيط الفكرى والاستخلاص النظرى

فكما أن التجربة الخاصة دون نظرية عامة تخبط وتلقائية فى العمل الثورى . فان النظرية العامة دون التجربة الخاصة جمود وعزلة من الحياة والثورة معا

***

والحقيقة ان الذين يصفون التجربة الثورية فى بلادنا بالتجريبية أو البراجماتية ، انما يسيئون اليها ، ويغضون من قيمتها من حيث لا يريدون . ان معالجة الواقع بالمحاولة والخطأ

لم يكن أبدا فى تاريخ ثورة يوليـة بغير اسس نظرية عامة مهما كانت محدودة فى البداية .

(مثل الاهداف الستة والدوائر الثلاث فى افلسفة الثورة)

كانت هناك دائما نظرية عامة تثرى وتتطور وتتعمق بالتجربة، بالمحاولة والخطأ ، لتبلغ مستوى ارقى فى الفكر النظرى ، ثم تعود بدورها الى الواقع والتجربة لتتجدد وتثرى وتتعمق من جديد وهكذا. والتجريبية أوالبراجماتية نزعة عملية بحتة ، نفعية خالصة، ليس فيها حرص على الاستخلاص الفكرى والتعميم النظرى. وهذا نقيض الحركة النظرية المتجددة المتطورة فى تراث ثورة ٢٣ يولية

وكل عمل ثورى ؛ يحتاج دائما الى النظرة العامة ، كما يحتاج الى تبين الملابسات الخاصة . ولا تعارض بين النظرة العامة والملابسات الخاصة . ولا ينبغى أن نفتعل هذا التعارض .. بل ينبغى أن نحرص على الالتقاء والتفاعل بينهما

والواقع أن من يقيمون التنازع والتعارض بين النظرة العامة للاشتراكية وبين مميزاتها القومية الخاصة ، انما يغذون الجمود النظرى من ناحية كما يعدون التلقائية العملية من ناحية اخرى. ولا يخدمون تطور العمل الثورى

***

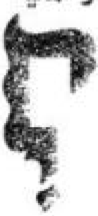
والان ، ما هى القوانين العامة للاشتراكية وما هى سماتها الخاصة فى تجربتنا العربية ؟

نستطيع أن نلخص تلك القوانين العامه تلخيصا شديدا فى النقاط التالية :

أولا : انها الملكية الجماعية لوسائل الانتاج فى مقابل الملكية الفردية فى النظام الراسمالى . فبدلا من القلة التى تملك وسائل الانتاج والاغلبية التى لا تملك غير قوة عملها ، تتحقق الملكية للشعب العامل . ولا تبقى من الملكية الفردية غير تلك الخالية من الاستغلال ، غير الملكية الانتفاعية. ان جوهر الاشتراكية هو الغاء الاستغلال

ثانيا : ولكن لكى نضمن الغاء الاستغلال فينبغى ان تتوفر السلطة السياسية لمن آلت اليهم الملكية أى للشعب العامل ، وطليعته الثورية المعبرة عن مصالحه

ثالثا : يصبح العمل لا الملكية هو القاعدة لتوزيع الناتج القومى. وليس معنى هذا طبعا المساواة المطلقة بين دخول المواطنين العاملين . وانما يقوم التفاوت على أساس نوع العمل وكميته ، على اساس المهارة والكفاءة لا على اساس الاصل الطبقى او الملكية



رابعا : العلم هو أساس التنظيم الاجتماعى والتخطيط الاقتصادى وهو علم موجه لخدمة البناء

الاشتراكي بجانبيه الانتاجي والانساني. فهو اذ يسعى لتحقيق زيادة الانتاج فانه يسعى كذلك لرفع مستوى معيشة الشعب ماديا وثقافيا . ولهذا فان التنمية الاشتراكية تحقيق للتوازن بين الانتاج والاستهلاك ، واعتبار الانسان الهدف الاسمى لكل تنمية وتقدم انتاجي

***

هذه هي السمات العامة المشتركة في كل التجارب الاشتراكية بما فيها تجربتنا . ولكن ما هي المميزات الخاصة بتجربتنا الاشتراكية ؟ :

اولا : تحقق الانتقال الى الاشتراكية بطريقة تطورية . حقا لقد كانت اجراءات يولية ١٩٦١ اجراءات ثوريه حاسمة الا ان هذه الاجراءات مهدت لها اجراءات ومواقف اخرى وفضلا عن هذا فان الانتقال الى الاشتراكية لم يتحقق بتنظيم سياسي ثوري ، ولا بتغيير جذري في جهاز الدولة . وانما تحقق الانتقال بالتشريع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وبذات السلطة السياسية والقيادة الثورية التي حققت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . لقد انجزت هذه القيادة الثورية التحرر الوطني للبلاد ، كما حققت الاستقلال الاقتصادي ثم اخذت تنتقل الى الاشتراكية ، نظريا وتطبيقيا تعبيرا عن مصالح الجماهير الشعبية ، واستجابة لضرورات التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي ، وتمشيا مع حركة التاريخ . ولقد ادى هذا الوضع الخاص الى سمات اخرى، منها :

كيف تحقق الانتقال الى الاشتراكية بطريقة سلمية ...

ا ـ سلمية الانتقال الى الاشتراكية . فلقد استطاعت قيادة الثورة منذ معاركها المبكرة من اجل تثبيت سلطتها السياسية وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي ، ان تنتزع من الطبقات الرجعية سلاح المبادرة والتنظيم السياسي، وان تقضي على سيطرتها على اجهزة الدولة الاساسية . ولهذا لم تلق اجراءات يولية ٦١ ردود فعل طبقية عنيفة. وتحقق الانتقال الى الاشتراكية بطريقة سلمية .

ب ـ نتيجة لعدم توفر التنظيم السياسي الثوري اللازم لحماية الاجراءات الاشتراكية ، سارعت قيادة الثورة الى الاستعانة بالقوى الشعبية ، وبالعمال والفلاحين بطريقة مباشرة . فوفرت لهم الاغلبية في مجلس الامة ومختلف المجالس الشعبية . ومثلت العمال في مجلس ادارة المؤسسات الانتاجية ، ودعمت نظام الحكم المحلي ، وجمعت بين مركزية

التخطيط ولا مركزية التنفيذ فى مشروعات التنمية ..

الا ان ذلك لم يبلغ الادراك الثورى باهمية التنظيم السياسى لقوى الشعب العامل ، لضمان السلطة السياسية له ومواجهة بيروقراطية الاجهزة التنفيذية ، فكان الاتحاد الاشتراكى وطليعته الثورية .

ثانيا : استبقت الثورة معالم الملكية الفردية فى بعض المجالات مثل مجال التجارة الداخلية والصناعات الخفيفة الخ ، الا انها استعانت بالجمعيات التعاونية الاستهلاكية واشراف القطاع العام للحد من الاستغلال فى هذه المرحلة من الثورة . الا انها فى مجال الزراعة ، ونتيجة للحرمان الطويل الذى عاناه الفلاحون ، ولتعطشهم للارض والملكية الفردية ، لم تتخذ الثورة طريق الملكية العامة للارض الزراعية كما حدث فى الجزائر مثلا نتيجة للابسانها الخاصة . الا ان الثورة ادركت ان الملكية الفردية للارض ، وتفتيتها لايتيح تخطيطا سليما للانتاج الزراعى ، ولا يحقق ارتفاع مستوى الكفاية الانتاجية ، ولا يتماشى مع التخطيط الاقتصادى العام . ولهذا سارعت باشاعة النظام التعاونى انتاجا وتسويقا وهى فى الوقت نفسه تحرص على الاستفادة من تجارب الملكية العامة فى الزراعة ، ولعل النية الى عدم توزيع الاراضى الزراعية الجديدة التى ستنجم عن مياه السد العالى ، وادارتها ادارة عامة .

والحق ان الثورة الزراعية فى بلادنا ، رغم جديتها ، واهمية تجاربها ، فانها على حد تعبير الاستاذ محمد حسنين هيكل مازال فى منتصفها .

ثالثا : يختلف موقف الدين فى عالمنا العربى . من الحركة الوطنية والثورة الاجتماعية ، عن موقف الدين فى اوربا . قد يرتبط الاسلام او المسيحية بالاقطاع كما ارتبطت المسيحية فى اوربا . بل ارتبط الدين فى عالمنا العربى بالحركة الوطنية والنضال من اجل التوحيد القومى . ولهذا لم يكن الدين مجرد قيمة روحية وانما كان كذلك قيمة قومية . فالاسلام فى الجزائر معنى اساسى من معانى الوطنية والقومية والصمود البطولى . وكانت معركة الكنائس فى لبنان فى منتصف القرن التاسع عشر معنى من معانى الوعى القومى العربى . وكانت دعوة جمال الدين الافغانى «ايها المسلمون» دعوة نضال وطنى وقومى الى جانب انها دعوة تساند وجدانى ومعنوى . وكان الازهر الشريف منذ بداية القرن التاسع عشر ترسانة للكفاح الوطنى والنضال الثورى وانضاج الملامح القومية . وكان علماؤه الاجلاء حملة مشاعل الثقافة الجديدة والمقاومة

والديموقراطية . وما زال الازهر حتى اليوم نقطة تجمع فى الازمات الوطنية والاجتماعية . ان الدين فى العالم العربى، ـ برغم مايتسم به بعض رجال الدين من تخلف وجمود ـ قوة معنوية كبرى ذات مضمون توحيدى شعبى ، معاد للاستعمار والرجعية . حقا ما أكثر ما حاولت الرجعية ان تستخدم بعض رجاله ، وتنسج باسمه الخرافات لعرقلة الثورة العربية التقدمية ، ولكن ما أكثر ما كان الدين كذلك سبيلا لاحراجها وكشفها ودفعهادفعا الى مواقف وطنية على الرغم منها ولعل معركة النضال العربى ضد اسرائيل ابلغ دليل على ذلك .

وهكذا فان الدين بتراثه النضالى ضد الاستعمار والرجعية وفاعليته الشعبية وجوهره الانسانى ، ودعواه الى العمل والعقل والفضائل، سمة من سمات تجربتنا الاشتراكية الخاصة .

رابعا : يرتبط الانتقال الى الاشتراكية فى بلادنابحركة التوحيد القومى العربى . حقا انها ترتبط ككل حركة وطنية او تقدمية بحركة السلام العالمى ، وبمعركة تصفية الاستعمار ، ولكنها فى علاقتها بحركة التوحيد القومى ترتبط ارتباطا مباشرا عضويا .

ان حركة التوحيد القومى العربى ، تجعل من تجربتنا الاشتراكية مسئولية عربية شاملة ان البناء الاشتراكى فى بلادنا لا ينفصل عن معركة تصفية اسرائيل قاعدة العدوان الاستعمارى ، بل هو معنى من معانى هذه المعركة . ان البناء الاشتراكى فى بلادنا لا ينفصل عن معركة تحرير الوطن العربى والقضاء على الرجعية العربية . ان البناء الاشتراكى فى بلادنا هو البعد الاجتماعى الاساسى لحركة التوحيد القومى . فالوحدة العربية لا تتحقق بالعواطف القومية وحدها وانما بالتحرر الوطنى والتحرر الاقتصادى والتحرر الاجتماعى. وهكذا تصبح الاشتراكية فى بلادنا معنى من معانى الوحدة العربية الشاملة

* * *

هذه فى تقديرى ـ هى المميزات الاساسية الخاصة لتجربة الاشتراكية فى بلادنا . فهل تتناقض هذه المميزات الخاصة مع القوانين العامة للاشتراكية ؟

هل نقيم تناقضا . مفتعلا بين المميزات الخاصة والقوانين العامة ، ام نسعى الى التفاعل بينهما تفاعلا خلاقا يتيح اكبر واروع نجاح لتجربتنا الاشتراكية؟!

ان غاية الاشتراكية هى الغاء استغلال الانسان لأخيه الانسان، فلتتنوع الاساليب والطرق والقسمات القومية ، ما دامت تفضى جميعا الى تحقيق هذه الغاية ، أشرف غايات الانسان وانبلها

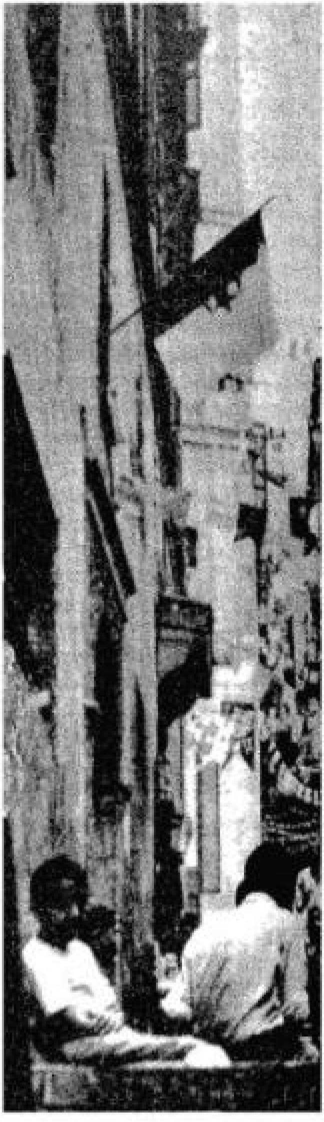




وثيقة جزائرية

خطاب من عمار اوزيجان

الى جميلة بوحريد



حي القصبة .. قلعة المقاومة في مدينـــة الجزائر.. ايام الكفاح



عمار اوز جان .. كان يحن لليالي رمضـــان في حي القصبة المعـاصر ...

ابنتي العزيزة

اليوم الاحد ، ولا ضيوف عندي . لذا ، فانني انتهز هذه الفرصة لكي اقـول لك رايي في « مذكرات زهرة ظريف » التي اعطيتنيها لي يوم الخميس الماضي

ودون ان احس تواضع اختك الشقيقة ، اؤكـد لك ـ بيني وبينك ـ ان المذكرات رائعة

لقد قراتها في جلسة واحدة

وفي البداية تعثرت في كلمات مكتوبة بطريقـة سيئة ، ولكن سرعان ما استوعبتني متعـــة



القراءة ومتعة الشكل والمضمون على السواء — فالمذكرات مكتوبة بلغة بسيطة عادية سهلة ممتعة . وهي ترسم بالكلمات وبلمسات خفيفة متتابعة صور الفنانين . كما ترسم بعض الاشخاص بما فيهم من مضحكات وبما فيهم من طباع . (مثال ذلك صورة الجبان ، وصورة الرجل ذي المظلة) وهي تصف المشاهد المعتادة في حياة المقاومة السرية (مثال ذلك وصفها لمسيرة طابور على طريقة الهنود الحمر ، ثم هي تحكي النكات المضحكة المبكية (مثل حادثة الفتاة الشرقية التي كانت تسير في الشارع فوجدت نفسها بالقرب من داورية من داوريات الاعداء ، ثم كيف دهشت عندما وجدت نفسها وجها لوجه امام رجل متنكر في زي امراة وقد فضح تنكره شعر ساقيه العاريتين تحت الحايك (١) » . وهي تصف تقلب الاحوال تقلبا يبعث على القلق (مثل وصفها لرقابة الشرطة بالقرب من ذلك الشارع الذي نسيت هي اسمه — والغريب انني أيضا قد نسيت اسمه — والذي تطلق عليه اسم ملتقى المدنية الراقي) . وهي تصف ارق الشاعر (مثل وصفها لاضطرابها امام فاترينات شارع ايزلي ، والرغبة في الاقتراب من مدخل محل الحلويات ، ورعدة القلب امام المنظر المفاجيء لمأتم ليلى ساهر تقيمه ثلاث نساء حول جثث امراة رابعة في منزل خال من الرجال) ... ثم الشاعرية في المذكرات (وصف اجتياز البلاد طولا وعرضا عبر عقبات صعود المصاطب الجبلية

«١» الحايك هو لباس البردة الذي تلبسه السيدات في الجزائر. « المترجم »

التي تكون مدرجات منتظمة لمسرح روماني تحت سماء لامعــــة بالنجــــوم ، والسير في « زنقة الجزارين » ، والسير في شارع الجزارين ورائحة اللحم المعروض تملأ الخياشيم ، والكرشة مزينة ومعلقة مع المنبار .. وذكريات الحنين الى امسيات رمضان في حي القصبة ...)

لقد استطاعت ذاكرتي ــ وهي ضعيفة في العادة ــ ان تحتفظ بكل هذه الامثلة من المذكرات . وكثيرة هي تلك الاشياء الجميلة الواردة فيها ، غير انني لااستطيع ان اقتبسها كلها . ان في كــل صفحة من الصــفحات الست والستين ، التي عنيت بعــدها (لان الملازم الثــلاث ليست مرقمة) يقطف المــرء حدثا او وصفا او فكرة او تعبيرا بارزا

***

ان في المذكرات موهبة راوية يأسر قارئه بما يروى له ،ويجعله ينسى ان الامر متعلق بذكريات عن الحرب في مدينة محاصرة ، او عن أحداث عاشــها الراوى بنفسه ، وعن اشخاص حقيقيين والمرء يخرج من قراءة هذه المذكرات بشعور انه قــد تذوق عملا من اعمال الخيال ... عملا روائيا

واذا كانت بقية المذكرات بهذا الاسلوب نفسه ــ ولماذا لا تكون كذلك ؟ ــ فان المجموع سيؤلف كتابا يمكن ان يحصل على جائزة « جونكور » او جائزة « فمينا » الادبية في سنة ١٩٦٢ !

وانا في هذا القول لا ابالغ ؛ لا امزح ، ولا اجامل

واعرف جيــدا ان ذلك ليس من مطامح زهرة ، وليس مطمحا لك . ومع هــذا ، فان الفكــرة ممكنة التنفيذ حتى في مستواها الادبي . واراهنك على ان هــذا الــكتاب ، الذى لا يزال املا ، سيحصل عندنا على احــدى الجــوائز الادبية التي لن تتوالى الجزائر الحرة من انشائها لمكافاة المواهب الشــابة . واتصور انه ستكون عندنا جائزة « عنتر » ، وجائزة « الــكاهنة » ، وجائزة « ابن خلدون »

في ســــنة ١٩٥١ او ١٩٥٢ طرحت فكرة انشاء جائزة للاعمال المعادية للاستعمار ، وذلك عندما كنت اعمــل في جريدة « المسلم الشاب » ، وهى جريدة كانت تصدر مرتين في الشهر باللغــة الفرنسية ، وكان يحررها شبان جمعية العلماء . ولقد كان ذلك





فى مقال قدمت فيه كتاب « الامير
عبد القادر ، فارس الايمان »
وهو الكتاب الاخير لصديقى
محمد شريف ساحلى، الذى كان
سفيرا لحكومة جمهورية الجزائر
المؤقتة فى دول أوربا الشمالية .
وعلى الرغم من معارضة العديد
من المتشككين فلقد شجعت الكاتب
على ان ينشره دون اى ابطاء .
وفى رايى ان هذا العمل قد تم فى
الوقت المناسب . لقد كانت
ظاهرة الهمود السياسى نتيجة
لفشل الاحزاب التقليدية ،
ونتيجة لادانة الشعب لتيار
الاصلاح . وكان الدليل على ذلك
عندى ، وهو النجاح الساحق
الذى حققته تلك الجريدة الصغيرة
التى يحررها شبان العلماء ،
والتى كانت تمجد المجاهد **مقرانى**
وتنتقد التكتيك القديم القائل
بوخز كعب الامبريالية الفرنسية
فى وقت كان ينبغى فيه الاستعداد
لتوجيه ضربة الى راسها ...
وطعنة الى قلبها

لقد كان ظهور كتاب يمجد
النضال الذى قاده الامير
عبد القادر طوال سبعة عشر
عاما بمثابة دعوة لها دلالتها
لمواصلة معركة الاستقلال بالقوة
المسلحة . ولم يكن لى فضل
كبير فى التنبؤ بالنجاح غير المعتاد
الذى لقيه كتاب محمد شريف .
ولسوء الحظ ان الناشر ، وهو
تاجر حذر ، لم يقدر تفاؤلى
المبالغ فيه حق قدره ، فلم يطلب
من المطبعة ان تحتفظ بالرصاص
حتى يمكن طبعه مرة اخرى بعد
استكماله — فى رايى — بفصلين
أحدهما عن « الامير كشاعر
عظيم » ، والاخر عن « البطل
الذى أضناه المنفى » والذى أدان
من دمشق الاعمال العدائية
للفرنسيين التى كان يعدها ابنه،
فى نفس الوقت الذى كان فيه

مقراني يبذل محاولته الكبرى لبدء حركة التحرير الوطني عام ١٨٧١ ...

عزيزتي جميلة

انني باستعادة هذا التحليل للجو النفسي .. والفني ، أحاول ان اقنعك بأن حكمي اليوم على مذكرات زهرة ظريف هو حكم صادر عن نفس التفكير العميق الذي صدرت نبوءتي بالامس عن كتاب ساحلي . ومعنى هذا انه ينبغي اقناع ابنتي الروحية الثانية بضرورة استكمال مذكراتها المشوقة . ويعتبر هذا تشجيعا لك انت ايضا على القيام بعمل مماثل سيلقى النجاح ذاته ان شاء الله

أن ثقتي هذه قد اكتشفتها فيك ، من خلال المناقشات والدفاع العقلي عن القضايا ، وفي دقة حكمك السياسي ، بل وفي المجال الممتع الذي اخترتيه لتفتحي فيه نافذة ثانية مقابلة

واذا كانت زهرة تكتب اليك عما حدث بعد القاء القبض عليك ، فماذا لو قصصت بدورك على زهرة كيف دخلتي ميدان الجهاد الوطني ، وان تتبعي بذلك كل نواحي الصورة العظيمة لما رأيتيه وما سمعتيه

ولانتقل الى النصائح العملية

ينبغي على زهرة ان تحافظ على كراستها محافظتها على الشيء الغالي الثمين . ولقد اعطيت الكراسة للاخ (١) لكي يقراها ويقول لك رأيه الشخصي فيه

ان هذه الذخيرة الادبية ، بصفحاتها المكرمشة أو الممزقة ، شاهد حي له روح وصوت وحرارة الصلة الانسانية

وفيما يتعلق بالجانب المادي والفني ينبغي اعادة نسخ النص بطريقة مقروءة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك هامش مناسب . فذلك سيسهل عملية تصحيح ضوابط الكلمات . ويسهل الترجمة الكتابية للرموز والاختصارات الاختزالية التي



(١) الاخ هو ياسف سعدي « اضافة الناشر لها عمار اوزجان »



توجد فى كراسات التلاميذ ، كما يسهل العمل الضرورى لنسخ النص بالآلة الكاتبة وفى اسطر يتباعد الواحد منها عن الآخر بمقدار مسافتين ، وفى ثلاث أو أربع نسخ على ورق مناسب

واعتقد انه لنبغى مساعدة القارىء على معرفة مكان تلك الاحداث وزمانها . ومن هنا ، فاننى اقترح أن يوضع رأس كل نصل ، يجمع عددا معينا من لاحداث ، التاريخ التقريبىالذى وقعت فيه تلك الاحداث . فالفصل الاول مثلا ، وهو البداية ، يمكن أن يكون عنوانه مثلا : « القبض عليك » . أما الاحداث والوقائع الاخرى فيكتب الشهر والسنة

واخيرا ، ومع المحافظة على الطابع الشخصى للرواية الاصلية ، وهو أنها ثمة صديقتين تبادلتا ذكرياتهما لوقت طويل كثوريتين دون أن تغرقا فى التفاصيل الجزئية ، أعتقد انه من الممكن ومن الضرورى اضافة حدثين لهما مغزى خطير ، اجتماعيا وسياسيا

واعذرينى هنا اذا كررت نفسى . ان نشاطى الطويل كمناضل يهتم بتكوين الكادر قد اضطرنى الى استخدام التكرار ، الذى هو أساس فن التربية . ولست أعيد الاسطوانة نفسها عندما اسمعك النغمة ذاتها . اننى أكرر المبادىء الجوهرية بالباسها فى كل مرة لباسامختلفا ، حتى لا أوحى بان الامر لا يزيد عن تكرار ما سبقت رؤيته أو سبق سماعه

لقد اوصيتك بان تكشفى الدور الهائل الذى قامت به النساء والفتيات فى الثورة سولن اعاود الحديث فى هذا الامر ، ولكن يكفينى أن أبين لك كيف تطورت معاييرنا الاخلاقيةالجامدة تطورا عظيما بطريقة تلقائية وبدون قهر أو دعاية . فلقد كانت المرأة لا تظهر ابدا دون حجاب أمام الغريب

وفى احد بيوت شارع الباب الجديد فتحت النساء بابهن لفدائى جريح . ولم يكن فىالبيت رجل واحد فى تلك اللحظة ـ

واشــــتركت « النسوان » فى اسعاف الجريح المجهول . وبينما كان بعضهن يخلعن عنــــه كل ملابســه ، ويغسلن ويضــمدن جراحه ، ويلبسنه ملابس نظيفة، كان البعض الآخــر منهن يخفين ملابسه ومهماته الملطخة بالدماء، وينظفن ارضيةالحجرةوالسقيفة، ويمسحن كــل آثار الدماء التى نزفت فى كل مكان حتى فىالشارع ... اما الفتيات فقد جرين الى العنوان الذى اعطاه الفدائى لهن لكى يبلغن زملاءه فى التنظيم . ولم يلتقطن انفاسهن الا بعد ان تأكدن ان هذا المحارب الذى لـم يكن يلبس زيا عسكريا قد اصبح فى أمان

وفى كل بيت من بيوت شارع غرناطة (ياله من اسم له تاريخ) ، وحيث تعرفين كل اسرة منــــذ طفولتك ، تستطيعين أن تجدى كنوزا من اعمال البطولة والفكاهة التى تعيــد الى الاذهان قصص الشجاعة النـــادرة فى الف ليلة وليلة ..

واليك قصةمغامراتمسئولعن الاتصال بين المجموعاتالعسكرية؛ القى القبض عليه ، وعــذب ، ثم ترك مشــدود الوثاق حتى الموت ، فتخلص من قيــوده ، واستولى على مدفع رشاش اطلق منه دفعة على جنود المظــلات الذين كانوا يحرسونه فقتلهم . وفى الصباح الباكر قدم نفسهالى وحدته العسكرية وهو عارىتماما مثل آدم ، وليس معه منالغنائم سوى ورقة توت ...

وقصة أخــرى من القصص المجيدة . انهــا قصة عائلة من المرابطين . الاب بورجوازى كبير محافظ لا يسمح لزوجته وبناته بالخـــروج ، بل ولا يسمح لهم

بطل واحد .. هو الشعب .. !





بالقيام بالزيارة التقليدية للحمام الموجود داخل المنزل العائلي . وذات يوم آوى مجموعة صاخبة من الفتيان والفتيات . وكانوا من المجاهدين . وسرعان ما اكتشف انهم شباب لم يفسده الشيطان ... بل ووجد أن المثل الاعلى والروح العصرية يمتزجان فيهم امتزاجا متسقا وانهم على خلق قويم . وبقفزة واحدة عبر المسافة المعنوية والعقلية التي كانت تفصله عن يومه بقرن من الزمان، وبعد أن اتفق مع الام والابناء (وهم جميعا اليوم اما في السجون او في قوات المقاومة) سمح لبناته الاربع المحجبات بأن يخدمن الوطن وان يتخلين عن الحجاب ويخرجن الى الشارع بملابس اوربية

والنتيجة التي اريد الوصول اليها اجدها مرة اخرى في المثل الذي يضربه الاخ

لقد تابعتي تقدمه في تحرير المقالات ، ذلك التقدم الذي تحقق بفضل جهده الشخصي ، ومثابرته على العمل ، وحسن تقديره للامور . ولقد استطعتي ان تلاحظي بنفسك كيف نجح الاخ في تحسين اسلوب مقاله الى المجلة الباريسية

يشير عمار اوزيجان هنا الى مذكرات ياصف سعدي التي كتبها في سجن فرسنيس بفرنسا وبعث بها الى مجلة « الازمنة الحديثة » التي يحررها سارتر . وقد نشر النص الكامل لتلك المذكرات في كتاب بعنوان «معركة الجزائر » ـ المترجم . ولاحظتي كيف اثرى الاخ تلك المقالة بالربط بين فقرتين طويلتين احداهما تمجد

ذكرى على لابوانت (١) والاخرى تمجد التضامن الوثيق والشجاع بين الامهات العجائز كتلك العجوز التى بادرت باخفائك فى بئر لكى يحميك من جنـــود المظلات الذين كانوا يحاصرون حى كوشة الخندق عند تقاطع شارع كليبر وشـارع ديون ، وكانوا يفتشون الشرفات والحوارى، التى تحولت الى اعشاش نمل نهم

انى أعتز اعتزازا هائلا بتوجيه خطى الطلبة المجتهدين . ان الاخ وزهرة يسيران على الطريق القويم وفى استطاعتك ان تتبعينهما بيقظه وثقة . ان ذلك هـــو الصراط المستقيم الجديد ، انه الصراط المستقيم الذى يسبغ نفس الشرف والحماس الذى يسبغه الصراط المستقيم للكفاح المسلح

ان للنضال السياسى متطلباته وقوانينه وقواعد تنظيمه وانضباطه انى اعتبر هذه الرياضة الروحية اسلوبا عمليا رائعا لكى تعـدى نفسك للجهاد الاكبر الذى جـاء فى الحديث النبوى الذى طالما كنت استشهد به لك

لقد حاربتى ، بالامس ، بالمدفع الرشاش والقنبلة . وغداً سيكون الشعب الجزائرى فى حاجة الى قلم المجاهد لتدعيم النصر . انه سيكون فى حاجة الى ذلك القلم المناضل

(١) على لابوانت ، بطل شعبى من ابطال الثورة الجزائرية

جميلة بو حريد



الذى يساعد على اقامة الديمقراطية والاخوة دون تمييز بسبب العنصر او الدين

ومن اجل العدالة الاجتماعية !

قبل من اجل اخواتك : جميلة بوباشا ، وزاهيـــة خلف الله ، وحابى جيميز ، وزهرة ظريف .

مع خالص ودى

عمار اوزجان



فلاحة مصرية من
النــوبة ..

الروح والصورة



.. وتمثال مصرى قديم

ان فن التصوير اليوم ينقل لك الصورة حية ، فيها الروح والفن ، واللاحظة الذكية الحساسة

ان المصور المصرى عبد الفتاح عيد تمتلىء صورة بالحياة ، وتدب فيها الروح ..

لقد بدأ حياته مصورا صحفيا .. ثم تفرغ للتصوير الحى ... والتجوال فى كل شبر من ارض بلاده .. بحثـا عن الروح فى الاحجار الصماء ، والتماثيل وبين الانسان والطبيعة





ان التشابه القريب بين هذه الفلاحة المصرية من النوبة وذلك التمثال الفرعوني .. هو نفس التشابه بين الفتاة المصرية البيضاء وتمثال فرعوني آخر..!





وفي مجموعة هذا الشهر ، التقط المصور صورتين لافريقيا تمثلان الاقبال على الحياة .. الملابس الوطنية ، والملابس الافرنجية السوداء ، والحرية .. ؟

ماركس



فتوامي نكرومه :

أنا والفلسفة

من الثابت عندي أن الفلسفة تنشأ دائما من البيئة الاجتماعية ، وأن المضمون الاجتماعي حاضر على الدوام في أي فلسفة سواء كان ذلك صراحة أو بصورة ضمنية . فالبيئة الاجتماعية تؤثر في مضمون الفلسفة ، كما أن مضمون الفلسفة يرمي الى التأثير في البيئة الاجتماعية سواء بالتأييد أو التفنيد . وفي كلتا الحالتين تنطوي الفلسفة على شيء من طبيعة الايديولوجية؛ ففي حالة تأييد فلسفة ما لبيئة اجتماعية معينة تكون هذه الفلسفة منطوية على شيء من ايديولوجية هذا المجتمع . أما في حالة تفنيد أو معارضة فلسفة ما لبيئة اجتماعية معينة فهذه الفلسفة منطوية اذن على شيء من ايديولوجية ثورة ضد هذا المجتمع . فالفلسفة من جانبها الاجتماعي يمكن أن تعتبر اتجاها نظريا الى أيديولوجية ».

وكنت قد كتبت شعارا في صدر كتابي « نحو تحرير المستعمرات » ، اقتبسته من ماركس ، وهذا نصه :

« ان كل ثورة في حد ذاتها منهج منبثق من مبدأ عضوي ايجابي جسدية كلي . وأوجب شيء أن تتعلق بذلك المبدأ



ان المؤرخ هو وكيل النيابة الذى يتهم الماضى ، وينتقد أخطاءه ، ليحمى المستقبل



اولا ، على أن يتولى تطويره بعد ذلك خاصة المؤمنين به دون سواهم وهؤلاء الخاصة من المؤمنين ينبغي أن يقطعوا كل صلة لهم بأى مبدأ آخر يخالف المبدأ الذى يدينون به خلافا جوهريا » ومالزيني في هذه العبارة يقرر الصلة بين الثورة والايديولوجية فحينما تنجح ثورة ما تصبغ الايديولوجية الجديدة المجتمع ، فتمنح « البيئة الاجتماعية » المتحدلة مضمونها الجديد . ويصف مالزيني ذلك المبدأ بأنه مبدأ كلى وايجابى وعضوى . وتقرير مثل هذا المبدأ وتبريره والدفاع النظرى عنه تتكون منه فلسفة ما . وبذلك تصبح الفلسفة اداة من أدوات الايديولوجية . فمن الجائز حقا أن نقول أن ثمة ايديولوجية في كل مجتمع ، ذلك انه توجد في كل مجتمع على الأقل شريحة واحدة مناضلة هي الشريحة المسيطرة على ذلك المجتمع . وفي المجتمعات العشائرية القائمة على المشاركة والملكية العامة نجد هذه الشريحة متآلفة ومتسقة مع سائر الجماعة . وللشريحة المسيطرة مبادئها الاساسية ومعتقداتها عن طبيعة الانسان وعن نمط المجتمع الذى ينبغى ايجاده ليعيش فيه الانسان . وهذه المبادىء الاساسية تساعد على وضع تصميمات اقامة هذا النمط من التنظيم الذى تستخدمه الشريحة المسيطرة ، كما ان هذه المبادىء عينها تنشأ منهما غايات وأهداف متشابكة هي التى تحدد المساومات والتنازلات الممكنة وغير الممكنة. **ففى وسع المرء ان يساوم على البرنامج، لا على المبدأ ، فكل مساومة على مبدأ ما معناها التخلى عن هذا المبدأ**

أما في المجتمعات التى تتصارع فيها ايديولوجيات شتى ، فالمشاهد عادة أن ايديولوجية واحدة من بينها هي التى تسيطر . وهذه الايديولوجية المسيطرة هى التى تدين بها المجموعة الحاكمة . ومع أن الايديولوجية هي مفتاح الشخصية الصميمة للمجموعة التى تمتلكها ، الا انها على التحقيق ذات هدف كلى بالنسبة للمجتمع لانها لاترمى الى التوحيد بين قطاع واحد من الشعب، بل الى توحيد المجتمع كله . وبصل تأثيرها بالفعل الى المجتمع كله حينما تحتل هذه الايديولوجية المعينة مكان السيطرة ، لانها الى جانب رسم خطوط الاتجاهات العامة للمجتمع تحدد أيضا ـ على ضوء الظروف ـ أشكال التنظيمات التى تسمح بقيامها وأنواع المسارب أو الانفاق التى يوجه للسير فيها النشاط العام

***

وكما يجوز أن توجد ايديولوجيات **متنافسة** في المجتمع الواحد ، يجوز أيضا أن توجد ايديولوجيات **متعارضة** في المجتمعات المختلفة . الا ان المجتمعات ذوات النظم الاجتماعية المختلفة تستطيع أن تتعايش ، أما ايديولوجياتها نفسها فلا تستطيع أن تتعايش . فثمة وجود لشىء اسمه **التعايش السلمى بين دول** ذات أنظمة اجتماعية متباينة ، **ولكن ما دامت الطبقات الفاشية موجودة في مجتمع ما فلا يمكن ان يوجد شىء اسمه التعايش السلمى بين الايديولوجيات المتعارضة**

ان الامبراطورية وهى قمة مراحل الراسمالية ستظل مزدهرة في صور شتى ما دامت الظروف تسمح بذلك ، الا ان نهايتها محتومة ، وستأتى هذه النهاية المحتومة على يد اليقظة القومية والتحالف بين القوى التقدمية التى تعجل بنهايتها وتقضى على اسباب ومبررات وجودها

سينتهى عهد الامبراطورية عندما ينعدم استغلال دول وأمم لدول وامم اخرى ، وينتهى استئثار فئة قليلة بثمرات الارض ومواردها بحيث تحرم منها الكثرة المغلوبة على امرها

***

وحين أقول ان كل مجتمع به ايديولوجية واحدة على الاقل ؛ لست أعنى بذلك ان كل مجتمع به مجموعة أو « نظم » كامل مفصل من النصوص المقررة ، فقد تكون الايديولوجية مضمرة أو ضمنية شأنها في ذلك شأن امور كثيرة جوهرية أخرى . ففى كل مجتمع توجد « **الاخلاقية** » معينة ، ولكن ليس معنى هذا ان تلك الاخلاقية محددة

العالم فى « طقم » متماسك مريح من المقررات . لان الاخلاقية شبكة من المبادىء والقواعد لتوجيه السلوك وتقييمه . والى هذه المبادىء والقواعد نرجع دائما لاننا نستمد منها قراراتنا وآراءنا الاخلاقية . وفى كثير جدا من الاحيان يكون حكمنا الاخلاقى قاطعا بالنسبة لفعل معين ، ومع هذا لا نكون بالضرورة مستحضرين فى ذهننا بوضوح أسباب هذا الحكم . ولكن ليس معنى هذا ان تلك الاسباب غير موجودة . فنحن نتشارك داخل المجتمع الواحد فى بناء من المبادىء الاخلاقية والقواعد التى اقرتها تجاربنا وتجارب اسلافنا ، وبذلك تكونت لدينا مهارة خاصة لتشكيل وصياغة آراء اخلاقية محددة من غير أن تكون لدينا معرفة واضحة المعالم بمصادر أحكامنا هذه

***

واذا رجعنا الى **سيجموند فرويد** نجده مؤمنا بانه ما من شىء ينساه المرء اطلاقا نسيانا تاما . ولكن ليس معنى هذا ان المرء يتذكر كل شىء تذكرا واعيا ، بل معناه انه يدفن فى طبقة ما دون الوعى او فى اللاوعى . ولكن فى المستطاع تذكر هذه الامور وبعثها من مرقدها لتطفو الى الوعى . وهذا هو الاساس الوحيد الذى جعل قيام التحليل النفسى ممكنا . ومعنى هذا أن كل ذكرياتنا المنسية « مختزنة » فى حقيقة الامر الى حين ، وما علينا الا أن ننقب عنها لانها وهى فى مكمنها تؤثر على سلوكنا حتى ولو لم يكن لدينا أى تذكر واع للتجارب المتصلة بها

وكما تتولى الاخلاقيات توجيه أفعال ملايين الناس ، كذلك ترمى الايديولوجية الى توحيد أفعال ملايين الناس نحو أهداف محددة ، حتى وان كانت هذه الايديولوجية مضمرة المعالم غير حاضرة بتفاصيلها فى الوعى . وانا مدرك انى بهذا المفهوم ابتعد بعض الشىء عن مفهوم السائد لهذه الكلمة . فالمعروف عادة أن الايديولوجية بناء فكرى من صنع فرد واحد أو مجموعة صغيرة من الافراد الغرض منه احداث تغيير أساسى او جذرى فى المجتمع . وهذا خطأ واضح . **فالايديولوجية — حتى الثورية منها — ليست مجرد تعبير عن الرغبة فى القضاء على النظام الاجتماعى القائم ، بل هى**



نكرومه فى صور كفاحه

ايضا الرغبة فى الدفاع عن النظام الاجتماعى الجديد الذى تنشئه . لهى هى تدافع عن نظامها التقدمى بعد اقامته لملا تظل جديرة باسم الايديولوجية . كما ان عدم تسجيل أيديولوجية ما على الورق فى نصوص صريحة لا يمنع اطلاقا من كونها ايديولوجية بكل معنى الكلمة . فالفيصل هنا الفكر لا الورق !

ولما كانت اى أيديولوجية ترمى الى اقامة نظام أساسى معين لحياة مجتمعها فهى بحاجة الى عدد من الادوات ، وهذه الادوات هى النظرية السياسية والنظرية الاجتماعية والنظرية الاخلاقية التى تتمخض عنها الايديولوجية المعينة ، وبذلك يقوم سلوك معين فى المجالات السياسية والاجتماعية والاخلاقية ، بحيث ان اى سلوك فى هذه المجالات



دى بوا

لا يتفق مع الحدود المرسومة يصبح مروقا وخروجا على الايديولوجية وبعبارة أخرى قد يكون سلوك سياسي معين متفقا مع الايديولوجية الاجتماعية أو غير متفق معها . فبالنسبة للايديولوجية الاشتراكية مثلا نجد الدكتاتورية السياسية لرأس المال غير متفقة معها . فثمة دائما تخوم محددة لا بد للنظرية السياسية الاجتماعية وتطبيقها ان يلتزماها كي يتوافقا مع الايديولوجية الاجتماعية . وبذلك تبرز سمات الايديولوجية فى نظرية اخلاقية وفى التطبيق الاخلاقى ايضا

ان الايديولوجية الخاصة بأى مجتمع لها صفة الشمول ، لانها تحيط بحياة الشعب بأكملها ، وتتبدى معالمها فى بناء طبقاته وتاريخه وادبه وفنه ودياناته ، وتكتسب أيضا صبغة فلسفية ، فان كانت الايديولوجية المعينة تكاملية حقا — أى انها ترمى الى اقامة نظام محدد يوحد افعال الملايين ويوجهها الى اهداف معينة — فوسائل هذه الايديولوجية التكاملية يمكن أيضا أن تعتبر وسائل للرقابة الاجتماعية . فى هذه الحالة يعتبر « الزام » فكرة اساسية فى المجتمع . ومثل هذه النظرة الى المجتمع تنشأ عنها فكرة « العقد الاجتماعى » ، وعلى حسب هذه الفكرة كان الانسان يعيش فى العصور المظلمة من الماضى السحيق خارج محيط المجتمع. والمفروض أن الانسان فى تلك الفترة المظلمة كان يحيا فقيرا قذرا متوحشا الى حد الضراوة ، وكانت حياته قصيرة الاجل محفوفة بالمخاطر والفزع ، فضاق بهذا النمط من المعيشة ولم يعد يطيقه ، فتجمع الضعفاء الفقراء من الناس وعقدوا فيما بينهم عقدا تنازل به كل منهم عن بعض حقوقه كى يصير لمن يختارونه سلطان تشريعى وتنفيذى له على سائرهم صفة الالزام

ونحن نعلم انّ العقد الاجتماعى غير ثابت تاريخيا ، لان الناس لا يمكن أن تكون لهم لغة مشتركة ما لم يعيشوا بالفعل فى مجتمع واحد ، واللغة المشتركة عنصر اجتماعى لا يتفق مع نظرية العقد الاجتماعى اللاحق لها . ومع هذا لا مفر من الاعتراف بأن قيام المجتمعات ترتب عليه بالضرورة معنى الاجبار المنظم

ولئن كنت قد أشرت آنفا الى ماتتطلبه الايديولوجية المعينة من مجالات محددة للسلوك ، فمن العسير مع هذا ان ترسم حدودا دقيقة لهذه المجالات . ولكن هذا التعذر لا يعنى أن هذه الحدود غير موجودة ، لان وجودها مماثل لوجود الحدود السياسية بين الدول ، حتى حينما يكون ثمة خلاف على بعض المواضع المشتركة

***

وكل مجتمع يهتم بتوضيح المجالات المسموح بها فى السلوك ، ويستخدم الوسائل الكفيلة بتوفير التوافق له ؛ لان ايجاد الوحدة رغم اختلاف المكونات يتعذر حدوثه تلقائيا . فلابد من وسائل وأدوات لضمان قيام وحدة متسقة فى المجال المعين ، ثم لضمان المحافظة عليها، وهذه الوسائل والادوات لها رسميا صفة الاجبار او القسر لانها قائمة على تأكيد قيم مشتركة تتولد عنها مصالح مشتركة، ومن ثمة تتولد عنها افعال ومواقف مشتركة وردود افعال . ومن مجموعها يتكون الاساس التحتى الغائر لقاعدة النظام الاجتماعى . وهذا الاشتراك العام فى القيم والمصالح والمواقف العامة يجعل « الجزاء » الاجتماعى امرا لا مفر منه . وبهذا تنشأ التنظيمات البدنية فى المجتمع، مثل قوة الشرطة ، لتحقق المحافظة على كيان هذه الاهداف الاجتماعية المشتركة

***

والواقع انى عندما تحدثت فى «مؤتمر القانون » المنعقد بأكرا سنة ١٩٦٢ بينت بوضوح ان القانون بما له من سلطة تنفيذية يجب أن يستلهم فى جميع مستوياته المثل العليا للمجتمع . ومع هذا فلدى المجتمع عديد من الوسائل يختار من بينها ما يشاء . وليس معنى هذا فحسب أن للمجتمعات المتباينة



فرويد



تقاليد قديمة ، وأفكار جديدة

وسائل متباينة ، بل معناه ان المجتمع المعين يستطيع مثلا أن يقرر مركزية جميع وسائل « الاجبار » والوحدة . ولكن هذه المركزية المطلقة غير ممكنة ؛ لانها تقتضي النص على كل فعل مسموح به والنص كذلك على فعل ممنوع، ولكن في وسع كل مجتمع ان يقترب من هذا المثل الأعلى بقدر ما يشاء . ولكن المجتمع الذي يقترب من هذا الهدف أكثر مما ينبغي يتعرض لاقامة بيروقراطية مستطيرة يبلغ من استفحالها أن تهدر الغرض من انشاء هذه البيروقراطية نفسها .. وينتهي الامر بالدولة أن تصبح اوتوقراطية ، وتقع بسبب الخوف من الاهواء فريسة للشلل وسائر علل التحكم المفرط .

ومع هذا يجب أن يدخل المجتمع في عداد وسائله التي يستخدمها الالزام وضمان وحدة الامة تلك الاوامر والنواهي التي تصدرها في صيغة قانونية أو تشريعية . والى جانب هذه اللوائح توجد في كثير من المجتمعات طائفة ضخمة من الوسائل الخفية الدقيقة مثل خطب المنابر والضغط الذي تمارسه الحانات العمال والتنديد الذي تمارسه الصحف، وسخريات الاصدقاء ، واعراض الزملاء ، والازدراء والنبذ وما الى ذلك من الوسائل التي لا تحصى ، وكلها غير تشريعية ، الا ان لها من صفات « القهر » و « الاجبار » التي يفعل فعلها البعيد المدى في توحيد سلوك الناس

وقد يكون الاجبار مؤلما للاسف في بعض الاحيان ، ولكن لا بد منه حتى لا يغدو السلوك الفردي غير ملتزم او متحررا من كل مسئولية . فالفرد ليس وحدة فوضوية ، لانه يعيش في بيئة لها نظامها ولا بد لها من المحافظة على هذا النظام بالوسائل المباشرة الصريحة والوسائل الخفية غير المباشرة معا

***

وكان المستعمرون الاوربيون قد جنحوا الى الادعاء بان مجتمعات افريقيا التقليدية لم تشارك في تشكيل تاريخ البشرية ، ولذا انهارت امام حضارة



جورج بادمور

أوربا ، وصور علماؤهم مجتمعات افريقيـا القديمة بصورة تبرر الرق ، بحيث يبدو وكأنه « تحرير » او « طوق نجاة » لاسلافنا ولما حرمت تجارة الرقيق بدأ « الخبراء » في الشئون الافريقية يصورون الثقافة والمجتمع الافريقي في صورة بدائية جدا بحيث يبدو الاستعمار واجبا أملته المسيحية والحضارة ! ولئن لم نعد ـ بقرائن من اشكال جماجمنا ـ في نظر أولئك الخبراء ممثلين للحلقة المفقودة في سلسلة التطور ؛ فاننـا بافتقارنا الى الحكومات الصالحة والتقدم المادي والروحي مما لا بد ان نعتبر في نظرهم الممثلين المتخلفين لطفولة النوع البشري . ولذا يجب أن تفرض على طفولتنا الوصاية عن طريق الخضـوع السياسي ..

وانه لمن سوء الطالع ان كتابة تاريخ اي امة من زاوية الطبقة الحاكمة فيها امر يسير جدا . ولكن هذا ليس التاريخ الصحيح للأمة . ومن باب أولى لا يكون تاريخنا الصحيح ما يكتب من زاوية بقعة اخرى خارجها تماما . ولذا لا يجوز ان يكتب تاريخ افريقيا على اعتبار انها « المكان الذي توسعت فيه أوربا فترة من الزمن » . لانه ان جاز تأويل التاريخ على حسب مصالح أوربا التجـارية والراسمالية والارساليات ورجال الادارة الاوربيين ، فلا يجب أن تتخذ القوميـة الافريقية صورة انحرافات وتخلفـات ، وبذلك تمسي النزعة الاستعمارية الجديدة فضيلة باهرة

❋❋❋

ان تاريخنا الافريقي بحاجة الى ان يكون تاريخ مجتمعنا نفسه . لا تاريخ المغامرين من الاوربيين . ويجب ان ينظر الى المجتمع الافريقي باعتباره مجتمعـا متكاملا ، ولتاريخه مرآته ، ويجب أن يكون الاحتكاك الاوربي بافريقيا مجـرد تجربة افريقية في بعض مراحل هـذا التاريخ ، حتى ولو كانت هذه التجربة حاسمة . اي ان الاحتكاك الاوربي يجب أن ينظر اليه من وجهة نظر المبـادئ الاساسية للمجتمع الافريقي . ومن وجهة نظر توافق هذا المجتمع وتقدمه . وبهذه الصورة يغدو تاريخ افريقيا خريطـة بيانية للنمو المأسوي لمجتمعنا ثم انتصاره النهائي . وبذلك أيضا يغدو التاريخ الافريقي أسلوبا تشير الى الإيديولوجيـة التي ترشد وتوجه أعاده بناء افريقيا

والعلاقة بين الموقف الإيديولوجي وكتابة التاريخ علاقة دائمة . واذا رجعنـا لمؤلفات كبار المؤرخين ، بما فيهـم هيرودوت وتوسيديد ؛ رأينا بوضـوح اهتمامهم الشديد بالايديولوجيـة . فتعليقاتهم الدامغة على الاخلاق والسياسة والاحوال الاجتماعية قرائن واضحة على وجود موقف ايديولوجي عام لدى كل منهم . وكبار المؤرخين هم « نواب عموميون » ندبوا أنفسهم للاتهام فيما يتعلق بأحداث الماضي ؛ وللتشـديد بالاخطاء حماية للمستقبل . ومن مجموع التنديد والتنويه ترتسم صورة للانسان الصالح والمجتمع الصالح .. وهي الصورة الضمنية للايديولوجيا

❋❋❋

والفن وسيلة أخرى من وسـائل الإيديولوجية ، ففي العصر الوسيط بأوربا ، عندما كان الدين هو مشغلة الحياة الشاغلة ، كانت كل أمور الدنيا مسخرة للاغراض الدينية أو على الاقل خاضعة للدين وغير مسموح لها بالتعارض معه . حتى أن الاقتصاديات نفسها بكل أنواع نشاطها كانت خاضعة للاعتبـار الديني . ولذا كانت الفنون الجميلة في ذلك العصر مخصصة لتصوير مناظر من الكتاب المقدس ومن الفردوس المفقود والفردوس الموعود . أما اليوم ، في دول أوربا الاشتراكية حيث صار مجال السلوك كله خاضعا للمبدأ الاشتراكي ، فقـد تحول الفن الى تمجيـد الإيديولوجية الاشتراكية على حساب ذلك النوع الآخر من الفن الذي قد يتلقى الهامة من سيادة الطبقة الارسـتقراطية او الطبقـة البورجوازية. فقد كان الفن الارستقراطي يهتم بالموضوعات الخلوية ومناظر من حياة الآلهة والالهات والرعاة العـازفين على الناي ببال خلي . أما الفن البورجوازي فقد جنح الى الاحتشام والتطهر وبذلك تغيرت موضوعاته . ومع هذا لم يخل الفن في بعض الازمنة من سمات ثورية ، فهذا « جويا » مثلا يندد في رسومه

الفن وسيلة اخرى من وسائل الايديولوجيه



بقـوة وقطاقة الطبقات الحاكمة في القرن التاسع عشر ، ولكنه في الواقع لم يكن بفنه هذا مدافعا عن ايديولوجية معينة، بل كان ينقد بايديولوجية سائدة

والفن الافريقي أيضا كثيرا ما صور المجتمع . فالاهتمام بالامور الاخلاقيـة الفلسفية هو الذى يفسر القوة الخاصة لهذا الفن كما يفسر أيضا ما في قوالبه الشكلية من الثراء ، اذ كان لا بد له وهو يتصدى لتصوير قوى العالم وقوى الوجود والموت والقدر الا يصـورها وكأنها قوى مقهورة تم ترويضـها على نحو ما تصورها الفنون الناعمة التى يسودها التماثل والهدوء ومطابقة المنظور. وجبروت القوى التى يواجهها الافريقى لا بد أن يتمثل في قوالب فنية متمـردة على كل تماثل ونعومة واستقرار .. ومن هنا جاء التواؤها



ومن أمثلة الوسائل اللبقة والخفية للوصول الى « الالـزام » و « التجـانس » و « التماسك » ماتتبع لحل مشكلة المراهقين الخارجين على العرف والجانحين الى الجنوح فقد انشأت بعض كنائس انجلترا نواد خاصة لهم تجتذبهم اليها بموسيقى « روك آند رول » ! ومتى استدرجوا الى هناك تطمع الكنيسة فى « اجبارهم » على تعديل سلوكهم ليتفق مع النمط المقبول . أما فى الاتحـاد السوفييتى فالتخويف والتحقير العلنى هما الاسلوب المتبع بانتظام ، فاذا لم تجد هذه الوسيلة تقل الشباب المتميعون من منطقة الى أخرى ، وبهذه الطريقة غير القانونية تمارس الدولة نفوذها لاجبارهم على السلوك السوى وترك التميع قسرا

وهذه الوسائل كلها ترتبط بغـاية واحدة هى تحقيق « المجتمع المنشود » ، الذى تحدد صورته الايديولوجيـة السائدة . وبتغير صورة « المجتمع المنشود » لا بد أيضا من تغيير بعض الوسائل

***

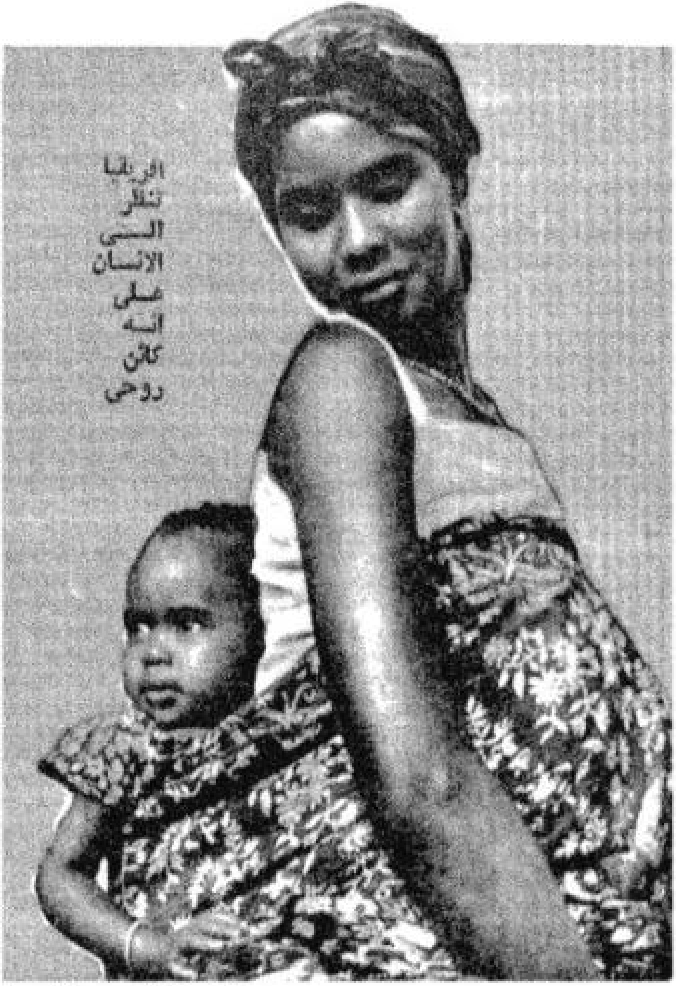
والفلسفة وسيلة من الوسائل الخفية للايديولوجية تعمل لخدمة التماسك الاجتماعى لانها تقدم الاسـاس النظرى لهذا التماسك . وفى «جمهورية افلاطون» كانت الفلسفة أساسا نظريا للنظـام الاجتماعى المقترح . اى ان الفلسـفة كانت وسيلة لتحقيق ايديولوجية خاصة بنظام اجتماعى اقترحـه افلاطون . فالفلسفة المعينة تتمخض عنها حتمـا فلسفة سياسية محددة ترسم لنا أهدافا خاصة علينا أن نحققها أو ندعمهـا ، وتغدو بالتالى أداة للتوحيد والتماسك الاجتماعى من حيث انها ترسى دعائم مثل أعلى مشترك بين جميع أعضاء المجتمع

والفلسفة الاخلاقية تلقى ضوءا على طبيعة المبادىء والاحكام الاخلاقية والالزام الخلقى . فالفلسفة الاخلاقية وسـيلة فعالة ذات نفوذ خلاب يضارع فى قوته الوسائل التشريعية وان كانت الفلسفة الاخلاقية مجردة من الصفة التشريعيـة تماما . فلم يحدث أن سنت قوانين اخلاقية ، ولايوجد شرطة ومحاكم لحماية هذه القوانين . ولكن للاخلاقيات سحرها الخاص ، وحينما يسألنا شخص ما لماذا ينبغى أن يراعى تنفيذ قوانين الدولة يمكننا أن نشرح له الغرض من هـذه القوانين ، فان لم نجبه بينا له انه خاضع لدستور معين تسن بمقتضـاه هذه القوانين . فان لم يعجبه هـذا أيضا أفهمناه ان عدم رعاية قوانين الدولة تترتب عليه نتائج مؤسفة له . أما عندما يسألنا شخص ما لماذا ينبغى أن يراعى جانب الاخلاق فليس فى مقـدورنا أن نسلك معه ما سلكناه عندما سـألنا الشخص السابق عن القانون التشريعى وهذا ما حدا بدافيد هيوم الى القول بأن العقل لا يخبره لماذا ينبغى الا يفضل سلامة اصبعه الخنصر على ضمان استمرار النوع البشرى كله

والفلاسفة الباحثون عن مصدر الالزام الخلقى حاولوا العثور على اجابة مستساغة لهذا السؤال ، فبعضهم وجد الجواب لدى علم النفس الفردى فيمـا يختص باللذة والالم اللذين يعقبان القيام بعمل معين ، وبذلك لا يكون ثمة موضـع لمن يقول : « ولماذا يفضل المرء الافعـال السارة على الافعال التى تعقب الما ؟ » .. ولكن هذا المقياس — ان صح — فانما يصح على المستوى الفردى لا المستوى الاجتماعى

حاول آخرون اقامة القوانين الاخلاقية على طبيعة العقل البشرى نفسه ، وبذلك يجدون الجواب السديد فى عرفهم لمن يسأل : ولـمـاذا ينبغى أن يكون المرء أخلاقيا فى سلوكه ؟ .. لانه متى صارت قوانين الاخلاق من أوامر العقل ونواهيه صارت الاخلاق هى العقل ومخالفتها هو الجنون . وكمـا يكون المنطق ضرورة أساسية للتعبير والتفاهم ، تكون الاخلاق ضرورة اساسية للعمل والتعامل

وهناك فريق ثالث يتحاشى الحـلول النفسانية والعقلية فيلجأ الى حـل اجتماعى ، متعللين بالسعادة العـامة والتوافق العام بين أعضاء المجتمـع الواحد . فأنصار مذهب المنفعة العـامة مثلا يجعلون المعيار للفعل الخلقى الصالح أن يعمل على رفع مستوى الخير العام ؛ ومعيار الفعل الخلقى الفاسد أن يهبط



افريقيا تنظر الى الانسان على انه كائن روحي

بمستوى الصالح العالم . ويرون من الهذر ان يسأل انسان « ولماذا ينبغي ان انشد الصالح العام في افعالي ؟ »

والسبب في حاجة المجتمع الى وسائل « ناعمة » خفية للترابط الاجتماعي ان جانبا كبيرا من الحياة يقع خارج نطاق التدخل المركزي للقوانين . لتنظيم هذا الجانب الكبير من الحياة لا بد من وسائل غير تشريعية ، ويختلف الاعتماد على هذه الوسائل الخفية غير المباشرة باختلاف انظمة المجتمعات

وهذا النوع من الوسائل ينبغي بالنسبة



لافريقيا ان يجمل في مثيره حالتنا الراهنة بعد استعادة استقلالنا السياسي ». ومن هذه الجهة يجب تمييز ثلاثة خطوط رئيسية في المجتمع الافريقي شريحة تتمسك بالاسلوب التقليدي للحياة الافريقية القديمة ، وشريحة اخرى تتمسك بالتقاليد الاسلامية التي نشأت لدى الافريقيين المسلمين ، وشريحة ثالثة واخيرة يتمثل فيها ما ترسب من التقاليد المسيحية المنقولة من غرب اوربا الى افريقيا من طريق الاستعمار القديم والحديث . وهذه الشرائح الثلاث تتمثل فيها أيديولوجيات متنافسة ، ولكن المجتمع يتطلب نوعا من الوحدة الديناميكية ، ولذا لا بد من ظهور ايديولوجية تسد احتياجات الجميع ، وتحل محل الايديولوجيات المتنافسة وبذلك تتم الوحدة الديناميكية في المجتمع وتصبح هذه الايديولوجية الجديدة بمثابة المرشد نحو تقدم اجتماعي متصل

***

ان الوجه التقليدي لافريقيا ينظر الى الانسان نظرة لا يمكن أن توصف من ناحيتها الاجتماعية الا بأنها نظرة اشتراكية . فالانسان منظور اليه في افريقيا على انه كائن روحي قبل كل شيء ، يتمتع بهيبة باطنة معينة ، ومقام وقيمة متكاملة . وهذه النظرة تقابل تماما نظرية الخطيئة الاولى في المسيحية التي تحقر الانسان

وهذه « القيمة الاصيلة » للانسان تلقي على عاتقنا واجبات اجتماعية ، ومن هنا تنشأ النظرية الاساسية للاسلوب الاشتراكي الافريقي القائم على المشاركة العامة في كل شيء . ولذا كانت العشيرة الافريقية نظاما يؤكد المساواة بين كل افرادها ومسئولية الجميع عن الفرد . وبذلك الوضع الاجتماعي كان من المستحيل قيام طبقات اجتماعية متصارعة بالمعنى الماركسي ، أى طبقات بعضها فوق بعض ، ويسحق بعضها بعضا عن طريق الاستغلال . وهو نظام لم تعرفه المجتمعات الافريقية التقليدية فلا مصالح طبقية او طائفية ، ولا سلطة تشريعية أو تنفيذية تساند مصالح مجموعة معينة من الناس . بل مصالح الشعب كله هو الاساس الوحيد . بيد أن الاستعمار جاء فغير هذا الوضع كله حين أقام الجهاز الاداري مستعينا بتنظيم اداري من الافريقيين انفسهم لقنهم شيئا من التعليم الاوربي فتشربوا بالمثل العليا الاوربية واعتقدوا انها تصلح للمجتمعات الافريقية . وبحكم اتصالهم بالمستعمرين ذوي السلطان صارت لهم عند مواطنيهم هيبة خاصة لا يستحقونها لو أن الامور كانت تجري على حسب المطالب الطبيعية لمجتمع بلادهم ونموه المتجانس

وبالاضافة الى هؤلاء ظهرت جماعات من التجار والمحامين والاطباء والسياسيين والنقابيين المتسلحين بمهارات ونفوذ مستمد من ارضائهم للمستعمرين فتكونت منهم طبقة موازية للطبقة الوسطى الاوربية **اما بالتعليم الاوربي مباشرة واما** عقلية الطاغية تشربت المثل العليا الاوربية اما بالتعليم الاوربي مباشر واما بمصادقة الادارة الاستعمارية المحلية ، فالقوا في روع المستعمرين انه في وسعهم الركون اليهم باعتبارهم مستودعا محليا لسائر الفضائل المحافظة التي لا بد منها للادارة الاستغلالية وبذلك صاروا أعضاء في طبقة مرتبطة بالسلطة ومتمتعين بالقوة الاجتماعية نظير ولائهم للمستعمر

لقد لقنونا جميعا منذ طفولتنا مثلا عليا خاصة بالدولة المستعمرة ولا يمكن ان تصلح لتقدم مجتمعنا الافريقي ، فثمة تلك الانماط من النشاط الاقتصادي الاوربي ، والاهتمام براحة الضمير الفردي كما تتطلبها الديانة المسيحية ، وأنواع لا تحصى من التأثيرات التي تركت آثارا لا تمحى في المجتمع الافريقي . ولكن الاستبداد الاقتصادي والسياسي لا يمكن ان يتفقا مع روح المساواة الافريقية التقليدية التي تسوي في القيمة بين جميع الافراد . وهرقل الافريقي يرفع اليوم هراوته ليدق رأس الاستعمار ان حاول رفعها ، فبعد الحصول على الاستقلال الحقيقي كان لا بد من فرض التوافق الاجتماعي وهو توافق يسمح باندماج الايديولوجيات الافريقية التقليدية والاسلامية الافريقية والمسيحية الاوربية المترسبة في افريقيا بحيث يتكون منها مفهوم جديد يبرز الاساس الافريقي



سنوات الكفاح

للمجتمع ، ذلك المجتمع الذي الــــع الله الايديولوجي بالتأثير الاســـلامي والمسيحي . والايديولوجية الجـــديدة المطلوبة يمـــكن أن تتمخض من مذهب فلسفي متماسك يؤكد المبادىء الانسانية الافريقية الاصيلة

وهذا المذهب الفلسفي يجب أن يولد من أزمة الضمير الافريقي في مواجهة قوى المجتمع الافريقي الثلاث . ولذا اقترح لهذا المذهب اسم « الوعي الفلسفي » لانه سيكون الاساس النظري لايديولوجية غايتها الجمع بين التجارب الافريقيه مع الاسلام ومع المـــسيحية الاوروبيـــة ومع التقاليد الاجتماعية الافريقية القديمة ؛ وبالتطعيم والتلاقح فيما بينها تمهد لنمو المجتمع وتقدمه بطريقة متجانسة سوية

***

ان غاية كل مجتمع التأثير في الطبيعة والســـيطرة عليها بحيث يتقدم المجتمع ويحقق ذاته على خير وجـــه ممكن .

وبتغيير البيئة على هذا النحو يتم تغيير المجتمع وهكذا دواليك ، لان الصـــلة متبادلة بين المجتمع وبين التغـــيرات التي تطرأ على البيئة الطبيعية عن طريق عمل الانسان سواء كان فردا أو جماعة . وقد عبرت نظريات اجتماعية ســـياسية كثيرة عن هذا النوع من العلاقة المتبادلة فالرق والاقطاع لهما نظـــريات اجتماعية سيـــاسية لا تثير مشكلة على الاطلاق فالعمال في هذين النظامين يقومون بتغيير البيئة الطبيعية لمصلحة المجتمع ولـــكن لا مشاركة لهم اطلاقا في الحكم ، لان تقسيم العمل يحـــرمهم من ثمـــرات جهودهم . فهناك طبقة تزرع ولا تحصد ، وطبقة أخرى تحصد ما لم تزرع . وهذا هو العنصر الاســاسي في كل نظام استغلالي . فالطبقة التي تعمل وتحسن المجتمـــع ليست هي الطبقة التي تستفيد من هذا التحسين من غير أن تعمل شيئا

***

وفي كل مجتمع لا اشتراكي نجـــد طبقتين احداهما ظالمة والاخرى مظلومة .. والعلاقة بينهما هي بعينها العـــلاقة بين الســـادة والعبيـــد ، ففي الدول الراســـمالية نجد هذه العلاقة بعينهـــا ولكن في قالب الطف منظرا ، ولـــكن الحقيقة الباطنة هي بعينها . فأصحاب الاعمال هم الســـادة المستغلون والعمـــال هم العبيد المحرومون من ثمرات جهدهم ولا مشاركة لهم في سلطة أو منفعة . فتحسين المستوى الناجم من تحسن الانتاج في النظام الراســـمالي لا يشمل المجتمع كله ، بل يشمل فقط الطبقة المـــالكة لرأس المال . وهذا تناقض واضـــح مع مبدأ العدالة الاجتماعية والتقــــدم الاقتصادي غير المحدود

ان الراســـمالية صورة منقحـــة من الاقطاع ، كما كان الاقطاع صورة منقحة من الرق . والصورة المنقحة هنا معناها الاصلاح . فالاصلاح هو استمرار الوضع الاســـاسي أو المبدأ القائم مع تغيير في المظهر بل في التعبير عن الفكرة القـــديمة . وعن طريق الراســـمالية حدث « اصلاح » في نظام الاقطـــاع بحيث بقي المبـــدأ الاساسي الذي يقوم عليه الاقطاع وتغيرت وسائله . فعلى عهد الرق كان الاستغلال يحتاج الى طريقة معينة من الاســـتعباد للعاملين . وعلى عهد الاقطاع رؤى أن يكون هذا الاستعباد أخف وطأة مع بقاء



جوهره كما هو ، ثم على عهد الرأسمالية خفت وطأة الاستعباد مرة أخرى من حيث الشكل مع بقاء علاقة الاستغلال كما هي — وبذلك تخف دواعي التمرد النقابية لدى العاملين ، ويجد الاستغلال ثقة جديدة أكثر امنا وضمانا لمصالحه الى ان يكتشف الشعب ذلك التضاد أو التناقض بين الاصلاح والثورة

وعلى هذا المنوال نفسه تستمر الرأسمالية في سياسة الاصلاح الهزيلة المخبر البراقة المظهر ، كي يستمر اجبار الطبقة الكبرى من المجتمع على الكدح خاضعة لطبقة أخرى من نفس المجتمع تعيش على عرق الاغلبية الكادحة . فالرأسمالية انما هي أسلوب «الجنتلمان» في الرق : انه العبودية بعينها في قفاز من الحرير

***

ومن أساليب خداع الرأسمالية الشائعة في الوقت الحاضر ان تقلد الاشتراكية تقليدا يعود عليها — أي على الرأسمالية — بالفائدة . انها كما يقولون تجري مع الارنب وتصيد مع الكلاب . وليس ذلك للتسلية ، وانما هي خطة استراتيجية أصيلة . ففي الاشتراكية تحاول رفع مستوى الانتاج لغرض واحد هو رفع مستوى معيشة الشعب الذي يرجع اليه الفضل في الانتاج ، وبذلك يرتفع مستوى وعيه للحياة عموما . والرأسمالية تعمل على رفع مستوى الانتاج ايضا ، وزيادة الانتاج في ظل الرأسمالية تؤدي فعلا الى رفع مستوى المعيشة ولكن مع بقاء النسبة بين مستويات الطبقات أي بين المستغلين والقائمين بالاستغلال — ثابتة . فالزيادة هنا زيادة في الكمية لاتترتب عليها زيادة في العدالة أو اقتراب من التناسب السليم . وبذلك تبدو الرأسمالية وكأنها تقوم بالاصلاح وهي في الحقيقة تتجنب الاصلاح .

ولئن كانت الرأسمالية تطورا منقحا للرق والاقطاع ، فالاشتراكية قطعا ليست تطورا منقحا للرأسمالية . فلو كان الامر كذلك لكانت الاشتراكية قائمة على المبدأ الاساسي الذي تقوم عليه الرأسمالية وهو الاستغلال . ولكن الاشتراكية لاصلة لها بهذا المبدأ ، وبالتالي لايمكن أن تكون تطورا للرأسمالية بل انها نقيض ذلك المبدأ بالذات الذي يربط بين الرأسمالية والاقطاع والرق

فان شئنا البحث عن الجد الاعلى للاشتراكية لوجدناه في حياة المشاركة التي لحياها العشائر القديمة . فالاشتراكية من حياة المشاركة الغابرة بمثابة الرأسمالية من الرق ففي الاشتراكية يبدو مبدأ حياة المشاركة الغابرة في زي عصري يناسب الظروف العصرية . ففي نظام المشاركة القديم لم يكن للاساليب الفنية في الانتاج وجود ، لذلك تركت للناس حرية التصرف على أساس مبدأ « دعه يعمل » . اما وقد ظهرت الأساليب الفنية المعقدة في الانتاج فلابد من علاقات مركزية متبادلة بين أعضاء المجتمع القائمين بالانتاج والا تعرض المجتمع لقيام تصدعات طبقية تترتب عليها أنواع من التفاوت الاقتصادي يثمر مظالم سياسية واضحة . فالاشتراكية بتنظيماتها انما هي حماية لمبادىء المشاركة القديمة في قالب عصري واطار عصري ، لانها شكل من التنظيم الاجتماعي يسترشد بالمبادىء القائمة عليها الشيوعية في اعتناق أساليب واجراءات تحتمها الاحصائيات والتطورات الفنية

ومن شأن هذه الاعتبارات ان تلقي ضوءا كبيرا على مفهوم الثورة والاصلاح وعلاقتهما بالاشتراكية ، فالانتقال من نظام الرق الغابر عن طريق الاقطاع والرأسمالية الى الاشتراكية لا يمكن أن

يتم الا بطريق الثورة . ومن المحال أن يتم بطريق الاصلاح ، لأن الاصلاح يبقي على المبدأ الاساسي كما هو ولا يغير الا المظهر الخارجي لذلك المبدأ . واذا استخدمنا تعبير كارل ماركس لقلنا انه يترك أعمدة البناء القديم لم تمس . فالاصلاح انما هو خطة « تكتيك » للدفاع من النفس ضد الثورة

***

فالثورة هي الطريق المستقيمة التي لامفر منها للوصول الى الاشتراكية متى كانت النظم الاجتماعية السياسية القائمة مرتكزة على مبادىء تناقض الاشتراكية ، كالنظام الراسمالي أو الاستعماري « والاستعمار خادم الراسمالية » . والواقع انى افرق بين نوعين من الاستعمار استعمار خارجي هو المعروف باسم الاستعمار ، واستعمار داخلي هو الراسمالية الوطنية .. فكلاهما استغلال للعاملين في الانتاج

ولكن الانتقال من حياة المشاركة الغابرة لدى أجدادنا الى الاشتراكية يتم بطريق الاصلاح ، لان مبدأهما الاساسي واحد . اما اذا كان الاستعمار فاصلا بينهما فلابد في هذه الحالة من الطريق الثورية ، لان الثورة هي سبيل الحصول على الاستقلال من الاستعمار . وعندئذ لابد لاقامة الاشتراكية نظاما اجتماعيا من اللجوء للثورية المسترشدة بالمبادىء التي تقوم عليها الشيوعية

وكنت في سيرتي الذاتية قد ذكرت أن الراسمالية نظام معقد جدا بالنسبة للامم الحديثة الاستقلال ، واريد أن اضيف هنا أن الراسمالية تناقض أهداف المجتمعات الافريقية الاصيلة وتعتبر خيانة لشخصية افريقيا ووعيها لذاتها .

وليس أمام المجتمعات الا احدى خطتين اجتماعيتين سياسيتين : فاما أن يقوم جانب واحد من المجتمع بالانتاج ليسمن على خيراته الجانب الآخر ، واما أن تقوم جميع جوانب المجتمع بالانتاج وتحظى باشباع حاجاتها وتحقيق ذاتها جميعا من طريقه

***

وعلى هذا المنوال تكون ثمة فلسفتان متناقضتان : اما المثالية واما المادية . والمثالية مرتبطة بنظام التدرج الطبقي في المجتمع ، باعتبار ان هناك طبقة تمثل الروح أو الذهن أرقى من الطبقة التي تمثل الجسد ، والثانية يجب أن تخضع للاولى وتخدمها .

أما المادية فمرتبطة بالتنظيم الانساني وهي نظرية موحدة لاثنائية فيها ، لانها ترد الطبيعة وكل مايحدث فيها الى المادة وقوانينها ، وبذلك توحي بتنظيم اجتماعي أساسه المساواة . فوحدة الطبيعة وتجانسها وتماسكها أساس لوحدة البشر وتجانسهم وتماسكهم في المجتمع ، ولذا تجد المثالية قيام حكم القلة وتجد المادية قيام المساواة

ولدى الافراد ميول مثالية ومادية كما وكذلك توجد « عروق » مادية وأخرى مثالية في المجتمعات ، ولكن هذه العروق ليست متوازنة الثقل ، بل يسود هذا الاتجاه تارة ، ويسود الاتجاه الاخر تارة أخرى

وهذا التضاد بين حكم القلة والمساواة ، أو بين المثالية والمادية في المجتمع الواحد ، هو بعينه التضاد بين قوى المحافظة على القديم وقوى التقدم على الصعيد الاجتماعي . وفي الصراع بين الراسمالية والاشتراكية قد تنتصر الراسمالية مؤقتا ، ولكن ليس معنى هذا أن التقدم يتوقف ، بل معناه أنه يعاني العراقيل والمعوقات فقط ، ولكنه يستمر ببطء ولذلك قد نجد عمال اليوم في ظل الراسمالية يتمتعون احيانا بظروف افضل مما كان يتمتع بها سادة الاقطاع أنفسهم في الماضي . ولكن ليس معنى هذا أن الراسمالية تطهرت من أكواخها الحقيرة ومن المجاعات التي تقتل العمال في العراء ، ومن الاوبئة التي تصيب



هؤلاء الكادحين المحرومين العراة

ان المسألة ليست مسألة وجودمظاهر للتقدم في ظل الرأسمالية ، بل هي مسألة عدم كفاية هذا التقدم ، لانه ليس الغاية من النظام القائم ، بل الغاية هي جني الربح لصاحب رأس المال

ان السعادة بالمفهوم الاجتماعي معناها شعور الفرد في اطار النظام الاقتصادي والسياسي والثقافي بأنه في موقف يسمح له بتحقيق مايصبــــو اليه بغير عائق غاشم . ولما كانت الرأسمالية تحكم القلة في الكثرة العاملة واستغلالها ، فالسعادة في ظلال الرأسمالية غير متاحة الا للقلة المسيطرة . وبمرور الوقت تضيق حدود الاستطاعة بالنسبة لمزيد من الجماهير، ويزداد المسيطرون قلة ويزداد المغلوبون على أمرهم عددا .. وبذلك تــــكون الرأسمالية نظاما معناه حرمان الشعب من تحقيق اماله التي يصبو اليهـــا ، بحيث لاتتاح هذه الفرصة في السعادة الا للقليلين ...

***

ان شر مافي الرأسمالية انها تحرم من ثمرة العمل أولئك الذين انتجوها بتعب أجسادهم وعرق جباههم . وهذا مايجعل الرأسمالية غير قابلة للالتقاء مع أسس المجتمع الافريقي التقليدي ، لانها نظام جائر وغريب عنا

أما في ظل الاشتراكية فدراسة الطبيعة والسيطرة عليها ذات بواعث انسانية وليس الغرض منها جني الارباح اعتباطا، بل زيادة امكانيات اشباع حاجة العدد الاكبر من المجتمع ماديا وروحيا . والتقدم بالمعنى الذي يخدم اغراض المجتمع في مجموعه لا القلة الحاكمة منه فحسب لايتم الا بالاشتراكية

وعلى الصعيد الفلسفي تكون المادية لا المثالية هي الاساس المتين لاستعادة افريقيـــا لمبادئه المساواة الانسانية التي كانت سائدة فيها قبل الاستعمار، لان المثالية تؤدي الى حــــكم القلة ، ومضمونها الاجتماعي بغيض الى المجتمع الافريقي . أما المادية بفهمها الطبيعي الوحد للوجود فتقضي على الاهــــواء التحكمية وعلى المظالم والتفريق في الحظوظ والاوضاع

***

وخلاصة القول أن استرداد افريقيا لمبادئها في المساواة والنظرة الانسانية للانسان يقتضي قيام الاشتراكية. والمادية هي التي تضمن السيطرة الفعالة على الطبيعة ، كي تحظى الاشتراكية من هذه السيطرة على أعظم تقدم ممكن للمجتمع

أثقلهم وزنا

نشرت صحيفة انجليزية كبرى المسابقة التالية :

« لنفرض أن بالونا يحمل ثلاثة من أشهر رجال العالم النافعين للبشرية : برتراند راسل العالم الرياضي والفيلسوف ، والكسندر فلمنج مخترع البنسلين و ت . س . اليوت الشاعر الناقد . وتعرض البالون لعاصفة بحيث يجب القاء أحد الركاب الثلاثة من البالون . فبأيهم تضحي ؟ »

وتلقت الصحيفة اجابات لا حصر لها وفي كل منها يوازن القراء بين قيمة الشخصيات الثلاثة ونفعهم للبشرية

ولكن الذي فاز بالجائزة غلام في الثانية عشرة كانت اجابته :

« يجب القاء أثقل الثلاثة وزنا ! »

ضحكات العالم في شهر!



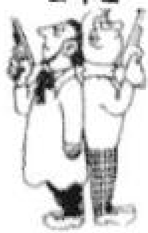
يقدمها : عزت



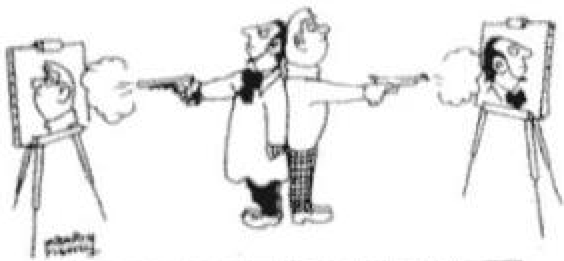
صورة تذكارية

« موريس هنرى »

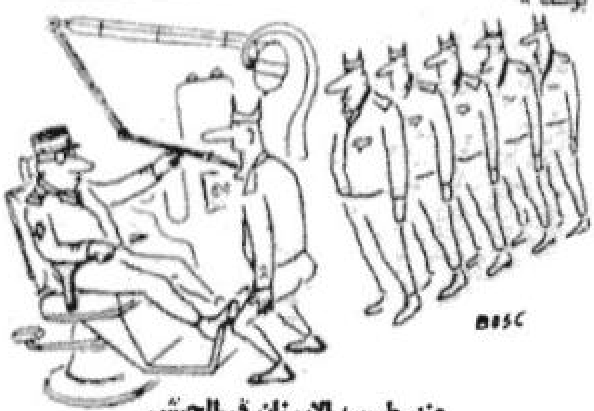
— ١ —



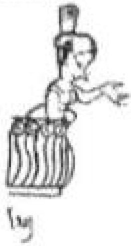
— ٢ —



« بوسك »



عند طبيب الاسنان فى الجيش





« موریس هنری »

بدون تعلیق





« ترز »





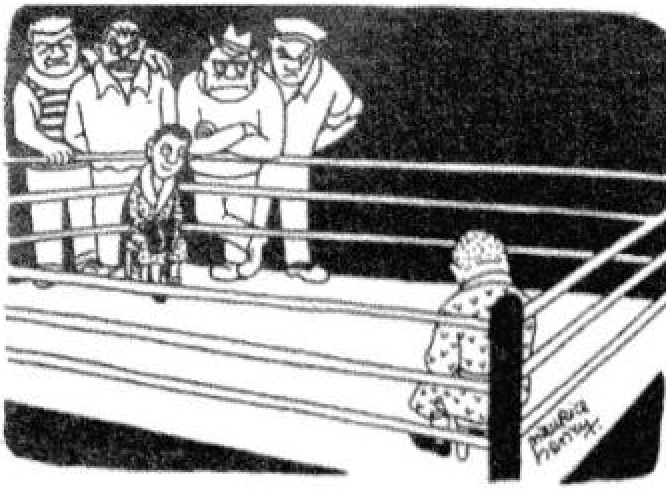
«الفنان»

« م.هنري »

« بوسك »



« الدنيا ..



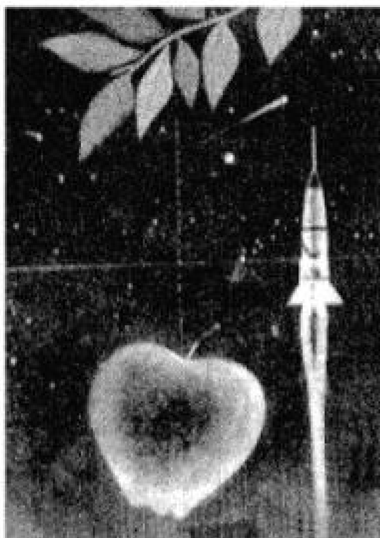
«حماية» «م. هنري»



«.. والآخرة»

د. عبد المحسن صالح :

هذا السر العظيم



الحياة

هل معنى ان أسرار الحياة بدأت تتكشف اننا نستطيع ان نخلق الحيـــاة ؟ واذا خلقناها اين نبدأ ؟
أنبدأ بالخلايا الجنسيـــة الحية التي لم نتدخل نحن في خلقها في المعامل ، لتتطور داخـــل الانابيب ، بدلا من تطورها داخل الأرحام ؟
ام نبدأ بخلق الخليـــــة الجنسية نفسها من عناصر وأملاح نحويها زجاجات على رفوف معاملنا ، ثم نوجـه ما خلقناه لكى ينقسم ويتطور ويتكاثر
وهل المقصـــــود ببحوث العلماء الآن الوصـــول الى هـــذا الهـدف ، ام أنهـم يهدفون الى امور أخـــرى ؟ ولكل من هذه الاسئـــلة جواب ، بنى على اســـاس

أن مسألة خلق جنين في المعمل — بالاســـتعانة بخـــلايا جنســـية حيـــة — بدلا من تخليقه في الارحام مسألة تهون صعابها بجوار خلق خلية جنسية او ميكروب أو بعوضة من ذرات وجزئيات . لسبب بسيط .. ذلك اننا بدأنا أساسا بخلية حية ، فيها سر الحياة الاصيل الذى يوقد جذوتها من البداية ، فتنقسم وتتكاثر وتتطور ، وكل ما نريده هذه الخلية منا لكى تتشكل خارج الرحم ، أن نمنحها بشكل الظروف المحيطة بها داخل الرحم ..

ولقد نجحت هذه التجارب بعض الشيء ، بعد محاولات كثيرة .. وكل ما استطيع قوله انه لا اعجاز في ذلك ، وان كانت تعترضه كثير من الصعاب

أما الاعجاز حقا فى خلق الخلية نفسها ، لتدب فيها الحياة

ولهذا يجب أن نبدأ من البداية ، لنرى كيف ستكون النهاية

التحليل العادى ..

وكان لابد للبداية من تمهيد كان التفكير فى مسألة الخلق ، ان كل كائن حى على الارض تشكل من طين ، وصار على هيئته الحالية ، ثم تمضى تعريج الاقدام والقفز ، ليأكل ويشرب ويفكـــر .. او لا يفكر !

واكتشف المجهر العادى وتطور ، ومعه تطورت فكرتنا عن المخلوقات ، فوجدناها كلها تتكون من وحدات أساســـية : هى الخلية الحية فابنى الكائن كما لبنى قوالب الطوب او الحجارة البيت » لا فرق فى هذا بين انسان وميكروب ، الا أن الانسان عبارة عن مجمع خلوى ، يحتوى على بلايين فوق بلايين من الخلايا ، ولئن كانت أشكالها ووظائفها مختلفة ، الا أن اساسها واحد ، هو الخلية الحية ، فقد بدأنا جميعا من خلية جنسية ، لا يختلف فى هذا الانسان عن الحمار عن الشجرة عن الحشرة .. الخ

ودرست الخلية .. كل خلية ، فتبين أن لها عاصمة تتوسطها .. هى النواة ، يفصلها عما حولها جداران حيان رقيقان غاية الرقة ، ويدور حولها جزء من مادة الحياة « السيتوبلازم » ، الذى لا يستطيع أن يقوم بمهمته فى غياب النواة ، فهى ادارته التى تشرف عليه وترعاه

وفى النواة ، تراكيب أخرى ، كالعلق الدقيق جدا ، او قل انها الشرائـــط أو

الخيوط الصغيرة ، سميناها الكروموسومات .. ولكل كائن منها عدد محدود ، غير قابل لزيادة أو نقصان ، مهما تعاقبت الاجيال

وعلى الكروموسومات توجد عقد كثيرة .. يمتلك الميكروب منها حوالى ألفاً وللانسان ما يزيد على المليون ، وبين ذلك تختلف المخلوقات .. وكل عقدة منها تورثنا صفة من الصفات ، ولهذا أطلقنا عليه اسم « الجينات » أو المورثات

والمورثات أو الجينات تحوى فى داخلها بنايات كيميائية معقدة التركيب ، اسمها الاحماض النووية .. نسبة الى النواة

والاحماض النووية تراكيب من وحدات أصغر ، والوحدات الاصغر من جزيئات أصغر وأصغر ، حتى تصل فى نهاية المطاف الى الذرات .. وحتى لهذه بناء فريد ..!

الا ترى معى أنه بناء من داخل بناء من داخل بناء ... وهكذا ؟

وتجولت عيون المجهر فى رحاب الخلية حول النواة ، وكشفت لنا عن آلات كيميائية معقدة ، تراها على هيئات مختلفة : قنوات وأشكال بيضاوية وأقراص من كل شكل ، ولكنه عجز عن اظهار تراكيبها الدقيق ، كما عجز من قبل عن اظهاره فى الكروموسومات .. فى النواة

***

وسار التحليل الكيميائى جنبا الى جنب مع المجهر .. الاول يحلل ويفصل ويصنف المركبات الكيميائية ، والثانى يرى ويحدد المواقع الاستراتيجية فى الخلية !

وتطور العلم .. وظهر الميكروسكوب الاليكترونى بتكبيراته الفائقة ، فأزاح الغموض الذى تخبط فيه العلماء مع مجهرهم العادى وأظهر لنا أن الابنية الدقيقة التى اكتشفها المجهر العادى ، ما هى الا تراكيب من داخل تراكيب وهكذا

لكن الميكروسكوب الالكترونى توقف ايضا عن اظهار مزيد من الاسرار ، فهو لا يستطيع أن يسبر غور الجزيئات الكيميائية ويظهر لنا حقيقة بنائها فى

الجزيئات الضخمة التى تسير على أسسها الحياة

والفت فى ذلك عشرات فوق عشرات من المجلدات الضخمة ..

وبدأ النصف الثانى من القرن العشرين ، وتتابعت سنواته ، وتحسنت امكانياته العلمية ، فتكشفت لنا حقائق مذهلة ، بعضها أكبر من العقل البشرى الذى أطلق الصواريخ ، وجاب الفضاء

ظهر لنا أن علم الحياة أو الخلية ، كان – منذ قرنين ونصف قرن من الزمان – بمثابة طفل يحبو على رمال شاطىء بحر هائلة من المعرفة ، وتلقف البحر الطفل ، ليغرقه فى عالم ضخم من أسرار الحياة الجزيئية ... لا الخلوية !

***

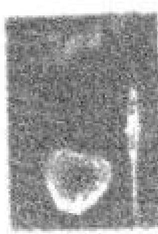
لقد تناولت البحوث منذ سنوات قليلة الخلية الحية من أساسها ، وأعنى بالاساس جزيئاتها الكيميائية .. تناولتها من حيث طبيعة عملها وتصميمها الذى على أسسه تجرى الحياة

وتكشفت الخيوط الاولى من السر العظيم ، وكأنها خيوط الفجر التى لاحت بعد ليل سرمدى عاش فيه العلماء السابقون

ان الحياة على الارض بكل مظهرها وجمالها ووحشيتها ، يحكمها جزء واحد اسمه د ن أ ، يساعده فى ذلك رسول كيميائى اسمه ر ن أ ، الاول يخلقه ويبعثه خارج نواته ، لكى يحمل الرسالات والشفرات الكيميائية ، الى ميدان الخلية ، فينظم أمورها ، ويخلق جزيئاتها ، ويشرف على آليتها .. فتكون آلته ، وتكون الحياة

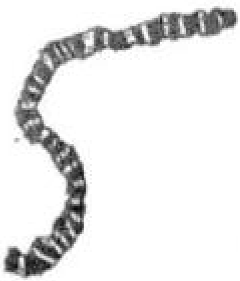
محاولات .. فشلت

والغريب أن العالم السويسرى فردريك ميشر عزل جزيئات د.ن.أ بحالة بللورية نقية فى عام ١٨٦٩ .. أى منذ حوالى مائة عام ، ولم يكن يعرف ان عزله كان يحمل كل تفاصيل الحياة مقدرة على تلك البللورات ، ولكن الامكانيات العلمية فى ذلك الزمان جعلته يضع بللوراته فى زجاجة على رف فى معمله ، ومات وتركها





الكروموزات ، تتجمع
لكي تبدأ في الانقسام
وتتوزع في التساوي



كروموسوم صغير آلاف
المرات ، وعليه عقد ..
هي المورثات .

وجاء من بعده علماء كثيرون ، لم يحاولوا الكشف عن سر هذه الجزيئات .. صحيح انهم عرفوا تركيبها الكيميائي .. ولكنهم لم يعرفوا تراكيب جزيئاتها ونظامها ، ولا الشفرات الكيميائية التي تستخدمها ، فتقرر على ضوئها ان كان هذا سيخرج أسفاء وذاك انسانا وغيره بعوضة وهكذا

وعلى هذه الشفرة تتركز معظم البحوث الآن .. ولكنها ليست شفرة واحدة .. بل بلايين الشفرات

واصبح د.ن.ا ، ر.ن.آ. لغزين في الخلية امام علماء الحياة

وهل اكتشفنا أسرار شفرات الجزيء

ليس بعد .. فالطريق صعب طويل ، يحتاج الى عشرات ومئات السنين ، ولا عجب لهذا ، فتقول ، أجزيء واحد يضيع فيه العلماء اعمارهم دون اكتشاف كل أسراره؟

نعم ..فالجزيء هو الحياة ، ولو اكتشفنا أسرار الحياة كلها ، لخلقنا حياة بأيدينا

ليس غريبا بعد هذا ان تسمع أن جوائز نوبل تمنح وستمنح لعلماء توصلوا وسيتوصلون الى فك بعض اسرار الحياة

وليس غريبا أن تتفق كل دول اوربا على أن تشترك في انشاء معمل ضخم في سويسرا هذا العام ، يضم المئات من صفوة علمائها الممتازين، وامدادهم بكل الامكانيات، لا لتخليق جنين ، أو خلق حياة ، بل للكشف عن لغز د.ن.ا. ، ر.ن.ا وغيرهما من جزيئات حيوية ، فان هذا سيقود الى نتائج باهرة

وليس غريبا أن تتسابق امريكا في اغراء العلماء الاجانب الذين يعرفون شيئا من دلالة د.ن.ا. ، ر.ن.ا. للبحث في معاملها وجامعاتها .. ثم تسارع روسيا بانشاء اضخم معمل لها لكي تتسابق مع غيرها ، لا في مجال الصواريخ والقنابل فحسب ، بل في اكتشاف حقيقة تلك الالغاز

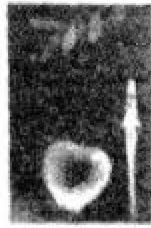
لهذا ولد لنا مولود جديد ، اسمه « علم جزيئات الحياة » أو Moleculay Biology .. وترك وراءه علم الخلية Cellulary يتحرك كالشيخ العجوز !

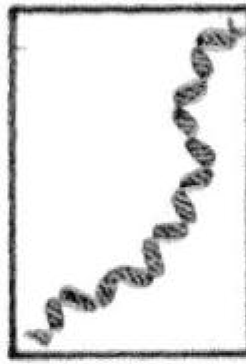
حقيقة د. ن. ا ، ر. ن. ا. !

ولنتساءل الآن : ما هي حقيقة هذا الجزيء ؟

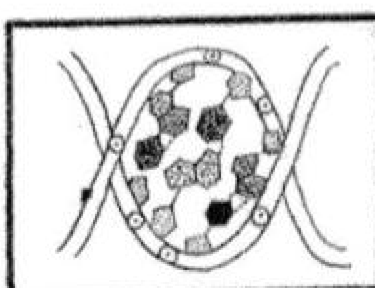
د.ن.ا .. اختصار لاسم جزيء كيماوي ضخم البناء اسمه « دى أوكسى ريبو نيوكليك » أسيد » اخذنا حرفا من كل مقطع من باب الاختصار ليس الا

والجزيء أروع وأضخم بناء ذرى حيوى عرفه العلماء والقول « حيوى » لان هناك جزيئات كيميائية تكاتفت وتجمعت بنفس الطريقة التي يتكاتف بها جزيء د.ن.ا ، لتخلق هي أيضا جزيئات عملاقة على هيئة





جزيء د.ن.أ. مكبر ملايين المرات . ان لغز الحياة يكمن . . . !



صورة حلزونية .. تظهر السلالم الكيميائية اكثر وضوحا ..

مطاط صناعي ولدائن ونيلون .. الخ .
ومع هذا فلم نر أن قميصا مصنوعا من علم المادة ، قد دبت فيه الحياة ، فترك حبل الغسيل ، ليغني ويرقص ويضرب على الاوتار !

هذه صورة،وتلك صورة،صورة تنعكس على هيئة حياة في هذا ، وجمود في ذاك وان كان كلاهما مصيره الفناء !

ومع ان جزيء د.ن.أ. بناء ضخم التركيب « الامور هنا نسبية ، فهو ضخم بالنسبة لغيره من جزيئات اخرى » .. الا أن الميكروسكوب الاليكتروني عجز عن كشف حقيقة بنائه

ومعنى هذا أن علم الحياة قد يتوقف بامكانياته الحالية ؛ ولكنه لن يتوقف،فقد دخل في المهمة مع علماء الحياة علماء آخرون لم تكن الخلية ميدانهم الذي كانوا فيه

فالحياة ــ كما يراها علماء الحياة ــ ما هي الا أجهزة جزيئية دقيقه ، تنتشر آلاتها الصغيرة في مواضع خاصــة في الخلية ، لتخلق آلات مثلها ، تجرى بها الحياة

والحياة ــ كما يراها علماء الطبيعة ــ ماهي الا بناء ذرى أو جزيئي ، تتراكب فيه الذرات بنظام خاص ، لتتخلق منهــا بنايات كيميائية هندسية رائعة ، تتطلب أجهزتهم ، وخبراتهم ، ليعرفوا سر البناء.

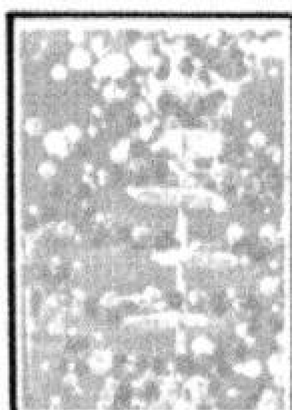
والحياة ــ كما يراها علماء الكيمياء ــ ما هي الا تفاعلات بين جزيئات كيميائيــة منتظمة ، تنطلق منها طاقة ، تجعل المخلوق يمشي ويكد ، ويأكل ويشرب ، ويكتب ويقرأ ، ويؤلف كتبا عن الحياة !

ويقف علماء الرياضة وراء هؤلاء بمعادلاتهم وأرقامهم وتقديراتهم ،ليبينوا لنا ان الحياة تسير بالحساب والمقدار

***

وكان أول الغيث قطر ، عندما تعاون عالم الحيــاة الامريكى **جيمس واطسون** مع عالم الطبيعة الانجليزى **فرانسيس كريك** في جامعة كامبردج ، في فك أول لغز من الغاز هذا الجزيء ، وفي هذا يقــول واطسون : « **لقد علمني كريك الطبيعة ، وعلمته البيولوجي « الحياة » ، والعمر التعاون** » .. ومما يذكر انهما حصلا على جائزة نوبل لبناء نموذج لجزيء د.ن.أ.على

أبياس ملبى (شكل ٦) وعلى هـداه نستطيع ان نفك كثيرا من اسرار الحياة
وهكذا جمع دنا العلماء المختلفين فى صعيد واحد ، وتحولوا جميعا الى علماء « جزيئات الحياة » ،لينهلوا من معينه الذى لاينضب
لقد وضحت امامناصورة الجزىءالذى شكل الحياة ،وظهر انهلايختلففى طريقة بنائه فى كل المخلوقات .. انهـو كسـلم حلزونى يلف ويدور حول نفسه ملايين الدورات ، ويحتضن بين جنبيه ملايين الدرجات (شكل ٤)
والدرجات هنـا ليست من خشب او حديد ،بل اساسها بنايات جزيئيةصغيرة ، نطلق عليها اسم القواعد الاربع (ادينين، ثيمين ، جوانين ، سيتوسين) وكل درجة منها تتركب من قاعدتين مختلفتين :الاولى دائما ترتبط بالثانية ، والثـالثة دائما بالرابعة ، لان هندسةالبناء الجزيئى لا تسمح بغير هذا (شكل ٥)
ويبنى جزىء د.ن.أ. هذهالقواعدالاربع وينظمها فى داخله ، وينعكس نظامها على هيئة مخلوقات متباينة .. ثم هو ـبعد هذا ـيخلق جزيئات د.ن.أ. وبشكلهاعلى



نموذج صممه العلماء لجـزىء من د.ن.أ. يمثل دورة واحدة من ملايين الدورات ..

هواء ، ويحملها رسالاته او شـفراته ، ليتوجه بها الى جميع انحاء الخلية ، ويبعث فيها الحياة
اذا .. فالصورة كما تبـدو بسيطة للغاية ..
الا أن احـد علماء الرياضة الذين اشتركوا فى هذه البحوث ، وضع لناهذه الصورة البسيطة فى صيغة اخرى فيقول ان عدد الاحتمالات التى يمكن ان تترتب بها القواعد الاربع فى جزء صـغير يحمل مائة عقدة نووية (كل عقدة تورثنا صفة .. وفى كل خلية من خلايانا حوالى مليون عقدة) .. فى هذا الجزء الصغير ، يمكن ان تترتب هذه القواعد باحتمالات تصل الى ٤ مضروبة فى نفسها مائة مـرة ، ولـو قمت أنت بالعملية الحسابية ، فسوف تصل الى عدد اكبر من عـدد الذرات التى تتكون منها المجموعة الشمسية بمليون مرة !
ويضعها اخر بطريقة ثانية فيقول :ان عدد الاحتمالات التى تترتب بها القواعد فى دنا فى خلية واحدة تصل الى اى رقم تختاره أنت ، وليكن ٢او ٣ او ٤..الخ.. ولكن لا بد ان تضع على يمينه الف صفر .. وهذا تقدير متواضع للصـورة التى يمكن أن تصل اليها احتمالات التنظيم !

***

وبالرغم من ان للعقل البشرى حدود ، الا انه لا يريد ان يعترف بالهزيمة أمام أسرار الحياة ، فعكف العلماء على دراسة هذه الاحتمالات ،وتوصلوا فعلا الى القليل، واستطاعوا أن يلتقطوا بعض الشفرات من الجزىء ، وفى انابيب الاختبار ـ فى غياب اى خلية حية ـ جاءت شفرة كيميائية صنعها العلماء مقلدين بذلك عملية من عمليات الحياة فخلقت الشفرة بروتينا ، وجاءت شفرة ثانية ،لتخلق بروتينااخر مختلفا ، وهكذا .. وهذه هى فى الحقيقة مهمة ر.ن.أ. الرسول، ولو أنهذا موضوع طويل يجلب الاهتمام ، الا انه لامجال له هنا .

مهمة صعبة .. !

ولكن الطريق طويل طويل لحل كثيرمن شفرات الحياة الكيميائية ، التى لوجمعت فى دائرة معارف ، لفاقت اضـخم عشرات

المرات من اى دائرة معارف ظهرت حتى الآن

وحتى لا تتخيل ان ذلك الجزىء الذى يحوى كل هذه التعليمات فى داخلهجزىء كبير الحجم والوزن ، كان لابد ان اسارع لاضعه لك بصورته الحقيقية ، لتعلم المهمة الصعبة التى يواجهها العلماء :

● جزيئات دنا التى تحمل كل الصفات الوراثية للانسان فى الخلية الملقحة فى رحم الام يبلغ وزنها ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ر٠ من الاوقية اى اننا لو تخيلنا ان الاوقية قد قسمت الى عشرة الاف مليون جزء لخص كل خلية جزئين فقط .. جاء جزء من الحيوان المنوى ، والجزء الاخر من البويضة

او دعنى ابسطها لك فى هذه الصورة : لو حولت هذه الكمية من دنا الى مداد فقد لاتكفى لكتابة كلمتين او ثلاث من كلماتنا ، ومع هذا ، انهى تستطيع ان تمنحنا عشرات المجلدات الضخمة ، على هيئة شفرات كيميائية

● لو اننا استطعنا أن نربط هذه الجزيئات المتناثرة فى خلية واحدة ، لبلغ طولها اكثر من المتر قليلا ، ومع ذلك فان هذا المتر يلف ويدور حول نفسه كالسلم الحلزونى ملايين الدورات .. وهذا يدلك على ضآلة سمكه الذى لا يزيد عن ٢٠٠٠٠٠٠ر٠ من السنتيمتر وحتى هذا السمك الضئيل جدا تتراص فيه بنايات كيميائية الواحدة بجوار الاخرى لتدلك على أن التركيب نفسه مختفى منظور حتى للميكروسكوب الالكترونى

● وعلى هذا الشريط او تلك الكمية الضئيلة جدا بين جزيئات دنا ، قدرت لك من البداية خريطة حياتك .. فعليها تكمن أولا آدميتك .. ثم حظك ومستقبلك فى الحياة ، فيعطيك لون العينين والبشرة والشعر ، تجعده او نعومته ، ثباته او تساقطه ، تقاطيع الوجه ، شكل الاظافر والاعضاء . البدانة او النحافة . الطول او القصر . الصحة او المرض . الذكاء او البله . الاعتدال او الشذوذ الى اخر هذه القائمة التى تراها الان فى نفسك .. كلها كانت مقدرة على شريط وزنه ٢ على الف مليون من الاوقية !

● الا ان الشريط يضاعف نفسه بعد الاخصاب .. فكلما انقسمت الخلية الى خليتين ، زاد وزنه وطوله مرتين ، حتى اذا بلغ الانسان نهاية مرحلة نموه ، اصبح طول هذا الشريط مجتمعا فى كل خلاياه ، حوالى ثمانية آلاف مليون ميل .. اى اكبر من المسافة بين الشمس والارض بحوالى ٨٠ مرة !!

ولهذا الجزىء بعد ذلك لغة وحروف يستخدمها ليكتب بها قواميسه الكيميائية ويبعثها على هيئة رسل حيوية ، لتشكل الحياة

وكما توصل علماء الاثار الى فك رموز حجر رشيد ، كذلك توصل علماء جزيئات الحياة الى معرفة الف باء الحياة !

ومن هذه الالف باء ، سيتلاعبون بالمخلوقات الحية ، فيحولون مخلوقا من صفة الى صفة لصالح البشرية ، وقد يتوصلون الى الف باء الذكاء والغباء او الى الف باء الامراض الوراثية والسرطان او قد يجعلون الانسان يعيش على الهواء ويستغنى عن اللحوم ، فتختفى مشكلة الطعام ..

قطاع من الخلية الحية صورها الميكروسكوب الالكترونى



كان كاتبا وشاعرا وطبيبا ومكافحا ومهرب أسلحة ومناضلا ثوريا . حصل على الجنسية الجزائرية ، وأصبح سفيرا للجزائر في غانا .. وأوصى بدفنه في أرض الجزائر فكيف نفذ جيش التحرير وصيته !



كامل زهيرى :

هجرة المثقفين



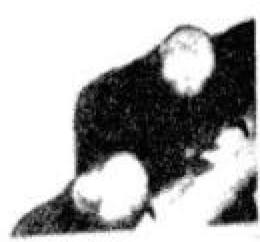
ذات ليلة ، كان البرد قارصــــا ، والجبل المرتفع يشبه المحيط العميق ، فى اتساعه ، وافقه الممتد ..

وكان سواد الليل يلسع ببرودة شديدة .

ولم تكن هذه الليلة مثل كل الليالى .

فقد كان كل شىء معدا .

الخطة .. واقتحام الخط المكهرب الـذى يفصل حدود تونس والجزائر . ولم تكـــن هذه المرة هى الاولى التى يقتحم فيها المجاهدون





فرانز فانون
طبيب نفساني
ومقاتل ومفكر .
الف اربعة
كتب ، ومات
فى الاربعين ..

هذا الخط. وكانت مواطن الضعف ـ المحتملة ـ قد عرفت تماما .

وكان اكثر المجاهدين يعرفون تماما ان اقتحام الخط المكهرب ـ على صعوبته ـ لم يكن سوى البداية

مجرد افتتاح لرحلة خطيرة طويلة .

فقد كان الخط المكهرب الذى اقامه جنرال فرنسى « عبقرى !» ، يمتد فوق كل شبر من الحدود ، ويبدأ من شاطىء البحر ، وينزل جنوبا حتى اعماق رمال الصحراء الجزائرية الممتدة فى صمت .

وكان الخط المكهرب يمر بمئات المواقع ومناطق الحراسة !

وكانت الاسلاك المكهربة الممتدة تشق قلب الصخور ، وتمتد عبر الجبال ، وتلف مع الطريق . بانتظام شديد .

وكان المجاهدون يعلمون أن هذا الخط ليس سوى الخط الاول الذى لابد من اقتحامه .

فوراء هذا الخط عدة عقبات كبيرة .

ان الخط الكهربائى نفسه مشكلة . انه يصعق من يقترب منه ، وهو مزود بالمصابيح الكشافة القوية التى تدور كعين الكلب البوليسى . وقد اخترع المهندسون طريقة عجيبة ، تجعل من يلمس الخط المكهرب يصعق على الفور ، ثم يؤدى مجرد اللمس الى انطلاق صواريخ مضيئة ، الى اعلا السماء ، حتى تلفت أنظار الدوريات التى تجوب المنطقة بانتظام ، وقد يتصادف ابتعادها عن نقطة الاقتحام .



ولم يكن الخط المكهرب هو الاول والاخير .

فكثيرا ما اقتحم المجاهدون بعض هذه المواقع في هجمات انتحارية باسلة ، وكانوا يعرفون تماما ان الخطة لا تنتهي عند هذا الحد .

كان عليهم – كما شرحهم القائد – ان يقتحموا هذا السور المكهرب . فاذا نجحوا ، عليهم أن يعبروا السلك المكهرب، ويصعدوا الى طريق وسط الجبال ، مرصوف بالاسفلت ، تمر فيه الدبابات والسيارات المصفحة في دوريات منتظمة .

فاذا استطاعوا أن يعبروا هذا الخط المكهرب ، وان يصلوا الى الطريق المرصوف ، فعليهم بعد ذلك ان يعبروا الطريق ، وان يقتحموا بعد ذلك خطا مكهربا اخر ..

وكانت المهمة بلا شك صعبة وخطيرة .. ومليئة بالمفاجآت .

ولكن الليل هبط .

ونزل معه البرد والسكينة ، واختلطت البرودة بالظلمة ، بالتحدي بالمجازفة ، ولم يكن هناك حل سوى الانطلاق الى الموقع ، المتفق عليه .

ولم يفكر واحد من هذه الفرقة الجزائرية انهم يحملون – هذه المرة – اغرب حمولة حملها جيش في حياته .

ان المرات الاخيرة التى اقتحم فيها الجيش هذا الخط المكهرب ، كانت لادخال المعدات ، او نقل الاخبار ، او اجراء تعديل في القيادة ، والاتصال بين داخل الجزائر والحدود .

لكن هذه المرة أغرب مرة اقتحم فيها جيش الجزائر حدود بلاده ..!

لقد كان يحمل جثة !

جثة رجل متوسط الطول ، لا يزيد وزنه على ٧٠ كيلوجراما، وقد لفها الجيش بعلم الجزائر ، الذى لم يكن قد ارتفع بعد على كثير من المواقع ..

كانت الجثة للمكافح الكاتب فرانز فانون الذى اوصى بان تدفن جثته داخل ارض الجزائر .

وكان جيش التحرير ، وثورة الجزائر قد صممت على تنفيذ وصية هذا الرجل مهما كان الثمن ، ومهما كانت المخاطر .

وقد نجحت مجموعة الجنود المجاهدين في تنفيذ وصية **فرانز فانون** ، واستطاعت أن تقتحم الحدود المكهربة ،وان تصل الى ارض الجزائر ، لتحتفل بدفن هذا المجاهد العظيم بين الدموع المنهمرة ، – في صمت وسرية – وتحت ليل الجبال البهيم !

ودفن فرانز فانون قبل استقلال الجزائر ، وفي قمة الثورة والمقاومة .

فمن هو هذا الرجل الذى اقتحم المجاهدون بجثته اكبر المخاطر ؟!

اعجب شيء ان فانون نفسه لم يكن جزائريا !

انه زنجى ، ولد في جزر المارتينيك ، التى تقع في البحر الكاريبى بالقرب من قناة بناما بين الامريكتين .

كان طبيبا ، تعلم فى فرنسا . واشتغل فى الجزائر منذ عام ١٩٥٢ . لم استقال . وتطوع فى جبهة التحرير الجزائرية . لم أخذ يناضل — كأحد ابناء الجزائر المخلصين — حتى اصبح سفيرا لحكومة الجزائر المؤقتة فى اكرا عاصمة غانا .

و« فرانز فانون » هو أعظم كاتب حلل ثورة المستعمرات ، وأخلص لثورة الجزائر حتى وصفه أحمد بن بيللا بأنه « لم يكن رفيقا لنا فى المعركة فحسب ، بل كان مرشدا وموجها ، لأنه ترك لنا من النتاجه الفكرى والسياسى ما هو لسعادة للثورة الجزائرية »

معذبو الارض

ولم يجتمع كاتب — حتى الآن — بين القدرة على التأمل الفكرى والعمل السياسى كما جمع فرانز فانون .

ان كتبه الاربعة التى الفها بالفرنسية تمتاز بهذا المزيج العجيب لرجل يجمع بين وجدان الثائر ، وعاطفية الشاعر ، وحدة نظر الطبيب النفسى !

ومن أعظم كتبه كتاب « معذبو الارض » الذى كتبه وهو فى المستشفى ، وهو يعلم انه يوشك ان يموت ، لانه اصيب بالسرطان فأخذ يغتنم الدقائق ليفصح من آرائه وافكاره .

انك تستطيع أن ترى شرارات الكلمات تتصادم .. بين حروف الكتاب !

وقد كتب جان بول سارتر مقدمة هذا الكتاب ، لأنه أعجب به ، فصادقه ، وكان يعتبره من اقوى المفكرين المعاصرين « بل أن افكاره لاتقل خطورة عن افكار انجلز فى القرن التاسع عشر »

ويرى سارتر ان عظمة فانون فى انه اكتشف حقيقة العالم الثالث ، أى المستعمرات .

وانه كشف عن طبيعة الثورات الوطنية ضد الاستعمار . وقد حلل فانون هذه الثورات تحليلا نفسانيا واجتماعيا واقتصاديا . وساعده على التحليل قوة الفراسة التى يمتاز بها الطبيب النفسانى ومنهج التحليل النفسى . ولكن التحليل لم يكن ليكتمل لولا أنه يكافح ليكتب ، ويكتب ليكافح

لقد ملأ فرانز فانون صفحات مجلة « المجاهد » لسان حال جبهة التحرير الجزائرية بمقالات نارية . فيها عاطفة الثورة ، وعاطفة العقل ، وشوق العبد للتحرر ، واشتياق الحر للارض المسلوبة .

ويتميز كتاب فانون « معذبو الارض » عدون غيره من الكتب التى كتبت عن ثورات المستعمرات ، بأنه سريع الطلقات ، متفجر الكلمات ، بارع اللفتات ، وحشى العبارة . انه يتهم أوربا ، ويعلن يأسه من أن تتوب الى رشدها

وهو يفضح تلك البورجوازية « الوطنية » التى لاتشارك عادة فى ثورة الشعب ، وتخاف او تخاف من استخدام العنف .

وكان فانون يؤمن بأن الثورات الوطنية التى تؤمن بالصدام المسلح مع الاستعمار هى الثورات التى تطهر أبناءها من عقدة الصلة ، أو المشاركة ، أو المرونة مع المستعمر .

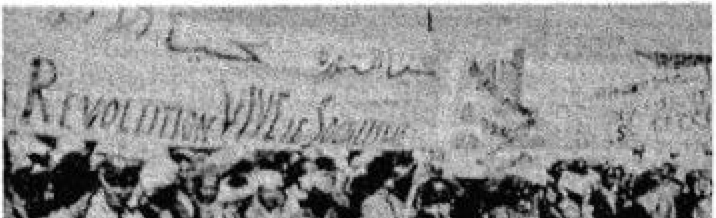
وهو يحلل رابطة الاستعمار تحليلا رائعا .

ان الذين يستعمرون يصبحون أشخاصا وملاكا وسادة

والشعوب المستعمرة تصبح أشياء وأشلاء وعبيدا مقهورين .

وكل شئ يصبح منقسما .

ولذلك يرى فانون ان الثورة ليست



عملا فاضحا . وليست عنفا جامحا وليست ـ كما يقول سارتر ـ زوبعة سخيفة ، توقظ غرائز وحشية . بل وليست ثمرة حقد أعمى .

« ان الانسان ـ في الثورة ـ يشكل نفسه تشكيلا جديدا »

انه حين ينفجر حنقه ، يسترد شفافيته المفقودة .

وحرب التحرير تؤدي الى تحرير القاتل تدريجيا . فهي تزيل من نفسه ، ومن خارج نفسه ظلمات الاستعمار شيئا فشيئا » .

الضالة المنشودة

ولذلك وجد فانون في ثورة الجزائر ضالته المفقودة ، أو ثورته المنشودة .

ولم يكن ارتباط فانون بالثورة ارتباطا عاطفيا ، او عقليا ، كما يرتبط الاجانب او المواطنون بالوطن . ولكنه كان ارتباطا اشد عمقا ، يشده من جذوره ونبضه وعروقه « وعمقه التاريخي » .

ففرانز فانون من جزر المارتنيك ، وهي جزر صغيرة مستقلة .

يصفها فانون فيقول انها كانت من أول الجزر التي داسها الاستعمار بأقدامه ، وهو في طريقه الى امريكا . ولذلك اصبحت لفرنسا جزر ، وهولندا جزر ، وانجلترا ... جزر .

وكانت زراعة القصب هي الزراعة التي تكسب الذهب .

فتحولت الزراعة ـ المتعددة ـ في هذه الجزر ، الى زراعة استعمارية واحدة هي القصب .

« ولم تكن الحياة سهلة . فالزراعة قاسية . والمزارع واسعة . والجو استوائي . ولم يكن للهنود الحمر الذين يسكنون البحر الكاريبي ان يستطيعوا الحياة والعمل في هذه الظروف الشاقة » .

ولذلك نقل الاستعماريون افواج العبيد الافريقيين الى جزر الانتيل .

« وكانوا كالحيوانات يتقلون ويموتون » .

و « حتى بعد الغاء الرق ، ظلت ظروف العمل لاتتغير ، فقد اصبح العبيد المتحررين عبيدا لملوك السكر » .

ومن هنا ادرك فرانز فانون اصله الحقيقي .

ان أجداده عبيد من افريقيا .

واكتشف حقيقة ما جره الاستعمار



الى هذه الجزر من بؤس وفاقة وحقارة وانتهاك كرامة .

وحين ذهب الى باريس ليتعلم ، وتفوق في تعليمه ، ثم تبحر في الدراسة ، حتى اصبح طبيبا نفسانيا .

ولكنه لم ينخدع مما يراه .

لقد كان يحس أن الاستعمار شرد أهله وحطم جزيرته ، وأن الاستعمار كما يقول سارتر « سلب هذه القارات الجديدة ذهبها ، ومعادنها ، وبترولها ، وجاء بها الى بلاده ، ليجعل من هذه الثروات اشياء رائعة : قصورا ، وكاتدرائيات ، ومواسم متنامية » .

ولم يخفف فرانز فانون احساسه بحقيقة أوربا .

انها حقيقة لا تقوم على العنصرية ، او عقدة النفس التي تنقلب الى عقدة كبرياء!

وحشية العواجيز

ان أوربا عشقت نفسها الى درجة النرجسية ، كما يقول علماء النفس ، من نرسيس الذي رأى وجهه في صفحة الماء فعشق ذاته !

وفانون يتفق مع جان كوكتو الذي اعلن ضيقه من باريس التي قال عنها « تلك العاصمة التي تتحدث في كل لحظة عن نفسها » .

وهو يتفق مع سارتر الذي يقول عن أوربا « انها مسخ لا يفوته سوى مسخ آخر اسمه امريكا الشمالية »

ان الكلمات قاسية ، ولكن الحقيقة اشد قسوة ... لان اوربا « تثرثر عن الحرية والمساواة والاخوة والحب والشرف .. ثم ماذا تصنع في المستعمرات ! انها تصنع كل شيء بوحشية العواجيز الهرمة . لتحمي الاقطاعيين والمتوطنين وملاك الأرض »



لقد استحقت هذه الجملة الحادة التي قالها جان بول سارتر :

ـ لا يجتمع فرنسيان الا وبينهما جثة !

الانقسام والوحدة

وتحليل فرانز فانون للاستعمار تحليل علمي ونفسي ، تخلص من هذه الكراهية المتأثرة الكسولة ، وارتقى الى النظرة الثورية الثاقبة .

يقول فرانز فانون : « اننا نرى في المجتمعات الرأسمالية ان التعليم ، سواء أكان دينيا أو علمانيا ، وان تكوين الاخلاق التي يرثها الابناء عن الآباء ، وان الشرف المثالي الذي يسند الى عمال يحصلون على الاوسمة بعد خمسين عاما أنفقوها في الاستقامة ، ونرى تشجيع حب الاتزان والتعقل وكل هذه الاشكال الجمالية لاحترام النظام القائم تخلق حول المستغل « بفتح التاء » جوا من الخضوع والامتناع يخففان عبء قوى الامن تخفيفا كبيرا .

اننا نرى في البلاد الرأسمالية طائفة كبيرة من اساتذة الاخلاق ، والمصلحين ، والموجهين تقف حائلا بين المستغلين « بفتح التاء » وبين السلطة الحاكمة

اما في المستعمرات ، فان الشرطي يظل على اتصال بأهل المستعمرات « ينصحهم » بالعصـا ، أو بالمواد المحرقة .. ان لا يتحركوا

وهكذا ترون أن وسيط السلطة الحاكمة يستعمل لغة العنف . أن الوسيط لا يخفف من الاضطهاد ، ولا يسدل على السيطرة حجابا انه يحمل العنف الى بيوت الناس ، ورؤوسهم

ان المنطقة التي يسكنها المتوطنون المستعمرون لا تكمل المنطقة التي يعيش فيها الاهالي

انهما يتعارضان ولا يتصالحان «١»

ان مدينة المتوطن مدينة صلبة ، مبنية بالحجر والحديد ، مدينة انوارها ساطعة ، وشوارعها مرصوفة بالاسفلت . وصناديق القمامة فيها تبلغ نفايات لم يعرفها الاخرون ، ولم يروها يوما ، ولم يحلموا بها أبدا .

والمستعمر لا ترى قدماه عاريتين قط ، الا على شواطىء البحر . ولكن الاخرين لا يمكن أن يقتربوا منهما اقترابا كافيا ..

أما مدينة الاهالي ، أما القرية الزنجية ، أما الحي الذي يحظر على الاوروبيين ان يتجولوا فيه ، فهو مكان سيء السمعة يسكنه اناس سيئو السمعة . فيه يولد المرء اين كان ، وكيف كان . وفيه يموت المرء اين كان ، وبأي شيء كان ، هو عالم

«١» أليس من الغريب أن يتكرر تقسيم جميع المدن المستعمرة الى حي الافرنج وحي العرب أو الزنوج ، فتنقسم مدينة الجزائر الى حي القصبة العربية وحي المتوطنين ، وتنقسم بورسعيد الى حي العرب وحي الافرنج ، ودلهي الى دلهي الجديدة للحكام والانجليز والموظفين ودلهي القديمة لابناء الشعب

أليس غريبا ان عدوان ١٩٥٦ قد هدم تلك البيوت القديمة ، وان تنشأ بورسعيد الجديدة بلا احياء مقسمة

ان بنايات بورسعيد الجديدة لها أكثر من مغزى . انه اكثر من أن يستأجر العامل البسيط شقة نظيفة ، في بناء جديد من غرفتين وصالة ، وبعض أحواض الزرع التي يزرع فيها ابناؤه البصل او اللبلاب

ان مباني بورسعيد الجديدة أنهت هذا الانقسام الشنيع بين مدينة العربي ومدينة الافرنج قبل الاستقلال «د»



بلا فواصل . يتكدس فيه الناس بعضهم فوق بعض . والاكواخ تتكدس فيها بعضها فوق بعض . ان مدينة المستعمر مدينة جائعة . جائعة الى الخبز ، والى اللحم ، والى الاحذية . والى الفحم . والى النور . مدينة المستعمر مدينة جاثية . مدينة راكعة . مدينة تتمرغ في الوحل . انها مدينة عرب . مدينة زنوج . والنظرة التي يلقيها المستعمر على مدينة المستعمر هي نظرة شهوة . هي نظرة حسد .

... ويمضى هذه الثنائية احيانا الى اقصى منطقها .. انظر الى اللغة التي يتكلمها المتوطنون حين يتحدثون عن المستعمرين . انها اللغة المستعملة في وصف الحيوانات : انهم يستخدمون هذه التعبيرات : زحف الجنس الاصفر ، او قطعان الاهالي ، أو تفريخ السكان ، او الجماهير التي تشبه النمل .. ؟

فماذا تكون النتيجة بعد ذلك ؟

ان فانون يحلل حالة الاهالي تحليلا نفسيا واجتماعيا فيلاحظ « ان الحالة الانفعالية ترى على السطح كجرح نازف . والنفس تنقبض وتنفصد . وتفرغ شحناتها مظاهر عضلية جعلت بعض « كبار العلماء » يقولون عن المستعمر انه انسان مصاب بالهستيريا .

ان هذه الانفعالات تظهر في انواع من الرقص : يخرج بصاحبه من طوره ، ويجعله في حالة من النشوة .. انه يتخفف من اثقال النفس : فيقوم بأعمال ترمز الى القتل ، وبحركات تمثل الفروسية ، وبأفعال تصور الابادة . انه يتخفف من ثقل التوهم والخيال . فبذلك تنطلق حمم الغضب من اعماق النفس انطلاق قذائف البركان من باطن الارض » .

ويرى فانون ان مظاهر العنف ـ أثناء فترة الاحتلال ـ تظهر وتدور في فراغ . ولكننا لو توغلنا في هذا العنف لوجدنا كراهية حقيقية تملك المستعمرين المضطهدين ، ويعبر جان بول سارتر عن ذلك بثاقب ملاحظته ، فيقول :

ـ على اوروبا ان تواجه نتيجة هذه الحقيقة

ان الطفل في المستعمرات يفتح عينيه فيجد ان اباه يضرب حتى يسيل دمه وهذه الاعتداءات التي تتكرر لا تحمله على الخضوع ، وانما تلقيه في تناقض لا يطاق ، سيدفع الاوروبي ثمنه عاجلا او آجلا » .

ان الكراهية هي كنزه الوحيد .

ويرى فانون ان حالات الاضطراب ، والخلافات القبلية ، والعدوان ، والعنف الطائش ، والجرائم الفردية التي تتسم بالقسوة البالغة انما ترجع الى ظروف الكبت والضغط ، وانها تظل كذلك مضطربة تثير الاضطراب في النفس ، حتى تتجه تلك العدوانية الى هدفها السليم ، وهو : المستعمر نفسه

ومن هنا ، فان الغضب والقلق واليأس والهلع والحزن الجماعي ، والاسى المشترك يتحول الى تحرر .. وبذلك تنضبط النفس وتعود بعد التحرر الى الاعتدال .

هجرة المثقفين

ولذلك ارتبط فانون ارتباطا عميقا بثورة الجزائر .. لأنها جمعت بين ظواهر عديدة عميقة . فهذا الانتيلي الزنجي ، الذي يدرك جذور اجداده ، وما حدث لهم ، وحدث لأبنائه من بعدهم ، انما يرتبط ـ حتميا وشعوريا ـ بتحرير الارض ، وتحرير الانسان .

وقد استطاع فانون أن يدرك مغزى هذه الثورة الشاملة ، التي اندلعت سنوات

طويلة ، وقد وصل الى الجزائر فى عام ١٩٥٢ ، فى بداية مرحلة الحرج والقلق والبحث عن حل فى هذا العالم ، واشتغل طبيبا نفسانيا فى بلدة « بليدة » بالقرب من مدينة الجزائر ، وبدأ بالتعاطف على ثورة الجزائربعدمذبحة ١٩٥٤ فى مدينة « ستيف » ثم أخذ ينشغل بتحليل تلك الظواهر العنيفة التى اتسم بها الاستعمار الفرنسى ، واتسلح بها المتوطنون الفرنسيون فى الجزائر

وقــــدم فرانز فانون استقالته من المستشفى ، ليعمل مكافحا وكاتبا وثائرا ومثيرا فى ثورة الجزائر

تهريب الاسلحة

ولم يكن فانون مفكرا ، او متأملا ، او عالما نفسانيا يكتفى بالدراسة ، ولكنه كان جائعا للعمل والحركة .

وفى احدى مقالات كتابه الاخير « مقالات سياسية عن الوحدة الافريقية » ، والذى ظهر منذ شهر واحد اى بعد موته بأعوام يكشف فرانز فانون ، عن جهــــوده العجيبة ليجمع الاسلحة للثــــورة الجزائرية .. ويكشف عن رحلة طويلة قام بها من غانا الى فولتا العليا الى مالى ، لينظم تسلل الاسلحة والمعدات من جنوب الجزائر عبر الصحراء الكبيرة .

وقد زادت اهمية تهــــريب الاسلحة للثورة ، عبر الصحراء حينزاداحكام تلك الاسلاك الشائكة الكهربة بين حدود تونس وليبيا والجزائر ، وعلى حدود المغــــرب والجزائر ، ولذلك أخذت الثــورة تطلب المزيد من المعونة ، والاسلحة ، والمئونة ، عبر الصحراء .. التى لم يســـــتطع الفرنسيون اقفال حدودها الواســـــعة المتناهية الاتساع .

وهكذا الف فرانز فانون كتابه الرائع « العام الخامس من ثورة الجــزائر » ، فالحقه بكتابه الجلد أسود والاقنعة بيضاء، ولخذ يمزج الفكر بالتجربة ، والملاحظـــة بالعبرة ، والتأمل بالعمل .

ولم يكن فانون مجرد متحمس عاطفى ، لكنه كان يرى أن افريقيا لا يمكن ان تدعو الى فكرة « الزنجية » التى يدعو اليها ابناء الزنوج الذين سبقوه .

فهو يرى ان هذه الدعوة تشابه الدعوة الى التفوق الابيض .. وهى لذلك دعوة جوفاء ، تخفى عقدة النقص عند الزنوج، فلابد ان يتحرر كل انسان من لونه ، فلا يصبح الاسود بدلا من الابيض ، والعبد بدلا من السيد .. بل لابد من تحطيــم صورة العبد وصورة السيد معا .

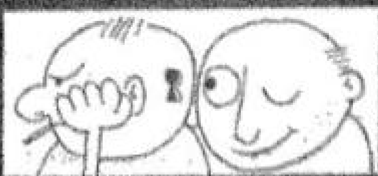
ومن هنا ، فلابدان يتحرر العبد بالحركة والنضال ، وهو فى هذه المعركة يحطم — فى الحقيقة — عبوديته وسيادة المستعمرين فيكسب العالم رجلين .. متحررين .. بدلا من ان يفقد العبد الخانع والمستبدالظالم

ومن هنا كان ايمــانه الشديد بثورة الجزائر . حتى لقد هاجر اليها ، تماما كما هاجر من قبل شبان آخرون منهــم همينجواى ، وجارسيا لوركار ، واندرية مالرو ، وبوبوفتش الى ثورة اســــبانيا الجمهورية .

وكما ظهر ادب وفكر من ارقى الافكار بعد ثورة اسبانيا ، فان ثورة الجــزائر جلبت اليها مفكرين ومناضلين .. كان من انضجهم هذا الشاب الزنجى ، والمفكر المناضل ، الذى مات دون الاربعين، وهو لا يوصى بشىء اكثر من ان يدفن فى ارض الجزائر ... لانهــا ارض ارتوت بــدم المناضلين ، وتطهرت من هــذا النزيف الاليم . الذى نزفه مليون شهيد يتطلعون الى الحرية



أفكارهم



* لو أزيل نصف النجوم البعيدة من الكون لزاد وزن الانسان الى الضعف وأصبحت الشمس ١٠٠ مرة أكثر لمعانا منها الآن . هذه هي النظرية الجديدة في الجاذبية التي طلع بها البروفيسور فريد هويل والعالم الرياضي الهندي نارليكر

* كتب وليم ريز - موج في صحيفة الصنداي تايمز أن الاقلية الظاهرة في حزب الاقلية في أمريكا تؤيد رجلا يخاطر بالحرب ويرفض كلية نظام أمريكا الحديثة

* يقول الكاتب وليم ميشيب ان الفرنسيين أكثر اهتماما بمذاق الطعام منهم بنظافته

* من أقوال الزعيم مانديلا في جنوب افريقية « ان القانون كما يجرى تطبيقه ، وكما وضعته وارادته الحكومة الوطنية ، هو في نظرنا قانون يجافي الاخلاق ويتنافى مع العدالة ولا يمكن احتماله »

* كتب محمود أمين العالم في «المصور» أن المدرسة التجريدية في الفن الحديث هي جموح فردى بدائى في مواجهة التنظيم الاجتماعي والمسئولية الجماعية ، وهي عجز عن التكيف مع العمل والبناء البشرى من المحبة والسعادة والجمال والرقي

* كتب الدكتور محمد أنيس في « الاهرام » أنه تحت شعار الربط بين الجامعة والمجتمع وباسم ضرورة تطوير الجامعات لسد احتياجات خطة التنمية بدأ نوع من الخلط الغريب بين مسئولية الجامعة من ناحية ومسئولية المعاهد الفنية وكليات المعلمين من ناحية أخرى

* كتب الدكتور عبدالقادر حاتم في مجلة الثقافة يقول « يرى البعض أن وسائل الاعلام الحديثة من اذاعة وتليفزيون وسينما تصرف الشباب عن القراءة وتشغلهم عن الكتاب ، ولكن هذا الرأى يحتاج الى كثير من الدراسة في مجتمعنا الاشتراكي فاننا لا نتوخى من النشاط الاعلامي احياء وسيلة اعلامية أو ثقافية وامانة ووسيلة أخرى، انما نتوخى أن تخدم الوسائل جميعا أهدافنا الاشتراكية دون قصور أو تقصير »

* يقول أنيس منصور في الاخبار ان الاديب لانه فنان ليس مؤرخا فقط ولذلك فانه عندما يكتب عن عصره يضع افكاره في اطار يعيش بعد هذا العصر .. فاذا كان التاريخ هو مادة الاديب فان الفن هو الاطار ، وكل ما هو تاريخي هو مؤقت ولكن كل ما هو فني باق الى الابد

* كتب رفعت كمال في « الاخبار » أنه قد بدأ موسم المؤتمرات العلمية ، وأخذ كل باحث يستعد للسفر بعد أن قبلت أبحاثه بواسطة اللجان المختصة . وطالب الكاتب بتسهيل جميع الاجراءات الادارية اللازمة حتى لا يتخلف الباحثون من حضور المؤتمرات التي سوف يشتركون فيها ، كما حدث في الاعوام السابقة

* كتب علي أحمد علي في الثقافة أن الناس تقل مقاومتهم للتغيير اذا ما اشتركوا في احداث هذا التغيير أو التخطيط له أو على الاقل اخطروا مقدما به اذا ما اقتنعوا بقيمته وفائدته

* في « فكرة » لعلى أمين بالاخبار أنه اذا كان النظام الاشتراكي يحمى العامل من استغلال صاحب العمل ، فانه يحمى العمل من استغلال البلطجية ، الا من غير المعقول أن تمطر الاشتراكية ذهبا وفضة على القادرين على العمل الذين لا يساهمون في الانتاج بعرقهم وأعصابهم وعقولهم

* من رأى صلاح عبدالصبور في الاهرام ، ان الفن يؤدى وظيفته الاجتماعية

من خلال فردية الفنان ، وطبيعة الفن التي لا تعرف المباشرة والتقدير .. وهو يؤدي وظيفته أحيانا بما يثير في النفوس من الاحتجاج ، لا الموافقة

● يقول وليم سارويان الكاتب الامريكي الارمني الاصل في مقال له عن الحياة الادبية في امريكا : ان الاديب الذي يعيش في شبه عزلة عدة سنوات لكي ينتج بضع روايات أو مسرحيات ، يفاجأ بالشهرة في عالم التيون والاعلانات، وتكتب عنه مقالات نقدية ، وتوضع صوره على أغلفة المجلات وهذه الثورة من الاعلانات وحفلات التكريم إما أن تدفع الاديب الى الجنون . وإما تدفعه الى السجائر والخمر والنساء . وبالتالي الى الكسل ، وعدم التفتيش عن أساليب جديدة . فلا يتقدم ، ولا يبقى منه سوى اسمه فقط . وهنا يسببمشكلة للادباء الشبان الناشئين . انهم يقرأون عن الاسماء الجوفاء للادباء الكبار فيحاولون تقليدهم على أساس ان ادبهم هو الحقيقي .. دون أن يعرفوا أنه أدب مزيف ، جامد . وبذلك فان غالبية المواهب الناشئة جوفاء عرجاء ليست فيها اصالة

● يقول رفيق خوري في مجلة العلوم اللبنانية في معرض حديثه على المسرح اللبناني : « ان الشهادات وحدها لاتخلق الممثل والمسرح . انني اعتقد ان الثقافة المسرحية هي الباب الذي يصل بواسطته المرء الى المسرح .. بدلا من الدخول من الجدران ، وبدلا من الدخول الى امكنة أخرى لا تمت للمسرح بصلة .. »

● يقول الدكتور احمد كمال زكي في الآداب : أن الشعر المرسل يتطلب من الفنان طاقة تفوق كل ما يتطلبه الشعر العمودي ، لسبب بسيط هو أن عدم وجود المقاطع المتساوية التي يضبطها الروي تحمل الشاعر على أن يبحث عن البديل ، أو عما يجذب المتلقي عن طريق آخر غير رتابة الايقاع ورنين القافية . ويعتمد المحدثون في اداتهم على أشياء تبدو حتى الان مجرد ظاهرة ، وان تكن ذات اثر فعال في تقرير روح الشعر الجديد

● في رأي عيسى فتوح بمجلةالعلوم : ان كتابة الشعر بطريقة المطولات الشعرية ذات القافية الواحدة طريقة فاشلة ، وغير مجدية من عدة وجوه فالمؤرخ الشاعر يضطر هنا الى اجترار نفس القوافي . ان القافية الموحدة ترغم الشاعر الى ان يهرع الى الاحتيال ، ومداورة اللفظ ، وتحميله أكثر مما يطيق .. وان هذا يؤدي الى عدم الدقة في إيراد الحوادث التاريخية ..

● كتب الدكتور احمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي يقول : انه آن للعرب اليوم أن يفتحوا آذانهم لامجادهم الماضية التي غطت الآفاق . آن لهم أن تعيها آذانهم ، وأن يجدوا فيها اللذة التي يجدونها عند رواية سمر او قصة حب . انه في النهضة العربية الحديثة لا بد أن يخشوشنوا أسماعا ، وأن يخشوشنوا طباعا ، وأن يستمعوا للغناء اقل مما يفعلون . وأن لا يشربوا قلوبهم فوقمايجب على حساب عقولهم . فهذه الدنيا الحاضرة ما قامت أكثر الا على أسس بنتها العقول ، وكذلك قامتمدنية العرب وقامت أمجادهم . ولكن احفاد العرب سمعوا بالكثير مما أنتجته القلوب ، وبالقليل مما أنتجته العقول .. فاختل بذلك ميزان التقدير »

● يقول عبد الكريم غلاب في الآداب : ان عباس العقاد قد نجح في تخطيط مذهب ، وفي خلق مدرسة جديدة في الشعر سار على نهجها هو وزميلاه شكري والمازني . وقد أثرت هذه المدرسة في كثير من اجيال الشعراء . واعظم اثر كان – وما يزال – لهذه المدرسة هو اخراج الشعر من عموده التقليدي في المضمون لا في الشكل .. ذلك العمود الذي دعمه في مصر على وجه الخصوص البارودي ، ثم شوقي واسماعيل صبري !

● كتب رمسيس يونان في الاهرام يقول : ان الحركة الفنية عندنا – مع كل ما تبشر به – حركة ناشئة . وليس يوسع الفنان الا أن يكتوي بالوجدان الانساني المعاصر ، ويشعر بتضامنه مع مغامرات الفن الحديث في شتى الاقطار . وهو في بحثه الفني عن اسلوب خاص يعبر عما في ذات نفسه ، لابد له أن يغتذي بكل غذاء يحس بحاجته اليه سواء وجده في القطب الشمالي ام في التجريد الاسلامي أم في غابات الكونغو ، اذ في الواقعية الجديدة ، أم في الفن التجريدي الحديث . وما لم نحرص على حرية الفنان في البحث والاستيحاء والتعبير .. حكمنا على هذه الحركة بالاجداب والذبول

● في رأي احمد حسن الزيات ان البليغ الحق اذا ما كتب أو تحدث ، فانه لا يكون من طبعه الطول ولا الفضول ، وانما

يسلك الى تأدية معانيه الى ذهن القارئ أو السامع طريقين : طريق المساواة والتقدير ، وطريق القصر والحذف . أما الإطناب أو الاسهاب فليس من طبيعة اللغة العربية ... لأنها لغة سماعية

● كتب محمد عبدالله عنان في ثالثة الزيت يقول : اننا نستطيع أن نعتبر الشعر من أهم الوثائق التاريخية . ولكن تتوقف قيمته وأهميته الى حد كبير ، على شخصية قائله . فان ما يصدر من نظم أمير أو وزير ، أو شخصية لها وزنها في المجتمع .. هو المادة النفيسة التي يتطلع اليها المؤرخ ولا سيما اذا طبعت بطابع الرصانة ، والبعد عن المبالغة ، والاغراق في مجال الوصف والخيال

عربية للموسوعة الفلسفية ويتولى مراجعة الترجمة الدكتور زكي نجيب محمود

● اكتشفت البعثة الامريكية للآثار الاسلامية على بناء من اللبن يرجع تاريخه الى أكثر من ألف سنة . وذلك في منطقة القلعة بمدينة القاهرة

● تقوم الجهات المختصة في المانيا الغربية باعداد فيلم عن افريقية ، يصور حياة الشعوب وعاداتها وتقاليدها . ويشترك في التمثيل عدد من الافريقيين من أبناء القبائل وبخاصة قبيلة الزولو في جمهورية جنوب أفريقيا

● تدل الاحصائيات على ان معظم النساء العاملات في الولايات المتحدة يتناولن اجرا يقل بحوالي الثلث عما يتقاضاه الذكور

.. و أخبارهم

● قرر الدكتور عبدالقادر حاتم ان تشترك المؤسسات التابعة لوزارة الثقافة والارشاد القومي في تنفيذ مشروع «المكتبة العالمية» .. يهدف المشروع الى ترجمة امهات الكتب العالمية في مختلف فنون المعرفة من أدب وسياسة وفلسفة وغير ذلك

● طلبت جمعية المهندسين بأثينا من وزارة السد العالي بيانا تفصيليا عن هذا المشروع . وسوف تقوم كلية الهندسة التابعة لجامعة أثينا بتدريس المشروع لطلابها

● كلفت الحكومة الهندية بعثاتها الديبلوماسية في الخارج بالحصول على أية خطابات او رسائل أو غيرها بخط الزعيم الراحل نهرو . وتعتزم الحكومة اقامة معرض يضم مخلفاته ويطوف بها جميع انحاء العالم

● تصدر سلسلة الألف كتاب ترجمة

● يجري حاليا اعداد موسوعة تتضمن تراجم العلماء والادباء الاحياء في الجمهورية العربية المتحدة . ويشرف على العمل الدكتور محمود الشنيطي أمين مكتبة الجامعة الامريكية

● تبلغ قيمة الاستثمارات الامريكية المباشرة وغير المباشرة في المملكة المتحدة ٩٠٧ ، ٤٠٠ مليون جنيه استرليني على التوالي مقابل ١٣٩٩ ، ١٣٥٠ مليونا تمثل الاستثمارات البريطانية في الولايات المتحدة الامريكية

● من المنتظر اقامة اسبوع للفيلم العربي في تنجانيقا وكينيا والصومال ، وذلك بقصد توسيع سوق الفيلم العربي في الخارج وبخاصة في البلاد الافريقية

● كتاب احمد حسين « في الايمان والاسلام » ، قرر المجلس الاعلى للشئون

الاسلامية ترجمته الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، وسوف يجرى توزيعه في آسيا وافريقيا للتعريف بمبادىء الاسلام

* يموت في تركيا سنويا نحو ١٢٠٠٠ من الفتيات والنساء بسبب عمليات الاجهاض غير القانونية

* يضم الاتحاد السوفييتي ٣٩ جامعة مقابل ٨٧٠ معهدا فنيا

* انتجت المصانع البريطانية آلة تستطيع ان تعطى ضغطا قدره مليون ونصف مليون طن على البوصة المربعة . أثناء تجربة الجهاز الجديد لدراسة تأثير الضغط العالى على الكربون تحولت هذه المادة الى ماس

* في المتحف البلدى بمدينة لاس بالماس عاصمة مجموعة جزر كنارى مئات من نماذج الجماجم البشرية ، منها نماذج لرؤس البشر الذين كانو يعيشون بالكهوف في العصر الحجرى ، ولافراد من قبائل القوانش الذين عاشوا في هذه الجزر منذ عهد بعيد واتصفوا بطول القامة والشعر الكستنائى

* بلغ عدد القصص التي قدمها اصحابها في مسابقة القصة الصغيرة ٤٠٠ قصة ، ستتولى اللجنة المختصة فحصها على ان تصدر قرارها بالقصص الفائزة في أول اكتوبر القادم

* « الحان متحجرة » اسم ديوان جديد للشاعر حسن عبدالله القرشي ويضم مجموعة من القصائد الوجدانية التي تتميز بدقة الوصف وعمق التعبير

* أخرجت دار العلم للملايين في بيروت طبعة جديدة من كتاب الاستاذ محمود الشرقاوى « الدين والضمير »

* أصدر السيد على ابراهيم كتابا بعنوان « شعراء من لبنان » . والغرض منه التعريف باعلام الشعر اللبنانيين . ويتضمن الكتاب دراسات عن خليل مطران وشبل الملاط والاخطل الصغير وايليا ابو ماضى والشيخ ناصيف اليازجى وغيرهم

* أخرج الأديب العراقي وحيد الدين كتابه « من أدب التركمان » فيه تعريف بهذا الادب واعلامه واتجاهاته . كما قام المؤلف بترجمة طائفة من النصوص التركمانية الى اللغة العربية

* « الاشتراكية الديموقراطية » اسم كتاب جديد للكاتب الامريكى نورمان توماس وفيه يعرض آراءه عن الاشتراكية ، وكيف تطورت هذه الاراء حتى الان

* تلقى مجلس الفنون في القاهرة دعوة للاشتراك في الذكرى المئوية لمولد الفيلسوف الاسبانى اونامونو

* كليات للطب البيطرى والزراعة والهندسة بجامعة الازهر بمدينة طنطا ، وكلية الطب بدمنهور ، وكلية للهندسة البحرية بدمياط . ستكون هذه الكليات فروعا لجامعة الازهر

* « دولة بنى ايوب في اليمن » .. رسالة ماجستير وافق عليها مجلس كلية الاداب بجامعة الاسكندرية للباحث محمد عبدالعال أحمد . الجديد في هذه الرسالة بأن معظم مصادرها مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء . وقصر الامام المخلوع

* أول اديبة تونسية ناجية ثامر تصدر لها مجموعة قصصية بعنوان « أريد الحياة »

* مسرح الجيب بالقاهرة سيطير الى العراق في شهر اكتوبر ، وسيبقى أسبوعين ليقدم مسرحياته

* القصصية اليوغوسلافية الاولى دانا ماسكوفا « زارت القاهرة ضيفة عليها .. وشهدت احتفالات الثورة بالعيد الثانى عشر

* جائزة سنوية تحمل اسم المرحوم محمد سعيد العريان ، وقيمتها ٥٠٠ جنيه قررها المجلس الاعلى للفنون والاداب لينالها صاحب احسن بحث او كتاب عن ادب النضال العربى

* صدر ديوان الغزلى عن المجلس الاعلى للفنون والادب بالقاهرة

* محمد طاهر الجبلاوى أحد أصدقاء العقاد يؤلف كتابا موضوعه الذكريات التي سجلها في ٥٠ عاما .. وهى الفترة التي صاحب فيها العقاد

* تصدر لجنة النشر بمجلس الفنون بالقاهرة كتابا في ٤ مجلدات ، ويشمل تاريخ التربية من ايام الفراعنة حتى اليوم . يقوم بتأليف الكتاب الدكتور أحمد أحمد بدوى المدير السابق لجامعة القاهرة ، وآخرين

* توفد وزارة التعليم العالى بالقاهرة ١٠٠ استاذا مصريا للعمل بجامعات العراق وليبيا وبيروت والخرطوم والبانيا وروسيا وامريكا اللاتينية ، وذلك في العام الدراسى القادم

* القصاص عبدالحميد جودة السحار

يكتب سيرة النبي في عشرين جزء بأسلوب قصصي . قال أنه لن ينتهي من تأليفه كله الا بعد خمس سنوات

* صدرت في بغداد في الشهر الماضي جريدة جديدة اسمها « **الثورة العربية** » . هذه الجريدة ستكون الناطقة بلسان الاتحاد الاشتراكي العربي بالعراق

* صدر كتاب « **عثمان بن عفان** » الذي ألفه لم يتمه **الدكتور محمد حسين هيكل** . وقد أكمله وراجعه الدكتور **جمال الدين سرور** استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة القاهرة

* المجمع اللغوي بالقاهرة يصدر في دورته القادمة مجلدا عن **المجمعين في ثلاثين عاما** . هذا المجلد سيضم بين دفتيه تراجم لثمانية وتسعين اديبا ومفكرا أو عالما .. هم أعضاء المجمع – الاحياء والاموات – منذ انشائه حتى الآن

* « **اسطورة سيزيف** » لألبير كامي، ترجمها الى العربية **مجاهد عبدالمنعم مجاهد**. في هذا الكتاب تناول كامي معنى العبث في الفلسفة الوجودية والفروق الدقيقة بين العدم والعبث وبين الضياع واللامعقول

* **سنوات من الاضواء** .. عنوان كتاب يصدر في نهاية هذا العام عن ذكريات أرملة الكاتب المسرحي برتولد بريخت . يضم الكتاب رسائل لم تنشر ، وملاحظات للاديب الالماني على كثير من الانتاج العالمي ، كما يضم صفحات شخصية من حياة الزوجين

* يصدر **يحيى حقي** الجزء الثاني من مذكراته عن الفترة التي قضاها في تركيا والحجاز

* منظمة اليونسكو ستعقد حلقة دراسية اقليمية للدول العربية في ميدان التليفزيون التربوي في نوفمبر القادم . يشترك في هذه الحلقة ٢٠ ممثلا من ١٢ دولة عربية . هذه الحلقة تتيح امكانية تبادل الخبرات ، وستكون فرصة للمشتركين ليدرسوا اعداد البرامج

* نجح بعض علماء جامعة كوينزلاند باستراليا في اجراء التجارب على ثلث احد البيوت. الشمسية العادية في الحصول على الماء الساخن والتبريد وتكييف الهواء، والمسى من أنابيب نحاسية مليئة بالماء، مركبة سقفه وتستمد حرارتها من مكثفات شمسية .. تقوم بتركيز الاشعة الضوئية والحرارية على وعاء به زيت ..

وجدير بالذكر أنه تجرى الآن ابحاث اخرى على بيت باكمله

* احتفل العالم بذكرى ميلاد الذي يعتبر من مؤسسي العلوم الـ خاصة علم الفضاء ..

* يصدر في بيروت الجزء الـ كتاب الادبية الوجودية « سيمون بوفوار قوة الاشياء La force des choses من ترجمة دكتور سهيل ادريس

* **التاريخ السري للمغول**

The Secret History كتاب صدر في بريطانيا للكاتب **آرثر ويل** . في هذا الكتاب تسجيل لادب الحماسة والهجاء والمديح في المجتمع البدوي المغول . والواضح في هذا الكتاب أن قوالب التعبير الادبي في شعر المغول تشبه مثيلاتها في الشعر العربي الجاهلي . ففيها اعتزاز بالنسب ، وبالعصبية ، وبالقوة ، وبالبطش، عند الحاجة ، والشهامة اذا اقتضت المواقف

* وفي نيويورك صدرت قصة للكاتب الهندي المشهور **مانوهار مالكولكار** ، بعنوان « **الامراء** » . القصة تسجل ازدهار وتدهور عهود المهراجات ، قبل استتباب الحكم المركزي الوحدوي .. بعد زوال الاستعمار

* ٣ **مسارح جديدة** افتتحت في الجمهورية العربية المتحدة في عيد الثورة الثاني عشر . المسارح هي . مسرح السويس الشتوي « ١٥٠٠ متفرج » . مسرح بنها الصيفي « ١٥٠٠ متفرج » ومسرح مصر الجديدة الصيفي « ٥٠٠٠ متفرج »

* صدر كتاب « ازياؤنا المصرية قبل الثورة » أو « هز الفحوف في شرح قصيدة ابوشادوف » للشيخ يوسف الشربيني

واخبالهم من ٧٠ سنة

* أوردت مجلة المقتطف احصاء عن مدينة برلين يتبين منه أن نيفا ٧٣ ألف شخص تسكن كل عائلة منهم في بيت من غرفة واحدة . ٣٨٢ ألف نفس تسكن كل عائلة منهم في بيت به غرفتان . والذين تسكن العائلة منهم في غرفة واحدة متوسط وفياتهم في السنة أكثر من ١٦٣ في الالف اي أن سدسهم يموت كل سنة، فمتوسط العمر لكل منهم نحو ست سنوات

* ظهر من تقرير للحكومة الفرنسية أن أعمال فرنسا نمرتوا سنة ١٨٨٥ سبعة وخمسين ألف هكتوتر من الابسنت وارتفع

من ٧٠ سنة .. وأخبارهم

الرقم الى ١٣٦ الف هكتولتر فى عام ١٨٩٢ وزاد مقدار ما يتناولونه من المشروعات الاخرى على هذه النسبة

* تعرضت الاستانة لزلزال عنيف مصدره ثوران بركانى فى بحر مرمرة تجاه سان استفانو ، وبلغت آثاره حلب ادرنة وبروسة وازمير • وقدرت الخسائر فى العاصمة العثمانية بنحو ستة ملايين من الليرات العثمانية

* أجابت المقتطف على سؤال لاحد القراء بأن سكان استراليا الاصليين وفدوا اليها من جزيرة تيمور ودخلوها من الخليج المسمى الآن خليج كمبردج فى الشمال الغربى من استراليا • وهم يحسب تقسيم البشر من النوع الحبشى

* فى رسالة للمسيو جان بريجانتى الذى زرع ٤٠٠ الف شجرة فى فى برزخ السويس ، يقول انه لو غرست عشر الاشجار التى تنمو فيها سريعا لسدت حاجتها بعضها وصدرت البعض الاخر •

وقد شرح فى رسالته مشروعا لغرس مليونى شجرة من شجر الخروع الكبير ومليونين آخرين من شجر التوت ، فضلا عن عدة ملايين من أنواع أخرى منها نصف مليون شجرة خروع • وقال أن هذا المشروع كله لا يكلف الحكومة سوى ستين ألف جنيه

* فى مقال بالمقتطف أن الاشتراكية نشأت من انقلابين عظيمين ، وهما الانقلاب الصناعى أى حصر الاعمال فى المعامل الكبيرة واستخدام العمال فيها أجراء بل عبيدا يعمل كل منهم عملا لا يتعداه وتقطع أجرته حسب مشيئة صاحب العمل • والانقلاب الزراعى الذى جعل الارض ملكا لافراد قلائل وجعل الجانب الكبير من الفلاحين اجراء فيها • ومهدت الثورة الفرنسية السبيل للاشتراكية باشراكها الجمهور فى الحكومة وفتح أبواب السيادة للذين لم يولدوا فيها •

* قالت جريدة المرشد الاميركانية التى تصدر فى القاهرة أن كلمة « كنيسة » مشتقة من أصل يونانى هو « الكيسيا » • وردت « الهلال » على ذلك بقولها ان اللفظ مأخوذ عن السريانية وهو كلمة « كنوشتا » المشتقة من « كنش » ومعناها الجمع أو القوم

* كتبت مجلة « الهلال » أن تاريخ الشعر عند العرب قديم لا يعرف أوله ، وكانوا فى جاهليتهم ينظمون ارتجالا على مقتضى الحال وكان الشعر فى أول أمره أبياتا متفرقة أو مقاطيع ثم جعلوا ينظمون القصائد الطويلة وأقدم ما وصل الينا منها أرقارتس للمهلهل بن ربيعة والمرقش الاكبر وأما القصائد الطويلة وأقدم ماوصل الينا منها القصائد السبع المعروفة باسم المعلقات ، والتى سميت بالمذهبات لانها كانت مكتوبة بماء الذهب على نسيج من الكتان الابيض فهى متأخرة عن ذلك

* أمرت الحكومة المصرية رسميا بابطال الرقص من القهوات العمومية • واحتجت الصحف المصرية لان هذه الاوامر لم تنفذ على الاجانب لان احدى الدول التى تنتمى اليها بعض الراقصات رفضت الموافقة على هذا القرار

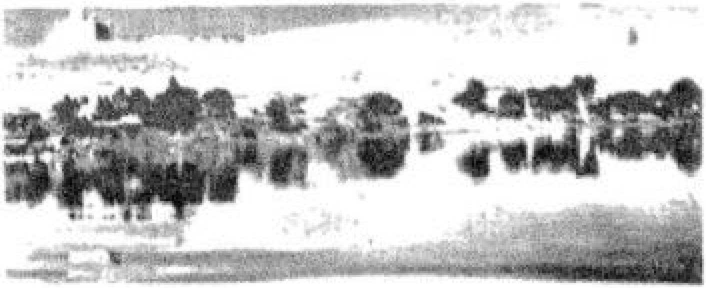
* صدرت بالاسكندرية فى أول أغسطس ١٨٩٤ جريدة « لسان العرب » وهى جريدة يومية سياسية تجارية أدبية



الفن والطبيعة

عبد الرحمن صدقي :

● الفن، والطبيعة شيئان .. لاشيء واحد . فلو كان الفن هو محاكاة الطبيعة لما قام الفن الى جانب الطبيعة .. لانتفاء علة وجوده بحكم الاستغناء بالطبيعة عنه . ولو كان النقل المطابق للاصل هو ماننشد من الفن لكان لنا فى الصور الفوتوغرافية الملونة فى دقة نقلها الحرفى .. ما يغنى عن عن فن التصوير ، وفى صب القوالب على الاصل الطبيعى، مايغنى عن فن التماثيل .!



لعل من المفيد ان نبدا هذا المقال عن « الفن والطبيعة » من البداية ، واعنى بذلك تحديد الفارق بين اللفظين فى المدلول العام ، حتى نأمن من اللبس وشبهة الغموض وخفاء المقصود عند الكلام

وقد يغنى فى تحديد الفارق بين الفن والطبيعة ان نقول باوجز عبارة ان الطبيعة لايقوم وجودها على ارادة الانسان ، وأن الفن بخلاف ذلك تدخل فيه ارادتنا . فالحجر والذهب موجودان فى الطبيعة ، فاذا تحول على يد الانسان الى رحى او آنية فذلك هو الفن النافع ، واذا تحولا الى تمثال أو حلية فذلك هو الفن الجميل

ومن المقررات فى تعاليم الدين وفى نظر العلم ان وجود الطبيعة قد كان قبل أن يكون الانسان ، ذلك الضيف الوافد اخيرا على وجه الارض . ولعله مما يطامن غرورنا نحن بنى الانسان ان نذكر تلك المئات الالوف من السنين التى تكرر فيها شروق الشمس وغروبها فى مشاهدهما الرائعة دون انتظار لظهورنا ، ودون أن تقع عليهما عيوننا . ومثل ذلك يقال عن الجبال الشامخة المتعالية ، والبحار الواسعة المترامية والكواكب المعلقة المتألقة ، والسحب الرائعة الغادية وغير ذلك من مشاهد الطبيعة فقد كان وجودها متقدما عدة ملايين من السنين ، على ظهور جدنا الاول الذى قصت علينا كتب الدين قصة خلقه من ماء وطين

* * *

امام هذه الخليقة العظيمة التى اصطلحنا على تسميتها « الطبيعة » وقف الانسان ذلك المخلوق الطارىء من خلائقها ، موقف المتعجب المعجب . ولما كان الانسان يتميز على سائر الحيوان بالعقل الواعى المبدع ، فقد بدأت تتدخل ارادته فى ان يحاكى عالم الطبيعة بعالم من صنعه هو ، **عالم « الفن »** .

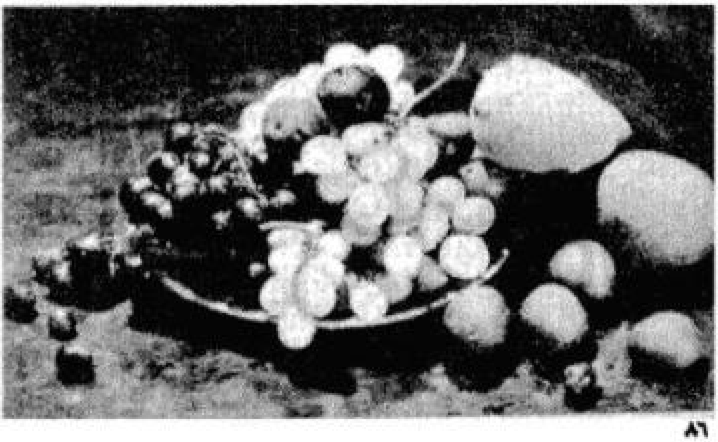
وهذا العالم الفنى ، وان يكن لاحقا للعالم الطبيعى ، الا أن تاريخه يرجع الى ماقبل التاريخ . والعجيب فى الامر اننا ماكنا



لنعرف الانسان البدائي نفسه فيما قبل التاريخ لولا فنه. وذلك ان الشيء الوحيد الذي امكن به الاستدلال على الانسان الاول .. منذ عشرات الالوف من السنين والتعرف على اسلوب حياته وتفكيره انما هو مخلفاته المطمورة التى كشفت عنها حفريات المتخصصين من العلماء المنقبين فى طبقات الارض الجيولوجية . وهذه المخلفات تشتمل على ما ابتدعه الانسان البدائي منذ العصر الحجرى لمنفعته من اسلحة الدفاع والصيد ، ومن آنية الفخار ، وغير ذلك من مبتدعات الفن النافع . وهذا النشاط الصناعى وليد الحاجة ، والحاجة – كمايقول الاقدمون – ام الاختراع

ولكن الانسان حتى فى هذا الطور البدائي لم يكن يصدر نشاطه عن المنفعة وحدها ، فان الكثير مما خلفه من أوانى الفخار وغيرها ، قد تكلف نقشها بمختلف النقوش مع ان هذه النقوش لاتزيد فى منفعتها ، فضلا عما اشتملت عليه مخلفاته من ادوات الزينة والحلى ومختلف الرسوم وهذا الفن – سواء أكان مضافا الى المنفعة ام مستقلا بذاته – يقوم منذ الوف السنين شاهدا على ماانطوت عليه النفس الانسانية فى اصولها الاولى من الشعور بالجمال، وبالابتهاج بما هو جميل،

الفن احساس ، وليس محاكاة



والنزوع الى محاكاته ومحاولة ابتداعه . وهذا الانتاج الفنى يختلف عن سابقه بانه ليس وليد الحاجة ، وانما هو تمثيل للجمال صادر عن حب لما هو جميل . فلا غرو اذا قلنا ان الانسان صناعى بالضرورة ، ولكنه فنان باختياره . ومن هنا يصح ان يوصف الانسان بانه فنان منذ ان كان . ونحن نذكر من الاقوال المعادة ، التى جرت بترديدها العادة ، قولهم ان الانسان يتميز على سائر الحيوان بالعقل . واظن بعد ما قدمناه من تميز الانسان منذ كان بالفن ، انه من الانصاف له ان نضيف هذه الزيادة على ذلك القول المأثور الذى جرت به العادة . فنقول ان الانسان يتميز على سائر الحيوان بالعقل وبالفن بل ان اختصاصه بالفن يكاد يكون هو الاشمل الاعم

***

وننتقل الآن بعد هذه التوطئة الى المحور الحقيقى لموضوعنا وهو العلاقة بين الفن والطبيعة، وندع جانبا بعض ماقد يقوله مصمموا الازياء من ان الطبيعةهى التى تقلد الفن،بدليل ان سيداتنا يغيرن طبيعة قوامهن من حيث السمن والنحول تبعا لما يصوره الفن وتصممه الموضة على انهالمثل الاعلى للجمال النسوى

ندع هذه المداعبة التى لاتخلو من بعض الحق وننتقل الى اقوال اكابر الفلاسفة الاولين.

لقد ردد البعض من اقوال فلاسفة اليونان ـ **افلاطون وارسطو** ـ ان الفن محاكاة ، وان الفنون فى ذلك سواء ، والاختلاف انما يكون فى صورة المحاكاة ، كان تتخذ المحاكاة شكلا من اشكال الفنون التشكيلية كالتصوير ونحت التماثيل او اسلوبا من اساليب الفنون التعبيرية كالدراما التمثيلية والشعر وهم لايستثنون من نظرية المحاكاة فنا من الفنون حتى الموسيقى ، فقد ذهبوا الى ان ما تقوم عليه الموسيقى من الايقاع الموزون المنتظم ، والتوافق المؤتلف المنسجم ، يحاكى من وجهة نظرهم الفلسفى ذلك الاتزان والانسجام الذى تقوم عليه الفضائل الخلقية والنفسية

ونحن فى اشارتنا للسلامة آخذين بأيسر السبل لعرض هذه النظرية القديمة : نظرية محاكاة الفن للطبيعة . وليس امامنا ماهو أيسر من البدء باختيار المثال من فن التصوير

***

ان اشهر ماروواه لنا الرواة الاولون من الامثلة على بلوغ الغاية فى محاكاة الطبيعة ماحكاه كاتبان من اعلام القرن الاول قبل الميلاد وهما « **بلينوس ، وشيشيرون** » من حكاية تلك المباراة التى عقدت فى القرن الخامس قبل الميلاد بين اثنين من اعظم المصورين اليونانيين فى اثينا ، حيث عرض احدهما وهو « **زكسيس** zeuxis



صـورة لعنقود مـن العنب بـلغت الغاية من الاتقـان فى التـلوين والتصـوير حتى انخـدعت بهـا العصافير فانحطت عـلى الصـورة تنقر ذلـك العنب الموهـوم . ولا حاجة بنا الى وصف ما كان من دهشة المحكمين وسائر الحاضرين من مقدرة هذا الرسام العظيم . وانتظروا ماسوف يعرضه الرسام الاخر **باراشيوس** ، ولكنه لم يحرك ساكنا . واخيرا طلبوا اليـه ان يرفع بدوره الستار عن صورته، فكان جوابه ان الصورة هى هذا الذى حسبوه ستارا . ولما كان الفنان الاول انما نجح فى خداع العصافير ، ثم انخدع فيمن انخدعوا بصورة الستارة التى صورها الفنان الثانى ، فمن المنطق أن يكون الحكم لصاحب الستارة بالغلبة على قرينه ، وهـذا هـو الذى كان .

وطبيعى منا نحن ابناء القرن العشرين ، أن نشك فى صحـة هذه الحكاية ، وأن نعـدها من طرائف ما انحدر الينا من اساطير الاولين . وحسبنا فى ذلك أن نقول ان مثل هـذه المحـاكاة للطبيعة مهما بلغت فى دقة النقل من مطابقة للاصل ، فانها لا تخرج عن كونها خداعا للبصر ، وهيهات ان تنخدع بها سائر الحواس

ونحن اذا تأملنا اقرب الفنون الى المحاكاة وهى التصوير ونحت التماثيل ، وجدنا أن محاكاتهـا للطبيعة الى حـد القول بمطابقتها للاصل أمر مستحيل ، فالطبيعة ولو كانت وريقة واحدة من أوراق الشجر ، فيها مالا يحصى من دقائق التفاصيل التى لا سـبيل الى حصرها فى صورة واذا كان التصوير يعجزه أن يحاكى الشمعة فيمـا تشعه من النور ، فكيف يضاهى شمس النهار التى تبهـر بنورها الابصار ؟ واللوحة التى تصور لنا المنظر الطبيعى كالسماء أو البحر مثلا ، كيف يمكن ان يكون لهـا ماللبحر والسماء من الامتـداد الشاسـع ؟ اما التماثيل فقـد ينحتها الفنان فى الحجم الطبيعى للانسان ، ولكنها بعـد ذلك دون التصوير فى استيفاء التلوين كما انه يؤخذ على التماثيل اقتصارها فى تمثيل العيون على تجويفـة المحاجر وشحمة المقلة دون الحدقة التى هى بؤرة النور ، ومـركز التعبير فى الوجه الانسانى ، وبغيرها لاتكون العيون مرآة النفس . كما يقولون واخيرا وليس آخرا ، تعجز المحاكاة سواء فى الصور أو التماثيل عن المعجزة الكبرى ، معجزة الحياة

***

فالفن شىء غير الطبيعة بحـكم امكانياته ، وفى ذلك يقول أحـد المصورين العصريين « بول سيزان PaulCezanne » متهكما بدعاة

الواقعية فى الفن : « **لقد كنت أروم نقل الطبيعة ، فلم أستطع ولكنى تعزيت حين اكتشفت أن الشمس اذا كان فى غير الامكان نقلها ، فانه فى الامكان تمثيلها بشىء آخر ، هو اللون** »

فلا وجه اذن للقول بأن محاكاة الطبيعة غاية الفن ، مادامت هذه الغاية مطلباً فوق المنال ، بل ضربا من المحال

ثم أن الامر فى المحاكاة لايقف عند كونها خارجة عن حد الامكان بل المحاكاة فوق ذلك أمر غير مرغوب فيه . ولندع فى هذه المرة جانب التصوير والنحت لنختار المثال من فن آخر من



فرانشيسكو جويا

فنون المحاكاة وهو التمثيل الدرامى . اننا جميعا من رواد المسرح ، وقد شهدنا ولا شك أكثر من مرة فى المآسى الغرامية ممثلا يؤدى دور العاشق الغيور وقد اشتدت به الغيرة على محبوبته فطعنها طعنة نجلاء بخنجره . فهوت على أثرها فوق المسرح تجود بروحها الطهور وتلفظ النفس الاخير . ونحن هنا — من فرط اعجابنا بالتمثيل — لانتمالك انفسنا من التصفيق والتهليل للقاتل والقتيل . ولكن ، ماذا يكون شأننا لو ان المخرج اراد ان يذهب فى محاكاة الطبيعة الى الواقع الحقيقة فنفذت الطعنة فى قلب الحسناء وسقطت أمامنا مضرجة بالدماء ، أما كنا نصرخ من الهلع ونترك المسرح هاربين مع سائر المتفرجين ، ونحن ننتفض من الرعب ، وقد امتلأت نفوسنا امتعاضا واشمئزازا من الممثلين ، ونقمة على هذا الفن الامين ، نلعنه الى يوم الدين ؟

بل نحن نحس مثل هذا الامتعاض والاشمئزاز ، حتى ولو كان الدم المتدفق شبيها بالدم ، فان الايهام فى مثل هذا المقام كلما اقترب من الحقيقة ، رجحت فى النفوس كفه النفور من الواقع الطبيعى ، على الشعور بالجمال الفنى .

***

وتحضرنى الآن حكاية لبعض الادباء ولعله من الشعراء ، ولا اذكر اذا كان هذا الشاعر انا او غيرى . وتدور الحكاية على ممثلة



جميلــة اعجب الشـاعر كـل الاعجاب بتمثيلهـا دور العاشـــقة فى بعـض الروايات التى شـــهدها . وكانت الممثلة لاتزال شابة غريرة لم تمر بعـد بتجـربة الحب . فلم يكن ثمة شك فى انها فى اليوم الذي تتاح لها فيه تجربة الحب ستفوق نفسها فى تمثيل دور العاشـــقة على المسرح . وسرعان ماجاء هذا اليوم فعلا فاحبت،وكانت التجربة قاسية ، فذهب الشاعر يشهـد تمثيلها على المسرح ، فاذا بهـــا قد بلغت من ملابسة دور العاشقة واندماجها فيه ، ان انعكست الاية فبدت كأنها نسيت دورها وذكرت نفسها فلم يكن ماتؤديه تمثيلا بل حقيقة . فقــد كانت تجهش فى البكاء حقا ويسمع لنحيبهـا ذلك النشيج المتقطع الفاجع ، يهز كيانها وتتقلص منه ملامح وجهها وتنتفخ اجفانها ، وتبرز عروق اوداجها ثم يعلو عويلها وترتعد فرائصـها كالحيوان الجريح . فى هذه المرة لم يستطيع الشاعر الاصطبار حتى نزول الستار ، بل غادر المقصورة من غير انتظار ، وكان اعتذاره للممثلة حين قابلها بعد ايام ، انه انما يغشى المسارح ليشهد جمال المأسـاة فى الفن ، هربا من مآسى الحياة ، وما يشهده من شناعتها فى الطبيعة كل يوم

***

وبديهى ان الفن لو كان هـو محاكاة الطبيعة ، لما قام الفن الى جانب الطبيعة لانتفاء علة وجوده ، بحكم الاستغناء بالطبيعة عنـه . وغير مقبول فى العقل ان نفكر فى النقل ولدينا الاصل . ولاشك ان الواقع من حيث كونه واقعـا اكثر حقيقة من الصورة . ولكننا مع هذه الاعتبارات كلها ما نزال حريصين على اقتناء مايبدعه الفنان من صور الطبيعة ولو كانت هذه الصور ممثلة لزهرة فى حديقتنـا او لمنظر طبيعى حيال نافذتنا ، او غير ذلك مما هو فى الواقع قائم قيد عياننا .

ولقد جاء اختراع آلة التصوير (الفوتوغرافيا) فى القرن التاسع عشر ، ودخل عليها عنصر التلوين ، ومع ذلك لم نستغن بالصور الفوتوغرافية الملونة عما يبدعه الفنانون من لوحات للمناظر نفسها او غيرها . ولو كان النقل المطابق للاصل هو ماننشده من الفن ، لكان لنا فى الصور الفوتوغرافية الملونة فى دقة نقلها الحرفى مايغنى عن فن التصوير ، وفى صب القوالب على الاصل الطبيعى ما يغنى عن فن التماثيل

بيد أن هذين الفنين ـ التصوير ونحت التماثيل ـ ما برحا باقيين ،

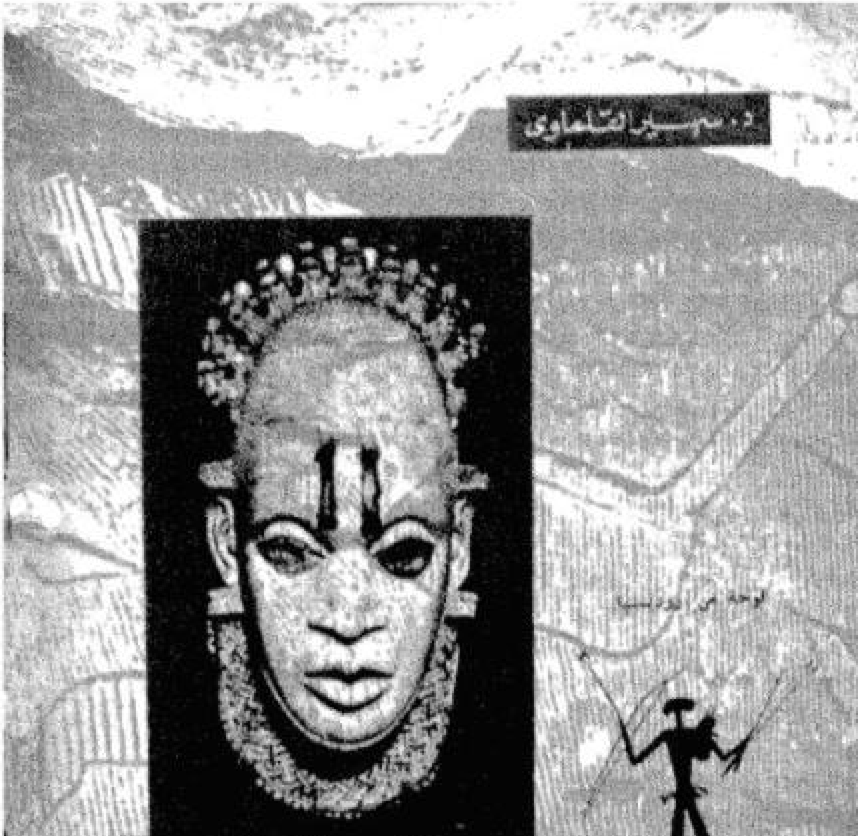
وكذلك سائر الفنون ، لان الفن غير مراد به الى تسجيل الواقع فالاهتمام بالواقع ومعرفة حقيقته شأن العلم . اما الفن فانه يختلف هنا عن العلم بأن شأنه الاعلى هو ارضاء شعورنا بالجمال الفنى ، بما يكلفه لنا من تلك المتعة الفنيـة التى ننشـدها فى الفنـون على اختلافها

***

ونعود بعد ذلك لنقـول انه اذا كانت محاكاة الانسان للطبيعة من فوق مقدور الانسان ، فانه مـن فـوق مقـدوره ايضا ـ من حيث هو انسان حى له ذوقه الخـاص وميوله الخاصـة وليس بالالـة الفـوتوغرافية ـ ان يكون له تفسيره الشخصى للطبيعـة التى حـوله . فالفنان لا يقف من الطبيعـة موقفـا سلبيا ، بل تأبى عليـه شخصيته الا التصرف والتحويل والتعديل فيمـا يحـاكيه ، لان فى محاكاة الطبيعة ما فيه من ارضاء رغبته فى الخلـق ، وتمكينـه من التعبير عن ذاته فى مبتدعات خلقه الفنى

ونحن اذا ذكرنا مبلغ فرحـة الطفل بما يصنعه بيده من الدمى ، ومبلغ اعجابه لهذه المخلوقات التى يرجع اليه فضل وجودها المستقل ، وكيف يجد الطفل فى هذه المخلوقات التى يصنعها جمـالا لا يجـده فى الكائنات الطبيعية التى ينقل عنها . لا لشىء الا أنها مصنوعات صادرة عنه ، وفيها شىء من نفسه ومزاجه وعقله وخياله . . . اذا ذكرنا ذلك ، فاننا لا محالة ندرك انه لا يمكـن ان يتأتى للفنـان بحكم كونه انسـانا ان يحاكى الطبيعة كما هى ، وان ينقل عالمها الخـارجى الـذى حوله دون أن يمزج به عالمـه الداخـلى الذي فى نفسه . ومن ثمـة فـلا مندوحة مـن اختـلاف النـاتج الفنى عن الاصـل الطبيعى واستقلال الفـن عـن الطبيعة


بول سيزان

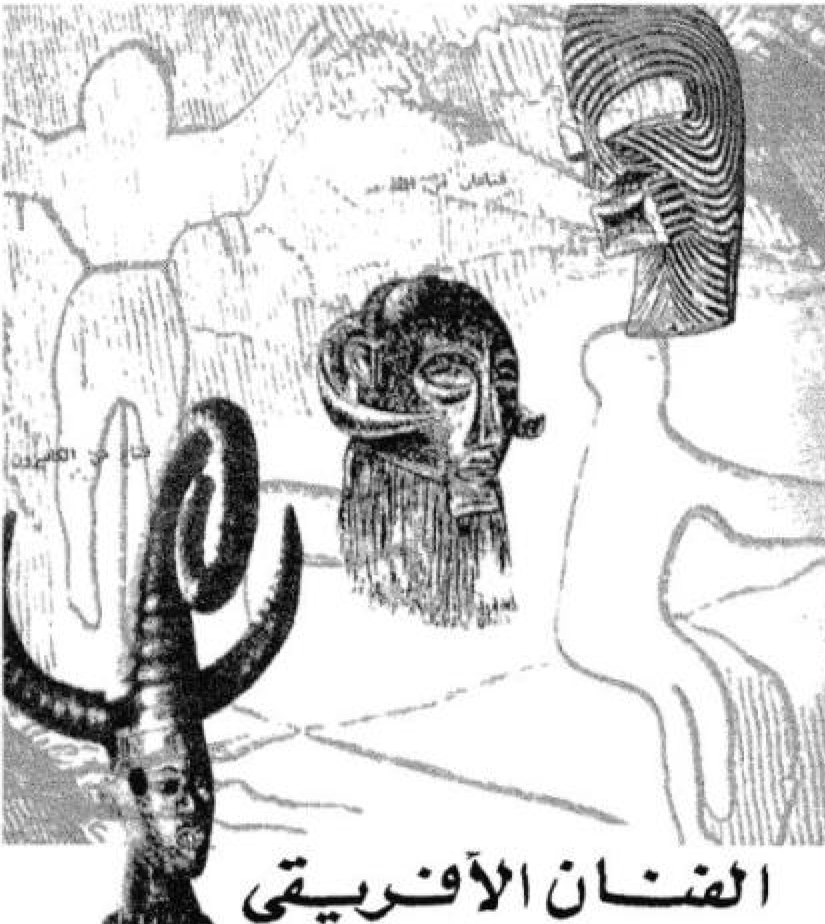


د. سمير التلعاوي

مشكلات

منذ أخذت افريقيا تزيح من سمائها كابوس الاستعمار الرهيب، ومنذ اتسع نطاق الحركات الثورية التحررية فى هذه القارة البكر السوداء والمكتبات تستقبل كل يوم من الكتب والمقالات والابحاث مالم تستقبله من قبل فى عشرات السنين . ذلك ان كل شىء فى محيط الثقافة والسياسة يبشر بفجر قوى لدور افريقيا الحديثة فى الحضارة الانسانية

وبينما يجتمع الغربيون وحدهم او مع نفر من الافريقيين لرسم معالم هذا الدور او درس طاقاته الحالية والمستقبلة ، نرى الافريقيين أنفسهم لا يألون جهدا



الفنان الأفريقى

فى سبيل أن يجتمعوا وحدهم بعيدين عن اى تأثير خارجى ، ليتعرفوا أنفسهم ، وليدرسوا واقعهم وحاضرهم ومستقبلهم وليرسموا هم لأنفسهم الطريق الملائم الحق .. ليصلوا بآمالهم الى تحقيق الاهداف الانسانية الكبرى . أهداف الانسانية حسبما يحسون هم أن هذه الاهداف يجب أن تكون

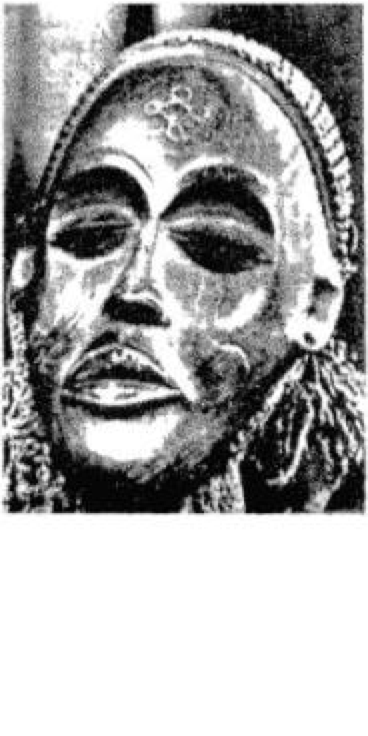
ومن أخصب هذه الاجتماعات الفنية اجتماع الافريقيين مع من هم من أصل افريقى مثل سود امريكا اخر عام ١٩٥٦ فى باريس فى شكل مؤتمر للكتاب والفنانين السود . ذلك ان الافريقيين اكثر

من غيرهم يدركون ان المؤتمرات السياسية وحدها لايمكن ان تغنى بل انها تكون عديمة الجدوى اذا لم تساندها المؤتمرات الثقافية والفنية

وبمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى القاهرة خلال الشهر الماضى اردت ان انقل شيئا من صورة مؤتمر الكتاب والفنانين هذا لنرى ترابط الفن والسياسة حسب المفهوم الافريقى السليم

ان الفن الافريقى كما يقول احد الباحثين الافريقيين فى هذا المؤتمر جزء لا يتجزأ من حياة الافريقى اليومية . بل انه داخل فى تركيب الوجود نفسه . **لذلك لايمكن لدارس أن يعرف شيئا حقا عن حياة الافريقيين دون ان يعرف فنهم ويتذوقه** . وليس هذا بالشىء اليسير الهين ، ذلك ان معالم هذا الفن لايمكن ان تحد ان السواد والوطن الجغرافى « افريقيا » لا يمكن أن يدلا على وحدة فنية . ففى كل جزء ولا اقول بلد « لان الحدود المصطنعة المائعة التى رسمها المستعمرون لا تثير مشاكل سياسية فحسب وانما هى تثير مشاكل عقائدية واجتماعية وفنية فى الوقت نفسه » ان كل جزء له مميزاته ولغته وتراثه الفنى والثقافى . وليس من السهل ان تقول ، دون دراسات تفصيلية ، بما يمتاز هذا أو ذاك ؛ فكيف بنا اذ نقول ان الفن الافريقى كله يمتاز بكذا . كم من المؤثرات تضافرت لتجعل من الفن الافريقى وحدات مختلفة بعضها عن بعض . ومع هذا نجد العلماء والنقاد الفنيين يكتبون الكتب عن الفن الافريقى ، والاصح أن يحددوا بدقة اى جزء من افريقيا يتحدثون عن فنه ان الفن فى شمال نيجيريا يختلف عن فن جنوبها بأكثر مما يختلف الفن الايطالى عن الفن الاسبانى . وهكذا فى شمال السودان وجنوبها فكيف بالفن فى الساحل الغربى والفن فى الجنوب. ان هذه الحقيقة يجب أن توضع فى الاعتبار

ولقد تأثر الفن بالاستعمار وما يزال يعانى هذه التأثرات ، ولكن الاستعمار الفرنسى غير الاستعمار الانجليزى .. وكلاهما غير البرتغالى وهكذا



قناع من اوغندة





اقنعة افريقية



يجى ان نذكر ان الفرنسيين المستعمرين كونوا هم الطبقة الوسطى فى مدن مستعمراتهم واهتموا اهتماما خاصا بنشر فنهم وثقافتهم .. بينما الانجليز تركوا الزراع الوطنيين يتطورون هم انفسهم الى طبقة المدن الوسطى ، بينما استقلوا هم بالتجارة الكبيرة والوظائف السياسية العليا ولم يهتموا بنشر ثقافتهم قدرمااهتموا بترويج تبادلهم التجارى العنيف، يكفى هذا مثلا لندرك مدى أختلاف مايترتب عن هذا الوضع من مؤتمرات فى الفن القومى وتطوره نحو الحديث

* * *

وانه لن أفدح الخطأ كما يؤكد أحد المؤتمرين وهو فنان من نيجيريا اسمه « **بن انونوو** » ان نظن أن الفن يمكن أن يكون بمعزل

فتاة لفنان سوداني



عن السياسة . واذا كنا نحاول أن نصدق شيئا من هذا فى البلاد التى استقرت سياسيا لزمان طويل فانه من العبث أن نحاول ذلك فى البلاد التى مازالت السياسة فيها تشكل ضغوطا اجتماعية وعقائدية وسياسية لا سبيل الى الفكاك منها

وحين يبسط هذا الفنان مشاكل الفنان فى نيجيريا ـ لانه نيجيرى ويرجع لبابها الى الوضع السياسى ـ نحس انه انما يتحدث عن مشاكل كل بلد ضغط عليه الاستعمار، حتى كاد يخنق شخصيته بخفق فنه

* * *

والمشكلة الاولى بالبحث فى صدد الفن والسياسة ـ كما يقول الفنان النيجيرى ـ ليست ماذا يفعل أو يمكن أن يفعل الفن فى السياسة ؟! وانما هى ماذا أثرت السياسة به فى الفن وكيف يمكن ان نحرر الفن من هذه الاثار الاستعمارية السيئة التى طعنت الفن الافريقى فى الصميم ؟!

ان المجتمع فى البلاد المتحررة حديثا مايزال ينقسم الى مجتمع مضطرب ومجتمع ريفى يخضع لتغيرات ضئيلة بطيئة له فنه الذى يعيش عليه ولكنه فن متخلف من جملة نواح .. وان ظل يحتفظ بحيوية العفوية وقوة البساطة وحرارة المشاركة الجماعية . وعلى ذلك فان فنانى القرى مايزالون يرقصون وينقشون ويرسمون ويتغنون كما كان اجدادهم يفعلون فى جو ساذج ولكنه حى ونقى ومتداخل تداخلا عضويا فى سائر النشاط اليومى

ولكن من هؤلاء كثرة جلبتهم المدن وشدتهم اليها وهناك وجدوا السياح واموالهم وشغفهم بالبدعة الجديدة « بدعة اقتناء نماذج من الفن الافريقى » فخضع فن هؤلاء بسرعة وأمام ثقل الضغط المالى الى تاثيرات يمكن ان توصف بانها تجارية أو خاضعة للذوق اجنبى، فالفنان هنا يريد ان يبيع فنه



لوحة من مالي

فهو يتعجل ويختصر عمله حرصا على الكسب وهو يريد أن يعجب فهو يخاطب ذوق السائح وذوقه على كل حال غريب وهو فى أكثر الاحيان اقرب الى الانحطاط منه الى الرقى

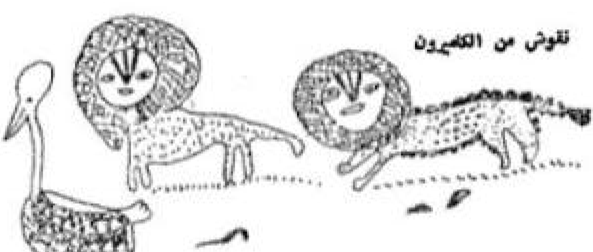
ولكن الكسب يمكن الفنان من استعمال بعض المواد الانفس وربما بعض الآلات الادق . وقد كان يمكن أن يكون هذا وحده مرقيا لفنه اولا ضغط السرعة واشباع الذوق الغريب المنحط الذى ينفرد تقريبا بالتأثير فى مثل هذه الأحوال

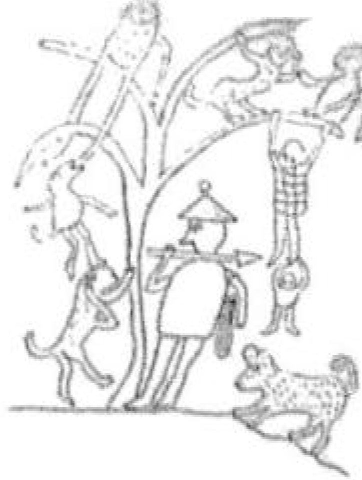
أما المشكلة الاساسية الكبرى والاخطر بلا شك فهى مشكلة الفنان الذى يتعلم علما غربيا ويتثقف ثقافة غربية وبدل ان يتسلح بهما فى معركة اثبات شخصيته نجده فى أكثر الاحيان اضعف من أن يخوض المعركة أصلا

ان احتكاك الفن الافريقى بالفن الغربى يكشف عن مأساة حقه . والفنان المثقف ثقافة غربية مكلف بأن يحيل هذه المأساة الى مسرحية متفائلة سعيدة النهاية . انه مكلف باثبات وجوده فى قوة وهذا يشده الى الواقع بل الى ماضى فنه وفى الوقت نفسه هو مكلف بأن يعبر فجوة التخلف بسرعة بواسطة التقنية الغربية دون ان يفقد المضمون الافريقى الحق . وبعبارة أخرى تسأل انفسنا الى أى حد يستطيع ان يستعير الفنان الافريقى المنهج والتقنية فى الفن حسبما وصلت اليه أرقى مدارس الغرب دون أن يؤثر ذلك فى مضمونه الافريقى الاصيل

وبينما يخوض الفنان الافريقى هذه المعركة ببسالة واصالة تنهال عليه عوامل قاسية قاتلة . وفى الوقت الذى يؤدى الفن الافريقى دوره الجميل الكريم فى الفن

نقوش من الكاميرون





لوحة لفنان سنغالي

الاوربي نجد الفن الاوربي يجحد
هذا الجميل ويرد الاحســـــان
بالعقوق

* * *

لقد أدخـــل الفن الافريقي في
فنون اوربا وامريكا منابع متدفقة
من الحيوية والجدة والاصــالة
كانت لها أروع الآثار في احيـــاء
هذا الفن وتطوره الصحي السليم
فمـاذا فعل الفن الاوربي بالفن
الافريقي ؟ . فلننظر اثر السياسة
في ذلك ! .

لقد حمل المستعمر ـ بحـــكم
نفوذه وقوته ـ ارقى نمـاذج الفن
الافريقي واروعها الى متاحفـــه
ومعارضه فأدى ذلك الى ان يتأثر
فنهم بخير الآثار واروعها وقد سر
الافريقيون بذلك واثبتوا شخصيتهم
الفنية دوليا . فماذا كان الرد ؟
الرد هو ارسال أردأ نمـــاذج
الفن الاوربي وأرخصها واسخفها
لتملأ بها متاحف الفن في مـــدن
افريقيا الكبرى .. لان الافريقيين
لا يستحقون اكثر من ذلك ولا يمكن
ان يتذوقوا أرقى من ذلك . وهكذا
رسمت السياســـة في عالم الفن
حدودا واحكاما جائرة جاحــدة
دون ريب ولكن الاهم من جورها
وجحودها انها خاطئة فنيا خطأ
لا يغتفر . لانها جعلت لقيم الفن
المستعمر الحق في الحكم على
قيم الفن والفنان الأصلي الذي
استعمرت بلاده

كذلك زحف على افريقيا فريق
من علماء الانثروبولوجيا الاوربيون .
درسوا وتعمقوا في الدرس وعرفوا
الكثير عن الارض والناس والعادات
والتقاليد فاذا هذه الطائفــة من
العلماء هي التي تخرج منها دائما
الحكام على الفن الافريقي . ومع
احترامنا لعلم الانثروبولوجيــا
وعلمائها فاننا نؤكد ان الفن لا يدخل
في نطاق هذا العلم . وهذه الطبقة
هي التي حجبت الناقد الافريقي
الفني الحق ولم تأت عوضا عنـــه
بناقد فني فيهون الخطب وانمـــا
أتت بدلا منه بعـــالم في علم قد





نقوش قديمة وجدت في صحراء الجزائر في القرن ١٩.

يتصل بالفن ولكنه ليس الفن . وافتر هؤلاء العلماء بأنفسهم وأصدروا من علياء منصاتهم العلمية أحكاما ليست جاحدة أو جائرة فحسب ولكنها مرة أخرى خاطئة كل الخطأ

* * *

ولقد خلق هذا الوضع مشكلات عدة للفنان الافريقي لم يتركه المستعمر يجتر علقمها ومرها وحده وانما راح يزعجه بمزيد من ذلك فاذا علماء غربيون لم يتخصصوا في الفن هم اللذين يحاضرون البيض والسود عن الفن الافريقي بل انك لو ذهبت الى أى جناح افريقي في أى متحف في الغرب لاتجد الا ابيض جاهلا هو الذى يشرح لك روائع هذه التحف الفنية . فأى عذاب يخوض الافريقي وهو يرى فنه يمسخ على يد العلماء والمحاضرين وادلاء المتاحف دون أن يكون قادرا « بسبب السياسة » أن يتولى هو مهمة تقديم فنه القومي كما يجب أن يقدم او تعريف فنه ، الذى يتداخل في وجوده تداخلا ، كما يجب أن يعرف

* * *

وانظروا معنا الى المسابقات الفنية التي تعقد في مناسبات مختلفة في نيجيريا مثلا . طابع بريد تفتح المسابقة في رسمه للاجانب وحدهم . نعم وحدهم . وبجبروت السياسة . تمثال في ميدان يرمز الى الكفاح القومي يصممه أجنبي . بل تمثال لرب من أرباب الوثنيين الافريقيين طالما صوروه يصنعه مثال أوربي ليزرع في أكبر ميادين العاصمة .

اما مسابقات الاعياد الفنيـــة فالمحكمون فيهــا من أوربا واذا اشركوا وطنيا فانما هم يشركون الوطنى الذى ذل فطلب ذلك أو سعى اليه

وهنا ايضا أثر مدهش من آثار السياسة ، فالمستعمرون أو فلولهم لايشجعون الفنان الحق لان الفنان الحق لايتصل بالسلطان مهمــا يكن . فوق ان هــذه السلطات لاتفهم عادة شيئا فى الفــن . واذا الذين يتصدرون من الفنانين هــم هذه الطبقة الانتهازية الذليلة من الفنانين الوطنيين . وليت عيبهم عيب خلقى فحسب . اذن لهان الامر . ولكن فنهم بلا شــك لم يصل الى مرتبة من الجدارة تفرض احترامها ، ومن أجل ذلك هــم يستجدون الرواج لفنهم الهزيل . ويسود هذا الفن الهزيل فى المجتمع ويسيطر على اذواق الناشئــة . والنتيجة الطبيعية تدهور وتدهور يؤدى الى فراغ ما اسرع مايهرع الفن الغربى الردىء الى ان يملأه . وهكذا يستعمر الفن الردىء الفن الاصيل ، كما يستعمر الساسة غير الانسانيين الوطنيين الاصليين الانسانيين حقا

* * *

والاخطر ايضا ان الفن الغــربى والموازين الغربيّة التى يطبقونهــا فى احكامهم وتصرفاتهم نحو الفن والفنانين يدافعون عنها بأنهــا فن انسانى وموازين أو قيم انسانيــة عامة لا فرق فيهــا بين افريقى وغربى او بين اســـود وأبيض . والافارقة لاينكرون اتجاه الفــن نحو الفن الانسانى الهام بل انهم يتطلعون بشغف الى اداء دورهم الاصيل فى هذا الزحف المقدس نحو فن انســانى عام كامل . ولكن بشرط الا ينفرد الغربيون برسم معالم هذا الفن الانسانى وحدوده وحدهم . ما الفن الانسانى ؟ وما قيمه العامة ؟ دعوا الانسانية كلها تشارك فى تعريفه وفى رسم معالمه اليس اثرا من اثار الاستعمــــار الدولى أن ينفرد الغرب برسم هذا الفن الانسانى حسب قيم فنهــم هم وحدهم . اليس هذا شبيهــا بانفرادهم فى رسم النظم السياسية وتعريف الديموقراطية والحــرية وغير ذلك من أمور السياسة دون مراعاة ان لكل وطن الحق فى ان يرسم لهذه النظم والمعانى معـالم حسب طبيعته وفهمه بل حسب تراثه ومعتقداته الدينية المتوارثة



قناع من كيلاني



لوحة لفنان من اليوبيا



وسيلة الاتصال القديمة فى افريقيا

اما اهم مشكلات الفنان الافريقى بلا جدال واعسرها حـلا فهى مشكلة محلية . والباحثـون فى هذا المؤتمر يثيرون هذه المشكلة دون أن يقفوا عندها وان اشاروا الى ضخامتها وعسرها . ولـكن المتأمل فى هذه المشكلة المحلية يرى انها جديرة بمؤتمر كامل متخصص لهـا . ذلك أن التخلص من اثار الاستعمار والسياسة الضاغطة ومعركة افناء الشخصية يحتاج الى معركة طويلة مريرة ولكنها معركة واضحة المعالم مقنعة الاهداف عادلة المطلب . امامشكلة الفنان مع الساسة من قدمه أثناء معركة التحرير أو حتى بعدها فهى التى تحتاج الى معركة اعنف واطول . انها معركة تتداخل فيها عوامل ومؤثرات كثيرا ماتطمس معالمها وتحيطها بالشك وبالغموض وبماهو اخطر من الشك والغموض بالخطأ الجذرى فى تصوير حقيقتها . ذلك ان الساسة القوميين اثناء معركة التحرر وحتى بعدها قلما يدركون الادراك الكافى بله الصادق العميق تلك الحقيقة : وهى ان الانسان لايمكن ان يتحرر سياسيا اذا لم يتحرر فنيا وقد



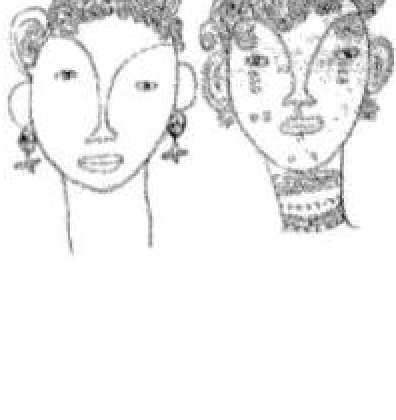
قناع لفنان من روديسيا

يتولى الاعتقاد الديني السامي في بعض الظروف مهمة التحرر الفني ولكن الحرية السياسية دون حرية فنية أو روحية انما هي حرية عرجاء شوهاء

* * *

ان بلدا لايمكن ان يرقى سياسيا ولاحتى اقتصاديا اذا لم يرق فنه. ولكن ماهي حرية الفن وماهي حرية الفنان . منذا الذي يرسم حدودها ويضع لها معالمها . قوم يقولون الفنانون وقوم يقولون الساسة والحق أن الساسة والفنانون لايمكن أن يفترقوا في هذا . انهم قبل كل شيء مواطنون ومتذوقون للفن ومنشئون له وان لم يستطع كل منهم ان يصل الى مرتبة الابتكار الجديد أو الخلق الفني . كل منا في داخله فنان والفنان الحق من استطاع التعبير عما نحسه جميعا وعما يعتلج في صدورنا جميعا ولا نستطيع ان نعبر عنه

واليوم الذي نستطيع فيه أن نجعل لقاء الساسة والفنانين لقاء صحيا مثمرا ويوم يدرك الجميع ان الحرية السياسية لايمكن ان تتحقق الا اذا حررت لقمة العيش وحررت لقمة الفن ايضا ـ فليس بالخبز وحده يحيا الانسان يوم يدرك الجميع ذلك « وما أعسر الوصول الى هذا اليوم » يمكن ان تحل هذه المشكلة . انها مشكلة عسيرة ولكن المعارك العسيرة وحدها هي المعارك التي تستحق شرف ان يخوضها الانسان





الثقافة والإرشاد القومي ...
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
تقدم ..
روائع المسرح العالمي
٥٢
بيرجنت
تصدر يوم
٤
أغسطس
١٩٦٤
الثمن ٥ قروش
تطلب من : المكتبة القومية
٥ ميدان عرابي القاهرة ت ٤٦٣٨٣
ومن باعة الصحف

د. عبد العزيز نوار

بين العراق

يطلق مؤرخو التاريخ العربي الحديث على القرن التاسع عشر قرن الحركة . فخلال ذلك القرن نمت روح الكراهية للحكم العثماني المستبد ، وتطلع العرب الى يوم يخلصون فيه ارضهم من سيطرة الاجنبي ، أو على الاقل أن يكون لهم الكلمة الحاسمة فيمن يتولى امورهم . وكانت هذه الحركة رد فعل للتدهور العام الذي اصاب البلاد العربية خلال الحكم العثماني والاستبداد الذي كانوا يفرضونه، وقد سجن

كان قائد هذه الحركة فارسا عربيا وجيهة يخفق بالشهامة العربية، وقلبه ينبض دما عربيا اصيلا ، ونفسه عالية ، تأبى الخضوع لحاكم غير عربي . كان اسم الفارس « شفوق »



ومصر في القرن ١٩

التاريخ حركات قومية فى العراق، تهدف الى القضاء على استبداد آل عثمان ، والتخلص من اعمالهم . وضمن الحركات الوطنية التى قامت تلك الحركة التى كان مقرها الجزيرة فى شمال العراق . وكان قائدها فارس عربي وجهه ينطق بالشهامة العربية ، وقلبه ينبض دما عربيا اصيلا ، ونفسه عالية تأبى الخضوع لحاكم غير عربى ، هو **صفوق** الذى تولى مشيخة عشائر **شمر الجربا** خلال القرن التاسع عشر الميلادى . وكانت تلك العشائر اكبر قوة عربية فى العراق وكانت ذات نفوذ واسع

نشأ **صفوق** في بيت الرئاسة الذى يخرج منه شيوخ شمر . وفى خيام شيوخ شمر تدرب منذ صباه على أساليب الحكم وتدبير الثورات ضد الحكومة ووضع خطط الغزوات ضد الاعداء . وكانت العشائر المعادية لشمر كثيرة فضلا عن عداء الحكومة لها . وهو عداء لا يفتر . لما كانت عليه شمر الجربا من كثرة ومن مهارة فى ميادين القتال ولما عرف عن شيوخها من صبر على الكفاح . ولذلك كانت الحكومة العثمانية تعمل دائما على كسر شوكتها ، فكانت تؤلب عليها من وقت لآخر عشائر عنزة الكبيرة وتدور بينهما المعارك، وكانهما

الحاميات العثمانية : كانت اداة الاستبداد العثمانى



عدوان لدودان لا جنس يجمعهما ولا عروبة وفى خضم هذا الصراع الرهيب كشف العرب لعبة الاجنبى ونسى شيوخ شمر كما نسى شيوخ عنزه العداوة بينهما .. وسلما بان العدو الحقيقى لهما هو الحكم العثمانى وهو المسئول عما اصاب العراق من تخلف وجمود طوال القرون الاربعة السابقة . لقد كان العثمانيون يرمون هذه العشيرة بتلك ، كما كانت ترمى العرب بالكرد والكرد بالعرب حتى تظل صاحبة اليد العليا فى البلاد

* * *

فى هذه البيئة وتلك الظروف عاش صفوق وشب على كرهه للعثمانيين وقرر العمل على تحرير البلاد منهم .. بل والدفاع عن عروبة العراق ضد المعتدين

وقد حدث أن غزا الايرانيون العراق طمعا فى خيراته وفى عتباته المقدسة « النجف وكربلاء » .. وخلال المعارك الاولى لم تصمد الحاميات العثمانية فى العراق امام قوات الشاه وتراجعت الى داخل بغداد واحتمت وراء أسوارها .

وزاد الطين بلة تقاعس السلطان العثمانى عن ارسال الامدادات لانقاذ العراق من الخطر الفارسى . ولم يبق فى الميدان سوى عشائر شمر الجربا . التى صمدت تحت قيادة « صفوق » وقامت فى المعركة بدور بطولى كان له اكبر الاثر فى طرد الفرس من أرض العراق

وقد كانت لهذه الحرب الفارسية العراقية آثارها . فقد اكتسب **صفوق** الكثير من الخبرات السياسية فضلا عن الخبرات العسكرية . وايقن ان العرب الذين تحملوا أعباء الدفاع عن بلادهم هم أصحاب الحق فى حكمها . واخذ يتطلع الى اليوم الذى ينتفض فيه أهل العراق انتفاضة عربية ليصبحوا حكامه واصحاب الامر والنهى فى شئونه

ورأى « **صفوق** » أن الفرصة قاب قوسين ، أو أدنى من التحقيق عندما اهتز العرش العثمانى تحت وطأة انتصارات القوات المصرية فى الشام والاناضول « ١٨٣١ — ١٨٣٢ » .. فلقد رأى العرب — أن الصراع بين مصر والدولة العثمانية ثورة من جانب الرعية ضد الاستبداد التركى . وردد الشعب فى القطرين الفكرة العربية عن ايمان .. حيث أن دافعهم الى ذلك هو التعاطف الطبيعى بين الاخوة الذين طال فراقهم وتباعدهم

فلم تكد أنباء الانتصارات المصرية فى الشام تصل العراق حتى هبت الثورات هناك ضد الحكم العثمانى . وكان **صفوق** على رأس الثوار الذين وضعوا أنفسهم فى خدمة وحدة العراق مع مصر والشام . وكتب **صفوق** الى القيادة المصرية فى الشام معلنا انضمامه اليها . فوعدوه بالتأييد وبدأ صفوق نشاطه أولا فى الموصل تحررها من الحكم



« صفوق » الثائر : الذي خذله محمد علي !

العثماني لم زحف صوب بغداد التي أعلنت الثورة على العثمانيين وأعلنت انضمامها الى مصر

ادى هذا النشاط الضخم من جانب **صفوق** ، ومن جانب عرب العراق الى اشتداد مخاوف السلطات البريطانية افضلا عن تزايد مخاوف العثمانيين من قيام وحدة عربية تقضي على الاستبداد العثماني وتقضي على المطامع الاستعمارية البريطانية في الشرق الاوسط . فتعاونت السلطات العثمانية مع السلطات البريطانية في القضاء على هذه الحركة فقام الانجليز بضغط دبلوماسي متواصل على **محمد علي** ـ والي مصر ـ حتى أرغموه على عدم التدخل في أمور العراق ومنع اية مساعدة الى الثوار العراقيين

لقد كانت الحركة العربية في حاجة الى قائد مؤمن بها يلبي نداءاتها في مختلف البقاع . ولكن محمد علي كان ينظر ـ تحت قدميه في مصر والشام فقط . فقد كف يد القيادة المصرية في الشام عن مد المساعدة لثوار العراق خاذلا بذلك الحركة العربية الكامنة في نفوس اهل مصر وأهل العراق ـ لقد كان **محمد علي** مستعدا لان يضحي باي بلد عربي في سبيل ارضاء الانجليز لعلهم يعينونه على تثبيت حق اسرته في وراثة الحكم في مصر . وهكذا خذل محمد



محمد على .. الوالى الطموح .. !

على يد مصر المفقودة الى العراق . وبذلك وجد صفوق انه قد خذل ، وانه طعن من الخلف واصبح موقفه حرجا . وكان ذلك فرصة انتهزتها السلطات العثمانية فعملت على التخلص منه

ونظرا لان صفوق كان ماهرا فى قتال اعدائه وتدويخ قوات خصومه لجأت السلطات العثمانية الى الخديعة للوقيعة به . فارسلت اليه بعثة ادعت انها تسعى الى تصفية ما بينه وبين الحكومة . وظلوا وراء صفوق حتى امن لهم وذهب معهم

وبدلا من ان يستقبلوه الاستقبال اللائق بشيخ عربي جليل ، القى القبض عليه ونفى الى الاستانة

وهناك القوا على مسامعه ان السلطان العثمانى هو حامى ذمار المسلمين وان الخروج عليه خروج على الدين . وكان صفوق مستعدا نفسيا لقبول هذه الاقوال نتيجة لتقاعس محمد على عن مساعدته خلال ثورته تلك . ومال صفوق الى العثمانيين ووعدهم بانه سيخوض الحرب القادمة الى جانبهم ضد مصر . وعلى هذا الاساس اطلق العثمانيون سراحه

وعندما وقعت الحرب بين مصر والدولة العثمانية وفى صفوق بوعده ووقف بجانب العثمانيين ولكن هؤلاء لم يستطيعوا الثبات أمام القوات المصرية فى موقعة نصيبين ١٨٣٩م واصيبوا بهزيمة شديدة . واصبح العراق مرة اخرى مفتوحا امام المصريين . ولكن محمد على بسبب الضعف البريطانى ، دفع ثمن خوفه ، فقد جمعت بريطانيا الدول الاوربية الكبرى ، وأرغمته بالسياسة والحرب على أن ينسحب من الشام ومن شبه الجزيرة العربية . وفشلت بذلك المحاولة الاولى لقيام وحدة عربية

كانت تجربة صفوق مع العثمانيين هى الاخرى قاسية . لقد تبين له ان السلطان العثمانى أضعف من ان يحمى عرشه الا بمساعدة الدول الاوروبية التى تضمر للشرق شرا . كذلك كره التعاون مع حكومة مصر لان على رأسها حاكم تركى لا يؤمن بحق العرب فى أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم . وقرر ان يستمر فى كفاحه ضد السلطات العثمانية فى العراق . ماذا يلى الى الثورات الاخرى التى تنشب فى العراق ضد الترك . ومن هذه الثورات ثورة تزعمها بدرخان أحد الامراء الاكراد . فتعاون معه صفوق ضاربا بذلك مثلا رائعا من امثلة التعاون الكردى العربى ضد الاستبداد العثمانى . ولما كان الانجليز يعتقدون وقتئذ ان بقاء البلاد العربية تحت السيطرة العثمانية فى مصلحتهم فقد تعاونوا مع العثمانيين ضد الثورات العربية والكردية . واستطاع الانجليز بسلاحهم والعثمانيون بقوتهم العسكرية ان يقبضوا على بدرخان

اما صفوق فقد استمر فى كفاحه ضد العثمانيين



فرسان وفروسية !

على أنه في هذا الطور الجديد من حياته فقد القدرة على العمل من أجل تحرير العراق بأسره من الحكم العثماني ، واقتصر على العمل على المحافظة على عشائر شمر بعيدة عن متناول أيدي الحكومة حتى تظل محتفظة بحروبتها وأصالتها . ولما عجز العثمانيون عن القضاء على هذا الفارس العربي العنيد لجأوا مرة أخرى إلى الخديعة فاتصلوا بأحد شيوخ شمر المنافسين **لصفوق** وأغروه باسناد المشيخة اليه اذا ما تغلب عليه . فوقعت الفتنة في عشائر شمر وطفقت تحارب بعضها بعضا حتى أرهقت سنكا ، وأعياها الانقسام والنضال . وكانت أحوال صفوق بالذات في انتكاس مستمر بسبب طول سنوات الكفاح

ولما رأى العثمانيون ان فرصتهم قد واتت للتخلص من **صفوق** . أخطروه بأنهم مستعدون لنسيان الماضي وطلبوا منه ان يضع يده في يدهم . بل أكدوا له أيضا أنهم على استعداد لمساعدته عسكريا ضد منافسه

وكان **صفوق** يبحث عن أية مساعدة خارجية تنقذه من المأزق الذي وقع فيه بسبب تفكك عشائر شمر الجربا . ووافق **صفوق** على ان يرسل اليه العثمانيون عدة كتائب من الجيش . وعندما وصلت هذه القوة العثمانية الى مضارب خيام **صفوق** تباحث الزعيم العربي مع قائد تلك القوة في الخطة التي ستتفذ يوم المعركة . واتفقا على أن يتولى **فرحان بن صفوق** قيادة أبيه والقيام بالهجوم أولا ثم تتبعه القوات العثمانية على مقربة من خيام صفوق في انتظار اللحظة الحاسمة لدخول المعركة .

وبينما كان **فرحان** يهاجم بكل قوات شمر أصدر القائد العثماني أمره الى جنوده بالاستعداد لدخول المعركة . وبدلا من ان يشير بسيفه الى ميدان المعركة الحقيقي أشار بسيفه الى خيمة صفوق . فانقضت القوة العثمانية عليها وقبضوا على **صفوق** وفصلوا رأسه عن جسده وأخذوها معهم الى بغداد وطافوا بها في المدينة ثم طافوا بها في الاستانة

وكان العثمانيون يعتقدون أنهم بذلك قد تخلصوا من ثائر عنيد . ولكنهم في الحقيقة بخيانتهم وبتشهيرهم الوحشي بذلك الزعيم العربي أثاروا في نفس العرب روح التخلص من الحكم العثماني . ولا يكاد يمضي وقت طويل حتى حمل ابنه **عبد الكريم** راية العصيان ضد العثمانيين . ولثورة **عبدالكريم وإعدامه** عشمة ضد العثمانيين قصة تضحية تشرف تاريخ الكفاح العربي كما شرفها من قبل **صفوق الفارس الجربا**

د. راشد البراوى :



لم ينس جولد ووتر الدعاية لنفسه .. حتى على نظارته !!

أمريكا

بين اليمين .. وأقصى اليمين

ان النجاح الذى احرزه المستر جولد ووتر حتى الان ، لا يمكن النظر اليه على انه ظاهرة شاذة طارئة تولدت من اعتبارات مفاجئة او ظروف لم تكن فى الحسبان ، خاصة وان الرجل صريح لايخفى معتقداته ولا يغلفها فى ثوب جذاب آخر ، فهو ضد منح الحقوق المدنية للزنوج وكان من بين الذين صوتوا ضد القانون الاخير، ويستنكر وجود المؤسسات الضخمة التى هى ثمرة التكنولوجية الحديثة ، ويعتبر المعسكر الشيوعى شرا لابد من اجتثاثه حتى انه صرح بانه لم يكن من المؤيدين لقيـام علاقات دبلوماسية بين بلاده والاتحاد السوفييتى

ويؤمن جولدووتر بان القوة ـ والقوة النووية بالذات ـ فيها الحل الامثل للمشكلات التى تواجه الولايات المتحدة فى كوبا او جنوب شرقى آسيا او الصين الشعبية ، ويدعو الى انتهاج سياسة دولية تقوم على العزلة والابتعاد عن الارتباطات الدولية من قبيل حلف شمال الاطلنطى ويطالب بان يظل لبلاده التفوق العسكرى وبخاصة فى الميدان النووى ، بغض النظر عما يؤدى اليه الامر من سباق خطير فى التسلح

فاذا اضفنا الى هذا ما حصل عليه من تأييد فى المؤتمرات الاولية بالولايات الشمالية ، رجل معروف بافكاره العنصرية مثل **الحاكم والاس** ، وذكرنا فى الوقت نفسه ان الجناح المعتدل فى الحزب الجمهورى استطاع ان يتكتل فى عام ١٩٥٢ وراء الجنرال **دوايت ايزنهاور** ليحول دون ترشيح **روبرت تافت** بسبب نزعته المحافظة

واذا استرجعنا حادثا قريب العهد منا وهو اغتيال الرئيس السابق جون كنيدى بسبب فلسفته الليبرالية بصدد الكثير من مسائل السياستين الداخلية والخارجية ـ اذا اخذنا هذه الظاهر جميعا فى الاعتبار ووضعناها فى ابعادها الصحيحة ، امكن القول فى غير تردد ان الولايات المتحدة تشهد فى السنوات الحديثة ثورة فى اتجاه اليمين المتطرف وان نسبة كبيرة من الامريكيين فتتجاوز ربع عدد البيض منهم تسير تحت لواء هذه الثورة .. عن فهم ووعى

وربما يكون عدد من ايدوا المستر جولدووتر لا يرحبون به وكانوا يفضلون ان يمنحوا تأييدهم لشخص آخر تكون له فرصة اوفر للفوز بمقعد رئاسة الجمهورية ، ولكن الامر الذى لا يرقى اليه الريب هو ان موجة محافظة رجعية تجتاح قطاعا ليس بالصغير من الرأى العام الامريكى ، وهذه الموجة ليست وليدة الساعة وانما ترتد الى تيارات تحتية قوية

مشكلة الملونين

ولعل فى مقدمة الاسباب الكامنة وراء ازدياد حدة التيار المحافظ الرجعى الذى ينفر من التجديد والتغيير مهما بدت قوة الضرورات الدافعة اليهما ، مابدا فى السنوات الحديثة من ادراك بعض قادة الامريكيين البعيدى النظر .. ان التطور التاريخى يجعل من المستحيل مواصلة السير على سياسة تجعل من عشرين مليونا من ابناء البلاد مواطنين من الدرجة الثانية ، لا لسبب سوى اختلاف لون جلودهم ، اذ لا يمكن فى الواقع وبعد انقضاء مثل هذا الوقت الطويل على وجود الزنوج الى القارة ، ان يقال ان هؤلاء يشكلون جنسا قائما بذاته وليس له اتصال بالبيئة الامريكية. ومن هنا كانت الحركة الطويلة التى تمثلت فى قرارات المحكمة العليا ، وتدخل الحكومة الاتحادية ، واخيرا قانون الحقوق المدنية

هذا الاتجاه نحو القضاء على التفرقة العنصرية سرعان ما اصطدم بالمقاومة العنيفة ليس فى الولايات الجنوبية فحسب وهى معقل التفرقة ، بل وفى عدد من الولايات الشمالية ايضا . ان الكثيرين من البيض لا تزال تسيطر عليهم عقلية متوارثة منذ ايام الرق وقبل ان يضع **لنكولن** حدا له من الناحية القانونية . فهم لا يكادون يتصورون ان يتلقى ابناء الزنوج التعليم جنبا الى جنب مع اطفالهم ، وان يقيموا هم والزنوج فى احياء سكنية واحدة ، بل ان فى بعض الكنائس مجموعة من الولايات ترفض دخول الزنوج لعبادة الله الذى هو اله جميع الاجناس .. على حد قول **ماكس ليرنر** فى كتابه « الحضارة الامريكية »

وبسبب هذه المقاومة لم ينص قانون الحقوق المدنية على الغاء التفرقة نهائيا وتماما في جميع المجالات بحيث لا تضطر الحكومة الى الاستنجاد بالقضـــاء في حالات كثيرة . وحتى بعد صدور القانون — وهو خطوة لها اهميتها بغير شك — فانه يلقى مقـــاومة في بعض الولايات والمدن . واذ وضح ان الاتجاه الليبرالى يزداد قوة يوما بعد يوم ، كان من الطبيعى ان تتكتل العناصر المناوئة له وراء الساسة الذين يريدون أبقاء الاوضاع على ما هى عليه ، وفي هـــذا بعض التفسير للتأييد الذى حصل عليه امثال جولدووتر ووالاس في المؤتمرات الاولية بالولايات .

خيبة الامل

خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية قوة اقتصادية وعسكرية لم يسبق لها مثيل من قبل ، وعقدت لها زعامة المعسكر الغربى على الاقـــل . وكانت اوروبا الغربيـــة التى خرجت من الحرب متدهورة اقتصاديا ... في حالة يرثى لها وأوشكت على الانهيار ، وهنا تقدمت الولايات المتحدة للانقاذ عـــن طريق مشروع مارشال ، وانفقت في هذا السبيل أموالا طائلة حتى تمكنت بلاد اوروبا الغربية من الوقوف على اقدامها ثم السير في طريق التقدم . وازاء الضعف العسكرى الذى كانت تعانيه المنطقة ازاء التفوق العســكرى السوفيتى ابتدعت الولايات المتحدة نظام حلف شمال الاطلنطى الذى التزمت طبقا له بالدفاع عن القارة اذا ماتعرضت للهجوم .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بـل ان امريكا قدمت المساعدات الكثيرة الى عدد كبير من البلدان في مختلف القارات وبخاصة في اسيا ، كما تجلى في الاموال الطائلة التى انفقت في سـبيل محاولة الابقاء على نظام شيانج كاى شيك في الصين ، وفي منع كوريا كلها من التحول الى الشيوعية ، وفي المبالغ التى لا تزال تنفق في سبيل الابقاء على النفوذ الغربى او الامريكى بعبارة ادق — في لاوس وفيتنام وفي جنوب شرقى اسيا بوجه عام



رياح تكساس تهب على جـــولد ووتر ...

وكانت الولايات المتحدة أول دولة تمكنت من تسخير الطاقة النووية للأغراض العسكرية ، فلما تمكن الاتحاد السوفييتي من اللحاق بها في هذا الميدان ، بدأ سباق عنيف في التسلح كبد البلاد مئات البلايين من الدولارات أملا منها في الاحتفاظ بتفوقها العسكري

وماذا كانت نتيجة هذا كله ؟

ان أوربا الغربية أصبحت اليوم منافسا خطيرا للولايات المتحدة في الاسواق العالمية ، وراحت تنزع الى الاستقلال والتخلص مما تمثيه السيطرة الامريكية مما يتجلى بشكل واضح في موقف الجنرال ديجول . والدول التي استقلت من المعونات الامريكية كثيرا ما تقف موقف المعارضة والاستنكار من السياسة الامريكية ، بل وينضم بعضها في حالات كثيرة الى جانب المعسكر المعادي . وفي الصين انهارت حكومة الكومنتانج واستولى الشيوعيون على الحكم . وفي جنوب شرقي آسيا يصاب النفوذ الامريكي بضربات متلاحقة وتكسب العناصر الشيوعية الارض باطراد . وبرغم المبالغ الباهظة التي انفقت على التسلح وتطوير أدوات الحرب ، اصبح الاتحاد السوفييتي قوة تهدد امن الولايات المتحدة في عقر دارها بل وحقق انتصارات في ميدان الفضاء عجزت عنها الولايات المتحدة ، مما اضعف مركزها الأدبي في العالم بوجه عام . وبرغم قوتها العسكرية الضخمة استطاعت جزيرة كوبا الصغيرة أن تتحداها فتؤمم الممتلكات الامريكية ، بل وتستعين بالسوفييت على انشاء قواعد للصواريخ مما شكل تهديدا مباشرا للولايات المتحدة

واكثر من هذا فقد شهدت السنوات الحديثة اتساع رقعة الاشتراكية والسياسة الحيادية

كل هذه الظاهرات شهدها دافع الضرائب الامريكي وايقن أن ما تكبده من اعباء جسيمة كان عبثا لا طائل تحته ، فأخذ يشعر بخيبة الأمل . وهنا بدأت الجماعات جديدة تظهر وتزداد قوة باطراد وهي تدعو الى اتباع سياسة تقوم على الاسس الرئيسية التالية :

(١) التركيز على التسلح من كافة نواحيه حتى تصبح الولايات المتحدة اقوى دولة في العالم ولا تستطيع دولة أو معسكر الوقوف أمامها

٢ ـ اتخاذ موقف حازم ازاء المشكلات الدولية وعدم التردد في استخدام العنف ـ او الحرب بتعبير اخر ـ اذا كانت الضرورات تقتضي ذلك ، ولهذا يرى الكثيرون من الامريكيين ان السياسة الامريكية ابدت عجزا واضحا في معالجة الازمة الكوبية ، وانها اليوم تتسم بنفس الضعف في معالجة الموقف في جنوب شرقي آسيا

٣ ـ الابتعاد من الارتباطات الدولية وبخاصة بالنسبة الى أوربا ، وانتهاج سياسة مستقلة لا ترعى سوى المصالح الامريكية اولا وقبل كل شيء او بعبارة اخرى العودة الى نظام « **العزلة** »

هذه هي الافكار التي اصبح يعتنقها الكثيرون من الامريكيين بعد أن امتلأت نفوسهم بمشاعر المرارة في السنوات الاخيرة نتيجة اعباء كثيرة يعتقدون انهم تحملوها في غير طائل ، وبسبب التخلف في ميدان الفضاء برغم ما انفقوا من مال ، والعجز من مواجهة الكثير من الازمات الدولية ، والجحود ـ في رأيهم ـ من جانب ـ عدد من البلاد التي استفادت من المعونات الامريكية على نحو أو آخر لا عجب اذن ان مالوا إلى جانب السياسيين الذين يمثلون هذه الافكار من قبيل جولد ووتر الذي يرى انه من الواجب غزو كوبا مهما كلف الامر ، وإلقاء قنبلة ذرية على خطوط الامدادات الصينية في فيتنام الشمالية ، وحبس المعونات الاقتصادية على البلاد التي تعارض السياسة الامريكية أو تحاربها

الشيوعية

وثمة ظاهرة تسترعي الانتباه بالنسبة الى المجتمع الامريكي ، هي العداء الذي يكنه الكثيرون للشيوعية وكل ما يتصل بها . انهم يؤمنون أن عليهم رسالة تاريخية هي الدفاع عن القيم التي تمثلها الديموقراطية كما يفهمونها ، وانهم مطالبون



هجوم عـلى اليمين ؛ ليصبح أقصى اليمين !.

يشن حرباً صليبية ضد الشيوعية في كل مكان حتى يقضوا عليها . وهم ينقمون على الحكومات الامريكيـة المتعاقبة اذ بسبب ضعفها او تخاذلها او قصر نظرها السياسي ، سمحت للاتحاد السوفييتي ان يبسط نفوذه في منطقة واسعة من اوربا الشرقية ، وسمحت للشيوعيين بفـرض سلطانهم في الصين وفيتنام الشماليـة ، وباقامة نظامهم في كوبا ، وبتهديد المواقع الغربية في جنوب آسيـا ، وبالنظم الاشتراكية ان تنتشر في بلاد عدة ومع ذلك تقدم لها الولايات المتحدة المساعدات الكبيرة . ويعتقد هؤلاء الامريكيون ان قوة بلادهم الهائلة قادرة على تحطيم الخطر الشيوعي ، وان من الواجب الا تتردد في الاضطلاع بهذه المهمة مهما تقلت

الحرية الاقتصادية

واخيرا ، لقد شهد الغرب والجنوب في الولايات المتحدة ؛ والاول منهما بوجه خاص ، تقدما اقتصاديا واسع النطاق في الفترة الاخيرة ، وهم هناك ينسبون هذا التقدم الى مبادىء الحرية الاقتصادية ومن هنا ازداد ايمانهم بها الى حـد التعصب ، والى درجة تذكرنا بالحالة في اوربا في اواخر القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر . ان اهل الغرب بوجه خاص اشبه بالرواد الحرب ، وهم ينظرون بعين الارتياب الى الاقاليم الشرقية من بلادهم لانها في نظرهم تموج بتيارات مذهبية ليبرالية لا تفترق عن الاشتراكية في نظر الغربيين والجنوبيين ، ومن هنا فانهم لابد ان يناصروا كل من يحارب هذه الاتجاهات الليبرالية ويحارب اية ميول تشتم منها رائحة الاشتراكية

ماذا لو انتصر اليمين ؟

ولنا ان نتساءل عن النتائج الخطيرة التي يمكن ان يسفر عنها انتصار اليمين المتطرف .. ففي الداخل سوف يشتد ساعد المعارضين للمساواة بين مختلف العناصر والاجناس ، وسوف يقيمون العراقيل في وجه تنفيذ قانون الحقوق المدنيـة . وسوف تشتد الحملة ضـد جميع الآراء المتحررة في الاقتصاد ، وتصبح الاصوات التي تعبر عنها موضع الاتهام باليسارية والشيوعية ، وبذلك تعود البلاد الى تلك الفترة المظلمة من تاريخها ، وهي عصر المكارثية ، ويضرب عليها شعار من الارهاب الفكري العنيف

اما في الخارج فمن المؤكد ان تنفض عرى التحالف الغربي ، وتنفصل دول اوربا الغربية ان تنتهج سياسة مستقلة وان تخلق لنفسها رادعا نوويا خاصا بها ولا تجعله تحت رحمة الولايات المتحدة التي لن تتزود في ظل حكم يميني متطرف

من الدخول في مغامرات غير مأمونة العواقب . ومن المحقق ان انتهاج سياسة العنف سوف تقابل بمثلها من جانب المعسكر الشرقي ، فيزداد السباق على التسلح ، ويشتد التوتر ، ويصبح السلام العالمي عرضة للاضطراب الدائم ، وقد ينتهي الحال بنشوب الحرب الثالثة التي يرهبها الجميع

هل ينتصر اليمين ؟

ولكن

هل يقدر لهذه الثورة اليمينية الرجعية ان تنتصر في الاجل الطويل ؟

اكبر الظن انها سوف تفقد المعركة التي تشتبك فيها . فالغالبية من الشعب الامريكي لم تعد — على ما يبدو — تؤمن ان في الامكان بقاء التفرقة العنصرية او ان الزنوج سوف يرضون بالوضع الذي يعيشون فيه ، وان محاولة الوقوف في وجه التغيير الذي تفرضه ظروف العصر قمينة بان تحدث شقاقا في المجتمع الى حرب داخلية ، ومن المحقق ان العالم كله سوف يقف في جانب الزنوج . ولعل هذا الادراك السليم يفسر موافقة مجلس الشيوخ على قانون الحقوق المدنية ، وهي الموافقة التي اشترك فيها فريق كبير من اعضاء الحزب الجمهوري نفسه

ولم يعد في الامكان صد التيار التاريخي الجارف من ناحية فرض القيود على الرأسمالية الطليقة ، والعمل على التقريب بين الثروات والدخول ، والتوسع في الخدمات العامة لصالح الرجل العادي على حساب الاموال العامة ، والعمل على اشتراك الدولة في عدد من المشروعات الاقتصادية او الاضطلاع به ومنح امتيازات واضحة للطبقة العاملة . لقد بدأ يسري الاعتقاد ان ما يقال له الديمقراطية السياسية بالمعنى المألوف ، لم يعد كافيا لاشباع مطالب الجماهير

اما في الخارج فلم يعد خافيا ان الاسلحة النووية لم تعد احتكارا للولايات المتحدة ، وان هذا البلد فقد مناعته القديمة التي كان ينعم بها في عهد الاسلحة التقليدية وان ضربة نووية اولى او ثانية كفيلة ان تنزل افدح الاخطار بقواه البشرية والاقتصادية

ومعنى هذه الحقائق التي نشير اليها على سبيل المثال لا الحصر ، ان سياسة القوة لم تعد تتفق مع الثورة التكنولوجية الحديثة ، وان سياسة التعايش السلمي هي السبيل الوحيد للرخاء والتقدم ، بل وللابقاء على الحضارة

ولم يعد في وسع الولايات المتحدة بعد التقدم المادي الضخم الذي حققته ان تعيش بمعزل من العالم ، فهي في حاجة شديدة الى المواد الاولية لمصانعها من جهة ، والى الاسواق التي تستوعب منتجاتها الصناعية من جهة اخرى كما ان المعونات التي تقدمها الى البلاد الاخرى سواء الاغذية منها باسباب النمو بوجه خاص — هي في صالح امريكا نفسها ، وهي لا تستطيع — حتى لو شاء اليمين المتطرف — ان تلقى بحالفها مع غرب اوربا الى البحر ، اذ لو فعلت هذا وسقط في ايدي اعداء امريكا لتعرضت هي ذاتها لافدح الاخطار

لقد انتهى العصر الذي كانت فيه الدول الكبرى تفرض ارادتها ، وحصلت معظم الشعوب في آسيا وافريقيا على حريتها ، وهذه الحرية لا تقف عند حد التخلص من السيطرة الاستعمارية فحسب ، وانما تمتد الى نطاق النظم الاجتماعية والسياسات الخارجية

ان كل شعب اصبح اليوم حريصا على حريته في اقامة نظامه الاجتماعي وانتهاج **السياسة الخارجية التي تحقق مصالحه وهذه الحرية لا تتعارض باي حال من الاحوال مع التعاون الدولي القائم على تبادل المصالح والنفع**

ولهذه الاعتبارات يعتقد المراقبون ان اصبع التاريخ تشير الى هزيمة سوف تلحق بالنزعات اليمينية الرجعية في الاجل الطويل بكل تأكيد

إبراهيم عامر:

إلى أين يتجه التعاون الزراعي؟



أولى الميثاق الوطني اهتماما جوهريا لقضية التعاون الزراعي، فيحدث عنها في أكثر من موضع، وأبرز الصلة الوثيقة التي لا تنفصم بين التعاون والملكية الفردية للارض وبين التعاون والتنمية الانتاجية للزراعة، وبين التعاون والنهوض بالريف اجتماعيا وسياسيا

ففي الباب الخامس قال الميثاق

«ان تعاونيات الفلاحين ... فضلا عن دورها الانتاجي هي منظمات ديموقراطية قادرة على التعرف على مشاكل الفلاحين، وعلى استكشاف حلولها».

وفي الباب السابع، قال الميثاق:

«ان التعاون الزراعي ليس هو مجرد الائتمان البسيط الذى لم يخرج التعاون الزراعى عن حدوده حتى عهد قريب. وانما الافاق التعاونية في الزراعة تمتد على جبهة واسعة. انها تبدأ من عملية تجميع الاستغلال الزراعى الذى أثبتت التجارب نجاحه الكبير، وتساير عملية التمويل التى تحمي الفلاح وتحرره من المرابين ومن



الوسطاء الذين يحصلون على الجزء الاكبر من ناتج عمله . وتصل به الى الحد الذى يمكنه من استعمال أحدث الالات والوسائل العلمية لزيادة الانتاج . ثم هى معه حتى التسويق الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة تعويضا عن عمله وجهده وكده المتواصل »

ثم يقول الميثاق فى الباب السابع نفسه :

« ان التعاون سوف يخلق المنظمات التعاونية القادرة على تحريك الجهود الانسانية فى الريف لمواجهة مشاكله »

مهام رئيسية للتعاون

وعلى أساس هذا الميثاق الثورى يتطور التعاون الزراعى فى وطننا وينمو ويتدعم يوما بعد يوم . وبينما كان عدد الجمعيات التعاونية الزراعية فى عام ١٩٥٢ نحو ٢٢٠٣ جمعيات تعاونية زراعية تضم نحو ٤٠٠ ألف مزارع بلغ عدد هذه الجمعيات الان نحو ٤١١٢ جمعية تضم نحو ١ر٢٥٠ر٠٠٠ مزارع من الملاك والمستاجرين فى ريفنا



ونتيجة للاصـــلاح الزراعي والتعـــاون زاد دخـــل المنتفعين الاصلاح والتعاون من ٢٧ جنيها فى السنة قبل التمليك والتعاون الى ١٥٠ جنيها فى السنة بعده ، وارتفع دخل الفدان الواحـــــد بالنسبة للمستأجر من تســـعة جنيهات الى سبعة وعشرين جنيها

وعلى أساس الميثاق تحـــددت المهام الاقتصادية والاجتماعيـــة ، بل والسياسة ، للتعـــــاون الزراعى ، وازدادت وضوحا على ضوء التجربة





وعلى ضوء التجربة أيضاً برزت منجزات التعاون الزراعى فى ريفنا وبين فلاحينا ، واتضحت لنـــا المشاكل والعقبات والنواقص .

ومن الممكن أن نحدد مهـــام التعاون الزراعى فى أربع نقـــاط هى :

١ ـ المهمة الانتاجية :

وهى تجميع الملكيات والحيازات الزراعية الصغيرة فى وحـــدات انتاجية كبيرة يمكنها أن تستخدم أحدث الالات والوسائل العلميـة لزيادة الانتاج، ويمكنها أن تستفيد بأفضل الخدمات الزراعية مثـــل الحصول على التقاوى والأســـمدة والمبيدات

٢ ـ المهمة الائتمانية :

وهى تمويل المزارعين بالسلف والقروض النقدية والعينيـــــة والتسهيلات الائتمانية المختلفة

٣ ـ مهمة تسويقية :

هى تسويق جميع محـــاصيل المزارع تسويقا مجزيا يعود عليه بدخل أكبر من الدخل الذى يمكن ان يحققه اذا ماقام بمفرده بتسويق محصوله تسويقا حرا

٤ ـ مهمة اجتماعية ـ سياسية :

وهى التعرف على مشـــــاكل الفلاحين واستكشاف حلول لهـــا بطريقة ديموقراطيـــة فعـــالة ، وتحريك الجهود الانسانيـــة فى الريف للنهوض به ومواجهــــة مشاكله

مهام فرعية

ومن هذه المهام الرئيسية الاربعة تتفرع مهام تفصيلية للجمعيات التعاونية الزراعية منها تحرير عقود الايجار بين الملاك والمستأجرين في القرية والاحتفاظ بصورة منها والعمل على حل جميع الاشكالات التى تنشأ عنها وذلك حمايه للمستأجر من تلاعب المالك، ومحاولته رفع الايجار بطريقة غير شرعية . وتقوم الجمعية التعاونية بالاشراف على مقاومة الافات الزراعية وخاصة دودة القطن وتوزيع السماد والسلف والتقاوى وعلف الماشية . كما تحصل على الالات الزراعية والوقود اللازم لها وتقوم بتشغيلها . وتشرف الجمعيات التعاونية على تنظيم الدورة الزراعية الثلاثية ، كما تشرف على حصر الماشية لدى الحائزين . وتملك منافع ومنشات والات مناطق الاصلاح الزراعي

اسئلة تبحث عن اجابة

ولكن ما مدى قيام الجمعيات التعاونية الزراعية بمهامها الرئيسية ؟

ما هى المشاكل والصعوبات التى تواجهها فى سبيل ذلك ؟

ما هى الاخطاء والنواقص الموجودة فى عملها ؟

هل صحيح أن الجمعيات التعاونية الزراعية لا يحميها اى تنظيم ؟

هل صحيح أن التعاون الزراعى عندنا لم يتقدم ولم ينجح ؟

باختصار : الى أين يتجه التعاون الزراعى فى بلادنا ؟

ان محاولة الاجابة على هذه الاسئلة تملى علينا ان نحاول رسم صور ـ ولو عامة ـ للوضع الراهن للتعاون الزراعى فى بلادنا ، وأساس التعاون الزراعى فى القريه هو الجمعية التعاونية

فما هى ـ فى الواقع ـ صورة الجمعية التعاونية ؟

تكوين مجالس الادارة

لعل اول مسألة ينبغى دراستها فى الجمعية التعاونية هى مسألة كيفية تكوين قيادة الجمعيات التعاونية الزراعية ، اى مجالس ادارتها . ذلك لان التجربة الوطنية خلال السنوات الثلاث الماضية قد بينت ان على هذه القيادة يتوقف مدى قيام الجمعية التعاونية بمهامها الرئيسية والفرعية ، ومدى قدرتها على أداء دورها ، لا كجهاز اقتصادى زراعى فحسب ، وانما كجهاز ثورى اجتماعى وسياسى للريف وللفلاحين بل ويتوقف على هذه القيادة مدى قدرة الجمعية التعاونية الزراعية على تخطى الصعوبات والعقبات ، ومدى نشاطها ونجاحها فى تصحيح الاخطاء وتلافى النواقص فى العمل

آراء متصارعة

ونحن نلاحظ فى هذا المجال ان الرأى لم يستقر بعد بصورة نهائية ومقررة على الطريقة التى يتم بها تكوين مجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية . ونلاحظ انه لا تزال هناك اختلافات ، بل

وخلافات ، فى وجهات النظر حول هذا الموضوع

ولعل هذا هو ما دعا الى مطالبة الفلاحين بأن يقولوا كلمتهم فى الطريقة الجديدة التى يرونها لتشكيل مجالس الادارة . والى تحديد أول اغسطس (أى اليوم) كآخر موعد لكى يدلوا برأيهم . وقد تقرر لذلك تنظيم اجتماعات يعقدها المشرفون الزراعيون للفلاحين ويحضرها أعضاء مجلس الامة وأعضاء لجان الاتحاد الاشتراكى العربى . وتقرر أن يناقش مجلس كل محافظة اراء فلاحى هذه المحافظة فى الموضوع المطروح لابداء الرأى ، ثم ترسل جميع الاراء بعد ذلك الى المؤسسة المصرية التعاونية العامة

بل ان هذا الاستفتاء يعتبر تمهيدا للانتخابات التى ستجرى فى شهر يناير القادم لتكوين مجالس ادارة جديدة للجمعيات التعاونية الزراعية . بعد أن انقضت ثلاث سنوات

ولكن ما هى تلك الاراء المختلفة والمتصارعة حول طريقة تكوين



سندات التمليك .. انصفت الفلاح ..
واعادت اليه ثمار عرقه وكفاحه ..

مجالس ادارة الجمعيات التعاونية الزراعية ؟

ان هناك ..

اولا : الرأى الذى يقول بضرورة أن تتشكل مجالس الادارة بالانتخاب على ان تكون نسبة اربعة اخماس اعضائها من الفلاحين الـــــذين **لا يحوزون اكثر من خمسة افدنة**

ثانيا : الرأى الذى يقول بضرورة الانتخاب العام ولكن على اساس ان يكون الفلاحون الذين تتكون منهم نسبة الاربعة اخمــــاس من الحائزين على **خمسة وعشرين فدانا فاقل** . واصحاب مثل هذا الرأى يستندون الى حجة ان تقرير لجنة المائة عن الميثاق عرف الفلاح بانه كل من لا تزيد حيازته عن خمسة وعشرين فدانا .

ويتفرع عن هذا الرأى اولئك الذين يطالبون باستمرار العضوية بالجمعيات التعاونية الزراعية لمن زادت حيازتهم عن المساحة المقررة فى القانون

ثالثا : الرأى الذى يقول بعدم انتخاب جميع اعضاء مجلس الادارة وينادى بوجوب اتاحة الفرصـــــة لاستثناء نسبه من اعضاء مجالس الادارة الحاليين من الانتخابات ، وامكانية ان تصل هذه النسبـــة الى ثلث عدد الاعضاء وحجــــة اصحاب هذا الرأى ان الاستثناء ضرورى لاستمرار احتفـــــاظ الجمعيات التعـــاونية باولئك الاعضاء **الذين ثبت نشـــاطهم فى خدمة اخوانهم من الفلاحين** ، وذلك



حتى «**لا يحرم اعضاء الجمعيات من خدماتهم ونشاطهم التعاونى الذى حققوه خلال السنوات الثـــلاث السابقة على الانتخابات الجديدة**

صواب الرأى الاول

ومن الواضح للوهلة الاولى ان الرأى الاول المنادى بالانتخابات ، دون اى استثناء ، وبتحديد أربعه اخماس مجلس الادارة من بين الحائزين على خمسة افدنة فاقل ، هو الرأى الاقرب الى الصواب، وهو الرأى الذى يتمشى مع نص وروح الميثاق الوطنى ذلك لان هذه الطريقة فى تكوين مجالس ادارة الجمعيات التعاونية الزراعية هى التى تكفل أن تكون الجمعية معبرة حقا عن مشاكل الفلاحين والريف، وان تكون جهازا ديموقراطيا فعالا وقادرا على مواجهة هذه المشـــاكل وايجاد الحلول لها ، وان تكـــون مركزا يستطيع حقا ان يحــــرك الجهود الانســـــانية فى الريف للنهوض به

ومن الواضح للوهلة الاولى ان الرأى الاول هو الذى يكفل تنفيذه وقف تسلل نفوذكبار الملاك والعمد



والمشايخ الى الجمعيات التعاونية الى مدى بعيد ، ومنهم من توجيه تلك الجمعيات الوجهة التى تتفق ومصالحهم ، والتى يحاولون بها الابقاء على سيطرتهم التقليدية على صغار الملاك والحائزين من المزارعين، والتى يهدفون من ورائها الى تحقيق ما يتمنونه من عزل الجمعيات عن بقية اهالى القرية وتحويلها الى مجرد اطار رسمي شرعي تصدر منه الاوامر دون أى تجاوب حقيقى من اصحاب الحق والمصلحة من الفلاحين

الاشراف على الجمعية التعاونية

غير ان قضية قيادة الجمعيات التعاونية الزراعية لا تنتهى عند هذا الحد ، ان هناك قضية الاشراف على هذه الجمعيات

ويكاد جميع التعاونيين الزراعيين يجمعون على ان أهم ما تعـانيه الجمعيات التعاونية الزراعية هو تشعب الاشراف عليها . فليس هناك جهة رئيسية واحدة تتبعها وانما هناك عدة جهات هى المؤسسة التعاونية الزراعية ، والاتحاد التعاونى ، وبنك التسليف، ووزارة الزراعة ، ووزارة الاصلاح الزراعى ، ومجالس المحافظات

ويقوم بالاشراف على الجمعيات التعاونية الزراعية مشرفون يقدر عددهم بنحو ٢٥٠٠ مشرف . والمشرف الزراعى هو المرشد الاول للزراع بالقرية ، وقد وضعت الدولة تحت تصرفه جميع امكانيات النهوض بالانتاج الزراعى والتدريب بوزارة الزراعة ، وتتحدد مسئوليته فى توجيه الجمعية التعاونية ، ويتحدد واجبه فى تيسير حصول الزراع على الخدمات الزراعية من تقاوى وأسمدة ومبيدات ، ومد المزارع بالتوجيه الفنى الصحيح من خلال الارشاد الزراعى

ومع اهمية الدور الذى يقوم به المشرف الزراعى المستنير المخلص فى تطوير التعاون الزراعى ، فان ثمة نواقص لا تزال موجودة فى اعمال المشرفين الزراعيين وهى نواقص تنبع عن نظرة ادارية بحتة الى التعاون الزراعى ، كما تنبع عن عدم كفاية توعية المشرفين الزراعيين بمهمتهم الحيوية ، وعن بعض المصاعب التى يلاقونها فى عملهم



عشرات الجنيهات تدخل جيوب المتقدمين .

وهناك اراء عديدة لتحسين الاشراف على الجمعيات التعاونية الزراعية ، ورفع مستوى نشاط المشرفين ، وازالة العقبات التي تعرقل هذا النشاط .

ومن هذه الاراء ان على المشرف الزراعي ان يعقد اجتماعا ارشاديا للزراع بمعدل مرة كل شهر او اكثر من ذلك اذا دعت الحاجة ، وعلى المشرفين الزراعيين الاكثار من المرور على الزراع فى حقولهم وارشادهم الى الطرق الصحيحة للزراعة والانتاج ، بدلا من قصر المرور على تحرير المخالفات الزراعية فقط وعلى المشرف الزراعي أن يقوم بوضع تقرير احصائي عن أوجه النشاط الارشادي فى منطقته لتطلع الوزارة على جهده فى تعليم الزراع الطرق المحسنة للانتاج

ومن هذه الاراء مطالبة المهندس الزراعي أو المشرف الزراعي بشرح الحكمة من التشريعات الزراعية التى تصدرها الحكومة للمزارعين فلا يكتفى مثلا بأن ينذرهم بأن هناك قانونا يعاقبهم فى حالة عدم رى البرسيم بعد ١٠ مايو بل يشرح لهم الحكمة من عدم رى البرسيم بعد هذا التاريخ

ومن هذه الاراء ايضا أنه من الضرورى توفير وسائل المواصلات للمهندسين والمشرفين الزراعيين وتمكينهم من الاستعانة بوسائل الاعلام الحديثة كالافلام السينمائية المبسطة ومكبرات الصوت وكل ما يمكن الاستعانة به فى هذا الشأن ، على أن يقوموا بتوعية الفلاحين فى المساء بعد العودة من الحقل

ولقد قرر وكيل وزارة الزراعة فعلا الاخذ ببعض هذه الاراء ، فاضاف اعمال الارشاد الزراعى الى اختصاص المشرفين الزراعيين بحيث يجمع المشرف الزراعى بين توجيه الزراع التوجيه الفنى السليم وبين مهامه الاخرى . ولتحقيق هذه الغاية تقرر أن يعقد المشرفون اجتماعات ارشادية دورية للزراع مع اعضاء الجمعيات التعاونية الزراعية بحيث لاتقل عن مرة فى كل شهر . وان يجعلوا من حقول أعضاء مجالس الادارة والقادة التعاونيين فى القرية حقولا ارشادية يقتدى بها باقى الزراع . وقررت وزارة الزراعة ان تزود المشرفين بالمجلات الزراعية والنشرات الارشادية واللافتات التى تعينهم على تحقيق رسالتهم . ومن ناحية أخرى تقرر عقد اجتماعات دورية للمشرفين يتحدث اليهم فيها كبار المختصين بوزارة الزراعة عن الاعمال الزراعية الجارية ، ويجرى فيها تدريبهم على التعليمات الزراعية الهامة فى المواسم المختلفة حتى ترتفع الكفاءة الانتاجية .

تحسين الاشراف والادارة

وفى اعتقادنا ان تحسين الاشراف الزراعى على الجمعيات التعاونية الزراعية، ورفع مستواه، وتخليصه من عيوب النظرة الادارية والروتين، وربط المشرف بالحقول التى تحت اشرافه وبالمزارعين الذين يقوم بارشادهم . ربطا ميدانيا فعالا ومتجاوبا ، من شأنه ان يصبح



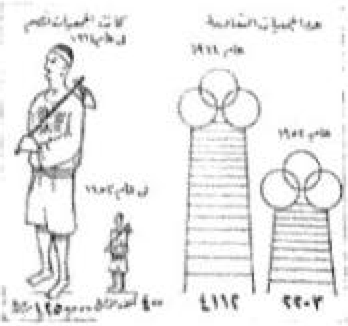
عاملا هاما من عوامل اداء الجمعيات التعاونية الزراعية لدورها الانتاجى الحيوى

ويبدو ان التعاونيين لا يزالون يشكون من النقص فى الجهاز الادارى للجمعيات التعاونية . فهناك - فى رأيهم - عدم الكفاية الفنية فى الموظفين ، وعدم كفاءة الجهاز الادارى بسبب مشاكل تعيين الكتبة وأمناء المخازن والشون ، كما يشكون من كثرة المخالفات الادارية والمالية

الائتمان التعاونى

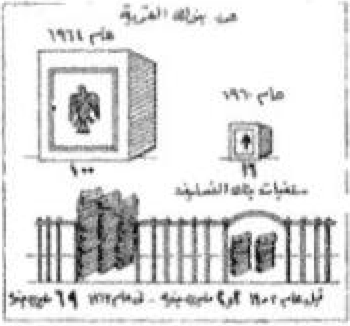
وتتصل عملية الانتاج فى الجمعيات الزراعية اتصالا وثيقا بعملية التمويل الائتمانى

ولعل أهم تطور حدث فى الوضع الائتمانى للجمعيات التعاونية الزراعية ، القرار الجمهورى الذى صدر فى اوائل ابريل من هذا العام بتحويل بنك التسليف الزراعى والتعاونى الى مؤسسة عامة تسمى « المؤسسة المصرية العامة للائتمان الزراعى والتعاونى » ويكون مقرها القاهرة . وتقوم هذه المؤسسة



بالتخطيط المركزى للائتمان الزراعى والائتمان التعاونى فى الجمهورية .. وذلك فى حدود السياسة العامة للدولة . وتتولى تمويل هذا الائتمان وتوفير كافة المواد اللازمة للانتاج الزراعى . كما تقوم بما تكلفها به الدولة من أعمال وخدمات تتصل بهذه الاغراض . وقد نص القرار على ان تتبع هذه المؤسسة وزير الزراعة ، وان يتكون رأسمالها من رأس مال بنك التسليف الزراعى والتعاونى ومن الاموال التى تخصصها الدولة لها . وتقرر ان يتكون مجلس ادارة هذه المؤسسة من وكلاء وزارات الزراعة والخزانة والاقتصاد ، ووكيل البنك المركزى المصرى ، واثنين من المشتغلين بشئون الزراعة والتعاون يصدر بهما قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض وزير الزراعة ، وتتقرر لهما مكافأة . وتقرر ان تتبع فروع ووكالات هذه المؤسسة شون المحاصيل ومخازن الاسمدة ومنشآت البنك الاخرى

ولكى نقدر مدى دور الائتمان الزراعى والتعاونى فى تسهيل قيام المزارع بالانتاج دون ان يضطر الى الالتجاء الى المرابين أو الوسطاء اوالسماسرة ، يكفى ان نشير الى ان سلفيات بنك التسليف الزراعى فى سنة ١٩٣٢ لم تزد على مبلغ ٢ر٢ مليون جنيه كانت معظمها لكبار الملاك . ولم يزد نصيب الجمعيات التعاونية منها



حينذاك على نسبة ٢ر٥ ٪ . بينما ارتفع الرقم فى سنة ١٩٦٣ الى نحو ٦٩ مليون جنيه منها نحو ٦٠ مليون جنيه للجمعيات التعاونية ، وذلك عدا ٦٥ مليون جنيه تمثل سلعة تموينية واسعة . ولقد اعفيت كل هذه السلف من الفوائد بموجب قرار صدر فى العيد التاسع للثورة

ان الائتمان الزراعى يخدم اليوم نحو ٩٢٠ ألف حائز تبلغ نسبة



صغار الزراع منهم نحو ٨٠ ٪ ، وتبلغ المساحة التى يخدمها الائتمان الزراعى والتعاونى نحو ٤ر٦٠٠ر٠٠٠ فدان

وقد زاد عدد بنوك القرية من ١٦ الى ١٠٠ بنك فى خلال ثلاث سنوات . واتسع الائتمان فشمل محاصيل جديدة لم يجر التسليف عليها من قبل مثل الفول السودانى والذرة الشامية والحناء

وعن طريق اجهزة الائتمان توفر السماد للمزارع فتخلص من استغلال تجار السماد وغش الاصناف والتلاعب بالاسعار

رأيان مختلفان

غير ان ثمة رأيين مختلفين حول تنظيم الائتمان الزراعي والتعاوني:

الرأى الاول : يقول بان الجمعية التعاونية تواجه كثيرا من الصعوبات للحصول على مطالب اعضائها من القروض النقدية والعينية . ويقترح أصحاب هذا الرأى استقلال فروع مؤسسة التسليف على مستوى المحافظة ، وتحديد مسئولية الجمعية التعاونية فى الاقراض الزراعى ، وتوجيه النظام الحالى الى الاقراض المشرف عليه

والرأى الثانى : يقول بضرورة ربط الائتمان الزراعى والتعاونى بالجهاز العام المصرفى . ويرى فى دخول وكيل البنك المركزى فى مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للائتمان الزراعى والتعاونى نوعا من هذا الرباط . كما يرى أصحاب هذا الرأى ضرورة ربط الائتمان بمراكز الادخار . وهم يعارضون فكرة استقلال الفروع لانها تخلق مشاكل لا حصر لها ، ولانها لا تتمشى مع الاتجاه العام نحو مركزة الجهاز العام المصرفى

وتثير مسالة تحصيل السلف من المزارعين ومسالة ديون الفلاحين للجمعيات التعاونية الزراعية ، ومسالة سلف المقاومة والخدمة ، مناقشات بين المهتمين بتدعيم التعاون الزراعى عن طريق تخفيف الاعباء عن كاهل المزارع التعاونى . ولقد بدت فى خلال الدورة الاولى

لمجلس الامة ، والتى انتهت فى ٢٤ يونيو الماضى ، رغبة بتقسيط ديون بنك التسليف الزراعى والتعاونى على مدة عشر سنوات تبدأمن أول عام ١٩٦٤ ، مع خصم الفوائد المستحقة على المبالغ المتأخرة

التسويق التعاونى

ولا يقل دور التعاون الزراعى فى التسويق عن دوره فى الانتاج والتمويل الائتمانى • ومع أن التسويق التعاونى لم يصبح بعد شاملا لجميع المحاصيل والمنتجات الزراعية ، ولم يصبح بعد شاملا لجميع المحافظات ، فلقد برهنت التجربة الوطنية ــ رغم العقبات والاخطاء والعيوب ــ على انه قد ضمن امكانية حصول الفلاح على اضافات جديدة لدخله ،بعد ان استبعد ماكان يحصل عليه الوسطاء والعملاء والسماسرة •

ولا يزال التسويق التعاونى فى الواقع فى الدور التجريبى ، ولاتزال التجربة موضع الدراسة والمناقشة

ولقد برز راى اخير يطالب بتعميم نظام التسويق التعاونى فى جميع المحافظات على السواء ،حتى لاتنفرد محافظة بنظام قد يسيء الى التسويق عامة • ويطالب أصحاب هذا الرأى بوضع نظام محدد للتسويق التعاونى يحدد مهمة الجمعيات التعاونية ودورها فى مراحل التسويق التعاونى ومهمة شركات القطاع العام فى جهة اخرى ، كما يدعون الى الاختيار بين أحد أسلوبين فى التسويق التعاونى ، فاما أن يجرى تجميع المحاصيل الزراعية من الزراع على مستوى القرية ثم بيعها لشركات القطاع العام عن طريق الجمعية التعاونية المحلية واستلام الثمن فورا وتوزيعه على أصحابه ، واما ان تتولى الجمعيات التعاونية عملية التسويق حتى مرحلتها النهائية ، وفى هذه الحالة يدعون الى وجوب اعادة النظر فى اختصاصات شركات القطاع العام ومسئولياتها فى عمليات الشراء من الاسواق الداخلية والمنتجين وأيا كانت النتيجة التى يمكن الوصول اليها بعد الدراسة والتجربة بالنسبة للاساليب والنظم المختلفة للتسويق التعاونى ، فان التسويق التعاونى وثماره التى يلمسها الفلاح هو الدليل المادى الذى يقنع الفلاح بفائدة التعاون الزراعى

المعالم الاجتماعية ــ السياسية

ان هذه المعالم الانتاجية والائتمانية والتسويقية للوضع الراهن فى التعاون الزراعى فى بلادنا ، لايجب ان تحرف سماتها الطيبة او الرديئة نظرنا عن المعالم الاجتماعية والسياسية التى يجب أن تتوفر أيضا للجمعيات التعاونية الزراعية •

ومن الواضح حتى الآن أن الدور الاجتماعى والسياسى الذى رسمه الميثاق الوطنى بالامل للجمعيات

التعاونية الزراعيــــة لايزال غير مؤدى بشكل ملموس

وقد يرجع هذا الى العــوامل المرقلة لشاركة الفلاحين المشاركة الفعالة الكاملة فى ادارة الجمعيات التعاونية، وقديرجع الى المشـاكل الادارية والمالية التى تغرق مجلس الادارة فتلهية عن اية مهام أخرى . وقد يرجع ذلك الى اسباب عديدة تفصيلية . ولكننا نرى ان العامل الجـوهـرى الذى لايزال يمنع الجمعيات التعاونية الزراعية من حتى محاوله القيـام بمهمتهـا الاجتماعية السياسية، هو ضعف نوعية الفلاحين . وسيادة النظرة الادارية والاقتصادية البحتة حتى الان الى التعاون الزراعى

مستقبل التعاون الزراعى

ولكن مهما كانت نواحى النقص فى التعاون الزراعىوفى الجمعيات التعاونية الزراعيه ، فان من المؤكد ـ بالتجربة والخبرة ـ ان النظام التعاونى فى الزراعـــة هو النظام الوحيد الملائم لبلادنا فى مرحلتها الثورية الراهنة .وهوالذى يسمح بالاســـتفادة من حصيلة التقدم العلمى . ومن استخدام الآلات ، ومن امكانيـــات التنظيم الكفء المدروس . ولذا فان ابحاثا عدة تجرى لتطـوير نظام الجمعيـــات التعاونية . ولتكوين اتحاد تعاونى عام على مستوى الجمهورية

ان التعاون الزراعى ، اذا امتد على الجبهة الواسعة التى رسمها الميثاق . كفيل بأن يجعل الفلاح الصغير ـ بملكيته المحدودة ـ يستفيد بما يتحقق له من زيادة فى الكفاية الانتاجية ، وفى زيادة الدخل النقدى ، الذى هو حصيلة الانتاج

ان التعاون فى مجال الزراعة لايمكن ان يقبله مجتمعنا فىمرحلة الانطلاق العظيم بصورته البدائية المعروفه ، بل لا بد أن تحلق به فى آفاق أوسع وفى مجـالات تعود بالخير العميمعلى مجتمعناالزراعى. ان أهم دعـامة لتطوير الانتـاج الزراعى هى التعاون . وأســاس التعاون فى القـرية هو الجمعية التعاونية الزراعية. ومنالضرورى ـ ونحن مقبلون على انتخـابات جديدة. لمجالس ادارات الجمعيات التعاونية فى شهر يناير القادم ـ أن نجعـل من هذه الجمعيـــات التعاونية أجهزة تسـاير ركب الثورة فى مرحلة انطلاقها العظيم.

ان تجارب التجميع الزراعى وتجارب التسويق التعاونى ـ وان كنا نجريهما الآنفى نطاقمحدود ـ هما مقدمة لتجارب بعيدة المدى فى فائدتهـا للمجتمع الريفى . ان المؤسسات التعاونية فى الريف يجب ان تكون ومن الممكن ان تكون الخـلايا التى تموج بالحيـاة ، فتنهض باقتصاد الفلاحين ،وترفع مستوى القريه ، وتوفر الكفاية والعدل ، وترسى الديموقراطية ، وتحقق بالفعل ما رسمه الميثـاق بالامل ..

مسرحية للحريم فقط



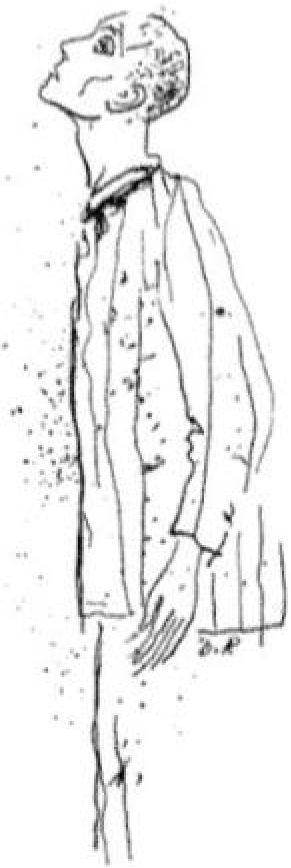
تأليف

جايلز كوبر

تعديل

صدقي عبدالله

كل شيء في الحديقة



« المتفائلون » أو « المعتدلون » يقولون عنه انه من الكتاب الذين لا يصورون الا الجانب المظلم من القمر ... أى الذين لايرون من الحياة الا سوادها القاتم ... اما « الآخرون » فيقولون انه كاتب له رسالة ، ورسالته ان يضع امام وجه مجتمعه الانجليزى مرآة يرى فيها هذا المجتمع صورته الحقيقية

ان عصب هذا المجتمع هو الطبقة الوسطى المتوسطة ممن يعيشون على التطلع الى المستوى الانيق المترف من الحياة ، يضعون كرامتهم كلها، وآمالهم كلها ، وقيمهم كلها ، وسعادتهم كلها فى الانتماء لهذا المستوى العالى من مظاهر العز واليسار

والحديقة الجميلة الواسعة المنسقة المحيطة بالبيت هى المظهر الباهظ الذى يحمل امام الناس شعار الرخاء والقدرة المالية ، انها المظهر الذى يهون فى سبيل سلامته وبقائه كل شىء .. بلا استثناء ...

قد يكون وراء هــذا المظهر الفاخر الانيق الخلاب كل ما يشين الانسان ويمتهنه ، ولكن لا بأس ! المهم هو سلامة المظهر . وقد يكون تحت هذا المظهر اجرام بشع ، ولكن لابأس ! ما دام الذى يراه الناس الذين يمرون امام البيت هو جمال الحديقة ، اما الجثة المدفونة تحتها فلا يراها احد ... فكل شىء اذن بخير وسلام !

حياة هذه الطبقة من الناس حياة « افراد » كالصق ما تكون حياة الفرد بتراب الارض ، وكاضيق ما يكون افق الفرد الانانى الذى يدور حول نفسه ، فكل اهتماماته متعلقة باشباع رغبات ذاتيته المادية ، ولا اهتمام له خارج ذاته الصغيرة ... وليس لديه من القيم أو معايير السلوك سوى القلائد المظاهر التى تدل على الشرف والعفة ... ولا شرف ولا عفة

المهم ليس البيت ، المهم ليس الحقيقة ، بل المهم هو المظهر .. المهم هو الحديقة .. فكل شىء فى الحديقة !



ونحن نجد انفسنا حين يرتفع ستار الفصل الاول فى حجرة الجلوس ببيت ال « اكن » فى احدى الضواحى الخارجية لمدينة لندن ، حيث الاثاث والديكور يدلان على ان ربة البيت فخور جدا بأناقة بيتها ، .هنـاك باب شرفة كبير يفضى الى حديقة واسعة باوعة التنسيق



ومع الاثاث المريح الانيق جهاز تليفزيون ومجلات مصورة كثيرة ، ولكن لا كتب ولا لوحات فنية على الاطلاق !

والوقت مساء في اخريات ابريل ، وفي المدفاة نار مشتعلة ومن الحديقة يرتفع صوت آلة ذات موتور لتنسيق الاعشاب يديرها برنارد اكتن الزوج الانيق الوسيم . اما الزوجة الانيقة الوسيمة جينى الشديدة التهذيب في حركاتها والفاظها فمهتمة بجمع الورق المفضض من علب السجاير الفارغة لتصنع منها كرة ضخمة مساعدة لشغل خيرى ، ثم نكتشف ان الزوجين كليهما مسرفان في التدخين ، وان الزوج منتهى آماله من الدنيا الحصول على آلة جديدة لتنسيق الاعشاب من طراز « موتارك » مقامها بين الآلات المماثلة كمقام الكاديلاك أو الرولزرويس بين سيارات الركوب .. ثم نكتشف بعد قليل أيضا انهما يسرفان في الشراب كل منهما على حدة ، ولكنهما يتفقان في الاهتمام بالحديقة ولا يضنان عليها بشيء مهما غلا ... فالزوجة تريد أن تكون أحواض الزهور النادرة مثار حسد معارفها جميعا ، ولذلك اشترت مجلة خاصة لتنسيق الحدائق واعدت مشروعا لاعادة تخطيط الزهور في هذا الربيع ... ويتفق الاثنان في التحسر على افتقارهما الى « صوبه » اى بيت من الزجاج لتربيه الازهار ، تبلغ تكاليفه عدة مئات من الجنيهات .. والحصول عليه قمة المجد في نظرهما ! وفيما عدا هذا الموضوع يسود حديثهما السأم والفتور ... حتى عند الكلام عما يريدان تناوله في العشاء ...

واخيرا يقترح الزوج الذهاب الى السوق كي يشترى كمية من علب السجاير وزجاجات الخمر لان الغد الاحد والمتاجر فيه مغلقة وقد يزورهما ضيوف ، ويترك الزوجة لتعد اى شيء لعشائهما بعد أن تحتج عليه لانه يرفض أن يسمح لها بالعمل كي تساعده على تكاليف البيت الباهظة ومصاريف ابنهما روجر في مدرسة داخلية راقية ، وتذكر له أسماء صديقاتها اللواتي يعملن والواتي لايقلون عنه مركزا وهن بريل ولورا ولويز ، وبذلك يمكنهم شراء سيارة جديدة وحجرة مائدة كبيرة فخمة وآلة من طراز « موتارك » للحديقة ، ولكن الزوج يسخر من فكرة استخدام زوجته غير المؤهلة علميا او مهنيا ، ويراها تحط من مقامه لو التحقت بوظيفة حقيرة كوظائف الضيفات وموظفات الاستقبال

وعندما يصل الزوج الى الباب حسبما للمناقشة يرن الجرس ، فيفتح الباب لامراة بولندية يهودية نصف مفرطة الزينة ، ينظر اليها باستغراب ولكن زوجته ترحب بها ... فينصرف وهو يهز كتفيه ويترك زوجته مع الزائرة ...

***

ونفهم من حديثهما أن الزوجة «جيني» نشرت من غير علم زوجها برنارد اعلانا هذا الصباح تبحث من عمل ، وان هذه المراة اليهودية اتتها للتفاوض معها ، وتبدأ المفاوضة بنقدة مائة ورقة من ذات الجنيه على ... الشغل » ...

وتتعجب جيني وترفض أن تقبل نقودا لا تعرف مصدرها أو سببها ، فتهز اليهودية كتفيها وتلقى بالرزمة في النار ، وتفزع جينى وتكاد تهجم على النار بلا تفكير : فتمنعها اليهودية وتخرج من حقيبتها الواسعة رزمة اكبر .. بها ٢٠٠ جنيه وتضعها في حجرها !

– لا تهتمى ، النقود في مهنتنا ليس لها حساب ، يمكنك الحصول على اى

مبلغ في اي وقت !

ـ انا اريد عملا معقولا ...

ـ لنتكلم بالمعقول ، انت لا تريدين عملا الا لتكسبي نقودا ، واملائك يقول انك لا تحسنين حرفة ، ولا تريدين العمل الا بعد الظهر ، وليس لديك مؤهل سوى مظهرك الوسيم ... وانت وسيمة المظهر فعلا ، والعمل الذى عندى يناسبك من كل وجه ، هو العمل الوحيد الذى يناسبك ، وايراده كما تريدين ...

وتصعق جيني وتفهم ، وتنهض غاضبة تأمرها بالانصراف ، فتلقى اليهودية بالرزمة الثانية من الجنيهات في النار!

ـ انت مجنونة بلا شك !

ـ لا ... بل غنية جدا فقط ... انظرى !

وتخرج رزمة ثالثة اكبر ، بها ٣٠٠ جنيه تضعها على رف المدفأة ، ومعها بطاقة بعنوانها ... في شارع الاطباء في قلب لندن ، عنوان محترم ، المواعيد من ٢ ـ ٦ مساء كالعيادات وبمواعيد سابقة ، كل موعد بـ ٣٠ جنيها ... اعلى من اجر اى اخصائى عالى ....

وتخبرها باسماء صديقاتها اللواتى تظنهن موظفات وهن في الواقع يعملن لديها... بالمواعيد : بيريل ولورا ولويز .. والسرية مضمونة ، وصديقاتها من اللواتى يرشحنها للعمل واثنين عليها

ـ انت مقززة ...



ـ اسمعى ! عندما تبلغين عمرى ولكون لك تجاربى ستدركين ان التقزز حالة نسبية ... حسب شعورك الشخصى ، فاذا شئت الا تشعرى بالتقزز .... لم تشعرى به ، وهذا كل شيء !..

ـ اخرجى ايتها اللعينة !

ـ الالفاظ لا وزن لها عندى ...

ـ خذى نقودك وبطاقتك واخرجى ..

ـ ها انذى خارجة ، وان لم ترغبى في النقود والبطاقة القيهما في النار... فعندى منهما الكثير ... وسانتظر منك تليفونا في اى وقت ... ولكن ليس قبل الحادية عشرة صباحا ، لانى كثيرة السهر كما تعرفين !..

وتخرج .. وتقف جيني حائرة تنظر الى النقود وتهم بالقائها في النار ، ثم بعد تردد تدسها في درج جانبى ... اما البطاقة فتمزقها وتلقيها في سلة للورق ، وتشعل سيجارة وتجلس شاردة ... واذا جاك الفنان الغريب الاطوار المهمل الشعر والثياب يطل من النافذة ويقلد صوت الغول لتفزع... ويدخل ليمازحها ويحدثها عن رسومه الكاريكاتورية التى يسخر بها من الناس « المحترمين » ... ويسأل عن المرأة المبهرجة التى رآها خارجة من البيت ، فتقول له : انها الخياطة ، ويشرب كأسه بسرعة وينصرف

وتدرك ان جاك هو رمز الفنان او المثقف صاحب النفس الحية الذى يتمرد على عفن بيئته وينظر اليه الجامدون والمتعفنون نظرة ارتياب ونفور ولكنهم يخشونه ويتحملونه خوفا من لسانه اللاذع ...

* * *

ويدخل الزوج محملا بالسجائر والخمر ويسأل عن الزائرة فتقول انها خرجت ، وانها خياطة بعثتها اليها صديقة لها ولكنها لم تتفق معها لان اتعابها باهظة جدا ... ويجلس الزوجان ويحاولان التسامر باحاديث فاترة ، ثم يتثاءب الزوج وتتلوه الزوجة ... ويصيح برنارد :

ـ اللعنة ! لو لم تكن آخر الشهر..



لفرحنا للمرح والرقص وتمشينـــا فى مطعم ... فى ليلة الاحد المباركة هــذه كالناس « المحترمين » ...

وتلمع عينا جينى وتقول فجأة :

ـ فكرة ! ولم لا ؟ عندى خمســـة جنيهات ادخرتها ، نستطيع أن نلهو بها الليلة ونمرح ... اذهب وغير ثيابك البس بدلة العشاء ..

ويقبلها وهو يطلق صرخات يقلد بها الهنود الحمر تعبيرا عن فرحه ويصعد ليغير ثيابه ، وتفتح هى الدرج وتأخذ من الرزمة ورقتين من فئـــة الخمسة جنيهات ... وتبحث فى السـلة عن قصاصات البطاقة

وتنزل الستار

ويرتفع ستار الفصـــل الثانى وقد انقضت عدة اسابيع وصرنا فى اواخر يولية ، والوقت صباح يوم السبت وقد صارت الحديقة فى ذروة بهائها ، وتدخل جينى حاملةصينيةعليها الفطور، ونفهم من الحديث ان وحيدهما روجر قادم لقضاء العطلة ، وان أزمة الزوج زادت استحكاما ... حتى انه يرفض الذهاب الى السينما يوم الاثنين مع ابنه

وزوجته لان الميزانية لا تسمح ، وفى الوقت نفسه نـــلاحظ ان الاسراف فى السجائر والشراب وتكاليف الحديقة بلا حساب ... وان أهم ما يزعج برنارد رغبته فى الحصول على « ســـوية » مستعملة (لقطة) للحديقة قرأ اعلانا عنها فى صحيفة الصباح ، ولــكن ثمنها اربعون جنيها .. وهى ليست معه حاليا ... فالغلاء يزداد ، والضرائب تزداد ... والنقود تطير كالعصافير ... .

وفى هــذه اللحظة يرن جرس الباب وتفتحه جينى وتعود بخطـــابات وطرد صغير ... الخطابات لها ، اما الطرد فباسم زوجها ... ويقفز مصعوقا عندما يفتح الطرد ويجد بداخله رزمة اوراق مالية كبيرة وليس معها اى دليل على اسم مرسلها ... ويعدها بذهول ... انها ٢٠٠ جنيه... ويخطر له فى البداية ان يسلمها الى البوليس ... فتقول له جينى :

ـ انك لم تجدها فى الطريق ... بل ارسلها اليك شخص ، باسمك ، يريدك ان تحصل عليها لنفسك ، شخص يقدرك شخص ربما تكون قد اديت له خدمة... لست أدرى بالضبط ، ولكنه بالتأكيد شخص يقصدك بالذات ، فان سلمت المبلغ البوليس لن يستفيد منه أحد... لانه ليس مبلغا ضائعا يبحث عنه صاحبه

ويهرش برنارد رأسه وبعد تخمينات غير معقولة يتذكر ان مدير احـــدى الشركات الكبرى التى تعاملت أخيرا مع المؤســـة التى يعمل بها فى صـــفقة ضخمة دعاه للعشاء وشكره على حسن تعاونه ولمح له انه لن ينسى له هــذه الخدمة ... ولكنه حسب المسألة عندئذ لا تتجاوز حدود المجاملة المألوفة فى الكلام

واخيرا يحتفــظ بالمبلغ ويبرق فورا لشراء الســوية للحديقة ، ويقــرر هو وزوجته اقامة حفلة كوكتيل ساهرة بهيجة تدوم ' ابنهما يدعوان لها بيريل ، وزوجها بيل سمسار العقارات ، ولورا وزوجها ستيفن خبير تجارة البترول ، ولويز وزوجها توم سمسار البورصة ، وتقوم جينى بالاتصالات التليفونية لم

تذهب الى المطبخ لأمر ما ، ويطلب هو الشركة التى تبيع آلة الحشـــــائش « مونارك » ثم يجلس فى سعادة تامة ليدخن غليونه ، ويجده مسدودا فيبحث فى الادراج عن « سلاكة » ويخرج منها وهو مذهول رزمة أوراق ماليـــــة ! ويتقهقر بظهره وهو يصيح مناديا جينى فيصطدم بمنضدة عالية عليهـــا زهرية فتسقط وتتبعثر منها عدة رزم مماثلة تحت قدميه... وتقبل جينى على صياحه وهو يبحث فى الزهريات الاخرى ليجد فى كل منها رزمة نقود ! !

* * *

وتبدأ لحظة المكاشفة الرهيبة ، فاذا جينى ثابتة هادئة ، فقد رأت فرحة الحصول على نقود بلا تعب وهى واثقة من النتيجة ...

ـ ان كنت لا تريد كل هذه النقود حقا الق بها فى النار ! !

وهكذا صارت جينى تتكلم لغة تلك القوادة المتبجحة .. وهذا ليس مجرد ليس مجرد صدفة لان وحدة السلوك ووحدة التفكير تنتج عنها وحـــــدة الاسلوب وطريقة التعبير !..

ـ انا التى أرسلت اليـــك هذه النقود التى حولتك من رجل مهموم الى رجل سعيد .. احرقها كلها أيضـــا ان شئت ...

ـ اللعنة ! والصـــوبة التى ابرقت بشرائها ! وآلة الحشائش مونارك! والذين دعوناهم للحفلة !

ـ لا عليك منهم ، أستطيع ان الغى الدعوة !..

ـ ولكن من أين حصلت على كل هذا المال ؟ من المراهنات ؟

ـ ليس بالضبط .. لقد كسبتها... لم أسرقها ... استحققتها بتعبى ...

ـ أى نوع من التعب ...

ـ نوع التعب الذى يدر هذه المبالغ فى عشرة اسابيع ...

ـ ولــكنك لا تعملين ...

ـ بل اعمل ... بعد الظهر فقط...

ـ ولكنك لم تتعلمى حرفة ما ...

ـ هنـــاك حرف تحتاج الى مواهب فقط ... بلا تعليم !

وينقض عليها ليقبض على كتفيهـــا بشدة ، فتتخلص ببرود ، وتتنـــاول رزمة وتحاول أن ترمى بها فى المدفأة ، وبدون تفكير يمسك ذراعها ويمنعهـــا ،



وعندئذ تبتسم ابتسامة صفراء وتقول :

ــ هذا أفضل . ويمكننا الآن أن نتكلم بالعقل ..

وتحدثه ــ بلغة محتشمة جدا وبتلميح مهذب كما ينبغي أن يكون حديث الناس « المحترمين » ــ بأمر تلك المرأة التي ظنها خياطة. وكيف أنها تدير «مؤسسة» خاصة جدا . راقية جدا . عملاؤها من أصحاب الملايين وكبار الساسة . والسرية مضمونة . والربح كبير . ولا يخضع لأي نوع من الضرائب ، وفي وسعه أن يشتري سيارة جديدة في الشهر القادم .. وسائر ما كانا يحلمان به من سنوات .. ويقيد ابنه منذ الآن للالتحاق مستقبلا بجامعة كمبردج مع أبناء اللوردات !

ويصفعها على وجهها ويطلب اليها الرحيل عن البيت . وفي هذه اللحظة يرن جرس الباب ويذهب برنارد ليفتحه فاذا القادم الفنان جاك . وعلى الفور يتقدان الموقف بطريقة آلية ويتظاهران بالوفاق التام .. ويخبرهما جاك انه سمع نبأ الحفلة من ابريل ، وانه عزم على الحضور ولو ان الدعوة لم توجه اليه ! ويلمح أكوام النقود فيزيحها من طريقه بقدمه ويجلس على الأريكة ويقدمان له كأسا ويتحدثان اليه حديثا اجتماعيا بالوفا بكل بشاشة . ويقدم برنارد لزوجته كأسا ويشعل لها سيجارة ويخاطبها بأرق ألفاظ التحبب « سترا للمظاهر »

وكما حضر جاك فجأة ينصرف فجأة .. فهذه عادته ، ويفشلان في استرداد حالة الخصام والغليان .. ويقول برنارد ساخطا :

ــ اللعنة ! لقد رأى النقود وسيملا بأخبارها الدنيا. فاذا افترقنا سيتساءل الناس ويكثر الكلام .. لا فائدة اذن . لقد أصبح الفراق مستحيلا .. في المستقبل القريب على الأقل منعا للقيل والقال .. الا اذا كان أحد زبائنك . من يدري !

ــ لا تكن سخيفا .. أنا لست مجنونة بحيث « أتعامل » مع أحد من معارفنا .. أو من أهل الضاحية كلها ..



ويبدو عليه الارتياح والتقدير لحصافتها .. ويرن جرس الباب مرة أخرى ، فيسرعان في جمع النقود واخفائها ، ثم تفتح جيني الباب واذا به روجر وحيدهما ، قادما من السفر لقضاء عطلة الصيف معهما .. ويستغرق الثلاثة في الأحاديث العائلية المعتادة عندما يعود الابن من المدرسة بعد غيبة طويلة .. واذا الباب يرن مرة أخرى .. انه سائق التاكسي قد نسيه روجر ولم تكن معه نقود كافية لأجره .. ويخرج برنارد ليحاسبه واذا بهما يختلفان حول الأجر



.. ويلكم برنارد السائق المعجول ليسيل الدم من انفه ويصر الرجل على استدعاء البوليس، ولكن جينى تسترضيه بعشرين جنيها . ويرفض الرجل فتزيده الى أربعين وينصرف السائق ويتنفس برنارد الصعداء . وتقول له جينى بلهجة ذات مغزى :

— لولا النقود لساءت النتيجة كما تعلم ..

— أوه .. ولكن كان لا بد لى ان اضرب أحدا ..

— اخرج المسألة من ذهنك . لقد انتهينا منها على خير . ولنحتفل بروجر

ويرفع برنارد السماعة ويطلب من المتجر صندوق شمبانيا ..

وينزل الستار

* * *

ويرفع ستار **الفصل الثالث** عن الحجرة نفسها وقد أعيد تأثيثها على مستوى فاخر ، ونلاحظ ان ملابس الزوجين طرأ عليها تحسن كبير جدا . وان التوافق بينهما أصبح ملموسا أكثر من ذوى قبل ، فليس هناك توتر ولا فتور . هناك اهتمام متبادل يدل على وجود « رباط » جديد هام مشترك . ومعهما فى هذه المرة وحيدهما روجر . والثلاثة منهمكون بكل حماسة فى الاعداد لحفلة الكوكتيل الفاخرة ، ويتعاون الزوجان على ابراز التحف والمقتنيات الجديدة ليلاحظها الضيوف ، ومنها بيك أب أوتوماتيكى ومجموعة من أحدث الاسطوانات . ومجموعة من الشمبانيا الفاخرة والجبن والكفيار والبراندى . ولكن الوالدين يحذران روجر وهو فى الخامسة عشرة من تذوق شيء غير عصير الليمون ! ونلاحظ انهما صارا أكثر تشددا ومحافظة فى السلوك والتعبير ، ويحرمان على ابنهما استعمال اى لفظ سوقى ويهدده أبوه بالضرب ان عاد لذلك !

ويبدأ حضور الضيوف : أولا لورا الشابة الجميلة وزوجها . كلاهما مهذب جدا ! وظريف جدا ومتحفظ جدا .. مثال الناس المحترمين !

وتدور الاحاديث المهذبة المحفوظة فى الحدود التقليدية المعتادة ، ثم تدخل بيريل وزوجها وهما من نفس النمط وتدور أحاديث صغيرة أخرى، مع تعرض للسياسة الدولية وخطر الحرب النووية ندرك منه ان « بسلامتهم » جميعا لا يفقهون من هذه الامور كلها شيئا ولا يهتمون بها الا من بعيد جدا وبفتور شديد . لانها امور لا تمس اشخاصهم

مباشرة ! لم تحضر لويز وزوجها وتبدأ الاحاديث تتشابك فى وقت واحد بلا هدف وتثور مسألة المستعمرات الافريقية التى أصابها وباء « الاستقلال » ونسمع كلاما غريبا عن التحسر لان المانيا لم تكسب الحرب كى تربى هؤلاء السود فلا يتجاسرون على طلب الاستقلال !

وليس صدفة ان يكون هذا هو المناخ العقلى لمجموعة متعفنة من « المثقفين » بكل كارثة وانحطاط فى أساليب السياسة والاقتصاد . لأن الرجعية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية فروع لشجرة واحدة

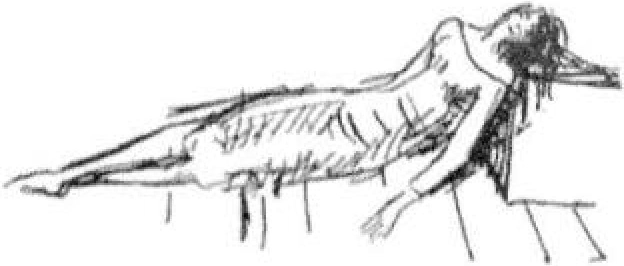
ويصيح روجر الصغير ان مشكلة التفرقة اللونية بشعة جدا ، وان رأى جميع زملائه ان الحل الوحيد هو اختلاط الالوان كى يأتى جيل جديد فى جميع القارات والدول لونه بنى فاتح .. وبذلك تنتهى هذه المشكلة الحمقاء عمليا ! ويبدو الاشمئزاز على الجميع ، ويكاد الاب يبطش بابنه قليل الحياء ! لولا أن لويز تشغله بالحديث عن آلته الجديدة « موتارك » وتطلب منه أن يديرها ليشاهدها .. ويخرج مع مجموعة الى الحديقة مسرورا مزهوا ، واذا جرس الباب يرن وتدخل اليهودية القوادة « ليونى » فجأة فترتبك جينى ولكن ليونى تطمئنها ان صاحباتها يعرفنها مثلها ومن السهل ان تزعم أمام الرجال انها من معارفها أثناء الصيف ولكن كيف التصرف مع روجر ؟ انها ترسله الى السوق لشراء سجائر ، وتعطيه خمسة شلنات ليشرب أيس كريم صودا فى اى مقصف . المهم الا يتعجل العودة من السوق ، فيخطر للفتى انهم بصدد رواية نكت مكشوفة مما يستبيح الكبار النطق بها بعيدا عن آذان الصغار .. وينصرف ، وعندئذ يخلع الجميع الاقنعة ، ويهمس كل رجل فى اذن زوجته بنفس السؤال :

– هل ليونى هى ..؟

وتهز الزوجة رأسها بالايجاب ، ويحاول كل منهم بعدها ان يقدم لليونى " سا أو سيجارة . وتختصر هى هذه المقدمات لتخبرهم بسبب حضورها الاضطرارى المفاجىء : ان وكيل صاحب العمارة طلب اليها الاخلاء والا ...

وأول ما اهتم به الازواج المحترمون هو الاطمئنان الى سرية الاسماء .. ولما اطمأنوا الى عدم الفضيحة .. بدأ اهتمامهم بما ستفعله . فأخبرتهم انها بصدد البحث عن منزل مستقل فى ضاحية منعزلة .. قريب من المحطة ، وله عدة أبواب امامية وجانبية وخلفية فى الحديقة الكبيرة .. وعندئذ بدأ تلهفهم على ايجاد هذا البيت فى أقرب وقت . فكل أسبوع يمر معناه ضياع ايراد يبلغ متوسطه ٤٠٠ جنيه على كل منهم – خالصة من الضرائب .. وهنا ينبرى بيل سمسار العقارات لتقديم خدماته ويذكر لها قصرا للورد أختى عليه الدهر ويريد تأجيره ، ويتعهد برنارد بتسهيل تركيب التليفونات فى أقرب وقت ..ويتنابهم القلق عن كيفية اتصال ليونى بزبائنها من كبار الرجال لتخبرهم بالتغيير المفاجىء فى العنوان ورقم التليفون . ولكنها تطمئنهم بأن لديها أرقام تليفوناتهم السرية . ويأتى بعد ذلك دور الحديقة ،





اذ يجب ان يكون منظـرها المطل على السكة الحديد « محترما » يدل على رقى أصحابها واحتشامهم . ويتعهد برنارد بحكم هوايته باعداد الحـديقة المحترمة على مستوى أرقى من حديقتـه نفسها ..

* * *

وفى هذه اللحظة يحضر جاك الفنان الرسام غريب الاطوار ، فيقابله الكل بتحفظ واستعلاء . انه ليس من الطراز الرزين « المحترم » المرغوب فيه . ولكنه لا يبالى . ثم انه سكران . لقد قابل روجر وعرف منه نبأ الحفلة التى كان قد نسيها ، فترك روجر يلهو فى مقصف وجاء يطمئن على « اعمدة المجتمع » وفجأة يقع نظره على ليونى ، فتقدمها جينى ــ حسب الاتفاق ــ على انها من معارفها فى المصيف ، ولكن جاك يتذكرها .. ويصيح !

ــ عجبا ! لقد كنت فى المرة السـابقة خياطة ..

ــ وأنا فى هذه المرة ايضا خياطة .. من الاثك !

وتنصرف ليونى بسرعة وتترك جـاك مشغول البال ، ويتركه الجميـــع فى شروده ويشربون ويتسامرون فى احاديث عادية جدا ، كأنه لم يحدث شىء غير عادى ، وفجأة يصيح جاك :

ــ وجدتها ! انها تشبه تماه الشبه امرأة رأيتها تدير بيتا للبغاء فى فرنكفورت منذ سنتين .. ولعلها اختها التوأم ..! هذه المهنة . مهنة « المعلمة » تبدو على وجه صاحبتها على بعد مائة ميل ! وخصوصـــا اذا كانت من « الشعب المختار » !

ويغضب برنارد ويسبه ، فيثـور شجار ، وعندئذ ينفجر جاك :

ــ آه ! انت الان شديد الغطرسـة يا برنارد .. ولكن من كان مثلك لا يجوز له الغطرسة على الناس

ــ ماذا تعنى ؟ اخرج من هنا ..

ــ طبعا سأخرج . سأذهب الى النادى وأحدثهم بأمر هذه « المعلمة » اليهودية .. المسألة واضحة كالشمس ..ومئات الجنيهات التى كنت خاثرتا فيها فى المرة السابقة فى هذه الحجرة ! الموضـوع مفهوم ..

وتحاول جينى أن تهدئه وهى مصفرة الوجه ، فيقبلها جاك ويقول باحتقار :

ــ ولماذا امتنع ؟ الكل لهم هـــذا الحق ...

ويتجه الى الباب. وفى الحال يعترض الرجال طريقه ليمنعوه بالقوة من الخروج ويثور عراك . فيضربه توم بزجاجـة فارغة على رأسه .. ويسقط ميتا على الارض .. ويذعر الرجال . اما النساء

فلهن تفكير عملي هادىء ، وبسرعة يقررون دفنه في الحديقة تحت حوض معد لزراعة النرجس . ويتعاون الرجال الاربعة على مواراة الجثة وتغطيتها بالإحكام كما كانت .. ويطمئنون الى أن هذا الفنان « المقطوع من شجرة » سوف لا يهتم أحد بالسؤال عنه ، لأنه كثيرا ما يرحل فجأة لمدة شهور ..

— ولكن روجر يعلم انه سيحضر ..

— من السهل أن نقول انه لم يحضر .. انه فنان مجنون .. لا يتوقع منه أحد ان يتصرف تصرفا منطقيا معقولا .. ولا يهتم بمصيرة احد .. الكل يشعرون بالراحة لغيابه ..

ويجلسون للشرب والتقاط أنفاسهم ، ويتحدثون عن التشابه بين مجهود الحفر ومجهود السباحة .. وكيف يؤلم العضلات في اليوم التالي ..

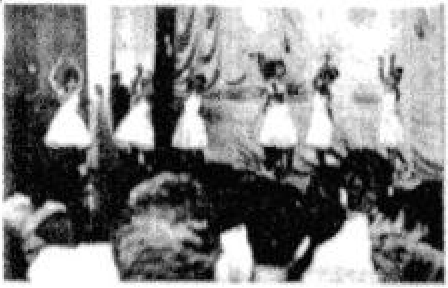
وأمام باب الحديقة عند الانصراف يبدي الجميع اعجابهم بالحديقة البديعة .. الحديقة التي ترقد تحت زهورها جثة فنان قتيل .. ولكن أحدا لا يفكر في ذلك . تفكيرهم كله في جمال تنسيقها

ويبدو على برنارد وجيني السرور والارتياح .. في حين تنزل الستار ببطء



أحمد رشدى صالح :

مع المتفرجين



تظل الاستعدادات تجرى فى الكواليس ووراء الستار ، الى ان ترتفع الستار عن المسرحيات الجديدة وبرامج الفرق الاستعراضية والشعبية

وفى شهر يوليو ، انتهى اطول موسم عرفته الفرق المسرحية والاستعراضية ، عندما نزلت الستار على الحفلة الاخيرة للفرقة الاستعراضية الغنائية التى استمرت تقدم اوبريت « الليلة المظلمة » ستة اشهر متوالية

وظهرت بعدها ، على مسرح البالون **فرقة القاهرة الاستعراضية** التى عودت الجمهور أن تقدم له لوحات راقصة مختلفة ، من العالم

وبين مسرح البالون ، ومسرح دار الاوبرا ، ومسرح المراكس بالقاهرة ، استمرت الفرقة **القومية للفنون الشعبية** تستعد للظهور امام الجمهور فى موسمها الثانى

وفى مسرح الجمهورية « المكيف » بالهواء ارتفعت ستائر البروفات النهائية عن رائعة فيديريجو لوركا ، وهى مسرحية « **يرما** » التى ترجمها وحيد النقاش ، ونظم اشعارها صلاح عبد الصبور ، وأخرجها كرم مطاوع

ومن المسارح الدرامية ، والاستعراضية ، انتقلت بعض الاعمال الى شاشة التليفزيون ، فاذيعت فى اوائل الشهر الماضى مسرحية « **رحلة خارج السور** » التى قدمها المسرح القومى فى موسمه الشتوى الاخير ، وكتبها رشاد رشدى وأخرجها سعد أردش

ولفتت مسرحية « **اين مكانى** » لنعيمة وصفى والتى اعاد التليفزيون اذاعتها ، الانظار من جديد ، لا بسبب موضوعها ، وطريقة علاجها فقط ، بل لاداء الممثلين والاخراج والتصوير

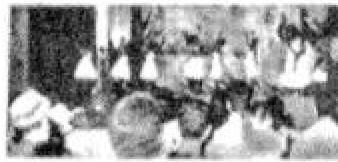
وبعد ان اشتركت فرق المسرح والموسيقى والفرق الاستعراضية والشعبية ، فى احتفالات ٢٣ يوليو ، بدأت معظم هذه الفرق ، تضع الترتيبات اللازمة ، للانتقال من القاهرة الى مدن الشواطىء : الاسكندرية ، وبورسعيد ، ورأس البر

وخلال هذا الاسبوع لن يكون فى القاهرة من الفرق الكبيرة غير الفرقة القومية للفنون الشعبية ، التى تعمل على مسرح البالون الكبير

وفى الاسبوع الاول من شهر يوليو ، خطف فيلم « **الرغبات المكبوتة** »



شباب المحافظات .. يعرضون لوحاتهم بمهارة



الاضواء ، وأعاد الى الاذهان «مشكلة» الافلام النفسية التى تملأ استوديوهات أمريكا وغيرها منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها

التحليل النفسى

وفى الموسم الشتوى الاخير وحده ، شهد جمهور القاهرة اكثر من « افلام كبيرة » تدور حول عقدة اوديب بأشكالها المختلفة

وكانت أسطورة « **اليكترا** » فاتحة هذه الموجة من الافلام التى تمس ما يسميه علماء النفس منطقة المحرمات ..!

والحقيقة ان الشاشة البيضاء اظهرت ظلال التحليل النفسى بكثرة بالغة ، فى العشرين سنة الاخيرة

وبينما كانت موجة الفيلم الواقعى ، تجتاح ايطاليا ، بعد ان سكتت مدافع الحرب العالمية الثانية كانت استوديوهات السينما الانجليزية والفرنسية والامريكية ، تزاحم هذا الاتجاه الواقعى ، بالاتجاه النفسى ..!

كانت الكاميرات الإيطالية تستعيد ، ذكريات البؤس والشقاء ، والالم ، ومشكلات الحياة العادية ، التى عرفتها البلاد الاوروبية ، أثناء سنوات الحرب ، وبعدها ، عندما كان الرجل الايطالى أو ربة البيت الالمانية ، تأخذ قرصا واحدا من الزبدة ، ببطاقة التموين ! وعندما كان الخبز الاسود المخلوط بالشوفان ، يعتبر فاكهة غالية ..!

وعندما كانت اطلال برلين ، تنافسها اطلال كولونى ، وعشرات المدن التى تعرضت للغارات الجوية الساحقة سواء من ناحية الحلفاء أو من ناحية المحور . فى هذه الفترة نفسها ، اتجهت كاميرات السينما الانجليزية والفرنسية والامريكية اكثر ما اتجهت الى قصص السلوك المنحرف ! الذى برع فرويد وتلاميذه ، فى الكشف عنه ، وابرازه ، وكأنما قد اصبحت نفسية الانسان فى العصر الحديث ، مثل وجه عبقرى انفجرت فيه قنبلة ، فأصابته بجراح لا سبيل الى اخفاء تشويهاتها

وفيلم « فرويد » أو الرغبات المكبوتة ، ليس آخر فيلم من هذا النوع ، ولن يكون ... فالحماس الذى بدى للسينما الايطالية الواقعية ، تراجع كثيرا ، امام زحف الافلام النفسية ، وافلام الاستعراضات الفخمة ، وافلام الموضوعات التاريخية والدينية ، التى تستغرق اضخم ميزاليات صناعة السينما فى العالم

واقعية خيالية

ولعل مسرحية « **يرما** » التى يقدمها مسرح الجيب ، وقد خرج بها الى الجمهور الواسع ـ جمهور المسرح العادى وليس جمهور المسرح التجريبى ـ ان تجيب على اسئلة الحائرين الذين طالما ارتابوا فى مقدرة مدارس الفن الطبيعى والواقعى ، على مواجهة مشكلات الانسان المعاصر

هذه المسرحية ، ليست واقعية جامدة ، وليست رومانسية بحتة

انها تنسج على « نولين » ، تنسج على « نول » الواقع الاسبانى الذى عاشه **لوركا** قبل الحرب العالمية الاولى ، ايام كان هو نفسه يمارس حياة الفنان الشاعر المغنى ، الذى يحلم كثيرا ، ويتجول كثيرا مع الغجر والفلاحين وفرق الممثلين والمنشدين الجوالة ، الذاهبة



الفرقة القومية للفنون الشعبية تقدم رقصاتها على مسرح البالون

فى ارض الاندلس والصاعدة الى جبال البرانس ، والمتجهة الى المدينة القاسية — مدينة مدريد

ولكن المسرحية ، تمتد الى ما وراء الواقع الاسبانى الضيق ، لأنها تعالج عاطفة انسانية عامة

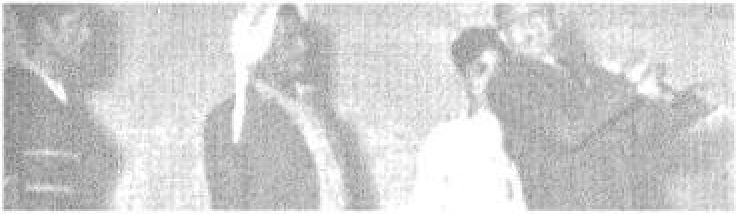
ان « يرما » امرأة شابة جميلة وقوية وفلاحة وزوجها يرعى الماشية ، ويزرع الارض ، ويولى وجهه الى العمل المرهق من طلوع الشمس الى نزول الليل

و « يرما » مشتاقة الى ان تنجب طفلا !

وزوجها ، كالارض الجافية التى لا تعرف السخاء !

ومن خلال اشواق يرما ، وجفاف زوجها ، ومن بيئة الفلاحين والرعاة والنساء الشعبيات ، تنمو ابعاد المسرحية ، لتضم اليها هواجس المرأة وغطرسة الرجل ، وشائعات الجيران وأوهام العجائز ، وزيارة القديسين والسير فى طريق الشوك الذى يوشك ان ينتهى بيرما الى الخطيئة !

وكلما سارت فى هذا الطريق ، زاد تمزق روحها ، واشتدت مأساتها .. فهى امرأة تتمسك بالفضيلة ، لكنها مشتاقة الى طفل ، وهى شابة قوية ، لكن زوجها يهملها ، وهى ضعيفة أمام



مسرح الكويت .. وزكي طليمات

نداء الأمومة ، لكنها مترددة لم صامدة فى وجه الخطيئة ...

***

وتنتهى المسرحية ، بأن تخنق يرما ، اشواقها الى الطفل ، حين تخنق زوجها

لقد كان طريق خلاصها من سورة هذا الشوق ، أن تعيش حياة زوجية كاملة

وكان زوجها هو وحده الذى يستطيع ان ينصرها على الرغبات العنيفة وما دام زوجها ، لم يعطها هذه الحياة التى ملات احلامها ، وانشات اشواقها .. فانها تقتل هذه الاحلام والاشواق ، بان تطبق بيديها على رقبة الزوج ، وتلقى كلمات النهاية ، بلسان شل طريق العقل ، وتهالك ، كالسنة المجانين

فنون المحافظات

وشهد الاسبوع الثانى من يوليو ، « العروض » الفنية التى قدمها شباب المحافظات ، امام لجان التحكيم . لقد نظم المجلس الاعلى لرعاية الشباب ، هذه المسابقات ، وكان من أبرز ملامحها ، ان المحافظات المختلفة ، تقدمت ببرامج من الفنون الشعبية ، كما تقدمت بأعمالها المسرحية والفنية الاخرى

وعلى هذا النحو ، تكون المحافظات ، قد عرضت جهودها الفنية مرتين فى شهور قليلة ، فأسبوع الجامعات الذى نظمته جامعة أسيوط ، شهد مباريات فى التمثيل والمنوعات والرقصات والاغانى الشعبية والاداء الموسيقى — وكان ذلك فى نهايات العام الدراسى الاخير

وقبل ظهور نتائج الامتحانات عاد شباب المحافظات ، يعرض مع بطولاته ، هذه الاعمال الفنية الدرامية والغنائية والشعبية ... احتفالا بأعياد الثورة المجيدة

المسرح فى الكويت

وفى كواليس مسارح القاهرة ، زائرون من الفنانين العرب القادمين من البحرين والكويت . لقد أصبحت حياة المسرح وفرق الفنون الاستعراضية والشعبية ، « منطقة » مضيئة ، يزورها الفنانون العرب ، ليتعرفوا على وجوه النشاط الذى يزداد يوما بعد يوم

وفى القاهرة الآن ، فنان المسرح المصرى والعربى الكبير **زكى طليمات** الذى يقضى اجازة طويلة بعض الشيء ، شهرين منها يستجم ويستعد وشهرا ثالثا ، يشرف على بعثة من العاملين فى مسارح الكويت الذين يفدون على القاهرة ، ويمارسون حياة الفن المسرحى الدرامى والشعبى ، من داخل كواليس هذا الفن ، الى خشباته ، ثم الى جمهوره

ويتحدث **زكى طليمات** عن تجربة الكويت فى ميدان المسرح والفنون



بوغا .. كمسرحية من امسح الغيب .. الى الجمهور الواسع

الشعبية ، فيقول ، ان الكويت انشا مسرحه الدرامي الخاص ، وهو في سبيل انشاء « كورال » للغنــاء والموسيقى الشعبية ، وان تسجيلات مركز الفنون الشعبية هناك ، تنتظر جولة قادمة ، لتتحول من مواد صــامتة الى برامج متحركة وناطقة ...

وفي السنة الاخيرة ، استضـاف الكويت فرقة رضـا من القـاهرة وفرقة المسرح القومي وفرقة الاوبرا الليبروتية ، وقابلها الجمهور بالترحيب والتقدير

***

والحقيقة ان الفنـــون المنظـــورة والمسموعة ، التي تنشأ في القــاهرة ، سرعان ما تجد سبيلها الى عين المشـاهد العربي ، والمســتمع العربي ، الذي يتردد على دور السينما والمســـارح ، ويدير اجهــزة التليفزيون والراديو ، ويقرأ المجلات والصحف



مسئولية الفن العربي

وتبدو مسئولية المشرفين على النشاط الفني في القاهرة ، كلما اتضحت حقائق اللقاء الذي يتم كل ساعة وكل ليلة ، عن طريق الكلمة الدامة واللحن والاغنية والصورة المنقولة بالاثير ، وعن طريق الاجهزة الاليكترونية والكهربية

لقد بدأت بعض فرق الفنون تضع في تخطيطها للموسم الحالي — والموسم القادم بالتأكيد — تقديم لوحات ومشاهد من الفن العربي الاصيل

وفي هذا الاتجاه ، استقدمت الفرقة القومية للفنون الشعبية ، فرقة من منطقة غزة ، وشاهدت عروضها ورقصاتها ، في « عرض » خاص على مسرح الازبكية والتقط مركز الفنون الشعبية افلاما سينمائية لرقصات الدبكة ، واغانيها وازيائها

والخطوة التالية ، هي استيحاء هذه الرقصات وتطويرها ، وتقديمها على خشبة المسرح ، كما حدث بالنسبة لرقصة « الحجالة » وهي مأخوذة من فن البدو في الصحراء الغربية ، ورقصة « النوبة » المأخوذة من ارض الذهب ... النوبة ذاتها

الفن عمل جماعي وابتكار مواهب فردية

وسوقنا الحديث عن تطوير الرقصات الى مناقشة طبيعة العمل الفني الذي تنهض به الفرق المسرحية والاستعراضية والشعبية

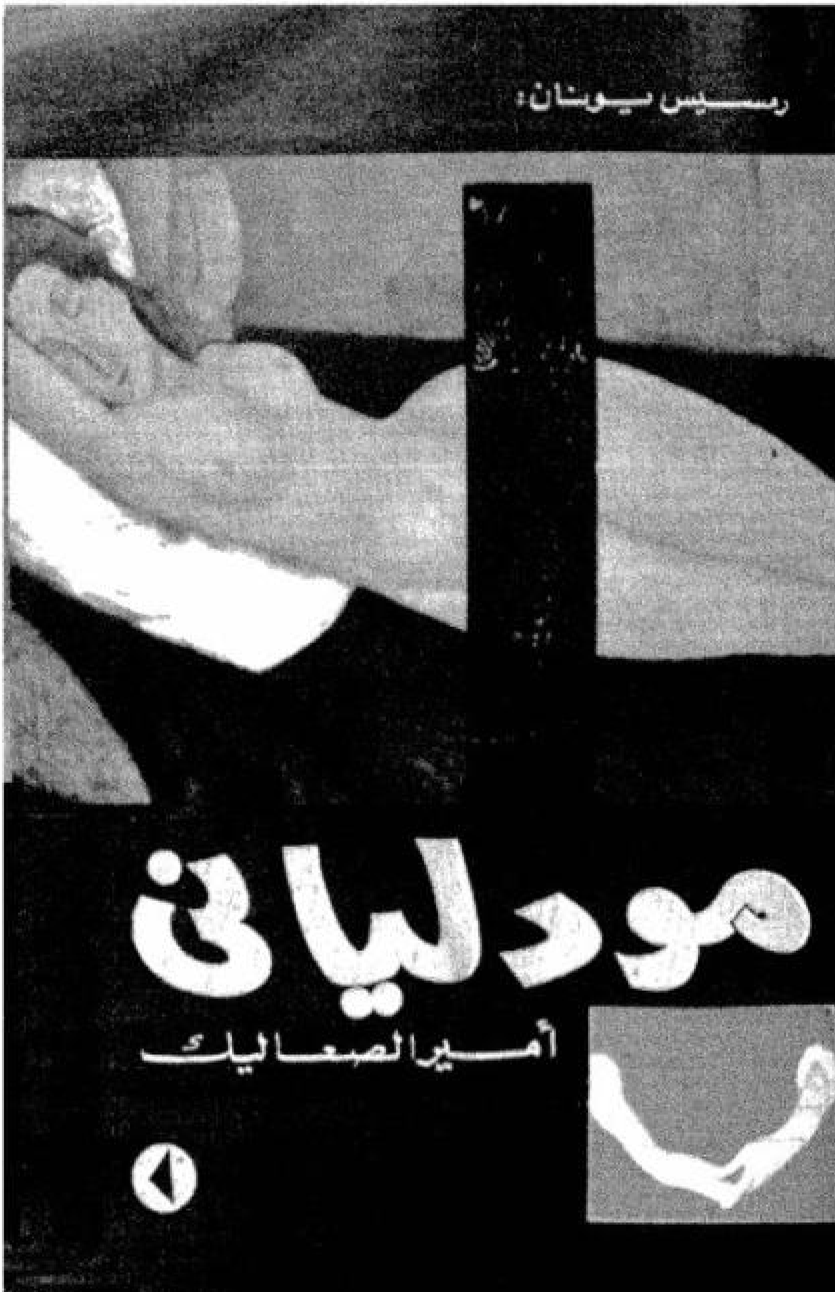
ان هذا الفن عمل جماعي ، يدين بنجاحه لجهود مجموعات كبيرة ، تصل احيانا الى بضع مئات ، في الفرقة الواحدة ، وتصل غالبا الى بضع عشرات
ولكنه ايضا ابتكار مواهب فردية
ويتوقف مصير كل عمل فني الآن، على مقدرة الذين يوجهون مجموعة الفنانين ، الى العمل المشترك، ويشجعون ابتكارات المواهب الفردية

ولا توجد امام هذا التزاوج بين الجهد الجماعي والموهبة الفردية ، مشكلة يتعذر حلها ، فلاول مرة في تاريخ الفن المصري ، ينال الفن اقصى امكانياته ، تسانده الدولة ، وتذلل له الصعاب ، وتنفق عليه بسخاء

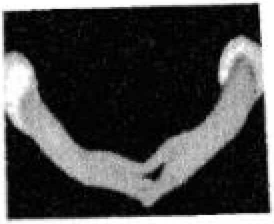
***

ان هذه النهضة الفنية تدين بنشاطها وحيويتها ، الى القوة الدافعة المتجددة ، التي فجرتها ثورة ٢٣ يوليو، فيوم ان ازاحت هذه الثورة المجيدة ، عن صدر مصر ، ظلام الماضي ، مدت يدها القوية ، تحنو على العمل الخلاق، ترعاه في مجالاته المختلفة

وفي ١٢ سنة ، حقق الفن ، كما حقق العلم ، انجازات تاريخية ، لعلنا لا نحس كامل ضخامتها ، لاننا نعيشها ، لكن يكفي ان نلاحظ ، ان فن المسرح مثلا ، كان يشكو قبل ثورة ٢٣ يوليو، من قلة عدد المشاهدين ، وقلة عدد الاعمال الجادة والابتكارات ! فاصبحت المشكلة الآن هي ضيق الاماكن وتزاحم الجمهور على المقاعد ، وتزاحم الفرق على المسارح ، وكثرة الموضوعات الجديدة ، التي اثارت النقاش ، في المواسم الاخيرة والتي تدل على حيوية الحركة المسرحية والفنية ، وتضاعف « نبض » الانتاج ، وبالتالي ، مسئولية القائمين على الحياة الفنية ، باختلاف مستوياتها واشكالها


رمسيس يونان:
موديلياني
أمير الصعاليك

موديليانى .. أمير الصعاليك!



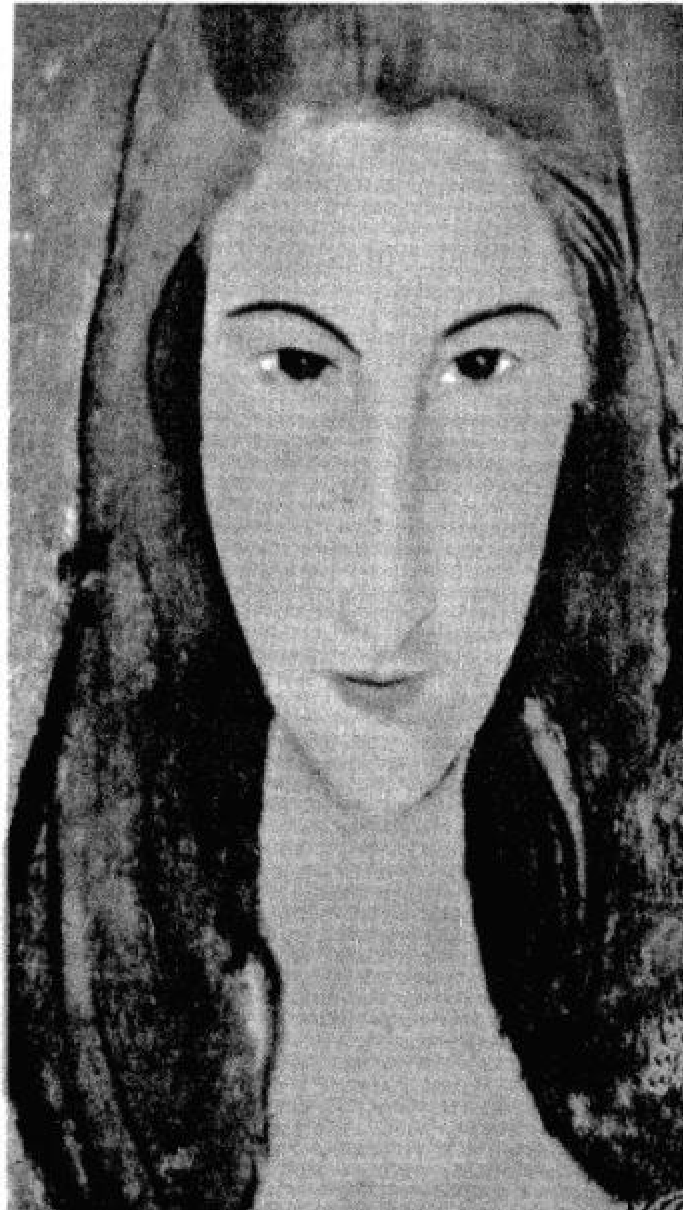
كان فتى وسيما بل رائع الجمال ، يحفظ شعر دانتى ، وترتمى فى احضانه النساء .. وكان رغم صعلكته والعالة البادية ذا سيماء ارستقراطية ، فلقبوه بأمير البوهيميين . وقد حسبوه متلعا وصل الى باريس فى سن الحادية والعشرين مجرد فتى متأنق جاء ليبدد حياته فى اللهو واحتساء الخمر وصحبة النساء ، ولكنه كان فى حقيقته شابا تعيسا مرهف الحس متوتر الاعصاب ، يغص قلبه بكل هموم الفنانين الباحثين عن طريق . وقد اتى الى عاصمة الفن ينشد الهداية ، فأمضى بضعة اعوام بعربد فى الظاهر ، ويعانى فى دخيلة نفسه الوحدة والقلق والوساوس . فلما ان عثر على طريقه ، لم يمهله المرض ولا الشك غير سنوات قليلة قبل ان يفتكا بحياته . لكنه استطاع خلال هذه السنوات المعدودات ان ينتج اكثر من ثلاثمائة لوحة، منها عشرات من آيات الفن ، وكلها فتنة للعين وشعر شجى وغزل رقيق

***

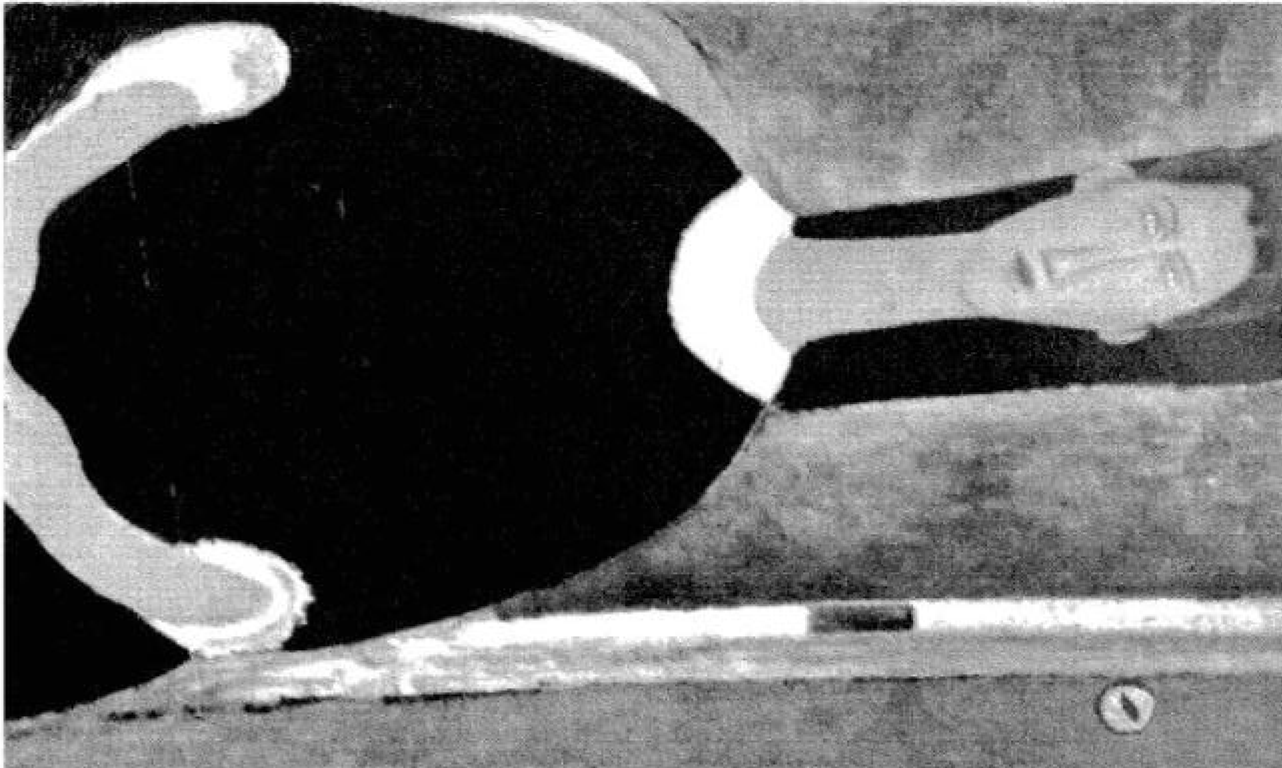
وقد ولد اماديو موديليانى — أو « مودى » كما اصبحوا يلقبونه — عام ١٨٨٤ بمدينة ليفورن بايطاليا من اسرة متوسطة الحال لكنها عريقة ، يرجع اصلها الى بلدة تقع بالقرب من روما وتدعى « موديليانى » .. أما والدته فكان أصلها من مارسيليا ويقال انها انحدرت من اسرة الفيلسوف الشهير سبينوزا . وفى سن الحادية عشرة اصيب الصبى بالتهاب رئوى حاد انهك صحته انهاكا شديدا . ولا تمضى ثلاث سنوات حتى يصاب بالتيفود ، ثم تمتد مضاعفاته الى الصدر فيبتلى بداء الرئة. وعندما يتماثل من مرضه يعود الى دراسته ويلتحق فى نفس الوقت بكلية الفنون الجميلة فى مدينته بعد ان تجلت براعته فى رسم صور الأشخاص . لكن السل يعود فينتابه

مودلياني في الوسط ... في قهوة الدوم الشهيرة بمونبارناس





جان هيبوتيرن ترقد الآن بجواره (١٩١٨)



مدام دیبترن (۱۹۱۸)

فترحل به أمه الى فلورنسا ونابلى وروما وكابرى طلبا للاستشفاء

وفي عام ١٩٠٢ نراه طالبا بكلية الفنون الجميلة في فلورنسا

وفي العام التالى نراه في كلية الفنون بالبندقية . وفي هذه المدينة يلتقى موديليانى بالفيلسوف الايطالى المعروف **جيوفانى بابينى** الذى كان اذ ذاك ملحدا زنديقا قبل ان يعود في اواخر حياته الى احضان الكاثوليكية ويؤلف كتابه المشهور عن حياة المسيح .

ودارت المناقشات بين الاثنين حول الفن والشعر ، وبخاصة حول راسكين ومدرسة ما قبل الرافائيلية . وعندما شاهد بابينى رسوم الفنان الشاب صاح اعجابا ، وقال انها تذكرة بفن المصور الايطالى العظيم **كارباتشيو** ، وهو من فنانى القرن الخامس عشر . ويبدو ان هذه الحادثة قد ظلت عالقة بذهن موديليانى طوال حياته ، فكثيرا ما سمعه اصدقاؤه وهو ثمل في مقاهى باريس يتمتم : **كارباتشيو .. كارباتشيو ..**

***

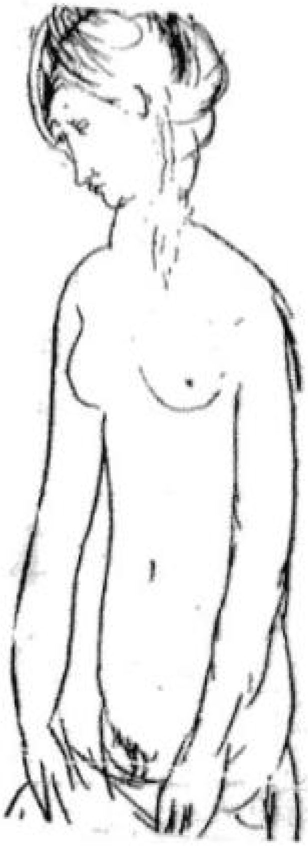
ورحل موديليانى — عملا بنصيحة بابينى — الى العاصمة الفرنسية عام ١٩٠٦ وهو يتحرق شوقا لمشاهدة الاتجاهات الفنية الحديثة التى كان قد سمع عنها كثيرا ، ولكن لم ير منها الا قليلا . فما ان وطئت قدماه شوارع باريس حتى اخذ يطوف بقاعات الفن لرؤية اعمال الفنانين المجددين .

والتقى **بيكاسو** الذى كان قد برز اسمه اذ ذاك وهو لم يزل في الخامسة والعشرين ، فنصحه بالانتقال الى مونمارتر ليعيش عيشة الفنانين بدلا من الاقامة في الفنادق

وفي مونمارتر استأجر موديليانى غرفة فأحالها الى مرسم وزين جدرانها بصور من آثار الفنانين الايطاليين . وكان قبل مجيئه الى باريس قد ورث قليلا من المال فتأنق في ملبسه وأثث غرفته تأثيثا يعد فاخرا بالقياس الى مراسم غالبية الفنانين

ولم يلبث موديليانى ان اصبح شخصية مرموقة في هذا الحى ، تدور حوله احاديث

بياتريس .. عشيقته الاولى (١٩١٥)



الفنانين والشعراء المتدينات ، وتنجذب اليه انظار الفتيات . وكان كثيرا ما يرى متجها الى مرسمه فى صحبة واحدة او اخرى من حسناوات الحى ، ليتخذ منها «موديلا» على حين تتطلع هى الى مبتيه املا فى اغرائه

فاذا ما وقفت « الموديل » او جلست عارية امامه ، اخذ يرسمها بقلمه عشرات المرات .. وكان يرسم فى سرعة وعصبية وكأنه يفترس الصفحات افتراسا .. فقد كان يبحث عن شىء .. يبحث عن اسلوب ليس هو باسلوب رافايللو ولاتسيانو ولادنوا رولاديجا .. ولا اى من الفنانين القدامى او المحدثين ، وانما اسلوب يعبر به عن مشاعره هو واحساساته . ولم يكن موديلياني ليقبل ان يحتفظ بواحدة من هؤلاء الحسناوات اكثر من ليلة او ليلتين ، ذلك انه بالرغم مما كان يعانيه من وحدة ، وبالرغم من ولعه بالنساء ، كان مشغول القلب والذهن بشىء آخر .. ولا يريد ان تسيطر امرأة على حياته ..

***

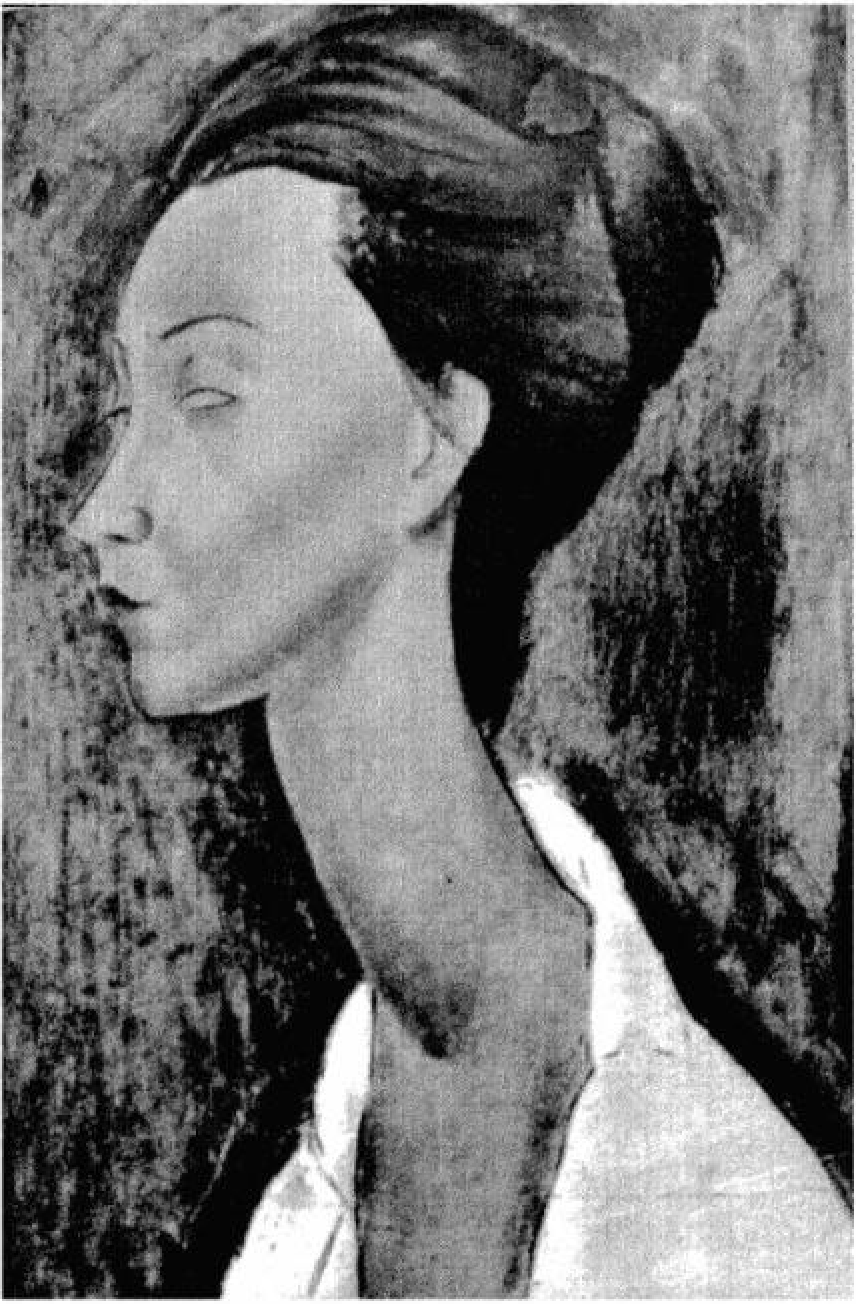
ودفعه قلق الفنان الى ادمان الشراب .. وكان يكفى ان يحتسى كأسا ليتقلب وحشا ضاريا او شيطانا يكاد ينبعث الشرر من عينيه . ثم نفدت نقوده وعاوده المرض فاستحالت حياته صعلكة وفوضى . ومرت به سنوات كلها يأس قاتل . بيد ان جماله الرائع وكبرياءه وذكاءه وموهبته المتألقة ودماءه الدفين ، فضلا عن جاذبيته الشخصية ، كل ذلك كان يعطف عليه قلوب زملائه من الشعراء والفنانين ، فكانوا لا يدخرون وسعا فى سبيل معونته ، حتى وان لم يملكوا عنه فقرا وافلاسا . ومن هؤلاء كان سوتين وكيسلنج وزادكين والشاعر ماكس جاكوب

ولكن موديلياني بالرغم من تعدد اصدقائه ومعارفه ، كان يحس دائما بوحدته . وكان كثيرا ما يرى وهو يذرع شوارع باريس ليلا بمفرده ، فلا يعود الى مرسمه الا قبيل الفجر

وفى عام ١٩٠٩ عاد الى بلدته «ليفورنو» بغية الاستجمام ، لكنه لم يلبث ان رحل قافلا الى باريس . وكان قبـــل

زوجة زبوروفسكى صديقه العزيز (١٩١٩)





خادمة ١٩١٩



بروفيل (١٩١٩)



صفره قد هجر مونمارتر وحاناتها ، وانتقل الى مونبارناس التي كانت قد اخذت اذ ذاك تنافس مونمارتر في اجتذاب الفنانين من شتى الجنسيات .

***

وقد تأثر موديلياني في مطلع حياته الفنية **بسيزان وماتيس** وخاصة **بتولوز لوتريك** . وبعد انتقاله الى مونبارناس تعرف بالمثال الشهير **برانكوزى** الذى كان ينزع في بحثه عن الجوهر الى تبسيط الاشكال الى ما يقرب من حد التجريد ، وكان موديلياني قبل ذلك قد اخذ يفتن — مثل الكثيرين من الفنانين الاوربيين في ذلك العهد — بالاقنعة الافريقية ، فحمله كل ذلك على الاقبال على فن النحت . وشجعه برانكوزى ودعاه للعمل معه ،حاثا اياه على نحت التماثيل رأسا من الحجر ، واستمر موديلياني في النحت نحو ثلاث سنوات . وكان بوسعه ان يصبح مثالا ممتازا ، لولا ما يتطلبه فن النحت في الحجر من مال وعافية وآلات .. وكل ذلك كان ينقص صاحبنا العليل المعدم العصبي المزاج ..

ولم يكن اعجاب موديلياني **بالنحت الافريقي** تصنعا ولا جريا وراء البدع ، فقد كان يبدو كأنه يمت بصلة القربى الى هذا الفن ، بما ينطوى عليه من شبه بالفن الاتروسكى الذى ظهر في ايطاليا قبل عصر الرومان . لذلك امتزج اثر هذا الفن بفنه امتزاجا حميما لطيفا ، بحيث لاتكاد تحس به الا في استطالة الوجوه والاعناق والاطراف . ويتجلى تأثر موديلياني بالاقنعة الافريقية على اوضحه في التماثيل القليلة التي نحتها فيما بين ١٩١٠ و ١٩١٢ .. وفي هذه التماثيل تكشفت في الوقت نفسه بوادر اسلوبه الخاص الذى تبلور بعد ذلك في لوحاته

***

وفي عام ١٩١٤ — عام اندلاع الحرب العالمية — وقع لموديلياني حادثان كان لهما اثر بالغ في مجرى حياته .

الحادث الاول . انه تعرف بشاعر بولندى يدعى **زبوروفسكى** . وكان رجلا فقيرا يرتزق بشراء الكتب وبيعها ، لكنه كان متهوسا بالفن ، فكان لا يقع في يده شيء من المال حتى يهرع الى المصورين الناشئين لشراء

ذات القبعة ١٩١٧



بعض لوحاتهم . وقد فتن زبوروفسكي بفن موديلياني وآمن به ، فأصبح صديقا من اعز أصدقائه ، وظل طوال حياته يسعى لمونته ، وكان كثيرا ما يقضى النهار بطوله حاملا تحت ابطه اعمال موديلياني طارقا ابواب هواة الفن وتجار الصور ، عسى ان يقنع احدهم بشراء شيء منها . فاذا غاب مسعاه عاد اخر النهار والدموع تكاد تطفر من عينيه ..

اما الحادث الثاني فهو ان موديلياني قد التقى في ذلك العام بسيدة انجليزية تنظم الشعر وتدعى **بياتريس هيستنجز**، وكانت تبدو عند وصولها الى باريس سيدة وقورا مهذبة متحفظة من بنات العصر الفكتوري . غير ان وجه موديلياني لم يلبث ان اوقعها في حبه . اما هو فقد اجتذبه اليها فيما يبدو اسمها «بياتريس» الذى ذكره بحبيبة شاعره المعبود دانتي . وسرعان ما توطدت أواصر العشق بينهما، فكان لهذا العشق تأثير طيب على الفنان، اذ اقلع عندئذ عن تناول المخدرات وادمان الشراب ، واكب على الانتاج ، فبدأ يبدع اولى آياته الفنية ، بعد ان اكتشف طريقه وبلور أسلوبه

***

وكان موضوع موديلياني المفضل هو الانسان ، وبخاصة وجوه النساء واجسامهن العارية . فهو لم ينجذب قط الى رسم المناظر الطبيعية ولا مشاهد الطبيعة الصامتة التى شاعت في اعمال معاصريه من الفنانين منذ عهد سيزان . وكان موديلياني فوق ذلك لا يعنى بتحديد معالم المكان الذى توجد فيه الشخصية التى يصورها. فالارضية في لوحاته مجرد حائط اوناقذة او بالاخرى مجرد لون او لونين غالبا ما يكون لونا مزرورقا شاحبا او بنفسجيا لطيفا . لهذا تبدو الشخصيات في لوحاته وحيدة وكأنها بمعزل عن ظروف الزمان والمكان

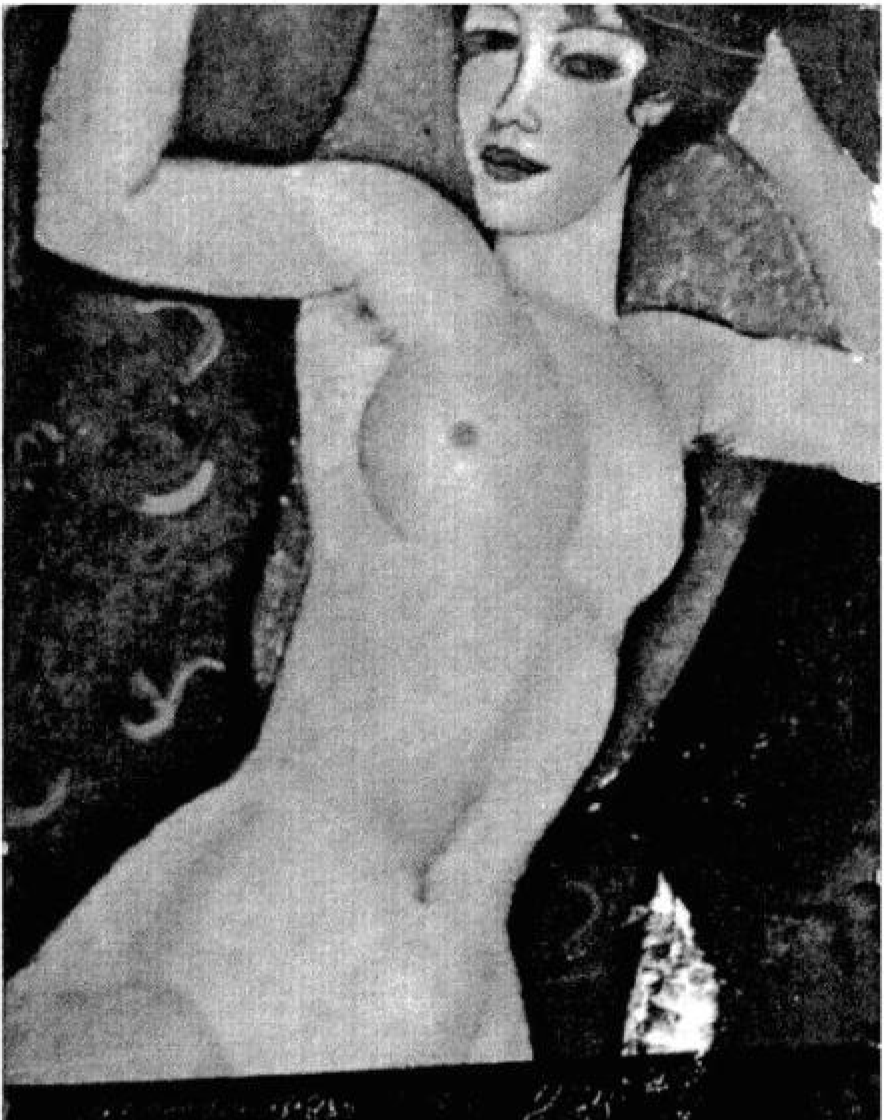
وكان موديلياني يرسم الوجوه وأجسام العاريات في صورة اشكال بيضاوية شديدة الاستطالة . والاعناق في لوحاته تبدو ممتدة منتصبة او برقاب الاوز في استطالتها وتقوسها . ولا تكاد نرى تجسيما في هذه اللوحات ، فقد كان يطلى ابدان العاريات وجوههن بلون واحد داكن السمرة يستحيل الى السمرة يستحيل في بعض النواحي ليميل الى اللون الخمري ، ويقتم في نواحي اخرى الى درجة اللون الاحمر الطوبي

والعاريات في لوحات موديلياني يتميزن بفتنة حسية سافرة . واستطالة اطرافهن المفرطة تنطوى على دلالات فرويدية لا تكاد تحتاج الى بيان . غير اننا لا نلمس فيهن آية شهوة او عاطفة عارية وانما نحس في غالب الاحيان بظلالة من الاسى تسربل نظراتهن واجسامهن ، وقد نلمح بين الحين والحين شبها عابرا بعذارى «البوتيتشيللي» ذوات الحسن اللالاكى الرقيق

***

وقد عاد موديلياني بعد قليل الى ادمان الخمر وتناول المخدرات ، بل لقد انغمس في ذلك انغماسا ، غير ان فنه ظل ينمو مع ذلك عاما بعد عام . وهذا التناقض بين فنه وحياته استمر حتى اخر ايامه وكان يثير دهشة الاصدقاء الذين حاولوا عبثا ان ينقذوه من الهاوية التى كان يسير اليها سيرا حثيثا . فاننا حين ننظر الى حياته منذ ذلك الحين لا نرى غير تدهور وانهيار متواصل ، فاذا نظرنا في فنه رأينا انتاجا خصيبا يزداد مع مر الايام نموا وازدهارا حتى يبلغ قمة نضجه في أواخر سنواته .

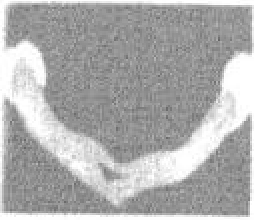
وقد عاشت بياتريس في رفقة موديلياني مدة عامين لم تكن كلها صفاء ولا نعيما ، وانما كان نصفها عشقا عنيفا ، ونصفها الاخر شجارا اشد حدة وعنفا . ومما يروى ان موديلياني في شجاره كان كثيرا ما يلجأ الى الاستشهاد بدانتي ، فتجادله بياتريس مستشهدة بميلتون . وبعد ان يقذف كل منهما الاخر بشعر شاعره ينتهيان بتقاذف الكؤوس .. وفي اعقاب ليلة بلغ فيها الشجار بينهما حد الاقتتال ، فررت

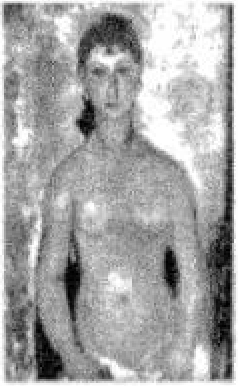


جان هيبوتيرن
انتحرت من اجله
(١٩١٨)



عارية على فراش
(١٩١٧ – ١٩١٨)





الفتى .. بجسد لوحات العاري (١٩١٩)



ذات العقد



بائعة اللبن .. أعجب بها موديلياني (١٩١٨)

بياتريس هجرته وتقلت راجعة الى بلادها ..

وفي هذه الأثناء كان موديلياني قد اخذ يذيع صيته ، واخذ فنه يستلفت انظار النقاد . ولم تمنعه هجرة حبيبته ولا عربدته ولا مرضه ولا فقره من مواصلة الانتاج في مثابرة وانتظام . والغريب انه على حين كانت حياته كلها عنف وصخب وصعلكة واضطراب ، كان فنه كله رقة وذكاء واتزان وصفاء ..

***

وفي عام ١٩١٨ قرر زبوروفسكى ان يقيم معرضا لصديقه موديلياني . ورغبة منه في اجتذاب الزوار ، فكر في وضع بعض لوحاته العارية في واجهة المعرض . لكن هذه اللوحات ، قبل أن تجتذب الزوار ، استلفتت على الفور انظار رجال الشرطة ، فأمروا بنقلها الى الداخل . على ان المعرض نجح مع ذلك في ابراز مكانة موديلياني ، فبيع عدد من لوحاته . غير ان المال كان لا يصل الى يدى هذا الفنان حتى يتبخر في طرفة عين . وهكذا ظل صاحبنا على الدوام معدما خالي الوفاض . وكثيرا ما كان يفاجىء اصدقاءه في اى ساعة من ساعات الليل او النهار وقد جاء يطرق بابهم ليبيعهم حقيبة او معطفا مقابل بضعة فرنكات . وكثيرا ما كان يتردد على مقاهي مونبارناس ليرسم صور الرواد ، فاذا انتهى من الرسم انتزعه من كراسته ، وكأنه ينتزع شيئا ، وتقدم به الى صاحبه وطلب منه في أنفة واعتداد : خمسة فرنكات وقليلا من النبيذ ..

***

وقبل اقامة هذا المعرض ببضعة شهور ، كان موديلياني قد التقى بثانى امرأة قدر لها ان تلعب في حياته دورا بالغ الاثر . وقد احبها موديلياني حبا لعله لم يكنه لاى امرأة . اخرى ، فكانت قصة غرامهما اشبه بالقصص الرومانسية التي نقرأ في

الكتب . وقد رآها لاول مرة في مقهى الروتوند الشهيرة في مونبارناس ، بعد أن اخذت تتردد على هذا الحي لدراسة الفن . فما ان وقع بصره عليها حتى خفق قلبه ، فظل يتعقبها بنظراته الوالهة أينما ذهبت وأينما حلت . وكانت **جان هيبوتيرن** – فذلك كان اسمها – فتاة بسيطة وديعة رقيقة الوجه لا تعرف التبرج ، وتضفر شعرها كصغار الفتيات ، وتذهب الى الكنيسة كل يوم احد ، فلما انتهى الامر بموديلياني يوما الى مناجاتها بحبه ، اسبلت جفنيها خجلا ، ولم تدر ماذا تفعل ، فجرت مهرولة الى بيت والديها . لكنها عادت في أيلول التالي لتلتقي به في الموعد الذي ضربه لها . وكثيرا ما كان يريان بعد ذلك وهما يتمشيان في شوارع مونبارناس الهادئة ، وقد ذهلا بالحب عن كل ما في الوجود.

* * *

وانتهى الامر بالعاشقين الى الزواج . فاثار هذا النبأ دهشة الاصدقاء وهلعهم .. لان موديلياني كان قد اخذ يبصق دما ! ..

ومرة اخرى اهتم زبوروفسكي البولندي بأمر صديقه الايطالي ، فانتهز فرصة حصوله على قليل من المال لدعوته مع صديقيه المصورين سوتين الروسي وفوجيتا الياباني من أجل قضاء بضعة ايام على شاطىء البحر ، أملا في أن يسترد موديلياني شيئا من صحته ، واملا كذلك في بيع بضع لوحات للاثرياء من رواد الريفييرا . غير ان زبوروفسكي قد اخفق مسعاه فيما يتعلق بهذا الغرض الاخير ، لان هؤلاء الاثرياء لم يكونوا يريدون فنا ، وانما يريدون صور عاريات اشبه بالصور الفوتوغرافية الملونة .. واما فيما يتعلق بصحة موديلياني ، فقد استفاد بالفعل من هواء البحر

وعندما عاد الى باريس في ربيع عام ١٩١٩ ، راود اصدقاؤه الامل في تحسن احواله بعد استقرار حياته مع زوجته الحبيبة . وقد احاطته جان هيبوتيرن بكل عطفها ورعايتها وشجعته بكل ما تملك على الاهتمام بفنه فانتج اذ ذاك بالفعل عددا من خير لوحاته

ولكن يبدو أن موديلياني كان قد بدأ يحس باقتراب نهايته ، فلم يلبث ان انكب على الشراب وتناول المخدرات في هوس وجنون، وانقطع عن الانتاج كما انقطع عن التردد على مقاهي مونبارناس . وفي يوم من ايام يناير ١٩٢٠ طرق بابه صديق يستفسر عنه ، فلما لم يسمع جوابا زاد قلقه ، فحطم باب الحجرة ودخل فهاله أن يرى موديلياني وزوجته مرتميين على الارض وقد فقدا الوعي ، وعندما جاء الطبيب امر بنقله على الفور الى المستشفى ، ولكن لم يكن في وسع الاطباء ان يفعلوا شيئا لانقاذه ، فقد كان الداء قد تسرب حتى الى رأسه. وقبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة ، افاق لحظة فالتفت الى صديقه ، وقال : **لقد قبلت زوجتي قبلة الوداع ، واتفقنا على ان نلتقي في الفردوس ..**

واجتمع الاصدقاء للصلاة في تشييعه ، وابرق شقيقه من روما – وكان عضوا بارزا في الحزب الاشتراكي – يقول : **ادفنوه دفنة امير ..**

وسار النعش وئيدا محملا بعشرات الاكاليل من مونبارناس الى مونمارتر الى « بير لاشيز » مقبرة الكتاب والشعراء والفنانين ، وقد اصطف القوم في خشوع وحسرة على فراق هذه الشخصية النادرة المثال. ولم يدرك القوم عندئذ انهم يودعون موديلياني ، انما كانوا يودعون آخر الفنانين البوهيميين

* * *

وفي اليوم التالي رمت جان هيبوتيرن بنفسها من نافذة حجرتها ، فوقعت على الارض هشيما محطما

وبعد ثلاث سنوات ، نقل رفاتها الى جوار جثمان زوجها ، وهكذا لم يستطع حتى الموت ان يفصل ما بين الحبيبين



ذات الثوب الأسود
١٩١٨ - ١٩١٩



قصة محمد عبد العليم عبد الله *



كانت فتاة من سكان المدينة لا تزال فى مقتبل العمر ولم تر الريف الا وهى صغيرة .. شعرت بوطأة الليل

عندما انتهت سهرتها عند الطبيب وزوجته وغادرت الجناح الصغير الذى يسكنونه فى حديقة المركز الاجتماعى فى القرية واخذت طريقها الى غرفتها فى الجانب الاخر

وكان يؤنسها ، وهى فى الطريق صوت كلب ينبح ومصباح صغير حملته فى يدها ليلقى دائرة من النور امامها

وعندما اغلقت على نفسها الباب واستلقت فى فراشها أحست انها على غير ما يرام . ووهلة بعد وهلة وهى مستغرقة فى التفكير شعرت بما ينقصها .. وعرفت انه السكينة..والسلام!!

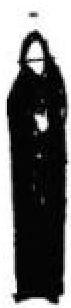
ولم يزعجها الامر كثيرا لانها تعرف انه غير متصلق بعملها . فهى منذ دخلت القرية .. منذ ستة شهور قامت بمائة عملية ولادةنهضت الامهات بعدهابسلام .. وكانت نسبة الذكور فيها عالية ، ولذلك فقدكانت الفلاحات يقلن عنها : « ان سمرة وجهها أحلى من بياض اللبن » ...

نعم ..

ليس هذا هو ما ينغصها . بل انه خوف من مجهول .. شىء يتعلق باحترام الناس لها . فهى تعرف أنها (حكيمة) ولكنها على الرغم من حداثة سنها ووجود طبيبفىالمركز فانهم ينادونهابكلمة (دكتورة) ويعتدلون فى جلساتهم على المصاطب وهى مارة عليهم

وكانت عند ذلك تقول فىنفسها « ما أحلى أن يشعر الانسان بقيمته !! » وتمنت من صميم قلبها لو أن والدها كان حيا ومشى خلفها من على بعد .. بحيث لا يشعر الناس أنها بنته .. وخيل اليها انه لو كان حيا ، ورأى هذا ما مات ابدا .. لعاش طول الدهر !!

* * *



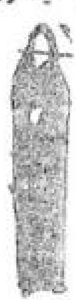
لكن جوها الداخلى فى المسكن كانيخيفها . وهى قبل ذلك لم تنم وحدها لا فى مدينة ولا فى قرية . وقد شعرت منذ الليلة الاولى بثقل مسئولية حراسة الانسان لنفسه ... « آه كثير من الاشياء يعجز المرء أن يعمله لنفسه ولا بد له من يد الغير . والحراسة من هذه الأشياء »

كان الطبيب يأخذ زوجته نهاية كل اسبوع وينزل الى المدينة حيث أهلها وأهله ولا يعودان الا يوم الاحد . والمشرف الاجتماعى يبيت عند اهله كل ليلة لانه من بلدة قريبة . وهناك الخفير المكلف بحراسة المركز .. نادت

عليه ذات ليلة من الليالى التى يغيب فيها الطبيب فلم يكــــن موجودا . وكتمت ذلك عن نفسها وعن الناس ...عن نفسها لتتوهم أن هناك من يحرس المكان . وعن الناس حتى لا يصل الخبر الى من لم يعرفه . لـكنها سـمعت امرأة سليطـة اللســـان تناوش الخفير فى النهار وتعيره بأنه ينام فى احضان زوجته فلا يؤدى عمله فى الليل خوفا من ناس تشـاجر معهم ذلك الجبان »

غير انها ما كانت تخاف احدا من الفلاحين . كانت موقنة بأن كل فـرد منهم حارس لها ... فلقد سهرت ليلة بطولهـا حتى طلوع النهار الى جوار امرأة تلد ورأت على وجهها سكرات الموت ثم ... انتصرت وولدت ولدا . ونسب القرويون اليهـــا قدرة خارقة لا تخلو من مبالغة الريفى حـين يتحـدث عن « **المهارات** » و « **الكرامات** » ... ولكنها على كل حال سعدت بهذا الوهم

وقالت فى نفسها : « لو ان ابى كان حيا ورأى هذا المجد الذى بنيته فى القرية؟!» ثم ذكرت شيئا آخر : هو ان حالة الولادة التى تحدث بها الناس وقعت فى دار تعرفها... لها بها صـــلة قديمة ... ربمـا



كانت أعمق صلة تربط « قلبا » بمكان

فهذه الدار كانت دار أبيهـا : انها تعرف ذلك من امها ... وفى ذهنها ذكريات غامضة مثل الرؤى والاحلام عن كل حجـرة فيهـا . لكن « كريمة » احست ان هذه المرأة تعانى آلام المخاض ـ ربما فى البقعة التى ولدتها فيها أمها . والفلاحون فى القـرية لا يعرفون ذلك ...

لا يعرفون أنها بنت عبداللطيف زعزوع . كل الناس ينادونهـــا باسم : الست كريمة ... فقط. ولهذا فان الامن الداخلى بالنسبة اليها غير محقق

انها أصبحت عدوة « للداية » منــذ يوم وفودها . تلك المرأة القـارح ذات العـود والجسم والارداف والصـــوت الخشن والحيلة . والتى أكلت دجـــاج القرية . ودعت كل مولود فيهـا بابنها : « آه لو تعلم هذه الداية بأننى بنت عبداللطيف زعزوع » !!

الداية والطبيب مصدر القلق لها ...

اما المشرف الاجتمـــاعى فهو نقطة الحنان فى الموقف ... لكنه فى معظم الاوقات بعيد عنها

* * *

ولما ماتت زوجة (الشاذلى) صياد السمك من آثار حمى بعد الولادة لم تكن فى الحقيقـــة الا (ملاريا) ومات بعدها ابنها .. اخذت الداية تشنع على (كريمة)

وتتهمها بانها لا تعرف شيئا . وبان النحس اخذ يجرى فى قدميها نحو الامهات . وسمعت ذلك من فم الطبيب الذى ينفذ (كلمة العلم) فى كل ما يعمل ... سمعتها منه فى احدى الليالى وهى ساهرة عندهم وفى لحظة قامت فيها زوجته لبعض شئونها .. وملأ الغيظ قلبها . كان ممكنا جدا ان يقضى على مثل هذه الخرافة بدل ان ينميها . واحست كريمة فى نظرته شيئا غامضا .. احست انه يطلب منها ما لم يخطر على بالها قط . وما دام لم يخطر على بالها فانها لم تشعر توا بمقدماته . ومالت – بدون شعور – الى التاويل الحسن

* * *

وبغريزة المراة شاءت ان تمتحنه . ولم يزد الامر عن نظرة لينة مستنيمة رددتها بينه وبين الباب الذى ستعود منه زوجته. فطفح وجهه بالرغبة التى حركت فى قلبه هذه الضغائن

وبعد عودة زوجته استاذنت فى الانصراف . وصافحت كلا منهما . لكنها تعمدت ان تهمل كفها فى كف الطبيب لوهلة اتاحت لها تاكيدا آخر بان هذا الرجل يؤذيها لانه يريد شيئا ...

* * *

لم يكن الهدوء الذى يشمل المكان فى هذه الليلة عاديا بعد ان عادت الى غرفتها ... كان صمتا ابكم ... كان الليل كف عن التنفس . لذلك باتت تسمع دقات قلبها وشهقات بكائها . لانها موقنة ان قوى الشر فى (الجهل والعلم) .. فى الداية والطبيب تحالفت لاتحاد الهدف

والظلام الذى يغرى الريفى بالخروج للثار او للجريمة هو نفسه الذى طحن راس (كريمة) بالافكار . حتى كادت تجزم بانه لولا وجود (الظلام) ما كثر التفكير فى الجرائم

وطرات عليها فكرة عادية ، وهى فى الفراش عجبت لماذا غابت عنها : « لماذا لا تنتقل الى قرية اخرى ... وكله عمل !! » غير ان تعليل مثل الفكرة سعى اليها وكانه سهم مضىء ... فوجدت نفسها تهمس : « انه حمدى .. » المشرف الاجتماعى . الانسان والرئيس الذى ارتبط فى نفسها مع ذكريات الكرامة .. والنجاح .. والجد .. وربما العطف .. وهو سر من الاسرار التى جعلت الفلاحين يعتدلون فى جلساتهم وهى مارة عليهم : « آه ... لو راى ابى ذلك »

ثم قالت وهى تعض شفتها : « لو لم اكن بنت عبد اللطيف زعزوع .. لو لم اكن بنته !! »

* * *

ومنذ بدات معاملة (كريمة) تلين مع الطبيب بدات زيارات الداية لعيادة المركز ... تقل

ولم يكن ذلك مدعاة لسرور (كريمة) بل مدعاة لزيادة خوفها.

ولم يكن المشرف الاجتماعى من ذلك النوع الذى يجيد الكلام مع النساء . بل كان حذرا وربما طويل الصمت . لكنها كثيرا ما ضبطته وهو ينظر اليها فى حب ... نظرة رجل لا يستطيع ان يقول ما يكنه لاعتبارات ليس فى وسعها أن تعرفها الان

واحست كريمة أن حادثا ما على وشك ان يقع ... مجرد احساس تأكد لديها يوم الاحد التالى عندما عاد الطبيب وحده من المدينة وترك زوجته هناك ليعود اليها يوم الخميس

وكان طبيعيا أن تسأل الطبيب عن سبب تأخر زوجته :

ـ لعله خير !!

وكان ذلك أثناء العمل فى النار . فأجابها وقد كسر أحد جفنيه :

ـ هل اهتممت بالامر ؟!

وكان لا بد أن تجيب فردت فى ارتباك :

ـ طبعا ... انه مهم

فسكت قليلا ثم اجاب وهو يطهر يديه بشىء من الكحول :

ـ ام سليمان الداية .. مريضة !!

ـ شفاها الله

فادار وجهه نحو النافذة واولاها ظهره :

ـ انها تحبك يا كريمة

فردت فى تهكم :

ـ من القلب للقلب رسول

فقهقه ضاحكا ... وحملت ضحكته ما عجزت عن تشخيصه ... لكنها شعرت بشىء ثقيل يهبط على قلبها

* * *

لم يكن نورها قد انطفأ فى ليلة ذلك اليوم ...

سهرت تكتب بعض خطابات، منها ما هو لامها ومنها ما هو لصديقات ...

« اننى اشعر بالقلق ... »

واخذ القلم فى انسيابه نحو كلمة اخرى فى خطاب الصديقة واذا ببابها يطرق . كذبت سمعها ولكن سكون الريف يجسم حتى خفقة القلب . ونهضت واقفة فاذا بالطرق مع صوت الطبيب وهو يقول :

ـ « كريمة ... كريمة ... افتحى ... فيه حالة آ .. آ .. »

واسرعت وفتحت الباب . بعد ان طرحت على كتفيها شالا ودخل الطبيب فى الحال واقفل الباب وراءه ... سألته لاهثة :

ـ حالة ؟!...ولادة يادكتور؟!

فهز راسه نفيا وظهره الى الباب .. وفحصته هى فى صمت .. رأت تهدج انفاسه وشعر صدره البادى من (البيجاما) . وكان واضحا انه خاض معتركا من الافكار قبل أن يقدم على هذا العمل . وتلفتت حولها كأنها تبحث عما تدافع به عن نفسها لكنها ادركت ان أى خطوة غير مدروسة قد تفضى الى نتائج

محزنة . فسألته فى مسالمة :

ــ هل هــذا تعبير عن الحب يا دكتور ؟!

فهز رأسه بالايجاب . فقالت :

ــ لكنى انا شخصيا افضل تعبيرا اخف . ان ذلك يخيفنى .. آ .. آ .. أنا .. اراك الان غير الرجل الذى اراه فى النهار .. فهل الليل يغير الاشياء ؟!

ــ ربما .. أنا .. أ ..

فقاطعته :

ــ أنا أعرف ما تريد .. وأنا .. مستعدة لمبادلتك عواطفك .. لكن .. هل تفكر فى حبى .. أن زوجتك غائبة

ــ لا .. لا .. انها مسألة قديمة

ــ هل تحب أن تتصارع كما تتصارع الحيوانات ؟ .. ربما حدث .. ما ليس فى حسابنا ؟!

ــ لا ...

ــ اذن نتفاهم .. الطبيعة .. وتحب .. تماما ؟

فهز رأسه ايجابا :

ــ كنت متوقعة هذا ! ولو كان لى أن احذرك لفعلت

ــ لماذا ؟

ــ من الممكن أن تعود وبعد نصف ساعة .. وان شئت ذهبت أنا اليك !!

ففتح فمه مدهوشا وقال :

ــ فى ... فى ... فراش زوجتى ؟!

فضحكت وهى تغالب اجهاشها بالبكاء :



ــ فراشهــــا اقــدس ... من ... روحــى لا ! آه ...

وبلعت ريقهــا وهى تتــــأوه وصمتت ثم اكملت :

ــ اذن فانــا مجبرة على أن يكون هناك ... مالك تنظر هكذا ... أنا لا أخدعك ... فى استطاعتى ان اصرخ فيستيقظ الفلاحون ..

ولم يمهلها

وخرج ..

وتركت الباب مفتوحا حتى ابتعدت أصداؤه وارتمت على فراشها كالجريح المنزوف حتى تسللت الشمس من النافذة الشرقية



ولم تمض ... حتى التقى الطبيب بالداية وسألها فى فضول : عما اذا كانت تعرف رجلا اسمه عبد اللطيف زمزوع ؟ وفتحت الداية عينيها فى عجب كأنها تسأل عن العلاقة ؟ ! ثم ضحكت فى تهالك . فلم يكن رحمه الله الا « لحادا » ... وكان ذا صوت جهورى مضحك يستأجره الفلاحون للنداء عن حاجاتهم المفقودة :«ياأولاد الحلال ياأولاد الحلال معزة تايهة من البارح العصر . والحلاوة ريال

بالولاد الحلال » ولما مات رحلت زوجته ببنتين واقامت فى المدينة ... واحدة منهما هى « كريمة »

ــ « بنت اللحاد ... اصبحت دكتورة ؟ » .. ها ها ها !!

ــ « ابوها يدفـــن . وهى تولد » .. عال والله !!

ــ « كان ابوها جميل الصوت حين ينادى على المعيز المفقودة » الله يرحمه !!

ولم يعودوا يعتـــدلون فى جلسائهم وهى مارة . وتهامسوا .. وسمعت ضحكات . وشعرت بالغربة

* * *

وفى احدى الليالى بينما كانت فى غرفتها بالمركز كان الجـدل محتـــدما بين الطبيب والمشرف الاجتماعى حول هذه القضية فى منزل احد الاعيان . وســـفه المشرف وجهة نظر الطبيب فى انه كان يجب عليها أن تشتغل فى قرية غير قريتها من اجل راحة نفسها واحترام الناس الذى هو مصدر الثقة . ولم يكن احد يعـــلم بالحلقة المفقودة فى القضية بينها وبين الطبيب :

وندد المشرف الاجتماعى بمثل هذه النظرة واعتبرها فى المجتمع الريفى آفة تجب مقاومتها مثـل الافات التى تأكل الزرع والفاكهة . وعندئذ احرجه الطبيب قائلا له :

ــ يعنى هل من الممكن وانت مقتنع بالامر .. أن تقـدم على الزواج من كريمة ؟ ..

وشخصت عيون الناس . ولم يكن المشرف مـن الذين يفرقون بين العقيدة والعمل .. لكنه عز عليه أن يعلن رايه فى مجـــال التحدى . فخرج صامتا وتركهم يتلفتون ... ولم يحى احدا .

* * *

ولم يمض على ذلك اسـبوعان حتى اعلن نبأن كان لهما فى القرية وقع وصدى ظل الى آمد طويل . هو انتقال كريمـــة والمشرف الاجتماعى من القرية . بعد اعلان خطبتهما .. الى قرية لها حظ من السعادة بهما لم توفره لنفسها القرية الاولى

العيب الوحيد

تعرف احد رجال الاعمال فى باريس بممثلة شابة وصار يخرج معها كثيرا وقرر فى النهاية أن يتزوجها ولكنه اراد أن يستعلم اولا عن سلوكها وماضيها فلجا الى وكالة خاصة للمعلومات . وبعد اسبوعين جاءه التقرير التالى :

« سمعة الانسة   . ممتازة وماضيها لا غبار عليه . ولا توجد بصفحتها الا وصمه واحدة : انها منذ بضعة اسابيع تشاهد فى المطاعم واماكن اللهو فى صحبة رجل اعمال ليست سمعته فـوق الشبهات ! »

دائرة معارف الهلال

البيروقراطية :

المعنى الاشتقاقى للكلمة هو حكومة المكاتب . ويوضح هذا المعنى الاشتقاقى نفسه المعنى العام للكلمة ، وهو الحكم او الادارة أو الاشراف والتوجيه بطريقة معزولة متعالية عن الواقع واحتياجاته ، وتعبر البيروقراطية بشكل عام عن تعقد مسالك الحكم والادارة والتنظيم فى المجتمعات الحديثة ، وعن العزلة بين جهاز الدولة السياسى وقيادة العمليات الانتاجية والادارية والاجتماعية من ناحية ، وبين مصالح الجماهير الشعبية والواقع الاجتماعى عامة من ناحية أخرى

والبيروقراطية مرض ادارى تقليدى يصيب أداة الحكم كما يصيب سائر التنظيمات الانتاجية والاجتماعية ، وينبع من الناحية الشكلية من التعقيد البالغ فى مسئوليات الدولة الحديثة ، وفى أساليب الانتاج الحديث . ولكن البيروقراطية ليست مجرد مرض ادارى تقليدى فحسب ، بل هى جزء من التنظيم الطبقى للمجتمع الرأسمالى ، وتعبير عن التناقض بين دولة القهر الرأسمالى ومؤسساتها الاستغلالية وبين مصالح الشعب العامل

ولهذا فالبيروقراطية فى جوهرها ـ هى سيادة التنظيم السياسى والادارى والانتاجى الذى لا يعبر عن مصالح القوى الاجتماعية المنتجة فيه ، ولا يمثل مشاركتها الفعالة فى توجيهه

❋❋❋

وتتعاظم البيروقراطية ، كلما تضاءل نصيب المجتمع من الديموقراطية . وتفرز البيروقراطية أمراضا اجتماعية أخرى مثل الفساد والكسل والمحسوبية والرشوة .. الخ .. الخ .. ولا يمكن أن تعالج البيروقراطية ـ كما يحدث أحيانا ـ بوسائل اصلاحية ، مثل تبسيط الجهاز الادارى ، وتعميم الثقافة الادارية فحسب ، وانما تعالج أساسا بسيادة الديموقراطية الحقيقية ، تعالج أساسا بتوفر رقابة الجماهير الشعبية وفاعليتها وتحقيق سلطتها فوق سلطة الأجهزة الحكومية والادارية والتنفيذية عامة

ولهذا فان النظام الاشتراكى وما يحققه من سلطة للشعب العامل ، ومن توفير للديموقراطية الاجتماعية والسياسية معا هو السبيل الحق للقضاء على البيروقراطية . واذا كانت البيروقراطية ما تزال قائمة بل ومستشرية أحيانا فى بعض المجتمعات الاشتراكية ، فهذا يغير شك تعبير عن نقص فى الديموقراطية الاشتراكية واستمرار لقيم وعادات المجتمع الرأسمالى القديم فى قلب المجتمع الاشتراكى نفسه سواء من الناحية الفكرية أو الادارية

ان السبيل الحاسم الجاد للقضاء على البيروقراطية هى الاشتراكية وما تحققه من ازالة التناقض والعزلة بين جهاز الحكم السياسى ومصالح الجماهير الشعبية ، وما تعنيه من ديموقراطية حقة فى العلاقات السياسية والاجتماعية وأساليب التنظيم والادارة ، وما توفره من رقابة شعبية فعالة ، ومن لا مركزية فى تنفيذ المشروعات الكبرى ، ومن سيادة للنقد .. والنقد الذاتى

الحسن بن الهيثم :

عالم من أكبر علماء الطبيعة ، ومؤسس علم الضوء والبصريات ، ورائد المنهج العلمي الحديث ، وهو الحسن ابو علي ابن الحسن بن الهيثم المعروف في تاريخ العلم الاوربي باسم الهازن . وهو تحريف لاسمه الاول الحسن ، عندما ترجم كتابه في علم البصريات الى اللاتينية . ولقد أدى هذا التحريف في الاسم الى الخلط بينه وبين ابو جعفر الخازن الرياضي الفلكي ، والى نسبة كتابه في البصريات الى الخازن ، والى اغفال ما قام به من كشوف في مجال علم الضوء عند بعض من كتبوا عنه من مستشرقين ومؤرخين عرب

ولد ابن الهيثم حوالي عام ٣٥٤ هجرية اى عام ٩٦٥ ميلادية ، وكان أول امره بالبصرة . وكانت الحضارة العربية الاسلامية في أوج ازدهارها . كانت قد استكملت ترجمة التراث الحضارى الانساني وخاصة تراث اليونان في الطب والفلسفة والرياضة وعلوم الطبيعة ، وبدات تنتقل من مرحلة الدراسة والاستيعاب الى مرحلة الاضافة والابداع، وأخذ الفكر العربي يستلهم احتياجات هذه الحضارة العربية الاسلامية ، وضروراتها المادية والفكرية على السواء في كشوفه واضافاته الفلسفية والعقلية

ويعتبر ابن الهيثم أول من حدد — بحق — معالم المنهج العلمي الصحيح وسبق بهذا منطق **فرانسيس بيكون** التجريبي ومنهجه الاستقرائي . كان ابن الهيثم يبدأ بحوثه باستقراء الوقائع واستخلاص النتائج بطريقة متدرجة ثم اختبارها ونقدها بالاقيسة والمقارنات المختلفة ، ويقول في هذا في مقدمة كتابه « **المناظر** » الذى يعرض فيها لنظريات الابصار السائدة في عصره :

« **ونبتدىء في البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح احوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الابصار، وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس .. ثم نرقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج » الخ .. الخ ..**

ثم يقول :

« **ونصل بالتدريج والتلطف الى الغاية التى عندها يقع اليقين ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف ، وتنحسم بها مواد الشبهات**»

***

وكان ابن الهيثم يطلق على التجربة اسم « الاعتبار » ويسمى التأكد من صحة شيء بالتجربة « التأكد بالاعتبار» تمييزا له من التأكد بالتأمل المنطقى أو النظر العقلى الخالص .

ولا يقف المنهج العلمى عند ابن الهيثم على التجريب المباشر والاستقراء ، بل قام بصنع الاجهزة واستخدامها والاستفادة منها في استخلاص نتائجه . كما احترم النظرية العلمية والفرض العلمى ، ولم يقف عند حدود التجريب وحده . وفى هذا المعنى يقول في رسالة له :

« **تخيلنا اوضاعا ملائمة للحركات السماوية ، فلو تخيلنا اوضاعا اخرى**

غيرها ملائمة ايضا لتلك الحركات ، لما كان عن ذلك التخيل مانع ، لانه لم يقم البرهان على انه لا يمكن ان يكون سوى تلك الاوضاع اوضاع اخرى ملائمة متناسبة لتلك الحركات »

وفي هذه الكلمات البسيطة اقوى نقد قدم لنظرية بطليموس في نظامه الشمسي القديم ، كما تتضمن دعوة الى اقامة نظرية اخرى اكثر ملاءمة ، فضلا عن انها تعبير عن جراة عقلية وقدرة تخيلية رائعة

***

وتعتبر الاضافة الحقيقية الكبرى التى قدمها ابن الهيثم للعلم الى جانب المنهج العلمي عامة ، نظرياته في علم الضوء والبصريات ، واقامته البصريات على اسس تجريبية لاول مرة في تاريخ العلم الانساني

كانت هناك في عصره نظريتان في كيفية الابصار ، نظرية تقول بأن الابصار يتم بخروج شعاع من البصر الى الشيء الذى نبصره وكان بطليموس من عمد هذه النظرية ، ونظرية اخرى يقول بها الفلاسفة تذهب الى أن الابصار يتم بانتقال صور الشيء الذى نبصره الى البصر ، دون أن يبينوا كيفية تحقق ذلك ، ودون ان يتمكنوا من البرهنة عليه . وقام ابن الهيثم بالتجربة والاعتبار لاثبات وجهة النظر الثانية

وقد يبدو هذا الامر عاديا وبسيطا اليوم ، ولكنه لم يكن كذلك في العهد القديم والعصور الوسطى بل كان من المسلمات الاولية القول بانتقال شعاع الضوء من العين الى الاشياء التى نبصرها

وتكمن عبقرية ابن الهيثم فيما اقامه من قوانين ونظريات كثيرة لدراساته التجريبية في هذا المجال

حقا لقد سبقه الى هذه الدراسة علماء وفلاسفة عرب من امثال الكندى وحنين بن اسحق والرازى وغيرهم ، ممن ساهموا بدراسات فى علم البصريات او تشريح العين ، ولكن ابن الهيثم يعتبر اول مؤسس البصريات على اسس علمية واضاف جديدا الى علم العالم القديم

فالى جانب نظريته في انتقال الضوء من الشيء الذى نبصره الى العين كاساس للابصار ، وما تعنيه هذه النظرية من ان للضوء كيانا مستقلا تجرى عليه الدراسة والتجربة ، فما اكثر النظريات والنتائج الاخرى التى استخلصها وكشفها ابن الهيثم . هناك مثلا نظريته في ان الضوء ينتقل في زمان ، ونظريته في امتزاج الالوان وتداخلها وتفسيره للظواهر الضوئية المختلفة كالشفق وضوء القمر وقوس قزح والانعكاسات والانعطافات الضوئية ، والظلال والاخطاء البصرية ، والانعكاسات على المسطحات والكرويات والاجسام الاسطوانية والمخروطية ، وغير ذلك من الكشوف التى اثرت علم الضوء واقامته علما تجريبيا راسخا بحق

ولعل كتاب **الدكتور مصطفى نظيف** « الحسن بن الهيثم : بحوثه وكشوفه » هو اقيم دراسة قدمت لهذا الفكر والعالم العربى العظيم

***

ولقد مات ابن الهيثم في القاهرة عام ٤٣٠ هجرية . وكان قد جاء اليها بدعوة من الحاكم بأمر الله الفاطمى . فقد سمع الحاكم بأمر الله عنه -كما يروى- بانه قال :

« لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص . وقد بلغنى انه ينحدر من موضع عال وهو في طرف الاقليم المصرى »

فاستقدمه الحاكم واستقبله استقبالا عظيما ، وامده له طائفة من مهرة الصناع لاستصحابه في رحلة الى منابع النيل لانجاز مشروعه . وقد سار ابن الهيثم مع من معه حتى اسوان . ثم درس الوقع وتبين له استحالة تحقيق فكرته ، فرجع حزينا خجلا الى الحاكم بأمر الله . واعتذر له عن فشله . فعينه الحاكم في وظيفة حكومية ، قبلها ابن الهيثم على الرغم منه لكراهيته اعمال الدواوين . ولما ضاقت به الحال ادعى الجنون ، فعزله الحاكم بأمر الله وحبسه في منزله . فلبث ابن الهيثم في هذه المحنة الى ان مات الحاكم فخرج واتخذ لنفسه مقرا بالقرب من الجامع الازهر واصل فيه بحوثه العلمية الى ان مات ..

٢٠١٠م ع

شارلي شابلن

عبقري الضحك

فيلم المغامرة ١٩١٧





ولد شارلي سبنسر شابلن في السادس عشر من ابريل عام ١٨٨٩ في لندن وكان ابواه من فناني الميوزيك - هول . وقد صعد شارلي الصغير على المسرح منذ أن كان في الخامسة من عمره . وفي عام ١٩٠٧ التحق بفرقة كارنو للبانتوميم (التمثيل الصامت) واصبح ممثلا دائما بها وكان اول فيلم مثله شارلي هو « آكل عيش » في عام ١٩١٤

ولم يمض وقت طويل حتى تبلورت شخصية شارلي الاسطورية في انحاء العالم . وابتعد عن الضحك الآلي الرخيص وتطور الى مزيج رائع من الضحك والعواطف المثيرة وهو اساس فن شابلن

وشارلي شابلن يدخل اهتماماته الاجتماعية في افلامه وقد جعل من البؤس لوحة مؤثرة تنضح بالحب العميق للانسانية كلها . وقد اتخذ موقفا اجتماعيا اكثر وضوحا وصراحة في فيلم « الازمنة الحديثة » (١٩٣٦) وفيلم « الديكتاتور » (١٩٤٠) ثم « مسيو فيردو » (١٩٤٧) و « اضواء المسرح » (١٩٥٢) واخيرا « ملك في نيويورك » (١٩٥٨)
ان شارلي شابلن يشرح في المقال الذي يلي فلسفته في الضحك الجماعي









مشهدان من فيلم « الصبي » ١٩٢٠ م

كلما التقيت بأناس يسألونني ان اشرح لهم أضحاكي للجمهور أجدني دائما في حيرة من أمري وأحاول التهرب . المسألة هو انى أعرف بعض الحقائق البسيطة عن شخصية الرجل واستغلها في مهنتي

ان أي نجاح في رأيي تقف وراءه المعرفة بالطبيعة الانسانية سواء أكان الشخص تاجرا او صاحب فندق او ناشرا او ممثلا

والامر الذى اعتمد عليه اكثر من غيره .. انني اضع جهودي امام شخصية تتورط في موقف حرج يدعو الى السخرية



رقصة الخبز في فيلم « البحث عن الذهب » ١٩٢٥

ان مجرد طيران قبعة ليس بالامر المضحك ، وانما المضحك هو ان نرى صاحبها يجرى وراءها وشعر رأسه طائرا فى الهواءوذيل سترته يهتز وراءه

وحينما يتنزه رجل فى الطريق لا يحمل ذلك على الضحك . فاذا وضع فى موقف حــرج محيرا اصبح المخلوق الانسانى باعثا على الضحك.ان كل المواقف المضحكة مبنية على هذا الامر

ولقـد لاقت الافلام المضـحكة نجاحا مباشرا لان اغلبهـا كان يصور رجال البوليس يقعون فى فتحات المجارى والبـالوعات ، ويتعثرون فى « جـــرادل » النقاشين ، ويقعون من عربات قطار يسـير باقصى سرعة ، ويعـانون كل انواع المتـاعب والمضايقات . ان هؤلاء النـاس يمثلون وقار السلطة ، وهم غالبا متشبعون بتلك الفكرة ، ونحـن نهزأ بهم ، ونسخر منهم ، ورؤية مغـامراتهم تثير الضحك عنـد الجمهور اضـعاف ما تثيره نفس المغامرات لو قام بها رجال عاديون يعانون نفس المتاعب

ويثير الضحك اكثر الشخص المهزأ الذى رغم تهزيئـه يرفض الاعتراف بأن شيئا غير عادى قد حدث له ، ويظل محتفظا بوقاره

وخير مثال لذلك حالة الرجل الثمــل الذى يفضـحه كلامه ومشيته ويريد أن يقنعنا بطريقة موقرة انه صـائم على الطوى . وهو مضـحك اكثر من الرجل



« الديكتاتور العظيم » ١٩٤٠



البسيط المرح الذى يظهر بصراحة حالة سكره غير مبال ان يلاحظه احد

ورطة

ان كل افلامى تبنى على فكرة استحداث مواقف مربكة(ورطات) لكى تسمح لى أن أكون جادا فى محاولتى البائسة ، ولكى ابدو كجنتلمان صغير عادي جدا . وفى ذلك الوضع المؤسف الذى أجد نفسى فيه يصبح همى الاكبر دائما ان التقط عصاتى بسرعة واضبط قبعتى على راسى واعدل رباط عنقى حتى لو كنت قد وقعت لتوى على أم راسي . وأنا متأكد جدا من هذه النقطة لدرجة انى لا احاول ان اضع نفسى فقط فى مواقف مربكة ، وانما أعمل ايضا على وضع الآخرين فى مثل تلك المواقف

وحينما أتصرف هكذا ، اجتهد دائما فى اقتصاد وسائلى ، وأعنى بذلك انه تستطيع حركة واحدة أن تثير الجمهور ، وتجعله بقهقه قهقهتين منفصلتين . . يكون ذلك أفضل من حدثين منفصلين

وقد نجحت فى ذلك فى فيلمى « **المغامر** » ، بأن جلست فى بلكون حيث كنت آكل « جيلاس » بصحبة فتاة شابة . وفى الطابق الاسفل وضعت سيدة ضخمة محترمة وانيقة تجلس الى مائدة . وفى أثناء تناولى للجلاس أسقطت ملعقة منه تسربت داخل بنطالونى ،



« اضواء المدينة » ١٩٣٠



ومن البلكون سقطت فى قفـــا السيدة

هنا الضحكة الاولى نشأت عن ارتباكى الشخصى ، والثـانية ـ وهى اشـد بكثير من الاولى ـ جاءت نتيجة لوقوع « الجلاس » فى قفـــا السيدة التى صرخت وراحت تقفز

حــدث واحــد هو الذى استخدمته،ولكنه اربك شخصين واثار قهقهتين .

الالمام بنفسـية الجمهور

وعلى ما يبدو فى ذلك الحدث من بساطة ، فان هناك عنصران من الطبيعة الانسانية يصـوب الحدث اليهما مرماه :

احدهما هو لذة المتفرج فى ان يرى الثراء والابهة (اللوكس) فى محنة

والآخر هو ميل المتفرج الى ممارسة نفس المشاعر مثل الممثل على المسرح او على الشاشة

ومن الاشياء التى يتعلمها المرء بسرعة فى المبارحان الشعب عامة يرتاح لرؤية الاغنياء بنالون اسوا

الجوانب . وهذا يتـــأتى من أن تسعة أعشار الآدميين فقـــراء ويغارون فى داخلهم من ثراء العشر الآخر

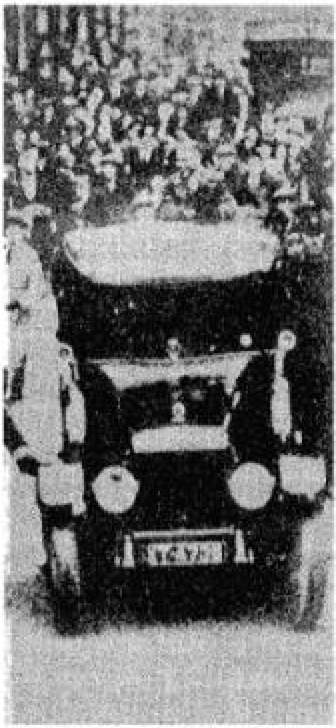
ولو كنت ، على العـــكس ، أوقعت الجلاس على رقبة خادمة فقيرة لنجم عن ذلك شـعور بالتعـــاطف مع المرأة بدلا من الضحك . وكذلك لكون الخادمة ليس لديها وقار تفقده لا يصبح المشهد مضحكا

ان وقوع الجلاس على رقبة ســيدة غنية يعنى فى عواطف النـاس احداث ما تستحقه بالضبط . وحينمـــا اقول ان الانســـان يستشعر نفس الاحاسيس التى يشاهدها فانا اعنى فى مثل هذا المثـل الذى ضربته أنه حينما ترتعد السـيدة الغنية فان الجمهور يرتعد معها . والشيء الذى يربك الممثل ان يكون مألوفا لدى الجمهور والا ما تأثر به . فالجمهور يرتعد لانه يعرف أن الجلاس مثلج . واذا استعملنا شيئا لا يدركه الجمهور على التو فلن يتأثر به

وعلى هــذا الاساس ينبنى القذف بالتورتة فى الافلام الاولى . تكلنــا يعرف ان التورتة تغعص بسـهولة . وبالتـالى يستطيع المتفرج أن يدرك احاسيس الممثل حينما يستقبل واحدة فى وجهه !

« تركيبة » من صنعى .. !

ولقد سألنى كثير من النـاس من أين اخذت فكرة النوع الذى امثله . وكل الذى اســتطيع ان



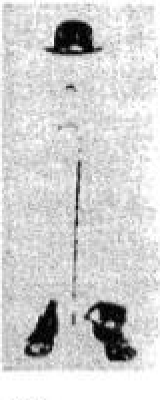
استقبال شارلى شـابلن فى لنـدن ١٩٢٠ . . .

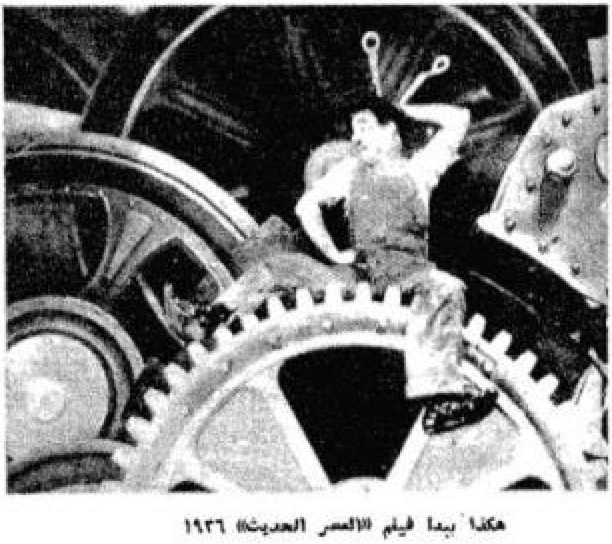
اقوله هو ان تلك الشخصــية التى العبها عبارة عن **«التركيبـة»** من عديد من الانجليز رايتهم فى لندن حينما كنت اسكن فيها . ولما طلبت منى شركه « كيستون فيلم « Keystone Film الامريكية التى مثلت لها افلامى الاولى ان اترك فرقة كارنو (الانجليزية) حيث كنت امثل فيهـا بانتوميم (التمثيل الصامت) **« ليـلة فى ميوزيك ـ هول انجليـزى »** ـ

ترددت أول الامر ، أساسا لاني لم أكن أعرف أي نوع من الكوميك كنت استطيع القيام به . ولكن بعد فترة وجيزة فكرت في كل صغار الانجليز الذين كنت أراهم بشوارب صغيرة سوداء وملابس ملتصقة بأجسامهم والعصا البنامبو في أيديهم وقررت أن أتخذهم نموذجا لي

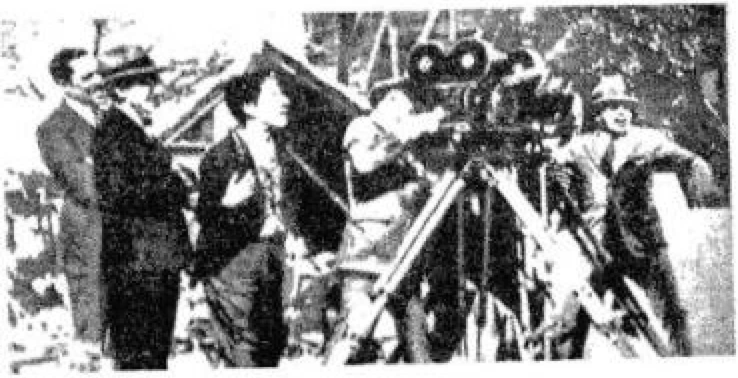
ربما كانت فكرة العصا هي أسعد « لقطة » عندي لان العصا هي التي عرفت الناس بي بأسرع ما يمكن . ولقد طورت استعمالها حتى أعطيت لها شخصية مضحكة (كوميك) خاصة بها وحدها . وكثيرا ما أجدها معلقة بساق أحد الناس أو ممسكة به من الكتف : هي بذلك تثير الضحك عند الجمهور دون أن ألاحظ أنا نفسي تلك الحركة . ولا أظن أني أدركت في البداية كم من الاشياء ممكن أن تقولها لملايين الناس عصاة تعتبر عنوانا للرجل العندور Dandy كذلك حينما أبدو « متغندرا » بعصاتي الصغيرة وهيئتي الحادة أعطي الأثر لمحاولة وقار . وهذا هو بالضبط مقصدي

وحينما مثلت أول أفلامي في شركة « كيستون » كنت في الواحدة والعشرين من عمري . وربما سائل المرء عما كنت أعرفه عن الانسان في هذه السن . ولكن يجب أن تتذكر أني مارست التمثيل أمام الجمهور منذ أن كنت في الرابعة عشرة ، ومن





هكذا بيدا فيلم «العصر الحديث» ١٩٣٦



شارلي شابلن يخرج فيلم «البحث عن الذهب» ١٩٢٥

الغريب حقا أن أول عقد مهم لي كان مع وليام جيليت ، وهوممثل أمريكي ، في مسرحية « شيرلوك هولمز » الأمريكية

ولقد لعبت خلال أربعة عشر شهرا دور « بيلي » صبي المكتب ، أثناء عرض مسرحية « شيرلوك هولمز » في لندن . وفي نهاية هذا العقد لعبت أدوارا من الفودفيل وغنيت ورقصت خلال بضعة أعوام . ثم عدلت عن ذلك كله لأتعاقد مع فرقة كارنو KARNO للبانتوميم « التمثيل الصامت »

وفن البانتوميم يقدرونه جدا في انجلترا ، ولأن عندي ميلٌ لهذا الفن كنت سعيدا جدا لانني استطعت التفرغ له

واني لأتساءل مع ذلك ، هل كنت أنجح في هذا الفن لولا والدتي . انها أعجب ممثلة بانتوميم رأيتها في حياتي ، كانت تجلس الى النافذة خلال ساعات طويلة تنظر الى الشارع وتقلد بيديها وعينيها وتعبيرات وجهها كل ما كان يدور في الطريق ، ولم تكن حركاتها تتوقف أبدا .. لأن الحركة في الطريق لا تتوقف . وبالنظر اليها وملاحظتها لم اتعلم فقط أن أترجم العواطف والاحاسيس بيداي ووجهي ، وانما تعلمت أيضا أن أدرس الانسان

كانت أمي بارعة في ملاحظاتها فمثلا ، رأت يوما جارنا بيل سميث ينزل الى الشارع في الصباح فقالت : « ها هو ذا بيلْ سميث . انه يجر قدميه ، وحذاؤه لم يمسح . يبدو عليه الغضب . أراهن أنه تشاجر مع زوجته وخرج دون افطار . والدليلُ على ذلك انه دخل الى محلْ حلواني ليتناول قدحا من القهوة وفطيرة صغيرة . »

وأثناء النهار .. عرفت أن

بيل سميث فعلا قد تشاجر مع زوجته

لقد كانت هذه الطريقة فى ملاحظة الناس انفس شىء استطاعت والدتى ان تعلمه لى . فعن هذا الطريق عرفت ما يثير ضحك الناس

وأنا حين أشاهد احد أفلامى اثناء عرضه على الجمهور ، اراقب الفيلم بعين واحدة، والعين الاخرى والاذنان على الجمهور . والاحظ ما يضحك الجمهور وما لا يضحكه . واذا حدث مثلا ان الجمهور لم يضحك خلال عدة مرات ، على حركة تمثيلية كنت اريدها مضحكة ، فاننى اجاهد بعد ذلك مباشرة لاكتشاف الخطأ فى فكرتها او فى تنفيذها او حتى فى الصورة التى التقطت لها

وكثيرا ما يحدث ان اتبين ضحكة خفيفة لحركة لم اكن قد درستها . وعلى الفور افتح اذناى وابحث لماذا اضحكت هذه الحركة بالذات جمهور المشاهدين

افكارى من المشاهدين

وكما انى الاحظ الجمهور لارى ما يضحكه . كذلك فانا الاحظه لاستوحى منه افكارا لمشاهد مضحكة . كنت مارا فى أحد الايام امام نقطة مطافىء فى اللحظة التى اعطيت فيها اشارة حريق . ورايت رجال المطافىء يتزحلقون على الصارى ويسرعون الى المضخة ويندفعون الى الحريق . وعلى الفور بدت لى سلسلة من الامكانيات المضحكة . رايت نفسى نائما جاهلا بصفارة الانذار . هذه النقطة ستصبح مفهومة للجميع لان كل فرد يحب النوم . ثم رايتنى اتزحلق على الصارى واحاور خيل المطافىء واداوره ، وانقذ البطلة ، واسقط من فوق المضخة فى أحد منحنيات الطريق ،

وهكذا ينتهى فيلم « العصر الحديث » ١٩٣٦



واشياء عديدة من نفس النوع ، وخزنتها فى ذاكرتى . وحينما قمت باخراج فيلم «الرجل الطاقىء» فيما بعد استخدمت كل ذلك ولو انى فى ذلك اليوم لم اتامل المطاقىء لما جاءت لى كل هذه الامكانيات « الكوميدية » المضحكة

ومرة اخرى كنت اصعد واهبط سلما آليا فى متجر كبير ، وجعلت أفكر كيف يمكن استعمال ذلك فى فيلم . وفى النهاية اتخذت منه اساسا لفيلمى « ساعى المتجر »

واثناء مشاهدتى لمباراة فى الملاكمة جاءتنى فكرة فيلم « شارلى البطل » حيث انتصرت انا الرجل الصغير على شبطان كبير بالضربة القاضية بفضل حدوة حصان اخفيتها فى قفازى

وفى فيلم آخر استخدمت مكتب سمسار كموضوع رئيسى

باختصار ، لقد استفدت من الحياة اليومية سواء فى رسم الشخصيات أو فى استيحاء افكار مضحكة . فمثلا ، كنت يوما فى مطعم وفجاة لاحظت ان رجلا يجلس على بعد خطوات منى يبتسم لى ويحيينى . وتصورت أنه يحاول أن يتودد الى ففعلت بالمثل ، بينما كنت قد اسأت تأويل نواياه . وبعد لحظة ابتسم من جديد فرفعت يدى احييه ولكنه تجهم وعبس . ولم اعد أفهم لماذا كان يبتسم ثم يعبس على التوالى . كان يجب ان التفت ورائى لأرى انه كان « يعاكس » فتاة جميلة تجلس خلفى . ولقد اضحكنى ما وقعت فيه من خطأ وحينما جاءت الفرصة ، بعد ذلك ببضعة شهور لاستخدام هذا الموقف فى فيلم « الاستشفاء » استفدت من هذه الحادثة الصغيرة

عنصر التضـــــــــاد

نقطة اخرى ادخلتها فى افلامى كثيرا وهى ميل الجمهور الى حب التضاد Contrast والمفاجآت . ومن المعروف أن الجمهور يحب الصراع بين الخير والشر ، وبين الغنى والفقير ، وبين المحظوظ والمنحوس ، كما يحب أن يضحك وأن يبكى ، كل هذا فى بضع دقائق . ان تنويع المواقف المتضادة بالنسبة للجمهور يخلق الاهتمام .

ومن حسن حظى اننى صغير الحجم ، واستطيع ان أوجد هذا التضاد دون تعب . كل الناس تعرف ان الانسان الصغير الحجم المظلوم يحظى دائما بعطف الجماهير . ولادراكى هذا اعمل على تاكيد ضعفى وتجسيمه بأن اضم كتفاى وادلدل شفتى فى هيئة تستدر الرحمة واتخذ سمة الخائف المرتعد . كل هذا بطبيعة الحال هو فن **البانتوميم.** ولكن اذا كنت اكبر من ذلك فى الحجم قليلا لكانت مهمتى صعبة فى استدرار عطف الناس



ولا بد من العناية فى استعمال التضاد ، حتى يبدو فى صورة مرضية . فمثلا فى نهاية فيلم «حياة كلب» مثلت دور المزارع ، وفكرت انه من المضحك ان اكون فى حقل واسع واتناول حبة واحدة من جيبى ازرعها فى الارض بعمل ثقب صغير باصبعي . وقد كلفت أحد العاملين معى فى الفيلم باختيارمزرعة يمكن أن يصور فيها هذا المشهد . وقد عثر بالفعل على احدى الضياع ولكنى لم اوافق عليها لسبب بسيط .. هو انها كانت صغيرة جدا ولن تعطى التضاد لطريقتى اللامعقولة فى زراعة حبة واحدة فى كل مرة

وعنصر **المفاجأة** فى افلامى له نفس اهمية عنصر التضاد ، ولست ابحث عن المفاجأة بشكل كامل فى البناء العام للفيلم ، ولكنى أجتهد فى ان اخضع حركاتى الشخصية بطريقة تبدو كأنما تحدث مفاجاة . انى احاول دائما ان افعل غير المتوقع بطريقة جديدة . فاذا اعتقدت أن الجمهور ينتظر ان يرانى اذرع الشارع على الاقدام ، فى أحد الافلام ، أقفز فجأة فى سيارة . واذا اردت ان استرعى نظر احد الناس فبدلا من أن انقر على كتفه او اناديه ، امر بعصاتى من تحت ذراعه وأجذبه الى بلطف

ان تصورى لماينتظره الجمهور ثم عمل شيء اخر هو لذة خالصة بالنسبة لى .

وهناك ايضا خطر اخر : وهو الرغبة فى أن تكون مضحكا اكثر من اللازم . هناك مسرحيات وافلام يضحك فيها المتفرج كثيرا جدا ومن قلبه حتى يصيبه الانهاك

ان اماتة الصالة من الضحك مطمح لعديد من الممثلين . ولكنى افضل ان أثير الضحك هنا وهناك . وانى لافضل ان يضحك الجمهور ضحكتان او ثلاثة .. تنطلق فى حرية صادقة من القلب .. على ان اغرقه فى سيل منهمر من الضحك المتواصل ...

كثيرا ما سئلت : هل احقق كل افكارى واهداف ؟ .. وهل عمل فيلم مضحك شيء سهل ؟

انى احيانا امل ان يستطيع المرء تتبع سير الفيلم منذ فكرته الاولى حتى اختيار الشخصيات والتقاط الصور وتوليفها واخراج الفيلم فى صورته النهائية . انني كثيرا ما انزعج للطول الهائل لشريط الفيلم الذى يجب على تصويره لكى احصل على فيلم واحد . لقد استعملت ٦٠ الف قدم من الفيلم الخام لاحصل فى النهاية على الفى قدم يراها الجمهور

انه يلزم تقريبا ٢٠ ساعة لعرض الستين الف قدم من الفيلم على الشاشة . كل هذه الكمية يجب ان تصور لكى يصل الى عشرين دقيقة من العرض السينمائى

لا اثق فى احد

وفى عملى ، لا أثق فى احد الا فى تقديرى الشخصى . احيانا كان يبدى اولئك الذين يحيطون بالتصوير اهتمامهم الشديد بمشاهد معينة اثناء تصويرها ، ومع ذلك كنت التى بها بعيدا لانها تبدو لي غير مضحكة بما فيه الكفاية . وليس هذا لانى اعتقد انى اكثر رقة وشفافية من اولئك الذين يحيطون بى ، وانما ببساطة لانى انا الوحيد الذى سوف يجنى كل اللوم او كل الفائدة من الفيلم . ولا استطيع ان اكتب تحذيرا فى بداية الفيلم واقول : **« ايها المتفرج انالا الومك لانك لم تضحك ، فانا نفسى لم اجد ذلك مضحكا . ولكن اولئك الذين كانوا يحيطون بى اثناء التصوير لم يكونوا من هذا الراى ولقد سلمت برايهم »**

وهناك نقطة اخرى تجعل من الصعب على ان اصدق تقدير اولئك المحيطين بى . ان مصورى ومساعديه قد تعودوا على تمثيلى الى حد كبير لدرجة انهم لا يضحكون منه كثيرا . ومع ذلك لو انى ارتكبت خطأ لضحكوا منى .

وربما لو انى لم الاحظ خطأ لامكن ان اعتقد ان المشهد كان مضحكا . ولم اتبين ذلك الا حينما سألت يوما اولئك الذين كانوا يضحكون على جانب من مشهد لم أكن اراه مضحكا ابدا ، لماذا كانوا يضحكون؟! فقالوا لي لانى اخطأت . وفى تلك اللحظة تبينت كيف كان من الممكن أن أضاعف من خطئى لو انى صدقتهم اول الامر . وانا الان سعيد لانهم لا يضحكون على تمثيلى الآ فيما ندر

لا ابالغ

والشيء الذى اخشى منه دائما هو المبالغة او تاكيد نقطة معينة اكثر مما يجب . فمن الممكن بسهولة قتل الضحك بالمبالغة اكثر من اى وسيلة اخرى . فلو انى بالغت فى طريقة مشيتى ، او اوقعت شخصا ما بقوة شديدة ، أو تطرقت فى التعبير عن شيء لما استفاد الفيلم من ذلك ...

ان الاقتصاد فى التعبير امر غاية فى الاهمية ليس فقط بالنسبة للممثل وانما بالنسبة لاى شخص

ان الحدمن الامزجة والشهوات والعادات السيئة أمر ضرورى ومن الاسباب التى جعلتنى لاأحب كثيرا افلامى الاولى التى قمت بها هو ما تضمنته من مبالغة كان من الممكن الحد منها . ان القاء تورتة بالكريمة او اثنتين ربما كان امرا مسليا ، ولكن حينما لا يعتمد الضحك الا على التورتة بالكريمة يصبح الفيلم بسرعة ربما مملا . ولعلى لا أنجح دائما بفضل هذا المنهج ، ولكن افضل الف مرة ان اضحك جمهورى بفضل ذكى لا بأفعال شرسة أو تفاهات

ليس هناك أسرار غامضة لاضحاك الجمهور . ان كل سرى هو انى جعلت عيناى مفتوحتين وروحى يقظة لكل الحوادث التى يمكن استعمالها فى أفلامى

لقد درست الانسان ، ولو لم اعرفه لما استطعت تحقيق شيء . وكما قلت فى بداية هذا المقال ان معرفة الانسان هى اساس كل نجاح .



طاهر الطناحي



الآنسة مي



غرام العقاد

كانت العلاقة بين الانسة مي وعباس العقاد فى أولها ـ كما بدت فى مقال الشهر الماضي ـ علاقه أدبية ، أو قل كانت تبدو صداقة أدبية ، وزمالة فى الفكر والادب • فكلاهما أديبان ، وكلاهما كاتبان مفكران • وقد مكثت هذه العلاقة فى ظاهرها مدة لم يصرح فيها أحدهما للاخر بما يكمن فى جوانحه ، وما يضمره فى أعماق قلبه من حب

عباس العقاد





جبران

كان العقاد يغار من جبران خليل جبران!

والآنسة مي

وهيام .. !

ولكن لماذا مكثا هذه المدة لم يصرح احدهما بما يشعر به للآخر ؟

لماذا لم يصرح العقاد للآنسة مي بانه يحبها من اول رسالة أرسلها اليها من اسوان الى القاهرة ؟.. ولماذا لم تصرح الآنسة مي للاستاذ العقاد بأنها تغرم به ، وانه اول رجل احبته فى حياتها ، من اول رسالة ارسلتها اليه من القاهرة الى اسوان ؟

لماذا لم يصرحا بالحب ؟ .. ولماذا يصبر كل منهما هذا الصبر الطويل ، ويكبت هذا الشعور الحى القوى هذه المدة ، حتى يجد منفذا صغيرا ، فينفجر ، ويجرف كل شيء امامه ، ولكن فى حدود الخلق الرفيع ، والادب اللائق ، وفى حرارة الروح ، لا فى شهوة الجسد ..!

لقد كانت « مي » فتاة جميلة النفس ، جميلة الروح ، فاتنة برقتها وحديثها الشهى ، وملكتها النابغة . وكان العقاد فى شبابه فتى جميلا ، قوى الشخصية ، لامع الاسم واسع الشهرة فى



الرافعى .. وقف فى طبور العشاق

الادب وعالم الفكر .. ولكن كلا منهما تربى تربية دينية ، ونشأ منذ طفولته وصباه على العادات والتقاليد الشرقية التى كانت فى ذلك الحين تسيطر على الشباب، وعلى الحياة الشخصية والاجتماعية ، وتستنكر التصريح بما يشغل العاطفة من حب وهيام، وخاصة الفتاة ، فكلمة «الحب» وان كانت صغيرة فى لفظها ومبناها ، ولكنها فى معناها كبيرة وخطيرة .!

وكان فى طبع العقاد كبرياء يشبه كبرياء « المتنبى » فى الحب حين يطلب الى حبيبته الجميلة الفاتنة أن تزوده من حسن وجهها ، وان تصله هى ، فيصلها هو كذلك .! كما يقول :

زودينا من حسن وجهك مادا
م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك فى هذه الدنيا
فان المقام فيها قليل

وكان فى طبع الآنسة مى حياء شديد ، وفى خلقها احتشام كبير درجت عليه منذ صباها كفتاة شرقية عربية تحافظ على التقاليد وكانت ذات فطنة واحتفاظ بكرامتها على الرغم من شبابها المتوقد ، فهى تخشى أن تتورط فى التصريح بالحب ، فلا تجد من الجانب الآخر مثل ما صرحت به من شعور،فترجع كاسفة جريحة الفؤاد كئيبة النفس

رسالة من برلين

ولكن حين وصلتها قصيدة العقاد بعدما بارحت روما الى برلين فى يوليو سنة ١٩٢٥ ــ تلك القصيدة التى نشرناها فى العدد الماضى ، وفيها يعبر عن شعوره نحوها ، ويقول :

انت فى روما وفى مصر انا
بعدت شقتنا لولا النجاء
ارقب البدر اذا الليل سجا
فلنا فيه على البعد لقاء
وارود الشعر فى مثل الكرى
فلنا فيه من الطيف عزاء

لما قرأت هذه الابيات وسواها مما تضمنته القصيدة صادفت هواها ، ووافقت شعورها ، وشجعتها على ان تصارحه بأنها تشعر بنفس الشعور الذى يشعر به ، فأرسلت اليه من برلين بتاريخ ٣٠ اغسطس سنة ١٩٢٥م رسالة تقول فيها :

« عزيزى الاستاذ

« أكتب اليك من بلد كنت دائما تعجب بشعبه ، كما أعجب به أنا ايضا . ولكن اعجابى بقصيدتك البليغة فى معناها ومبناها

فاق كل اعجاب ، وقد اغتبطت بها غبطة لا حد لها ، واحتفظت بها فى مكان امين بين اوراقى الخاصة خوفا عليها من الضياع .!

« اننى لا استطيع ان اصف لك شعورى حين قرأت هذه القصيدة ، وحسبى ان اقول لك ان ماتشعر به نحوى هو نفس ما شعرت به نحوك منذ اول رسالة كتبتها اليك ، وانت فى بلدتك التاريخية أسوان

« بل اننى خشيت ان افاتحك بشعورى نحوك منذ زمن بعيد — منذ اول مرة رأيتك فيها بدار « جريدة المحروسة » . ان الحياء منعنى ، وقد ظننت ان اختلاطى بالزملاء يثير حمية الغضب عندك . والآن عرفت شعورك ، وعرفت لماذا لا تميل الى « جبران خليل جبران » !!

***

وكانت « مى » تقدر جبران ؛ وقد كتبت عن كتابه « المواكب » مقالا اثنت عليه ثناء جميلا ، وكان العقاد له رأى خاص فيه ، ولكنها بطبيعة المرأة ظنت بعد تصريحه بشعوره نحوها انه يغار منه حين تتحدث عنه ..!

ثم قالت فى نهاية الرسالة :

« .. لا تحسب اننى اتهمك بالغيرة من جبران ، فانه فى نيويورك لم يرنى ، ولعله لن يرانى ، كما انى لم اره الا فى تلك الصور التى تنشرها الصحف ، ولكن طبيعة الانثى يلذ لها ان يتغاير فيها الرجال وتشعر بالازدهاء حين تراهم يتنافسون عليها .. أليس كذلك ..!

« معذرة .. فقد اردت أن احتفى بهذه الغيرة ، لا لأضايقك ، ولكن لازداد شعورا بأن لى مكانا فى نفسك ؛ اهنىء بها نفسى ، وامتع بها وجدانى . فقد عشت فى أبيات قصيدتك الجميلة ، وفى كلماتها العذبة ، وشعرت من معانيها الشائقة ، وفى موسيقاها الروحية ما جعلنى أراك معى فى المانيا على بعد الشقة ، وتنائى الديار

« سأعود قريبا الى مصر ، وستضمنا زيارات وجلسات ، أفضى فيها لك بما تدخره نفسى ، ويضمه وجدانى ؛ فعندى أشياء كثيرة سأقولها لك فى خلوة من خلوات مصر الجديدة . فانى أعرف انك تفضل السير فى الصحراء . وانا اجد فيك الانسان الذى اراه اهلا للثقة به والاعتماد عليه ... »

« مى »

اتعرف الشوق والحنين ؟

وبعد ان ختمت هذه الرسالة ، وضعت معها مقالة بعنوان : « اتعرف الشوق والحنين » وقالت له فى هامش رسالتها : « كتبت هذه المقالة من وحى قصيدتك ، وسوف لاانشرها الان حتى اعود اليها مرة اخرى ، كما افعل دائما ، وكما يفعل الشعراء

فى قصائدهم . وانا اعتبر هذه المقالة قصيدة منثورة .. اليس لى ان ادعى ذلك مادمت لااستطيع مثلك أن أدبج الشعر المنظوم .؟ وفى هذه المقالة تقول بعد سطور :

« .. اعرفت الشوق وقد ثار وفار ؟! ...

« اعرفته وقد أطلق من وجدانك شخصا مجهولا منك ، يطمح فى وجع وتفطر الى البعيد السحيق

« اعرفته تنبهه المحسوسات ، وتزكيه المدركات ، وتؤججه الذكريات !.

« أعرفته يرعى فى كيانك ، فأنت روح تلوب ، وصوب يلهج ، ويد تلتمس ، وجوانح تضطرم ، وجنان يتسعر ، وضلوع تتفجر ؟!

« ان أنت عرفت مرة الشوق والحنين ، وشعرت بالانكماش الاليم يملأ صدرك غما وكربا . وان أنت كنت مرة ضحية الكلابة التى تعض على القلب بنابها القاسى ، وفريسة المطارق التى تطرق فيه بلا رحمة فتدغدغه ، وترضضه دون أن تقوى على تحطيمه وملاشاته ..

« اذن ، فاعلم انك فى تلك الساعة متمتع باستعداد الخالق القادر ، تضطرم فى فؤادك الشرارة التى سرقها الانسان القديم من نادى الارباب الاقدمين

« لان هذا العالم ، انما هو ابن الصبابه والجوى .. !

« ومابرا البارى هذه الاكوان الا عندما شاء عطفه أن يعرف الشوق والحنين »

كانت الآنسة مى تضع فى رسائلها الى الاستاذ العقاد بعض خطراتها مما يناسب عاطفة الحب التى ربطت فى ذلك الحين بين قلبيهما

وكان الاستاذ العقاد يضع كذلك ضمن رسائله بعض كلماته العاطفية نثرا ، ونظما وكثيرا ما نظم فيها ابياتا أو قصائد نشر بعضها فى الديوان دون التصريح باسمها، بل كان يسميها هندا أو ليلى ، أو غيرهما من الاسماء المعتادة . وكان اسم « هند » فى شعره هو الاكثر لانه على وزن « مى »

حزن وكآبة

وانتهت رحلة المانيا وعادت الانسة مى الى مصر ، فعلمت انه سافر الى أسوان لوفاة شقيق له يدعى «مصطفى» . وكان هذا الشقيق شابا رياضيا نشيطا يعشق الرياضة ويزاولها كثيرا ، فكسرت ذراعه فى احدى المرات ، وعلى الرغم من علاجها وشفائه ، فانها كانت تعوقه عن مزاولة الرياضة ، وخاصة السباحة التى كان يعشقها ، فلما جاء وقت الفيضان ابى الا أن يسبح كعادته مع بعض الشبان، فخانته ذراعه ، ومات غرقا



في النيل . فارسلت « مي » تلغرافا عزته فيه عن مصابه ، فرد عليها بخطاب شاكرا لها هذا العزاء . وقد قال فيه :

« عزيزتي مي

«سافرت كما تعلمين الى اسوان لغير قصد مني . ووددت أن أكون بالقاهرة حين عودتك من برلين . وقد آثرت أن أكتب اليك هذه الرسالة بدلا من التلغراف .. »

ثم جعل يغازلها بعبارات منجوعة يصف فيها رقتها وانوثتها الفياضة وروحها العذبة . ثم قال :

« .. لولا انى أشعر بالتعب من تأثير مصابي بأخي مصطفى ، لقلت لك الكثير واذا كان الانسان في مصابه يتعزى حين يرى احبابه واصدقاءه يشاركونه شعوره فانى أبعث مع هذا بتلك الابيات التى رثيت فيها اخي ، ونقشتها على قبره . ولست أقصد ان تشاركيني في احزاني ، ولا أن تشعرين مثلي بالكآبة فأنا أود .. ــ لو استطيع ــ ان اجمع كل ما في الدنيا من غبطة وسرور لأقدمها اليك . ولكن الادب يحيا بالقراءه ولا سيما اذا قرأته مي . اما الابيات ، فهي :

أيها القبر فيك غصن رطيب
قصفته المنون قبلَ أوانه
مثلما تعبث السموم بزهر
عاطر ناضر على أغصانه
بنت يا مصطفى وما بنت عن قلـ
ـب كبير يذوب في أشجانه
كان أحرى بك الغبار من القبـ
ـر ، وثوب العروس من أكفانه
سوف ألقاك في الثرى عن قريب
كل حي موكل بزمانه (1)

قرأت « مي » هذه الأبيات فبكت واكتأبت . وبعثت اليه برسالة تقول فيها : « لقد ابكيتني كثيرا . وانى لأشعر بالكآبة تعذب نفسي ، وتسيطر على حسي » ثم ترجمت له فصلا كتبته بالفرنسية في كتابها « زهرات الحلم » بعنوان : «كآبة » تقول فيه :

« حزينة اليوم روحي ، وحزنها القائم مؤلم ، فعلام الاكتئاب ؟

« أترى الاوراق المتناثرة من غصونها تدري لأى غرض تقلبها الريح ، وتتلاعب بها في تطايرها ؟

« انها لتتناثر تلك الوريقات

---

(1) هذه الابيات لم تنشر في اي صحيفة او في اي ديوان من دواينه

المسكينة ، وتتهادى اكوامـــا ، هى التى كان بعضها اسر الالتصاق بشجرة انالتها الحياة . هى التى نزعت الى الانعتاق والتحرر ها هى فى نهاية الامر فائزة بحريتها

« كم تخـال مغتبطـة هـذه الوريقـــات المصفرة الذابلة ، المتجمدة ، المتغضنة المتقبضة !، كم هى مغتبطة بهذا الانفصال؟ . »

الى ان تقول فى النهاية :

« ايها الاله

« لماذا وضعت فى عينى الانسان هذه العبرات، وقضيت بالا تجف، ولا تنضب ؟

« لماذا ؟!

« أى مسرة انت مـــلاق فى النكال والايلام ؟! انك القـادر ، ونحن ضعاف . انك العظيـم ، ونحن بائسون . نحـن اشرار ، وانت كل الصـــلاح . اما كان الغفران اجدر بعظمتك ؟ . . او ما كانت ملاشــــاتنا أوفق لرحيب قدرتك ؟ . .

« نفسى اليــوم حزينـــة ، وحزنها قاتم . افـكر فى الاوراق المتناثرة ، وفى الاحيــــاء الذين يضحكون ، وفى الموتى الذين مضوا كأنهم لم يكونوا

« مى »

تبكين . !

وصلت هـــذه الرســالة الى الاستاذ العقاد ، وكان على اهبة السفر الى القاهرة ، فنظـم لها ابياتا بعنــــــوان « تبكين » . ولما حضر الى منزله بمصر الجديدة ، بعث بهــا داخل خطاب اليهـــا بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٥ . وهى عشرة ابيات جاء فيها .

تبكين . والهف الفؤاد بديه
ذاك الحنين يذوب فى خديك
ابراك باكية وانت ضياؤه
ونعيم عيشى كله بيديك
وعزيزة تلك الدموع فليتها
يقتو قطرتها نظيم سلكيك
فلات لم يبق باكرم جوهر
من عطف قلبك فاض من عينيك
لو استطيع جمعت كل ذخيرة
فى الدهر من ضحك يروق لديك

الى اخر هذه الايـــــات التى نشرها فى ديوانه الجزء الرابـع ، دون ان يصرح باســــمها او تاريخها كما فعـــل فى كل مـــا نشره عنها فى هذا الديوان

مصطفى صادق الرافعى

فلما قرات الابيات ، ولم يكن قد اتصـــل بهـــا حين عودته من اسوان ، ارسلت اليه رسالة بمنزله بمصر الجـــديدة تعتب عليه ، فرد عليها برســـالة ايضا جاء فيها :

« عزيزتى

« لا تظنى اننى تاخرت لقصد منى فى هذا التاخير ، ولـــكن كان هناك عمل شغلنى فى الجرنال ، ثم لازمت الفراش نتيجة التعب والارهاق ، وكنت ســــأكلمك بالتليفون ، ولكن آثرت ان اكتب اليك بدلا من التليفون !. »

ثم تحدث عن ندوتها « الصالون الادبي » . واعتذر لها عن حضوره اليها « يوم الثلاثاء » – وهو موعد الصالون كل اسبوع – لانه يستثقل بعض الحاضرين . ثم ذكرلها «مصطفى الرافعي» . وقال : « ماذا يعجبك فى هذا الرجل الثقيل الاصم !. انني اعرف انك لاتعيرينه انتباها ، وتكرهين تحببه اليك ، وتمقتين غزل الشيوخ بالشباب .. والاولى أن تعتذرى عن حضوره . واني أفضل ان يكون لقاؤنا فى غير الثلاثاء .. وفى انتظار رسالتك

« عباس »

جاءت هذه الرسالة الى «مى» وكانت فى قلق ، لانه كان فى تلك الايام مهموما بكثير من الهموم السياسية والعائلية ، وتخشىأن تصرفه تلك الهموم عنها بعدما صرحت بشعورها نحوه ، وكان هذا الشعور عن وجدان خالص وقلب متيم . فارسلت اليه ردا على رسالته ، تقول فيه :

« .. وصلتنى رسالتك ، ولا يسعنى الا ان اقدر شعورك .. ولا تظن اني انظر الى احد من زوار الندوة نظرتى اليك ، أو نظرة تجعلنى فى مكان الانتباه اليه . وانت لست فى حاجة الى كتابة كلمات أؤكد فيها شعورى نحوك ، وما اكنه لك من اعجاب وتقدير ، وفى اللقاء متسع للتعبير

« أما عن اقتراحك الحضور فى غير « الثلاثاء » . فانى اترك لك اختيار اليوم والوقت ، على أن يكون الموعد مساء .. »

وبعد هذه الرسالة اتصل الأستاذ العقاد بالآنسة مى ،واتفقا على ان يكون اللقاءمساء يوم الاحد من كل أسبوع – والى العدد القادم ..!

« مى »

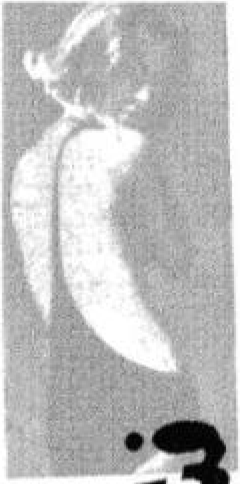
حقوق العلماء

ركب زيد بن ثابت فاخذ عبد الله بن عباس بزمام دابته فقال له زيد : « لا تفعل يا ابن عم رسول الله » . فقال عبد الله بن عباس : « بل هكذا أمرنا رسول الله ان نفعل بعلمائنا »

وكان على بن ابى طالب يقول : « من حق العالم عليك اذا أتيته ان تسلم عليه خاصة ، وعلى القوم عامة ، وتجلس قدامه ، ولا تشر بيدك ، ولا تغمز بعينيك ، ولا تقل قال فلان خلاف قولك، ولا تلح عليه فى السؤال . بل سل مستفهما ولا تسل متعنتا »



بين البوبو ... واللامعقول!



لا جديد: 3

ان أحدث « صرخات » الموضة التي ظهرت أخيرا هي موضة البوبو ، ايطاليا أعلنتها ونساء العالم يتلقفن البوبو بسذاجة وفتنة . البوبو قماش رقيق يلف على الاكتاف » وينسدل على الجسد بوشيه الملاءة اللف. لكنه لايغطي الرأس ولا الكتف « البوبو » يعود في ـ الحقيقة ـ الى ايام اليونان حين كانت السيدة تلبس «التوجا» التي تشبه الملاءة الرقيقة ، نساء روما القديمة كن يلبسن نفس الموضة تحت اسم « شيتون » وهكذا تعود المرأة الى القديم جداً تحت اسم الحديث جدا !

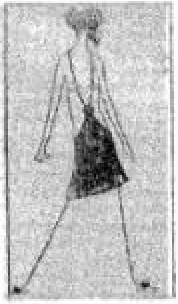


ان موضة المايوه الاسطول .. ليست من ابتكار النصف الثاني من القرن العشرين .. والدليل على ذلك الصورتان الى اعلى .. من نقوش حضارة كريت .. منذ ١٥ قرنا . وهذان التمثالان موجودان في امريكا في متحف متروبوليتان للفنون بنيويورك ... !

الموضة

● وحتى موضة المايوهات العارية ، التي انتشرت بين اوربا وامريكا واثارت سخط او اعجاب الرجال ، انها تعود الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وحتى الآن لا يعرف الرجل سر هذه الرغبة التي تجتاح المرأة احيانا ، لتكشف عن صدرها اكثر من اللازم .. او اقل من الواجب !

ان مؤرخ الموضة لا يندهش من هذه الموجات الصارخة .. لانه يعود دائما الى التاريخ فيجد ان كل شيء في الموضة ليس جديدا .. حتى في فن الوقاحة !



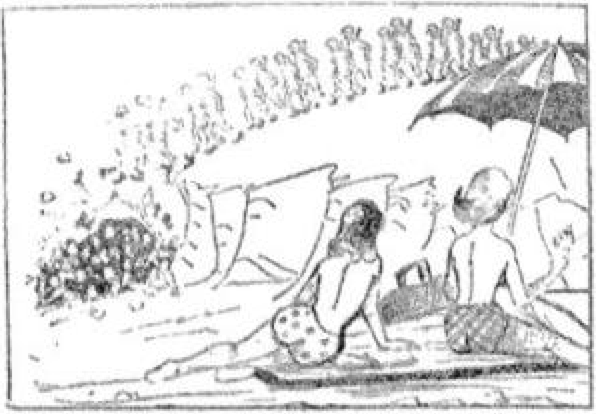
موضـــة
اللامعقول



تونى شـــيللى ، من
شيكاغو ، ١٩ ســـنة

والمايوه العارى فتن مراهقات اوربا وامريكا. وسارعت الصحف الى نشر تحقيقات صحفية مع لابسات المايوه العارى . والغريب ان المايوه العارى له فى كل بلـد خطوط تختلف عنها فى البــلاد الاخرى فالصـــورة الى اليمين تعرض « مايوه » من المانيا . أما الصورة الى اليسار فانها لمراهقة اسمها تونى شيللى من شيكاغو. ان هذه المراهقة كانت اول فتـاة تلبث المايوه العـــارى فى الولايات المتحدة .. ويبدو انها سـعيده حينما جاءت عدسات مصـــورى الصحف لالتقاط الصور لها

ويبدو ان المايوه العارى أحـدث صـدمة لبعض المتحفظين . فبدات التعليقات تنهال على هذا العرى . ووجد رسامو الكاريكاتير ميدانا واسعا ليسخروا من لابسات هذا المايوه اللامعقول .. قالوا أنهم يخشون ان تمتد موضة المايوه العارى الى الرجال .



والمايوه العارى ، عودة الى العرى ، ومستعمرات العراة . وفى امريكا واوربا جزر او مستعمرات مقفولة على السواحل او وسط الغابات ، او الحدائق الواسعة مخصصة على شاطىء الريفييرا ، وعانوا يكتبون من هذه المستعمرات التى يعتبرها اعضاؤها نوادى رياضية ، لترويض النفس ، والاستمتاع بالشمس فقط !

ان المايوه العارى ليس عمليا ولا رياضيا ولايحرص على ابراز جمال المرأة . لان الموضة كما يقولون — هى فن اخفاء القبح ، وابراز الجمال ...



تمثال من كونوسوس
جزيرة كريت

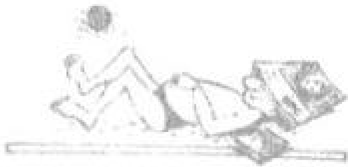


ان التمثال الرومانى القديم ــ فى الوسط ــ يصور ثياب المرأة الرومانية ... ولا جديد فى موضة البولو ، او اللاستقول ، أحدث صيحات ١٩٦٤.





ان يعود خبراء الموضة الى عصر الرومان فى موضة البوبو خير من يعودوا الى تماثيل جزيرة كريت العارية الصدر !



مكتبة مجلة الهلال العربية

الشعر الجديد
او
الشعر المنطلق

للدكتور محمد النويهى

الناشر : معهد الدراسات العربية العالية

صفحة من القطع الكبير

هذا كاتب قد تختلف معه فى الرأى كل الاختلاف ، ولكن لايسعك - سواء خالفته أو وافقته - الا أن تحترم حماسته لرأيه واخلاصه فى عرضه وتوضيحه والدفاع عنه

وليس فى وسعك أن تستمتع بهذا الكتاب - كله أو بعضه - الا اذا كنت محبا للشعر ، مطلعا على عيونه وفرائده ، بل ودارسا له دراسة التذوق المترف الحس والذهن . اما ان كنت لاتحب الشعر ، أو ممن يصرحون بغير أسف أنهم « لايفهمون فى الشعر » ، فلن يفيدك هذا الكتاب ، وستطرحه من يدك بلاشك بعد خمس دقائق

وحتى اذا كنت من محبى الشعر المتذوقين له الواعين بقراءاته ، فلن يمتعك من الكتاب الا ثلثاه تقريبا . اما الثلث الثالث فلابد كى تتذوقه من ان تكون من المتبحرين فى دراسة علم العروض لواضعه الخليل بن أحمد عفا الله عنه ، لانك ستطالع مناقشة طويلة دقيقة فى البحور والضروب وانواع الزحاف والعلل من خبن وطى فى « خناقة » نقدية حامية الوطيس بين المؤلف وبين الشاعرة نازك الملائكة . فالدكتور النويهى من أشد المتحمسين بالشعر الجديد - الذى يختار له اسم « الشعر المنطلق » - وهو فى حبه له لايقبل الشعر المنطلق الذى يكتبه الصلاحيون (نسبة الى ص . عبدالصبور) الا بتحفظ ، انتظارا لمزيد من التجديد والتجريد يطلق الشعر العربى حتى من التفعيلة الواحدة ، لانه يبشر بالشعر المعتمد على « النبرة »

والذى لاشك فيه أن الدكتور النويهى يقدم لك اليوت المجيب (ت . س . وليس جورج اليوت الكاتبة القصصية) على نحو بارع أوضح وأقوى مما يقدمه اليك أكثر الانجليز باسمه ومذهبه ، ويعرفك بثورته الاليوتية فى الشعر الانجليزى (ولعلها أولى - فى نظرى على الاقل - أن تسمى الثورة الباوندية نسبة لعزرا باوند) ويقرب مابينهما وبين الثورة الجديدة على عمود الشعر

العربى التقليدى فى براعة وحماسة ، ويحمل فى الطريق على أبى الطيب المتنبى حملة شعواء ليس فيها شىء من الترفق .
ومالم تكن ذا عقيدة متينة جدا فى عمود الشعر التقليدى ستجد نفسك بعد مائة صفحة على الاكثر ميالا لاعتناق الملة العروضية الجديدة وممارسة وعاطى الشعر المطلق ، الذى يحاول المؤلف من وعورة الخلق الفنى فيه وسهولة التردى من الاصالة الى الزيف والفشالة

يوميات نص الليل

للدكتور مصطفى محمود
الناشر : الدار القومية
١٢٨ صفحة كبيرة
الثمن : ٢٠ قرشا

لا أحسبنى حصلت فى حياتى على قدر من المتعة مقابل ريال مصرى واحد كالذى حصلت عليه من اقتناء هذا الكتاب البديع

ولست أخلى نفسى من التحيز لمصطفى محمود ، فلست ممن يستحون من المجاهرة برأيهم والتحمس له . وانا أتحيز لهذا الكاتب لما فى كتبه من خصائص عقلية وفنية ونفسية ممتازة

وتحيرت مع هذا لماذا جعل العنوان « يوميات نص الليل » ! وهل كلمة « نصف » عليها اعتراض فى نظره ؟ الا تستحق هذه المسألة تفسيرا وهو الذى خصص كتابه لتفسير كثير من غوامض الحياة وأسرارها ؟

ولكنك ستنسى هذه الحيرة ، أو تتخلص منها على ترجيح الظن بانه اراد « الظلال الغضة » المعينة التى ترتبط عولنا حين يجد بنا السهر « ياه ! .. داحنا بمنا نص الليل ؟

وبعد ... المهم انك ستدخل فى مهرجان هائل منذ الصفحة الاولى . لان مصطفى محمود يقدم لك نفسه فى مكر شديد يحسن اخفاءه تحت ستار من البساطة و « البراءة » . يقدم لك نفسه من غير أن ينبهك فى مقالته الاولى الى

انه يتكلم عن نفسه اذ يتحدث عن « الطفل العميق » الذى يسأل عن كل شىء ، لان كل مافى الحياة يبدو له سرا يثير فضوله العقلى ، وكيف ان الناس متى شبوا عن الطوق تركوا هذا الفضول العقلى ليلتمسوا اللذات والضرورات اليومية العاجلة . ولكن لابد لتقدم الحياة من أن يظل الطفل فينا — أو فى بعضنا — حيا لايموت ليتحول الى رجل يطلب القوت والجاه وللذائذ العراض

وفى الفصول التالية يحاول « الطفل العميق » مصطفى محمود ان يكشف النقاب عن أسرار «الخوف» و «الشر» ، ثم يناوش داروين ونظريته التى غيرت مجرى العلم البشرى والتفكير الانسانى كله . ويناوش من بعده فرويد رائد التحليل النفسى ، ويلوح بسبابته فى وجه الطبيب النمسوى متهما اياه بأنه السبب فى هذا العالم الجديد القائم على الجرسونييرات والاباحة والتبجح فى الحرية الجنسية

ان « الطفل العميق » مصطفى محمود يؤمن بالانسان . يؤمن بقيم الجمال الداخلة فى بنية الكون نفسها ولايؤمن بالمادة وحدها . فالحياة تشتهى الجمال كما تشتهى القوة والقدرة والكفاءة . ويؤمن بالتحكم فى النفس لا باطلاق العنان لهياج الشهوات . ويقيم البرهان على ايمانه بحرارة واقناع ، وهو لايكف عن البحث وراء الاسرار فى كون كله أسرار ، انه طفل عميق مؤمن ، خاشع ، عقيدته الحقيقة والجمال ... ومحرابه الفكر والفن

المعذب نفسه

مسرحية ترنتيوس افر
ترجمة : الدكتور محمد سليم سالم وأحمد رفعت
مراجعة : الدكتور محمد صقر خفاجة
الناشر : مؤسسة التأليف مكتبة الخانجى
الثمن : ٥ قروش

مسرحية هذا المؤلف الرومانى (والنسبة لروما لا لرومانيا) مغتبسة

من الاغريقية ـ شأن كثير من مسرحيات اللاتين ـ والمؤلف الاغريقي القصة الاصلية هو ميناندر ؛ وكان عنوانها الاغريقي هو هذا العنوان نفسه . بالمقترضون اللاتين لم يكونوا يشعرون بالخزى او يحاولون اخفاء معالم « الالتباس » . وعلى المسرحية ما على معظم مسرحيات ذلك العهد من مسحة التشابك في الاحداث والاعتماد على الالتباس لاضحاك الناس . فالبطل ابن رجل غنى قاسى هرب من قسوة أبيه وأصبح جنديا مرتزقا ؛ وهو عاشق لفتاة فقيرة يتضح انها ابنة غير شرعية للشيخ من الاعيان ترتبها امرأة فقيرة أشفقت عليها من الموت ، وتستمر المسرحية على هذا النمط من التشابك والتعقد ؛ ولكن المؤلف يبث في تضاعيف هذه المواقف تنديدا بالتربية القاسية المتزمتة ، وبنفاق الآباء القساة وتبذلهم في الخفاء مع المومسات في حين يصادرون مايشعر به أولادهم من الحب الواضح الشريف ... ثم تنتهى المسرحية نهاية سعيدة يتوب فيها الآباء ويعاقب فيها الدساسون ، ويجتمع فيها شمل العاشقين

حمزة العرب

بقلم : عباس خضر
الناشر : ادارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى
١٦٨ صفحة متوسطة

نحن بلاشك في فترة اهتمام شديد بالادب الشعبى وما فيه من ذخائر قصصية . وهذا الكتاب اسهام طيب من الاستاذ القصاص الناقد عباس خضر في احياء القصص الشعبى أو السير الشعبية ، باعتبار هذا القصص مستودعا ثمينا لما تجمع من احلام اجدادنا ومشاعرهم في اطار فنى هدتهم اليه فطرتهم البسيطة الصادقة

وهذه السيرة الشعبية هى سيرة حمزة العرب المعروف عند الناس باسم « حمزة البهلوان » ، وهو بطل عربى اسطورى خرج من قلب مكة على عهد كسرى كى يحطم اغلال الاستعباد عن العرب ويدحر الاستعمار الفارسى ويخلص الفرس أنفسهم من استبداد كسرى وينشر بين الناس الحق والعدل والحب والرحمة

وقبل أن يصوغ الاستاذ عباس خضر سيرة البهلوان العربى حمزة بأسلوب سهل سائغ تحدث في ايجاز عن مكانة هذا القصص الشعبى ودوره وكيف اننا بهذا القصص أسبق من الغرب في فن الرواية بالمعنى العصرى ؛ ولاينقص من قدرها انها قصة فولكلورية مجهولة المؤلف

مذكرات ثريا
أو
دسائس البلاط

بقلم الامبراطورة السابقة ثريا
الناشر : مكتبة المثنى ببغداد
٢٤٤ صفحة كبيرة
الثمن : ٥٠٠ فلس

ما الذى يبرر اراقة الحبر واهدار الورق الجيد في طبع ونشر مثل هذا الكتاب ؟ .. لقد سألت نفسى ولم أجد مبررا لذلك اللهم الا وجوب اطلاع الناس على جوانب الحقيقة ، حتى ولو كانت في مستوى هابط ! ..

حياة الترف ، والاهتمام بالمظاهر الجوفاء ، والانحصار الأنانى الذى لايعرف اهتمامات خارج حدود الذات المادية الضيقة . أهذه حياة ـ مهما كان بريقها ـ تستحق اهتمام القارىء الواعى ؟ ...

انها تستحق الاهتمام نعم . فقد يكون الاهتمام للتقزز والاستياء ؛ كما يكون للاعجاب والانتشاء . والقارىء

الوثائق يقرأ هذه الحياة في عصور القوة وبدايتها المال وأساطين الاستبداد والاستغلال التي يستشعر عقله عصر عموله طاقته حيث في القرن العشرين بمقلوبه ناميز الهند .

وفي الكتاب حديث عن القدرة بين النساء ، وعن دسائس رجال البلاط ، وعن ثورة مصدق وعن نكبته وتآمر القوى الرجعية ضده .. لتكلم بصراحة المرأة التي تركت عرش الملك لتحمل عرشا من نوع آخر في عالم الحفلات والاضواء واستديوهات السينما ؛ وتزيح الستار عن أكثر من مأساة ، وأكثر من عبرة ، وأكثر من فضيحة ؛ في مجالات السياسة والفكر والأخلاق ...

المدينة على مر العصور

تأليف : لويس ممفورد
تقديم : الدكتور ابراهيم نصحي
الناشر : مكتبة الانجلو
٤٤٠ صفحة كبيرة
الثمن : ٩٦ قرشا

يتناول هذا الكتاب المدينة وحضارتها ودورها في التاريخ ، فيتتبع أصول المدينة منذ أقدم العصور والعوامل التي أدت الى نشأتها والتطورات التي طرأت عليها عبر مختلف القرون ، والمشكلات التي نجمت عن اتساعها في العصور الحديثة

ويتجاوز المؤلف مجالات تخطيط المدينة ونظامها الهندسي الى دراسة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية لأهالي المدينة ، ومدى أثر سكانها في نشأتها وتطورها ، وفي مقابل ذلك يدرس أثر اتساع المدن في تطور أحوال سكانها ، وما لهذا الاتساع الحديث من نتائج رهيبة ؛ ثم يقترح الحلول المناسبة في نظره . فالكتاب على نحو ما قصة الحضارة الانسانية في مزيج من الدراسة العلمية والحماسة الشاعرية وحب الخير للناس وكراهية الفاسد والانحلال التي تنشأ عن تضخم المدن وضمور حياتها المعقدة الباردة

وهذا الجزء الأول من الموسوعة العمرانية التي تحمل هذا الاسم يصل الى العصر الروماني ، محللا الخصائص المادية والاجتماعية المتشابكة في حذق وذكاء ونظر ثاقب

الغثيان

قصة جان بول سارتر
ترجمة : د. سهيل ادريس
الناشر : دار الآداب ببيروت
الثمن : ٢٠ قرشا مصريا

ثلاثة مؤلفات أمام الوجودية الحديثة بباريس جان بول سارتر وصاحبته سيمون دي بوفوار — على اختلاف فنون هذه المؤلفات — اهتماما كبيرا وعناية فائقة من مترجمي العاصمة اللبنانية بيروت

والحقيقة أن قصة الغثيان عسيرة القراءة في لغتها الأصلية . لا بسبب لغتها — فهي عادية جدا — بل بسبب جوها الخاص . فلا بد من صبر أيوب كي يتمها القارئ العادي . لأن موضوعها — كما هو ظاهر من عنوانها — حالة انسان مصاب بتسمم نفسي مستمر مما يسبب له غثيانا من كل شيء . انسان فقد اهتمامه وانعدمت في نظره **القيم المألوفة للناس** ؛ « لا شيء يحدث . الناس يدخلون ويخرجون . الايام تتضاف الى الايام بلا وقع ولا معنى .. ومن لحظات نادرة نلاحظ المرء ابه النفس بامرأة وترى في مسالة عمره . ولا يستغرق ذلك أكثر من لمع البرق » .. فهي قصة انسان العقد الحديث يرويها البطل في مذكرات دقيقة أمينة لواقعه الفكري والنفسي ، وعلى التعب ، الواقعي جدا ، الذي يصيب كل شيء بلا ذكريات ، غير المطلبات الفسيولوجية والجنسية .

والحق ان الدكتور ادريس بذل جهدا بارعا أمينا للغاية ، فجاءت ترجمته ، والحبة جدا ، نقلت الى العربية روح النص الفرنسي وجوه وطعمه ، وغليانه!

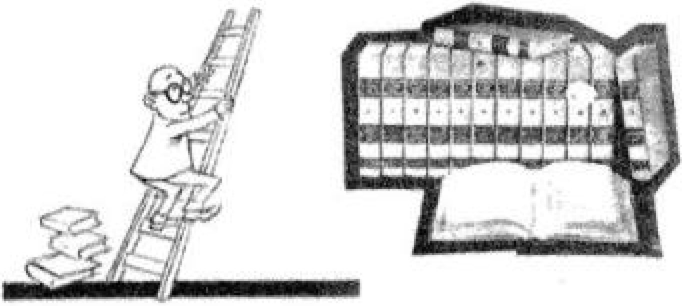
ثمن العدد .

فى قطر والبحرين		٢٠ آنة
فى ليبيا	بنغازى	١٤٠ مليما
	طرابلس	١٥٠ مليما
فى الجزائر		١٢٥ فرنكا
فى المغرب		١٥٠ فرنكا

الاشتراكات :

قيمة الاشتراك : عن سنة (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى ٧٠٠ مليم بالبريد العادى و ٨٠٠ مليم بالبريد المسجل . وجنيه مصرى واحد و ٢٠٠ مليم بالطائرة — فى الامريكتين دولاران بالبريد العادى و ١٢ دولارا بالطائرة — فى سائر أنحاء العالم ٢٠ شلنا بالبريد العادى و ٦٥ شلنا بالطائرة

وقيمة الاشتراكات تسدد مقدما فى ج.ع.م. والسودان بحوالة بريدية — وفى الخارج بتحويل مصرفى قابل للصرف فى القاهرة لأمر مؤسسة دار الهلال



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

المجتمع العارى

The Naked society

المؤلف : فانس باكار

vance packard

الناشر : شركة دافيد ما كاى

الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

سبق أن أخرج فانس باكار عددا من الكتب التى يعرض فيها لبعض العيوب والنقائص فى المجتمع الامريكى حتى يستطيع افراده أن يكونوا على بينة من حقيقة هذا المجتمع ومن دخائل نفوسهم

وفى كتابه الجديد « المجتمع العارى » تعالج المؤلف ناحية جديدة هى ازدياد العدوان على حياة الفرد الخصوصية وذلك بفضل تطور واستخدام الاجهزة الالكترونية والاساليب السيكولوجية . لكن الكتاب له مغزى أوسع من هذا نطاقا اذ انه جزء من الحملة العامة التى اشتدت فى السنوات الاخيرة للمطالبة بضمان حرية الفرد الامريكى كما نص عليها قانون الحقوق واكدها الدستور

ويقول المؤلف ان أساليب التجسس والتسمع تشكل تهديدا خطيرا لحياة المواطن وحريته ، وتزداد الخطورة اذا وقعت المعلومات التى يجرى الحصول عليها فى أيدى أناس يفتقرون الى الوعى الاخلاقى أو فى أيدى الاجهزة والنظم الدكتاتورية . وقد كثرت فى امريكا الوكالات والمكاتب الخاصة التى تتولى هذه العمليات لحساب هيئات كثيرة وبخاصة فى ميدان الاعمال ، ويعمل فيها موظفون سابقون فى ادارة المخابرات المركزية

وفى الاختبارات الشفوية التى تجريها الشركات لطلاب الوظائف نجدها تستخدم أجهزة كشف الكذب حتى تتأكد من مدى صدق المعلومات التى يدلون بها . غير أن الامر لا يقف عند حد المسائل التى يمكن اعتبارها مشروعة ، ولكنه يتجاوزها الى محاولة التعرف على بعض الشئون الداخلية تماما للفرد مثل عاداته الجنسية وهواياته وكذلك ارتباطاته السياسية فى الماضى

وأكثر من هذا فان المؤلف تحدثنا عن شركات كثيرة يعمد المسئولون فيها الى التجسس على موظفيها أثناء تأدية أعمالهم ، عن طريق ميكروفونات دقيقة وأجهزة الكترونية خفية تسجل على الاخرين أقوالهم وهمساتهم وحركاتهم . والغريب ان بعض هؤلاء المسئولين يدافعون عن مثل هذا التصرف بأن لهم الحق فى التأكد من سير العمل على الوجه المرضى . وكذلك من الاساليب المتبعة استخدام المكاتب الخاصة للحصول على المعلومات

لا من الافراد فحسب وتصرفاتهم خارج أوقات العمل ، بل ومن المؤسسات المنافسة

الا ان اكبر الخطر يتمثل في المتابعة الخفية التي يتعرض لها موظفو الدولة من الاجهزة الكثيرة التابعة لادارة المخابرات المركزية . وأحيانا تصدر التعليمات الى أحد مكاتب البريد الاتحادية او المحلية بمراقبة وتسجيل البريد الذي يصل الى شخص معين فقد يؤدي هذا الى اكتشاف خيوط معينة يمكن الامساك بها وتتبعها . ومن الطبيعي أن لا تدخر ادارات البوليس أية ثمرة يلقونها في القوانين القائمة وتمكنهم من مزاولة هذا الدور

هذا هو الخطر الذي ينبه اليه المؤلف في كتابه « المجتمع العاري » ويعتبره من أعظم التهديدات التي تهدد الحرية الفردية ، والتي تعيد الى الاذهان الاساليب المكارثية التي روعت المجتمع الامريكي واشاعت القلق والجزع والاضطراب في النفوس

التخطيط للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في يوغوسلافيا

planning for Balanced social And Economic Devebpment in yugos-lavia

المؤلف : معهد السياسة الدولية والاقتصاد بجمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الاتحادية (بلغراد)

Institute for international politics and Economy of the federal social ist Republic of yugoslavia

الناشر : مكتب الشئون الاجتماعية بادارة الشئون الاجتماعية التابعة لسكرتارية الامم المتحدة

تبدأ هذه الدراسة بايراد بعض الحقائق الاساسية عن يوغوسلافيا من الناحيتين : الجغرافية والسكانية ، وعن الوضع الاقتصادي قبل الحرب العالمية الثانية والخسائر التي سببتها هذه الحرب . غير ان انتهاء الحرب كان معناه في الوقت نفسه انتصار القوى الاشتراكية التي لعبت دورا قياديا خلال النضال . ثم توضح الدراسة ان الملكية الاجتماعية لاهم وسائل الانتاج تقررت في السنوات الاولى التي اعقبت انتهاء الحرب ، وبذلك ارست الاساس الاقتصادي الذي يقوم عليه النظام الاجتماعي الاشتراكي وتخطيط التنمية الاقتصادية

وكان اول ما لوحظ ان الطبقة العاملة الصناعية لم تكن كبيرة - ومن هنا تعين توسيع نطاقها عن طريق التصنيع السريع ، الا لا يمكن اجراء تغييرات واصلاحات جذرية في العلاقات اجتماعية جديدة بغير وجود طبقة عاملة قوية ، وبهذا ترتفع الامكانية القومية للشعب واقتصادية أيضا . كذلك كان لابد من اجراء انتقال كبير للسكان من الزراعة الى غيرها من ضروب النشاط الاقتصادي وبهذا بدا التصنيع ضرورة سياسية

وتبين الدراسة العلاقة المتبادلة بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية ؛ وذلك بتحليل المراحل الفردية التي اجتازتها عملية التنمية ، مع وضع التأكيد على خواص كل فترة

وكانت خواص المرحلة الاولى في عملية التنمية (١٩٤٧ ـ ١٩٥١) وهي المرحلة التي بدأت بمشروع السنوات الخمس الاولى للتنمية الاقتصادية ، هي التخطيط المركزي وقيام الدولة بادارة اقتصاد البلاد

ان تعمير البلاد واجراء تغييرات كمية في بنيان الاقتصاد والاسراع بمعدل النمو الاقتصادي ، كل هذا لم يكن مستطاعا بسبب عدم توافر الموارد الكافية ؛ الا عن طريق تدخل الدولة في الاقتصاد وتعبئة جميع القوى الاجتماعية من اجل تحقيق الاهداف المرسومة

وفي هذه الفترة ، اعطيت الاولوية للمشروعات الرئيسية في الصناعات الاساسية التي تتطلب استثمارات طويلة الامد وتستورد الشطر الاعظم من الموارد المتاحة . وحددت الخطة الاطار المادي للاستهلاك الشخصي والاستهلاك العام ؛ وطبق نظام التوزيع بالبطاقات على اهم

سلع الاستهلاك ، وجرى تمويل الخدمات الاجتماعية من طريق الميزانية الحكومية -

ومن الاساليب التي اتبعت بقصد تنظيم الاستهلاك في المناطق الريفية ، شراء الانتاج الزراعي من الفلاحين بأثمان محدودة . والى جانب تنمية الاقتصاد بدأت تزداد وضوحا في حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية ، نقائص الادارة المركزية . ولهذا فان المرحلة الثانية (١٩٥٢ — ١٩٥٦) تتميز بأنها فترة الانتقال من التخطيط المركز والادارة على يد الدولة ، الى نظام الحكم الذاتي الاجتماعي

أما المرحلة الثالثة (١٩٥٧ — ١٩٦١) فكانت متمشية من الناحية الزمنية مع مشروع السنوات الخمس الثاني . وفي هذه الفترة كان قد تغير بنيان الاقتصاد اليوغوسلافي مما جعل في الامكان اجراء تنمية شاملة للحكم الذاتي الاجتماعي . والخاصية التي تتميز بها هذه الفترة هي ان المنتجين والمواطنين أصبحوا يقررون بطريقة مباشرة ، وبصورة مطردة ، العلاقة بين الحاجات الاقتصادية والاجتماعية

وعندما تتحدث الدراسة عن الحكم الذاتي الاجتماعي فانها في الواقع تبين الطريقة التي اتبعتها يوغوسلافيا في بناء الاشتراكية . وجوهر هذه الفكرة هي ان كل شخص ينبغي ان يعمل في حرية بأدوات انتاج يملكها المجتمع ، وان يتولى ادارة الانتاج والخدمات الاجتماعية ويقرر مصير نتائج عمله اى توزيع الدخل الذى حققه

وتوجه الدراسة اكبر الاهتمام الى ادارة العمال ، لتشرح نظام وجهاز توزيع الدخل في المشروعات الاقتصادية ودور العمال بوصفهم منتجين ومديرين للمشروعات . اما عن العلاقة بين العوامل الاجتماعية والاقتصادية في التنمية ، فان خير مثال تقدمه الخطط المحلية حيث يقرر المنتجون مباشرة توزيع وتخصيص الموارد المالية لضروب النشاط الاقتصادي والاجتماعي الفردية التي تدخل في نطاق الجهة والتي يمكن تنظيمها من طريق ما تحت تصرفهم من ادوات واجهزة

الذهاب الى المدينة وقصص أخرى

Going To Town and other stories

المؤلف : يوري كازاكوف

yuri kazakov

(جمعتها وترجمتها الى الانجليزية جيربيلا عزرائيل)

الناشر : هوتون ميفلين

الثمن : ٤ دولارات ، ٩٥ سنتا

يعتبر يوري كازاكوف من الجيل الجديد من الادباء في الاتحاد السوفييتي . ومن أبرز الصفات التي تميزه النغم غير السياسي الذى يشيعه عامدا في كتاباته ، واهتمامه البالغ بالادوار التي تلعبها العاطفة والتأمل في حياة الانسان ، وبساطة ونقاء لغته وأسلوبه ، كما يتضح من الترجمة نفسها . فهو متحرر تماما من الرطانة السياسية والاجتماعية التي ظلت تسيطر على الأدب السوفييتي في عهد ستالين ، وان هذا الكاتب الشاب ليذكرنا بتشيكوف وتولستوي في واقعيته التي تتركب من لغة بسيطة وملاحظة دقيقة صادقة

وبالرغم من هذا ، أو ربما بسبب هذا ، نجحت قصصه في اثارة الحياة اليومية في الاتحاد السوفييتي وتقبلها الناس بحرارة وحماس

ان شخصياته موجودة أمامنا : تتحرك وتمشي وتركب الاتوبيس وتتحرك نحو سيبيريا أو الشمال البعيد ، مدفوعة بذلك القلق الذى يكاد يميز الحياة الروسية اليوم ، والكثير من شخصياته تتورط في مواقف تعتبر خاصة بالحياة الروسية ، فهنا طالب من موسكو يبعث به الى بلدة ريفية صغيرة بقصد « التدريب العملي » ، وصبي في مزرعة جماعية يحلم بالانتقال الى المدينة ، وسائق سيارة نقل يتوجه للعمل في الاراضي العذراء بسيبيريا . ولكن العواطف التي تحركهم جميعا عواطف عامة وشاملة

ان لقصص كازاكوف ميزتها فى كونها ذات طابع روسى خالص فى تفصيلات الحياة

وكثيرا ما نلتقى فى قصصه شخصين ، اغلب الامر انهما رجل وامرأة ، يواجه كل منهما الآخر ، احدهما يطلب شيئا يعجز الآخر عن اشباعه اما بسبب نقص الفهم او عدم الميل . واحيانا ينجح احدى الشخصيات فى اختبار الفجوة ويقيم علاقة مع شريكه الاساسى ، وغالبا ما تعجز احدى الشخصيات فتضيع منها فرصة اقامة الاتصال بشخص آخر

ان العلاقات الثنائية بين البشر هى عند كازاكوف مصدر ثمين للتجربة اما المصدر الثمين الآخر فهو الوحدة . وكثيرا ما يضع بطله وسط الطبيعة حيث يسمح له بالتأمل فى معنى التجربة التى يمر بها . وربما يؤخذ على هذا الاديب انه لا يعالج ابدا المسائل المجردة المتعلقة بمعنى الوجود ، ذلك ان الذى يعنيه هو معنى الوجود بالنسبة الى فرد واحد

حقيقة ينظر كازاكوف الى أخطاء البشر بعين الاشياء ، ولكن الاخطاء التى يراها ليست بالتأكيد مقصورة على المواطنين السوفييت ، وانما هى ملك البشر فى كل مكان

والحق ، ان ماقد يبدو فى القصص من تشاؤم انما يخفف منه ذلك التمجيد الذى يضفيه الكاتب على عناصر الجمال فى الطبيعة . فالطبيعة عنده مصدر للتطهير والتجديد

الشيوعية فى فيتنام الشمالية

Communism in North Vietnam

المؤلف : ب . ج . هانى

P. J. Honey

الناشر : مطبعة معهد ماساشوستس للتكنولوجيا

الثمن : ٤ دولارات ، ٩٥ سنتا

ما من شك فى ان هناك نقصا فى المؤلفات من البلاد التى اخذت بنظام الحكم الشيوعى ، ونقصد بذلك المؤلفات الجديرة بالقراءة بحكم طابعها الموضوعى الدقيق ، غير ان هذا النقص — او الفقر ان صح التعبير — هو أوضح ما يكون بالنسبة الى فيتنام الشمالية وذلك بالقياس الى المادة الوفيرة التى اخرجتها ولا تزال تخرجها المطبعة الغربية عن فيتنام الجنوبية . ومن هنا تبدو أهمية وقيمة كتاب ب.ج. هانى عن « الشيوعية فى فيتنام الشمالية » ، حيث يقدم لنا عرضا وافيا ومفصلا عن الاتجاهات السياسية والاقتصادية فى هذا البلد ، وكذلك عن الدور الذى يلعبه فى الدراما العالمية وبخاصة بين الاتحاد السوفييتى والصين الشعبية ، وذلك بسبب ما له من مركز استراتيجى هام وان كان يبدو صغيرا فى مساحته

ان المؤلف يقدم لنا تفاصيل كثيرة عن الاحوال والاتجاهات والمشاكل الاقتصادية والسياسية فى فيتنام الشمالية ، ولكنه يركز أعظم الاهتمام ويضع اكبر التأكيد على ما يعتبره المشكلة الرئيسية التى تواجه القادة فى هانوى . هذه المشكلة هى الطريقة التى يتسنى لهم بها ان يبعدوا فيتنام الشمالية عن قبضة الصين بالرغم من وجود بلادهم مجاورة مباشرة للعملاق الصينى

وهو يعرض لنا صورة عن الصراع بين الجماعات الفيتنامية الموالية لكل من موسكو او بكين ، وكذلك عن المشاق التى لاقاها هوشى منه ورفاقه من اجل الاحتفاظ بموقف الحياد فى الخلاف الناشب منذ سنوات بين الاتحاد السوفييتى والصين ، والذى زاد حدة فى الآونة الاخيرة . لقد حاولت هانوى ان تضرب كلا من الطرفين بالآخر ، ولكن احدث الادلة المتوافرة الآن توحى بأن الفيتناميين الشماليين اضطروا الى ان يزدادوا اقترابا من الصين وان يزيدوا من توثيق علاقاتهم بها ، ولعل هذا راجع — الى حد ما — الى احساسهم بأن ثمة خطر يتهددهم باطراد نتيجة النشاط الذى تبذله الولايات المتحدة اليوم فى هذه المنطقة من القارة الاسيوية

وإذ يحلل المؤلف الموقف على هذا النحو فانه يحاول أن يلفت النظر الى العنصر القومي القوى في فيتنام الشمالية وأثره في سياستها . ويرى المؤلف ان هذا العنصر القومي ربما يقدر له أن يلعب في المستقبل دورا هاما في تحقيق تقارب بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية وبخاصة بعد سقوط نظام نجوديم في فيتنام الجنوبية وقد يسفر هذا التقارب عن نوع من التسوية أو الحل الوسط للمشكلة الكبرى التي تواجه الفيتناميين بعد انقسام بلادهم الى دولتين يختلف نظام الحكم فيهما ، اثر خروج الفرنسيين منها . الواقع ان الكتاب يحمل على التأمل ويثير الكثير من الاسئلة ، كما يلقى اضواء كاشفة على بلد لا تزال المعلومات عنه قليلة بشكل يلفت النظر

سماء الليل في رودس

Night Sky At Rhodes

المؤلف : ستيفن تولمين

Stephen Toulmin

الناشر : ماركوس دار ... [illegible]

الثمن : ... [illegible]

لا تزال الاسئلة تتردد برغم انقضاء القرون : لماذا وكيف انتجت اليونان القديمة مثل هذا العدد الكبير من عظام الفلاسفة والفنانين وكتاب الدراما والعلماء ؟ هل ترجع هذه الظاهرة الى عوامل تتصل بالجغرافية والمناخ ؟.. هل السبب ذلك المزيج العادي من الاجناس ؟ هل نلقى التفسير في الرخاء الاقتصادي او في وجود قوة خفية ، أم أن الامر مجرد صدفة ؟

هذه الاسئلة حاول الاجابة عليها ستيفن تولمين مدير وحدة مؤسسة نفيلد بانجلترا لتاريخ الافكار ، ومن أجل هذا الغرض سافر الى بلاد اليونان لاجراء الابحاث عن أصول الفلسفة في هيلاس القديمة ، واصول العلم بوجه خاص ، ان كل مدينة زارها هي علامة لا من ناحية الجغرافية فحسب ، وانما في التاريخ الفكرى أيضا ، وكل مدينة ترمز الى شكل مختلف مثال ذلك ان كوس كانت تمثل الطب ، وباتموس علم اللاهوت ، وساموس الرياضة والهندسة ، بينما المدن الداخلية في ايونيا وبخاصة ميليتوس ، تمثل العلوم الطبيعية بمعناها الصحيح

ويتساءل المؤلف عن السبب الذى من اجله اخرجت هذه المدن وهذه المساحة الصغيرة ، رجلا مثل ابقراط فى مدينة ، وتاليس فى الثانية وفيثاغورس فى الثالثة ؟ وهنا يقول انه للوصول الى رد سليم يجب أن نتفحص الآثار الادبية التي خلفها قدماء الاغريق ، على ضوء الحياة التي خلقتها . وهو يقتبس عبارة ارسطو التي فيها تفسير اتجاه الاغريق نحو الفلسفة « حين توفرت من الناحية العملية جميع ضرورات الحياة ، اتجه الناس الى الفلسفة لقضاء وقت فراغهم » . فالاغريق وبخاصة في ذلك الوقت من التاريخ وقد حصلوا على ضرورات الحياة ، وتوافرت لهم الحرية والنشاط والفراغ ، اصبح في وسعهم البحث في الامور المجردة أي التفلسف غير أن هذا — كما يوضح المؤلف — لا يمكن ان يكون فيه التفسير للقصة كلها . ان الفراغ والثراء في حد ذاتهما لا يولدان بالضرورة حب الاستطلاع من الناحية العقلية ، اذ يمكن ان يولدا بسهولة الخمول الذهني أيضا

وهنا يقدم لنا تولمين رأيا جديدا وهو ان الدافع الاصلي على المناقشات الفلسفية هو أن معظم الفلاسفة الاوائل كانوا يقيمون في المدن الواقعة على السواحل أو عند الحدود حيث كان الناس وهم في مفترق الطرق ، مضطرين الى ملاحظة الفوارق بين الحضارات المختلفة فيما يتعلق بالتقاليد والخرافات والمعتقدات بصدد الطبيعة . نواميس الناس .

عــزيــزى

القـــــارئ

الصلة بين القارىء والكاتب فى المشرق والمغرب العربى لا تزال ضعيفة . فكثيرون فى المشرق لا يعرفون الكثير عما يدور فى المغرب

وكثيرون لا يعرفون ان تاريخ الجزائر مثلا ، لم يبدأ فى عام ١٨٣٠ عند الاحتلال ، كما لم يبدأ تاريخنا فى المشرق منذ الحملة الفرنسية كما يقال احيانا !

ان تاريخنا فى المشرق والمغرب يمتد الى اعماق بعيدة الجذور . كما أن كتابا ومفكرين وشعراء يكتبون فى الجزائر بالعربية ، أو الفرنسية ، لا زالوا مجهولين أو شبه مجهولين عندنا .

فعلى الرغم من أن الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا ـ عام ١٩٠٤ ـ والذى قسم مناطق النفوذ السياسى والثقافى بين فرنسا وانجلترا قد أصبح قصاصة ورق ، الا أن فجوات عديدة بين المشرق والمغرب لازالت قائمة .

ومن الطبيعى أن تسد هذه الثغرات الآن ... وبسرعة . ولابد أن تنقل المجلات الصادرة فى المشرق نبض الفكر الجزائرى وابعاده الى قارىء المشرق ، كما تنقل المجلات الجزائرية طريقة تفكيرنا وسعينا نحو النضج السياسى والفكرى والثقافى .

و « الهلال » يحاول ـ على استحياء ـ ان ينقل كل شهر مقالا أو بحثا أو قصة من الجزائر ، وفى العدد الماضى ، نقلنا قصة الاديب الجزائرى جمال عمرانى ، وفى هذا العدد حصل الهلال على رسالة من الوزير الاديب عمار اوزجان ، كان قد أرسلها من السجن الى جميلة بوحريد

وهذه الرســـالة تكشف للقارىء عن قيم جديدة وهامة حول دور المرأة الجزائرية أثناء الثورة .

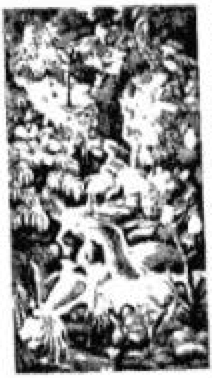
وقد وجد « الهلال » من عمار اوزجان ـ مشكورا ـ كل تشجيع وكل حماس ...

ويرجو الهلال أن يواصل جهده ـ فى كل شهر ـ حتى تلتقى الافكار كما تلتقى المشاعر والآمال !

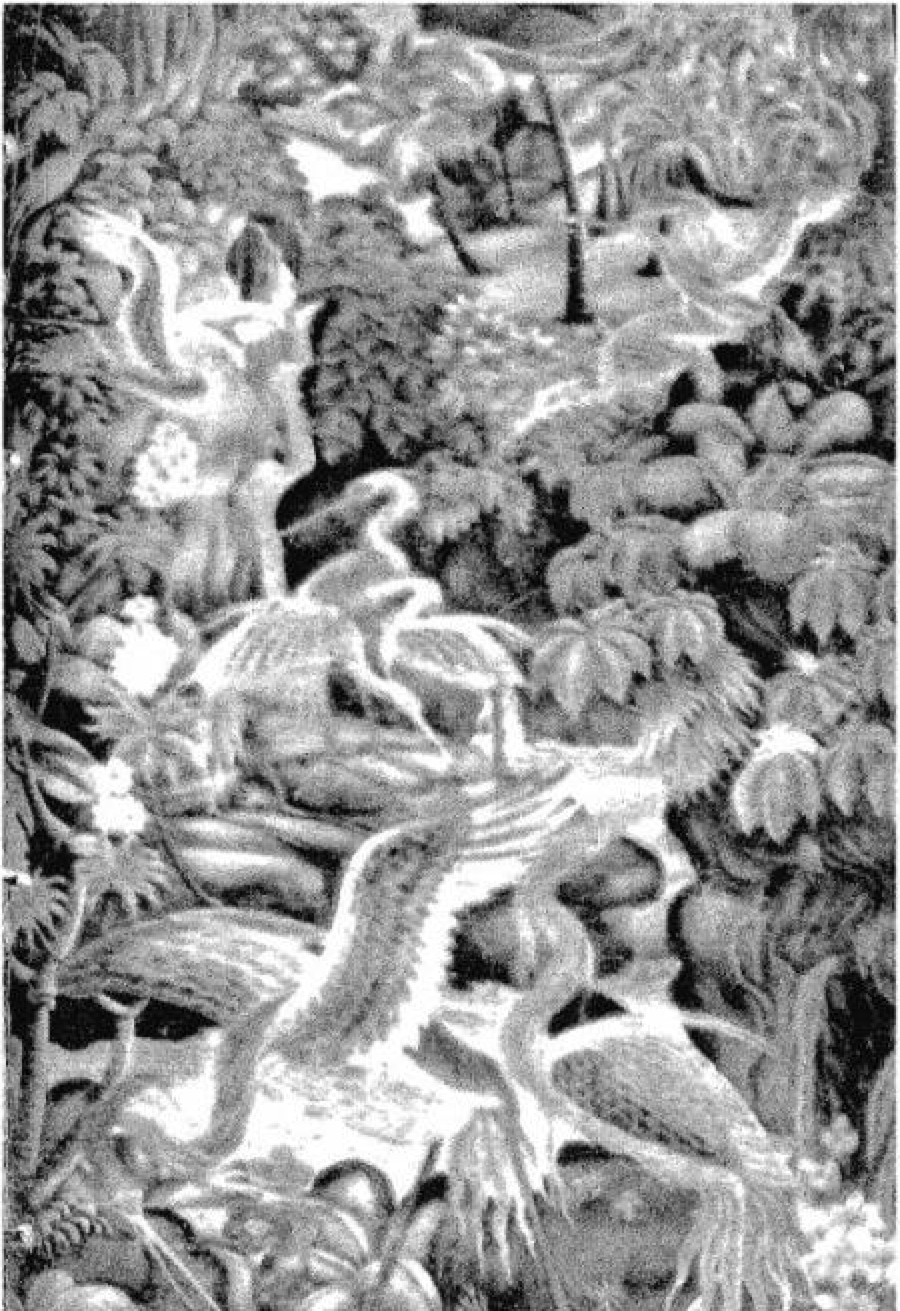
ان كل صفحة تكتب عن الجزائر ، أو من الجزائر تضىء صفحات الهلال الجديد . ونرجو أن يستمر هذا الضوء ، وأن يكتمل !

رئيس التحرير

على الغلاف الأخير



الطير والاشـــجار للفنان الانونيس ا . لوراس



الهلال

- كنت أهرب الأسلحة من البحر الأحمر إلى الجزائر
- الجبرتي : أعظم المؤرخين
- ديجا ، رسام عبقري ضعيف البصر



كلمات عاشت

● الحرية معناها الا تطغى مطالب فئة او طبقة على غيرها .. والا وقعنا في التجريد « سارتر » ● تصريحات جولدووتر تعنى ان علينا ان ننظف اسلحتنا ، ونعدها للاستعمال « خروشوف » ● الصداقة .. ان يمنح الانسان اكثر مما يأخذ « يوسف السباعي » ● الشعر .. موسيقى الفكر « توماس كارليل » ● انني لم اخلق لاسير في الحياة .. وامرأة معلقة في ذراعي « توفيق الحكيم » ● التحول سائل يحفظ كل شيء .. الا الاتزان والكرامة « برنالوس » ● لا يكفي ان يغوص المثقف في مآسي الشعب ، وانما عليه ان يعمل ويناضل مع الشعب .. لكي يوضح المستقبل ، ويعد الارض لتتفتح فيها البراعم القوية « فرانز فانون » ● الجهل لا يمكن ان يصلح حلالا لاي مشكلة من المشكلات « دزرائيلي » ● الحياة في امريكا مرة « فاحلة .. يجب الهروب منها « همينجواي » ● الذكرى ورقة خريف ، لا ترتعش في الهواء لحظة .. حتى تكفن في التراب الى الابد « جبران خليل جبران » ● علينا ان نقاتل من اجل حقوقنا .. فالوسائل السلمية لا تقيم الثورات « ويليام ابتون الزعيم الزنجي » ● أروع شيء في الحياة الا يحصل المرء على ما يريد .. حتى لا يتكاسل ، ويشعر بالغرور « وليم سارويان »

الهلال

العدد التاسع **السنة ٧٢**

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال

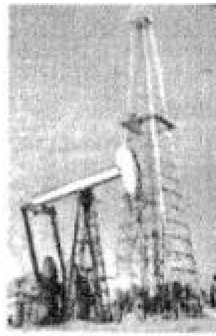
اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢

رئيس مجلس الادارة : **احمد بهاء الدين**

رئيس التحرير **كامل زهيري**

مدير التحرير **طاهر الطناحي**

اول سبتمبر سنة ١٩٦٤ م ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٨٤ هـ



بترول العرب ، هل هو للعرب ؟ .. ص ٣٥



زيارة لاقرب متحف فى العالم .. ص ١٤٧



عصر الحريم فى الادب الشعبى القديم ص ٨٨

فى هذا العدد :

٠٠٤ احمد بهاء الدين : ماذا يقول بن جوريون؟!
٠١٦ كامل زهيرى : نظرة جديدة الى القومية العربية
٠٢٤ محمود امين العالم : الحركة العربية الواحدة
٠٣٥ د . راشد البراوى : بترول العرب .. هل هو للعرب ؟
٠٤٤ كنت اهرب الاسلحة من البحر الاحمر الى الجزائر بقلم مناضل
٠٥٥ ضحكات العالم يقدمها عزت
٠٦١ صالح جودت : محنة الشعر فى امريكا
٠٦٧ مسرحية للحريم فقط : دعونا نحيا — للكاتبة الانجليزية : دوريس لسنج
٠٧٦ دائرة معارف الهلال : الصاروخ رانجر ٧
٠٧٨ قصة صالح مرسى : الغضب ..!
٠٨٨ عبد الرحمن صدقى : عصر الحريم ... فى الادب الشعبى القديم
٠٩٧ عبد القادر التلمسانى : فن التمثيل الصامت
١٠٧ افكارهم واخبارهم ، ورسائلهم
١١٢ الروح والصورة
١١٨ د . محمد أنيس : الجبرتى .. اعظم المؤرخين
١٣١ سعد الدين توفيق : ديجا .. مصور عبقرى
١٤٧ صبرى أبو المجد : أقرب متحف فى العالم
١٥٢ موضة اللامعقول .. مزيد من الفضائح
١٥٨ طاهر الطناحى : غراميات العقاد
١٦٩ مكتبة مجلة « الهلال » العربية
١٧٥ مكتبة مجلة « الهلال » الافرنجية
١٧٩ عزيزى القارئ

صورة الغلاف

الباليه فن ورشاقة .. قصة الرسام العبقرى ضعيف البصر .. « ديجا »



أحمد بهاء الدين :

ماذا يقول

من رايى دائما ، الاهتمام بما يقوله الخصوم ...

حتى الكلام الذى لا يعجبنا ، او بالاحرى.. « خصوصا » الكلام الذى لا يعجبنا ، يجب أن نقرأه وندرسه ونستفيد منه ...

هكذا ، عندما كنت فى باريس ، وظهر كتاب مذكرات بن جوريون فى الاسواق ، بعنوان « اسرائيل : سنوات التحدى » ، أسرعت الى شرائه

ومن الصفحات الاولى ، ظهر ان بن جوريون لم يحاول قط ان يكتب فى هذا الكتاب كمؤرخ ولا حتى كسياسى متقاعد ، ولكنه كتبه كسياسى مازالت عينه على المسرح ، ينتظر الساعة التى يعود فيها الى الظهور : اى انه كتب فقط ما يناسب مواقفه السياسية والمستقبله ...

والحقائق التى اخفاها بن جوريون ــ بالطبع ــ اهم من الحقائق التى ذكرها ...

ومع ذلك ، فماذا يقول بن جوريون ؟ ..

بن جوريون ؟!



يقول دافيد بن جوريون :

« منذ آلاف السنين ورغبة اليهود في العودة الى أرض اسرائيل لاتموت . وأحيانا كانت هذه الرغبة تتعدى مجرد رغبة العودة الى الرغبة في زراعة الارض ذاتها : ففي سنة ١٥٦٣ ، جاء « **دون جوزف ناسي** » مع اتباعه من اسبانيا الى فلسطين، حيث أقام أول مستعمرة زراعية في الجليل ، على شاطيء بحيرة طبريا

ومنذ أكثر من مائة سنة حاول مليونير انجليزي يهودي ، اسمه السير **موسى مونتفيور** ، أن يقنع اليهود المتوطنين في فلسطين بأن يتحولوا الى فلاحين . ومن أجل هذا الهدف : أقيمت أول « بيارة » يهودية من « بيارات » البرتقال بالقرب من يافا ، سنة ١٨٥٦

وبعد ثلاثين سنة أسست منظمة يهودية فرنسية ، اسمها التحالف الاسرائيلي العالمي ، أول مدرسة زراعية في فلسطين

وفي سنة ١٨٧٨ ، أسس يهودي من القدس أول قرية يهودية كاملة سماها « **بتاح تكفاه Petah Tikva** » أي : باب الامل !

ثم بدأت هذه الهجرة ، مع التحول الى زراعة الارض بالذات تتوالى : موجات قليرة

•

تأتي من روسيا وشرق أوروبا بوجه عام ، واموال تأتي من غرب أوروبا . برز من بين داعميها اسم البارون ادموند دي روتشيلد رجل العائلة المالية الشهيرة ، التي كانت تمول أغنى حكومات أوروبا كما تمول أفقر حروبها . نفس العائلة التي مولت شراء انجلترا لاسهم قناة السويس التي كانت تملكها مصر ، على يد الخديوي اسماعيل

وفي سنة ١٨٩٦ ، أصدر صحفي ومؤلف مسرحي يهودي اسمه تيودور هرتزل كتابا صغيرا أطلق عليه اسما غريب الوقع في ذلك الوقت وهو بالالمانية Der Judenstaat أي « الدولة اليهودية »

كان هرتزل قد أرسلته صحيفة نمسوية الى باريس ليبعث اليها بتفاصيل محاكمة الضابط الفرنسي اليهودي دريفوس ، فتأثر بما وجه من تزعة الى معاداة السامية في هذه المحاكمة ، فألف هذا الكتاب

ومن يوم صدور هذا الكتاب الصغير ولدت الحركة الصهيونية العالمية ، التي وضعت نصب عينها اقامة دولة يهودية

الى الخليفة التركي

ولم تحدد الحركة الصهيونية مكان هذه الدولة . في البدء ، بفلسطين ، انما كانت مستعدة لقبول أي مكان يمكنها أن تقيم فيه الدولة الحلم

هكذا ذهبوا في البداية الى الخليفة التركي العثماني ليعطيهم مكانا ما في الشرق الادنى ولكنه رفض . وفي سنة ١٩٠٢ تحولوا الى القوة الجديدة البازغة . انجلترا . لكي تسمح لهم باقامة هذه الدولة في العريش وماحولها من صحراء سيناء ولكن ندرة الماء في تلك المنطقة من جهة ومعارضة لورد كرومر الذي كان يحكم مصر في ذلك الوقت من جهه اخرى ، اجهز على الفكرة . ثم جاء جوزيف تشيمبرلين وزير المستعمرات البريطاني وعرض على الصهيونية ان تقيم وطنها في اوغندا وهو الاقتراح الذي قسم الحركة الصهيونية وانقسمت الى قسمين : قسم يقبل العرض وقسم لايقبله

عند هذه النقطة يقول بن جوريون في كتابه الجديد « اسرائيل : سنوات التحدي » ان الثورة الروسية قامت سنة ١٩٠٠ ثم تمكن القيصر من قمعها . ويعترف بن جوريون ان هذه الثورة التحررية لو نجحت لادت الى رفع الاضطهاد عن اليهود الروس ، ولاثرت بالتالي في اقبال اليهود الروس على الهجرة . ولكن الثورة اخمدت ، وسيطر الحكم المظلم من جديد . فبدأت موجة من الهجرة الى فلسطين عرفت باسم « الهجرة الثانية » بعد ان اطلق اسم الهجرة الاولى على الموجة التي اقامت اول مستعمرات زراعية في فلسطين سنة ١٨٨٢ . وقد كان بن جوريون من مهاجري هذه « الموجة الثانية »

فقد ولد بن جوريون ، كما يقول في ١٦ ديسمبر سنة ١٨٨٦ ، في مدينة بولندية صغيرة اسمها « بلونيسك » كانت في ذلك



هرتزل

الوقت جزءا من روسيا القيصرية . كان أبوه محاميا . وكان بيته مقرا لنشاط يهودي كبير . فلم يلبث دافيد بن جوريون ان اصبح واحدا ممن يشتركون في الجمعيات اليهودية ويعملون فيها بنشاط كبير

وفي سنة ١٩٠٦ م وجد ان اللقاء الخطب في القرى الروسية لايكفي ، فقرر ان يهاجر الى فلسطين : وفي ذلك الصيف ، ركب مع بعض اليهود الروس باخرة روسية عبرت بهم الى البحر المتوسط « بعد ان حصلوا على تصريح تركي بالاقامة في فلسطين مدة ثلاثة شهور . وبعد اسبوعين في البحر رست سفينتهم في يافا

ويقول بن جوريون ان امله خاب حين وجد اليهود الموجودين في فلسطين يعيشون حياة « الافندية » على حد تعبيره : يحصلون على ايراداتهم من تأجير الارض للغير او من المهن الاخرى التي « فرضت على اليهود » بقصد الربا والسمسرة وشتى اعمال المال.

الاتجاه الى الارض

كان واضحا له ان مثل هذه الحياة لا تخلق شعبا ملتصقا بالارض « فبين الارض والشعب » لابد ان تقوم رابطة من العمل »

وبهذا الاتجاه « الى العمل » لا الى خلق « طبقة عليا من اليهود » ، بدأ اليهود يغرسون أول جذور لهم في فلسطين : بالعمل اليدوي المباشر في كل مهنة وباحياء اللغة العبرية ، واقامة مدارسها ، وتثبيتها في الحياة العامة بقدر الامكان : الى هذا العمل بالذات ، يرجع بن جوريون بدء ميلاد دولة اسرائيل

وكان بن جوريون من بين أولئك الذين عملوا في زراعة البرتقال ، والعنب ، وصناعة النبيذ ويقول : انه بينما كان يسير وراء المحراث في الحقل ، كان يهتم بالتحقق بعد ذلك من اقامة الدولة : بينما كانت موجة الهجرة الثانية مستمرة ، من الشباب الذين يندفعون وينتشرون في حقول العمل اليدوي بالذات

وكما تعلموا الزراعة الارض بدأوا يتعلمون الدفاع عنها : بدأوا يكونون جماعات سرية مسلحة مدربة على القتال حملت من ذلك الوقت اسم **الهاجاناه**

ولما كانت البلاد التي يحدث فيها كل هذا تابعة في ذلك الوقت للدولة العثمانية واليها سوف يتجه عمل اليهود لكسب مزيد من الحقوق ، فقد قرر بن جوريون ، وزميل آخر له اسمه **اسحق بن زفي** ، الذي اصبح بعد ذلك ثاني رئيس لدولة اسرائيل بعد وفاة **وايزمان** ، قرر الاثنان السفر الى القسطنطينية لدراسة اللغة التركية والقانون التركي

***

وجاءت الحرب العالمية الاولى لتضع حدا لدراستهما ، فعادا الى القدس ، وهناك اعتقلتهما السلطات التركية بتهمة التآمر ضدها ثم طردتهما من البلاد لاذهبا الى الاسكندرية . وفي الاسكندرية نظر الانجليز اليهما ايضا نظرة شك وارتياب بسبب قدومهما من المناطق التركية ، فاعطوهما تأشيرة دخول الى امريكا ، واوصلوهما الى الولايات المتحدة الامريكية

وصل بن جوريون وبن زفي الى نيويورك سنة ١٩١٥ م . فبدءا على الفور في الاتصال بالمنظمات اليهودية هناك . وكانت دعوتهما هي : اقناع الشباب الصهيوني بدراسة الزراعة وتعلمها لكي يصبحوا قادرين على الهجرة والزراعة في فلسطين بعد الحرب . كذلك بدأت الحركة الصهيونية تدعو الى تكوين فصيلة يهودية تحارب مع قوات الحلفاء وتدخل معهم فلسطين بعد طرد الاتراك بمساعدة القاضي برانديس الذي اصبح عضوا في المحكمة الاتحادية العليا الامريكية بعد ذلك . ولكن الفكرة نجحت في انجلترا وليس في امريكا . وبالفعل تكونت هذه الفصائل واصبحت الى جيوش

الفيلق اليهودي التي اقتحمت فلسطين ولم يشر بن جوريون الى الثورة العربية التي قامت قبل ذلك ضد الاتراك والتي سهلت مهمة اللنبي الى حد بعيد : فالغالب الظن ان سعي اليهود الى المساهمة في المجهود الحربي للحلفاء كان توجسا من مجهود العرب الحربي وردا عليه

وفي سنة ١٩١٥ ، وعد سير **هنري ماكماهون** المندوب السامي البريطاني في مصر **الشريف حسين** امير مكة بان انجلترا اذا حررت بلاد العرب من الاتراك فستردها الى العرب وتنصبه ملكا عليها . ورغم ان هذا الوعد لم يشمل فلسطين ؛ الا ان **وايزمان** كما يقول بن **جوريون** انتبه الى ما قد تجره أماني العرب ، فأسرع يعمل على استصدار وعد انجليزي باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين من جهة ، وعلى الاتفاق مع الشريف حسين من جهة أخرى

وبالفعل ، حصل وايزمان على وعد بلفور من انجلترا سنة ١٩١٧ . وفي ٣ يناير ١٩١٩ حصل على اتفاق مع **فيصل ابن الشريف حسين** امير مكة يعترف فيه بوعد بلفور هذا ويعد بأحسن العلاقات بين الدولة العربية التي ستنشأ في الشرق وبين « فلسطين » ..

وبعد شهرين من **الاتفاق** عزز فيصل موقفه بخطاب اكد فيه هذا المعنى وارسله الى القاضي الصهيوني الامريكي **فيلكس فرانكفورتر** ، عضو الوفد الصهيوني الى مؤتمر فرساي في فرنسا

ويقول بن جوريون : ان اتفاقية **فيصل** — **وايزمان** هذه لم يكن لها أي شأن . فالعرب في فلسطين وفي كل الاقطار المجاورة بما فيها العراق التي أصبح فيصل نفسه ملكا عليها ، رفضوا رفضا باتا أن يعترفوا بهذه **الاتفاقية**

ويروي بن جوريون أنه حضر المؤتمر الصهيوني العالمي سنة ١٩٢٢ على رأس وفد « الماباي » وهو حزب العمال اليهودي في فلسطين ، وكان يمثل اكبر كتلة في المؤتمر لاول مرة ؛ فتم انتخاب بن جوريون عضوا في المجلس التنفيذي للمنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية : **الآن فقد أصبح بن جوريون زعيما !**

ويقول بن جوريون انه كان يرى أن اهم شيء هو الاسراع في تهجير أكبر عدد ممكن من اليهود الى فلسطين ، ولكنه لم يعد ممكنا في نفس الوقت تجاهل موقف العرب؛ ولذلك فقد حاول أن يجد صيغة توفق بين امال الصهيونية وامال القومية العربية ، وذلك بالدخول في مباحثات مع بعض العرب



البارزين في فلسطين ومصر وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية .

« وتمهيدا لمقابلاتي مع العرب » تحدثت مع المندوب السامي ، الجنرال سير آرثر ووتشوب ، الصديق الاول للقضية الصهيونية ، وسألته عما اذا كانت الحكومة الانجليزية توافق على اتفاق عربي صهيوني في هذا الشأن . ورد المندوب السامي البريطاني على قائلا انه لايعرف رأي حكومته في هذا الموضوع ولكنه يعتقد شخصيا انها سوف توافق . وقد لعب دكتور يهوذا ماجنس اول رئيس للجامعة العبرية في القدس دورا كبيرا في ترتيب



تشرشل .. صديق الصهيونية

مباحثاتي مع العرب ، رغم اختلاف معه حول الكثير من زوايا القضية الصهيونية. وقد اتصلت المباحثات واللقاءات اكثر من سنتين في فلسطين ، وفي البلاد العربية المجاورة ، وفي جنيف ، مقر اللجنة الفلسطينية السورية .. ولكنها لم تؤد الى اى نتيجة »

وفي سنة ١٩٣٣ وصل هتلر الى الحكم في المانيا . وبدأت موجة جديدة من الهجرة اليهودية الى فلسطين . وبدأت مقاومة العرب الفلسطينيين لهذه الهجرة تتخذ شكلا عنيفا

ووقف بن جوريون في فبراير سنة ١٩٣٧ في اجتماع الهستدروت – اتحاد نقابات العمال الصهيوني – يقول أن العرب لن يفهموا الا لغة القوة . وأن التباحث معهم لايجدى . انما لابد لهم أن يشعروا بأن الصهيونية قوة يحسب لها حساب ، وأنها عامل حاسم في الموقف ، وليست مجرد عنصر ثانوى

وفي نوفمبر ١٩٣٦ ، ارسلت انجلترا لجنة ملكية تحت رئاسة اللورد بيل لتبحث موضوع العلاقات العربية – اليهودية في فلسطين . وفي العام التالي نشر التقرير وكان يدعو الى تقسيم فلسطين . ولكنه لم يلبث أن دفن

وفي سنة ١٩٣٩ ، دعت انجلترا الى مؤتمر عربي يهودى انجليزى في لندن ، هاجم العرب فيه الانتداب البريطاني واقتراح التقسيم على السواء . أما موقف انجلترا فقد أوضحته في الكتاب الابيض الذى نشر في تلك السنة ، وكان يقرر ادخال ٧٥ الف يهودى في الخمس سنوات التالية . على الا يدخل البلاد اى يهودى اخر بعد ذلك الا بموافقة العرب . وشنت الصهيونية حملة واسعة على هذا الكتاب الابيض . وفي مقدمة من هاجموه في البرلمان البريطاني نفسه ، واحد من كبار اصدقاء الحركة الصهيونية : ونستون تشرشل ، الذى كان يحمل لواء المعارضة ضد رئيس الوزراء نيفيل تشيمبرلين

***

ثم انفجرت الحرب العالمية الثانية .. ويحاول بن جوريون ان يسجل في تاريخ هذه الحرب أن العرب فيها وقفوا الى جانب هتلر ، بينما وقفت الحركة الصهيونية

الى جانب الحلفاء . وهو تصوير كاذب وغير صحيح ... فالحكومات العربية ذاتها كانت موالية للحلفاء بل ومستسلمة لهم .. أما الشعوب العربية فكانت تطلب خروج الجميع من انجليز وفرنسيين وألمان من بلادها ، وهو موقف اتخذته كثير من القيادات الوطنية فى البلاد الخاضعة للاستعمار .. مثل غاندى وحزب المؤتمر فى الهند مثلا . أما الافراد الذين لجأوا الى المانيا « فرارا من اضطهاد الانجليز لهم .. فهم لايعطون الصورة الحقيقية عن « موقف العرب »

ومضت الصهيونية خلال الحرب ، تنظم الهجرة الشرعية وغير الشرعية الى فلسطين، بواسطة الاداة العسكرية التى أسستها الصهيونية منذ سنة ١٩٢٠ باسم«الهاجاناه» ويعترف بن جوريون هنا ان قوات اليهود العسكرية ـ الرمزية فى الواقع ـ التى قاتلت الى جانب الحلفاء فى اوربا كانت مهمتها تنظيم وتسهيل هذه الهجرة غير الشرعية . فلما اقتربت قوات روميل من الشرق الادنى ، أسس الصهيونيون نوعا اخر من القوات العسكرية اسمه « فرق البالماخ » لتقوم بمهمة مقاومة الالمان خلف خطوط القتال فيما لو احتلوا فلسطين

الى أمريكا

وفى خلال هذا كله ، كان همهم الوحيد هو التفكير فى مستقبل فلسطين بعد الحرب

ويقول بن‌جوريون انه كان واضحا لهم ان المانيا سوف تنهزم حتما فى النهاية وتنتصر انجلترا . وقد اصبح رئيس وزراء انجلترا ونستون تشرشل نفسه صديق الصهيونية العريق . ولكن كان واضحا لهم أيضا ان انجلترا وان كانت ستخرج منتصرة الا انها ستخرج أيضا ضعيفة . اما مركز الثقل فهو ينتقل بسرعة الى الولايات المتحدة الامريكية . فالى هناك ، حيث توجد اكبر واغنى جالية يهودية « يجب ان ينتقل العمل .



بيغن .. هاجمه بن جوريون

وهكذا ذهب بن جوريون الى امريكامنذ سنة ١٩٤٠ ، ليعمل بين المنظمات اليهودية هناك . وفى مايو سنة ١٩٤٢ اتخذ مؤتمر الصهيونيين الامريكيين قرارات عرفت‌باسم مقررات بلتيمور . نسبة الى الفندق الذى انعقد المؤتمر فيه . وكانت هذه القرارات تقول ان مشكلة السلام فى العالم لن تحل الا بحل مشكلة تشرد اليهود فى العالم بغير وطن . وانه لذلك لابد من منح الوكالة اليهودية سلطة كافية لتحول فلسطين الى « كومنولث يهودى » بعد الحرب

وانتهت الحرب . وانقلب الحال فجأة فى انجلترا . فقد خرج تشرشل من الحكم وجاء حزب العمال . فهل هى صدمة للصهيونية ؟

كلا ..

يقول بن جوريون « ان حزب العمال كان قد سبق له ان اتخذ خلال الحرب قرارات تدعو الى قيام دولة يهودية ، قرارات فيها ما هو أكثر مما طالبت به الوكالة اليهودية نفسها فى اى وقت ،

وخصوصا قرار يقضي باقتلاع كل العرب في الدولة اليهودية ونقلهم الى البـــلاد العربية المجاورة ! »

ولكن المشكلة في راى بن جوريون لم تكن في عدم حماســـة حزب العمال في خدمة الصـــهيونية ، ولكن في عدم قدرته .. وعدم قدرة انجلترا بوجه عام ! .. يضاف الى ذلك ان مجلس الوزراء ليس هو كل شيء فهناك ايضا جهـــاز الدولة وأجهزة المســـتعمرات ، التي يعتقـــد بن جوريون انها كانت قد اصبحت كلها ، منذ صـــدور الكتاب الابيض ، معادية للصهيونية

هكذا أصبح لا مفر من احتمالين : اما الدولة اليهودية،واما تنفيذ الكتاب الابيض

التي .. وقف بجانبه بيغن



وهنا يشن بن جوريون حملة على وزير خارجية العمال بالذات ، ارنست بيفن ، الذي كان مسئولا في رأيه من اكثر رئيس الوزراء، ويقول انه وصل الى اقتناعه بأنه لا بد من الاصطدام بانجلترا ، وبعـــرب فلسطين ، وبالدول العـــربية المجاورة .. « والا بقي اليهود اقلية مغلوبة في بلد عربي ! » ولهذا لا بد للصهيونية من شيء اساسي وهو : القوة !

لا نظير فيما اعرف من كتـــابات .. لهذا التبجح !

انه يتحدث عن فلسطين ، كأنها بلد خال من السكان !

انه في لحظة واحدة يقلب صـــفحة الحديث عن العدل والانسانية والديموقراطية حين يصل الى النقطة الحاسمة ، ليتحدث عن اشياء اخرى تماما : القوة ! السلاح ! اقتلاع الشعب من مكانه ! تحويل الاقلية الى اغلبية !

يســـتطرد بن جوريون قائلا : انه كان دائما رئيس المجلس التنفيـــــذي للوكالة اليهودية دون أن يتولى وزارة بعينها . فلما انشئت وزارة الدفاع لاول مرة سنة ١٩٤٦ ، تولى الاشراف عليها وهناك بدأ على الفور بدراسة القوة الحقيقية لفرق الهاجاناه فوجدها سنة ١٩٤٧ ، كالاتي :

١٠٫٠٧٣	بندقية عادية
١٫٩٠٠	بندقية اوتوماتيكية
١٨٦	مدفع رشاش
٤٢٤	مدفع رشاش خفيف
٦٧٢	مدفع مورتر عيار بوصتين
٩٦	مدفع مورتر عيار ٣ بوصات

وعلى الفور بدأ العمل لاقامة صـــناعة اسلحة حربية في فلسطين ، وفي تهريب المعدات والاسلحة من الخارج . ويقول بن جوريون انها جاءت من امريكا بالذات التي كانت على وشك تخفيض صناعاتها الحربية بعد ان انتهت الحرب . وحين يقول بن

جوريون انهم حصلوا بمليون دولار على اسلحة تساوي ملايين كثيرة تفهم ان الامر لم يكن مجرد شطارة ، انما كانت هناك بغير شك تسهيلات غير عادية أيضا.

اما الدول التي رضيت ، كدول - ان تبيع لهم الاسلحة فكانت : تشيكوسلوفاكيا وفرنسا !

وفي تقرير اصدره بن جوريون في ذلك الوقت لفرق الهاجاناه قال ان العدو المقبل هو انجلترا والعرب . ولكن الامر يختلف . فخلافنا مع انجلترا سياسي . واذا لجأنا احيانا الى اعمال عسكرية ضدها فلمجرد تأكيد موقفنا السياسي . اما ازاء العرب فالمعركة عسكرية . لم يدعو الى تدريب الهاجاناه بحيث تصبح قادرة على قتال « الدول العربية » لا العرب الفلسطينيين وحدهم

●●●

وفي مايو سنة ١٩٤٧ ، طرحت قضية فلسطين للمناقشة في جلسة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة . ولاول مرة يسمح للوكالة اليهودية بان تشترك في الجلسة وكان السؤال الذي يشير الى معترك الطرق هو : هل هناك علاقة بين مشكلة اليهود في العالم وبين فلسطين ، كما يقول الصهيونيون » .. لنا ان كلا منهما مشكلة منفصلة ، كما يقول العرب

وايدت تركيا والهند وأفغانستان رأى العرب ، بينما أيد الباقون كلهم رأى الصهيونية !

ثم تقرر تكوين لجنة استقصاء من احد عشر دولة

وقررت اغلبية اللجنة تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية ، يجمعهما اتحاد اقتصادي

وفي يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ صوتت ٣٣ دولة بما فيها امريكا والاتحاد السوفييتي في صالح هذا القرار . وصدقت ضده ١٣ دولة : الست دول العربية الاعضاء في ذلك الوقت واربع دول اسلامية هي باكستان وافغانستان وايران وتركيا ، وثلاث دول لا هي اسلامية ولا عربية وهي الهند واليونان وكوبا . وامتنعت عن التصويت عشر دول من بينها انجلترا

« فرح الصهيونيون واليهود في كل مكان . بينما أعلن العرب أنهم لن يقبلوا القرار وانهم سوف يقاومونه بكل الوسائل!

●●●

في صفحات قليلة ، يعرض بن جوريون قصة الحرب التي نشبت عقب انسحاب انجلترا من فلسطين بين الدول العربية واسرائيل .. واعلانه قيام دولة اسرائيل في اجتماع كبير بتل أبيب .. والبيان الذي اذاعه بذلك من محطة الاذاعة السرية التي كانوا قد اعدوها لتصبح اذاعة علنية في تلك الليلة .. بينما كانت الطائرات المصرية تقذف قنابلها في اول غارة على تل أبيب .. ثم احداث القتال ، والهدنة الاولى ثم الهدنة الثانية .. ثم تكوين اسرائيل بعد هذه الخطوب عند حدودها الحالية ، التي يقول انها اضافت الى اسرائيل فوق نصيبها المقدر في قرار التقسيم بما يصل الى الثلث » . ثم كل الاحداث السياسية حتى سنة ١٩٥٣ ، حين قرر أن يستقيل من رئاسة الوزارة ويعتزل في قرية « سديه بوكر » في صحراء النقب

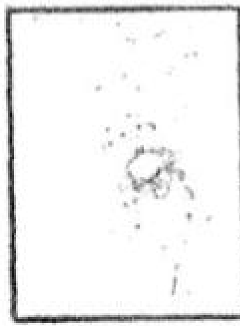
ولا اظن أننا في حاجة الى سرد ما رواه من هذه الاحداث . ذلك أن الاحداث نفسها معروفة . ولكن المهم هو أن نقف عند « طريقة بن جوريون » في سرد هذه الاحداث . والنظر الامين الى هذه الطريقة يثير الملاحظات التالية :

● يكشف بن جوريون منذ البداية عن نواياه تجاه قرار التقسيم ، الذي يتظاهر باحترامه ، حين يقول أنه تلقى قرار التقسيم بمشاعر مختلطة . صحيح ان هذه اول مرة تعترف فيها المنظمة العالمية بقطعة أرض لاقامة دولة عليها لليهود . ولكنه يرى ان هذه القطعة لا تكفي . ثم انها مجزأة تربط بينها ممرات تقع تحت رحمة الارض التي تركها القرار للعرب .

لم أنها تحرم اسرائيل من مساحات شاسعة في النقب

وهذه النية هامة ، فهي تكشف من أن خطة اسرائيل الحربية للتوسع سنة ١٩٤٨ لم تكن عفوية استدعتها الظروف الخارجية وحدها وتؤكد ان اسرائيل لا ترى حتى هذا الذى حصلت عليه غاية لآمالها .
انما هو في رأيها خطوة ، يجب التوسع بعدها : كلما سنحت الظروف

● ان بن جوريون يحاول أن يصور الامر على ان انجلترا والعرب كانوا يقفون في جهة ، والحركة الصهيونية التي تطورت



الى دولة اسرائيل وحدها في الجهة المقابلة. فالقارئ الحسن النية لا يلبث ان يعجب بهذه القوة الصهيونية الصغيرة التي هزمت تحالفا من سبع دول عربية ودولة كبرى هي بريطانيا

فلا يريد ان يقلب «الصورة الاستعمارية» الحقيقية التي كانت موجودة في المنطقة وقتذاك ، مصورا اسرائيل على انها كانت في موقف القوة الاستقلالية التحررية التي تحاول ان تدافع عن نفسها ضد قوة استعمارية وبريطانية ..

والواقع هو عكس ذلك تماما ..

فالحقيقة الاستعمارية البسيطة في المنطقة في ذلك الوقت هي : ان انجلترا كانت الدولة التي تستعمر المنطقة بجيوشها ونفوذها على السواء ، بما في ذلك فلسطين نفسها . وانه تحت سمع الدولة الاستعمارية وبصرها وبتشجيعها فتحت أبواب اسرائيل للهجرة « الشرعية » وغير الشرعية وصدرت التصريحات تلو التصريحات ـ بدءا من وعد بلفور ـ لخلق اسس قانونية لايجاد كيان يهودى على أرض عربية . اما اذا تحرك العرب ، فهنا تتصدى لهم هذه القوة الاستعمارية بالضرب والقهر والكبت .

فالشعب العربي هو الشعب الذي كان واقعا تحت سطوة الاستعمار : يرى جزءا من بلاده يقتطع منه ببطء دون أن يقدر على شيء

دون أن يقدر على شيء : بسبب التخلف الاقتصادى والاجتماعى المفروض عليه . وبسبب الحكومات العميلة التي نصبها الاستعمار ومنحها « وهم » الاستقلال لا حقيقته . وبسبب الجيوش المصطنعة التي كان كثير من ضباطها انجليز ، وكان مصدر تسليحها وشريان حياتها انجليزى . وبسبب الوجود الاستعمارى الصريح ممثلا في قوات الاحتلال العسكرية في هذه البلاد العربية

لم تكن انجلترا والعرب اذن في صف وركالة بن جوريون في صف . انما كانت انجلترا تقف وقد كبلت العرب بكل القيود ، تشهد النمو الصهيوني في تشجيع مستتر

و « حادث الحرب » ليس وحده هو الذى صنع اسرائيل : انما صنعتها كل الاحداث السابقة منذ الحرب العالمية الاولى ووعد بلفور : وفي خلال هذا كانت انجلترا تضرب بقوة السلاح كل محاولة لاى نمو عربي في المنطقة نحو الاستقلال ، بينما كانت تسمح للوجود الصهيوني بان ينمو ويتبلور يوما بعد يوم

واذا كان قد بدا ، في اللحظات الاخيرة ، أن انجلترا قد أصبحت « عصبية المزاج »

فى وجه السياسة الصهيونية وأنها حاولت أن توقف المد الصهيونى عند ذلك : فذلك لأن الحركة الصهيونية قد كشفت فى هذه الساعات الأخيرة عن أنها تخطت السياسة الانجليزية بالفعل . وانه بعد أن كان الظن أن الدولة الجديدة أو الكيان الجديد سيكون تابعا لانجلترا كفلسطين القديمة بصورة أو بأخرى . ظهر أن ولاءها قد انتقل نهائيا الى أمريكا . وأنها تهدف الى الاستقلال التام عن الانجليز، فأصبحت بذلك تشكل حقيقة جديدة مربكة لانجلترا فى فترة ما بعد الحرب باضطراباتها وربما ظهر خلالها من تشقق فى بناء الامبراطورية البريطانية كله

وكما أن بن جوريون يحاول أن يزيف وضع القوى الاستعمارية فى المنطقة ، فهو يحاول أن يظهر القوى الدولية الكبرى — وفى مقدمتها أمريكا — وكأنها قامت فى هذه المأساة بدور ثانوى ، بينما قام بن جوريون والستمائة ألف يهودى فى فلسطين بالعبء كله . وهذا أيضا تصوير مضلل لحقيقة ما حدث . ان مهارة الحركة الصهيونية ولا شك هى أنها استطاعت أن تنظم قوى اليهودية العالمية حيثما كانت لتأييدها . وأنها استطاعت من خلال هذه اليهودية العالمية ان تضغط وترجو وترشو وتلح وتنذر وتساوم وتضلل حتى تمكنت من تحويل الدول الكبرى الى موقف تبنى القضية الصهيونية

وهنا بالذات يبدو فشل العرب الحقيقى خلال تلك الفترة : فقد تمكنت الصهيونية من اقناع دول العالم انها قوة لها حسابا فى ميزان الصداقة أو العداء ، بينما أعطى العرب عن أنفسهم ، بحكم كل ظروف التخلف والاستعمار ، صورة الذى لا يكسب أحد من صداقته ولا يخشى كثيرا من عداوته

ولكن هذا كله شىء .. وكون الصهيونية هى التى تولت بقوتها الذاتية تحقيق أغراضها فى فلسطين ، شىء آخر ..

فالقوى الدولية التى سمحت بالهجرة غير الشرعية من قلب أوروبا الى شاطىء البحر ، ثم سمحت للسفن المشحونة بالسفر فى البحر المتوسط تحت سمع الأساطيل وبصرها ، ثم أمرت بايقاف القتال ساعة تحرج وضع اليهود بالهدنة الأولى ، ثم سمحت باستمرار القتال ساعة قوى ساعد اليهود بعد الهدنة ، ثم سمحت بتخطى اسرائيل حدود التقسيم رغم قرار الأمم المتحدة ، ورغم مصرع رجل الأمم المتحدة فولكبرنادوت : هذه القوى الدولية التى كانت توجه ، على لسان ترومان ، انذارات مدوية بضرورة قبول مائة ألف مهاجر يهودى فى فلسطين قبل آخر السنة، والتى كانت فى نفس الوقت من خلال عملائها وسلطاتها ووجودها المسلح فى البلاد العربية تدمر كل رد فعل جدى ازاء هذه الأحداث : هذه القوى بمصالحها السياسية والاستراتيجية الكبرى هى التى قامت وأنها بالدور الأساسى فى ايجاد اسرائيل ، وهى الخصم الحقيقى الذى تمكن آخر الأمر من قهر العرب

ونضال العرب ، فى السنوات التى تلت ١٩٤٨ ، ضد الاستعمار والرجعية العميلة فى شتى صورها ، كان أحد مصادر الدرس الذى تلقاه العرب من مأساة فلسطين ذاتها

ويحاول بن جوريون أن يستفيد الى أقصى الحدود من قصة الهجرة العربية من فلسطين : فهو تارة يدلل بها على جبن العرب وتفككهم .. وتارة يحاول أن يبث فى القارىء شعورا برضى عامة العرب بالتقسيم حين يقول أن العرب بدأوا يهاجرون تلقائيا من المناطق التى جعلها مشروع التقسيم جزءا من دولة اسرائيل .. وتارة يصف الأمر ، بشكل غير مباشر، وكأنه تقلص الظلمة أمام انتشار النور والحضارة

والواقع ان مأساة الهجرة تحتاج الى دراسة مستقلة خاصة بها . ولكن الذى



برنادوت .. اغتاله الصهيونيون

يمكن ان يقال في هذا المجال ، هو انها بالفعل كانت حدثا خطيرا وظاهرة ذات دلالة بعيدة المدى ، يفسرها بضعة اشياء

ـ يفسرها ، ولتعترف ، تخلف الامة العربية حضاريا . فبينما كان المجتمع الفلسطيني العربي صورة من المجتمع العربي في كل مكان : زراعيا اقطاعيا بدائيا ، بعيدا عن العمل الصناعي والتنظيم النقابي والزراعة العلمية المنظمة والنظرة العلمية التنظيمية في كل شيء ، كانت الموجة الصهيونية الغازية مزودة بهذا كله تسندها قوى دولية استعمارية عديدة ، الامر الذي اكسبها ساعة الصدام الحاسم ميزة كبرى لا شك فيها

ـ ويفسرها القيادة الخائفة الجاهلة التي منى بها العرب . قيادة لم تتمكن من ان تعطى نمط السلوك والتصرف لجماهيرها . وهل تبقى أو ترحل . بل ان هذه القيادات كانت تبدو مشجعة لهذه الهجرة ، جاهلة انها ببقاء العرب في اماكنهم انما تجعل قيام اسرائيل كله امرا شبه مستحيل ، رغم كل الظروف

ـ ويفسرها ، وهو اعتبار اساسي وان كنت قدابقيته حتى النهاية ، ان الصهيونيين جعلوا المدنيين الآمنين هدفا اساسيا لهم : فارتكبوا ضدهم المذابح الشهيرة في دير ياسين وغيرها ليجعلوا بقاءهم مستحيلا: فهم ايضا من خريجي مدرسة هتلر الوحشية واللا اخلاقية كالنازيين سواء بسواء ، وان كانوا قد تخرجوا من الجانب الآخر من هذه المدرسة النتنة

* * *

بعد ذلك ، يقفز بن جوريون في كتابه الى احداث حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، وهجوم اسرائيل على شبه جزيرة سيناء ، خاتما به الكتاب ..

وهو فصل أشبه بقصة من صميم الخيال ..

فقد روى الاحداث على ان اسرائيل هي التي هجمت وهي التي حاربت وهي التي قررت متى تتقدم ومتى تتراجع ..

ولكن ، لسوء حظ بن جوريون ، فان كتابه صدر في نفس الاسابيع التي صدرت فيها كتب اخرى احدثت ضجة كبرى ، خصوصا كتاب « السويس : سرى جدا » للمؤلف الاسرائيلي ميشيل بن زوهار .. وهي الكتب التي روت قصة التدبير الذي دبرته انجلترا وفرنسا لشن هذه الحرب ، واتفاقهما على استخدام اسرائيل واشراكها في الامر .. ثم قصة القتال الذي خاضه طيران فرنسا وانجلترا ، واساطيل فرنسا وانجلترا ، وجيوش فرنسا وانجلترا ..

فهو جزء لاداعي للوقوف عنده ومناقشته . فما اظن ان احدا في اسرائيل ذاتها قد اصبح يصدق شيئا منه .. بعد ان اذيع ما اذيع من حقائق

كامل زهيري :

نظرة جديدة

إلى شعار القومية العربية

لو اننا نظرنا نظرة متسرعة الى شعار القومية العربية . لقلنا ان المعركة تمتد يمينا او يسارا . في بغداد او الجزائر . ولكنها في الحقيقة تمتد الى بعدها الثاني الخطير .. في الجنوب

ولا يمكن ان ننظر الى القومية العربية نظرة شكلية محدودة . او جغرافية جامدة .

بل لابد ان ننظر اليها كحركة تحررية ، وبالضرورة حركة ثورية ، تتحرك .وتمتد . وتنقض ، وتتلقى الطعنات . وترد هذه الطعنات

ان النظر الى القومية العربية جغرافيا نظرة مضللة

والنظر الى القومية العربية كحركة ثورية نظرة سليمة

ودليل ذلك هو التاريخ نفسه

ان استعمار بريطانيا لعدن في الجنوب بدأ في عام ١٨٣٩ ، أي قبل احتلال مصر في الشمال ، باكثر من اربعين عاما

وعلينا اذن ان نبدأ مع قصة نمو الاستعمار البريطاني في المنطقة مع خططه المترابطة ، حتى تظهر لنا الصورة واضحة تماما

مناطق الوثوب

وانجلترا قوة استعمارية تتميز باعتمادها على البحر ، وكانت تسعى الى الهند ،

علينا الا ناخذ شعار القومية العربية المشهور « من الخليج الى المحيط » على معناه السطحى · لاننا لو اخذناه على هذا المظهر المتسرع ، لاكتفينا بالنظر الى حركة القومية العربية من الشرق الى الغرب · او من الغرب الى الشرق ·· مع ان معركة القومية لها بعد ثان ، وعمق آخر هو الجنوب وفى الجنوب معركة لا تقل خطورة عن معارك الشمال

جوهرة التاج البريطانى ، كما يقال ، ولكنها بدأت فى استعمار جنوب الجزيرة العربية ، قبل أن تصل الى الهند أو فى نفس الوقت تماما · وقبل أن تصل الى شواطىء مصر

ومن هنا كانت أهمية الجنوب

لانه ملتقى الطرق بين آسيا وافريقيا

وهو فوق ذلك نقطة انطلاق ووثوب من الحافة الى القلب

ولذلك ليس غريبا أن تبدأ انجلترا فى منافسة البرتغال وهولنده ·· اكبر قوات بحرية فى ذلك الوقت · وليس غريبا بعد ذلك أن تنزل انجلترا فى الجزر الواقعة

على حافة البحر الاحمر والخليج العربى والمحيط الهندى قبل ان تثب الى الارض

وليس غريبا ان تمنح الملكة اليزابيث فى عام ١٦٠٠ ترخيصا لشركة الهند الشرقية بتأسيس مشروعات تجارية فى عدن والبحر الاحمر ، وأن تنشط هذه الشركة فى هذه المنطقة فى نفس الوقت الذى تمد فيه الخطط للانغماس فى الهند والانغماس فى شرق افريقيا أيضا

ولقد بدأ الاعداد لاحتلال جنوب الجزيرة العربية بوقت طويل قبل ان يبدأ الاحتلال الفعلى

لقد سيطرت انجلترا على جزر كوريا موريا قرب مسقط

وجزيرة سوقطره قرب الساحل الافريقي، وهي مدخل عدن ، وان كانت تبعد عنها ٣٠٠ ميلا الى الجنوب

وجزيرة الشيخ سعيد التي تؤلف مع جزيرة ميون جانبي باب المندب ، الباب الجنوبي للبحر الاحمر

وجزيرة كمران في مواجهة ساحل اليمن، لانها قاعدة السيطرة على القسم الجنوبي من البحر الاحمر

وجزيرتي حنيش وفرسان في البحر الاحمر

لقد كانت كل هذه الجزر هي **المفاتيح الاستراتيجية** للجنوب ، وللبحر الاحمر

الجولة الثانية

ثم بدأت انجلترا جولتها الثانية في ايفاد بعثاتها ، وجواسيسها ، قبل اساطيلها وشركاتها ، وقبل احتلال عدن في عام ١٨٣٩

وهكذا كانت انجلترا تخطط استراتيجيتها على **اساس الشمول للمنطقة كلها**

ففي عام ١٨٠١ بسطت حمايتهـا على جزائر البحرين

وفي عام ١٨٠٢ ، حصلت بريطانيا على معاهدة تفتح لها ابواب عدن وتضمن لها حماية رعاياها . وكانت شركة الهنـد الشرقية قد سارعت في عام ١٨٠٠ بتعيين مندوب مقيم لها في **مسقط**

وبين عـامـي ١٨٠٦ و ١٨٠٧ زاد الضغط البريطاني على مصر ، ونزلت الحملة الانجليزية الى الاسكندرية بقيادة فريزر ، كما هو معـروف ، وزحفت الى رشيد وتغلب المصريون على الحمـلة الانجليزية . وكان الجلاء في ١٤ سبتمبر ١٨٠٧.

واضح من تخطيط الاستعمار في هذه الفترة ان الضغط لم يكن على الشمال فقط ... ولكنه كان على الجنوب ايضا . وفي نفس الوقت لان خطط الاستـعمار لا تنفصل . بل انها تكمل بعضها البعض ، في ترتيب محسوب ، وتخطيط لئيم !

معاهدات الحماية

والنصف الاول من القرن التاسع عشر حافل بمعاهدات الحماية التي حصلت عليها



« الحاج » عبد الله فيلبي ..



الجنوب العربي .. دخل منه الاستعمار وسيخرج منه

بريطانيا .. بالقوة او بالدهاء ، وبارخص الاثمان

ففي ٦ يناير ١٨٢٠ وقعت بريطانيا معاهدة مع حاكم الشارقة لحماية السفن البريطانية · وفي ٨ من الشهر نفسه وقع حاكم « رأس الخيمة » معاهدة مماثلة ، وكذلك حاكم جزيرة «الحمراء» . ثم في ٩ من شهر يناير أيضا ، وقع حاكم « دبي » معاهدة مماثلة وفي ١١ يناير وقعت معاهدة مع حاكم « ابي ظبي » ، ثم في ١٥ يناير وقع حاكم « زعاب » نفس المعاهدة

وظلت بريطانيا طوال هذا العام تجمع التوقيعات من الحكام والسلاطين لتضمن تفاهمها في المنطقة . اعدادا ليوم النزول بالمدافع

احتلال عدن

ويصف الامير احمد فضل العبدلي في كتابه القديم « كتاب هدية الزمن في اخبار لحج وعدن » قصة الاحتلال ، فيقول :

« في صباح يوم ١٤ رمضان سنة ١٢٥١ هـ · جنح المركب « دريادولت » بالقرب من عدن ، وهو ملك السيدة الهندية « بيجم » بنت اخت احد كبار الحكام الهنود . وكان يحمل بضائع وحجاج الى جدة ، فتهافت عليه بعض الاعراب . وقبض الاعراب على الركاب ...

« وقابل الكابتن « ا » الانجليزي « هينس » السلطان محسن فضل ليسأله في شأن البضائع المنهوبة . فأنكر السلطان اشتراك رعيته أو قبائله في النهب . وفرض الكابتن على السلطان غرامة قدرها ١٢٠٠٠ ريال (كلدا) · وبعد وقوع الحادث . فاوض الكابتن هينس السلطان للحصول على تصريح بخصوص المحطة البحرية التي اتى من اجل اقامتها . فرضي السلطان ان يدخل في معاهدة مع البريطانيين . وان تكون لهم محطة في عدن . على أن يبقى نفوذه على رعيته كما هو · فلذلك هبت بينهما ريح



شيخان الحبشي .. رئيس رابطة ابناء الجنوب شرح قضية بلاده للجنة تصفية الاستعمار ..



الخلاف وتعذر الائتلاف وبلغ الكابتن
هينس ان احمد بن السلطان حسن فضل
دبر مكيدة للقبض على الاوراق وعلى الوكيل
السياسي في عدن بعد المقابلة الاخيرة ...
فعاد القبطان الى « بومباى » . وفى عام
١٢٥٤ هـ ١٨٣٦م عاد القبطان هينس
الى عدن بعد أن منحته حكومته التفويض
التام في أن يتفذ أمر الاستيلاء على عدن .
فخاطب السلطان بتسليمها مقابل ثمانية
الاف ريال سنويا . واستهزأ العرب بهذا
الطلب . وسدوا الحراب . وحصنوا
الابواب . وقال احمد بن السلطان حسن
للقبطان ... ان كلمتي لهى المنيا . فاذا
جئت الى باب عدن لمقابلة السلطان فتحنا
لك الباب . وقطعنا راسك بالسيف.وهكذا
عادة البدو . ثم منعوا المركب «كوت» من
الماء وضربوا بالبنادق . فاصابوا رجلين
من رجاله . وحاصر القبطان عدن

« وفي ٢٥ شوال سنة ١٢٥٤ هـ .
تناوش المركب «كوت» وقلعة صيرة بالمدافع،
واستشهد من أصحاب السلطان ثلاثون
قتيلا . وفي اوائل ذى القعدة . وصل الى
عدن قوة مؤلفة من المراكب الحربية «ماهي
وفوليج ، وكرودر » وسمهم ما يزيد على



ثلاثين مدفعا، و ٣٠٠ مقاتل من البريطانيين، و ٤٠٠ مقاتل من الهنود ، وضربوا البلاد بالمدافع ، ثم هزموا المدافعين ... »

مدرستان

ومنذ ذلك الاحتلال بدأت انجلترا سياسة الفوضى والتفرقة ، والمعاهدات التى تفرض الحماية على شيوخ الامارات ، وسلاطين الولايات ، ورؤساء القبائل والعشائر . واستطاعت انجلترا أن تحصل — فى خلال خمسين عاما — على المعاهدة تلو المعاهدة، تؤكد سيطرتها « الوحيدة » على المنطقة ففى المدة ما بين عام ١٨٥٥ و ١٨٩٦ ،عقدت انجلترا أكثر من ٣٠ معاهدة واتفاقية . وتقلدت انجلترا سياسة التفرقة الدائمة لتكون هى الحكم الاخير . ولذلك خلقت انجلترا حدودا وهمية كثيرة ، وساعدت الخلافات — القبلية والجغرافية — تنفيذا للسياسة المعروفة « فرق تسد »

ويمكن القول أن مدرستين من مدارس الاستعمار البريطانى كانتا تتنازعان السياسة البريطانية فى المنطقة . واحدة يمثلها لورانس الذى انتشر فى الشمال، وثانيهما فيلبى الذى تبع فى الجنوب . وكانت المنطقة الجنوبية تتبع عسكريا قيادة الهند وتتبع سياسيا حاكم بومباى الانجليزى ، وظلت كذلك حتى عام ١٩٣٢ ، حين بدأ الضغط الشعبى الهندى ، والمقاومة تشتد على بريطانيا،وكان لابد أن تصفى بريطانيا امبراطوريتها القديمة ... فنشأت فكرة انشاء « الامبراطورية الثالثة » ... التى تنكمش من الهند لتنسحب الى جنوب الجزيرة العربية ، وشرق افريقيا .. فقد كانت انجلترا تظن أن افريقيا ستظل نائمة، وانها تستطيع الانسحاب بهدوء من آسيا، لتقبع بثبات حول موارد البترول ،وخطوط المواصلات بين الشرق والغرب

وهكذا بدأت انجلترا تفصل عدن عن الهند ، وفى عام ١٩٣٦ أعلنت انجلترا أن عدن مستعمرة تابعة لبريطانيا ، وبدأت منذ ذلك الحين فى بورما وسيلان والباكستان تنظيم سياستها على أساس استقلال الهند الذى يبدو فى الافق .. وعلى أساس بنائها للامبراطورية الكبيرة فى افريقيا

وحين جاء اكتشاف البترول ، قامت انجلترا ببناء مصفاة كبيرة للبترول . ولا قيمة للبترول—من غير المصافى التى تكرره ، كما يقول المليونير روتشيلد



مؤتمر لندن لاختلاق اتحاد الجنوب !

ولذلك يمكن تلخيص سياسة بريطانيا في الجنوب بأنها تتمسك به أشد التمسك، لأنه مفتاح البحر الأحمر ، ولأنه يطل على أكبر موارد البترول في الشرق الأوسط ، كما يوجد به كميات وفيرة تحت أرضه ، ولذلك خططت الاستراتيجية الاستعمارية على الانسحاب « ان كان لا بد من الانسحاب » من الشمال !

وقد انسحبت بريطانيا مرتين من السويس ، ومرة من بغداد ... وهكذا بدأت تطوى صفحاتها في الشمال ، لتفتح صفحاتها في الجنوب

وبدأ الانسحاب من القلب الى الحافة

وحول هذه الحافة بدأت تقيم استحكاماتها العسكرية ،وخططها الدفاعية، ومناوراتها السياسية

ولعل التغير الوحيد في سياستها في الجنوب ، هو تبنيها لفكرة الاتحاد

وبدأت فكرة الاتحاد ، حتى تستطيع ان تتحكم في دولة متناسقة بدلا من أن تتحكم في دويلات وشياخات وامارات متناثرة

ومعنى ذلك أن الاستعمار لم يعد يعتمد على وجوده العسكرى أى على الاحتلال المباشر ...

انه لا يحكم مباشرة ، كما كان يحكم في بداية القرن العشرين

ومن الاسهل عليه ، اذن أن يحكم دولة أو دولتين ، وأن يقيم من هذه الدولة صورة شرعية ، يعقد معها الاتفاقات التي تسند وجوده

ومن هنا نبعت فكرة الاتحاد منذ عام ١٩٥٤ حتى الآن

وطوال العشر سنوات الاخيرة . وانجلترا تسعى جاهدة لتحقيق اتحاد فى الجنوب، يترك البترول والمواصـــلات والدفاع البريطانيا ، باعتبارها القوة الوحيــدة المسيطرة على المنطقة

وقد ظنت انجلترا انها تستطيع بهذه الطريقة ان تحمى مدفين هما البتـــرول والاستراتيجية ، وانها تستطيع مقابل بعض التنازلات الشكلية ، أن تضمن بقاء قبضتها، ودوام مصالحها ، وتأمين خطوط مواصلاتها

انها تستطيع ــ كما كانت ــ ان تسد مدخل البحر الاحمر الجنوبى

وهى بعد ذلك . تستطيع ان تسـيطر

بالطائرات والسفن على الخليج العربى ،

حيث تقع الكويت والبحرين . اغنى منابع البترول لصالحها

وهى فوق ذلك ، تستطيع ان تعوض هذه الامبراطورية المنهارة فى الســـويس والشمال بامبراطورية جديدة فى الجنوب

ضربة الجنوب

ولكن ثورة اليمن هزت كل الموازين التى رسمتها انجلترا فى الجنوب

كما ان القوة الشعبية فى عدن نفسها بدات تقلق سياستها المرسومة منذ عشرات السنين وقد التحمت قوات الثوار فى الجنوب المحتل بهذا التيار الثورى الذى يهب بلا انقطاع من الشمال

وبدات القومية العربية تستعيد ــ فى خلال الحركة المستمرة ــ توازنا جديد وبعدا جديدا

ومن منابعات النظرة العربية الجديدة الى المشكلة، لا تفصل بين الشمال والجنوب، ولا بين القلب والحافة

بل ان هــذه النظرة اخذت تفهم ان الاستعمار الذى جاء اول الامر من الجنوب ليقفز على الشمال ، لابد ان ينسحب من الجنوب ايضا ، اى من الباب الذى دخل منه اول الامر

***

وهناك أسباب عديدة تدعوالى التفاؤل اخطرها قوة الطيران التى تصل بين اطراف المنطقة العربية .واخطرها ايضا تزايد الوعى البترولى بوتدارك اهميته السياسية الى جانب اهميته الاقتصادية والمالية

وامتدادا لهذه النظرة لم تعد قضـية الجنوب قضية عربية بالمعنى الضيق لهذه الكلمة ، لان للامم المتحدة رايا فيها لابد من تشجيعه والاستناد اليه، كما ان تخطيط التحرر فى المنطقة لابد ان يعتمد على الدول العربية ، والدول الافريقية الجديدة فى شرق افريقيا ، حتى تصل المساعدات الى المنطقة من عدة اتجاهات . وكما استطاع الثوار فى الجزائر ان يضمنوا وصــول المساعدات من مصر وليبيا وتونس . وفى نفس الوقت عبر الصحراء الجزائرية .. من الجنوب اى من مالى وفقا فان ثوار الجنوب لابد أن يرسموا تخطيطا يضمن المساعدات من الجانبين من الشمال ... ومن الغرب أى من شرق افريقيا

ويبدو ان كل ذلك قد اكتملت صورته، وبدا تنفيذه

فلقد هبت رياح الحرية العاصفة

محمود أمين العالم :

الحركة العربية الواحدة

بدلا من..

منذ الاشهر الاخيرة من عام ١٩٥٨ ، كنت اضع يدى على قلبى خشية أن يحدث شىء فى الاقليم الشمالى، سوريا العزيزة

والحق ، أننى ظللت واضعا يدى على قلبى ، حتى كانت اعياد الثورة عام ١٩٦١ ، حينما صدرت تشريعات يوليو المجيدة ، فى مجال الصناعة والزراعة والتجارة ، على نطاق الجمهورية كلها .

حينئذ فقط ، تنفست الصعداء وقلت لنفسى فى تفاؤل غامر : « حسنا ، لقد استقرت الوحدة المصرية السورية وتدعمت . »

الم يكن هذا هو احد المعانى الثورية الاساسية لتلك التشريعات .. فلا شىء يدعم الوحدة القومية ويعمقها مثل ارسائها على اسس اجتماعية ، وربطها بالمصالح المباشرة لجماهير الشعب

ولكن .. لم تمض اشهر قليلة على صدور تلك التشريعات ، حتى تمت جريمة الانفصال !

هل كنت مخطئا فى الاساس الذى بنيت عليه تفاؤلى فى ذلك الوقت ؟!

لا .. رغم ما حدث ! بل لعل ما حدث يؤكد هذا التفاؤل !

ذلك ان الانفصال لم يكن مجرد تمزيق لوحدة قومية ، لم يكن مجرد مناورات حزبية انانية ضعيفة الافق ، لم يكن مجرد قصور عن الفهم والوعى والمسئولية ، لم يكن مجرد رد فعل لاوضاع ديموقراطية وبيروقراطية متخلفة ..

حقا ، لقد كان هذا كله وسيلة

من وسائله ، وذريعة من ذرائعه ، ولكنه الانفصال الى جانب ذلك كله كان فى الجوهر انتكاسة اجتماعية، ورد فعل رجعى مناهض لتشريعات يوليو الثورية .

لم يكن الانفصال اذن استقلالا لسوريا ، ولم يكن استعادة لشخصيتها المعنوية والدولية ، ولم يكن تحريرا لها من ربقة التوسع

الجبهة الواحدة



جمال عبد الناصر :
الانفصال مستحيل

المصرى « الناصرى » كما راحوا — للاسف — يزعمون . وانما كان انفصالا عن التشريعات الثورية التى تحققت بفضل الوحدة القومية .

كان الانفصال بحق ضربة موجهة فى الاساس الى مصالح الشعب العربى فى سوريا ، وكانت تمهيدا لمحاصرة قيادة الثورة العربية فى عقر دارها فى القاهرة !

ولكن هذا الانفصال على قسوته ، لم يمح ما فى النفس من تفاؤل . فما اكثر ما تحقق من انتصارات بفضل هذه الهزيمة المؤقتة !

لقد ثبت كما اكد الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه بمجلس الامة فى مارس الماضى انه اذا كانت

الوحدة ممكنة ، فان الانفصال مستحيل !

كيف ؟ . .

حقا لقد تمت جريمة الانفصال، ولكنها انكشفت كجريمة ، منذ اللحظة الاولى ، وثبت على مدى الاشهر ، والاحداث والتجارب ، المتعاقبة انه لا استقرار بالانفصال ولا تقدم اجتماعى بالانفصال ، بل عجز عن التعبير عن مصالح الشعب القومية والاجتماعية ، بل عجز عن خداعها كذلك ! حقا ان الانفصال مستحيل .

ولقد اكدت جريمة الانفصال على ضرورة مواصلة طريق الثورة الاجتماعية ، تدعيما لما تم من تشريعات، وتمكينا لهذه التشريعات من ان تصبح حقيقة . فصدرت فى الجمهورية العربية المتحدة عقب الانفصال ، مجموعة من التشريعات والاجراءات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والديموقراطية ، اطلت بالثورة العربية كلها على مرحلة جديدة من الانطلاق الثورى .

وهكذا كان الانفصال — على بشاعته — مصدر وضوح فكرى وسياسى وتنظيمى معا .

ان الوحدة القومية لا يمكن ان تتحقق — كما يعلمنا الانفصال — بالتوحيد الدستورى على أسس سياسية عامة، ولا يمكن ان تتحقق — كما يعلمنا الانفصال — بالتحالف والتهادن بين تنظيمات متناقضة الفكر متنازعة الزعامات معزولة عن جماهير الشعب ، غير معبرة عن مصالحه .

ان الاشتراكية ضرورة حاسمة لتحقيق الوحدة .

ان التنظيم الثورى للشعب العامل هو الاداة الحاسمة للتمكين من هذه الوحدة .

هذا هو المعنى الكبير لما نص عليه ميثاقنا الوطنى من ان **«الوحدة الهدف هى صورة الوحدة»** وان **« وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الامة العربية كلها »** وان **« وحدة الهدف لابد ان تكون شعارا للوحدة العربية فى تقدمها من مرحلة الثورة السياسية الى الثورة الاجتماعية »**

هذه هى دروس الوحدة التى ابرزتها واكدتها دروس الانفصال

ولا املك فى هذا السياق من المقال ان امنع نفسى من تساؤل طالما تساءلته لنفسى فى اسف ومرارة : لماذا لم تستطع جريمة الانفصال هذه ان توقظ بعض من كانوا متورطين فى افكار ومواقف عملية غاية فى التخلف والجمود والخطأ ؟! لماذا لم توقظ جريمة الانفصال طائفة كبيرة من قادة الحركة اليسارية العربية من سباتهم الفكرى والسياسى ، فتتحرك عقولهم لتأمل الثورة العربية على نحو جديد ؟!



بن بيلا : تنظيم ثورى واحد

كان الانفصال جريمة ناصعة ، ان صح التعبير ، ناصعة في توقيتها ونتائجها. فما كان اجدر أن يكون نقطة تحول عن الخطأ وتطهر منه !

ولكن الانفصال ــ يا للغرابة والاسف ــ كان ذريعة لمزيد من التورط في الاخطاء .. وكانت الاخطاء متشابكة متداخلة

الفشل في تحليل اجراءات يولية الثورية ، كان سببا في الفشل في تحليل الانفصال المترتب عليه !

والفشل في ادراك الطاقات الثورية الكامنة والمتجددة في قادة ثورة ٢٣ يولية وفي متابعة تطورهم الفكرى من ارض الوطنية الى ارض الاشتراكية ، كان سببا في الفشل في تحليل حقيقة الاجراءات الثورية التى اصدرتها هذه القيادة !

وكان التمسك بقيم ديموقراطية شكلية ليبرالية وتغليب شعاراتها ــ في اغلب الاحيان ــ على المعارك الوطنية ومشروعات التقدم الاجتماعى ــ كان سببا في العجز عن ادراك حقيقة الطاقات الثورية في قادة ثورة ٢٣ يولية !

وكان الفشل في ادراك تداخل المراحل الثورية من تحررية واشتراكية ، سببا في التمسك بتلك الديموقراطية الشكلية الليبرالية ، بل سببا كذلك في مواقف اقليمية ضيقة ــ من الناحية التطبيقية ــ تتناقض مع الاقرار النظرى ــ في الوثائق المكتوبة ــ بالقومية العربية .

وهكذا .. سلسلة من الاخطاء ، تفضى في النهاية الى الفشل في تحليل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعجز عن اتخاذ الموقف الثورى منها

حقا لقد كانت هناك اخطاء صاحبت اقامة الوحدة المصرية السورية ، ذكرها الرئيس عبد الناصر في نقده الذاتى الرائع عقب الانفصال . ومن السذاجة والسطحية ان نفسر او نبرر اخطاء هؤلاء القادة الكبار بأنها ردود فعل للاخطاء التى صاحبت الوحدة !!

فلو صح هذا لكان هذا نفسه ابشع الاخطاء جميعا !

وما احب ان استطرد فى حديث الاخطاء ؛ فله فى النفس مرارة واسى وما احب كذلك ان ابرىء نفسى من الخطأ . فرغم ثقتى الكاملة فى طاقات الثورة وقيادتها ، فقد فاجأتنى اجراءات يوليو ١٩٦١ وكانت ـ بصدق وانصاف ـ ابعد من توقعاتى بل ابعد من احلامى كذلك فى تلك الفترة . وما ادركت كذلك جدية الفكر الاشتراكى . فى قيادة الثورة قبل تلك الاجراءات .. انه حديث طويل قد تكون له ذات يوم ذكرياته المكتوبة

***

ونعود من حديث الماضى والاخطاء الى حديث الحاضر والمستقبل .

ان شمس الوضوح الفكرى قد اخذت تضىء اليوم كل جوانب الثورة العربية ، تضىء اخطاء الماضى وتبرزها كما تكشف طريق الحاضر والمستقبل وتحدد معالمه ونواقصه مسئولياته ومشكلاته

ولا شك ان دراسة اخطاء الماضى ونقدها نقدا مخلصا شجاعا مسألة بالغة الاهمية . انها ليست مجرد تطهير للنفس او ابراء للذمة وانما هى دروس واسلحة للمستقبل . فان يكن طريق المستقبل أصبح واضحا ، فما أجدر الذين يواصلون العمل الثورى ان يؤهلوا انفسهم دائما لتلقى الجديد والتحرك مع الحياة ، حتى لا يجمدوا مرة اخرى عند أول منعطف ثورى جديد !

ولكن صرحاء وواقعيين ... ان النقد والنقد الذاتى ـ على اهميته ـ ليس بكاف وحده . ان المحك الاساسى هو سلامة الموقف العملى وسلامة النظرة الثورية ، وهو العمل الدءوب المتفانى فى خدمة الشعب والثورة . لم تعد المسألة اليوم : من هو أكثر فهما للنظرية ، واكثر حفظا للنصوص ، وتشدقا بالكلمات والمصطلحات ؟! وانما المسألة هى من هو اقدر على اكتشاف الحلول العصبية للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، من اقدر على النهوض بالاعباء ، من اكثر ادراكا للواقع ، ومعايشة له ، وتطورا معه ؟!

هذا هو الطريق لبناء الثقة وتجديدها بين الثوار ، وهذا هو الطريق لاثبات الكفاءة والاخلاص والجدية .

ان طريق الثورة العربية اليوم يواجه ملابسات جديدة ، ويستلزم أشكالا جديدة للعمل الثورى .

هذه قضية بالغة الاهمية استخلصناها من درس الانفصال كما ذكرنا من قبل . وسيتحدد بها مصير الثورة العربية فى السنوات القادمة . وتتلخص هذه القضية فى السؤال التالى : ما هو الشكل التنظيمى الذى سيتخذه النضال العربى من اجل تحقيق الاهداف الاساسية للثورة ، التى هى التحرر والاشتراكية والوحدة ؟



عبد السلام عارف : حماية التأميم

لم تعد الجبهة الوطنية المتحدة شكلاً تنظيمياً يصلح اداة لحركة الثورة العربية فى ملابساتها ومستوياتها ومفاهيمها الجديدة ! حقا ان الجبهة المتحدة كان لها دورها الفعال فى المعارك التحررية ضد الاستعمار ، وما تزال لها هذه الفاعلية فى كثير من القضايا السياسية العامة . ان الجامعة العربية بغير شك هى شكل مكتبى من اشكال الجبهة المتحدة وما اكثر ما يرجى من الجامعة العربية ، وما اكثر مايرجى كذلك – بوجه خاص – من مؤتمر القمة العربى ولقاءاته الدورية .

وما اشد الحاجة الى العديدمن اشكال التضامن السياسى هذه فى مختلف القضايا العربية ، بين مختلف القوى الاجتماعية العربية .

ولكن – برغم هذا كله ، فان الثورة العربية بمراحلها المتداخلة التحررية والاشتراكية والتوحيدية ، تتطلع اليوم الى اداة تنظيمية ثورية اكثر انسجاما وتماسكا من الناحية الفكرية والتنظيمية من شكل الجبهة المتحدة .

***

فنحن لو تأملنا خبرةالسنوات الماضية ، لما وجدنا جبهة وطنية متحدة استمرت طويلاً . ما اكثر ماقامتوما اسرعماتفتتت ! لماذا؟ .. لان الجبهة تعنى بالضرورة تعدد المنابر التنظيمية ، ما تعنى بالضرورة الاتفاق علىالحد الادنى من الاهداف ، واحتفاظ كلمنبر تنظيمى ببرنامجه كاملا لنفسه . والجبهة المتحدة لا تفترض وحدة فكرية ، وحدة هدف نهائى، بل هىعادة تفترضالتناقضوالخلاف الفكرى . انها لقاء سياسى لمهمة محددة ، ولمرحلة محددة . وما اكثر الشكوك والتوجسات داخل الجبهات المتحدة ، وما اشد المعارك بين الكتل والتنظيمات من اجل السيادة والقيادة داخل الجبهات !

لهذا كانت كل الجبهات المتحدة لقاء الى تفتت سريع . لم يكن يجمعها غير المعارك الوطنية الحادة فاذا ما انتهت المعركة انتهتالجبهة هذه علىالاقل هى خبرتناالخاصة ان الجبهة الوطنية شكل لم

تلفظه الحياة ، ولكنه محدود النفع فى القضايا الاجتماعية اساسا . ولهذا فهو لا يصلح اداة لانجاز الوحدة العربية وخاصة بعد ان ادركنا ضرورة قيامها وتحققها على اسس اجتماعية وشعبية وفكرية راسخة ، ضرورة قيامها على الاشتراكية .

ان الامر فى هذه الحالة يحتاج ـ كما ذكرنا ـ الى اداة ثورية ذات طبيعة متجانسة سواء من الناحية

لنفسها طريق البناء الاشتراكى . حقا ان بعض الطبقات الاجتماعية ما صفيت ولا ذابت بعد نهائيا وان تكن قد صفيت مصالحها الاقتصادية

فاذا سمح لها أن تكون منابرها التنظيمية ، فانها ستتخذ هذه المنابر سلاحا تكافح به لاستعادة مصالحها الاقتصادية المؤممة !

وهذا امر خطير للغاية . انه

• الحركة الثورية الواحدة هى أداة الثورة العربية فى تقدمها

الفكرية او التنظيمية ، مما لايتوافر فى الجبهة المتحدة .

ان الجبهة المتحدة اذا كانت تعترف ببقاء المنابر التنظيمية المختلفة داخلها ، فهى تعترف ـ بالتالى ـ ببقاء الطبقات الاجتماعية المختلفة فى المجتمع ، وتحرص على مصالحها المتبادلة كطبقات ، وتنسق وتوفق بين هذه المصالح . ولا شك ان هناك من المجتمعات ماتحتم مثل هذا الشكل التنظيمى . ولكن هذا الشكل لا يمكن ان يحسم قضية الثورة الاجتماعية ، قضية الاشتراكية .

***

انه بهذا المفهوم لا يصلح شكلا تنظيميا معبرا عن حركة الاحداث فى مجتمعاتنا العربية التى اختطت

اثارة للصراع الطبقى وتغذية له ، وعرقلة للثورة الاجتماعية .

ولهذا فان الشكل التنظيمى الملائم لمثل هذه المجتمعات ليس هو شكل الجبهة الوطنية ، وانما هو الحركة الثورية الواحدة المعبرة عن مصالح الشعب العامل . ان جبهة التحرير الجزائرية ليست جبهة ، برغم تسميتها كذلك . وانما هى تنظيم ثورى واحد ، حزب ثورى . انها اداة الشعب الجزائرى الموحدة لتحقيق ثورته الاشتراكية . ان تعدد التنظيمات داخل جبهة التحرير يعنى تعدد المصالح الطبقية المتناقضة ، يعنى بالضرورة تعدد البرنامج . وهذا معنى ان تصبح جبهة التحرير الجزائرية جبهة متحدة وليس

تنظيما ثوريا قائدا وموجها للثورة الاشتراكية فى الجزائر !

وكذلك شأن الاتحاد الاشتراكى العربى وتنظيمه الطليعى فى الجمهورية العربية المتحدة . انه شكل آخر من أشكال الاداة الثورية الموحدة . وان لم يستكمل بعد فاعليته السياسية والاجتماعية المنشودة .

على ان هذا هو الطريق : حركة ثورية واحدة ، فى كل بلد عربى ، ويخدمه فى الوقت نفسه . انه ينبع منه ويغذيه كذلك . انه تنظيم للشعب العامل وطليعته بما يتلاءم مع البناء العام للمجتمع ، وبما يتفق مع احتياجاته .

وهو حركة ثورية واحدة فى كل بلد عربى ، وهو فى الوقت نفسه حركة ثورية شاملة واحدة على النطاق العربى كله ، تجمع التجارب والخبرات المحلية ، وتوحد الاتجاه النضالى العام ، وتحقق الانتصار خلف قيادة قومية واحدة .

هذا هو الطريق الذى بشر به الرئيس جمال عبد الناصر فى العيد الحادى عشر من الثورة ، واخذت اليوم تتفتح امكانياته ، وتتضح معالمه .

لقد قام الاتحاد الاشتراكى العربى فى سوريا ، وقام الاتحاد الاشتراكى العربى فى العراق ، وغدا تقوم الاتحادات الاشتراكية فى انحاء الوطن العربى كله ، ويتم حوار ولقاء فكرى بينها ، ويتدرج حتى يتم اللقاء التنظيمى الشامل بينها جميعا .

حقا انها ما تزال تنظيمات فى مهب تجربة جديدة ، وملابسات غاية فى التعقيد . ولكنها بغير شك ستنمو وتتضح خلال تمرسها بمشكلاتها المحلية ، وفاعليتها فى واقعها الخاص ، وتفاعلها مع الواقع القومى العام ، وبمدى قدرتها على احتضان كل القوى الثورية المخلصة .

فالاتحاد الاشتراكى فى سوريا يتدعم وجوده ويصلب عوده

نحو الاشتراكية والوحدة القومية

هى شكل تنظيمى ارقى من الجبهة ، انها وحدة عمل ، ووحدة تنظيم بين كل القوى المؤمنة باهداف التحرر والاشتراكية والوحدة .

ان هذا التنظيم الثورى بغير شك ثمرة التجارب المريرة خلال السنوات الماضية ، تجارب الدماء والسجون والسحل والانفصال والمناورات الحزبية وصراع الكتل ولكنه الى جانب ذلك هو تنظيم ثورى يتلاءم مع البناء الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمعات العربية الجديدة التى تمضى فى طريق الاشتراكية . ان هذا البناء الاجتماعى الذى يقوم على الملكية العامة لوسائل الانتاج ، على سيادة القطاع العام ، على مركزية التخطيط على تعميم التعاونيات والتجميع الزراعى ، الخ . الخ . . انما يعبر عنه هذا التنظيم الثورى الواحد

وتتسع قاعدته الجماهيرية ، خلال كفاحه الدائب من أجل اعـــادة الوحدة المصرية السورية باعتبارها مهمة اساسية له .

وجبهة التحرير الجزائرية تقف فى مواجهة مؤامرات الرجعيـــــة والاستعمار ، وتتكشف الحــلول والمشكلات الصناعية والزراعـــة والثقافة .

والاتحاد الاشتراكى فى العراق فى بداية خطواته الاولى ، ينمـــو وينضج بحشد الجماهير للدفاع عن الاجراءات التاميمية الاخـــيرة وحمايتها من مؤامرات الرجعيـــة والاستعمار ، وتطويرها الى غـير حد ؛ ينمو وينضج بمقدار تصفيته لعهود الدماء والسجون والفرقة ، بمقدار نجاحه فى اشاعة الديموقراطية وتجميع كل القوى التقدميــــة والثورية وتوحيدها تحت رايـــة الاشتراكية والوحدة القومية .

والاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر يواجه مسئوليات انجــاز التنمية الاقتصادية ، والتجميـع الزراعى ، والصناعة الثقــيلة ، والتغلب على مشكلات البيروقراطية والعمال الزراعيين .

وعشرات القضايا الاجتماعيـة والسياسية الاخرى .

وهكذا الشان فى كل ماتتوقع قيامه من تنظيمات اخرى فى مختلف البلاد العربية ، سواء كانت متحررة او غير متحررة سيكون لكل تنظيم رسالته وملابساته الخاصـــة المحلية .

ولكن الى جانب هذه القضايـا المحلية ، هناك القضايا العامة على النطاق القومى كله . وفى مقدمتها قضية مواجهة العدوان الاستعمارى المتمثل فى دولة اسرائيل ، وتصفية قاعدته ، وحماية ميـاه الاردن ، وتوجيهها لخدمة التنمية الزراعية العربية ، وهناك قضية تصفيـة القواعد العسكرية الاســتعمارية فى مختلف البلاد العربية ، وهناك قضية البترول العربى وضرورة ان يصبح ملكا للعرب ومصدرا للتقدم والرخاء للشعوب العربية ، وهناك قضية اليمن ، ومعارك الجنــوب العربى المجيدة . وهناك قضــايا التحرر والوحدة الافريقيــــة ، وقضايا السلام وعدم الانحياز ، والتعايش السلمى . وهكذا .

ولكن .. هل تقـوم الحركة الثورية الواحدة على هذه الاهداف المحلية والقومية والعامة فحسب؟ لاشك ان هذه الحركة الواحـــدة ينبغى ان تؤسس على وضــوح فكرى ونظرى . ولعل الميثــاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة وميثاق طرابلس لثورة الجزائر يعتبران وثيقتين رســميتين فى تحديد الملامح العامة لنظـــرية الحركة العربية الثورية الواحدة .

انها فى كلمات بسيطـــة ، رفض الطريق الراسمالى ، واختيار طريق الاشتراكية العلمية ، طريق الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان ، كاساس لتحقيق وحدة قوميـــة شاملة .

على ان اللقاء بين الطلائع الثورية العربية داخل هذه التنظيمات ، وتفاعلها الفكرى والنضالى ، وما يدور بينهما من حوار وتبادل خبرات ، على المستوى المحلى والقومى ، كذلك الحوار الذى قام بين جبهة التحرير الجزائرية والاتحاد الاشتراكى العربى « ج.ع.م » كفيل بان يعمق ويطور هذه المفاهيم النظرية . ولا شك ان الممارسة العملية والتطبيق الخلاق ، والمواجهة المباشرة للواقع الحى ، ستكون اغنى واخصب مصدر لتطوير الفكر النظرى وتعميقه ، دون ان يعنى هذا – بغير شك – سد السبيل امام متابعة الخبرات الانسانية العامة والاستفادة منهما وخاصة خبرات البلدان الاشتراكية

ان هذه الحركة العربية الواحدة ستكون اداة اساسية لانجاز مهام التحرر الوطنى والبناء الاشتراكى والتمهيد للوحدة القومية وانجازها

الوضوح الفكرى
والخبرة الواقعية
أساس الحركة الواحدة

ومهما تنوعت وتفاوتت مستويات العمل وطبيعة الملابسات الاجتماعية والاقتصادية فى هذا البلد العربى أو ذاك ، فان هذا التنوع والتفاوت سيصب فى الوعاء العام للحركة العربية الواحدة .

وسيسهم فى تحقيق التجانس الفكرى والاجتماعى والتنظيمى والقومى ، فى غير قسر او افتعال

ان المرحلة القادمة من حياة امتنا العربية ، ليست مرحلة شعارات طنانه ، وانما هى مرحلة استكمال لتحرير الوطن العربى كله ، وبناء مجتمعات اشتراكية وانجاز وحدات قومية ، انها مرحلة انتاج وتعاون وتنمية اقتصادية وتخطيط وصناعة ثقيلة . مرحلة تصفية القواعد العسكرية الاستعمارية ، وخاصة دولة اسرائيل

وفى غمرة تحقيق هذه الاهداف النبيلة ، الجليلة ، ستنضج الحركة الثورية العربية الواحدة ، وستصبح طريقا ملهما حقا ، لكثير من الحركات الثورية فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية

حقا ، ما أروع وما امجد ان يلتقى الثوار العرب جميعا من جديد ، عبر الاخطاء والجراح والشهداء – تحت راية التحرر الوطنى والاشتراكية والوحدة القومية ، فى حركة ثورية واحدة . هذا هو العزاء الاكبر لكل تلك الاخطاء والجراح والشهداء !

استراحة ٥ دقائق

مجاملة

توجه الممثل الناشيء الى ساشا جترى يعرض عليه مواهبه وقال له فى معرض الحديث :

– ان فنى يا استاذى هو راس مالى الوحيد فى الحياة !

فاجابه ساشاجترى بابتسامة عذبة :

– لا تحزن يا بنى ، فالفقـــر – حتى عندما يكون تاما – ليس عيبا !

فرق بسيط

دعا احد الاصدقاء شاعر النيل حافظ ابراهيم الى اكلة طريفة من الجبن القديم جدا والسمك الطازج الذى قال عنهما فى وصفه انه « يتلعبط » فى المقلاة . ولبى شاعر النيل الدعوة واكل بشهية كل ما قدم اليه من الجبن والسمك المقلى . وسر صاحب البيت وقال يستدرج شاعر النيل لاطــراء الوليمة :

– الم تجد الطعام كما وصفته لك تماما يا حافظ بك ؟

فاجابه حافظ ابراهيـــم وهو يتصنع الجد

– تقريبا ياصاحبى . لولا فرق واحد بسيط .

وقال صاحب الدعوة متلهفا :

– ما هو ؟

– الجبن هو الذى كان طازجا .. اما السمك فكان قديما جدا !

تفسير الاحلام

كان الدكتـــور محجوب ثابت وحافظ ابراهيم فى ضيافة سعـــد زغلول . واتفق فى هذه الجلســة ان روى الدكتور محجوب حلما رآه بقوله :

– رايتنى راكبا جملا كبيرا ، ومن خلفى عدد من الحمير . ثـم جاءنى رجل معه رسالة من كبير ، فسلمنى اياها .

فنظر سعد زغلول الى حـافظ ابراهيم ، وقال له :

– فسر .. ياحافظ

فقال حافظ :

– اما الجمل فهو كرسى النيابة البرلمانية ، واما الرســـالة ، فهى تكليف من اولى الامر لمحجوب بتولى الوزارة ، واما الحمير ، فهم اولئك الذين انتخبوه نائبا ! ..

د. راشد البراوى :



بترول العرب

هل هو للعرب ؟

بدأ الوطن العربي بعد الحرب العالمية الاولى يدخل في نطاق امبراطورية البترول، ولعل الحرص على احتكار هذه الثروة الدفينة يفسر بصفة اساسية التقسيم الذى فرض باسم الانتداب على الشطر الاسيوى من هذا الوطن • وفى عام ١٩٣٩ كانت البلاد العربية المنتجة للبترول هى مصر منذ ١٩١١ والعراق منذ ١٩٢٧ والبحرين منذ ١٩٣٤ والسعودية منذ ١٩٣٩ ولم يتجاوز انتاجها ٦٫٥٩ ملايين طن طول من الانتاج العالمى البالغ ٢٨٩ مليونا

وفى السنوات التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية حدث تطور

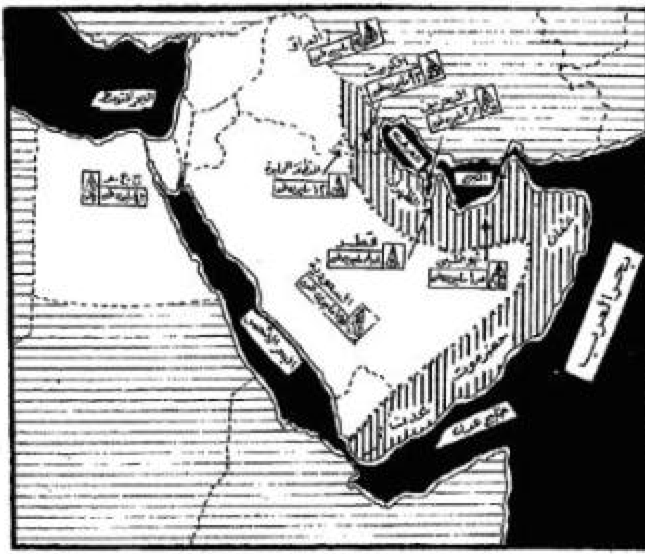
مذهل فزاد الانتاج بخطى سريعة واسعة وبخاصة في السعودية والعراق ، ودخلت في الميدان مناطق اخرى مثل قطر والكويت ، فاذا بالانتاج يصل الى ١٨١ر٨٥ مليونا من الانتاج العالمي البالغ ٩٦٤ مليونا في عام ١٩٥٩ · واطردت الزيادة بسرعة في الكويت والسعودية ، فاصبحت الاولى تشغل المحل الرابع بعد الولايات المتحدة وفنزويلا والاتحاد السوفييتي واشرف انتاجها على المائة مليون طن في السنة ، وتليها السعودية التي انتجت في عام ١٩٦٢ حوالي ٧٤ر٥ مليون طن

وازاء اشتداد ساعد الحركة القومية في الشرق الاوسط العربي وبخاصة بعد ثورة مصر في عام ١٩٥٢ ، اتجه الاهتمام الى القسم الافريقي من الوطن العربي ، وزاد حدة بعد تأميم قناة السويس واخفاق العدوان على مصر ، فدخلت الجزائر وليبيا في مجال الانتاج الذي بلغ ٤٠ مليون طن في عام ١٩٦٣ · وهذه الارقام سوف تزيد باطراد بسبب التوسع في استغلال الحقول الحالية ، ونتيجة للكشوف الجديدة · ومن أبرز الكشوف الجديدة حقول « أبو ظبي » التي بدأ التصدير منها عام ١٩٦٢ ومنذ أسابيع قلائل عثرت شل على حقول غنية في عمان ، ومما يدل على امكانياتها ان الدوائر المسئولة تذكر ان الشركة سوف تمد خط انابيب قطره ٣٠ بوصة ومعنى هذا انها تستعد لصادرات تبلغ اربعين مليون طن في السنة · وهو الانتاج المقدر له أن يبدأ في عام ١٩٦٧

والحقائق التي نود تاكيدها هي ان الوطن العربي اليوم مسئول عن اكثر من ربع الانتاج العالمي ، وانه يزود اقتصاديا أوربا الغربية باكثر من ٧٠ في المائة من احتياجاته البترولية ، كما بدت ظاهرة ملفتة للنظر في السنوات القلائل الاخيرة وهي اطراد الزيادة في التصدير الى اسواق اسيا والشرق الاقصى

٨ شروط

لكن اهمية الوطن العربي لا تقف عند حد انتاجه الآن من البترول ، انها تتعداه بالدرجة الاولى الى الاحتياطي الثابت وجوده حتى الآن ، والذي يبلغ في العراق والكويت والسعودية وشمال افريقيا ما نسبته ٥٥ر٤ في المائة من احتياطي العالم غير الشيوعي والذي يقال له العالم الحر كما يتضح من الارقام التالية :



الوطن العربى مسئول عن اكثر من ربع الانتاج العالمى للبترول ويزود أوربا الغربية باكثر من ٧٠ ٪ من استهلاكها له

ليصبح بترول العرب للعرب..

البلد	الاحتياطى ببلايين البراميل	النسبة المئوية الى العالم الحر
العراق	٢٧	١٠ر٢
الكويت	٦٢	٢٣ر٤
السعودية	٥٦ر٩	١٩ر١
شمال افريقيا	٧ر٢	٢ر٧
النسبة المئوية		٥٥ر٩

ويلاحظ على هذه الارقام

١ – ان تقديرات الاحتياطى تتزايد من سنة لاخرى نتيجة التوسع والتحسين فى البحث

٢ – ان هناك مناطق كثيرة بالعراق والسعودية والجزائر وليبيا لم تجر فيها عمليات بحث وافية

٣ – أنها لم تضم **قطر وعمان وابو ظبى** . وهم يقدرون مدخرات ابو ظبى وحدها بما لا يقل عن ١٠٠٠ مليون طن ، بينما لم تصدر بعد ارقام رسمية بخصوص الكشوف الحديثة فى عمان

وللوطن العربى اهمية ثالثة

وهي وفرة موفورة من الغـــاز الطبيعي . ويوجد الغاز الطبيعي ممتزجاً بالزيت الخـــام . حتى يؤتى بالأخير من مكامنه تحت سطح الأرض وتختلف درجـــة الضغط الواقع عليه بحضور الغاز ويطلق وجميع البلاد العربية المنتجة للبترول تنتج هذا النـــوع من الغاز ، غير أن مقاديره تختلف من بلد لآخر ، لا بسبب اختـــلاف الكميات المنتجة فحسب من الخام بل وبسبب التفاوت في نسبة الغاز الى الزيت ، Gas/oil ratio أو كمية الغاز بالبرميل الواحد من البترول .

ويلاحظ أن استعمالات الغـــاز بالبلاد العربية محدودة ، وأهمها أنه يعاد حقنه من أجل المحافظة على الضغط الداخلي في مكامن الزيت . وعملية الحقن هذه تمثل ٤٦ ٪ من الناتج الغاز بالسعودية وحوالي ١٤٫٣ ٪ في [illegible] من الغاز الناتج في بقية الشرق الأوسط .

كذلك يستخرج الغاز الطبيعي من آبار لا تحتوي على الزيت ، وهذا النوع لا تترتب عليه مشكلات اذ يمكن التحكم فيه فلا تنتج منه سوى المقادير التي تحتاج اليها وأعظم مصدر لهذا النوع موجود في حقل حاسي رمل بالجزائر ، حيث التقديرات الثابتة تعادل ما يقرب من ألف مليون طن من البترول .

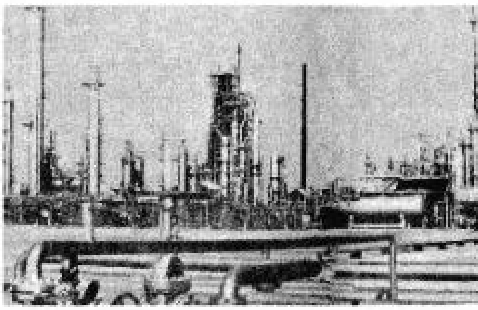
ولا تزال استعمالات الغاز بالوطن العربي ضئيلة جداً في الوقت الحاضر ، لقد عمدت بعض الشركات الى تصديره في حالة سائلة ، واستخدمت [illegible] من طرق خاص ، فأنشئت ارزيو [illegible] الغاز السائل [illegible] ، ويصدر الجزائر منذ سنوات الى [illegible] الى أوروبا ومثال مشروع نقل الغـــاز الجزائري الى أوروبا بواسطة الأنابيب عبر البحر ، وثمة أبحاث تجري بشأن مد خط أنابيب لنقل الغاز من منطقة الخليج العربي ، قطره متر وطوله ٢٧٥٠ كيلومترا ويمر بالأردن وسوريا وتركيا الى مختلف البلاد الأوروبية حتى ينتهي الى بريطانيا . وتقدر التكاليف بنحو ألف مليون دولار .

ولما كانت الظروف مرسومة على عقود الامتيـــازات الرئيسية . وعلى المعدات التي أدخلت عليها فيما بعد ، اصطدمنا بمظاهر عجيبة .. على وشك بالنسبة الى هذه الثروة العـــربية الضخمة . وأول ما يسترعي الانتباه هو الطـــابع الاحتكاري ، حيث للشركة الحق المطلق في المنطقة المخصصة لها ، فضلا عن سعة [illegible] [illegible] لتشمل التنقيب والحفر والانتاج والنقـــل والتـــكرير .

والأمر الثاني هو طول مـــدة الامتياز اذ تتراوح بين ٦٠ - ٧٥ سنة [illegible] في الواقع تغطي الفترة [illegible] استنفاد البترول العربي .

والظاهرة الثالثـــة تتمثل في ضخامة مساحة منطقة الامتيـــاز ، فتشمل البلد كله أو معظمه أو جانباً كبيراً منه . ونضرب المثل الأول من اتفاقية الكويت على « امارة الكويت بما في ذلك الجزر والمياه الاقليمية التابعة للكويت » و« [illegible] المنطقة التي يمتد [illegible] » .

ولنأخذ المثل الثالث من اتفاقية العراق لعام ١٩٢٥ تشمل المنطقة « العراق حيث [illegible] مع استثناء الأراضي المحولة وتابعها المعروفة سابقاً بولاية البصرة » . هذه الظاهرة تتجنبها الى حد ما ليبيا والجزائر حيث [illegible] والأعمال شركات كثيرة . [illegible]



الى القول ان هـــذه الشركات مترابطة او متداخلة فيما بينهـــا بطريقة او باخرى

كذلك تنبهت بعض البـــلاد العربية الاخرى الى شذوذ هـــذه الظاهرة فراحت تسترد مساحات من مناطق الامتياز ٠ ففى اواخر عام ١٩٦١ أصدرت حكومة العراق قرارا بان تتخلى الشركات الثلاث **(نفط العراق ، الموصل ، البصرة)** عن مناطق امتيازها فيما عـــدا المناطق القائمة بالانتاج بالفعل ، وهذا القرار انقص المساحة الاصلية بحوالى ٩٩٫٥ فى المائة ٠ وبمقتضى اتفاق عقد فى مارس ١٩٦٣ تخلت ارامكو عن مساحات كبيرة واصبح الباقى لها ١٢٥٫٠٠٠ ميل مربع ، وكان من قبل ٦٧٢٫٨٠٠ ميـــل مربع بالمنطقتين الاصلية والاضافية كما تنـــازلت شركة الكويت عن مساحة قدرها ٣٥٧٦ ميل مربع . على ان تتنازل عن ٣٨٦ ميل مربع اخرى من المناطق المغمورة بعد خمس سنوات

واذا تتبعنا الشركات العاملة فى الحقل البترولى بالعـــالم العربى وجدنا ان هذه الثروة الضخمـــة تستغلها وتجنى الارباح الطائلـــة منها ، مصالح أجنبيـــة تماما من بريطانية وامريكية وفرنسيـــة فالمصـــالح التابعة للشركات الامريكيـــة مثلا تسيطر على ما نســـبته ٦٩٫٣ فى المائة بالشرق الاوسط (بما فيه ايران) فضـــلا عن معظم ليبيا ، وللمصـــالح الفرنسية المســـيطرة الغالبة فى الجزائر ولها نصـــيب طيب فى العـــراق وأبوظبى ، ومصـــالح بريطانيا واسعة فى عدد كبير من البلاد العربية

***

ومما يلفت النظر أنه فى حالة اصدار أسهم جديدة للجمهورنعلى الشركات أن تفتح اكتتـــابا فى البلاد مانحة الامتيازات ، وأحيانا تحدد النسبة التى تخصص لهذا الغرض ، وقد حددت بعشرة فـــى المائة فى اتفاقية شركة أرامـــكو (المادة ٣٢) واتفاقيـــة العراق (المادة ٣٤) ٠ ولـــكن هذا النص ظل حرفا ميتا فلا جمهور البـــلاد المانحة للامتيـــازات ولا حكومتها تملك شـــيئا على الاطـــلاق فى الشركات الرئيسية العاملة فـــى الوطن العربى

وكانت العقود القديمة ظالمـــة الى أبعد الحدود بسبب ضـــآلة نصيب البلاد المنتجـــة ، ولـــكن الحركة التى أقدم عليها **الدكتـــور مصدق** بتـــأميم البترول الايرانى كانت نذيرا ، فبدأت ارامكو تطبق مبدأ اقتسام الارباح مناصـــفة ، وتلتها الشركات الاخـــرى حتى أصبحت هذه النسبة القاعدة العامة السائدة ٠حقيقية ارتفعت العائدات بشكل ملحوظ ، ولكن علينا أن نلاحظ :

اولا) : ان الشركات العالمية هى التى تتحكم فى تحديد الاسعار التى يباع بها البترول

ثانيا) : ان الشركات العاملة هي صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في مقادير الانتاج

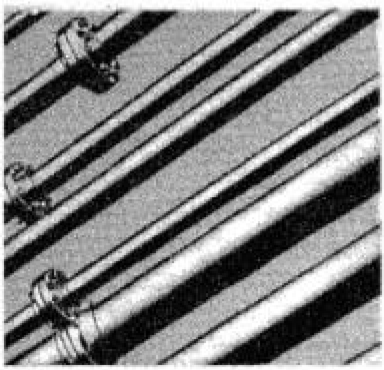
ثالثا) : ان هذه الشركات تدخل عناصر كثيرة في حساباتها مما يقلل كثيرا من الارباح المعدة للتوزيع

رابعا) : ان معظم البترول المستخرج يصدر خاما فلاتستفيد البلاد العربية من المزايا والارباح الناجمة من عمليات التكرير

خامسا) : وهذه الشركات تستأثر لنفسها بأرباح عمليات النقل والتسويق بالخارج

سادسا) : ان مبدأ المناصفة أصبح عتيقا • فاتفاقية السعودية مع الشركة التجارية (اليابانية) تنص على توزيع الدخل الصافي بنسبة ٥٦ ٪ للسعودية ، ٤٤ ٪ للشركة • وفي امتياز شركة اميركان انترناشيونال للزيت في سلطنة مهره ، تحصل السلطنة على ٥٥ ٪ من صافي الارباح ، ويجوز لها المساهمة في حقوق والتزامات الشركة العاملة لغاية ٢٠ في المائة • وبمقتضى الاتفاقية المعقودة بين حكومة الكويت ومجموعة شركة شل (يناير ١٩٦١) يكون للاولى الحق في شراء ٢٠ في المائة من رأس المال وبذلك ترتفع حصتها في أرباح الشركة الى ستين في المائة

وتنص العقود على أن يكون العمال غير الحاذقين من أبناء البلد ، أما المديرون والمهندسون والفنيون والعمال المتخصصون والكتبة ، فيمكن ان يكونوا من غير الوطنيين اذا لم يكن في البلد من هم ذوي كفاية للاضطلاع بهذه الاعمال • وبرغم ما تفرضه العقود على الشركات من تدريب المواطنين، وبرغم انقضاء هذه السنوات الطوال ، فان المناصب الرئيسية وشبه الرئيسية، من فنية وادارية، لا تزال وقفا تماما على الاجنبي



واذا رجعنا الى اتفاقيات سبق ان عقدتها ايران مع شركتي بان اميريكان وسافير مثلا ، تجدها تنص على ألا تزيد نسبة الموظفين الاجانب على ٢ ٪ من المجموع الكلي بأعداد متساوية ، وعلى أية حال ينبغي ان يرشح الرئيس من بين المديرين الايرانيين

وتعمل في ليبيا ٢٢ شركة اغلبيتها الساحقة امريكية وأهمها **اسو وأوازيس** ، كما تغلب المصالح الفرنسية على الجزائر

الدخل ٠٠ !

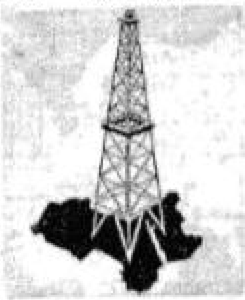
تقدر العائدات البترولية التى حصلت عليها البلاد العربية حتى عام ١٩٦٣ بمبلغ ١١٥٢٢دولار ، ١٣٦ مليونا هى نصيب الجزائر وليبيا بسبب حداثة انتاجهما ·

وبالرغم من الفخامة التى يبدو بها المبلغ الا اننا نلاحظ أنه لم يسفر عن تطوير حقيقى للحياة الاقتصادية والاجتماعية نظرا لانه لم تكن فى هذه البلاد خطط مدروسة للتنمية بحيث تستقر هذه الاموال فى تنفيذها ·ويلاحظ من جهة اخرى ان الدخل الكبير الذى حصلت عليه بعض الحكومات اشاع فى نفسها قدرا من الراحة والاطمئنان وبذلك اغفلت نواحى الانتاج الاخرى ، فتضاءلت الطاقة الانتاجية فى قطاعات مثل الزراعة وتربية الحيوان كما حدث فى السعودية مثلا

ويزيد من خطورة الاعتماد على مصدر واحد للدخل القومى ان هذه الحكومات لا تتحكم فى الاسعار . فاذا هبطت الاسعار أو توقف التصدير تعرضت البلاد لكوارث اقتصادية · ولوحظ أيضا ان ازدياد الدخل من العائدات البترولية اسفر عن توسع ضار فى الواردات من السلع الاجنبية واغلبها من السلع الكمالية · واخيرا ــ وليس آخرا ــ فان حكومات عربية تستثمر اموالها الضخمة فى البنوك الاجنبية والسندات الاجنبية نظرا لضآلة فرص الاستثمار فى بلادها ، برغم ما تشعر به بلاد عربية اخرى من مسيس الحاجة الى عملات أجنبية لاغراض التنمية فيها

كى يكون الخير للعرب

على ضوء ما أوردناه من ارقام وحقائق ، يتضح ان بترول العرب ليس للعرب فى الواقع · ولهذا ارتفعت أصوات تدعو الى تأميم هذا المصدر للثروة · وبهذه



المناسبة تقول ان القرار الذى سبق ان أصدرته محكمة العدل الدولية لمناسبة تأميم البترول الايرانى نص فى حيثياته على ان العقد الموقع بين الحكومة الايرانية والشركة لايعدو أن يكون عقدا بين حكومة وشركة اجنبية · واكثر من هذا فقد قال المستر **كاليجارفى** عن وزارة الخارجية الامريكية أمام الكونجرس فى عام ١٩٥٥) : **، لكل حكومة حق تاميم صناعاتها ، ولكننا ننتظر منها عند تاميمها لصناعاتها ٠٠ ان تدفع تلك الحكومة تعويضا عن**

الضرر الحاصل » • وموضــوع التعويض ، سواء من ناحية المبدأ او الطريقة ، لا يزال موضع جدل فى نظر الكتاب والباحثين

غير أن للعرب مطالب عاجلــة حتى يشعروا ان ثروه بلادهم هى عامل فى تقدمهم انفسهم ويمكن تلخيصها فيما يأتى . على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ اعادة النظر فى العقــود الموجودة لازالة ما فيها من طـابع احتكارى وشروط خاصة بالمــدة وتحلل الارض ورقابة الــدولة مانحة الامتيازات

٢ ـ رفع النسب التى تؤول الى البلاد المنتجة بحيث لا تقل عن ٦٥ فى المائة . كما توضع قواعد واضحة بحيث تشترك حكوماتها فى تقدير الانتاج وتحديد الاسعار وتقرير مبادىء المحاسبة وفقــا لمبادىء عادلة

٣ ـ ان تكون لهذه الحكومات الاغلبيــة فى مجالس الادارة التى يجب ان تكون مقارها فى البــلاد المنتجة • وكذلك يجب النص على شغل الوظائف الرئيسية بالعرب ايا كان البلد الذى ينتمون اليه • وبهذه المناسبة نقترح انشاء معهد عربى للدراسـات البتــرولية ليستطيع تخريج أكبر عــدد من المتخصصين لشغل هذه المناصب ، وهو اقتراح نقدمه الى مؤتمر القمة العربى

٤ ـ اشتراك البــلاد المنتجة بنسب يتفق عليها فى راس مال الشركات القائمة على ان يتم هذا الامر فــورا • ويجب ان يكون الاشتراك بنسبة النصف فى جميع العقود الجديدة

٥ ـ التوسع فى التكرير بحيث لا يصدر البترول الا على هيئــة مشتقات ، وهذا يؤدى الى زيادة حصيلة البلاد ، وتوفير العمالــة لاعداد كبيرة ، وخلق اساس للتقدم الصناعى

٦ ـ استغلال عمليات التكرير ومقادير الغاز الطبيعى لانشــاء صناعات بتروكيميائية بقصــد التصدير الى الخارج فضــلا عن توفير صناعات محليــة ، وتزويد الاسواق العربية بالمنتجات اللازمة

والغاز الطبيعى مثــلا يمكن استخدامه فى مصانع لانتــاج المخصبات الكيمــاوية والجبس والاسمنت والمنتجات الدوائيــة والمبيدات الحشرية والشحومات والمطاط وخامات البلاســتيك ، وغيرها

٧ ـ مشــاركة الشركات فى ارباح عمليات النقل والتسويق

٨ ـ تخصص الشركات نسبة من ارباحها لشراء السندات التى تصدرها الحكومات العربيــة او منظمة الانمــاء العربى ، لاغراض التنمية وبذلك تسهم هذه الشركات فى النهوض بهذه البلاد

بهذا الذى نشير اليه على سبيل المثال فقط يمكن ـ بل ويجب ـ ان يكون البترول العربى لخــير الوطن العربى

وثيقة جزائرية

لن أهرب

نهاية فبراير ١٩٥٥ سأستولي على قطعة من الشعب المرجانية من البحر الأحمر . يا لها من غنيمة ضئيلة! انها ملكي نسبياً في الواقع . سأضعها على مكتبي فيما بعد ، لو خرجت سالماً من هذه المهمة

ان الباخرة «دنيا» آتية من بعيد على أية حال ، ان كل شيء يبدو الآن على مايرام . لزرقة البحر الابيض زرقة داكنة . سماء صافية . نسمة خفيفة . نحن في الثامن والعشرين من شهر فبراير عام الف وتسعمائة وخمسة وخمسين . الجو ليس قارساً . « الوفر » قديم برقبة عالية ، « كاسكتة » ، نظارة سوداء ، صندل ... هذه هي كل كسوتي .

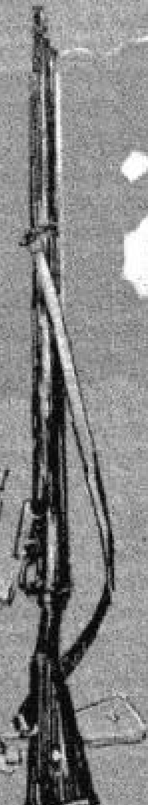
قطعة المرجان هذه اكتشفتها في قفص طيور فوق الجسر عند الرحيل . آه ! هذا الرحيل ! واحد وعشرون طناً من الاسلحة الاوتوماتيكية والعادية ؛ من القنابل والذخائر . كدت اتشاجر لكي تشحن الذخيرة مع الاسلحة في وقت واحد . اضطررت الى ان اترك على الشاطىء سبعة

.. هناك القاتلون .. وهنا دموع تختلط بالصمت

الأسلحة إلى الجزائر



بقلم
مناضل

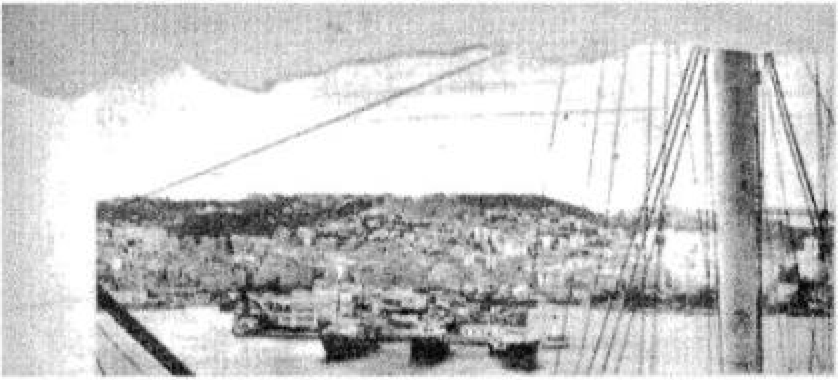


أطنان ونصف من الصناديق الثمينة .

نعم . الرحيل الشاق . المحركات تدور . المرساة ترتفع . الساعة السابعة عشرة . بالها من متعة ! هذا القارب ينزلق على صفحة الماء في سكون . زملائي المجاهدون الجزائريون الذين وفقوا الى القيام بأعمال مناسبة سأقدمهم لكم : **بوخروبة** كشاف ، طالب آداب ، ضخم ، من النوع الشمالي ، مقوس كقرن الخروب . **سي علي** من الجنوب قصير ، عالي التشجر ، عيناه زرقاوان ، شعره أشقر باحمرار ، دائم التدخين ، طالب

هو أيضا ، **جيلالي** : برونلية أشبه بالنمر ، مقاتل قبلي سابق . **زناتي** : صلب ، زميلي في مهمة سابقة . **سي محمد** نحل طبيب ، يهوى المغامرات ، وطالبان آخران هما واكسان

النار خامدة فوق الهضبة .. نور ضئيل يرشدنا من بعيد .



مؤقتان . طاقم الباخرة الرسمي : ميكانيكي من طرابلس . سوداني ومصري هما ـ على التوالي ـ ضابط وبحار . عربي وهو بحار صغير وطباخ . قبطان السفينة : الكابتن جان . . . يوغوسلافي ، طيار سابق في سلاح الطيران الملكي البريطاني ، وحش البحر ، وجهه مثل وجه سمكة القرش ، تتدلى خصلة من شعره الاشقر على جبينه ، اسنانه بارزة تحت شفته العليا ، عيناه بلون الطحالب الخضراء . نائب القبطان : الضابط ابراهيم ، سوداني ، اسود كالأبنوس ، بارد كالانجليز ، يحب الراحة والبازلاء المسلوقة ويلتهمهما بنهم شديد .

المرافق ورئيس البعثة : خادمكم ، قرصان تحت التمرين!

٢٩ مارس :

نحن في الانتظار بالقرب من حدود المياه الاقليمية الفرنسية . يظهر جندي من خفر السواحل .. تظهر مركب صغيرة . الانتظار لا يقلقنا . انه نوع من التحدي يبعث النشاط والسعادة .

الدنيا ليل . احساس ثقيل . كل واحد يتحاشى اصدار اى صوت . كل واحد يكتم انفاسه . الساعة عشرون ونصف . محرك واحد فقط يعمل ، ببطء . مقدمة السفينة تقيات لتوها المرساة الراقدة على الحافة . زناتي يقبض على المرساة بعينين تمنعانك من الاقتراب منها . محاجر جيلاني تجمدت في سمت الشخص الذي سيجري ليحمل سلاحه . يداه ممدوتان الى الامام وقد تضاعف حجمها ثلاث مرات . بوخروبة بجواري يعض على نواجزه بارد كالجثة . قمرة القيادة القبطان يتكيء على كتفي بين حين وآخر . أو يمسك بيدي في حنان . نائب القبطان يدون سجل السفينة . سي محمد يرقب النجوم وهو ممدد فوق بضعة اطنان من الاسلحة . أما الطاقم ، فكل منهم يلتزم مكانه صامتاً . نعم السفينة تتقدم في صمت .

أحيانا نسمع صــدمة خفيفة ، أو لطمة الموج .

نار مشتعلة على الشاطيء .

نار خشب يلتهب بصعوبة . نار صـفراء بلا شـك . صـفراء ارجوانية . ظلام بلا نهاية يكتنف المكان . السـفينة الصامتة تتقدم، بطيئة جدا .

ومضتان من مصباح كهربائي تحت البيوت . النار ـ مع هذا ـ موقدة فوق الهضبة .

فوق هذه الهضبة ينتظـر خمسة وسبعون مقاتلا جزائريا ، ومجاهدان مراكشيان .

ها نحن ندخل خليجا فسيحا نسبيا الى اليمين جـزيرة صخرية صغيرة . توقفنـا . القبطان يلقي بمقياس الاعماق . ستة امتار . حسنا ! يمكننـا الاستمرار . ثلاثة امتار ...

نسمع اصواتا . كل كيـاني يهتز بانفعـال مـروع مهلك . المقاتلون هناك ... وهنا دموع تنز فوق الصمت . صوت المحرك المنخفض . المصباح الكهربائي على الشاطيء . نوره ينبعث مغربلا عبر قطعة ثياب . نوره يرشدنا . النار خامدة فوق الهضبة .

المجد للمقاتلين !..

مقياس الاعماق يسجل مترين .. نتوقف من جديد . القبطان يستشيرني . أنه ينوي التقـدم حتى عمق مترونصف . الافضل هو ان نقترب من الشاطيء الى درجة لانحتاج معها الى استخدام القارب للنزول الى البر . مقياس الاعمـاق في مقدمة السفينة . العمق منـاسب . نتقـدم بهدوء .

من المعروف في قصـص هوميروس انه عندما يتدخل اله شرير ينقلب كل شيء راسا على عقـب في دقائق . لكن ، من اين تتدفق هذه الرياح ؟ لقد كنـا نشعر بنسمة خفيفة منذ لحظة، وهاهي دوامة من الرياح تمسك بتلابيب كل شيء . القبطان يصيح يختنا يتأرجح بموجتين اوثلاثة. القينا بالمرساة الى المـاء . قد لا يكون الامر خطيرا الى هـذا الحد . سننزل القارب . سيمكننا من التعرف على منحنيات الشاطيء والحصول على اخبار من البر . القـارب ليس له محـرك ، لان المحرك يحدث ضوضاء شديدة . زناتي يصر عـلى النزول أولا . وضعته في القارب مع بحـار ومجدافين ودستة من الاسلحة بلا ترتيب . القـارب يلف حول السفينة . يتقدم بصعوبة .





امواج عالية . السفينة تهتز .. قلق القبطان شديد . يقول لى ــ رغم كل شيء ــ : « المرساة لن تصمد » .

لنربط الحبال حتى تصبح حبلا واحدا طويلا يصل الى الجزيرة الصخرية . ينقصنا قارب ثان . كان سينفعنا . المرساة لا تنغرس فى القاع . البرد يستولى علينا .

يجب أن نسرع . أصوات . أصداء . من المحتمل ان يكونوا الفرنسيين . ربما كانوا من ماليلا . كل شيء يفرض علينا ان نفرغ حمولتنا بسرعة .

الخليج يتحول الى جحيم دوامات . القبطان يسألنى بصوت نصف نبرته مازحة والنصف الاخر جاد : « ماذا لو أننا نلقى بكل حمولتنا الى الماء ؟ هل يمكننا ان نستعيدها بسهولة ؟ »

لا اجيب .

مزيد من الشك . التيار يجرف السفينة نحو الشاطىء . ببطء ولكن باستمرار بلا مقاومة .. مؤخرة السفينة تواجه الشاطىء . ماذا هناك ؟ ما هذه الضوضاء ؟ سنعرف اذا استمروا فى الحديث بصوت مرتفع . هاهم زملائى . ينتقون الاسلحة ، ويفتحون الصناديق الكثيرة . صوت مجاديف فى الماء . القارب يظهر وهو يكافح بشدة لكى يتقدم . يرسو ، بعد صدمة .. عدة صدمات . زنانى يقفز الى البحر . القارب مملوء بالماء حتى ثلثه . هل نحن مغضوب علينا ؟ لا ، انها آخر محنة ينزلها الله بنا حتى نستحق الثواب . لابد من السيطرة على السفينة . مؤخرتها انجرفت تماما فى اتجاه الشاطىء . التيار يمنع تقدم قارب جيلالى نحو الصخور . القارب يرتفع ثلاث مرات . الامواج والرياح تتقاذفه . القارب يقترب من اليخت . اخيرا نسمع صوت جيلالى : « لقد وصلت » . فى الفترة التى

استغرقها ربط الحبل وتثبيته حول قمة صخرة اقتربت الحمولة .. معانقة جيلالى بعد ان ادى مهمته . استكمل شحن القارب . هل هذه هى كل حمولته ؟ يجب ان يعود زناتى بعد هذه الرحلة . سيخطرنى عما اذا كان ممكننا حمل الصناديق بالايدى فى الماء دون استخدام القارب .

القلق يتزايد فوق السفينة . اعصاب الجميع متوترة . مؤخرة السفينة تحتك بشىء . صدمة مكتومة .. واخرى . القبطان يصيح : « لقد لمسنا القاع ! جنحت السفينة . لابد ان هناك صخورا . »

اهدئه قائلا : « هل انت واثق من ذلك ؟ »

اجابة مرتبكة .

اكرر : « هل انت واثق من ذلك ؟ »

صدمه جديدة . هزة . الحبل ينقطع . حركة دوران فى مؤخرة السفينة . شىء اشبه بصوت انكسار مكتوم . القبطان ينتابه الياس . يرفع يديه الى السماء . يصيح . يهيج . لابد من ربط الحبل من جديد . كيف يمكن ذلك بدون قارب ؟ نائب القبطان يلحق بنا عند مقدمة السفينة . النائب يتحدث مع القبطان بالانجليزية . الاثنان يتوجهان نحوى . يقولان بدربة دبلوماسية : « المؤخرة ثقيلة جدا . لابد من تخفيف حمولة السفينة .. انها الطريقة الوحيدة لابعادها عن الصخور وتعويمها مرة اخرى ، على ان يساعدنا الرجال الخمسة والسبعون الموجودون على الشاطىء ، وأن يعملوا طوال الليل عندما تتحرر السفينة من حمولتها ستنتظر الصباح فى عرض البحر .. يمكنكم انتشالها فيما بعد .. انها لن تطفو ولن تتحرك من مكانها لانها ثقيلة جدا ... المقاتلون يمكنهم ان يقدموا هذه الخدمة الى « دنيا » والى قائدها ، والى طاقمها ، والى كل من عملوا من اجلها .. »

انى اتمالك نفسى بصعوبة . انفجر قائلا : « اذا كانت لديكم القدرة على ان تجعلونا محايدين بالقوة ، فسيكون فى استطاعتكم عندئذ ان تلقوا بالاسلحة الى البحر » .

الاجابة : « ومع هذا ، لابد .. »

اضيف : « لقد قلت كلمتى ... »

نائب القبطان يسحبنى من يدى مهدئا من روعى ويقول : « سيكون كل شىء على ما يرام . »

نجحت فى اللحاق بجيلالى ، وبوخروبة ، ومحمد

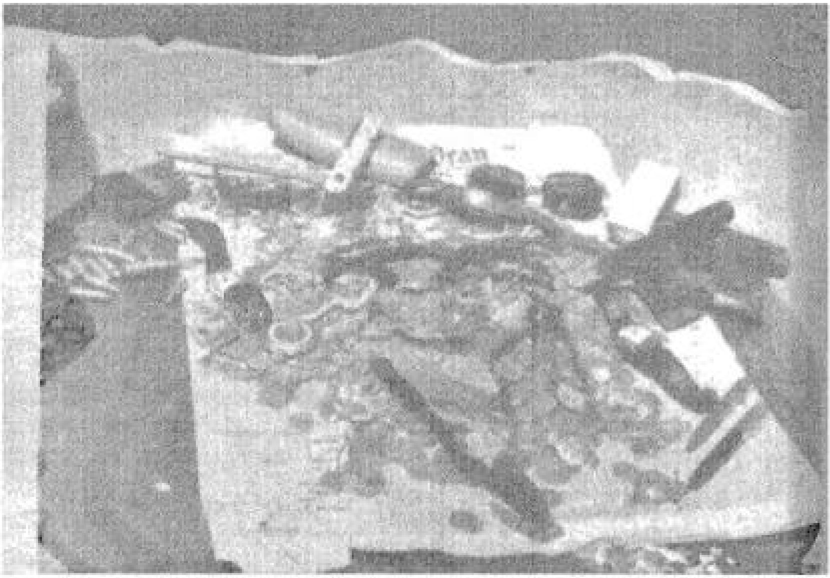


اشرح لهم الموقف فى كلمتين اقول فى ختامها : « اذا حاولوا القاء الصناديق فى البحر ، فليلحق بى احدكم . معى مسدسان تحت قميصى . . سأعطيه واحدا . سنستولى على السفينة بقوة السلاح حتى يتم تفريغ الشحنة . اما عن الاخوين الاخرين فليس عليهما الا أن يحرسا المخازن ، وبعدها اطاقم السفينة . لا تطلقوا النار الا بامرى . تمسكوا بالهدوء والنظام . »

القبطان يقترب منى . انه منهك القوى . متألم بعمق . يطلب منى أن اقترح عليه وسيلة لتثبيت السفينة ولو مؤقتا . افكر فى الامر لبضعة ثوان ثم اعطيه صندوق ذخيرة زنته خمسون كيلو جراما . اذا ربطنا الصندوق بحبل والقيناه فى البحر فسيكون بمثابة مرساة اضافية . زملائى يتولون المهمة . لا داعى لوصف نظراتهم الى وهم مقدمون على هذه التضحية .

السفينة تتارجح . فى ظلام الليل وهدير البحر . تتراجع بسرعة اقل ولكنها تتراجع . أيديهم دامية من كثرة رفع اغطية الصناديق ونزع الاحزمة المعدنية من حولها . القبطان يعود من عنبر المحركات ويمسكنى من يدى ويقودنى الى القمرة . يجلس على السرير . رأسه بين يديه . انه رجل تعس . يعترف لى قائلا : « لقد بدات المياه تغمر عنبر المحركات . . لم ارغب فى أن اخبرك من قبل . . السفينة تكاد تضيع » . استوقفه لاقول : « اذن فلقد كان هذا هو سبب وجود الماء فى القمرات الصغيرة طوال الرحلة ؟ » . يهز راسه موافقا . الان فهمت كل قلقه منذ الرحيل . يستطرد قائلا : « خدعونى . . انا طيب اكثر مما ينبغى . قالوا لى أن الرحلة ستكون من طرابلس الى مالطة او من طرابلس الى أوروبا . فى كل مرة يصيبنى الضعف وأسافر مسافات أبعد من المتفق عليه . انظر الى هذه السفينة . انها لم تخلق لتمضية اكثر من ليلة واحدة فى البحر او اقل من ذلك ، حسب الاحوال ! » اشعر بالحزن . اشعر بالخجل . صمت طويل . لا اجرؤ على النظر الى شخص مناضل شجاع نشط وهو فى مثل هذه الحالة . القبطان يتمالك نفسه . يقف . يبتسم . ابتسامة تفيض بالمرارة . يضع يده على كتفى . يبدو وكأنه قد كبر فى السن . يقول لى وقد شد قامته ـ : « ياعزيزى لقد افلست . استمر فى القيام بواجبك . بارك الله حركتكم » . اشعر باضطراب . لكن الصناديق لن تذهب الى قاع البحر .

القارب تأخر . ها هو يتخبط فى الدوامات . يقترب من الشاطىء بمنتهى الصعوبة . . زنانى عار الا من جلباب ريفى يظهر وضاء فى هذه المغامرة . انه يعمل . يقول بلهجة المنتصر :



« القارب لف مرتين . كان لابد من صيد الاسلحة من قاعه المتلىء بالماء وهى غرقى . الاخوة على الشاطىء لا يملكون اية وسيلة نقل وهم يرتعدون من البرد » .

حسنا ! ما دامت الضرورة تقتضى ذلك . يجب اولا : ربط الحبل مرة ثانية . : محاولة القيام برحلة أخرى بالقارب لاحضار مسئول من الشاطىء الى هنا .

التنفيذ : القارب يفرغ من المياه . . مهمة جديدة ورائعة لجيلالى الذى نجح فى اصطياد طرفى الحبل وعقدهما رغم الدوامات ورغم الأمواج الخطرة وعصف الريح . اختيار «متطوع» من بين البحارة للذهاب الى الشاطىء . مصادفة مؤسفة : لا أحد من البحارة يعرف السباحة . رحيل القارب بحسرة .

نعود الى الصناديق والاسلحة . أسمع نائب القبطان وهو ينصح القبطان مرارا بقوله : « هدئ من روعك ! » أراه يرتكز بكوعه على حافة جدار السفينة . يحدق فى الظلام . يستدير نحونا من حين الى آخر لكى يلقى الينا بكلمات تقول : « هيا .. هيا اعملوا » . عبارة يقولها وكأنه فى كل مرة ينطق بها مجازفة تلقى به الى البحر . لا زلت أترقب كلّ حركة . كل وقفة ان الرصاص



ينفجر بسرعة في مثل هذه الحالات، خاصة عند وجود عدة اطنان منه .

فرقعة !

هذه المرة لا أمل . انقطع الحبل . السفينة تتجه الى الوراء .

فرقعة !

فرقعة طويلة مكتومة في نهايتها . أنين شاكى لحيوان يحتضر ، وأحشاؤك تتمزق عليه . القبطان يرتمى على . فمه يلتوى في يأس . لا يخرج أى صوت . يبدو كالأبله . آخذه حتى عنبر المحركات . الماء يرتفع باستمرار . انشقت المؤخرة . ليس امامنا الا الاستسلام . اننا ندرك الان أن الخشب يرتطم بالصخور .

لنصلح الاهم . أعطيهم صندوقا آخر ليوازنوا المقدمة . الاخوة يحاولون سد الشقوق والثغرات باخلاء عنبر المحركات بقدر الامكان . اجلاء الذخائر الباقية في قاع السفينة لانقاذها من الماء .

بالقسوة الاقدار !.. ومع هذا فلهذه المأساة فوائدها الجمة .

اصبحت السفينة على بعد بضعة امتار فقط من رمال الشاطىء الجافة . لم تعد الان في حاجة الى أية جهود . انها الان بلا حراك . مشلولة . محكوم عليها بالاعدام .

أمل اخير !

اذا اخلينا اليخت من حمولته بسرعة فربما قلت الخسائر ، وانقذت مؤخرة السفينة من الغرق .. اذن لابد من الصراع ضد الوقت ، مهما كانت الاحتمالات .

اجتماع ثلاثي قصير مع القبطان ونائبه . محدثاى يشرحان الموقف يبدوان وكأنهما يرغبان في اتخاذ قرار . هذا بسيط . اطلب منهما ان يستريح ويستريح الضابط والطاقم . اعدهما بانه في الساعة الواحدة صباحا يستطيع القبطان بمفرده ان يقرر مصير السفينة . حتى ذلك الحيف سيكون لى ولزملائى سلطة التنظيم والتصرف . اذن ، فان «دنيا» لن يخلى سبيلها حتى الواحدة صباحا . أوافق على تخفيف حمولة اليخت من الاسلحة التى لم يتم تفريغها وأن يحاولوا سحبه . اتفقنا .

بعد ثلاث عشرة ليلة بلا نوم ، ومع كل هذا القلق والضيق المتواصل ، ونحن في حالة يرثى لها ، أوقف التدخين .. في هذه اللحظة الحرجة ، فقد منعت التدخين في هذه الليلة من باب الاحتياط . لنجتر من اعماق انفسنا طاقة حيوية اخيرة . بدأت العمل .

اخواني يجلون الاسلحة والذخائر من قاع السفينة الى سطحها بمعدل صندوق في الدقيقة . بدات معهم العمل حتى انظم ايقاعه . في انتظار عودة القارب .

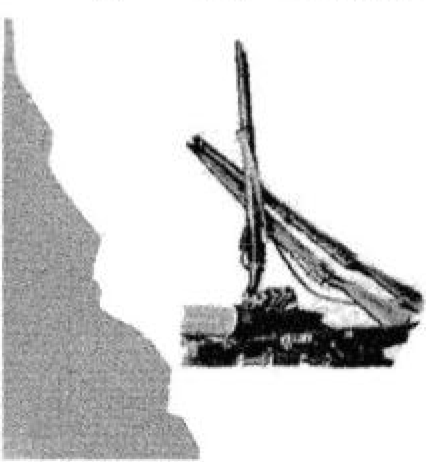
لكن القارب لم يعد . غرق . وللاسف شرحوا لي ايضا ان الاسلحة ذهبت الى القاع ، غير ان المقاتلين يحاولون انتشال الشحنة . لا وقت نضيعه . ضممت كفاي حول فمي كمكبر للصوت واطلقت السؤال التالي بلغة عربية عامية : « هل يستطيع احدكم ان يصعد الى السفينة ؟» .. اجابوني بوضوح : « نعم . فورا » . وكررت السؤال نفسه . ما كدت انطلق آخر كلمة حتى سمعت أن هناك من يخترق الماء . دقيقتان . أرى النصف العلوي لجسم عار تعلوه عمامة ريفية . انه مستمر في التقدم . يلمس هيكل السفينة بيده . رأسه فقط هي الجزء الظاهر فوق الماء . سؤال بلهجة أولاد البلد المثيرة : « من منكم نادير ؟ » . اجيبه وانا مرتكز على الجدار في أقصى مؤخرة السفينة : «انا .. أهلا وسهلا» . يقدم نفسه قائلا : « بومدين .. مسئول نادور . » دقيقة انتظار حرج ثم اسمع : « انني عار تماما .. » لم أكن قد فكرت في هذا اطلاقا ! زودته ـ انا وبوخروبة ـ بالثياب .

بومدين يصعد الى السفينة .

اقوده الى القمرة . اقدمه الى القبطان ونائبه . ولاقناعهم جعلته يكرر ان خمسة وسبعين رجلا مستعدون للوقوف في شكل سلسلة في الماء المثلج لتفريغ الاسلحة والذخائر .

القول يعقبه التنفيذ فورا . حبل متين جدا يمتد من الجانب الخلفي للسفينة الى الشاطىء .. وعلى عمق خمسين سنتيمترا في الماء حبل اخر ارفع يلمس البحر . نداء من بومدين . الرجال يتسللون الى البحر . السلسلة تتكون في ثلاث دقائق . المقاتلون يقفون عراة في الماء بين الحبلين وبين كل واحد منهم والاخر مسافة خمسون سنتيمترا . الصناديق والاسلحة والعلب تمر فوق الرؤوس وهي تنتقل من يد الى يد . منتصف الليل ولم تبق لي سوى ساعة واحدة . ساعة الدكتور فاوست .

على البر يوجد تنظيم اخر . ما ان تصل الشحنات الى الشاطىء حتى توضع فوق ظهور البغال او على اكتاف الرجال «مقاتلون



من قبدانة ومقاتلون ريفيون » . الاسلحة تكوم فوق هضبة صغيرة في منتصف الطريق بين الشاطىء وقمة الجبل . من هـذا المكان يقوم الحمارون بحمل الاسلحة والذخائر الى المنازل حيث تظل مخبأة الى أن تنقل من مكان الى مكان حتى الحدود .

عمل متواصل. سرعة جنونية. الدماء تلطخ اخواني . مقاتلان ننتشلهما الى سطح السفينة وقد اغمي عليهما بسبب شدة البرد. العمل يسير . نحن سعداء . السلسلة تبدأ من فتحة قاع السفينة عند المؤخرة حتى الشاطىء . تعمل باستمرار . انها تروس تدور وتدور لكي توزع الحمولة الى كل مكان . جو محموم . القبطان ونائبه وأنا نخفى عن رجالي انني سأتركهم على ظهر السفينة « هم مقيدون كاعضاء في الطاقم في ماليلا ، اقرب ميناء » . اعرف جيدا كم سيقاسون بسبب افتراقهم عن اسلحتهم . لكن كيف يمكن أن أتصرف غير ذلك ، لكي نواجه ارتياب السلطات البحرية والبوليسية اذا ما استولت على السفينة ؟ هذا هو مايبدو لي الان بدون أى شك . لذلك فأنا اكذب هذه الليلة . اكذب كلما سألنى أحد زملائى عن الميناء الذى سنرسو فيه الساعة الواحدة الا ثلثا . لم يبق الا بضعة صناديق لكي نعطيها للسلسلة . السلسلة بترت في عدة حلقات . عشرة من المقاتلين سقطوا من التعب والانهاك . الواحدة الا عشرة . تمت العملية .

***

القبطان ينتظرني في قمرة القيادة . اقرأ في عينيه دلائل حزن وعطف . نائبه صارم . انه يسلمني كنز السفينة : سجل اليوميات . مسدسه ومسدس القبطان المرخصان في احدى الدول . جوازات سفر مزورة وحقيقية .

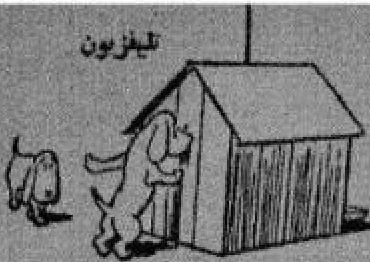
فور اولى كلماتي يخرج محمد غاضبا . جيلالى وبوخروبه وزنانى متصلبون كالحجارة . يبكون . اوصى القبطان ونائبه بهم خيرا واشرح لهم انهم سيتابعون حركة المقاومة في مركزهم المؤقت كطاقم للسفينة هذه هي الطريقة الوحيدة لابعاد ريبة وشكوك الاسبان والفرنسيين ، ولاتاحة الوقت الكافي لنا لكى توصل الاسلحة الى الجزائر والمغرب قبل أن تعرقل التحقيقات عملنا أو تجعله عقيما . اضيف اننا سنلتقى قريبا في المقاومة ، وأن عليهم الا يخشوا اية اخطار او تعاسة وهم على السفينة . ينصتون باحترام شديد . يوافقون ولكنى أتبين في نظراتهم توسلا اخر بأن اصحبهم معى . أخرج ..

صدق أو لاتصدق . لكن مايلى حقيقى تماما .

لقد عاد البحر ـ بعد دقائق الى الهدوء والسكينة .

ضحكات العالم .. في شهر ...

تليفزيون



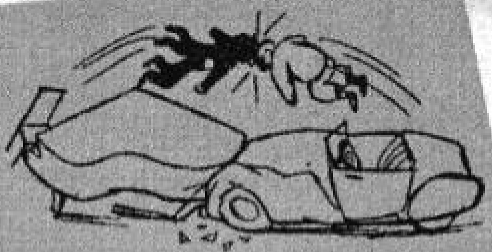


حفل التخرج !.



تصليح !.

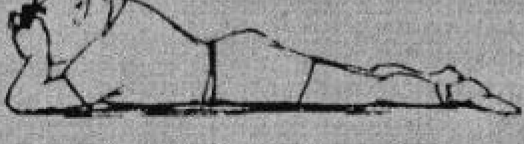
يقدمها عزت



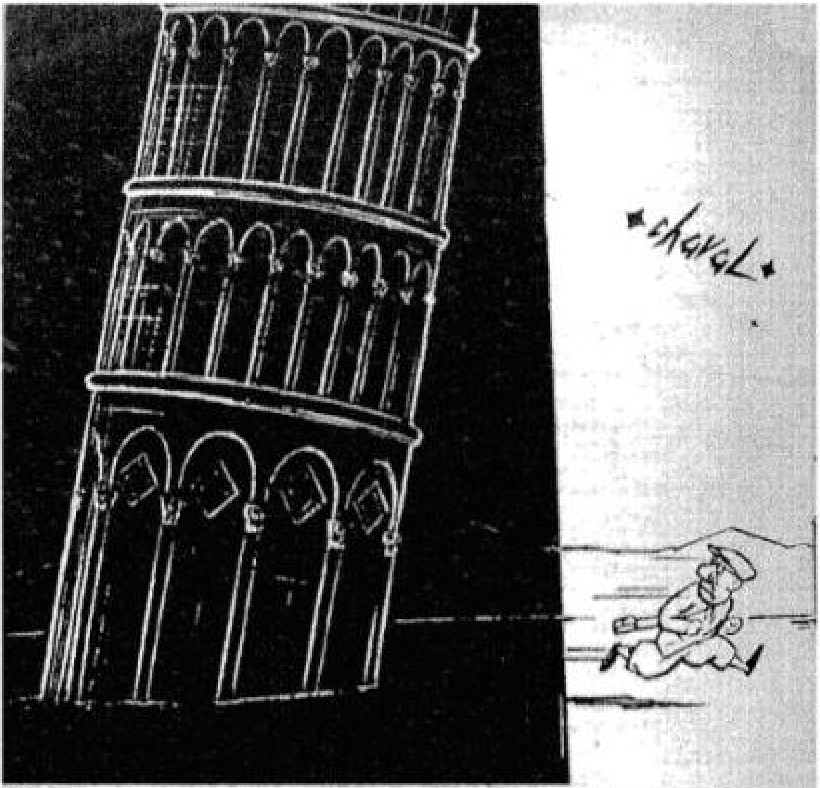
اصطدام ..



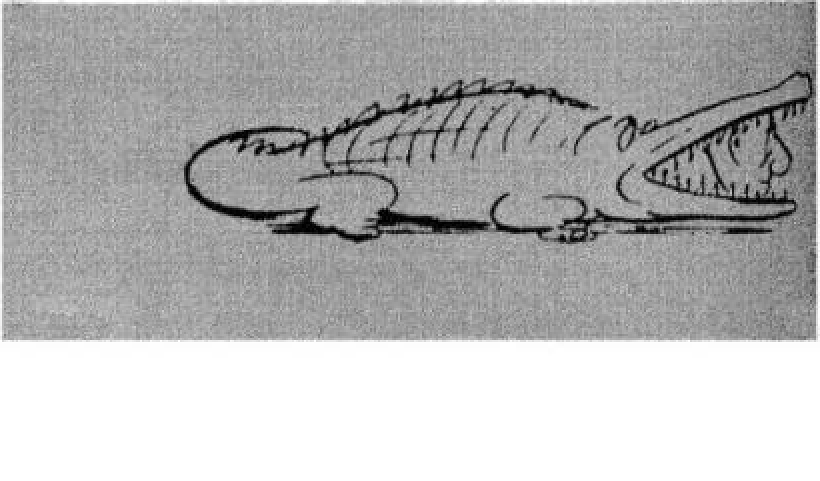
السلام



صورة ..
تذكارية ..

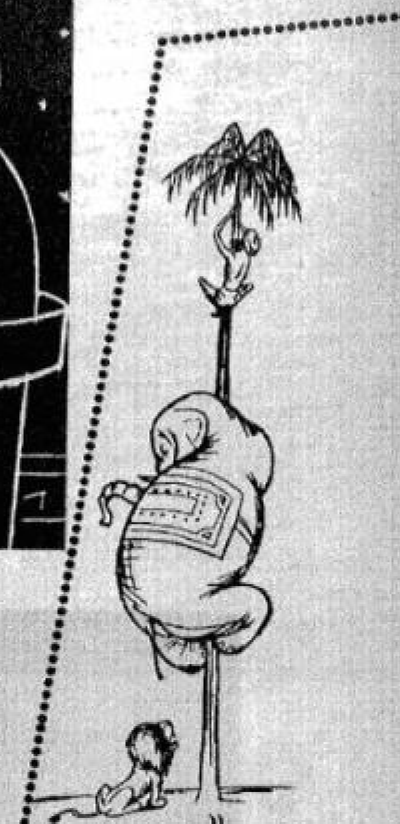


« بدون تعليق »

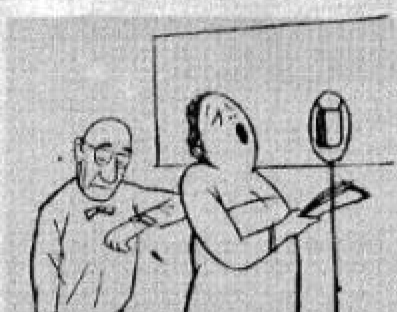




.. رصد القمر ..!

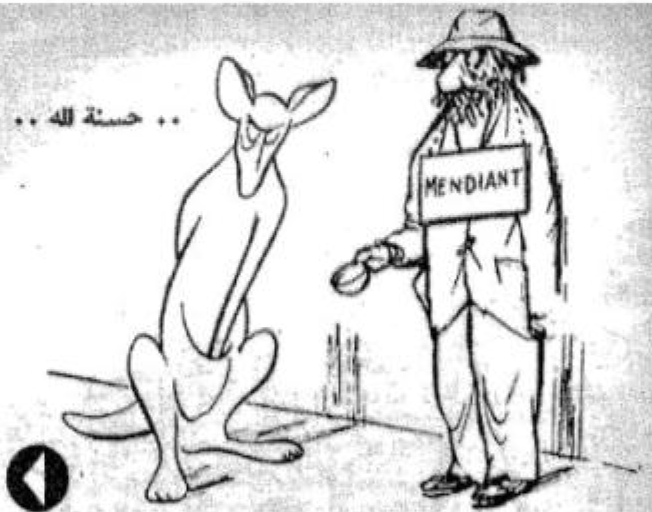


« ..... »



« وصلة طرب »

.. حسنة الله ..

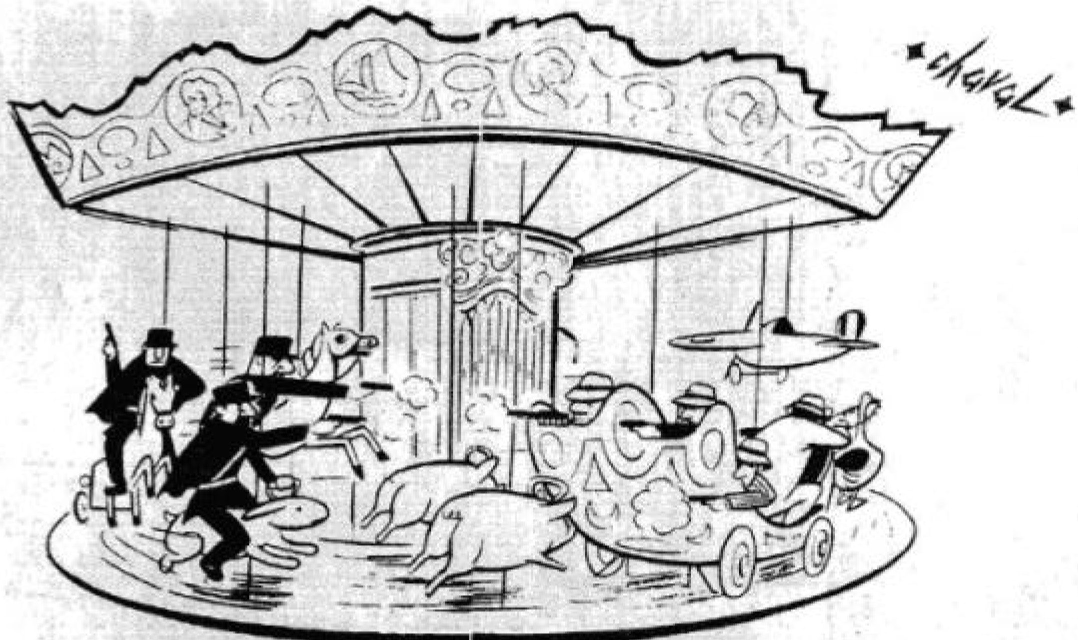


للسياح .. فقط ..





تليفزيون



فى الملاهى ..

صالح جودت :

يكتب من شيكاجو



حافظ ابراهيم

دايلان توماس



محنة الشعر

في أمريكا



نورمان روستن



كمنجز



عزرا باوند

اكتب لكم من شيكاجو ...

وحينما اقول شيكاجو ، تقفز الى اخيلتكم صور العصابات التي تتخذ من هذه المدينة الجميلة الضخمة مسرحا لاعمالها الارهابية، كما رأيتم في عشرات الافلام

ولكن الافلام تقول دائما اكثر من الحقيقة .

فالحقيقة ان العصابات قد بلغت ذروة ارهابها في هذه المدينة في عهد تحريم الخمر . وقد انقضى عهد تحريم الخمر منذ سنوات طويلة ، فهدأت ضراوة العصابات، وبقيت منها الذيول .. الذيول التي لا تزال تسطو بين الحين والحين على البنك والمتجر والحانة ... وحتى الكنيسة ... وتسرق الخزانة ... وتلوذ بالفرار

ولا يزال هنا نفر من البلطجية ، كبلطجية صاد الدين في العهد البائد ، يؤلفون فيما بينهم نقابة تفرض الاتاوات على الملاهي والحانات والكاباريهات !

على انني لا اكتب من شيكاجو لاحدثكم عن العصابات ، بل عن الشعر ، فلي هذه

المدينة ، نستطيع أن نظفر بالمجلة الوحيدة المتخصصة في الشعر في الولايات المتحدة، وهي مجلة Poetry الشهرية

هناك مجلات أخرى للشعر ... منها The Fiddle head التي تصدر في فريد ريكتون ... ومجلة : The Beloit Poetry Journal التي تصدر في ويسكو نسين ... ومجلة Voices التي تصدر في « مين » .. ومجلة Bitterroot التي تصدر في بروكلين « وتطبع أحيانا على الرونيو ».

ولكن جميع هذه المجلات وغيرها تضطر الى الخروج عن رسالتها الاصلية في بعض الاحيان ، وتمزج الشعر بالنثر بالقصة القصيرة ، لكي يكتب لها البقاء

وبعضها يصدر شهريا في أول الامر ، ثم يتعطل ، ثم يصدر كل ثلاثة أشهر ، أو كل ستة أشهر ، أو كل سنة .. أو كل ما ربنا يفرجها !

ذلك ان الشعر الامريكي ، كما روى لي الشاعر روبرت مولر ، نائب رئيس تحرير مجلة « بويتري » يعيش في محنة ...

هناك شعراء كثيرون ... كثيرون جدا ... ولكن قراء الشعر قليلون ، بل أقل من القليلين !

وحسبك أن تعلم أن مجلة « بويتري » ... وهي أكبر مجلات الشعر في أمريكا ، سعيدة كل السعادة بأنها توزع ٦٥٠٠ نسخة !

ومن هنا كثرت الضحايا في ميدان الشعر الامريكي ...

وفي طليعة هؤلاء الضحايا ، الشاعر الكبير ازرا باوند ... الذي سمعت قصته هنا من عشرات من المفتونين بشعره

وأنا شخصيا من المفتونين بشعر ازرا باوند ولكن ازرا باوند كان فاشيا متطرفا .. وفي الحرب العالمية الثانية ، لم يستطع أن ينكر تعلقه بالفاشية ، واعجابه بموسوليني ونظام حكمه في ايطاليا ، ولم يحاول أن يخفي هذه الحقيقة في أحاديثه بالصحف والاذاعة

ويومئذ ـ خلال الحرب العالمية الثانية ـ

روبرت فروست .. قصيدة من عصير التفاح ..!



كانت تهمة الفاشية خيانة عظمى ، عقوبتها الاعدام

وتطاولت الالسنة الصهيونية على الشاعر الكبير ، الذى كان احد أعمدة الشعر الامريكى الثلاثة فى ذلك الحين ، وهم : **روبرت فروست و ت.س. اليوت وازرا باوند**

وطالبت هذه الالسنة بتقديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ، وباعدامه

غير أن الحكومة الامريكية وجدت حلا آخر بديلا عن الاعدام ..

اتهمته بالجنون !

وهكذا زج بالرجل فى احد مستشفيات الامراض العقلية ، وبقى هناك عدة سنوات، الى أن انتهت الحرب ، وتوسط له صاحبه الشاعر الكبير **روبرت فروست** عند القائد المنتصر **ايزنهاور** ـ رئيس الجمهورية بعدئذ ـ ليفرج عنه على أن يغادر البلاد

وهكذا خرج ازرا باوند من وطنه واصبح طريدا شاردا فى الارض

ت. س. اليوت



وعاش فى لندن ، ثم فى باريس ، ردحا من الزمان ، ثم استقرت به النوى فى ايطاليا ، الارض التى أحبها واستطابها وتعلم لغتها ، ونظم بها ايضا

ولا يزال الرجل هناك فى شيخوخته ..

وحينما قالوا له فى العام الماضى ان جمعية الشعراء الامريكية منحته جائزتها السنوية، ابتسم ابتسامة باهتة ، وقال انه: **لن يعود ... واذا عاد فانه لن يلبث ان يرحل**

وقبل أن نترك الحديث عن ازرا باوند ، اترجم لكم هذه المختارات من قصيدته التى اعدها لتنقش على قبره :

« لثلاثة أعوام ، فى منأى عن روح الزمن الذى عاش فيه ..

« جاهد ليبعث الحياة فى فن الشعر المحتضر

« وليحافظ على الاشياء الجليلة

« فى معناها القديم

« لقد اخطأ منذ البداية

« بل لعله لم يخطىء

« ولكنه استكشف انه ولد فى وطن نصف همجى ...

« بعيد عن روح العصر

« قاصر على ان يعتصر الزنابق من البلوط » !

فى شيكاغو ...

فى هذه المدينة الحافلة بأضخم الابنية، بأنصاف ناطحات السحاب، بحظائر السيارات التى ترتفع الى الدور الخامس عشر ، بمقر صحيفة «الشيكاجو تريبيون» اليومية، الذى يرتفع الى ثلاثين طابقا ... بالعمارة التى يملكها «الرئيس الراحل كينيدى» التى يسمونها « ميرشا نداير مارت » ... بكل ما فيها من متاجر ومصارف ومكاتب ومطاعم ودور للاذاعة والتليفزيون ..

فى هذه المدينة الضخمة ، تكتفى مجلة « بويترى » بأن تقبع فى شقة صغيرة فى الطابق الارضى بحى متواضع من « النورث

ستيت » ··· وكل ما فيها من الناس سخة ··· ابتداء من رئيس التحرير الى السكرتيرة الحالة الحسناء التي تجرب يدها في الآلة الكاتبة ، وقلبها في الشعر

وبينما تكييف الهواء يملأ جو المدينة·· في البيوت والمكاتب والمتاجر والدواوين والمصاعد ··· وحتى المترو والاوتوبيس وسيارة التاكسي ··· يعيش هؤلاء الستة في مكان لا يعرف تكييف الهواء

ودرجة الحرارة ــ وانا اكتب لكم هذا المقال ــ اكثر من اربعين ، ودرجة الرطوبة اكثر من ثمانين !

ولعل الشاعر روبرت مولر اشفق علي من وطأة الجو ، فسألني في استحياء رقيق ان اعبر معه الشارع الى الجانب الآخر ، لاتناول فنجانا من القهوة في « حانة ۱۰۰۱ » ··· نفس الحانة التي كان الشاعر الانجليزي الكبير ديلان توماس يهرع اليه كل صباح كلما جاء الى شيكاجو ، ليشرب فيها صبوحه ، فقد كان ديلان توماس يؤمن بأن الشراب هو قوام الوجبات اليومية الثلاث !

وعلى دخان القهوة ، روى لي الشاعر مولر قصة مجلة « بويتري » · قال :

ان عمر هذه المجلة من عمري ···

لقد ولدت قبل مولدي بشهرين · لن اقول متى · ولكن حسبي أن اقول ان عمرها الآن ــ كما يقول استاذنا فكري اباظة كلما سئل عن عمره ــ فوق الاربعين ···

انشأتها سيدة متعلقة بالادب ، ذات شخصية اجتماعية بارزة ، اسمها هارييت مونرو

وقد استطاعت في حياتها ان تفرض على الهيئات والمؤسسات مد يد المعونة للمجلة ، حتى تستطيع البقاء

ثم ماتت هارييت مونرو ، فاحتضنت المجلة جمعية الشعراء المحدثين ، وعاشت على مواردها الضئيلة من حصيلة البيع ، ومن التبرعات التي تتلقاها من بعض الهيئات والافراد ، وهي محدودة وقاصرة ، الى حد ان صحيفة « شيكاجو ديلي نيوز » كتبت منذ عامين مقالا استهلته بقولها : ان اهم مجلة ادبية في العالم ــ مجلة بويتري ــ قد اكرهت خلال سنواتها الثماني الاخيرة على التسول العلني ، والفناء من اجل عشاقها ، لكي تعيش ، في مدينة تعتبر من اغنى المدن ، وفي امة من اغنى امم الارض » !

وتذكرت للشاعر مولر ماذا تفعل الدولة عندنا من اجل الشعر

ذكرت له ان لدينا جائزة للدولة قوامها ۲٥۰۰ جنيه كل عام ··· لاقطاب الادب عامة ، الى جانب جائزة للشعر قوامها ٥۰۰ جنيه كل ثلاثة اعوام ··· وجائزة لاحسن ترجمة لحياة شاعر قومي قوامها ۲۰۰ جنيه كل عام ··· وجوائز لشعراء الشباب ، والشعراء الجامعات ، قوام كل منهما ۱۰۰ جنيه كل عام ···

واضفت له ان الدولة عندنا تطبع الدواوين ، وتترجم الشعر من اللغات الاخرى واليها ، وترعى برامج الشعر وتنشر انتاجهم

وبهت المسكين مما ذكرت ، وقال لي

« اننا هنا ندفع للشعراء خمسين سنتا ــ اي ۲٥ قرشا ــ عن كل بيت ، بصرف النظر عن قدر الشاعر · والجائزة السنوية الوحيدة التي نمنحها للشعراء قدرها مائة دولار ··· كان يتبرع بها الرئيس الراحل كنيدي لمجلتنا ··· ولسنا ندري الستمر الجائزة ام تتوقف بعد وفاة كنيدي » ؟

ومع هذا ··· فان مجلة « بويتري » تنطق باسماء شعراء العالم الذين ينظمون بالانجليزية ، وقد تخرج فيها كثير من اعلام الشعر الامريكيين والانجليز ، وعلى صفحاتها نشر ت · س · **اليوت** اول قصيدة نشرت له في حياته سنة ۱۹۱٥ ، ولم يكن احد يعرفه في ذلك الحين ·· **وازرا باوند** قصائد كثيرة على صفحاتها تبدأ من العدد الاول ، وقد كان بعد ذلك مراسلها في الخارج

ومع هذه الامجاد كلها ، فانها تتسول وتتضور جوعا في اغنى امة في الارض !

واسأل الشاعر مولر : **ما سر هذه العنقاء مع وجود كل هؤلاء الشعراء عندكم ؟ لقد عثرت على شاطىء بحيرة شوتوكوا وحدها · وهي بحيرة قريبة من مدينة جيمستاون بولاية فرجينيا ، باكثر من ثلاثين شاعرا وشاعرة ··· فما السر ؟**



ريتشـــارد ويلبور .. فاز بجـــائزة بوليتزر عن ديوانه « اشياء فى هذه الدنيا »

قال : السر .. هو قلة القـــراء .. ان الامريكيين يفضلون السينما والتليفزيون والراديو ... والمجلة المصـــورة ... على الشعر !

وهذا صحيح ...

الامريكى العادى لا يحب القراءة المتعمقة ويفضل أن يأخذ معلوماته فى برشامة

لا يستطيع ان يقرأ مثلا كتابا كاملا عن فلسطين، ولكنه يؤثر أن يسمع القصة كلها فى محاضرة مداها ساعة على الأكثر . وهذا سر عرفته الصهيونية ، فأحسنت استغلاله، ولم ندركه نحن بكل أسف !

●●●

وانتقلنا بعد هذا الى الحديث عن اتجاه الشعر الامريكى المعاصر ، فقال لى الشــاعر مولر ان الشعراء الشبان يختارون الطريق الاسهل ، بكل أسف ، ويريدون الشهرة ولا يريدون العناء ، ولهذا يختـــارون طريق الشعر الحر ، والشعر المرسل ... وكل شعر مجرد من الوزن والقافية ...

نفس المحنة عندهم ... وعندنا ... وعند الجميع !

ومهما يكن من أمر ، فلا يزال على الجانب الغربى من المحيط ، فى هذه الدنيا الجديدة، شـــعراء فحول ، يؤمنون بالكلاســـيكى والرصين ، ويدركون ان الشعر يتجرد من صفة الخلود اذا تجرد من الوزن والقافية

فى طليعة هؤلاء الســائرين الى الخلود ، ريتشارد ويلر ، **وكامنتجز** ، **وايلود ونترز**

ولا أقول انه من العجيب،بل من الطبيعى كل الطبيعة ، أن يتمشى شعر هؤلاء الثلاثة، ولا سيما كامنتجز وونترز ، مع المدرســـة الاخلاقية ... مدرسة القيم الجمالية العالية

●●●

على ان محنة الشعر فى امريكا لا تعدو أن تكون جزءا من محنة الشعر فى العالم كله

وكم عانى **حافظ ابراهيم** وغيره من أعلام الشعر عندنا صنوف الحـــرمان ردحا من الدهر .. وكما عاناها **فيرلين وبودلـير** فى فرنسا ... وكما عاناها أكثر شـعراء الارض ... عاش ازرا باوند أكثر حياته على الطوى منذ اول شبابه فى مدينة البندقية، عندما اصدر مجموعة شعره الاول « **اللهيب الثلاثى** A lume Spento

و ت . س . **اليوت** ، كان من الجائز أن يعانى هو الاخر مرارة الحرمان لولا أن شق لنفسه طريقا فى عالم النشر

روبرت فروست ، امير شعراء امريكا الذى ودع الحياة منذ نحو عامين ، ولقى من التكريم ما لم يلقه شاعر فى تاريخ امريكا .



شارل بودلير .. ازهار الشر ..!

الى حد انهم كانوا يقولون انه ما من مرة زار فيها روبرت فروست مدينة واشنطن ، الا التفت لتمثال واشنطن اليه ، وانحنى له!

هذا الشاعر العملاق ، مات وهو مدين لناشره الذى كان يجرى عليه بملا سنويا من جيبه ، تكريما له !

❁❁❁

واذا كان لابد لكل حديث من ختام مستطاب فأجمل ما نختتم به هذا الحديث عن الشعر الامريكى لقصيدة لروبرت فروست ، يفوح منها عبق التفاح :

- الى جانب السلم الفارع الذى يتكىء على الشجرة لحصاد ثمارها
- متطلعا نحو السماء
- لم يزل هناك وعاء لم يمتلىء بعد
- لم تزل هناك تفاحتان او ثلاث تفاحات
- لم تمتد اليها يدى بعد
- على اننى قد انجزت القطاف
- ان عبق نوم الشتاء يغمر الليل ، مع عبق التفاح
- وانا استسلم للكرى هذا الصباح
- لقد نزعت من وجه ماء الحوض لوحا من الثلج
- وتاملت خلاله هذه الحشائش البيضاء
- فاحسست بشىء عجيب ..
- لست ادرى كيف يمحى من ناظرى
- لقد ذاب الثلج .. وهوى وتهشم
- وكان النعاس قد استغرقنى قبـــل سقوطه
- وكنت املك ان اتنبأ على اية صورة ستكون احلامى
- سيتضخم التفاح فى خيال النائم
- ويبين ويختفى
- وتعلو حبات النمش كل تفاحة سمراء
- وساحس الالم ، قدى ... والتثاقل فى السلم .. تثاقل دورة الابد وهو ينتقل من شجرة الى شجرة
- وسأسمع قرقعة احمال التفاح
- وهم يلقون بها فى المخازن
- لقد عشت عمرى امارس القطاف
- وطالما تقت اليه حتى ارهقنى
- آلاف من حبات الفاكهة قطفتها وتمتعت بطيب ملمسها
- وكنت اضن بها ان تسقط على الارض
- فان ما يسقط على الارض يتلف
- ويتخره الدود
- وحتى ما سلم من هذا وذاك
- يعتصرونه ويجعلونه شرابا
- ان منامى لن يكون هادئا
- انه منام الحيوانات البائدة عبر الشتاء
- لا يتحرك ... ولا تتـــكلم ... ولا تجيب

ترى هل يكون نومى كنوم البشر



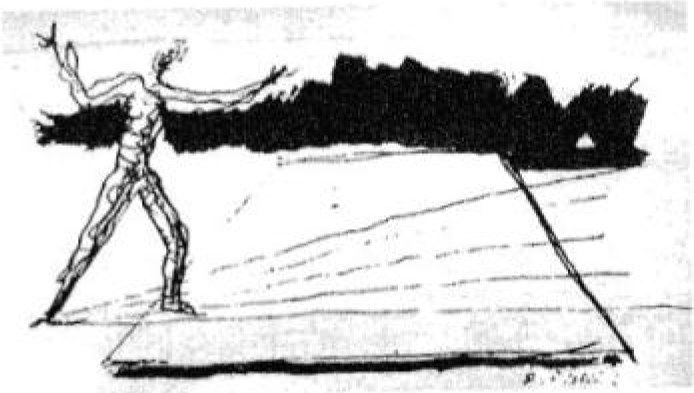
مسرحية للحريم فقط



للكاتبة الإنجليزية : دوريس ليسنج

دعونا نحيا

ترجمة وتعليق : صدقي عبد الله



كاتبتنا

من أدباء الطليعة في بريطانيا، أو أدباء « الصيحة الجديدة » التي تمثل جيل السخط ، والضياع ، والحيرة

انها انجليزية ولدت في ايران ، وتربت في روديسيا حيث مشكلة الالوان والاضطهاد العنصري على أشدها ، ولم تر وطنها الام « انجلترا » الا وهي في سن التاسعة والعشرين ، في سنة ١٩٤٩ – فهي من مواليد سنة ١٩٢٠ – وعادت الى وطنها ومعها روايتها القصصية الاولى « العشب يشدو بالغناء ! » ، فبيع منها في اول سنة عشرون الف نسخة ، واستقرت شهرتها ومكانتها الادبية ، ونشرت بعدها ثمانية كتب ناجحة قبل أن تطرق باب المسرح . وفي سنة ١٩٥٨ – وهي في الثامنة والثلاثين قدمت مسرحيتها الاولى « مستر دولنجر » فلاقت نجاحا شجعها على الاستمرار في التاليف المسرحي ، ثم جاءت مسرحيتها هذه « دعونا نحيا » فكانت عملا أثار الدهشة بجراءته وصراحته وواقعية تصويره لقطاع كبير من شباب بريطانيا في أزمة التحول التي تعانيها الحضارة الغربية

انها مسرحية غير مألوفة الاوضاع والاحداث ، ولكنها صورة الواقع المر ، وصرختها صرخة الرغبة في الخلاص : صرخة « الانسان العادي » الذي لا يريد حربا ، ولا يريد مجدا مخضبا بالدم ، ولا يريد أعلاما وعصبية .. ولكن يريد فقط ان يدعه تجار السياسة والحروب يحيا حياته النشيطة

والمقدمة « الموسيقية » للفصل الاول ، قبل ارتفاع الستار ، صوت انفجار مدو ، وترتسم على الستار بالفانوس السحري صورة انفجار ذري على شكل « عش الغراب » المعروف ، ثم يرتفع الستار بينما أصوات طلقات مدافع رشاشة تملأ المسرح ، ثم صوت انفجار ذري آخر ، ويتبين عندئذ ان الصوت صادر من جهاز تسجيل ترك دائرا في بهو بيت « ميرابوللن » بلندن ، حيث يوجد سلم الى ناحية اليسار من الخلف يؤدي الى الطابق العلوي ، وأسفل السلم أريكة كبيرة وعدة كراسي متناثرة وجهاز راديو صغير ، وكل شيء هنا تسوده الفوضى ، فعلى الارض ملفات ضخمة، وأكداس من الصحف ، ولافتات مما ترفع في المظاهرات مكتوب عليها : « حرموا القنابل الهدرية » و « نريد ان نحيا » و « لا نريد ان نموت » و « ليسقط تجار الحروب » الخ .. وعلى الارض آلة كاتبة والراديو يذيع موسيقى هادئة خفيفة وفي الوقت نفسه يواصل جهاز التسجيل اذاعة

أصوات الانفجارات والرصـــاص وصرخات الجرحى !

ومن الباب الايمن يدخـل تونى بولتن فى ملابس الخدمة العســكرية التى أنهها اليوم ، وهو شاب فى الثانية والعشرين رشيق وسيم ، رقيق لوحتــه الشمس ، ولكنه يبدو مرتبكا خجولا قلقا كأنه فتاة مراهقة ، مما يجعله أحيانا ــ لشدة خجله ــ يبدو عصبيا ميالا للمهاجمة • ويقف وسط الحجرة وعلى ظهره كيس امتعته العسكرية وينظر حوله الى الفوضى الشـــاملة بضيق وسخرية ، ثم يغلق الراديو ليســكت الموسيقى الخفيفة المرحة ، ويستمر جهــاز التسجيل فى اذاعة الانفجارات والطلقات ، ويصغى قليلا ثم يمر بيده على شعره فى عصبية ويغلق الجهاز ، ثم يفتح ستائر النافذة فيتدفق ضوء النهار ، ثم يستلقى بعرض الاريكة ويسود الصمت لحظة ، ثم يرن جرس التليفـــون ، فينهض ويرفـع السماعة :

ــ نعم أنا تونى • لا لست فى أجازة يا فيليب ، بل انتهت خدمتى وسرحونى اليوم نهائيا • لا لم أر امى بعــد •• لاادرى اين هى •• ومن هى روز مارى؟•• آه ساخبرها عندما اراها

وما ان يضع السماعة حتى تسمع غناء من أعلى السلم ، اغنية غرامية رخيصة ، وتسمع وقع اقدام تهبط الســـلم وترى « ميرا » امرأة وســـيمة فى الخامسة والاربعين تلبس بنطلونا وقميصا ذا وبرة مما يســـتخدم فى الحمامات او ملاعب الرياضة ، وليس لديها فكرة عن وجود أحد ، ويناديها تونى وهو راقد على الاريكة بتراخ من غير ان يتحرك :

ــ كيف حالك يا أمى ؟!

وتفاجأ ، وتنظر ناحيته بدهشة :

ــ تونى ! كان يجب ان تخبرنى بموعد حضورك !

ــ لم يخيل الى أنك بحاجة الى مايذكرك بموعد انتهاء خدمتى العسكرية ••

ــ آه • أنت الآن لست فى أجازة ؟••

أوه • ان كان فى حضورى ما يزعجــك فسوف أرحل !

ــ أوه • ما هذا الكلام • انهض عن هذه الاريكة ودعنى أنظر اليك والبك'ايها الولد العجوز

ويتراخ ينهض ويتركها تعانقه ، ثم بعد ذلك يقبلها على خدها بكل تهذيب واتزان •• وتســـتمر موجة فرحها المتآخرة فى الارتفاع ، فتقترح اقامة حفلة بمناســبة خلعه هذا الزى الكاكى الفظيع :

ــ ما أفظع ان يكون ابنى أنا جنديا •• أحمد الله انه لم يكتب لك الاشتراك فى حزبنا البريطانى ؛ فى حملة السويس، أو كينيا ، او فى قبرص

ــ وهل كان بوسعى ان أرفض يا أمى او طلبوا منى ذلك ؟

ــ لا • وهذا أفظع ما فى الامر •• ! تبالهم !

***

وهكذا نعرف منذ البداية اننا امام امرأة من المناضلات ضد الحــرب وضــد القنبلة الذرية ، تنظم الاجتماعات والمظاهرات وليس هذا الجهاز الذى كان يرسل الفرقعــات الا جزءا من استعداداتها المبتكرة لبث الدعاية للسلام بين صفوف الشعب

وتفيض الام فى شرح نشــاطها الذى يستغرق وقتها كله ، وتريه منشوراتها ، واسطواناتها ، ولافتاتها ، وبرامج حفلاتها، ولجانها ، ومراسلاتها مع اللجان النسائية المماثلة فى الشرق والغرب

ويصغى تونى لأمه فى صبر واعجـــاب





متحفظ بحماستها ، ولكن السأم يسيطر عليه .. انه لا يريد ان يسمع شيئا عن الحرب والجندية . حتى ولو فى حملة السلام !

وشيئا فشيئا نعرف أن ميرا لا تعد حملتها بمفردها . فلديها سكرتير ، أو معاون ، أو شىء من هذا القبيل ، هو ساندى بولز . ابن صديقتهم ميل بولز وعمره ٢٢ سنة مثل تونى . وكان زميله فى المدرسة . ولكنه على عكس تونى : فتى طويل ، عريض ، هادئ الاعصاب كالثلج ، يعرف ماذا يريد ، ولا يبالى بشىء فى سبيل الحصول عليه ، لقد سافرت أمه مع لجنة من النساء الى الشرق الاقصى للقيام بحملة ضد التفرقة العنصرية ، وبقى هو ليساعد ميرا . ولما كانت المسكينة وحدها ، فقد حضر للاقامة معها فى البيت ، واحتل حجرة تونى الذى نسيت أمه موعد عودته من التجنيد ! وقد ساعدها فى اعداد هذا كله ، لمظاهرة الغد الكبرى والمؤتمر العام أمام دار البرلمان

ويلقى تونى « دشا باردا » على حماستها حين يخبرها فجأة بالاشارة التليفونية التى تلقاها من فيليب يرجوها فيها ان تنتظر قدوم خطيبته الشابة روز مارى وتتفضل بايوائها فى البيت مدة وجودها فى لندن لشراء لوازم الزفاف

***

وينقلب الدش البارد بعد لحظة الى شحنة من الديناميت فينفجر غضبها لوقاحة فيليب وسماجته ، أليس يكفى انه يريد ان يتزوج هذه الفتاة الصغيرة ، فيريدها أيضا ان تأويها عندها ؟

ــ ولكن يا أماه .. لقد انقضى زمن طويل منذ ..

ــ منذ ليلتى كالدواة . أليس كذلك ؟

ــ أوه . لقد فهمت منك عندئذ ــ بناء على شرحك العلمى المسهب للموقف ــ أنكما افترقتما بعد سنوات من العشرة لان « تكوينيكما النفسيين مختلفان ولكنهما أيضا متكاملين » .. هذا هو تفسيرك الذى أدليت به أمام الجميع .. انا وكل من تعرفين من الاصدقاء . وكنتما دائما صديقين عزيزين بعد ذلك ...

ــ أوه . انك لم تكبر ياتونى . لم تستطع بعد ان تدرك الفرق بين السخرية والتقرير العلمى . ولا تستطيع ان تميز بين احساس المرأة ولسانها

ــ ولكنك امرأة ليست كبقية النساء : تؤمنين بالصراحة والوضوح والتحرر التام من التقاليد البالية ، وتؤمنين بالزواج الحر .. وعودتنى ان أدعو سلسلة طويلة من

« ازواجك الاحرار » يا عمى ، والتقبلهم بكل بساطة ، وأنت تعلنين عند الانفصال عن كل واحد منهم بيانا علميا لاسباب ذلك الانفصال تجعل استمرار الحياة معا بلاهة ورياء .. وأنت اعدى أعداء البـــلاهة والرياء !

ـ ولكن آن ان تدرك أن هنـــاك شيء اسمه كرامة المرأة ، ولذا يجب البحث عن تبرير علمى لتغطية عملية النبذ التى يقدم عليها رجل جاحد نزق مثـــل فيليب . ويجب الاستمرار فى صداقته أيضا انقاذا للكرامة المذكورة ، وكان هذا الرجـــل شيء غير مهم ! شيء غير مهم حقا ، بعد ان ظل زوجى باختيـــارنا الحر خمس سنوات

ـ أوه . لا بد اذن ان يعتمد على شحنة اضافية من الكرامة المذكورة فى هذه المرة، لان روز مارى ستصل هذا المساء ، وسيحضر هو أيضا ، وستقضون للالتكم سهرةعائلية رائعة !

ـ عليك اللعنة !

***

وتغادر ميرا المسرح غاضبة لتصعدالسلم جريا ، وباغة تونى فى الصفير ، ويغير بدلته العسكرية ثم يدس حقيبته داخـــل أحد الدواليب ويمشط شعره امام المرآة . وفى هذه اللحظة يهبط « ساندى » ويحييه بهدوء وبشاشـــة ، كانه ليس فى الموقف شيء غير طبيعى . ويحاول ان يجـــاذبه حديثا عاديا جدا عن الشباب والمجالروحملة السلام . وكيف ان ميرا توســطت لدى صديقها الناشر مايك لالحاقه بالعمل عنده فى الاسبوع التالى

ـ آه . ماما تفعل هذا دائما مع جميع مساعديها . فمن قبلك كان لها مســاعد شاب اسمه جيمس ذو القفاز الذهبى . صحيح انه لم يكن مقيما فى المنزل ، ولكنه كان مساعدها مع هذا .. وقد الحقتـــه بالعمل لدى الناشر بشيرد .. ووصـــل بسرعة الى مركز طيب . أمى امرأة عظيمة دائما .. ثق بهذا

وتهبط ميرا من السلم وقد ارتدت ثوبا أنيقا جدا ، وتزينت فبدت جميلة شابة ، وتضع على رأسها قبعة أنيقة جداً يخرجها لها ساندى من دولاب الصيفى : ويتبنى ساندى وجود تونى ، ويوجه كل اهتمامه واعجابه اليها ، ولكننا ندرك ــ كما يدرك تونى ــ ان ذلك كله « بحسب خطـــة موضوعة » وليس عن شعور صادق

ـ والان سأترككما أيهـــــا الشابان الجميلان ، واسرع الى موعد اجتماعى .. وعليكما ان تستقبلا روز مارى وتستبقياها الى أن احضر .. لا بد ان أسرع .. فقد تأخرت !

وبعد خروجها يستأنف « الشـــابان الجميلان » أحاديثهما الهادئة فى ظاهرها ، ومن تحت سطحها تيارات متوترة . وفجأة يناديه تونى « يا عمى ساندى » فهكذا كان ينادى دائما اعمامه ، ازواج أمه المتتاليين .. غير الرسميين . لانها ضد الرسميات

ـ أنا متأكد يا عمى ساندى انك ستصبح عضو فى البرلمان ووزيرا ، لانك من طينة الوزراء فى هذا البلد المبارك .. طينة من يملكون الملاسة ، والنعومة ، والليونة ، بحيث ينفذون من ثقوب جميع الابواب ، ويتشكلون بكل صورة . فلديهم موهبـــة « الوصول » !

ـ أوه . وماذا أمام الرجل المقبول ان





يصنع غير هذا في مثل هذا العالم ؟ لقد آن لك ان تكبر ياتوني وتدرك الدنيا ! هيا اشرب معي كأسا وخذ الامور بيسر . كل انسان يفعل مايستطيع . لامايريد... أنا لا أظنك تعجب بأحد في هذا البلد

ـ بالعكس ! أنا معجب جدا بالمتشردين، الذين يطوفون الدنيا على أقدامهم ، وينامون في الحقول ، ويأكلون ما يصادفهم ، ولطيور السماء أوكار إما هم فليس لديهم ما يسندون فوقه رؤوسهم . انهم وحدهم الاحرار حقا . لقد أتيت من المعسكر ماشيا ، ورأيت من هؤلاء المتشردين رجلا بديعا ، استقال من عمله في البنك فجأة منذ عشر سنوات ليتمتع بالشمس والهواء الطلق ويتحرر من شباك البنك الذى يشبه كوة السجن ، ومنذ ذلك الوقت وهو يعيش سعيدا ، يعمل ما يصادفه ويحصل على ما يكفي لطعامه وسكره .. فالحرية في بريطانيا هي السكر المستمر .. هي الهجرة المستمرة من الواقع المتعفن ، هيا اعطني كأسا . ثلاثة . عشرة . ثلاثين ! يحيا السكر !

ـ أحسبك تقسو كثيرا على أمك ! انها تجاهد ضد الحروب منذ تلك الليلة الرهيبة التي سقطت فيها القنبلة على البيت في غارة جوية ، وقتل أبوك ـ وكانت تحبه ـ ودفنت أنت وامك ساعات تحت الانقاض . وقد أقسمت على جثة أبيك ان توقف حياتها على الكفاح لايقاف الحروب

ـ أوه . فعلا . ومنذ ذلك الحين وهي تواصل الوفاء بقسمها على جثة أبي مع سلسلة بديعة من « الاعمام »

ـ أوه ان أمي ترفض ان تسميه الحب . انها تسميه « الجنس » . لاناسم « الحب » اسم عاطفي جدا في نظرها ، وهي تحتقر العاطفيات

ـ أوه . ولكنها عاطفية جدا كما تعلم في تحمسها للواقعية

ـ لقد سئمت هذا كله . ولذا تركت دراسة الهندسة المعمارية قبل التخرج بشهرين ودخلت الجيش ، لانى لم أعد أطيق هذا كله .. لم أعد أطيقه . والآن ماذا أصنع يا رب ؟ ..

ـ « بهدوء » الآن ليس أمامك الا انتظار وصول روز مارى ... !

وبذلك ينتهي الفصل الاول

***

وفي الفصل الثاني نجد أنفسنا في الصباح التالي ، في نفس الديكور ، وتوني راقد في بيجامته على الارض ، والاريكة مغطاة بغرفتي حلاء وصحف وأوراق وملابس داخلية مختلفة . وتهبط السلم روزمارى، في العشرين من عمرها في بنطلون ضيق وسويتر من نفس اللون . رشيقة ، حلوة، ذات وجه صغير حزين يزيده سواد زيها حزنا ورقة . يكاد يحسبها الناظر أخت توني لشدة تشابههما في النظرة الحزينة والتبرم بما حولهما !

ومن حديثهما نفهم ان البيت اكتظ تلك الليلة بالانصار والضيوف . حتى لم يجد توني مكانا ينام فيه بالبيت ذي الحجرات الثمانية سوى هذا الدهليز . أما حجرته فقد باتت فيها روز مارى وفيليب . ولكن فيليب ظل ساهرا يتناقش مع ميرا الى قرب الفجر ، ثم استيقظ قبل السادسة ليستأنفا المناقشات الحامية في الحديقة .. مناقشات في السياسة أشبه بالمشاجرات . وتشعر روز مارى بانها في جو غير طبيعي ، لان اهتمام خطيبها بالمناقشات مع ميرا أشد بكثير من اهتمامه بصحبتها حتى في أول

يوم يقضيانه معا فى حجرة واحدة • وهكذا يربط بين روز مارى وتونى تفسر كل منهما من اهمال وبرود عواطف من ارتبطا بهما، فهما طفلان تحيرهما تصرفات الكبار فى عالم مضطرب غير مفهوم

وقبل ان تدخل عليهما ميرا تسرع روز مارى بالصعود ، وتبدأ بين الام والابن مناقشة عجيبة • فالام تريد من ابنها أن يكون « كبيرا ناضجا » ولذلك تحدثه كأنه ليس ابنها • تحدثه بقسوة عن انتصارها السهل على روزمارى بنت العشرين ، وكيف استردت منها صاحبها القديم فيليب • أولا بأن جعلته يطلب وضع فراش آخر فى الحجرة ، مع انه على أيامها هلا ينامان معا فى فراش واحد عرضه لا يزيد على ٩٠ سنتيمترا لمدة خمس سنوات ! ثم تقضى الوقت معها حتى الفجر فى مناقشات حارة فلما عاد كانت العروس تغط فى النوم ! وكانت لم تزل تغط فى النوم حين غادر الحجرة ليلقاها هى فى الحديقة ! لقد تمكنت من اذلالها ، ولن تنال من فيليب الا ما تسمح لها به

ويثور تونى على هذه المفهومات السقيمة للواقعية المزعومة ! انه لا يرى فى ذلك كله الا تمقتا وكراهية لا يقلان عما يشيع فى صفوف الرجعيين وتجار الحروب أنفسهم • لقد كفر بهذه الدعاوى كلها لانها لا تخفى تحتها حبا واخلاصا ، بل أنانية وعقدا نفسية وتظاهرا ونفاقا • وما تسميه أمه نموا ونضجا ليس الاتمقتا ونفاقا يرفضهما هو وسيظل يرفضهما الى النهاية • انه يرفض أن يكون مثل ساندى الذى يفهم كل شىء ويقبل كل شىء ، لانه لا يهتم فى أعماقه بأى شىء سوى نفسه ومصالحه ومسوليته

ان هذه الام تمثل جيل الانتقال من المتمردين على القديم ، ولكنه جيل متناقض، يدور حول نفسه وأنانيته • انهم أحرار باللسان متناقضون أنانيون بالقلب والسلوك.. جيل هالك متعفن • ولهذا السبب يرفض تونى العمل الذى يعرضه عليه فيليب رغم الحاح أمه • انه يريد قطع الصلة بهذا الجو كله • يريد ان يعيش متشردا !!

وعندما ينصرف فيليب الى مكتبه ، وميرا الى اجتماعاتها ، يتشاكى تونى وروزمارى مرة أخرى ، هى أيضا صممت على ان تكون ممرضة ، مع ان أمها كانت تريد لها ان تكون طبيبة • انها غير طموح ، ولا يعنيها الظهور • تريد ان تعيش على راحتها • تعيش حياتها ببساطة •• وتحت تأثيرها يعدل تونى عن احتراف التشرد ، ويفكر فى أن يكون مهندس تليفونات • فقد كان هذا تخصصه فى الجيش • لان المواصلات هى الامل الوحيد الباقى فى ربط الناس بعضهم ببعض ربطا صافيا طبيعيا بلا غش ولا تصنع ولا تظاهر كاذب بالبطولة ولا استشهاد كاذب !

***

وفى الفصل الثالث نجد « ميل » والدة ساندى قد عادت مع زميلاتها من اليابان وميرا تقيم لهن حفلة استقبال ساهرة ولكن تونى يعتصم فى الدهليز وينام على الاريكة ويطفىء النور ويعزف موسيقى صاخبة تزعج الضيوف ، فتأتى امه وتحاول اقناعه بالكف عن هذه الاعمال الصبيانية والاشتراك فى السهرة ، ولكنه يرفض • وفى هذه اللحظة يدخل ساندى ليسأل تونى بلهفة هل رفض حقا وظيفة مدير المستخدمين التى عرضها عليه فيليب • وحين يتأكد من ذلك يستأذنه فى التقدم لهذه الوظيفة شخصيا لانها أحب اليه من العمل مع ناشر صغير •• الله أعلم بمستقبله •• أما علاقة فيليب بميرا فلا أهمية لها فى نظره ، لانه عازم على قطع علاقته شخصيا بعد أن عادت امه • لقد انتهت مهمة ميرا فى حياته

وتدخل ميل والدة ساندى ، انها مرأة فارعة قوية البدن • أنيقة • قوية الشخصية • فى يدها زجاجة ويسكى وكأسان ، وتجر وراءها ميرا •• وببساطة تطردان تونى وتجلسان للمناقشة فى فراميالهما ، ان ميل أيضا أوشكت ان تتزوج رجلا فتن بها اسمه جاك ، عاشت معه أسبوعين ثم وجدت عقله ضيقا ، وفكره رجعيا فرفضت اتمام الزواج •• وهى تحذر ميرا من ساندى ، فهى تعرف ابنها جيدا وتعرف انه وصولى لا قلب له..،

يستخدم الناس لافراشه فقط . وتنصحها بنبذه قبل أن ينبذها

ــ أوه . هذا ليس مهما . المهم الآن عندى هو فيليب

ــ فيليب ؟ دعيه وشأنه . تغلبى على غيرتك . اسكرى سكرا شديدا الى أن تفقدى الوعى لتنسى هذه الحكاية . لماذا لاتهتمين بابنك ؟

ــ ولماذا لا تهتمين أنت بابنك ؟

ــ ابنى يرفض ان أهتم به . بنى لا قلب له . ابنى ليس ابنا . انه شخص ناضج حتى التعفن أو التحجر .. حسب الظروف ! أما تونى ابنك فله قلب . وفيه صدق . انه يستحق ان تعيش له اى أم .. ولكن مشكلتك انك لست أما . ومشكلتى أنا انى أم ولكن ابنى ليس ابنا .. ابنك لم يعطه الله أما حقيقية ، وأنا لم يعطنى الله ابنا حقيقيا .. هيا نسكر !..

وهكذا يبرز تنافر الجيلين : الصاعد والسائد بروزا رمزيا . وهذه المفارقة بين الجيلين هى سر أزمة التفاهم بينهما ، وسر الاحساس بالضياع ، حتى بين أنصار التحرر من الجيل السائد

***

وفى الفصل الاخير نجد ميرا أقدمت على تصرف آخر رمزى . لقد باعت بيت الاسرة وفيه كل ماتملكه على وجه الدنيا وقدمت ثمنه كله الى ابنها تونى ــ ابنها الوحيد الحائر الساخط عليها وان كان متعلقا بها

هذا الابن يمثلنا جميعا فى سخطنا على الماضى وتعلقنا به فى آن واحد ، وهذه الهبة التى تقدمها ميرا الى تونى رمز لما يفعله الجيل السابق حين يتأكد من انتهاء دوره ويوقن باليأس من اكتساب ثقة الجيل اللاحق ، فيقرر ان يسلمه تراث الماضى كله وزمام الامور ليتصرف فيها كيف يشاء

ان ميرا لا تقيد تونى بشىء ، وتترك له هذا المال لينفقه بلا قيد ولا شرط ، على ملذاته ان شاء ، وليبنى به حياة مستقلة منتجة ان شاء . انها تعطيه الحق فى ان يوجه حياته وتراث ماضيه بملء حريته .. لانه صاحب الحق الاوحد فى مصيره

ويرفض تونى المــــال ، لانه يريد ان يعيش عيشة جادة مستقرة . سيلتحق بالعمل كهربائيا فى مؤسسة . وهذا كل ما يصبو اليه . فلا حاجة له بهـذا المال

وتغضب ميرا ، لانه لا يتلهف الا على الاستقرار ، ولا يريد ان يعيش حياة القلق والمخاطرة والطموح الفكرى

ــ أهذا كل ما تريده أيها الناشىء ، يا ابن جيل الكفاح ؟ الاستقرار ؟ ثلاث وجبات ومسكن هادىء وزوجة ساذجة ؟

وهنا تتدخل روز مارى التى أدركت ان مكانها الطبيعى بجوار تونى لا مع الكهــل المتعفن فيليب فتقول لميرا :

ــ وما عيب الاستقرار والزواج والعمل الجاد الهادىء

وتصيح ميرا بكل ثورتها :

ــ حياة لا طعم لها ! ان أمامكم عملا ضخما لمكافحة الحروب واقرار السلام والغاء الاستغلال

ويقول تونى باصرار :

ــ هذا كله واجبنا . نعم وعلينا ان نحققه بالاصرار الهادىء .لا بالخطب ، كل ما نريده ان تتركوا لنا حياتنا الجديدة أيها القدماء .. سنبنيها على الجد والهدوء والفهم والعمل الصامت . فقط .. دعونا نحيا .. ولا تطحنونا بأفكاركم التى تقطر دما وتتأجج لهيبا .. نريد أن نحيا بسلام . دعونا نحيا .. !




روايات الهلال
تقدم
العذراء المتشردة
بقلم
ايرل ستانلى جاردنر
رئيس التحرير : طاهر الطناحى
تصدر فى ١٥ سبتمبر
الثمن ٨ قروش

الصاروخ رانجر "٧"

ان الصاروخ **رانجر ٧** **Ranger 7**

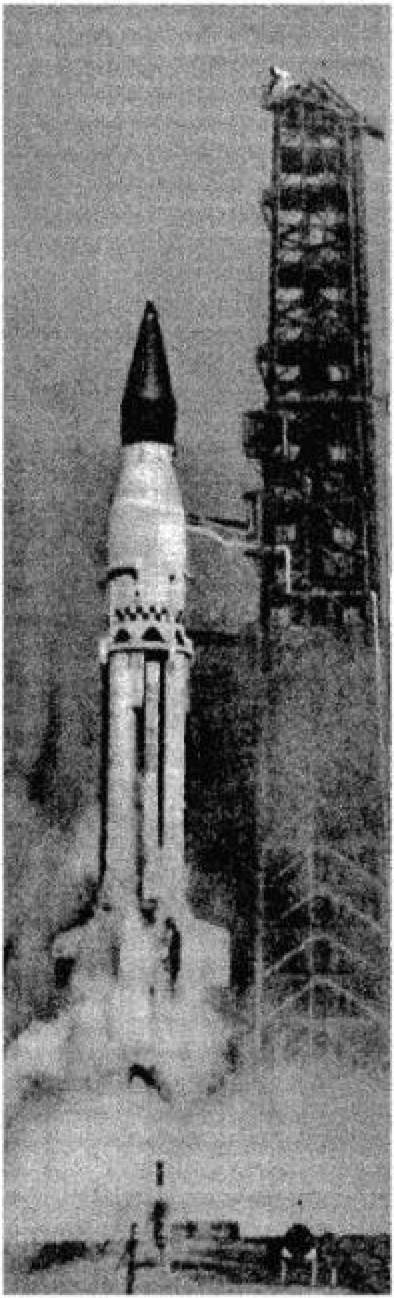
مرحلة رائعة من مراحل اكتشاف مجاهل الفضاء ، والنزول على سطح القمر . وتعتبر المهمة التى قام بها **رانجر ٧** من أعظم الخطوات لمعرفة طبيعة تكوين القمر ، وخلجانه ، ووديانه ، وسهوله وهضابه وجباله . وستكون الصور التى التقطتها الاجهزة التى حملها **رانجر ٧** هى جواز المرور ، وأول خطوة لكى تنزل المركبات على سطح القمر ، ثم بعدها ينزل الانسان ..

وقد تكلف بناء رانجر ٧ حوالى ١٢ مليونا من الجنيهات. وقد دفعت الولايات المتحدة الامريكية هذا المبلغ الكبير فى سبيل نظرة تلقيها عدسات آلات التصوير على سطح القمر من مسافة قريبة نسبيا ..

ورانجر ٧ لم تكن المحاولة الاولى للامريكان لتصوير القمر من مسافة قريبة . انها المحاولة السابعة فى هذا المجال . أما المحاولة الاولى فكانت فى اغسطس ١٩٦١

والمشروع الذى يقوم به **رانجر ٧** واخوانه من قبله خطوات ضمن المشروع الذى تسميه الولايات المتحدة بمشروع النزول على سطح القمر ، أو **« مشروع ابوللو »**

ومن المنتظر ان تطلق ٥ صواريخ اخرى لاجراء عمليات المسح التفصيلى الدقيق



للقمر وستكون أولها فى عام ١٩٦٥ . اما الثانية فستكون فى عام ١٩٦٦ . وستنزل هذه الصواريخ أو سفن الفضاء على سطح القمر ببطء وهدوء حتى تأمن شر الارتطام . وسيكون نزولها على سطح القمر رأسيا على عكس مركبات الفضاء المسماة « رانجر » والتى كان آخرها فى أوائل الشهر الماضى ..

والصواريخ البطيئة النزول هى الأمل الذى يبنى عليه مشروع أبوللو . فالنزول البطىء هو الذى سيضمن سلامة نزول الانسان على سطح القمر . ولاتحتوى الصواريخ على عدسات التصوير الالكترونية فقط . انها تشمل الآت ومعدات لدراسة الخواص الفيزيائية ، والعناصر الكيميائية والاهتزازات والجو .. وهذا من مهمة سفن الدوران حول القمر التى ستتعاون مع سفن الهبوط على سطحه

والغرض من رانجر ٧ واخواته هو عمل مسح للتوزيع الداخلى للقمر ، وقياس مدى خشونة سطحه ، وقياس الاشعة جاما ورسم خرائط لبيان درجات الحرارة ، وعمل خرائط للحقول المغناطيسية وقياس الطاقة الشمسية التى تتدفق حول القمر .. وهذا هو مشروع ابوللو ..

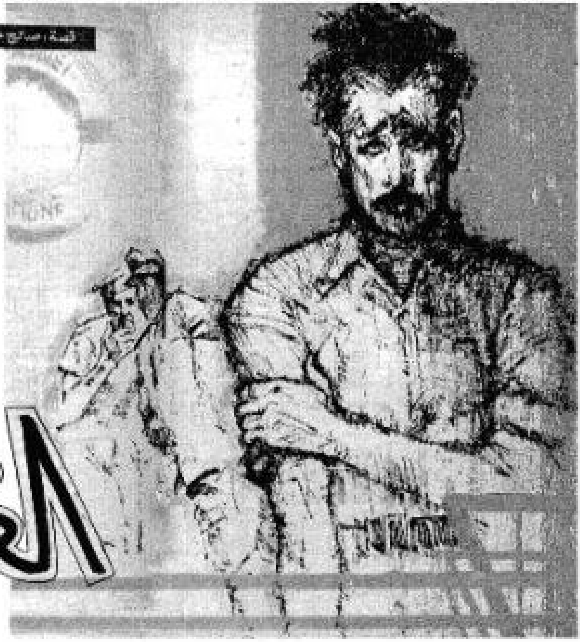
ورانجر ٧ قام بمهمة جريئة ستساعد على تحسين الأجهزة التى ستصعد الى القمر فى المستقبل .. وهو عنوان على تفوق العقل البشرى فى علوم الالكترونات ، والهندسة الآلية والكهربائية والميكانيكا والرياضيات . وكان رانجر ٧ مزود بأذرع ذات خلايا تحول طاقة الشمس الضوئية الى كهرباء لتغذية الاجهزة الداخلية ، ولتدبير العقول الالكترونية الموجودة . وقد زود رانجر ٧ بالاضافة الى ذلك بعين سحرية لعبت دورا هاما فى عمليات التوجيه والتبليغ والاتصال بالارض . اى انها بمثابة قائد السفينة الفضائية ..

وقد استغرق رانجر ٧ للقيام بمهمته ٦٨ ساعة . واستغرقت عملية التصوير نفسها ١٥ دقيقة وكان البعد حوالى ٢٠٨٠ كم من القمر لتصوير مساحة قدرها ٦٢٠٠ كم . وقبل ان يصطدم رانجر ٧ بالقمر ظهر فى الصورة الاخيرة جسم صغير فى حجم السيارة ، لم تذع تفاصيل عنه حتى الآن ..

وقد ارتطم رانجر ٧ فى المنطقة المسماة بحر السحاب او بحر الغمام ، وهى منطقة تكاد تكون ملساء لخلوها من الارتفاعات والمنخفضات ..

ان رانجر ٧ لم يلتقط وحده الصور ، وانما التقطها قبله لونيك ٣ الذى أرسله الاتحاد السوفييتى . واذا كانت صور رانجر ٧ أوضح من لونيك ٣ .. فان هذا راجع الى ان الاخير قد التقط الصور من بعد كبير فى عام ١٩٥٩ ..

الغضب



واسلمني المملاق الى عملاق آخر عند باب يؤدى الى الداخل ... لم أستطع رغم وجه الرجـــل وبرودة لهجته الا الابتسام عندما انحنى لي العملاق الآخر بنفس الطريقة،وابتسم لي،نفس الابتسامة، ووجه الى نفس النظرات الزجاجية ثم قال وهو يشير الى ممر جانبي :

ـ هذا هو الطريق الى كابينتك !

ـ تبعته وأنا اتمتم :

ـ ألن يقابلني أحد ؟ ... القبطـان أو .. أو كبير الضباط او .. أو ..

التفت الرجل نحوى بغتة وكأنه لدغ ، كان واضحا انه غاضب أو ثائر ... لكن وجهه ظل كما هو ، ونظراته لم تتغير .. وسمعته يقول بصوت قاطع كحد الموسى :

ـ كلا ... انهم مشغولون جميعا فهذا وقت الرحيل كما تعلم !

والحقيقة ان سعادتي كانت تفوق كل احساس آخر ، ذلك أني في تلك اللحظات لم الق بالا الى لهجة الرجل ، فلم يكن يهمني من الامر كله شيئا ... يكفيني أني جئت ... كل شيء حولي جميـــل وأنيق ورائع ، الممرات الخافتة الضوء ، الجـــدران اللامعة النظيفة . درجات السلم العريض الفخم ، الارض المكسوة بالأبسطة النادرة .. وكابينتي عنـــد طرف ممر قصـــير ، فتحها العملاق وهو يتمتم :

ـ اذا احتجت لشيء فليس عليك الا أن تطلب !!

ودلفت الى الكابينة وأصبحت وحدي .. دورت بعيني فيما حولي فراعني كل شيء ... الفراش الوثير ، الســـتائر المسدلة ، الاضواء التى تنبع من الهواء نفســـه ، الهدوء و ... وتلك الرائحة الجميلة التى راحت تدغدغ حواسي ... رائحة بلا مصـــدر ، فليس ثمة زهور في المكان أو بخور ، هي رائحة الجـــدران والفراش والأثاث و ...

وبلغت سعادتي قمتها ...

من منكم لا يشعر بالسعادة لو كان مكاني ؟! ...

لقد جئتها أخيرا ، لابد انها مليئـــة بالخير والسعادة ...

تســـلل الهدوء الى اعصابي فألقيت بنفسي فوق الفراش ورحت أمرغ فوقه دفنت رأسي في الوسائد وملأت صدري برائحتها العطرة ... ياله من قبطـــان رائع ذلك الذى حول سفينته الى جنة لابد لى ان اذكر له هذا ، سأشـــكره ، سأسأله ان اراد فليس هناك ابدع من هذا .. الخدر يسرى الى أعصـــابي وذهني ، ولذة مريحة تتسلل الى نفسي وتثقل جفوني ، وألقيت بنفسي مع الاحلام ... فنمت

وعندما استيقظت ... كانت السفينة قد ابحرت ... عرفت ذلك من صوت الامواج في الخارج ، امواج كانت ترتطم بجوانبها في رفق ، والمياه تحتك بجدرانها في حفيف منغم ، تثــاءبت وأنا أتمطى ، ودرت ببصرى في الكابينة وكان كل شيء شيء على ما هو عليـــه ، حتى الرائحة الجميلة كانت لا تزال تسبح في المكان متجددة ، نظرت في ساعتي ، وقفزت من فراشي في فزع .

كيف نمت كل هذا الوقت ؟!

لا أدرى ... كانت الساعة تشـــير الى السابعة مساء ، وهو « الجونج » في الخارج يدق معلنا عن موعد العشاء ... لابد أنهم سألوا عني ، لابد انهم طلبوني لكن احدا بالتأكيد لم يوقظني ... كيف يتركونني كل هذا الوقت ؟!

ودارت الافكار في ذهني سريعـــة وأنا استعد للعشاء ، لابد أن القبطان سيقصيه ولابد انه سيتســـاءل عن سر هذا النوم و ... ولكني في النهاية هززت كتفي في لا مبالاة وأنا اغادر الكابينة ، جـــذبت الباب ورائي واغلقته برفق ، بحثت عن المفتاح في ثقبه فلم أجـــده ، انتابتني الحيـــرة لحظة لكني سمعت من خلفي صوتا يقول :

ـ لابد انك تبحث عن المفتـــاح ... كلكم تفعلون ذلك ... اذهب ولا تخف فان أحدا هنا لن يجرؤ على السرقة .. فهو حرام جدا !

رأيته في الممر الخافت الضوء عملاقا آخر ذا وجه لا يقل تجهما عن العملاقين الأولين ، وكان الرجل يبتسم بشـــفتيه دون باقى ملامحه ، وكان يشير بأصبعه الى اعلا وهو يستطرد :

ـ لقـــد حرم السرقة وهدد بعقوبات صارمة لن تمتد يده الى أشياء الغير !

وابتسمت دون أن أدرى لماذا ابتسم ، واقترب مني الرجل وهو يسبح بلا ضجيج في فضاء الممر ، فقلت له :

تقصد القبطان .. أليس كذلك ؟ !



ــ نعم .. انه قاس جــدا مع من يعصيه !..

وقال الرجل هذا وهو يضحك ضحكة ناعمة بجوفاء ، لكنه استمر فى حديثه دون توقف :

ــ انا المخصــص لهذا الجناح من السفينة ، وقد قالوا لى انك جئت اليوم غير انى لم أرك فقد وجدتك نائما طول الوقت ... لا باس ، ان هذا يحــدث دائما لكل جديد يأتى الينا ..... هــل انت ذاهب للعشاء !!

ــ نعم ......

قلتها كالحــالم فقد انتابتنى فى تلك اللحظات احاسيس ومشاعر غريبة ، غير ان اهم هذه الاحاسيس والمشاعر ، هو احساس بأنى الهوس فى لجه غريبة ،كان مجرد احساس لكنه طغى على حواسى ، ووجدت صوت الرجل يأتينى بعد ذلك وكأنه يصدر من بعد الاف الاميال ، لكن الغريب فى الامر انى كنت اعى كلامه بقوله :

ــ عليك ان تدور الى اليســار عند نهاية الممر ، ثم تهبط الســلم الكبير ، وستجد نفسك امامها ، انها فى طريق كل من يريد ان يأكل ، الطعام عندنا وفير !

وارتد الى ادراكى والتقفت متذرعا ذلك الاحساس الغامض منى فى اللحظة التى تركت فيها الرجل ومضيت ، الى لم اعرف اسمه ، لم يقدم لى نفســه ولم اقدم له نفسى ... أليس هــذا غريبا !! ... أليست هذه هى العادة كلما تقابل اثنان وتحدثا !!

كان ذهنى مشــغولا بأشياء كثيرة وانا اهبط السلم الفاخر ... كنت افكر فيما قاله لى الرجــل ، فى لهجته الباردة ، وصــوته الناعم ... و ... ومررت فى طريقى باثنين عند نهاية الســلم ، كان احدهما مرتكزا على الحافة ، بينما تسمر امامه الآخر وهو يقول كلاما لم افهمه فى البداية ... لكنى لا زلت اذكر جملته :

ــ انه لن يهبط كالعادة ... ان احدا منا لن يراه !

وانتبه الرجال الى وجودى فانحبس بينهما الحــديث ، القيت عليهما تحية المساء فدارت عيونهم فى محاجرها لتحوى ثم استقرت على وجهى وتمتمت شفاههما بكلمات لم اسمعها فقد كنت ابتعد بسرعة فقد احسست بالجوع .. بعد خطــوات كنت اقف فى مدخل غرفة الطعــام ... القاعة فاخرة تتوســطها مائدة مستطيلة رصت فوقها الاطباق والفاكهة ، ورائحة الطعام تختلط بشذى العطر الذى اعرفه فى غرفتى ... كانوا جميعــا جالسين فى اماكنهم ، ليس سوى مكان القبطان ــ فى صدر المائدة ــ ومكانى أنا ــ عند طرفها الايسر ــ هما الخاليين !

شددت خطواتى وابتسمت وانا امشى نحو مكانى لاجذب مقعدى واجلس عليه وانا اقول بصوت مرح النبرات : « مساء الخير »

ونمت من الجميع همهمات مختلطة ! كانوا منكبين على اطباقهم يأكلون بشراهة غريبة ، لا احد منهم ينظر الى الآخر او يحدثه ، ولم ينظر احدهم الى .. لا كلمة ترحيب ولا ابتسامة مجاملة ، ومن جديد عاودنى ذلك الاحساس بالغوص فى لجة غريبة من الحيرة ، وقد زاد من احساسى هذا ان مال على رجل لا أدرى من اين نبت ولا كيف نزرع فى مكانه هذا خلفى ... همس الرجل فى اذنى بصــوت كأنه عويل !

ــ ماذا تريد ان تأكل !!

ــ أى شىء .. أليست لديكم قائمة بالطعام !!

صاح الضــابط الجالس عند الطرف الآخر للمائدة دون ان يرفع رأســه من طبقه !

ــ اطلب ما تريد ... ان الخير عندنا كثير ... هكذا أمره !

كنت اعرف انه الضـــــابط الاول ، فمكانه مجاور للمقعد الشاغر فى صدر المائدة ، نظرت اليه فوجدته مســـتطيل الوجه شاحب الجلد أزرق العينين ناعم الظفر .. ووجدت نفسى اقول كالغريق :

ــ سيدى ، اعتقد انك ....

قاطعنى بتأنف وكأنه ضاق بى اشـد الضيق :

ــ نعم نعم انا الضابط الاول ، وهذا هو الضابط الثانى ،والطبيب ،والضابط الثالث ، والذى بجوارك هو ضابط الطعام .. ثم .. ثم اظنك تعرف مركزك !

ــ واين القبطان ...

ــ هذا هو الســؤال المعتاد .. واليك الرد المعتاد ... لقد ترك لى كل شىء ، الذين كانت شفاههم متمددة فى الجانبين متضادين لا اكثر ولا اقل ، وتحرك الضابط الاول تقبض على عنق الفوطة ثم مسـح بها شفتيه وهو يتمتم :

ــ حقا ... انه لم يعرفه بعد ...

احسست كأنه يصفعنى ، كانت كلماته وكأنها سكين بارد يقطع اوصالى ، كانت وكأنها بصقات يلقيها جانبا،وتراءى الخوف على الفور ، لكنه كان خوفا مشوبا بشىء كالغضب دفعنى لان اقول :

ــ ما الذى حدث ؟ . . . ان كل ما فعلته لم يتعد انى سألت عليـــه ، اليس هو قبطان هذه السفينة ! ... اليس من حقى أن ...

ــ عاد الضابط الاول يقول :

وصرخ احد الأشباح من آخر الغرفة يقول لى :

انا هنا اقوم بكل مهامه !

ــ و ... ولماذا لا ... لماذا لا يأكل معنا اليوم ؟؟

فجأة ، حدث شىء غريب ... سقطت كل الملاعق ، وكفت الايدى عن الحركة .. والافواه عن المضغ ، والتالت العيون ثم تحولت كلها نحوى لتحـــاصرنى ... وتحشرج صوت أحدهم وهو يزمجر :

ــ انه يسـأل ... انه يسـأل ؟؟

وقال اخر :

ــ لن ينفعنا هذا الرجـــل ... لن ينفعنا ... لقد قلت ذلك من قبل !

وناح صوت الضابط الاول مهدئا :

ــ كيف تجرؤ ؟؟ ... كيف تفوه بمثل هذا الكلام ؟؟

وتمتم الطبيب وكان يجلس قبالتى : انه لا يزال حديثا .. انه لم يعـرف شيئا بعد !

وتوقفت اذناى عند هذا الصوت تماما كما توقفت عيناى على عينى الطبيب ، ولاول مرة منذ وطئت هذه الســفينة ، رأيت عينين تكســـوهما طبقة ندية ولى لمعانهما شىء .. لم يكن جلده مشدودا ولا يحمل تلك القسمات السخرية ... وعندما ابتسم احسسته بابتسامته تصل الى قلبى ... لم تكن كابتسامة الباقين

ــ لا ... ليس من حقك الا أن تطيع الاوامر ، فهو قاس جدا مع من يعصيه هذه أوامره ، ولذلك فعليك أن تعرف كيف نعيش ، وان تؤمن بكل هذا ... والا ، فلن يكون أمامى الآن انفذ اوامره واحكامه ، انني مسئول عنكم امامه ، اما هو فلا يرى احدا غيرى ، ولا يغادر كابينته فهو ليس فى حاجة الى هذا ؟ ؟

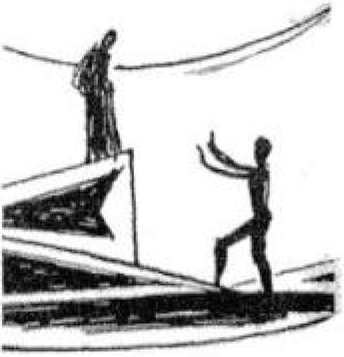
واشتعلت نار الغضب فى صدرى ؟ كان كل ما يقوله هذا الرجل غريبا ، لم يكن يتحدث ، كان يخنقنى بكلماته ويسد على صدرى منافذ الهواء ، وجدت نفسى انتفض قائلا :

ــ لست مقتنعا بكل هذا ، ان كان هو لا يريدنى فانا اريده ، ولابد لى ان اراه .. بل انى ساصعد اليه الآن ...

ازحت مقعدى وانا انهض من مكانى ، واصــطدمت فى اندفاعى بالجالس على يســارى ، ومضيت الى الخارج وانا اشعر بوقع نظراتهم على ظهرى ، وكان آخر ما ســمعته وانا اغادر القاعة هو صوت ناعم بارد سال ورائى كالثعبان :

ــ اتركوه فسوف يندم ...

لم اندفعت الى السلم اقفز درجاته قفزا ... كنت مهتاجا مغيظا ... ومررت فى طريقى بالاثنين اللذان كانا يتحدثان وانا



— أريد مقابلته ...
— هل انت مجنون ؟ !
— أليس هذا من حقي ... انى ...
— كلا ...
— اوسع لى الطريق ... انى آمرك!
ضحك ضحكة التفت حول عنقى ، وغزانى خوف شل تفكيرى وحواسى ...
— اذا لم تدعنى امر سوف... سوف اصرخ ، سوف اناديه !
— لن يسمعك ... ولن يجيبك !
— ما الذى تعنيه ... من انت لتقول لى ...
— اذهب !
— كيف تأمر ...
— قلت لك اذهب !

إياك أن تفوه بهذا السؤال مرة أخرى فهو لا يُسأل !

فى طريقى الى قاعة الطعام ، وكانا يقفان فى نفس الوضع وبنفس الطريقة التى شاهدتهما بها منذ دقائق وكأنهما تمثالان من شمع متجمد .. وما لبثت ان انثنيت الى ممر جانبى ، واندفعت منه الى ممر معتم شديد الظلام ، والمرئيات لا تكاد تظهر لعينى .. ودهمنى شعور حاد بالانقباض وانا اتجه نحو سلم ضيق رحت أصعد درجاته وكنت موقنا ان هذا السلم بالذات يؤدى الى كابينة القبطان ، كنت موقنا أشد اليقين ولست ادرى لماذا ... غير انى ما كدت أصعد بضع درجات حتى اصطدمت عيناى بعملاقين هائلين يقفان عند قمة السلم .

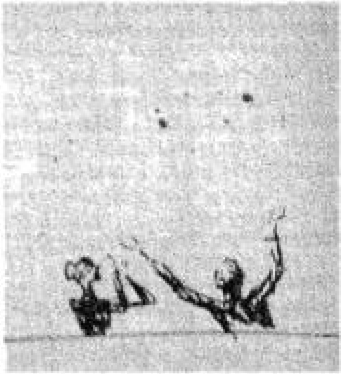
تسلقت عيناى العملاقين ثم الساقين ثم الجسد والوجه الذى لم اميز من ملامحه شيئا ... كان المكان مصبوغ بالضباب ، رأس الرجل شاهقة تكاد تختفى فى السقف ، وانتابتنى على الفور رجفة شديدة ، وخرج صوتى مبحوحا :
— هل تسمح ؟!
— ماذا تريد ؟!
جاءنى الصوت من أعلى كالرعد ...
— أريد مقابلته
— ماذا ؟ !
قالها الصوت فى استنكار ساخر

وصدقونى..... كان هذا آخر ما سمعته فى ذلك الوقت ، صوت كالزئير وحذاء ضخم يرتد الى الخلف بسرعة البرق ثم يرتفع فى الهواء مرتطما بوجهى ... ولا شىء بعد هذا ... لا شىء على الاطلاق !!

***

حدث كل هذا فى ثوان ... ولكنى عندما افقت بعد ذلك وجدت نفسى فى الفراش ، ارتدت الحياة الى اطراف أولا ، ثم الى اذنى بعد ذلك ، ودون ان افتح عينى استطعت ان اميز كل من فى الغرفة ... كانت هناك اصوات عدة ميزت منها على الفور صوت الطبيب والضابط الاول ... وعرفت ان الطبيب هو الذى كان يمسك رسغى باصابعه :
— هذا حسن ... سيفيق ليصبح على الفور واحدا منا ... لن يفتح فمه بعد ذلك !
— انه من النوع العنيد ...
— ماذا تقصد ...
تنهد الطبيب وهو يقول :
— لا شىء ... ومن الخير ان تكف من الكلام حتى لا نزعجه !
— اتظن انه سوف يتمرد مرة أخرى ؟
— . . ان فعل فان الاوامر صريحة ، وما علينا الا ان ننفذ اوامره !

ـ لكنه لن يخضع !
ـ اذن سنلقى به فى البحر للحيتان!
وكان هذا هو الضابط الاول ...
وكانت كلماته تبعث الرعب الى قلبى .. ماذا افعل ، وماذا سيفعلون بى ... ولماذا لا أخضع لهم ، لماذا لا افعل مثلهم وانا لست مخلدا فى هذه السفينة وسوف اغادرها ذات يوم ، هى ايام سوف تمضى على اى حال فلتمض على أى وجه ...
وقال صوت فى آخر الغرفة .
ـ ترى ماذا يكون اسمه !
ـ ليس مهما ان يكون له اسما ، ليس مهما على الاطلاق !
وقال الطبيب :
ـ لقد اصبح نبضه طبيعيا !
وكأنما كانت جملته ايذانا لى بأن افتح عينى ، لقد وجدت نفسى افتحهما مرة واحدة وانا احملق امامى ... غير أننى صدمت بضوء خافت لا يبين شيئا سوى اشباح ... لصرخت فى جزع :
ـ اضيئوا النور !
ـ انه مضاء !
ـ اريد مزيدا من الضوء ، اريد مزيدا من الضوء !
ـ ان الضوء لا يزيد عن هذا ، هذه حدوده ، فهذه اوامره !
وانتفضت فى اعماقى من جديد تلك البذرة الغاضبة ، انتفضت وسط الوف المشاعر المتضاربة والاحاسيس المتباينة ... كنت ارتجف عندما وضع الطبيب يده على كتفى وهو يقول :
ـ لا تجهد نفسك ، لابد لك ان ترتاح!
ـ انت الطبيب ... أليس كذلك ؟
ـ نعم ...
ـ هل كتبت فى التقرير كل شيء ؟
ـ تقرير ؟!
وقالها أحدهم فرددت عليه :
ـ لقد اعتدى على ذلك الرجل !
وقال الضابط الاول بكلمات كالسهام القاطعة :
ـ الا زلت عنيدا ؟
ـ سأحاول رؤيته مرة اخرى !
ـ انك لن تراه ... فهو لا يرى سواى ، لقد خول لى جميع السلطات كيلا يغادر غرفته !
ـ وماذا يفعل هو الآن !
صرخ احد الاشباح من آخر الغرفة :
ـ اخرس ... اياك ان تفوه بهذا السؤال مرة اخرى فهو لا يسأل !
ما كدت افتح فمى حتى امتدت يد الطبيب الى رسغى من جديد لتضغط أصابعه على الرسغ برفق ... وهنا تحرك الضابط الأول قليلا ، ثم نظر الى وهو يقول :
ـ خير لك ان ترتاح حتى تشفى مما ألم بك ، ولا تتساءل كثيرا ، فسوف تجد الطعام والشراب ... وكل ما تريد فقط ، افعل ما تؤمر به ، هذه هى حدودك !
واستدار الرجل ومن بعده الباقون ، ثم غادروا الكابينة فى صمت .. وتركونى مع الطبيب ، وما ان التقت عيناى بعينيه حتى صرخت :
ـ ما الذى يجرى هنا ؟!
ـ ضغط على يدى بقوة غريبة حتى خلت ان عظامى ستتكسر ، اوما نحو الباب وبرقت عيناه محذرة وهو يقول بصوت هادىء :
ـ لا تسىء الظن الى هذا الحد ... الا يكفى ان تجد كل ما تريد ؟!
ولم أجد شيئا ارد به عليه ... وساد بيننا الصمت للحظات كانت عيناه تلازمها لا تغادران الباب ... ثم قال بنفس النبرات الهادئة :
ـ انه يفرض نظاما رائعا !
وهمست بصوت خفيف :
ـ اريد ان اعرف لماذا .. ..
ـ أليس اقصى ما يتمناه الانسان ان يجد ما يأكله ويشربه ؟
ـ لكنى اريد ان ... ...
ـ دع الامور تجرى مادمت تحصل على ما تريد !
ـ أننى ...
ـ هكذا تصبح حياتك رائعة بلا مشاكل
ـ وكان لا بد ان انتظر للحظات صمت اخرى ، التفت بعدها الطبيب نحوى ثم ابتسم وهو يقول بنفس الصوت العالى الواضح :
ـ انه عادل جدا ، لكنه يقدر عدله يصبح قاسيا اذا ما عصيه احد ... لقد أمر بالقاء الكثيرين فى المحيط للحيتان ، وأنت لست منهم ، لن تكون منهم !
همست من جديد وأنا اقترب من اذنه :
ـ اريد ان اراه ... اريد ان احدث لاحد !



فازدادت ابتسامته اتساعا ، وأومأ برأسه موافقا ثم نهض قائلا :

ـ سأتركك الآن لترتاح ، وعليك الاتنام فالنوم لن يفيدك بعد الآن !

غادرني سابحا في هواء الكابينة ... وساد السكون ... سكون عميق كانت تتخلله أصوات الأمواج في الخارج ، وتذكرت البحر ، تذكرت انى لم أر البحر وأنا أركب سفينة ، وتذكرت أن نافذتى مغلقة منذ أن جئت ، تحاملت على نفسى وأنا انهض من الفراش متجها نحو النافذة ، كنت أشعر بالاطمئنان لأول مرة منذ جئت ... لقد وجدت فى النهاية صديقا يفهمنى وافهمه ... بدا لى الأمر كحلم مزعج لابد لى أن أفيق منه ، تذكرت يد الطبيب عندما ضغطت على عظام يدى محذره ، كيف تتأتى له هذه القوة وجسده نحيل ؟ !

.. ترنحت السفينة أثر موجة دفعتها من الخارج فأحسست بالغثيان يصيبنى ، امتدت يدى الى النافذة كى افتحها فترنحت السفينة مرة أخرى أثر لطمة أشد من الأولى فترنح جسدى وكدت أسقط على الأرض ... صفر الهواء وعوت الرياح وهبت العاصفة على غير انتظار ... أحسست انى اختنق وكان لابد لى من الهواء .. مددت يدى من جديد الى النافذة وبحثت عن القفل فلم أجده .. حملقت فى الضوء الشاحب فاذا النافذة موصده ، واذا زجاجها كاذب لا يشف عما خلفه ، رأيته أمامى سطحا لامعا لم ينعكس خيالى عليه .. أحسست بجسدى يتهاوى وقواى تخور ، تذكرت رجل الصباح ووقعت عيناى على زر صغير ضغطت عليه بكل قواى ، فانفتح الباب وظهر الرجل :

ـ هل استطيع أن اقدم لك أى شيء

ـ افتح هذه النافذة ... انى فى حاجة الى الهواء !

ـ انها لا تفتح !

ـ ماذا ؟ !

ـ لا تفتح !

ـ كيف ؟ ... أليست هذه نافذة ؟

ـ انها اوامره ... فقد تتسرب المياه منها فتغرق السفينة !

ـ لكنى ...

ـ لا مجال للجدل ... لن تفتح وهذا هو كل شيء !

ـ ان فى الخارج عاصفة !

ـ أعلم ذلك

ـ ولكن كيف ، لقد غادرنا الميناء منذ ساعات قليلة وكان البحر .. !

ـ منذ ساعات ؟ !

قالها ساخرا وكأنه سمع نكتة ، لكن خلجة فى وجهه لم تتحرك .. ثم استطرد فى تأفف واضح :

ـ لقد غادرنا الميناء منذ أربعة أيام ... اننا الآن فى المحيط !

ـ أربعة أيا ...

ـ لقد كنت تهذى طوال هذا الوقت

ـ ولكن ...

ـ انهم جميعا فى الخارج ، لقد خرجوا ليقاوموا العاصفة ...

واقتحم الطبيب الغرفة وعلى وجهه ألف انفعال ، لكنه ابتسم صائحا :

ـ لقد غادرت فراشك ... اذن فأنت على ما يرام !

انسحب الرجل الآخر فى هدوء واغلق الباب ... واقترب منى الطبيب وهو يقول :

ـ هل انت مستعد ؟ !

ـ لا ...

قلتها بقسوة ودون وعى ... كنت مليئا بالضيق والغضب ودمائى تغلى ... واستدرت متجها عن الطبيب فى عناد ، لكنه اقترب منى وهو يواصل همسه :

ـ انهم جميعا مشغولون بالعاصفة ، وهذه فرصتنا !

التفت نحوه وانا اشعر بالظلام يكتنف حياتى كلها ثم قلت :

ــ لست أريد سوى نسمة هواء !

ــ لن تحصل عليها الا وانا معك !

ــ اشتد فى الخارج عويل الرياح وعنف ارتطام الامواج بالسفينة ... صرخت بكل صوتى وكأنى انتحر :

ــ هل حققتنى بمخدر !

ــ لماذا تسأل ؟ ! ...

كنت ابكى من الغيظ فحتى تلك اللحظة لم اكن بمستطيع ان اركز انتباهى على شيء ، لم اكن أدرى شيئا أو اعرف شيئا .. أريد ان اعرف .. أريد ان اعرف ... وعدت الى الصياح من جديد :

ــ لقد قال لى هذا الرجل انى ظللت نائما لاربعة ايام !

ــ لقد حدث هذا !

ــ كيف ... كيف يمكن ان يحدث !

ــ ان هذا دائما يحدث ، بل لابد من حدوثه !

ــ لست افهم شيئا ... !

ــ احتدت نظرات الطبيب لاول مرة وهو يهمس فى صوت غاضب :

ــ لاوقت عندى لهذا الهراء .... هل تأتى معنا ام لا ؟

ــ الى اين ؟!

ــ اليه !

ــ لن نستطيع !

ــ ليس امامنا سوى هذا .. ان الهواء يفسد ولن تمر ايام حتى نختنق جميعا ..

ــ سيقاومونا !

ــ اعرف .. ان على بابه حراسا كثيرون !

ــ وهل اقوى على هذا ؟!

ــ انك كالثور فى قوته !

ــ ولكنى مريض !

ــ لست مريضا !

ــ انى حائر !

ــ انه اليأس !

ــ لسته احمل سلاحا ..

ــ عليك ان تغضب .. وهذا يكفى

ــ اذهب وحدك ..

ــ الجميع معنا .. كل الغاضبين ..

ــ لن يأتوا ..

ــ ليس لدى وقت بعد هذا .. هل تصحبنى أم لا ؟!

ولست ادرى ما الذى كنت اشعر به فى تلك اللحظات ، اشياء كثيرة تختلط فى ذهنى فلا استطيع تمييزها .. اندفع الطبيب فاحسست بالخوف من الوحدة واندفعت وراءه .. تذكرت كل ما حدث لى وبحثت عن الغضب فى نفسى لكنى لم اجده ، شيء واحد كان يدفعنى وراء الطبيب .. كنت اريد ان ارى القبطان ؟!

ــ ترى ما شكله .. ما صورته .. كيف يتحدث .. كيف يجلس .. كيف .. كيف .. وانا اتخبط خلف الطبيب فى الممرات المعتمة ، اترنح مع ترنح السفينة وتتوه قدماى فى الهواء لكنهما تجدان لهما فى النهاية ارضا .. فى النهاية دلفنا الى ممر يقبع فى نهايته اشباح عدة لا صوت ولا حركة تصدر عن احد ، وانا والطبيب نتقدم منهم .. ثم أخترق الطبيب تجمعهم فاستداروا وتبعوه وانا وسطهم ، من ممر الى سلم الى ممر حتى وجدت نفسى اقف وسطهم امام السلم المؤدى الى كابينته .. وعرفت السلم ، وارتجفت اوصالى وعيناى تصعدان درجاته وتصطدمان بالحذائين الهائلين .. زمجر رجل من وسط الجمع :

ــ نريد هواء .. سوف نختنق !

ورعد العملاق من اعلا السلم بصوت تزلزل له كيانى :

ــ ماذا تريدون ؟!

وصاح فيه الطبيب بصوت ثابت :

ــ نريد ان نراه !

ــ لن يراه احدكم !

ــ اذن افسح الطريق ونحن نذهب اليه !

من يقترب مصيره المحيط !

صرخ واحد من الرجال فجأة وهو يندفع نحو السلم :

ــ هواء .. نريد الهواء !

قفز السلم مسرعا ، غير انه سرعان ما هبطه متدحرجا مضرجا فى دمائه .. لم سكن بين اقدامنا .. وسقط قلبى بين ضلوعى ... احسست وكان جسدى من الخوف قد تحول الى خرق جمعتها يد غير مدربة ، رحت فى غيبوبة استيقظت



منها على صرخة أخرى وجسد آخر يتكوم بين قدمي .. اهتزت في أعماقي دموع لم تنهمر ، حاولت البكاء لكن عيني ابتا .. احسست بالغيظ وانا لسـمع الطبيب يقول :

ـ ابتعد من الطريق فاني صاعد اليك !

وقال الطبيب هـذا واختفى في ظلام السلم الصاعد .. هبطت بعيني الى حيث تكومت الجثتان ورحت انتظر سقوط الجثة الثالثة ، بلا عاطفة ، بلا كراهية ولا حب ، انتابني اليأس لكن انتظاري طال فلم يسقط الطبيب ، رفعت عيني الى السلم فرأيت القدم الغليظة ترتد الى الخلف ثم تندفع في الهواء لترتطم بوجه الطبيب في ضربات احسستها من قبل .. نفس الحذاء .. نفس الطريقة .. الغيظ في أعماقي يفور والدموع تتحجر والطبيب لايزال متشبثا بمكانه لا يسقط ، ثم انتفض الغضب فجأة عندما دقت في انحاء السفينة اجراس عدة وتصاعدت الصيحات والصرخات .. الطبيب في مكانه ، والدماء تنزف من وجهه ، والقدم ترتد لتنطلق بجنون والصرخات من حولي تلهب دماغي فاذا بي اصعد كالمجنون درجات السلم واتقذ من الطبيب وترتد القدم الى الخلف وتتمايل السفينة ويترنح العملاق والقى بكل جسدي عليه ، واصرخ كالمجنون ،

فيسقط على الارض ويتدحرج من فوق جسدي الرجال ورأس العملاق بين كفي وعيناه مليئتان بالموت فلا حراك ولا جزع

ان كل شيء يغيم والاحداث تتداخل ولست اذكر سوى اني كنت اقف مع الطبيب امام باب الكابينة المغلق ، وفوق الباب قرأت كلمة : « السيد ..

امتدت يدي لتفتح الباب ولكنه لم يفتح .. نظرت للطبيب مستغيثا فقال :

ـ لابد من تحطيمه !

وتوقفت نظراتي على وجهه فلم يكن الوجه مصابا بشيء .. اين الدماء واين ضربات القدم ؟.. وكان الطبيب قرأ افكاري فقد تمتم :

ـ لقد محاها الغضب !

انقض على الكابينة تهوى تحت ضربته الباب واندفعت قبله وانا اهم بالصياح غير ان صيحتي احتبست .. فقد كانت الغرفة خالية ..

عدت انظر للطبيب ، فوجدت ابتسامته وقد زادت اتساعا ، وسمعته يتمتم كمن يحدث نفسه :

ـ لقد كنت موقنا من ذلك .. كنت متأكدا انه ليس موجودا !

وساد الصمت تماما .. ووقفت مع الجميع ساكتين للحظات ، لم يكن احدا هناك ؛ لا حراس ولا وجوه شمعية ولا عيون زجاجية .. والكابينة خالية .

حتى العاصفة في الخارج كفت وهدأت واستقرت السفينة في مسيرها .. وتقدم رجل نحو الباب ليفتحه .. لكن الباب لم يفتح .. صرخ الرجل بغيظ :

ـ الابواب موصدة .. نريد هواء !

ـ وقال الطبيب وهو يتقدم من الباب :

ـ لابد من تحطيمها .. لابد ..

وانهلنا جميعا نحطم الابواب والنوافذ ، واندفعت نسماء الهواء تملأ السفينة ، وغمرها الضوء لاول مرة ، ومع تسرب الضوء ، صاح احد الرجال في مرح :

ـ انها الشمس .. اننا في النهار !

واندفعنا جميعا الى الخارج .. كنا نبحث عن ذوي الوجوه الشمعية والعيون الزجاجية .. لكننا لم نجدهم .. كانت العاصفة قد ابتلعتهم جميعا .

عبد الرحمن صدقى :

عصر الحريم

فى الأدب الشعبى

كان الشائع على ألسنة الرجال فى العصور الوسطى وعلى رأسهم رجال الدين ، سواء أكانوا مسيحيين أو مسلمين ترديد المقال فى كل مجال عن سوء الظن بالمرأة على وجه العموم ولعل أجمع هذه الأقوال وأشدها صراحة قول القائل فى النساء « استعيذوا بالله من شرارهن . وكونوا من خيارهن على حذر » . ولكن هذا الحكم على صراحته وتشاؤم نظرته . لم يبلغ آية النور من قلمه . ومن ثمة يعبر معتدلا فى جملته لأنه — كما يبدو حين نعود الى قراءته — لا يخلو من التسليم من حيث المبدأ على الأقل بوجود المرأة الصالحة .

وهنا نتساءل : ما هو مفهوم المرأة الصالحة ؟!

والجواب : هى الزوجة الصالحة على حد ما جاء فى الحديث . « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة » .

ولما كان الرجل يمثل الجنس القوى . فلم يكن هناك مندوحة من أن يكون الرجال هم القوامون على النساء . لا عند المسلمين وحدهم بل كذلك عند المسيحيين من قبلهم كما ورد فى كتابهم المقدس فى رسالة بولس الى أهل أفسوس : « أيها النساء ، اخضعن لرجالكن كما للرب »

وهكذا نرى السيادة التى كانت للرجل على المرأة بحكم ما أوتى من تفوق عليها فى البنية العضلية ، ثم بحكم كفالته لها فى الحياة من الناحية الاقتصادية ، تصبح كذلك بحكم المعتقد الدينى . سيادة بالحق الالهى

وكان من جراء هذا جميعه ما تقرر فى النفوس ورسخ فى الأذهان . من أن الرجل هو الأصل . كما صورته الكتب المقدسة فى قصة خلق حواء من ضلع آدم . وكما أوضحه قول بولس الرسول فى رسالته الى أهل كورنثيوس « ان الرجل لم يخلق من أجل المرأة . بل المرأة خلقت من أجل الرجل . أى أن المرأة مهما تساوى الزوجان ليست الا تابعة للرجل لاحقة به

وقد ترتب على تقرير هذه التبعية أن

قامت عليها لكل من الجنسين مقررات من العرف الأخلاقي . تجعل ما يعاب على النساء من السلوك لايعاب على الرجال ، كما فعل الفيلسوف الألماني « نيتشه » في تمييزه في تقييم الأخلاق بين السادة والعبيد ، على حد قول شاعرنا العربي القديم المتنبي :

وما في عـزه الأرباب عيب
ولا في ذلة العبـدان عار

ولقد مرت عصور ، والمرأة عند الرجـل لاتعني غير الجنس ولا وجود لها خارجه . فالرجل لايعرف لها غير فضيلتين : فضيلتها النوعية باعتبارها وسيلة الى الولد ، ومن قبل ذلك فضيلتها الشخصية من حيث هي مصدر المتعة التي تقتضيها الحاجة الملحة الى ارضاء الغريزة المسيطرة على عالم الحيوان ومنه الانسان

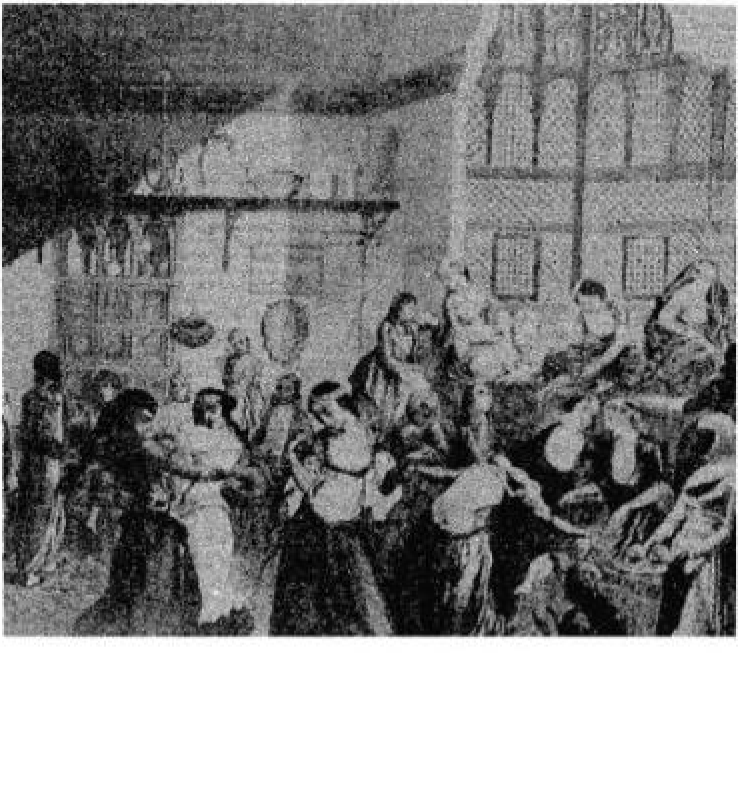
***

وقد ظلت المرأة طوال العصور الماضية لاتفكر في الثورة على هذه النظرة اليها من جانب الرجل ، بل اختارت توكيد هـذه النظرة بدافع من ضعفها ـ لتكون وسيلتها الى استغلالها لسيدها الرجل ، لضمان حمايته والاستمتاع برغد العيش الذي يوفره لها بعمله المتصل دون اشفاق على كده للحفه وارهاقه لبدنه ، فضلا عن طمعها في اخضاعه لامرها بفعل جمالها ودلالها . اذا تمكن من قلبه حبها .. واذهله عن عقلـه سحرها ، وهذا المطمع الاخير غير بعيد المنال ، وفي وقوعه قد تنعكس الحـال . فاذا هي السيدة الحاكمة بامرها

ولكن هذه المـرأة او تلك ، ممن لعبن بالنار فاتخذن الشهوة وسيلتهن للغلبة على رجلها ، مالبثت بعد قليل أن سرت اليهـا العدوى ، وانتقل الشر ، فاذا الفارسـة الغالبة تصبح بدورها فريسـة الرجال المغلوبة على أمرها

وهذا هو السر الخفي ـ كما نزعم ـ في فساد الحريم في قصور الشرق القديم .

الـقـديـم



وفي ازدحام القصص الشعبي في تلك العصور بالحكاية اثر الحكاية عن خيانة المراة مع اصطناعه ما هو مألوف عن الفن الشعبي من التهويل في التصوير والمبالغة الصارخة في التلوين

ولما كانت « الف ليلة وليلة » التي تعد اعظم مجموعة للقصص الشعبي في العالم كله ، قد جعلت مقدمتها التي زعمتها رواية تاريخية عما جرى في البلاط الملكي لبعض ملوك الفرس من آل ساسان ، مدارها خيانة المراة ، فاننا نؤثر الاكتفاء بها ، لغنائها كل الغناء عن الكثير غيرها ، حتى كانما اراد القاص الشعبي ، وهو يضعها بين يدي حكايات الف ليلة وليلة ، ان تكون لهذه الحكايات في جملتها بمثابة المفتاح لابوابها وكلمة السر للجواز الى رحابها :

ونستأذن القارىء في ان ننقل اليه تلك المقدمة بعد ان اجرينا فيها قلمنا بالتعديل والتفصيل الذى تقتضيه روح عصرنا :

كان ملوك الفرس الاقدمين من آل ساسان في سـالف العصر والاوان ، قد بلغوا من اتساع السلطان ان امتد ملكهم حتى اشتمل على بلاد الهند الى ماوراء نهر الجنج ، وتجاوزها حتى الصين . وقد حكى لنا تاريخهم — والله اعلم — فيما حفظته بطون اسفارهم من مأثور اخبارهم فيما مضى وتقدم ، انه كان من بين ملوكهم ، ملك عظيم الشـان ، اجتمعت رعاياه على محبته ، لما كان من سابغ نعمته وراجح عقله وبالغ حكمته بقدر ما هابه سائر الملوك من حوله ، لما كان من شدة بأسه وقوةشوكته ، وما ذاع عنه من الشجاعة وعلو الهمة وثبات الجنان ، مع سعة الحيلة واتخاذ الاهبة والاستكثار من العدة والاعوان ، حتى قيل ان جوده كمدد القطر ، وان بنوده مرفوعة دائما بالنصر

وكان لهذا الملك ولدان : أكبرهما شهريار ، وقد اخذ عن ابيه الاقدام وسرعة المضاء ، وعدم الاحجام عن البطش والتنكيل بالاعداء . والاصغر شاه زمان وكان لرجح من اخيه الاكبر عقلا ، وأبعد حلما ، ولكنه كان دونه اقداما ومخاطرة واقتحاما

فلما ان وافت الوالد منيته ، وانقضت مدته ، صار الملك كله الى الابن الاكبر شهريار ، بمقتضى الشريعة في تلك الديار . ولكن شهريار — رعاية منه لأخيه الاصغر — راى ان يقطعه امارة يحكم عليها ، فاشار عليه اهل الراى في حرصهم على اظهار بعد نظرهم وشدة حذرهم ، ان تكون امارة اخيه في اطراف المملكة . وهكذا كان من نصيب شاه زمان بلاد التركمان ، حيث اتخذ قاعدة ملكه في سمرقند

***

ومضى على هذا الانفصال عشرة اعوام طوال . واشتاق شهريار الى رؤية اخيه الذى طالت غيبته بعد ان كانا من قبلها متلازمين ، لايكاد يصبر احدهما عن الاخر طرفة عين . فاصدر الامر الى كبير وزرائه بالسفر الى بلاد التركمان ليستدعيه ولا يعود الا به . فقام الوزير من ساعته ، ومعه وفد من بطانته الى سمرقند .
ومضى الركب يجد في السير ليل نهار ، يجوب العساكر والقفار ،



وتسلمه مرحلة الى مرحلة حتى ادركوا مشارف سمرقند . فلما اشرفوا على المدينـــة ورفعت اخبارهم الى الامير شاه زمان ، خرج الامـــير الى ملاقاة وفود اخيه ، ومعه وجوه بلاطه واعيان امارته ، وهـم جميعـا فى كامـل الزينة وفاخر الحلل ، تعظيمــا لاخيـــه الاكبر ، الملك المعظـم شهريار

ولما استراح الوزير القـــادم وبطانته من عناء السفر استقبله الامير فى حفـل حافل بمظـــاهر البهجة والسرور

وبعد ان اطمأن الامير الى حال اخيه الاكبر وازدهار الحـال فى مملكته ، اســـتعلم من الوزير الرسول عن سر وفادته وفحوى رسالته . فاعلمه الوزير ان اخاه مشـتاق اليه ، وانه تركه نافد الصبر ، منتظرا حضور الامـير معه على الفور . فبدأ التأثر على الامير واجاب بالسمع والطاعة ، شاكرا لاخيه هذا الشرف الذى هو موليه ، مؤكدا انه لايقل عنه اشتياقا الى رؤياه بل يزيد

واصدر الامير شاه زمان امره العاجل بالتجهيز للســـفر ، ولم تمض بضعة ايام ، حتى كانت قد خرجت الى اطراف المدينة خيامه وجماله وبغاله وخدمه واعوانه . كما اصدر الامير تعليماته فى شئون الدولة المستعجلة ، وعين مجلسا من ذوى الراى فى مملكته ، وجعل على رأسهم وزيرا من اهل ثقتـه لتصريف الامور فى غيبته

ولما انتهت سائر الاستعدادات وتم التجهيز للرحيل دخل الملك شاه زمان الى الحـريم يودع زجته ، ثم خرج بعـــد قليل ، فنادى المنـــادون فى هذا الركب الكبير يؤذنون بالرحيل . وكان الوقت مساء حين بدأ الركب فى المسير

وقبل ان ينتصف الليل ، كان الامير قد تذكر انه نسى فى قصره الهدية التى اختارها لكى يقدمها لاخيه . فاسرع تحت جنح الليل بالعودة وحده الى القصر . ولم تطاوعه نفسه ان يمر على مخدع الملكة ولا يقبلها مـرة اخرى . ولكنه ما كاد يفتح بمفتاحه باب مخدعها فى حذر وسكون لتزيد المفاجأة فى سعادتها ، حتى القى زوجته مع عبـــد من عبيد الحريم يتنادمان على الطعام والمدام على ضوء الشموع وهما مضطجعان جنبا الى جنب فى الظلام . لجمد الامير فى موقفه

وهو لايصدق عينيه . وبعد لحظة ما كان أطولها عليه . استل حسامه أسرع من لمح البرق وانقض عليهما كالمجنون . فأطاح برأسيهما بضربة واحدة . ثم ألقى بالجثتين من النافذة الى الخندق العميق المحيط بالقصر . وعاد من حيث أتى يسابق الريح بجواده حتى لحق بالركب .

وبعد أيام . اقترب الركب من عاصمة مملكة شهريار . وفي مقدمته تقرع الطبول وتعزف الابواق فتشيع حولها الافراح . الا في قلب الامير شاه زمان الذى ما برح منقبض النفس مضطرب الحواس . مبلبل الخاطر . من خيانة زوجته وغدرها وانعدام وفائها . حتى استحوذت عليه غاشية من الكرب لا أمل في انجلائها

وهذه هي الرحلة وقد أوفت على غايتها وطالعته من عاصمة أخيه قبابها وأسوارها ومشارف قلعتها . وهذا هو أخوه السلطان شهريار يحف به أهل بلاطه وسائر حاشيته وقد خرجوا جميعا لاستقباله . وهذان هما الاخوان يترجلان وقد غلب عليهما الفرح باللقاء . فترامى أحدهما على صدر الآخر يتعانقان . وبعد لحظة تبادلا فيها عبارات المحبة وشعائر الاحترام . وركب كل منهما جواده ودخلا المدينة في موكب عظيم . بين هتاف الجموع الحاشدة على الجانبين حتى باب القصر الذى أعده السلطان شهريار لأخيه ملاصقا لقصره . تصل بينهما حديقة غناء فيحاء . ومما زاد في فخامة هذا القصر أنه كان الجناح المخصص لاقامة الآداب والحفلات وغيرها من دواعي التسلية واللهو في بعض السهرات ومختلف المناسبات ولم يمهل السلطان أن ترك أخاه بعض الوقت للاستجمام . ودخول الحمام . واستبدال ثياب السفر . والتهيؤ للعشاء والسمر . ثم عاد اليه في الوقت المناسب . فاختليا على أريكة في المقصورة يتحدثان ومن بعيد أهل البلاط وحاشية كل منهما يتجاذبان الحديث في صوت خافت . وقد التزموا الوقار والاحتشام كما يقتضيه واجب التجلة والاحترام . ثم قام الجميع للعشاء على مائدة تنوء بما عليها من صحائف الطعام من مختلف الالوان . مع انواع الاشربة وأطيب الثمار والفاكهة . وبعد العشاء عاد الملكان الى موضعهما على الاريكة يستأنفان حديثهما المأنوس . ومما في كل مرة يعودان لا محالة الى حيث ابتدأ ، ولا غرو فانهما اخوان . يتذكران لا محالة عهود الطفولة والصبا حيث عاشا في كنف والديهما متلازمين . فلما افترقا بعد موته لم يكن من افتراقهما الا أن زاد في اذكاء ما كان بينهما من دواعي المحبة والعطف والحنان . واخيرا تنبه السلطان شهريار الى أن الحديث قد أنساهما انتصاف الليل، فأشفق على أخيه من طول السهر وهو قادم ليومه من السفر . فقام منصرفا عنه على رغمه . مكررا التهنئة على سلامته . متمنيا له أطيب الرقاد في ليلته . والتجه الامير شاه زمان الى فراشه . وكان حديث أخيه قد ألهاه في أثنائه عن التفكير في بلوته وبرحاء لوعته . ولكنه ما كاد يسلم جنبه الى الفراش حتى عادت اليه لواعجه أشد مما كانت أضعافا مضاعفة . فاذا هو عوضا من أن يأخذ قسطه اللازم من الراحة يأخذ في تعذيب نفسه مستحضرا في خاطره ، ومتمثلا لناظره مرة بعد أخرى، ما حصل في ليلة الرحيل المشئومة . وفي كل مرة تزداد الصورة بشاعة وهولا في وهمه وفكره . حتى كاد يجن ويخرج عن طوره . وينصب الى غير رجعة عقله

وطلع النهار ، ولم يغمض للامير جفن ولا اكتحلت عينه بنوم ، وقد ظهرت على وجهه أمارات التعب من طول السهاد ، وتركت على أساريره سود الافكار أعمق الاثار وحتى لم يسع السلطان حين زاره في الصباح الا أن يلحظها لاول نظرة ، فيحيره أمرها ، ويود لو استطاع خبرها فيحدث نفسه متسائلا : ماذا ألم بأخي مليك سمر قند فأدى به الى هذا الحال من الاسى والالم ؟ أترى يأخذ علينا بعض التقصير في استقباله كلا بالتأكيد . اذن لعل ما به من تغير لونه واكتئابه ، هو شعوره بالوحشة من جراء بعده عن مملكته واغترابه ، أو على الارجح لافتراقه

عن الملكة زوجته التي قضى في معاشرتها السنين الطوال ، كان فيها لامحالة أسعد الازواج ؟ » ومادام هذا هو السبب ، فقد وجب ــ وا أسفاه ــ على السلطان ان يعجل بتقديم هداياه الى اخيه ولا يحاول ان يطيل مقامه ويستبقيه حتى يعود الى سمرقند حين يشاء تلبية لنداء قلبه . كذلك حرص السلطان على أن يهيىء لاخيه كل يوم ما يمكن ان يلهيه ويسليه ، ولكن هذه الملاهي والمسليات التي كان من شأنها التسرية عنه والترفيه ، كانت تزيده حزنا وكمدا

وفي ذات يوم تجهز السلطان للخروج لصيد الغزلان في موضع على مسيرة يومين من العاصمة ، ولكن شاه زمان التمس منه اعفاءه من الخروج معه معتذرا بحالته الصحية ، فلم ير الملك أن يثقل عليه ، وتركه وما يريد ، ومضى للصيد مع وجوه مملكته . فلما خلا الملك شاه زمان بنفسه ، أوصد عليه الابواب كلها حتى لا يحس بوجوده احد فيقطع خلوته ، وجلس خلف احدى النوافذ المطلة على الحديقة سارح الطرف شارد الفكر . وكان هذا الموضع النزه البهيج ، مع هذه الانغام العذاب التي تغردها أفواج لا حصر لها من الاطيار ، وقد آوت الى فروع الاشجار في هذه الساعة التي يولي فيها النهار .. كان هذا وهذه جميعا جديرة ان تسري عنه وتدخل على قلبه السرور ، لو انه كان مستطيعا ان يلتذ شيئا على وجه الارض بعد الذي انكشف له من هذه الدنيا الغرور

بينما كان الملك شاه زمان مستغرقا في همه وحزنه ، تراءى لناظره مشهد غريب استرعى انتباهه ولفت اليه خاطره . فقد انفتح بغتة على الحديقة باب خفي في جدار قصر السلطان . وخرجت منه عشرون جارية وفي وسطهن تخطر سيدتهن وهي السلطانة لا ريب كما هو الواضح الجلي من تميزها عليهن في الجمال والسمت والزينة وخيلاء الملك . والامر هنا لايحتاج الى بيان ، لان الملكة كان مستقرا في وهمها أن الضيف الكبير ملك سمرقند قد خرج للصيد مع السلطان فجاءت مع وصيفاتها للنزهة واللهو في هذه الحديقة الخاصة ذات الاسوار والجدران ، دون مبالاة منهن بالاقتراب من جناحه لتمام



يقينهن من غيبته ، وقد اتفق ان كانت جلسة شاه زمان بحيث يرى دون أن يراه أحد . وهنا هو يرى جوارى السلطانة يرفعن النقاب عن وجوههن ويتخففن من سابغ حللهن . وما كان أشد عجبه ودهشته حين أقبل على الجوارى العبيد عشرة عبيد . فاختارت كل جارية من بينهم صاحبها . ولم تلبث الملكة بعد أن صفقت بيديها ونادت : « مسعود » فاذا عبدها مسعود ، قبل ارتداد طرفها اليها ، راكع بين يديها وعكف الجميع على العناق والتقبيل ، في غيبة كل رقيب وعذول . اغتناما للفرصة التى أتاحها رحيل السلطان وشيوخه وحاشيته للصيد .

كل هذا جرى تحت عيان الامير شاهزمان فكان له منه موضوعا للتأمل الكثير . ومثارا للتدبر والقياس والتفكير . لقد كان يرى ان ماجرى له من خيانة زوجته مصابا ليس له مثيل . وكل عزاء فيه مستحيل . فاذا به يرى مصابه الذى كان يعظمه . يبدو كالهين اليسير الى جانب هذا الذى أصاب أخاه الكبير . ولم يسلم منه وهو شاهنشاه الملوك أجمعين . والحاكم بأمره على شعوب تعد بالملايين . وهكذا بدا التاسي يساعده على التعزى . وبدأت شهية الأكل تساوره بعد أن كان لايشتهى الطعام . كما طاب له المنام وكان لايذوق منه الا اللمام

***

وبعد أيام . جاءت الاخبار بقدوم السلطان شهريار ومن معه عائدين من الصيد فخرج الامير شاه زمان مبادرا الى لقائه . وهو باسم الثغر ظاهر البشر ولكن شهريار لم يلحظ في بادىء الامر هذا التغير الكبير الذى طرأ على أخيه ، فأخذ يعاتبه في رفق على تخلفه عن مرافقته في الخروج لصيد الغزلان ، ومن غير أن يكلفه الجواب مضى يحدثه عما اصطادوه من الظباء وغيرها ، وما صادفوه خاصة من لذة المطاردة والقنص . فأصغى شاهزمان الى الحديث أحسن الاصغاء ولما كان قد تخلص من غاشية الغم التى كانت تربض على خاطره . فقد أخذ يطارح أخاه أحلى الحديث وأعذبه مع حسن التصرف جده وهزله .

وكان شهريار يتوقع أن يجد أخاه على الحال التى تركه عليها من الاكتئاب والوجوم فكاد يطير من الفرح حين ألفاه على الضد من ذلك مسرورا محبورا . ولم يتمالك أن سأله على تبدل حاله

هنا ظل ملك سمرقند ساهيا كأنه في حلم ، لا يدرى ما يقول ! واخيرا قال ما معناه : « يا أخي ، انت سلطاني ومولاى ، ولكني أتوسل اليك ان تعفيني من الجواب »

ولكن السلطان شهريار ألح في طلب الجواب وأنكر على أخيه التماس الاعذار فلم يسع الامير شاه زمان ، امام هذا الاصرار من جانب اخيه الا الاذعان . وروى له حكايته مع زوجته في سمرقند ثم روى له ما شاهده في قصر أخيه

وما وقعت عليه عيناه في حديقة القصر ، من أمر السلطانة وجواريها مع العبيد وعلى رأسهم مسعود .

وثارت ثائرة السلطان حين سمع ذلك ، وجن جنونه . وصاح في وجه أخيه « كيف ، أيمكن أن تسلك سلطانة فارس والهند هذا السلوك وهي زوجة شاهنشاه ملك الملوك ؟ لا يا أخي . لا يمكنني تصديق ما تقول حتى أرى ، فلربما خدعتك عيناك . ان الامر جلل ، ولابد ان اقتنع بنفسي بمصداق من حسي وشهادة عيني رأسي »

فقال شاه زمان « هذا الأمر ليس أيسر منه . وما عليك الا الاعلان عن خروجك للصيد في يوم تعينه . فاذا صرنا خارج العاصمة مع رجالى ورجالك ، لزمنا خيمتنا ، فاذا خيم الليل عدت أنت وأنا الى جناح قصرى الذى يقابل قصرك ، وأنا على يقين من أنك في الليلة التالية ستشهد بعينيك ما شهدته عيناى »



وجرى كل شيء فى السباق على هذا الاتفاق

وترك الملكان الاخوان القصر خفية فى جنح الظلام وهما فى طريق غير الذى دخلا منه ، وكان هذا الطريق يؤدى الى ظاهرة المدينة ، وقد اتخذا ثياب الفقراء الزاهدين ، وما زالا فى سير طوال النهار ، حتى اذا جنهما الليل أويا الى تحت شجرة من الاشجار ، ومرت بهما على ذلك ايام وليال . وفى ذات مساء ، وصلا الى مرج على خليج البحر المالح ، وكانت فى ساحله على مسافات متقاربة اشجار مورقة عالية ، فجلسا فى ظل دوحة فينانة طلبا لراحة بدنهما والترويح عن نفسهما . ولما دار بينهما الحديث ، كان مدار الحديث خيانة نسائهما

***

ولم يمض عليهما فى موضعهما الا القليل ، اذا هما بالبحر قد هاج بالامواج، فاخذهما الرعب ، وعلى حين فجاة انشقت اللجة من بعيد مثل العمود الاسود صاعدا الى السماء ، ثم تحرك هذا العمود نحو مرجة الساحل ، فالتفتا وقد امتلأ قلبهما هلعا ، وهرعا الى الشجرة العالية يتواريان بين افنانها الوارفة ، ولما صارا فى اعلاها جعلا يتطلعان الى حيث انشقت اللجة ، فاذا العمود الاسود ينجلي عن عملاق من اشرار الجن طويل القامة ، كبير الهامة ، عريض الكتفين ، واسع الصدر ، وهو يخوض فى الماء ويفرقه فى ثورة وعنف ، وعلى رأسه صندوق عظيم من البلور عليه اربعة اقفال من الحديد الصلب . فطلع بصندوقه الى البر ، والتفت يمنة ويسرة ، ثم حطه على الارض ، اسفل الشجرة التى كان الاميران فوقها مختبئين، وقد أيقنا على ان هلاكهما على يديه

واتجه الجنى الارض الى جانب صندوقه ، ثم استدار اليه ، وتناول المفاتيح الاربعة المدلاة من حزامه وادارها فى مغاليق الصندوق واحدا بعد الاخر ، ثم فتح غطاءه ، فخرجت منه صبية رائعة الجمال ، فاخرة الزينة ، بارعة القد ، تكاد الكائنات تسجد بين يديها

ونظر الجنى اليها مليا ، وقال يخاطبها:

« ياست الحرائر ، يا من انا طلعت فى الدجى لتهتكت الاستار واشرقتم من سناها الشمس ولاح النهار ! لقد خطفتك فى ليلة عرسك وانت من الابكار ، ومنذ ذلك الحين وانا اصونك فى هذا الصندوق المتين فى قاع البحار ، حتى لا تمسك الايدى او تمتد اليك الابصار ، بل لتظلى كما مهدتك تلك الغرة المكنونة التى اقسمت يوم خطفتك أن تظل من الناس مصونة . ياست الحرائر ، هل تسمحين لعبدك الذى يعبدك ان يضع رأسه لحظة على ركبتك ليحظى ولو قليلا بطيب الرقاد بعد أن قضى وهو يحرسك طوال الليالى فى سهادة ؟ »

ولم يتم الجنى كلمته ، حتى مال برأسه على ركبتها ، واستغرق فى النوم ، وعلا غطيطه حتى اختلط وعجيج الموج فسمع الاميرين المختبئين فى اعلى الشجرة

***

واتفق أن رفعت الصبية ست الحرائر رأسها الى الشجرة التى فوقها ، فلمحت الملكين فى اعلاها بين ورقها . وهما فى ثياب الزهاد . فلم تعتم الصبية عندها ، أن رفعت عن ركبتها رأس الجنى فوضعته على الارض ، ونهضت من جلستها ، واقفة تحت الشجرة وقد نصبت قامتها ، واشارت لهما أن انزلا ولا تخافا من الجنى

فنزلا لها هامسين فى ضراعة : « بالله عليك أن تعفينا من ذلك وتسامحينا »

فقالت لهما « عليكما أن تنزلا . والا انبهت الجنى اليكما ، فيقتلكما شر قتلة »

فما كادت رجلاهما تمس الارض حتى جعلت تراودهما . وكانت كلما امتنعا عن موافقتها عادت تهددهما بالجنى . الى أن كان لها ما ارادت . وقبل أن ينصرفا عنها لمحت خاتما فى اصبع كل منهما ، فاخرجت من جيب صدرها كيسا فتحته . واخرجت شيئا منه كالعقد ينتظم بعض مئات من الخواتم وطلبت الى كل من الملكين خاتمه لتضمه الى خواتم من اقتحموها ، حرصا من ست الحرائر ، على ضبط الحساب فيما اتخذته من دفاتر ، لاحصاء خيانات المرأة حين تمكر وهى اعظم المواكر . وعادت الصبية بعدها الى جلستها واعادت رأس الجنى الى موضعها فوق ركبتها .

***

ومضى الملكان . وقد افاد كل من هذه العبرة الكبرى ما يوافق طبعه مع اتفاقهما فى الرأى على رجوع كل منهما الى مملكته.

فاما شاه زمان امير سمرقند ، فانه بعد الاستئذان من السلطان عاد الى مملكته ، كأن شيئا لم يحدث ، وهناك اتخذ زوجة جليلة بدلا من الخائنة القتيلة . وسار فى الحكم سيرته الاول من غير تعديل ولا تبديل :

اما شهريار سلطان فارس والهند ، فانه ما كاد يدخل قصره حتى امر بضرب عنق زوجته وكذلك اعناق الجوارى والعبيد جزاء الخيانة التى كان السلطان نفسه عليها شهيد ، ثم انه استن لنفسه بعد ذلك سنة مع النساء : وهو أن يبنى فى كل ليلة على فتاة بكر ، وفى الصباح يسلم امرها الى الجلاد .

وذاع فى انحاء المملكة هذا الاجراء الذى لم يسبق له مثيل فى القسوة والوحشية . وصارت البلاد على مر الايام تكاد تلبس كلها الحداد على بناتها ، الا من هربوا بهن الى اقاصى البلاد او عبر الحدود

ودامت الحال على هذا المنوال ، حتى قيض الله لخلاص العذارى من سوء ذلك المصير ، عذراء مثلهن ، الا انها فى عليا فضائلها لم يكن لها نظير : انها الزعيمة الاولى للحركة النسائية فى الشرق شهرزاد التى لم يكن همها اخذ الثار ، بل تحرير المرأة ورد الاعتبار لها لتكون فى جهاد الحياة رفيقا لزوجها

عبد القادر التلمساني:





فن

التمثيل الصامت

قصة الخادم الجائع الذى يتلقى الصفعات .
ويحضر حفلات السادة الماجنة ، وهو شديد الحزن!
كيف يعبر عن حزنه فى تمثيل صامت فصيح ؟



جان لوي بارو
التمثيل الصامت

« البانتوميم » ، (والاسم اليوناني هو بانتوميموس) : هو ممثل يعبر عن الافكار والعواطف بحركات الجسم والايدي والاوضاع المختلفة دون حاجة الى كلام. كذلك يطلق اللفظ على الوان من الرقص والباليه والعاب التسلية تعبر فيها حركات الجسم والايدي عن الحدث كله

و « الميم » ـ كما تقول دائرة المعارف الفرنسية « لاروس » (والاسم اليوناني هو ميموس اي المقلد) : نوع من الكوميديا الواقعية عند اليونان القدماء تسعى الى تقليد الحياة وما يدور فيها . وكانت هـــذه المسرحيات القصيرة مكونة من بضعة مشاهد يلعبها اثنان او ثلاثة من الممثلين بلا كورس ، بلا حـــدث درامي تقريبا

اما الميم ، كما تعرضه المســـارح المعاصرة ، فلم يعد فن تقليـــد ، وانما اصبح فنا من فنون العرض المسرحي يعبـــر عن الحدث الدرامي دون كلمـــة تقال . وليس لدى ممثل الميم اي شيء محسوس او مرئي ومع ذلك لابد ان يوحي به ، واحيانا يصبح هو نفســـه هذا الشيء او ذاك . ويربط اشياء غير موجودة بعضها ببعض ويتطور في زمان ومكان لا وجود لهما في الواقع

واذا تناول ممثل الميم ـ مثلا ـ برتقالة خيالية لا وجود لها في الواقع فانه يعطي لبـــده شكل الفاكهة وثقلها ، وحينما يأكلها يشعرنا بطعمها بتعبيرات وجهه . وفي حالات اخرى تتحول يده ـ مثلا ـ الى سمكة او فراشة من طريق التموج او الاهتزاز او الايقاعات المختلفة . وقد يجري ممثل الميم وهو في مكانه (وتلك حقيقة متناقضة وغير واقعية) فنراه يقفز قفزات صغيرة على احد ساقيه ، بينما يحرك الســـاق الاخرى من الخلف الى الامام بسرعة تزداد شيئا فشيئا ، وبهذه الطريقة يوهمنا الممثل بانه يجري

بدأ في روما

وقـــد بلغ البانتوميم في روما القديمة اعلى مستويات التعبـــيـــر التي بلغتها العبقرية الدرامية عندهم في ذلك العصر ، كما كانت التراجيديا او المأساة بالنسبة لليونان ، وقد نشأ وتطور من فن الرقص على يدي «بيلاد» Pylade و «باثيل» Bathylle وقد كانت موضوعات الرقص المسرحي في روما القديمة تتناول اشـــد الافعال سوقية وتحررا ، وكان القائمون به ممثلون هزليون يقدمون العابهم بين فصول المأساة او الملهاة التي تمثل ،



ديبلارتن من شخصيات الكوميديا الصامتة ..

• مارسيل مارسو .. واحد من رواد التمثيل الصامت المعاصر



وذلك بقصد تسلية الجمهور الذى لم يكن يعجب كثيرا بالبرنامج المعروض . وكان يطلق على أولئك الراقصين اسم « ميم » . وكان هؤلاء الميم يستلمون فى المآدب والولائم لتسلية المدعوين فيقدمون نفس اللوحات ويضيفون اليها أحيانا بعض الجوانب الفاجرة التى كانت تدفع بهم دائما نحو السوقية والتفاهة

فى هذا الوضع البائس وجد بيلاد وباشيل الرقص فى روما حينما ظهرا . وكان بيلاد يسود باليهات ناعمة رقيقة ومؤسية ، وكانت تكوينات باشيل حية ومرحة وخفيفة . وقد اتحد الاثنان معا وأقاما مسرحا على حسابهما كانا يقدمان عليه الوانا من المآسى والملاهى

وقد اعلنا يوما انهما سيقدمان برنامجا مسرحيا جديدا كل الجدة .. وامتلأ المسرح بالمتفرجين . بدأ الاوركستر بعزف الموسيقى ، لم ظهر ممثل على المسرح وافتتح الحفل . وفى لحظة ظهوره سكتت الموسيقى واستمر العرض . وشاهد الجمهور على المسرح ممثلين صامتين لا يعبرون الا بحركات أجسامهم وايديهم وخطواتهم ومايتخذونه من اوضاع مختلفة ويصورون على التوالى غراميات مارس وفينوس ، لم الشمس التى تكشفهما لزوج الربة الغيور ، والشرك الذى ينصبه الزوج لزوجته الطائشة ولحبيبها الرهوب الجانب لم التاثير الفاجىء لذلك الشرك الغادر الذى يحقق انتقام الزوج فولكان ، ويؤكد عار فينوس ، ويثير غضب مارس ولورته ، كما يثير الفرح الخبيث فى نفوس بقية الآلهة الذين أسرعوا جماعة الى تلك « الفرجة »

لقد شاهدت روما لاول مرة ، ملهاة كاملة : العرض والعقدة والحل أو النتيجة ، يعبر عنها جميعا بالرقص وبالحركات دون كلمة واحدة . وقد كان لذلك العرض المسرحى أكبر نجاح لدى المتفرجين الذين يشاهدون لاول مرة من طريق الخطوات والحركات والاوضاع وتعبيرات الوجه صورا حية تجرى دون كلام

ولعل هذا يعتبر أول عرض بالتوميم كامل فى تاريخ ذلك الفن

وقد استمتع بيلاد وباشيل معا خلال



لقطة انسانية صامتة



اقنعة من الشرق الاقصى

بعض الوقت بالمجد وبالثروة . ولكن الغيرة لم تلبث أن قلبت صداقتهما الى نفور فانفصلا .. وكسب الفن ، اذ أنشأ كل منهما مسرحاً مستقلاً لحركة المنافسة وتركيه ، واقتسما لفترة طويلة تصفيق روما – عاصمة الدنيا في ذلك الحين – لفنهما

في العصور الوسطى

لم تعرف العصور الوسطى – وهي الفترة التي تمتد من القرن الخامس الميلادي حتى القرن الخامس عشر – المسرح الاغريقي ولا المسرح اللاتيني ، ولكن كان هناك دائماً شعب تواق للذة



مارسيل مارسو .. ولوحة فنية

المشاهدة والفرجة فلم يختف المسرح الشعبي في أي عصر من العصور . ويقول ليون موسيناك في كتابه الشهير «المسرح منذ نشأته حتى اليوم» : « ان تفسخ العالم القديم واتحاد الاقطاع مع الكنيسة قد أوجد حضارة جديدة هي حضارة الشعوب المسيحية التي فرضت ديناً عاماً كان يعتبر المسرح وسيلة لافساد الروح والجسد ولذلك فقد حطموه . واذا كانت بعض مسرحيات المايم قد استمرت في البقاء فقد كان ذلك بطريقة متفرقة ومشتتة »

وعلى الرغم من ان الكنيسة ظلت لمدى ستة قرون تقريباً تحارب الصالب السيرك والمسرح ، الا انها مع ذلك استعانت بالخيال الدرامي لتقديم حفلات كانت تقام حول قبور الشهداء تصور القصص الرئيسية في الكتاب المقدس في عروض مسرحية تخلو من الكلام أو ينشد الكلام فيها على لسان آخرين غير الممثلين ، وكانت هذه العروض البانتوميم تقدم أيضاً على منصات خاصة في الهواء الطلق في الاسواق والميادين العامة وأماكن الحج وفي مناسبات الزواج

الكوميديا المرتجلة

لم كان أول ظهور كوميديا الفن Commedia Dell' Arte أو الكوميديا المرتجلة في ايطاليا في عصر النهضة حوالي عام ١٥٦٧ ، وترجع أصولها الفنية الى ممثلي البانتوميم اللاتينيين في روما القديمة . وقد صادفت الكوميديا المرتجلة نجاحاً ضخماً طوال قرنين من الزمان في ايطاليا وفي أوربا . وكان كل ممثل يتخصص في نموذج ثابت لا يتغير . وقد استعملوا الاقنعة أو الماسكات . ومن مميزات الشخصية الثابتة فهمها لدى المتفرج فقبل أن تبدأ المسرحية يعرف المتفرج شخصية كل ممثل وهذا يجعله قادراً على الحكم السليم . وقد انتهى الممثل نفسه بأن أصبح هو الشخصية التي يلعبها . وقد كانت نماذج كوميديا الفن لا تتعدى اثنتى عشرة شخصية قادرة على تصوير

كل الملاهي الانسانية ومن بين هـذه الشخصيات :

بانتالون ـ التاجر العجوز

بريجيلا ـ الماكر المحتال

ارلكينو ـ الساذج الابله

سكاراموش ـ وهو متحذلق ويصلح لكل شيء

بييرو ـ نموذج الفلاح الايطالي الذي يمثل الادراك السليم مع البساطة

كولومبين نموذج الخادمة الناصحة التي تصبح سيدة فعلية تتحكم في سيدها

والمهم هنا ان نعرف ان ممثلي الكوميديا ديلارتي كانوا يستخدمون اصواتهم ، وهذا هو جانب البانتوميم في فنهم . وكانت النصوص التي يمثلونها لا تسمى مسرحيات وانما هي ملخصات تساعدهم على التمثيل Aide Jeu

ومن امثلة ذلك ما يلي :

بريجيلا ـ يدخل ويتلفت حوله على المسرح . لايرى احدا فينادي

بانتالون ـ يدخل: وهو يمثل الخوف

بريجيلا ـ يريد أن يترك خدمته

بانتالون ـ يتوسل اليه الا يفعل . ويقول له ان الدائنين يريدون نقودهم ، وخاصة تروفالدان ، وان اليوم ينتهي موعد الدفع الخ ...

بريجيلا ـ يرق له ويهدىء من روعه ويعده بالمساعدة . (وفي تلك اللحظة)

تروفالدان ـ يدخل . مشهد من يريد نقوده

بريجيلا ـ يجد طريقة لصرفه

بانتالون وبريجيلا يبقيان

وفي تلك اللحظة

تارتاجليا ـ في النافذة يتسمع

وهكذا يستمر الموضوع

« ولا يستطيع احد أن ينكر ان هذا اللون من التأليف المسرحي له مميزات خاصة به لا وجود لها في الكوميديات المكتوبة » . هكذا كان يقول أحد ممثلي الكوميديا ديلارتي وهو ريكوبوني Riccoboni المولود عام ۱۷۰۷ ويستمر في الكلام عن الكوميديا المرتجلة فيقول : « ان الارتجال يتيح الفرصة لتنوع التمثيل ، حتى اذا شاهد المتفرج البرنامج عدة مرات استطاع ان يشاهد في كل مرة مسرحية مختلفة . والممثل الذي يلعب ارتجالا يلعب بحيوية اكثر وبطبيعة اكثر من ذلك الذي يمثل دورا محفوظا . انه يحس بشكل افضل ، وبالتالي فهو يقول ما يرتجله افضل مما يقوله من الآخرين معتمدا على ذاكرته

غير ان هذه المميزات التي تمتاز بها الكوميديا المرتجلة تقابلها من ناحية اخرى صعوبات كثيرة ، فهي تتطلب ممثلين مهرة بارعين ، بل هي تتطلب منهم جميعا ان يكونوا متساوين تقريبا في الموهبة لان الارتجال مصيبة . لقد يجد الممثل نفسه امام زميل لايعرف بالدقة اللحظة التي يجب أن يرد فيهـا ، فيبرد كلامه ويضعف تمثيله وتختنق روحه . والممثل الذي يريد ان يمثل ارتجالا لا يكفيه الوجه ولا الصوت ولا حتى الاحساس. انه لا يستطيع ان يبرع في هذا اللون ما لم يكن لديه الخيال النشط الخصيب والسهولة العظيمة في التعبير عن نفسه، والدراية بكل دقائق اللغة، وبكل المعارف الضرورية للمواقف المختلفة التي يضعه فيها دوره »

احياء الميم

لم تشهد النصف الاول من القرن التاسع عشر في فرنسا بعث فن البانتوميم في شخصية **جان بابتيست جاسبار ديبيرو** وقد ولد ديبيرو في بوهيميا عام ۱۷۹٦ وبدأ في التمثيل منذ طفولته مع أهله في فرق الاسواق المتنقلة . وكان بالفرقة أحد الايطاليين العارفين بكل فنـون الكوميديا ديلارتي فكان استاذه في فن البانتوميم . وقد اتخذ ديبيرو من احدى شخصيات الكوميديا المرتجلة وهو بييرو نموذجا له . ولم يحول ديبيرو من نفسية بييرو واخلاقه فحسب وانما غير في مظهره



معركة .. بلا كلام

ايضا . وكان نموذجه فى البداية خادما جائعا يتلقى الصفعات دائما ويحضر حفلات أسياده الماجنة وهو شديد الحزن وقد حوله ديبيرو شيئا فشيئا الى بطل يلعب الادوار الاولى فى المآسي والملاهي . ولم يعد يتلقى الركلات فى مؤخرته ، بل أصبح يعطيها هو للآخرين

كان ديبيرو اعظم ممثلي عصره ، خلق ونا جديدا من شخصية المهرج واستبدل حدة الطبع بالهدوء ، والحماس والاندفاع بحسن الادراك والتصرف . انه ممثل بلا كلام يترجم العواطف المختلفة بغمزة عين ، أو بلوى فمه ، أو بحركة خفية . ويعبر عن كل شيء ويسخر من كل شيء ويستطيع ان يلعب كل كوميديات موليير دون ان ينطق بكلمة واحدة .

وبعد أن مثل ديبيرو فى مسارح صغيرة بائسة اشتغل على مسرح « البهلوانات » Funambules عام ١٨٢٦ ، وظل يعمل عليه ويقدم روائعه حتى سقط مرة على المسرح ، ومات متأثرا بذلك الحادث عام ١٨٤٦

ويعتبر ديبيرو قمة فى البانتوميم البهلوانى Pantomime Acrobatique

وكان نحيفا لين الحركات يمارس كل التمرينات الجسمانية ووجهه طويل ومعبر والذين شاهدوا الفيلم الفرنسي الكبير « اطفال الجنة » عام ١٩٤٣ شاهدوا

نماذج من فن دبيرو وكان يقوم بدوره على الشاشة الممثل العظيم جان لوى بارو

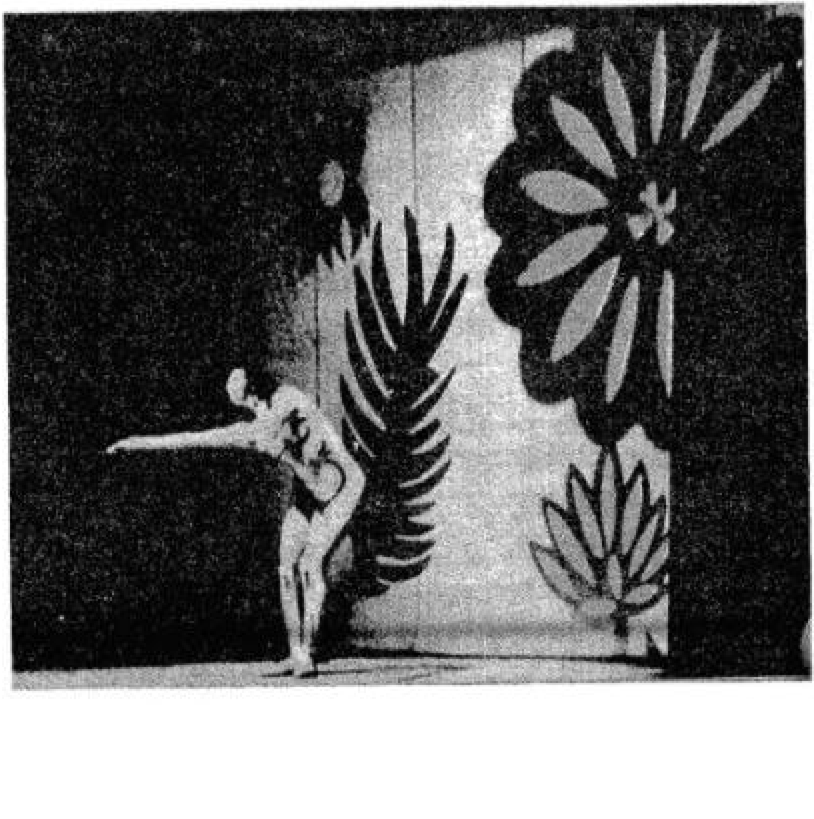
وبموت دبيرو هبط فن البانتوميم فى فرنسا . وقد حاول دبيرو الابن أن يحتل مكان أبيه ولكنه كان بعيدا من أن يرقى الى مستواه

***

وفى القرن العشرين عاد فن البانتوميم الى الحياة من جديد ورأينا فى انجلترا فى مطلع هذا القرن فرقة كارنو للبانتوميم التى تخرج فيها الفنان العظيم شارلى شابلن . وفى فرنسا كانت مدرسة « الفيوكولومبيه » Vlex-Colombler هى النواة الأولى لبعث هذا الفن

وكان مدير هذه المدرسة هو جاك كوبو Jacques Copeau وكان صحفيا وناقدا مسرحيا استمد مذهبه من تردده اليومى على صالات العرض المسرحى ولقد شن حربا على الممثلين والحياة الخاصة للفنانين وأذواق الجماهير وعلى الانتاج الفنى التجارى وعلى الصحافة والنقد أيضا . ثم جاء اليوم الذى دفعه فيه غرامه المشبوب بالمسرح الى الميدان . وكان فى الثالثة والثلاثين من عمره ، ولم يكن قد قام بأية دراسة تؤهله للتمثيل، ولكنه كان يحلم بمفهوم جديد فى الفن المسرحى . وفى عام ١٩٢١ فتح مدرسة الفيوكولومبيه وكانت رسالتها : انقاذ المسرح من الورطة التى أوقعته فيها المدرسة الطبيعية التى كانت تطالب بتمثيل الواقع المرئى بشكل طبيعته . وفى قلب هذا «المعمل» الفنى عاد القناع المسرحى من جديد يلعب دوره فى التعبير

ان الوجه حينما يغطى بقناع لايبقى للممثل غير جسده لكى يعبر به . وبالنسبة للممثل الذى يلبس القناع



نجد انه ينفصل عن العالم الخارجي . والظلام الذى يفرضه على نفسه يتيح له اولا ان يلقى بكل ما كان يثقله ، ثم يبلغ بعد ذلك بشيء من التركيز الى الفراغ .. وابتداءا من هذه اللحظة يستطيع ان يعيش من جديد ويمارس الحياة ولكن بشكل درامى فى هذه المرة

وبالنسبة للمتفرج يلغى القناع ذلك الوجه الذى نظن انه اكثر اجزاء الجسم قدرة على التعبير . واذا تصرف الشخص الذى يلبس قناعا بطريقة عادية فسيشعر المتفرج على الفور بعدم التوافق حتى ولو كان القناع قناعا محايدا ـ اى لا يحمل اى تعبير ـ ولكى يستقيم الوضع ويتم التوافق الدرامى لابد من السلوك تبعا لما يمليه القناع من أوضاع واشكال خاصة . وقد كون هذا كله الخطوات الاولى نحو فن الميم . وحينما اصبح فى مقدور المدرسة أن تقدم شيئا جديدا أعلن كوبو مسرحه عام ١٩٢٤ ، ورحل الى بورجونيا . وهمست باريس : « افلاس فنى بداريه افلاس مالى » . ولم يكن ذلك هو السبب الحقيقى . انما السبب الحقيقى فى رأى جان دورسى مؤلف كتاب « أحب الميم » هو ان جاك كوبو كان قد ترك المسرح نهائيا ووهب نفسه للتصوف

***

ويحدد جان دورسى رجال الميم العظام فى العصر الحديث بثلاثة عمالقة هم : ايتيين ديكرو ، وجان لوى بارو ، ومارسيل مارسو

واصغر الثلاثة العظام فى فن الميم هو مارسيل مارسو . وقد بدا مارسو فى عرض فنه على مسرح الجيب بباريس ثم انتقل الى مسرح سارة برنار ومسرح الرينيسانس حتى انتهى الى مسرح



مشهد من بانتوميم بولونى باسم « فكرة »

عرض بانتوميم عن اسطورة قديمة .. باستخدام الاقنعة ..!

« الامبيجى » Ambigu حيث استمر اربعة اشهر متتالية فى تقديم ميمو نالت نجاحا عظيما . ومن بين ميمو درامات مارسو الشهيرة « المعطف » المأخوذة عن رواية جوجول . وهى أقوى ميمو درام لمارسو وأكثرها غنى فى التعبير والمكتشفات والمخترعات الفنية الميمية. وفى « المعطف » نجد ان الاماكن التى تدور فيها الحوادث وهى : المكتب ، وعند الترزى ، وفى الحفلة الساهرة ، وفى الشارع لا يصورها ديكور وانما يعبر عنها بايقاعات مختلفة فى الحركات وهذا من صميم فن الميم

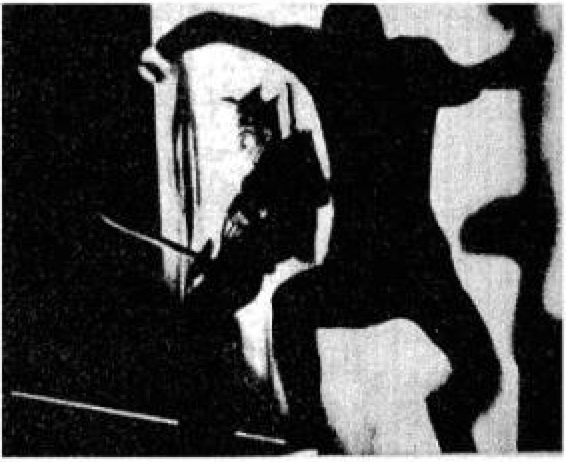
ويعتبر مارسيل اليوم اعظم ممثل ومخرج بالنتوميم فى العالم كله

ولكن جان لوى بارو ، الممثل الشهير كان من أبرع ممثلى الميم أيضا

وقد قاد ديكروجان لوى بارو فى خطواته الاولى . وظلا يعملان معا منذ التقائهما عام ١٩٣١ . ولم تظهر ثمار ذلك الجهد الا عام ١٩٣٩ حينما قدم بارو على مسرح « الاتيلييه » مسرحية « الجوع » المأخوذة عن رواية كنوت هامسون . وكان الممثل والميم والمخرج فى هذه الدراما هو بارو نفسه . وهذه المسرحية هى ثالث اعمال بارو الكبيرة الاولى مسرحية « تيمانس » للكاتب الامريكى فوكنر . وفى دراما « الجوع » اعطيت الاولوية فى التعبير لحركات الجسم والايدى — وكانت هذه الحركات من صميم فن البانتوميم

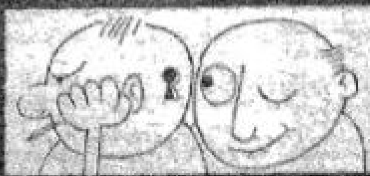
ولنرى كيف يصور جان لوى بارو الموت :

فجأة يعتدل النصف الاعلى من الجسم ويستقيم ، وتمتد الذراع اليمنى الى السماء فى يأس وتوتر . وتمر لحظة سكون كامل . ثم تنزل الذراع الممدودة المتوترة ، وراحة اليد فى اتجاه الارض تنزل ببطء شديد .. شديد جدا . وتمر الذراع امام الوجه ، وتمر امام الرقبة ، وتمر امام النصف الاعلى من الجسم تمحو بذلك الحياة



معركة أخرى بالبانتوميم عند ديكرو

أفكارهم



* علق رونالد درايدن في مجلة « نيو ستيتسمان » على تمثيل سير لورنس اوليفيه لدور عطيل في مسرحية شيكسبير فقال : ان غرضه من القيام بدور الزنجي هو أن يخلق شيئا يستجيب له المتفرج في العصر الحديث ... وهو ابراز عظمة الزنجية

* كتب يوسف ادريس يقول بعد عودته من مؤتمر الكتاب في موسكو : ان قضية الباطل هي فقط التي تحتاج الى دعاية . اما قضية الحق فانها لا تحتاج الا لشرح . وقضيتنا نحن العرب ضد اسرائيل قضية حق واضح وبسيط . وكل الافتراءات التي الصقت بموقفنا او تركنا افتراءات حبر وورق ، وجعجعة واصوات . تكفى مناقشة سريعة لسحقها ودحضها . وانني اطالب بان تثير مكاتب الجامعة العربية خططها ومواقفها وطرقها ..

* قالت الفت كامل عضو مجلس الامة ، في حديث بجريدة « الاهرام » : ان مالفت نظرها في المانيا الشرقية نشاط المرأة الفلاحة في الجمعيات التعاونية الزراعية ، فهي تجيد استخدام الآلات الزراعية

* طالبت السيدة ايرين وارد ، عضو مجلس العموم البريطاني ، الحكومة بان تجعل الاولوية في سياساتها الاجتماعية لذوي الدخل الثابت الذين يبلغ عددهم بالملايين . واضافت ان المشاق التي يعانونها أصبحت لا تحتمل وينبغي أن تهز الضمير القومي

* يقول أنيس منصور في «الاخبار» انه لا بد ان تنتهي هذه الموجة الادبية التي ترفض العقل والمنطق والحياة ، فالمسرح الحديث ليس متمردا على العقل ولكنه متمرد على الشكل الفني المعروف

* يقول محمود امين العالم في «المصورة» أن مصاحبة الجنس لكثير من الظواهر لا تعني أبدا انه العامل الاساسي الفعال فيها . ان تفسير التاريخ والمجتمع والنفس لا يمكن أن يخضع لعامل واحد ، وليس معنى الواحدية العلمية أن تجمع في صيغة واحدة قوانين المجتمع والنفس والطبيعة

* يقول سعد الدين وهبة في جريدة الجمهورية : ان من ملامح التطورات في مجال الادب السوفييتي من الوجهة النظرية أن الاديب الواقعي الاشتراكي يكتب للحاضر . يكتب لقارىء اليوم ، ولا يكتب للمستقبل . ان قارىء المستقبل عنده مجهول .. والكاتب لا بد أن يعرف قارئه ..!

* كتب الدكتور محمد مندور في مجلة «المسرح» يقول : انه يتأمل التطور الواسع الذي مرت به الدراما منذ الكلاسيكية حتى وقتنا الحاضر نلاحظ اختفاء الكثير من الاصول التقليدية للدراما مثل الوحدات الثلاث ومبدأ فصل الانواع . ولكن هذا لا يعني أن تصبح المسرحية شيئا مفككا

* يقول عبد الفتاح الحديدي في «الثقافة» ان الثورة في جوهرها رفض للقيم الوجود المفروضة ، فهي لا تقبل الانحباس داخل الاوضاع المقررة ، وهي تنزع نحو المستقبل وتحرر الانسان من أسر القيود الاالتواندفع

بمجلة الحياة الى استباق الزمن من اجل توفير فترات العناء . وما دامت الثورة تعنى التمييز والتفضيل بين حياة وحياة فهى تعنى بالتالى اعتمادها على العقل وعلى العقل الخلاق بالذات

* فى رأى هنرى براندون فى الصنداى تايمز : أن المال ليس بالمشكلة التى تراجه المرشح الجمهورى جولدووتر فى حملته الانتخابية ، اذ يكاد أن يكون تحت تصرفه كل مال شركات البترول ، كما يؤيده بعض كبار رجال الصناعة والبنوك فى غرب وجنوب الولايات المتحدة

* يقول الدكتور عبد القادر حاتم فى الثقافة : اننا نمارس التجربة ونمارس الخطأ والصواب وليس هذا عيبا ، انما العيب الا نعمل شيئا او يرهبنا الخوف من الخطأ ويدفعنا الى التقوقع والانكماش»

* رد الدكتور محمد احمد انيس استاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة على موسى صبرى رئيس تحرير الاخبار بقوله : اننى عندما طالبت باستيلاء دار الوثائق بالقاهرة على مذكرات الزعماء المصريين ، لم أكن فقط أتحمل مسئوليتى كاستاذ للتاريخ ، بل كمواطن فى المحل الاول . فتراثنا الفكرى تسرب أغلبه الى الخارج خلال القرن ١٩ ونحن نعتبر هذا التسرب جزءا من عملية النهب الاستعمارى لثرواتنا الفكرية .. واذا كان ذلك قد حدث فى عهد على بك الكبير ، أو محمد على باشا ، فليس من الجائز ان يحدث لتراثنا القومى .. فى عصر الثورة

* فى مقال بمجلة العربى عن الفيلسوف شيللر يقول الدكتور عثمان امين : ان لهذا المذهب الفضل فى انه لايتصور العالم شيئا تاما « معطى » جاهزا . ان لشيللر عقيدة يعتز بها أيما اعتزاز .. تلك هى : ان الواقع قابل للتشكل ، واننا نستطيع ان نصنع به ما نشاء ، واننا نبتدعه على الدوام وبدون انقطاع» وان عملية الابتداع لم تنته بعد .. ولن تنتهى ابدا

* كتب السيد كمال الدين رفعت فى مجلة الكاتب مقالا بعنوان «بديهيات فى فكرنا الاشتراكى » يقول فيه : ان أول ما تهتم به الاشتراكية هو البحث عن نوع العلاقات الاجتماعية التى أدت الى فساد الوجود . ثم العمل على قيام علاقات اجتماعية جديدة تحدد علاقة الفرد بالمجتمع ، وعلاقة المجتمع بالفرد .. بحيث يكون ناتج هذه العلاقة قيام الوجود الصالح الذى يكتسب من الفرد كل قدراته الانسانية الخلاقة . ويمنع استغلال الفرد للفرد ، والمجتمع للفرد على جميع صور الاستغلال واشكاله . وبهذا ترتبط الاشتراكية بالديموقراطية بهدف قيام مجتمع تؤمن فيه الحرية .. لتحقيق القيم الانسانية ، والروح التقدمية للفرد..

* فى رأى عبد الرحمن صدقى : ان الرقص الاسبانى والموسيقى الاسبانية هما بمثابة « كوبرى » بين الموسيقى الشرقية العربية ، والموسيقى الغربية انهما ترمومتر نجاح العمل الغربى على اى مسرح عربى ..

* فى مجلة العلوم اللبنانية كتب رفيق خورى يقول : لم يكن دفاع الادباء عن ليلى بعلبكى بعد مصادرة كتابها « سفينة حنان الى القمر» دفاعا شخصيا . كان الجميع يدافعون عن قضية عامة . عن قضية مبدأ . ولو ترك الذين وقفوا بعناد الى جانب ليلى يكتبون رأيهم فى الكتاب .. ربما انتقدوه . ولكن من وجهة النظر الفنية البحتة . ان مصادرة هذا الكتاب تقرع ناقوس الخطر على الحرية الادبية فى لبنان . ان مجتمعا كثير من رجاله ارانب ، وكتبة ، وفريسيين .. لا يقبل أن يفضحه الادباء .. ويجب على الادباء أن يناضلوا كى يفضحوه بحرية !.

* يقول الدكتور محمد كامل حسين فى مجلة المجلة : ان أكبر نكبة نكبت بها اللغة الفصحى كانت الفية ابن مالك . ذلك اننى لا استطيع ان اتصور ان احدا ممن حفظوها وممن يستشهدون قواعدها يمكن ان تصبح فيه اللغة سليقية ، لانه يذكر ابياتها عندما يعرض له امر صعب . وكان خيرا له لو استشهد عبارة مأثورة ، او مقالة لكاتب كبير ، او شاعر معروف بدلا من هذه الالفية

أخبارهم

* عبد العزيز عبد الله الامين العام لمركز تنسيق التعريب فى العالم العربى اصدر معجما سماه « معجم الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » . تتبع المؤلف فى هذا المعجم الاصول والقواعد الاساسية المشتركة بين اللغة العربية واللهجة العامية فى المغرب ، ونسقها حسب الحروف الابجدية ، فأتى باللفظ العربى الصحيح ومقابله اللفظ العامى ..

* مبنى دار الكتب الجديدة الذى سيقام على كورنيش النيل بالقاهرة سيتكلف ٢ مليون جنيه

* بدأ الباحثون العرب يهتمون بالطب الصناعى ، آخر الاخبار أن المصرى على مسعود نال الدكتوراه فى الطب الصناعى من بريطانيا

* صدر لعلى امين كتاب بعنوان «الدعامة» يضم الكتاب مجموعة مختارة من افكار على امين التى كتبها فى الاخبار ، واخبار اليوم

* سيقام فى الكويت مبنى للتليفزيون مثل مبنى ماسبيرو بالقاهرة

* يعقد هذا الشهر بالقاهرة المؤتمر الثانى للمرأة العاملة . تفتحه الدكتورة حكمت ابو زيد . وسيبحث ماتحقق من توصيات المؤتمر الاول الذى عقد فى العام الماضى .

* كتاب « الجامع الكبير » الذى جمع فيه الامام السيوطى سيرة النبى محمد فى ٨ اجزاء ، ولا يوجد منه فى العالم سوى نسختين احداهما فى مكتبة جامعة تونس . تولى تصويره د . عبدالحليم محمود عميد كلية اصول الدين بالازهر مع على عبد العظيم مدير الوثائق والمكتبات . د. عبد القادر حاتم قرر طبع هذا الكتاب بالقاهرة

* يوسف السباعى كتب قصة طويلة تدور حوادثها فى السد العالى

* حصل المصور حسن التلمسانى على الجائزة الاولى فى التصوير السينمائى للافلام التسجيلية كان قدم صور فيلم من الفيضان ، وجبال سيناء ، ورحلة العائلة المقدسة ، وحكايات من النوبة ، والمتحف القبطى ، والمتحف الاسلامى .

* اكثر الكتب الاجنبية رواجا هذا الشهر

فى نيويورك :

١ ــ همينجواى :
A moveable Feast
٢ ــ سالنجر وناكور :
A Tribute to John F. Kennedy
٣ ــ موريل :
Diplomat Among varriors
٤ ــ ادلر : The Kennedy Wit
٥ ــ بنشوب :
A Day in the life of Président Kennedy

فى باريس :

١ ــ جان بول سارتر : Les Mots
٢ ــ داليتوس : Snobisimo
٣ ــ دى كار : Les sept Femmes
٤ ــ وست :
La Vallée des Maléfices
٥ ــ سان انطوليو :
Histoire de France

رسائلهم

* رسالة من القارىء المواطن اسماعيل صالح ، وهو من الفلاحين بالقريب ، مركز زفتى ، تعلق على مقالات ابراهيم عامر الزراعية ويقول ان القانون الذى نص على عدم جواز ادارة اطيان اكثر من ٥٠ فدانا بالوكالة او بغيرها لم ينفذ بتاتا فى جميع انحاء الجمهورية

ثم يقترح :

اولا - أن تقتصر حيازة الارض على المقيمين فى الريف اقامة كاملة وأن تكون حرفتهم الوحيدة هى الزراعة ، وان لا يجوز الجمع بين فلاحة الارض واى عمل آخر

ثانيا - تحديد الحد الاعلى لحيازة الارض بـ ٢٥ فدانا ملكا أو ايجارا

* ورسالة من الدكتور الصيدلى جورج وهبة العفى يقول فيها :

ان الزيادة فى عدد سكان الجمهورية العربية المتحدة دفعت المسئولين الى دراسة ما يمكن أن يترتب على ذلك من مشكلات اقتصادية واجتماعية دراسة علمية ، وخرجت بمشاريع جريئة ، شارت فى تحقيقها كالسد العالى ، ومنخفض القطارة ، وزراعة الصحراء كما حدث فى الوادى الجديد ومديرية التحرير

وهو يقترح زيادة مساحة الاراضى المزرعة بانشاء مزارع مائية . اى النباتات تزرع فى احواض او تربة من الماء او الرمل ثم تغذى بالعناصر التى يحتاجها النبات لنموه . ويقول ان هذه الطريقة لا تكلف كثيرا . وان هذه التجربة قد اجريت فى ولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة ونجحت منذ اربعين سنة . وان الاتحاد السوفييتى اقتحم اراضى الصحراء الرملية واستفاد منها ، بان حولها الى مراع وارض خصبة

ويقول ان من الممكن الاستفادة بهذه التجارب فى الجمهورية العربية المتحدة .

* ويصحح د. عبد العزيز نوار مدرس التاريخ الحديث بآداب عين شمس كلمة نشرت فى مقاله بالهلال عدد يوليو وهى معركة « تصيبين » فيقول : ان الصحيح هى معركة « نزيب » لان كلا من الاسمين يبتعد عن الآخر فى التقسيم الجغرافى وان هذا من واقع الكتب المعاصرة ومن واقع التاريخ

* ويقول الكاتب احسان النابلسى من نابلس بالاردن يقول انه اقبل على قراءة الهلال الجديد ، ويرجو أن يعبر الهلال عن هذا الشعار « النظرة العربية الجديدة الى الحياة » ، وفى خطابه آراء قيمة سديدة

* وتقول القارئة هدى كاظم من الاسكندرية ان موضوع الديكولتيه لا يناسب الصيف . وقد نشر الموضوع فى عدد يوليو

وقد وصل «الهلال» برقيات وخطابات تهنئة ، يحمل بعضها اراء مفيدة ، او مقالات جيدة ، نشرنا بعضها فى هذا العدد ، ونرجو ان نستفيد من بعضها فى المستقبل

.. وأخبارهم

من ٧٠ سنة

● قالت « المقتطف » ان من رأى سان سيمون انه لا يمكن اصلاح شأن الامة الا بعد استئصال حق السلطة الوروثة ، وارجاع كل سلطة وكل ملك الى الحكومة حالما يموت صاحب السلطة او صاحب الملك ، والحكومة تمنح السلطة لمستحقها وتوزع الملك على الذين يحتاجون اليه وتنيط الاعمال بالاكفاء لا غير ..

● ذكر الدكتور شتي من فينا ان كثافة الدم تزداد كلما ارتفعت درجة حرارة الجسد والعكس ، ولا فرق فيما اذا كان هبوط الحرارة طبيعيا أو ناتجا عن فصل الاثيرين أو باستعمال البيلوكربين حقنا تحت الجلد ..

● فشت الكوليرا الوبائيــة في ولاية لوريانا الروسية وراح ضحيتها عدد من الاطباء الذين يعالجون المصابين ، وهنا قرر الاهالي تكوين جمعية لضمان حياة الاطباء ، وان يعطوا مبالغ سنوية لعائلة كل طبيب يتوفى بالكوليرا او غيرها من الامراض المعدية

● في احصاء من المانيا أن نفقات الحربية والبحرية ارتفعت من ٢٠٨ ملايين فرنك سنة ١٨٧٤ الى ٣٣٦ مليونا في سنة ١٨٩٤ ، وان نفقات السكك الحديدية تقل عن ايراداتها بمقدار ٢٠٠ مليون فرنك وزاد دين الحكومة من ٨٤٢٦ الى ١٢١٢٣ مليون فرنك فيما بين عامى ١٨٧٢ ، ١٨٩٢

● ذكرت المقتطف انها رأت ثمارا جيدة من المانجو في احد البساتين واستنتجت ان نباتات المنطقة الحارة وما يقاربها تجود في القطر المصرى اذا اعتنى بزراعتها اكثر مما تجود في مواطنها الاصلية

● كتب غلادستون في مجلة القرن التاسع عشر الانجليزية يقول : ان الديانة ليست مجموع سنن ثابتة لا تتغير كليا وجزئيا بل هى نواميس يقصد بها خير الانسان في الحال والمآل وتختلف وتتنوع بحسب الازمان والاحوال ، فالربا مثلا كان محرما في الشريعة الموسوية ولكنه الان ركن من اركان الهيئة الاجتماعية .

● يقول المسيو بول بلوى في مجلة باريس : ان جمهور الفلاحين الذين نزلوا استراليا على غاية من الكسل والتوانى ، وعنده ان الفرنسيين اقدر على الاستعمار من الانكليز

● اكتشفت السيدة آجنس لوس الانجليزية نسخا من الانجيل في دير سينا باللغة الارامية واللغة العربية

● اكتشفت في برابى اسيوط مدفن لملك يعود الى ٢٢٠٠ قبل الميلاد ، ووجد في التابوت صور جنود من الخشب ترتدى السراويل وبايديها تروس من الجلد ولكنهم سود وبايديهم سهام من الصوان . واستنتج الباحثون ان السودانيين كانوا ينتظمون في جيوش مصر

● قالت مجلة « الهلال » ان اسماء القارات مأخوذة غالبا من اسماء بعض اجزائها المشهورة او منسوبة الى من اكتشفها ، فآسيا اسما لبر الاناضول المعروف الان باسم اسيا الصغرى ، وافريقية كانت اسما لعاصمة بلاد القيروان في بلاد المغرب ، واسبانيا سميت كذلك لانها مؤلفة من جزائر منتشرة في الاتلانتيس المحيط





الوجه البرئ (١٩٦١)
للمصور [illegible]
[illegible] (إيطاليا)

الوجه الآخر (١٩٥٤)
للمصور سفن كوستا
جوهانسون (السويد)

الروح والصورة



الضحكة المكتومة
(١٩٦٤)
للمصور جيمس ستامب



من افريقيا
(١٩٦١)
للمصور دونالد
هربرت (سولهمبتون)



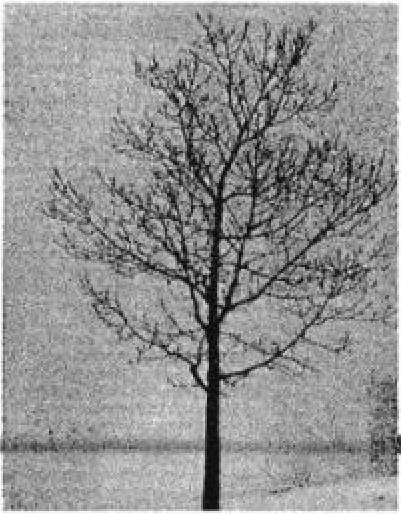
للمصورة جارج كلاج
(سويسرا) ١٩٥٦)

طفولة
و . .
أمومة

للمصورة سوزان
ساس (١٩٥٦)







الطبيعة (١٩٦١)
للمصور وليم
ليد (تايلاند)

الوحدة (١٩٦٤)
للمصور جيمس ستاهب



للمصـــور ليمـــان ـ نيويورك

المتفرج (١٩٦١)

للمصور ميسون ـ تشيكوسلوفاكيا



د. محمد أحمد انيس

الجبرتي

أعظم المؤرخين



يبلغ الجبرتى وسط مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى والنصف الاول من القرن التاسع عشر عملاقا . واكثر من ذلك ان الكتب التاريخية الاخرى لهذا العصر تستمد اهميتها من وجود تاريخ الجبرتى نفسـه ، فهى تعتبر مكملة لتاريخ الجبرتى ، ومن هذه الزاوية فقط تبدو لها بعض الاهمية . لذلك فلا محل فى الحقيقة لمقارنة الجبرتى بالمؤرخين المعاصرين له او السابقين او اللاحقين القريبين منه ، فالجبرتى يتميز على كل هؤلاء بانه يقدم صورة كاملة نابضة بالحياة للمجتمع المصرى خلال العصر العثمانى والنصف الاول من القرن التاسع عشر ..

والحق أن الجبرتى يعتبر أحـد كبار المؤرخين فى العالم العربى فى جميع الازمنة وبالتاكيد هو اعظم المؤرخين العـرب فى الازمنة الحديثة

ويواجه باحث التاريخ مشكلة غريبة فى محاولة تفسير ظهور مؤرخ مثل عبد الرحمن الجبـــرتى فى العصر الذى عاش فيه . فالمعقول الا يظهر مؤرخ فى مستوى الجبرتى على الاطلاق فى هذا العصر . ذلــك أن الجبرتى بالنظر الى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى يبدو كانه خرج مـن لاشىء ولايرجع الى شىء

والواقع أن الجبرتى ظاهرة من الظواهر التاريخية المعزولة تمـاما عن عصرها فى ضوء الدراسات التاريخية المصرية فى العصر العثمانى والنصف الاول من القرن التاسع عشر

بل ولم يمتد الجبرتى كظاهرة الى الفترة التى تلته ، فحتى الآن لم يحاول احد ، لا داخل مصر ولا خارجها فى العالم العربى أن يسير على خطى هذا المؤرخ

ان ظاهرة بزوغ عبقرية منفردة ومعزولة عن الوسط الذى عاشت فيه .. تبـدو غريبة حقا ليس فقط بالنسبة لتاريخ مصر بل بالنسبة لتاريخ البشرية

ويزيد من غمـوض الموقف بالنسبة للجبرتى أن المعلومات التى لدينا عن هذا المؤرخ قليلة جدا . فلم يخلف الجبرتى تلامذة يؤرخون له ، كما أن النهاية الدرامية التى ختم بها الجبرتى حياته وما تعرض له الكتاب من اضطهاد على يد الاسرة الحاكمة تعتبر مسئولة عن قلة المعلومات عن الجبرتى المؤرخ والانسان

ويروى المستشرق الالمانى كريمر الذى زار مصر فى عهد سعيد : **ان الحكام كانوا يحرقون كل النسخ الخطية لكتاب الجبرتى وينصون فى عقودهم مع المطابع لطبع النشرات والكتب الحكومية بان تتعهد هذه المطابع بعدم طبع كتاب الجبرتى(١)**

●●●

دون شك اذن كان لما تعرض له الجبرتى شخصيا ولما تعرض له كتابه من بعده من اضطهاد أثره البالغ فى ندرة المعلومات عن هذا المؤرخ . ويضاف الى هذا أن الجبرتى لايتحدث عن نفسه فى كتابه . فعلى الرغم من أن هذا المؤرخ المصرى قد القى اضواء ساطعة على البيئة العامة التى نشا فيها عند ترجمته لوالده الشيخ حسن الجبرتى وفى مواضع متفرقة من تراجم شيوخ عصره ، الا أنه لايكاد يذكر شيئا عن حياته وراء ذلك . فالجبرتى يختفى فى هجائب الاثاره اختفاء يكاد يكون تاما .. الامر الذى يجعل الكتابة

---

١ طبعت كتب الجبرتى كاملة فى فترة الاحتلال وترجمت الى الفرنسية ولم تترجم حتى الآن للانجليزية

عن سيرته وتفهم كتاباته من خلال هـذه السيرة امرا عسيرا للغاية

***

والثابت أن الجبرتي ولد في عام ١٧٥٤ بالقاهرة في حارة الصنادقية وارسل الى مدرسة السنانية لحفظ القرآن فاتمه وهو في الحادية عشرة . ثم التحق بالازهر . ولكن يبدو ان الجبرتي كان يتلقى من مدرسة والده ومكتبته اكثر مما كان يتلقى في الازهر . فقد نشأ الجبرتي في أسرة علمية خالصة ، وتوفرت له امكانيات مادية وعلمية وصلات اجتماعية قلما توفرت لغيره من مشايخ عصره ، فعندما مات أبوه ، ترك له مكتبة شخصية حوت كتبا في سائر فروع المعرفة والعلم كما ترك له ثروة كبيرة وفق مقاييس هذا العصر بعضها في القاهرة وبعضها في الوجه البحري

***

ومن الواضح أن الجبرتي لم يتفرغ كلية للعلم بعد وفاة والده في عام ١١٨٨هـ، فقد كان عليه أن يشرف على تلك الثروة التي تركها له أبوه ، وهذا يفسر الرحلة الطويلة التي قام بها الجبرتي في العام التالي لوفاة ابيه ، اذ قام في ١١٨٩ برحلة الى الوجه البحري زار فيها معظم المراكز الهامة، وقد افاد الجبرتي كثيرا من هذه الرحلات، ليس فقط في تعرفه على البيئات المصرية المتعددة مما افاده كثيرا بعد ذلك في تاريخه وفي تحديد مواقع البلدان تحديدا دقيقا.. بل كذلك في تعرفه على كثير من مدارس العلم المحلية .. الامر الذى يبدو بوضوح في تراجمه لعلماء عصره

لا . الجبرتي لم يكن نموذجا تقليديا لعلماء عصره من رجال الازهر فهو قاهري بكل ما يحمله القاهري من قوة وضعف ، ذكي يفهم حركة الجماهير في القاهرة فهما جيدا ، ويحمل في نفسه كل صفات القاهريين من خفة الظل والنظرة الفنية للحياة . ولم يكن الجبرتي كثير العلم في شئون الدين واللغة ـ وأخطاء الجبرتي اللغوية ولغته الضعيفة دليل على ذلك ـ ولكنه كان مثقفا بالمعنى الواسع لهذه الكلمة ، له ثروة لا بأس بها وكان على صلات اجتماعية بدوائر الحكام . فهو بحق يوضع في قائمة الطبقة المصرية صاحبة الثروة المتطلعة الى المشاركة في الحكم

بهذه الخلفية الثقافية والمادية دخل الجبرتي عالم التاريخ صدفة . فلم يعد الجبرتي ليكون مؤرخا بل مارس كتابة التاريخ دون علم منه بذلك . ولهذا قصة لابد من روايتها !

اولا ـ للجبرتي كتابان : ١ ـ **مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس .**

وهو مطبوع طبعة غير محققة ـ ويتناول احداث الحملة الفرنسية

٢ ـ وكتاب آخر اشتهر به وهو **عجائب الآثار في التراجم والاخبار** . بدأه كما يبدأ المؤرخون بتاريخ مصر منذ القدم



بونابرت .. كان للجبرتي موقف منه غير موقف بقية المشايخ .. !

العصور في عملية سريعة حتى يصل متصلا في العصر العثماني وينتهي عند نهاية مشيخة **محمد بك ابو الذهب**

والجزء الثاني عن مصر في عهد **ابراهيم بك ومراد بك**

والجزء الثالث من **الحملة الفرنسية حتى تولية محمد علي**

والجزء الرابع والاخير عن **محمد علي** حتى ١٨٢١ م (١٢٣٦ هـ)

الجبرتي جمع مذكرات عن الاحداث والتراجم في حياته ابان الحكم العثماني وقبل نزول الفرنسيين ، ولكنه بدأ سنة ١٢٢٠ هـ ـ ١٢٢٤ هـ يكتب تاريخا

ويبدو ان الجبرتي قد انقطع عن كتابة التاريخ بعد ١٢٠٦هـ حتى عاد اليها في شكل جديد وهو المذكرات اليومية منذ ١٢١٣ هـ عند نزول الفرنسيين بمصر . وقد كتب الجبرتي تاريخ مصر تحت الاحتلال الفرنسي من ١٢١٣ هـ الى ١٢١٦هـ في كتابه المعنون « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » في شكل مذكرات يومية

ومعنى ذلك ان الجبرتي قد غير في منهجه في كتابة التاريخ

لانه ابتداء من ١٢٢٠ ــ ١٢٢١ هـ بدأ في كتابة تاريخه كتابة منتظمة مستمرة لكن ما الذي دفع الجبرتي الى تسجيل الحوادث على النحو الذي ذكره اولا ثم ما الذي دفعه الى جمعها في ١٢٢٠ هـ وكتابتها وتدوين الحوادث في شكل منظم بعد ١٢٢٠ هـ

***

لقد بدأ الجبرتي في كتابة عجائب الاثار على النحو السابق في سنة ١٢٢٠هـ ومعنى هذا أن باعثا نفسيا لابد أن يكون قد ظهر في هذه السنة أو قبل ذلك بقليل

ويبدو أن الباعث النفسي كان رغبة الجبرتي في أن يغير موقفه من الاحداث التي مرت بمصر منذ الغزو الفرنسي حتى سنة ١٢٢٠هـ ، وان العامل الاساسي الذي دفع الى ذلك هو خيبة الامل التي أصابت الجبرتي في الحكم العثماني عقب عودة العثمانيين اثر خروج الفرنسيين من مصر والتي جعلته يدرك أن الحكم العثماني لم يكن خيرا من الحكم الفرنسي . بل على العكس .. وربما يكون الحكم الفرنسي من بعض الوجوه خيرا من الحكم العثماني .
ولذلك فالجبرتي يغير موقفه من الحكم الفرنسي وعودة العثمانيين ليصبح أكثر موضوعية واقل عاطفية مما كان عليه في مظهر التقديس

***

والحقيقة أن هذا التعديل لايعني مجرد التنظيم والتبويب لاخراج جديد بل يحمل تغيرا موضوعيا في تفكير الجبرتي السياسي

ان الشواهد الداخلية والخارجية تجعلنا نحكم على مظهر التقديس بأنه التاريخ الرسمي للحملة الفرنسية. فالكتاب مهدى الى الوزير يوسف ضيا باشا اذ يقول الجبرتي في آخره في ذكر فضائل شهر رمضان المبارك :

« وايضا ان شهر الصيام مقدمة شهر العيد الذي هو موسم السرور الجديد وقد كان قدوم المشار اليه (الوزير يوسف ضيا باشا) نظر الله بعين الرعاية اليه مفتاح ابواب المسرات التي طال انغلاقها ومعيد بهجة مصر التي كسف بظلام الكفرة اشراقها ثم لسدته التي هي ملثم شفاه الاقبال ومحط افاضل الرجال اهدى كاسد هذا التصنيف وحامل هذا الترصيف فان لاحظه بعين القبول وذلك هو المتيقن والمأمول راج في معالم الادب سوقه وبطالع السعود شروقه » .

وواضح من هذا أن الجبرتي كان يرحب برجوع العثمانيين ويعتبر هذا بداية لانبثاق عهد جديد زاهر . ونهاية حكم فرنسي لم يكن راضيا عنه .. وفي مقدمة الكتاب مايشير الى هذه الحقيقة على نحو اوضح. فهو من ناحية يلقي اللوم في تمكن الفرنسيين من احتلال مصر ؛ على الامراء المماليك الذين اتكلت عليهم الدولة لحماية الاقليم ، فخربوا الثغور واشادوا القصور « . فلما دهمت الفرنسيس اقرها الغافل ووقعت منه على طائل بال سهل عليهم الحال فاقتحموه ودخلوا من باب الاقليم بدون ان يفتحوه وتقاعدت العساكر المصرية على التسارع لاستنقاذ الثغر فعظم البلا واخذ العدو يطوي بساط الارض حتى اذا التقى الجمعان لم يسع القدم الا الفرار الى الفلا » الى أن يقول :

« وانانخت دولة الكفار بكلكلها على هذا القطر العظيم وانتشروا في ارجائه انتشار السم في جسد السليم .. ولقد كادت تعم الرزية وتصير القضية الدائمية لولا عناية مؤيدة الله بالنصر والتمكين وتولى عسكر المنصور مهما توجه لمطلق آية الفتح المبين وهو الملك الاعظم والسلطان الافخم غياث المسلمين ، ملاذ المؤمنين ، مالك رقاب الامم ملجأ العرب والعجم ، حافظ ناموس الشريعة الغراء بقوة سطوته باسط بساط العدل والاحسان على كامل رعيته » .

***

ولاشك أن الجبرتي اتصل بالوزير العثماني وان الوزير أحسن استقبال الكتاب

لانه بعد عودته الى دار السلطنة عرضه على السلطان سليم الذى امر كبير أطبائه مصطفى بهجت بنقله الى التركية ففرغ من ذلك سنة ١٢٢١ هـ/١٨٠٦-٥م ، ومن المرجح أن الوزير وقد اكبر الجبرتى كعالم فلكى عهد اليه بتحرير التقاويم والتوقيت ورتب له جعلا على ذلك

ورغم أن مظهر التقديس يمثل فى نظرنا التاريخ الرسمى للحملة الفرنسية الا أنه يعكس بامانة كذلك موقف الجبرتى من هذه الاحداث ، وهو يتلخص فى الحملة الشديدة على الحكم الفرنسى واعتبار البكوات المماليك مسئولين عن نجاح الفرنسيين فى غزو مصر ثم التنبؤ بانبثاق عصر جديد من الاستقرار والرفاهية والعدالة بدخول العثمانيين وعودة الحكم العثمانى المباشر ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يلاحظ ان الجبرتى فى مظهر التقديس بعيد عن موضوعية المؤرخ لاينظر الى الحوادث نظرة مجردة من العاطفة الدينية او العاطفة الوطنية

ومع أنه فى عجائب الاثار لم يتخل قط عن هاتين العاطفتين فهما من الرواسخ لم تتحكما كلية فى كتاباته كما حدث فى مظهر التقديس . ففى مظهر التقديس كان الجبرتى يرى كل ما هو فرنسى كريه ويكفى ان يكون الحكم غير اسلامى ليحمل عليه الجبرتى . اما فى عجائب الاثار فقد اخذ الجبرتى ينظر الى الاحداث بعين الناقد الموضوعى . فليس كل ماهو غير اسلامى سيئه وليس كل حكم اسلامى طيبا . فقد اتى « الفرنسيس » من الاعمال ما يجعلهم أحيانا أفضل من العثمانيين

وليس معنى هذا أن الجبرتى قد أخذ يدافع عن الحكم الفرنسى ، فهو لايزال الشيخ الازهرى المتدين الذى يكره حكما غير اسلامى ويرى بحق انه احتلا بالقسوة والعنف . ولكن الجبرتى فى عجائب الاثار يشيد بالفرنسيين اذا استحقوا هذا

وخلاصة القول ان الجبرتى فى عجائب الاثار يحمل على حكم البكوات المماليك اولا وعلى الحكم الفرنسى ثانيا وعلى الحكم العثمانى الذى اعقب خروج الفرنسيين ثالثا – ليس هذا فقط بل انه يعتبر ان الحكم العثمانى اشد وطأة رغم اسلاميته من حكم الفرنسيين وان حكم الفرنسيين بدوره كان اشد وطأة من حكم البكوات المماليك

ومن هنا كانت نظرة الجبرتى المتشائمة من تطور الاحداث فى مصر وما تلمسه من ان رأيه فى النهاية كان يعنى ان الاحوال فى مصر تسير من سيىء الى اسوأ

ويشيد الجبرتى بالفرنسيين فى مواقف فى عجائب الاثار لم يشر اليها اطلاقا فى مظهر التقديس . مثال ذلك اعجابه بتنظيم الفرنسيين لاعمال الديوان وتعرفهم العمل ونظامهم فى القضا كما رآه فى محاكمة قاتل كليبر واعجابه بالكرنتيلة الفرنسية حين نزل الطاعون بمصر (شوال ١٢١٥) . وهذا ما كتبه فى عجائب الاثار من وصفه للمعهد العلمى الفرنسى فى حارة الناصرية:

« وافردوا للمدبرين والفلكيين واهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسامات والمصورين والكتبة والحساب .. حارة الناصرية ومابها من البيوت مثل بيت قاسم بك .. ووضعوا فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها للطلبة ومن يريد المراجعة يراجعون فيها مرادهم فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون فى فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسى منصوبة موازية لتختة عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة مايشاء منها يحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى اسافلهم من العساكر واذا حضر اليهم بعض المسلمين ممن يريدون الفرجة لايمنعونه الدخول الى اعز اماكنهم ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئه اليهم وخصوصا اذا رأوا



محمد على



ابراهيم باشا

فيه قابلية او معرفة او تطلعا للنظر في المعارف والاقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الامم وقصص الانبياء وبتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث اممهم مما يحير الافكار

ثم يقول :

«ولقد ذهبت اليهم مرارا واطلعوني على ذلك .. وكتب من الكتب الاسلامية مترجمة بلغتهم .. ورايت بعضهم يحفظ سورا من القرآن ولهم تطلع زائد في العلوم واكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق ويدابون في الليل النهار وعندهم كتب مفردة لانواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتهابحيث يسهل عليهم نقل مايريدون من اى لغة كانت الى لغتهم في اقرب وقت »

●●●

ويلاحظ عند المقارنة بين مظهر التقديس وعجائب الآثار ان الجبرتي لايشير الى العثمانيين في مظهر التقديس الا بقوله « المسلمين » بينما يطلق عليهم في عجائب الآثار « العسكر » أو العثمانية

وفي مظهر التقديس لايذكر اسم قائد من القادة الفرنسيين الا مصحوبا بوصف مشين كقوله :

برطلمين الكافر ، اللعين كلبر ، والتعيس بونابرته ، واللعون ديسوي ، واللاعين الكفار ، ولكنه يحذف كل هذه الاوصاف في عجائب الآثار



الجنرال كليبر



محمد سعيد

كما اننا نستطيع أن نخرج من هذه المقارنة بحقيقة جوهرية هامة وهي أن الجبرتي في عجائب الآثار (جـ ٣) قد غير ـ الى حد كبير ـ موقفه من الاحتلالالذى بنى على أسس معينة :

اولا ـ انه كان اكثر موضوعية في عجائب الآثار

ثانيا ـ أن من مظاهر هذه الموضوعية انتفاء العاطفة الساذجة واختفاء اثرها في حكمه على الحوادث والناس

ثالثا ـ ان الجبرتي في مظهر التقديس كان كاتب مذكرات أكثر منه مؤرخا بينما اتيحت له في عجلته اعادة كتابة حوادث الاحتلال الفرنسى في الجزء الثالث من عجائب الآثار فرصة فحص هذه الحوادث بعمق والقاء أضواء جديدة عليها حتى برزت صفته كمؤرخ أكثر منه كاتب مذكرات

ثلاثة أمور تميز الجبرتي كمؤرخـاولاها دقتهواستقصائه للحوادث وتحفظهفيذكرها

ويقول في كلامه عن تراجم الامراء (جـ ١ ص ٩٣) :

« ولم اخترع شيئا من تلقاء نفسي والله مطلع على امرى وحدسى »

وأول ما يسترعي النظر عند من يقرأ الجبرتي حب الرجل لبلده التى شاركها في افراحها ومصائبها بكل قطرة من مشاعره فهو يكتب عنها وكانه يكتب بلحمه ودمه . هذا أبرز ما في كتاب الجبرتي من اوله لآخره . حقيقة انه مما يجعل تاريخ الجبرتي صورة زاهية جدا الى تاريخ مصر فى العصر العثماني بسبب ظروف مصر المحلية غنى أكثر بكثير من تاريخ سوريا او العراق في نفس الحقبة ، على أن هذه الحقيقة لايجب أن تقلل من قدرة الجبرتي كمؤرخ،فالقارىء لتاريخ الجبرتي يشعر دائما بأنه يضع يده على نبض الحياة وانه يعيش حقيقة الجو المصرى في ذلك العصر . وقد ساعد على ذلك قدرة الجبرتي الفائقة في الدخول مباشرةالى قلب الموقف التاريخي ورسم صورة كاملة بسرعة

●●●

ان الجبرتي قد كتب عن عصور ثلاث مصر العثمانية والحملة الفرنسية وبداية عصر محمد على . وكتاباته عن الحملة

الفرنسية وظهور محمد علي عامة للمؤرخ ، ولكن يشارك الجبرتي في هذه الاهمية الكثير من المراجع الاجنبية ولا سيما بالنسبة للحملة الفرنسية ، وبما يؤخذ عن الجبرتي بعض اتجاهاته من محمد علي التي لم يبد من خلالها أنه فهم حركة محمد علي وأعماله فهما جيدا ، ومع ذلك فاهمية الجبرتي حتى بالنسبة لما كتبه عن محمد علي انها تعطي الصورة الثابتة لعصر محمد علي وحكمه على اعتبار ان ما كتبه المؤرخون الاخرون يعطي الصورة الساطعة المشرقة من حكم محمد علي . فالجبرتي يقدم الصورة الاخرى أو الوجه الآخر من هذه الصورة وهو الوجه القاتم من هذا الحـــــكم وبذلك تكتمل على يد الجبرتي صورة هذا الحكم

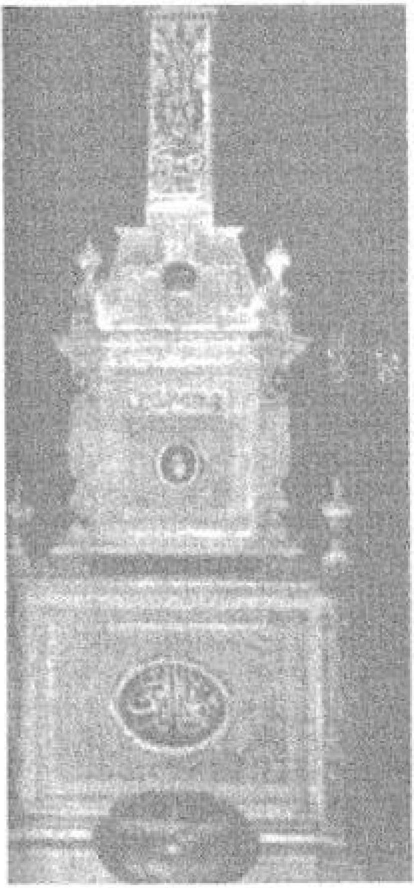
ولكن الجبرتي يصور الاحوال في مصر في العصر العثماني في ادق وأحسن صورة تاريخية ، وبالذات مجتمع العلماء والمجتمع المملوكي — ويبدو أن الفضل الاول في ذلك يرجع الى نشأة الجبرتي ، فالجبرتي نشأ في بيت علم وثراء ، ولهذه البيئة في نظرنا الفضل الاكبر في تفسير كتابات الجبرتي فالجبرتي غني جدا في تصويره للمجتمع العلمي والمجتمع المملوكي في هذا العصر — ومع ان الجبرتي يقدم مادة لا بأس بها بالنسبة للطوائف الاخـــرى كالتجار وأصحاب الحرف واهل الذمة الا ان تصويره يكاد يتركز سواء في تاريخه او في تراجمه على مجتمع العلماء والمجتمع المملوكي .

وفي جملة واحدة : الجبرتي يتفرد كمؤرخ بتاريخ مصر في العصر العثماني وبالذات مجتمع المماليك ومجتمع العلماء

***

لكن ما هو موقف الجبرتي من العصور الثلاثة التي عاشها ؟

يبدو الجبرتي غاضبا ساخطا على كافة العصور التي عاشها ، فهو ساخط على الحكم العثماني — المملوكي ، ثم على الحكم الفرنسي ، ثم على الحكم العثماني الذي عاد بعد خروج الفرنسيين ، ثم على حكم محمد علي ، ولكن سخط الجبرتي يتفاوت فهو أشد غضبا على حكم الفرنسيين منه على حكم المماليك ، أكثر غضبا على حكم محمد علي منه عن حكم الفرنسيين ، **ولذلك فالخط العام في موقف الجبرتي طوال تاريخه ان**



الاحوال في مصر تسير من سيء الى أسوأ

ويعود السؤال ملحا : ما الذي دفـــع **الجبرتي الى هذا الموقف ؟**

ان علة فهم هذا الموقف تتضح فقط من فهم الجبرتي لمهمة الدولة ومستوياتها ، والجبرتي هنا ينتمي الى القرن التاسع عشر ، وفكرة الدولة في المجتمع الاقطاعي فالدولة في نظر الجبرتي تتحدد مستوياتها باطارات محدودة وضيقة : مثل جمع الضرائب والدفاع ضد الغزو الخارجي ، والمحافظة على الامن في الداخل ، وما عدا هذا فلا يدخل في



التقطت عدسة « الهلال » الصورة – الى اعلى – لمقبرة الجبرتي في « بستان العلماء » بالقاهرة . وصورة اخرى لمقبرة الخديو توفيق . اي فارق بين الصورتين .. ؟!

تقدير الجبرتي ضمن مسئوليات الدولة . حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والصحية لانها ليست من اختصاص الدولة ، ولهذا وجدت المنظمات الحرفية والعشائرية التي تتولى هذه المسئوليات . الطائفة الحرفية في المدينة ومجتمع القرية هما النواة التي ترتكز عليها الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لكل فرد في المجتمع . والطائفة في المجال الاجتماعي الذي يمارس الفرد من خلاله علاقته بالدولة . لذلك لم يرحب الجبرتي بعملية التحول التي جاءها

الفرنسيون وأتمها محمد علي من خلق دولة مركزية تتولى مسئولياتها بمفهوم الدولة الرأسمالية المعروف ؛ الدولة التي تضع يدها على كل ركن من أركان الحياة في المجتمع وتقرب القوى الاقطاعية العسكرية كالمماليك أو الاقتصادية كالالتزام او الاجتماعية كالطوائف . واعتبر الجبرتي هذا التحول طغيانا من جانب الدولة وتدخلا في حياة الناس لا مبرر له

لذلك جاء في كل اجراءات الفرنسيين في مصر ثم اجراءات محمد علي لخلق حكومة مسيطرة وباسطة لنفوذها في كل مجال لتقابل بسخط الجبرتي وعدم رضاه . ويزيد من سخطه ان بناء الدولة المركزية كان يجري بعنف وشدة وضراوة أنكرها الجبرتي أشد الانكار . فاختفاء العامل أو الجانب الانساني في عملية بناء الدولة المركزية ولا سيما على يد محمد علي كان في حد ذاته عاملا له وزنه في موقف الجبرتي الغاضب . بذلك علق ذلك رأيه في محمد علي الذي ذكره عندما بنى محمد علي شنه الاسكندرية المعروف . قال في محمد علي :

وكانت له منقوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الازمان . فلو وفقه الله الى شيء من العدالة على ما هو عليه من الحزم والمطاولة لكان اعجوبة زمانه وفريد عصره واوانه » .

شيء من العدالة ! هي التعبير عن الجانب الانساني الذي كان ينشده الجبرتي في سياسة واجراءات محمد علي .

وثمة عامل ثالث في موقف الجبرتي من محمد علي . فالجبرتي كما ذكرنا ينتمي الى قطاع هام من تلك الطبقة المصرية الثرية ، طبقة العلماء التي كانت تكون مع طبقة التجار نواة البورجوازية المصرية المتمالئة مع البكوات المماليك لضرب الحكم العثماني، والتي حاولت أن تشارك في الحكم مع محمد علي واستفاد بها محمد علي كثيرا في تثبيت حكمه وفي مواجهة الاخطار الخارجية مثل الغزو الانجليزي عام ١٨٠٧ . ثم اخذت هذه تتعرض للضرب على يد محمد علي . ولم يكن محمد علي قد استخدم الضرب المباشر أول الامر في تجميد قوة المشايخ، بل لجأ الى شرائهم بحصص التزام هنا وهناك وتأليبهم على بعضهم حتى انصرف المشايخ تماما عن مسئولياتهم الوطنية والعلمية . ويصور الجبرتي في مرارة وسخرية ما آل اليه أمر المشايخ مع محمد علي قبل ان يوجه اليهم الاخير ضربته النهائية فيقول :

« وافتتنوا بالدنيا وهجروا مذاكرة المسائل ومدارسة العلم الا بمقدار حفظ الناموس مع ترك العلم بالكلية . وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الامراء الالوف الاقدمين واتخذوا الخدم والقدمية والاعوان واجروا الحبس والتعزير والضرب بالفلقة والكرابيج واستخدموا كتبة الاقباط وقطاع الجرائم في الارساليات للبلاد وفدوا حق طرق لاتباعهم وصارت لهم استعجالات وتحذيرات واندارات عن تأخر المطلوب مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ومخاصماتهم القديمة مع بعضهم بموجبات في التحاسد والكراهية المجبولة والمركوزة في طباعهم الخبيثة . وانقلب الوضع فيهم بضده وصار ديدنهم واجتماعهم ذكر الامور الدنيوية والحصص والالتزام وحساب الميري والفائظ والمضاف والرماية والمرافعات والمراسلات والتشكي والتباكي مع الاقباط واستدعاء ظلماتهم في جمعياتهم وولائمهم والاعتناء بشأنهم والتفاخر بترددهم والترداد عليهم والمهاداة فيما بينهم الى غير ذلك مما يطول شرحه

بهذه المرارة القي الجبرتي على زملائه المشايخ مسئولية تدهور الموقف وانفراد محمد علي بالسلطة دون المشايخ وسهل على محمد علي ضرب قوة المشايخ

وكان الجبرتي غاضبا فلم يحزن كثيرا على ضرب قوة المشايخ . بل جره غضبه الى الخطأ احيانا كموقفه من فشل العدوان البريطاني على مصر عام ١٨٠٧ . فقد حزن الجبرتي على هذا الفشل لا لانه يريد حكما اجنبيا بالضبط ولكن لان فشل الغزو الانجليزي في ١٨٠٧ في تصوره هو الذي مكن محمد علي من تثبيت حكمه مع أن محمد علي لم يلعب في فشل هذا الغزو الدور الرئيسي .

والجبرتي في موقفه هذا يمثل موقفا ثالثا من مواقف مجموعة المشايخ :

الموقف الاول هو موقف مجموعة المشايخ التي تعاونت مع محمد علي ثم اختلفت معه وضربها محمد علي وهذه التي نقدها الجبرتي كما رأينا نقدا عنيفا

والموقف الثاني كان موقف قلة من هؤلاء المشايخ آمنوا بدولة محمد علي وساهموا في بنائها كما فعل الشيخ حسن العطار ـ صديق الجبرتي ـ ولكن الجبرتي رفض الموقفين وارتضى الانعزال والسلبية يغلف غضبه في قلبه حتى مات

***

ولابد أن يجرني هذا الى تناول قضية طالما أثارت جدلا بين المدنيين بتاريخ مصر الحديث وهي : **هل هناك جزء من تاريخ الجبرتي لم يقدر له النشر ؟!** والذين يرون ذلك يقولون ان هذا الجزء لابد يتعلق بما كتبه الجبرتي عن محمد علي . أي ان الجزء الذي اختفى ينتمي الى الجزء الرابع من الكتاب . من أنصار هذا الرأي المؤرخ الاستاذ **جورجي زيدان** (تاريخ آداب اللغة العربية . الجزء الرابع ـ ص ٢٨٤) . فهو يعتقد أن الجبرتي لم ينشر الا بعد خلف تهجمه على محمد علي . ويشارك زيدان في هذا الرأي **خليل شيبوب** في كتابه الرائع (عبد الرحمن الجبرتي) اذ يقول : (**وبعد موت الجبرتي احترق منزل الصنادقية واكلت النار مكتبة الجبرتي فلم يبق لها من اثر وضاعت كراريس تاريخه بعد سنة ١٢٣٦** .)

ويجب ان أبادر بالقول بأن هناك ما دعا المؤرخين الى هذا الاعتقاد ، فالجبرتي وقف بتاريخه عند سنة ١٢٣٦ ، ومن المؤكد انه توفي في أواخر ١٢٤٠هـ او أوائل ١٢٤١هـ فهل كتب الجبرتي شيئا بين ١٢٣٦ و ١٢٤٠ هـ ؟! . الواقع ان الجبرتي كان

قد وعد في بداية الجزء الاول بأن يستمر في الكتابة حتى وفاته فيقول : « وسوف ان شاء الله تعالى ماتذكره من الوقائع بحسب الامكان والخلو من الموانع الى ان يأتي امر الله » . وليس هذا فقط بل انه يقول في آخر الجزء الرابع والاخير في حوادث شهر ذى الحجة عام ١٢٣٦ هـ :

« واما حادثة الاروام التى هى باقية الى الآن وماوقع منهم من الافساد وقطع الطريق على المسافرين واستيلائهم على كل ماصادفوه من مراكب المسلمين وخروجهم عن الطاعة وعصيانهم وما وقع معهم من الوقائق وما سينتهى حالهم واليه فسيتلى عليكمان شاء الله تعالى بكماله في الجزء التالى بعد ذلك والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب » .

ولكن كتاب الجبرتى يقف عند ذلك فلا يروى حادثة الاروام « اى الثورة اليونانية » فكان ذلك بدوره مما دفع المؤرخين الى الاعتقاد وهو الاضطهاد الذى لقيه كتاب ضاع بالفعل ..

وهنــاك عامل ثالث دفع الى هـذا الاعتقاد وهو الاضطهاد الذى لقيه كتــاب الجبرتى في حياة الرجل وبعد وفاته لفترة طويلة . فمحمد على واعوانه لابد كانوا على علم بما يكتبه الجبرتى عن محمد على وابنه ابراهيم ومن الطبيعى انهم لم يغتبطوا بهذا فمن المؤكد ان الجبرتى كان مقروءا في حياته . فمثلا الشيخ عبد الله الشرقاوى الذى توفى عام ١٨١٢ م اخذ كثيرا من كتاب الجبرتى في تاريخه هو « اى تاريخ الشرقاوى » . كذلك مؤلفو كتــاب « التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية على مصر » — وهم جماعة من العلمــاء الفرنسيين — انهم رجعوا الى كتاب الجبرتى في كتابهم هذا الذى نشر فيما بين ١٨٣٠ و ١٨٣٤ . كمــا قام المستشرق الفرنسى كاردنال الذى كان يعمل مترجما ومستشارا بالقنصلية الفرنسية في مصر بترجمة الجزء الثالث من عجائب الآثار ونشره في باريس عام ١٨٣٥ . كل هذه الحقائق تؤكد ان الجبرتى كان مقروءا في حياة الجبرتى .

لذلك وبسبب موقف الجبرتى من محمد على وابراهيم ظل الكتاب ممنوعا من النشر فقد ذكــر المستشرق الالمانى كريمر الذى زار مصر لاول مرة عام ١٨٥٠ ونشر كتابه عن مصره في عام ١٨٦٣ ان الحكومة المصرية كانت تشترى مااستطاعت من نسخ الجبرتى واتلفتها وانها كانت تشترط في عقودها مع أصحاب المطابع الا يقوموا بطبع كتــاب الجبرتى .

ومن المعروف ان اول طبعة لكتاب الجبرتى — دون تدخل من الحكومة المصرية — حدث في عام ١٨٧٨ في اطار الحركة الوطنيـة في أواخر عهد اسماعيل حين قام اديب اسحق بنشر الجزء الثالث من تاريخ الجبرتى وهو الخاص بالاحتلال الفرنسى لمصر . وفي ١٨٧٨ — ١٨٨٠ وعلى أبواب الثورة العرابية طبع تاريخ الجبرتى كله لاول مرة في مطبعة بولاق .

هذه الظروف التى أحاطت بتاريــخ الجبرتى بعد وفاته هى التى دعت بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن جزءا من الكتاب لم ير النور أبدا

غير اننا لا نرجح هذا للاسباب الآتية :

اولا : لان ما نشر بالفعل في الجــزء الرابع يحمل من الهجوم على محمــد على وابراهيم مما يؤكد ان هجوم الجبرتى على محمد على لا يمكن ان يكون سببا في اختفاء الجزء المزعوم

ثانيا : ان المحاولة الجديرة بالتقدير التى قام بها الاستاذ **محمود الشرقاوى** في كتابه (**دراسات في تاريخ الجبرتى**) من مقارنة كافة الاجزاء الخطية الموجودة بدار الكتب أو المكتبات الخاصة بكتاب الجبرتى المنشور تلك المقارنة التى خلص منها الاسـتاذ الشرقاوى بأن المطبوع لايختلف في قليل او كثير عن المخطوط تدفعنا الى الاعتقاد بأن الجبرتى لم يكتب جزءا في تاريخه لم يقدر له النشر

ومع ذلك فتاريخ الجبرتى لم يكن وحده الذى عرف الاضطهاد والانــكار بل ظل الجبرتى نفسه ميتا موضع اضطهاد وانــكار طوال حكم اسرة محمد على

وفي عام ١٩٣٠ زار مصر المؤرخ الالمانى كريمر ونشر بجريدة الاهرام نداء يناشد فيه من يعرف مقبرة الجبرتى ان يدله عليها وبادر حسن الجبرتى أحد أحفاد المؤرخ الى ارشاده الى مقبرة صغيرة مهملة كتب عليها بضعة أبيات من الشعر . وعلى خطوات من هذه المقبرة الحقيرة يقع قصر كبير تحف به الحدائق الغناء وهى مقبرة الخديو توفيق ويقف القبران بجوار بعضهما يمثلان حقيقة رئيسية في تاريخ مصر الحديث : العلاقة بين الشعب المصرى وأسرة محمد على

ثمن العدد :

فى قطر والبحرين		٣٠ آنة
فى ليبيا	بنغازى	١٤٠ مليما
	طرابلس	١٥٠ مليما
فى الجزائر		١٢٥ فرنكا
فى المغرب		١٥٠ فرنكا

الاشتراكات :

قيمة الاشتراك : عن سنة (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى ٧٠٠ مليم بالبريد العادى و ٨٠٠ مليم بالبريد المسجل . وجنيه مصرى واحد و ٢٠٠ مليم بالطائرة — فى الامريكتين دولاران بالبريد العادى و ٣ دولارات بالبريد المسجل و ١٢ دولارا بالطائرة — فى سائر انحا العالم ٢٠ شلنا بالبريد العادى و ٣٠ شلنا بالبريد المسجل و ٦٥ شلنا بالطائرة

وقيمة الاشتراكات تسدد مقدما فى ج.ع.م. بإذن بريد — وفى السودان بحوالة بريدية — وفى الخارج بتحويل مصرفى قابل للصرف فى القاهرة لأمر مؤسسة دار الهلال


الدين توفيق
ديجا
رسام عبقري ضعيف

ديجا

أول انطباع يوحيه ديجا خطأ . لأن لوحاته العديدة من راقصـات الباليه الصغيرات ، ومغنيات المقاهى الباريسية، والغسالات ، والنساء العاريات فى الحمام وفى الفراش ، توحى بأنه كان فنانا بوهيميا ليس لمغامراته النسائية أول ولا آخر ! ..

لكن ديجا عاش عدوا للمرأة !! ..

لم تكن فى حياته كلها قصة حب . ولم يقترن اسمه فى يوم من الأيام باسم امرأة واحدة . بل أن المرأة لم تدخل قلبه ، ولا حياته .. حبيبة أو زوجة .. أو « موديلا مفضلة »

وعاش ديجا ٨٢ عاما ، راهبا فى معبد الفن

عاش يرسم ويرسم . ولا شىء فى حياته سوى عالم اللوحات والألوان



ديجا

ولعل هـذا هو الذى جعل هوليوود تقدم أفلاما تروى قصص حياة عدد من معاصريه الرسامين الفرنسيين مثل تولوز لوتريك ، وبول جوجان ، وفان جوخ ، ورينوار ، وسيزان ، ولاتغفر — حتى مجرد التفكير ! — فى اخراج فيلم عن ديجا فكل هؤلاء لهم قصص حب مثيرة ، بينما تخلو حياة ديجا من أمثال هذه القصص المثيرة .. أو الباهتة !

وقد كان ديجا «مختلفا» عن الرسامين « الكلاسيكيين » الآخرين . واختار لنفسه موضوعات جديدة لم يطرقها غيره . وتخصص فى رسم الباليه . ورسم الراقصات الصغيرات الرشيقات وهن يتدربن ، وهن يلبسن زى الرقص ، وهن يسترحن ، وهن يرقصن على المسرح . وكانت طريقته فى رسمهن جديدة أيضا ، لأنه كان يختار زوايا جديدة وغريبة . وكان ينظر الى الراقصات من مقصورة مرتفعة فى دار الاوبرا حينا ، ومن وراء الكواليس حينا ، ومن وراء ظهورهن ، وهن يرتدين ثيابهن ، ومن مواقف اخرى مبتكرة

●●●

وتخصص ديجا فى رسم ميدان سباق الخيل . لان الجياد ، والجوكية اعجبته ، وفتنته الحركة وسحرته الالوان

وقد تميز ديجا عن معاصريه الرسامين الفرنسيين فى القرن التاسع عشر لانه تأثر بفن الرسم اليابانى الذى فتن باريس فى تلك الفترة ، وتأثر بالتصوير الفوتوغرافى الذى درسه ومارسه

ومن الفن اليابانى أخذ الخطوط الواضحة التى تحدد الشكل تحديدا قاطعا ، وأخذ طريقة رسم الاشخاص الذين يقفون متجاورين فتتداخل أشكالهم ، ويقطع شكل كلّ واحد منهم شكل الآخر المجاور له فى خطوط محددة ومن التصوير الفوتوغرافى آخذ الصورة المقربة أو مايسمى بلغة السينما close-up ، والصور الخلفية أى ال background الضبابية ، كما اعتنى ديجا بالتفاصيل الحادة الدقيقة . واستغل ديجا كل هذا ببراعة

وأبرز ملامح الفنان ديجا هى أنه كان ينشد الكمال دائما . ففى الفترة الأخيرة من حياته فى عزلة عن العالم . وحاول أن يطور أسلوبه . كان يريد أن يصبح رساما معبرا ، لا « صانعا » ماهرا . وفجأة اتجه الى النحت ، ونحت مئات من التماثيل .. تماثيل الراقصات والجياد والنساء « المستحمات » . وفى كل هذه التماثيل أبرز « الحركة » بقوة وعنف وجمال لقد درس جسم المرأة العارية دراسة عميقة من كل زاوية ممكنة . وفى كل حركة أو لفتة . وهى واقفة ، أو منحنية ، وهى جالسة فى الحمام ، أو خارجة من حوض الحمام ، وهى تغسل رأسها ، أو تحك ظهرها ، وهى واقفة على قدم واحدة ، أو ممددة

●●●

وفى سنواته الاخيرة عاد الى موضوعه المفضل راقصات الباليه . وأخذ يراجعها . ولم يعد يرسم بالباستيل الذى كان يفضله فى بداية حياته . وأخذ يرسم بالفحم بسبب ضعف بصره . الا أنه لم يعد يستطيع أن يرى الخطوط الرفيعة . فأصبحت الراقصات اللاتى رسمهن فى تلك الفترة يظهرن بشكل مختلف من الراقصات اللاتى رسمهن طول حياته . كانت الراقصات الجديدات يبدون كالطيور الجارحة المتوحشة !..

وظل يرسم حتى آخر يوم فى حياته



ديجا

في المقهى ١٨٧٦ م
متحف الفن - واشنطن

.. رغم الرفض ، ورغم ضعف بصره الشديد الذى جعله قريبا من العمى

وقد ولد هيلير جيرمان ادجار ديجا فى باريس . وفى شارع سان جورج فى سنة ١٨٣٤ . وقد غير ديجا اسم أسرته من « دى جاس » الى « ديجا » . وهى اسرة عريقة يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر . ونشأ ديجا فى بيت يتمتع بالثراء والثقافة . ولذلك لم يقاس الفقر . لم يعش ـ كما عاش كثيرون من الفنانين ـ حياة بوهيمية

كان والده مديرا لاحد المصارف . وكان ديجا الطفل ذكيا جادا شديد الحساسية . وفى سن صغيرة جدا بدأت تظهر اهتماماته : كان يحب القراءة حبا شديدا . وكان يحب الموسيقى . وكان شغوفا بالالوان وطريقة استخدامها ، وتناسقها

وفى المدرسة كان تلميذا « مجتهدا » كان يهتم باللغات . وكانت أسرته تتوقع ان يدرس القانون . ودخل فعلا مدرسة الحقوق الا أنه بعد فترة قصيرة قرر ان يغير طريقه فى الحياة . واعلن عزمه على ترك دراسة القانون والاتجاه الى الرسم

وكالعادة ، عارض أبوه هذا الاتجاه « الخطير » وهدد بأنه لن ينفق نقوده على مثل هذه الاشياء التافهة . وبلا تردد ترك ديجا بيته المريح ، وعاش وحده فى غرفة حقيرة . وبدأ يعمل لكى يعيش ، ولكى يدرس الرسم . وكانت هذه الفترة القصيرة من حياته هى التى ذاق فيها طعم الحرمان . عرف الفقر لاول مرة . وشكا ـ فيما بعد ـ من انه كان لايستطيع فى تلك الليالى ان ينام من شدة البرد ، وارجع ضعف بصره ـ الذى لازمه طول حياته ـ الى ذلك الوقت

وعندما التحق ديجا بمدرسة الفنون الجميلة فى سنة ١٨٥٥ لم يكن يرافق زملاءه فى لهوهم « غير البرىء » . بل انه تجاهل « البنات » بصورة تدعو الى الدهشة . واكب على القراءة بنهم شديد . التهم تاريخ الفن ، والكتب التى تعالج أساليب الرسم والتكنيك . وغرق فى « الكوميديا المقدسة » لدانتى !

وعندما عرف أبوه أن ديجا الشاب يحيا بهذه الطريقة « الاسبرطية » ، تغير شعوره نحوه ، واستأجر له شقة متواضعة فى شارع لافال . واصبح ديجا يذهب يوميا الى متحف اللوفر ، يتأمل وينقل أعمال الرسامين القدامى

***

وفى سنة ١٨٥٦ سافر ديجا الى الخارج لاول مرة . ذهب الى ايطاليا . وزار مدنها القديمة و « معابد الفن » بها . ثم أقام فى روما ثلاث سنوات . وهناك وجد « الالهام » . وجده فى آثار الفن المسيحى القديم ، والنماذج البديعة للموزايك والنحت فى القرون الوسطى ، وفى الفريسكو ورسوم عصر النهضة . وهناك درس بعمق وحب شديدين أعمال واحد من « أربابه » وأساتذته ، وهو رافاييل العظيم

وفى ١٨٦١ عاد الى باريس . كان عمره ٢٧ سنة فقط . وقدم لوحاته الى « الصالون » ، واجتمع بالرسامين والادباء الشبان فى مقهى « جربوا » . وفيه التقى بالفنان « مانيه » الذى احس بأنه قريب منه . وفى هذا المقهى ايضا سمع لاول مرة ـ واكتشف ـ نظريات الرسم الحديثة . فبدأ يتحول من الكلاسيكية والنظريات الاكاديمية . بدأ يتأمل مظاهر الحياة فى يومه وفى مدينته . ذهب الى ميدان سباق الخيل . ففتنته الحركة والالوان . ورسم بعض لوحاته المشهورة من السباق . كان يسجل مايراه فى اسكتشات ـ على الطبيعة ـ ثم يذهب الى مرسمه ليضع



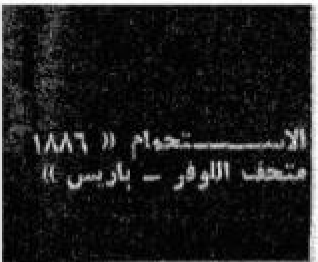
السيدة .. متحف ويلدنشتين « باريس ـ نيـــويورك »

لملامح مصـــغرة للجياد ويرتبهـا حتى « يرتاح » الى شكل اللوحة ، لم يرسم

وكانت هذه هي طريقته في الرسم ، كان يرسم اســكتشات عديدة « على الطبيعة » ، ثم يتم الرسم في مرسمه . ولهذا قصة . ففي سنة ١٨٦٥ التقى ديجا لاول مرة بمثله الاعلى الرســام « انجريس » . وكان انجريس وقتئـذ يبلغ الخامسـة والثمانين . فدعا المعجب الصغير الى مرسمه . وقال له نصيحته

الخالدة التي حرص عليها ديجا واتبعها طول حياته : « ارسم خطوطا » خطوطا كثيرة جدا ، من الطبيعة ، ومن الذاكرة ، وستصبح بعد ذلك رساما عظيما »

وكان انجريس ـ في يومه ـ فنانا كبيرا مشهورا يحتل مركزا ضخما في مدرســة الفنون الجميـلة ، وفي الاكاديمية ، وحاصلا على جوائز وميداليات كثيرة . فكانت نظرة الفنانين الشبان ـ ومنهم ديجا ـ اليه نظرة التلميذ الصغير الى استاذ كبير



الاستحمام « ١٨٨٦
متحف اللوفر – باريس »

العاملات « ١٨٨٤ »
متحف اللوفر – باريس ..





ومع ان ديجا تطور كثيرا وشق ميادين جديدة في الفن لم يعرفها أحد قبله ، الا ان اعجابه بانجريس لم يتضاءل أبدا . وذات يوم كان ديجا يصعد وراء أستاذه درجا شديدة الانحدار ، وتعثرت قدم انجريس وسقط على ظهره ، فتلقاه ديجا بين يديه وساعده على النهوض . ويومها أخذ الرسام الشاب يقول بزهو واعتداد : « لقد اخذت انجريس بين ذراعى .. » !!

وعندما نشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا في سنة ١٨٧٠ التحق ديجا بالحرس القومى .. وخرج من الحرب سليما

وفي سنة ١٨٧٢ جاء رينيه (شقيق ديجا الاصغر) الى باريس ، وكان يعمل في تجارة القطن في نيو اورليانز بأمريكا . وخلال هذه الزيارة لم يفترق الشقيقان لحظة واحدة . وعندما عاد رينيه الى امريكا ، ذهب ديجا ليودعه على ظهر السفينة . ولكنه لم ينزل منها عندما حان موعد اقلاعها . وهكذا سافر ديجا الى امريكا بلا استعداد . واعجبته الحياة في نيو أورليانز . احب المدينة والوانها . ورسم فيها بعض لوحاته

***

وكانت أغنى فترة في حياة ديجا هي الفترة الواقعة بين سنة ١٨٧٣ و ١٨٨٣



الموسيقى العجوز



فى الحمام

ففيها تغيرت موضوعات رسومه . زار السيرك ، والمقاهى ، والمسارح، وسباق الخيل . قضى ساعات طويلة فى الاوبرا اثناء البروفات ، وشهد حفلات الافتتاح الكبرى . رسم اسكتشات لأشخاص عديدين من الطبقة الفقيرة والطبقة البورجوازية . وزار (كما فعل لولوز دتريك فيما بعد) « بيوت الليل » . لاحظ الحياة الغريبة فيها . سجل ورسم لوحات صادقة ونادرة ابرز فيها أدق مظاهر الحياة فى تلك الدور

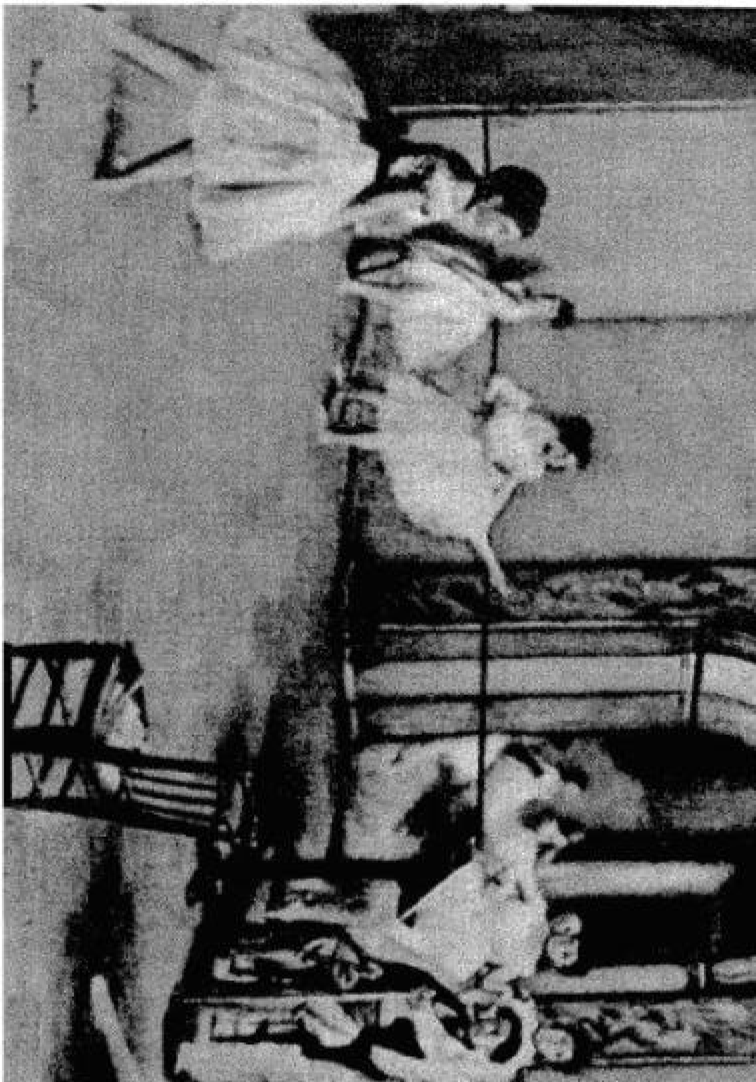
وبدا ـ ككثيرين من معاصريه ـ يعجب بالتصوير الفوتوغرافى ، وبالدقة المذهلة التى تسجل بها الكاميرا الحيـــاة . واعجب بصفة خاصة بأعمال مصـــور فوتوغرافى لفنان اسمه « نادار » . واخذ ديجا يستخدم صورا فوتوغرافية لتساعده فى تكوين كثير من لوحاته

وحاول ديجا ان يكون شاعرا أيضا . فنظم عشرات من القصائد . وكان الشاعر الفرنسى الكبير مالارميه يساعده ويراجع مقطوعاته ، ويصححها أحيانا

واعترف المجتمع بالفنان ديجا فى وقت مبكر . وذاق ديجا طعم النجاح . وفى أول معرض للفنانين الثائرين اشترك فيه ديجا نال ثناء عريضا . وتقدم اليـــه « ديران رويل » ـ أحد أصحاب المعارض وباعة اللوحات ـ بعرض طيب : هو ان يحصل على « انتاجه » ، ويبيعه لمحبى الفن

***

وعندما تجاوز ديجا الاربعين من عمره بدأ يعانى من اعتلال صحته ، كان يشكو دائما من ضعف بصره . (ومن غريب المصادفات أن هذا هو ما حدث أيضا لعبقرى آخر هو ميكل انجلو . وكان



البروفة «١٨٧٢»
متحف اللــوفر



الشــعر الطــويل «١٨٧٦»
متحف دنكان فيليبس - واشنطن



الباليه والرشاقة

مثله يحيا فى « عزلة » . كلاهما كان يتوقع أن يموت فى سن مبكرة ، ولكنهما عاشا حياة طويلة مثمرة . كلاهما هرب – فى عزلته – الى الادب والفلسفة . كلاهما كتب الشعر)

***

وابرز ناحية فى حياة ديجا هى حيرته وقلقه . لم يكن يحب الاستقرار ظل ينتقل طول الوقت من حى الى حى ، كان كثيرا ما يتجول فى شوارع باريس ساعات لا تنتهى ؛ ثم يعود الى مرسمه وفى جعبته افكار اسكتشات التقطها اثناء جولاته

ومن هواياته فى تلك الفترة جمع التحف واللوحات الثمينة . جمع نماذج رائعة لاعمال الرسامين القدامى والمحدثين . كان الرسم هو أحب شىء الى نفسه

وفى سنة ١٨٨٩ « استقر » لاول مرة فى شارع فيكتور ماسيه . وفى تلك الفترة جرب وسائل فنية اخرى . رسم لوحات بالريشة . وحفر على الخشب . وصنع تماثيل من الشمع للراقصات وللجياد

***

وعلى الرغم من ان ديجا قد اصبح (بعد سنة ١٨٩٢) رجلا ثريا ، الا انه لم يكن ينفق على مظاهر الترف الا الشىء القليل . غير ان بخله هذا لم يصل الى حد الامتناع من جمع التحف . بل ظلت مجموعته تزداد وتتضخم حتى ملأت بيته الذى كان يعيش فيه وحيدا مع خادمه . ومن الفنانين الذين جمع لوحاتهم جوجان وماتيه وديلاكروا واسكتشات استاذه جان دومينيك الجريس

وفى حجرة نومه كان يضع لوحة من لوحات « الجريكو » . وكان يعلق عليها ثيابه ليلا ! ..

وفى نهاية حياته اصبح ديجا حزينا واجما منقبض الصدر . وأدت الوحدة والوجوم به الى الفظاظة وسلاطة اللسان فعندما كان يأتيه زائر ليسأله عن لوحاته كان يقطع المناقشة فى الحال قائلا :

« لوحاتى ؟ .. انى لم أعد أهتم بالرسم !! »

كان يشعر بالمرارة لان البائعين واصحاب المعارض يربحون كثيرا من بيع لوحاته . كان يصف نفسه بانه « الجواد الذى فاز فى السباق ، ولكنه لم ينل بعد انتصاره شيئا ! »

ولم يعد يبقى فى منزله الا نادرا . فكان يتجول ساعات طويلة فى شوارع باريس بلا هدف . وعندما اصبح بيته القديم فى شارع فيكتور ماسيه آيلا للسقوط ، اضطر الى تركه . ورأى البيت يهدم ويتحول الى انقاض . فشعر بانه اصبح روحا شاردة

ومع انه عثر على مسكن جميل جديد فى « بولفار دى كليشى » الا انه لم يشعر بالراحة فيه . لانه كان يفتقد جو البيت القديم الذى أحبه وتعود عليه . وعاش حتى شهد بداية الحرب العالمية الاولى . ثم مات فى سبتمبر سنة ١٩١٧

***

وبعد موته ، وجدوا فى بيته كتابا يتضمن قصة « بير وجان » وقد كتب عليها المؤلف بخط يده كلمة الاهداء التالية :

« الى ادجار ديجا .. الذى رسم الحياة كما كنت أود أن ارسمها انا »

وكان تاريخ الاهداء هو ١٨٨٨ . وكان مؤلف الكتاب اسمه : « جى دى موباسان » .. !



الرقص انسجام وايقاع ونغم « ١٨٩٥ » متحف درسون

صبرى ابو المجد:

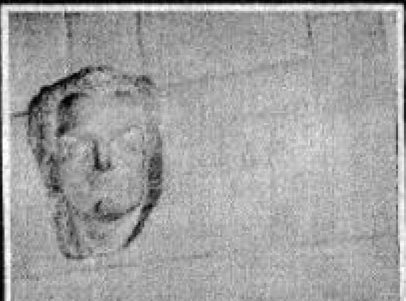


برنسيب .. الشاب الذى قتل ولى عهد النمسا فى مدينة سراييفو ..!

أغرب متحف فى العالم

رصاصة هذا الشاب أشعلت الحرب العالميه الأولى

١



منـــذ ٥٠ عاما ، وعلى التحديد فى ١٣ اغسطس ١٩١٤ اشتعلت نيران الحرب العالميـــة الاولى . وكان السبب المباشر رصاصات خمس اطلقها شاب صربى على ولى عهد النمسا . وقد اقام شعب الصرب متحفا يعد من اغرب متاحف العالم لهـذا الشـــاب الذى كان سببا فى اشعال الحرب العالمية الاولى .

حين زرت يوغوسلافيا ، كنت اجلس فى فندق « اوربا » اجمل واقدم فنادق مدينة سرايفو ، عاصمة « البوســنه والهرسك » واحدى جمهوريات يوغوسلافيا الحالية . وكنت انتظر احد الاصدقاء ، وهو الحاج حسين جوزو ، مدير المكتب الفنى لكبير علماء يوغوسلافيا . وأثنــاء انتظارى ، اخذت استمع الى احد العاملين فى الفندق وهو يروى لى اغرب القصص واعجبها عن تاريخ ذلك الفندق ، الذى كان يأوى — فيمـا مضى — ملوك وكبار ساسة اوربا حين يزورون مدينة سرايفو التاريخية

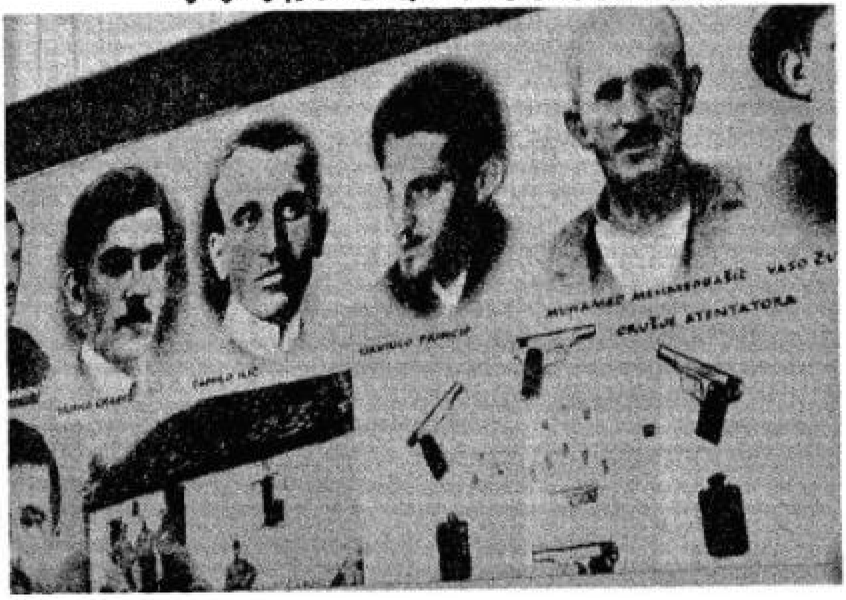
وجاء الحاج حسين يحمل كتابا ضخما عن حادثة سرايفو . وفى الكتاب قائمـة بأكثر من الف كتـــاب تناولت هـــذه الحادثة التاريخية

وقال لى الحاج حسين :

— هل تذكر برنسيب ؟

قلت له : اننى لا أنسى عبارة تقليدية كنا نقرؤها فى كتبنا المدرســـية خلال المرحلتين الابتدائية والثانوية خاصة به

صورة من المتحف التاريخى لجـافريللو برنسيب يتوسط افراد جمعية اليـــد الســوداء ومن اعضـــائها من اليمين الى اليسار : فلوسفير وألقتشى محمد محمد باشتش ، ودانيللو ايليتش ، وشاسنورفتش ، وفليجكوشملوفتش



قال جوزو : وما هي تلك العبارة التقليدية ؟

قلت : وقامت الحرب العالمية الاولى بسبب رصاصات اطلقها شاب صربي اسمه برنسيب على ولي عهد النمسا الارشيدوق فرانز فرديناند وزوجته ..

وفاجأني الحاج حسين جوزو وهو يقول : هل ترغب في زيارة متحف برنسيب ؟

وقلت مندهشا : برنسيب القاتل . هل له متحف عندكم ؟

غريبة !!

وقال جوزووهو يبتسم : نعم له متحف من اشهر المتاحف في اوربا واصغرها حجما ...

***

وقادني الحاج من يدي وسرنا اكثر من ثلاثين خطوة وقال لي : اترى هؤلاء التلاميذ الذين يقفون في نهاية هذا الشارع قرب القنطرة القريبة منا .. انهم في نفس المكان الذي اطلق منه برنسيب رصاصاته الخمسة على الارشيدوق فرانز فرديناند وزوجته ..

جمعية اليد السوداء

ورأيت خمسة ثقوب في جدار احدى العمارات تشير الى الرصاصات الخمسة وبجوارها لوحة تذكارية كتبت باللغة الصربية تشير الى الحادث ، وامام هذه اللوحة وعلى الارض قطعة من الرخام ليس بها الا رسم قدمين صغيرين يختلف وضع كل قدم من وضع الاخر

وقال لي حسين جوزو : هكذا كان يقف برنسيب عندما اطلق رصاصاته الخمسة من هذا المكان

ودعاني الحاج جوزو الى دخول اقرب متحف في التاريخ بعد ان دفع الرسم المطلوب ووجدت تخطيطا يبين كيفية وقوع الحادث ثم رأيت صورة مكبرة تمثل برنسيب لحظة القاء القبض عليه ، ثم صورا أخرى لاثنين وعشرين شابا هم اعضاء

صورة تاريخية من ايام الحرب العالمية الاولى . الشاب برنسيب لحظة القبض عليه بعد ان اطلق الرصاص على ولي عهد النمسا



الجمعية السرية « اليد السوداء » التى وضعت خطة اغتيال العهد . ومن بين هؤلاء الشبان ثلاثة من المسلمين ، وثلاثة من الفتيات العربيات

وقال لى جوزو وهو يبتسم : ربما كانت جمعية « اليد السوداء » من اولى الجمعيات التى اعتمدت على الفتيات ايضا

ورأيت تمثالا لرأس برنسيب ثم تطلعت الى قصاصات من الصحف التى وصفت الحادث ثم اصول التلغرافات التى ارسلتها حكومة النمسا – كانذارات – الى حكومة الصرب

ووقفت طويلا أمام لوحة زيتية تمثل المتهمين فى قفص الاتهام ، ثم صورة أخرى للمشانق التى نصبت فى أعقاب الحادثة

وصورا لوالد برنسيب ووالدته ، وهما من فلاحى البوسنه ، ثم صورا اخرى للكوخ الذى ولد ونشأ فيه برنسيب

وبالرغم من أن مساحة المتحف صغيرة ، لاتزيد عن ثمانية امتار فى عشرة امتار تقريبا الا اننى لم انته من زيارتى للمتحف الا بعد ساعتين كاملتين

قال لى مدير المتحف وهو رجل متقدم فى السن : من يدرى لعله كان واحدا من افراد جماعة اليد السوداء

كان يتحدث عن برنسيب بعاطفة كلها محبة ومودة واشفاق :

« اننا لا نؤيد جرائم الاغتيال السياسى بل اننا نمقتها ولا نراها حلا لاية مشكلة سياسية ... ولكننا وقد اقمنا هذا المتحف فى بلدنا اردنا تكريم شاب متحمس وطنى قدم روحه ، فى لحظة اندفاع ، فداء لوطنه وشعبه ، واؤكد لك لو أن برنسيب كان يعلم أن هذه الرصاصات الخمسة التى اطلقها من مسدسه ستكون سببا فى أن تفقد البشرية الملايين العديدة من أبنائها لتردد اكثر من مرة ، بل لما اقدم على فعلته

واضاف الحاج حسين جوزو قائلا : واؤكد لك ايضا بناء على عشرات الكتب التى قرأتها عن هذا الحادث والتى امتلأت بمئات الوثائق السياسية ان الحرب العالمية الاولى كان لابد أن تشتعل سواء اطلق برنسيب رصاصاته الخمسة ام لم يطلقها

... لقد كانت أوربا وقتئذ اشبه ببرميل من البارود المتأهب كل لحظة للانفجار ..!

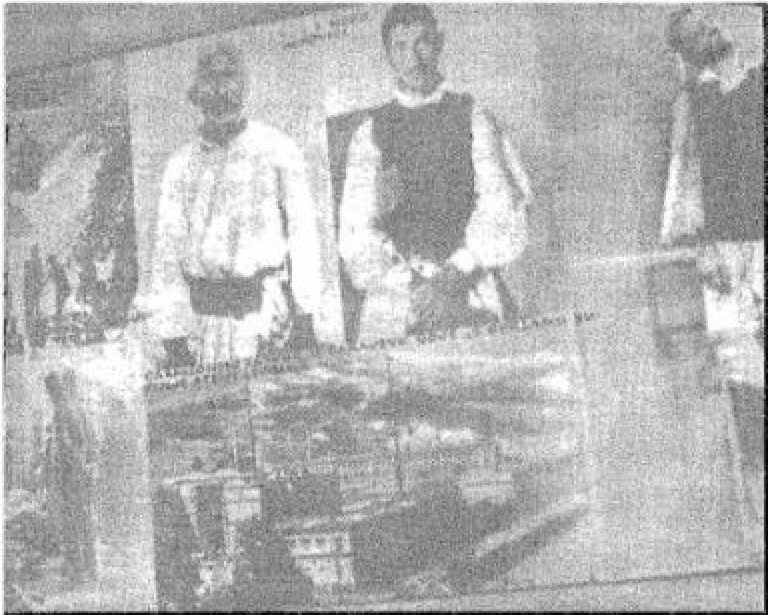
***

وعدت الى الفندق – فندق اوربا – ورحت ابطى عشرات من الكتب التى تمتلىء بها مكتبات سراييفو وكلما قرأت صفحة رحت اسائل نفسى : احقا تغير العالم كثيرا عن ذى قبل ؟ »

وقرأت للاستاذ سيدنى براندشول – استاذ التاريخ الاوربى الحديث بجامعة هارفارد الامريكية قوله : من واجب المؤرخ الذى يعنى بدراسة اسباب الحرب العظمى ان يميز بين الاسباب الخفية والاسباب المباشرة للحرب فيتكلف العناية بين تراكم المواد القابلة للالتهاب تدريجيا فى خلال سنوات عديدة وبين الشرارة الاخيرة التى اشعلت النار لانك قد توجه اللوم الى دولة لانها اوجدت طوال السنين العديدة حالة تهدد السلام ولكنها مع ذلك قد لا يكون لها دخل يذكر فى نشوب الحرب والعكس بالعكس !



صورة أخرى لبرنسيب فى متحف سراييفو .. !



قاعة المحكمة



احكام الاعدام

رودي جرايتش .. مصمم الفضائح .. تضخم رصيده في البنوك ، واشتهر اسمه بعد أن كان خاملا



مصممو اللامعقول

مزيد من .. الفضائح

اللامعقول في باريس .. أثار الرأى العام كما أثار فضول الصحفيين .. !





يقول مصممو الفضائح ان التاريخ بحانبهم . لان المرأة الارستقراطية كانت تكشف عن صدرها في عصر النهضة .. والدليل هذه الصورة



اللامعقــــول .. تعدى المايوهات الى فســاتين السهرة ..!

اخر صيحة قبل ان ينتهي صيف ٦٤ هومايوه التابنكيني.والتابنكيني جاء بعدموضة البكيني . أى «المايوه من قطعتين» والترىكيني اى «المايوه من ثلاث قطع» والتابنكيني مايوه من « تابن .. قطعة » أى ولا حتى قطعة واحدة ! ويطلقون عليـه الان اسم اللامعقول . وقد زحف اللامعقول من المايوهات الى فساتين السهرة . والبلوزات . واخر بلوزة ابتكرها مصممو الفضائح هى بلوزة شفافة . واخر فستان سهرة اثار موجة من الانفعال هو الفستان بدون صدر

وقد سال مندوب مجلة « لوك» الثنائية الصمم الامريكى الذى اثار كل هذه الضجة واسمه جرانرايش :

ـ هل تسمح لزوجتك بارتداء اللامعقول ؟

فاجاب : اذا كان صدرها جميلا

ويستند مصمم الازياء جرانرايش الامريكي الى التاريخ في خطوطه

وهو يقول ان موضة عصر النهضة كانت تشجع اظهار الصدر العاري . وانها كانت ملكا للطبقات العليا من النساء . اما اليوم فانا اجعلها ملكا لطبقات الشعب !

لكن الاحصائيات اثبتت ان النساء لم يقبلن على هذه الموضة ، وان اغلب من جربنها من الموديلات او الممثلات طالبات الشهرة السريعة ، او مثيرات الفضائح العابرة !

وجرانرايش ، يسكن في لوس انجيلوس بالقرب من هوليوود · وقد حصل على جائزة كوتي لتصميم الازياء ، وهي تشابه جائزة اوسكار في السينما . وقد حصل عليها في عام ١٩٤٣ . لكن اسمه تاه في عالم الموضة ويبدو انه اكتشف الطريق لدفع اسمه الى الاعلان بهذه المفاجأة .

وقد وصل الى جرانرايش ..١٠ الف خطاب من المعجبات ، او المستخطات . كما ارتفع رصيده الى ٣٠ الف جنيه ..واصبح اسمه يتردد في انحاء العالم ! لكن احدا لم يقبل على موضة اللامعقول .. اللامسئولة !

في المانيا .. اعلن رجال القانون ان مشكلة الفساتين اللامسئولة ..مسالة ذوق . وان القانون ليس من حقه ان يتدخل !





البلوزة الشفافة .. اخر مبتكرات موضة الفضائح



يسير الاسطول فى
الاتجاه المضاد وقد
صمم هذا الرداء على
شكل اجنحة الوطواط
.. ان مصممي
الفـــالح يتطرقون فى
الانتقال من العارى ..
الى الكاوبوى .. !



في لندن .. ذهل الناس .. ولكنهم لم يفيقوا حتى الآن من ذهولهم ..!

في مطاعم باريس .. انتشرت موضة العارى .. واصبح شغل الناس « البحلقة » في صدور السيدات





وفي هونج كونج اثار العارى موجة من الدهشة

طاهر الطناحي..

غرام العقاد



اتفق « العقاد » مع « مي » ان يغيرا موعد اللقاء من الثلاثاء الى الاحد . لانه لم يكن يرتاح الى بعض الذين يحضرون الى الصالون ومنهم مصطفى صادق الرافعي ..

وقد وافقت « مي » على ان يكون اللقاء مساء كل احد ..



بكت مى .. لأنه أحب سارة ..

وكان ان تقابل العقاد ، ومى فى « يوم الاحد » . وصار هذا اليوم هو موعد لقائهما من كل اسبوع ، بدل يوم الثلاثاء . وهو موعد الندوة أو « الصالون الادبى » الذى كان يجتمع فيه طائفة من كبار الادباء فى الشرق ، وكانت فيه النجمة الساطعة التى تحيط بها العيون ، وتتنافس فى التحدث معها والاستماع الى حديثها الافواه والآذان

وفى يوم الاحد الاول جاء العقاد الى منزلها ، وجلسا معا فى غرفة المكتب يتحادثان فكان الحديث ، حديث الحب ، فقدم لها العقاد ثمانية ابيات جعلها بعنوان : « مولد الحب » . فتناولتها فاذا فيها :

ولد الحب لنا . عاش الوليد
وحماه الله من كيد الحسود
وبدا فى مهده ، بل عرشه
ضاحكا يأمر فينا ويسود
« مى » مانرضعه ؟ نرضعه
بأفاويق حياة لا تبيد
ولنذ الله ونتشئه على
غبطة العزة والعيش السعيد
وليعش طفلا على طول المدى
هكذا يخلد اطفال الخلود
لنتولاه بعطف دائم
والأناشيد حسان ووعود
وفداء من يلقه يتعهد
ابدا من كبرة العمر المديد
انه من روحنا أن نحيه
يحينا فى غده هذا الوليد

قرأت « مى » هذه الابيات ، فسرت سرورا كبيرا ، واثنت على ادبه وشعره . وقالت تداعبه :

« ان من يقول هذا الشعر جدير بان يغار منه « جبران » ، لا ان يغار من « جبران »

وهى تشير الى نقده لكتاب « المواكب » لجبران خليل جبران ، وحملته عليه ، ومخالفته له فيما ذهب اليه ، وكانت تشعر انه يغار من عطفها على أدب جبران ، ويظن انها تحبه .!

مناقشة حول الحب والمرأة

وحدث ان كتب فى ذلك الحين مقالين فى « البلاغ » احدهما عن « **حب المرأة** » . والثانى عن « **الغيرة** » . وقال فى الاول :

« .. ولسنا نظلم المرأة ، ولا نحن نقصد الى القدح فى طبيعتها حين نقول : انها تحب لتهب ولتستسلم ، وتغمض عينيها فى نشوة الثقة والاعتماد



ولد الحب .. وافرحتاه ..!

الطبع الامين ، فليس للمراة فى قرارة نفسها سعادة اكبر من سعادة الطاعة ، ولا امل ارفع من حب الرجل الذى تطيعه ، وتلقى بنفسها بكل ما فيها من ذخر حلاوتها بين يديه . وليقس عليها الرجل ، او يرحمها ، ويعذبها او ينعم بالها ، فانها لسعيدة بالطاعة اذا اوجدت من يطاع .. »

ثم قال :

« خلقت المراة لتعطى ، وخلق الرجل ليأخذ منها كل ما تعطيه ، خلقت المراة للطاعة، وخلق الرجل للسيادة ، خلقت المراة للامان ، وخلق الرجل للجهاد ، خلقت المراة لتحب ، وخلق الرجل ليحب نفسه فى حبه اياها . هذه هى حقيقة الحقائق ، قد اسرف الشرق فى الايمان بها ، واسرف الغرب فى انكارها . وبين هذين النقيضين وسط هو خط السلامة وباب النجاة .. » !

وقال عن غيرة المراة فى المقال الثانى انها اشد من غيرة الرجل، وانها اشقى منه بغيرتها ، لانها احوج الى الحب، واعظم استغراقا فيه، واخوف من الفقد والهجران .. ان الغيرة ثمرة الحب ، والاثرة ، والخوف . وهذه العناصر الثلاثة تثمر فى طبائع النساء ما ليست تثمره فى طبائع الرجال، فهؤلاء وهؤلاء يغارون ، ولكن احرى الفريقين بالزيادة من هو احرى بالاشفاق . واخسر صفقة فى الضياع » !

قرات هذين المقالين ، فلم تنتظر حتى يأتى موعد «الاحد» بل بعثت اليه برسالة توافق فيها على رايه فى غيرة المراة ، ولكنها تعترض على رايه فى حب المراة وسيادة الرجل عليها ، ثم قالت :

« ... وكنت اتمنى ان تكون رفيقا بحواء ، فان حواء تعتز بانوثتها الضعيفة القوية فى وقت واحد ، وهى ان قبلت الطاعة ، فلن تقبل السيادة ، وهى اذا

احبت الرجل واستغرقت فى حبه ، فليس ذلك عن أثرة او انانية ، وانما عن تضحية تدفعها اليها الطبيعة. وانا اذا عرض على — فرضا — ان اتخلى عن انوثتى التى اعتز بها ، لاكون رجلا سيدا ، فانى ارفض رفضا باتا ، بل انا اول الرافضات ...!!

« وانى لاعتقد انك ستغير رايك فى المراة فى يوم من الايام .. »

(مى)

فرد عليها برسالة جاء فيها بعد عبارات الاشواق :

« .. انك على ما ظهر قد فسرت رايى فى المراة على غير ما اعنيه . وانا امدح احتفاظك بانوثتك ، وتعصبك لهذه الانوثة الجميلة ، واؤيدها كل التأييد ، واعارض كل المعارضة أن تصبحى رجلا .. اعوذ بالله من ذلك .. !

« وانى ارى انك لو تخليت عن جنس حواء لضاعت الانوثة من هذا الجنس كله ، وفقد كل لطف وحلاوة وجمال

« فانت بالنسبة لبنات حواء نجمة ساطعة يضيء جنسك بضيائك ، ويزدان بلالائك ، ولو تخليت عنه لفقد كل ما فيه من بهاء وجاذبية ورقة وعطف »

عباس

***

ولم يكن قد زارها فى ذاك الاسبوع لشاغل منعه ، فاعتذر لها ، فبعثت هى برسالة موجزة اليه ، تقول بعد سطور من الشوق والحنين :

« .... كنت فى انتظارك ، لاناقشك رايك فيما ذهبت اليه فى بنات حواء . لانه على ما يبدو ما تزال على رايك فيهن ، على الرغم من ان تجربتك مع احدهن (تعنى نفسها) قد دلتك على انها صديقة لك ، واكثر من صديقة ، ورفيقة لك واكثر من رفيقة

« ولا ادرى لماذا هذه الحملة التى تابعك فيها بعض الكتاب بعنف على بنات حواء . وقد اعددت لك يوم الاحد القادم « مائدة » من المناقشة الحامية ، ولكن ليس فيها ما يلدغ . واتمنى ان تكون اهلا حالا .. »

« مى »

اياك ان تهجونى

وذهب اليها فى الموعد، واخذت تناقشه فى رايه فى المراة وحب المراة ، فاصر على رايه ، واصرت هى على رايها ، ثم قالت له :



فتى الحب فى مهده .. والسلام .. !

« انا احدى بنات حواء . واعتبر اى حملة عليها هجوا لى . . وهل ترضى ان تهجونى ؟!! فاخذ يلاطفها ، حتى هدأت ، ثم اقترحت عليه فى ذلك المساء ان يذهبا كعادتهما من آن لآخر الى حضور حفلة الفانوس السحرى فى « كنيسة حى الظاهر » . وكانت هذه الكنيسة تعرض فى مساء كل « يوم احد » فيلما دينيا عن حياة المسيح وتعاليمه ، وحياة القديسين المسيحيين ، لانها كانت تتحرج من أن تخرج معه الى حفلة عامة ، او الى اى دار من دور السينما

ولكن كنيسة الظاهر ، كانت فرصة للحبيبين ينتهزانها للخروج معا دون اية شبهة . وبعد انتهاء الحفلة اصطحبها الى منزلها بشارع المغربى ، ثم قالت وهى تودعه فى لطف ودعابة :

ـ اياك وحواء ، اياك ان تهجونى . . !!

فابتسم ضاحكا من قولها . وأجابها « نعم سوف أهجوك . ! »

●●●

وعاد الى منزله بمصر الجديدة ،



الغيرة قتلت الحب

فلم ينم فى تلك الليلة حتى نظم خمسة عشر بيتا . وفى الصباح ارسلها اليها فى رسالة بعنوان : « **اهجوك** » . جاء من اياتها :

اهجوك يا اكرم من امدح
ومن بأغزالى لها اصدح

اهجوك والتسبيح احرى بما
اجد فيه اليوم او امزح

فالسيئة انت ، ولكننى
اقبل الكف التى تجرح

واعظم القسوة تلك التى
يلهو بها المجروح بل يفرح

الى ان يقول :

هذا هجائى فيك فصلته
وليتها تجربة تفلح

اشواق لبنان

وفى صيف ذلك الحين سافر الى لبنان ، فما كادت تمضى عليه بضعة ايام فى ربوع هذا القطر الجميل ، حتى ارسل اليها من مصيفه فوق جباله الشامخة رسالة يعبر فيها عن شعوره فى غربته عنها ، ولو انه ليس غريبا فى وطنها . وشعوره فى غربتها عنه ــ ولو أنها ليست غريبة فى وطنه . ثم يقول :

« لقد اصبحنا بديلين : انت فى مصر ، وانا فى لبنان ، ولكننا شريكان فى وطن كبير واحد هو الوطن العربى . واذا كان كل منا نازح من داره الى دار صاحبه ، فان حبنا قد ربط ما بين الدارين برباط وثيق »

اين وطنى ؟!

وقد حركت رحلة العقاد الى



سارة .. في الشباب ..!

لبنان في نفسها لاعجا غير لواعج الشوق والحب نحوه ــ لاعجا كان ينتابها ، وتسائل نفسها من اجله قائلة « اين وطني ؟ » فـ امها من فلسطين ، واباها لبنان ، وهي تعيش في مـ وقد اتخذتها لنفسها وطنـا فكتبت اليه رسالة طويلة ضمنتها مقتطفات من مقالة نشرتها بـ عودته بعنوان « اين وطني » جاء فيها :

« عندما ذاعت اسـ الوطنيات . كتبت اسم وطني ووضعت عليه شفتي اقبله واحصيت الامه مفاخرة كان لي كذوي الاوطان وطنا . ثم جاء دور الشرح والتفصيل فالمـ بالمشاكل التي لا تحل ، و جبهتي ، وانشأت افكر . وما ان انقلب التفكير في شعور فشعرت بانسحاق عميق يذلني . لاني دون سواي ، تلك التي لا وطن لها .. !

« .... ولدت في بلد ، وابي من بلد ، وامي من بلد ، ولكني في بلد ، واشباح نفسي تنتقل من بلد الى بلد ، فلأي هذه البلدان انتمي ؟ . وعن اي هذه البلدان ادافع ؟ .. بعضي الموتى تاركين للاحداث وراثات حسية ومعنوية ينعمون بها ، وشرفا قوميا يعززونه ، وتقاليد يحافظون عليها . اما انا ، فلم يبق لي من آثار موتاي سوى الأثقال المعلقة في يدي وعنقي !!

« فلماذا قدر على ان اكون ابنة وطن تنقصه شروط الوطنية ، فامسي تلك التي لا وطن لها ؟! .

« ما سمعت وصـف بلاد الا سعى اليها اشتياقي

« ولا حدثت عن بسالة امة وسؤددها الا تمنيتها امتي

« ولاتخيلت مسافات الارض ، وابعاد الفلك والصحاري والبحار والكواكب والعوالم الاخرى الا اهتاجني الحنين اليها كانها الوطن يردد هواؤها ترنيمة طفولتي ، وتنتظرني فيها قلوب الاحباب والخلان .. »

« أما وقوى اعزازي تتوزع باستهتار وجنون ، فلماذا تتجمع قوى اكتئابي عميقة مرهقة ، لانى انا وحدى – وحدى فى الدنيا – تلك التى لا وطن لها ؟ »

انت هى الدنيا

وصلت هذه الرسالة الى الاستاذ العقاد ، وفيها هذا الوصف ، نعرف انها تعانى ضيقا نفسيا شديدا ، فرد عليها برسالة يقول فيها :

« .. عجبت حين قرات كلماتك « اين وطنى » التى أرفقتها برسالتك وقد ذكرت انك « وحدك فى الدنيا » مع أنك « انت هى الدنيا » بما فيها من نور ونار ، ونجوم وازهار ، وجوهر ونضار ، ونشوة ومتاع

كانت رسائل العقاد فى اكثرها مملوءة بالشعر ، بل كان بعضها شعرا خالصا ليس فيه من النثر الا « آنستى العزيزة مى .! » . وقد نشر طائفة منه فى الجزء الرابع من ديوانه الذى اصدره سنة ١٩٢٨ . وابدل فيه باسم « مى » اسم « هند » حين كان يضطر الى ذكر الاسم فى سياق الاوزان .. ! اما « سارة » التى كان يحبها فى الوقت الذى كان يحب فيه مى حبا روحيا ، فيذكرها باسم مستعار ايضا هو « سعاد » أو « ليلى » وليس لنا أن نذكر اسمها الحقيقى الآن ، لانهـا ما تزال حية ترزق فى باريس ، وهى مسيحية لبنانية كانت تعيش فى مصر ، لم سافرت الى فرنسا منذ ثلاثين سنة وما تزال بها حتى الآن . وقد أرسلت صورتها الى الاستاذ العقاد منذ خمس سنوات . وهى صورة تمثلها فى سن الستين ، ولكنها تحتفظ بذكريات الجمال والشباب

مى .. وسارة

وقد كانت « مى » لا تعلم من شأن « سارة » شيئا . وكانت « سارة » لا تعلم من شأن « مى » الا أن « عباس » يعرفها معرفة ادبية ، ويقدرها لعلمها وادبها . ولكنها كانت تتبرم بزيارته لها حين تعلم انه زارها . وكانت تجتهد أن تشغله عن زيارتها فى اليوم الموعود . فيؤجل موعد زيارة « مى » مكتفيا بحديث التليفون . الا اليوم الذى تعلن فيه « كنيسة الظاهر » عن افلام الفانوس السحرى . فلا اعتذار عن حفلتها بل لابد ان يذهبا معا اليها ، لانها الحفلة التى تقوم مقام الذهاب الى السينما معا ، وتتيح للحبيبين أن يقضيا وقتا سارا

وهنا نسأل « العقاد » كيف جمع بين هذين الحبين : « حب مى » و « حب سارة » ويجيب عن هذا السؤال ، فيقول :



العقاد فى ١٩٢٧

« اذا ميز الرجل المـرأة بين جميع النساء ، فذلك هو الحب !

« واذا اصبح النساء جميعا لا يغنين الـرجل ما تغنيه امـرأة واحدة فذلك هو الحب !

« وقد يميز الرجل امرأتين فى وقت واحـد ، لكـن لا بد من اختلاف بين الحبين فى النوع ، أو فى الدرجة ، أو فى الرجاء . فيكـون احد الحبين خالصـا للروح والوجدان ، ويكون الحب الآخر مستغرقا شاملا للروحين والجسـدين . او يكون أحد الحبين مقبلا صـاعدا ، والحب الاخر آخذا فى الادبار والهبوط . اما ان يجتمـع حبان قويان من نوع واحد فى وقت واحد ، فذلك ازدواج غير معهود فى الطباع ، لان العاطـفة لا تقف ولا تعرف الحـدود . واذا بلغت العـاطفة مداها جبت ما سواها .. »

ثم يعترف واصـفا ما كان بينهما بصيغة المتكلم :

« وقـد كنت أحب « مى » حين التقيت لاول مرة بـ « سارة » فى « بيت مريانا » بمصر الجديدة، أحببتهـا الحب الذى جعلنى انتظر الرسـالة ، أو حديث التليفون كما ينتظر العاشق موعد اللقاء ، وكنا كثيرا مانتراسـل ونتحادث ، وكثيرا ما نتـباعد ونلتزم الصـمت الطويل ايثارا للتقية ، واجتنابا للقال والقيل . ولكننا فى جميع ذلك كنا اشـبه بالشجرتين منهما بالانسـانين متلاقيان وكلاهمـا على جذوره وتتلامسـان باهداب الاغصـان ، أو بنفحات النسيم العابر مـن هذه الاوراق

« وكنت أغازلها ، فتومىء الى باصبعها كالمنذرة المتوعدة ، فاذا نظـرت الى عينيهـا لم أدر أتستزيدنى ، أم تنهانى . ولكننى أدرى أن الزيادة ترتفع بالنغمـة الى مقام النشوز .. !

« وكنا نتواعد الى جلسة من جلسات الصور المتحركة فى مكان لا غبار عليه « كنيسة الظاهر » ، فنتحدث بلسان بطل الروايـة وبطلتها ، ونسـهب ما احتملت الكناية والاسهاب ثم نغير سياق الحـديث فى غير اقتضـاب ولا ابتسار

« وكنا اشـبه بالنجمـين السيارين فى المنظومة الواحدة ، لايزالان يحومان فى نطاق واحد ، ويتجاذبان حول محور واحد ، ولكنهما يحذران التقارب .. لانه اصطدام .. !

ذلك ما اعترف به العقاد فى

حب هي التي كان يسميها «هند» في شعره وكتابته، وهو حب روحي نزيه تسوده البراءة والطهر. فلما عاد من لبنان. اتصلت به تليفونيا، لتهنئه بالعودة، وتدعوه للقاء كعادتهما قبل السفر. وصادف ان «سارة» كانت موجودة عند العقاد، ولم يكن هو بجوار التليفون، فردت عليها «سارة» ردا أيقظ في نفسها الشك والقلق، وشعرت بأن هناك فتاة أخرى تشاركها حبها، وتنازعها هواها.. ولم تكن تعتقد الرهبانية في «العقاد» ولا تزعم بينها وبين وجدانها انه معزول عن النساء، ولكنها لم تكن تحفل باتصاله بالنساء ما دام أسمهن نساء، لا يلوح بينهن شبح غرام بامرأة واحدة غيرها.. !

وساوس الهجر

فلما شعرت بأن هناك امرأة أخرى يحبها غضبت، وامتنعت مدة عن محادثته بالتليفون، فأرسل اليها رسالة منظومة بعنوان «وساوس الهجر» جاء فيها :

قلت للقلب، وهو جد عجول
يشتكي بعدها، ويبغي الشفاء
ان يكن عندها هواك فدعها
سوف ترجو كما رجوت اللقاء
او يكن عندها سلاك فدعها
تشعر القرب أو تطيل الجفاء
لست يا قلب خاسرا ان تولت
ذلك الغنم ان أجدت ولاء

قال لي القلب، وهو يعرض عني
من تكدر، وما يطيق العناء
ان في قلبها «بقاء غرام»
أتراني أسلو، فأرثي الاعداء ؟
ايه يا صاحبي لك الله دعني
أرتجي، وان أضعت الرجاء
سوف أشقى برجعة الحب حتى
أبصر الحب ميتا لا مراء

موت الحب

فلما وصلتها هذه الابيات لم ترد عليه بأية رسالة، أو كلمة في التليفون. بل ذهبت اليه بعد مدة على حين غرة، ودخلت عليه مكتبه بجريدة البلاغ ... وانى ادع «العقاد» نفسه يروى بصيغة المتكلم هذا الحادث - حادث القطيعة - بينه وبين الاديبة النابغة قال :

«زارتني على حين غرة في مكتب عملي، وهي الزيارة الاولى والاخيرة من قبيلها. ولم يكن لها مسوغ من طول الغيبة، ولا



العقاد في ١٩٥٧

امتناع الحديث في التليفون .

فما شككت لحظة في غرض الزيارة ، ولا في باعثها ، وتوقعت منها عتبا عنيفا على اسلوبها في التعبير الصامت المبين . ولكنني علمت سلفا انها غير منصفة في عتبها ، لانني لم اختلس منها شيئا هو من حقها علي . فرحبت بها ، وابديت لها استغرابي لزيارتها ، وابتهاجي بسؤالها عني . وانصت مترقبا .. فقالت بعد فترة وصوتها يتهدج :

ـ لست زائرة ، ولا سائلة .!

فقلت : اذن ...

ولم اتمها ، لانها نظرت الي كمن يستحلفني الا أتكلم . وانحدرت من عينيها دمعتان .!

« فما تمالكت نفسي ان تناولت يدها ، ورفعتها الى فمي أقبلها وأعيد تقبيلها . فمانعتني ، ولم تكفف عن النظر الي ، ثم استجمعت عزمها ، ونهضت منصرفة وهي تتمتم هامسة : دع يدي ودعني . ! ثم انصرفت بعد أن سكن جاشها وزال من صفحة وجهها أثر الدموع » !!

وقد قال العقاد : لو جاءت هذه الزيارة ، وانا في بداية العلاقة بسارة لما كان بعيدا أن تقضي على تلك العلاقة وان ترد سارة اسما مغمورا في عامة النساء . !

مات حب مي اذن وقضت سارة على هذا الحب الذي عاش فترة قصيرة من الزمان ولو انه

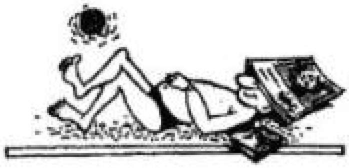


العقاد في ١٩٦٢

عاش طويلا لأهدى الى الادب العربي ثروة كبيرة من « أدب الحب » . ولقد شيع « العقاد » هذا الحب الراحل بقصيدة طويلة بعنوان : « موت الحب » جاء منها :

ولد الحب لنا ، وافرحتاه
وقضى في مهده وا اسفاه
مات لم يدرج ، ولم يلعب ولم
يشهد الدنيا ولم يعرف اباه
ليته عاش فاما انا فلي
فليكن بردا على القلب جواه
اشكر الموت واشكوه معا
قال حبي قبل ما تنمو قواه
غاله وهو صغير قبلما
تكبر البلوى به يوم نواه
فتولى رحمة الله على
امل لاح ولم يبلغ مداه
آه لو تغني من اللوعة آه
ليتني اسمع في القبر صداه


الثقافة والارشاد القومي..
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
تقدم
تصدر اليوم
٤
أغسطس
١٩٦٤
روائع المسرح العالمي
٥٣
الابن الأكبر
تأليف : جون جالزورذي
ترجمة : حسين عبد المقصود
مراجعة وتقديم : أحمد خاكي
سلسلة مسرحيات عالمية بأقلام الصفوة الممتازة من أعلام الكتاب مع دراسة لكل كاتب وتحليل لكل مسرحية
الثمن ٥ قروش
تطلب من : المكتبة القومية
٥ ميدان عرابي - القاهرة ت ٤٦١٣٨٣
ومن باعة الصحف



مكتبة مجلة الهلال العربية

المسرح الفرنسي المعاصر
تأليف الدكتور لطفي سوس فام
الناشر : الدار القومية
الثمن : ٢٥ قرشا

مؤلف هذا الكتاب من أساتذة الادب الفرنسي المصريين الذين اشتهروا بالجد والدأب وحب التحصيل والامانة الاكاديمية، لذا حرص منذ السطور الاولى على توضيح « مجال » موضوعه ، فوصفه أولا بأنه دراسة موجزة للمسرح الفرنسي المعاصر. ثم لم يكفه هذا ، بل راح يزيد موضوعه تحديدا على تحديد ، فيؤكد أنه أنها اقتصر على أهم الأعمال المسرحية الفرنسية المعاصرة ، وليست الأهمية هنا بمعناها الفني أساسا ، بل من حيث دلالتها على تطور هذا المسرح وصلته بتيارات المسرح العالمي . « فمعالم الطريق » هنا أهم عنده من القيمة الفنية .

والفرق بين المعنيين جدير بالالتفات . فقد تكون الأعمال الدالة على معالم الطريق أقل قيمة فنية من غيرها ، ولكنها أعمال فيها جدة وطرافة ، أو أعمال رائدة في الشكل أو المضمون في حين أن أعمالا أخرى ليست من علامات التحول والتطور لأنها لا تضيف جديدا الى الشكل أو المضمون قد تعتبر قمة في حد ذاتها فنيا . ولفظ معالم الطريق » نفسه يدلنا على هذا المعنى ، فمعالم الطريق قد تكون صخورا أو تلالا أو أوديه أو منحنيات ، في حين أن الصروح الشاهقة التي لاتدل على « تغير » في الطريق قد لا يعتد بها من يسجل معالم الطريق فحسب .

ولهذا السبب أغفل المؤلف ـ عمدا وحسب خطة موضوعة ! ـ مسرح « ماريفو » و « برتالوس » و « بيراندبللو » ومن اليهم ، واهتم بمسرحيات كلوديل وجيرودو وكوكتو وأنوي وسارتر وكامي وأخيرا وعلى الخصوص مسرح أخوينا يونسكو وبيكت اللذين خصهما المؤلف بعناية خاصة بمناسبة « الضجة » التي أثارتها موجة اللامعقول عندنا .

وفي خصائص الطريق الاكاديمية بالمعنى الضيق أن يتحاشى المؤلف التورط في تفضيل أو تقييم . فهو يأخذ بخطة « الحياد » فيتكلم عن خصائص كل واحد وآراء النقاد فيه ويحلل أهم أعماله . أما بعد ذلك فكفى الله المؤلفين شر التقييم ، لأنه بحر عميق غير مأمون . والأمان كل الأمان في التزام الشاطئ، والتشبث بعبارات شتى ، هي « آراء الغير » و « الدراسة الموضوعية المحايدة » ـ ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .

والمؤلف شديد التمسك بتواضعه ، ولذا يعيب على من يتصدون للنقد أن يتصبوا عادة ـ أنفسهم أساتذة ورواد

مدارس نقدية ، ويقومون بكيل الثناء أو اللطمات حسب الأحوال – على البابهم وخصومهم من عليا كرسي الاستاذية ، ولا سيما أن هذا الناقد يتعذر عليه غالبا تبرير ميوله الخاصة وذوقه الشخصي بصورة تقنع الآخرين جميعا . فواجب الناقد والجمهور معا التعاطف مع العمل المسرحي والحكم عليه في اطار الغرض الذي يرمي اليه المؤلف ، وان كان هذا الغرض لا يبدو بجلاء في جميع الأحوال ولأول وهلة .

فالكتاب في جملته دراسة « مدرسية » أو « أكاديمية » جيدة لتطور المسرح الفرنسي المعاصر وصلته بتطور المسرح في العالم

اسطورة سيزيف

تأليف البير كامي
ترجمة : عبد المنعم الحفني
الناشر : الدار المصرية
الثمن : ١٠ قروش

الاستاذ عبد المنعم الحفني معني عناية خاصة بالمدرسة الوجودية الفرنسية ، ولا سيما قطبيها سارتر وكامي ، فلسفة وأدبا . وهو في هذه الترجمة لاسطورة سيزيف يتابع هذا الاهتمام فينشر ترجمة دقيقة يقدم لها بمقدمة طيبة نابضة بالحياة ، وبليغة بلاغة الحماسة والصدق ، يتحدث فيها عن « الوجود الخصب الريان » ومن « الخطورة والموت» ومن الانسان الحر الذي يريدان « يعيش حياته هو ، ويموت ميتته هو ، ويرفض رفضه هو ويعطي قيمه هو» ويريد أن يكون للحياة والوجود كالشمس والماء يعطي أبدا ويظل دوما ، حتى تمام الترف أو حتى تمام النهاية ! »

وهو حريص على مناقشة كلمة Absurde

وهل ينبغي ترجمتها بالعبث أو اللامعقول . ويفسر معناها الخاص عند كامي على ضوء فلسفته وأدبه ، ويقارن بين موقفه وموقف باسكال وبرجسون من جهة وديكارت من جهة أخرى ليخرج بأن المعنى المقصود هو اللامعقول ، ولكن بصورة خاصة من صوره .

ولكنه على اعجابه بكامي لا يتردد في نقده واظهار ما في مذهبه من ثغرات غير معقولة « تجعله مذهبا غير فلسفي ، وانما هو مذهب أخلاقي

واسطورة سيزيف نفسها محاولة جادة من جانب كامي ليبسط هذه « المفارقة غير المعقولة » في العلاقة بين الوجود والانسان وكيف يستعصي الوجود غير المعقول على محاولة الانسان اخضاعه للمفهوم العقلي .. وهنا الجهد اليائس الضائع .. هنا مأساة سيزيف .

مذكرات الولد الشقي

تأليف : محمود السعدني
الناشر : دار القلم
الثمن : ٢٥ قرشا

عنوان هذا الكتاب صادق جدا في دلالته على موضوعه ، وكلمة الاستاذ كامل الشناوي على غلافه أشد صراحة وصدقا في تقييمه وتقييم مؤلفه . ذلك المؤلف الذي كان صريحا الى درجة تتجاوز حدود التصور في الكتابة عن أخطائه ، ومن حياته ، وتجاربه وشباه « الولد الشقي » أن يكون فيلسوفا – وليه لا ؟ أليس على الشقي حرج ! – فتحدث عن الأخطاء التي تتحول الى دروس ومعالم على الطريق حين يتعلم منها صاحبها أو تتحول الى عاهات أو خطايا وصحيفة سوابق عندما يفوت صاحبها أن يتعلم منها ... وهو كلام سليم ومعا . ويعتبر من أهم مكتشفات البشر التي يدعون اكتشافها في الحين بعد الحين على يد كبار الخطاة التائبين

والسعدني يعترف بأن حياته كانت سلسلة من الأخطاء المتصلة ، استفاد من بعضها . ومعنى هذا انه لم يستفد من بعضها الآخر . ومن هذا « البعض » أخطاء اللغة والتعبير والنحو والصرف . فهو لا يدرك مثلا ان من الخطأ أن يكتب كاتب حرفته الكتابة مثل هذه العبارة : « وكان الله بالسر عليم » ... ولو انه عرف كيف يستفيد من كتاب الشيخ محمد لعرف على الأقل أن « عليم » خبر كان وينصب بالألف – ولعرف أن « رجل » تجمع على «أرجل» لا على «رجول » ومثل هذا

الخطأ المزعج يتكرر مرات فى كل صفحة .. فليس هناك ما يدعو اطلاقا لكتابة واخطاء الولد الشقى بلغة كلها اخطاء ...

هذه واحدة . والمسألة الاخرى ، الاهم والاخطر فى نظرى ، هى الدلالة النفسية التى تشغل العقل المتأمل وهو يطالع هذه المذكرات . فالولد الشقى لا يتورع عن قضاء حاجته وسط قاعة المدرسة او الكتاب . ويؤدبه الشيخ محمد بالضرب الموجع فيكرهه ويهرب من مدرسته ويحقد عليه . وكل هذا مفهوم . ويحرص الولد الشقى على الانتقام ويتربص بالشيخ شبه الضرير ليقذفه بالطوب وهو عائد ليلا الى ماواه ويدفع به ليسقط فى الوحل ، ويسكب عليه جرادل الماء . وهذا ايضا يمكن ان يكون مفهوما من الولد الشقى . ثم تأخذه الشفقة – او الشقاوة والرغبة فى التغفل – فيسارع الى انهاض الشيخ ويسحبه الى ماواه . وهذا ايضا مفهوم . وفى الطريق يكتشف ان الشيخ بائس وغلبان وضائع فيحبه . وهذا ايضا مفهوم ويستحق الاكبار

اما الشىء المفزع حقا فهو قول المؤلف :
– ومن تلك الليلة احببت الشيخ محمد ... ونسيته !

شىء مزعج لان معناه الوحيد انه لا يستطيع ان يتذكر الا من يحقد عليهم . اما من يحبهم فليس لهم عنده الا النسيان ! بالحفيظ ! ..

والكتاب حافل بهذا الصدق العارى . الصدق الذى يتعلم منه البعض هذا النوع المعين من الشقاوة ... والبعض الاخر يتعلمون منه شيئا آخر لا يقوله المؤلف ، ولا يخطر بباله ان يقوله

انه كتاب مثير على كل حال .. فيه جرعات مركزة جدا من خفة الدم ...

علم الاجتماع عند ماركس الشاب

تاليف : جورج جيرفتش
ترجمة : د . صلاح مخيمر
وعبده ميخائيل رزق
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية
الثمن : ١٥ قرشا

هذا الكتاب هو الفصل الخاص بفلسفة ماركس الاجتماعية فى شبابه من كتاب كبير لجورج جيرفتش عنوانه « الرسالة الحالية لعلم الاجتماع »

ولهذا الكتاب اهمية بارزة عند المهتمين بعلم الاجتماع واهدافه وفروعه وتطوراته وللفصل الخاص بماركس الشاب اهميته الخاصة عند المهتمين بتطور النظرية الشيوعية وعلاقتها ببقية النظريات الاشتراكية

والعامل المثير فى هذه المرحلة من حياة ماركس انها تختلف كثيرا جدا فى بعض الاحيان عن مرحلة حياته المتأخرة التى طبع بها مذهبه فى صورته النهائية . ولا سيما من حيث صلة الفرد بالمجتمع ، فقد كان ماركس الشاب شديد الاهتمام بدور الفرد فى تطوير المجتمع . ويرى ان الفرد « ينتج » المجتمع مثلما « ينتج » المجتمع الفرد ... وكان ينبه الى اهمية « العوامل الروحية » – ومنها الفكر والوعى – فى الانتاج

والمؤلف – ومن ورائه المترجمان – يؤكد ان ماركس الحقيقى ليس ماركس الشيخ المعروف للجميع ، وانما هو ماركس الشاب الذى ظلت مؤلفات شبابه مطلوبة قرابة قرن كامل الى ان نشرت اخيرا على الناس وفيها هذه المخالفات « الجذرية » لصورة مذهبه الاخيرة . فيما يتعلق بالبناء الاجتماعى وعلاقات الطبقات ودور الفرد واهميته ومن حيث الايديولوجية ايضا ..

ان هذا الكتاب الصغير – فى الواقع – محاولة لتغيير فكرة الناس عن كارل ماركس ومحاولة لتقديم « فهم جديد » لتفكير ماركس الاجتماعى يعتبر مخالفا تماما – بل زندقة فكرية – بالنسبة لتفكير ماركس « الرسمى » الذى قامت على اساسه ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ وطبقة لنين ...

وفى الكتاب اكثر من محاولة واحدة لترجيح كفة ماركس الشاب على ماركس الشيخ ، مع تفريعات ومناقشات « فقهية » وتلمس لمواضع الاتفاق مع هيجل خاصة . وبعبارة اخرى نجد صورة « ماركس » الشاب اقرب الى المثالية منها الى المادية

كتاب جدير بالتأمل من المهتمين الجادين بالموضوع ... ولا سيما ان كل فقرة مشفوعة بالاشارة الى الموضع الاصلى الذى اخذ منه النص الماركسى بحذافيره .

وقد ختم الكتاب بمحاولة لتحليل حمعا

التغير « الجذري » الذي طرأ على تفكير ماركس تحليلا نفسيا ومنطقيا وتاريخيا . وثمة استشهاد بنص من انجلز في أواخر أيامه يلخص فيه الماركسية ويقول بصريح العبارة : « ان الموقف الاقتصادي ليس العلة الوحيدة الفعالة بحيث يكون كل ما عداه مجرد نتاج سلبي .. فالمادية التاريخية لا تنكر الدور الذي تلعبه التقاليد الاجتماعية بتعديلها لايقاع التغير في الجوانب اللامادية للحضارة . »

رحلة الربيع والخريف

بقلم : توفيق الحكيم
الناشر : دار المعارف
الثمن : ٤٠ قرشا

ما بين أعمال العشرينات وأعمال الستينات من هذا القرن للكاتب الفنان صلة أشبه بما بين رحلات الربيع والخريف من صلة ... وقد أراد الكاتب الفنان أن يعمل على « وصل حلقتين ، تفصل بينهما أعمال طوال لنعرف الى أي حد تختبىء البذرة فينا وتنام ، ثم تصحو وتظهر في أعمال وأشكال مختلفة على مدى العمر ومراحل الفكر »

وبهذا التقديم الموجز افتتح الاستاذ الحكيم كتابه ، لنجد بعد ذلك رحلة الربيع « ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ » شعرا حرا ليس له عنوان ، لان اعمال الطبيعة التلقائية ليس لها عنوان ـ هكذا يقول الاستاذ الحكيم ـ ولكننا نحن نضع لها العناوين من عندنا ونفرضها عليها »

اننا بازاء لون من الشعر الحر .. الحر جدا :

« غطاء محكم الاغلاق
أزرق زرقة الأبد
زرقة شموس طفل في المهد
أغلق غلقا على جوهره
تلمع داخلها جمجمة
تحسب انها وحيدة
تقول كلاما وتعيش غراما
وتنام طويلا بعيون غير موجودة ! »

أو تقرأ :

« وجهان يصطرعان في جوف الظلام
لحنان يختلطان من دون كلام
« ويرن صوت الصمت في كأس الزمان
« ويسيل وهما من دنان الحان » !

أو تقرأ :

« تنفس صبح من انوف خيول
تركض لاهثة في وهاد نفسي
أسمع في أعماقي الصهيل
امنعوها من اللحاق بأمسي ! »

وعلى هذا النسق تمضي أشعاره الحرة . وأنا رجل لا أحسن تذوق ما لا أفهم ، ولا أريد ان احكم على ما لا افهم او ما لا اهضم . ولا أتصدى للافتاء بغير علم .. ولذا امسكت عن رحلة الربيع وأتركها الى رحلة الخريف حيث أجد مسرحيتين صغيرتين هما رحلة صيد ورحلة قطار ، وهما من أعمال الستينات . فاذا شيء أتذوقه لاني أفهمه ـ وقد يكون العيب في قدرته على الفهم .. هذا جائز جدا . ولكن ما حيلتي ؟

ان الرحلة الاولى تصورات طبيب « أو حكيم فالكلمتان مترادفتان عرفا » يسترجع لحظات متميزة من ماضيه . متميزة بالجمال او القبح او التوتر العصبي متميزة بالسلام . اخلاة . تتداخل وتتعاقب بطريقة تداعي الصور الحر في براعة فنية آسرة . ولكن مشاهدها المريعة حافلة بشرائح من الحياة ، ومثقلة بتيار حكمة الحكيم وسخريته اللاذعة الرصينة ذات الاعماق والمرامي البعيدة

اننا في الحياة في رحلة صيد مستمرة

اما رحلة القطار ، فهي قصة الضوء الاحمر والاخضر ، والطريق المغلق والطريق المفتوح . واختلاف وجهات النظر او الوان النظر بعبارة أصح . فالسائق يرى لون السيمافور أخضر فاقعا ، والوقاد يراه أحمر فاقعا . ويقف القطار من قبيل الاخذ بالاحوط ، ويبدأ استفتاء الركاب :

ـ أحمر لا أخضر ، لا أحمر ، لا أخضر

كل واحد وكل واحدة يرى اللون على حساب حالته العقلية والنفسية والجسدية .. يراه علامة على طريق مقفل او طريق مفتوح . وهناك من يراه أصفر ، مع ان لون السيمافور لا بد أن يكون أحمر أو أخضر ولا ثالث لهما !

ثم اتضح في النهاية انه لا يوجد سيمافور على الاطلاق . جرفته العاصفة والالوان كلها وهم !

رسالة جامعية « لم تنشر »

.. تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٦ ..

بحث للماجستير في التاريخ الحديث بكلية الاداب ـ قسم التاريخ ـ جامعة القاهرة ..

وضع عبد العظيم محمد ابراهيم رمضان ليسانس اداب سنة ١٩٥٨

تحت اشراف : د. محمد احمد انيس ، استاذ التاريخ الحديث بكلية الاداب بجامعة القاهرة .

تتزايد حاجتنا في هذه الايام الى الدراسات التاريخية عن الحركة الوطنية المصرية ، بل والى دراسة الحركات الوطنية في العالم العربي كله ، شرقه وغربه ، والى الدراسات المقارنة بين هذه الحركات .

ولكن مثل هذه الدراسات لا تزال تواجه بعض الصعاب التي من أهمها قلة المراجع المباشرة والدقيقة والمسئولة والمحلية عن احداث تاريخنا الحديث والحاجة الشديدة الى التزام الموضوعية العلمية في كتابة التاريخ العربي الحديث .

ويقول الاستاذ عبد العظيم رمضان انه قد واجه بنفسه تلك المصاعب ، ولكن بحثه يدل على انه قد استطاع ان يتغلب عليها الى حد بعيد .

كما واجه الباحث مشاق ومتاعب في دراسته للحركة الوطنية في مصر دراسة شاملة ، سواء من ناحية تناولها موضوعيا ، أو من ناحية مصادرها . ذلك لان الحركة الوطنية في مصر ـ في رأيه ـ هي حركة جماهيرية متعددة الجوانب والعناصر والوسائل . فجوانبها ـ كما يحددها ـ هي :

أولا ـ الحركة السياسية التي قامت للتخلص من الاستعمار .

وهي ثانيا ـ الحركة الدستورية التي قامت لفك أغلال الحكم الاوتوقراطي ، وتكوين جزء لا يتجزء من حركة التحرر من الاستعمار

وهي ثالثا ـ حركة اشتراكية قامت للتخلص من الاستغلال .

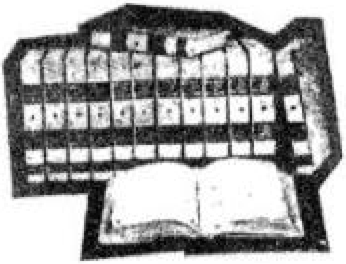
ولا يقل تعدد عناصر الحركة الوطنية المصرية الحديثة عن تعدد جوانبها ، كما لا يقل تعدد وسائلها عن تعدد عناصرها وجوانبها .

وبسبب هذا التعدد ومحاولة الباحث الالمام بالحركة الوطنية المصرية الماما شاملا ، فان دراسته عن الفترة الواقعة بين ثورة ١٩١٩ ومعاهدة ١٩٣٦ تقع في ٥٢٠ صفحة من الفولسكاب ، وتتناول : مقدمات ثورة ١٩١٩ ـ ثورة ١٩١٩ ـ معركة الحماية ـ انقسام قيادة الثورة ـ تصريح ٢٨ فبراير ـ معركة الدستور ـ المسألة المصرية ومؤتمر لوزان ـ الحكم الدستوري والوزارة البورجوازية الاولى ـ مصرع السردار الحركة الوطنية في مصر والسودان ـ التيارات اليسارية في الحركة الوطنية ـ المعركة الدستورية الاولى من نوفمبر ١٩٢٤ الى يونية ١٩٢٨ ـ المعركة الدستورية الثانية ـ المعركة الدستورية الثالثة ـ معاهدة ١٩٣٦

ولاشك في أن الفصل الخامس الذي افرده الباحث عن « التيارات اليسارية في الحركة الوطنية » يعتبر اول محاولة تاريخية علمية جادة يقوم بها باحث عربي من أجل دراسة ظهور وتطور الفكر الاشتراكي في مصر ، ومتابعة فترات ازدهاره واضمحلاله ، ومحاولة تقييم منظماته ورجاله .

واذا كانت هناك ملاحظات يمكن ابداؤها على هذا البحث القيم الجاد ، فهي جنوح الباحث ـ أساسا ـ الى دراسة الحركة السياسية والدستورية باهتمام أكبر من اهتمامه بدراسة الحركة الاجتماعية والفكرية في تلك الفترة . ولعل هذا هو السبب في أن الدراسة تفتقر الى الدقة أحيانا في تقييم بعض المواقف الاجتماعية والفكرية ، مثل تقييم موقف وزارة سعد زغلول في سنة ١٩٢٤ من حركة العمال بالاسكندرية وعدم توفية بحث البرامج الاجتماعية لحزب الوفد بطريقة أكثر تفصيلا ووضوحا وخاصة من خلال مؤتمرات الوفد سنة ١٩٣٦ ، وعدم الاهتمام الكافي ببحث علاقة الوفد بحزب العمال ، وهي العلاقة التي كان يمكن أن يفرد لها الباحث فصلا كاملا يكون موضوعا شيقا للغاية .. وعدم الاهتمام الكافي بالتحقق من مدى اتجاهات محمد فريد الاشتراكية .

ومع هذا فلا جدال في جدية الرسالة ، واهمية مادتها ، ولا شك انها ستحتل ـ اذا ما نشرت في كتاب ـ مكانا بارزا في مكتبة التاريخ المصري الحديث .



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

الوجود الافريقي في الشئون الدولية

The African-Presence
in world Affairs

المؤلف : ارنولد ريفكين
Arnold Rivkin

الناشر : كاليير ـ مكميلان

الثمن : ٤٥ شلنا

عالم الامريكيين الزنوج الجديد

The New World of
Negro Americans

المؤلف : هارولد د . ايزاكس
Harold R. Isaacs

الناشر : فينكس هاوس

الثمن : ٤٢ شلنا

هذان كتابان ينظران من زاويتين مختلفتين الى ما يعتبر أساسا مشكلة واحدة . فارنولد ريفكين يقدم لنا تحليلا متوازنا لنواح عامة معينة في حياة الدول الافريقية الجديدة ـ اي انظمتها السياسية والاقتصادية والزراعية والتعليمية ـ ويحاول ان يبين ماينطوي عليه هذا كله من معنى بالنسبة الى السياسة العالمية . الا انه يبدو ميالا بدرجة قليلة الى تقسيم الدول الحديثة الى ما يدعوه مجموعة الدار البيضاء « وهو لايميل اليها » ومجموعة مونروفيا « وهو يؤيدها » .

وهو يعترف انه نظرا لكون الولايات المتحدة حليفة لبريطانيا وفرنسا ، فانهما توصم لهذا السبب بالنزعة الاستعمارية ، الا انه يعتقد في الوقت نفسه أنه لا كانت الولايات المتحدة لم تملك مستعمرات في افريقيا ، لهذا فهي في وضع افضل من الدولتين الاوروبيتين مما يتيح لها فرصة انشاء علاقات طيبة مع الدول الافريقية الجديدة . وربما كان يصدق هذا منذ عشر سنوات ولكن الحال تغير الان . فكون الولايات المتحدة بلدا غنيا ـ فضلا عن رغبتها في استباق الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ـ يجعلها هدفا لمشاعر قوية ومختلطة جدا . وبينما صار الاستعمار القديم في ذمة التاريخ ، فان الاستعمار الجديد هو اليوم خطر ماثل . وهذا هو الشعور السائد في كثير من البلدان الجديدة بالقارة الافريقية . وبالرغم من أن مشكلة الزنوج الامريكيين وقانون الحقوق المدنية يعتبران جزءا من السياسة العالمية ، الا ان المؤلف لايحدثنا بشيء عن هذين الموضوعين .

وعلى خلافه نجد أن هارولد ايزاكس ينظر اليهما بوصفهما جزءا من حركة عالمية . فالزنجي الامريكي سمع فجأة خلال العقد الاخير أن العاصفة الهوجاء التي كانت تهب في وجهه قد تحولت الان فصارت وراءه . وهذه الظاهرة الجديدة جزء من نهاية الاستعمار ، ومولد الشعوب الجديدة في افريقيا ، ونمو المنظمات الدولية .

كان الزنجي الامريكي فيما مضى يعتبر نفسه متقدما على الافريقي الذي كان يعيش في تأخر وبدائية . اما اليوم فقد تغير هذا الظن ، فأصبح يعتبر نفسه متخلفا بالقياس الى الافريقي الذي اصبح له وطن خاص به ، له استقلاله وسيادته ، وله صوته في الامم المتحدة . واذا كان هذا الشعور يعطيه املا جديدا ، الا انه ليس متأكدا من أنه امريكي حقا ، وهو اليوم اكثر وعيا في بلده بكافة المظاهر التي تنتقص من كرامته . غير أنه — على ما يقول المؤلف — عندما يتوجه الى افريقيا يصبح امريكيا ذا نزعة نضالية اذ يجد انه يفكر بالاسلوب الامريكي وليس الافريقي ، واكثر من هذا فانه غالبا ما يفكر بأسلوب « الرجل الابيض » الامر الذي يعتبر في نظر الافريقي مرادفا لكلمة « الرجل الغني » .

ومن النقط الاساسية التي يضع عليها المستر ريفكين التأكيد ، ان سعي افريقيا وراء الاستقرار السياسي يتداخل مع القوى الاقتصادية ويؤثر في السياسة الخارجية ولكن يجب أن تضاف الى هذه المجموعة من القوى مجموعة اخرى ، فالولايات المتحدة في نظر معظم الافريقيين بلد يضطهد الزنوج . وهناك عبر الاطلنطي يسعى الزنجي الى تحقيق ذاتيته ، ويمد بصره الى افريقية . ان في الولايات المتحدة الآن عشرين مليونا من الزنوج ، وقد بدأوا يعرفون كيف يستخدمون ثقلهم الانتخابي وهذه عوامل لها شأنها في المسرح الدولي .

وفي ١٧ يوليو الماضي اجتمع مؤتمر القمة الافريقي وحضره الدكتور هيستنجز باندا ممثلا لاحدث دولة في القارة هي دولة ملاوي المعروفة باسم نياسالاند سابقا .

واخرج جريف جونز Griff Jones الذي ظل يعمل في هذا البلد حتى عام ١٩٦٠ كتابا بعنوان « بريطانيا ونياسالاند » (الناشر ، ألن وانوين ، الثمن ٣٦ شلنا) وفيه يعرض لنا تاريخ ملاوي منذ عام ١٨٨٨ . فهو يحدثنا أنه في ذلك العام رفض لورد سالسبوري أن يعلن الحماية البريطانية على نياسالاند ، ثم اعلنها بعد ذلك بسنوات ثلاث دون أن يخبر وزير الخزانة ، وفي عام ١٩٥٧ أعلنت الحكومة البريطانية في حزم « ان اتحاد افريقيا الوسطى موجود هنا ليبقى » ، وبعد ثلاث سنوات اعترفت بحق نياسالاند في الخروج من الاتحاد .

الا انه يؤخذ على الكتاب انه يقص التاريخ ابتداء من عام ١٨٨٨ عند وصول البريطانيين ويغفل قيام اول امبراطورية ملاوية وهو ما فعلته الحكومة الجديدة في كتابها الذي نشرته أخيرا بعنوان « صورة لملاوي » .

لويس الرابع عشر
Louis XIV
المؤلف : فنسنت كرونين
Vincent cronin
الناشر : كولنز
الثمن : ٣٦ شلنا

تولى لويس الرابع عشر العرش طفلا في الخامسة ، وبعد موت مازاران اضطلع بمهام رئيس الوزراء ومسئولياته ولما يتجاوز الحادية والعشرين من العمر ، ومات قبل أن يتم السبعين بثلاثة أيام . وكانت الاعوام الخمسة عشر الاولى من عهده فترة سادتها الحرب الاهلية ، بينما تميزت السنوات الاحدى عشرة الاخيرة بالهزائم العسكرية وبموت اربعة من ورثة العرش . وكانت فرنسا اكبر دولة في اوربا ، كما كان لويس أقوى حكام القارة . وكان تأثيره ضخما على الذوق فضلا عن السياسة لا في بلده وحده فحسب بل وفي الغرب كله أيضا

والكتاب الذي تقدمه ثمرة اطلاع واسع الا أن المؤلف وقد وجه اهتمامه الرئيسي للقارىء العادي ، وضع التأكيد على حياة الملك الخاصة اكثر منه على السياسة والاقتصاد والادارة وفنون الحكم . وهنا نراه يعتمد على الكثير من المصادر وبخاصة ما ورد منها على ألسنة شهود الرؤية من أمثال سان سيمون الذي قدم لنا مذكراته التي وصف فيها الملك وبلاطه خلال العشرين سنة الاخيرة من حكمه

وكان لويس يملك موهبتين لهما أهمية لاتقدر بالنسبة الى الحاكم : احداهما مقدرة فائقة فى اختيار رجاله ومعاونيه ، والاخرى مهارة رائعة فى أن ينسب الى نفسه معظم النجاح الذى يحققونه وهذا جعله يعترف بمسئوليته عن الكثير من الفشل الذى يصيبهم وان كان من الصعب أن تحدد مسئوليته الشخصية عن الانجازات أو النكبات التى شهدها عصره

وبالرغم من أنه لم يتصف بذكاء نادر الا أنه عرف بالادب والكياسة وحسن الحديث والحرص على الكرامة . وكان نهما فى الاكل حتى عندما أصبح عاجزا عن المضغ اذ نزعت أسنانه العليا وهو فى الاربعين من العمر . وكان يعانى من الصداع والبثور فى جسمه ومن النقرس ، ولكنه استطاع التغلب على هذه الادواء بفضل قوة بنيته ، وكان شهوته الجنسية ذات ابعاد واسعة ، فبعد سلسلة طويلة من المحظيات عقد زواجه سرا على مدام دى مينتنون التى كانت مربية لاربعة من أطفاله غير الشرعيين ، وعندما بلغت الخامسة والسبعين من عمرها كان يصر على ممارسة حقوقه الزوجية وأحيانا مرتين فى اليوم . وكانت تستجيب له مكرهة كما اعترفت للقسيس فيما بعد ، حتى لا يلجأ الى الزنا .

وكان لويس نصف فرنسى . أما النصف الاخر فالغالب تساوى مع مزيج من الاصلين الايطالى والاسبانى . وعندما كان فى العاشرة من عمره اضطر الى الفرار من باريس التى ثارت ضد أمه وضد رئيس الوزراء مازاران ان ذكرى ذلك الاذلال وأولئك النبلاء الذين أثاروا الحرب الاهلية بعد ذلك ، تفسر الى حد ما خطأ من أفدح أخطائه ذلك هو « قصر فرساى » وان كان من دوافع انشائه حب الملك للصيد والظهور والفخامة ، فضلا عن نصيحة وزرائه

استغرق بناء القصر اثنى عشر عاما ، وعندما انتقل للاقامة فيه كان هناك ثلاثون الف شخص مايزالون يشتغلون فيه كان هدف لويس أن يجعل منه معسكر اعتقال يقيم فيه النبلاء تحت بصره وسمعه وبعيدين عن ضياعهم . واذ راحوا يتنافسون من أجل الحصول على عطف الملك ونعمائه التافهة ، فسرعان ما فقدوا ماكان لهم من نفوذ فى اقاليمهم ، بل وفقدوا الرغبة فى السلطان . وعهد وكلاؤهم الى اضطهاد الفلاحين وغالبا ما أهملوا الزراعة . وخلال السنوات الاخيرة من حكمه نقص عدد السكان بالملايين بسبب الفقر والمجاعات ، هذا النظام ظل قائما بعد وفاة من انشاه ، وكان من عوامل نشوب الثورة الفرنسية .

***

وكان الخطأ الكبير الاخر الذى ارتكبه لويس راجعا أيضا الى حب المجد ، وربما أيضا الى نصيحة وزرائه . فبعد عدوان سافر على هولندا ثم على اقليم البلاتينات أثار ضده حلفا أوربيا قويا ، عندما قبل عرش أسبانيا وتمكن مارلبورو « مالبرو » والبرنس يوجين من أن ينزلا به سلسلة من الهزائم الماحقة ، وكاد يفقد عرشه لولا النصر الذى أحرزه دى فيلار فى دليان وهى معركة قل من يعرفها من الانجليز لان كتب التاريخ التقليدية نادرا ما تتحدث بإسهاب عن انتصارات أعداء بريطانيا .

وكان العنف البالغ الذى استخدمه ضد الهيجونوت وهم البروتستانت الفرنسيون ، وليد رغباته ، ولعله كان واقعا تحت ضغط حينما ألغى مرسوم نانت الذى كان يكفل لهم الحرية فى ممارسة شعائرهم . ولم يخطر بباله أو ببال غيره أن الالغاء سوف يدفع بمائتى ألف الى الهجرة من فرنسا ، فكانوا كسبا ضخما بسبب مهاراتهم الفنية للدول المجاورة وبخاصة بريطانيا .

ان لويس الذى كان يتمتع بالرقص فى الحفلات التى تقام ، عندما كان شابا ، كان يحب دائما للموسيقى والضحك ، وكان هو أول من اكتشف عبقرية موليير

والحق ان جميع الفنون والصناعات استفادت من تشجيعه ورعايته ، وان كانت الفائدة التى عادت على الكتاب أعظم منها

بالنسبة الى رجال العمارة والفن . وبالرغم من ان لويس كان تقيا في صدق ، فانه لم يتردد في استمراره في محظياته حتى عندما كانت زوجته الاولى ماتزال على قيد الحياة .

ما من شك ان كتاب فنسنت كرونين ترجمة جيدة لحياة الملك الذى ينسب اليه القول بعد موت رئيس وزرائه مازاران والاشارة اليه باختيار خلف : « لماذا ؟ أنا الدولة ، والدولة أنا » . ولكن يؤخذ على الكتاب برغم ما يمتاز به من وفرة المادة وسلاسة العرض ونزاهة التحقيق ، أنه يمر سريعا على الكثير من اخطاء لويس الرابع عشر وعيوبه .

فى منتصف الطريق الى القمر

Half-way To The Moon
New writing from Russia

اشرف على التحرير : باتريشيا بليك وماكس هايوارد

Ed. by : Patoricia Bloke and Max Hayward

الناشر : ويدنفلد ونيكولسن
الثمن : ٣٠ شلنا

غالبا ما يقال ان كل ادب جيد هو ادب هدام . غير أن هذا القول لايمكن ان يؤخذ قضية مسلمة . فهو لاينطبق مثلا على الشاعر الانجليزى تنيسون بينما يصدق على فولتير . والواقع أن المراد به أن الادب الجيد يكون هداما اذا ظهر فى عصر يسوده الطغيان . فهو فى جوهره اذن اداة أو وسيلة يعمل على تقويض دعائم هذا الطغيان

هذه الحقيقة تنطبق على هذه المجموعة من الكتابات الروسية التى بدأت تظهر فى الاتحاد السوفييتى فى السنوات التى أعقبت موت ستالين ، وتمثل فى مجموعها ، ومن حيث المضمون وان لم يكن من حيث محاولة للانطلاق والتحرر من القيود التى فرضها الدكتاتور على الادباء وأصحاب الاقلام . ففى قصة الكسندر سولزنيتسين « بيت ماتريونا » حنينا عنيفا وعصبيا الى مجتمع روسى زال فعلا ولم يبدله وجود ، وكراهية تقريبا مشوبة بالاحتقار للعالم الحديث بجراراته ومزارعه الجماعية ، الامر الذى ينم عن جسارة فى التفكير ؛ وفى « آدم وحواء » يهاجم يورى كازاكوف الخط الذى فرضه الحزب على الفن ليسير فيه ويلتزم به ، ويسمح لبطله أن يكون ذا نظرة قاتمة ولا يتخللها التفاؤل التقليدى ، وذلك دون أن يتحدث عنه بما يدل على استنكار لموقف البطل . وكذلك فى قصة « فى منتصف الطريق الى القمر » حنينا عند الكاتب اكسيونوف ، الى هروب ميتافيزيقى فى المستقبل من الحياة الخالية من الجدوى . ويعترف اوكودجافا فى « حظ طيب أيها التلميذ » بأن الجنود السوفييت يمكن ان يكونوا جبناء ويبدى العطف على جبنهم . و « المطاردة » قصة يلقى فيه حارس غابات الصيد من العطف أكثر مما يبديه الكاتب على ذوى السلطان

ويمكن القول ان مقال « على جانبى الاطلسى الشهير لنكراسوف » توضيحا لكل ما تنطوى عليه هذه القصص من المعانى فالوصف الذى يقدمه للزيارات التى قام بها الى ايطاليا وامريكا يدعو الى الاعجاب المقرون بالدهشة بسبب مايتسم به من سلامة الادراك والنباهة والروح الودية . لقد شكا أحد الرفاق فى الرحلة الى امريكا من أنهم لم يؤخذوا لمشاهدة الاحياء الفقيرة، فيعلق نكراسوف على هذا بقوله انه رأى الاكواخ الحقيرة ، وشوارع شيكاغو التى لاتنفذ اليها أشعة الشمس . والبطالة التقليدية . وأشياء اخرى أسوأ من هذه « ... ولكن اذا كنت تذهب الى بلد اجنبى بلا غرض سوى ان تشهد هذا ، فلماذا تذهب لزيارته ؟ انى اشعر دائما بالخجل حينما الناس يستشعرون الغبطة فى مصائب الغير .. لست اغتبط حين ارى ان هذه البيوت والمعسكرات لاتزال موجودة ، حتى ولو كانت قائمة فى العالم الراسمالى الذى هو غريب بالنسبة الينا »

عزيزى القارئ

على الرغم من شهور الصيف ، التى يقل فيها توزيع المجلات والجرائد اليومية عدة ، فان « الهلال » قفزت قفزتين بدلا من قفزة واحدة

ان الزيادة الضخمة فى توزيع عددى يوليو واغسطس ١٩٦٤ رسمت الابتسامات على وجوه محررى وفنانى الهلال . ولكنها ايضا رسمت — مع التفاؤل — ظلال المسئولية والحماس ، لتحقيق شعار « الهلال » الذى نؤمن به ، وسنحافظ عليه ، « القارىء اولا ، وقبل اى اعتبار »

وقد تكون المفاجأة الحقيقية التى فوجئت بها «الهلال» هى زيادة أخرى من نوع آخر

ان عشرات المقالات والآراء والمقترحات التى وصلت الهلال ، وتحمل آراء مفيدة وجـديدة ، جعلتنا نؤمن بأن هناك اسماء جديدة عديدة لابد ان تأخذ مكانها فى عالم الرأى والفكر ، الى جوار الاسماء القديمة اللامعة

مثال واحد من المقالات العديدة التىوصلتنا ، مقال كتبه الدكتور جمال حمدان ، الحائز على جائزة الدولة ، والذى لم نتشرف بعد بمقابلته ، والمقال يتناول مشكلة قبرص ، من زاوية جديدة ، وبتحليل علمى واسـلوب ادبى مشرق ..

ان مقال الدكتور جمال حمدان لم تتسع له صفحات الهلال هذا الشهر ، ولكننا سنعمل على نشره مع بعض المقالات التى وصلتنا من جميع انحاء الوطن العربى ، وخاصة من اليمن والعراق والاردن والجزائر

وقد استطاعت « الهلال » أن تتفق مع عدد من المجلات الفكرية الهامة فى الجزائر و يوغوسلافيا والهند وفرنسـا لتصل الى الهلال،وتنشرمقالاتها فى نفس موعد نشرها بالخارج كما اتفقت « الهلال » مع مجلة Presence Africaine التى تصدر فى باريس ، وتشرف عليها اليونسكو ، على ان تعد عددا خاصا عن الثقافة العربية — السياسية والفكرية — على ان يصدر العدد بالفرنسية . وهذه المجلة الافريقية التى تصدر بالفرنسية تعد من احسن المجلات المتخصصة فى الشئون الافريقية . وقد قال ديوب رئيس تحرير المجلة — حين زار الهلال — انه يود ان ينقل صورة هذه النهضة الفكرية العربيـة الى قراء الفرنسية فى افريقيا والعالم ..

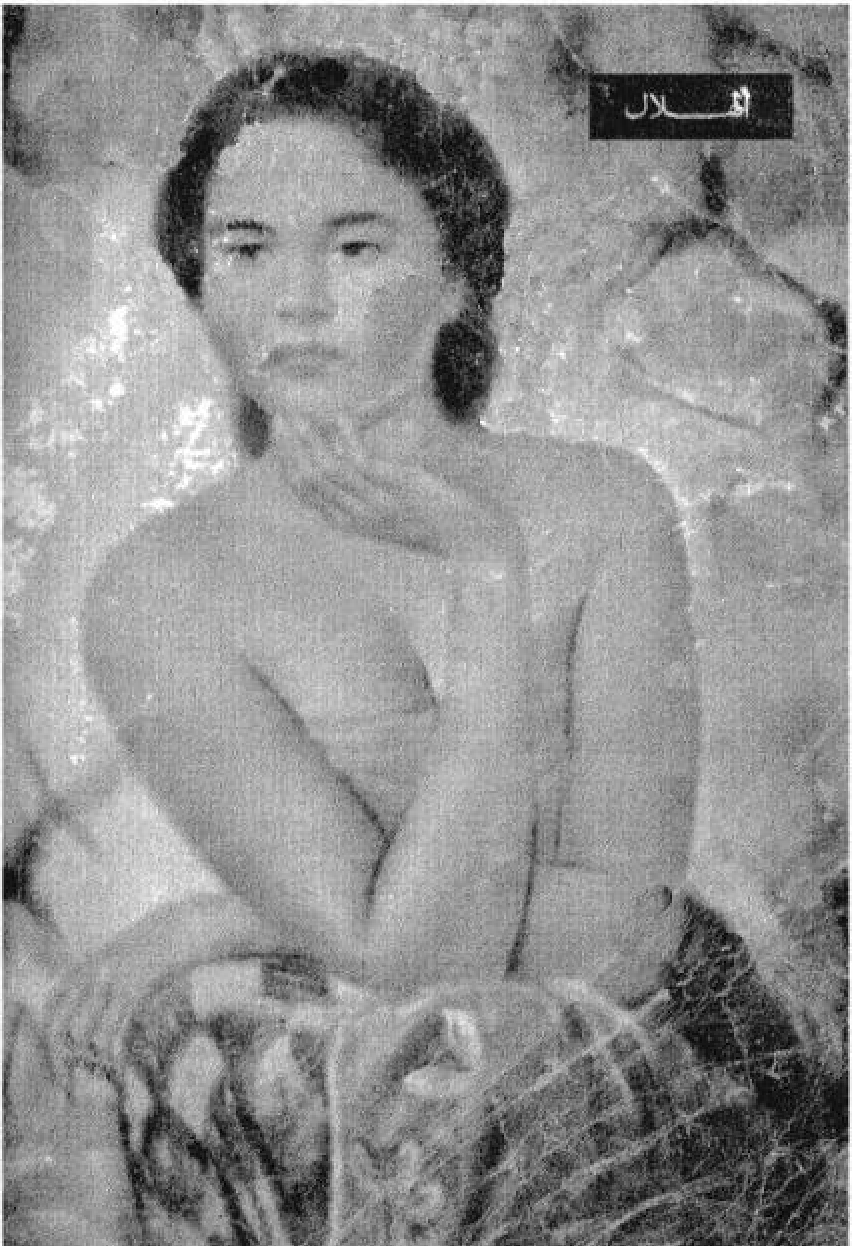
ان مشاريع «الهلال» لن تتوقف عن الاستماع الى آراء القارىء وانتقاداته ونصائحه ، لان شعار الهلال الذى نؤمن به هو : « القارىء اولا

رئيس التحرير

على الغلاف الأخير



الوان دافئة .. للفنان الاندونيسى ا . توراس


الهلال

الهلال

- ثورة ١٩ وحزب العمال البريطانى
- كنوز موكارنو : زيارة خاصة لأروع لوحات فى العالم
- ابن ماجد : جغرافى عرفت لا نعرفه



كلمات عاشت

● ان كل ما تحققه اية عاصمة عربية لا قيمة له ، الا لم يخدم المصير القومي المشترك « جمال عبد الناصر » ● اننا لم يجاهد من أجل الاستقلال ، لكي نبيعه لمن يدفع اكثر « حوليوس نيريري » ● تعد امريكا يدها للأشخاص الذين يتمتعون بغضب شعوبهم عليهم « ج . زوندا - الوزير التنجانيقي » ● السياسة وسيلة لتحقيق الاشياء التي ينبغي لها الا تتحقق « روبرت كنيدى » ● شعرت بالضياع حين انتزعوا البساط الاخضر من تحت قدمي « ثريا - امبراطورة ايران السابقة » ● الموقف في قبرص يشبه برميل بارود ، يلقى فيه الجميع باعقاب السجاير « دين أتشيسون » ● لو ان الكلام يعاد .. لنفد « علي بن أبي طالب » ● ليس يكفي ان تؤلف اغنية ثورية حتى تشارك الشعب في الثورة الافريقية . ينبغي أن تصنع هذه الثورة مع الشعب ، وستأتي الاغاني من تلقاء نفسها « سيكوتوري » ● الفن نوع من التبادل المقصود للمشاعر « تولستوي » ● اقرأ واعلم ، ثم اعمل « جابر بن حيان » ● ان مهنة الكتابة ، ليست من المهن التي تحتاج الى استقرار في مكان معين « أرسكين كالدويل - الكاتب الامريكي » ● كل ما هو جميل ، جائز « ريسار »

الهلال العدد العاشر السنة ٧٢

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢

رئيس مجلس الادارة : احمد بهاء الدين

رئيس التحرير
كامل زهيرى

مدير التحرير
طاهر الطناحي

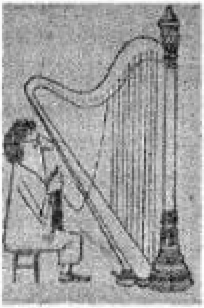
اول اكتوبر سنة ١٩٦٤ م ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٨٤ هـ



ماذا كان يأمل الوفد من حزب العمال البريطاني ؟ ص ٢٠



قصة يوغوسلافية لايفو اندريتش ، الحائز على جائزة نوبل ص ٥٤



ضحكات العالم ، هذا الشهر من فرنسا .. والمانيا ص ٨٢

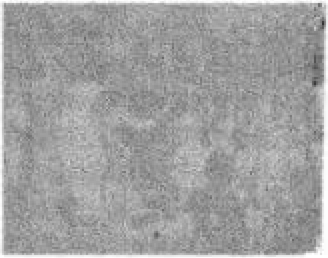


في هذا العدد :

٤ د. راشد البراوي : صدام الاجيال ..
١٢ ابراهيم عامر : تنظيم الانتاج الزراعي في مصر
٢٠ د. محمد احمد انيس : ثورة ١٩١٩ وحزب العمال البريطاني
٣٠ د. جمال حمدان : نحو حل علمي لمشكلة قبرص
٤٠ الروح .. والصورة
٤٦ محمود امين العالم : المعماري الفني للرواية العربية
٥٤ قصة ايفو اندريتش : فتاة من زجاج
٦٦ عادل حسين : الصناعة وبناء الاشتراكية
٧٤ د. عبد العزيز نوار : ابن ماجد .. جغرافي عربي لا نعرفه
٨٢ ضحكات العالم يقدمها بهجت
٨٨ ندوة الهلال : مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك : كيف نعيد كتابة التاريخ العربي ؟
١٠٠ أحمد حمروش : حب حتى الانتحار
١٠٩ كامل زهيري : جان بول سارتر ، كمفكر سياسي
١١٦ الوفة : بيكاسو يرسم خطوط الوفة
١٢٤ عبد الرحمن صدقي : باليه عالمي من الف ليلة وليلة
١٣١ كنوز سوكارنو : زيارة لمجموعة الرئيس الاندونيسي الخاصة
١٤٧ الشاعر الافريقي جورج اوولورد : الادب الافريقي الجديد
١٥٤ افكارهم ، واخبارهم
١٥٨ د. عز الدين فوده : اصل البروتوكول
١٦٥ دائرة معارف الهلال : ماهو الفكر الاشتراكي ؟
١٧٠ مكتبة مجلة « الهلال » العربية
١٧٥ مكتبة مجلة « الهلال » الافرنجية
١٧٩ عزيزي القارىء

صورة الغلاف

راقصات ، لوحة من كنوز الرئيس سوكارنو للفنان السويسري ليو ميير



د. راشد البراوي :



[illegible]

[illegible]

عدم الانحياز .. ومؤتمر القاهرة



[illegible]

[illegible]

❊❊❊

ولتفهم سياسة عدم الانحياز مرجعها الظروف الموضوعية التي جدت في العالم نتيجة الحرب

العالمية الثانية وفى السنوات التى توالت منذ انتهائها وهى اخضاع الطاقة النووية لارادة الانسان ، واستخدامها فى القاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى . ثم ما حدث من قيام معسكرين دوليين - الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة - واحتكارهما القدرات النووية .. وامكان أن يصيب الخطر الذرى بنيرانه من لا مصلحة لهم ولا ينتمون الى احد المعسكرين .. اذا ما قامت الحرب بينهما

وفى هذه الحقيقة نبتت بذور اخرى لسياسة عدم الانحياز وما من شك أن فى اتساع رقعتها وفى ازدياد عدد الشعوب التى تؤمن بها وتخلص لها ، يعتبرونها من الرادع الادبى - ان صح التعبير - لايمكن أن يتجاهله أولئك الذين قد يفكرون فى أن يتخذوا من الحرب وسيلة لتحقيق أطماعهم أو لحل مشكلات تعانى منها مجتمعاتهم

وثمة عامل آخر يفسر هذا الاتجاه الجديد الذى يزداد ، يوما بعد يوم ، هو عدد الشعوب التى تسير فيه . لقد شهدت السنوات التى أعقبت ختام الحرب العالمية الثانية ظاهرتين تعدان من أبرز ظاهرات التاريخ المعاصر .

أولاهما انتشار حركات التحرر القومى ، وترتب عليها انحسار واضح للمد الاستعمارى فى آسيا وافريقيا ، فظهرت دول جديدة ظفرت لأول مرة بحريتها واستقلالها . غير أن هناك مناطق لاتزال ترزح تحت نير الاستعمار ، كما أن الاستعمار بعد أن أصيب بتلك النكسة راح يضع على وجهه قناعا جديدا ، حتى يبدو فى شكل جديد . والحرية لاتتجزأ ، ومن هنا تدرك الشعوب التى تحررت ألا سبيل للمحافظة على كيانها الا بتحطيم بقايا الاستعمار أينما وجدت . وتقطع السبيل على الاستعمار الجديد

أما الظاهرة الثانية : فتتمثل فى الثورة الاجتماعية التى تجتاح الكثير من البلاد ، للنهوض بأحوالها ورفع مستويات الحياة لأهلها وتوفير العدل الاجتماعى . فى كلتا هاتين الحالتين تدرك هذه الشعوب جميعا :

أولاً : ان الحرب حتى ولو لم تشترك فيها بمحض ارادتها هى أكبر خطر يهدد آمالها فى النهوض والارتقاء

ثانيا : ان سياسة المعسكرات أو الاحلاف لابد وان تنتهى الى الحرب اذا تكدست لديها الاسلحة ، ومن هنا يتعين مقاومة هذه السياسة والقضاء عليها

ثالثا : أن جهودها فى سبيل التخلص من التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى فرض عليها قرونا وأجيالا ، ولأسباب خارجة عن ارادتها ، تتطلب الكثير من المال والخبرات التكنولوجية ، مما لا يتوافر لها بالدرجة الكافية ، ولا بد لها من الحصول على هذين العنصرين من عناصر التنمية من البلاد الغنية المتقدمة ، وهو أمر يصعب تحقيقه اذا ما واصلت البلاد الأخيرة توجيه طاقاتها المالية والتكنولوجية نحو التوسع فى التسليح وانتاج أدوات الدمار الحديثة

هيلاسلاسي ، ونكروما
في حديث هامس ..



ومعنى هذا أن الدول المتخلفة والآخذة بأسباب التقدم ، وهي دول تمثل أغلبية الجنس بأسره ـ في تجنب المنازعات الدولية ، والابتعاد عن المعسكرات والاحلاف ، ووقف التجارب الذرية ، ووضع حد لسباق التسلح ، ونزع السلاح بصورة عملية وفعالة

سياسة ايجابية

وعندما نذكر عبارة « **عدم الانحياز** » يقفز الى الذهن على الفور تعبير « **الحياد الايجابي** » والواقع انهما مبدأن متلازمان بل هما وجهان لمبدأ واحد . ويخطيء من يظن ان هذه السياسة انعكاس لروح سلبية من جانب الدول التي تنتهجها ، اذ الحقيقة انها سياسية ايجابية ، نشيطة فعالة . **فالدول غير المنحازة لا تكتفي بالابتعاد عن التكتلات الدولية ، ولا تقف موقف عدم الاكتراث من المشكلات العالمية وحتى المشكلات التي لا تمسها مباشرة . فعلى ضوء تصريحات زعماء هذه السياسة من امثال عبد الناصر وتيتو والزعيم الراحل نهرو ، وتصرفات الدول غير المنحازة في الامم المتحدة والمحافل الدولية وفي خارجها نراها توضح افكارا وتحاول اقناع الغير بها ، وتؤيد جميع الخطوات التي تتفق مع مبادئها ، وتقاوم او تعارض في السياسات التي تتعارض مع هذه المبادىء . انها تقيم علاقاتها مع الدول الكبرى مثلا على اساس من الصداقة والرغبة في التعاون المتبادل والتكافؤ ، ولكنها لا تتردد** في استنكار هذه الدول الكبرى والتصويت ضدها في المجتمعات

الدولية اذا ما اقدمت هذه الدول الاخيرة على تصرفات تسيء الى قضايا الحرية والسلام

ومن المواقف الجديرة بالذكر فى هذا الصدد البيان الصادر من زعماء عدم الانحياز على اثر اخفاق مؤتمر العظماوات الاربع فى باريس عام ١٩٦٠ ، والذى دعوا فيه الى اعادة النظر من اجل اعادة عقد مثل هذا المؤتمر تمهيدا للعمل من أجل تخفيف حدة التوتر الدولى . كذلك استنكر أولئك القادة السياسات الاستعمارية فى الكونغو والجزائر وانجولا وموزمبيق ، كما رحبوا جميعا بمعاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية

على التقرب من المؤمنين بها وتدعوهم الى المؤتمرات الدولية المختلفة ، وذلك بعد ان اخذت رقعته تتسع بسرعة وانتظام

ومن الظاهرات التى تلفت النظر بهذا الصدد انه فى اثناء الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة ، ان مندوب كندا – وهي من دول المعسكر الغربى – طالب بان يتول احد ممثلى الدول غير المتحازة رئاسة مؤتمر نزع السلاح ، لان فى هذا ما قد يساعد الى حد ما على سهولة اداء المؤتمر لمهمته . وفي مثل هذا المطلب اعتراف بفاعلية الدور الذى تلعبه الدول غير المتحازة ، وبانها عناصر بعيدة عن الاطماع والاهواء

• إن مبادئ عدم الانحياز تعبير صادق عما يجيش

اجتماعات ومؤتمرات

قلنا ان سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابي كانت وليدة الظروف الموضوعية التى شهدها العالم منذ القاء اول قنابل ذرية فى تاريخ الجنس البشرى ، واوضحنا ان بلورة هذه السياسة تبنت واخذت تنمو بالتدريج ولكن بصورة مطردة ، وليس أدل على هذه الحقيقة من ازدياد عدد الدول التى تنتهج هذه السياسة بحيث يشترك فى مؤتمر القاهرة القادم ٥٧ دولة كما أن جميع الدول الافريقية مثلا التى تحررت أعلنت جميعا ايمانها بهذه السياسة وكذلك نلاحظ أن عددا من دول امريكا اللاتينية اخذت تسير فى هذا الطريق الانسانى النبيل ، أو تعلن أنها تعتزم أن تفعل هذا . واكثر من ذلك فان بعض الدول الكبرى التى كانت تستنكر مثل هذا الاتجاه بل وتحاربه وتحاول هدمه قد اقتنعت أخيرا بمشروعيته وحرصت

وكان مؤتمر باندونج ١٨ – ٢٩ ابريل ١٩٥٥ ، الذى ضم ٢٩ دولة آسيوية وافريقية ، اول محفل دولى على هذا النطاق جعل الحياد الايجابى والتعايش السلمى من المبادىء الاساسية التى اقرها وفى هذا لعب عبد الناصر ونهرو وسوكارنو دورا بالغ الاهمية . وفى يوليو من العام التالى اجتمع بجزيرة بريونى بيوغوسلافيا عبد الناصر ونهرو وتيتو ، حيث اكدوا اهمية الحياد الايجابى فى تخفيف حدة التوتر الدولى ، كما ابانوا ضرورة قيام العلاقات بين الدول على اساس المساواة . واكد مؤتمر اكرا «بغانا» فى ابريل ١٩٥٨ تأييده للمبادىء التى اعلنها مؤتمر باندونج ، واعرب عن رغبة الدول الافريقية فى المساهمة الفعالة فى خدمة السلام العالمى

وبناء على المبادرة من جانب الرؤساء



اقطاب عدم الانحياز فى بلغراد .. اجتمعوا لتخفيف حدة التوتر العالمى ، وتأييد الحركات التحررية ... !

فى نفوس البشرية كلها من آمال فى الحرية والرخاء والسلام

عبد الناصر وتيتو وسوكارنو اجتمع فى مدينة القاهرة مؤتمر تمهيدى للدول غير المنحازة فى يونية من ١٩٦١ ، وحضره مندوبون من تسع عشرة دولة من بينها حكومة الجزائر المؤقتة ، حيث أيدوا سياسة عدم الانحياز واتفقوا على عقد مؤتمر عام للدول المؤمنة بهذا المبدأ وهذا ما أشار اليه الميثاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة بقوله « ان الدعوة الأولى لأول مؤتمر لدول عدم الانحياز هى هذه الدعوة التى صدرت من القاهرة ولقيت استجابة رائعة لدى الكثير من الشعوب » على ما ذكرناه فى صدد هذا المقال . واجتمع المؤتمر فى العاصمة اليوغوسلافية بلغراد « ١ – ٦ سبتمبر » وحضره ممثلون من ٢٥ دولة فضلا من مراقبين من ثلاث من دول أمريكا اللاتينية وهى البرازيل وبوليفيا واكوادور . واتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات الهامة بعضها ذو صبغة عامة تتصل بقضية السلام والحرية وتنمية اقتصاديات البلاد الآخذة بأسباب التقدم ، والبعض الآخر يمس مسائل خاصة بحالات أو بلدان معينة مثل تأييد كفاح شعب الجزائر وجلاء القوات المسلحة الفرنسية من أراضى تونس وعدم التدخل الاجنبى فى الكونغو .

من عناصر عدم الانحياز

ومن البيانات والتصريحات التى أصدرها أقطاب مبدأ عدم الانحياز ومن القرارات التى اتخذتها المؤتمرات التى تضم البلاد المؤمنة بهذا المبدأ ، نستطيع ان نعرض

بايجاز لأهم الوسائل التى تعتبر مؤدية الى تحقيقه :

اولا : القضاء على الاستعمار فى اى مكان وباية صورة يتخذها ، ومنح جميع الشعوب بالعالم الحق فى تقرير مصيرها وفقا لاوداتها الحرة

ثانيا : استنكار اجراءات القمع ضد الشعوب ، واحترام الوحدة القومية ، ومعارضة أي اتجاه للتوسع الاقليمي من جانب دولة ما على حساب غيرها

ثالثا : عدم التدخل باية صورة كانت ، مباشرة او غير مباشرة ، فى الشئون الداخلية للدول كما هو الحال بالنسبة الى الكونغو او قبرص ، والاعتراف بحق كل شعب فى اختيار النظام السياسى والاجتماعى الذى يرتضيه

رابعا : ان تكون العلاقات بين الدول جميعا ، وبغض النظر عن قوتها النسبية ، قوامها الصداقة والتعاون ، على اساس من التكافؤ والاحترام المتبادلين

خامسا : تأييدودعم الامم المتحدة والالتزام بالمبادىء التى يتضمنها ميثاقها والاعلان العالمي لحقوق الانسان ويشتمل الاخير بطبيعة الحال على نبذ وتحريم التفرقة العنصرية بوجه خاص ومعاقبة الدول التى تنتهج هذا الاسلوب غير الانسانى

سادسا : ازالة جميع القواعد العسكرية الاجنبية المقامة فى اراضي بلاد اخرى لان فيها تهديدا مباشرا للسلام العالمى ، فضلا عن كونها انتهاكا لسيادة هذه البلاد وتعريضا لها للخطر

سابعا : العمل على حل الخلافات والمنازعات الدولية بالوسائل السلمية وعن طريق الامم المتحدة ، وعدم الالتجاء الى الحرب واساليب العنف والتدابير الانتقامية أو التأديبية

ثامنا : اتخاذ خطوات جديةمن اجل تحقيق نزع السلاح بصورة عملية وفعالة ، وتحت اشراف الامم المتحدة • ويجب اشتراك الدول غير المنحازة فى جميع المؤتمرات التى تعقد والمباحثات التى تدور فى هذا الصدد

تاسعا : تحريم جميع انواع التجارب النووية فى البر والبحر والجو وتحت سطح الارض ، ووضع نظام دولى دقيق لمراقبة التنفيذ الصادق لاى اتفاق يعقد بهذا الشأن

عاشرا : التعاون الدولى بقصد استخدام الطاقة الذرية والفضاء للاغراض السلمية

حادى عشر : عدم استبعاد دول معينة من عضوية الامم المتحدة ، كما هو الحال بالنسبة الى الصين الشعبية مثلا ، لان فى هذا الاستبعاد اضعافا لفاعلية المنظمة العالمية وتقليلا من فرص السلام العالمى

ثانى عشر : توسيع نطاق الاجهزة الرئيسية بالامم المتحدة وبخاصة مجلس الامن والمجلس

الاقتصادي والاجتماعي، وذلك بعد ان زاد عدد الدول الاعضاء بالمنظمة العالمية زيادة كبيرة منذ انشائها

ثالث عشر : تقديم المساعدات الوافية من جانب الدول الغنية المتقدمة وعن طريق الامم المتحدة سواء باجهزتها الحالية أو بانشاء اجهزة جديدة متخصصة ، الى الدول الاخذة بأسباب النمو والارتقاء

رابع عشر : وضع قواعد عادلة فى التجارة الدولية لصالح الدول



النامية حتى يتسنى لها الحصول على بعض المال الذى يعاونها فى الخلاص من التخلف الذى عاشت فيه زمنا طويلا

خامس عشر : نبذ سياسة الاحلاف والتكتلات بسبب خطورتها على السلام والتنمية

نحو غد افضل

والآن : هل كان لدول عدم الانحياز دور ايجابي فعال فى مجرى الاحداث الدولية ؟

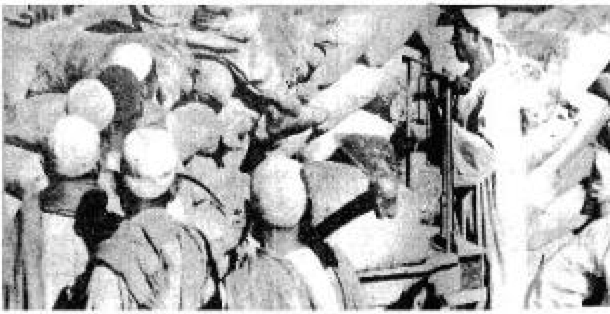
الرد فى الواقع بالايجاب . فلاشك أنها نبهت الاذهان الى خطورة الاستمرار فى اجراء التجارب النووية من اجل اغراض الحرب ، واليها يرجع فضل لاينكر فى عقد اتفاقية موسكو للحظر الجزئى على هذه التجارب . وحاربت التدخل الاجنبي فى الكونغو ، واسهمت فى تحرير الجزائر واستقلالها مما نشير اليه على سبيل المثال لاالحصر . وكان لها اثرها فى لفت نظر الدول المتقدمة الى الاسهام بنصيب فى تحقيق التقدم للدول النامية الامر الذى تجلى فى مؤتمر جنيف الاخير. وبسبب مواقفها حيل دون التهور فى حل طائفة من المشكلات الدولية المعقدة بطريق العنف ، وساعد عدد منها على تلطيف حدة التوتر بين الهند والصين الشعبية. واصبحت الدول الكبرى تعمل لهـا حسابا وتحاول التقرب اليها وتتجنب ما يثير استنكارها ونفورها . واهم من هذا ان الدول غير المتحازة صارت تشكل ما يقرب من نصف اعضاء الامم المتحدة ، وهذه ظاهرة تنبيء عن امكانيات لصالح السلام لا يجوز التقليل من شأنها

❋❋❋

هذه هى المبادىء التى تجتمع من اجل تأكيدها نسبة ضخمة من شعوب العالم، بعد ايام فى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، ومنها نرى انها تعبير صادق عما يجيش فى نفوس البشرية كلها من آمال فى الحرية والرخاء والسلام . ان مؤتمر عدم الانحياز يجب أن يكون موضع التأييد لانه يرسى الاساس الصلد الذى يقوم عليه غد أفضل وعالم متحرر من الفقر والخوف والحرب

ان الدول التى سوف تجتمع بعد ايام لا تمثل كتلة ذات اطماع او أهداف ذاتية ، وهى ليست تحالفا لتحقيق اغراض وسياسات خاصة بمقتضى اتفاقيات او معاهدات معينة ، ولا تشكل معسكرا معاديا لدول أو معسكرات أخرى . انها قوة ضخمة يربط بين اجزائها احساس مشترك بأنها تدافع عن قضايا سامية هى نفس بقاء الجنس البشرى ، حيا ، سعيدا ومليئا بالامل

إبراهيم عامر :





تنظيم الإنتاج الزراعي في مصر

[illegible]

[illegible]

مشكلة تجزئة الأرض

[illegible]

الزراعى الثانى فى عام ١٩٦١ ، فاننا نستطيع ان نحدد فكرة واضحة الى مدى بعيد عن الزيادة التى حدثت فى الحيازات الصغيرة ، وذلك وفقا للاحصاءات الرسمية الواردة فى « الكتاب السنوى » الصادر عن مصلحة التعبئة العامة والاحصاء ، فى مارس ١٩٦٤

ففى عام ١٩٥٢ ، كان توزيع الملكيات الزراعية فى مصر كالآتى :

حجم الملكيات	عدد الملاك بالألف	المساحة بالألف فدان	النسبة المئوية للملاك	النسبة المئوية لما يملكون
اقل من ٥ افدنة	٢٦٤٢	٢١١٢	٩٤٫٣٪	٣٥٫٤٪
٥ افدنة	٧٩	٥٢٦	٢٫٨٪	٨٫٨٪
١٠ افدنة	٤٧	٦٣٨	١٫٧٪	١٠٫٧٪
٢٠ فدانا	٢٢	٦٥٤	٠٫٨٪	١٠٫٩٪
٥٠ فدانا	٦	٤٣٠	٠٫٢٪	٧٫٢٪
١٠٠فدان	٣	٤٣٧	٠٫١٪	٧٫٣٪
٢٠٠فدان فاكثر	٢	١١١٧	٠٫١٪	١٩٫٧٪
المجموع	٢٨٠١	٥٩٨٤	١٠٠٪	١٠٠٪

اما شكل توزيع ومساحة الملكيات الزراعية فى مصر ، بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى عام ١٩٦١ فهو كالآتى :

حجم الملكيات	عدد الملاك بالألف	المساحة بالفدان بالألف	النسبة المئوية للملاك	النسبة المئوية لما يملكون
اقل من ٥افدنة	٢٩١٩	٣١٧٢	٩٤٫١٪	٥٢٫١٪
٥ افدنة	٨٠	٥٢٦	٢٫٦٪	٨٫٦٪
١٠ افدنة	٦٥	٦٣٨	٢٫١٪	١٠٫٧٪
٢٠ فدانا	٢٦	٨١٨	٠٫٨٪	١٣٫٤٪
٥٠ فدانا	٦	٤٣٠	٠٫٢٪	٧٫٠٪
١٠٠فدان	٥	٥٠٠	٠٫٣٪	٨٫٢٪
المجموع	٣١٠١	٦٠٨٤	١٠٠٪	١٠٠٪

وبالمقارنة نلاحظ على الفور ان عدد الذين يملكون اقل من خمسة افدنة قد زاد بنحو ٢٢٧ الف مالك ، وزادت مساحة حيازاتهم الصغيرة المبعثرة بنحو مليون و ٦٠ الف فدان

ومن المعروف ان لتفتت الملكية الزراعية مساوىء عديدة منها وجود البطالة المقنعة في الريف لان الحيازة الصغيرة لا تستوعب جهد الاسرة الفلاحية وقدرتها على العمل ، ومنها تشتت الجهود والعمل البشرى ، وزيادة تكاليف الانتاج ، وسيطرة الالة البدائية ، ونقص الانتاج ، وصعوبة الاستغلال الزراعى وزيادة الانتاج الزراعى ورفع الكفاية الانتاجية للعمل الزراعى

محاولة للعلاج

ولقد وضع قانون الاصلاح الزراعى الصادر في ٩ سبتمبر ١٩٥٢ مشكلة تفتت الارض في اعتباره فنص في الباب الثالث من « الحد من تجزئة الاراضى الزراعية » ، وفي مادته الثالثة والعشرين على انه « اذا ماوقع مايؤدى الى تجزئة الاراضى الزراعية الى اقل من خمسة أفدنة ، سواء أكان ذلك نتيجة للبيع او المقايضة او الميراث او الهبة او غير ذلك من طرق كسب الملكية ، وجب على ذوى الشأن ان يتفقوا على من تؤول اليه ملكية الارض منهم . فاذا تعذر الاتفاق رفع الامر الى المحكمة الجزئية الواقع في دائرتها اكثر العقارات قيمة بناء على طلب احد ذوى الشأن او النيابة العامة للفصل فيمن تؤول اليه الارض . فاذا لم يوجد من يستطيع الوفاء بباقى الانصبة قررت المحكمة بيع الارض بطريق المزاد . وتفصل المحكمة في الطلب بغير رسم . » ثم رسم القانون طريق الفصل في مادته الرابعة والعشرين التى تقول : « تفصل المحكمة الجزئية في أيلولة الارض غير القابلة للتجزئة لمن يحترف الزراعة من ذوى الشأن ، فان تساووا في هذه الصفة اقترع بينهم . على انه اذا كان سبب كسب الملكية الميراث ، فضل من يشتغل بالزراعة من الورثة ، فان تساووا في هذه الصفة قدم الزوج فالولد ، فاذا تعدد الاولاد اقترع بينهم »

غير أن تنفيذ هذا النص كان امرا صعبا للغاية ، وذلك بسبب كبر عدد الملكيات التى تتعرض سنويا للتجزئة الى وحدات تقل في مساحتها عن خمسة افدنة . فهناك مثلا نحو ٦٠ الف حيازة تتعرض للتجزئة سنويا بسبب الميراث ، وهناك نحو ٤٠ الف حيازة تتعرض للتجزئة سنويا بسبب التصرفات الاخرى كالبيع والمقايضة .. والمنازعات التى تدور حول معظم هذه الاراضى لا حد لها ، وقدرة المحاكم على الفصل في تلك المنازعات تحتاج الى جهد ووقت كبيرين

نحو حل جذرى

لهذا ، فقد اتجهت الثورة الى محاولة تنفيذ حل جذرى لمشكلة تجزئة الارض وتفتت الحيازات وصغرها

فبدأت في عام ١٩٥٦ تجربة التجميع الزراعى في قرية نواج . وفي مايو ١٩٥٨ تضمن البرنامج التنفيذى لتخطيط السياسة الزراعية — من بين ماتضمن — ضرورة تجميع الاستغلالات الزراعية كوسيلة للتغلب على مشكلة تفتيت الارض ، ومايترتب على التفتيت من خفض الانتاج ، وذلك ما عرف باسم تنظيم الدورة الزراعية

وفي مستهل عام ١٩٦٠ بدأ تجميع الحيازات الصغيرة في مساحات زراعية كبيرة حتى يمكن استغلالها اقتصاديا دون المساس بالملكية الفردية . وقد نفذ المشروع في ١٠٣ قرى عام ١٩٦١ ، زادت الى ١٢٠٠ قرية عام ١٩٦٢ ، والى ٢١٢٥ قرية عام ١٩٦٣ ، ثم الى اربعة الاف قرية عام ١٩٦٤ .

التنظيم الزراعى

وفي عام ١٩٦١ ، طبقت محافظتا بنى سويف وكفر الشيخ نظام التجميع الزراعى .

وفي نوفمبر ١٩٦٣ ، بدأ في هاتين المحافظتين تطبيق مشروع تنظيم الانتاج الزراعى ، وهو مشروع أبعد من التعاون الزراعى الائتمانى ، وأبعد من تنظيم الدورة الزراعية وتحددت اهداف المشروع في اربعة اهداف هى :

١ ـ زيادة الانتاج الزراعي الى أقصى حد ممكن ، بما يترتب على ذلك من زيادة الدخل القومي
٢ ـ زيادة دخل الفلاح الفرد ، بخلق امكانيات وموارد جديدة لهذا الدخل .
٣ ـ نشر الوعي التعاوني السليم ،ومنع الاستغلال في مجتمع القرية
٤ ـ خلق قيادات واعية تقود الريف اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا

١٢ خطوة الى الهدف

وفي سبيل تحقيق تلك الاهداف الاربعة تم اتخاذ خطوات نحوها من الممكن أن نعرضها بايجاز فيما يلي :

١ ـ تمت اعادة تنظيم الجمعيات التعاونية الزراعية في المحافظتين ، وقسمت الاراضي الزراعية الى وحدات انتاجية ، بحيث تشرف كل جمعية تعاونية على وحدة انتاجية تتفاوت مساحتها بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ فدان ، وبحيث تصبح الجمعية التعاونية وحدة انتاجية ـ وليس مجرد جهاز ائتماني ـ تضم الحائزين بالقرية بصفتهم اعضاء بها

٢ ـ تم اعداد جهاز الاشراف الادارى والفنى اللازم لتنفيذ المشروع ، وتوفير الافراد اللازمين لادارة وتوجيه الجمعيات التعاونية من فنيين واداريين مع تدريبهم التدريب الملائم ، ووضع النظم الحسابية والادارية التى تتفق وروح المشروع

٣ ـ وضعت خطة شاملة لتحسين الاراضى الضعيفة بالمحافظتين تبدأ بعمليات تحليل الاراضى وتصنيفها ، ومعرفة اسباب ضعفها ، واقتراح وسائل علاجها ، ثم تنفيذ العلاج

وقد تم حتى الآن ـ وفقا للمعلومات الرسمية ـ تحليل جميع اراضى محافظة كفر الشيخ بالكامل . أما بالنسبة لمحافظة بنى سويف ، فقد تم تحليل اراضى مركز أهناسيا ، بالاضافة الى اجمالى أراضى زراعة القطن بالمحافظة البالغ مساحتها ٨٢٫٥٠٠ فدان

وتلى عمليات التحليل اضافة الجبس الزراعى لتحسين خواص التربة .

٤ ـ تحسين وسائل الرى والصرف ، بتطهير الترع والمصارف . وقد تم حتى الآن تطهير نسبة ٩٠ ٪ من الترع والمصارف العمومية بمحافظة كفر الشيخ ، وتم تطهير نسبة ٩٩٪ منها بمحافظة بنى سويف

والى جانب ذلك ، تم تطهير جميع الترع والمصارف الحقلية فى المحافظتين

٥ ـ تعميم استخدام التقاوى المنتقاة . وقد بلغت نسبة ماتم توزيعه منها الى اجمالى المساحة مقارنة بالعام الماضى مايلى :

المحصول	ماتم توزيعه فى العام الحالى		ماتم توزيعه فى العام الماضى	
	كفر الشيخ	بنى سويف	كفر الشيخ	بنى سويف
القمح	٣٥٪	٤٧٪	١٣٪	٣٣٪
	٢٠٪	٢٥٪	١٠٪	٢٢٪
الارز	٦٢٪	ـــ	٢١٪	ـــ

٦ ـ زيادة الوعى السمادى لدى الزارعين . فقد بلغت الزيادة فى الكميات التى تم تدبيرها واستخدامها ، بالمقارنة بالعام الماضى ، ٤٠٪ فى الاسمدة الازوتية ومن ١٠٦ الى ١٢٦٪ فى الاسمدة الفوسفاتية

وعلاوة على السماد ، يعطى التنظيم الزراعى للمزارع سلفة نقدية للتحضير لزراعة القطن قدرها ستة جنيهات عن الفدان الواحد

٧ ـ توفير عدد من الآلات الزراعية تضمنت ٢٥٠ جرارا ، و ٢٧٥ محراثا ،

و ١٠٠ ماكينة دراس ، و ١٨٤ مجموعة ري نقالي ، و ٤٨٠ موتور رش ، و ٢٩٤٣ رشاشة يدوية ، و٢٥٦ ميزان محاصيل

٨ — تم تحديد أجر الحرث والدراس وفقا للتكاليف الفعلية لكل عملية. فحددت أجرة حرث الفدان ، لثلاثة أوجه ، بمبلغ ١٢٠٠ مليما ، واجرة الدراس للارز بمبلغ ١٥٠٠ مليما ، وللشعير بمبلغ ٢٠٠٠ مليما ، وللقمح بمبلغ ٣٠٠٠ مليما

اما اجر الري فلم يحدد بعد وهناك رأيان في كيفية تحديده : رأى يقول بتحديد الاجر على اساس الساعة . ورأى يقول بتحديد الاجر على اساس التكاليف الفعلية كما هو الحال بالنسبة للحرث والدراس

٩ — اقامة مقار الجمعيات التعاونية ، وبناء المخازن ، ومساكن الموظفين والمشرفين . وقد وضع برنامج لمدة سنتين يتم خلالهما انشاء ١٤٩ مقرا للجمعيات التعاونية بمحافظة كفر الشيخ ، و ١٤٠ مقرا في بني سويف ، وتم حتى الان اقامة ٥٥ مقرا في المحافظة الاولى ، و ٤٣ مقرا في المحافظة الثانية

١٠ — تزويد المحافظتين بالمبيدات اللازمة لمقاومة مختلف الافات . ويعطى التنظيم سلفة مقاومة للمزارع تحدد مبدئيا بجنيهين وترفع الى اربعة جنيهات عند الطوارئ ولايتسلم المزارع هذه السلفة وانما تبقى في يد الجمعية التعاونية للصرف منها

١١ — يقوم التنظيم الزراعي بتسويق القطن تسويقا تعاونيا . ولاول مرة تقرر هذا العام أن تقبل الجمعية التعاونية الجنية الثانية للقطن بشرط تقديمها منعزلة من الجنية الاولى

١٢ — يشرف التنظيم الزراعي على مشروعين للثروة الحيوانية . المشروع الاول هو مشروع ناصر لتوزيع المواشي . ويقضي هذا المشروع بتوزيع الماشية على المزارعين بدون مقابل بشرط الا تقل ملكية الفلاح عن نصف فدان ، ذلك لضمان وجود البرسيم اللازم للتربية . والمشروع الثاني هو مشروع التمليك ، الذي يقوم بنك التسليف الزراعي والتعاوني بمقتضاه بدفع مبلغ ٧٥ جنيها ثمن الماشية للمزارع ، على أن يدفعها على اقساط خلال خمس سنوات

ميزات التنظيم الزراعي

ولقد حققت هذه الخطوات حتى الان زيادة ملموسة في انتاج المحاصيل الشتوية في المحافظتين . فزاد انتاج الفول بمقدار ١٫٤٤ اردبا بكفر الشيخ عن انتاجه في العام الماضي ، وبمقدار ١٫٥٢ اردبا في بني سويف . وزاد الشعير بمقدار ٠٫٥٢ اردبا في كفر الشيخ ، وزاد القمح بمقدار ٠٫٣٩ اردبا في كفر الشيخ و ٠٫١٢ اردبا في بني سويف . وزاد انتاج البصل بمقدار ٠٫٣٣ قنطارا في بني سويف

اما بالنسبة للمحاصيل الصيفية — كالقطن والارز والذرة بنوعيها — فمن المنتظر أيضا أن يزيد انتاجها ، نظرا الى زراعتها هذا الموسم في دورات منتظمة وفي المواعيد المناسبة ، مع توفر كافة مستلزمات الانتاج والوقاية

ومن ميزات التنظيم الزراعي بمحافظتي كفر الشيخ وبني سويف انه لا يقدم الخدمات الزراعية للمزارعين بجهاز مستقل ، ولكنه يقدم تلك الخدمات من خلال الجمعيات التعاونية التي تتولى أيضا تحصيل أجور هذه الخدمات من المزارعين . ومن هنا تقوم علاقة وثيقة ومثمرة بين التنظيم الزراعي والتعاون . ويسير المشروع بالتعاون في طريق تطويره الى تعاون انتاجي يمتد على طول عملية الانتاج الزراعي حتى السوق ، ويحول الجمعية التعاونية الى وحدة اقتصادية — اجتماعية فعالة ، تكون وسيلة للمزارع وليست مجرد مشرفة عليه ، ويقيم نوعا من الزراعة التعاونية التدريجية المستندة الى الجهود التضامني الجماعي بين المزارعين والدولة

ويقضي التنظيم الزراعي على الجانب الائتماني البحت في التعاون . هذا الجانب الذي يحاول البعض باستمرار الضغط عليه والتنويه به ، وقصر التعاون في نطاقه ، لانه الجانب الراسمالي الاستثماري في النظام التعاوني ، بينما يعتبر

الجانب الانتاجي والاجتماعي في النظام التعاوني هو الجانب الاشتراكي حقا .

ومن ميزات التنظيم الزراعي في تجربتي كفر الشيخ وبني سويف أيضا ، ان تشغيل العمال الزراعيين يتم بالاتفاق المباشر بين الجمعية التعاونية والعمال، وبدون وساطة مقاولي الانفار ، او السالقين

انتقادات للتنظيم الزراعي

ويرحب الفلاحون بحماس شديد بمشروع تنظيم الانتاج الزراعي ، ولا يوجد صوت واحد يرتفع بالمعارضة ، أو يستريب في أهداف التجربة الرائدة . ولعل من هذا الحماس تنبع تلك الانتقادات الموجهة الى بعض نواحي تنفيذ المشروع ، مع التقدير الحق بأن أسباب النقد مؤقتة ، وأن التجربة لن تستكمل عامها الأول

ومن الممكن أن نقول أن الانتقادات تتلخص في الآتي :

١ – **لاتزال الخدمة الآلية حتى الآن غير كافية . وهي لاتغطي سوى جزء من احتياجات المشروع** . ويؤدي نقص الآلات الى تفاوت واضح في معاملة النواحي المطبق عليها المشروع . فهناك مثلا أراضي ترويها مكنات الري وأخرى لاتزال ترويها



الطنابير والسواقي . وهناك أراض تحرث آليا وأخرى لاتزال تحرث بالوسائل البدائية

٢ – **لا تزال هناك مشكلة العمال الزراعيين ، التي تتحدد في مناطق التنظيم الزراعي ، في أن الأجور منخفضة** لاتصل الى الحد الادنى المقرر للعامل ، وذلك بالنسبة للعمال الزراعيين الميكانيكيين كسائقي الجرارات والمسئولين عن آلات الدرس ، ولا تصل الى الحد الادنى المقرر للفلاح ، وذلك بالنسبة للعمال الزراعيين العاديين وخاصة من الصبيان والفتيات . كما أن هناك ضرورة لبحث أنسب المواعيد لصرف الاجور نظرا الى أن العمال الفقراء ، الذين اعتادوا حتى الآن على العيش يوما بيوم ، لم يتعودوا بعد على تنظيم معيشتهم مع صرف أجورهم كل ١٥ يوما

٣ – **لاتزال نقابات العمال الزراعيين في مناطق التنظيم الزراعي غير كاملة التنظيم وغير نشطة** ، الامر الذي يستدعي حقا أن تبذل أجهزة التنظيم الزراعي، وأجهزة قطاع الزراعة الذي يشرف عليه نائب رئيس وزراء ثوري هو عبدالمحسن أبوالنور ، جهودا أكبر لتنظيم نقابات العمال الزراعيين وتنشيطها لتكون نموذجا يحتذى في المناطق الاخرى

٤ ـ هناك مشكلة احتياجات الزارعين من الذرة والبرسيم اذا وقعت حيازاتهم في المساحات المزروعة قطنا ، كما أن هناك الشكوى ـ أحيانا ـ من زيادة أجور الحرث والدراس بحجة او أخرى

ثم هناك أخيرا :

٥ ـ مشكلة العلاقة بين موظفي التنظيم الزراعي والفلاحين ، حيث يفتقر العديد من الموظفين الى الوعي الاجتماعي والسياسي ، ويعالجون المشاكل بطريقة مكتبية بحتة ، ويقصرون نشاطهم في الاشراف والتوجيه على تحرير محاضر المخالفات **وأحيانا كثيرة ، تكون المحاضر ـ بالنسبة للفلاح ـ كالكرابيج سواء بسواء**

الانتاج الزراعي والمشكلة الزراعية

وأيا كان الامر ، فمما لاشك فيه أن مشروع تنظيم الانتاج الزراعي في محافظتي كفر الشيخ وبني سويف ، قد **حقق وسيحقق تحولا في ظروف انتاجية الارض لا يقل اهمية عما حققه الاصلاح الزراعي من تحول في شكل الملكية الزراعية**

ولكن علينا ان نعرف جيدا أننا لانستطيع ؛ ولا يجب ، أن نحل مهمة تنمية الانتاج الزراعي بطريقة فنية ادارية تكون ضيقة الافق ، وانما الذي نستطيعه ويجب علينا هو أن نضع في الحسبان ـ منذ البداية ـ الاعتبارات الاجتماعية الاقتصادية ، والظروف والنتائج

ان زيادة الانتاج الزراعي ، وزيادة الدخل القومي من الزراعة ، وزيادة دخل الفلاح ، قد تكون أمورا سهلة التحقيق نسبيا ؛ ولكن نشر الوعي التعاوني السليم بين الفلاحين ، والقضاء على الاستغلال في مجتمع القرية ، وخلق قيادات واعية تقود الريف اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا أمور تحتاج الى جهود أكبر والى نشاط اوسع والى عناصر أكثر حماسا وخبرة سياسيا من الموظفين الاداريين والفنيين

ان زيادة الانتاج الزراعي وحل المشكلة الزراعية ليستا مشكلتين متماثلتين بالطبع . والتقدم الانتاجي المطرد في الزراعة يتوقف على حل المشكلة الزراعية حلا كاملا . وهذا يتصل اتصالا وثيقا بخلق الظروف المادية المسبقة من أجل اعادة تنظيم كل الزراعة في وطننا

ان تقدم الزراعة ـ بالمعنى الاكثر تحديدا للكلمة ـ هو مشكلة اقامة عملية تكنولوجية على أساس أحدث تكنيك ؛ وعلى أساس اخر منجزات العلم في الميدان الزراعي . ومن ناحية أخرى فان المشكلة الزراعية هي مشكلة التخلف التكنيكي والانخفاض الشديد الى أقصى حد في انتاجية العمل في زراعة تقوم على أساس الملكية الخاصة المستغلة او التي تفتح الباب للاستغلال . او تقوم على اساس تفتت الارض في ملكيات صغيرة مفردة مستقلة

ان مثل هذه العوامل تعرقل النمو الابعد للقوى الانتاجية ، كما تعرقل تحسين ظروف المعيشة في القرية

وعلينا ان ندرك ان المشكلة الزراعية تتعلق بالعلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية، وبالتالي لايمكن حلها بطريقة اوتوماتيكية بمجرد الدعوة الى استخدام التكنيك الجيد ، وانما يمكن حلها عن طريق التأثير المادي والاجتماعي والسياسي للتطور الاقتصادي والاجتماعي الشامل للقرية

وللمشكلة الزراعية ، ولمشكلة زيادة الانتاج الزراعي جوانب عديدة بلاشك . فهي مشكلة اقتصادية ، وفنية ، وعلمية ، ومالية . ولكنها ـ وبالدرجة الاولى ـ مشكلة اجتماعية وسياسية وادارية

وفي الوضع الاشتراكي يتحدد للمشكلة الزراعية هدفان عاجلان هما :

١ ـ الانتاج الزراعي المرتفع + زيادة انتاجية العمل

٢ ـ ضمان تأييد الفلاحين للاشتراكية سياسيا

والامل معقود بأن يستطيع مشروع تنظيم الانتاج الزراعي أن يمهد الظروف لتحقيق هذين الهدفين العاجلين

د. محمد أحمد أنيس :

ثورة ١٩١٩

وحزب العمال البريطاني

من جوانب الحركة الوطنية المصرية التي لم تلق عناية كافية من المؤرخين حتى الآن العلاقة بين قيادة الحركة الوطنية في مراحلها المختلفة من ناحية وبين القوى السياسية التقدمية او التحررية في بريطانيا من ناحية اخرى . فلقد كان من الطبيعي منذ ان حدث الاصطدام بين الاستعمار البريطاني والحركة الوطنية في مصر ان تنبري القوى والعناصر التقدمية السياسية في بريطانيا لمساعدة الحركة الوطنية المصرية . وابان الثورة العرابية وحركة الحزب الوطني في عهد الاحتلال كانت القيادة الوطنية في مصر تستند الى حد ما على تأييد ونشاط الجناح الاكثر تحررا في حزب الاحرار البريطاني والذى كان يمثله (بلنت ـ روبرتسون)

ولم يكن حزب العمال قد ظهر الى الوجود بعد ، فحزب العمال تكون كحزب في عام ١٩٠٦ ، ابان الانتخابات في ذلك العام ، واهتم اساسا بقضايا ومشاكل العمال في بريطانيا بسبب ارتباطه الجذرى بنقابات العمال البريطانية فلم تكن له مقومات التكوين الاشتراكي التي تجعل منه قوة ضاربة ضد الاستعمار العالمي بصفة عامة . ولذلك فلم تكن لدى حزب العمال حين ذاك ولفترة من الزمن خبرة او حتى اهتمام بقضية المستعمرات البريطانية . ولهذا كان اول اتصال لحزب العمال بالقضية المصرية في ابان ثورة ١٩١٩ .



سعد زغلول عند وصوله الى لندن لمفاوضة حكومة العمال ١٩٢٤

والحق

أن ثورة ١٩١٩ كان لابد أن تجلب اهتمام الحركة الاشتراكية العالمية باعتبار الحركات الوطنية في تقدير الاشتراكيين . في ذلك الوقت ، الحليف الطبيعي للحركة الاشتراكية العالمية في نضالها ضد الرأسمالية العالمية والاستعمار . ولقد حدث أن اتصلت القوى الاشتراكية العالمية في ذلك الوقت بزعامة الاتحاد السوفيتي بالحركات الوطنية في بعض مناطق الشرق واهتمت بدراستها وتقديم المساعدة لها . والنموذج التاريخي لذلك كان في حركة **مصطفى كمال أتاتورك** في تركيا والكومنتانج في الصين . ولكن مثل هذه الصلة والتعاطف لم يحدثا بالنسبة للحركة الوطنية في مصر خلال ثورة ١٩١٩ فما السبب في ذلك ؟ هناك عاملان في تقديرنا مسئولان عن ذلك : الحزب الشيوعي المصري واستراتيجية الكومنترن أيضا من ناحية وموقف قيادة الحركة الوطنية أي سعد زغلول والوفد من ناحية أخرى .. وأهمية ذلك في هذا المجال أن فشل الصلة والتعاطف بين الحركة الاشتراكية العالمية بقيادة الاتحاد السوفيتي وبين الثورة المصرية هو الذي دفع الوفد في النهاية بأن يلقي بثقله على حزب العمال البريطاني .

فأولا : حين تألف الحزب الشيوعي المصري في عام ١٩٢٢ لم يكن في خطته منسجما مع حركة الوفد الذي كان يقود الجماهير المصرية ضد الاحتلال والحماية . والسبب الرئيسي في ذلك أن الحزب الشيوعي كان ينهج نهجا يساريا لايتفق مع الاوضاع الاقتصادية والسياسية وتوزيع القوى الاجتماعية في المجتمع المصري في ذلك الوقت . فلقد جعل قضية الصراع الطبقي ترتفع فوق قضية التحرر الوطني فلم يتمكن من الاقتراب بذلك من الجماهير المصرية أو من الوفد وهو في قيادة هذه الجماهير

والشواهد على ذلك كثيرة – لاتقع في برنامج الحزب بقدر ما تقع في مسلكه – منها وجود عناصر أوروبية في قيادة الحركة الاشتراكية في مصر . الامر الذي جعلها بعيدة عن قضية التحرر الوطني من حيث أن العناصر الاوروبية لا الانجليزية وحدها – بسبب قصة الاستعمار الاوروبي والامتيازات الاجنبية في مصر – كانت موضع كراهية وعدم ثقة بل وقابلة الفهم لطبيعة الواقع

المصرى . يدلك على ذلك ماجاء فى تقرير الكومنترن فى مؤتمره الرابع (نوفمبر ١٩٢٢ ، اذ قال :

ان تاسيس منظمات شيوعية اوربية منفصلة فى المستعمرات مثل مصر والجزائر يعتبر شكلا خفيا من اشكال الاستعمار ويساعد فقط على تدعيم المصالح الاستعمارية(١) _ ومنها ضعف القيادة الشيوعية التىتولت مسئوليته من الناحية الايديولوجية فى ذلك الوقت . فالشخصية المصرية البارزة فى هذه الفترة كانت **محمود حسنى العرابى** الذى بدأ كسكرتير للحزب الشيوعى بعد وفاة **انطون مارون** وانتهى الامر به الى آن أصبح من دعاة النازية الالمانية(٢) ومنها واخطرها دون شك احجام الحزب عن فكرة تكوين جبهة وطنية متحدة والعمل بين أوسع الجماهير العريضة وخصوصاالمثقفين والفلاحين،وحصر نشاطه فى دوائر العمال فى المدن وعدم ادراك أن المرحلة فى ذلك الوقت كانت مرحلة التحرر الوطنى

وتتضح يسارية هذا الخط للحزب الشيوعى المصرى عندمقارنته بخط الحزب الشيوعى الصينى . ففى المؤتمر الرابع للكومنترن وضع الممثل الصينى خطة حزبه التى من شانها الالتحام بالقوة الرئيسية فى الحركة الوطنية الصينية وهى الكومنتانج . فيقول لين بن شن مندوب الصين فى المؤتمر : **وعلى اساس ان الجبهة الوحدة ضد الاستعمار ضرورية للتخلص من الاستعمار فى الصين فان حزبنا قد قرر ان يكون جبهة وطنية مع الحزب الوطنى الثورى الممثل فى الكومنتانج . لذلك انضم اعضاء من الحزب الشيوعى كافراد الى الكومنتانج .. نحن اذا لم ننضم الى هذا الحزب سنظل معزولين ندعو الى الشيوعية التى هى مثل عظيم ورائع ، ولكن لن تتبعه الجماهير .. فاذا دخلنا الكومنتانج فاننا سنتمكن من ان نبين للجماهير اننا كذلك ندافع عن الديموقراطية الثورية ولكن الديموقراطية الثورية بالنسبة لنا ليست اكثر من وسيلة .. نحن نستطيع ان نجمع الجماهير حولنا ونحدث انشقاقا داخل الكومنتانج (٣)**

وعندما حدث الصدام الذى كان لامفر منه بين الوفد والحزب الشيوعى المصرى فى مارس ١٩٢٤ تدعم هذا الخط اليسارى ليس فقط بالنسبة لمصر بل بالنسبة للموقف فى المستعمرات والبلاد غير المستقلة واتخذ ما حدث فى مصر بالذات لتبرير استراتيجية يسارية فى كافة المستعمرات



لينين : هل ارسل برقية الى سعد زغلول؟

1— The Communist International Vol. I 1919 — 1922, P. 383

(٢) محمود حسن العرابى : ٨٩٠ شهرا فى المنفى » رغم أن المؤلف كان يتجنب الخوض فى السياسة الا أن صلاته بدوائر الحكم النازى فى المانيا لاتخفى على القارىء

3— The Communist International Vol. I p. 383.

ففى ١٩٢٥ وضع ستالين القـــاعدة التى طلق عليها « المسئولية العاجلة » للحركة الثورية فى المستعمرات فقال

ففى مثل هذه البلاد كمصر حيث انقسمت البورجوازية الوطنية الى حزب الوفد وحزب مهادن للاستعمار ولـــكن حيث لايستطيع القسم المهادن من البورجوازية ان يكون صنيعة للاستعمار فان الشيوعيين لايمكن ان يجعلوا هدفهم تكوين جبهة وطنية ضـــد الاستعمار . فى مثل هذه البـــلاد فان الشيوعيين يجب ان يرفضوا سياسة جبهة وطنية موحدة ويتبنوا سياسة تكوين كتلة ثورية من العمال والبورجوازية الصغيرة(١)

ومن المؤكد أن اختيار ستالين للموقف فى مصر للدلالة على رأيه هذا يحدد بالضبط موقف الشيوعية الدولية من الوفد بعـــد حوادث الاسكندرية فى مارس ١٩٢٤ ذلك الحادث الذى اتخذ من جانب الشيوعيـــة الدولية ومن جانب المؤرخين الاشتراكيين ايضا كعلامة على بداية المهادنة من جانب الوفد . وهناك دليل آخر على هذا الاتجاه تجده فى ذلك المنشور الذى أصدره الحزب الشيوعى الفلسطينى (وكان وثيق الصلة

1— Laqueur, W. Nationalism and communism in the Midill East p. 39



ستالين: لماذا استشهد بالموقف فى مصر .. ؟!

بالحزب الشيوعى المصرى) فى ١٥ نيسان ١٩٢٤ (١) فيقول تحت عنوان (العمـــال المصريون ناعضون لا) :

لقد نصر العمال المصريون زغلول باشـــا وحـــزبه مدة طويلة لانهم كانوا متأملـــين استقلال العبود عن السلطة البريطانيـــة بواسطته ولكن عندما مسك زغلول باشـــا زمام الحكم فى مصر عقد هدنة صلح مع اعدائه الانجليز ليستطيع ان يرمى العبودية على ظهور العمال المصريين

يمثل هذه الاستراتيجية من جانب الحركة الشيوعية الدولية والحزب الشيوعى المصرى لم يكن من الممكن وجود صلة تعاطف بين قيادة الحركة الوطنية المصرية من ناحيـــة وبين الحركة الاشتراكية العالمية من ناحية أخرى .

ثم هناك مسئولية قيادة الحركة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ فى عدم وجود صـــلة بين الحركة الاشتراكية العالمية من ناحية وبين الوفد من ناحية أخرى . فقيـــادة الوفد يغلب عليها منذ نشأتها الطـــابع الزراعى المحافظ وقد استمرت كذلك رغم خـــروج الاحرار الدستوريين فى عهـــد سعد ولم تبرز الطبقة المتوسطة فى قيادة الوفد الا بعد وفاة سعد زغلول **ومن خلال عمليـــة الانسلاخات المعروفة من هـــذه القيادة ، كخروج حزب السبعة والنصف فى ١٩٣٢ وخروج السعديين فى ١٩٣٧ .** هنا تصل قيادة الوفد على يد النحـــاس ومكرم الى الانتماء التام الى الطبقة المتوسطة **وتصبح اكثر انسجاما مع قواعد الجماهير المصرية .** ولذلك لم يكن من المنتظر على يد قيـــادة الوفد الاول أى استعداد للتعـــاطف مع الحركة الاشتراكية العالمية . ومن الاخطاء الشائعة بين الكتاب والمؤرخين الاشتراكيين المصريين ان الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ كانت لها آثارها البعيـــدة فى الموقف فى مصر هذا غير صحيح بالمرة فيما **يتعلق بحركة الوفد المصرى .** فالوفـــد لم يضع فى اعتباره الثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى بل وضع فى اعتباره فقط اعلان ويلسون امكانية تأييد الولايات المتحدة . **وهذا يفسر الامال الكبيرة التى بناها الوفد على موقف الولايات المتحـــدة ونشاطه فى امريكا (بعثة محمد محمود)**

---

(١) جريدة فلسطين العدد ٦٧١ — ١٢ (دار الكتب المصرية)



رمزي ماكدونالد .. تمسك بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .. رغم صداقته لسعد !

وهي آمال منيت بالفشـــل الذريع وبقي الوفد لفترة طويلة يتمسك فيهـــا رغم وضوح فشلها من اللحظات الاولى . وكان الوفد من جانبه حريصا من البداية على أن ينفي كل صلة بينه وبين الحركة الاشتراكية العالمية . فكتب سعد زغلول من باريس الى عبد الرحمن فهمي سكرتير اللجنـــة المركزية للوفد في القـــاهرة بتاريخ ٢٣ يونية : « الوفد غير راض عن المنشورات التي تفيد اعتماد المصريين على الالمـان وتتضمن الانتصار للبلشفيك فان هـــذه **المنشورات يستفيد منها اعداؤنا للقول بان الحركة المصرية لها اتصال بالالمان والحركة البلشفية وهذا يضر بقضيتنا »**

وليس من الثابت تلك القصة التي تقول بان لينين قد ارسل برقية تأييد لســعد زغلول ، **فالمصادر الاصـــلية السوفيتية ومصادر الشيوعية الدولية لا تشـــير الى هذه البرقية ، ولكن حتى اذا صح ذلـــك** فمن المؤكد أن سعدا لم يكن على استعداد للرد على هذه البرقية وايجاد صلة تعاطف مع الاتحاد الســـوفيتي . كمـــا انه من المؤكد ان الاجراء العنيف الذي اتبعتـــه وزارة سعد ازاء اضراب العمال في مارس ١٩٢٤ وما استتبع ذلك من محاكمة وتشريد واضطهاد لم يكن له مايبرره على الاطلاق **ومن المؤكد ان اتهام سعد للعمال بمحاولة الاستيلاء على ممتلكات الغيـــر في تلك الشهور للعمال كان افتراء كاملا على حركة عمال مصنع فابور بالاسكندرية**

ونود أن نخلص من هذا كله الى ان كلا من الحزب الشيوعي المصري والوفد يتحمل مسئولية فقدان التعاطف والصـــلة بين قيادة الحركة الوطنية في مصر والحركة الاشتراكية العـــالمية ومن هذه النقطـــة بدأ تفكير الوفد في الاتصـــال بقـــوة سياسية تقدمية ومستقلة كحزب العمـــال البريطاني . وقد ساعد على تحقيق هـــذه الفكرة في دوائر الوفد عاملان : **العـــامل الاول** ان حزب العمال البريطاني قوة ناهضة وجديدة في السياسة البريطانية بعد الحرب العالمية الاولى وقد تصل الى الحكم فتساهم بشكل اكثر ايجابية في حل القضية المصرية . **والعامل الثاني** ان الوفد كان قـــد نفض يده من مؤتمر الصلح في باريس وبدا له أن حل القضية المصرية لا بد ان يكـــون بالتفاهم المباشر مع بريطانيا . لذلك كان لابد من البحث عن قـــوة سياسية في

بريطانيا – غير المحافظين والاحرار – أكثر تحررا واستعدادا لتحقيق الامال القومية المصرية . والحقيقة أن الوفد لم يكن مخطئا في تقدير قوة حزب العمال فقد تولى الحزب الحكم في بريطانيا لاول مرة في تاريخه في عام ١٩٢٤ والثانى مرة في ١٩٢٩

كيف نشأت الصلة بين الوفد وحزب العمال؟

هذه الصلة نشأت والوفد في باريس على أبواب مؤتمر الصلح وان كان قد دب فيه اليأس من أمر هذا المؤتمر وصاحب ذلك وجود اتجاه داخل الوفد بضرورة التفاهم المباشر مع انجلترا

ففي أوائل ١٩٢٠ (مارس) اتصل الوفد وهو في باريس بجريدة الديلى هيرالد لسان حال حزب العمال واتفق معها على ان تنشر في انجلترا بين الرأى العام البريطانى كل مايريد الوفد أن ينشره . كما حدث اتصال ايضا باعضاء حزب العمال في البرلمان البريطانى – وكان من الواضح أن الدكتور **حامد محمود** وهو طبيب مصرى اقام في بريطانيا فترة طويلة (وزير الصحة في حكومة الوفد بعد ذلك)كان في مقدمة الذين لعبوا دورا كبيرا في توصيل النواب العمال بالوفد في باريس . وكان في مقدمة هؤلاء النواب العمال **لانجعون** دافيز الذى استطاع باموال الوفد ان ينشىء مكتبا في لندن للدعاية للقضية المصرية . كما تمكن دافيز من جذب عدد من النواب العمال حول الاعتبار بالقضية المصرية واحراج حكومة بريطانيا داخل البرلمان لتسهيل مهمة الوفد في المفاوضة والتمهيد لها . وتكونت من هؤلاء النواب العمال لجنة أطلقت على نفسها «لجنة مصر» مااتنت تحرج الحكومة باسئلتها واستفساراتها حول موقفها من الوفد والقضية المصرية . وكان ابرز اعضاء « لجنة مصر » ثلاثة هم : لانجعون دافيز ومالون . وودجوود بن كيف لا تحترم **انجلترا وعودها لمصر في الجلاء ؟ ولماذا لاتخاطب الوفد ؟ ولماذا لاتأخذ الضمانات اللازمة وتمنح مصر استقلالها .. الخ .**

وكان من الواضح نظرا لقلة خبرة حزب العمال بالقضية المصرية ان اعضاء الوفد في باريس يمدون النواب العمال بالمعلومات اللازمة للمناقشة البرلمانية حول المسألة المصرية بل ويضعون خطة الاسئلة . هذا

بينما كان سعد زغلول يتولى الرد على اجابات ممثل الحكومة على اسئلة العمال

ولايمكن التقليل من أهمية نشاط « لجنة مصر » فمن المؤكد انه كان لها أثرها في تحريض الحكومة البريطانية على دعوة سعد زغلول الى لندن للمفاوضة مع ملنر وزير المستعمرات .

وليس هنا مجال الحديث عن مفاوضات سعد – ملنر فكتب التاريخ حافلة بشرح تاريخ هذه المفاوضات وماانتهت اليه من فشل – غير أن هذه المفاوضات انتهت كذلك بالقسام داخل صفوف الوفد الى فريقين : فريق المتشددين بزعامة سعد وفريق المعتدلين الذين راوا أن المقترحات التى يقدمها ملنر معقولة ويمكن قبولها . وكان من رأى فريق المعتدلين أن يتولى عدلى يكن التفاوض مؤيدا من جانب الوفد الذى سيكون في النهاية في حل من رفض المعاهدة أو قبولها . وقد رفض سعد هذا الرأى وانتهى الامر بخروج الجناح المعتدل (الذى الف فيما بعد حزب الاحرار الدستوريين) من الوفد وتولى عدلى يكن الوزارة وسافر الى لندن للمفاوضة في حلقة المفاوضات المعروفة بمفاوضات عدلى – كرزن . وعارض سعد معارضة عنيفة في حق عدلى في التحدث باسم الامة ، وأخذ يعمل على عرقلة هذه المفاوضات – واستند سعد مرة أخرى في حملته هذه على حزب العمال فدعا مجموعة من اعضاء حزب العمال في البرلمان البريطانى عرفت ببعثة سوان Swan الذى كان أبرز مجموعة النواب واكثرهم تحمسا ليتبينوا حقيقة شعور الامة ازاء الوفد وازاء عدلى ويتحققوا من زيف دعوى صحف الاستعمار التى ما فتئت تردد ما كانت تدعيه وزارة عدلى من ضعف مركز سعد زغلول والوفد بين جماهير الشعب المصرى .

ولعل من أهم الوثائق التاريخية التى تكشف عن اثر بعثة العمال في تدعيم مركز سعد واضعاف مركز حكومة عدلى مذكرات يوسف نحاس – الذى كان عضوا في اللجنة المالية لوفد المفاوضات برئاسة عدلى – تحت عنوان (صفحات من تاريخ مصر السياسى الحديث) – فقد ذكر انه كانت هناك محاولة من جانب عبد الخالق ثروت – نائب رئيس الوزراء – لمنع بعثة النواب العمال – قال (ص ٥٥) :

باريس ٣ اكتوبر . تلقى عدلى خطابا

من وزارة الخارجية البريطانية جاء فيه ان ثروت لايوافق على سفر اعضاء من البرلمان البريطاني ، الى القطر المصرى وذلك خشية ان يكون وجودهم سببا فى اضطراب الامن العام ــ على انلورد كرزنلايستطيع ان يابى عليهم جوازات السفر اللهم الا اذا طلبت الحكومة (المصرية) اليه ذلك رسميا لان منعهم تصرف خطير ضد الحرية • بيد ان عدلى لايريد ان يتحمل تبعة هــــذا الطلب الصريح الرسمى

ويسترسل يوسف نحاس فى مذكراته فيقول انه نتيجة لتخوف عدلى من التقدم رسميا بمثل هذا الطلب أن قدم يوسف نحاس مشروع رد :

« قلت فيه : ان اولئك البرلمـــانيون يستطيعون السفر ولكن بصفتهم الشخصية على الا يباح لهم التحرى فى المســائل السياسية او التدخل فى امورناالداخلية لانه ليست لهم صفة رسمية او توكيـــل لذلك وان زغلول سيستخدمهم فى الذكـاء الاضطرابات القائمة • فما يساور ثروت من مخاوف له ما يبرره وفضلا عن ذلــك فان البلاد اعلنت بصراحة استنكارها لكل تدخل اجنبى فى مسائلنا الداخليـة وما علينا الا ان نضع تحت نظر اللورد كرزن هذه الاعتبارات تاركين له الحرية فى ان يرفض التصريح باعطاء جوازات السفر او ان يقيد اعطاءها بشروط • وقد تسلم عدلى متن مشروع الخطاب الذى وضعته على انى لم اعلم النص الذى وضعه بالاشتراك مع رشدى وكان قد استدعاه من أجل ذلك

وواضح من هذا أن حكومة عدلى كانت تريد ايقاف حضور بعثة العمال لمصر ، كما يتضح ايضا أن وزارة الخارجية البريطانية كانت على استعداد لمعاونة ثروت فى ذلك شريطة أن تتقدم الحكومة المصرية رسميا بطلب ذلك وهو أمر ضرورى بالنظر الى المناخ السياسى فى انجلترا لمنع اعضاء فى مجلس العموم من السفر الى مصر - كما انه من الواضح أن عدلى خاف ان يقدم على ذلك رسمي حتى لايبدو فى موقف الطرف الضعيف اذا أثير الموضوع ــ وكان لابد أن يثار ــ فى مجلس العموم ويطلع كرزن الرأى العام على طلب عدلى الرسمى وهكذا وصلت بعثة سوان الى مصر واستقبلهم سعد زغلول ليضيفوا الى قوته فى المعركة ضد عدلى ــ يدلك على ذلك ماذكره يوسف نحاس فى مذكراته التى اشرنا اليهـــا (ص٦٠) قال :

ذهبت لمقابلة عدلى صباح ٢ اكتوبر .. فلما التقينا قلت : كيف تسمح حكومتنا بان تشتم على ملأ من الناس ... **وفضلا عن ذلك فان نفوذ سعد يمتد ، وان اسهمه فى صعود ، وان وصول النواب البريطانيين قد شد من ازره وقوى من نفوذه ــ كل ذلك يجرى وانت يا باشا صامت لاتقول شيئا**

على ان من أبرز الادلة على مقدار الذعر الذى أصاب وزارة عدلى ــ ثروت من زيارة بعثة سوان تبدو فى الخطاب الذى ارسله أشيل صيقلى من القاهرة الى صديقه يوسف نحاس فى باريس بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٢٦ يشرح فيه صدى بعثة سوان فى الموقف السياسى العام فى مصر فيقول : « ان سوان وزملاءه هم بين ظهرانينا منذ خمسة أيام، وقد احتفل بهم فى القاهرة والاسكندرية احتفالا عظيما وخرج لتحيتهم فى الطرقات جموع مختلفة الالوان مختلفة الاشكال ــ وقــد سارعت الحكومة فأصدرت الاوامر المشددة لمنع المظاهرات ــ وعلى الرغم من ذلك فان شرذمات صغيرة تطوف فى الشوارع هاتفة لسعد والاستقلال ، ويظهر على الحكومة شىء من التردد المؤسف • فقد وجهت وزارة الداخلية الى سعد زغلول يوم أمس كتابا مفاده أن زيارته لمدينة طنطا غير مرغوب فيها لاسباب تتعلق بالامن العام • وفى هذا التنبيه قد أعطى الى سوان وزملائه من الجنرال كونيجريث • وفى مســـاء اليوم حصل تغير كلى فان هذين الحظرين اللذين انتشر أمرهما انتشار عظيما وصارا حديث الناس قد الغيا واصبح سعد والنواب البريطانيون احرارا فى تنقلاتهم يذهبون حيث يشاءون ولك ان تتصور الاثر المكدر الذى أحدثه هذا التراجع فى انحاء البلاد والتشجيع الذى ظفر به أصدقاء سعد »

ودون شك فمن الواضح أن بعثة سوان لعبت دورا هاما فى حرية تحرك سعد بين الجماهير على نحو أضعف من مركز حكومة



الدكتور حامد محمود : همزة الوصل بين الوفد وحزب العمال ... !

عدلى ومن عدلى كمفاوض أمام كرزن، الأمر الذى انتهى بانهيار مفاوضات عدلى ـ كرزن

ويبدو أن التقارب بين الوفد وحزب العمال البريطانى كان قد أثار ثائرة صحافة المحافظين على سعد زغلول . فنشرت جريدة الجازيت مقالا اتهمت سعد بأن علاقته بصحيفة الديلى هيرالد (جريدة حزب العمال) تقوم على قاعدة التقارب الايديولوجى بين الطرفين واضطر سعد زغلول الى أن يكتب الى جريدة جازيت فى ١٩ مايو ١٩٢١ خطابا ينفى فيه هذا الاتهام . قال :

« أدهشنى ما قرأته فى صحيفتكم عن ارتياحى لخطة الديلى هيرالد الاجتماعية ولكن أقول لكم ولقرائكم انى لست ممن يهتمون بالمباحثات فى هذه الشئون الاجتماعية وانى لا أجهد نفسى فى أمر الكومونية او البلشفية ولاابحث فى رأيهما أنسب لحياتنا الاجتماعية . اذ ليست عندى اى فكرة من هذه الوجهة . وان العلاقة الموجودة بين الوفد المصرى والديلى هيرالد علاقة سياسية غير قائمة على قاعدة الارتياح لارائها الاجتماعية . لم تجعل علاقة لنا بها لارائها الكومونية ولكننا اتصلنا بها لأنها قبلت ان تكون وسيلة لنشر ارائنا السياسية ولو ابدت اى جريدة انجليزية مثل هذا القول لتقبلناه منها بمزيد الفرح » .

***

وبوصول سعد زغلول والوفد الى الحكم فى ١٩٢٤ مع وصول حكومة العمال برئاسة رمزى مكدونالد (واحتفاظه بوزارة الخارجية) تصل العلاقات الودية بين الوفد وحزب العمال الى قمة ما استطاعت أن تصل اليه فالى جانب الصلة التى توثقت بين الوفد من ناحية والديلى هيرالد وبعض نواب العمال فى البرلمان من ناحية أخرى كانت هناك صلة شخصية بين سعد زغلول ورمزى مكدونالد لابد انها نشأت ابان اقامة سعد فى لندن أثناء مفاوضاته مع ملنر ـ لذلك فقد كان طبيعيا أن تنتاب دوائر الوفد موجة من التفاؤل بفوز العمال اثر انتخابات عام ١٩٢٤ ـ ويعبر سعد زغلول عن هذا التفاؤل فى خطاب شهير فى ٢٥ يناير ١٩٢٤ . قال :

« ومن علامات اذن الله بنجاح سعينا ان تقوم فى الأوقات الحاضرة وزارة انجليزية معروفة بالميل الى مطالبنا الحقة والى تسوية الخلاف بيننا وبين الحكومة الانجليزية باتفاق صريح مبنى على قواعد الحق والعدل » .

والحق انه بدا من جانب مكدونالد ما يدعو الى هذا التفاؤل حين أرسل الى سعد زغلول بموافقته على مطلب سعد فى الاعفاء عن المسجونين السياسيين الذين قضت المحاكم البريطانية العسكرية بادانتهم فى عهد الثورة

ولكن سرعان ما اكتشف سعد عندما سافر الى لندن أن نقطة البداية عند مكدونالد تبعد كثيرا عن نقطة البداية عند

سعد : فمكدونالد يصر على اتخاذ تصريح فبراير ١٩٢٢ نقطة الانطلاق في المفاوضات بينما كان سعد يصر على عدم الاعتراف كلية بهذا التصريح

وكانت صدمة اصابت الحركة الوطنية المصرية في وزارة مكدونالد وحزب العمال. وسيتكرر هذا الموقف مرة أخرى في حكومة العمال الثانية عام ١٩٣٠ ، فكيف يمكن تعليل ذلك

يجب اولا أن نعترف بأن أية مقارنة بين مشروع كرزن (١٩٢١) ومشروع تشمبرلن (١٩٢٧) من ناحية وبين مقترحات مكدونالد (١٩٢٤) أو هندرسون (١٩٣٠) توضح دون شك أن حكومة العمال كانت أكثر استعدادا من المحافظين والاحرار ولكن حتى مشروعات العمال كانت بعيدة كثيرا عن مطلب الوفد وبعيدة بطبيعة الحال عما كان ينتظر من حزب العمال البريطاني

حقيقة أن السياسة البريطانية لايرسمها وزير الخارجية بقدر مايرسمها المستشارون البريطانيون في هذه الوزارة وهم طغمة من أصحاب الافكار الاستعمارية . وحقيقة أن حزب العمال كان مقيدا مسبقا بالنسبة للمسألة المصرية بتصريح فبراير ١٩٢٢ وحقيقة أن حزب العمال خلال هذه الفترة كان يسيطر عليه الجناح اليميني (مكدونالد ـ هندرسون) وأن المتصرين للقضية المصرية كانوا ينتمون بصفة أساسية الى حزب العمال المستقل .I.L.P — وهو حزب يعمل بتآلف مع حزب العمال ـ الا أن كل هذه الحقائق لمحاولة تفسير موقف العمال لايجب أن تخفى العاملين الحاسمين في موقف حكومة العمال من سعد زغلول

العامل الاول : ان حزب العمال كان ضعيفا فلم تكن له في الواقع اغلبية مطلقة في البرلمان واستند في بقائه على أصوات الاحرار . ولذلك كان يستحيل على مكدونالد أن يتخذ موقفا من المسألة المصرية (والمسألة الهندية كذلك) بعيدا عن سياسة الاحرار والمحافظين القائمة على تصريح فبراير ١٩٢٢ ـ وأكثر من ذلك أن مكدونالد في انتهازية رخيصة كان يريد أن يتخذ من موقفه من المسألة المصرية بالذات سبيلا لارضاء دوائر المحافظين والاحرار للاستمرار في تأييده في البرلمان . ولهذا السبب نعتبر عباس محمود العقاد محقا كل الحق في كتابه عن سعد زغلول (ص ٤٤٦) حين قال :

مكدونالد كان يود ـ بل يتمنى ـ حل القضية المصرية الا أنه كان يود ذلك لنجاحه في توطيد وزارته المتداعية وارضـــاء المحافظين والاحرار عن بقائه

وهذه الحقيقة تفسر اصرار مكدونالد على أن يبدأ المفاوضة مع سعد من نقطة تصريح فبراير ١٩٢٢ سيما وأن مفاوضات سعد ـ مكدونالد كانت قد جاءت في وقت كان المحافظون يتآمرون ليس فقط على وزارة العمال بل على تقويض حزب العمال كله بسبب معاهدة التجارة بين بريطانيا والاتحاد السوفيتي (١)

ولقد كان من سوء الطالع حقا أن تجرى مفاوضات سعد ـ مكدونالد وسط هذه المؤامرات التي تواجهها وزارة العمال ـ وسعد نفسه اعترف بهذه الحقيقة فصرح لمراسل الصحف الانجليزية عقب انتهاء المفاوضات التي لم تستمر أكثر من أسبوع بقوله : (**لاحظت مع ذلك أن وزارة مكدونالد ترتطم الآن بصعاب عديدة جعلتها مهددة بالسقوط**)

ووراء هذا العامل عامل آخر ولعله أكثر أهمية وهو موقف حزب العمال الرجعي من مسألة المستعمرات البريطانية. فعلى الرغم من أن حزب العمال كان أكثر تحررا من المحافظين والاحرار ازاء المسألة المصرية الا أنه في آخر المطاف يقف بعيدا جدا من الاماني المصرية كمــا عبر عنها سعد والوفــد حتى ولو لم توجــد هـــذه المتاعب أمام وزارة العمال فقد كان من المشكوك فيه بصفة قاطعة أن تورية حزب العمــال ازاء قضية المستعمرات كانت تصل به الى حد الاقتراب كثيرا من مطالب الحــركة

---

(١) حول هذه المؤامرات من جانب حزب التورى ضد حزب العمال راجع
Cole History of the Labour Party from 1914 الفصل الخامس



عبد الرحمن فهمي : رئيس « اتحاد نقابات عمال وادى النيل » ..!

الوطنية المصرية حقيقة ان حزب العمال ظل فى العشرينات والثلاثينات يفضل أن يفاوض الوفد ويعمل على وصوله الى الحكم ولكنه كان لايقترب من الامانى المصرية كثيرا حتى يصل الوفد الى الحكم ، وهذه فى الحقيقة قضية تتعلق بتركيب حزب العمال وعلى وجه التحديد بطبيعة قيادته .

●●●

وعلى كل حال فقد جاء موقف حكومة العمال مخيبا لآمال المصريين خصوصا حين بدأت سياسة بريطانيا فى السودان تشكل مضايقات لحكومة سعد • وليس أدل على خيبة أمل المصريين من أن **اتحاد نقابات عمال وادى النيل** برياسة عبد الرحمن فهمى والذى كان يسيطر عليه الوفد قد عبر عن استيائه من موقف حزب العمال البريطانى فى حديث لرئيس اتحاد النقابات المصرية فى ٦ سبتمبر ١٩٢٤ اذ قال : (ان مبادىء العمال مبادىء اشتراكية شريفة لاتتعارض مع أى دين من الاديان : أساسها الحرية المطلقة وعدم اغتصاب حقوق الامم الضعيفة — **وعلى هذه القاعدة كنت آمل كثيرا ان ارى موقف وزارة العمال الانكليزية ازاء قضيتنا العادلة غير ما اراه الآن • هذا الموقف لايتفق مع مبادىء العمال**

كما عبر سعد زغلول عن معنى مشابه فى خطابه الشهير فى اتحاد نقابات العمال (المعروف بخطاب مصر الجديدة) فقال :

« سمعت بعض خطبائكم او تخيلت انى سمعت امتعاض العمال فى مصر من العمال فى انجلترا • ويحق لكم ذلك لانهم اخلفوا ظنكم ولكننى اعرف الكثير منهم واعرف ان فيهم رجالا ذوى مبادىء عالية وإن عشم ان حكومة العمال بتأييد هؤلاء الافاضل ستعدل عن خطتها ولابد ان يكون هذا قريبا • فلا تبالغوا فى الامتعاض »

ويرى بعض المؤرخين ان سقوط حكومة العمال فى اكتوبر ١٩٢٤ قد أضعف من وزارة سعد شبه السراى فانتهز القصر هذه الفرصة لضرب حكومة الوفد ، فبدأت مظاهرات الازهريين ضد حكومة سعد وتبع ذلك تعيين حسن نشأت رئيسا للديوان الملكى ثم أعقب ذلك تقديم توفيق نسيم استقالته من الوزارة • وكانت كل الدلائل تشير الى ان الموقف السياسى فى مصر يصدد أزمة عنيفة ، تلك الازمة التى وصلت ذروتها بمقتل سير لى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم عموم السودان وهو الحادث الذى أطاح بوزارة سعد

على انه مما تجدر ملاحظته فى خطابى عبد الرحمن فهمى وسعد زغلول فى اتحاد العمال المصرى عن موقف حزب العمال البريطانى من المسألة المصرية ان قيادة الوفد لم تتخل بعد تماما من حزب العمال بل ظلت متعلقة ببعض الامل فيه وسيكون لذلك أثره فى التقارب مرة أخرى بين الوفد وحزب العمال حتى بعد سقوط وزارة سعد زغلول ابان وزارة العمال الثانية عام ١٩٣٠ وسنعالج هذه المرحلة الجديدة من العلاقة بين الوفد وحزب العمال فى مقال قادم

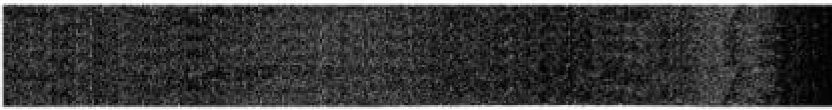
د. جمال حمدان:

نحو حل علمى

تقرير

انباء قبرص تحتل عناوين الصحف الرئيسية ، ففى كل يوم تزداد المشكلة فيها تفاقما وتحورا ، وتتعدد اطرافها المشتركة المتشابكة ، حتى اصبحت قبرص من اخطر المشاكل التى تهدد السلام فى منطقة الشرق الاوسط . وقد يكفى هذا لتستثير المشكلة اهتمام المفكر السياسى فى اى مكان ، ولكنها بالنسبة للمفكر السياسى العربى تمس مباشرة وفى الصميم امن منطقته ومستقبل حركة التحرير فيها ، بما فى ذلك المستقبل المصيرى لفلسطين





ولسنا نود هنا أن نحلل اهميــــة استقلال قبرص للاستقلال العربى فى اى من معانيه او ابعاده ، فهذه قضيــة مفروغ منها . فلن نقول ان قبرص كانت دائما بالجغرافيا والطبيعـة اشـــبه « بمسدس » ـ شكلا وموضــوعا ـ مصوب نحو ساحل الشام والمشرق العربى ولن نقول انها كانت دائما موطىء الخطى وخشبة القفز التى وثب منها الاستعمار على العالم العربى ابتــداء من الحروب الصليبية حتى العدوان الثلاثى . لا ولن نقول أن حل مشكلة قبرص ايا كان او سيكون له انعكاساته وظلاله على مشكلتنا الاولى فلسطين . فان فرض التقسيم على قبرص مثلا هو فى ذاته تشريع وتوكيد الى حد ما لسابقة آلمة هناك ، بينمـا أن تصفية الاقلية الدخيلة فى الجـزيرة تعيد ـ على المستوى القانونى الدولى ـ الحياة الى مبدأ عودة الارض السليبة وتجدد شبابه . ولهذا فان اهمية مشكلة قبرص بالنسبة لنا لا تحتاج الى شرح وتفسير ، واهتمامنا بايجاد حل سليم لها لا يحتاج الى اى تبرير

وانما نريد هنا ـ تأسيسا على ذلك ـ

لمشكلة قبرص





ان نصل الى الحل العلمى الجذرى للمشكلة وذلك بعيدا من التعقيدات والغامضات التى تزداد تكاثفا كل يوم حول القضية بفضل مؤامرات الاستعمار الخبيثة ومناورات الحرب الباردة المكشوفة وعصبيات الطائفية الضيقة . فهذه التعقيدات تجرفنا — او اريد لها ان تجرفنا — الى تيه من التفاصيل والتفريعات، من الشكليات والسطحيات، حتى لا نعود نرى الغابة من الاشجار ، وحتى نتوه من الجذور والاصول الى ان نتورط في النهاية في مزالق «الامر الواقع» اليائس — تماما كما رتبت الامور في مأساة فلسطين . وحين نرفع رؤوسنا من فوق الرمال الناعمة التى يدفع الاستعمار القضية اليها لتبتلعها لن نرى سامتها الا تلك القسمة السليمانية او غير السليمانية : **لن نرى الا التقسيم**

فالشيء الشاهد الان أن الاستعمار البريطانى دق المسمار الاول في عملية التقسيم حين بدأ اسلوب التقسيم على المستوى المحلى في نيقوسيا العاصمة بين الاحياء اليونانية والتركية . والمعسكر الاستعمارى يتحيز بوضوح لدعوى التقسيم التركية . وقد اتت نوات الامم المتحدة لفترة قد تطول بعد اليوم وقد تقصر ولكن من الواضح انها لن تخرج في النهاية اما من دور « زيت التشحيم » الذى يلطف احتكاك آلة الاحتراق الداخلى قليلا أو من دور « زيت التخدير » الذى يؤجل الانهيار الى حين . وبعدها تبرز فلسفة **الامر الواقع** برأسها الكريه لتكرر مأساة التقسيم

دور الاستعمار

ونحن لهذا نعتقد أن من الضرورى لكى نفوت على الاستعمار خططه والاعيبه ان نصر على العودة الى الحقائق الجذرية وعلى مواجهة الأوليات الموضوعية في القضية . فيها وحدها يمكن أن نصل الى رأى العلم في المشكلة والحل الجذرى لها . ولعل من الأجدى في هذا الصدد ان نرتب هذه الحقائق في نقط واضحة محددة ، نبدأها بدور الاستعمار في خلق المشكلة، فنقول انه لا جدال أن الاستعمار البريطانى منذ دخل الجزيرة وهو يعمل — ليضمن بقاءه فيها أطول مدة ممكنة — على أن يبث بذور الكراهية والحقد والطائفية بين عنصرى السكان ، وذلك باحتضانه السافر المكشوف للاقلية . تلك هى اللعبة الخالدة والقذرة « لالبيون الخائن » (كما تعرف بريطانيا من قديم في عالم السياسة) . وبعد استقلال الجزيرة ، هذا الاستقلال الشكلى المقيد غدت بريطانيا تلك المداوات حتى تضمن بقاءها في قاعدتيها العسكريتين بالجزيرة . وبتخذ بعض الاتراك بلودهم من سلخ هاتين القاعدتين من جمهورية قبرص ذريعة وحجة للمطالبة بالتقسيم . فهم يدعون ان هذا السلخ فى ذاته تقسيم قائم ، وان التقسيم بعد ذلك لن يكون شيئا جديدا على الجزيرة، وانما يصبح ثلاثيا بدل أن يكون ثنائيا . ومعنى هذا ان وجود بريطانيا فى الجزيرة يغذى ويحرك الطائفية العنصرية بالدس العامد من ناحية ، ويشجع على انفصالية التقسيم من ناحية أخرى

الابعاد الحقيقية

ولكن السؤال الحرج والصريح هو : **هل اذا اخرج الاستعمار الان كمحتل من الجزيرة وكطرف متحيز فى القضية هل من الحتم ان تزول المشكلة وتحل نهائيا ؟**

ان خروج الاستعمار البريطانى — ومعه استعمار حلف شمال الاطلنطى الذى يختفى وراءه أو الذى يختفى كل منهما وراء الاخر — شرط أساسى سابق لأى حل للمشكلة . ذلك أمر لا جدال فيه ولا تحفظ ، ولذلك فلن نقف عنده



الموقف في قبرص .. على وجه رئيسها وشعبها

باعتباره بديهية أخرى في القضية مفروغ منها

ولكن بعده يجوز لنا أن نتساءل الى أى حد ستحل المشكلة نفسها بنفسها

لقد أعلنت الطائفة التركية أثناء المعارك الاخيرة أن التعايش بين الطائفتين قد أصبح مستحيلا ، وانهما لن يمكن ان يضمهما سقف دولة واحدة ، بعد الآن. ومنهم من طالب بفيدرالية دستورية ومنهم من طالب بتقسيم انفصالي صريح. والحقيقة في ظل الظروف الحالية والروح التي تسود خلفها أن الفارق بين الفريقين

طفيف وشكلى وعلى الأرجح مرحلى . والترجمة الأمينة لأى منهما انما هى الطلاق السياسي . ومن المؤكد ان النفوس اليوم مشحونة تماما بالتوتر والمداوات من الجانبين . ولقد يقال ان الزمن خير علاج فى هذا الصدد . ولكن من الحق أيضا أن يقال ان وراء الاتراك واليونانيين بعامة فى قبرص وخارج قبرص تاريخا طويلا من الريبة والشك والمخاوف ان لم يكن من الحقد والكراهية المباشرة . ولا يرى أتراك الجزيرة — حتى اذا هدأت النفوس — أى ضمان لهم كأقلية فى قبرص مستقلة حرة تماما . وهم على أحسن تقدير لا يرون أمامهم مستقبلا فى ظل هذا الوضع خيرا مما عرف اتراك كريت منذ ضاعت من تركيا حيث آثروا فى النهاية الهجرة من الجزيرة . بينما لا يرى يونانيو قبرص فى أى ضمانات لاتراكها الا شلا لحركتها وقيدا على سيادتها

باختصار اذن انه ليس من الواقعية فى شىء أن نرى كل أبعاد المشكلة فى اطار الاستعمار وحده ؛ فخارج هذا الاطار — أو داخله — اطار آخر أشد خطرا وأعمق جذورا وأكثر بقاء وهو اطار الطائفية . وليس معنى هذا على الاطلاق تبرئة ساحة الاستعمار البريطانى من دوره فى افتعال وتضخيم المشكلة وفى استغلالها السياسى لحسابه . ولكننا نقول ان تصفية هذا البعد الاستعمارى لن تحل المشكلة وحدها تلقائيا والى الابد

***

ومرة أخرى نحن نخطىء النظر الى المشكلة فى حدود ابعادها المحلية فى فى الجزيرة . ذلك أن الثنائية القومية فيها مثلثة الابعاد فى الحقيقة ، تبدأ من الجنس بالمعنى الانثروبولوجى الكامل ، وتمر باللغة وتنتهى بالدين . أى أن الهوة التى تفصل بين الطائفتين هى أعمق ما يمكن أن يقوم فى باب الاقليات . انها خندق غائر كله عوامل فصل دون أى عامل وصل . وكان من الممكن لهذا الاساس أن يكون كافيا وحده لخلق الوضع المتفجر . ولكن حدود المشكلة أبعد حتى من ذلك . فخلفها يكمن التاريخ التعس بين الدولتين الأم ، ذلك الذى يتألف نسيجه من عقد الاستعلاء والعجرفة وخيالات العظمة الجوفاء الناشبة من ناحية ، ومن عقد المرارة والحذر والشك من الناحية الاخرى

ولربما كانت أبعاد الصورة تختلف كثيرا عما هى عليه لولا أن الدولة الأم للأغلبية هى الجانب الاضعف كثيرا كقوة سياسية ، بينما أن الدولة الأم للاقلية هى الجانب الاضخم والاقوى . وبفضل هذه العلاقة العكسية بين وزن الطائفية فى الجزيرة ووزن القومية الأم خارجها ، تقف تركيا موقف الدولة المتعنتة المتحرشة لا من قبرص فحسب وانما من اليونان أيضا . ويزداد اختلال توازن القوى الأم خطرا بانحياز لوى القوب فى حلف شمال الاطلنطى الى الجانب « الخطأ » فى المعادلة رغم ان الطرفين المتنازعين عضوان فيه ..

واذا نحن حاولنا أن نحصر امكانيات حل المشكلة فى اطار الجزيرة وحدها فلن يكون هناك الا طريقان : اما أن تتعايش الطائفتان تعايشا سلميا فى ظل جمهورية الجزيرة المستقلة ، واما أن تنفصلا بصورة أو بأخرى . وليس هناك طريق ثالث

والطريق الاول يكاد يفترض المستحيل ، لأن النظرة الواقعية لا يمكن أن ترى التعايش السلمى فى المستقبل . لكنا لو فرضنا ذلك المستحيل ، فشرط أساسى فيه أن تظل الجزيرة مستقلة — أعنى الا تنضم الى اليونان . ذلك لأن تركيا سوف تقف لمثل هذه الحركة بالرصاص — بالدم والحديد . اما طريق التقسيم فهو الطريق الذى تحاول المصالح المترصة أن تدفع بالمشكلة اليه كما

رأينا . انه الحل الاستعمارى بامتياز .
والذى نود أن نقف عنده الآن هو مدى صحة وسلامة كل من هذين الطريقين

التقسيم مستحيل

فاما التقسيم فهو جريمة سياسية اجتمعت لها كل اركان الجريمة الكاملة، وفضيحة جغرافية ينكرها اى منطق

فاولا ليس هناك لوطنات محلية واضحة للطائفتين ، بل أن توزيعهما يتداخل في كل اجزاء الجزيرة بنسب متفاوتة ، وكل محاولة لتقسيم قبرصى ستنتظم اولا تحركات وهجرات للسكان فى كلا الاتجاهين وذلك كعملية استقطاب مكانى للعنصرين.
أم هي ستنتظم بعد ذلك – أم قبل ذلك ؟ – تحديدا اعتباطيا عشوائيا بحتا لقطاع كل منهما . وليس ادل على ذلك من أنه حين فكر الاستعمار فى فرض التقسيم على الجزيرة قبل الاستقلال كان هناك مشروعان متناقضان تماما ويتعامد كل منهما على الآخر : واحد عرضى وواحد طولى . بل أكثر سخرية من هذا كان تحديد ارض كل من الطائفتين يتأرجح مرة فى هذا الجانب او ذلك ! ومعنى ذلك ان التقسيم أصطناعى مفتعل، لأنه ضد طبيعة الاشياء فى الجزيرة
انه يجعل من قبرص « هايتى اخرى » حيث تحمل وحدتين متنافرتين هما هايتى وسان دومنجو . بل انه يجعلها اسوأ من هايتى .. لأن قبرص لا تعدو نحو ثلث هايتى مساحة ..

ولكن بعد هذا واخطر منه سؤال بديهى بسيط : لماذا التقسيم ؟ ربما جاز أن نفكر فيه اذا تساوت كفة الطائفتين ثقلا ووزنا . لكن الامر ابعد ما يكون عن التعادل، فالاتراك اقلية محضة لا تزيد عن خمس السكان بل تقل قليلا (١٨٪)، واذا كان الاستعمار قد جعل من تركيا فى الماضى « الطفل المدلل » ، وهى الآن تريد أن تكون « الطفل المرعب » ، فقد آن لكبار البيت أن يتدخلوا قبل أن يحرق البيت جميعا . ليس هذا فحسب.

وانما الاقلية التركية اقلية وافدة طارئة دخيلة من مخلفات الاستعمار العثمانى . فهم ليسوا من أصحاب البيت حتى يطالبوا بجزء منه . وهذه النقطة وحدها تحسم الامر كله ، وسنعود اليها بقليل من تحليل بعد حين . ولكن يكفى هنا أن نقول ان دعوى التقسيم التى يطالب بها اتراك الجزيرة او اتراك شبه الجزيرة هى تماما كما لو هب المليون ايطاليا أو المليون بولنديا الذين هاجروا الى فرنسا اخيرا واستقروا بها وتجنسوا بجنسيتها فطالبوا بتقسيمها على أساس انهم من اصل وقومية ولغة مختلفة .! ولعل هذا



المثل يكفى لتوضيح مدى تهافت دعوى الانفصال وسخف فكرة التقسيم فى قبرص

على ان السؤال الاخطر من هذا كله هو هل تتحمل الجزيرة الضئيلة – جزيرة الجيب هذه – مزيدا من التقسيم الميكروسكوبى او التفتيت الذرى ؟ والرد على هذا سنجده ضمنا فى مناقشة الطريق الآخر ؛ ولكن يمكننا هنا ان نقول ان التقسيم فى حقيقته مرادف وتمهيد لضم كل من القطاعين الى دولته الأم ، لأن من العبث ان نفترض أن وحدة قوامها ١٠٠ الف من السكان (القطاع التركى)

ستبقى أو يمكن ان تبقى دولة مستقلة فى المجتمع الدولى ! من المؤكد حينئذ أن يعلن مثل هذا القطاع « انضمامه » الى تركيا — تماما كما رأينا لواء الاسكندرونة ان يفعل فى آخر مراحل مؤامرة فصله عن سوريا منذ نحو ربع قرن . واذا افترضنا هذا فبديهى أن ينضم القطاع اليونانى بدوره الى امه اليونان . ومعنى هذا فى النهاية ان تقف كل من الدولتين وجها لوجه مباشرة فى الجزيرة . ولا يدرى أحد هل يكون فى هذه المواجهة نهاية للصراع او بداية ..

هل الاستقلال ممكن ؟

يبقى بعد هذا طريق قبرص الموحدة المستقلة . اذا افترضنا امكان التوفيق بين الطائفتين فى ظل جمهورية الجزيرة بلا تقسيم فى الداخل أو ضم الى الخارج ، فهل يمكن لهذه الجزيرة أن تعيش حقا كدولة مستقلة فى المجتمع العالمى ؟ دولة كل حجمها نصف مليون نسمة فى غاب السياسة العالمية الذى تصل بعض مردته الى ٧٠٠ مليون وتكثر فيه أحجام المائتى والمائة مليون ! واين فى قلب المعترك السياسى وفى نقطة من أخطر مواقعه الاستراتيجية وأشدها حساسية على جبهة الارتطام بين المعسكرين والكتلتين !

مثل هذا الكيان القزمى العاجز الكسيح لن يكون دعوة الى الاجهاض الاقتصادى فحسب ، ولكنه سيكون دعوة الى الغزو السياسى عند أول فرصة لأسرع قوة . مثل هذه الدولة ستكون الفراغ الاقتصادى والسياسى بعينه فى « عين » اعصار السياسة العالمية ، وستنقلها من قلب الحرب الباردة الى اتون الحرب الساخنة . واذا احتج أحد بأن من الممكن للمساعدة الدولية عن طريق الامم المتحدة مثلا أن تصحح الوضع المادى ، او لبدأ « التحييد » السياسى بضمان المنظمة أن يضمن الوضع الاستراتيجى ، فلن يعنى ذلك الا اننا نصلح خطأ بدائه بخطأ آخر نضيفه ، ويظل المولود شاذا غير طبيعى رغم الحقن الاصطناعية وغرفة الاوكسيجين . وهكذا اذا كان التقسيم حكما بالاعدام ، فان قبرص المستقلة ليست الا حكما بالاعدام مع ايقاف التنفيذ

جذور الماضى

الاتجاه الذى لا مفر منه الآن وعلى الاساس العلمى الموضوعى هو انه لا التقسيم ولا الاستقلال يحل لمشكلة قبرص . انما يكمن الحل الوحيد فى ظل الاطار الواقعى والتاريخى للمشكلة ، ذلك الذى يذهب الى جذور المشكلة فى التاريخ بعيدا عبر القرون الماضية وبعيدا الى حدود القوميتين الكبيرتين المعنيتين . فنحن نلح على ان تركيا واليونان اطراف اساسية فى حل المشكلة كما هى ابعاد محددة فى أصلها وفى غير هذا الضوء لن نفهم حقيقة الامر ومن ثم لن نصل الى حل

فمشكلة قبرص هى انها كانت جزءا لايتجزأ من عملية « **شد الحبل** » التاريخية وعملية المد والجزر البشرى التى تشهدها بحر ايجة بشاطئيه فى آسيا الصغرى واليونان طوال قرون التاريخ القديم ، ولكن بالاخص عبر التاريخ الحديث . وقد خلقت هذه الحركة البشرية البندولية قدرا من النسيج الجنسى والفوضى الاثنولوجية فى هوامش وأطراف المنطقة ، وخلفت بعدها دائما جيوبا وأسافين وجزر بشرية متناثرة على الجانبين — تماما كما حدث بين العناصر السلافية والجرمانية عبر السهل الاوربى العظيم حيث تخلفت مشكلة بولندة الخالدة مع فارق واحد هو البحر هنا والسهل هناك ... ولكن منذ البداية والمد الاغريقى بحكم أصله البحرى الجزرى هو السائد فى هذه العملية حيث تخلف بمستعمرات دائمة من اليونانيين استقرت وتوطنت على سواحل غرب الاناضول . الى ان جاءت الموجة العثمانية حديثا فاجتاحت اليونان ضمن ما اجتاحت عسكريا ، ولكن مدها البشرى التعميرى فى هذا المحيط الارخبيلى والبيئة البحرية

كان محفوظا باعتبارها قوة بر اصلا ورماة وفرسان لاشعبا من الملاحين والبحارة . ولهذا فان العنصر التركي في جزر يونانية مثل كريت وقبرص لم يزد كثيرا على نواة من الحاميات العسكرية والقشرة الحاكمة مضافا اليها توابعها وطفيلياتها

وقد كان لابد لهذه الرواسب البشرية المتخلفة من أن تصبح مع بزوغ عصر القوميات خميرة للمشاكل السياسية ومشتلا للصراعات الطائفية . وقد بدأ هذا بالفعل منذ حرب استقلال اليونان ، ولكنه اخذ اعنف صوره مع الحرب الكبرى الاولى حين اصبحت المجازر هي « الامر اليومي » المتبادل بين العنصرين سواء على هذا الجانب من البحر اوذاك هذا عدا حركة الهروب « والخروج » الضخمة لاقليات الجانبين الى بلدها الام ولم يضع حدا لحمامات الدم الجماعية هذه الا مبدأ واحد حاسم هو « تبادل السكان » ففي ظل عصبة الامم تمت عملية ضخمة من تبادل الاقليات انتظمت نقل نحو ثلث مليون من الاتراك من اليونان الى الاناضول ونحو مليون من اليونانيين من الاناضول الى اليونان . ولم تكن العملية نزهة جيوبوليتيكية او ترفا اقتصاديا ، فهي عملية جراحية شاقة انسانيا ، طاحنة سياسيا ، باهظة ماديا ، تكتنفها مشكلات قانونية وحقوقية عدا المأساة الانسانية

ولكنها مهما قيل عنها كانت اهون الشرين ، ورغم ذلك كله فهي لم تصف الاقليات بين الجانبين تماما ، فقد ظل في تركيا عدد ضخم من اليونانيين يتركزون اساسا في اسطنبول وازمير ويقدر عددهم حاليا بنحو ٨٠ الفا . هذا بينما ظل في الجانب اليوناني عدد اكبر قليلا من الاتراك تراهم المائة الفا الذين يشكلون الآن مشكلة قبرص الاولى والاخيرة

التبادل .. لا التقسيم

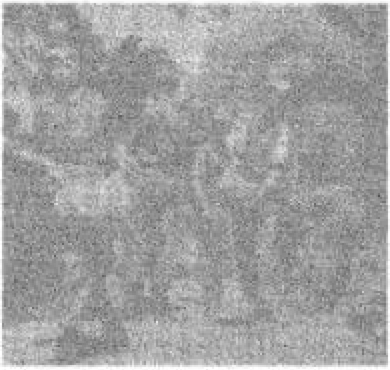
والذي نود ان نقرره الآن ان مشكلة قبرص الحالية هي في هذا الضوء الواقعي جزء لايتجزأ من التسوية العامة ، لاأقول الاقليمية وانما الاثنولوجية ، رغم مافي هذا التعبير من غرابة ، تلك التسوية التي بدأت منذ مدة ولكنها تركت ذيولا لها وفروعا ، انها بقية لم تتم لعملية تبادل الاقليات الشاملة بين تركيا واليونان . وانه من هذه الزاوية يبدأ الحل الصحيح للمشكلة . فما دام الاصل قد سقط فقد وجب ان يسقط الفرع كذلك . والذي نعنيه بهذا هو ان علينا اليوم أن نستكمل مابدأناه بالامس بعد الحرب الاولى ، فتتم عملية تبادل الاقليات بين الجانبين . لقد ظل البلقان



طويلا يسمى « برميل بارود اوربا » بسبب ماكان يغص به ويرصعه من أقليات وقد حاولت تسويات الحرب الاولى والثانية أن تصفي هذه المشاكل ، ولسنا نفهم لماذا تترك قبرص وحدها أشبه بقنبلة زمنية موقوتة تهدد بالانفجار في أي وقت .. !!

ولهذا فنحن نقترح انه مادام في قبرص مائة الف تركيا عاجزين عن الحياة فيها مع اصحابها اليونانيين ، بينما ان في تركيا نحو هذا العدد من اليونانيين يعيشون بالضرورة كاقلية غير مستريحة وسط محيط تركي ، فان المنطق الطبيعي

ان تتم عملية هجرة مزدوجة وتبادل اقليات بين هذين القطبين . ونحن نعرف تماما قسوة التبادل والتهجير والمشاكل التى تكتنفه ، ولكنها تتضاءل بجانب المشكلات الحادة الملتهبة اليوم في الجزيرة وحولها . انها تعنى الافا من تسويات حالات الملكية والحقوق القضائية وتقييم وتثمين الممتلكات والتعويضات العينية والنقدية... الخ ، وتعنى تكاليف باهظة في عمليات الشحن والنقل والتوطين . وتعنى بعد كل هذا مشاكل المهاجرين الذين انتزعوا من بيئة عرفوها اجيالا الى بيئة أخرى وان تكن من الوطن الام



سيكونون فيها غرباء الى حين ، يصعب عليهم التكيف السريع فيها ، بل قد لا يجدون كل الترحيب من مضيفيهم الجدد فيها ... الخ ، ذلك كله لابد أن يدخل في كشف الحساب والتسوية ..

ومن الواضح أيضا ان هذا الحل قد افترض الخروج بالمشكلة من حدود الجزيرة المباشرة الى اطار تركيا واليونان معا ، وبهذا يأخذ شكلا أو بالاحرى اشكالا سياسيا جديدا . ولكنه يفترض أيضا ان ذلك كله تسوية ستتم في ظل ورعاية الامم المتحدة ، وبمساعدتها دعاية وخبرة ومعونة . ولا ننسى هنا ان مبدأ التبادل السكانى من حيث هو مبدأ أمر مقرر ضمنيا في مطلب الاتراك بالتقسيم كما رأينا ، وهو بهذا ليس جديدا على الجزيرة وانما ينتقل الى ابعاد أكبر منها

وهناك بديل ممكن لهذه المقايضة الجنسية وهو المقايضة الاقليمية . ونقصد بها تبادل ارضى بجانب التبادل السكانى . فلقد يرى أن تتنازل اليونان عن جزيرة صغيرة من جزرها العديدة التى تحف بسواحل تركيا في بحر ايجه ، وذلك مقابل الارض التى يملكها القطاع التركى في قبرص الآن . واليها ينقل الاتراك القبارصة بعد اخلائها . ومن ميزات هذه الصفقة انها تقدم بيئة جزرية ووسطا زراعيا اشبه ما تكون بظروف قبرص ، وأن الجزيرة المقترحة تمثل وحدة ارضية منفصلة محددة . ولكن أهم من ذلك القيمة الاستراتيجية بالنسبة لتركيا حيث ان كل الجزر التى تحدق بساحلها الايجي وتكاد تلامسه وتمثل بالقوة خطرا عسكريا يهدد امنها ، كل هذه الجزر يونانية وليست تركية.. ولعل جزيرة مثل خيوس او مثل ساموس - وكل منهما يقع أمام ازمير - تحقق هذه الغاية ..

واذا كانت تركيا تطالب بقبرص او بجزء منها على زعم ان قربها منها يهدد سلامتها ، فان هذه الجزر الصغيرة ألصق بسواحلها من قبرص بل وتحدق بأخطر وأغنى سواحلها وهو الساحل الغربى .. بينما لا تواجه قبرص الا أفقر سواحلها وأقلها خطرا وقيمة الساحل الجنوبى ..

ولكن السؤال هو : هل تقبل اليونان هذا التنازل ؟ !.. واهم منه ايضا ان ذلك سيقابل بترك اقلية يونانية هامة في مدن تركيا الكبرى . ولهذا فنحن نفضل التبادل السكانى فقط دون التبادل

الاقليمي كحل امثل للمشكلة القبرصية

وايا كانت الكلمة الاخيرة ، سواء لهذا او لذاك ، فان هناك عقبة اخرى واخيرة هي دعوى الاتراك التي رددوها طويلا من ان القبارصة الاتراك مواطنون اصلاء في الجزيرة ، وان الجزيرة وطنهم الذي لن ينتزع منهم ولن يخرجوا منه. ولكن هذه الدعوى عاطفية اكثر منها علمية. فالواقع التاريخي انهم هنا اقلية وافدة حديثة وطارئة . حقا لقد توطنوا في الجزيرة اربعة قرون الآن ، ونسبة كبيرة منهم ولدت في الجزيرة ولم تعرف لها مولدا آخر ، ولكن من الحق ايضا مقابل هذا أن اليونانيين يضربون بجذورهم في الجزيرة منذ ٣ آلاف سنة

وبمعنى آخر لقد كانت الجزيرة جزءا لا يتجزأ من العالم الاغريقي حين لم يكن الاتراك قد ظهروا بعد حتى في وسط آسيا ، دعك من وطنهم بالتبني الاناضول . اما عن الادعاء التركي بأن القبارصة اليونانيين من اصل جنسي مختلف عن اليونانيين فادعاء لا ينهض عليه دليل علمي محترم او غير ذلك .

ويبقى ان تنظر كل الاطراف الى المشكلة نظرة موضوعية واقعية لتعرف حقوقها وواجباتها في حلها ..

وبعد ..

فان مشكلة قبرص معادلة صعبة . وحلها المنطقي فيما نرى هو تبادل بعض القيم بين طرفيها . وهذا وحده هو الذي يمكن ان يحمي الجزيرة من الحرب الاهلية اولا ، او من الاستقلال العاجز العقيم ثانيا ، او من استعمار القواعد العسكرية (او الاحلاف العسكرية) ثالثا . هو وحده الذي يمكن ان يصفي العداوة التاريخية بين القوميتين الجارتين الدولتين تركيا واليونان ، ويحقق لقبرص املها الشروع في الوحدة مع وطنها الام Enosis

واذا كان في هذا المبدا صعوبات وعقبات خطيرة ، فيبدو ان هذا هو الثمن الباهظ الذي لابد ان تدفعه الاجيال اللاحقة في عصر القوميات الصارمة لقاء السيولة القومية والمرونة الاثنولوجية التي كانت تتمتع بها الاجيال السابقة في عصر ما قبل القومية . ولكنه الاربح على كل حال في المدى الطويل !

معه حق

مر صاحب العسس (الشرطة الليلية) ببغداد فاذا ابو نواس محمول على محفة وهو سكران يغني ، فوضع الشرطي يديه في خاصرته واستوقفه قائلا :

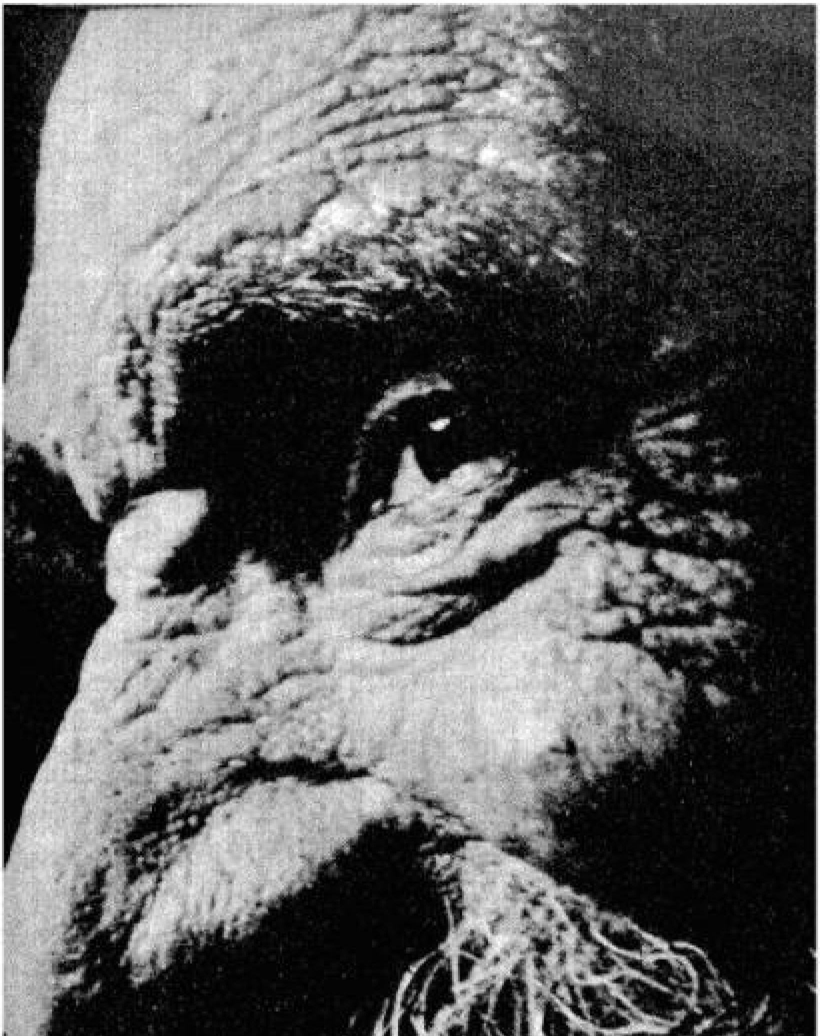
– من انت ؟

فاجاب ابو نواس بلسان لا يستقيم من السكر

– يا بغيض ! انت اعرف بي من ان تسأل من انا . فما يجرؤ على هذا المجون سواي !

– ان عملي ان اتثبت من انك لست لصا !

– اذهب الى شغلك يا لكع فما انت سكران حتى تجهل ان اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين على محفة !



لم تعد الصورة الصحفية قطعة حجر تنقلها الكاميرا للقارىء دون تصرف . فالمصور اصبح يتحكم فى الكاميرا ليبعث الحياة فى الحجارة الصماء ، ويكشف المعانى وراء الوجوه واصبح يلتقط المناظر من زوايا تضفى على الصورة حياة وقوة ...

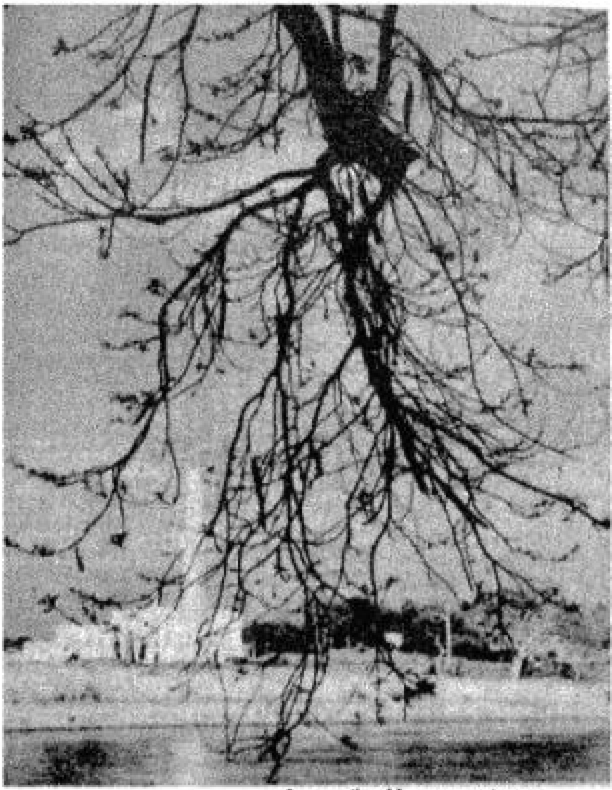
والمصور الفنان محمد صبرى ينقل لك الروح قبل ان ينقل الصورة .. !

الروح والصورة



العجوز والديك

تصوير
محمد صبرى



ارتواء و .. نشوة .. !





اسلاك شــائكة
.. ومريحة ..!



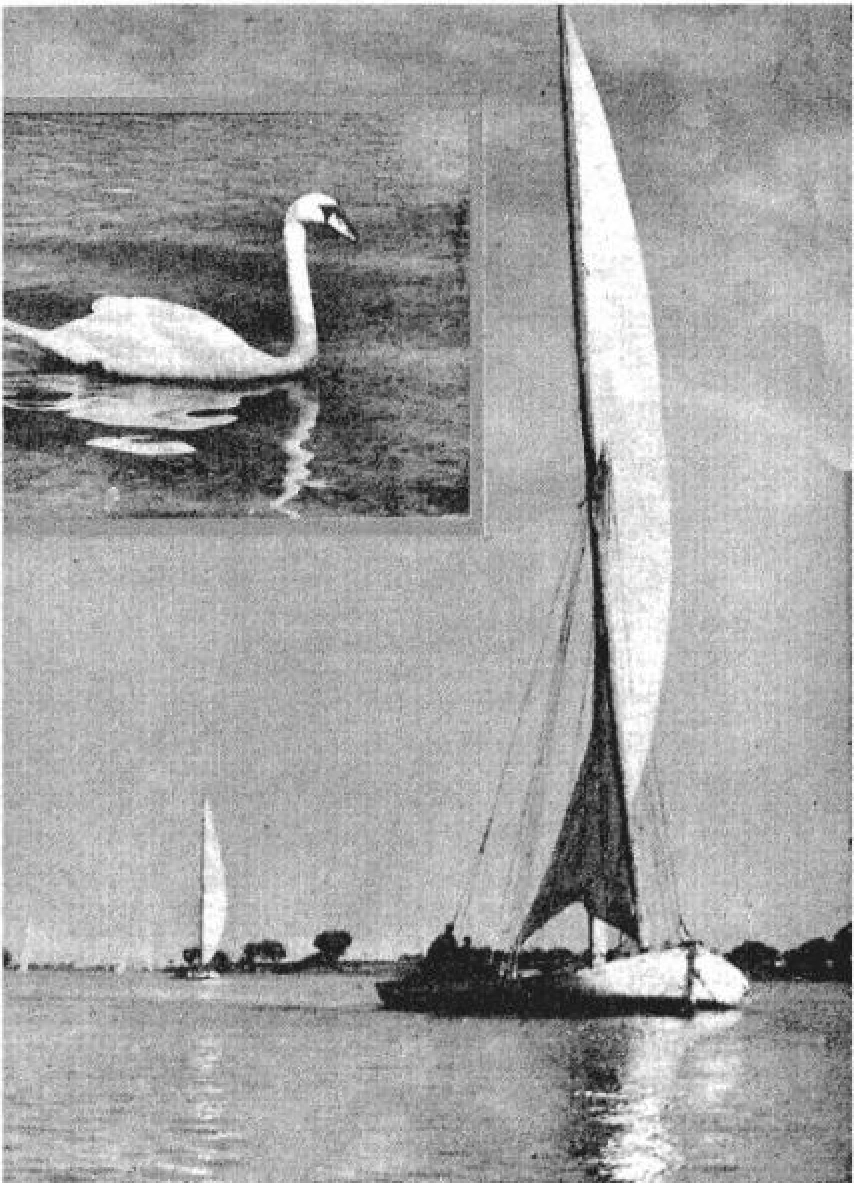


الضوء الخافت

الروح
الصورة



تناسق .. !



محمود أمين العالم :

كانط : القالب من صنعي .. !



المعمار الفني للرواية العربية

اولا : مدخل عام

لا شيء بغير صورة

، ما من عمل بغير صورة ، بغير شكل ، بغير صياغة

ولست اقصر هذا الحكم على الاعمال الادبية او الفنية فحسب . وانما اعني كذلك كل عمل ، اى عمل ، صناعيا كان او تجاريا او زراعيا ، او علميا خالصا ..

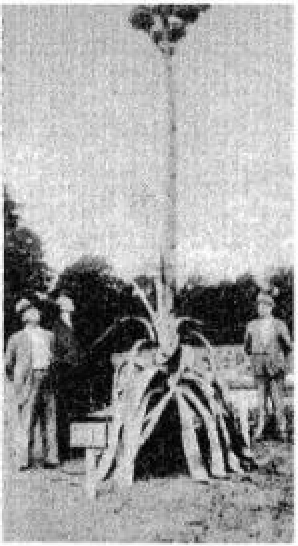
بل ليس في مقدور احد ان يدرك شيئا او يتصوره او يتخيله ، في غير صورة معينة .. ان ادراكنا الحسي لشيء او تصورنا العقلي ، او تخيلنا له ، انما يتحقق خلال صورة دائما ، بل هو يعني كذلك ان لهذا الشيء صورة يمكن بها ادراكه او تصوره او تخيله . وفضلا عن هذا فان التعامل العملي مع اى شيء يفترض بالضرورة كذلك هذه الصورة المعينة ، المحددة لطبيعته

وسواء كنا من انصار الفيلسوف كانط فقلنا ان الانسان هو الذى يضع الحدود الادراكية والتصورية للاشياء ، ويصوغها مقولاتها وقوالبها ، او لم نكن من انصاره وقلنا بان صورة الشيء ومقولاته الادراكية والتصورية ، جزء من طبيعته الموضوعية ، فلا شك اننا في الحالين ، نقر بانه بغير صور الاشياء لا سبيل الى معرفتها !

ان صورة الشيء لا تكاد تنفصل عن حقيقة ادراكه ، بل عن حقيقة وجوده كذلك !

***

فهناك من الاشياء ما ترتبط وجودها ارتباطا وثيقا بصورتها ؛ وهناك من الاشياء ما قد تتخلخل فيه هذه الرابطة ولا تستقر ولا تكون بغير صورة كذلك .. ولنضرب مثلا على الحالة الاولى بالشجرة ، وعلى الحالة الثانية بالسحاب



الشجرة : الشكل والوظيفة .. !

ارسطو : الصورة اولا .. !



ان شكل الشجرة ـ ايا كانت هذه الشجرة ـ مرتبط بوجودها ، مرتبط بوظيفتها . انما من شجرة الا وكان لها جذور في الارض ، وجذع على وجه الارض ، وفروع واغصان واوراق ممتدة في الهواء . فلتتنوع الاشجار بعد ذلك، ما شاء لها التنوع ، لتكن جميزة ضخمة أو بازلاء رقيقة ، او مجرد حشائش طفيلية في الارض ، ليتضخم الشكل او يتضاءل ، ليتعقد او يتبسط ، ستجد الصورة الشجرية نفسها بطريقة او بأخرى

ذلك لان هذه الصورة الشجرية مرتبطة بالوظائف الاساسية للشجرة ، الصورة هنا ليست مجرد حدود خارجية للشيء وانما هي جزء من عملية بناء الشيء نفسه من قوامه الخارجي والداخلي معا ، جزء من وجوه الحي نفسه

فلاذا تأملنا سحابة مثلا لوجدناها قابلية لا حد لها للتشكل . قد تكون وجه طفل ، أو هيكل امراة عجوز ، أو حربة غليظة ، او زهرة شفافة ، او مدائن سحرية تنصب منها الوان الغيب المهيبة، وقد تخف وتشف ، وقد تكثف وتكثف وهكذا . الا ان هذه القابلية المتنوعة للتشكل تعطى للسحابة طابعا شكليا كذلك ، تعطى لها في أذهاننا ومخيلتنا ووجداننا صورة خاصة ! اى تصبح القابلية للتشكل ، والتغير صفة شكلية أو صورية تتحدد بها معالم السحابة ، بل تصبح رمزا عاما من رموزها !

واذا كنا نختار مثالين من الطبيعة فما احرانا ان نتامل في امثلة من صنع الانسان . العجلة مثلا ، اى عجلة ! ما اعمق الارتباط بين شكل العجلة ووظيفتها ووجودها كذلك . حقا قد نستطيع ان نتخيل عجلة التى عشرية الاضلاع مثلا ، ولكنها لن تكون تلك العجلة التى يتم الارتباط الوثيق فيها بين شكل الدائرة ، وبين الوظيفة العملية المحددة !

ان اكتشاف العجلة وصياغتها كان من مراحل الثورة التكنولوجية في تاريخ الحضارة ، وفي العجلة يرتبط الشكل بالوظيفة ارتباطا وثيقا . هل يمكننا ان نعتبر الاستدارة مجرد اطار خارجي للعجلة؟ ام هي جزء اساسي من وجودها ، يحقق وظيفتها ، ويبرز فاعليتها ، وبغير هذه الاستدارة الشكلية تفقد العجلة وجودها ووظيفتها بل تصبح موضوعا آخر بوظيفة اخرى ، ووجودا آخر ؟!

هل في مقدورنا ان نفصل بين شكل الكرسي – اى كرسي – ووظيفته ؟ لعلنا لو غيرنا هذا الشكل المحدد ان تختفي كذلك وظيفة الكرسي ؟!



العجلة . الشكل والوجود .. !

لست اعنى الشكل بمعناه الجزئي وانما اقصد شكل الكرسي عامة » في تنوعاته المختلفة ووظيفته الاساسية ، سواء كان كرسيا حجريا في حديقة « او كرسيا من طراز لويس الرابع عشر في متحف او كرسيا للاعدام بالكهرباء في امريكا ..!

هناك شكل محدد دائما مهما تنوعت التفاصيل والانماط والطرز والوظائف . وهذا الشكل ليس اطارا خارجيا ، بل هو تنظيم وتنسيق وصياغة لعناصره المادية بحيث يخدم الهدف المنشود منه

ولهذا بغير هذا الشكل لا يمكن للشيء ان يحقق وظيفته ، بل ما اكثر ما يكون التغيير في شكل المادة تغييرا كذلك في موضوع المادة نفسها . فلو غيرنا شكل مادة الكرسي واعطيناها شكل المائدة مثلا لاختفى الكرسي كموضوع ، وتحققت منه وظيفة اخرى ، وبرز من مادته معنى جديد .. وهكذا

الصورة ليست اطارا ثابتا

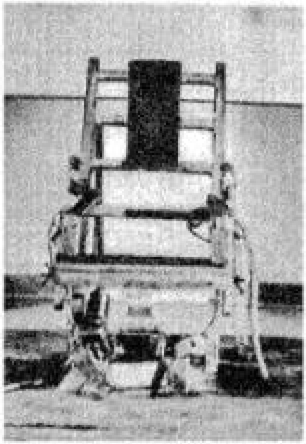
ولكن اليس في هذا الكلام رائحة ارسطالية ؟!

الا يستشعر فيه القارىء اثار نظرية ارسطو في الصورة ؟!

هذا صحيح الى حد ما ...

ان ارسطو يرى ان الصورة اهم علة من علل وجود الشيء . وارسطو يحدد عللا اربع للاشياء . علة مادية » وعلة فاعلية » وعلة غائية ، وعلة صورية . العلة المادية للتمثال هي المادة التي يصنع منها التمثال كالحجر او الرخام والصلصال .. والعلة الفاعلة هي الفنان الذي يقوم هي الغاية او الهدف الذي يتم من على صياغة التمثال . والعلة الغائية هي الغاية او الهدف الذي يتم من اجله صياغة التمثال ، والعلة الصورية هي الصورة التي يصاغ او يتشكل بها التمثال . وتكاد هذه العلة الاخيرة ان تكون اهم العلل عند ارسطو . وهو يربط بينها وبين العلة السابقة عليها اى العلة الغائية » فصورة الشيء عنده مرتبطة بالغاية منه

ولعل في كلام ارسطو انكارا لقيمة المادة نفسها ، وتهوينا من شأنها ، ولعل في كلامه كذلك عدم ادراك لعلاقة التفاعل بين المادة



الكرسي الكهربائي :
الوحدة مع التنوع .. !

والصورة ، ومثالاً في ادراك الصورة باعتبارها العامل الاهم الذى به يتخلق الشيء وينتقل بمادته من حالة الامكانية الى حالة الفعل والتحقق

ولكن في احتفال ارسطو بالصورة جانبا كبيرا من الحقيقة ! ان صورة الشيء — ليست مجرد اطار خارجي للشيء ، وانما هي عملية مرتبطة بوظيفة الشيء نفسه ، بل بوجوده كذلك !

والامثلة على هذا كثيرة للغاية ، ولكن انتشر هذه الامثلة وارتقاها سنجدها دائما في الاعمال الادبية والفنية

ان الصورة او الشكل او الصياغة في الاعمال الادبية والفنية ، تكاد تكون جوهر ما يكون به الادب أدبا والفن فنا

ان الموضوعات الادبية والفنية مبذولة في حياة الناس وتجاربهم ، في واقعهم النفسي والاجتماعي والطبيعي على السواء. والقضية هي ان تتحول هذه الموضوعات من موضوعات لها شكل الحياة والطبيعة الى موضوعات لها شكل الادب والفن

ونهذا القضية التشكيل والصياغة هي كما ذكرت جوهر الادب والفن . ليس في هذا انتقالا على موضوع ، أو نمطا من مضمون كما سنعرض لهذا بعد قليل ،

انما هو تحديد لوجود الادب والفن بارتباطه بشكل او صورة او صياغة ..

ما ابسط ان نلتقي في طريق الحياة ، بالموضوع المبذول في سخاء . كيف يصاغ هذا الموضوع مسرحية ، او قصة او رواية ، او سوناتا او قصيدة !! هنا تدخل ارادة التشكيل ، ارادة الصياغة ، لاعادة بناء هذا الموضوع الخام بحيث ينتسب الى الادب او الفن . وبعض النقاد يعرفون الفن بانه ارادة تشكيل او ارادة صياغة . وهذا صحيح الى حد كبير

على ان المهم ان ندرك الصياغة او الصورة او الشكل بالمعنى الذى اشرنا اليه ، لا باعتباره مجرد اطار ثابت أو تضاريس خارجية لعمل من الاعمال ، وانما باعتباره عملية مرتبطة بوظيفة العمل نفسه ، بمادة وجوده

تداخل الصورة والمضمون

ولعل الموسيقى ان تكون ارقى تجسيد لهذا المعنى الذى أريد التعبير عنه

فالموسيقى هي اكثر الفنون تجريدا واشدها تعلقا بالصور والاشكال المطلقة .. انها ليست — كما يقال — فنا اشاريا اى يشير الى شيء محدد . أو تمثيليا يمثل شيئا حسيا بما يموج به الواقع الخارجي ، شأن فن الرسم او الادب مثلا . فنحن في القصيدة أو المسرحية او القصة نقرأ الكلمة التي نستخدمها في الحياة العادية ، ونفهمها بذات المعنى تقريبا ، ونحن في اللوحة نبصر بالحديقة التي نبصرها في الواقع كذلك . حقا ان الكلمة في الادب تختلف ايقاعا وايحاء وجمالا ودلالة من الكلمة العادية وكذلك الحديقة في اللوحة تختلف عن الحديقة التي نبصرها في الواقع انها خلق جديد ، ولكننا على اى حال نواجه في الرسم عناصر من الواقع المباشر مهما كانت طبيعة المعالجة الادبية والفنية لهذه العناصر

اما في الموسيقى فان الصوت يتحول الى علاقات لا شأن لها بواقع التجربة المباشرة للصوت . ان الموسيقى تلغي تجريديا بالنغم ، فهي علاقات شكلية بين الاصوات وتنويع وتنمية لها وارتفاع بها الى مستوى

رائع من البناء التجريدي . ان المعمار الشكلي للقطعة الموسيقية هوحياتها ،وهو وجودها ،ومن هذا المعمار الشكلي وحده تنبع كل أسرارها الجمالية ، كما ينبع مضمونها الخاص كذلك . ولا شك ان التشكيل النغمي هنا ليس وعاء او اطارا خارجيا ،وانما هو جوهر الموضوع المعالج

ان التشكيل هنا هو الفكرة ، هو المضمون في العمل الفني كله

ومن هذه القمة المجردة من التشكيل الصرف ترتفع الموسيقى الى ارقى مستوى بين الفنون جميعا ، كما ترتفع الرياضة كذلك — فهي قمة اخرى من قمم التجريد الشكلي — الى ارقى مستوى بين العلوم

هل معنى هذا انني اقول ان الموسيقى معزولة تماما من تجربة الواقع الانسانية لا بالطبع . فمهما بلغت الموسيقى او الرياضة حدا فائقا من التجريد ، فهي بغير شك تعبير عن خبرة بشرية وثمرة لهذه الخبرة كذلك . انها اعلاقمم لهذه الخبرة بلغة خاصة . ولكنها كذلك بغير شك ارتفاع فوق هذه الخبرة المباشرة ، وبناء قوام ذاتي خاص ، يرتبط حقا بالواقع والخبرة الحية ، يؤثر فيها ويتأثر بها ، ولكنه يتميز عنها !

تميز الصورة عن المضمون

هل معنى هذا كذلك انني لا افصل في داخل العمل الفني بين مادته وشكله، بين مضمونه وصياغته ، بين موضوعه وصورته . لست افصل بينهما في الاعمال الجيدة ، وانما اميز بينها فحسب وفارق بين الفصل والتمييز

ولكننا في بعض الاعمال الفنية او الادبية قد يفرض علينا هذا الفصل فرضا ، نتيجة لركاكتها . في هذه الحالة نحس بالتجانف لا التآلف بين عناصر العمل الفني او الادبي ، ونكاد نستشعر بالموضوع خاليا من التشكيل الفني او الادبي ، او



تولستوي : تفكك البناء الفني .. !

تستشعر بالشكل ضاغطا على موضوعه او يكاد يضيق به

ويختلف حظ الاعمال الادبية — حتى العظيمة منها — من هذا التآلف او التجانف بين صورة العمل ومضمونه . فلا شك ان رواية **الحرب والسلام** مثلا لتولستوى تعد من اعظم الملاحم النثرية الانسانية . ورغم هذا فبعض النقاد يرى انه عمل يفتقد الى الصياغة السليمة والوحدة الفنية ، فما اكثر الموضوعات الفرعية التى تتداخل مع الموضوعات الرئيسية ، وتكاد تطمسها . وما اكثر الاستطرادات والخطب والتعليقات التى تتخذ طابعا مستقلا الى قلب الرواية .. حقا ، ما اروعها وابدعها ، ولكن ما ابعدها عن سياق الرواية . ان عند هؤلاء النقاد روايتين لا رواية واحدة ، فضلا من مئات الفصول والذيول فى بنائها العام

***

ونجد على الطرف الآخر روايات فلوبير وديكنز وفرانز كافكا امثلة على دقة المعمار الفنى فى بناء الرواية وخاصة الاخير . فتعد رواياته الثلاث مثلا فذا ومدرسة لانظير لها فى الوحدة والتماسك والدقة الشكلية

ولو تأملنا لوحة « جيرنيكا » للرسام بيكاسو لصدمنا فى البداية بما يتناثر على سطحها من عناصر ممزقة ، غير مترابطة ثم لاخذنا بعد ذلك كل بشتات الموضوع ، ونتبين ان هذا التمزق وعدم الترابط نفسه ، انما هو شكل من اشكال التعبير عن الموضوع الفاجع الذى تضمنته اللوحة . انها تعبر عن اسبانيا المناضلة ، اسبانيا الجريحة ، اسبانيا التى تشتعل فيها النار ، اسبانيا التى تقاوم وتصمد وتئن وتتفاءل بالغد . واللوحة تعبر بطريقة درامية عن هذا كله ، البيت المشتعل ، النار ، الاستغاثة ، الاستشهاد ، اليد الممتدة ، شعلة الصمود والتفاؤل . ولعل هذه العناصر المبعثرة وعدم الترابط ، هذا التشكيل المفكك ، هو التشكيل الملائم لهذا الموضوع . لست اقدم تقييما لهذه اللوحة هنا . فمع تقديرى وتذوقى لها ، اكاد اتخيل تشكيلا آخر للموضوع نفسه اكثر تعبيرا واعمق دلالة واشد عطاء للناس . على ان المهم ان شكل هذه اللوحة ، بناء عناصرها ، هندستها العامة ، هى جزء من مضمونها نفسه . وما اكثر نقاد الفن الذين يعتبرونها نموذجا لحسن الملاءمة بين الشكل والموضوع

وهكذا ان الشكل فالصورة والصياغة لاتنفصل عن الموضوع او المضمون ، فى الاعمال الجيدة ، ولكنها حتى فى هذه الاعمال يمكن ان تتمايز بحيث يمكن دراسة العلاقة بينها وبين الموضوع ، مدى الملاءمة والتماسك

فصل الصورة عن المضمون

ولكن من الممكن ان يتم الفصل بينهما لو اعتبر الشكل او الصورة او الصياغة مجرد اطار او وعاء او تضاريس خارجية

وعندما يقوم بعض النقاد بالفصل بين الشكل المضمون حتى فى الاعمال الجيدة ، فذلك لانهم فى الحقيقة يعالجون الشكل من هذه الزاوية الضيقة ، يقفون عند الصورة الخارجية للعمل الادبى او الفنى عند بعض مظاهره الجمالية الخالصة ولا يستطيعون الغوص فيه ، واكتشاف الرابطة الوثيقة الحية النامية بين شكله ومضمونه

وهناك من النقاد او علماء الجمال — مثل بنيديتو كروتشى بوجه خاص ، من يصلون الى النتيجة نفسها ولكن عن طريق آخر هو التوحيد المطلق بين الشكل والمضمون . وباسم هذا التوحيد والامتزاج ، يتم الغاء المضمون اساسا سواء كان مضمونا اخلاقيا او اجتماعيا او فكريا ، ويصبح العمل الادبى او الفنى مجرد علاقات شكلية جمالية خالصة كذلك

صعوبة المعمار الداخلى

وقد يكون من الميسور حقا ان نرسم لوحة تفصيلية دقيقة لمعمار بناء غرامة او بيت او حتى مصنع الخ .. المداخل والمخارج ، والمسالك الفرعية ، والابنية المختلفة والعلاقة بين العناصر المختلفة والشكل العام والوظيفة الكلية . وقد يكون من الميسور كذلك ان نرسم لوحة مشابهة

كذلك اشبه بساطة المعمار الخارجي لقصيدة او رواية او مسرحية او سيمفونية او سوناتا . فنرسم مثلا تشكيل السوناتا موضوع رئيسي ، وتمهية لهذا الموضوع . وتفريعات عليه ، وتلخيص له وتذييل اخير عليه .. ونرسم السيمفونية في حركاتها الاربع ، حركتها الاولى ذات شكل السوناتا وحركتها الثانية الهادئة والثالثة السريعة والرابعة الختامية . وقد نحدد للقصيدة بحرها الخاص ؛ وقافيتها المعينة وزخارفها اللغوية كما نتابع المسرحية منذ ان تبدا فتطرح موضوعها ثم تأزم هذا الموضوع وتعقده في فصلها الثاني ثم تحل الازمة في فصلها الاخير . وهكذا

ما أسهل مثل هذا التحليل الخارجي للأعمال الادبية والفنية . ولكنه في الحقيقة تحليل لا يتعرض لما اعنيه بالشكل او الصورة أو الصياغة للعمل الادبي او الفني . ان هذه الاشكال التي ذكرناها عن السوناتا او السيمفونية أو المسرحية أو القصيدة هي بالفعل الملامح او التضاريس الخارجية للعمل الادبي او الفني ، أما الشكل الحقيقي لها فهو عملية البناء الداخلي ، هو منهج تنمية الفكر والموضوع والمضمون هو المعمار الداخلي للعمل الادبي او الفني

ان الادب والفن لا يتشكل ادبا وفنا بالبحور والقوافي والحركات الاربع . وما شابه ذلك من اشكال خارجية في بناء الادب والفن

القصيدة العربية التقليدية مثلا منذ امرىء القيس حتى محمود حسن اسماعيل ما تزال كما هي من حيث الوزن واطراد القوافي ، وفخامة التعبير . هل وحدة الشكل العمودي — كما يقال — تطمس التطور الخطير في المعمار الداخلي لهذه القصيدة . لن ابحث عن التطور في الاشكال الاخرى من موشحات ، او قصائد ذات تفعيلة واحدة او ذات قواف متنوعة او متراوحة او منعدمة ، وانما في هذه القصيدة العمودية نفسها .. ما اخطر التطور بالفعل في معمارها الداخلي .. ماهو ؟! هل هو التخلي عن البدء ببكاء الاطلال او بالتشبيب ، هل هي وحدة الموضوع هل هي الوحدة العضوية للقصيدة بدلا من وحدة البيت .. هل هي منهج النظم الداخلي لا للجملة او البيت — بحسب منهج الجرجاني — وانما للقصيد كلها .. هل هي طريقة بناء الصور الشعرية ، هل هي القدرة على التعبير عن خفايا التجربة الوجدانية بطريقة ملموسة هل هو النسيج اللغوي ، وارتباطه بطبيعة التجربة الحية ، ام هو هذا كله الا قد نستطيع ان نميز قصيدة لابي العلاء وصوره الشعرية عامة بغلبة الطابع العقلي المنطقي ، قد نميز صور ابن الرومي بغلبة الطابع الحسي وقد نميز صور ابي تمام بغلبة الطابع الزخرفي وقد نميز صور محمود حسن اسماعيل بغلبة الخيال المسرف . ولكن حتى هذه الاحكام العامة انما هي من قبيل التصوير من الخارج كيف يبني ابو العلاء صورته العقلية ، وابو تمام صورته الزخرفية وابن الرومي صورته الحسية ومحمود حسن اسماعيل صورته المسرفة في الخيال ؟! وما العلاقة بين عملية البناء هذه والمضمون العام لفلسفة كل منهم ؟!

هل نعتبر لزوم مالا يلزم في شعر ابي العلاء المعري مجرد شكل خارجي لعمله الشعري ، وثمرة لثقافته اللغوية المتليفة ، ام نجد فيه تعبيرا عن حياته وفلسفته التزمته مجرد زخرف لغوي خارجي ؟!

الاثارة الداخلية

الشكل والصورة والصياغة الفنية او الادبية ، ليست مجرد ملامح خارجية ، وانما هي عملية داخلية نشطة في قلب العمل الادبي او الفني نفسه ، عملية اثارة داخلية — لو صح التعبير — وهي بغير شك عملية تابعة للموضوع ، نابعة من المضمون ، خادمة لهما اساسا

وليس يقلل هذا بحال من شأنها . فاذا كانت الصورة او الصياغة او الشكل نابعة من المضمون ، فهي في الوقت نفسه سبيله للابانة والوضوح والتجسد والتطوير . وفضلا عن هذا فلا شك ان لها قيمة ذاتية مستقلة خاصة كذلك . حقا انها تنبع من المضمون وتخدمه ، ولكنها تتميز عنه ، كما ذكرنا من قبل



بيكاسو : الشكل والدراما

ويكون لها منطقها الخاص ولا يعني هـذا أن تصبح لها حياتها المنفصلة تماما وانما هي كيان متميز يمكن بالوعي بها ودراستها والتمكن منها وشحذها ، ان تصبح أداة ميسرة لمزيد من التعمق في باطن التجربة البشرية ، ولاعادة صياغتها على مستوى ارفع وانضج . وهكذا تنبع الصورة او الشكل او الصياغة من المضمون لتعود بدورها لتغذي هـذا المضمون بل لتكتشفه أحيانا . وما أكثر الوسائل الصورية والشكلية التي كشفت للانسان عن أسرار جديدة في تجربته الحية

ان الادب والفن وهو بسبيل تجديد مضامينه وموضوعاته وتجاربه يجدد كذلك أشكاله وصوره وصياغاته وبتطور هذه الوسائل التشكيلية وبتجددها ، يتحقق للادب والفن رؤيا افسح واشمل للواقع ووسيلة اعمق وأخصب للتعبير عن تجاربه ، مما يتيح كذلك مزيدا من التجدد للوسائل التشكيلية نفسها ، وهكذا الى غير حد

معمار الرواية العربية

بهذه الاسس العامة نسعى الى تحليل الرواية العربية

كيف يبني الاديب العربي روايته .. كيف تطور معمار هذا البناء مع تطور مضمون الرواية . ومدى التفاعل والتلاحم بين شكل الرواية ومضمونها . ما هي المدارس المختلفة في فن بناء الرواية العربية . وما هي خصائصها ؟!

وستفضي بنا هذه الاسئلة الادبية بالضرورة الى العديد من القضايا والمشاكل التفصيلية مثل مشكلة اللغة وارتباطها بالبناء العام ، اساليب السرد المختلفة منهج بناء الاحداث والاشخاص والانماط والمواقف والصور والافكار والبيئات المختلفة المكانية والتاريخية والاجتماعية .. الخ . الخ .

وبهذا تصبح محاولة لاعادة تأريخ الرواية العربية من ناحية معمارها الفني اساسا ، دون اغفال - كما بينا من قبل للعلاقة بين هذا المعمار الفني والمضمون العام للرواية العربية في تطورها

ولن تقتصر المحاولة على الرواية العربية في مصر بل ستحرص على متابعة الرواية العربية في الوطن العربي كله ، ولن تتخذ المحاولة منهج الانتقال من البسيط الى المركب ، فتستهل برواية زينب لهيكل مثلا ، وتتابع التأليف الروائي حتى اليوم ، بل ستتخذ منهجا عكسيا ، فتبدأ من حيث انتهت الرواية العربية في ارقى صورها عند نجيب محفوظ


فتاة من زجاج

فتاة من زجاج

كانت المدينة محاطة بسلسلة عالية من الجبال وكانت منازلها تمتد بجذورها الى اعماق الصخر ، وكانت تطل على ندرقة مائية تلتقي فيهما بحيرتان ، ويتدفق فيهما تيار من الماء ، يهدد المدينة بالفيضان والغرق مرتين كل عام

ورغم ذلك كان الصيف يحرقها بالجفاف وكان الشتاء يهاجمها بالعواصف الثلجية ، والربيع بالصواعق الباردة المفاجئة ، ولو لم تكن تلك القنطرة الحجرية اهم نقطة تجاه شمال المدينة لما وجد في مثل هذا المكان وفي هذه الظروف مثل هـــذه المدينة الصغيرة التي لم يكن يسهل على اي انسان ان يعيش فيها . ان الضرورة والرغبة في الكسب هي التي اوجدتها ومع ذلك لم تظللها الظروف الملائمة ولا التطور العمراني الطبيعي . فليس فيها شيمة آمنة ، ولا مكان هادىء ، ولا يمر عام يقال

(١) مترجمة من الصربو – كرواتية بتصريح خاص من المؤلف

عنه عام سعيد .. ، ومنذ ان وجدت هذه المدينة لم تتمتع الثروة فيها بالهدوء وسهولة البحث ، ورغم انها كانت بعيدة المنال فانهم كانوا يكتسبون وكانت الثروة تبرحهم في غالب الاحيان وخاصة في سنوات القحط والجفاف المتكررة

ان الافق المغلق والتربة الضيقة والمناخ الوحشي والسلب والنهب والحروب المستمرة رسمت على وجوه الاطفال منظر المدينة ، فلاأنضج الفتى وتزوج وانجب الاولاد وبلغ الخامسة والعشرين اصبح غير قادر على العيشة في المدينة فتراه داكن اللون منحنى القامة مكفهر المزاج ، رهيب الصمت قلق النفس ينظر نظرات حادة براقة ، ويهرم هكذا مبكرا وقد يمتد حزنه الى ان يكتمل الخمسين او اكثر ، فيظل على هذا الحال الى أن يعجز ويصير مقتطر الظهر شديد الانحناء .. انهم لا يعرفون للسرور والغبطة سبيلا .. فالفرحة الحياة الحية تبدو كقوة خارقة او زلزال من السماء ينزل عليهم

وكانت الحياة القاسية والكفاح المستميت يترك اليهم شيئا من الانسانية يحولونه الى شعائر دينية في شكل عقيدة مألوفة وايمان فارغ يدفعهم الى التضامن والتسامح والرخاوة في بعض الاحيان .

هكذا يولدون ويتزوجون ويكتنزون ويعمرون طويلا في شقاء وصمت .

لكن الغرام عرف طريقه الى المدينة ذات مرة حينما احبته الفتاة « رافقة » الشاب « لندك » ، وهو من اسرة كرواتية عريقة ، تربى في فيينا ، وكان سلاحها سلاح الفرسان ، ثم اضطر الى ترك الخدمة بسبب مخاطراته العديدة ، وبعض المحن المالية ، واقام في البوسنة مستفيدا بعلاقاته الطيبة ومعرفته اللغات حيث عين كومندانا للغابات في المدينة

اما « رفقة » فكانت ابنة يهودي عجوز جاء من سراييفو منذ عشر سنوات ، وكان فقيرا يبيع الزجاج ، ولكنه اثرى فاصبح اكبر مالك للعقارات بالمدينة

ولم تكن رفقة قد بلغت بعد السادسة عشرة . وكانت لا تستطيع ان تمر بساحة السوق دون ان تثير الضوضاء مهما

حاولت التحكم فى سيرها فكل شىء فيها يهتز ويرقص من شعر وصدر وفستان، وكان صبية البدالين اذا رأوها يرفعون رءوسهم ، ويتركون العمل ، ويصيحون ويتهامسون

أما «دانلو» الجزار فكان يصيح ويمزق باسنانه قطعة من العظم من عنق عارى من اللحم . واما الزبائن الذى كانوا يأكلون كبدة مشوية بجواره فكانوا يمدون له قطعة من الكبدة .. ثم يتغامزون ويضحكون

وكان مراد «بكداش» منهمكا جلدا وعظما لا يلاحقها الا بعينيه فى شلل وفى صمت بجوار المقهى

— آه يالها من فتاة من زجاج ..

لابد انها بنت بائع الزجاج ارسلها والدها الى « سرايفو » لتتعلم فى المدرسة ، ياترى متى تقابلت مع « لدنك » لاول مرة ، وماذا كانا يقولان ؟

ان الاحباب انفسهم ينسون ما قالوا .. كتب اليها يقول « يانجمة حياتى » ودعاها ترتب له موعدا للقاء فى مجمع الليل حيث ينام الناس ويهمد حب استطلاعهم الغبى

واجابته لماذا تسمينى « نجمة حياتك» يا «شمس حياتى» ؟ وقالت له ان حبها لايعرف الفرق بين الليل والنهار وارسلت اليه وردة يانعة . واما هو فارسل اليها لباسا مزركشا

وتعود « لدنك » ان يتنزه امام منزلها فكانت لا تتزحزح من الشباك . ولاحظ اهل المدينة ذلك ، وبدأوا يتكلمون اما « بابو » اليهودى العجوز فكان يتشاور مع زوجته ، حتى لا يزداد لغط الناس

وكانا يتشاوران مع اقاربها ويخوضان المحادثات حول الميراث ، ومؤخر الصداق لانهما يريدان أن يزوجا ابنتيهما من معلم يهودى فى مدينة « بلينيا » ، ولكن



وشية الناس كانت تزداد واليهود يطنون كالنحل ، واخوات « رفقة » يميلون الى تهديدها ، وبينما الناس يتحدثون في السوق كان اهلها قد سجنوها .. في المنزل ، ولم يعد احد يراهما سويا ، لكنهما ظلا يتبادلان الخطابات ويتراءيان من بعيد .

كان الوقت في الربيع ، وبعد يوم عطير يظل كثير من بخار الماء في الهواء ، وكان التنفس صعبا ، كانت المدينة تتوهج ، وتحدث بريقا بين قمم الجبال العالية وحديقة البرقوق ، وكانت الاشجار تزداد خضرة وتصحو وتنتشر وتلمع اوراقها في بريق اشعة الشمس التي تبقى لمدة قصيرة عند المساء . واخذ « لدنك » يجول وينظر تجاه الجبل جانب القنطرة الحجرية اما « رفقة » فكانت بين سور الحديقة في البيت يفصلها النهر ؛ وكان « لدنك » في جهة الظل اما هي فكانت تقف ناحية الشمس لبرهة قصيرة قبيل المساء

لحينما يفرقهما الظلام ، تذهب الى حجرة مظلمة ، وتعض اصابعها ، وتجلس فوق الكنبة وتنظر في الاشياء وهي تزداد ظلاما من حولها

فكانت تظن انه من المستحيل ان تزدحم كل هذه الاشياء امامها ، وتعتقد ان « لدنك » قريب منها ، وان شيئا ما لن يحدث . تريد أن تكتب له ، ولكنها عندما تصل الى كلمة « ياعزيزي » التي تتلاعب اسفل حلقها تسع صدرها ، وينقلص زفيرها ، وينقطع ، وتعاود أمها الدخول في الحجرة ، وتلومها لانها تستهلك الكهرباء والنور دون فائدة ، وتدفعها الى النوم

وكان « لدنك » لا يعرف كيف يتصرف في ذلك الحين .. وماذا يفعل في ساعات الليل الطويلة . اخذ خطابا وكتب الى صديق له في فرقة الجيش « باردنجاز[1] »

صديقي العزيز

اكتب لك عن وظيفتي الجديدة ، وعن الموظفين الذين اضطررت ان اعمل معهم ، وعن تلك الغابات التي حكم على ان احطم نفسي فيها ، واكرر لك للمرة الثانية لقد انزلت بي عقوبة قاسية لكن لا تخف يا صديقي فانني لم استسلم لليأس رغم انني وصلت الى حالته

كل ماكتبته لك عن هؤلاء المواطنين ليس مجرد انطباع ولكنه يتأكد من يوم الى آخر بانني اعيش بين وحوش قذرة ليست متأخرة فقط بل في اعتقادي الراسخ انه لا يمكن ان تسهم المدنية ان كل مايملكونه من الثقافة والفهم لا يستغلونه الا لمجرد قمع اي محاولة للتمدين والتحضر . اما هؤلاء الذين يخيل الينا انهم يملكون قليلا من الروح المعنوية فانهم مطمورون ومدفونين في طبقات الارض السابعة . واذا اردت ان تخلق منهم تلك الشرارة من الفهم فلا بد لهم من الحديد والنار ، اما عن البؤس والقذارة ومطالب الحياة وقسوتها التي تحوطني فيكفي ما كتبت لك لن يتغير شيء الا الى اسوأ

وبالرغم من انني اعيش في هذه البيئة المتوحشة الا انني اجد شيئان يسليانني ويهدئان اعصابي . اولهما القنطرة الرومانية الضخمة القائمة على احدى عشر عمودا مزينة انها تشبه رجلا فاضلا منعزلا ، ارسله عالم بعيد منفيه الى هذه البيئة المتوحشة بين الحيوانات السيئة والمخلوقات السخيفة . فحينما تضيق نفسي في الزقاق : ارسل البصر الى هذه الاعمدة الضخمة ذات التكوين الرائع المزركش حتى تعودت على ذلك في المساء وحينئذ يتضح امامي كل ما فقدته وكل ما يحيطني . اما الشيء الاخر الذي يسليني فهو ان اصبت تلك « الفتاة » انها غريبة كالقنطرة الحجرية تماما ، انها ابنة تاجر غني من يهود اسبانيا في السابعة عشرة من عمرها ذات شعر ذهبي داكن وجلدها رقيق نظيف وعيناها رمادية سوداء بين بين

هل تتذكر زوجة الكابتن فون جرايزنيج؟ انها تشبهها الى حد ما : الا انها اقل منها بعشرين سنة ؛ واجمل منها مئة مرة وهي اكثر سذاجة منها الف مرة وباختصار اقول لك انها لقمة خبز للآلهة ان هذه العروس الاسبانية املي وسلوتي الوحيدة

انها من النساء النادرات اللاتى قل ان يوجد مثلهن بين نسوة هذه الايام .

انها تذهب الى احدى المدارس ويبدو لى انها واقعة فى شباك الغرام ، ويخيل الى انها تحبنى . انهم لا يتركونها تمشى وحدها : وعلى كل حال ، فلا يسمح هنا للنساء ان تختلط بالرجال ولكنناتتقابل فى عرض الشارع ونتبادلقليلا من كلمات الحب . انهم ينظرون الينا كشيطانين .

فاذا اقتربت من منزلها ، اسمع امها تقول « الشيش » بقسوة ، ورغم ذلك فاننا نتبادل الخطابات : وهذا هو كل شىء والعزاء : وسيختفى ذلك المخلوق الجميل ذو الشعر الذهبى الاصفر ولمس الايدى وهمس العيون ، وستبقى لى تلك القنطرة ذات الخطوط المتناسقة ... وهذا شىء السيد .

ان هذا هو حالى يا صديقى .. لقد اصبحت جحشا عاطفيا فى تلك الصحراء ولست ادرى ماذا سيكون من امرى بعد ذلك !

آه ياصديقى ... ارجوك ان تكتب الى بعد انقطاع ... على الاقل سوف ارى اشعة حياة العز والسعادة البعيدة



حتى الآن . فاذا استطعت ان تقرا خطاباتها فانك تلاحظ انها ترسم خطوطا عريضة من البراءة الاصيلة .

ان لى سكرتيرا خاصا وهو شاب حدث ويحمل لى الخطابات والرسائل ، ويقول ان غالبية المدينة تتحدث عن ذلك وان اليهود حانقين ساخطين على : وان اسرة الفتاة تسعى فى اسرع وقت لاتمام زواج الفتاة بالمعلم اليهودى ، ولكن ليأخذهم الشيطان : وليزوجوا الفتاة .

ستختفى تلك الخطابات التى تأخذ على عقلى ، وتشع فى نفسى السلوى وحينما بدأ فصل الصيف : كانت الخطابات تنهال من مدينة « بيلينا » تعلن ان الاستعدادات قد بدات فى بيت المعلم اليهودى من اجل الزواج . وقررت « رفقة » ان تهرب الى حبيبها « لذلك » وان تغادر البيت للقائه عبر الحديقة اثناء الليل .

وكانا يتبادلان الحديث ، وهما يمشيان عبر السور : وكانت الايدى تتقارب فى انتفاضة ورعشة وصارا ينتهلان القبلات ... ثم غابامدة طويلة بين احضانالسور وقد ارتسمت علىوجهيهما تقلصاتحمراء

من المقعد الخشبي الذى كانا يتراخيان على سطحه .

ثم افترقا ، وفى الليلة التالية عاد « لدنك » ، وقفز السور العالى : ووراءه « رافقة » يقتحم السور » فاعترضت : وهى تصيح بصوت مكتوم : لا .. لا .. لا

وحينما حل على سريرها النائم ، وسقط من اعلى فوق فراشها « غابت من نفسها بين احضانه !

فى ليلة اخرى تقفز « لدنك » من السور وتلاحمت الايدى الممتدة فى عناق عميق .

ولكن « لدنك » عاد مرة اخرى : تهاجمه اخوها فى الحجرة ..

انه شاب قصير يلبس بنطلونا قصيرا وقميصا ممزقا ، واستطاع « لدنك » ان يفر . وصمدت « رفقة » فى تبجح : وصوب اخوها النيران بمسدسه فى الظلام مرتين .

ولما جاءت الليلة التالية كان « هابمو دومالو » وهنا اخوها يخوض معركة من المبرارات القانونية لاطلاق الرصاص ويتادى بمعاقبة « لدنك » وسجنه وسار يتوعده عند الحاكم

***

ـ يا « ليرفون لدنك » انني متأسف جدا اذ انني مرغم على افساد مغامرتك مع تلك اليهودية . فوالدها رجل ذو سطوة ، واليهود يهددون بالشكوى عند الحكومة : والفتاة كما يبدو تعانى حمى الحب ...

ـ عذلى ايها الرجل انك سوف تختفى على الاقل لعدة ايام . فسوف ارسلك مع فرقة الى مكان ما .

لكن « لدنك » اقنعه انه سيختفى طائعا ، وان عليه أن يبدى عجبه ودهشته من هؤلاء الذين يخلقون مأساة من لاشيء

وظلا يتضاحكان بصوت عالى مدة طويلة قائلين ان هذا لايدعوا الى العار او كلام الناس وودعا بعضهما وداعا قلبيا .

ورحل « لدنك » الى غابة ستيهوفو ، وعاش فى كوخ من الخشب ، وكتب الى صديقه بمدينة فينا .

صديقى العزيز « جار »
لثمانية ايام وانا فى هذه الغابة ، انني اذا كتبت لك من حالتى الأن فانني اعنى بذلك خلاصة التعاسة التى نشأت معى .

لقد فقدت اليهودية الجميلة والنظرة الحجرية الرائعة لقد نجحت وشاية اليهود ليحمل الشيطان يهود العالم الى جهنم اجمعين ليحمل هذه البقعة القذرة من الارض

وشاية ... شكوى عند الحاكم ... الكلام عند سور الحديقة .. ثم الحاكم الذى يرجونى ان اتراجع واتخلى عن الفتاة من اجل سمعة السلطة ، ومن اجل امنى الشخصى ويطلب منى القيام بالعمل فى تلك الغابة حتى تهدأ الامور فى تلك المدينة الكريهة .

انك لن تستطيع ان تتخيل حالتى فى هذه الفترة ... فليس لى الا ان الاحظ هنا الفلاحات وكلهن جميعا يشبهن الوحوش .

اما اليهودية الصغيرة فسوف يزوجونها بعد ان تسمن ثم تلد صغارا .. اثنين وثلاثا .. كان الله فى عونها !

واما انا فلابد ان ابقى هنا حتى فصل الخريف ويمكن ابادل احد الزملاء فى سراينيد ، وستبقى هذه الغابة الملونة تحت اشراق ... فليأخذنى الشيطان اذا كنت افهم شيئا فى هذه الوظيفة .

ارجوك ياصديقى العزيز ان تكتب الى حتى لا اصبح وحشا فى غابة !

***

بينما كانت « رفقة » ترقد فاقدة الوعى كانت تحس عبر الشيش المغلق والستائر الداكنة اشبه بالقيلولة الحمراء التى تتلاعب وتتوهج فى الخارج . وكانت الحجرات الارضية ذات الشبابيك السميكة والابواب الحديدية ترسل الى الحجرة ظلا سميكا ، وقد ازدحمت بالقساوسة والمفتش والفراش فاصبحت



تشبه الهيكل ، ولا تشبه مساكن الاحياء . لا يسمع وقع الاقدام ، ولكن الدنيا تهب مرة لم تهدأ تماما .

وحينما تشب « رفقة » لتأخذ ورقة كبيرة من اعلى الرف يهتز جسدها وبتلالا بريق جلدها ويتموج كتفهـا : وكانت تقطع بذلك شبه الظلام الذى يخيم على الحجرة . اما « هانا » الغجرية فكانت تحضر مسرعة من الغلامة وتغطيها .

ومنذ تلك الايام لم تستطع « رفقة » أن تفيق الى وعيها ، وكانت ترى مايدور حولها ، كالدكتور والممرضة ووالدتهـا تلاحظ كلام الطبيب : وتنطق بعض كلمات يخيل اليها انها فى حلم .

ولم تعد تفكـر فى ان ترسل خطابا الى « لدنك » ، ولا أن تثير الآلام نفسها امام الجميع . لقد كان ذلك مستحيلا فالحل الوحيد هو تلك الرعشة التى كانت تنتابها كل عشرة دقائق ، افـكانت تنتفض ، وهى تقرأ الخطابات ، لم تتلوى وتضع رجليها فوق الاخرى ، ويرتعش صدرها وتتحشرج حنجرتها ، وحينمـا تهدأ قليلا كان جسدها يهتز لمجرد التفكير فى حبيبها .

كيف لايدور بخلـدها ذكريات الحب وطيف « لدنك » يمر بخيـالها ، وهو يلبس بنطلونه الابيض لم تراه ، بعـد ذلك ، سرابا يهرب على طول الســور ولا يبقى لها سوى الرعشة والظلام الابدى الذى تقطر منه النار فوقها ، كانت تحاول أن تقف لكى تتخلص من الغشاء الضيق المظلم والنهوض من سريرها

ولكن « هانا » التى كانت تصاحبهـا فى سهر الليالى كانت تراقبها دائما من بعيد ، وكانت تدخل الحجرة متلصصة

وذات ليلة سمعت « رفقة » أحـد اخوتها ينزل من البيت قبيل الفجر ولم

يقفل الباب ثم ينتظر قليلا وبعدئذ يعاود النزول . وكانت « هانا » قد استسلمت للنوم » فزحفت « رفقة » من الحجرة ، ووقفت وتهضت مرتين وهي تعبر المنزل وتركت أبوابه الحجرة مفتوحة وتوقفت قليلا عند السور ، ثم اسرعت وانسابت على طول الشارع المنحدر ثم سقطت في الميدان .

كانت تهب ريح شرقية حاملة التراب والمهملات والقمامة في ناحية واحدة من الشارع ولم يكن الصبح قد انفسح بعد من الليل . ولكنها نهضت ؛ وقد دميت يدها ، وتوجهت على طول الخان الكبير جانب السلم الذى يصل الى نهر « دربنا » ثم وقفت على ركبتيها : وقذفت بنفسها مرة ثانية من اخر درجة من السلم في عجيج النهر ، وانتشر القميص حولها وكانت تتوقف تارة ثم يدفعها النهر تارة وسط تياره الجارف ومع آن الوقت

وهرع اليهود كالنمل : وبسرعة ذهبت اللجنة الطبية لفحص الجثة . وتم كل شيء بسرعة وهدوء ودفنوا الفتاة قرب المساء في عميق مدافن اليهود على مقربة من الطريق .

***

كان الوقت مايزال في الخريف ولكن تباشير الصيف بدأت وبدأ معه الجفاف وظهر ركب الاتراك يخرجون مع شيخهم الكبير يدعون الله ان ينزل المطر : وكان الشيخ يتسلق الجبل وخلفه الفلاحون مبللين بالعرق يذهبون الى المدافن ويصلون ولكن شموعهم كانت تسقط وتذوب قبل ان يكتمل حرقها .

وكانت الغابات تحترق في الجبال ، ولايوجد ريح . ولاظل بارد : وكان الدخان في الافق اسود قرب القاع وابيض عند

حياتهم قاسية ، وكفاحهم مستميت ، وفرحة الحياة تبدو فى

كان قبيل الفجر الا ان الكاتب « ليسكيتش » والمجنون هابلين قد شاهداها في اعلى السوق وكان يمران امام المحلات فأخذا يرويان انهما شاهدا « رفقة » شبه عريانة تجرى الى جهة ما.

ـ اعتقد ان الكابتن قد اكل وجبة سمينة بالامس ... اى والله ... انه تمتع بالاكل .

وكان المجنون « هومو » يرقص على رجل واحدة .

وجاء صبية البقالين يطقطقون بالسنتهم ويضحكون .

وعلموا ان الفتاة قد اختفت وفى الصباح وجدوا جثة تطفوا على البر وقد اشتبكت بجذور الشجر : وكانت الاسماك قد بدأت تأكل منها !

الافق حيث يتصل بكبد السماء . وكان الجميع يتمنون ان تبيض السما ولو بلون قرص العسل . واخذ الذباب والبعوض يهب ويهاجم محلات الجزارة وقطيع الماعز والاغنام وقنوات المياه

وصارت الماشية تنعق فى حظائرها ولاتستطيع الفرار من الذباب الذى يأكل الحيوانات وجفت الحشائش ولم تجد الماشية ماترعاه فوق سبل الجبل العارية

وهرع الناس الى المتاجر ومخازن الحبوب بلا جدوى ولم يتركهم الذباب ينامون بل تركهم ممزقين : يرتعشون فى الم .. يلعنون بعضهم بعضا وجفت المياه فى البحيرات .

واستدعى « ميلان جلاستشانين »

اللجنة واتهمهم ان احد اللذين هاجروا من الجسر قال ان المطر لن ينزل حتى يلقى بالغريقة مرة ثانية فى نهر « درينا » او يلقى عليها ستة كيلات من الماء على الاقل فى المقبرة التى تنام فيها .

وظلوا يتناقشون طويلا وهم يدخنون وينتظرون ان يمسى الليل وحينما اطفىء النور لحتهم تجمعوا ومع كل واحد منهم صبية يحملون البراميل الخشبية ويلعبون الى حنفية بكداش ليملؤا البراميل تدريجيا وقد جلسوا جانبها وسجائرهم تحترق فى آلظلام .

وملأ الناس آلبراميل : واكتشفوا بلرات الخشب التى تعلق عليها البراميل التى تمتلأ بالمياه وساروا يسحبون بارجلهم الحافية وحفر احدهم ارض السلاني بفأسه . حينما وصلوا الى المقابر . وبدأوا يصبون المياه حتى تبللت الارض المحترقة اليابسه وشبعت الارض حينما صب البرميل الخامس وبدأ الماء يفيض من المقبرة حتى تكونت بركة من الماء ثم صبوا البرميلين الاخرين وفروا على منازلهم .. وكان كل واحد منهم يضرب الارض برجليه ليزيل الوحل منها وظلوا واجمين لا ينطق واحد منهم بكلمة واحدة .

وحينما اصبح النهار ذهب حارس المدافن ، وما ان رأى الارض المحفورة المبللة حول القبر حتى اخذ يسب ويلعن : واستدعى « سنانيشو » كناس الطريق الزراعى اللذى اللذى كان يمر ومعه الفأس والباطة على كتفه واسلما الارض ودكاها بأرجلهم ثم جلسا متكئين على حجر القبر اللذى ما زال باردا من برودة الليل ، ببرد الليل واخرجا حافظة النقود ولفوها ببطء . واشعلا السجائر .

ـ هذا غباء . ماذا يفيد رش القبور بالماء وماذا يفعل الله بالاموات : ولكن

نظرهم كقوة خارقة .. أو زلزال هبط عليهم من السماء .. !

هذه ارادة الله وهاهو الجفاف باشقاء العالم .

ولو كنت اعرف ان هذا يساعد الناس لرششت وحفرت كل قبر حول المدينة .

ان هذه مزرعة ذرة حفروها رغم انها ليست من ارض المقبرة مع التى قد احضرت الحب من « بقايا فلاوح » ثم صفرا يصفقان ، وينظران الى السما : ويستأنفان الحديث عن الجفاف ،

ولم ينزل المطر . وكان الناس ينامون على الحشيش امام منازلهم والارض لا تريد ان تهدأ حتى فى اثناء الليل ، وكان الناس يفقدون وعيهم من قسوة التنفس ، وهم يمرون عبر المزارع . وكانت الدماء تنزف من انف الاطفال من شدة القيظ ولم يستطع ميلان جلاسينتشانين اللذى





كان يتقدم اولئك الذين صبوا الماء على مقبرة رفيقة ان ينـــام . وتقفل ابواب المنزل ولم يتجرا على فتح الشبابيك وكان جسده يتبلل بالعرق من وقت لاخر وتنتابه حمى باردة من وقت لاخر وكان يسمع سيل المياه وخريرها في المقبرة بصوت هادىء ويسرع ويقفز الى الباب ويسنده بجذع شجرة وكانت اللمبة تحرق الحائط قليلا وكانت فراشة حمراء تطير حول الزجـاج الملوث بالهباب .

— الى اين ذهبت الساحر؟ ؟

— لو لم تكن تلك اليهودية الحافية المبللة ؟

لم يحاول ان يصيد الفراشة ولكنه يرتعش وتزداد اصابعه ضخامة وترتعش قدماه من الفرح . ولكن الفراشة تهرب منه ويظل متدافع ورامحا بيديه حتى يقلب اللمبة وينكسر الزجاج وينطفىء الفتيل ويفقد وعيه في الظلام ويحملق في ارجاء الحجـرة ويتحسس بيده باحثا من البلطة ويجلس القرفصـاء بعينيه الواسعتين ويحاول ان يسمع شيئا لم يرتعش ويتـكىء بوجهه اتوق الحديد البارد

اما بيت يابو العجوز فكان مفتوحـا على مصرعيه وكل من فيه يستحم بالعرق ويختنق بالدموع ويحاول آن يتظـاهر بآلنوم امام الجميع

وأملا لذلك ، فكان يكتب الى صديقه في ستيبوهونو :سأقتل نفسي بالاجيراولاء لو كنت استطع المعيشـة في سيبيريا الغميمة القذرة لكان كل شيء على ما يرام حتى الخريف ولكنني اخشى ان لا استطيع أنني أنام طول اليوم في الظل : آحمى نفسي بأوراق من شجر الجوزمن ذلك البعوض الذى ينتشر في كل مكان حول شجر الصنوبر : وهذه الأشجار مستقيمة ككتل من الثلج تنزلق منهـا قطرات كبيرة من الصـمغ وتؤذيني واصوات الحشرات التى لا تنقطع والذى

الفلاحين التى تظهر من وقت الى آخر فى اماكن راحتهم

عطشان وفى جوفى لهيب .. أين الله .. أو فتاتى التى أحبها

وقبيل المساء علت الاصـــوات من المستنقع الجاف : وكأنهم الثعالب تعوى وكأنهما تنحر احدا فى الظلام : وانزعجت الكلاب ومع الاضطراب وانسياب العرق وتصبب الصمغ وازداد الضغط المستمر على مخ الانسان المنهك

ولم يتصور أحد مثل هذا الجفاف ابدا : واصاب الناس المرض عدا ميلان جابستن .وجن اثنان من الاكراد فارسلا الى سرايفو . فلا يوجد هناك حشيم ولا حشائش ولا قمح ولا شعير : وقد جف اللبن من البقر والماعز

ولم يكد ينتهى الصيف حتى انخفضت درجة الحرارةوهبت ريح باردة وانكشفت السماء وظهرت النجوم الكبيرة ليلا : واستوى النهار فى ضوء الخريف الساكن الذى احاط بالسوق وتحرك التجار فى الطريق والوسطاء بين القرى وفرح الباعة واشتد حزن المشترين

أما بابو بائع الزجاج العجوز فقد زوج بنتيه واحدة من سرايفو والثانية من دوجلســا وكلتاهما من بيت ارابوغنام واخذ الطنبور يدوى فى تلك المنازل المكتظ بالمدعوين .

واستطاع لذلك أن ينتقل الى سرايفو وأن يترك ستيهوفو بعد ان وهن جسده: وآسود وجهه واستطاع عند الحاكم ان يعرف جميع الأشياء من موت « رفقة » — المسكينة !

وكان كل منهم يدخن سيجاره وهناه الحاكم على تقدمه وتفوقه فى عمله فى سرايفو مبنى جميل — مبنى حكومى مجهز بالحمامات

سافر لذلك فى صباح اليوم التالى مبكرا : وظل حزينا قليلا على اليهودية.

وفى هذا الخريف كانت ابنة صانع الاحذية للفلاحين « يركو » قد ينعت وصارت باهرة اللون متوجة الشعر وعلى شفتيها آثار تفاحة الربيع البكر وأصبحت بيضاء ودقيق خصرها : والتوى حزامها . فكانت حينما تمر بالسوق يهمســـون ويتصايحون من جهتى الطريق

ومن قمة السوق كان « ارناوتين » الذى يشوى قطايفرمضان يضرب بيديه فوق الصينية : ويصيح هاص — هاص — القطائف ساخنة !

وكان البدالون ينـــادونه دكانا وراء دكان هاص — هاص —

أما « دانلو » الجزار فكان يصيح : ويقطع باسنانه قطعة من عنق عارى من اللحم . واما المشترون فكانت قطعة الكبد المشوى تقف عند حنجرتهم من الضحك وكانت الفتاة تضغط على صدرها كى لا يهتز ثدييها . ثم تمشى الهوينى وتتعثر خطاها وتنساب على الطريق : ويحمر وجهها

تعريف

الميزانية مشروع مدروس الغرض منه ازعاج الناس وتحميلهم الهموم بسبب انفاق ما معهم من النقود قبل انفاقها لا بعده !

الديون هى الاشياء الوحيدة التى لا يمكن ان يعتريها النقصان مهما بلغت من مراحل نموها !

عادل حسين

الصناعة الثقيلة

وبناء الاشتراكية

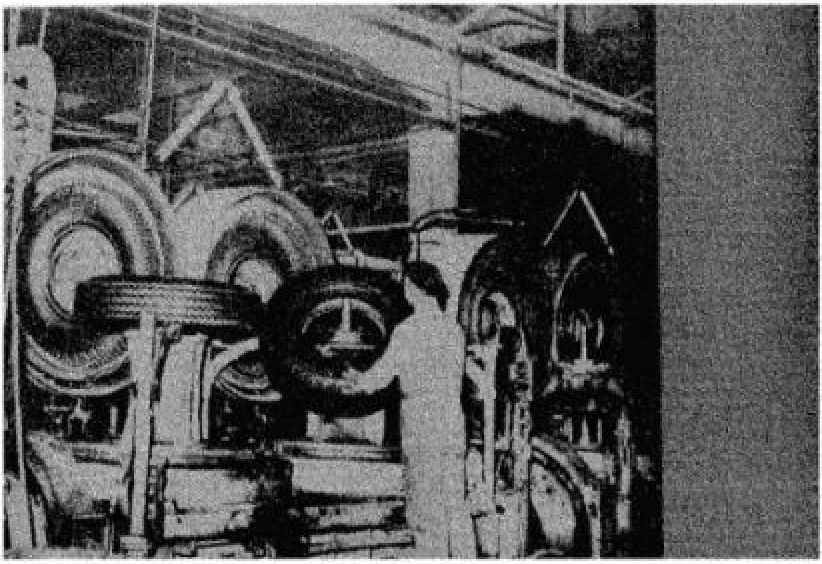
ان قضية الصناعة الثقيلة في الدول التي تبني اقتصادها في النصف الثاني من القرن العشرين هي المحك الحقيقي لجدية التصنيع الذي يتم

لقد تأخرت الدول الآسيوية .. الافريقية في مجال التصنيع كثيرا ، ولم يعد من الممكن ان تعبر تلك الفجوة المخيفة التي تفصلنا عن الدول المتطورة بالاساليب التدريجية ، ان اللحاق بهذه الدول لا يمكن ان يتم الا بقفزات ثورية جريئة .

ان كثيرين من اساتذة الاقتصاد الامريكيين ـ مثل و. روستو ، و. ارومست موراى بريس ، ايوجين ستالى ـ ينصحون الدول النامية بالتمهل ، وعدم استباق المراحل التى لا يمكن للتطور ان يتم الا من خلالها

ومعظم اساتذة الاقتصاد في بريطانيا وامريكا ـ مثل جوتفريد هابلر ، و جوردون ، آرثر براون ، وجون هيكس ـ يسمون الى انتاج العالم ، ودولنا النامية بالذات ، بالنظرية التى يسمونها نظرية « التكاليف المقارنة » ، ان هذه النظرية لا ترجع تقسيم العمل الدولى القائم حاليا الى طغيان السيطرة الاستعمارية التى قسمت العالم الى بلاد تعمل في الصناعات المتطورة ، وبلاد تعمل في انتاج المواد الخام ، وانما تريد نظرية هؤلاء الاساتذة تقول ان تقسيم العمل الدولى انما تم على اساس طبيعى من تكلفة الانتاج في كل بلد . واذا كان الامر كذلك ، فان الوضع الحالى ينبغى ان يستمر ، ويظل كل بلد متخصصا فيما هو اهل له تقليديا

والدول النامية ترفض هذه النظريات الاستعمارية كلها ، نحن لن نتطور عبر مئات السنين ، ومن الانتاج الصغير الى المتوسط الى الكبير ، وانما سنقفز الى الانتاج الكبير فورا .. والى احدث تكنيك وصله البشر في النصف الثانى من القرن العشرين . لن نتطور من خلال فترة طويلة من الصناعة الخفيفة والخدمات ننتقل



بمعنا – كما حدث فى التجارب الغربية – الى انشاء الصناعة الثقيلة ، وانما ستتجه مباشرة الى اقامة الصناعات الثقيلة

ونحن لن نبقى على تقسيم العمل الدولى الحالى ؛ وانما سنسحق هذا التقسيم الذى ورثناه من عهود السيطرة والاستغلال الاستعمارية ، ان تقسيم العمل مطلوب بين الدول ، ولم يعد ممكنا لاى دولة ان تقيم كافة الصناعات فى ارضها ، ان التطور الحديث فى الآلة يدفع الدول الى التخصص والتكامل . ولكننا نريده تخصصا يقوم على المساواة فى التطور التكنيكى ، وعلى اساس من الظروف الموضوعية للبلدان المختلفة . فمن المعقول مثلا أن تتخصص البلاد المنتجة للبترول فى صناعاته المختلفة ، من استخراجه الى تكريره الى نقله ، الى البتروكيماويات . وليس معقولا ابدا أن تتخصص هذه البلاد فى انتاج البترول الخام ، وتتخصص المانيا الاتحادية أو بريطانيا – مثلا – فى التكرير والبترو كيماويات كما يحدث حاليا

مشاكل التصنيع الثقيل

ولكن اذا كنا نتحدث عن ثورة صناعية جذرية فى الدول النامية ؛ فاننا فى الواقع نتحدث عن مهمة بالغة الصعوبة . فاقامة الصناعة الثقيلة تحتاج الى تراكم كبير من رأس المال (المحلى والاجنبى) ، وتحتاج الى اعداد كبيرة من الفنيين والاداريين المتخصصين ، وتحتاج الى الآلاف من العمال المهرة المدربين على العمل فى مثل هذه الصناعات ، والدول النامية فقيرة فى كل ذلك

ان بناء الصناعة الثقيلة ، واستخدام التكنيك الحديث ، هو السبيل الوحيد للتطور الاقتصادى المستقل ، فهو الذى سيصنع خاماتنا ، ويمد زراعتنا المتخلفة بالآلات والكيماويات ، ويضع الاساس للتطور المطرد فى صناعاتنا الاستهلاكية ،

ان الصناعة الثقيلة هي الاساس الاقتصادي للعلاقات الدولية ، التي نريد ان نفرضها على العالم ، والتي تقوم على التكامل والتكافؤ . وطالما ظلت الدول النامية تقوم على تركيب عضوي متخلف لرأس المال (يقاس بنسبة رأس المال الثابت اى الآلات والخامات ، الى المال المتغير اى الاجور) ، طالما ظلت تتميز بالتخلف الانتاجية فان التكامل الحقيقي لن يكون والتكافؤ في العلاقات الدولية بالتالي لن يكون كذلك

ان الصناعة الثقيلة في كل بلد نام هي قضية قومية تتعلق بمستقبل هذا البلد . واقامة هذه الصناعات — كما اشرت — يصطدم بمشاكل موضوعية فنية لا يمكن تجاهلها . وتعني هذه المشاكل اول ما تعني ؛ أن مثل هذه المشروعات ان تعتبر ناجحة لو اننا اخضعناها للمقارنات التعسفية مع المشروعات المقابلة في الدول المتطورة على اساس كفاءة رأس المال المستثمر (تحسب على اساس رأس المال المستثمر / الدخل المتحقق) . أن أي مقارنات من هذا القبيل ، واعتبارها مقياسا للنجاح والفشل تؤدي الى القول بأن اقامة هذه المشروعات في مثل بلادنا عملية غير مجزية ، وأننا ينبغي بالتالي ان نتركها للدول التي سبقتنا وتخصصت فيها ؛ ان البعض يقول ؛ بناء على مثل هذه الحسابات ، أن شراءنا لهذه السلع من الدول المتقدمة أوفر من انتاجها محليا ، وقد قيل هذا فعلا في مصر أيام الشروع في انشاء صناعة للحديد والصلب

نحن نعلم ان قدرتنا على توجيه مثل هذه الصناعات اداريا وفنيا لن يكون بنفس الكفاءة التي يتم بها هذا الامر في الدول الصناعية العريقة ، ستظل الى فترة تتعثر قبل ان تسيطر على هذا التكنيك الحديث وتشيده ؛ الا أن اهمية بناء هذا الاساس الوطيد للاقتصاد القومي لا تجعلنا نتردد امام أي تضحيات أو متاعب مؤقتة

ولكن هل هي مجرد مشاكل فنية ؟

الحقيقة ان العقبة الكبرى في وجه التصنيع ؛ انما تكمن في علاقات الانتاج التي تسود اغلب الدول النامية . فاغلب اقتصاديات هذه الدول تخضع للنظم الاستغلالية التي تشترك في السيطرة عليها المصالح الامبريالية والمصالح الرأسمالية والرجعية المحلية ، ومشكلة التراكم لايمكن ان تحل في ظل هذه القوى ، فهي لن تحل الا بالاستيلاء على ممتلكاتها وتوجيه فائضها للتنمية التي تحتاجها المصالح القومية . ان كثيرا من الدول النامية تصدر مايتراوح بين ١٠ و ١٢٪ سنويا من دخلها القومي الى الدول الامبريالية ، ولا شك ان استيلاء الدول النامية على هذه النسبة المنهوبة سيمكنها من عمل الكثير

ومفهوم طبعا ان الاستعمار لا يعوق التصنيع فقط من خلال هذا النهب ، وانما أيضا من خلال انواع مختلفة من الضغوط والعوائق يمنع بها أي قوى وطنية داخل هذه الدول من الاتجاه الى التنمية

ولكن ما موقف نفس هذه القوى الداخلية ، الرأسمالية مثلا ، من التصنيع الثقيل .

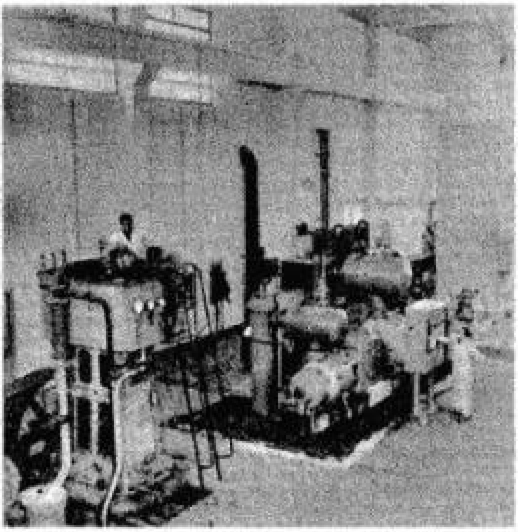
ان الرأسمالية المحلية ، في الدول التي كانت قد حققت قدرا من التطور الرأسمالي (كمصر والهند) لا تعطف على الاتجاه الجاد نحو الصناعات الثقيلة ، هي على وجه التحديد تخشى هذا الاتجاه وتقاومه واذا كانت مصالح الناس تحدد مواقفهم ؛ فان مواقف الرأسمالية في هذه البلاد منطقي تماما ويتفق مع مصالحهم كرأسماليين

ان رأس المال المستثمر لشركة الحديد والصلب المصرية ؛ مثلا ، بلغ ٤٧٫٣ مليون جنيه ، مع أن حجمها متواضع جدا ، بل ويقل من الحجم الاقتصادي المعقول (٣٠٠ الف طن) ؛ وشركة الصناعات الكيماوية (كيما) بلغ رأسمالها الاسمي ١٦ مليون جنيه (وبلغت تكاليف انشائها ٣٠٫٦ مليون جنيه ولايدخل في ذلك تكاليف كهربة خزان اسوان التي تقرب من ٣٠ مليون جنيه ايضا) . هذه امثلة متواضعة ولكنها تعطي صورة عن حجم الاستثمار الذي تتطلبه الصناعة الثقيلة ، الامر الذي يعني ان تمويل مثل هذه المشروعات عبء لا يحتمل بالنسبة لطاقة الرأسماليين الضعيفة في مثل هذه البلاد . ان استثمار الرأسماليين لاموالهم في مثل هذه المشروعات الكبيرة يعني مخاطرة كبيرة ؛ يعني انهم يخاطرون برأسمالهم كله أو معظمه في مشروع واحد قد ينجح وقد يفشل

ثم ان المخاطرة تزيد حين نتذكر ماقلناه الآن من انخفاض مستوى الخبرة فى مثل بلادنا . فاذا أضفنا ايضا حقيقة النقص فى الخدمات والذى يمكن ان نراه اثناء تنفيذ مشروع الحديد ، حيث لم تكن دراسات الخام متوفرة ، وحين توفرت الدراسة كانت اقامة المنجم تعنى اقامة عديد من المرافق المطلوبة فى مثل هذا المكان الذى لم تكن تصله الخدمات من قبل ، كان لابد من شق الطرق وتوصيل المياه والكهرباء واقامة المساكن الخ . وكانت احتياجات هذه الصناعة (الحديد والصلب ايضا) تعنى اعباء جديدة تضاف على قطاع النقل بالسكك الحديدية ؛ الامر الذى كان يفرض أن تقام استثمارات جديدة فى هذا القطاع ترتفع بكفاءته فى مواجهة الاحتياجات الجديدة ؛ وكان يعنى هذا انشاء اسطول ناصر النهرى لنقل الخام من اسوان الى حلوان .. من هم اولئك الافراد الذين يختارون مشروعا يثير تنفيذه كل هذه الاشكالات والتى لاتدخل تكلفتها فى حسابات المشروع الاصلى (٢٧ مليون جنيه) ؟

وحتى اذا تغاضينا عن ضخامة الاستثمار، ومن احتمالات الخسارة . فان مثل هذه المشروعات حتى لو كانت قادرة على تحقيق ربح فى مراحلها الاولى من الانتاج ، فانها بطبيعتها كمشروعات كبيرة ومعقدة لاتفرغ من مهام انشائها وتركيبها وتدخل فى مرحلة الانتاج قبل مضى سنوات عديدة تتفاوت طولا من مشروع الى مشروع (استغرقت عملية الانشاء فى الحديد والصلب مثلا حوالى خمس سنوات) ، فمن هو هذا الراسمالى الذى يقبل من طيب خاطر ان يجمد كل او معظم رأسماله طول هذه المدة بلا اى دخل او ربح ، فى حين انه يستفيد ان استثمر نفس المبلغ فى مشروع اخر من مشاريع الصناعة الخفيفة ، او فى مشروع تجارى فيضاعف رأسماله مرتين او ثلاثة خلال هذه المدة

ان نحن نحتاج الى صناعة ثقيلة .. اذا تحدثنا من زاوية مصدر المصلحة القومية ، والراسماليون لايحتاجونها ويقاومونها - حين يتحدثون من زاويتهم



صناعة معدات المصانع وحقيقة وضعها .. ؟

الضيقة ومصالحهم الشخصية ـ ومن هنا على الدولة الثورية ان تتدخل .

وتدخل الدولة فى الانتاج يعنى مزيدا من معارضة الرأسمالية ، لأنه يعنى أنها ستبدأ فى فرض نوع من الرقابة على الحياة الاقتصادية لا تطيقه ، وتدخل الدولة فى ميدان الانتاج يعنى ايضا مزيدا من أعبائها المالية التى لا يمكن ان تواجهها الا بان تضطر فى النهاية ، بشكل او باخر ، الى سحب بعض المدخرات من تحت يد القطاع الخاص كى تتولى استثمارها هى ، وهو امر ايضا لا يقابل بالارتياح والتشجيع من دوائر الرأسماليين

وهكذا يكون الامر : تصنيع وتصنيع ثقيل ، يعنى تدخل الدولة ، ويعنى تناقضا مع رأس المال الخاص الذى يعجز عن تحمل مشاكل التصنيع الجاد

وكلما زاد معدل التصنيع الجاد ، كلما زاد استثمار الدولة وتدخلها ، كلما زاد التناقض مع الرأسمالية ، ويظل الامر هكذا حتى يصل الى صدام حاد وحاسم بين القوى الثورية التى تسعى الى دفع التطور والاطاحة بأى مصالح انانية ، وبين القوى الرجعية التى تعترض الطريق . وان المعركة هنا هى فى حقيقتها معركة بين طريق الرأسمالية فى التطور وطريق الاشتراكية

وكما ان كلمة الثورة الصناعية كانت فى الماضى مرادفة لكلمة الثورة البورجوازية ، فان الثورة الصناعية تعنى لدى الدول النامية اليوم الثورة الاشتراكية

***

والحقيقة ان تاريخ الثورة المصرية منذ يوليو ١٩٥٢ حتى يوليو ١٩٦١ هو تاريخ النضال الباسل الذى اوصل شعبنا وقادته الى مواجهة الحل الاشتراكى الحتم

لقد وضعت فى جمهوريتنا ثلاث برامج للتصنيع ، وضع البرنامج الاول عام ١٩٥٧ على اساس مضاعفة مساهمة الصناعة فى الدخل القومى والتى كانت تبلغ فى نهاية ١٩٥٦ حوالى ١٠٠ مليون جنيه ، اى ١١٪ من الدخل القومى وقد اعتبرت الدوائر البورجوازية هذا البرنامج تدبير شؤم وعارضته ، والبرنامج كان حقا قفزة فى معدل الاستثمار ، ولكن كان اهتمامه الاساسى موجها للصناعات التحويلية الخفيفة

وفى عام ١٩٦٠ اعلن عن الخطة الخمسية الاولى ، وكان ضمنها البرنامج الصناعى الثانى ، والذى بلغ رأسماله ٤٣٢ مليون جنيه ، ان الخطة الخمسية الاولى خطة ثورية بلا نزاع ، سواء فى معدلات النمو التى تستهدفها ، او فى اتجاهات الاستثمار المحددة بها (بالذات شملت السد العالى)

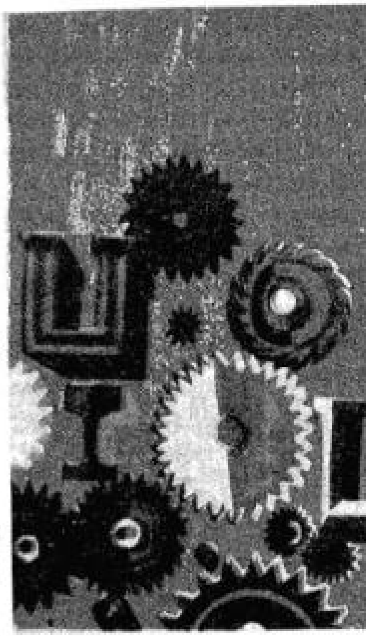
ان تخصيص ٤٣٢ مليون جنيه للاستثمار الصناعى يعنى قفزة فى معدل التنمية الصناعية فى مصر ، الا ان البرنامج لم يجعل الاولوية فى النمو للصناعة الثقيلة. لم تستأثر الصناعة الثقيلة بقسم من الاستثمار يمكنها من تغيير الهيكل الصناعى تغييرا جذريا .

ان الصناعات ذات الطابع الانتاجى ستزداد بنسبة كبيرة كما يبدو فى الرسم البيانى ، ولكن الزيادة رغم اهميتها لن تصل بنصيب هذه الصناعات من مجموع الانتاج الصناعى الا الى ٣٠٫٨٪

كان ممكنا ان نركز على الصناعات ذات الطابع الانتاجى ، اى الصناعات الثقيلة فى البرنامج الثانى الى درجة اعلى فان مستوى التقدم الفنى فى مصر ، والظروف السهلة نسبيا المحيطة بنا تمكننا من ذلك الا ان هذه الارقام قد وضعت قبل اجراءات يوليو ، وكانت الرأسمالية لا تزال صاحبة مصالح وصوت فى الحياة الاقتصادية . لقد بلغ الامر الى حد ان التصميمات التى كانت موضوعة للخطة العشرية فى ذلك الوقت ، كانت تعنى ان معدل النمو فى الدخل الصناعى هو :

١٩٦٠/٥٩	١٩٦٥/٦٤	١٩٧٠/٦٩
١٠٠	١٩٨	٢٩٣

وهذا يعنى انه بينما كان مستهدفا ان يزيد الدخل الصناعى فى السنوات الخمس الاولى ٩٨٪ من عام الاساس ، فان السنوات الخمس الثانية لن تحقق الا ٤٨٪ بالنسبة لعام الاساس (١٩٦٥/٦٤) . وهذا انحراف غريب ، فمن غير المعقول ان ينخفض معدل النمو الصناعى على هذا النحو ؛ بل الطبيعى ان نستفيد من انجازات الخطة الاولى فى احداث قفزة جديدة



نظرة سريعة للبرنامج الثالث

لاشك اننا ينبغى أن نؤجل اى تعليق متكامل على البرنامج الصناعى الثالث الى ما بعد ظهور الأرقام النهائية ، ولكن هذا الانتظار على اى حال لا يتعارض مع القاء نظرة سريعة على بعض الخطوط العامة التى أعلنتها وزارة الصناعة عن هذا البرنامج

لقد اعلنت الوزارة فى كتابها الصادر فى العيد الثانى عشر للثورة بعنوان **الثورة الصناعية فى ١٢ عاما** أن مشروعات البرنامج الثالث ستتكلف ١٠٠٠ مليون جنيه ؛ الا ان هذا الرقم لاينبغى ان يقارن برقم ٤٣١ مليون جنيه المقدر كاستثمارات للخطة الاولى ؛ فالاستثمارات لا تشمل راس المال العامل ، ولذا فرقم الالف مليون جنيه يقارن برقم ٨٠١٫٨ مليون جنيه التى هى تكاليف البرنامج الثانى للصناعة ؛ ويعنى هذا ان تكاليف البرنامج الثالث لا تزيد على تكاليف البرنامج الثانى الا ٢٥٪ فقط ، وهو امر يحتاج الى ايضاح .

والمفهوم كذلك ان الاستثمار الصناعى فى البرنامج الثانى سيخلق انتاجا تبلغ قيمته ٦٩٢ مليون جنيه ، اى سيزداد الانتاج الصناعى فى مصر نتيجة تنفيذ هذا البرنامج من ١٠٨٦٫٧ مليون جنيه الى ١٢٧٨٫٩ . بينما سيزيد الانتاج الصناعى بعد تنفيذ البرنامج الثالث ٦٧٠ مليون جنيه فقط ، اى أقل من الزيادة المحققة فى البرنامج الثانى ؛ اى ان الانتاج الصناعى سيزداد فى السنوات الخمس الاولى ٦٤ ٪ ، بينما يزداد فى السنوات الخمس الثانية بالنسبة لعام الاساس ٦٤ ١٩٦٥ فقط ٢٧ ٪

وفى الوقت الذى يخلق البرنامج الثانى فرصا للعمل امام ٢٢٢ الف عامل نجد ان البرنامج الثالث يستهدف زيادة العمالة ١٧٠ الف .

واذا كانت هذه هى الارقام العامة للبرنامج الثالث كما اعلنتها وزارة الصناعة ، فانه يحسن بالمسئولين أن يلقوا عليها بعض الاضواء حتى يفسروا لنا اسبابها ومعناها

ولكن لا شك ان اهم ما يلفت النظر فى ارقام البرنامج الثالث ، هو هذه الارقام الخاصة بصناعات الحديد والصلب ، ان مشروعات الحديد والصلب فى هذا البرنامج هى سد عالى جديد فى تاريخ تطورنا الاقتصادى . هذا هو الاساس الحقيقى لتطور الصناعة الثقيلة وصناعة الالات . ان الارقام المعلنة تقول انه سيقام مصنع صلب متكامل لانتاج ٣٠٠ الف طن سنويا ، على اساس استخدام خامات الحديد بأسوان واستغلال جزء من طاقة السد العالى ، وستبلغ استثمارات هذا المشروع ٣٣ مليون جنيه ، ويبلغ انتاجه ١٧٫٤ مليون

وتقول الارقام المعلنة ايضا ان الطاقة الانتاجية بشركة الحديد والصلب المصرية ستزداد من ٣٠٠ الف طن الى ١٫٥ مليون طن سنويا . وسيعتبر هذا المصنع مجمعا للصناعات المعدنية تشمل انتاج فحم الكوك والافران العالية وتشكيل الصلب ومنتجاته الاخرى ، وانتاج الصلب . ان تكاليف هذا المشروع الكبير تبلغ ٧٥٫٨ مليون جنيه ، منها ٦٨ مليون استثمار ، ويبلغ انتاجه ٥٢٫٨ مليون . ان التوسع فى حلوان سيقوم على اساس الخام

المكتشف فى البحرية ، والتى سيقوم فيها اكبر منجم فى مصر وتقدر تكاليفه الأولية (مع المرافق اللازمة والنقل) حوالى ٢٥ مليون جنيه .

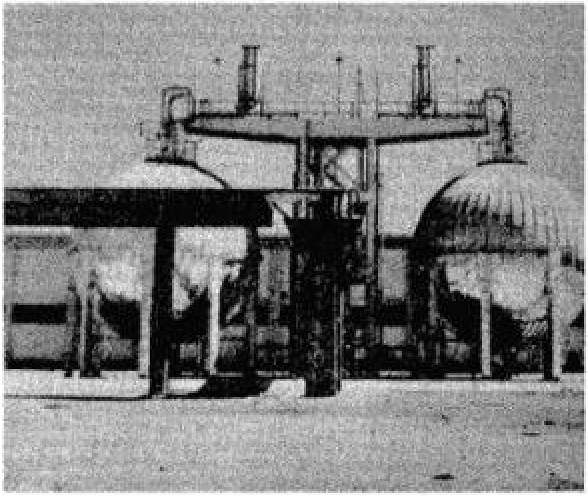
أى ان صناعة الحديد والصلب ستنال باستثمارات تزيد على ١٢٠ مليون جنيه ، ولكن اذا اردنا ان نقدر الثورة التى تعنيها هذه الارقام ، واذا اردنا ان نقدر التغير الهيكلى الذى تحدثه فلا علينا ان نضيف اليها الارقام الخاصة بالصناعات التى ستقوم على اساس هذا التوسع فى انتاج الحديد والصلب . ان ارقام الحديد والصلب فى البرنامج الثالث هى الارقام التى تشعرنا فعلا بمرحلة الانطلاق ومضمونها ، فبدون التحول الاشتراكى العظيم لم يكن ممكنا ان نحلم بمثل هذه الطفرة .

●●●

فقط بقيت نقطة فى موضوع الحديد لاينبغى ان ننساها ، فان هذا المشروع — تماما كالسد العالى — ليس فقط نموذجا على تفوق الاشتراكية ، وانما ايضا نتاجا ممتازا للعلاقات الدولية الجديدة ، فالاتحاد السوفيتى الذى اكد صداقته لنا بانشاء السد العالى ، يعود ليؤكدها مرة اخرى باقامة هذا السد الجديد ، فقد كان هذا المشروع ، هو بالذات الذى نص عليه البيان المشترك العربى السوفيتى ليمول تحت القرض السوفيتى الاخير (٢٥٢ مليون دولار — ١٠٠ مليون جنيه استرلينى)

الا انه فى بند الصناعة الثقيلة نقطة اخرى تستحق الوقوف ، فقد حدث ما يشبه التعديل فى برنامج الصناعة الكيماوية ، اذ جاء فى كتاب وزارة الصناعة (ص ٢٤٢) انه على اساس تقدير احتياجات البلاد السمادية وضعت الخطة الانتاجية للاسمدة الازوتية ، بحيث • يتعدى انتاجنا المحلى منها ٢ مليون طن (٥ر١٥٪ ازوت) فى سنة ١٩٧٠ » وهو رقم لو تحقق لكانت ثورة اخرى فى الصناعة الثقيلة . وكان قد تقرر ايضا بناء على الدراسات ان يبلغ انتاجنا من الاسمدة الفوسفاتية فى ١٩٧٠ الى حوالى ٦١٥ الف طن .

ثم جاءت البيانات التى اعلنتها وزارة الصناعة فى نفس الكتاب عن البرنامج



صناعة البترول .. خفيفة .. ام ثقيلة ؟

الثالث للكيماويات ، فاذا به يقول ان البرنامج قد تضمن ثلاثة مشروعات تتكلف ٢١ مليون جنيه ، وتقدر قيمة انتاجها بحوالى ١٣ مليون ، أعدت على أساس تصدير انتاجها بالكامل (وليس لسد حاجة الاستهلاك المحلى) : هذه المشروعات هى : ١ - ان نوسفات النشادر ٢٠٠ الف طن

٢ - اليوريا ٩٥ الف طن

٣ - نترات النشادر الجيرى ٢٠٠ الف طن

ومفهوم ان انتاجنا الحالى من نترات النشادر والجير ٧٠٠ الف طن ومن السوبرفوسفات ١٦٢٫٦ الف طن .

فما هو سر التخفيض فى الصناعات الكيماوية ؟

انه اتجاه مضاد لسياسة التركيز على الصناعة الثقيلة ، وهو يحتاج ايضا الى بعض الشرح من المسئولين

تنظيم الصناعات الثقيلة

وهناك كلمة أخيرة من الصناعات الثقيلة ونحن على أبواب البرنامج الثالث . انها **ان انشاء وزارة للصناعة الثقيلة هو خطوة هامة فى سبيل خلق هذا الجهاز المنسق وسيلعب نفس الدور الذى لعبته وزارة الصناعة عند انشائها عام ١٩٥٧ فى تنشيط البرامج الصناعية ومراقبتها .**

وان انشاء وزارة للصناعة الثقيلة يعنى اول ما يعنى اننا بدانا نضع الخط الواضح بين قسمى الصناعة الاساسيين كما تفعل كل الدول الاخرى اولهما قسم الصناعة الثقيلة وثانيهما قسم الصناعة الخفيفة وبذا اصبح واجبا ان يعاد تنسيق القطاع الصناعى كله على اساس هذا التقسيم

فمن غير المعقول ان تكون هناك فى نطاق الخطة الخمسية الثانية مشروعات تنتج عصارات مصانع السكر ، ومطاحن افران مصانع الاسمنت ، ومعدات المصانع الكيماوية ومصانع السماد ومعامل البترول ومعدات استصلاح الاراضى والروافع والناقلات الآلية ومعدات حفر آبار البترول والمياه الجوفية وصهاريج البترول . (مشروعات تتكلف ٢١ مليون جنيه) ثم توضع هذه المشروعات فى بند الصناعات الخفيفة (حيث ان كل الصناعات الهندسية موضوعة فى هذا الجانب) .

وقس على هذا أيضا مشروعات انتاج الاوتوبيس سعة ٥٥ راكبا وانتاج اللورى الثقيل وانتاج عربات الترد ، وانتاج الميكروباص « تتكلف ٣٫٨٩ مليون جنيه فهى أيضا ضمن مشروعات الصناعة الخفيفة !

***

ونفس الامر يقال عن الصناعات البترولية ، وعن انتاج الكهرباء ، وعن المصانع الحربية . ليس ضروريا ولا مطلوبا ان ندمج كل هذه الجهات فى وزارة الصناعة الثقيلة ، قد يكون الدمج مطلوبا بالنسبة لبعض الشركات التى تتبع وزارة الصناعة الخفيفة خطأ (بحكم انتسابها للمؤسسة الهندسية) ، تماما كما هو مطلوب بالنسبة لبعض الشركات التى تتبع ايضا وزارة الصناعة الثقيلة خطأ (بحكم انتسابها للمؤسسة الكيماوية او مؤسسة مواد البناء والحراريات ، ان الشركات المنتجة للب الورق والصناعات السليلوزية ، وشركات لعب الاطفال والزراير والخشب الحبيبى ، والاقلام الرصاص والحبر ، وصناعة الزجاج والخزف .. الخ كل هذه الشركات وأمثالها ينبغى ان تنسلخ من وزارة الصناعة الثقيلة وتنضم الى الوزارة المختصة بها

اما بالنسبة للجهات الاخرى غير هذه الشركات ، فكما قلت ليس ضروريا ان تندمج فى وزارة الصناعة الثقيلة ، ولكن ينبغى على الاقل ان يوجد جهاز ينسق بينها . قد يعنى هذا ان يوجد مستويان للتنسيق الصناعى مستوى ينسق بين أقسام الصناعة الثقيلة المتفرقة حاليا فى وزارات مختلفة ، بالاضافة الى المستوى العام الحالى والذى ينسق بين كل نواحى الانتاج الصناعى بلا استثناء .

طالما اننا قررنا ان نميز فى النمو الصناعى بين الصناعة الثقيلة والصناعة الخفيفة ، وطالما اننا نعلن أننا سنركز على الصناعة الثقيلة ، وطالما ان هذا يستدعى جهازا تنظيميا متخصصا ومشرفا ، وقد بدأناه فعلا بانشاء وزارة متخصصة ، فاننا يجب ان نواصل الطريق الطبيعى الى نهايته.

ان امامنا مهام ضخمة فى مرحلة الانطلاق العظيم ، ومن أولى هذه المهام تطوير صناعتنا الثقيلة ، وسوف ننجح فى هذه المهمة كما نجحنا دائما فى تحقيق اهدافنا الثورية

د. عبد العزيز نوار :

ابن ماجد

جغرافي عربي لا نعرفه

منذ العصور القديمة والطرق البحرية بين الشرق والغرب عبر البحر الاحمر ومصر بيد العرب . فقد كانوا اعرف الناس بتلك المسالك في تلك العصور ، ومع هذا حاول المؤلفون الاوربيون – من وقت لآخر – أن ينسبوا الى اليونانيين التفوق على العرب في هذا المجال . ومن ذلك انهم ينسبون اكتشاف الرياح الموسمية واستخدامها في الرحلات التجارية بين البحر الاحمر وشرق افريقية والهند الى اليونانيين . ولكن ثبت أخيرا ان العرب هم أول من استخدم تلك الرياح في رحلاتهم . بل لقد كانت هذه الرياح الموسمية سرا تجاريا لدى العرب توصل اليه اليونانيين بعد طول مشقة .

حقيقة كان العرب أصحاب التجارة بين الشرق والغرب ومحتكريها ، على أن هذا الاحتكار قام على أساس التفوق في التعامل التجاري ولم يقم أبدا استنادا الى السيف والحرب . ولما كان المحيط الهندي مفتوحا لمن يريد ان ينافس العرب في تلك التجارة . ومن لم كان ذلك المحيط – بفضل العرب وروحهم السمحة – بحرا آمنا كما كان نشاطه التجاري عظيما ..

ولما بزغ فجر الاسلام وانتشر بسرعته الفائقة شرقا وغربا وشمالا احتفظ المحيط الهندي بهدوئه وباستمرار العمليات التجارية فيه .. حيث كان الاسلام ينتشر هناك بالقدوة الحسنة والدعوة الصادقة الذاتية ، بعكس الحال في البحر المتوسط الذي دارت فيه المعارك البحرية الدموية بسبب العداء الشديد الذي أبدته الدولة البيزنطية للاسلام والمسلمين . وبينما ارتقت بسرعة فنون الحرب البحرية في البحر المتوسط ، كانت علوم البحار والفلك تتقدم هي الاخرى بسرعة في الموانى العربية والهندية في الجنوب .

ولقد شجع الدين الاسلامي تقدم الدراسات في تلك العلوم . وكان نمو حجم التجارة العالمية على عهد الأمويين والعباسيين وتضخم افواج الحجيج الى مكة والمدينة من العوامل الرئيسية التي ادت الى انتشار تلك الدراسات العلمية سواء في مجالات علوم البحر والفلك أو في مجالات التأليف الجغرافي حتى يصبح في وسع كل سفينة ان تبحر الى الأراضي



التجارية في الوقت الملائم ومع ريح طيب وحتى يدرك كل تاجر مقصده هادىء البال مطمئنا على تجارته وماله .

ويرجع استمرار التفوق العربي على صفحات البحار الجنوبية الى تفوق علمائهم وتجديدهم الدائب في علوم الملاحة والفلك وعلى رأس هؤلاء الذين كرسوا حياتهم لتلك الدراسات العلمية البحرية **احمد بن ماجد بن محمد السعدي النجدي الاصل**

●●●

ويعتبر أحمد بن ماجد احد اولئك العرب الافذاذ الذين برعوا في عدة مجالات في آن واحد . كان حكيما اديبا ، وشاعرا ناثرا ، وعالما رياضيا وفلكيا ، كان نابغة عصره في علوم البحار والجغرافية الفلكية مخترعا لآلات الرصد والملاحة .

ولد احمد بن ماجد حوالي ١٤٣٠ من اسرة وقفت نفسها على دراسة علوم البحار والفلك . كان جده وأبوه يدرسان خطوط الملاحة وسير الافلاك لتحديد انسب الطرق واسلمها . حتى غدا ابوه حجة في الطرق البحرية وخاصة في البحر الاحمر . بل



خريطة منقولة من كتاب « ثلاث راهمانجات مجهولة » لأحمد بن ماجد .
والكتاب من مطبوعات معهد الاستشراق السوفييتي – لينينجراد ١٩٥٧

كان اسمه يطلق على بعض الاماكن فيه
تلقف احمد ما كتبه أبوه وما توصل اليه اسلافه من نظريات ، وعكف على دراستها لوضع كل نظرية من نظريات أبيه واسلافه موضع البحث والتجريب والنقد والتعديل . متبعا **النهج العلمي** في كل أبحاثه . ليقول هو نفسه : **« لما اطلعت على تآليفهم ودرايتها ضعيفة بغير قيد ولا صحة بالكلية ولا تهذيب ، هذبت ما صح منها وذكرت الاختراعات التي اخترعتها وصححتها وجربتها عاما بعد عام . »**

واستعان **احمد بن ماجد** بالآلات التي كانت معروفة في عهده في تلك الدراسات ووضع هذه الآلات نفسها تحت عينه الناقدة الفاحصة ، مسجلا كل خطأ تقع فيه ، مدونا كل خطوة يقوم بها خلال ابحاثه التي استمرت سنوات طويلة . وخرج من هذه الدراسات والابحاث بطرق بحرية جديدة أكثر امنا واقصر مسافة من تلك التي عرفها أسلافه . واستطاع بذلك ان يجنب السفن الكثير من أخطار العواصف الثائرة والشواطىء المدمرة . كما حدد ابن ماجد التاريخ الذي يجب ان تقلع فيه كل سفينة من الموانى العربية ، وحدد اتجاه مقدمتها حين تقلع ، والدرجة التي يجب ان تنحرف بها عندما تصل الى مسافة معينة حددها هو ، وحدد اماكن الاجرام السماوية عند الاقلاع وعند نهاية كل مسافة .

ولما كان **الاسطرلاب** من اهم الآلات البحرية واكثرها استخداما في السفن العربية فقد اولاه ابن ماجد عناية خاصة تبعد دراسات مستفيضة ادخل عليه تعديلات كثيرة وقد ادى ذلك الى عكوفه على دراسة المغناطيسية واهميتها في حفظ التوازن بين الاجرام السماوية

***

ولم تقتصر مجهودات **احمد بن ماجد** على دراسة الطرق البحرية بين البحر الاحمر وشرق افريقية والهند : بل امتد الى الطرق البحرية في مياه اندونيسيا وبحار الصين واضعا امام القباطنة خريطة فلكية لكل وقت ولكل مكان . وربط هذا وذاك بمواسم الرياح واتجاهاتها .

حقيقة كان **احمد بن ماجد** يقضي معظم وقته في دراسة الجغرافية الفلكية رافعا عينيه الى السماء متتبعا مسير الكواكب السيارة حافظا لموقع كل نجم ثابت . ولكنه كان من وقت لآخر يخفض عينيه الى البحر نفسه ليحدد أعماقه بما استحدثه من آلات لهذا الغرض .

وقد خشي **ابن ماجد** ان تضيع هذه المجهودات الكبيرة بعد وفاته ان لم تسجل في كتب يتداولها قباطنة السفن ، ولهذا عكف على تدوين ماوصل اليه من معلومات ونظريات

ومن أشهر مؤلفاته كتاب **الفوائد في أصول البحر والقواعد** . وكتاب **« الحاوية الاختصار في أصول علم البحار »** . هذا فضلا عن عدد كبير من الأراجيز التي حفظت بين ابياتها القواعد والاصول التي وضعها ابن ماجد في علم الملاحة البحرية .



وترتب على هذه الدراسات والابحاث اتساع نطاق التجارة الشرقية على يد العرب فأصبحت السفن العربية تتزاحم على صفحات مياه الصين واندونيسيا والهند وشرق افريقية حاملة التوابل من البلاد الشرقية الى مصر ومنها الى اوربا وغدا للعرب نفوذ كبير في بلاطات الامراء والملوك في الشرق الاقصى وكانت كلمتهم مسموعة وكانوا محبوبين لدى الحكام وخاصة انهم لم يستخدموا ذلك النفوذ استخداما سيئا ، بل كانوا رجال اعمال واصدقاء ومستشارين للملوك والامراء ولم ينتهزوا الفرص مثلما استغلها الاوربيون — وخاصة البرتغاليون — في استعمار

المناطق التى جابوها

فبينما كان احمد بن ماجد عاكفا على دراسته تلك ، وبينما كان العرب يروحون فى البحار ويغدون فى سلام كان البرتغاليون يدبرون للشرق شرا مستطيرا . ولندع المؤرخ الهندى ك . م . بانيكار

K.M. Painkar

يحدثنا من تلك الخطط الشريرة للأمير البرتغالى هنرى الملاح فيقول ، ان هنرى **« وضع الخطة الاستراتيجية التى ترمى الى تطويق جناح الاسلام »** . ويستطرد بانيكار قائلا ان **البوكرك** ـ القائد البرتغالى الذى خطابا قال فيه « **ان ابعاد العرب عن تجارة التوابل هى الوسيلة التى يرجو بها البرتغاليون اضعاف قوة الاسلام** » وتوجيه الضربة اليه من الجنوب بعد ان فشلت الحروب الصليبية فى التغلب على المسلمين وجهالوجه فى الشام ومصر وشمال افريقية .

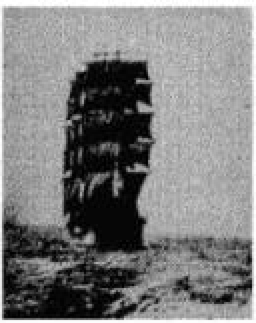
لقد ظلت جذوة الحروب الصليبية متقدة فى قلوب البرتغاليين معان المسلمين لم يفكروا فى العدوان على اوربا بعد ان حرروا البلاد الاسلامية من العدوان الصليبى . اما البرتغاليون فأخذوا يبعثون بالحملات البحرية الواحدة اثر الاخرى لتسير فى محاذاة الشاطىء الغربى لافريقية لتصل الى الطريق المؤدى الى الهند مباشرة بقصد سلب العرب تجارتهم الرابحة . ووصلت هذه الحملات البحرية الى رأس الرجاء الصالح .واخيرا وصلت حملة بقيادة **فاسكوداجاما** الى الشاطىء الشرقى لافريقية .

واخذ داجاما يجوب الشواطىء بحثا من النقطة التى يبدأ منها رحلته الى الهند ، وعن دليل يقوده اليها . فلم يكن يعرف شيئا عن المسالك البحرية بين شرق افريقية والهند .وطفق يجمع المعلومات من البلاد التى يمر بها علّه يتوصل الى معرفة الطريق الذى يستخدمه العرب فى الابحار من الهند واليها ..

***

ولقى فاسكوداجاما فى اول الامر ترحيبا من اهالى شرق افريقية الذين امدوه بالمؤن وما تحتاج اليه سفنه، الا كانوا يعتقدون ان البرتغاليين من المسلمين الترك (الروم) . ويبدو ان البرتغاليين أرادوا ان يستتروا وراء ذلك للوصول الى اغراضهم . فلما انكشف امرهم وعرفت طويتهم السيئة وقعت الجفوة بينهم وبين الاهالى . وكان اهالى ميناء « **سفالة** » أشد الناس عليهم . اذ ان العرب فى هذا الميناء هم الذين كشفوا حقيقة اهداف البرتغاليين . فاقلع داجاما من « سفالة » كما اقلع من **كلوة** ـ وكانتا من اهم موانى شرق افريقية حينذاك ـ بحثا وراء دليل يقوده الى الهند

واخيرا رسا داجاما امام ميناء **ماليندى**، وكان هذا الميناء ـ الذى يقع الى الشمال قليلا من **زنزبار** ـ تحت حكم شيخ طاعن فى السن . ويبدو ان الشيخ لم يدرك ما ادركه الاخرون من نوايا الأميرال البرتغالى ، او ان الاميرال عرف هذه المرة كيف يخدع ذلك الشيخ المسن . وطلب منه أن يزوده بدليل يقوده الى



الهند . فقدم اليه **احمد بن ماجد** .

عقد داجاما عدة اجتماعات مع **احمد ابن ماجد** ، دار خلالها الحديث عن علوم البحر والطرق البحرية المؤدية الى الهند. واستعرض كل من الرجلين ما لديهما من معلومات . وانجلت المناقشات عن دهشة داجاما من علو كعب العرب فى تلك المجالات التى اعتقد البرتغاليون انهم وحدهم أربابها . بل عقدت الدهشة لسان داجاما عندما عرض عليه احمد بن ماجد **الآلات** البحرية التى اخترعها بنفسه . ونطق داجاما يوصف الاجنبين



ابو المكتشفين هنرى الملاح : تتلمذ على ابن ماجد وحفظ مؤلفاته ..!

ماجد هو اقل ما يمكن ان يوصف به « انك كنز لا يقدر بثمن » . ثم التفت الى ضباطه وبحارته وامرهم بان ينشروا القلاع فورا وان يضعوا انفسهم تحت امرة احمد بن ماجد ليقودهم الى الهند (٢٤ ابريل ١٤٩٨ م)

وقاد احمد بن ماجد السفن البرتغالية معتمدا على الآلة ومخترعاته والاجرام السماوية السيارة منها والثابتة ، واختلاف الظل من ساعة لاخرى ، والرياح ، والجزر المتناثرة فى المحيط والقمم البارزة فيه . وبعد رحلة شيقة وصلت السفن البرتغالية سالمة الى كاليكوت على الشاطىء الغربى للهند

عاد داجاما بالنبأ العظيم الى بلاده ، فدقت الاجراس فى طول البلاد وعرضها ودوت الحناجر ان حربا صليبية جديدة قد بدأت على صفحات البحار والمحيطات الشرقية . واحتفلوا بداجاما ، ونسبوا اليه كشف طريق الهند . وضاع اسم احمد بن ماجد فى خضم تلك الضجة الكبرى التى ملأها التعصب والتحرق على ابادة العرب والمسلمين . وهكذا اصبحت الخدمة الجليلة العلمية التى قدمها احمد بن ماجد للبرتغاليين والتى يمكن ان تعتبر آية من سابقات التعاون بين الشرق والغرب فى الاغراض السلمية اصبحت تلك الخدمة الجليلة الثغرة التى نفذ منها البرتغاليون لتنطلق منها اساطيلهم وجيوشهم لتدمر وتهتك وتستعمر . فلا تكاد تنتهى الاحتفالات بعودة داجاما من الهند حتى جهز ملك البرتغال حملة بحرية كبيرة بعث بها لاستعمار الشرق .

ففى ذلك الوقت كان التعصب الدينى البغيض والرغبة الشرهة فى استعباد الناس واستعمار بلادهم قد بلغ الذروة .

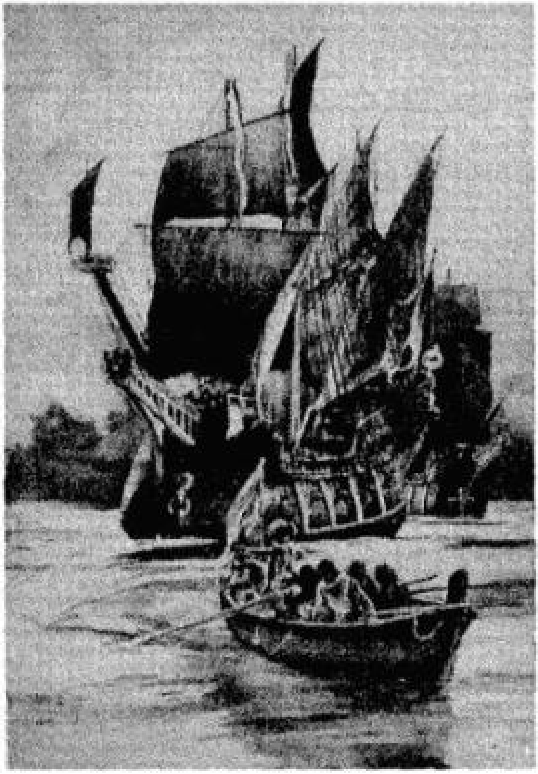
حتى انه عقدت بين اسبانيا والبرتغال فى ٩ يونيو ١٤٩٤ معاهدة ترودسيلاس Tready of Trodesilhas التى بمقتضاها حددت الدولتان خطا يقع الى الغرب قليلا من ساحل افريقية الغربى ، واتفقت على ان يكون ذلك الخط هو الحد الفاصل بين ممتلكاتهما . فما هو شرقى هذا الخط للبرتغال وما هو غربيه للاسبان . وبذلك اصبحت الكشوف الجغرافية التى يقوم بها البرتغاليون فى افريقيـة والشرق

الانص من ممتلكات البرتغال اما الكشوف في العالم الجديد فاصبحت من نصيب اسبانيا . وليبرروا هذا الاستعمار تبريرا دينيا استصدرت هاتان الدولتان من البابا اسكندر السادس موافقته على هذه المعاهدة . فاخذت البرتغال تتصرف فيما ادعته من ممتلكات تصرف السيد بالعبد .

ولقد شرح لنا الملاح الجغرافي الفرنسي جيان Guillain ما فعله البرتغاليون من اثام في المياه الشرقية بعد عودة « داجاما » مرة اخرى اليها : **«اتجه داجاما صوب الهند ولما دنا من البر التقى بسفينة كبيرة من سفن سلطان مصر محملة بالتوابل والاطعمة .. وكان بها قوم يقصدون مكة لاداء فريضة الحج فامر داجاما سفنه بمهاجمتها وبعد ان نهب ما بها وذبح كل ركابها امر باغراقها .»**

ولننظر ايضا ما كتبه المؤرخ الهندى العظيم بانيكار في هذا الصدد : **«كان داجاما يقطع الطريق دون اى تحذير لكل سفينة يلتقى بها في طريقه ويدمرها تدميرا . وكان بعد اسر السفينة يأمر بتفريغ البضائع ويمنع اى عربى من مغادرتها ثم يعمد بعد ذلك الى اشعال النيران فيها .»**

هذه امثلة قليلة جدا لما كان يحدث على يد البرتغاليين بعد ان عرفوا الطريق الى الهند . كان البحر قبلهم هادئا تغدو فيه السفن وتجىء دون خوف او وجل، والموانى على الشواطىء كانت تنتظر بين يوم وآخر وصول سفينة تحمل المتاجر واللآلىء ، فيهب الاهالى عند رؤيتها لاستقبالها وتفريغها . وتنتشر في البلاد موجة من الرخاء والسرور والبشر . اما بعد مقدم البرتغاليين الى المياه الشرقية أصبح ظهور السفن على مرمى البصر مثيرا



السفن البرتغالية اعتمدت على ابن ماجد في الوصول الى الهند !

للرعب والفزع . فتفر الام بوليدها ، ويحبو الطفل عله يدركها ، ويهيم الرجال على وجوههم فارين قبل ان تشوى نيران البرتغاليين ظهورهم .. فالرقاب مستباحة والنساء متعة والاطفال متدهم من سقط المتاع

هكذا سارت الامور بعد أن عرف البرتغاليون طريقهم الى الهند

ولا شك أن **ابن ماجد** لم يكن يدرك انه كان يتعاون مع قتلة سفاكين . وبعد وفاته حاول المؤرخون العرب ان يبرروا تعاونه مع هؤلاء السفاكين . فاستبعد بعضهم أن يكون احمد بن ماجد قد أفضى بتلك المعلومات للبرتغاليين عن طيب خاطر . ومن هؤلاء المؤرخ **قطب الدين المكي** صاحب كتاب « **البرق اليماني في الفتح العثماني** » اذ يقول قطب الدين : ان الاميرال دا جاما ما ظل وراء احمد بن ماجد حتى اسكره بخمر معتق لم استخلص منه المعلومات اللازمة " والمعتقد ان احمد بن ماجد حين تعاون مع الملاكو داجاما كان يخدم الانسانية ولا يدرى ابدا انه يضع السلاح في ايد اثيمة .

كانت تلك المذابح التي قام بها البرتغاليون سببا في ان يتحالف الهنود مع العرب ضدهم . ودارت المعارك في البحر بين الطرفين . ولكن كفة البرتغاليين كانت هى الارجح لان سفنهم كانت مجهزة بمدافع كثيرة ، اما سفن العرب والهنود فكانت معدة للاعمال التجارية وليست لسفك الدماء . فاستنجد الهنود والعرب بالدولة العثمانية وكانت قد استولت منذ وقت قصير على الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية والعراق .

واسرعت الدولة العثمانية في ارسال الحملات البحرية الى المحيط الهندى .

ووجد القواد البحريون العثمانيون ان مؤلفات أحمد بن ماجد خير مرشد لهم في المياه الشرقية . وكان **«سيدى على ريس»** احد هؤلاء القواد العثمانيين البحريين الذين استفادوا من مؤلفات ابن ماجد في مقاومة التوسع البرتغالي . وعمل « سيدى على ريس » على ان يحفظ هذا التراث العظيم من الضياع فقام بنشر مؤلفات احمد بن ماجد ليستفيد منه العرب والمسلمون في كفاحهم ضد الغزاة



بانيكار .. وصف البرتغاليين بانهم قراصنة تجارة ، وقراصنة علم ايضا ..!

البحريين . ومع هذا تعتبر الدولة العثمانية مسئولة من زيادة النفوذ الاستعمارى في المياه الشرقية .. اذ انها شغلت نفسها بالحروب في أوربا الشرقية واهملت امر المياه الشرقية والمحيط الهندى ..

***

تلك كانت سيرة أحمد بن ماجد في مجال العلوم البحرية والفلكية . ولكن له سيرة اخرى لا تقل اهمية عن تلك الا وهى حياته الادبية . فقد عكف على تسجيل كل صغيرة في علم البحار في اراجيز او في نثر سلس . ولا شك ان صياغة المادة العلمية في قالب شعرى من بحر الرجز امر يتطلب مهارة ادبية فائقة . خاصة وان الرجل كان يتحرى الدقة العلمية وفصاحة التعبير في آن واحد . ومن يطالع تلك الاراجيز ليقدر تمام التقدير تلك العبقرية الفذة التى كانت تجمع النظرية الفلكية مع البلاغة الشعرية في بيت واحد ..

واراجيز ابن ماجد من النوع التعليمى الذى كان شائعا في العالم العربى .. حقيقة تعتبر الفية ابن مالك في النحو اشهر هذا النوع من الاراجيز . وفي اعتقادنا ان اراجيز ابن ماجد تعتبر من

أصعب الاراجيز العلمية لا من حيث النظم فحسب . بل كذلك من حيث صعوبة الفهم وتخريج المعاني . فابن مالك اراد أن يسجل النحو العربي في ارجوزة من الف بيت . وصاحبنا اراد ان يسجل علما بحتا بالشعر من بحر الرجز .

ولقد نجح ابن ماجد في حفظ ذلك العلم الدقيق لمن يجيء بعده .. ولكن للأسف لم يتابع العرب من بعده الاستزادة من هذا العلم ، كما حال الاستعمار البرتغالي دون استعادة العرب لتفوقهم في هذا الميدان ..

***

وتتضمن مؤلفات ابن ماجد دراسة ادبية لما قيل في الكواكب من جيد الشعر والنثر . وكان يقتبس اجمل ما نظمه فحول الشعراء في كواكب الشعرى وسهيل والثريا، وكان موفقا في اقتباساته توفيقا كبيرا ومن ذلك ما نقله من أحد الادباء في وصف الثريا : **« وهي على صغر نجومها خفاقة كأنها روح في السياق او القراط خود ترتعد من الفراق او باقة من نرجس او كأس يدار في مجلس »** .

والتزم ابن ماجد ادب الاختصار . فهو حين يختصر أحد مؤلفاته انما يفعل ذلك وفقا لقواعد منهجية ليقول : « كان **قصدي الاختصار واسقاط الحشو من حوش الاكثار لا يستطيلها الملول ولا يتفرغ لقراءتها المشغول »**

ومن مميزات ابن ماجد وفاؤه لاسلافه وخوفه من الا يخلفه مثلهم في هذا المجال .. ومن ذلك رثاؤه لثلاثة من العلماء العرب في فن الملاحة هم شاذان وسهيل ووالده هو ، فقال :

يا ابن شاذان يا سهيل وثالثهم
السابقين بعلم معجب حسن
علم نفيس ولكن من تداوله
سواكم فهو منسوب الى الفين

خلفتموني وحيدا في الزمان وقد
كنتم ثلاثة أحبار على زمن
ليرفعني كسب هذا العلم من عمل
به فها انا ام الكد بالوسن

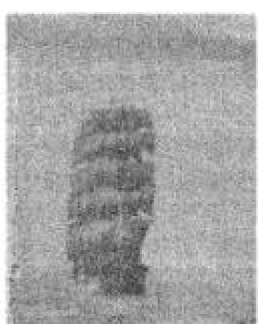
وقد يعيب كتابات ابن ماجد استخدامه بعض العبارات الاعجمية والعامية . ولكن قبل ان نضع هذا الامر موضع التقييم يجب ان نضع في اعتبارنا بادىء ذي بدء أنه كان يعيش في فترة اصيبت فيها اللغة العربية بتدهور شديد . وان اللغة الفارسية — التي كان يتقنها أحمد ابن ماجد — كانت هي اللغة السائدة في المشرق العربي كلغة العلوم والفنون والاداب في ذلك الوقت . ومن هذا يتبين لنا ان الجهد الذي بذله أحمد بن ماجد في تأليفه كان جهدا شاقا مضنيا.

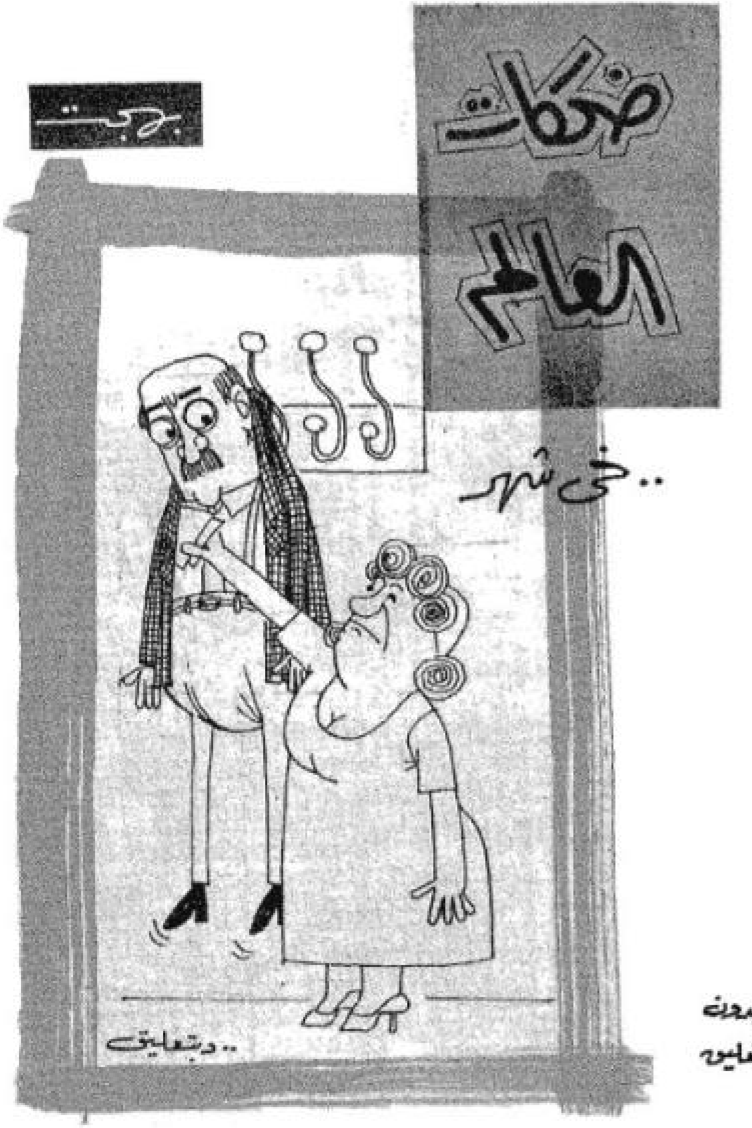
هذا كله الى جانب تحقيقاته اللغوية للكلمات والمصطلحات العلمية حتى لا يتورط في لفظ غير صحيح أو تعبير يعترض عليه النحاة وارباب اللغة .

***

ومهما قيل في ادب ابن ماجد فهو على اى حال فريد نوعه في ذلك العصر في ذلك المجال الصعب وهو اول من كتب في علوم الملاحة في العصر الحديث .

ورغم طول السنوات التي مرت على وفاته ظلت ذكراه الطيبة على السنة اهل الموانى في المياه العربية الجنوبية وفي المياه الهندية . لقد كان من عادة القباطنة العرب في أواخر القرن الماضي — قبل ان ينشروا القلاع للرحيل الى عرض البحر — ان يقرأوا الفاتحة على روح ذلك البحار العربي العظيم والذي كانوا يلقبونه بالمعلم أحيانا ، وأحيانا يصفونه بأسد البحر .

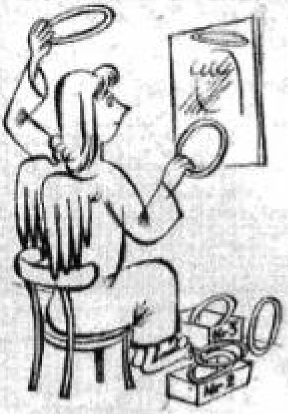




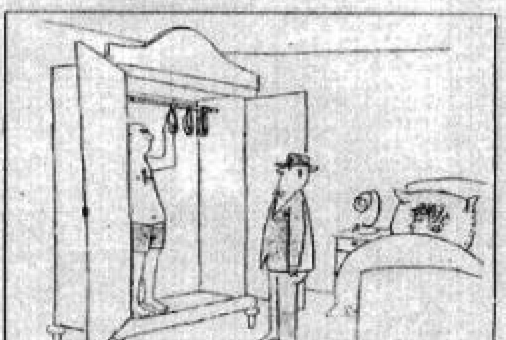
ضحكات
العالم
.. في شهر
.. وبتعليق
بدون
تعليق



شياكة ..!



وجاهة ..!



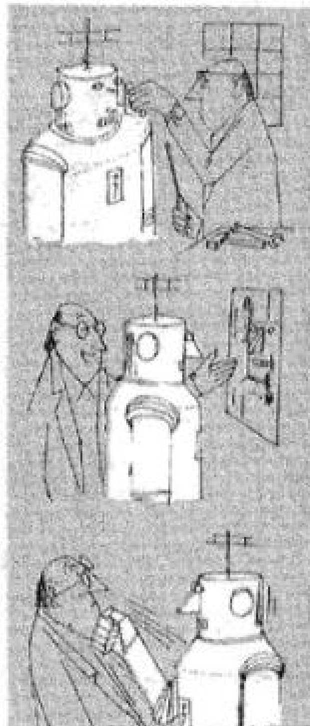
قديمة ..!



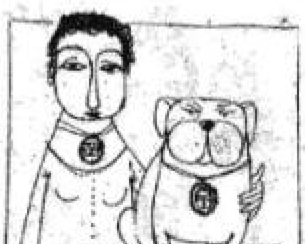
بنت الجيران ..!



(....)



(....)



لقطة ..!



(....)

ست البيت



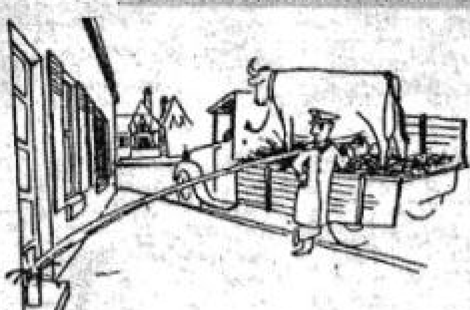


حديث هام ..!



(....)


بدون
تعليق



(....)

جاك بيرك
محمد أنيس
كامل زهيري

كيف تعاد كتابة ..



د . محمد أنيس

الأستاذ جاك بيرك مستشرق فرنسى ، واستاذ فى الكوليج دى فرانس ، وجامعة السوربون . وهو مهتم بالتـاريخ الاجتماعى للشرق العربى والمغرب العربى بالذات

وللأستاذ بيرك مؤلفات وابحاث عدة تبلغ اربعة عشر كتابا .. ومن هذه الكتب كتاب « **المغرب بين حربين** » . وهما النضال ضد الاستعمار الخارجى، والنضال لحل المشاكل الداخلية . وكتاب « **العرب** » بين امس والغد ، وقد ترجم الى عدة لغات . وفيه تحليل للمجتمع العربى الحالى ، مع مافيه اليوم من انتقالة كيانية ، وانبثاقة حيوية . والكتاب الثالث عنوانه « الاستعمار » . وكذلك كتاب بعنوان **Dépossession du Monde** اى تحرر العالم من طور الاستعمار، وتطوره الى آفاق جديدة تستحق البحث

ندوة الهلال



جاك بيرك

الوثائق تقصى المؤرخ عن أن يرى الظاهرة التاريخية في صورتها المتكاملة

والأستاذ جاك بيرك زار القاهرة زيارة علمية للبحث من المصادر التى يرجع اليها فى تأليف كتابه الجديد عن التاريخ الاجتماعى فى مصر فى الفترة التى تبدأ منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا وتنتهى فى منتصف القرن العشرين

وقد انتهزت « الهلال » فرصة وجوده بالقاهرة ، وجمعته فى ندوة اشترك فيها مع الدكتور محمد أحمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة ، والذى يهتم اهتماما خاصا بتاريخ مصر الاجتماعى ، واعادة كتابة التاريخ . وكامل زهيرى رئيس تحرير « الهلال » ..

وفى الندوة امتد الحديث الى تجربتنا الاشتراكية ، والنظرة العربية المعاصرة للمذاهب الاقتصادية الموجودة فى العالم . كما حلل المجتمعون النظرة المادية للتاريخ والتفسير المادى له .. وهل هو منهج أم نظرية أم وجهة نظر ، وماهى القضايا الحيوية الفكرية والاشتراكية فى التفسير الاجتماعى للتاريخ ؟!

محمد انيس : ارجو فى البداية ان يتفضل الاستاذ جاك بيرك باعطائنا نوعا من التعريف بالتاريخ الاجتماعى قبل ان ندخل فى الموضوع

جاك بيرك : كلامنا سيتناول التاريخ الاجتماعى ، ودوره فى تاريخ الشرق العربى ، وتاريخ مصر بالذات

محمد انيس : ولكن ارجو قبل ان نبدأ — ان تعطينا فكرة عن تاريخ هذه المدرسة الفرنسية فى كتابة التاريخ الاجتماعى

جاك بيرك : تأسيس هذه المدرسة فى الحقيقة كان على يد استاذين كبيرين هما مارك بلوك Marc Block ولوسيان فيفر Lucien Fevre واولهما متخصص فى تاريخ العصور الوسطى ، وتاريخ المجتمع الريفى . وثانيهما متخصص فى فترتى عصر النهضة ، والاصلاح الدينى ..

وقد كانت لهذين الاستاذين مجلة يصدرانها فى الثلاثينات من هذا القرن تسمى « **حوليات التاريخ الاجتماعى والاقتصادى** » D'Histoire Economique et Social

وقد انتشرت مبادىء هذه المدرسة بانتشار المجلة فى الاوساط العلمية . وقد انتميت الى هذه المجلة فى عام ١٩٣٧ . ويراس تحرير هذه المجلة الآن صديقى الاستاذ الكبير المجدد بروديل Braudel . وهو صاحب كتاب عظيم عن البحر الابيض المتوسط فى عهد فيليب الثانى Le Mediterranee au Temps De philippe فى القرن السادس عشر الميلادى

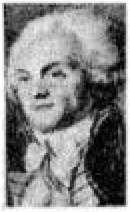
وقد تجمعت المدرسة هذه الايام حول بروديل ، وزملائه تحت اسم « **القطاع السادس لمعهد الدراسات العليا بالسوربون** » Sixieme Section De L'ecole Des Etudes وهى تضم الآن اشهر المؤرخين الاجتماعيين من مختلف الاتجاهات

واسلوب البحث المفضل لهذه المدرسة هو **المنهج الشامل** Interdiscipliniare وامنى به المنهج الذى يربط بين العلوم المتعددة . فهو منهج شامل متسق يتجه الى اخذ المجتمع ككل . وفكرة « الكلية » هى النقطة الاولى التى ينطلق منها هذا المنهج

محمد انيس : لاحظت ان المدرسة الفرنسية للتاريخ الاجتماعى ، من خلال روادها ، تقتصر فى ابحاثها على العصور الوسطى ، ومطلع العصور الحديثة .. كعصر النهضة والاصلاح الدينى .. ومنهم بروديل ولوسيان فيفر . وسؤالى هو : هل هناك من رواد هذه المدرسة من اهتم بالتاريخ المعاصر .. الى جانب سيادتكم !!

جاك بيرك : انا امثل فى هذه المدرسة « رافد الاستشراق » . ولكن هناك كثيرا من الاساتذة ينتمون الى هذه المدرسة — حوالى ٧٠ — ويعالجون جميع عصور التاريخ بالاضافة الى الجغرافيا البشرية ، والاقتصاد ، وفقه اللغة .. وهم يختلفون فى درجة اجادتهم

محمد انيس : هناك المدرسة الانجليزية فى التاريخ الاجتماعى ، ورائدها **طومسون** الذى كان يهتم بالمجتمع الزراعى فى القرن ١٩ ، ومن روادها ايضا **المؤرخ انجلز** Engels وكتابه عن « الطبقات العاملة والكنيسة فى العصر الفيكتورى » وكذلك **نورمان هوبسون** الذى كتب فى العام الماضى عن التاريخ الاجتماعى للثورة الفرنسية والسؤال : هل هناك خلاف بين المدرستين !!



روبسبير

جاك بيرك : المامى لايسمح لى بالمقارنة بين المدرستين ، الفرنسية والانجليزية ، غير أن من بين بعض الاساتذة السكوتيين من هو معروف لدينا ، مثل جون نيف Gohn Niniof من جامعة شيكاغو و « نيدام » Needham من جامعة لندن .. انهم يقتربون منا فى النهج

محمد أنيس : هل تعتقدون أن لظهور هذه المدرسة الانجليزية فى مانشستر دلالة خاصة ؟

جاك بيرك : اصطلاح التاريخ الاجتماعى نشأ فى مانشستر قبل منتصف القرن ١٩ بمؤلفات انجلز ، حين ألف كتابه الرائع « ظروف الطبقة العاملة فى انجلترا » حوالى عام ١٨٤٥ . وهو كتاب مجدد ، اعتبره من أهم وأجد آثار انجلز

ومن الواضح أيضا أن الاتجاه الاجتماعى سائد فى الفلسفة الماركسية

اننا لو تعمقنا الموضوع سنجد ظل فكرة هيجل ، وماقدمه من آراء عن الفكرة « الكلية » ، والتجاوب بين الكليات والجزئيات اولا ، ثم حديثه عن المنطق التاريخى ثانيا .. وهما نقطتان هامتان فى موضوعنا

محمد أنيس : هل يفهم من هذا ان التاريخ الاجتماعى منهج ام نظرية ؟

جاك بيرك : سؤال ممتاز .. !

انما أضيف الى ذلك كلمة اخرى : منهج ام نظرية ، ام واقع ؟ ان المشكلة العميقة هى الارتباط بين الشعور والواقع ، فهل النظم Systemes التى نطبقها على الواقع ، حتى نفهم هذا الواقع تقتصر على شعورنا .. ام أنها توجد أيضا ، وحقا فى الواقع . انهذا هو السؤال الحائر عند جميع الاجتماعيين .. وخاصة المؤرخين

والجواب على سؤالك باختصار وبساطة لو سمحت لى ، انتى ارى ان تلك النظم التى توجد فى الشعور ، يجب ان تكون فى الواقع أيضا



محمد أنيس : لو ان التاريخ الاجتماعى اصبح نظرية ، فما هو الفرق بينه وبين التفسير المادى للتاريخ ؟! . واذا كنا نسلم الان بأن الماركسية ليست مقدسة ، وليست كهنوتية ، وانها منهج فكرى ، فاننا يجب ان نسلم بأن المادية التاريخية ليست أكثر من منهج اجتماعى أيضا . ولكنى لا أدرى ، هل هذه الحقيقة بالنسبة للنظريات الماركسية عامة تنسحب على التفسير المادى للتاريخ عندكم ، ام لا ؟!

جاك بيرك : من مزايا المنهج الماركسي الاصيل فى فهم المجتمع الانسانى الاهتمام بتأثير الاساليب التقنية على خط سير المجتمع . فهذه مساهمة لانستطيع تجاهلها ، لانه لاشك أن بين المجتمع الانسانى ، والمجتمع الطبيعى تجاوبا وترابطا . غير أنى أرى أن بعض التفاسير المسرفة فى التقليل لاهمية دور التقنية والاقتصاد قد قصرت فى بعض نواحيها ، لانها حين بدأت كانت ترتبط مع أفكار القرن ١٩ وقد عابها الاسراف والمبالغة

ان الاكتفاء بالبحث عن العلة والنتيجة ، أو السبب والمسبب أو ما أسميه العلية البسيطة أدى الى نوع من الآلية أو الاوتوماتيكية فى قرننا هذا . **لكن تقدم التحليل الاجتماعى يسمح لنا ان نكمل هذه التعليلات بما يعرف الآن من روابط اكثر تعقيدا**

.. نجدها بين مستويات الحقيقة المختلفة

كما أن تقدم الفقه اللغوى منذ اكتشاف العالم السويسرى سوسير Saussure يفتح لنا الان آفاقا جديدة فى تحليل الروابط بين الشىء والسمة Le Chose et le Signe وبين الدلالة والتعبير Expression et Signification .. الخ

وهنا يجب أن نلاحظ أن بعض المفسرين الحاليين الذين يهتمون بشكل الأنظمة الاجتماعية ، ويهملون الموضوع أو الجوهر الذي يطعم الشكل ، ويسمون غالبا باسم الـ Structuralistes ينفون دور التاريخ عامة ، وينكرون تاريخية الانسان . وفى محاولتهم هذه مغالاة كبيرة

والخلاصة فى ظنى أن فهم الانسان لا بد ان يكون تاريخيا فلا يكون الفهم فرديا، ولا متظاهر انه لا يمكن ان يكتفى ، بفهم « مبسط » لما هو التاريخ ، أولما هو المجتمع

كامل زهيرى : السؤال فعلا .. ماهى العناصر الجديدة التى اضافتها هذه المدرسة الاجتماعيةالى المنهج الماركسى ؟!

جاك بيرك : ان الفكرة وخبرة القرن العشرين لمديتا ظروف القرن ١٩ ، وخاصة بتأثير الثورات التقنية المتتالية .. كثورة الكهرباء ، ثم بعد ذلك ثورة الذرة



ان التحليل الفيزيائى عندما ظهر كتاب انجلز من جدلية الطبيعة لم يكن قد وصل بعد الى العمق الفيزيائى الذى وصل اليه الفيزيائيون اليوم . وبمعنى آخر ان الاسس العلمية والعملية التى كان يستند اليها انجلز فى ابحاثه الاجتماعية قد تغيرت الى حد ما

خذ ــ مثلا ــ فكرة السببية .. لقد تعقدت منذ هذا الزمان حتى الآن

وفكرة الاعتباط ، وفكرة المفوية ، وفكرة الصدفة ، لقد دخلت هذه فى البحوث الفيزيائية .. بعكس ماكان يستعمل من أساليب وآراء فى مهدى برتلو Berthelot وباستير Pasteur

والواقع أن تطبيق الاسلوب الماركسى الاصيل يقتضى بذاته تحليلا يتبع التغير التقنى ، ونتائج هذا التغير .. !

محمد أنيس : يعنى أن مدرسة التاريخ الاجتماعى تستند أساسا على الفكر الماركسى ، مع التحرر من القوالب النمطية ، والتفسيرات الجامدة ..؟!

جاك بيرك : أعتقد أنها من نفس مدرسة التاريخ الاجتماعى ، بل انها من روافد التفسير الماركسى

محمد أنيس : لكنها استطاعت أن تكسب كثيرا من التطورات الجديدة فى أواخر القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين . لقد لاحظت أن المحاولات التى بدأت فى تفسير التاريخ العربى ، أو المصرى ، على أساس التفسير المادى ، أن هناك اتجاها لاتخاذ القوالب النمطية ، ومحاولة البحث عن فكرة الصراع التقليدى الاوربى فى مجتمع اختلفت ظروف تطوره عن المجتمعات الاوربية

كامل زهيرى : هل هذا خطأ فى التطبيقات أم فى المنهج ؟!

محمد أنيس : أنا لا أقول انه خطأ فى المنهج . نحن نتكلم فى الحقيقة عن النظرية

ان مدرسة التفسير المادى للتاريخ تفترض ان اية ظاهرة سياسية ليست معزولة ، وان العامل الاقتصادى هو المحرك للتطور التاريخى فى مجتمع ما . وقد وضع ماركس تفسيرا علميا

للتاريخ . والحدود التي وضعها ماركس استمدها من ثورات القرن ١٩ أساسا . ان مدرسة التاريخ الاجتماعي استطاعت ان تفتح للمؤرخين منافذ أخرى لم يعطها ماركس الاهمية الكافية . وان التطورات التي حدثت بعد ذلك يجب أن تضيف شيئا الى التفسير المادي للتاريخ ، مع الاحتفاظ التام بأسس التفسير المادي للتاريخ

جاك بيرك : جميل ...

أننا وصلنا الى لب المشكلة . ففي رايي أن المسألة تدور حول فكرة مهمة جدا ، وهي فكرة الاستلاب (١)

انها لب نظرية ماركس ، ان الاستغلال يؤدي الى استلاب الشخصية الانسانية ، لكن الاستلاب كان في الواقع في اوربا في القرن ١٩ نتيجة للاختلاس الراسمالي البورجوازي للقوى العاملة ..

اما فكرة الاستلاب التي تلاحظها في الشعوب المستعمرة او شبه المستعمرة ، فلا نجدها بتلك الصورة الاوربية فحسب ، انها الاختلاس الاجنبي للقوى الوطنية . وحينئذ فان المواقف المختلفة ، والانقسامات الطبقية بالمجتمع ترجع الى هذه الحقيقة الكبرى ، وهي الاختلاس الأجنبي للقوى الوطنية ، مع اعترافي بأنه على جوانبها انواع اخرى تشبه ما يلاحظ في المجتمع الاوربي

والنتيجة المنهجية من ذلك في نظري ، انه لابد لأي تحليل اجتماعي ألا يقبل أنماط التحليل من الخارج الا بعد أن يبحثها ، وبعد أن يردها الى اصولها . ولا أقول ينفيها أو يرفضها ، انما يردها الى أصولها ومنطقها

محمد أنيس : أنا اتفق في ذلك مع الاستاذ بيرك

أننا لانستطيع أن نتخذ الانماط التي يقدمها التفسير المادي للتاريخ جامدة دون تحرر ، في دراسة تطور المجتمعات العربية . فالتفسير المادي يمثل مجرد منهج يستعين به الباحث والذي يجعل الباحث يقدم الانماط هو دراسة الواقع . مثلا : هل في حركة الثورة الجزائرية مايؤكد هذا الموقف الفكري !!

جاك بيرك : سأجيب على نقطتين هامتين :

أنا أفضل على تعبير التفسير المادي تعبيرا آخر هو التفسير الذي يقوم على فكرة « التجاوب بين المجتمع والطبيعة » . وهذا التعبير صحيح الف في المائة . ان المجتمع قبل الاستعمار كان يتجاوب مع الطبيعة ، ثم جاء الاستعمار ليهاجم تلك البلدان ، ويتدخل في هذا التفاعل بين المجتمع والطبيعة ، ثم يقطعه ، أي انه يفصل ما بين المجتمع ، وماضيه . انه يتدخل في نواميس الكيان الاجتماعي كعامل جديد فعال ، يقطع العلاقة الاصيلة بين الطبيعة المصرية ، مثلا ، وبين الثقافة المصرية ..



ماركس

واهم دور للاستعمار أنه لا يقتصر على الاغتصاب ، بل انه يتغلغل في كيان الشعب المستعمر ويغير العلاقة الباطنية التي تربط أعضاءه ، أو التي تربطه الى جذور ارضه

---

(١) أخذ ماركس فكرة الاستلاب او الغربة alienation من هيجل الذي قال بأن العبد والسيد صورتان متكاملتان . الاول مسلوب بعبوديته ، والثاني مسلوب بسيادته . وقد طبق ماركس هذه النظرية على الراسمالية ، أي مع العامل والراسمالي . (الهلال)

من الذى يقوم بالثورة ؟

وهناك نقطة هامة أخرى أود أن الفت أنظاركم اليها ، وهى أن حزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرى عقد الاهمية الكبرى فى الحركة التحررية على الفلاح ، وبصفة خاصة على الفلاح فى الجبل .. مع أن الفلاح يستبعد فى أغلب الاحيان عند المدارس اليسارية الاوروبية ، وبتعبير آخر يعتبر مبتعدا من الحركات التاريخية أكثر من غيره من الطبقات الشعبية . واعتقد أن تعليل هذا الواقع يرجع سلفا الى ماقلته عن التجاوب بين الطبيعة والمجتمع . ولهذا كان من المنطقى ان القوى الكبرى فى الجزائر انبثقت من نفس العناصر التى كانت تقترب اقترابا أوثق من الجبل والارض ، ومن الطبيعة عامة .. وهى العناصر التى حاول الاستعمار فصلها عن الشعب . وكذلك من نفس هذا التحليل ماقيل فى بعض مصادر جزائرية عن دور بعض علماء الدين .. مثل الشيخ **عبد الحميد بن بعديس** .. فى تحضير الشعب الى نضال المستقبل .. رغم أنهم كانوا يبتعدون عن السياسة اليومية . ان الدين يعبر عن عمق الكيان الشعبى

محمد أنيس : تأكيدا لهذه النقطة بالنسبة للثورة الجزائرية .. مثلا ، الثورة الفلسطينية التى قامت فى عام ١٩٣٦ . هناك كتاب اسمه « **الثورة العربية الكبرى** » لمؤلفه صبحى ياسين وفيه سرد تاريخى مفصل لاحداث ثورة ١٩٣٦ فى فلسطين . يروى صاحبه أن الثورة قامت بين فلاحى الجبال فى منطقة الجليل . واغلبية الشهداء كانوا من هذه المناطق ، واكثرهم يحمل اسم الشيخ أو الحاج

ان الحركة السياسية كانت تجرى فى المدن .. أما المعارك الحربية فيقوم بها الفلاح فى الجبال

جاك بيرك : أضيف الى هذا دور الفلاح فى ثورة ١٩١٩ فى مصر ، والثورات العراقية فى أوائل عهد المملكة الفيصلية التى أغفلها المؤرخون الانجليز

محمد أنيس : ان الثورة التى أشرتم اليها هى ثورة ١٩٢٠ فى العراق . وقد لعب الفلاحون فيها الدور الرئيسى . وهى أعنف الثورات العراقية ضد الانجليز

وبالنسبة لمصر الاحظ ان ثورة ١٩١٩ بعد خروج الفلاحين منها تحولت الى حركة سياسية

ويعود بى هذا الى النقطة المهمة وهى الانماط التقليدية فى التفسير المادى للتاريخ .. كما خرجت من تاريخ المجتمعات الغربية ، وخطورة تطبيقها فى المجتمعات الشرقية . ان طبيعة الفلاحين المتخلفة فكريا ، « المتعصبة دينيا » هى التى كان لها الدور الرئيسى فى الثورات . واعتقد ان اليسار فى العالم العربى المتأثر بالانماط الاوروبية كان يضع ثقله على الطبقة العاملة فى المدن .. مثلما حدث فى الثورة المصرية فى أوائل القرن العشرين . وهذه هى خطورة تطبيق هذه الانماط الاوروبية فى التفسير التاريخى على التاريخ المصرى



شفيق غربال

جاك بيرك : واضح هذا حتى فى المنهج الاشتراكى

من المدهش ان الماركسى الاصيل يرى ان النواميس العامة لاتطبق الا بعد تخصصات . والواقع الاجتماعى لن يمثل تفاعلا بين العام والخاص . وهذا واضح تماما . فلو بحثنا عن دور الطبقة



العاملة في اوروبا في القرن ١٩ ان هذا يرجع في ذهني الى ان هذه الطبقة كانت تعيش في اقصى غاية الاستلاب . لقد كانت الطبقة العاملة تجمع بين خاصتين :

الاولى : انها كانت تتطلب اكثر من غيرها من اختلاس النظام الراسمالي

الثانية : انها كانت اقرب من اى عنصر آخر الى كوامن الحياة الاجتماعية . فلقد كان العامل قريبا جدا من الآلة ..

لهذان العاملان في ذهني هما اللذان اكسبا هذه الطبقات العمالية همها العجيبة الرائعة نحو التاريخ المتقدم ..

ماركس والمجتمعات الشرقية

كامل زهيرى : اننا متفقون على ان هناك اساءة في استخدام الصيغ ... ولكن يبدو ان ماركس نفسه قد تنبه الى اختلاف المجتمعات الشرقية عن المجتمعات الاوربية . وقد ارسل خطابات لانجلز يتساءل : هل الصراعات الطبقية تطبق بنفسها على الشرق .. كما تنطبق على الغرب .. ؟!

وقد لاحظ ماركس الخلافات بين ظروف هذه المجتمعات . والواقع ان ماركس لم يتوفر على دراسة المجتمعات الشرقية باستثناء الهند..كما توفر انجلز على دراسة مجتمع مانشستر . ان انجلز كان مقدمة لجميع المدارس الاجتماعية، ثم ان القابية عندما درست المجتمع الانجليزى لم تقل انها ابتكرت منهجا جديدا . لقد كانت اتصالا ومواصلة لنفس منهج انجلز

وفيما يتصل بالنقطة التى اثارها الاستاذ بيرك من ثورات الجزائر وفلسطين والعراق .. وان فكرة الاستلاب تختلف في المجتمع الشرقى عنها في المجتمع الغربى . اعتقد انه يجب التفرقة بين الثورة بمعنى رفض انماط الحياة التى حاول الاستعمار ادخالها ، والثورة بعد مرحلة الرفض

ففى فترة الرفض يعود الشعب الشرقى المستعمر الى اعماق كيانه والى القيم التى لم يستطع الاستعمار أن يحطمها او يمحوها

جاك بيرك : ماسميته بالكوامن

كامل زهيرى : وهذه الظاهرة واضحة في الشرق ، ولا تظهر في امريكا ، كما حدث مع الاستعمار في الجزائر ، والهند ، والصين ، ومصر . ولهذا كان لا بد أن تعتمد الثورة في هذه المجتمعات على اكثر العناصر صلابة . ولذلك تعتصم الثورة بالجبل ، أو بالصحراء أو بالريف .. لان الاستعمار لا يستهدف سوى السيطرة على الشواطىء والمناطق الاستراتيجية ، ولا يستطيع أن يتوغل ليصل الى الكوامن كما تقولون . ولهذا فالشعار الذى أطلقه سيسيل رودس Cecil Rhodes من انه يود لو صبغ افريقيا باللون الاحمر اى اللون الانجليزى .. كان شعارا مضحكا .. ! لانه لا يمكن في اية ظروف صبغ اى بلد بهذه السهولة الخيالية ..

جاك بيرك : بلون لايستمد من دمه الخاص

كامل زهيرى : ان العودة الى المنابع الاصلية من ثقافية وفكرية ، ومن انماط اجتماعية .. اما من طريق الثورة ، أو حتى بالافكار الرجعية كخط دفاعى .. هى ظاهرة عامة

والذى اريد أن أتساءل عنه : هل هذا الانكماش على الذات يستمر ، أم ان الشعب يبدأ بالعودة الى الخارج ، ومن ثم تظهر تناقضاته يمكن أن ينطبق عليها التفسير الديالكتيكى ؟

محمد أنيس : مفهوم ، انني أرى دون تردد أن تطبيق النمط التفسير المادي ، فيما يتعلق بالصراع الطبقي حول تاريخ المجتمعات البشرية ، يجب أن يؤخذ بنوع من عدم الجمود الفكري ..

كامل زهيري : ان هذا التحرر ممكن وواجب

لكني أود أن أشير الى نقطة خطيرة

ان المدرسة الامريكية التي ترد على الماركسية تقول نفس المقدمات التي رددتها المدرسة الاجتماعية . تقول ان العلوم الانسانية والاجتماعية تغيرت من القرن ١٩ . وهذه حقيقة . ولكنها تنتهي الى نتيجة متناقضة . تريد أن ترفض أن هناك ارتباطا بين الجزء والكل ، وان ثمة منهجا تاريخيا يحكم المجتمع

ولهذا أود أن أقول أن التحرر من القوالب الجامدة ، لا يعني التحرر تماما من فكرة التاريخ ، والا وقعنا في تفسيرات الصدف ، أو التفسيرات البورجوازية للفرد

جاك بيرك : أنا موافق معك موافقة تامة ..

من الواضح أن الانسان يواجه خطرين : خطر التعميمات المتجردة ، وخطر التخصصات الصماء . فالتعميم وحده لايكفل ارتباطا مع الوقائع . والتخصيص وحده مهدد بالرجعية والسلبية . لابد للاسلوب من أن يجمع بين هذا وذاك . ويتكون بتفاعل حيوي بينهما . كما أن تاريخ الانسان في نظري تفاعل بين الفكرة المحللة ، والحقيقة المعاشة . ومن واجبنا أن نجعل شعارنا « العقل في الاشياء ، وفي العقل أشياء »

La Raison dans les choses et les choses dans la Raison



كامل زهيري : أعتقد ان الدكتور أنيس أكثر خبرة مني في هذه النقطة ، لكن اذا استطعنا أن نحصر التيارات التي تفسر التاريخ في مصر ، نقول أننا واقعون بين الخطأين المتطرفين . فهناك المدرسة التبسيطية أو التجزيئية ، التي هي في الحقيقة تقطع التاريخ العربي أو المصري الى أجزاء ، وهي ما أستطيع ان أقول انها مدرسة سابقة على هيجل ، ولم تتأثر به ، بل هي أقرب تأثيرا بشبنجلر ، وتوينبي ، وغيرهما ..

جاك بيرك : مدرسة متكهنة

كامل زهيري : انها أقرب الى أن تذاهب غرور البورجوازية ، أو تحاول أن تدس في تفكير الشبيبة « أن كل شيء ينتهي الى انهيار » وهذه الفكرة محببة الى البورجوازي القعيد ، أو البورجوازي الأناني ، الذي لايريد ان يستنهض وعي الشعب بأن هناك ثمة تقدما وتاريخا مستمرا . قد لاتكون هذه العبارات متحفظة ، ولكنني أحس أنها تعبر عن الاتجاه في التفكير الفردي ، والبورجوازي الذي لايؤمن بترابط اللحظات الثلاث في التاريخ ، وهي : الماضي ، والحاضر ، والمستقبل . وهذه المدرسة تعتمد على الاصول التاريخية ، وعلى الارشيف أكثر من التحليل . وليس لها منهج ، وهي مدرسة غالبة ...

محمد أنيس : أعتقد هذا ..

وهذا يثير قضية هامة هي قضية الوثائق عند المؤرخين . هذه مسألة منهجية . الوثائق تعمي المؤرخ من أن يرى الظاهرة التاريخية في صورتها المتكاملة . وانا كمشتغل بالتاريخ أرى أن من عيوب المؤرخين التقليديين انهم يعتمدون على الوثائق فقط

لكنني أريد أن أضيف الى جانب ماذكرتم عيبا واضحا فيما يتعلق بالدراسة البورجوازية للتاريخ . فهي تفصل ليس فقط

بين التطور السياسي والاجتماعي ، وليس بين الماضي والحاضر والمستقبل .. بل هي تفصل بين ماحدث في مجتمع معين ، وبين مايحدث من تطورات عالمية

ان اى بلد عانى الاستعمار متأثر بالتطورات الدولية المباشرة

أعطى مثلين لهذا . وهما يتعلقان بظاهرتين هما : الاستعمار ، وزوال الاستعمار

في دراسة الثورة العرابية في مصر ، والثورة المهدية فيالسودان نلاحظ أن الاتجاه هو محاولة دراسة العلاقة بين الثورة وسياسة انجلترا بالذات . وتصورى أن الاحتلال البريطاني لمصر مرتبط بحركة الزحف على افريقيا ، كاستعمار عالمي . وفيما يتعلق بالثورة المهدية أيضا انها في نظر بعض المؤرخين ثورة تجار رقيق . والواقع أنها مقاومة من جانبشعب السودان للزحفالاستعمارى. فأنا أرى الخطورة بأن نضع مصر وحدها ، أو السودان وحده معزولا كلا منهما عن الموجة الاستعمارية الدولية على افريقيا

جاك بيرك : يعني التاريخ لايتجزأ

محمد أنيس : من زوايا متعددة ..

جاك بيرك : لايتجزأ من وجهة نظر وجوده من جهة ، ومن التفاعل العام من جهة أخرى ، من الترابط بين الماضي والحاضر والمستقبل من جهة ثالثة . وهذا يرجع بنا الى رأينا عن فكرة الكلية في التاريخ ...



عبد الرحمن
الرافعي

كامل زهيرى : يمكن اذا كان الحديث عن الثورات ، فأنا أميل دائما الى دراسة تاريخ فشل الثورات وأسباب هذا الفشل

مثال ذلك في الثورة العربية في بداية هذا القرن . لورانس أبدى ملاحظة غريبة في مذكراته . يقول أن الاستعمار رسم سياسة عجيبة حول مستقبل البلاد التى تعطى الاستقلال . في العالم العربي بلاد شبه متطورة ، وبلاد غير متطورة . ولذلك فاستعمار قلب التاريخ . الدول الاكثر تقدما فرضت عليها الحماية أو الانتداب مثل العراق وفلسطين ومصر . أما الاقل تطورا فقد أعطيت الاستقلال مثل الحجاز .. !

نستنتج من هذا أن الفن الاستعمارى ينظر الى التاريخ نظرة شاملة . ويلاحق التطور بالمقلوب

ونحن في هذه الايام اذا جاز لنا أن نفسر النظرة السياسية في مصر .. فان كثيرا مايتهم التفكير المصرى انه يحاول التدخل في شئون جيرانه . أنا أعتقد ان هناك اعتبارا هاما دخل في تفكيرنا السياسى . اننا لم نعد نرى السياسة في اطارها المصرىالضيق ، لاننا نعتقد أن قضايانا مترابطة . وليس حتما أن يكون هذا دليلا على رغبة في التوسع ، كما يقال ، ولكنه ايمان بالنظرة العلمية الشاملة في معنى السياسة

اليوم كل الحركات القومية في افريقيا تنادي باستمرار بشعارات الوحدة . قد تكون معقدة ، ولكن لاشك أن هناك احساسا عند كل افريقى انه لايستطيع أن ينظر الى مشكلته بمفرده

جاك بيرك : أعتقد أن العالمية هي من المعطيات الهامة في القرن العشرين .. فالمرحلة الاستعمارية كانت تعتمد على الموجة التكنولوجية من جهة ، وعلى فهم عالمي متقدم نسبيا أكثر من غيره من جهة أخرى . فمن الغريب أن نفس العوامل التى كانت تساند الاستعمار وتؤيده انقلبت عليه



ولهذا فان الشعوب المستعمرة صارت تتبنى التطور التكنولوجي، وهذا واضح في مصر مثلا ، منذ مجهودات طلعت حرب . ثم ان الدعوة الوطنية تتميز بالمامها الواضح بالاتجاهات العالمية .. اكثر نسبيا من الحكومات الاستعمارية التى اهتمت بالمسائل الخاصة أكثر من المسائل العامة . لقد تشتت مثلا همم الفرنسيين في تونس والجزائر والمغرب . وكل الحكومات الاستعمارية ، بل كل عنصر من عناصرها كان ينزوى على مصالحه الضيقة .. بدون فهم كاف لقوى اكثر انتشارا . فالاستعمار لم يفهم القوى العالمية الكبرى ، مثل انتشار الدعوة الى الوحدة العربية ، والحركات التحررية المختلفة في العالم

ان نفس العناصر التى كانت تؤيد الاستعمار قبل ٥٠ سنة .. صارت تحاول اخماده في جيلنا . وهذا واضح للمنطق التاريخي ، وللجدلية التاريخية

محمد انيس : الواقع ان الاستاذ بيرك يحضر بحثا عن مصر . وهو ينتمى الى مدرسة التاريخ الاجتماعى . واود ان اطرح السؤال الآتى : ماهى امكانية هذه المدرسة فيما يتعلق بتاريخ مصر . ان عندنا المدرسة الوطنية التى برز فيها شفيق غربال ، وعبد الرحمن الرافعى ، ومحمد صبرى . قبل هؤلاء كان الذين يكتبون التاريخ المصرى تسمى مدرستهم المدرسة الخديوية . وهؤلاء اما اوربيون ، أو امريكيون مثل سان ماركو ، ودوان ، وكرابيتيس .. هؤلاء كانوا مستاجرين ملكيين لكتابة التاريخ المصرى . وهم مؤرخون من ناحية البحث التاريخي ، بذلوا فعلا جهدا كبيرا واستفدنا منهم ، ولكنهم مطعون في امانتهم التاريخية ، وينتمون للمدرسة البورجوازية ...

هل أحسستم يادكتور بيرك ، في بحوثكم ، باهمية بعض المحاولات التى كتبها المصريون في التاريخ الاجتماعى .. وماهو تقييمكم لهذه المحاولات !!

جاك بيرك : مع تقديرى الكبير لكتابات بعض المصريين الشبان مثل ابراهيم عامر ، وشهدى عطية وغيرهما .. أختلف معهم استنادا الى بعض الآراء التى اسلفتها . فالنهج الصحيح في محاولتنا هو أن نرجع الى المعطيات مباشرة ، ولنتجنب التأويل ، والتحليل غير المباشر . مثلا ، الآن ، أنا اطلع على مجلدات ضخمة ، وأحاول أن استخلص منها الوقائع البسيطة التى تتكون منها الحركات الكبرى والاتجاهات الاجتماعية . فرجائى أن هذا المشروع - لعله مسرف في جرائه ، ولا اقول النجاح - أن ينتهى الى نتيجة ما .. بالتعاون والحوار بينى وبين زملائى المصريين . كما فعلنا اليوم ..

فالاجنبى في محاولته العلمية عن بلد ليس بلده يتميز بخصائص ، بعض منها نافع لمشروعه ، والبعض الاخر يضعفه . والمؤرخ

الواطن كذلك . فالتبادل العلمى اليوم نتيجة انتشار العالمية التى سبق الاشارة اليها . العلم ليس له حدود . واننى اتمنى ان تاريخ مصر الذى اراه منطقيا أكثر من تاريخ اى بلد آخر ، ان يمكننى من تحقيق بعض الآراء النهجية التى تبادلناها من قبل

محمد انيس : النقطة محتاجة الى شرح . هل المقصود بالمنطقية .. ان تاريخ مصر اكثر وضوحا ؟

جاك بيرك : أولا : البساطة النسبية للتطورات الاقتصادية
ثانيا : انسجام المجتمع واصالته

مثلا ، لو عالجنا مجتمعا مثل المغرب لنجده أكثر تعقيدا ، واختلافا . اما مصر فهى كيان موحد من قديم الزمان ، ينبنى على أركان اقتصادية ، بل تقنية ، معينة . وهى مدروسة غالبا درسا كافيا . أقصد مثلا ، مشكلات الرى ومشكلات القطن .. اننا نستطيع أن نقارن بين رسوم بيانية ، أو بين مقاييس رياضية يصور البعض منها التطور الاقتصادى فى أطواره المختلفة .. من تضخم ، وعسر ، وأزمة ، وازدهار . اننى اتوهم كباحث أن هذا سيمكننا من اعطاء نموذج تاريخى لا مثيل له ..

محمد انيس : هذه البساطة تجعل ظاهرة الاستعمار ، والحركة الوطنية فى مصر بسيطة أيضا ..

جاك بيرك : واضح ...

كان القصد هو الاستراتيجية والقطن . ولكننا لو حللنا الاستعمار الفرنسى فى الجزائر نرجعه الى عناصر اكثر تعقيدا ، واصعب تحليلا .. البعض منها معقول ، والبعض الآخر لامعقول !

محمد انيس : التعقيد موجود فى تاريخ العراق ، وحتى الشام

جاك بيرك : فعلا ...

هنا فى مصر مجتمع ينبنى على عنصر تقنى . مصر هى الرقم القياسى للمنطق التاريخى الى درجة أن استعمال كلمة الدخل فى الوثائق المصرية فى زمن الاستعمار وقبله Revenu كان المقصود منها مايستخرج من الاراضى ، والضرائب التى تفرض على الناس .. بعكس مايفهم الآن هذا الاصطلاح فى الاقتصاد المعاصر . وكان هذا سببا فى أن الحاكم الاجنبى كان يركز الاهمية على تحصيل اكبر قدر من هذا الخراج

فمثلا : كان المستعمر يقوم بمشاريع الرى .. يبنى السدود ويقيم الجسور .. الخ ، لكى ينمى مايعود عليه من مال وقطن . ولهذا فانى أعتبر انه من الرموز التاريخية الكبرى التى يرتاح اليها المفكر الحر .. هى بناء السد العالى الآن .. بعد ان كان بناء خزان اسوان الاول يمثل الاغتصاب الاستعمارى

وكذلك يقابل شق قناة السويس فى ١٨٦٩ لمصالح اجنبية ، أن الحكومة الحالية فى مصر تؤمم القناة ، وتسلمها لمصالح الشعب المصرى ، والمصالح الدولية معا ..

ان السد العالى هو اعادة الجمع بين الطبيعة ، والثقافة الوطنية التى كانت قد انفصلتا منذ قرن ..

لقد قال بن بيللا كلمة عجيبة . ماهى الثورة ؟ .. الثورة هى الحلم ، لو لم نحلم .. لم نكن ثائرين ، أو لما ثرنا

وهذا لايعنى ان الحقيقة الانسانية تتكون من احلام . ولكن الوقائع لاتقتصر على تشرور وظواهر . انها تتكون أيضا من حالات وكوامن غامضة ..

لابد للفكر والامل من التعاون لكى تحولا الى الطاقة ..
اننى مؤمن بنور الفكر ، وخاصة فى العالم الجديد



محمد صبرى
السربونى

أحمد حمروش :



[illegible]



حب .. حتى الانتحار



[illegible]

.. الذى اسس المتحف الروسى الوحيد للفنون المسرحية ... وشخصية سافا ماموتنوف الفذ كان فنانا من فنانى الاوبرا ومديرا مسرحيا وكاتبا مسرحيا ... هو الذى انشأ الاوبرا الروسية الخاصة كما انشأ الكثير من خطوط السكة الحديد !!

وقد كان والد ستانسلافسكى تاجرا واسع الثراء ، وكانت امه تنحدر من أم فرنسية تدعى « مدام فارلى » وكانت تعمل ممثلة زائرة على مسارح بتروجراد « لينتجراد » حاليا ..

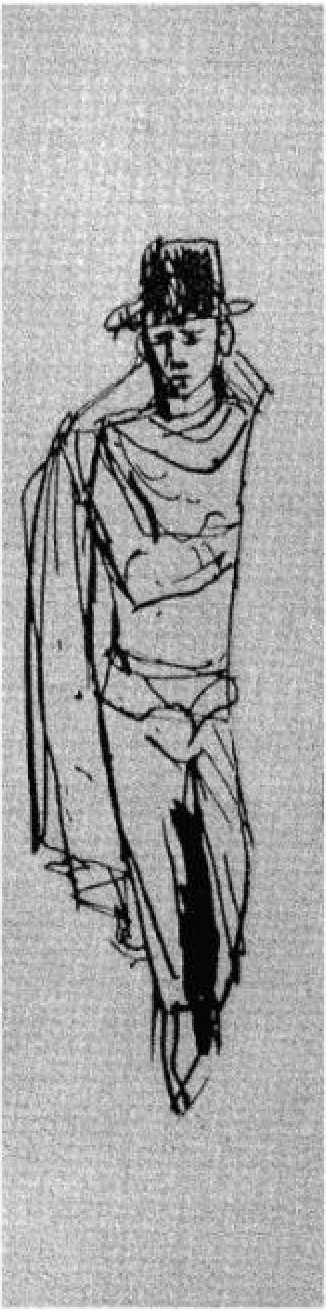
ويقول ستانسلافسكى أن والده كان رجلا متمسكا بالتقاليد ... ظل ينام الى جوار جده حتى تزوج ، فانتقل الى فراش الزوجية الذى لم يبدله ابدا حتى مات »

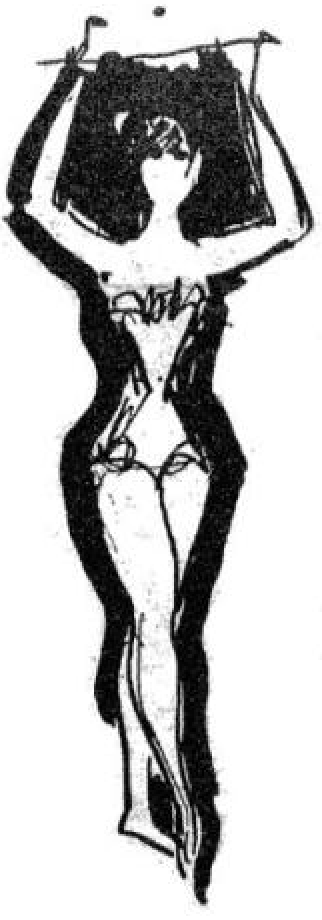
واقدم ما يتذكره ستانسلافسكى من طفولته هو ظهوره على خشبة مسرح صغير اقيم للاطفال فى أحد اجنحة منزل العائلة . وقد شعر بالخجل الشديد « ولكنه سعد كثيرا لتصفيق الحاضرين ! ...

ولم تكن سنه تتجاوز الثامنة عندما ذهب الى الاوبرا الايطالية التى قال عنها بعد ذلك انها « جذبت سمعه وبصره وذوقه الى كل ما هو جميل »

وقد اعتاد ان يذهب مرة فى كل اسبوع الى احد العروض الفنية فى السيرك ، او الباليه او المسرح ... وكان السيرك احبها الى قلب الصبى الصغير ، حتى أنه قرر فى نفسه ان يكون مديرا لسيرك ... ولكى يضمن عدم تغير هذا القرار تناول ايقونة من الايقونات المعلقة فوق الحائط وأقسم بها الا يعمل شيئا فى المستقبل الآن يكون مديرا لسيرك !!

اما الذهاب الى المسرح فكان يختلف تماما ... يقول انه كان يشوبه الاهتمام ويحيطه الجد ... ولكن الصبى ينفعل بما يدور امامه





ويقول عما يشاهده « كان هذا كله يثير في الاحاسيس المختلفة ، فكان الدم يملأ وجهي المصطبغ بالحمرة تارة ، ثم لايلبث ان يغيض الدم لتطير الحمرة ، وينقلب وجهي ابيض شاحبا ، ثم اذا العرق يتصبب مني كالغيث المنهمر ، ثم اذا انا ابكي وتثلج اطرافي حينما اسمع راقصة الباليه الجميلة المخطوفة تتوسل الى القرصان الرهيب أن يطلق سراحها »

هذا الحب الكبير للمسرح ، دفع ستانسلافسكي الى اقامة حفلات في منزلهم الكبير يشترك فيها مع اخوته واصدقائه .. قدموا حفلات تشابه حفلات السيرك ، وعملوا مسرحا للعرائس .. واخرجوا فصولا تمثيلية تتميز بما فيها من كوارث

والصبي الصغير يملأ هوامش كتبه وكراساته المدرسية برسوم ومناظر مسرحية استعدادا لتنفيذها في مسرحه الصغير .. وهو يقول :

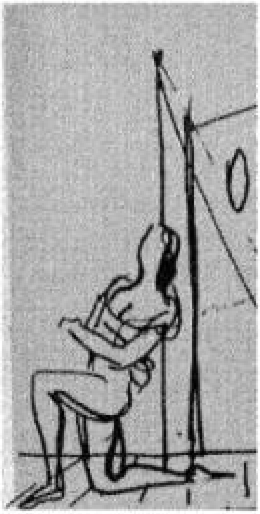
« ولما كنت انا مدير السيرك فقد كنت أولى الناس بأحسن الادوار ، وكان الجميع يخضعون لأوامري ، ولعل هذا لانني كنت محترفا لايشغله الا أن يصبح مدير سيرك، او ناسكا لا شأن له بأمور هذه الدنيا »

وكان الجمهور لا يتغير .. المربي والمربية والاخوة والاخوات والخدم والاقارب .. « كانوا يشجعوننا بشراء التذاكر مساعدة منهم لنا »

وكان غرام المسرح يملك كل حواس الصبي .. حتى أن والده أعد له احدى صالات المنزل بحيث يمكن ان تكون مسرحا صغيرا .. وفي هذا المكان كان يقضي ستانسلافسكي كل أوقات الفراغ

وعندما شاهد بعض الفرق الاوربية ارتفع ذوقه وبدأ يفكر في تقديم أعمال اكثر نضجا

وبدأت تتسرب الى نفسه روح الفن ..



يشعر بالخيط الرفيع الذى يربط الممثل بالجمهور ٠٠ وهو يقول فى ذلك : « ليس فى الدنيا كلها ما هو أشد ايلاما وافدح وجيعة من عدم شعور الممثل بالدور الذى يؤديه ، وعدم تغلغله فى نفسه ، وجريانه مع الدم فى عروقه »

« ان من اليسير جدا أن تمثل ٠٠ ومن العسير أشد العسر أن تمثل ٠٠ ولفن التمثيل فن شديد الفتنة خلاب للالباب ، لا يصبر على سره الا الاقلون ٠٠ وهذه هى المتناقضات التى وقفت أمامها حائرا فى فجر حياتى المسرحية ٠٠ وبعد المرات الأولى التى وقفت فيها على خشبة المسرح »

وأمام هذه المتناقضات تتغلب عليه الحيرة ، وهو يتساءل « يا الهى ما هذا !؟ » ان من أعجب العجب اننى حينما كنت اشعر باننى امثل أحسن التمثيل واجوده ، كان الجمهور ينتقدنى ويعيب على ٠٠ فاذا شعرت باننى امثل اردأ التمثيل واشنعه كان الجمهور نفسه يبدى اعجابه ويثنى على »

وبدأ ستانسلافسكى يخرج من خشبة المسرح الى الحياة العامة ٠٠ يلبس ملابس الشحاذين او الغجر ، ويظهر أحيانا فى صورة السكارى ٠٠ ويسعده ألا يكتشف أحد امره ، وأن يثير رجال الشرطة ٠٠ وكان هذا يعنى انه يجيد التمثيل ٠٠!

واكتشف ستانسلافسكى أن الثقافة هى الاساس الذى تبنى عليه شخصية الفنان ٠٠٠ وان الذى لا يقرأ يتخلف ٠٠ ولايستطيع أن يعبر عن ابعاد الشخصية التى يؤديها

وهو يقول « ان نصيحتى لكم يا شباب الممثلين والممثلات ان تحاولوا أولا وقبل كل شىء أن تفهموا ٠٠ الخامة التى تسجتكم منها يد الطبيعة ولأى شىء تصلح »

ووصل ستانسلافسكى الى عمر الشباب ٠٠ وعرض عليه ان يعين مكان ابن عمه مديرا لجمعية الموسيقى الروسية والكونسرفتوار الروسى ٠٠ وهو يقول انه قد قبل المنصب لا حبا فيه وانما للارتباط بالوسط الفنى

ومع ذلك ظل نظره متجها الى المسرح ٠٠

الى المسرح الامبراطورى الصغير الذى تلقى فيه كل تعليمه المسرحى ٠٠ المتعة التى نالها من مشاهدة الاوبرا الايطالية وهو صغير ٠٠ حصل عليها وهو شاب من مشاهدته لهذا المسرح







فى هذا المسرح بدأت تتفتح الحياة الفنية الروسية بعد فترة طويلة من الجمود والظلمة التى تشبه سكون الموت تماما كما حدث فى عهد شيـــكسبير وموليـــير .. واهتم ستانسلافسكى بعدد من الفنانين وصـــفهم بالعبقرية منهم الممثل العجوز سادفسكى والكوميـــديان ذو الوجه القبيح جينوكينى والممثل ذو المظهر الارستوقراطى شومسكى والرشيقة ميدفيديفا

ويواظب ستانسلافســـكى مع ذلك على

مشاهدة الباليه قائلا : « انه فن رفيع .. لكنه رفيع لغيرنا نحن الفنانين المسرحيين .. ان الذى نفتقر اليه هو شىء آخر .. فنون تشكيلية اخرى .. رشاقة اخرى .. اتزان آخر .. جمال ايقاع آخر .. مجموعة من الحركات الايقاعية غير حركات الباليه.. طراز من المشى غير طراز الباليه .. وطريقة اخرى معبرة من طرق الحركة .. ان ما يجب ان نقتبسه هو تلك القدرة العجيبة المذهلة على العمل .. اننا يجب ان نتعلم عليهم فى علم الحركة الجسمانية الانسيابية »

وفى جمعية الموسيقى الروسية التى تولى ادارتها تعرف الى تشايكوفسكى والى الموسيقار وعازف البيان الشهير انطون روبنشتاين

ويبدو أن الموسيقى قد جذبت انتباهه الى الاوبريت فقدم على مسرحه الجديد فى منزلهم اوبريت لمسرحية جديدة تسمى « جالوتا » لم تعرض من قبل فى موسكو .. وجدد محاولته مرة اخرى عندما ذهبت شقيقاته الى باريس وكتب من خطاباتهن اوبريت مثلها



ايضا على مسرحه الخاص !

وهو يقول فى ذلك « نقلنا الاخراج وجميع الاعمال المسرحية الاخرى « نقل مسطرة » عن الاصل الفرنسى وخضعنا فيه كل الخضوع لما شهدته اخواتنا فى المسرح الباريسى .. اما انا فسرعان ما اتخذت لنفسى طرائقى الخاصة فى الكلام والحركة فى الدور الفرنسى ، وقد هيأ لى ذلك كله نوعا من الاستقلال فوق المسرح »

وقد نجحت المسرحية نجاحا جعل الفرقة العائلية تستعد لاخراج اوبريت «الميكادو» التى أخرجت من قبل .. وتحول المنزل طوال الشتاء الى مايشبه الركن اليابانى .. وتعلم جميع العادات اليابانية فى السير والتحية والرقص وطريقة استعمال المروحة

ولكن حبل الاوبريت كان قصيرا .. وهو يقول « ضقنا ذرعا بالاوبريت .. وفضلا عن هذا فان المصاريف المتزايدة فى الاخراج لم تعد تتناسب مع ايراداتنا .. ولذا قررنا أن تكون مسرحيتنا الجديدة مسرحية درامية »

بعض المعجبين

وذات مرة فى بعض التجارب التى سبقت موجهته اثناء الدراما ..

سأل احد المتفرجين محاولا التعرف على اثره فى نفوسهم

— الا يترك تمثيلى اى اثر فى نفوس احد المتفرجين ؟

وكان الجواب :

— لا ادرى ، ولكنه لا يؤثر فى انا بوجه خاص !

وانطلقت ابذل جهدا اشد وطاقة اقوى فى تقليص عضلات وجهى ، وتمزيق أعصاب رأسى ، وتجريح حنجرتى ... ولكن ... هذا كله لم يكن يؤدى الا الى ما هو اسوأ .. !

« ومع هذا فهناك قاعدة ذهبية أثق بها وهى أن الممثل مهما كان رديئا ، فانه لن يعدم بعض المعجبين به .. وتطبيقا لتلك القاعدة كان لى بعض المعجبين » !!

ويستطرد ستانسلافسكى موجها النصح الى الممثلين قائلا لهم « حذار من المعجبين بكم ... نصيحتى أن تنصتوا الى القول الصادق القاسى ، وعليكم لن تبحثوا بأنفسكم عمن يستطيع ان يقول هذا القول الصادق »

وبدأت تتوالى المسرحيات الدرامية .. فأخرجوا « الفارس البخيل » ، « وقوة القدر » ليمسكى ، و « الحب

والدمية » لشيلر « والضيف » لبوشكين .. وغيرها والتدريب والعمل المتواصل بكبح جماح البالغة عنده ، فقد اخذ يحل عقد التشنجات العضلية التى كان يعانى منها حين كان يطوى قبضته بكل ما أوتى من قوة حتى لتنغرز أظافره فى لحم راحته فتترك آثارا دامية ... ولكنه أخذ يحل الايماء الخفيف والترنيم بالصوت والنظرة بالعين محل الاشارات الغليظة باليدين .. والنبرات المتحشرجة العالية

ممثلة هاوية

وتزوج ستانسلافسكى من ممثلة هاوية اسمها المسرحى ليلينا ، لم تقم أى اعتبار لنظرة المجتمع الى الممثلات فى ذلك العهد وهو يروى قصة زواجه فى طرافة قائلا « الظاهر ان الحب كان قد اختلس طريقه الى قلبينا ... لكننا لم نشعر بدبيب اقدامه ... الا أن الجمهور هو الذى لفت انظارنا الى هذا السر ... لقد كان أحدنا يقبل صاحبه فى هذا الدور قبلا جد طبيعية ... ومن هنا كان سرنا مكشوفا للجمهور ... وكنت أؤدى الدور بصنعة اقل وموهبة اكثر ... الا انه لم يكن من العسير ان نحزر : من الذى كان يلهمنا : ابوللو اله الفن ... او هيمين اله الزواج ! »

وتزوج ستانسلافسكى من ليلينا فى شهر يوليو

كان كلُّ هذا النشاط الفنى يدور فى حدود جمعية الفنون والاداب التى أسهم الفنانون فى انشائها ، واشترى لها ستانسلافسكى مقرا من امواله الخاصة ، وأسهم الفنانون فى تأثيثها ، واشتركوا جميعا فى نشاطها

وبدأت الجمعية عامها الثانى بمسرحية « الخارجون على القانون » من تأليف بيسمسكى أيضا الذى قدموا له « قسوة القدر » فى العام الاول ... واكتشف ستانسلافسكى حينذاك ان الممثل ينحدر الى هاوية الفشل اذا كرر نفسه مهما كان قادرا ومشهورا ... اما الممثل الناجح فهو الذى يخفى شخصيته ، ويبرز شخصية الدور الذى يؤديه

واستمرت جمعية الفنون والآداب تواصل نشاطها حتى اثقلت بها الخسائر المادية ، وتقرر تصفيتها ... ولكن الجمعية أجرت مقرها لنادى الصيد ، واستأجرت شقة متواضعة ... وقررت أن تواصل نشاطها

وكان شرط نادى الصيد ان تقدم الجمعية الى أعضائه مسرحية جديدة كل أسبوع ... وقبلوا على مضض متشبهين ببقية مسارح موسكو ... وكان هذا الالحاح المستمر على تقديم مسرحيات جديدة يتم على حساب المستوى الفنى ... ولكنه فى نفس الوقت يضع أيديهم على أسرار المهنة ، ويدفعهم الى مجابهة المشاكل وحلها مباشرة

وانضمت اليهم الممثلة الشهيرة فيدوتوفا التى بعثت فى الجمعية حيوية واضحة ... بعد أن ترك زوجها السابق المخرج فيدوتوف الجمعية

الحب حتى الانتحار

وحتى هذا الوقت كان ستانسلافسكى يعمل ممثلا ، يكتشف بموهبته اسرار الفن المسرحى ، ويلتقط من الذين يعمل معهم كل ما يملكون من خبرة وتجربة ... ولم يكن قد مارس الاخراج الفعلى بمعناه الصحيح .. حتى أتيحت له الفرصة لاخراج مسرحية « ثمار المعرفة » للكاتب المريض الشهرة « ليوتولستوى » ... وهى مسرحية متعددة الشخصيات ...

شديدة التعقيد في حركتها المسرحية ... تحتاج الى مخرج شديد الالمام بالفن المسرحي

واخذ ستانسلافسكي يتشدد في اخراجه الصدق والحق ... وينفر من الزيف الكاذب الذي لا تحتمله طبيعته الفنية ...

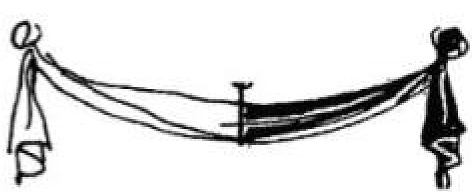
وتحمل المسئولية في ثقة وشجاعة ... وكتب يقول « ليس من السهل السيطرة على فرقة من الممثلين حينما يكونون منهوكي الاعصاب اذا عرفنا أن الجهاز العضوى للممثل جهاز حوائي متقلب غريب الاطوار ... ولابد للمخرج أن يتعلم كيف يسوس الممثل في فترة التدريب .. ولابد للانسان اذا اصبح مخرجا أن يفرض على نفسه الالتزامات الصارمة قبل كل شيء ... لقد كنت انا نفسي أول شخص وقعت عليه الغرامة والجزاء ... وقد تقبلت هذا بأعظم مظاهر الجد ، حتى لا يظن أحد انني انما اتباهى وكنت اوقع أشد العقاب واعنفه بمن يتأخر عن الميعاد المحدد للتدريب ، ومن لايحفظ دوره حفظا جيدا ، ومن يثرثر في أثناء العمل ، ومن يخرج من قاعة التدريب اثناء التدريب ، دون أن يستأذن ؛ وحرمت على الممثلين والممثلات خاصة حضور التدريب بثياب ، خارجة شديدة البهرج ... بل حرمت على الممثلات لبس القبعات كبيرة الحجم ... ثم غلوت فحرمت عليهن الحضور بالقبعات ، كما منعت الجميع من المزاح وما الى المزاح من عبث وغزل ومداعبة ... وكنت أقول لهم :

انهلوا ما شئتم من جد الحب الجارف ، لانه يتسامى بكم ويطهركم ... انتحروا اذا أحببتم برصاص المسدسات من أجل النساء ... أو انتحروا في سبيلهن في عباب الفولجا ... موتوا ... أما جو المداعبة والغزل المائع فلا حاجة لكم به .. لانه يهوى بكم الى الحضيض ، ويفضى بكم الى ما يذهب بانسانيتكم »

على هذا السبيل مضى ستانسلافسكي ونجحت المسرحية نجاحا باهرا ، واستمرت تعرض حتى أواخر الربيع ... وحققت أرباحا ضخمة أقالت عثرتهم المالية

ويقول ستانسلافسكي عن هذا النجاح انه جاء عرضا ، وبطريق الصدفةالخالصة ... وهو يقول انه لم يكتشف الطريق الواضح الصحيح ... ولكنه اكتشف دربا صغيرا يقود اليه ...

هذه البداية وصلت بستانسلافسكي ليكون مخرجا من أعظم الذين شهدت خشبة المسارح أعمالهم ، واصبحت له مدرسة عريقة في الاخراج ، ظهرت آثارها في معظم بلاد العالم



کامل زهیری:

سارتر



متفکر سیاسی

■ اشتهر جان بول سارتر فيلسوفا • وخلع عليه العالم بعد الحرب لقب الفيلسوف • ولم يجتمع لمفكر مثل هذا الذيوع وهذه الشهرة كما اجتمع لسارتر • وأصبحت الوجودية مذهبا تسرب من صفحات الروايات والكتب والدراسات الجادة التى كتبها سارتر الى كهوف باريس الضيقة، وكباريهاتها الفاجرة ، ومغانيها التى تتغنى بالحزن الدائم ، والكآبة الجارفة ، واليأس اللذيذ والهجر بلا سبب ! وتفشت الوجودية ، حتى اصبحت اغنيات فى فم المغنية الشهيرة، ذات الشعر الاسود الطويل الفاحم ــ الذى لا تغسله ! ــ جوليت جريكو • بل وأصبحت الوجودية شطحات مختلة من شبان مفتونين بشبابهم ، يبحثون عن التقاليع ، شأنهم شأن كل الشباب فى عصر يختل فيه الميزان ويضطرب

ورغم هذا الاضطراب • فان سارتر نفسه كان لا يظهر فى باريس الا فى الاماكن الجادة ، أو فى المقاهى البعيدة عن حى سان جرمان دى بريه

وكان من الواضح أن سارتر ادرك أن سر هذا الذيوع هو الفهم الخطأ

ان كثيرين فهموا من الوجودية بعض العبارات المتوترة ، أو قرأوا بعض القصص التى ألفه سارتر ، والذى يتحدث فيه عن الضياع او اليأس او التمزق او العدم .. او عن هذا البطل الذى حكم عليه بأن يكون حرا .. او ذلك البطل الذى يحس بالغثيان الدائم .. فتشبهوا بهؤلاء الأبطال ، ووجدوا فيهم سلوانا أو تكئة لحيرتهم او طيشهم او حزنهم القاتل

والحق أن لسارتر « وهجا » أدبيا خاصا • وهذا هو سر هذه الظاهرة .

فهو من المفكرين القلائل الذين استطاعوا أن يبسطوا أو يجسموا أفكارهم المعقدة فى روايات وقصص وتمثيليات وأفلام وكتب مبسطة للعامة والطلبة وأنصاف المثقفين والفلاسفة على السواء

وقد جلب هذا الوهج كثيرا من القراء والمشاهدين ... حتى كاد العالم ينسى حقيقة سارتر ، وفلسفته

ان سارتر ، كما يقول بنفسه ، ليس فيلسوفا

انه يعتذر من هذا اللقب .

وهو لا يعتذر تواضعا أو ارتدادا ..

كما اعتذر زميله المفكر الوجودى الدنمركى سورين كيركجارد ، حين قال انه لا يسره ان اساتذة الجامعات ــ بعد موته ــ سوف يدرسون كتاباته على أنها فلسفة !

وهو لايعتذر كذلك؛ كما اعتذر الكاتب التشيكوسلوفاكى اليهودى فرانز كافكا



كير كجورد



من الادب ومكانة الاديب ، وطلب من صديقه الحميم ماكس برود ، أن يحرق كل ما تركه عنده من أوراق واقاصيص وروايات ؛ حتى لا يصبح اديبا بعد وفاته، وهو الذى رفض فى حياته أن ينشر شيئا مما يكتب غير بضع صفحات ، نشرها على سبيل التجربة ؛ أو رغبة فى تذوق الرأى العام

ان سارتر يرفض ان يكون فيلسوفا ، لا عن ريبة فى قدرته ، ولكنه يرفض هذا اللقب عن اقتناع !

انه يعتبر نفسه ايدلوجيا أو مفكرا . ويعتبر الوجودية « ايدلوجية » كما يعلن فى كتابه قبل الاخير « نقد المنطق الدياليكتيكى (١) »

والفرق بين الايدلوجية والفلسفة .. ان الايدلوجية مجموعة من الافكار ، لابد أن تكون عميقة ، ولكنها لا تتكامل حتى تصبح نظاما فكريا شاملا متكاملا ، كما لابد ان تكون الفلسفة

ولسنا ندرى هل يستخدم سارتر كلمة « الايدلوجية » للتعبير عن الوجودية ، كما استخدمها نابليون حين كان يقلل من شأن المثقفين فى عصره ، وخاصة هؤلاء الذين يمارسون بشدة عطشه العنيد

للانفراد بالسلطة ، فقد كان نابليون يسمى الجمهوريين بالايدلوجيين !

ولكن الاكيد ان سارتر يعلن على المتحمسين له ؛ او معارضيه أنه ليس فيلسوفا ، والوجودية ليست فلسفة

واسباب ذلك أن جان بول سارتر يرى ان تاريخ الفلسفة الاوربية الحديثة شهد ثلاثة قمم عالية ، ظهرت للتعبير عن عصرها وان دوام هذه الفلسفة ؛ او انهيارها موقوف بالظروف التى نشأت فيها ، للتعبير عنها . وان هذه القمم الثلاث هى ديكارت وهيوم . ثم هيجل ثم بعد ذلك ، وحتى الان : كارل ماركس

ان ديكارت مثلا يعبر عن الفترة التى سبقت الثورة الفرنسية ». لان ديكارت هو الذى مهد بمنهجه التحليلى وعناداته بالعقل المنطقى للثورة ، ولاشك ان ديكارت اثر كل التأثير فى هالفيلس وديدرو وجان جاك روسو ، بل يقول سارتر — وبحق — ان هذا المنهج الجديد الذى انشأه ديكارت ، كان قد هدم كل القيم التى يؤمن بها الاقطاع والنبالة ، قبل أن تنزل مدافع الثورة الفرنسية ، تنقصف القلاع السياسية والامتيازات الاجتماعية

فالمنهج التحليلى يقوم على النقد ، والنقد قتل الثورة

وسارتر يرى ان الفلسفة هى جماع المرئية ، ولابد لها من منهج ، وفكرة منظمة ، وجيش هجومى ولغة موحدة حتى تصبح الفلسفة نظرة جديدة الى العالم ومن هنا ، فهو يرى أن فلسفة ديكارت ولوك ؛ ثم كانت وهيجل ، ثم فلسفة ماركس ، هى التى تستحق — فى تاريخ الفكر الاوربى — هذا الوصف بالفلسفة اكثر من ذلك

ان الماركسية لم تستنفد بعد اغراضها لان الظروف التى خلقتها لم تنته بعد

بل ان الذين يحاولون تخطى الماركسية انما يعودون الى الوراء ، يحاولون احياء الافكار « التى سبقت الماركسية » ، وهم

(1) Critique de la raison dialectique, 1560, P. 18.

يكتبونها من جديد ، بالفاظ جديدة !

وعلى ذلك « فالماركسية باقية كفلسفة للعصر الذى نعيش فيه

« أما المثقفون ، الذين يظهرون بعد ازدهار هذه الفلسفات ، والذين يحاولون اكتشاف مناهج جديدة ، أو اكتشاف بعض الارض التى لم تكتشف تماما ، او هؤلاء الذين يعطون للنظرية بعض وظائفها العملية ، فانهم لا يستحقون ان نسميهم بالفلاسفة »

ويرى سارتر ان الهيجلية هى اكبر تجمع فلسفى معاصر

فلقد وصلت المعرفة — عند هيجل — الى أعلى مراحلها ، لانها لم تعد تنظر الى الكائن البشرى من الخارج ، ولكنها تضمه الى جناحها ، وتحتضن الداخل

ولندع سارتر نفسه « يصف » علاقته بالماركسية من البداية

انه يقول انه حين كان يدرس فى سنة ١٩٢٥ ، وكان عمره مايزال عشرين عاما ، لم يكن يشهد للماركسية اعترافا فى الجامعات . بل لقد كان الخوف من ذكر الديالكتيكية يجعل الطلبة لايذكرونها فى أوراق امتحانهم ، حتى لا يحرمون من الامتحان

وقد نشأ جيل سارتر ، كما يقول ، دون اى تقاليد هيجلية : مثل الجيل الذى سبقه ، والجيل الذى تلاه لايعرف شيئا من المادية التاريخية

لقد كانت الجامعات سابحة فى دراسة المنطق الشكلى ومنطق ارسطو

وحتى حين سمع سارتر عن الماركسية، وماركس ، واخذ فى قراءة كتاب ماركس «الراسمال» وكتاب ماركس «الايدلوجية الالمانية » لم يفهم منهما شيئا

فالمسالة فى راى سارتر ليست قراءة انها فهم

والفهم يعنى أن تفهم ، والتغير والتخطى نفسك . وعلى ذلك كانت قراءة ماركس فى ذلك الحين لا تعنى شيئا

ولكن الذى جلب سارتر الى الماركسية هى الوجود الاجتماعى ، او الحقيقة الاجتماعية التى بدأت تعى الماركسية انها الحركة العمالية

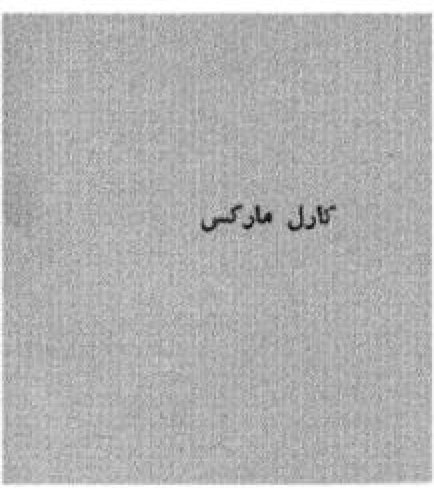
والعجيب ان نفس الكلام نشهده فى كتابات الزعيم العمالى أنورين بيفان

ان بيفان يحكى قصته عندما كان صبيا يعمل فى المناجم ، وكان العالم لاينتبه الى اهمية وخطورة الماركسية ، الا حين بدأ العمال يقتنعون ويؤمنون بها : فاصبحت الماركسية حركة « تسير على ارجل »

وهنا نجد وجه الشبه بين كلام زعيم عمالى انجليزى ، ومفكر فرنسى ، وهو ان الافكار وحدها لاتجلب اهتمام المجتمع، بل لابد لهذه الافكار من حركة تمثلها ، وتنطق بها

***

ويمكن ان نقول ان سارتر انجذب فى صغر شبابه بالفكر الالمانى الوجودى ،



كارل ماركس

قبل ان ينتبه الى اهمية الماركسية

وعلى الرغم ، من ان ثلاثة مؤلفاته تنشر عادة فى صدر كتبه ، الا انهـا تغفل كتابا ترجمه سارتر وهو ما يزال طالبا فى مدرسة المعلمين العليا فى عام ١٩٢٧

هذا الكتاب ترجمه عن الالمانية للفكر الوجودى عند هيدجر ، وهوسرل

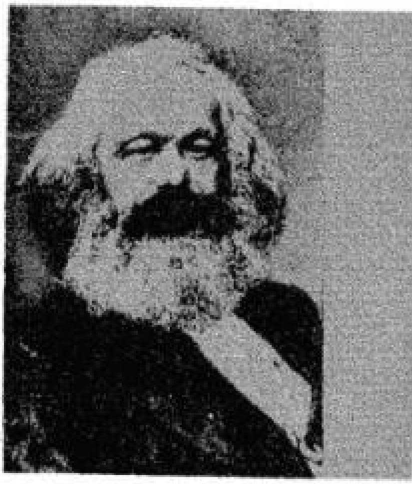
وقد كان هذا الاتجاه متطابقا مع اتجاه المثقفين فى فرنسا حينذاك وهم يشاهدون فلسفة برجسون تترنح ، فاخذوا يحاولون تقصى الحقيقة من الفكر الالمانى

***

ويرجع انجذاب سارتر الى الفكر الالمانى الى انه كان يجيد الالمانية منذ كان طفلا . فقد تعلم هذه اللغة من جده لامه ، الذى كان يدير مدرسة خاصة لتعليم الالمانية

وقد كانت الفترة التى تفتح فيها وعى سارتر من اخصب الفتـرات المليئـة بالفاجعة ، واهتزاز القيم

ان الحرب قامت .. ثم اندلعت الثورة



الروسية .. وانتهت فكرة الامن والطمانينة البورجوازية

ومن هنا نشأت هذه التيارات الجارفة التى تبحث فى الوجود

فاذا بالفيلسوف الالمانى هيدجر يقول ان الانسان كائن وحيد ، صادر من ماض مجهول ، ومتجه الى مستقبل هو العدم او الموت

« وهو – فى هذا العالم – منفرس ، وحيد ، يعانى الجزع والقلق الشديد ، والوحشة

« ان هيدجر يتهم الانسان بانه يسقط فى الوجود « الزائف » . لانه يهرب من القلق ، ويعيش كالآلة ، يفكر ويتصرف لا كانسان يتميز عن غيره بفرديته الخاصة »

ولاشك ان تاثير الفلسفة الالمانية من نيتشه الى هيدجر ، وتاثير المنهج الذى ابتدعه هوسرل فى المعرفة كان ضخما فى تفكير سارتر

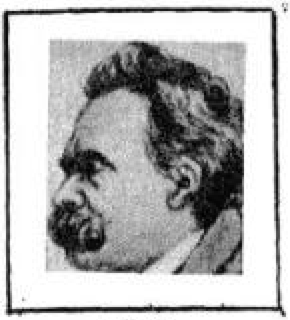
ولقد بدأ سارتر مترجما لهذا الفكر ، ثم انقض على الفكر برجسون الفرنسى بادوات واسلحة ابتكرها هؤلاء الالمان .. وكانت هذه الفترة من حياة سارتر الفكرية قريبة أشد القرب من التفكير الفردى ، غير الهيجلى ، وفى هذه الفترة ، التهم سارتر كل ما كتبه كيركجارد ونيتشـه وهيدجر وهوسرل من معارضى هيجل

***

لقد كان « ابو » هؤلاء المعارضين هو هذا المفكـر الدنمركى كيركجارد ، الذى انسحب الى ذاته المليئة بالتمـزق ، والوحشة ، والفجوات ، والتخصص فى القلق

وكان «اقوى» هؤلاء المعارضين هو هيدجر ..

وكان اكثرهم ضجة هو نيتشـة الذى انكر القيم الاخلاقية والدينية التقليدية وعارض العقل ، لانه يفرض قوانينه على



نيتشه

الوجود ، والوجود ينافى العقل ، ويعجز عن ادراك الوجود ..

وكانت هذه الجوقة تتمتع بجاذبية خاصة عند الفرنسيين ، لانهـا جوقة متمردة ، ومتشائمة ، ترفض أن تتخطى التوتر ، كما يرى هيجل

وكيركجارد هو اكثر هؤلاء المفكرين تشاؤما ، واشهرهم ألما ، واشدهم انتقاما من هيجـل ، لانه يرفض « الموضوعية » و « الفكرة الكليـة » و « الضرورة الهيجلية » ..

انه يضع امامه المفكر « الذاتى » ، والحقيقة الخاصة الجزئية

وهو لايؤمن بالمعرفة الموضوعية العقلية بل يشعر – فى مواجهتها – المعرفة التى تبدا بالايمان ، والايمان فعل ذاتى بحت. وبدلا من الجدل المتصل الذى يؤمن به هيجل ، يشعر الجدل المتقطع ، الوجدانى العاطفى ، الملىء بالوثبات والثغرات

انه يقول : ان الوجود الحقيقى ، بما يحمله من عناصر الذاتية ، والتناقض ، والوجدانية ، ينفر من النسق الفلسفى

ان الهيجلية تقول ان كل شىء «يمكن» فهمه ، ويمكن اخضاعه لقوانين موضوعية.

وكيركجارد يقول أن فى النفس اشياء لا يمكن اخراجها ، ولا يمكن التعبير عنها.

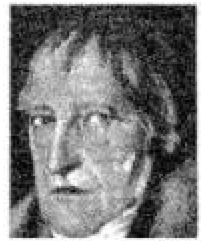
وقد تأثر سارتر ابلغ التأثر بهذه الفلسفات المعارضة للهيجلية ، ولكنه كان فى نفس الوقت لايستطيع أن يهدر الهيجلية أو ينكرها

ولعل سر ازدهاره الفكرى ، انه فى نفس الوقت الذى التهم كل الكتابات المعارضة لهيجل ، وتأثر بها ، ونقلها ، وبسطها فى رواياته وقصصه والآنه ، لم ينس أن يحدد موقفه من الهيجلية

ولم يستطع سارتر أن يرفض الهيجلية فى النهاية

وكما استطاع كارل ماركس ان يقلب هيجل رأسا على عقب ، فيقلبه من المثالية الى المادية ، ويطبق منهجه الديالكتيكى فى التاريخ على المجتمع ، فان سارتر اخذ ديالكتيكية هيجل ليطبقها على الوجود

ومن هنا ، نلمح ان فكرة الوجود والعدم عند سارتر ليست سوى فكرة ديالكتيكية . لانه يقول ان العدم موجود فى الوجود ذاته ، والوجود شرط لازم للعدم



هيجل

ومن هنا ، ايضا نرى أن تفكير سارتر . منذ البداية ، لم يكن متناقضا مع الهيجلية ، لانه يدور فى دائرة اخرى هى دائرة التاريخ ، ولا يتناقض مع دائرة الماركسية لانه يدور فى دائرة اخرى هى دائرة المجتمع

ان تفكير سارتر — فى الغالب — يدور فى دائرة ثالثة هى الوجود

وقد استطاع سارتر ، بفضل تفتحه على الفلسفة الالمانية التى ظهرت بين الحربين ، ان يكتشف تفسيرات جديدة ، هى التى اعلنها فى رواياته ومؤلفاته

ومن هنا ، كان تفسير رأى سارتر انه ليس فيلسوفا يعارض الهيجلية ، او الماركسية انما هو ايدلوجى ، يبحث فى بعض المناطق التى لم تكتشف كلها تماما ... والتى اغفلتها الماركسية .

ومن هنا كان موقفه الذى يقول فيه انه لم يكن ضد ماركس ، ولكنه كان ضد بعض الماركسيين المتحجرين ، الذين جمدوا النظرية ، فاصبح التفسير الموضوعى عندهم تفسيرا مثاليا ، يبعد عن الحقيقة الموضوعية ذاتها ..

ومن هنا ، فانه يصور ازمة الفكر المعاصر على ان الافكار التى اكتسبتها علوم الاجتماع الامريكية لا تقوم على أسس نظرية وان علم النفس التحليلى بعد ان بدا بداية متحللة قد تجمد وان الماركسية ذاتها ، مع انها تتوافر لها كل الاسس النظرية ، وتضم كل النشاط الانسانى من تاريخ وانتقاد واجتماع ، الا انها — نتيجة البيروقراطية — توشك ان تقع فى المثالية البعيدة عن الواقع

ان سر هذه المثالية هو تجمد البيروقراطية ، وتحويلها للفكر الى فرمانات جامدة ، أى الى قوالب سابقة جاهزة ، تفلت الحقيقة الموضوعية من بين اصابعها ..

ان ذبول التفسير البورجوازى للوجود ، وجمود التفسير الماركسى — على يد البيروقراطية — هو الذى اعطى الفرصة واتاح الميدان امام الوجودية لتطرح تفسيرها

ومن هذه النقطة ، بدا سارتر يفكر فى العمل السياسى .. وعند هذه النقطة نتوقف قليلا . لان سارتر الفى فى عام ١٩٤٨ التجمع الديمقراطى الثورى ، ليحاول ان يجمع العناصر اليسارية — غير الستالينية — ليكون طريقا ثالثا بين الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى المتهافت ، ولكنه لم ينجح ! ومن هذه النقطة يبدا تحليل « مواقفه السياسية » من قضية الحياد والاشتراكية وقضايا المستعمرات ..

***

ولابد لنا من أن نلقى — قدرجهدنا — بعض الضوء على موقفة من قضايا الهند الصينية ، والجزائر ، وكوبا ، وعلى الاخص موقفه من القضية « اليهودية » فى حدود ما كتبه فى كتاب « المعادى للسامية » .. لان القضية الاخيرة تهمنا اهمية خاصة ، لتكشف عما فى موقفه من تناقض مما يستحق التفسير لا التبرير ، وهو ما يستحق ان نطيل فيه الحديث فى مقال قادم



احدى لوحات بيكاسو
صارت نموذجا لخبراء
الموضة ، وخبراء الجمال!



بيكاسو يرسم خطوط الموضة

لوحة من القرن ١٧ ..
وديكولتيه موضة ١٩٦٥









لوحتان من القرن ١٦ حولها مصممو الازياء الى موضة العام القادم ...!

لوحات مشاهير الفنانين تشترك في تصميم خطوط موضة العام القادم ١٩٦٥

ان بيكاسو ، ورينوار ، وبول سيزان ، وجوجان وغيرهم كثير بدات خطوطهم تنتقل من اللوحات الى الطبيعة ..

ان خبراء الموضة هذه الايام في نشاط مستمر . انهم يتزاحمون على المعارض الفنية والمتاحف الكبرى في العالم لشراء اغلى اللوحات

وآخر الاخبار ان مصممي الموضة بداوا يوجهون اهتمامهم الى الجزء الاعلى من الجسم .. بعد فشل اهتمامهم بالجزء الاسفل منه . مثلما حدث في موضة اللامعقول هذا العام عندما قاطعتها حواء

ان مصممي الازياء اصيبوا بخيبة امل في هذا العام . وبلغت خسارتهم آلاف الجنيهات بعد ان تكدست بضائعهم في المخازن

ان موضة ١٩٦٥ وضعت خطوطها بعد مجموعة من الدراسات فهل ينجح بيكاسو وزملاؤه في اغراء حواء بالاقبال عليها ؟!

الاجابة عن هذا السؤال نجدها في الموسم القادم ..



بيكاسو
يرسم



الجزء الاعلى من الجسم يهتم به الخبراء في عام ١٩٦٥ .. بعد ان فشل اهتمامهم بالجزء الاسفل .. منه هذا العام .. !





حتى الملابس الداخليـــة
ستنتقل من اللوحات الى
الطبيعية فى عام ١٩٦٥





بيكاسو
يرسم

والخطوط كذلك ، تنتقل
من التماثيل والاقنعة الى
الوجوه الجميلة الرقيقة

عبد الرحمن صدقي :

باليه عالمي

رفع الستار عن مشهد فاخر يبهر الأنظار ، لحريم السلطان شاهنشاه العجم وعاهل السند وجزائر الهند ، شهريار . وهانحن أولاء نرى في الحريم نساء السلطان ، وخاصة جواريه ، وكلهن كالحور العين أجمل وأبدع وأحلى ما رأته العين أو تصور الخيال ذات يوم . وهذه الألوان التي يتخايلن بها كأنما قد اختلسنها من قوس الغمام ! ان أجسامهن الناعمة اللدان ، تشتمل عليها الحلل السابغة الكثيرة الأفواف والتلافيف ، المزينة بالزركش والزخارف من كل مستملح طريف ، المرصعة بأنواع الجواهر والنواقيت ، وهي مع ذلك حلل رقاق نسجها خفيف شفيف ، ينم على ما تحتها من جمال القدود واستدارات الأعطاف وبراعات التكوين ، أما صدورهن فمشرئبات نواهد ، عليها قلائد من حبات الجمان واللآلىء السكب ، وأما خصورهن المهلهفات فسواء تتدلى منها سلاسل صغار من الذهب النضار ، وهذه الحلى تتألق تحت الأضواء عند كل حركة بتحركها في جلوس أو قيام

والآن بعد أن أفقنا بعض الشيء من غشية الدهشة ، وراجعنا ما غاب عنا في غمرة تلك اللحظة من شمول الانتباه وتمام اليقظة ، فقد آن لنا أن ندير الطرف مع التأمل الطويل ، في أرجاء ردهة الحريم المعروضة أمامنا حتى نحيط بالتفاصيل

هذه ردهة الحريم ، ممدود في سمائها ستار أخضر ساطع الخضرة لطيف النضرة من الحرير . وعلى اليسار أريكة عريضة تكدست عليها أصناف النمارق والوسائد متعددة أشكالها زاهية أصباغها . ومن وراء الأريكة سلم من أنفس خشب الساج الصلب ، منزل بالأبنوس والعاج ، يؤدي الى الطباق العليا من القصر . وفي مؤخرة المسرح أبوابه كبار ثلاثة ، مصفحة بالحديد الملبس بالفضة والذهب ، وهي جميعا موحدة

❋❋❋

وأحسبنا – بعد هذا الوصف للحريم من حيث المكان – أشوق ما نكون الى مزيد من المعرفة بالسكان ، واستطلاع أحوالهم وسيرة أمورهم ومتصرفاتهم

كان اول عرض لهذا الباليه فى باريس فى ٤ يونية عام ١٩١٠ ثم على مسرح كوفنت جاردن بلندن عام ١٩١١ وبعدها على جميع المسارح العالمية ..

من ألف ليلة وليلة



العبد ذو الحلة الذهبية رقص وحده اول الامر ..!

ان هذا الجالس على الاريكة فى المكان الارفع فى صدرها ، هو لاشك السلطان شهريار . وهذه الجالسة بين يديه ، فى ادنى موضع اليه ، هى لا شك السلطانة زبيدة أحظى نسائه لديه

وعلى مسافة قريبة من اريكة السلطان بقية نسائه الحسان . وهؤلاء الجوارى الاتراب الكعاب ، اللواتى تناثرن كاللؤلؤ المنثور فى أركان الردهة ، هن أسراب من خاصة جواريه

ولكن السلطان تبدو عليه - عند من يقرأ ما وراء الاسارير - سيماء الوجوم والتفكير . ومن ثمة كان ما يتكرر منه - على رغمه - من بوادر النفور ، كلما ارادت السلطانة ان تقطع عليه ذلك الصمت الكئيب الطويل ، بكلمة تقولها من كلماتها العذاب المعسولة ! أو ضحكة من ضحكاتها الرخيمة الرنين ترسلها فى الحين بعد الحين

وكان هناك اثنان فى حضرة السلطان يحاولان التأثير عليه: الاول الامير شاه زمان الاخ الاصغر للسلطان وهو يعمل سرا على تثبيت عزم اخيه على ما اتفقا



خدم الحريم من لاماء يحملن اصناف الشراب والفاكهة

عليه من تدبير ، للتأكد من خيانة السلطانة زبيدة له والآخر هو القهرمان كبير الاغوات الموكول اليه أمر الحريم ، ولم يكن يلم باللذى بين الاخوين من سر ! ولما كان همه بطبيعة الحال هو أن يرفه عن مولاه ويدخل عليه السرور ويصرفه عن التفكير، فقد عمد الى ما تتسع له حيلته بمقتضى صناعته ، فصفق ثلاثا ! فتقدمت ثلاث جوار حسان ، كأجمل من ابدع فى خلقه الرحمن ، ورقصن فى دلال وخفة واتقان ليس بعده اتقان ، بين يدى السلطان واخيه ، فلم يكن لرقصهن وقعه المنتظر فى نفوس الاخوين ! فقد كانا عنه فى شغل بما امتلأ به خاطرهما

***

وينهض السلطان ، فينهض الجميع . وتنهض السلطانة زبيدة كذلك لتطلب الى السلطان كعادتها لتحقيق امنية من امنياتها . ولما كان شهريار وقتئذ فى غمرة الشك فيها والحيرة من أمرها ! فقد أعرض عنها وابلغها اعتزامه على الخروج للصيد مع أخيه وحدهما . وكانت هذه المعاملة صدمة مؤلمة للسلطانة التى لم تتعود من السلطان حتى اليوم غير التلبية لادنى رغباتها والمسارعة الى قضائها وتحقيقها فورتها . فتتراجع صامتة ، وتعود غاضبة الى جلستها وحدها على الاريكة

ويشير السلطان الى الراقصات بالانصراف ، فقد فاض حقده على النساء من غير استثناء ، انهو يشيع الراقصات الثلاث بالنظر الشزر فى أثرهن ، وقبل أن يرتد اليه طرفه ، يشمل بهذه النظرة فى قسوتها الباردة وغضبها المكبوت سائر من كان فى الردهة من نساء الحريم ، حتى كادت رعدة الخوف تبين على بعضهن ، لولا أن تمالكن انفسهن

ولكن الجوارى نسين هذه الهواجس والمخاوف دفعة واحدة ، حين اعلنهن مولاهن فجأة بعزمه على الخروج من ساعته للصيد فى الغابة التى اتخذها لذلك على مسيرة بعض المراحل من قصره . فهؤلاء جواريه قد اقبلن عليه مبادرات يحملن اليه عدة الصيد ويفرغن لباسها عليه ، وهن يتراقصن ويزاحم بعضهن بعضا حرصا على مرضاته ! وفى قلوبهن فرحة ليست



يملعا فرحة لا سواك يحظين به من متعة في غيبته . ولم يلبث السلطان ان افتتن بمظاهرهن وجرفه تيار سرورهن ، فاخذ في مغازلتهن ليستثير غيرة زبيدة ، ويستلفت نظرها ، ولكن من غير طائل

***

لقد كانت زبيدة الزوجة الاثيرة ذات الخطوة والمنزلة الكبيرة ، لا تزال على الاريكة وحدها جالسة عابسة ، وكأنها لا تلقى بالا الى شهريار

والواقع ان زبيدة وان كانت من نساء الحريم مثلهن ، الا انها بحكم جمالها تفوقهن ، كما انها اقوى شخصية منهن ، وهي — فوق هذا كله — ممثلة من نوع ارقى وابرع واقدر ، حتى كان الملك جديرا أن يتهم نساء الارض أجمع الا زبيدة . وذلك لما أوقعته زبيدة في قرارة نفسه من انه وحده رجلها الذي لم تخلق لغيره ولم يخلق لغيرها . فالله تعالى هو الذي قضاها له ، كما قضاه لها

وكان سبيل زبيدة الى ذلك هو السبيل الطبيعي ، وأول مراحله الجسد .

لقد عرفت كيف تستحوذ على حواسه حتى صار لا يصبر عنها ، وحتى صارت كل بساله دونها يشركها

ولكن هذه الثقة العمياء وهذا الايمان المطلق ، أخذ يزلزلهما ما رواه له أخوه الاصغر شاه زمان ، أمير سمرقند الذي قدم عليه لزيارته ونزل منذ ليال في ضيافته ، فوقع في القصر على ما اراه ، وابى شهريار تصديقه ، فلم يزل يمحتى اقنعه بقبول خطته ، للتحقق مما يجرى في الحريم في غيبته . وكانت الحجة للغياب هي الخروج مع اخيه وحدهما للصيد في الغاب . ولكنها غيبة لن تطول

ولما ان تهيأ كل شيء لرحلة الصيد ، دوت الابواق مؤذنة بالرحيل . فتقدم السلطان وهو يغالب غيرته ونقمته الى سلطانته زبيدة يودعها . وهاهو ذا يطيل التحديق في عينيها النجلاوين الكحلاوين كأنه يسائلهما . ولكن زبيدة تقابل نظرته الملحة في ثبات ودون أدنى اضطراب . ويرحل السلطان وهو على أرسخ الايمان

بها ، وانه سيقوم البرهان على وفائهـا هي على الاقل من بين الجميع

وبرح السلطان واخوه شاه زمان الربعة الفاخرة بين مظاهر التعظيم ، حتى اذا تخافت وقع الاقدام ثم انقطعت جلبة الرحيل ، تنفس الصعداء نساء الحريم ، وصارت حالهن غير الحال . فقد وثبن جميعا على اقدامهن خفافا مسرورات ، وتحلقن حول كبير الاغوات الذى كان في تلك الساعة لا يتمنى شيئا مثل الخلود الى الراحة ، وجعلن يرقصن ويصخبن ، ويزعمن له انهن راغبات في مراقصته وملاعبته . ثم حملن من القاصير صناديق الجواهر والحلى وأخذن يتزين ويتخايلن امامه بها

وقد انزعج الاغا السمين المترهل في أول الامر باهتمامهن ؛ وتركهن يرقصن حوله ويعابثنه حتى بلغ منه الاعياء ، ولم يعد في استطاعته مواصلة اللهو معهن . وعندما اكتشف بعد فوات الاوان انهن حللن الحزام المشدود على وسطه ، وسرقن منه مفاتيح الابواب ، امتلأت نفسه رعبا ، وانخلع قلبه فزعا ، وسارع الى استردادها بالغالبة والحيلة . ولكن الجوارى الجميلات عدن الى الرقص حوله ، وقد عمدن الى بذل نفائس الهدايا له ، وهن يغدقن عليه الثناء ويضاعفن الاطراء ، زاعمات له في صفاقة ومبالغة غير معقولة انه في نظرهن اخف ظلا وأجمل سحرا من السلطان مولاهن ، وانه من الذكاء ولطف الدهاء بحيث لا يتعذر على ذكائه ودهائه ان يخفى عن السلطان شقاوتهن وسوء افعالهن . وما زلن به حتى ضعفت آخر الامر مقاومته ، وخاصة بعد أن احتججن بأن السلطان يلهو بالصيد بعيدا ، وانهن سيفرغن من لهوهن قبل أن تحين عودته بوقت طويل . واستنادا على ذلك واقتناعا به نزل على رغبتهن واذعن لمطالبهن ، واتجه نحو الابواب الثلاثة الضخام . وفتح منهـا اثنين ، الاول والثالث

فاذا من كل منهما يخرج فوج من العبيد السود ذوي الحسن والرواء واندفع كل فريق من هؤلاء العبيد الشبان الى صواحبه من الجوارى الحسان ؛ وكان ذلك — كما هو ظاهر للعيان — ملهاة الحريم كلما غاب السلطان

ولم يبق موصدا الا الباب الاوسط وهاهى ذى السلطانة زبيدة نفسها ، تحتج على القهرمان كبير الاغوات ، وترجو أن تفتح ذلك الباب ، وتناوله الرشوة بعد الاخرى من عقود اللؤلؤ والجوهر . فلم يعتم القهرمان ان استجمع عزمه على فتح ذلك الباب وما كاد ينفتح الباب الاوسط حتى طلع منه عبد اسود طويل القوام ، مستوى الخلق بارع الجمال ، عليه حلة ذهبية . واندفع العبد الى زبيدة فتعانقا ، واضطجعا على الاريكة جنبا الى جنب

ولم يلبث ان اقبل خدم الحريم من الاماء ، وهم يحملون اصناف الشراب والفاكهة ، ثم جاء العازفون بأنواع الملاهى والدفوف . ودارت حلقة الرقص كل مع صاحبته . وقام العبد ذو الحلة الذهبية فرقص لحظة وحده ؛ والسلطانة ترمقه باعجاب ؛ ثم لحقت به في رقصة ثنائية وبعدها عاد الحبيبان الى الاريكة

رقصة ثنائية تؤديها زبيدة والعبد



ومضى الباتون فى الرقص .

وعلى حين بغتة ، ومن قبل ان يسبق ادنى تعبير من ثامة او حس ، تدخل العبيد الاربعة الموكولون بشخص السلطان، ومن خلفهم السلطان شهريار ، وفى يده سيفه البتار ، ومن حوله الحرس السلطانى بالسلاح .

وملأ الفزع قلوب نساء السلطان وجواريه واستطار الهلع عقولهن ، فاندفعن صارخات مولولات تلتمس كل منهن مهربا ومختبئا، ولكن الهلاك لا يمهلهن ، انهو فى الرعب وفى مثل طرفة العين مدركهن . فقد اصدر مولاهن السلطان امره فى الحال الى الحرس السلطانى بتجريد السيوف والفتك بهؤلاء المتهتكات المستهترات اللاتى يلدين الان حظهن ، بعد ان تخلى عنهن واستخلف اليأس عليهن

***

ولم يبق الان غير السلطانة زبيدة توقد احاط بها رجال السلطان شاكى السلاح فى انتظار امره . ولكن شهريار كان اكثر حبا لها وتعلقا بها من أن يدع حبالها تنتهى على يدهم كغيرهم . وارتفع صوت السلطانة تناديه ، وتدافع من نفسها ، وتناجيه وتذكر الحب الذى يكنه له قلبها . وكانت السلطانة على وشك أن تسترد عطفه ، حين اندفع الامير شاه زمان أخو السلطان الى حيث كان صاحبها العبد على الارض مجندلا قتيلا ورأسه ملفوت الى ناحيتها ، فرفس جثته برجله تعبيرا لوضعها ، وكان لهذه الحركة البارعة من الامير اثرها فى اثارة سورة السلطان من جديد على زبيدة، بتذكيره بشناعة جرمها المهدر لكرامته مع عبد من عبيد خدمته

واحس الحرس السلطانى فى هذه اللحظة بمصير زبيدة المحتوم ، وبوشك صدور الاشارة من السلطان بقتلها ، فزاد اقترابهم منها .. وهنا سنحت الفرصة للسلطانة زبيدة ان تعمل بوحى من كبريائها وعزة نفسها ، فانتزعت فى مثل لمحة البرق من أقرب الحرس اليها خنجرا كان فى منطقته ، واغمدت نصله حتى النصاب فى قلبها . وكانت هذه المفاجأة السريعة ناجحة ورائعة معا . فلم يسع رجال الحرس وهم شاهرو السيوف على رأسها الا تنكيس سيوفهم . ولم يسع السلطان الجبار شهريار ، وقد عاين فى لحظة مصرع حبه ونعيم عمره ، الا ان ينهار على ركبتيه ، ويدفن وجهه بين يديه . وعلى هذه الخاتمة ينزل الستار

***

هذا الباليه الذى وضعناه بمتعة — كما اقر واضعوه من الفنانين المحدثين فى الغرب وعلى رأسهم المصمم الروسى للرقص **ميخائيل فوكين** — على حكايات الف ليلة وليلة ، أشهر مصادر الادب الشعبى عندنا وأقدمها

وهذه الاشارة الى أدبنا الشعبى ، تسوقنا بطبيعة الحال ان لم يكن طلبا للتحقيق ، فعلى الاقل رغبة فى المزيد من الاستمتاع او بدافع من غريزة الفضول وحب الاستطلاع — الى الرجوع الى النص العربى فى المصدر الاصلى

وقد اوردناه فى مقالنا فى هلال الشطى الماضى يرجع اليه كل يريد

***

واكبر الظن اننا — ونحن امام قديم من الادب الشعبى وحديث من الفنون المصرية — جديرون بالوقوف بينهما للمقارنة

ولعل اول ما يلاحظه القارىء ، ان التصوير العصرى للشرق فيه مزيد من العناية باللون المحلى . وعلة ذلك ان الراوى فى الف ليلة وليلة حين يروى الحكايات عن الشرق لابناء الشرق لايحس موجبا لان يصف لهم على وجه التفصيل دورهم وقصورهم وهندسة بنيانها وزينة جدرانها وأثاثها ، فضلا عن أزيائهم وطعامهم وشرابهم وسائر عاداتهم ، فهم جميعا أدرى بها وفى غير حاجة الى ذكرها ، بل يعد ذكرها عندهم من فضول القول ، فهو ممل ثقيل كالحديث المعاد . أما عند الغربيين ، فالعناية باللون المحلى والمبالغة فيه أمر محبب ؛ لان اهم مطلب يتطلبونه من المصور هو ان يكشف لهم من عالم غير عالمهم ؛ عالم أكثر ما فيه جديد عليهم ، ولكل صغيرة من تفاصيله طرافتها فى نظرهم . ومن ثمة كان اتجاه المجددين عندهم من اصحاب المدرسة الرومانتيكية الى الشرق، فيما اتجهوا اليه من موضوعات ، فهم



الفرح الآلا السمين الرجل المنام : : زبيدة والعجوانى به

يتناولونه بالعرض في صورهم وأشعارهم وقصصهم وفنونهم المسرحية ومنها الباليه، وأعظم ما يعنون بعرضه في موضوعاتهم الشرقية هذه هو اللون المحلى . ولعلنا نحن الشارقة المصريين لا نخلو من هذا النزوع الى اللون المحلى في تمثلنا للشرق في ماضيه ، وذلك لان واقع حياتنا اليوم يختلف كثيرا عما كان عليه في القديم ، ولاننا في الغالب الاعم لا نزل رومانتيكيين. ومن اجل هذا وذاك نجد سحراوتننة في تصوير الشرق غارقا في ذلك اللون المحلى

كذلك قد يلاحظ القارىء ان الادب الشعبي كثيرا ما يكتفى بالتعميم . فنرى الراوى في « الف ليلة وليلة » في النص الذى اوردناه ، اذا ذكر ابواب القصر والقبة والجوارى والعبيد والملكة زبيدة والملك شهريار وأخيه الاصغر شاه زمان، ذكر هذه جميعها دون أن يخص واحدا منها بوصف حسى أو صفة معنوية ، فهي جميعا مسلوبة خاصة التميز بالشخصية الفردية . اما القصص المصرى فهو على خلاف ذلك حافل بالوصف المخصص والمفصل للحسيات والمعنويات ، مثل وصفه لشتى انواع النور أو القصور ومشتملاتها، وافراد الرجال والنساء بمختلف ملامحهم الجسدية وسماتهم النفسية ، الى آخر ما هنالك من الاشياء والصفات .

ويبقى بعد ذلك اكثر من ملاحظة ، منها قلة التعمق في التحليل النفسي ،ولكنه من غير الانصاف مطالبة الادب الشعبي القديم ان يبلغ في زمانه مبالغ القصة المصرية التى مهدت لها السنون الطوال من البحوث والدراسات النفسية

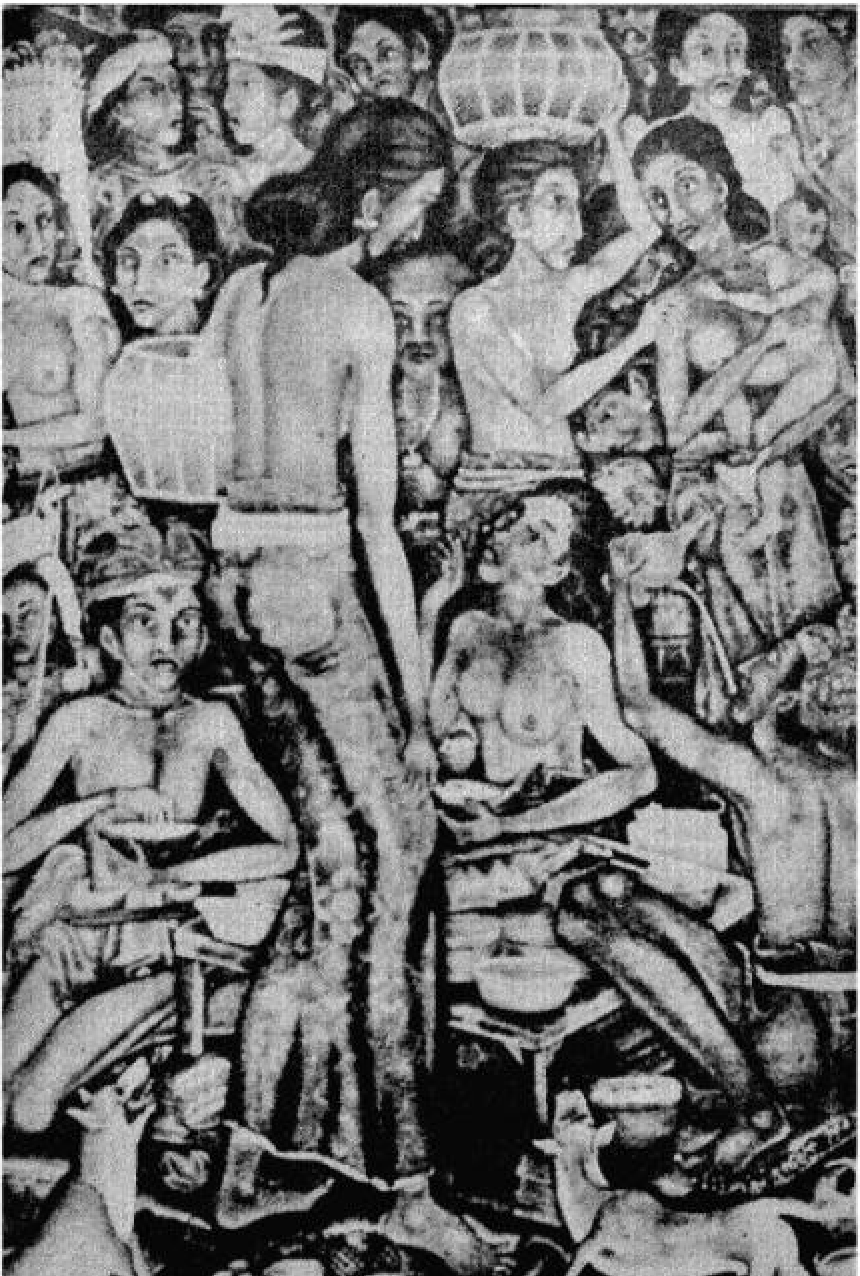
وأخيرا نقول : لعل انعدام فن التمثيل قديما في الحياة العربية ، هو السبب في ان حكاية شهريار كما وردت في النص العربي ، تنقصها الحركة الدرامية التى تلمسها في كل لحظة في سيناريو الباليه المصرى كما وصفناه .

ونحن في الختام لانشك في ان الادب الشعبي يزيد في القيمة اذا تناوله الاديب العصرى بالتعليق والتعقيب في الكثير من الاحيان ، او باعادة كتابته في بعضها ،او بما هو خير من هذا وذاك ، وهو اعادة التناول لمواضيعه كما فعل كبير شعراء الالمان « جوته » في الاسطورة الشعبية « فاوست » ، وكما يفعل المؤلفون المسرحيون من القديم حتى اليوم بالاساطير وخاصة اليونانية ، وقد ساهم معهم من مؤلفينا العرب توفيق الحكيم بمسرحية بجماليون .. نقول ان هذا وحده هو السبيل الى ضمان الحياة للقصص الشعبية والاساطير ، دون اعاقة لسير الحضارة والرقى الفلسفى والعلمى والفنى جميعا ، بفضل هذا التجديد الذى يجعلها موافقة لروح العصر ، مسايرة لسنة التطور . وهذه هي سنة الحياة



رقصة اندونيسية
للرسام النمسوي رونالد ستراس

كنوز سوكارنو





جالسة
للرسام حولار ـ اندونيسيا

●

السوق
للرسام تاديرا «اندونيسية»

استطاعت «الهلال» أن تدخل قصور سوكارنو، لتنقل لك بعض لوحات من مجموعته الرائعة!

كنوز سوكارنو

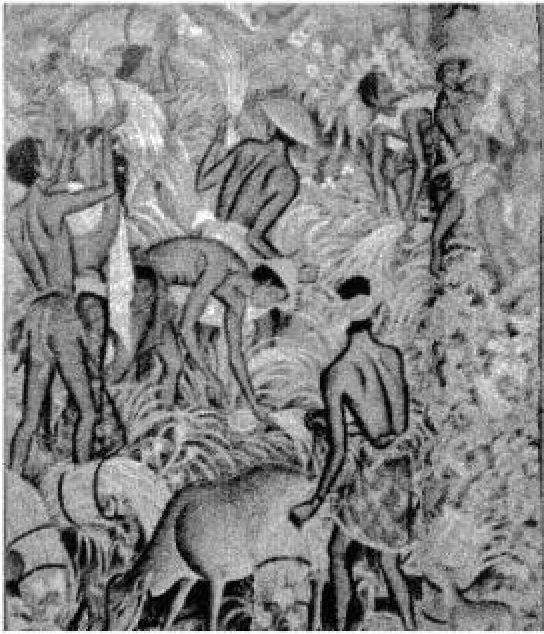
الفن في اندونيسيا من المعالم الرئيسية لتلك البلاد المتنوعة الطبيعة المتعددة الالوان

ومع هذا، فالفنون الجميلة الاندونيسية، أصيبت بتخلف شديد في ظل السيطرة الاستعمارية الهولندية

غير أنه ما كادت اندونيسيا تتحرر من السيطرة الاستعمارية حتى تطور الفن بطريقة سريعة تبعث على الدهشة خلال الاعوام العشرين التي مضت

وفي الفن الاندونيسي بصفة عامة، وفن التصوير بصفة خاصة عدة اتجاهات متصارعة

فهناك الاتجاه الثوري في الفن الذي يحاول أصحابه أن يعبروا به عن الوعي الوطني العام لاندونيسيا وعن القيم الشعبية الرئيسية، ويحاولون أن يحيوا به نواحي الجمال العديدة في الانسان الاندونيسي والطبيعة الاندونيسية





الرجل والمرأة ، والجبـــــل الغابة .. !

وهناك الاتجاه الغربى فى فن التصوير الاندونيسى ، وهو الاتجاه الذى يحاول تبنى القيم الغربية ، والذى يعتقد أنه سيجد فى الحضارة الغربية الهاما بالتقدم الذى ينشده . وهذا الاتجاه ، هو الاتجاه الحديث الذى يصل أصحابه أحياناً الى الرمزية والى السيريالية

وهناك اتجـاه ثالث فى فن التصـوير الاندونيسي ، وهو الاتجاه الذى يحاول العودة الى التقاليد البدائيـة الموروثة ، والى التصورات القديمة الاثرية ، والى الاساطير الدينية ، وبعض العادات الوثنية

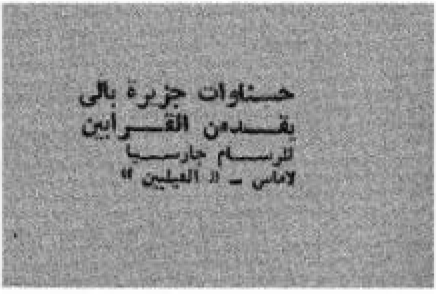
***

ومنذ الاستقلال ، وثمــة مناقشات نشيطة بين هذه الاتجاهات





اندونيسية
للرسام بوسكى عبد الله ـ اندونيسيا



حسناوات جزيرة بالى يقدمن القرابين
للرسام جارسيا لاماس ـ « الفيليبين »

وثمة محاولات حية حول كيفية تطوير الفنون الاندونيسية ، وكذلك الثقافه الاندونيسية

واننا لنجد هذه الاتجاهات واضحة ـ مثلا ـ فى مجموعة اللوحات التى يقتنيها الرئيس أحمد سوكارنو ، والتى تعتبر كنزا ثمينا من الفن الاندونيسى الخالد

***

لقد قام سوكارنو ـ سنة بعد سنة ـ بتجميع هذه اللوحات الفنية ونسقها فى قصر الدولة وقصر الاستقلال وفى قصور بوجور وتجبيانا

والناس يزورون ـ فرادى أو فى مجموعات ـ تلك القصور ، باذن خاص من الرئيس الاندونيسى لكى يشاهدوا تلك التحف الرائعة

انها صورة حية على مدى تقدم الفن الاندونيسى ، وعلى نوع الاتجاهات المختلفة التى تبدو فى التطور الفنى فى تلك البلاد

***

والرئيس سوكارنو فنان وهو يرسم بنفسه ٠ وعندما بدات حركة الاستقلال لتحرير اندونيسيا من الحكم الاستعمارى الهولندى فى سنة ١٩٢٧ كان قائد الحركة سوكارنو يجد دائما وقتا لكى يخرج الى ضواحى المدن ليرسم ٠ وقد نشر كثيرا من



برسوماته الكاريكاتورية في مجلة « ميكرا راجسات » (أي مجلة افكار الشعب) التي كان يتولى تحريرها بنفسه اثناء الحكم الاستعماري الهولندي

ونتيجة لهذا النشاط السياسي الى أن نفته السلطات الاستعمارية الى جزر فلوريس وبانجكولو المنعزلة ، لم ينقطع عن نشاطه في الرسم

وهواية الرئيس احمد سوكارنو المفضلة حتى الآن هي الرسم وزخرفة حجرات مقر اقامته ، والعناية بتنسيق الازهار في حديقته

وهو على اطلاع واسع على تاريخ الحضارات والفنون ، ولديه قدرة كبيرة على تقييم الاعمال الفنية ، بل واعتبر آراؤه مرجعا للمتخصصين في تاريخ الحضارات

وفي اوقات الفراغ ، وفي العطلات القليلة التي يستطيع « بونج كارنو » (وهذا هو الاسم الذي يدعونه به في اندونيسيا) ان يختلسها من مهام منصبه ، يخرج الى الريف والخلاء حيث يمتع نظره بخضرة الجبال الشامخة وهي ممتزجة باللون الذهبي لحقول الارز الناضجة ، وكان يقضي لحظات سعيدة في مشاهدة الجداول الصغيرة تهدر عبر الصخور والاحجار ، وظلال الغيوم واشعة الشمس تتلاعب على قمم التلال . واحيانا يجلس ليرسم تلك المناظر الرائعة

ان في مجموعة مقتنيات الرئيس سوكارنو عددا كبيرا من كتب الفن ، وخاصة كتب الفنون الجميلة ، وهي مرتبة ترتيبا انيقا

***

ومنذ طفولة الرئيس الاندونيسي وهو يحب التصوير والنحت والشعر وخيال الظل والاعمال الفنية الاخرى . وقد غرس هذا الحب في نفسه تقديرا عظيما للاعمال الفنية

***

وكثيرا ما يزور سوكارنو الفنانين في بيوتهم ومراسمهم ، وكثيرا يتجول بين اعمالهم وهو يمتدح التماثيل واللوحات ، واحيانا يتحول حديث الفن الى



لوحة
للرسام اموس نجاح – اندونيسيا



امراة من سولو
للرسام يوسكى عبد الله
ـ اندونيسيا



مناقشات وجدل حى حول بعض القضايا السياسية

واحيانا اخرى يستقبل الفنانين فى القصر الجمهورى ، ويقضى معهم الساعات فى احاديث طليقة حرة عن اعمالهم وحياتهم . وفى تلك الاحاديث يهتم بحثهم على تصوير المواضيع التاريخية التى لها قيمة وثائقية ، والتى يمكن طبعها فى الكتب المدرسية

***

وسوكارنو هو اول من طالب بدعوة الفنانين دائما الى حفلات الاستقبال التى يقيمها رجال الحكم

وهو يقتنى مجموعات كاملة من تمثيليات خيال الظل

***

واللمسة الفنية للرئيس سوكارنو تبدو واضحة فى قصر الاستقلال وقصر الدولة وقصور بوجور وتجيبانا ، والاعمال الفنية الموجودة فى هذه القصور تمثل اكبر مجموعة من الاعمال الفنية الاندونيسية

والمجموعة التى تعرضها «الهلال» هذا الشهر رسمها فنانون من مختلف الجنسيات بينهم الفنان الاندونيسى ، والهولندى ، والنمساوى ، والايطالى اقاموا فى اندونيسيا ، واستطاعوا ان ينقلوا الوانها الدافئة ، وجوها المليء بالسخونة الى لوحات خالدة

فتاة اندونيسية

للرسام جارسيا لانانى «الفيلبين»





البوابة الخلفية لقصر السلطان
في ووتر بالاس بجاكارتا ...
للرسام سوروتو - أندنيسيا



الشاعر الافريقي : جورج أوونور ـ ويليامز *

ما اللى نعنيه بالتحديد عندما نتحدث عن الادب الافريقي ؟

هل هو ادب لمميزاته الخاصة البارزة ، أم هو أدب تابع لاجناس الادب الاوربي ؟

فمثلا هل تعتبر قصة « لم يعد يشعر بالاســــتقرار » للمؤلف النيجيري تشينا آشبي (١) مجرد اضافة الى كيـان الادب الانجليزي

هل من الممكن ان يكون هناك ادب افريقي مكتـــوب باي لغة اجنبية ؟

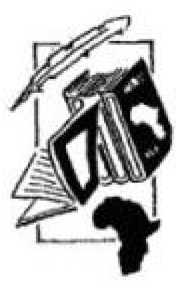
ان هـــذه الاســـئلة تثير بعض القضايا الاساسية التي نتعـــرض لها عندما نحاول تقديم صورة عن الادب الافريقي

---

* جورج اوونور ـ ويليامز : شاعر افريقي شاب ، يقوم الان بابحاث عـن الادب الافريقي في جامعة غانا . يكتب بلغة الايووي ، وهي لغته الاصيلة ، كما يكتب بالانجليزية

(١) تشينا آشبي : روائي نيجيري . مؤلف رواية « الاشياء تتداعى » ورواية «لم يعد يشعر بالاستقرار »

الأدب الإفريقي الجديد



لقد وصلنا الآن ، وبصفة عامة ، الى الاتفاق على أن **الأدب الافريقي هو ذلك النتاج الأدبي الذى يعالج التجارب الافريقية معالجة متكاملة والذى يتشيع فيه العمل الابداعي بأكمله ببعض قيم الاصالة العامة** . ومن ثمة ، فان هذا الاتفاق لا يتضمن فقط الأدب الذى كتبه افريقيون باللغات الأوربية المختلفة ، وأوسعها اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية ، وانما هو يتقبل كذلك الأدب الذى يكتبه زوار لافريقيا ، هضموا واستوعبوا تجربة افريقية واستطاعوا ان يصلوا الى درجة معينة من التكامل والاصالة . ولاننى بذلك أولئك الكتاب الذين لا تعتبر افريقيا بالنسبة لهم مجرد ستارة خلفية ، وانما تعتبر عاملا جذريا بالاستيعاب والتهيؤ بالنسبة لعدد من التجارب .

فان مثلا رواية جويس كارى « السيد جونسون » برواية جراهام جرين « لب الموضوع » أو بروايته « قضية منتهية » . ان كارى يحقق تكاملا لا يستطيع جرين ان يحققه .

ويضاف الى هذا النوع من الأدب طبعا النتاج الأدبى الهائل المكتوب باللغات الافريقية . وبعض هذه اللغات ، مثل السواحيلى ، والهاوسا ، واللغة العربية لها هجاؤها منذ عهد بعيد وقبل أن يقوم المبشرون بكتابة اللغات الافريقية المنطوقة

وهناك نتاج أدبى آخر جدير بالتأمل ، هو الأدب المنطوق . وهذا الأدب يتعرض — مع الأسف الشديد — للتغيير ، ولكن له قوته الخاصة . ونعنى بذلك القصص الشعبية ، وشعر المدائح ، والحكايات التاريخية ، وشعر الطبول . وشعر الأغانى ، بل ، وفن المحادثة والخطابة ولها كلها قيمة أدبية كبيرة فى المجتمعات الافريقية

وفى المجتمعات الافريقية « يستشهد الخطيب الجيد بالأساطير ، والآداب الشعبية ، والأمثال ، وغيرها . انها بعض المادة الخام التى يعمل بها . ان الأمثال الشعبية كالبذور الفعلية فى الأرض فى فصل الجفاف » — كما يقول آشيبى .

وفى لغة ايجبو « لغة شرق الجزائر التى يتكلمها ٧ ملايين شخص » تحقق الأمثال الشعبية هدفين هامين : فهى تعين الخطيب — من ناحية — على اسباغ مكانة عامة على حادث خاص أو معين ، وهى — من ناحية أخرى — تعينه على التخفيف من حدة الكلمات ، وتجعلها أكثر مقدرة على التقبل . وفى ايجبو يسمون الأمثال : **« الزيت الذى تؤكل به الكلمات »**

***

ومن هنا ، نستطيع أن تناقش الأدب الافريقى المعاصر فى هذا النطاق ، بالاستشهاد بالأدب المكتوب فى افريقيا ، ولن يؤدى بنا هذا الى اغلاق الباب فى وجه الأدب المنطوق الذى لا يزال ينتظر من يدونه . ان معظم اللغات الافريقية قد رسم لها المبشرون — الى حد بعيد — هجاءها . ففى غانا — مثلا — قامت الارساليات — كارساليةباب — بعمل كبير فى تطوير **لغة الثان « أكثر اللغات انتشارا فى غانا » ولغة ايووى انتشرت فى غانا ودخلت توجو** لا من ناحية رسم حروف



ازكوى

هجاء لهما فحسب . بل ومن ناحيــة تنســيقهما كذلك . ان ترجمة الانجيل الى هاتين اللغتين ، ونشاط الارساليات التعليمى الذى ادى الى ظهور عدد مـن مترجمى التراتيل والاناشيد الدينيـة ، ومعظمهم من القساوسة والرهبان اسفر من بداية الادب المكتوب، وكان هذا الادب المكتوب قاصرا — من ناحيـة قيمتـه الابداعية — على الكتب المدرسية المتضمنة قصص الانجيل ، وعلى ترجمات لبعــض الاعمال الادبية الكلاسيكية ، مثل « طريق الحاج » — التى تستخدم فى الاغــراض التعليمية بصفة رئيسـية .

ولقد نشأ جيل ابائنا على قراءة هذه الكتب . ومع هــذا ، فقــد كان هنـاك التحيز المسيحى الجــوهرى الذى لم يمكن هؤلاء المدارسين الاوائل لفن الكتابة من التوغل فى مجتمعاتهم — هم — بغية الحصول على مادة كانت ستثرى مواهبهم الابداعية . والنتيجة ان الادب فى تلك الفورات كان يتكون فى غالبية الاحوال، من ترجمات للكلاسيكيات ، ومن قصص الانجيل ، ومن قصص وروايات مكتوبة على نمطها . لقد اقتصر الشعر على كتابة التراتيل والاناشيد الدينية . وعندما كان ذوو الموهبة الابداعية يتقلون من التقاليد المسيحية الباكرة ، فان عبقريتهم كانت تتغذى على الروايات الرومانتيكية المؤلفة من الصراع الابدى بين الخيز والشر ، وبين الفضيلة والرذيلة ، ومـن الشرف، والشهامة ، ونكران الجميل ، ومن العيوب الصغيرة الكثيرة الانسانية التى كانت الكتيبة تنهى الناس عنها

ان البعض منا قد نشأ على ارض هذا الجانب من الادب ، مسترجيا نظرته مـن صغار كتاب العصر الفيكتورى . وانى شديد الدهشة اذ علمت ان رواياته مثل « سلة الازهار » ، و « الاغفران » ، و « احزان الشيطان » لاتزال تلاقى رواجا شعبيا ، وخاصـة فى مدارس البنـات حيث تجرى قراءتها باشتياق ودموع .

ولقد كانت الروايتان الغانيتان « **ابن العم منساحل باس الرجاء** (١) » للمؤلف آدو ، « **وعد اميليا** (٢) » للمؤلف بلاى، والمكتوبتان على نفس النمط ، اوسـع الروايات انتشارا بين الجماهير منـذ بعض السنوات . وهذا هو نمط التطور الادبى فى جميـع انحـاء افريقيـا حيث كانت الارساليات عاملا واداة رئيسية فى المستعمرات المتكلمة بالانجليزية . اما فى جنوب افريقيا فقد ادت صفة العنف التى نجمت من التفرقة العنصرية الى ظهور نوع من ادب الاحتجاج ، فى فترة مبكرة

***

وفى المناطق المتكلمة باللغة الفرنسـية كان الحكم الفرنسى مباشرا ، وكان اعمق جذورا ، مما ادى به الى القيام بدور تجاوز دور الارساليات . فلقد كانت اللغة الفرنسية تدرس عن طريق اطلاع الصفوة المختارة الناجحة على الفضل ماق الادب الفرنسى ، مثل كتابات **بودلير** ، وكتابات **فلوبير** ، وكثيرين غيرهما الذين يعتبرون الممثلون الرئيسيون لحضارة بلاد الغال. ولا ينبغى لنا ان ننسى ايضا ان فرنسـا كانت تمنح جنسيتها وتمنح المســاواة



ليوبولد سنجور

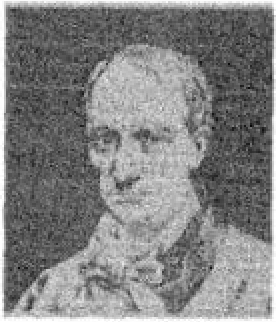
---

(١) ، (٢) كلتاهما روايتان قصيرتان غانيتان ، لم تنشرهما عقب الحرب العالمية الثانية

للافريقيين الذين كانوا يستطيعون اجتياز امتحانات الليسية في داكار وكوتونو ، وتبعث بهم الى السوربون ، لكي يعودوا الى وطنهم وهم يجيدون الحديث بالفرنسية اجادة تامة ، ويحلمون بالطعام والنبيذ الفرنسي ، وبالاضواء الساطعة والمسارح ، وبكل ما افتقدوه عندما كانوا « عندنا في فرنسا » chez nous en france حسبما يتصور الفرنسيون ..

ان الثقافة الجديدة كانت تبني ليس حول لون البشرة ، كما حدث في جزر الكاريبي ، وانما على اساس مبدأ الاستيعاب الذي خلق من بعض الافريقيين السود مواطنين فرنسيين ، وبالتالي انسلبوا من بيئتهم الثقافية . ومع هذا ، ومهما كان ذلك عاملا مخربا ، حول بعض الافريقيين الى حياة كحياة النباتات ، وجرد الافريقيين من مضمون الحياة في المدن المتفرنسة ، فانه أدى — في الوقت ذاته — الى نهضة هائلة ، اتخذت شكل الثورة السياسية . لقد اتخذت الثورة شكلا ادبيا عنيفا ، واقتضت استنكار الثقافة البيضاء والعودة الى جذور افريقيا . وكان اعظم رجالات هذه الثورة ايمي سيزير ، والشاعر المارتنيكي داماس ، وليوبولد سنجور رئيس جمهورية السنغال ، وبيراجو ديوب ، ثم ديوب الصغير بعد ذلك .

لقد كانت ثورة ضد أوربا وضد



شارل بودلير

فرنسا التي خلخلت الافريقي بايحاءات فهم منها انها مستقبله ، ثم سرعان مادفعته بعيدا عنها لكي يكتشف الحقيقة المرة وهي انه غريب أجنبي

ومن مركز النفي الدائم في جزر الكاريبي ، أو النفي المؤقت في شوارع باريس الكبرى ، حاول الافريقي أن يعود الى أصوله وجذوره . حاول ان يعود الى ارض السافانا ، الى اضرحة الاقدمين ، والى دوى خطوات الفيلة . وبالنسبة لهؤلاء الثوريين كانت افريقيا ذات صفات ملوكية فاخرة . كانت للبعض منهم « الارض الفخمة التي جاء آباؤهم منها » ، وكانت للبعض الاخر الارض التي « يعيش فيها شعبي حياة بسيطة وادعة بعيدا عن قسوة اوربا الغربية الاجنبية »

ومن الطريف ان نلاحظ أن صفة الزنجية عند الافريقيين اكتست لباسا رومانتيكيا ، يبكي « مصير الزنوج » ويستذكر «la condition negre» رؤى من تقاليد القبيلة

ان السواد — كما قال ايمي سيزير — ليس غيابا عن الحياة وانما رفضا لها . كان السواد رفضا او خلاصا جاء بعد محاولات الاستيعاب الطويلة والتي لم تقبل .

ان بعض النقاد — مثل جيسي العمون والزكيل مافاهالي — سرخوا كثيرة مستنكرين الروح الزنجية كشعر عام يفيض بروح الخطابة . ولكن الروح الزنجية — كمرحلة في التطور التاريخي وفي محاولات استكشاف « الوجود الافريقي » — قد ملأت فراغا أدبيا مرموقا وهاما . ان النقاد يشيرون الى تصريحات جان بول سارتر المرشدة عن تلك الافريقيا الخيالية غير الموجودة التي ستدمر اوربا ، كما يقف المتعصبون لمنع ظهور اي ادب اصيل ومقبول

ولكن الروح الزنجية ، شأنها شأن كل شيء في افريقيا اليوم ، قد اثارت الليبراليين البيض ، والماركسيين ، والوجوديين ، وكثيرين غيرهم ممن يتلونون بالوان سياسية ، وممن هم كاثوليك اكثر من البابا . ولقد كان من الضروري سياسيا ان تلفت الانتباه الى وضع الزنوج ، وأن تغني لافريقيا ولامجاد الماضي ، فلذلك تدم خدمة لغرض هام في

حركة التحرير السياسية الافريقية . لقد كان من الضرورى خلق واعادة تشكيل الصورة الافريقية . وهذا ما فعله الكتاب المدافعون من الروح الزنجية ، وان المبالغة فى ذلك تعتبر – بالتأكيد – افضل من اهماله تماما

ان الكتابة الزنجية اكتسبت حافزا معنيا ، اذ بدأت فى سنتى ٣٨ – ٣٩ قبيل الحرب العالمية الثانية مباشرة لم اكتسبت قوتها بعد هذه الحرب التى صمت تجربة افريقيـــا مع أوربا والتى نشرت الدمار والخراب وقضت على الحيـــاة والممتلكات فى مدى عالى واسع . ونمـا السخط ، والحاجز الذى كان يفصـــل الصفوة الافريقية من زملائهم الاوربيين على اساس عدم القبـــول والعنصرية والكراهية والتفرقة التى تقـــوم بهـــا أوربا عند الذين حاربوا من أجلهـــا بشجاعة وماتوا .. اكتسب مغزى مؤسيا امـــق

وفيما يلى فقرتان من كتابات سنجور وداود ديوب

الفقـرة الاولى من احـدى قصـائد سنجور ، وهى قصيدة من الجنود الزنوج الامريكيين وتقول :

انا لم اعرفكم وانتم فى سـجن زيكم العسكرى ذى اللون الحزين
انا لم اعرفكم وانتم تحتوطة خوذاتكم المجردة من ريش الفخار
انا لم اتعـرف على زلزلة حـوافر خيولكم الفولاذية ، التى تشرب ، ولكن لا تأكـل
لم تعد هناك نبالة الفيلة ، ان هى الا بربرية الوحوش فى بدء العالم

والفقرة الثانية من قصيدة «العقبان» للشاعر ديوب ، يقول فيها :

فى تلك الايام
يوم كانت الحضارة تركلنا فى وجوهنا
يوم كان الماء المقدس يصفع جباهنـا المقهورة
بنت العقبان فى ظلال كمويهم
النصب الدامى تذكارا للاستعباد
فى تلك الايام
كان الضحك الاليم يتنزع من جحيم الطريق المعدنى
والوقع الرتيب لآلات الحصاد
كان يغرق الصرخات فى المزارع

***

وكما يقول ابيوش نيكول : **«ان الروح الزنجية هى تأكيد لـكل ما هو طيب فى الثقافة الزنجية . انها ليست ردة الى الماضى ، ردة الى الغـابة ، ردة الى بدء الوت القبلية . انها ليست الحنين الشجى عند المتعلم الذى يعيش فى كنف بيئة ريفية »**

***

ومما له مغزى أن نلاحظ ان مثـــل هذه النهضة الادبية فى المناطق المتحدثة بالفرنسية كانت مرتبطة بحركة احتجاج نامية بين الشعراء فى المناطق المتحدثة بالانجليزية ، وخاصة فيما كان يعرف – آنذاك – باسم ساحل الذهب ، ونيجيريا وسيراليون . ففى تلك البلاد عاد الابناء الذين خاضوا حرب الرجل الابيض الى اوطانهم ليجدوا انهم قد اصـــبحوا مشردين ، وان الوعود التى بذلت لهم لم تتحقق . ان رجالا مثل والاس جونسون وازيكوى ، ودنيس او ساداباى ، جمعوا بين مهنتهم الصحفية والقيام بالكتـــابة الابداعية ، محتجين مطالبين الشعب بأن يحارب من اجل حقه فى مولده . ومما له مغزى كذلك ان نلاحظ ان الكثير من هذه الاعمال والمواقف كان مستلهما من كفـــاح الزنوج الامريكيين ، ومن أدب الاحتجاج الزنجى الامريكى الذى تبرز فيه اسماء مثل كارفرى ، ووليم ديبـــوا ، ولانجستون هيوز ، وغيرهم كثيرون .



دى بوا

ولقد كتبت أغاني نضال بلون شكل محدد بوضوح ، ملهمة جيل ما بعد الحرب ومثيرة حماسه من أجل النضال السياسي . وهنا لابد من أن نذكر ان كتابات الاحتجاج في جنوب افريقيا قد استمرت ، عدة سنوات ، مخلصة نفسها من سلبية الانجيليين والاصلاحيين الذين كانوا لايزالون يظلمون على عتبات ابواب السادة البيض المعاندين ، باصوات تهدج بالدموع والتوسلات

وكانت هناك ايضا — كما حدث في حالة الافريقيين الفرنسيين — رغبة في مشاهدة القارة من كثب ، وفي الاطلاع على نمط الحياة والتقاليد والثقافة ، حتى يمكن التعبير عن الشخصية المتكشفة . وفي المناطق المتحدثة بالانجليزية ، وبفضل قصر نظر الادارة البريطانية وسذاجة المبشرين الشديدة ، ظلت انماط وأساليب حياتنا الافريقية سليمة كاملة الى حد بعيد ، ولم تقلد مدننا مدنية لندن الام ... والى التعليم باللغة الانجليزية ، واكسبها صبغة وصفات محلية . ومن المحتمل الا تكون هناك ضرورة لقيام لغة انجليزية جديدة في افريقيا المتكلمة بالانجليزية كما حدث في جزر الكاريبي، حيث كانت عوامل الغربة من القوة بحيث قضت على اللغات الاصلية



جرا هام جرين

ان فن حكاية الحواديت لا يزال مزدهرا . ولا تزال الجماعات الريفية تواصل أعمالها بالاساليب التى عرفها الاباء ، ولا يزالون ينظرون الى فن الخطابة والمحادثة كعناصر هامة في حياة الجماعات. وعندما صدر أول كتاب من كتب توتولا وهو « السكير » ، اعتبر النقاد في أوربا هذه المجموعة البسيطة من الحواديت فاتحة ميدان جديد في السريالية . وسرعان ماقارنوه بكافكا ودانتي ، كما قارنوه بالسرياليين ومنذ هذا الكتاب ، سارت الكتابة الافريقية المعاصرة باللغة الانجليزية خطى سريعة . ان آتشيبي ، واكونسي ، ونزكيو ، وكونتون ، وكثيرين غيرهم لا يزالون يعالجون فن كتابة الرواية . والشعراء وكتاب المسرحيات قد استطاعوا بالفعل ان يلمسوا المسائل الاساسية مثل مسألة القراء أو المتفرجين ، ومسألة اللغة الاكثر اهمية . ويبدو لي ان قلائل جدا من الروائيين الافريقيين هم الذين يكتبون — بصفة رئيسية — من أجل جمهور غير افريقي ، لاعتقادهم اعتقادا خاطئا ان من واجبهم ان يقولوا لاوربا وامريكا كيف نعيش نحن الافريقيين . ان اكونسي ، ونزكيو وكونتون هم — الى حد ما — أسوأ المخطئين في هذا الميدان. وحقا ، ان أوربا قد أصبحت فجأة تهتم بنهضة افريقيا ، وان ذلك قد أدى الى ان يتقدم كثير من الناشرين الاوربيين بطلبات غير معقولة الى الكتاب الافريقيين، وهذا عامل يوضع في الاعتبار طبعا — ولا يمكن تغيير ذلك الا اذا عرف الكتاب الافريقيون أنهم يكتبون أولا وقبل كل شيء من أجل شعوبهم هم ، وأنهم يكتبون من الناحية الثانوية — للعالم الخارجي . وهذه المعرفة يمكن أن تتم اذا أصبحت للبلدان الافريقية دور نشرها الخاصة التي تكفل توزيعا جيدا ومفيدا للكتاب الافريقي

والمشكلة الثانية هي مشكلة اللغة . وهذه مشكلة اكثر أهمية

هل يمكن تبرير رغبة الكتاب الافريقيين في أن يكتبوا باللغة الانجليزية ؟ نعم ، يمكن الى حد معين ، ولكن يجب أن تكون اللغة الانجليزية التي يكتبون بها من نوع له طابعه المحلي . انني أعرف أن معظم

الناس لا يستطيعون ان يتصوروا ثوتيولا الا على انه رجل لم يحصل على أوليات القواعد اللغوية ، غير انه يكتب بلغة ذات نضارة وجلابية لانها تفتقر الى الابامية الموجودة في اللغة الانجليزية كما نعرفها

اننا جميعا نفكر بلغتنا العامية . وحتى بالنسبة الى يفكر بلغته الثيناه ، فانه لن يملك الا ان يعبر عن مواطفه الاساسية حين تجيش ، بلغته الاصلية. ولست أعرف أحدا في افريقيا يبكي بالانجليزية ، او ان احدا يعبر عن اقوى المواطف الانسانية التي تتحرك داخل نفسه لاشعوريا بلغة أجنبية . وقد تكون تجربة مفيدة — رغم أنها تجربة محدودة بلا شك في بعض جوانبها — أن نعبر عن افكارنا بلغة انجليزية ادبية مع اقترابنا الى اقصى حد ممكن من التعبير العامي منها . ذلك لان هناك في لغتنا عددا من الاشياء التي تتحدى الترجمة الى اللغة الانجليزية الابامية . ان بعض الصور ، وبعض الافكار ، التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من لحم لغاتنا ودمها ، لا يمكن ان تترجم الى الانجليزية وتحتفظ بمعناها

ولناخذ مثلا جملة : « هو جبان » . ان هذه الجملة يعبر عنها في لغتي بجملة « هو لا قلب له » ، وهي جملة اذا اعدنا ترجمتها الى الانجليزية تصبح : « هو قاسي » . وفي الكتابة . لماذا لا يقول الكاتب الذي يكتب بلغة الان « ليشرق الفجر علينا » بدلا من أن يقول العبارة الانجليزية الابامية « ليلة طيبة» التي اعتقد أن التعبير الاول اجمل بكثير كما ان ذلك يمنح اللغة الانجليزية بعدا جديدا ، انه يمنحها نضارة . ان رواية آتشيبي « كل شيء يتساقط » تحقق هذا التاثير العام للنضارة بترجمتها الافكار والكلمات من لغة ايجبو الى اللغة الانجليزية فتسبغ على روايته اصالة ممتازة . انه ينسج الامثال الشعبية في الحديث والحوار . ان هذه الترجمة ابعد من ان تكون تشويها للغة الانجليزية

ومع هذا ، فلنقل بصراحة انه ينبغي ان نكتب بلغاتنا نحن وان نفعل ذلك بحيوية اكبر مما مضى ، لان الانتاج الادبي انا لما وهو لا يزال مرتبطا بلسان اجنبي ، ولا يزال يهمل اللغة الاصلية ، فان من المحتم ان يفشل في التعبير عن معنى افريقيا الجديدة الناهضة

ان الشعر الصادر من افريقيا المتحدثة بالانجليزية متنوع وهام . لقد تقدم الشعر من مرحلة شعر التراتيل والاناشيد الى مرحلة لا تقل عن ذلك بعثا على الملل ان مجموعة كبيرة من الشعراء الافريقيين قد وقعوا . في شباك نفوذ اكثر شعراء اوروبا اثارة للاهتمام واكثرهم صعوبة . وهذا النفوذ واضح في اعمال هؤلاء الشعراء .

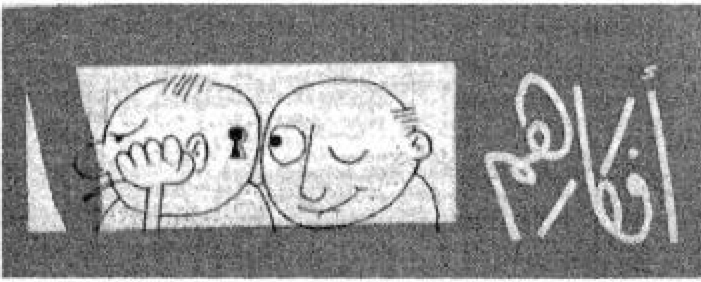
انه نفوذ هوبكنز : وعزرا باوند : وييتس ، وت . س . اليوت ، هؤلاء الرجال كان لديهم ما يقولونه في زمانهم ومكانهم . ومع ذلك ، انهم لا يزالون يؤثرون الى درجة كبيرة في الشعراء الشبان في نيجيريا . ولنقرأ ما يلي :

صور صفراء
اصوات في سكون الحواس
الية مدببة
قطع في شكل كمثري
اننا نرى ملائكة ، نرى حورا
وقطيعا من المهرجين تحت الظلال
ويهوذا ملتحى
راقصا بين الراقصين

ان هذا الشعر يشبه شعر ت. س . اليوت . لكنه من شعر شاعر نيجيري . وللمرء أن يتساءل : الم يدخل في خلق هذا الشاعر ابدا ، شعور محلي ، تقاليد من تلك التي نشأ منها ، والتي ربما ظلت دائمة داخل نفسه كافريقي وراءه تقاليد وعادات ؟

ان الطبيعة السطحية لذلك الشعر واضحة . انه يقلد ، ليبين انه قد استوعب واصبح عضوا في الصفوة التي يمتد تراثها من يوربيدس الى عزرا باوند

ان على الكاتب الافريقي واجبا يقوم به تجاه الافكار والمواطف وتصوير حرارة الحياة التي ولد في احضانها . واذا لم يقم بهذا الواجب ، فانه يصبح منفيا في مسقط رأسه ، مثله في ذلك مثل هؤلاء الافريقيين الذين يشعرون بان قضاء عامين في اكسفورد يؤهلهم للتحدث بلكنة اكسفوردية ولارتداء صدار تحت السترة وقبعة انجليزية ، . . في حر الشمس الاستوائية



* كتب أنيس منصور في أخبار اليوم يقول : « اذا كانت الحرب جريمةفهيعقاب أيضا ! وهي جريمة جماعية وليس المسئول عنها فردا واحدا في أي بلد وانما كل افراد هذا البلد .. وبعد الذي اصاب الانسانية بسبب الحرب الثانية لا يوجد في الدنيا انسان برىء . فنحن جميعا ضحايا حرب ومجرمو حرب لان المسئولية تقع على رؤوس الجميع »

* قال محمد زكي عبد القادر في الأخبار : ان العلماء قد تعيش في فراغ عاطفي ولا تشعر بوطأته لما تنتظره في أحلامها بعد الزواج ، ولكن الفراغ العاطفي عند الزوجة أثقل وأمر وأعصى على الحل ، ومن هنا يكون الانهيار في الحياة الزوجية

* كتب باتريك اودونافان في صحيفة الاوبزرفر : ان اليابان بلد يؤمن بالمذهب التجريبي بحيث تجعل اوربا قارة من الخياليين . انها بغير شك شعب عظيم ، ولكن لعلها فريدة في كونها استطاعت البقاء بدون اية ايديولوجية قومية فعالة او ديانة ، بل يبدو انها تفتقر الى اسطورة قومية

* يقول علي ادهم في مجلة الكتاب العربي : أن الانسان في أثناء القراءة يترك لغيره التفكير ويصاحبه وقد ينساق معه ويندفع في تياره ويستعبد لافكاره ، وهذا هو خط القراءة التي لا يصحبها التفكير ولا تتلوها المراجعة

* قال سيسيل كنج رئيس الشركة الدولية للطباعة : « من رأيي ومن سياسة هذه المجموعة انه حين تخطىء صحيفة ما فعليها ان تقرر هذا على الفور وبلا غموض او التواء

* كتب المحرر القانوني لصحيفة الاوبزرفر يقول : أن القانون يحمينا ضد السرقة وضد التشهير والاعتداء على النفس ، ولكنه اخفق في أن يحمينا من افدح الاخطار التي تهددنا وهي الضوضاء

* كتب ادورد بيهر في الصنداي تايمز ان مدينة وشنطن أشبه بغابة ولكن القلائل جدا من الناس يعرفون هذا او يأبهون له

* يقول الدكتور رشاد رشدي في في مجلة المسرح : ان الشعر في المسرح لا يقوم على اللفظ بل يكمن في الحدث .. في الومضات التي تضيء النفس .. في اللحظات الدرامية المثيرة .. في تتابع الاحداث وتلاحقها ، وباختصار في الحديث المتلائم المتكامل الذي يعبر عن مضمون متلائم متكامل

* في رأي محمود أمين العالم بالمصور : انه لا خطر على الثقافة من جراء التقدم الصناعي ، ولا خطر على الوجدان من الاستعانة بوسائل التكنولوجيا . بل ان الصناعة والتكنولوجيا وسيلتان لتعميق الثقافة ذاتها .. !

* كتب الزعيم الزنجي الامريكي مالكولم اكس في الايفننج بوست يقول : ان فوز باري جولدووتر برئاسة الولايات المتحدة سيكون افضل بالنسبة للزنوج الامريكيين . ن جولد ووتر وجونسون يعتنقان افكارا واحدة ولكن بينما جونسون يشبه الثعلب ، فان جولد ووتر يشبه الذئب . ومن الخير للزنوج ان يقاتلوا

ذئبا أمينا ، على أن يقاتلوا ثعلبا مراوغا .. لن يتآكلوا من عدائه لهم الا بعد أن يجدوه قد ابتلعهم

* يقول محمود يوسف بجريدة الجمهورية : انني لا أدري السبب في اختفاء الملحمة من حياتنا الثقافية، ومصر والحمد لله غنية بشعرائها . أننا يجب الا نغفل الملاحم . فهي جديرة بالاهتمام ، وتعتبر من الاعمال الادبية الاصيلة التي تروي بصدق وامانة امجاد شعوبنا وما مر في حياتنا من مواقف حاسمة ، كما انها تعكس على حياة ابنائها حب الكفاح ، والتشبه بالسلف الذي جاهد وناضل ، وبذل الجهد في سبيل تحرير امته ووطنه

* كتب محمد عبد الله الشفقي في مجلة الشعر يقول عن صلاح عبدالصبور: انه اذا كانت الغنائية والتفاؤل والاهتمام بالآخرين تميز ديوانه الاول « الناس في بلادي » ، فان نغمة التعليم والتلقين وطغيان الفكرة على الصياغة ، والقيام بدور الفيلسوف تميز ديوانه الثاني « أقول لكم » أما ديوانه الثالث « أحلام الفارس القديم » فهو وثيقة ذاتية حزينة .. ؟

* كتب قدري قلعجي في الاديب اللبنانية يقول : ان في الكويت رجل فذ من رجال الفكر والادب والفن ، استطاع باصالته الفنية ، وعمقه الفكري ، واخلاصه في تجاربه الابداعية ان يهدم جدران الصمت من حوله ، فتجاوز اسمه حدود الكويت ليتعرف اليه المثقفون العرب . انه الشاعر المفكر احمدالعدواني

* في رأي الدكتور عبد القادر القط : ان الشعر المطلق لم ينشأ لمجرد ارادة التغيير ، ولم يرتبط في ظهوره وانتشاره بثورتنا المصرية عام ١٩٥٢ . انه قد ظهر في الاربعينات .. ختاما لحلقات متتابعة من التطور ، ومحاولات التجديد في الشكل والمضمون ، والصورة الشعرية ومن الظلم البين أن ننفي عن شعرنا الحديث سواء منه الكلاسيكي أو الرومانسي مشاركته في الكفاح الوطني ، وتبشيره بارهاصات المجتمع الجديد الذي نعيش فيه الآن . واذا كان الشعر المطلق قد انتشر انتشارا واسعا بعد الثورة ، فليس ذلك نتيجة مباشرة لقيام الثورة .. بقدر ما هو تحقيق لتطور حضاري ، كان لابد أن يبلغ غايته .. !

* يقول توفيق الحكيم : ان انسب لغة للمسرح هي اللغة العربية المبسطة التي تفهم في كل البلاد العربية . واللغة العربية المبسطة التي تسمى بلغة الصحافة هي انسب لغة تكتب بها المسرحية حتى يمكن فهمها ، وتمثيلها في كل بلد ينطق اللغة العربية .. !

* كتب اللبناني رفيق خوري يقول : ان حركة التبادل الثقافي في العالم مازالت رغم كل شيء بدائية . فليست هناك حركة تبادل بمقدار ما هناك من غزو فكري . فالعالم كله يتلقى ادب فرنسا وبريطانيا وامريكا وروسيا الى حد ما ، يترجم ويتأثر به ، في حين يظل هذا العالم غريبا عن نفسه ، وعن الشعوب الاخرى . فالشعوب الجديدة لا تعرف الا القليل عن ادب الشعوب الاخرى الجديدة . واوربا العجوز لا تترجم الا القليل . ومأساتنا نحن أن ننتظر من اوربا أن تكون واسطة نقل الادب العالمي، والصلة التي تربطنا بتجارب الامم الاخرى

* كتب جلال الدين الحمامصي في مجلة قافلة الزيت يقول : ان صحافة الخبر قد بدأت تتجه ناحية الاتجاه العام الذي تسير فيه صحيفة المقال . ولست اعني انها ستندمج فيها بحيث تصبح صحافة بالمعنى الوحيد ، ولكن من المؤكد ان صحافة الخبر ستصبح جزءا أو فرعا من فروع صحافة المقال ، بحيث تقدم كافة الاخبار الهامة والاساسية ، وفيها من التفسيرات والتوجيهات ، ما قد يتفق في كثير مما يتضمنه المقال

* في رأي الدكتور مصطفى مندور بمجلة الثقافة : ان الجهد الذي بذله الانسان عبر القرون الطويلة ليدرك شيئا من اسرار اللغة وكيفية تفاعلها مع النفس البشرية ما زال في حاجة الى المضاعفة . ان اللغة اليوم تمثل أخطر سلاح يمتلكه الانسان ، ومن الوهم ان نتصور ان اسلحة ذرية أو نووية تهدد الكيان البشري أكثر مما تصنع اللغة حين يساء استخدامها

أخبارهم

● عثر في خلجسان بمنطقة القطب الجنوبي على هياكل عظيمة لطائر البطريق يبلغ طولها طول الانسان

● زاد عدد التلميذات في مراحل التعليم بالجمهورية العربية المتحدة خلال الفترة ١٩٥٢ / ١٩٦٤ بنسبة (في المائة) ١٣١٫٣ في المدارس الابتدائية ، ٥٦٫٨ في المدارس الاعدادية ، ٢٠٣٫٩ في المدارس الثانوية والفنية ، ٦٤٠٫١ في المدارس الاعدادية الفنية

● يشير التعداد الرسمي الاخير للمملكة الليبية الى ان عدد السكان يبلغ ١٫٥ مليون نسمة بزيادة قدرها ٤٥٠ ألف نسمة بالقياس الى عام ١٩٥٤

● تقيم جامعة كاراكاس مركز أبحاث في شبه جزيرة سيناء وآخر في مدينة عمان حيث تجرى الدراسات على حفائر تجريها الجامعة عن آثار النبي موسى خلال رحلته الطويلة بعد ان اكدت الدراسات انه خرج من مصر خلال عهد الملك امينوفيس الثاني (١٤٥٠ ق.م) وليس في عهد منفتاح وفقا للرأى الشائع

● أعد فؤاد راتب كتابا عن الفن في افريقية ، وقد سبق للمؤلف ان طاف بمعظم بلاد القارة بحكم عمله مديرا للعلاقات العامة في الهيئة الافرو - اسيوية للتعاون الاقتصادي

● أنشأت وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة معهدا جديدا باسم « معهد التأهيل والاعداد » وذلك لاستقبال الطلاب الوافدين من آسيا وافريقية والبلاد العربية

● اشتركت مجموعة من العلماء في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وسويسرا في اعداد وتصوير كتاب جديد عن نهر النيل

● افتتح في متحف ليننجراد للعلوم الانثروبولوجية معرضا دائما يضم صورا ولوحات ومجموعات من أعمال النحت والحفر الافريقي مما يلقي ضوءا على ماضي الشعوب الافريقية وحاضرها وعلى خصائص حضاراتها

● افتتح في مدينة كولونيا بالمانيا الغربية معرضا للآثار العراقية القديمة ويضم مجموعة من التماثيل والاواني الخزفية ، ومنها تمثال اسد بابل الشهور ، سيطوف المعرض بعدة بلاد اخرى مثل الدنمرك وسويسرا وبريطانيا والولايات المتحدة

● تقوم السيدة أنطوانيت توفيق بترجمة مجموعة من قصص الروائي تيمور الى اللغة الفرنسية ، وذلك بتكليف من المجلس الأعلى للآداب والفنون بالقاهرة

● تقوم اللجنة المنبثقة من مؤتمر القمة الافريقي بدراسة مشروع انشاء منظمة افريقية للطاقة الذرية ، وذلك بقصد تحقيق التنسيق والتعاون بين الدول الافريقية ، الهدف من الدراسة هو استخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية

● قام بسيوني عثمان بترجمة رواية « بياتريس شنش » التي ألفها الكاتب الايطالي البرتو مورافيا

● تقوم بعثة من الجيولوجيين الالمان بأعمال المساحة الجيولوجية والجوية واعداد الخرائط المساحية ، تمهيدا لتنفيذ مشروع منخفض القطارة في الجمهورية العربية المتحدة

● أرسلت مصلحة الآثار المصرية بعثة من المتخصصين للقيام بأعمال الحفريات والكشف عن الآثار في جمهورية النيجر

● يبلغ عدد الامهات العاملات في الولايات المتحدة ٩٫٣ مليون سيدة بزيادة قدرها ٧٢ في المائة بالقياس الا ما كان عليه الحال منذ عشر سنوات

● « شخصيات عربية » اسم كتاب جديد للاستاذ صديق شيبوب ، ويتضمن ترجمة للجاحظ والبكري وجورجي زيدان وأحمد أمين ورفاعة رافع الطهطاوي

● قام الدكتور نقولا زيادة بترجمة

« تاريخ الغرب في القـــرن العشرين » لمؤلفه بوم لاندو ويعتبر مرجعا هاما في تاريخ المنطقة

● أصدر الأديب العــراقي عبد الله الجبوري ديوانه « أشـبـاح وظلال » وكتابه في النقد الأدبي بعنوان « نقـد والعريف »

● « ربيعنا لا يموت » عنوان الديوان القادم للشاعر محمود حسن اسماعيل

● أول مركـــز فني عربي للنهوض بالسينما تم انشاؤه بالقاهرة . سيقوم هذا المركز بحصر العاملين في الحقـــل السينمائي في الوطن العربي ، ووضع نظام لتدريبهم مهنيا في المعاهد والكليات الفنية ، لدعم السينما العربية ،ولتحقيق التعاون العربي في هذا المجال

..وأخبـارهـم

من ٧٠ سـنة

● كتب بلدوين الأســتاذ بجامعة برنستن في مجلة « العلم العــام » ان الانســـان اخذ يفضــل يده اليمنى في الاستعمال قبلما اعطى ثروة النطق ، وان هذا التفضيل مفيد للانسان ولكنه مضر للدوات الاربع لأنها اذا انفلتت بدا على اخرى صارت تمشي في دائرة لا في خط مستقيم .

● صدرت في الاستانة مجلة لصاحبها اســماعيل حقي ، باللغة التركية لنشر العلوم والفنون واظهـارها للشرقيين من الفضل في خدمة الآداب والعمران ، وفي كل عدد منها تاريخ احد الشــاهير مع انتقاد مسهب على تأليفه .

● « على بك » أسم رواية شعرية تمثيلية للشاعر احمد أفندي شوقي من موظفي الديوان الافرنجي الخـديوي ، والغرض منها شرح حال المماليك وشيوع الرق في زمانهم حتى كان الرجل منهم يبيع ابنه وبنته .

● كتب الاستاذ تشارلز رويرتس في مجلة « ايكونوميك رفيو » انه لاسبيل امام اوربا الا البقاء على ماهي عليه من انفاق القناطير المقنطرة من المـــال على التأهب للقتال والرضى بالخراب اخيرا ، واما الاتحاد على امورتفيدها من جهة وتكفل لهـا حفظ السلم من جهة أخرى .

● ذكرت مجلة « المقتطف » انه عثر في خرائب تروادة على قبر بديع الشــكل كثير النقوش يرجح انه قبر أندروماكي زوجة هكتورين بريام ملك تروادة ، وعلى القبر كتابة قديمة لم تحـل رموزهـــا بعـد .

● اذا قتل ولد والده في الصـــين حكم بالقتل على الولد وعلى معلم المدرسة التي تعلم فيها لانه لم يغرس في ذهنـه وجوب الاكرام لوالديه .

● كتب اللورد فراي مقالا في مجلة « كنتمبراري » طالب فيه بان تعطى كل مستعمرة تابعة للانجليز الحق لســن قوانينها وانتخاب حكامها ونوابهـــا ، وحينئذ ترسل نوابا عنهـا الى مجلس النواب العام في مدينة لندن وهو يتولى النظر في شئون السلطنة بوجه عام ..

● نظم الشاعر عبد الله فريج امثال لقمان الشهيرة كلها في الف بيت شـعر حتى يسهل حفظها ، وهو اول عمل من نوعه .

● قالت« الهلال »ان العرب قسموا الآداب الى اقسام منها ادب القاضي وهو التزامه لما ندب اليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم ، وادب الشاعرصناعة يستفيد منها معرفة النظم . وآداب البحث صناعة نظرية يستفيد منهـــا الانســان كيفية المناظرة وشرائطها . وعلم الادب علم العربية وهو علم يحترز به من الخلل في الكلام العربي لفظا وكتابة .



د . عز الدين فودة

بين الأدب

ان ما يعتبر من قواعد اللياقة او المجاملة او الآداب لدى امة من الامم قد لا يعتبـــر كذلك لدى الاخرى . غير ان تاصـيل هذه القواعد وشـيوع استعمالها فى محيط حياة الترف التى عرفتها اوربا الغربية فى عصر التوسـع والاستعمار ، ولا سيما فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وفى البلاط الفرنسى بصفة خاصـة ، قد اكسب هذه القواعد صفـة العمومية والانتشار حتى اصبحت تشمل محيط الاسرة الاوروبيـة كلها فى القرن التاسع عشر ، ثم

تنتشرلتصبح قواعد عرفيةمعمول بهــا فى الاسرة الدولية التمدنة

لبى فى نشـأتها اوروبية محضة ، ولكنها أصبحت فى تطورها قواعد دولية وعالمية معمول بها ، حتى يمكن القول أن بعض الشعوب غير الاوروبية قد نبذت كثيرا من تقاليدها وعاداتها القديمة — فى المدن وحياة الحضر على الاقل — لتاخذ بهذه التقـاليد الاوروبية وليدة الحضارة الاوروبية الحديثة

لنتيجة للتاثر بهذا المد الحضـارى للثقافة والتقـاليد الاوروبية نبذت كثير من الشعوب الشرقية ومنها العرب ، تقاليـدها المالوفة بالنسـبة للمرأة ومكانتها الثانوية الى جانب الرجل فى الحياة الاجتماعية ، واصبح من دواعى التهذيب والاخذ بقواعد الآداب واللياقة « الاتيكيت » أن تقدم المرأة على الرجل فى الاستقبالات والحفـلات الاجتماعية أسوة بما عليه الحال فى محيط الحياة الاجتماعية باوربا

وقد أصبح تاثرنا بمثل هذه القـواعد الشكلية واضحا فى كثير من الاحيان ، على الرغم من عدم وجوه أصول دقيقة له فى حياتنا الخاصة بمثل ماعليه الحال



ما يجوز وما لا يجوز

والحذلقة!

فى اوروبا وتأثرها بالصيغ الشكلية والثانوية التى تستمد أصولها من اشكال الحياة التى عاشها الرومان فى هذا السبيل

الاتيكيت .. !

وهكذا يمكن القول بأن قواعد الاتيكيت والبروتوكول قد عرفت واتبعت منذ زمن طويل . وعلى الرغم من أن بعض قواعدها قد فات زمانها ، واصبحت من ضروب الزيف والبهتان التى يجب اسقاطها وعدم العمل بمقتضاها ، فان كثيرا من مظاهرها وضروب العمل بها ما زالت من الاهمية بمكان ودليلا واضحا على أن الانسان ما زال مدنيا بطبعه ، ينحو فى معاملة غيره منحى الرقة والادب والقلب الطيب الكريم بعيدا عن الغطرسة والخشونة التى ليست من قواعد اللياقة او البروتوكول والاتيكيت فى شيء

وتضيف قواعد اللياقة التى يلزم مراعاتها الى قواعد الادب جديدا ، فقواعد اللياقة تمتى الى جانب الادب الطبيعى فى حياة الفرد وخلقه الطيب وجوب التطبع فى أخلاق الفرد بنوع من الادب المكتسب الذى يلائم بين الفرد والوقف أو المجتمع الذى يوجد فيه

لذا يمكن تعريف الاتيكيت بأنه فن الخصال الحميدة والمجاملة او فن الارضاء ، وهى الصفات التى تجد دائما طريقها الى كل قلب وتعطى فكرة حسنة عن صاحبها

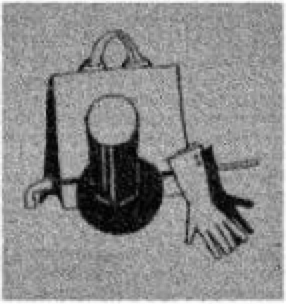
***

والمثل الذى يقول « **عامل الناس بما تحب ان يعاملوك به** » هو من أصول قواعد الاتيكيت أو العادات الرعية فى آداب السلوك

ويمكن بصفة عامة الرجوع بقواعد الاتيكيت والبروتوكول الى ثلاثة مبادىء رئيسية هى :

(ا) الاعتدال فى التصرف

(ب) حسن المنظر والهيئة



(ح) احترام الآخرين ووضعهم في منزلتهم الصحيحة

وفيما يلي بعض هذه القواعد الشكلية التي درج الاوروبيون على مراعاتها كقواعد أساسية للاتيكيت وآداب السلوك في المجتمعات العامة :

(١) **يجوز** لسيدة ان تحضر حفل عشاء او تدخل الى المسرح أو حفل راقص حاسرة الرأس ، ولكن لا يجوز لها ذلك دون أن تضع قبعة على رأسها حين تحضر حفل غداء او حفل استقبال بعد الظهيرة

(٢) **لا يستحب** للسيدات حضور الحفلات والاجتماعات العامة التي يحضرها رجال الكنيسة بملابس ذ ديكولتيه .

(٣) في ولائم العشاء الرسمية **يجوز** لبس الفراك White Tie ولم تعد هذه القاعدة سارية في كثير من البلاد كفرنسا التي أصبح يكتفي فيها بالملابس العادية ذات اللون الداكن . ومع ذلك فمازالت القاعدة تسري في انجلترا ، وتتطلب وجوب الحضور بالملابس الرسمية ولا سيما السموكنج Black Tie أما السيدات فيلبسن فستان السهرة أو التواليت ، كما يمكنهن التزين بمصاغ أكثر من المناسبات الاخرى ، ما عدا الصغيرات اللائي لا يجوز لهن لبس المصاغ . وعندما تلبس القفازات الطويلة يجب أن تبقى في أيدي السيدات حتى يجلس جميع الضيوف على المائدة، ثم يبدأن في خلعها . ولا يجوز للسيدات أن يضعن في معاصمهن أساور بها ساعات في الحفلات الراقصة ، كما لا يجوز لهن أن يضعن الحلي مع ثياب الحداد

(٤) عند الاستقبال ودخول الزائرين الى الصالون يقف الرجال والسيدة الضيفة والصغيرات ، وتبقى السيدات جالسات . وتتقدم السيدة لزوجها ويصافحان الضيفة ثم الضيف

وفي فرنسا يتصافحون بالايدي بينما تحني الصغيرات رؤوسهن احتراما للسيدات . كما تتبع في فرنسا عادة تقبيل الرجال لايدي السيدات ولكن لا يجوز في أية حال تقبيل أيدي الصغيرات أو أيدي السيدات وهن في قفازاتهن او في الاماكن العامة . وعلى الرغم من أن هذه العادة قد نشأت في محيط الأسرة المالكة في فرنسا ، فانها لا تتبع في انجلترا حتى بالنسبة للملكة. فمن عادة الانجليز أن يحيوا السيدات بطريقة خاصة تنم عن الأدب الدقيق ورءوسهم مرفوعة الى أعلى

كذلك لا يتبع الامريكيون عادة تقبيل الايدي ويعتبرونها مثيرة للسخرية

امتيازات طبقية

ومهما يكن من أمر ظهور هذه الصيغ والاشكال في رعاية آداب السلوك والاحتشام في أوروبا ، فان تأصل قواعدها لم يكن الا نتيجة لظهور الامتيازات الطبقية وحياة الترف التي عاشتها الطبقات الحاكمة في قصور الملوك والامراء والنبلاء ، أو سيطرت عليها البرجوازية التي أصبحت قدوة لغيرها من الطبقات في الثراء المادي والترف الفكري

ومنذ ان اتبع في داخل كل دولة مركزية نظام للمراسم وقواعد للاستقبال والزيارات وحضور الحفلات وحمل الاوسمة والانواط ، فقد وضع كذلك نظام طبقي اقتدى فيه بقواعد الطبقية الاجتماعية . فرتبت العلاقات الرسمية بين مختلف السلطات والمصالح والادارات في الدولة الواحدة ترتيبا هرميا يخلع على رؤسائها الرسميين مراتب ودرجات محددة في السلك الاداري ، وبالتالي الاحتفالات والاستقبالات الرسمية . فلا يحتل غير أصحاب المراكز الادارية العليا أو ذوي الالقاب مكان الحظوة والمراتب الاولى في هذه التنظيمات ، دون مراعاة أية اعتبارات أخرى للتقاليد الاجتماعية المتوارثة لدى بعض الشعوب كعامل

السن أو الجنس أو الحسب .. الخ .

***

ومن الملاحظ انه على الرغم من أن معظم الدول الحديثة قد أصبحت تتجه نحو التبسيط في أنظمة المراسم الرسمية الخاصة بها ، فان الدول المحافظة ما زالت تتبع بعض النظم المعقدة نسبيا في مراسمها كأن تحتفظ لسلالة النبلاء وحاملي أنواط الشرف بمراتب ممتازة تلي أو تفضل ذوي الاهمية من العاملين في حقل الخدمة العامة وأصحاب المراكز العالية

وفي الجمهورية العربية المتحدة ، بينما يهتم ديوان كبير الامناء بتنظيم قواعد وأعمال المراسم الرسمية والخاصة برئيس الجمهورية ، تقوم في وزارة الخارجية ادارة خاصة بالمراسم تتولى رعاية هذه الشئون الخاصة بالمبعوثين الدبلوماسيين والقنصليين المعتمدين بالدولة وترتيب زيارات رؤساء الحكومات وكبار الشخصيات للجمهورية والزيارات التي توفدها الجمهورية للخارج

المراسم الدبلوماسية

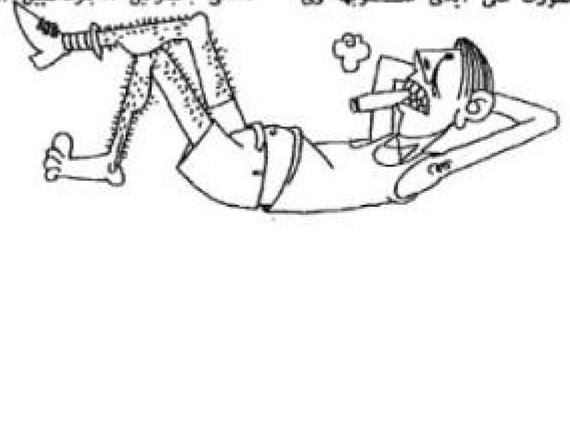
وقد تطورت المراسم الدبلوماسية كذلك في اطار تنظيم طبقي مماثل للتنظيمات السابقة ، وهو التنظيم الذي كان يضع الدول في مراتب ويحدد أسبقية ممثليها الدبلوماسيين في ضوء هذه المراتب ، ثم أصبح منذ مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ يضع الممثلين الدبلوماسيين انقسم في مراتب ودرجات هي : السفير ، والوزير المفوض ، والوزير المقيم ، والقائم بالاعمال

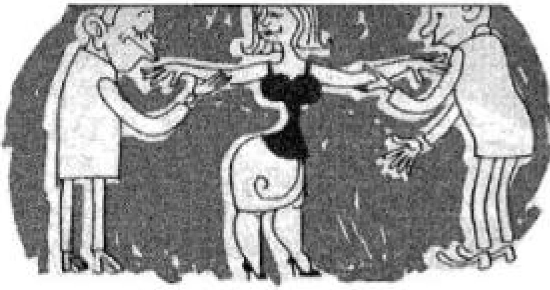
غير انه من الواضح ان تأثر الشعوب الاوروبية في هذا الصدد بالقواعد التي وضعها الرومان لم يكن مباشرا ، وانما انتقلت هذه الصيغ والاشكال من بيزنطة حيث تطورت على أيدي شعوبها وفي علاقاتهم مع غيرهم من الشعوب الشرقية كذلك

فمن ابرز تقاليد الحياة الرسمية والدبلوماسية عند **البيزنطيين** المراسم الخاصة باستقبال سفير أجنبي الى القسطنطينية واحاطته بكافة انواع آداب السلوك . فاذا ادخل الى «الحضرة» الامبراطورية تؤدى له التحية طبقا لمراسم موضوعة ، ويستقبل بالدور حسب ترتيب بلاده من حيث الاهمية . فبمقتضى معاهدة سنة ١٩٢٧ أصبح سفراء البلغار الذين يمثلون عاهلا من أصهار وأقارب البيت الامبراطوري في بيزنطة ، يمنحون أسبقية خاصة على جميع السفراء . وظل الحال على هذا المنوال حتى قضى يوحنا جيمسكي على الاسرة الثالثة البلغارية

ووضع الامبراطور قسطنطين البورفيري عددا من قواعد المراسم أصبحت مرجعا لمن خلفه في تنظيم الاحتفالات العامة ، كان من أهمها النص على ان يكون لممثلي العرب مكان الصدارة . فتقول هذه المراسم « الاصدقاء السراقنة **Saracens** «الشرقيون» أعلى من الاصدقاء الفرنج» وكان لسراقنة الشرق المرتبة الاولى بين جميع السراقنة تنص البروتوكول : **« ويجلس المشارقة قبل المغاربة »** . بمعنى ان لسفراء بغداد الافضلية على سفراء قرطبة أو غيرها من مواسم العرب في تلك الازمنة

وزاد هذا البروتوكول على كل ذلك بأن قدم لنا وصفا تفصيليا للمراسم التي جرت في القسطنطينية لاحدى الاحتفالات التي أقيمت على شرف أحد السفراء العرب في عهد الامبراطور قسطنطين البورفيري ، ووصفا آخر لمراسم احتفال الامبراطور جوستنيان الثاني بالمبعوثين الدبلوماسيين الفارسيين





وبعد قسطنطين ، وجوستنيان جرت محاولات عدة لوضع قواعد جديدة لتنظيم مراسم الاسبقية والاستقبالات للممثلين الدبلوماسيين

ففي مطلع القرن الخامس عشر حاول « **مارتان دى لودى** » معالجة هذا الموضوع بأن أنشأ نظرية مقتضاها أن مبعوث الامير الكبير يكون له حق التقدم على مبعوث الامير الصغير . ولكن اعترض تطبيق هذه النظرية صعاب مصدرها هو عدم وجود معيار للتفرقة بين الامير الكبير وبين الامير الصغير . واقترح لعلاج ذلك أن يراعى قدم الدولة أحيانا ، أو عراقة أسرتها المالكة ، أو تاريخ استقلالها ، أو تفوقها في الحضارة أو شكل حكومتها أو نظامها الملكى ، أو لقب رئيس دولتها أو عدد سكانها

***

ولكن الدول الاوروبية لم ترتبط بأى من هذه المعايير . فأصدر **البابا يوليوس الثانى** سنة ١٥٠٤ لائحة حدد فيها الاسبقية بين الدول ورؤسائها بأن يكون امبراطور الدولة الرومانية المقدسة في المقدمة ، يليه ملك فرنسا ، فملك اسبانيا ، حتى يأتى ملك البرتغال في الدرجة السادسة ، وملك بريطانيا في الدرجة السابعة . ومع ذلك فالغالب الظن أن هذه اللائحة كانت محض اختلاق من جانب بعض الكتاب الذين نقل عنهم غيرهم . وعلى أية حال فانه لم يعمل بها سواء في بلاط البابا بروما أو في بلاط غيره من الملوك . فقد أصبح المبدأ المرغوب فيه اذ ذاك هو وجوب المساواة في السيادة بين الرءوس المتوجة ، وهو المبدأ الذى نادى به **جوستاف ادولف** ملك السويد في القرن السابع عشر واستجاب له ملوك أوربا في صلح وستفاليا سنة ١٦٤٨

وحينما انعقد مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ لم يكن هذا المبدأ الاخير قد وجد نصيبه من التنفيذ أمام الاعتبارات العاطفية لمنزلة كل دولة وكرامة عرشها ووجوب أسبقية ممثليها على سواهم .. مما كان سببا في كثير من الاحتجاجات والمشاحنات العنيفة التى أدت الى اراقة الدماء

ووجد المؤتمرون في فينا سنة ١٨١٥ أنفسهم أمام عدة اعتبارات أهمها : تقسيم الدول الى ثلاث مراتب

وقد أيدت هذا الاتجاه بريطانيا العظمى ، التى كانت تنظر الى أية مناقشة حول المساواة بين الدول بعين القلق . فبريطانيا كانت ترفض كل ادعاء يعارض سيادتها على البحار وحقها في أن تجيب البطاريات الساحلية على مرور سفنها باطلاق نيران المدافع تحية لها واعترافا بتلك السيادة

ولكن سرعان ما ثارت الشكوك حول هذا التقسيم الطبقى لأنواع الدول ، ولاسيما من جانب الدول الصغيرة والجمهورية . فعدل عن هذا الترتيب ، واكتفى بوضع لائحة ترتيب للممثلين الدبلوماسيين وأسبقيتهم حسب درجاتهم وتاريخ وصولهم الى الدولة المعتمدين لديها

وهكذا اتفق في مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ على أن تكون قواعد المراسم التى تحكم أسبقية الممثلين الدبلوماسيين ، لا تقوم على أساس وضع مراتب أو درجات للدول من حيث قدم الدولة أو عراقة أسرتها الحاكمة أو قوتها أو تاريخ استقلالها ... الخ ، وانما سوى بين أشكال هذه الدول جميعا ونظمها في الحكم . ولكنه قسم الممثلين الدبلوماسيين الى درجات وأقر الاسبقية

فيما بينهم للدرجة الأعلى وهى درجة السفراء ومن يساوونهم فى الدرجة من وكلاء البابا أو القاصدين الرسوليين ، ثم تليهــا درجة الوزارة ، ثم درجة القائمين بالاعمال

هذه فى اعتبارنا الآثار ذات الاهمية فى تاريخ وتطور قواعد المراسم للاسبقية بين ممثلى الدول الدبلوماسيين ، وهى التى ثبت عليها العمل فى آخر تطوراتها حتى الآونة الحديثة وفى مؤتمر فيينـا سنة ١٩٦١

المساواة .. فى البروتوكول

ومن المعروف انه لم يطرأ على العرف الدولى بشأن هــذا الترتيب الطبقى لدرجات الممثلين الدبلوماسيين ولقـواعد المراسم الخاصة باسبقية كل طبقة على الاخرى ، اى استثناء ســوى ما استحدثته الثورة الاشتراكية فى روسيا السوفييتية فى هذا الشأن من الغـاء درجات ممثليها وانشاء درجة واحدهى درجة الممثل المفوض Polpreda .

فقد دفع انتصار الضمير لمبادئه الثورة الجديدة والاعتراف بمبدأ المســاواة بين الدول والغاء الفوارق بين ممثليهـــا الى اصدار مرسوم ٤ يونية سنة ١٩١٨ بالغاء لقبى ســفير ووزير وغيرهما من القاب الممثلين الدبلوماســـيين ، وأن يصبح ممثلو الدولة الجــديدة لدى الدول الاجنبية هم جميعـــا فى درجة واحدة

ونص المرسوم على انه قد قصد بذلك التمشى مع الغرض الاساسى للقـانون الدولى من قيام العلاقات بين الدول على اساس المساواة . فلا تقصر الدول الكبرى او الاستعمارية على نفسها حق تبادل السفراء مع بعضها البعض ، دون أن تتبادلهم مع غيرها من الــدول الصغرى حتى تحتفظ لممثليها الدبلوماســـيين باســـبقية فى البروتوكول والمراسم على سواهم

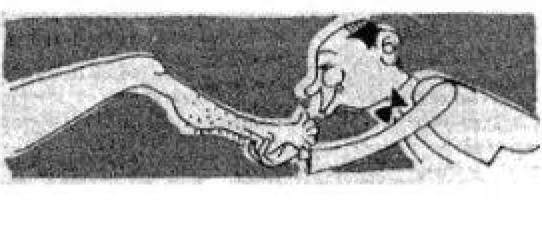
غير ان روسيا السوفييتية ما لبثت أن عدلت عن قرارها هذا بعد دخولها مرحلة الاعتراف بهـــا من قبل الدول الاخرى وتبـــادل التمثيل الدبلوماسى معها ، ولا سيما بعد أن أصبح ممثليها الدبلوماســـيين من أصحاب الدرجة الواحدة Polpreda يعاملون معاملة الممثلين الدبلوماســــيين من أصحاب الدرجة الرابعة (القــائمين بالاعمال) لانهم لا يحملون درجة سفير أو وزير .

ومن ثم عادت روسيا الى تبادل وارسال ممثليها الدبلوماسيين على اساس ماجرى عليه العمل فى العرف الدولى من ترتيب الممثلين الدبلوماسيين فى طبقات

ومع ذلك فان هذا الامتياز الطبقى الذى طالما احتكرته الدول الكبرى لنفسها فى صدد تبادل الســفراء والممثلين الدبلوماسيين من الدرجـــة الاولى بين بعضها وبعض ، قد انتهى الآن ولا سيما فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حين أصبح تبادل السفراء تقليدا منتشرا بين الدول كافة بصرف النظر عن درجتها او كبرها وقوتها ، وبصرف النظر عما اذا كانت دولة اوروبية او استعمارية او افريقية حديثة الاستقلال

●●●

وهكذا نجد أن قـواعد البروتوكول الدبلوماسى ، ومثلها قواعد الاتيكيت فى فى العلاقات الخــاصة وقواعد المراسم الرسمية قد أصبحت تتطور نحو تحقيق قاعدة المساواة بين الدول بعضها وبعض وبين الافــراد بعضهم وبعض ولا سيما بعد ظهور وانتشار الافكار الاشتراكية فى تحقيق المساواة الفعلية بين الجميع




مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
تقدم مجموعة رائعة من أحدث الكتب الثقافية والتربوية والعلمية
الأساس الاقتصادي للحضارة الأمريكية
(الطبعة الثانية)
تأليف : شبارد كلاو
ترجمة : أحمد حامد حجاج
إشراف وتقديم : الدكتور محمد على رفعت
مكتبة النهضة المصرية
٣٥ قرشاً
سبيلك إلى الصحة
الطبعة الثالثة
تأليف : ج روزيلي جالجو
ترجمة : الدكتور سعيد عبده
إشراف ومراجعة وتقديم :
الدكتور عبد العزيز القوصي
مكتبة النهضة المصرية
١٠ قروش
قصة الفيزياء
تأليف : جورج جاموف
ترجمة وتقديم :
الدكتور محمد جمال الدين الفندي
دار المعارف
١٠٠ قرش
بزوغ العقل البشري
تأليف : نورمان بريل
ترجمة وتقديم : اسماعيل حقي
مكتبة نهضة مصر
٤٠ قرشاً

دائرة معارف الهلال

الربح في النظام الاشتراكى

الفائض الذى يحصل عليه صاحب راس المال ، من استثمار امواله واستغلال العمال ، يسمى « الربح » فى الاقتصاد الراسمالى ؛ ويسمى « **فائض القيمة** » فى الاقتصاد الاشتراكى . اى أن تعبير « الربح » و « فائض القيمة » يؤديان معنى واحدا بصفة عامة

والاقتصاديون الراسماليون يقولون ان الربح هو ناتج استثمار رؤوس الاموال وهو العائد الشرعى الذى يستحقه صاحب راس المال مقابل ذلك الاستثمار الذى يقوم به ويتحمل مخاطر المغامرة فى السوق . كما يقولون أن الربح هو الحافز الى تنمية الانتاج وتحسينه

اما الاقتصاديون الاشتراكيون فيقولون ان « فائض القيمة » ، أى « الربح » ، هو ناتج استغلال العامل وكل مشتغل ، وهو هذا الجزء من قوة العمل التى يبذلها المشتغل فى انتاج السلعة ولا يدفع الراسمالى اى مقابل عنها

ومن هنا فان الاقتصاديين الاشتراكيين يحسبون معدل الربح على اساس نسبة فائض القيمة الى راس المال الكلى ، اى الى راس المال الدائم (الذى يشمل المنشآت والالات والمواد الخام وما اشبه) مضافا اليه راس المال المتغير « الذى يمثل مجموع الاجور المدفوعة للعمال والمشتغلين »

ولا يوافق الاقتصاديون الاشتراكيون زملاءهم الاقتصاديين الراسماليين على قول هؤلاء الاخيرين ان الربح هو الفرق بين سعر البيع فى السوق وسعر التكلفة **وانما هم يعتبرون الربح هو الفرق بين قيمة السلعة وسعر التكلفة ، محددين قيمة السلعة بمقدار العمل المبذول فى انتاجها اجتماعيا ، ومحددين هذا الفرق بانه فائض القيمة**

وهناك معادلة معروفة فى الكتابات الاقتصادية الاشتراكية عن هذه القضية الهامة ، وهى انه :

اذا رمزنا الى قيمة السلعة بـ « ق » والى سعر التكلفة بـ « س » ، والى فائض القيمة « أو الربح » بـ « ف »

فان : ق = س + ف

اى ان : ق - ف = س

اى ان قيمة السلعة اكبر من سعر التكلفة

ومن هنا نرى ان قضية الربح مرتبطة - فى الواقع - بقضية سعر السلعة ، سواء فيما يتعلق بسعر التكلفة الذى يحدده المنتج ، أو سعر البيع الذى يحدده قانون العرض والطلب الراسمالى فى السوق الحرة

كما نرى من هذا ان بيع السلعة بسعر اقل من سعر التكلفة لا يعنى بالضرورة عدم حصول المنتج على ربح ؛ فان من الممكن دائما بيع السلعة باقل من سعر التكلفة ، ومع هذا فان المنتج يحقق ربحا بسبب وجود فائض القيمة . ولا يستحيل تحقيق الربح الا فى حالة واحدة وهو ان يكون فائض القيمة صفرا ؛ اى الا يكون موجودا ، وهو ما يحدث فى ظل النظام الراسمالى

●●●

وعندما بدات الاشتراكية تطبق هذه النظريات عملا فى الدول التى اخذت بهذا النظام ، وفى مقدمتها الاتحاد

السوفيتى ، اتخذ فائض القيمة دورا اجتماعيا جديدا ، فبدلا من أن يذهب كربح الى جيوب افراد محددين ، هم الرأسماليون ، أصبح بتجه — فى ظل النظام الاشتراكى — الى اعادة توزيعه على متطلبات الشعب والدولة العاجلة والآجلة سواء فى شكل خدمات او علاوات او تخفيض فى الاسعار فى شكل مصاريف عامة على الدفاع والمرافق المدنية وما اشبه

واصبح من الواضح ان نظام الانتاج الاشتراكى يثمر «فائض قيمة» كنظام الانتاج الراسمالى ، مع فرق فى المدى وفرق فى شكل التصرف فيه

ومن هنا ، قامت مناقشات ، ولا تزال قائمة ، حول الدور الذى تقوم به معدلات الربح والاسعار فى التخطيط الاقتصادى الاشتراكى

ومناقشة هذه المسألة لها اهميتها العامة بالنسبة للتخطيط ، ولها أهمية خاصة بالنسبة لتحسين ادارات المؤسسات ، والقضاء على البيروقراطية الاقتصادية ، وخلق حافز اقتصادى خاص فى كل مؤسسة وجهاز اقتصادى لزيادة الانتاج وتحسينه

●●●

ومنذ سنتين ، طرح البروفسيور ليبرمان ، من خاركوف بالاتحاد السوفيتى فكرة جديدة بالنسبة للنظرة الاشتراكية التقليدية الى دور الربح فى الانتاج الاشتراكى ، فطالب بضرورة توسيع اختصاصات مديرى المؤسسات والاجهزة الانتاجية ، وبضرورة الاعتماد اكثر على حافز الربح

وفى ١٧ اغسطس الماضى ، نشرت جريدة « برافدا » مقالا رئيسيا بقلم الاكاديمى ترابزنيكوف ، وهو خبير معروف فى «الاوتوميشن» ، وكان عنوان المقال هو « من اجل ادارة اقتصادية مرنة للمؤسسات » ، ودعت برافدا جميع الاخصائيين الى الاشتراك فى المناقشة

وفى هذا المقال ، انتقد الاكاديمى ترابزنيكوف نظام معدلات الانتفاع التفصيلية والاجبارية المعمول بها فى المؤسسات الانتاجية ، ووصفه بأنه نظام عقيم ويؤدى الى الاسراف ، وقال انه يحد من حرية تصرف المدير ، ويصيب الانتاج فى أحايين كثيرة بالشلل ، ولا يحفز على التقدم التكنيكى

ودعا ترابزنيكوف الى وضع خطة اقتصادية جديدة تلعب معدلات الربح فيها دورا رئيسيا ، بالاضافة الى العوامل الاخرى . وقال ان لدى الدولة اساليب موازنة اقتصادية اخرى تستطيع ان تجرى بها التسويات الاقتصادية المطلوبة فى الاسعار . ومن هذه الاساليب الضرائب ، وعلاوات الغلاء ، والمكافآت ، والغرامات ، بما فيها الغرامات التى توقع عند تأخير التسليم ، كما ان من هذه الاساليب ، ومن اهمها ، الرقابة على الاسعار ، وربط حركة الاجور بحركة الاسعار

وعرض الاكاديمى ترابزنيكوف لرأيه فى الاسعار ، فقال انها يجب ان تعدل ، وفى الوقت ذاته يجب أن تكون مرنة حتى يمكن تشجيع المؤسسات على انتاج سلع جديدة من ناحية ، وعلى تحسين نوعية السلع من ناحية اخرى

واكد فى مقاله — مع هذا — الفرق بين دور الربح فى النظام الاشتراكى ودور الربح فى النظام الرأسمالى ، فهو يمثل — رأسماليا — اداة الاستغلال الفردى للعمل الاجتماعى ، وهو يمثل اشتراكيا اداة تنشيط الحوافز الخاصة للعمل الاجتماعى

●●●

وفى ٣٠ سبتمبر ، نشرت برافدا مقالا ثانيا عن الموضوع نفسه بقلم الاقتصادى المشهور ليف ليونتيف ، دعا فيه الى منح المزيد من الاستقلال للمؤسسات الانتاجية مع الاستمرار فى مركزية التخطيط ، كما دعا الى اخذ معدل الربح بعين الاعتبار كحافز خاص لكل مؤسسة او مجموعة من المؤسسات على زيادة الانتاج وتحسينه بالاضافة الى حافز المنفعة الاشتراكية العامة

ودعا ليونتيف فى مقاله كذلك الى ضرورة نقل مركز الثقل فى الاقتصاد الاشتراكى من عامل التوجيه والرقابة والحوافز

الادارية الى عامل استخدام افضل المناهج الاقتصادية للقيادة

ومن هنا نرى انه على الرغم من اتفاق جميع الاقتصاديين الاشتراكيين على تحديد مصدر الربح ، وكشف الطبيعة الاستغلالية لهذا المصدر ، فى النظام الراسمالى ، فان مسالة وجود الربح ودوره فى النظام الاشتراكى لا تزال موضع المناقشة

الكادر الاشتراكى

كلمة « كادر » كلمة غير عربية ، وانما معناها بالعربى « الاطار الذى يحيط بالشىء » . وفى بعض النظم الاشتراكية يترجمونها الى العربية بكلمة « ذوو الكفاءات » ، أى ذوو الخبرة الطبيعية أو المكتسبة

و « الكادر » فى المجتمع الاشتراكى ، او فى التنظيم الاشتراكى ، هو القائد على جميع المستويات ، أو هو البارز فى مجال معين من مجالات العمل السياسى او الاجتماعى او الفكرى او الاقتصادى، وهناك كادر جماهيرى ، اى قائد يتميز بالقدرة على قيادة مجموعات الناس وتحريكها والتأثير فيها . وكادر سياسى، أى قائد يتميز بالقدرة على التحليل والعمل السياسى . وكادر تنظيمى ، أى قائد يتميز بالقدرة على تنظيم الصفوف وربط الاعضاء ربطا تنظيميا ببعضهم والقيام بالمهام التنظيمية المختلفة الاخرى ... وهكذا

وليست صفة « الكادر » صفة ادارية او شرفية او مرتبية تسبغ على العضو فى التنظيم الاشتراكى ، كدرجة أو ترقية أو علاوة ، او لمجرد التمييز والامتياز . ولكنها صفة تكتسب عبر سلسلة طويلة من التعلم العملى والنظرى ، ومن التجارب والخبرات فى مجال العمل السياسى ، أو الجماهيرى أو التنظيمى ؛ ومن الانتصارات فى المعارك الصغيرة جدا والكبيرة جدا وهى صفة يعترف بها الآخرون لصاحبها ، قبل ان يسبغها التنظيم عليه ، او قبل ان يلصقها هذا الشخص بنفسه .

ويتميز الكادر الاشتراكى بالقدرة على التصرف السليم فى المواقف حتى بدون توجيه من القيادة الاعلى ، كما يتميز بالاخلاقيات نموذجية شخصية وعامة ، وبروح عالية للتضحية بالمصالح الذاتية العاجلة ، كما يجب ان يكون نموذجا يحتذى وينظر اليه باحترام وحب وتقدير فى المجال الذى يعمل فيه ، ومع الذين يعمل بينهم او معهم ».

الكادر الاشتراكى هو افضل اشتراكى وافضل انسان . انه افضل عامل ، وأفضل فلاح ، وافضل مثقف ، وافضل جندى وافضل... وافضل ... من أى اشتراكى اخر ، او من اى مواطن . والافضلية لا تكون بالانانية او التعالى أو التميز والامتياز ؛ وانما تكون بالايثار والتواضع والنضال وانكار الذات والاستعداد دائما للتضحية الى اقصى حد

وللكادر مدارس خاصة يتلقى فيها برنامجا تعليميا يشمل جميع النواحى السياسية والتنظيمية والجماهيرية والدعائية والنضالية للتنظيم الاشتراكى، وتبلغ مدة الدراسة احيانا عددا من السنوات ، ولكن تلقى الكادر لهذا البرنامج التعليمى ، يقترن به برنامج نضالى تطبيقى يومى ؛ بحيث لا تعزله الدراسة من العمل الميدانى اليومى ، وانما تؤهله اكثر لهذا العمل . ولا يعزل الكادر — اثناء دراسته — عن الميدان العملى ، الا اذا كان يعد — تعليميا — لمهمة خاصة

والتنظيم الاشتراكى تتحدد قوته بمقدار ما فيه من « كادرات » اشتراكية، تقرن التطبيق بالنظرية ، وتجعل من التطبيق الفرس الذى تركبه فى المعارك ومن النظرية اللجام الذى يوجه وينظم ويكبح ويمنع الانحراف فى الدروب الفرعية

مكتبة مجلة الهلال العربية

الرجل والطريق
قصة الاستاذ سعد مكاوى
الناشر : عالم الكتب
الثمن : ٢٠ قرشا

شىء فى عنوان هذه القصة المصرية ذكرنى بعنوان قصة أخرى كتبها نجيب محفوظ منذ فترة غير طويلة ، وهى قصة الطريق .. وسعد مكاوى ليس بعيدا فى تصورى عن نجيب محفوظ ، فبينهما اكثر من رابطة بعضها ظاهر وبعضها خفى . ولست أعنى بهذا الارتباط ما بين الكاتبين من صلات شخصية ، بل ما بينهما من صلات ادبية وفنية واسلوبية .

ويكاد يدخل فى دائرة يقينى ان مفهوم الطريق عند نجيب محفوظ لم يكن بعيدا من ذهن سعد مكاوى حين كتب « الرجل والطريق » لا لانه متأثر به ـ فليس ذلك ما أرمى اليه ـ بل لانه ينطوى على شىء من « المعارضة الادبية » لذلك المفهوم

ان طريق الانسان عند سعد مكاوى ـ كما يرتسم فى هذه القصة ـ هو طريق الخير ، والقيم الفنية والروحية ، وانتصار الحياة بقيمها على الموت والشر والانحلال والمادية محتوم مرسوم ، فطريق سعد هو طريق التفتح ونشوة الجمال والازدهار ، طريق الرضا والرضوان ، طريق التوبة الذى سارت فيه مريم المجدلية من قبل ، وتسير فيه «وهيبة» الغجرية فى قصة سعد مكاوى الطريق هو طريق « الخلاص» بكل ما فى الخلاص الروحى من معنى . هو طريق الحب والبذل . وطريق نجيب مرسوم بالوان أخرى . الوان التراجيديا العتيدة التى انحدرت الى العصر الحديث من الاغريق الانسان والقدر متمثلا قديما فى الآلهة .. ومتمثلا حديثا فى فطرة النفس وتركيبها المتناقض ... والنتيجة ذبابة فى شراك العنكبوت ، ذبابة تتخبط وتنتظر « الخلاص » . ولكن أين ! وكيف !..

واسلوب سعد مكاوى فى هذه القصة يشبه كثيرا اسلوب نجيب فى مرحلته الجديدة . وليس هذا من قبيل التأثر ايضا ، ولكنه نابع من تشكل الاسلوب بصورة المضمون . وتشابه « الطريق » أدى الى تشابه الاداء . فالحوار الداخلى عنصر ضرورى سائد فى الحالتين ولكن هذا يتجه الى النور والندى ، وذاك يتجه الى الرطوبة التى تنبعث من الحفر الغائرة فى جوف الثرى

والشخصيات تبعا لهذا النهج كان لابد أن يبدو بعضها واضح المعالم ، في حين يرتسم بعضها الآخر في العتمة ، بحيث لا تتبين المحاور التي يدور حولها وتتطور بها أفعاله واتجاهات سلوكه . فكأنما « حسن » بطل القصة الفنان قديس رمزي يأتي بالمعجزات . وأينما مرت يده تنبت الخضرة في الأرض الموات وأثمر الشوك عنبا وتينا وحنطة وزيتونا ... وأما شخصية « جاد المولى » فلعلها أكثر الشخصيات الشهيرة وضوحا وأحفلها – فنيا – بالحياة والحيوية ، على نقيض شخصية الشرير الآخر « مصطفى »

ان الرجل والطريق قصة ممتازة فنيا وروحيا ، شكلا ومضمونا ، وهي بمستواها الرفيع جديرة باهتمام أعظم بكثير من خلال الصمت المضروبة حول كثير من الأعمال الجيدة الطيبة ، لأسباب غير طيبة ..

اليمن وحضارة العرب
تأليف الدكتور عدنان ترسيسى
الناشر : مكتبة الحياة ببيروت
الثمن : ٨٠ قرشا

اليمن من أحوج بلاد الدنيا للتعريف به وبدوره الحضاري، مع انه كان ينبغي أن يكون من أغنى بلاد الله عن التعريف. ولكنها جناية التخلف الذي فرضته الرجعية الغاشمة الجاهلة على ذلك البلد قرونا متوالية

وترجع صلة المؤلف الدكتور عدنان باليمن الى عام ١٩٤٦ ، عندما وصل الى هناك رئيسا لبعثة الخبراء العرب من لبنان كطلب جامعة الدول العربية ، فلقي من الامام يحيى يومئذ عنتا شديدا ومقاومة للتعريف باليمن . ثم دخلت اليوم الأمم المتحدة وصار الدكتور عدنان مسئولا من تعريف الأمم المتحدة بذلك القطر الجديد المجهول . فنشر في عام ١٩٤٧ أول كتاب حديث للتعريف باليمن باللغتين الانجليزية ، والفرنسية ، ومرت ١٧ عاما ولم يزل اليمن مجهولا من معظم أهل الدنيا ، بل ومن كثيرين من العرب، وحق له بعد قيام الجمهورية الثائرة هناك أن يزيد من تعريف الكافة بالدور الحضاري العريق لليمن ، قبل الاسلام بأكثر من ألف عام بكثير ، حتى أن مملكة سبأ قبل المسيح بألف عام كانت تمتد الى الحبشة واليمن معا ، وتضارع أرقى الحضارات المعروفة في العالم القديم

وقد جاء هذا الكتاب عرضا علميا دقيقا لمعالم اليمن وتاريخه وجغرافيته مع صور ووثائق وخرائط واحصاءات ، ويحيط بمشكلات اليمن الدولية وعلاقاته الودية وغير الودية بكثير من الأمم ، وبين امكانيات اليمن الهائلة في مفتتح عهد انطلاقه الكبير بعد طول رسوف في قيود التخلف الوبيل

الحركة العربية الواحدة
بقلم : عبد الله الريماوي
الناشر : دار النشر للجامعيين
بيروت
الثمن : ٩٠ قرشا

في هذا الوقت الذي صارت الحركة العربية الواحدة أضخم مسئولية سياسية ملقاة على عاتق أبناء الوطن العربي كافة يظهر هذا الكتاب ليعالج في وعي واستقامة معنى تلك الحركة ، ومراميها ، ومنهجها ، ويثبت ضروراتها التاريخية ومهمتها الثورية . ويضع النقط على الحروف فيما يتصل بالعناصر المتشعبة للمفهوم الأصيل للحركة الواحدة ، فهناك مسألة « تعدد الأحزاب » ومدى تمشيها مع « واحدية » الحركة ، وهناك مسألة « التناقضات في الأمة الواحدة » ، وهناك مسائل غير هذه وتلك يناقشها المؤلف في صراحة وجدية تامتين

ولكنه رغم موضوعيته الجادة مؤمن شديد الحماسة فى دفاعه عن الحركة العربية الواحدة وبيان أركانها وشرعيتها .. بل وضرورتها ، وينظر بعين فاحصة الى أسس قيامها والخطوات التى سبقت مولدها ، والمصاعب التى واجهت قيامها ولم تزل تواجه مضيها فى طريقها المحتوم

انه واضح بمنطقه السلس فى تأكيد الحقيقة القائلة ان ثورة ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ هى بداية مرحلة التحول الثورى القائمة فى الحياة العربية القومية ، بحيث خلقت « واقعا جديدا » بكل معانى الكلمة فى الوطن العربى المعاصر

ان هذا الكتاب يستحق القراءة الواعية من كل عربى مهتم بمصير أمته وحاضرها ومستقبلها ، ومؤلفه الفاضل يستحق كل تقدير

فكرة المسرح

تاليف : فرنسيس فرجيسون
ترجمة وتعليق : جلال العشرى
الناشر : دار النهضة العربيةوفرنكلين
مراجعة وتصدير : دريني خشبة
الثمن ٥٠ قرشا

هذا كتاب من أتيم الكتب فى الدراسة النظرية للادب المسرحى وتطوره الفكرى المتصل منذ فجر الحضارة اليونانية حتى اليوم . ولكنه فى الوقت نفسه « وجبة دسمة للغاية » أعدها طاه بارع ، فالمؤلف من اعظم نقاد واساتذة الادب المسرحى فى العالم ، ويستلزم من قارئه أن يكون دارسا للتراث المسرحى البالغ فى اداب العالم دراسة واعية قبل ان يفتح صفحات هذا الكتاب ، فهو بمثابة منهج من الدراسات العليا لا يتقدم عليه الا المتخرجون بتفوق، فعلى الاقل يجب ان يكون القارىء الواعى دارسا للكلاسيكيات الاغريقية ولمسرحيات شيكسبير وراسين واوبرات فاجنر واعمال تشيكوف وابسن وشو وبيراندللو .. حتى ت . س . اليوت .

فالاولى ان يسمى الكتاب « فلسفة الادب المسرحى ولولا الجهد الكبير الواعى الذى بذله المترجم النابه جلال العشرى لحبه للفلسفة والمسرح معا لما امكن تجلية الترجمة فى هذه الصورة القريبة من القراء نوعا ما ، بفضل تعليقاته الهامشة الدقيقة التى توضح كثيرا من الابهام السائد فى النص الاصلى .

وللترجمة تصدير مستفيض بقلم فقيد الادب المسرحى عندنا المرحوم الاستاذ درينى خشبة .

سن الرشد

تاليف : جان بول سارتر
ترجمة :الدكتورسهيل ادريس
الناشر : دار الاداب بيروت
الثمن : ٨٠ قرشا مصريا

هذا هو الكتاب الاول من ثلاثية سارتر الشهيرة « سبل الحرية » التى يصور فيها جيل الضياع فيمابين القديم والجديد منذ تباشير الحرب العالمية الثانية .

وبطل هذا الكتاب استاذ فى الفلسفة اسمه ماتيو . وله صاحبة اسمها مارسيل وله صحبيون ومريدون ، وهو وهم يواجهون أزمات كثيرة خاصة وعامة . فهناك ذلك الجنين الذى بدأ يدب فى احشاء مارسيل ولا يدرى كيف يقتلها — أو يقتل نفسه من هذا الطفل الذى يوشك ان يفرض عليه مسئوليات ابوة لا يريدها ، لانه لا يريد شيئا سوى حريته . وهو يحب فى الوقت نفسه طالبة مهاجرة اسمها « ايفيتش » حبا من نوع مختلف فى الوقت الذى يبحث فيه عمن يجهض مارسيل اجهاضا لا يهدد حياتها . وهو وتلاميذه وصحبه فى صراع ايديولوجى .. فهم يرفضون الاستمرار فى التجاريب مع الحزب الشيوعى ، ولكن الحزب يمثل موقفا معينا من النظام السائد المتعفن الذى يؤذى الكل بتعفنه .. ولكن الانتماء للحزب يهدم الحرية التى يسعى اليها ماتيو . وهو يمثل الجيل الذى بلغ سن الرشد ولكنه لايدرى بماذا يؤمن . ولا يرى طريق أبويه اللذين تحررا من سلطتهما انه لا يريد الا الحرية ،ولكن الحريةذاتها

تصطدم بتيمات . ومحاولة التحرر برغم العلاقات الخاصة والعامة هي المشكلة التي تعرضها القصة في براعة واسهاب يكاد يصل الى ٥٠٠ صفحة من القطع الكبير ...

ايديولوجيات الامم الآخذه في النمو

اعداد : بول سيجموند
ترجمة ليسي محمود فهمي
الناشر : سلسلة اخترنا لك
الثمن : ١٠ قروش

ان الامم الآخذة في النمو ، والتي كانت الى عهد قريب جدا متخلفة اقتصاديا ومن ثم - اجتماعيا وسياسيا تحتل اليوم مكانا هاما جدا في السياسة العالمية ، لا بما تمثله من عدد هذه الدول تحسب في المجامع الدولية ، بل وايضا بما ينتظر في اعقاب يقظتها من تأثير عام لها ولا سيما العالم ذات موارد ضخمة بكر او شبه بكر يؤدى تنبه سكانها وشعوبها الى تغيير في دبلوماسية العالم اجمع .

ولهذا السبب كانت الايديولوجيات الخاصة بهذه الامم الناهضة حديثا ذات اهمية عظمى . والمقصود بالايديولوجية مجموعة متناسقة من الافكار والمبادىء تدور حول الانسان وحضارته ومسئولياته مع الايمان بهذه المبادىء فكريا وعاطفيا والجهاد في سبيل تحقيقها .

وهذه الايديولوجيات المنتشرة في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تتباعد وتتقارب في مواضع شتى ، ويعرضها الكتاب بدقة علمية وايجاز غير مخل بحيث تشمل على الخصوص ايديولوجيات الصين الشعبية واندونيسيا والهند والجمهورية العربية المتحدة والجزائر ثم ثلاثة الريقية حديثة الظهور من بين خرزاتها اللامعة انكروما وسيكوتوري ونيريري وكينيا وازنكيو ، واخيرا يعبر الكتاب المحيط الى امريكا الجنوبية ليعرض افكار كاسترو ولاتفوف وغيرهما من زعماء تلك الامم التي استيقظت اخيرا وبدأت تعوض ما فاتها بسرعة .

كتاب جاد وجيد ومفيد لطالب الثقافة السياسية الرصينة

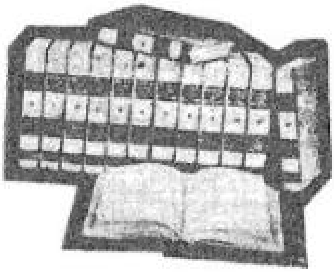
فترة التوافق

مسرحية تنيسي ويليامز
ترجمة فاروق عبد القادر
تقديم المرحوم دريني خشبة
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
الثمن : ١٠ قروش

لعل هذا الكتاب يحمل آخر آثار فقيد الادب المسرحي في مصر الاستاذ دريني خشبة . فقد كتب كعادته مقدمة ضافية عن المؤلف وحياته ودوره الخاص في التطور المسرحي وخصائص ادبه ومراحله . ولا يفوته ان يلم بأدب الجنس في صوره المختلفة منذ خرج فرويد على الناس بمذهبه ، مبينا اثره في المسرح الاوربي ، ثم في المسرح الامريكي على يد اونيل رائد المذهب الطبيعي الاعلى ، وكيف تمرد على فرويد من تلاميذه من تمرد ، ولكن ويليامز ظل على ولائه وتقديسه له ، وتتلمذ ايضا على لورانس وفوكنر وشتاينبك وفرانك هاريس ، ثم هو كاتب من النوع الذي يكتب عن تجربة شخصية ولكنه لا يتبجح بمغامراته مثل اونيل ، فلا نعرف عنها شيئا الا من موضوعات مسرحياته وكلها تدور حول الجنس بصورة من صوره . وهو من اهل جنوب الولايات المتحدة مثل فوكنر ، عاش ازمة الاضطهاد العنصري والتقاليد والنفاق السائدين المجتمع لدى ضيق الافق ، وخبر مشكلات العمال والفقراء زمنا طويلا حين عمل لكسب قوته في مصنع حقير ، وعرف فساد حياة النجوم حين عمل كاتب سيناريو ، وجرب الانهيار الصحي والعصبي نتيجة للافراط في الاثام ، فقدم عصارة ذلك كله في مسرحياته الحارة المتوترة . ومسرحيته هذه «فترة التوافق» موضوعها ما بين زوجين شابين من فروق ناجمة عن شذوذ الزوج وحيرته ازاء نفسه ، فاذا بهما منذ اول ليلة على طرفي نقيض : انسانين ضائعين يبحثان عن التوافق حيث لا توافق ..



الدار المصرية للتأليف والترجمة
تقدم
تصدر يوم
٤
أكتوبر
١٩٦٤
روائع المسرح العالمي
٥٤
زيارة السيدة العجوز
الثمن ٥ قروش
تطلب من : المكتبة القومية



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

بريخت يتحدث عن المسرح
Brecht on Theatre Translated by John willett
ترجمة : جون ويليت
الناشر : مثوين
الثمن : ٥٠ شلنا

لعل بريخت من بين كبار كتاب المسرح فى القرن العشرين ، أغزرهم انتاجا ، وان نافسه الزعامة فى هذا الميدان **جورج برنارد شو** الذى عاش ٣٦ عاما أكثر منه . هذا وان ما كتبه من مقالات وأشعار ومنشورات ومسرحيات وقصص نثرية ، مما يذهل ويكاد يصعب التعرف على جملته نظرا لان سجلات برلين الشرقية لا تزال تضم كتابات متنوعة لم تنشر بعد . وسوف يتم بالالمانية طبع كل كتاباته عن المسرح ، وستصل الى ستة مجلدات .

أما الكتاب الذى نعرضه فيضم مجموعة مختارة من هذه الكتابات ، انتقاها **جون ويليت** وترجمها الى الانجليزية وعلق عليها . ومما يلفت النظر بالنسبة الى هذا الانتاج الكبير أنه تضخم ، بدلا من أن يتضاءل ، خلال عهد هتلر حين نفى بريخت وحرم تمثيل مسرحياته ، الامر الذى معناه أنه فقد الاتصال العملى بالمسرح وبذلك لم تختبر الكثير من النظريات التى طلع بها

والمجموعة الحالية تلقى الكثير من الاضواء على تطور تفكير بريخت . ففى عام ١٩٢٦ نراه يعلن انه يريد جمهورا له خبرة فنية ويملك احساسا بالدعابة . وبعد ذلك تلقاه يمدح شو لانه البث ان **الاتجاه الصحيح ازاء اية ظاهرة هامة حقيقة هو اتجاه سببى لانه الوحيد الذى يسمح بالتركيز الكامل والانتباه الحقيقى** .. وهو يمتدح شو بوجه خاص لانه يحطم الافكار الشائعة « **اننا نتصور المرابى على انه شخص جبان ومختلس وقلق ، ولا نفكر لحظة فى أن نسمح له أن يكون شجاعا .. ان شو يفعل هذا** » وذلك ما فعله بريخت بعده .

وفى عام ١٩٢٧ يستوعب **ماركس** ويصرخ **قائلا** : « حين قرأت كتاب **رأس المال** فهمت المسرحيات التى كتبتها » . لم يعد يهتم برأى الذين يحبون الجمال وما يقولونه عن المسرح ، وانما أصبح يهتم برأى علماء الاجتماع فى المسرح . انه يعتبر العقل مصدراً للمتعة فضلا عن التنوير ، ان البورجوازية الجبانة تصر على قصر العلم على مجال الطبيعة ، ولا تجرؤ على استخدامه فى ميدان العلاقات الانسانية »

وهنا يبدأ بريخت يتصور المسرح على

انه نوع من معمل عام يبنى فيه الفنانون نماذج للسلوك الانسانى حتى يتعرفوا على أســــبابه ونتائجه ، تماما كما يستخدم رجال العلم نماذج لدراسة سلوك جزيئات المادة . ان علم النفس الفردى يبدو فى نظر بريخت ملجأ للكتاب الجبنـــــاء الذين ينحون باللائمة على « النفس » psyche بدلا من أن يوجهوا اللوم الى المجتمع . وهو يفرق بشدة بين المسرح البورجوازى الذى يحاول ان يجعل جميع التجارب الانسانية تبدو خالدة ، لا تتغير ولا تقبل التغير ـ بحيث تعرض نفس المشاعر فى المواقف الاجتمـــاعية المتباينة ـ وبين مسرحه الذى يؤمن انه بتغيير الموقف الاجتماعى تستطيع أن تغير التجربة بأسرها

لقد تعلم بريخت أن يعد جميع ضروب النشاط الانسانى غريبة وشاذة الى أن يحلل تماما البيئة التى ولدتها ، وهـذا هو الاسلوب العلمى فى نظره ، فيقول : « ان الرجل الذى اعترته الدهشة عندما شاهد لاول مرة مصباحا يهتز ويتارجح، والذى وجد انه لشيء رائع جدا ان يهتز ولم يأخذ هذه الحركة على انها قضية مسلمة .. قريب من ان يفهم هذه الظاهرة عن طريق الملاحظة ، ومن ثم قريب من التحكم فيها والسيطرة عليها »

ان المعرفة تولد الرغبة فى التعليم ، ولذلك يؤكد بريخت فى عام ١٩٤٤ : « انه لا يجب الحكم على المسرح الحـديث بنجاحه فى ارضاء عادات جمهور النظارة ، وانما يجب الحكم عليه بنجاحه فى تغيير هذه العادات »

ثم يكتب حوارا خياليا يقول فيه أحد الممثلين شاكيا : « ليس ثمة شيء أبغض الى نفس المشاهدين من أن تعيدهم الى المدرسة (تعلمهم) .. »

ويجيب : « فى هذه الحالة لابد أن تكون مدارسك مريعة . فاذا كان الناس يكرهونها بهذا القدر ، فعليك الغاؤها ! »

الجريمة والشخصية

crime And Personality

المؤلف : هـ . ج . أيسنك

H. J. Eysenck

الناشر : روتلدج وكيجان بول

الثمن : ٢٥ شلنا

يتحدث النقاد فى بريطانيا عن الاستاذ أيسنك بانه من الشخصيات التى تطلع من حين لآخر بأفكار ونظريات تثير الجدل العنيف بشأنها . اننا نعرف جميعا الاستفتاءات التى تقوم بها بعض الدور الصحفية والمؤسسات المتخصصة ، مثل معهد جالوب ، للتعرف على اتجاهات الرأى العام ازاء موضوع معين من قبيل نتيجة الانتخابات البريطانية مثلا ، كما نعلم جميعا أيضا الحملة التى قامت فى أكثر من بلد مؤكدة وجود صلة بين التدخين وسرطان الرئة . وهنا تحدث الاستاذ أيسنك عن أمثال هـــــذه الاستفتاءات بأنها لا تخلو من التحيز ، كما ألقى ظلال الشك على ما للتدخين من أثر ضار كهذا الذى أشرنا اليه .

وفى كتابه الاخير «الجريمة والشخصية» يخرج علينا أيسنك بنظرية تتعارض مع الآراء السائدة ، فهو يرى ان المجرم يولد هكذا ، وانه ليس من صنع البيئة أو الظروف التى تحيط به ، فالدراسات المقـــارنة التى أجراها على التوائم المتماثلين أو المتباينين فى الخلق، اثبتت ان **الوراثة وليست البيئة ، هى المسئولة عن الســلوك الاجرامى الذى ينتهجه الشخص ، وان الـذى يصبح مجرما شخص يمتاز بدرجة عالية من العاطفية وبنزعة الى الظهور قوية للغاية**

وليس ثمة دليل على أن للعلاج النفسى تأثيرا على المجرمين ، وان ليس من سبب يدعو الى الظن بأن للعقوبة أثرا رادعا فعالا ، بل ان من الاسباب ما يحمل على الاعتقاد بأنها تزيد من الفرص أمام مزيد من السلوك الاجرامى . ومن هنا فالامل فى الاصلاح يتلخص فى علاج الصـفات

المرونة مع استخدام العلاج بطريق التخدير

ويحدثنا المؤلف ان البلاد لا تنفق القدر الكافي من المال على البحوث المتصلة بعلم الاجرام ، فالجريمة تكلف بريطانيا سنويا حوالي ٥٠٠ مليون جنيه ولكن الذي ينفق على البحث في هذا العلم لا يتجاوز واحدا على عشرة آلاف من هذا المبلغ . ومن رأيه أيضا انه ينبغي لنا ان نضع أساليب مختلفة لعلاج المجرمين المختلفين بدلا من أن نضع عقوبات متساوية للجرائم المتساوية ، ويقول : ان مما يبشر بالخير ان المجتمع بدأ اخيرا يأخذ بهذا الاتجاه

وبالرغم من الحجج الكثيرة التي يسوقها المؤلف تأييدا لهذه النظرية التي تعتبر أن الشخص لا يعدو أن يكون مجموعة من الصفات والمعالم المورونة ، فهي لا تلقى القبول لدى معظم علماء الاجتماع والاطباء النفسانيين ، لانها لا تأخذ في اعتبارها تفاعل هذا الشخص مع الغير ، أو مع البيئة التي ينشأ وينمو فيها

ويذهب عدد من النقاد والباحثين ان هذه النظرية انما يراد بها مقاومة الفلسفات الاجتماعية التي تعتبر الجريمة وليدة الظروف التي يعيش فيها المجتمع ، وانه لا سبيل الى اجتثاث جذورها الا بتغيير اوضاع هذا المجتمع القائم على انتفاء العدل الاجتماعي ، وهي حقيقة سبق ان ادركها رجل مثل روبرت اوين في مستهل القرن الماضي

الدعاية النازية

Nazi Propaganda

المؤلف : ز . ا . ب زيمان

Z.A.P Zeman

الناشر : اكسفورد

الثمن : ٢٥ شلنا

هناك أسطورة لا تزال تحظى بقدر وافر من الذيوع والانتشار ، وهي ان كفاءة هتلر في الدعاية هي التي أوصلته الى الحكم في عام ١٩٣٣ . اما الحقيقة فهي على خلاف هذا الرأي ، فالمعروف انه في اواسط عام ١٩٣٢ بدأت المانيا تتخلص من الازمة الاقتصادية العنيفة التي أصابتها قبل ذلك بسنوات ، ونتيجة لهذا أخذ المد النازي يرتفع حين عقد الوطنيون فجأة صفقة مع هتلر وجاءوا به الى مقعد السلطة . ولكن هذه الحقائق التاريخية لم ترض النازيين او خصومهم ، ومن هنا نمت الاسطورة ، وهي ان دعاية هتلر هي سر وصوله الى الحكم ، وانه عندما بدأ يدق طبولها سقطت جمهورية ويمار ، وورثت المانيا النازية

ثم نشبت الحرب العالمية الثانية وسرعان ما بدا عجز الدعاية النازية .. فلم تضعف روح الشعب البريطاني المعنوية عندما شن جورنج غاراته الجوية ، ولم يستسلم الشعب السوفيتي حينما اجتاحت الجحافل النازية أرضه ، وذلك برغم جهاز دعاية **جوبلز**

وبرغم انقضاء ما يقرب من عشرين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية فان موضوع الدعاية النازية وفعاليتها لم يلق اهتمام الباحثين الى ان ظهر كتاب زيمان « الدعاية النازية » الذي نعرضه هنا ، وان كان لا يصل في حقيقته الى مستوى العنوان الرنان الذي اختاره المؤلف .

ومع هذا القصور فان الكتاب يكشف الستار عن حقائق لها أهميتها ، في مقدمتها ان هتلر كان يشن حربا نفسية ضخمة في الحالات التي كان يضمن فيها النجاح بطريق التهديد كما حدث في حالة كل من النمسا ، وتشيكوسلوفاكيا

والحقيقة الثانية أن خبراء هتلر تفوقوا في الدعاية بالنسبة الى الشعب الالماني فراحوا يؤكدون له خطر الشيوعية مثلا على بلاده . كذلك نجحوا عندما وجهوا دعايتهم الى بلاد مثل النمسا ،

وتشيكوسلوفاكيا ، وبولنده ، ورومانيا، تضم أقليات ألمانية لها شأنها فأخذوا يضربون على أوتار حساسة مثل ضم جميع العناصر الالمانية فى رايخ واحد

وبعبارة أخرى كانت الدعاية النازية تفهم العقلية الالمانية وأخذت تتحدث اليها ، وهنا نجد عنصر الضعف الاساسى فيها عندما اتجهت نحو الشعوب الاجنبية ، اى أن خبراءها لم يكونوا على دراية كافية بعقلية الشعوب التى كانوا يتحدثون اليها فى بلاد أعدائهم ، ولهذا وقعت دعايتهم على آذان صماء ولم تسفر عن « تحطيم معنوية » هذه الشعوب كما كانوا يأملون . وهنا يبدو الفرق بين دعاية هدفها الاستهلاك الداخلى ، ودعاية توجه الى الخارج ، ففى الحالة الاخيرة لابد من فهم عقلية الاجانب ومعرفة الجوانب القابلة لان تتأثر بما يراد أن يصب فى آذانها

جنوب افريقيا : ثورة الفلاحين

South Africa: The Peasants' war

المؤلف : جوفان مبيكى

Govan Mebiki

الناشر : بنجوين

الثمن : ٣ شلنات ، ٦ بنسات

اذا كان هناك شخص يستطيع أن يعرض لنا فى دقة وتراهة ، رأى الافريقيين فى سياسة التفرقة العنصرية التى تنتهجها الاقلية البيضاء فى جمهورية جنوب افريقية ، فهذا الشخص هو المستر **جوفان مبيكى** الذى كان لسنوات كثيرة من الاعضاء الذين يتزعمون حزب « المؤتمر الوطنى الافريقى » والذى كان منذ عهد قريب ممن شملتهم **محاكمة ريفونيا** حيث حكم عليه بالسجن مدى الحياة

ولقد أعد المستر مبيكى كتابه فى ظل ظروف صعبة ، بل كتب جزءا كبيرا منه داخل السجن ، ولعل هذا ينهض عذرا الى حد ما يبرر ما فى الكتاب من نواحى ضعف ، فبعض الاحصائيات والارقام الواردة فيه تعتبر قديمة ، كما أنه ينقصه التوسع فى شرح بعض النقاط

يحدثنا المؤلف عن « **البانتو ستانات** » وهى المعازل التى تحشر فيها حكومة البوير الافريقية أبناء البلاد ، والتى تزعم أنها تهدف الى تحويلها الى دول افريقية مستقلة ويتصب معظم الحديث على المعزل الكبير المعروف باسم « **ترانسكى** » لانه يعرفه حق المعرفة اذ ولد فيه ، ثم يهاجم سياسة التفرقة بحرارة ، ويصور لنا بوضوح ما تشيعه فى نفوس الافريقيين « **من روح الغضب** والمرارة واليأس» ، ثم يبين لنا الاساليب التى يتبعها الزعماء الذين اختارهم الادارة البيضاء ، فى جمع الاموال ، كما يقدم لنا وصفا جديدا للاضطرابات التى حدثت فى اقليم بوندو (بوندولاند) فى عام ١٩٦٠ والمعروفة بثورة الفلاحين والتى ثار فيها الافريقيون واعتصموا بالجبال ودوخوا قوات البيض التى حاولت اخماد الثورة

هذه المعازل هى فى نظر المستر مبيكى عبارة عن مناطق يتوالد فيها الافريقيون بكثرة ، وبذلك تتوافر الايدى العاملة التى يستغلها رأس المال الابيض، مستغلا حاجتها ليفرض عليها أقسى الشروط سواء من ناحية ظروف العمل أو الاجر

***

ويحدثنا الكاتب أيضا عن محاولة البيض انشاء صناعات يملكونها على حدود **البانتوستانات** وكيف أنها لم تعمل على رفع مستوى المعيشة

والواقع أن هذه الصناعات يراد منها استغلال العمل الفائض فى المعازل ، كما يقصد من ورائها أيضا الحيلولة فى المستقبل دون قيام صناعات داخل المعازل وتكون ملكا لابنائها الافريقيين . هذه الناحية كنا نأمل من الكاتب أن يتوسع فى تحليلها وعرضها ، ولكن عذره - كما قلنا - يتمثل فى الظروف العسيرة التى تحيط به

عزيزى القارئ

حين اجتمع محررو وفنانو مجلة « الهلال » لاعداد عدد أكتوبر ، الذى بين يديك ، فكر الجميع فى مؤتمر عدم الانحياز ، الذى ينعقد فى القاهرة بعد أيام

واختلفت الآراء ، وتفرعت ، ثم انتهت الى ان الاهتمام بعدم الانحياز لا يعنى — حتما — ان نملأ صفحات « الهلال » بكتابات سياسية عن عدم الانحياز

ان تقديم تيارات الفكر والفن والادب فى دول عدم الانحياز هو الذى يهمنا فى عدم الانحياز !

اننا اليوم فى مرحلة اعادة تقييم الحضارات الانسانية كلها . وماهذه الحركات التحريرية الكبرى التى تهز العالم ، سوى محاولة لاعادة اكتشاف العالم على اسس جديدة !

ومن هذه الاسس ، ان الحضارة الاوربية لم تعد « وحدها » هى الحضارة الانسانية « الوحيدة »

ان ادباء ومفكرين وساسة ورسامين — عباقرة — ظهروا ايضا فى دول غير اوربية ومن مهمة المجلات التى تعبر عن الشوق الى الجديد ، ان تنقل هذه التيارات والافكار مع تيارات الفكر الاوربى فى نفس الوقت

ولهذا ارسلت «الهلال» برقية لايفواندريتش ، القصاص اليوغوسلافى الكبير ، والحائز على جائزة نوبل ، ليسمح لنا بترجمة قصته « فتاة من زجاج » من اللغة الصربو — كرواتية الى العربية وقد اذن بذلك !

كما طلبت « الهلال » من مندوب خاص ان يزور قصور الرئيس سوكارنو ، التى تضم اكبر مجموعة من اللوحات الفنية الرائعة

واتفقت « الهلال » مع الشاعر الفانى جوزج اوونور على ان توالها بمقالاته القيمة عن اتجاهات الادب الافريقى

ان عدد « الهلال » الذى بين يديك لم ينس مشاكلنا الواقعية الهامة ، فكتب الزميل ابراهيم عامر عن التنظيم الزراعى ، كما كتب عادل حسين عن الصناعة الثقيلة والخطة الثانية ، كما فازت «الهلال» ببحث قيم عن ثورة ١٩ كتبه المؤرخ الدكتور محمد احمد أنيس ، ومقال آخر للزميل محمود امين العالم عن المعمار الفنى للرواية العربية ، والعالم يبدأ بذلك سلسلة نقدية اعتقد انك تشاركنى فى الترحيب بها

رئيس التحرير

على الغلاف الأخير



لوحة للفنان «الجوجان» من مجموعة رائعة فى العدد القادم من « الهلال »


الهلال

الهلال

- بدأ اكتشاف سر الحياة
- سارتر .. والقضية اليهودية
- وثائق عن العلاقات بين مصر و الخليج فى القرن "19"



كلمات عاشت

● ان تجارب الماضي والحاضر تنطق امامنا بالعبرة الاولى للتاريخ ، وهى انه لايقوم سلام الا على العدل ، لا بالقوة ، ولا بتوازن القوى ولا بموازين الرعب .. وانما بالعدل وحده يقوم ويدوم السلام « عبد الناصر » ● جائزة نوبل هى حزام النجاة ، يلقى للاديب بعد ان يكون قد وصل الى بر السلامة « برنارد شو » ● لسان المرأة سيفها ، ولكنها لاتدعه يصدأ « مثل يابانى » ● الفن صورة من صور التمرد الانسانى « البير كامى » ● العبقرية فى التصوير هى موهبة الاختيار ، مع القدرة على التعميم « دلاكروا » ● اذا اطعمت الشعوب بالشعارات الثورية فقط ، فلن تستمع اليك طويلا « خروشوف » ● من رفع نفسه فوق قدرها ، صارت محجوبة عن نيل كمالها « الفارابى » ● لشومبى تحف استعمارى ، وهو منحاز لكل مايقف مؤتمر عدم الانحياز فى ضده « بن بيللا » ● استطاعتى أن اخلق بمرسوم مائة وزير .. اما العبقرية ، فهى من صنع الله « فرانسوا الاول ـ ملك فرنسا » ● الفن .. اسلوبنا البشرى فى خلق عالم يكون غريبا عن الواقع « مالرو » ● بدون الفكر .. يصبح العمل الفنى مجرد امتاع رخيص « توفيق الحكيم »

الهلال

العدد الحادى عشر **السنة ٧٢**

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢

رئيس مجلس الادارة : **احمد بهاء الدين**

رئيس التحرير
كامل زهيرى

مدير التحرير
طاهر الطناحى

اول نوفمبر سنة ١٩٦٤ م ٢٦ جمادى الاخرة سنة ١٣٨٤ هـ



صور نادرة لعباس العقاد تكشف شخصيته ص ١٤٧



نجيب محفوظ .. وبناء القصة .. ص ٥١



كيف يفكر الرئيس البريطاني الجديد .. ص ١٦

في هذا العدد :

٤.. د . جمال حمدان : ماذا تعد اسرائيل عسكريا ؟!

١٦. احمد بهاء الدين : اشتراكية ويلسون

٢٠. كامل زهيرى : جان بول سارتر والقضية اليهودية

٢١. ضحكات العالم : يقدمها بهجت

٣٢. ابراهيم عامر : مصر هبة النيل

٣٩. د . محمد أحمد سليم : دبلوماسية المياه ، أو الجديد في نهر الاردن

٤٨. دائرة المعارف : ماهى الايديولوجية ؟

٥١. محمود امين العالم : المعمار الفنى في ادب نجيب محفوظ

٦٢. عبد القادر التلمساني : قصة خيال الظل

٧٠. الروح والصورة

٧٥. عبد الوهاب البياتى : الموت في المنفى

٧٨. قصة ابراهيم عبد الحليم : رجلان ..!

٨٨. د . راشد البراوى : انتخابات امريكا

٩٨. افكارهم واخبارهم

١٠٢ عادل حسين : الاستهلاك والمعادلة الصعبة

١١٢ د . عبد المحسن صالح : بدا اكتشاف سر الحياة .. !

١٢١ الوضة : تسريحة شعرك

١٢٦ احمد رشدى صالح : مع المتفرجين

١٣١ بدر الدين أبو غازى : جوجان .. الشريد المغامر

١٤٧ عبد الرحمن صدقى : شخصية العقاد

١٥٦ د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربى

١٦٩ المكتبة العربية

١٧٤ المكتبة الافرنجية

١٧٩ عزيزى القارىء

صورة الغلاف

العودة الى الطبيعة .. لوحة جوجان ص ١٣١



لماذا تعد إسرائيل عسكرياً ؟

د. جمال حمدان :

دخولا الى موضوعنا مباشرة نقول : ليس السؤال هل تهجم اسرائيل ، وانما هو متى واين وكيف ؟ فلقد كفانا القائد العام للقوات العربية الموحدة مشقة السؤال الاول حين اعلن بوضوح قاطع امام قادة العرب في مؤتمر القمة العربي الثاني انه يكاد يكون من المؤكد ان العدو سيبادر بالهجوم في مرحلة ما من مراحل العمل العربي في مشاريع الاردن

وجزئيات الموقف وعمومياته لا تترك مجالا للشك في هذه النبوءة الخبيرة المسئولة



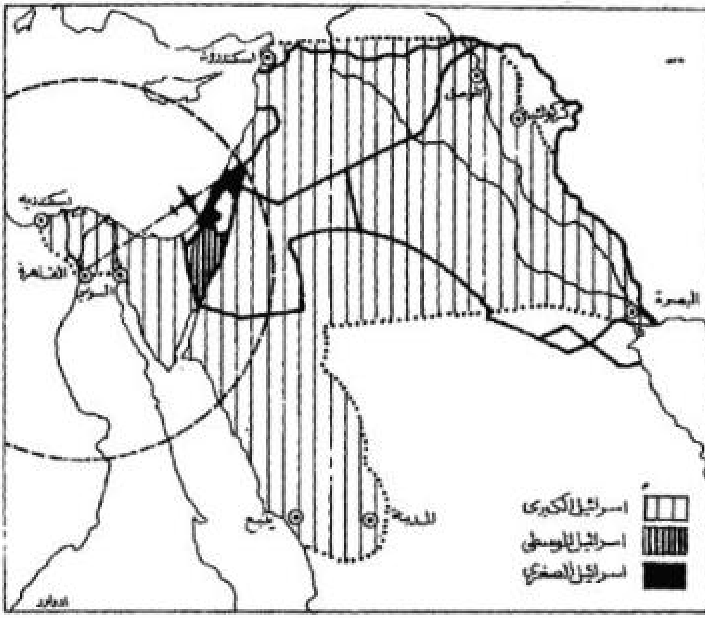
مؤتمر القمة العربي الثاني.. مناقشة بالارقام الدقيقة

فبعد ان خطط العدو سنوات طوالا « للسرقة الهيدرولوجية » « أى سرقة مياه النهر » ، وبعد أن قطع نصف الشوط أو يزيد فى التنفيذ ، وانفق نحوا من ١٠٠ مليون جنيه استرليني ، هاهى العرب – التى تملك مفاتيح مياه فلسطين – تضع مشروعا مضادا من « الاسرالهيدرولوجى » سحب الارض من تحت اقدام السارق الدخيل

ولقد كانت اسرائيل تصرخ من الحصار الاقتصادى ومن الحصار العسكرى الذى تفرضه الدول العربية من حولها ، وكان هذا يشل اطماعها الاثمة فى التوسع الخارجي اساسا ، ولكن «الحصار الهيدرولوجى » هذه المرة يختلف. فيه ولاول مرة تشل الدول العربية حركة اسرائيل فى التوسع الداخلى ، اى فى داخل حدودها وفى عقر دارها المسروقة ، ويحكم عليها بان تظل دولة قزمية تدور فى فلك نطاقها الساحلى التقليدى وفى حدود المليونين قوة وسكانا

مغزى مشروع النقب

والواقع ان مشروع النقب الاسرائيلى بقدر ما يمثل خطرا محققا على العرب بقدر ما يمثل اضافة خطيرة الى قوة العدو . فالمشروع ينتظم استصلاح وزراعة نحو اربعة ملايين من الافدنة تستوعب نحو ثلاثة ملايين من المهاجرين الجدد . والعمود الفقرى فى هذا المثلث هو طريق شريانى للسيارات يزدوج بأنبوب البترول الرئيسى ، و يصل من ايلات الى تل أبيب والمغزى البشرى والاستراتيجى لهذا المشروع أخطر مما يبدو لاول وهلة



احلام اسرائيل .. لن تتحقق

فهو يعنى اولا ان تتحول اسرائيل من حجم يعادل حجم الاردن او لبنان تقريبا (وكل منهمـــا يدور حــول ما يزيد قليــلا على مليــونى نســمة) الى قوة قوامها ٥ ملايين ، اى اكثر من مجموع هاتين الدولتين العربيتين او نحو وزن سوريا . فهو بذلك يضاعف من وزن اسرائيل ويضيف الى « اسرائيــل الصغرى » اسرائيل اخرى ، ويجعــل من الاثنتين معا « اسرائيل الوســطى » التى تمثل مرحلة الانتقال من اسرائيــل الصغرى الى حلم « اسرائيل الـكبرى » المجنــون والذى يمتـــد من النيــل الى الفرات . واذا كانت « الشهية تاتى مع الاكل » كما يقول المثل الفرنسى ، فان وصول دولةالعدوان الى مرحلة اسرائيل الوسطى كفيل حتما بان يحيل الشــهية الى شهوة ...

***

وحتى الآن ليس هناك دولة عربيـــة تتاخم العـــدو الاسرائيلى الا وهى اكبر منه حجما وسكانا او على الاقل تساويه فى ذلك تقريبا ،ولكن بعد التقبستصبح اسرائيل لاول مرة محاطة باكثر من دولة عربية اصـــغر منها تعدادا وقوة بشرية man-power واذا استثنينا مصر، فان مجموع سكان الدول العربية المتاخمة لاسرائيل يصل حاليا الى نحو ١٠ ملايين مقـــابل مليونين وربـــع مليـــون لاسرائيـــــل) او بنســـــبة

الخمس او الربع تقريبا، اما بعد النقب فتصبح القابلة او الواجهة بين عشرة وخمسة ملايين على الترتيب ، أو بنسبة النصف . اى ان تحقيق مشروع النقب كفيل بان يعكس كل « الانحدارات الجيوبولوتيكية » في المنطقة وبان يقلب ميزان القوى « الخام » في دائرتها . ونقول « الخام » لانه ليس بقوة السكان وحدها تقاس القوة السياسية

اما الفرق الخطير الثاني للمشروع ففي نمط العمران . فحتى الآن لا يزيد هيكل العمران في اسرائيل على نطاق ساحلي محدود يمتد من حدود لبنان الى عروض بير سبع على اكثر تقدير ، ويعمق متواضع نحو الداخل . ورغم ان هنالك رقعا وبقعا من العمران ، وأكثر منها نقطا من المستعمرات ، خارج هذا النطاق النووى حتى الحدود السياسية ، فهي جميعا لا تزيد على ظل أو شبه ظل له . وبهذا تتخلخل الكثافة وتتلاشى بالتدريج بعيدا منه ومعنى هذا ان اسرائيل - بصرف النظر عن المعنى السياسي الشكلي المباشر - لم تكن « جارة » بالمعنى الحقيقي العمراني للدول العربية ، ربما باستثناء لبنان . وبهذا كان يفصل اغلب الدول العربية عن جسم اسرائيل الفعال نطاق عريض من الصحراء اللامعمورة - اشبه شيء بالعازل او النطاق الصحي Cordon Sanitaire حول الوباء الصهيوني واهم قطاع في هذا النطاق هو النقب بلا شك .

وتعمير النقب « سينقل » جسم اسرائيل بالتمدد جنوبا » بل سينقل مركز الثقل الديموغرافي « اى السكاني » فيها من الشمال القديم الى الجنوب الوليد ، وينقل حدودها الحيوية الفعالة لتصبح جارة لمصر والاردن فعلا وحقيقة .. بل لاول مرة سيصبح هنالك قطب بشري موجب كثيف بين قطبين سالبين صحراويين شرقا في الاردن وغربا في سيناء . فاذا عرفنا ان امل اسرائيل ان توطن على تخوم سيناء وحدها مليونا من الصهيونيين الجدد في نحو من مائتي مستعمرة زراعية - حربية ، لادركنا مدى خطورة قيام مثل هذا البرزخ السكاني الكثيف المجيش في وسط « فراغ » عمراني مطلق او شبه مطلق وعلى ضلوع صحراء سيناء التي تتحرق اسرائيل الى الى اغتصابها

وهذا ايضا يعطي اسرائيل قاعدة عمرانية ضخمة تتخذ منها نقطة للوثوب في جميع الاتجاهات شرقا وغربا وجنوبا . كما يقصر في نفس الوقت خطوط تموينها وتقدمها العسكرى كثيرا مما يسلب سيناء كثيرا من قيمتها كعازل عسكرى بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل ؛ بل يكاد يحولها من رصيد استراتيجي لنا الى احتياطي استراتيجي لها

واخيرا وليس آخرا فان النقب المعمور يصل باسرائيل لاول مرة حقا الى البحر الاحمر ، وبعد ان كانت دولة بحر واحد عمليا تصبح دولة بحرين ، وتصبح بذلك فاصلا حقيقيا بريا وبحريا ، سياسيا وعمرانيا ، بين آسيا العربية وافريقيا العربية . كما يمكن لها ان تتحول الى دولة ممر ومعبر بين البحر المتوسط والبحر الاحمر على الطريق بين الشرق والغرب وتحقق حلمها من اسر جزء من تجارة قناة السويس

لهذا كله اذا كانت اسرائيل قد شبهت في شكلها السياسي بخنجر مدفون في قلب الوطن العربي نصله هو النقب ، فان هذا النصل الذي ظل خامدا مغلولا حتى الآن سيتحول بالشروع الى نصل قاطع حاد ، وبه سيتحول الخنجر الاسرائيلي الى خنجر مسموم شكلا وموضوعا . **ومن ثم فان حرمان اسرائيل من تحقيق حلمها ان لم يحرمها الحياة فسيحرمها النمو ، وان لم يكن حكما عليها بالاعدام فهو حكم عليها بالشلل الاقتصادى والسياسي المزمن .** هذا عدا شعورها بالنكسة والهزيمة وانهيار الروح المعنوية فيها ، تلك التي تغذيها هستيريا الصهيونية وتهويلاتها وخيالاتها

الريفية . ولهذا كله – اخيرا – ستهجم اسرائيل فى الاعم الاغلب واذا ما صح منطق الاشياء والحساب ..

متى تهجم ؟

السؤال اذن : متى واين وكيف تهجم ؟ متى – لان هناك احتمالين يمكن تصورهما

الاحتمال الاول ان تبادر اسرائيل فتعجل بهجومها على امل ان تسبق استعداد الدول العربية عسكريا للمعركة ، وبذلك تضمن فرصة اكبر للنصر ، أو على امل ان تدمر المنشآت والمشروعات المائيـة العربية وهى فى بدايتها وهذا الاحتمال يفرض على العرب ان يستكملوا استعدادهم العسكرى بكل سرعة وحزم

والاحتمال الثانى هو ان تنتظر اسرائيل حتى تكتمل هذه المنشآت فتشن هجومها عليها . الا ان خطر هذا التأخير بالنسبة لها هو ان ضمانات العرب العسكرية للمشروع ستكون قد استكملت ايضا فى ذلك الحين . وهذا الاحتمال يمكن ان يكون دليلا قاطعا للعرب على انه كلما أجلت اسرائيل هجومها كلما كنا مقبلين على معركة حاسمة فاصلة

على انه سواء أجلت اسرائيل أم عجلت فليس معنى هذا او ذلك فى الحقيقة انها هى التى ستحدد توقيت المعركة ، فهذا قد حدده العرب بالفعل منذ اللحظة التى اتخذوا فيها قرارهم ببدء العمل فى منابع الاردن ، وحرية اسرائيل فى التوقيت انما تتم داخل هذا الاطار . اى زمام المبادرة الحقيقى لن يخرج فى النهاية من ايدى العرب

اين تهجم ؟

اين يضرب العدو ؟ هذا هو السؤال .. ومن السهل على المحلل الاستراتيجى ان يحدد احتمالات او امكانيات ثلاث ، هى بمثابة فروض علمية بحتة ؛ ولكن الصعب حقا – وربما المستحيل – ان يتنبأ بأى منها الذى سيطرقه العدو . فاول مايتطرق الى الذهن ان تهجم اسرائيل على مواقع العمل الهندسى الفعلية فى منابع الاردن . ليس فقط لانها منطقة المشروع العربى ، وانما لان هنا نسبيا منطقة الضعف العسكرى فى الجبهة العربية . والارجح الا تهاجم اسرائيل هناك الا دولة واحدة لتتخذ منها مثلا رادعا للاخرين

ولكن سذاجة هذا الاحتمال الفرضى انه يغفل تحرك مصر من الجنوب . فوحدة العمل العربى العسكرى – جوهر قرارات مؤتمر القمة – معناها ان اسرائيل ستترك بابها الاخطر مفتوحا . وعدا هذا ، فان اسرائيل كانت تعرف دائما اين تقع الحلقة الضعيفة فى القوة العربيـة ؛ ولكنها مع ذلك لم تهاجم قـط أيا من وحداتها هجوما حربيـا كاملا وحقيقيا باستثناء الغارات الوحشية المتقطعة . اما السبب فى ذلك فهو نفس السبب السابق : ترقب مصر وتحفزها فى الجنوب. هو اذن – هذا الاحتمال – طريق مسدود؛ لان معناه المباشر ان تحارب اسرائيل فى كل الجبهات فى نفس الوقت

الاحتمال الثانى اسوأ من الاول ، وهو ان تعتمد اسرائيل ، اعتمادا على صغر مساحتها وضيق جبهتها وكثافة شبكة طرقها ومواصلاتها وامكانية سرعة حركتها وتحريكها لقواتها logistics ؛ تعمد الى ان تضرب فى الشمال بشراسة وعنف ، ثم تتجه بسرعة الى ملاقاة التحرك المصرى جنوبا مسلحة بنصرها – الذى افترضناه – فى الشمال ومكرسة طاقتها الآن للخط الرئيسى

ولكن معنى هذا الاحتمال فى الواقع ان الذى يفتح الحرب فى كل الجبهات فى نفس الوقت انما هى اسرائيل نفسها ، وهى التى كانت كل سياستها واستراتيجيتها ان تحاول بكل الوسائل ان تتحاشى ان يفرض عليها هذا الوضع ، على ان الخطأ الحقيقى فى هذا الاحتمال انه يكاد يفترض فى الواقع ان لا مقاومة



قائد الجيوش العربية الموحدة .. التي ستحمي العمل العربي

في الشمال اطلاقا وان اسرائيل تتحرك منذ في فراغ عسكري ان لم تكن تقوم « بنزهة حربية » ! ثم هو كذلك يبالغ في تبسيط مشكلة انتقال قواتها داخل قوتمتها ، فصحيح ان مشكلة اسرائيل ليست الحركة العرضية من الشرق الى الغرب ، ولكنها تظل مشكلة نسبيا من الشمال الى الجنوب لشدة استطالتها بالنسبة لمساحتها

الاحتمال الثالث والاخير ان تتجه اسرائيل الى الخطر الرئيسي في الجنوب : تركز عليه كل قوتها الضاربة ، فاذا ما أحرزت — فرضا — نصرا عليه تكون المعركة كلها قد كسبت الى النهاية . وبعدها يمكن في اى مرحلة لاحقة ان تنتزع ما تطمع فيه من توسعات في الشمال المحدود القوة . الا ان هذا الفرض ينسى ان القوات العربية ستتحرك ثم في الشمال . ولكن الرد الاساسي عليه هو : ماذا لو تحطمت قوة العدو امام القوة العربية الكبرى من مصر ؟

هكذا نرى ان الفروض او الاحتمالات الثلاثة تنتهي في النتيجة الى وضع واحد .. وهو ان اسرائيل ستحارب في كل الجبهات في نفس الوقت — وهذا تماما عكس كل استراتيجيتها التقليدية ، وهي ان تنفرد بكل دولة عربية على حدة. واياً كان الهدف الذي ستختار اسرائيل ان تضربه ، فسيفرض عليها بدورها نفس الوضع النهائي . وأنى كانت بداية المعركة ، في الشمال او في الجنوب ، فمصيرها سيتحدد على الجبهة المصرية

كيف تهجم ؟

يبقى ان نتساءل كيف ستهجم اسرائيل. ولعل خبرتنا مع العدو الاسرائيلي المتكرر تضع ايدينا على ميدانين جوهريين — وفي نفس الوقت مترابطين — في استراتيجيتها : **اولهما الهجوم ، وثانيهما المباغتة**

فاما الهجوم فان **كل تاريخ اسرائيل معنا عبر ستة عشرة عاما يتسم بانها كانت دائما المهاجمة** . حدث هذا مرارا

• مصيدة العدو هى سيناء .. وسلاحنا لتحطيم قواته هو

فى غاراتها الوحشية على القرى الامامية والحدود . وحدث فى العدوان الثلاثى الغادر ، وهى فى اقرب الاحتمالات ستلجأ الى العدوان فى المرة القادمة

والواقع ان اساس كل استراتيجية **اسرائيل هو الهجوم ، وان تفرض علينا الدفاع** ، على اساس ان الهجوم خير وسائل الدفاع ـ وهل فكرة « الحرب الوقائية » التى طالما رددتها واجترتها اسرائيل تعنى شيئا سوى أن الهجوم خير وسيلة للدفاع ؟ هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى فانها بالهجوم تتحاشى التدمير الذى يحدث دائما على ارض المعركة ، وتضمن الا تفقد رقعة من ارضها اذا ما هزمت واضطرت الى الانسحاب

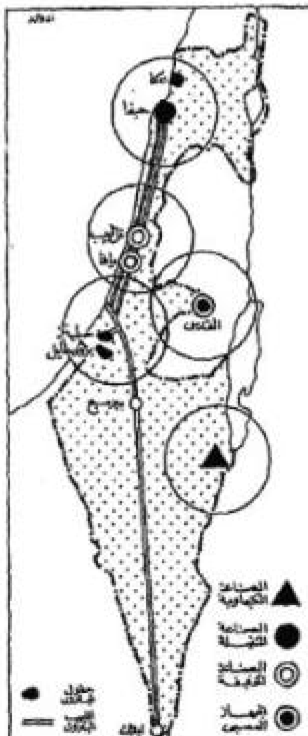
ولكن خلف هذه الاعتبارات المباشرة ضابط « جيوستراتيجى » اساسى هو ضآلة مساحة اسرائيل التى تجعلها كلها فى الواقع جبهة حرب مكشوفة ، وانها فوق ذلك جزيرة غريبة محصورة فى وسط بحر عربى . ومنطق اسرائيل فى دعايتها لنفخ الروح المعنوية بين سكانها كان دائما أن « العدو امامكم والبحر وراءكم » (ولو اننا سنرى بعد قليل انهم لم يحرقوا مراكبهم خلفهم !) .. واستراتيجية الهجوم هى التى تفرض على اسرائيل ان تعيش دائما ترسانة مسلحة : فاغلب سكانها القادرين اما فى الجيش العامل واما فى الميليشيا المدنية بانواعها المختلفة ابتداء من المتطوعين « الناحال » الى سكان المستعمرات الكيبوتز والموشافا .. الخ .

على اننا يجب الا نفهم من استراتيجية الهجوم الاسرائيلية ان زمام المبادرة حقيقة فى يدها . فالذى يتعمق هذه الفلسفة واجدا انها فى الواقع « دفاع مقلوب » كما قد نقول . **وهذا اوضح ما يكون فى طبيعة المعركة القادمة بالذات فلاول مرة يفرض الدفاع على اسرائيل** .

وهى تعرف هذا جيدا ؛ وهذا اخشى ما تخشاه ، وسوف تضطر الى تفاديه بالسبق بالهجوم المحموم

اما المباغتة فهى الوجه الاخر لفلسفة الهجوم ، فالهجوم بغير عنصر المفاجأة يفقد صفته الاساسية كهجوم . واسرائيل فى هذا تعتمد على قدرتها على التعبئة العامة بسرعة . وهى تعلم أن حربها ـ مع مصر خاصة ـ لا يمكن الا أن تكون حرب ايام أو اسابيع فى آخر الامر ، ولهذا يجب ان تكون **حربا صاعقة خاطفة Blitzkrieg وليست من حرب الد والجزر « الجالسة » sitzkrieg** . من هنا فان المباغتة التى يمكن بها تحقيق كسب أجالى قد تمثل شوطا من المعركة اكبر من المألوف فى الحرب الطويلة الممدودة ولهذا فان من الضرورى ان تكون نقط المراقبة العربية يقظة ليلا ونهارا ، كما انه لابد للعرب من القدرة

الصواريخ العربية والسلاح الجوى !



الاهداف الاستراتيجية فى اسرائيل !

على التعبئة العامة والجيش الاحتياطى فى أقصر وقت

ولكن ما هى الترجمة الميدانية لمبدأ الهجوم الباغت الاسرائيلى ؟ حيث أننا افترضنا أنه ايا كانت الجبهة التى ستبدأ اسرائيل بالهجوم فيها فلانها ستجد نفسها تحارب فى كل الجبهات ، وحيث ان القوة المصرية هى الخطر الاكبر الذى تخشاه ، فان هجومها على مواقع العمل الهندسى العربى فى الشمال لن يسلبها عنصر المفاجأة بالنسبة للقوات المصرية فقط بل وعنصر الهجوم اصلا . لهذا السبب فنحن نميل الى الظن ــ وان كان كل ظن هنا محض تخمين ــ بأن اسرائيل قد تبدأ هجومها على الجبهة المصرية . فاذا صح هذا المنطق فيمكن ان نمضى خطوة أخرى فى تصور خطوط الاستراتيجية

سيناء مصيدة للعدو

اذا صدق درس معركة السويس ، فان مبدأ الباغتة الاسرائيلية ليس له الا معنى واحدا ، وهو « اختزال سيناء » بمعنى أن تحولها اسرائيل الى رصيد وعمق استراتيجى لها قبل ان تلتحم بجسم القوات المصرية التحاما مباشرا . وفى حرب السويس حققت اسرائيل هذا بدرجة ما حين جعلت هدفها قنال السويس واسقطت قربها الظليين واندفعت قواتها نحوها . وبهذا دارت المعركة القصيرة حين دارت على أرض سيناء وليس داخل حدودها هى . ولكن الفارق بين معركة السويس ومعركة الغد هو التـوازن الثلاثى ، وهو فارق جذرى حاسم جدا ويغير كل تقدير العدو من اساسه

لقد علمتنا معركة السويس أن سيناء يمكن ــ بالقوة ــ ان تكون « مصيدة » للقوات المتقدمة اذا طعنها غادر فى الظهر من القتال وقطع عليها خط الرجعة . ولكن سيناء فى نفس الوقت يمكن ان تكون « فخا » حقيقيا للقوات الاسرائيلية المغيرة اذ تطول خطوط تموينها

وتنفصل عن قاعدتها فى وسط اسرائيل حيث يمكن ان تطوق وتبـــاد فى قلب الصحراء — هذا اذا كانت المواجهة بلا تواطؤ . **واذا كان سلاح اسرائيل لاختزال سيناء هو المبالغة التافهة والغدر ، فان سلاحنا لاختزالها اصبح الآن الصواريخ العربية** . واذا كان كل هم اسرائيل فى الماضى أن تحول سيناء الى مصـــيدة لقواتنا بالتواطؤ الغادر ، فان اداتنـــا لتحويلها الى مصيدة لقواتها انما هى هذه الصواريخ بالاضافة الى الســلاح الجوى .

وعلى كل ، **فلا يجب بحال من الاحوال ان تكون المعركة القادمة على ارض العرب او على ارض مصر ، بل يجب ان تفرض على العدو داخل ارضه** . وذلك باليقظة الكاملة وسرعة الرد الذى يقلب هجومه دفاعا . واذا كان أخشى ما تخشـــاه اسرائيل هو وجود قوات مصرية بالذات على جبهتيها الغربية والشرقية معا ؛ واذا كانت فى الماضى تؤمل ان الخلافات العربية ستحول دون ذلك ؛ فان وحدة الجبهة العربية والجيوش العربية بحسب قرارات مؤتمر القمة تبشرها فى هذا الصدد بشر مستطير

* * *

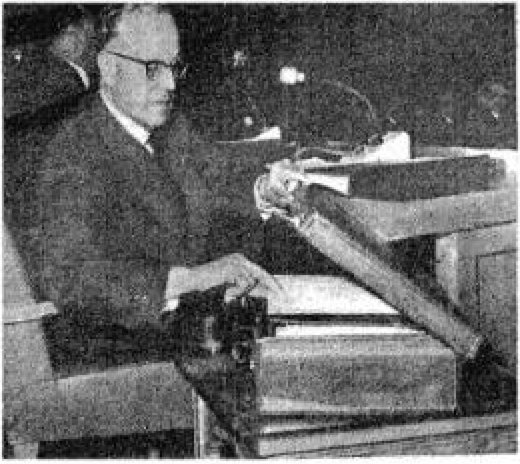
على أن المطلوب من جانبنا الا نعتمد فى وجود القوات المصرية على الجبهـــة الشرقية سواء فى شمالها أو فى جنوبها على نقلها قبل المعركة عن طريق ســوريا أو الســعودية ، لان هذه « نقلة » بعيدة وطويلة ومعرضـة بحرا

حقا ربما وجب هـــذا بقدر ، ولكن الافضل أن يكون الاعتماد الاساسى هوعلى قوة الضرب المتبقية فى بدء المعركة : فلاا ضربت القواتالمصرية بكل تركيز واكتساح من غزة تجاه القدس حيث تختنقاسرائيل جغرافيا فى خاصرة نحيلة لا تزيد عن ١٠ كم عرضا ، وحققت بهذا الاسفين جسرا سريعا أرضيا واتصالا سريعا مع الاردن ، فيمكن بسهولة اقتطاع النقب وتطهيره من كل جيوبه ثم تطويق العــدو بالقوات المصرية من الشرق .. من الاردن وسوريا

دور الطيران

يبقى آخيرا دور الطيران فى المعركة ، ولو انه يأتى بالتأكيد فى القـــدمة من العمليات الحربيـــة . فى رأينا ان نهاية اسرائيل ينبغى ان تبدأ من الجـــو **فبحكم ضـــآلة حجمها ، وافتقارها الى العمق الاستراتيجى ، ثم تركزسكانها تركزا « نقطيا » مدنيا شنيعا ، ليس هناك حرب يمكن للسلاح الجوى ان يلعب فيها دورا اخطر من هذه الحرب . والمسافة بين القواعد الجوية المصرية وبين ابعد هدف فى اسرائيل لا تعدو ..٥ كم لا تقـوم فى حســاب النفاثات والقاذفات الاسرع من الصوت — دعك منالصواريخ — باكثر من دقائق معدودات أو بضـــع عشرات من الدقائق**

اما الاهداف الحاســـمة المركزة فهى مجمـــع تل ابيب — يافا حيث يتكدس ٤١٪ من ســــكان اسرائيل فى ٥٪ من مساحتها ، وحيث تتركز الصـــناعة الخفيفة والوسيطة . ثم هناك مجمع حيفا — عكا حيث المركز الاساسى للصـــناعة الثقيلة والبحرية فى اسرائيل . واخيرا ثم قدس القدس حيث يقوم جهاز الدولة الصهيونية العصبى ، نقاعات مدنيـــة ثلاث يمكن دكها من الجـــو دكا فى أوائل ساعات المعركة بالصـــواريخ والطائرات حتى قبل ان تكون القوات البرية قد تحركت من قواعدها . وهناك بعد ذلك اهداف استراتيجية اخرى تشمل اولا محطة المفاعل الذرى فى ديمونة ؛ ثم انبوب بترول وطريق سيارات أيلات — تل ابيبه ومصانع البوتاس والبروميد التى تقدم خامة المفرقعات على شفاف البحر الميت؛ واخيرا حقل للبترول والغاز الطبيعى فى حيليتز وزوهار وكيـــدود قرب رأس قطـــاع غـــزة . **(وعلى ذكر البترول — وقود كل حرب — فمن الأمور الحيوية حرمان آلة الحـــرب الاسرائيلية منه تماما بالحصار البحرى لمضيق تيران منعا لتسرب اى بترول ايرانى خلاله أثناء المعركة .)**



امين الجامعة العربية
وحقيبة مملوءة بالوثائق

لهذا جميعا فان من الضرورى جدا ان تسيطر القوى العربية على سماء المعركة سيطرة كاملة ، وهى ان فعلت فيمكنها ان تدفن اسرائيل فى الارض اولا ، وبعد ذلك يمكن للقوات البرية الزاحفة أن تدفن البقية الباقية منها فى البحر ..

ومن الناحية الاخرى فان هذه السيطرة ضرورية لتغطية سمائنا من خطر العدو . فنحن لدينا أهداف ضخمة بل عملاقة يمكن ان تكون صيدا جويا سمينا . فالاسكندرية وحدها تقدر اسرائيل برمتها سكانا ، بينما تعادلها القاهرة مرتين (!) وحقيقة اننا نتمتع بالمقارنة بالعمق الاستراتيجى الامن ، ومع ذلك فقد أثبتت محاولة التسلل الاسرائيلية فى الصيف الماضى على سماء الاسكندرية والدلتا ـ وان كانت قد فشلت وابيدت ـ أن الرحلة فوق الفاصل البحرى هى ايضا مسألة دقائق

المعركة السياسية

حتى الآن ناقشنا الخطوط الاستراتيجية العريضة فى اطارها المحلى البحت ، كما لو ان المعركة تتم بين العرب وخصمهم اسرائيل وحدها . ولكنا نعرف ان الخطر فى اسرائيل ليس فى قوتها الذاتية وانما فى القوى الضالعة التى تختفى بالحقد والكراهية وراءها والضمن وجودها الآن يمثل ما فرضته من قبل . والهيكل الاستراتيجى السابق يفقد معناه بداهة ولوا اذا خرجت ابعاد اللقاء من طرفيها الاصليين .. ولذلك فان استبعاد اى طرف دخيل عليها شرط فيصل لكسب المعركة الحربية . وهذا الاستبعاد هو جوهر المعركة السياسية ، التى هى لذلك اخطر والزم واسبق من المعركة الحربية . فكسب المعركة السياسية شرط اساسى لكسب المعركة الحربية

وهنا نصطدم بتحيز وانحراف القوى الاستعمارية الى المسخ الذى صنعوه عميلا لهم وقاعدة . ولهذا يجوز لنا ان نتساءل : **كيف تتآمر اسرائيل بالهجوم وهى تعلم ان ميزان القوة ـ فى حدود الاطار المحلى ـ قد انقلبت ضدها**

من المفهوم أنها كانت تتحرش وتستفز

فى غارات وحشية لحسابها ، والتواطؤ وتتآمر فى هجمات بربرية غادرة مع الاستعمار ولحسابه ، وذلك حين كانت تملك القوة ولا نملك نحن الا الحق . اما وقد اصبح الحق والقوة فى جانبنا ، واصبحت « الحرب الوقائية » المزعومة اقرب الى « الحرب الانتحارية » بالنسبة لها ، فكيف تقدم اسرائيل ؟ كيف تقدم — يعنى — ان لم يكن بسابق ضمان اكيد لها من الخارج ؟

لقد اعلنت دوائر معينه فى اكثر من دولة غربية انها لن تسمح بزوال اسرائيل .. الخ . وقد تكون مضاربات الانتخابات المحلية وتهافتاتها فى هذه الدول مسئولة عن بعض هذه التصريحات الرعناء اللا اخلاقية . ولكنا لا نملك الا ان نأخذها مأخذ الجد وننظر اليها بريبة . واذا كنا نستبعد كثيرا تواطؤا يكرر غدر السويس وذلك بعد ان القى الاستعمار درس عمره فيها هزيمة وعارا ، فانا لا نملك الا ان نذكر بحادثة قريبة العهد ومن طراز جديد . فمنذ شهور ، بعد ان ضربت تركيا ساحل قبرص بالطائرات ، اعلنت دولة غربية ان هذا تم بعلمها ، اى **بموافقتها** . هذا اذن هو التواطؤ الجديد!

ان من الممكن جدا — قياسا على هذه السابقة الجديدة — ان تهجم اسرائيل — وحدها — ولكن بعلم مسبق بنيتها وخطتها ، حتى يكون المتواطىء على استعداد للتدخل للفصل بين الطرفين بالقوة ، ويفرض بمناوراته الدولية عن طريق الامم المتحدة « الهدنة الثالثة » . وكما انتهت الهدنة الاولى والثانية بتقسيم الارض ، تنتهى الهدنة الثالثة الى تقسيم الماء ! وهو أصلا ماتريد اقتراعه اسرائيل وما ارادت فرضه احدى الدول الكبرى عن طريق مشروعها الذى رفضه العرب قبلا . لسنا بالقطع والبداهة نريدها نبوءة انهزامية ، وانما نريد ان نفتح **اعيننا تماما على كل احتمال وعلى كل دروس الماضى وخبرته المريرة فى عالم لا زال يمارس غدره وعدوانه بلا ترفع ولا خجل . وانما نحن نقول انه لا ينبغى للمعركة القادمة ان تتحول باى حال من الاحوال الى الهدنه الثالثة : يجب ان تكون الجولة الاخيرة والمعركة الفاصلة**

وهنا يبدو لنا من الاهمية بمكان ان « نحيد » بالضغط هذه القوى المنحازة ونفرض عليها ان تمتنع عن التدخل وهذا هو الهدف الاساسى للمعركة السياسية . ولقد تأهبت الدول العربية لهذه المعركة بقرارات مؤتمرالقمة المعلن منها ومالم يعلن ، وبوحدة العمل العربى ، وباعلانها التاريخى انها ستحدد مواقفها وعلاقاتها بالدول الاخرى بحسب موقفها من قضية فلسطين . يضاف الى ذلك سلاح البترول وهو مانعلم من قوة ونفوذ ولكنا نود أن نذكر فى هذا الصدد ان البترول كسلاح انما يؤثر على اوروبا ، ولكنه لا يؤثر مباشرة على كبرى الدول الغربية ، وهى التى يخشى فى اغلب الظن انها التى قد تأخذ دور المساعدة الايجابية للعدو هذه المرة

***

وهناك اخيرا سلاح « الحصار السياسى » ونعنى به عزل العدو سياسيا فى كل دول العالم المتحررة والنامية ، وضمها الى صف قضيتنا العادلة حتى نضمن الرأى العام العالمى ونضمن حساب الاصوات فى الامم المتحدة ، وفى رأينا اننا لازلنا نحتاج الى مزيد من حملات ديبلوماسية واسعة النطاق نجند بها الرأى العالمى ونطارد فيها التسلل الصهيونى فى كل اركان العالم

ولكن هذا جميعا لا يمنعنا من ان نعود فنتساءل : هل هو كاف لتحييد القوى المنحازة الى العدو فى « عصر الرعب الذرى » ؟ فهناك من يرى آن ميزان

الرعب الذرى قد شل العالم سياسيا وجمد الاوضاع السياسية على « وضعها الراهن » status quo بما فيه من ظلم صارخ وجور ، ومعنى هذا فى الواقع أن على كل دولة اغتصبت حقوقها ان ترضخ للامر الواقع الى مالا نهاية .. الا اذا قلنا ان فرصتها لاستعادة حقوقها هى عند اصطدام المعسكرين وقيام الحرب الذرية الاولى ! ولكن واضح كذلك ان هذا منطق انهزامى واستسلامى فى الواقع وواضح كذلك أنه انما يعنى السلام بين الكتلتين على حساب الدول الصغيرة المهضومة ، وأذا كان هذا هو يمن السلام الذرى او الهدنة الذرية ، فربما ـ ولنقلها بالاسف قبل الصراحة ـ كان خيرا منه الصدام الذرى !

ويكفينا هنا ردا على هذا المنطق المعوج ما أعلنه الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر الدول غير المنحازة الذى عقد فى القاهرة فى أوائل اكتوبر الماضى : « ان **السلام بغير عدل لا يعيش ، وتوهم امكان تجاهل العدل اكتفاء بالامر الواقع حتى وان قام على الظلم ، هو وهم خطير لا يزلزل معنى العدل وحده وانما يزلزل بعده معنى السلام .. ان السلام لا يستقر الا اذا استند على تجميد الاوضاع الظالمة »**

كذلك فنحن نلاحظ ان منعة اسرائيل لم تحل الهاولنلوج بالتدخل دون ماكترات بالرعب الذرى ، وابعد من ذلك هناك حروب صغيرة متناثرة فى أكثر من ركن من أركان العالم دون ان تدخل ضمن نطاق الرعب الذرى ، بمعنى آخر فان هناك من الدول الذرية ما يمارس الحروب الصغيرة ـ والحروب الصغيرة الظالمة ـ بحرية وسفالة دون ماخوف من رادع نووى

ولهذا فاننا نقول ان واجبنا أن نستغل ميزان الرعب الذرى لا لنستسلم للامر الواقع وانما لنفرض تحييد القوى المنحازة الى عدونا ، وان نقتطع قضيتنا الكبرى والعادلة من فلك الرعب الذرى ونفرض على القوى الاستعمارية المنحازة قبول مبدأ الدفاع المشروع لتصفية صرح الظلم الذى اقامته بين ظهرانينا . واجبنا مع كل الدول الصديقة ان نستغل الرعب الذرى ونسخره لكى يشل الحرب الذرية وحدها لا العدل الدولى معها

على هذا الاساس

توجه الاديب الفرنسي لوسيان ديكاف بطلب نصيحة الى صديق له فى مسألة محرجة فقال له الصديق
ـ انا لا احسن تصريف شئونى الخاصة . فليس من الحكمة أن انصحك بشىء
ـ ولكنى سوف لا اعمل بنصيحتك !
فتنهد صديقه بارتياح وقال :
ـ الآن اطمأن قلبى ، واليك نصيحتى .. !

اشتراكية ويلسون

أحمد بهاء الدين:

قال « كليمنت اتلى » ، الرئيس السابق لحزب العمال ولحكومة العمال ، فى احدى المرات : ان الاشتراكية الانجليزية فيها من المسيحية، اكثر مما فيها من الماركسية

ومنذ شهور قليلة ، كتب **هارولد ويلسون** ، الرئيس الجديد لحزب العمال ولحكومة حزب العمال يقول : ان الاشتراكية الانجليزية مدينة الى حد كبير لافكار بعض رجال الكنيسة الانجليكان ، فى القرن التاسع عشر ، مثل تشارلز كنجزى وتشارلز جور

ويضيف ويلسون الى ذلك قائلا انه يستخدم عادة كلمة « **الاشتراكية الانجليزية** » عمدا ؛ لكى يميز بينها وبين الاشتراكيات الاوربية التى عرفتها « القارة » ذاتها . فهى فى رأيه عميقة الجذور فى التقاليد الانجليزية والمؤسسات الانجليزية بالذات ، وهى استمرار لنفس الراديكالية الانجليزية التى ظهرت منذ ثورة كرومويل لتحويل « **امتيازات القلة الى حقوق لجميع المواطنين** » ، لم وجدت تربتها الخصبة فى تلك المؤسسات الانجليزية « الاختيارية » مثل الكنيسة،



هارولد ويلسون استسلم للماكياج قبل ان يظهر امام جمهور التليفزيون

ونقابات العمل ، والجمعيات التعاونية
ويقول ويلسون ايضا: ان الاشتراكية الانجليزية ديموقراطية وتطورية . اى ليست ثورية ولا انقلابية . فالعنف الذى اتسمت به الثورة فى فرنسا القرن التاسع عشر وروسيا القرن العشرين لم تكن له اى جاذبية قط لدى الحركة العمالية فى انجلترا .. التى ظلت تبنى قوتها بالتدريج ، والتعليم ، معتمدة فى تحقيق انتصارها على سلاح واحد هو : صندوق الانتخاب

***

ويعود ويلسون الى تاريخ حزب العمال ليثبت « ان الاصرار على الاسلوب البرلمانى فى تحقيق الاشتراكية » جزء لا يتجزأ من طبيعة الاشتراكية الانجليزية. فاول ما فكرت فيه الطبقة العاملة والاشتراكيون الانجليز للوصول الى الحكم هو تكوين « لجنة تمثيل العمال » سنة ١٩٠٠ لتكون مهمتها تمثيل العمال تمثيلا « مباشرا ومتميزا » فى البرلمان . فقبل ذلك كان بعض النقابيين والبرلمانيين الانجليز يدخلون الانتخابات كمرشحين لواحد من الحزبين الكبيرين فى ذلك الوقت : المحافظين والاحرار . فلما كانت سنة ١٩٠٠ وجد هؤلاء ان وجود برلمان لا تمثل فيه الطبقة العاملة تمثيلا « مباشرا ومتميزا » يعد سخرية بالديموقراطية ذاتها، فكونوا هذه اللجنة وفى سنة ١٩٠٦ تحولت اللجنة الى «الحزب العمال » ، واصبح للحزب تسعة وعشرين نائبا للبرلمان : خطوة أولى فى الطريق الى الحصول على الاغلبية [illegible] ، كطريقة وحيدة لتغيير الحياة الانجليزية

***

ولسنا بحاجة الى أن نسير خطوة خطوة وراء ويلسون فى سرده لتاريخ حزب العمال البريطانى بعد ذلك . فكلنا

يعرف ان الحزب كسب انتخابات وخسر انتخابات . ودخل الوزارة وخرج منها . ولكن، كان لا بد أن نترك فكرة «التدرج» التي يشرح ويلسون آثرها على حياة الاشتراكية الانجليزية : فبعد أكثر من نصف قرن من تأسيس الحزب ، وبعد أربع وزارات ألفها الحزب منفردا ، ما زالت الاشتراكية الانجليزية أفكارا مطبوعة في منشورات الحزب أكثر منها حقائق مادية في حياة الشعب الانجليزي وها هو ويلسون نفسه ، يتولى الحكم بأغلبية لا سابق لها في ضعفها ولكنها ، يهددها مرض نائب ، أو سفر وزير ..

ولا أحد يقول ان حزب العمال كان وجوده مثل عدمه في الحياة الانجليزية . فهو بالتأكيد الذي لعب دورا أساسيا في تحسين أحوال الطبقة العاملة في بريطانيا ، وهو الذي قدم مشروعات أساسية للمعاشات والعلاج الطبي المجاني وما الى ذلك . ولكنه بذلك أوجد ما يسمى **بدولة الرفاهية Welfare state** دون الدولة الاشتراكية أو شبه الاشتراكية ، فالحزب حتى في الايام التي كان يحكم فيها بأغلبية ساحقة ، عجز من أن يغير الاعمدة الأساسية للمجتمع الانجليزي الرأسمالي . وكما كان يقول هارولد ويلسون نفسه في حملة الانتخابات الاخيرة : ان الثراء الحقيقي ما زال في يد الاسر النبيلة ، وخريجي المدارس الارستوقراطية ، والمضاربين والسماسرة والوسطاء . وان المؤسسات الاقتصادية في يد أبناء الطبقات الارستوقراطية وليست في يد الخبراء والفنيين القادرين على دفع عجلة الانتاج حقا الى الامام

***

ان هارولد ويلسون يتسلم اليوم مجتمعا له نفس السمات الاساسية التي كانت له يوم تسلمه من قبله **كليمنت آتلي** سنة ١٩٤٥ اي منذ عشرين سنة

ويعتقد هارولد ويلسون أن « **أحدث صورة** » موجودة لاشتراكية حزب العمال هي قرارات مؤتمر الحزب الذي انعقد في « **سكاربورو** » سنة ١٩٦٠ ، بعد هزيمته في انتخابات سنة ١٩٥٩

فبعد هذه الهزيمة ، اجتاحت الحزب موجة من الشك العميق ، جعلت فريقا قويا فيه يدعو الى الغاء « **الفقرة الرابعة** » الشهيرة من دستور الحزب القديم .. تلك الفقرة التي تطالب بـ « **أن يضمن للعاملين بأيديهم أو بعقولهم كل ثمار عملهم بناء على توزيع عادل ، على أساس من الملكية المشتركة لوسائل الانتاج والتوزيع والتبادل ، مع تحقيق أمثل الطرق للمشاركة الشعبية في ادارة الانتاج والخدمات** » ..

فهي الفقرة التي تربط الحزب بأساس صلب من أسس الاشتراكية ، وهو : الملكية العامة لوسائل الانتاج

وبعد جدل طويل قرر الحزب — كما يروي هارولد ويلسون — أنه لا يلغي هذه الفقرة ولا يعدلها، بل يكتفي بتقديم « **بيان جديد** » يكون بمثابة شرح وتفسير لهذه الفقرة

هذا البيان الذي يتحدث عنه ويلسون يبدأ بعبارة « **ان حزب العمال البريطاني حزب اشتراكي ديموقراطي . شعاره الاسمى أخوة الانسان . وهدفه أن يحول هذا الشعار الى حقيقة** » .. ثم ينص على اثنتي عشر نقطة ، تتحدث عن كل شيء من الوضع العالمي الى الوضع المحلي ، قد يهمنا منها هنا الفقرات التي تتحدث عن « **الفقرة الرابعة من دستور الحزب القديم** » ..

« مادة ٥ — **يعمل الحزب من أجل العدل الاجتماعي . من أجل اقامة مجتمع تأتي فيه مطالب البؤساء في المقام الأول . مجتمع يوزع فيه الثراء الناتج توزيعا مقبولا . مجتمع لا يختلف جزاء الانسان فيه تبعا للمولد أو الارث ولكن تبعا للجهد ، والكفاءة ، والنشاط الخلاق الذي يساهم به في الخير العام . مجتمع تتوفر فيه الفرصة المتكافئة لكل انسان حتى يعيش حياة كاملة ومتنوعة**

مادة ٦ — **ايمانا بأن السعي وراء الرخاء المادي في حد ذاته هو هدف فارغ وهزيل ، يرفض الحزب النظريات الرأسمالية الانانية ، ويعمل ليقيم بدلا منها مجتمعا اشتراكيا يقوم على الزمالة، والتعاون، والخدمات التي تيسر للجميع أن يتمتعوا بتراثنا الثقافي**

مادة ٧ — **يعمل الحزب على اقامة مجتمع بلا طبقات ، تختفي منه الحواجز الطبقية والقيم الاجتماعية الزائفة**

مادة ٨ — **من أجل تحقيق العمالة الكاملة ، ورفع الانتاج، وثبات الاسعار، والتقدم التدريجي في مستوى الحياة ،**

يؤمن الحزب بضرورة تخطيط الاقتصاد القومي ، واخضاع كل مراكز القوة لصالح المجتمع في مجموعه

مادة ٩ — يؤمن الحزب بالديموقراطية في الصناعة ، وبان العمال — في القطاعين الخاص والعام على السواء — لهم الحق في ان يستشاروا في كل القرارات الادارية الهامة ، خصوصا ما يتعلق منها بظروف العمل

مادة ١٠ — يؤمن الحزب بان هذه الاهداف الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن تحقيقها الا عن طريق توسيع دائرة الملكية العامة بدرجة كافية لان تعطى المجتمع سلطة فعالة على كل المراكز ذات الاثر القيادي في الاقتصاد . والملكية العامة يمكن ان تتخذ صورا شتى منها ملكية الدولة للمؤسسات ، والتعاونيات الانتاجية والاستهلاكية ، وملكية المجالس المحلية ، ومشاركة الجمهور في المشروعات الخاصة . ومع الاعتراف بان الملكية العامة والملكية الخاصة لهما مكانهما في الحياة الاقتصادية ، فان الحزب يؤمن ان كل توسع في الملكية العامة يجب ان يقرر من حين لآخر على ضوء الاهداف السامية ، وطبقا للظروف ، ومع مراعاة وجهة نظر العمال والمستهلكين المعنيين

مادة ١١ — يؤمن الحزب بحماية سعادة الفرد وحريته ضد تمجيد الدولة ، وحماية العمال والمستهلكين وكل المواطنين من اى سلطة تحكمية ، سواء اجاءت من الدولة ام السلطات العامة ام الخاصة ، كما يؤمن الحزب بضرورة مقاومة كل صورة من صور التعصب العام او التعسف

مادة ١٢ — كحزب ديموقراطى يؤمن بانه لا اشتراكية بغير حرية سياسية ، يعمل الحزب على الا يحصل على السلطة الا من خلال المنظمات الديموقراطية الحرة

هذه هى فقرات البيان الجديد ، الذى تبناه مؤتمر حزب العمال سنة ١٩٦٠ ، والذى يعتقد ويلسون انه خير شرح لمعنى الاشتراكية الانجليزية

فاذا اردنا ان نستنتج من هذه الفقرات وضع الملكية العامة في اشتراكية حزب العمال فيمكن القول :

اولا — ان الحزب يؤمن بوجود الملكيتين الخاصة والعامة معا في الحياة الاقتصادية

ثانيا — ان الملكية العامة يجب ان تشمل « المراكز الانتاجية الحساسة » التى تؤثر على سائر الحياة الاقتصادية

ثالثا — ان نطاق هذه الملكية العامة مرن ، يخضع للظروف والاحوال ولاتجاهات الرأى العام

***

وقياسا على هذه العناصر ، يمكن القول ان هارولد ويلسون يواجه اليوم اقسى موقف بالنسبة لاشتراكية حزب العمال

فالاغلبية الضيقة جدا ، التى جاء بها الى الحكم ، لا تسمح له بان يقول ان « اتجاهات الرأى العام » توافق اى توسع فى الملكية العامة ، فهل يحكم بناء من ايمانه بضرورة توسيعها ، ام يحكم بناء على نتيجة الانتخابات ، وفى هذه الحالة ، لن يختلف حكمه كثيرا من حكم المحافظين ؟..

هذا السؤال يكشف لنا كل المشكلة التى واجهها حزب العمال دائما ، وسوف يواجهها مرة اخرى فى مرحلة حكمه الجديد

المشكلة هى ان البرلمان ، حتى فى بريطانيا ، ليس كل شيء . وبالذات ليس هو الذى يصنع عقل الرأى العام ومشاعره واتجاهاته . فحين يصبح « البرلمان » عماليا ، وتبقى كل المؤسسات الاخرى ، وفى مقدمتها الصحافة التى تصنع اتجاهات الرأى العام ، محافظة .. فان قدرة البرلمان ذاتها تصبح محدودة الى اقصى الحدود ..

وظاهرة تركز راس المال فى الصحافة بالذات اصبح واضحا فى السنوات الاخيرة : بافلاس الصحف المستقلة التى توزع فوق المليون نسخة ، تحت وطأة المنافسة الرهيبة ، وتحول الاعلانات من الصناعات الكبرى الى الصحف الاقوى والاكبر ، والمحافظة طبعا

***

ومن المصادفات ذات المغزى ، انه قبل الانتخابات البريطانية بايام ، اختفت اخر جريدة يومية كانت تنطق بلسان حزب العمال ، وخلا السوق الصحفى الانجليزى تماما من اى جريدة يومية اشتراكية

فماذا سوف يصنع .. هارولد ويلسون ؟

جان بول

سارتر و القضية اليهودية



كامل زهيري :

انتهينا في المقال السابق الى ان سارتر يعتبر نفسه مفكرا لا فيلسوفا . ويعتبر الوجودية رافدا جانبيا من روافد الفكر المعاصر . وانه يعترف بانه في صباه وصدر شبابه لم يهتم بالماركسية ، وانه حين قرا الراسمال ونقد الفلسفة الالمانية لماركس لم يفهم منهما شيئا كثيرا . لان القراءة ، كما يقول سارتر نفسه ، هي فكر وتغير . وهو لم يقرا ليتغير ، انما قرا ليطلع ، وانه لم يفطن الى خطورة الماركسية الا حين اصبحت الماركسية فكرا ونظرية لقوة اجتماعية تعاظمت في الشان والحجم ، بتعاظم تنظيم العمال ، وظهور الاحزاب السياسية التى تعبر عنها . وقلنا اننا لا نعتقدان ثمة تناقض بين الفكر جان بول سارتر والفكر ماركس ، لانهما ينبعان من الديالكتيكية ، فماركس يطبق الديالكتيكية في التاريخ والمجتمع ، وسارتر يطبق هذه الديالكتيكية على قضايا الوجود والعدم ، وهو يعتبر العدم قائما في الوجود ذاته ، بصورة اقرب الى التفسيرات الديالكتيكية . ولذلك فهو يتشابه مع ماركس في اخلاصه لديالكتيكية هيجل ، وهو لهذا السبب يبتعد عن وجودية هيدجر ، أو كيركجارد أو غيرهما من مفكرى الوجودية الفردية



سيمون دي بوفوار كتبت « الجنس الاخر » ..

وقد نبعت من هــذه المواقف الفكرية مواقف سياسية . فنجد ان سارتر يؤيد قضايا تحرر الزنوج في أمريكا ، والجزائريين في اوطانهم ، وشعب الهند الصينية من السيطرة الراسمالية الفرنسية ، وهو يقف مع شعب كوبا .. ويفرد لهذه المواقف المقالات في مجلة « العصور الحديثة » ، او الروايات المسرحية مثل « المومس الفاضلة » حين عالج قضية الزنوج في امريكا ، ومثل كتابه عن كوبا الذى ظهر في مقالات نشرها في « فرانس سوار » الذائعة الانتشار . وقد يتحول هــذا الموقف الفكرى الى مجرد موقف سياسي ، يوقع من اجله على النداءات ، ويستنكر سياسة حكومته كما فعل في القضية الجزائرية ، وفي تقديمه لكتاب سكرتيره فرانسيس جونسون ، وكتاب المفكر المناضل فرانز فانون « المعذبون في الارض » الذى تحدث فيه عن افريقيا والشعوب المستعمرة . ثم تقديمه بعد ذلك لكتاب آخر عن المفكر باتريس لومومبا السياسي

وسارتر في كل هــذه الكتابات ، والروايات ، والمواقف ، والمقالات ، والندوات لا يتناقض مع نفسه ، ولا مع فكره

انه يؤمن بأن الانسان محكوم عليه بالحرية ويعتقد أن من واجب المفكر ان يناضل ـ طاقته ـ ليؤكد او يدعم او يساعد تيار الحرية .. وهو في كل ذلك لا ينظر الى الحرية على انها قضية فلسفية او فكرية فقط ، ولكنه يتميز بأنه يرى أن الحرية ممكنة ، وجديرة بالتحقق ، وهي تتجسد في قضايا محددة ، لا بد أن يأخذ منها المفكر موقفا ، وأن يعلنه بملء صوته ، وبأروع ما يصل اليه الالهام الشاعرى ، والذكاء الانساني .. ومن هنا كان سارتر يفكر في الحرية كقضية اجتماعية ، وقضية انسانية ، فهو لا يرضى أن يكون مفكر الخائفين من الحرية ، أو الهاربين من التطور ، أو الحريصين على مصالحهم المتدهورة !

انه يتقيد بنظره الفلسفى ، وتفسيره الاجتماعي ما يحيط به من ظواهر ومشاكل . فهو لا يبكى على حرية المستغل أو حرية الدول الكبرى ، أو حرية أصحاب الاملاك ، بل انه يفسر ظاهرة

انهيار الرأسمالية فى الغرب ، وهو يضرب – بلا هوادة – هذه الخرائب « النفسية » التى خلقتها الحرب والرأسمالية فى أوربا ، وهو يضع شخصياته الروائية فى الوضع الاجتماعى الصحيح ، وان كان لا يجهر الصوت بهذا التفسير الاجتماعى ، فهو يكتمه من وراء المسرحية أو الرواية ، ولا يفصح عنه الا بين الحين والاخر ، لانه لا يكتب مقالا سياسيا ، أو بحثا اجتماعيا، انما يخلق عملا فنيا ، يكفى فيه أن يكون مؤلفه واعيا بما وراء هذه الشخصيات من « ظروف » اجتماعية محددة

وقد أخرج سارتر وجوديته من الابتهالات والتأملات ، وحاول ان يكون هو نفسه وجوديا ، وحرا ، وملتزما ، فى حياته ، لانه يؤمن بأن ما يصنع الرجل هو أفعاله ، ولذلك كان سارتر هو أكثر المفكرين الوجوديين التزاما ، وتحديا ، وعنادا ، ونضالا ، ولا يعنيه بعد ذلك أن يؤدى الرأى به الى الصدام مع السلطة ، كما اصطدم مع ديجول ، أو الصدام مع الاحزاب ، أو الصدام مع المفكرين المعاصرين

أدب الارتطام

بل ان سارتر ابدع ما نسميه بأدب الارتطام

وقوة سارتر ترجع الى هذه الارادة المرتطمة ، فهو لا يملك حريته الا بانتزاع نفسه من شىء ، والارتطام بشىء ، حتى ينفصل عنه ، واذا كان منهج هوسرل الذى اثر فى سارتر ى بأن على المفكر أن يضع كل الظواهر التى يدرسها بين قوسين ، حتى تبرأ دراسته من المغالطات السابقة ، والآراء الجامدة ، وأن سارتر نفسه قد انتزع فكره بالاصطدام بمن سبقه من المفكرين والادباء

فهو فى الادب يحدد مواقفه من الادباء السابقين، مثل بودلير وفرلين وبروست، ومن المفكرين الذين سبقوه مثل ماركس وهيجل وبرجسون ، ومن علماء النفس مثل فرويد ، وهو فى هذه الاعمال كلها التى تعددت بين الادب والرواية والمسرحية والدراسة الفلسفية أو النفسية أو حتى فى مواقفه العامة لا يتناقض ولكنه يتكامل ..

فكثيرا ما تجد نفس النهج الذى يكتب منه فى كتاب الوجود والعدم ، وهو سفر فلسفى كبير، قد ظهر فى رواية «الغثيان» مثلا ، او ظهر فى بحث ادبى او مقال سياسى

ولعل قوة سارتر انه بسط كثيرا من الافكار المعقدة ، الالمانية الاصل ، فحرك هذه الافكار ، وكساها لحما وعظما فى شخصيات روائية ، او سينمائية ، ثم عاد يبسط هذه الافكار فى كتيبات صغيرة مبسطة للطلبة أو انصاف المثقفين أو المشغلين – بطبيعة الحياة – من التفرغ لمثل هذه القضايا

والحقيقة ، انه لو لم يظهر للوجودية مثل هذا المفكر الفيلسوف الكاتب الروائى لظلت الوجودية رافدا من روافد الفكر الاوربى ، سجين مكتبات الجامعة الالمانية ، أو متاحف الدنمارك الادبية ، لان هوسرل وهيدجر ظلا فى المانيا يتحركان فى أوساط الجامعات الاكاديمية المغلقة ، وكيركجارد الدنماركى ظل حبيس أزمته النفسية ، وذاتيته المرهفة الحس ، الشديدة القلق ، المتوجسة الى حد المرض

لكن سارتر هو العقل المرتطم بنشاط، ولذلك حاول أن يؤلف حزبا سياسيا سماه بالتجمع الديموقراطى الثورى ، وحاول ان ينشر مجلة شهرية – ما زالت تظهر – لتكون لسان حاله ، وسجلا لنازلاته او مواقفه .. وكل ذلك يعنى ان لسارتر خطرا واثرا فى الحياة الفكرية المعاصرة ، لا يمكن انكاره .. ومن هنا كان اهتمامنا بكتابه الذى كتبه فى أكتوبر ١٩٤٤ ، ونشره بعد ذلك ، وعنوانه « اليهودى والمعادى للسامية »

***

يشبه هذا الكتاب كتابا آخر فى تاريخ الادب الفرنسى هو كتاب « انى اتهم » لاميل زولا ، الذى دافع فيه عن الضابط اليهودى دريفوس ، والذى يعتبر الكتاب



ان سارتر بنظريته « أنا والآخر » انما يقصر النظر على طرف القضية ، وكأنها قضية ثنائية بين ظالم ومظلوم

والقضية أعمق من ذلك وأكثر تشعبا

ان ظاهرة اضطهاد الزنوج – مثلا – لا تتوقف على ان الذى يضطهد هو المريض ، والذى يقع عليه الاضطهاد هو الضحية ، لان قضية اضطهاد الزنوج مشكلة اجتماعية واقتصادية وسياسية

ومن الخيانة للمنطق أن يقصر النظر فيها على هذه العلاقة الثنائية بين فرد وفرد . بين مريض ظالم ومريض مظلوم

انما الابعاد الحقيقية ، والموضوعية للقضية هى التى حللها مفكران آخران ، وكشفا بعمق عن أسرار المشكلة

هما ماركس وارنولد توينبى

ان ماركس عالج القضية اليهودية حين كتب دراسته « المسألة اليهودية » عام ١٨٤٤ ، ويقول فى هذه الدراسة :

يجب الا نبحث عن سر اليهودى فى دينه ، بل لنبحث عن سر الدين فى اليهودى « الواقعى » . ما هو الاساس الدنيوى لليهودية ؟ انها المصلحة العملية والمنفعة الشخصية . اذن فالعهد الحاضر بتحرره من التاجرة والمال ، وبالتالى من اليهودية الواقعية والعملية ، انما يحرر نفسه أيضا

والتحليل الماركسى للمشكلة، قد يتفق مع سارتر فى المقدمات ، لانهما يتفقان على ان المشكلة ليست فى اليهودى ذاته، ولكنها فى « حالة » اليهودى .

ولكن التحليلين يفترقان ، لان سارتر يقصر تحليله على اليهودى والمعادى للسامية ، بينما يتحدث ماركس عن حالة اليهودى الاجتماعية ، أى ظروفه التى تساعده على الاستغلال والبخل وغير ذلك من الرذائل

***

ان تحليل سارتر تحليل تمثالى تجريدى ، وتحليل ماركس اجتماعى شامل

بل ان تحليل توينبى التاريخى يعالج النقص فى تحليل سارتر

فتوينبى يرى – بوضوح – ان علاقة اليهود بفلسطين قد انتهت سنة ١٣٥ ميلادية ، وهى السنة التى قضى الرومان فيها على دولتهم . وقد تبعثرت بقية لليهود فى عام ٤٥٠ ميلادية. وظل اليهود شتتا حتى ظهر نابليون ، فاخذ اليهودى يسعى لكى يكون مواطنا ، ومنحه المجتمع البورجوازى هذا الحق ، ولكنه ظل ينظر اليه كيهودى ، اى نظرة الغريب..

وعلى ذلك ، فان ماركس ينظر الى القضية فى بعدها الاجتماعى ، وتوينبى ينظر اليها فى بعدها التاريخى ، ولكن سارتر يقصر النظر على القضية ، وكأنها حالة نفسية مرضية ثنائية ، يكفى أن يبحثها فى المعمل، أو فوق سرير التحليل النفسى !

وهذا النقص فى التحليل جعله يسكت عن ظاهرة قيام اسرائيل

وطبيعى أن ماركس قد كتب دراسته فى عام ١٨٤٤ قبل أن تظهر الحركة الصهيونية ، لكن توينبى تحدث عن اسرائيل ، وخلاصة رأيه انها خطأ يعالج خطأ آخر . لان الصهيونية طرحت العداء الذى لاقته على شعب ليس مسئولا عن هذا العداء ، ولم يشترك فيه

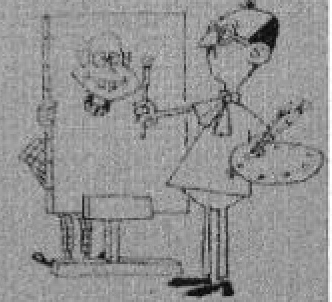
فاوربا وروسيا القيصرية هما اللتان اضطهدتا اليهود ، ولم يضطهد العرب احدا منهم ، لكن المشكلة الاوربية « طرحت » على العرب ، فخلقت المشكلة مشكلتين

وقد يقال ان سارتر كتب دراسته فى عام ١٩٤٤ ، أى قبل ظهور اسرائيل ، لكن هذا القول مردود ، بأن سارتر – على الرغم من تيقظه للاحداث الجارية – لم يقدم رأيه فى اسرائيل ، مع انها قضية ضخمة تثير عقل الفكر المعاصر ، وتستثير ضميره

فلم يشهد التاريخ ظلما مثلما شهد ، وعلاجا لمشكلة ولدت مشكلة ، وخلقت ظلما مضاعفا غير معقول

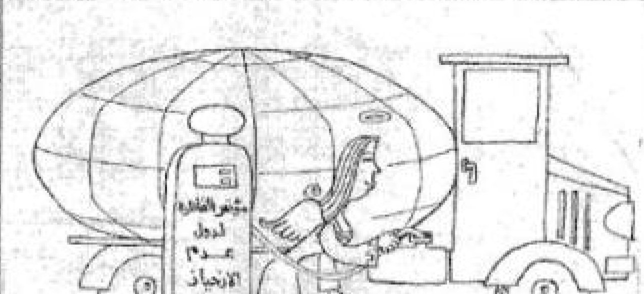
وقد ادى منهج سارتر الى ان يغمض النظر عن ابعاد القضية الاجتماعية ، والتاريخية ، والسياسية ، ومن هنا ظهر التناقض بين موقفه الرائع من قضايا الجزائر وكوبا والهند الصينية وافريقيا، وموقفه « الناقص » من قضية اسرائيل !

ضحكات العام في شهر



بهجت





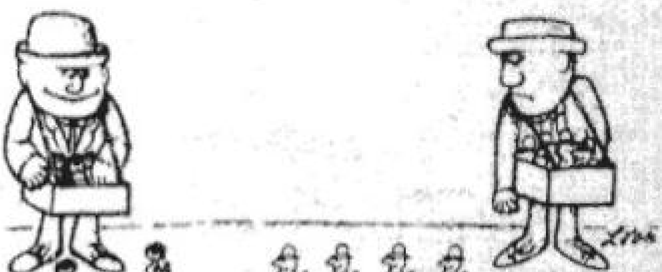
محطات في طريق السلام ..



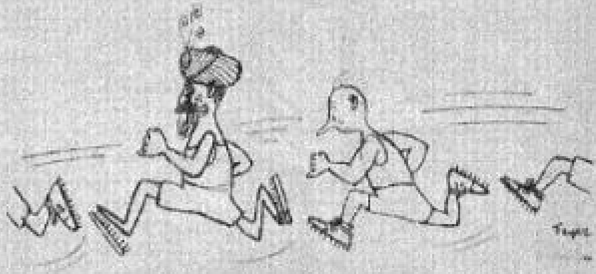
كذا ..؟



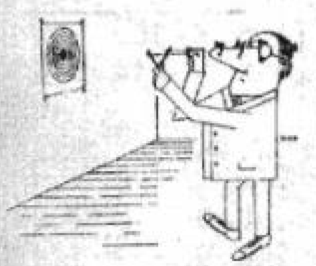
بدون تعليق ..؟



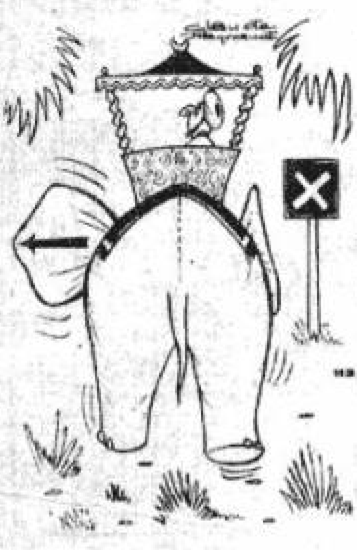
تسول ؟



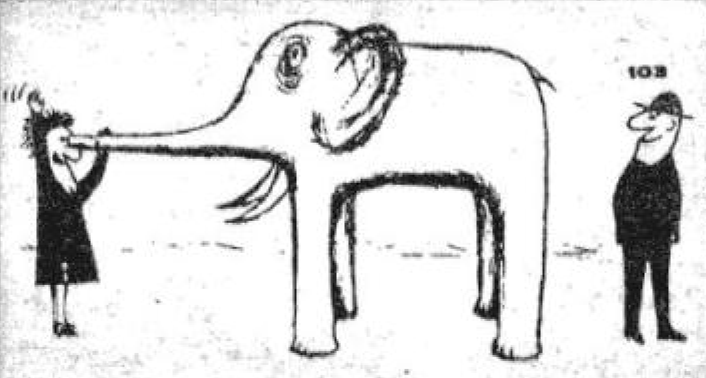
في الدورة الاولمبية ..!



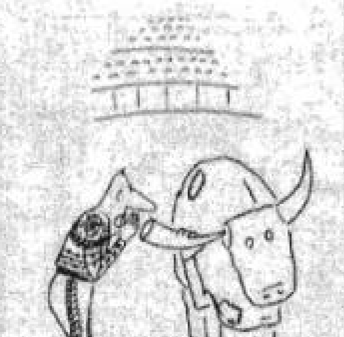
التفوق ..!



ـ حاسب .. الشارة .. !



— جون .. انت كمان شايفني ؟!..



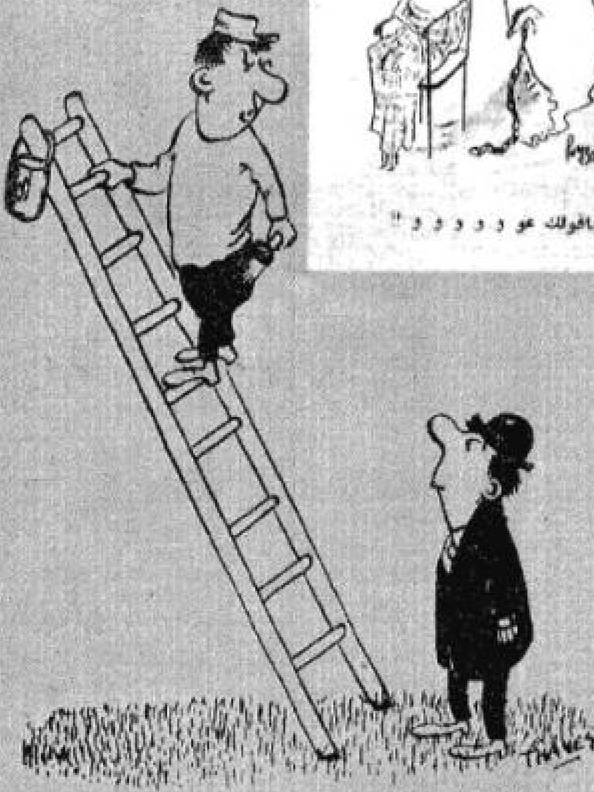
بدون تعليق ..!



مصارعة الشيطان ..!



يافولك غو و و و و و !!



ـ طبعا مش حاشوف البيت .. لاني لسه مادهنتوش ..!

قضية للمناقشة

إبراهيم عامر:

مضمون المسألة الزراعية في مقولة هيرودوت



« مصر هبة النيل »

هذه هي العبارة التي قالها هيرودوت منذ آلاف السنين ، فاستقرت في عقول ونفوس جميع المصريين وجميع البشر بلا استثناء

وهذه العبارة لا تمثل فقط حقيقة عاطفية تربط مصر والمصريين بالنيل ومائه ، وانما هي تتضمن حقيقة خصبة وغنية بالمعاني الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . وهذه المعاني هي التي رسمت لمصر سماتها الخاصة في الماضي ، ولاتزال ترسم لها تلك السمات حتى اليوم

ونحن ، وغيرنا في جميع أمم العالم تقريبا ، نتحدث دائما عن السمات الخاصة للمجتمع الذي نعيش فيه . نقول ذلك في جملة واحدة أو في عدد قليل من الجمل ، ثم نمضي مرتبين على ذلك مفهومات وحلولا واجراءات . وفي الزراعة — بصفة خاصة — نتحدث ويتحدث غيرنا عن السمات الخاصة لأرضنا وفلاحنا ، دون أن تحدد بطريقة علمية وواضحة ومتفق عليها ماهية تلك السمات ، من خلال الدراسة والمناقشات

وترك هذه المسألة الجوهرية دون حسم امر خطير ، ويمكن أن تنشأ عنه اختلافات لا مبرر لها ، كما يمكن ان يكون تكأة لتبرير حلول واجراءات ومواقف غير سليمة في القضية الزراعية

ومع هذا ، فان جهدا قليلا يكاد يبلغ حد الندرة هو الذي تم بذله حتى الآن من أجل تحديد تلك السمات تحديدا واقعيا تاريخيا . ونحن اذا حققنا ذلك ، فان من الممكن حينئذ أن نسوى الكثير من قضايا الزراعة ، ومن الممكن أن نصل الى آفاق أوسع وأعمق حول أفضل أسلوب أو أساليب لحل المشكلة الزراعية

طبيعة المشكلة

ولست أزعم — فيما سأقوله في هذا المقال — أنه رأي نهائي ومستقر ومحسوم ولكنني أزعم أنه رأي أطرحه للمناقشة



لانه جدير بالمناقشة والبحث ، لا من جانب المهتمين بالمشكلة الزراعية فحسب وانما من جانب جميع المهتمين باسلوب تطور بلادنا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ومن جانب جميع الذين يعنيهم تطوير فهمهم للتطور الثورى المعاصر تطويرا عميقا وعلميا

***

وفى هذا الصدد ، احب ان الفت النظر — منذ البداية — الى ان الراى الذى سأطرحه للمناقشة هو راى طرحته فى اواخر عام ١٩٥٨ فى كتابى « الارض والفلاح » (١) ، وهو مطروح الان على نطاق واسع فى مجال المهتمين بالدراسات الاجتماعية ، كما هو مطروح فى مجال الحركة الاشتراكية العالمية

ومنذ نحو سنتين ، او اكثر قليلا ، تجرى مناقشات هامة من اجل :

١ — فهم طبيعة المشكلة الزراعية فى


هيرودوت

---

(١) « الارض والفلاح » — القاهرة ١٩٥٨ — ص ١ — ٦٩

كل بلد من بلاد العالم ، وتحديد افضل الحلول الاشتراكية لهذه المشكلة

١ – فهم طبيعة الثورات الاشتراكية في البلاد النامية بصفة عامة ، وفهم طبيعة الثورة الزراعية [illegible] في هذه البلاد ، بما في ذلك بلادنا

٢ – فهم طبيعة الخلافات [illegible] التي تجتاح – اليوم – [illegible] بين الصين والاتحاد السوفيتي

[illegible]

والاسئلة التي تدور حول مشاكل من [illegible]

سؤال واربع ملاحظات

والسؤال المطروح في هذه المناقشة هو :

ما هو الدور الذي يقوم به [illegible] في تحديد طبيعة [illegible] التي [illegible] على القرى [illegible] ؟

وفي هذا الصدد

ملاحظة اولا :

انه توجد في العالم منطقة تمتد [illegible]

[illegible]

ملاحظة ثانيا :

[illegible]

١ – مهمة توصيل المياه من [illegible] الى الاراضي

١ – مهمة حماية الارض الزراعية من [illegible]

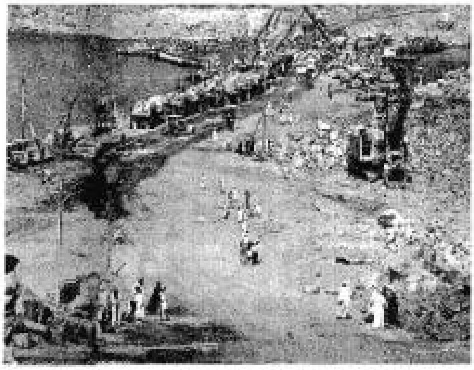
٢ – مهمة توفير مياه الري في [illegible]

[illegible]

ضرورة العمل الجماعي

ملاحظة ثالثا :

[illegible]



السد العالي
عمل جماعي

لايمكن أن تكون فردية ، أو حتى استثمارات هيئة خاصة أو شركة واحدة وانما هى - وبالضرورة - **استثمارات عامة تقدمها الدولة وتوجهها وتشرف عليها وتحصل على ناتجها فى شكل ضرائب زراعية**

ونلاحظ رابعا :

ان جميع هذه الظروف قد أدت فى الماضى ، وهى لاتزال تؤدى حتى يومنا هذا ، الى **قيام بناء اقتصادى ـ اجتماعى يتسم - بالضرورة - بحتمية العمل الجماعى ، والتضامن والتعاون فى الزراعة** لان مثل هذا العمل لا غنى عنه لتحقيق الانتاج الزراعى ، وهو فى الوقت ذاته - وكما يتضح من الملاحظة الثالثة - أبعد من أن يكون فى قدرة الموارد البشرية للافراد أو للجماعات الصغيرة المنفصلة

كما يقتضى نظـــام الرى الموحد **وجود سلطة سياسية جماعية ومركزية ،** فذلك أمر حيوى لتنفيذ ذلك النظام ، وأمر حيوى لكى يسود القانون والامن المناطق الزراعية ، وأمر حيوى لكى يتم تخطيط الانتاج الزراعى - بدرجة أو أخرى - وفقا لدورة الرى على مدار السنة

الاستغلال والاستعمار

ويبدو صواب هذه الملاحظات من العديد من الادلة التاريخية التى نسجلها فى حياة بلادنا الزراعية وفى حياة مجتمعنـــــــا ككل منذ أقدم العصور

وأهم هذه الادلة هو مالاحظه جميـــع الباحثين من غيبة الاســـتغلال الزراعى الفردى فى الزراعة فى بلادنا منذ القدم السحيق ، سواء فى عصر الفراعنة ، او فى العصر الاسلامى ، او فى بداية العصر الحديث . ولم يظهر نظام الاســـتغلال الزراعى الفردى فى بلادنا الا بعــد دخول النفوذ الاستعمارى الغربى ، سواء فى مرحلة حملة نابليون الفرنسية ، اوعلى اثر الاحتلال البريطانى

فعندما جاءت حملة نابليون الفرنسية الى مصر ، وجدت الاستعمارية الفرنسية ان أول مهمة يجب أن تقــوم بها هى **ان تضرب النظام الجماعى المركـــزى للاستغلال الزراعى ، وأن تدخـــــل نظام الاستغلال الفردى المنفصل ، على غرار النظام الغربى فكان ان أصدرت قانون ١٦ سبتمبر ١٧٩٨ الذى وضع - فى الواقع - النواة الاولى لنشـــأة الاستغلال الفردى للارض الزراعية فى مصر ، وزعزع أسس النظام الجماعى المركزى**

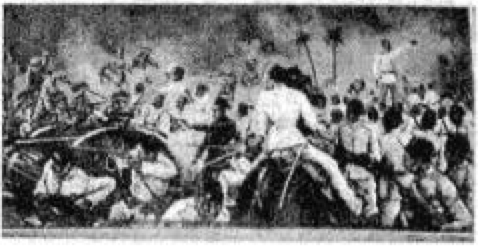
وعندما تولى **محمد على** الحكم ، تردد بعض الوقت ، ثم مالبث - خـــلال السنوات من ١٨١٣ الى ١٨١٨ - ان أكد الخطوة التى بدأها الفرنسيون بالكاد ، ووسع قاعدة الاستغلال الفردى للارض على أساس توزيعها على الامراء ورجـــال الجيش وكبار الموظفين ومشايخ البـــلد والخبراء الاجانب وزعمـــــاء قبائل العربان

وفى اواخر عهد محمد على ، تدعم هذا الاتجاه نحو الاستغلال الفردى للارض الزراعية نتيجة لتدخل الاســـتعمار العالمى فى البلاد ، ذلك التدخل الذى اتخذ فى بدايته شكل الاستثمارات الاجنبية المحدودة التى جاءت الى مصر ، وشكل عمليات تمويل تجارة القطن المحدودة ، واقامة بعض الصرافين فى الاسكندرية لهذا الغرض ، والذى اتخذ فى مراحـــله الاخيرة شكل التدخل الاستعمارى المباشر الذى تمثل فى **معاهدة لندن التى ضربت نظام الاستغلال الجماعى المركزى للارض ضربة قاصمة**

عهد سعيد

ثم توالت الاجراءات لتوسيع واقرار الاستغلال الفردى للارض الزراعيـــة ، بازدياد النفوذ الاستعمارى الغـــربى فى البلاد ، فصدرت لائحـــة ١٨٤٦ ، ثم صدرت اللائحة السعيدية فى ســـــنة ١٨٥٨ ، وزاد التوسع فى زراعة القطن لحساب أسواق لانكشاير ، وربطت لذلك مشروعات اصلاح الرى باقامة القناطر وشق الترع ، وجرى تنفيذ مشروعات مد السكك الحديدية لتسهيل نقل الحاصلات الزراعية من الداخل الى الاســـواق الاستعمارية . وقدم الاســـــتعماريون





الاستعماران الانجليزى والفرنسى : دعمـــا الاستغلال الفـــردى للأرض الزراعية ٠٠

الفرنسيون والانجليز القروض والاستثمارات اللازمة لتنفيذ مشروعات الاشغال العامة ، وأقيم أول بنك فى البلاد وكان بنـــكا انجليزيا يعرف باسم « بنك مصر » ، وحصلت المصارف الفرنسية على عقد امتياز تكوين شركة قناة الســويس ، وبلغت ديون الحكومة المصرية عنـــد وفاة سعيد سنة ١٨٦٣ نحو ١٦ مليون جنيه

قانون المقابلة

واتفق عهد اسماعيل الذى تولى الحكم من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٩ مع مرحلة

التوسع الشامل النشيط للاســتعمار البريطانى . فنمت سياسة القطـن ، ونمت سياسة القروض ، ونمت سياسة الاستغلال المالى الفردى للارض فى شكل الرهونات ، وطحن نظام الاستغلال الفردى

الاستعمارى الفلاحين الذين كانوا يساقون بالكرباج للعمـــل فى مزارع الخـديوى وفى مزارع الباشوات المحظوظين

وفى سنة ١٨٧١ صدر القانون المعروف باسم « **قانون المقابلة** » الذى كفـــل حصول المنتفع بالارض على صـــك استغلال فردى يعطيه حق التصرف التام فيها متى دفع ـ مرة واحدة ـ ســتة أمثال الضريبة السنوية . ثم ادخلــت على ذلك القانون فى سنة ١٨٧٦ وفى سنة ١٨٨٠ بعض تعديلات غير جوهرية

وقد أدى قانون المقابلة ـ الذى صدر تحت ضغط الاستعماريين الاقتصـادى والسياسى ـ الى سلب الفلاحين الارض التى كانوا ينتفعون بها ، وتحويلهـا الى مزارع فردية يستغلها أولئك الذين كانت لديهم القدرة المالية ـ من الاجـانب والمصريين ـ على دفع مال المقابلة

وفى ٢٨ ديسمبر ١٨٨٣ ، أى بعد نحو سنة من الاحتلال البريطانى ، صدر القانون المدنى الاهلى ليؤكد تحويل الاراضى الزراعية الى استغلالات فردية منفصلة تتحكم فيها المصارف العقارية الاستعمارية ، ويعمل فيها الفلاحون بالسخرة والكرباج

واخذ هذا النظام الاستغلالى الفردى الاستعمارى للارض يتدعيم رويدا رويدا حتى استقر فى شكله البشع الذى وصل اليه قبيل قيام ثورة ١٩٥٢ المجيدة وصدور قانون الاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر من ذلك العام

بؤس الفلاح وفقره

ان هذا المجال لايسمح بالافاضة تفصيليا الآن فى شرح فكرة ان نظام الاستغلال الفردى للارض الزراعية فى مصر هو قرين النظام الاستعمارى الذى فرضه بقوة الضغط السياسى اولا ، ثم بقوة الضغط الاقتصادى ثانيا ، ثم اخيرا بقوة الاحتلال العسكرى فى النهاية

ومع هذا ، فمن المؤكد أن نظام الاستغلال الفردى للارض الزراعية – سواء فى شكله الاقطاعى او فى شكله الرأسمالى – لم يأت للفلاح بأى ثمرة حقيقية ، وانما زاد من بؤسه وفقره ، وحرمه من الانتفاع بأرضه ، وحطم روح التضامن والتعاون والعمل الجماعى فى الريف ، وحول المزارعين الى وحدات انتاجية منفصلة تضارب بالارض وبالمحاصيل وتستعبد الفلاحين ، وتسيطر على الدولة وتستغلها لمنافعها الخاصة

التعاون عبر التاريخ

ومن هنا ، فان عبرة التاريخ فى بلادنا، تؤكد ضرورة الاستغلال التعاونى الجماعى للارض الزراعية ، وتؤكد فائدة ذلك بالنسبة للفلاحين وللمجتمع ككل .وهذه ليست ضرورة مزعومة ، وانما هى ضرورة تفرضها طبيعة بلادنا ، وطبيعة اعتماد الزراعة على الرى من النهر ، وطبيعة التراث العظيم لشعبنا

ولعل هذا هو السبب فى ان ميثاقنا الوطنى قد اكد بصفة خاصة على الاستغلال التعاونى للزراعة ، وجعله شرط ومبرر الملكية الفردية فى الارض ، وقيد تلك الملكية بالا تكون ملكية استغلال فردى ، أو تفتح الباب للاستغلال الفردى ، وحدد وظيفتها بأنها وظيفة اجتماعية تخططها الدولة ، ويوجهها المجتمع

وهذا هو المغزى المعاصر ، السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، للكلمة الخالدة للوثائق التاريخية القديمة :

مصر هبة النيل

حتى لا ياكلون

دخل هشام بن عبد الملك حائطا له ; فيه فاكهة واشجار وثمار ، ومعه اصحابه فجعلو يقطفون وياكلون ، ويدعون بالبركة

فقال هشام :

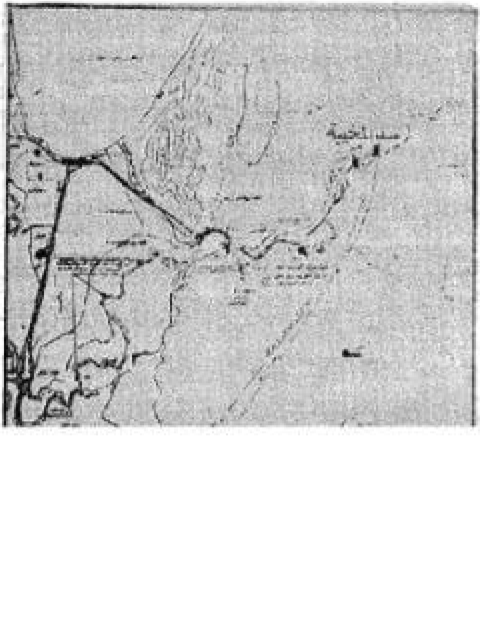
– يا غلام ! اقلع هذا ، واغرس مكانه الزيتون .. !

د. محمد أحمد سليم :

دبلوماسية المياه

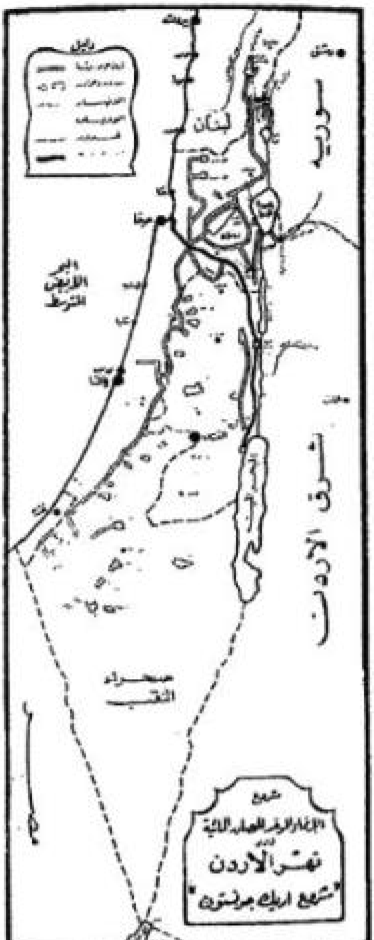
أو الجديد في نهر الأردن

(1)



سد المخيبة





مشروع اريك جونستون
الذى رفضه العرب .. !

رجوع الى التاريخ

واعود بالذاكرة الى ما دار بينى وبين الخبراء الفلسطينيين فى المؤتمر الهندسى السادس بدمشق . لقد كان ردى فى هذا اليوم الذى يصغى استاذا بكلية الهندسة لا اقبل ان تقول من شىء هو الخيال دون أن يكون أساسه حساب واعداد ..

واخيرا تطوع احد الزملاء ، فاهدانى نسخة من تقرير لورد ملك الذى كان مطبوعا بعنوان « فلسطين ارض الميعاد »
Palestine Land of Promise

ولقد شاءت الاقدار أن تحدث كارثة عام ١٩٤٨ . وأن نلتقى مع الاخوان فى عام ١٩٥٠ فى عمان فى مؤتمر هندسى عربى، ودعانى المسئولون فى الأردن لأن أبحث امكانيات الأردن

وكان نصيبى فى البحث أن عهد الى بدراسة الامكانيات المائية فى الاردن ..

واعطانى المسئولون فى الأردن فى ذلك الوقت كتاب ايونيدس الذى كانت لاتوجد منه غير نسخة نادرة . وكذلك اعطونى نسخة من تقرير ماكدونالد ..

وقد واصلت ابحاثى ، وكتبت تقريرى

***

ومن ناحية إخرى زادت صلاتى بنهر الاردن فى بيروت عام ١٩٥٥ . عندما طلبت منى الجامعة الامريكية ان القى كلمة ــ فى يوم افتتاح كلية الهندسة التى انشأتها ــ من المشروع العربى الذى تقدمنا به فى عام ١٩٥٤ . وقد كان وصولى بيروت قبل القاء المحاضرة بيوم واحد . وذهبت الى مكتبة الجامعة الامريكية فرأيت عجبا . اكتشفت وجود تقرير مكتوب عن رحلة قام بها عدد من رجال البحرية الامريكية بحجة تقدير ولمعيين منسوب بحر الميت . وقد كتب أحد هؤلاء الامريكيين مذكراته . ذكر فيها ما قامت به الدولة العثمانية وقتئذ من العمل لحمايتهم وتسهيل رحلتهم ، وما قام به حاكم القدس وقتئذ لحرصهم

غير أن التقرير فى صفحة اخرى من

المذكرات تندد بالعرب ، وتصفهم بأنهم قطاع طرق !

وواصلت قراءة المذكرات ، فوجدت ان بعثة البحرية الامريكية عندما وصلت وصل الى الحديث عن بحيرة طبرية قالت انها رفضت ان تنزل عند الحاكم العربي ونزلت عند حاخام يهودى ، لان البعثة كانت تحمل خطاب توصية من حاخام اليهود في نيويورك ! ومن هنا ادركت ان امريكا تهتم بنهر الاردن والبحر الميت . منذ وقت مبكر وانها تساعد الصهيونية في مشاريعها .. لاغتصاب المياه

لورد ملك

وحكاية لورد ملك التى ذكرتها لها قصة ايضا . لقد ارسلت الحكومة الامريكية الى فلسطين عام ١٩٣٨ ضمن بعثة ، وذلك بحجة دراسة وقاية التربة من الانهيار . والحقيقة ان اللجنة اليهودية في نيويورك هى التى ارسلته لدراسة هذا الوضع .. وقد عاد لورد ملك الى بلاده وكتب تقريرا طبع في كتاب .. وقد ندد في هذا الكتاب ايضا بالعرب ، واهم ما فيه مشروع لورد ملك الذى يهدف الى استغلال مياه الاردن العلوى ، واخراجها خارج الحوض الى الساحل ، وتعويض مياه البحر الميت بقناة تشق من حيفا الى جنوبى بيسان ، ثم تسير موازية الى البحر الميت حتى تصب فيه .. مع استغلال هذا السقوط البالغ حوالى ٣٩٠ م في توليد الكهرباء لاستخدامها في الصناعة والرى

وقد اخذته اللجنة اليهودية ، واعطته الى المستر « هيز » . وهو صاحب مكتب هندسى في امريكا . وذلك ليحوله من خيال لورد ملك المهندس الزراعى الى واقع هندسى . وبناء عليه ، اعلن مشروع هيز

ومشروع هيز عبارة عن خطة هندسية — لاخراج مياه نهر الاردن العلوى الى خارج الحوض

مشاريع اخرى

وفي عهد الاحتلال الفرنسى لسوريا ولبنان جاءت لجنة ودرست امكانيات استغلال نهر اليرموك . وهذه الدراسة اهملت ، ولم تنفذ لانها لم تعجب الصهيونية ولان هذا المشروع سيعود بالفائدة على « شرق الاردن » وسوريا

ثم عملت دراسات كثيرة . والاكثر انني كنت في عام ١٩٥٤ في الاردن ، وقابلت مندوب النقطة الرابعة ، وكان يعمل في حفر الاراضى ، حفرا تستخدم لسقى المواشى في طريق القوافل بين بغداد وعمان . وبالصدفة وجدت معه مشروع هيز الاسرائيلى . فقرأته ..

***

وحينما عدت الى مصر كتبت مقالا بعنوان « اسرائيل تسرق نهرا ! » . نشرت فيه مشروع هيز المعدل بعد أن أصبحت الضفة الغربية جزءا من المملكة الاردنية . فهذه الضفة الغربية بوضعها صارت « عقبة » في نظرهم ، وفي تنفيذ مشروعهم الاصلى ، وهو مشروع هيز ، والذى عدل بعد ذلك وعرف باسم « كتون هيز »

ويبدو أن المقال الذى كتبته كان له رد فعل بضغط من الحكومة الاردنية . فعدل مشروع « كتون هيز » ، وصدر باسم « مشروع بنجر »

ومشروع بنجر يهدف الى الاستفادة من نهر اليرموك ، ويرسم خطة سد المقارن على النهر ، ويحفر قناة الغور الشرقية . لكن اسرائيل هاجمت مشروع بنجر لانها كانت تطمع في مثلث اليرموك . كما كانت لها اطماعا اخرى في مياه اليرموك . ولهذا فقد سحب المستر بنجر مشروعه

وبعد أن سحب بنجر مشروعه جاءت مشروعات المستر كلاب ، ومشروعات ابحاث استيطان اللاجئين في البلاد العربية . ولذلك بدأت دراسة مشروع اليرموك ، بمعاونة وكالة غوث اللاجئين . ورصدت اموالا لهذه الغاية من الوكالة ، ومن النقطة الرابعة . وقد اسند المشروع لشركة « بيكر هرزا »

ثم ظهر في الافق العالى مشروع المستر جونستون المعروف وقد اعتمد فيه على تقرير المستر كلاب وهو يقوم على استخدام بحيرة

طبرية كخزان رئيسي للنهر يجمع مياه اليرموك الى بحيرة طبرية ، ويأخذ مياه الاردن العلوى كلها خارج الوادى . وقد اختص اسرائيل بالمراحل الاولى للمشروع ، واختص الاردن وباقى الدول العربية بالمراحل الاخيرة .

ولما عرض هذا المشروع على الجامعة العربية ، اتخذت موقفا سلبيا . لانها رأت ان الغرض من هذا المشروع ان يعرض على العرب ، ثم يرفضه العرب ، فيقال للعالم ان العرب يرفضون التعاون ... ولذلك ستعطى اسرائيل الاموال المخصصة لمساعدتهم ..

لكن اللجنة السياسية بجامعة الدول العربية اجتمعت ، وكونت لجنة كنت عضوا فيها ووضعنا تخطيطا ، وذهبنا نناقش على الطبيعة . فاتضح ان الخبراء الذين جاءوا بمشروع جونستون يخضعون للضغط الصهيونى

وكان المشروع يتكون من عدة نقاط اهمها :

اولا — انشاء سد وخزان على نهر الحاصبانى العلوى امام التقائه بنهر الاردن بنحو ٣٫٠ كم ، بارتفاع ٦٠ مترا لتخزين ١٦٥ مليون متر مكعب من المياه

ثانيا — تحويل مياه اليرموك الى ترعة والدان ، والحاصبانى الى ترعة تتفرع منها عدة فروع لرى الاراضى فى حوض الحولة الاعلى ، ومنطقة هاشاهار ، وتلال الجليل، ووادى بافتيل ، ووادى برزانيل

ثالثا — تحويل مياه اليرموك الى ترعة الغور الشرقية ، والى بحيرة طبرية ، وذلك بانشاء سد تحويلى على نهر اليرموك لرى الاراضى الزراعية فى الغور الممتدة من بحيرة طبرية والبحر الميت . اما ترعة الغور الغربية فتأخذ مياهها من المخزون فى بحيرة طبرية

رابعا — تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات الممتدة شمالها لاستصلاحها وزراعتها ، والاستفادة من المياه الفائضة

الحدود السياسية

ومنذ اواخر عام ١٩٥٩ غيرت اسرائيل خططها مؤقتا بالنسبة لتحويل النهر من جنوب جسر بنات يعقوب داخل المنطقة المجردة من السلاح حتى تتفادى الدخول فى صدام مسلح مع العرب وقررت انشاء محطة ضخ كبيرة لرفع المياه من الزاوية الشمالية لبحيرة طبرية الى القناة المكشوفة . وقد انتهت من مشروعها لتجفيف بحيرة الحولة واعمالا اخرى ..

وقد كان لابد للعرب من ان يتحركوا ، ويوقفوا هذا المشروع الذى من شأنه ان يحرم الارض العربية من المياه ويجففها

وانه لذلك يجب ان يوضع مشروع استغلال مياه هذه الانهار بحيث يؤخذ فى الاعتبار الحدود القائمة بين البلاد ، وبحيث يكفل المشروع لكل دولة ضمن حدودها الانتفاع برى الاراضى الصالحة للزراعة الموجودة فعلا فى مناطق منابع واحواض هذه الانهار ، مع استفادة هذه المناطق بما يمكن توليده من القوى الكهربائية فيها

وتمشيا مع المبادىء المذكورة رأى العرب أن يشمل المشروع العربى ما يلى :

اولا — استغلال مياه اليرموك لاغراض الرى وتوليد القوى الكهربائية

ثانيا — استغلال مياه نهر الاردن وروافده شمال بحيرة طبرية فى اغراض الرى وتوليد القوى الكهربائية

ثالثا — استغلال مياه نهر الاردن وروافده جنوب بحيرة طبرية

رابعا — استغلال مياه الوديان والابار

وفيما يختص بالتخزين فان المشروع لايجيز اطلاقا تخزين مياه اليرموك فى بحيرة طبرية ، وانما تخزين المياه العربية فى بلاد عربية

وستكون المياه المستغلة بمقتضى المشروع على النحو التالى :

— المجموع الكلى ١٤٢٩ مليون متر مكعب . يكون نصيب المنطقة المحتلة ٢٨٧ ، والاردن ٩٧٥ ، وسوريا ١٢٢ ، ولبنان ٣٥ مليون متر مكعب

اما المساحة التى تروى فهى ٨٧٨٫٠٠٠ دونم تنقسم كالتالى :

— المنطقة المحتلة ٢٣٤ ، الاردن ٤٩٠ ، سوريا ١١٩ ، لبنان ٣٥

وقد رأى العرب ان يكون استغلال مياه نهر اليرموك بتخزينها فى

مجرى النهر نفسه لصالح كل من سوريا والاردن ، والا يتم التخزين فى مياه بحيرة طبرية التى تقع بكاملها داخل ارض فلسطين المحتلة مما يجعل الاردن تحت رحمة اسرائيل . هذا بالاضافة الى ما يؤدى اليه تخزين المياه فى بحيرة طبرية من زيادة نسبة الملوحة فى مياه اليرموك ، وضياع كميات ضخمة عن طريق التبخر الذى يبلغ فى بحيرة طبرية عند الخزن فى حوض النهر نفسه ١٥ مليون متر مكعب

وكذلك اقامة سد تخزينى لاغراض توليد الكهرباء ، وان يكون استغلال مياه نهر الاردن وروافده شمالى بحيرة طبرية بحيث يضمن رى مساحة قدرها ٣٥ ألف دونم بحوض نهر الحاصبانى فى لبنان ، ومساحة ٢٠ الف دونم فى سوريا ، بالاضافة الى ٢٢ الف دونم شمال شرقى البحيرة ، مع استغلال نهر الحاصبانى فى توليد الكهرباء فى لبنان حيث ينبع ويمر هذا النهر

وكانت الابحاث الفنية تشير الى أن المشروع العربى سيتم على مراحل :

المرحلة الاولى : هى المرحلة الفورية :

وتهدف الى عرقلة مشروع اسرائيل لتحويل مجرى النهر ومنع المياه من محطات الضخ الاسرائيلية التى تنوى ان تسحب ١٥٠ مليون كيلو متر مكعب من المياه

والمرحلة الثانية : هى الخاصة بتنفيذ مشروعات التنمية الزراعية والاستفادة من مساقط المياه فى توليد الكهرباء ، واعداد الاراضى الصالحة للزراعة

والمرحلة الثالثة : وهى المرحلة الطويلة الاجل لتنفيذ مشروع اليرموك الكبير

وفى نوفمبر عام ١٩٦٠ أوصت اللجنة الفنية العربية ، نظرا لضيق الوقت باتخاذ التدابير الفورية الآتية :

فى لبنان : انشاء سد تحويلى على مجرى الحصبانى ، وفتح نفق تحويلى ما بين السد ووادى الليطانى فى الاراضى اللبنانية . وكذلك انشاء محطة ضخ على مجرى الحاصبانى عند نبع الوزانى

فى سوريا : تحويل مياه البانياس الى الاراضى القابلة

فى الاردن : سرعة انجاز قناة الغور الشرقية لتحويل مياه اليرموك ، وقطعها من محطات الضخ القائمة فى المنطقة المحتلة . وكذلك التعجيل بتخزين مياه اليرموك على نهر اليرموك .



جونسون .. اداة من ادوات الصهيونية الامريكية

لكن الدول العربية اهملت هذه التوصيات ، ومقررات الجامعة العربية فى هذا الشأن ، واستقلت الاردن بتنفيذ مشروعها الخاص بمساعدة النقطة الرابعة كما قامت اسرائيل بتنفيذ مشروعها بمساعدة الولايات المتحدة .

وقد ظهر جليا أن اسرائيل تنوى الاستفادة من كافة مياه نهر الاردن داخل اراضيها قبل دخوله الاراضى الاردنية ، الامر الذى يؤدى الى جعل نهر الاردن السفلى جنوب بحيرة طبرية مصرف مالح ، لا يستفاد منه ابدا ، وخاصة بعد تحويل المياه المالحة لتصب فى مجراه السفلى جنوب بحيرة طبرية

مؤتمر القمة الاول

وفى اواخر عام ١٩٦٣ دعا الرئيس جمال عبد الناصر الى عقد مؤتمر القمة ، لما

بدا ان اسرائيل اوشكت على الانتهاء من مشروعها ، بينما لم تنفذ توصيات اللجنة الفنية التي قدمت في نوفمبر سنة ١٩٦٠ . كما دعا الامين العام للجامعة العربية اللجنة الفنية للاجتماع لاعادة تقرير الموقف ، وقد مضى اكثر من ٣ سنوات على توصياتها الاخيرة . ولقد درست الهيئة الخطوط الكبرى لمشروع عربي مشترك يهدف الى استغلال مياه نهر الحصباني — بما فيه الوزاني — وبانياس واليرموك .

ونظرا لما يقتضيه التنفيذ من اعداد واستكمال للدراسات التفصيلية الخاصة به فقد وضعت الهيئة في اعتبارها الاهمية المترتبة على سرعة التنفيذ .

ورات ان تقسم المشروع الى قسمين اولهما يشمل التدابير الفورية لمواجهة الموقف والثاني يشمل المراحل التالية للمشروع مع ملاحظة ان التدابير الفورية تشكل جزءا من المشروع العربي المشترك

وقد عرضت هذه الدراسات على مؤتمر الملوك والرؤساء العرب ، الذي قرر انشاء هيئة استغلال مياه نهر الاردن وروافده برئاسة الامين العام للجامعة العربية وعضوية ممثل عن كل من لبنان وسوريا والاردن والجمهورية العربية المتحدة وتختص بتخطيط وتنسيق وملاحظة تنفيذ المشروعات الفورية ، ودراسة المشروعات الآجلة .. وتوفير تمويلها ...

وقد عقدت الهيئة أول اجتماع لها بالقاهرة في فبراير ١٩٦٤ . وبذلك اجتمعت لتنفيذ قرارات مؤتمر القمة الاول .

سد المخيبة

وقبيل انعقاد مؤتمر القمة الثاني بالقاهرة في سبتمبر ، وبعد دراسة المشروعات على الطبيعة اتضح انه لابد من تطوير بعض المشروعات ، لابد من اقامة سد جديد عند بلدة المخيبة في الاردن . وهذا السد لم يكن مقررا من قبل اثناء مؤتمر القمة الاول . لكن ضرورته تكشفت خلال الدراسات المبنية على الطبيعة لنهر الاردن . ولابد من اعطائه حق الافضلية



الدكتور محمد احمد سليم
صداقة حميمة للنهر .. !

الاولى والاستعجال . ويتكلف هذا السد ٦٠ مليون جنيه .

كما اتضح خلال الدراسات التي قام بها مجلس الاعمار الاردني بتحويل مياه اليرموك الى قناة الغور التي تمتد ٧٠ كيلو مترا في الاراضي الاردنية ويتكلف ٢٥ر١٠ مليون جنيها استرلينيا و ٣٠ شهرا من العمل ، ان هناك اكثر من مشكلة بسبب كيفية تخطيط الحدود بين سوريا ولبنان وفلسطين والتي تعتبر المصادر الرئيسية لنهر الاردن ولذلك فقد تقرر ان يتم المشروع الاردني على ٣ مراحل .

المرحلة الاولى ، وهي المرحلة الفورية ، والتي تهدف الى عرقلة مشروع اسرائيل لتحويل مجرى الاردن ومنع المياه عن محطات الضخ الاسرائيلية التي تنوى سحب ١٥٠ مليون متر مكعب

المرحلة الثانية ، تنفيذ مشروعات التنمية الزراعية ، والاستفادة من مساقط المياه في توليد الكهرباء ، واعداد الاراضي الصالحة للزراعة .

المرحلة الثالثة ، وهي المرحلة الطويلة تنفيذ مشروع اليرموك الذي يتكلف . مليون جنيه للكهرباء ، والذي ستحصل منه

الاردن على قوة كهربائية مقدارها ٥٠ الف كيلوات . وتزيد الدخل القومى ١٢ مليون جنيه ، وتوجد عملا دائما لـ ٣٠ الـــف عامل

ويعتبر مشروع اليرموك من اهم المشروعات العربية لانه الى جانب منع مياه اليرموك عن اسرائيل ، فانه سيمنح مياها جديدة مقدارها ١١ مليون متر مكعب للاردن حيث يتم توصيل نهر بانياس باليرموك عن طريق قناتين

وعند تنفيذ مشروعات ســــــوريا ، ظهر ان التقديرات المالية لتنفيذ المشروع الخاص بنهر بانياس اكبر من الارقــام المقدرة بسبب التوسع فى طول قناة التحويل التى يتم حفرها ، مع اختلاف طبيعة المجرى الذى ستمر منه مياه الروافد بعد التحويل من حيث احتمال حفر مجرى جديد وسط بعض الوديان ، بدون محاولة حفر الخنادق والممرات فى الجبال الصخرية ..

اما عن مشروعــــات لبنـــان : فالعمل يجرى الآن فى رفع جزء من ميـــاه نهر الحاصبانى بواســـطة مضخـات على مجرى النهر عند نبع الوزانى ، وذلك لرى السهول المرتفعة فى سوريا ولبنان ، ويتكلف هــــذا المشروع ٥ ملايين من الجنيهات

وقد اقر مجلس هيئة استغلال نهـــر الاردن اهمية هذه المشروعات والتعديلات التى درست تفصيليا ، وفتحت عطاءاتها ، وبدىء فى التنفيذ

***

وقد يتساءل القارىء . مـــاذا فعلت اسرائيل ازاء هذا التصميم العـــربى ، والعمل العربى ؟!

تشير التقارير انها اتمت بناء ثـــلاث وحدات ضخ كهربائية على شاطىء طبرية الشمالى الغربى قرب قرية الطابغة ، قوة كل منها ٢٣ الف كيلو وات لســـحب وتصريف ما مقداره ٦٫٧٥ مليون متر مكعب من الماء

وقد تمت اسرائيل بمد انابيب خاصة لتحويل مياه الينابيع المالحة التى تصب فى البحيرة ، وتحاول ضخ المياه المالحة التى تنبع من قاع البحيرة بعملية فنية لتصب فى مجرى نهر الاردن الســـفلى ، وذلك لتخفيف حدة الملوحة

ان اسرائيل تستفيد من كمية تزيـــد على مائة مليون متر مكعب من مياه نهر الاردن العلوى ، وينابيع الحولة لرى مساحة تزيد على مائة الف دونم من اراضى منطقتى الحولة وابليت هاشاحار اى نجمة الصباح فى منطقة وادى الاردن العلوى ، هذا بالاضافة الى مائة مليون متر مكعب اضافى من المياه الجوفية ، ومياه الوديان الجانبية الدائمة الجريان فى المنطقة المحتلة

ان معنى هذا هو اعتزام اسرائيـــل الاستفادة الكاملة من جميع ماء نهر الاردن داخل اراضيها قبل دخولهـــا الاراضى الاردنية ، الامر الذى يجعل نهر الاردن السفلى جنوب طبرية مصرفا مالحا لا يستفاد منه ابدا وخاصة بعد تحويل المياه المالحة لتصب فى مجراه السفلى جنوب طبرية

ولقد ظلت اسرائيل صامتة رغم القرار الخاص بتحويل روافد نهر الاردن الـــذى اتخذه مؤتمر القمة العربى الاول . لكنها فى هذه الايام بدأت تلوح بالحرب حسين علمت ان مشروع سد المخيبة هو الـــذى سينفذه العرب بدلا من المشروع الاول

فلماذا تغير موقف اسرائيل من الهدوء المريب الى الموقف المحموم الذى صـــارت تتخذه الآن ؟

ان اسرائيل لم تكن تتوقع ان يهتدى الخبراء العرب الى التفكير فى هذا المشروع الخطير . فسد المخيبة سيمنع اسرائيل من تحويل اى قطرة من ماء نهـــر الاردن الى النقب .

ان اسرائيل قدرت انها بعد اتمـــام مشروعها ستحصل على ٣٢٠ مليون متـــر مكعب فى السنة ، اما اذا اقيم الســـد فسيمنع عن اسرائيل هذه الكمية نفسها

ولذلك فمن المحتمل ان تقوم اسرائيل بعمل عسكرى عند بدء تنفيذ سد المخيبة ولكن احتمالات الموقف العسكرى قدرها القادة العسكريون العرب ، وعملوا لـــكل احتمال حسابه بدقة ..

وقد بدأ العرب فعلا فى التنفيذ واخطر القادة العلم بالمواقع التى بدأ عليها العمل الفعلى والتنفيذ .

دائرة معارف

الهلال

الريع أو الإيجار

الريع هو الاسم الذى يطلقه أصحاب الاراضى ، والاقتصاديون الرأسماليون ، على « الثمن » الذى يتقاضاه مالك الارض من المزارع مقابل انتفاعه بالارض وزراعتها لحسابه

فالمزارع يستأجر مساحة محدودة من الارض يدفع عنها للمالك مقابلا يسميه المالك ريعا ، ويسميه المزارع ايجارا

والريع ، او الايجار .. هو الشكل الاساسى لنظام استغلال الفلاحين فى الريف ، وهو شكل موروث من النظام الاقطاعى

ونظام الريع ، او الايجار ، معمول به اساسا فى الانتفاع بالارض الزراعية ، كما انه معمول به فى الانتفاع بالعقارات الاخرى . وكان معمولا به على نطاق واسع فى الانتفاع بالورش والصنائع الصغيرة حين كان من الممكن استئجار الورشة او المصنع الصغير من صاحبه وتشغيله لحساب المستأجر

والايجار يدفع فى عدة اشكال ، ينقرض بعضها او هو قد انقرض فعلا ، ولا يزال بعضها الاخر واسع النطاق :

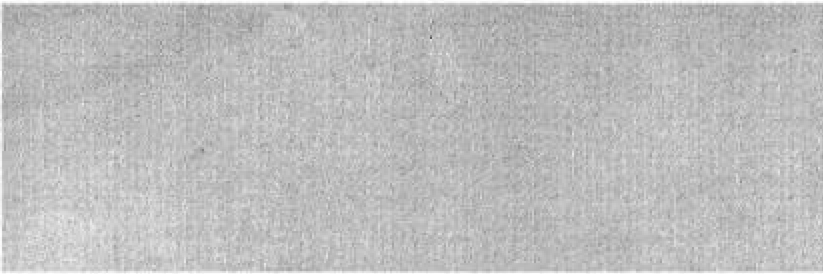
فاولا : هناك الايجار مقابل العمل ، او ما يسمى « ريع العمل » . وهو نظام يستأجر المزارع بمقتضاه الارض من مالكها وينتفع بها بأن يزرعها لحسابه ، وذلك مقابل ان يقوم بالعمل ...

أياما معدودة متفقا عليها فى أرض المالك . وهذا الشكل من اشكال الايجار يسود على أوسع نطاق فى المراحل الأولى للنظام الاقطاعى ، حيث يكون المزارع بمثابة « القن » او « المسخرين » بالنسبة للمالك

وثانيا : هناك الايجار العينى ، او « الريع النقدى » ، وهو ان يستأجر المزارع الارض من مالكها ، ويزرعها لحسابه ، وينتفع بها ، مقابل تقديم حصة متفق عليها من المحصول للمالك . ويدخل ضمن هذا الشكل ما يعرف باسم « نظام المزارعة » وان كانت بعض اشكال نظام المزارعة ارقى احيانا من نظام الايجار العينى لان المالك قد يقدم للمزارع تمويلا لزراعته فى شكل معدات او مواشى او أسمدة او بذور او تسهيلات رى ، او ما اشبه . وهذا الشكل هو من اشكال سيادة النظام الاقطاعى فى الزراعة فى مرحلته الوسيطة التالية لمرحلة « ايجار العمل »

وثالثا : هناك الايجار النقدى ، او « الريع النقدى » ، وهو ان يستأجر المزارع الارض من مالكها وينتفع بها ويزرعها لحسابه ، مقابل تقديم مبلغ من النقود متفق عليه . وهذا الشكل الثالث من اشكال الايجار يظهر فى نهاية النظام الاقطاعى وبداية النظام الرأسمالى فى الزراعة

ورابعا : هناك ايجار الارض ، او « ريع الارض » وهو ان يستأجر غنى مساحة كبيرة من ارض المالك او كل هذه الارض مقابل ايجار متفق عليه ، ثم يقوم بتأجيرها من الباطن لصغار المزارعين ، ويحصل لنفسه على الفرق بين ما يحصله من المزارعين



وما يدفعه للمالك ٩٠. وهذا الفرق هو الذى يسمى بريع الارض ، أو ايجار الارض ... وهذا الشكل الرابع يظهر فى ذروة النظام الرأسمالى فى الزراعة

ومن الملاحظ ان كبار الملاك كانوا يلجئون الى هذا الشكل فى بلادنا أكثر فاكثر ، منذ سنة ١٩٣٩ ، فكانوا يؤجرون أراضيهم صفقة واحدة لاحد كبار الوسطاء ، ويقوم الوسيط بتأجيرها لصغار الزارعين فى مساحات صغيرة تتفاوت بين فدان وخمسة افدنة . أو كانوا يؤجرون أراضيهم الزراعية لعدد من الوسطاء بغية ايجاد تنافس بينهم لزيادة الايجار

ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية أن المساحات التى كانت تؤجر بهذا الشكل زادت من نسبة ١٫٧ ٪ فى سنة ١٩٣٩ ، الى ٦٠٫٧ ٪ سنة ١٩٤٩ ، الى ٧٥ ٪ سنة ١٩٥٢ .

وهذا الشكل من اشكال الايجار يحمل الفلاح الزارع عبء نوعين من الاستغلال: استغلال الوسيط له ، ثم استغلال صاحب الارض

وقد الغى قانون الاصلاح الزراعى الصادر فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ هذا الشكل الاستغلالى البشع ، عندما نص فى المادة ٣٢ على انه لايجوز تأجير الارض الزراعية الا لمن يتولى زراعتها بنفسه . كما حدد فى الوقت نفسه القيمة الايجارية بسبعة أمثال الضريبة ، وان كانت هناك عيوب كثيرة فى التنفيذ ، وكان نظام الايجار لا يزال قائما

ومن المهم فى هذا الصدد أن يكون من الواضح أن الايجار والريع ليس نتاجا للارض فى ذاتها ، كما يزعم بعض الاقتصاديين وملاك الارض ، وانما هو فى الواقع نتاج لعمل الزارع والفلاح الذى يشتغل فى الارض لعلا ، اذ أن الارض لا تكتسب قيمتها ولا تنتج قيمة مضافة الا بالعمل الذى يبذل فى استصلاحها واعدادها للزراعة وزراعتها ، وجنى محصولها

والايجار من هذه الزاوية هو فائض القيمة الذى يحصل عليه مالك الارض من الزارع الفلاح المشتغل فيها ، وهو يقابل – بشكل عام – الربح الذى يحصل عليه مالك المصنع

الايديولوجية

كلمة « ايديولوجية » هى كلمة غير عربية ، مشتقة من كلمة « ideal » ومعناها بالعربية « المثال » وجمعها « المثل » ونسبتها « المثالية »

والايديولوجية هى ناتج عملية تكوين نسق فكرى عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ويطبق عليها بصفة دائمة

وهذه العملية يقوم بها من يسمى نفسه باسم « المفكر » بوعى ، ولكنه يصبح – فى النهاية – وعيا زائفا

ان « المفكر » يستخدم خلال هذه العملية منهجا للبحث والتحليل والتركيب قد يكون منهجا غير علمى فيساهم فى تزييف الناتج ! وقد يكون منهجا علميا فيكون الناتج حقيقيا بصفة معينة وغير حقيقى بصفة مطلقة

والمنهج العلمي يمكن أن يظل متجددا ومثمرا وخصبا لفترة تاريخية طويلة ، إذا ظل قابلا للتطور مع تطور أدوات ومقاييس الاستقصاء والبحث العلمي ، بل ويمكن أن يكون — بتوفر هذا الشرط — منهجا دائما

ولكن تنسيق النتائج في نظام ثابت مجرد ومطلق — سرعان ما يجعل من هذا النظام ، أي من هذه الايديولوجية ، عقيدة جامدة متباعدة عن مجرى التطور ، ومكونة لترسبات نفسية واجتماعية تحول دون رؤية الجديد الدائم في الحياة الواقعية

ومن هنا ، فان الايديولوجية ، بمعنى النظام الفكرى المجرد المطلق ، يمكن أن تتحول — وهي تتحول بالفعل — الى عقبة رجعية في سبيل التقدم الثورى

وعلى ضوء ذلك يبدو المغزى الثورى لما قاله الرئيس جمال عبد الناصر من أن « الميثاق » ليس وثيقة جامدة غير قابلة للتطور

ان « المفكر » في أثناء قيامه بالعملية الفكرية المجردة ، أي بالعملية الايديولوجية ، قد يجهل قوى متحركة ومحركة للطبيعة والمجتمع والفرد ، ومن ثم فانه يسد مثل هذا النقص بأن يتخيل أو يفترض قوى متحركة ومحركة مظهرية أو زائفة

ولان العملية عملية فكرية ، فان « المفكر » يستمد مضمونها ومحتواها من التفكير المجرد ، سواء أكان هذا التفكير تفكيره هو ، أم كان تفكير من سبقوه .. ومن هنا ، تصبح الايديولوجية عملية سلفية تعالج أفكارا مجردة لا تتفق مع الواقع المتغير ، أو هي موروثة من زمان غير الزمان ، ومن مكان تاريخي غير المكان ، وصادرة عن قياس قديم المقدرات ثم تعديها وتجاوزها

ان « المفكر » ، صانع الايديولوجية يعمل بمادة فكرية بحتة ، وهي مادة قد يقبلها بدون فحص أو نقد على اعتبار أنها نتاج فكرى ، متجاهلا بذلك أن كل فكرة هي نتاج للتطور الواقعي في الحياة والتطبيق ، أو يجب أن تكون كذلك . أو هو قد لا يحققها الى أبعد مصدر لها مستقل من الفكر . ومن ثمة ، يبدو له الأمر كله عاديا ، لأنه ما دام كل عمل يقتضي — في رأيه — تأملا فكريا ، فان كل أمر يبدو له في النهاية قائما على أساس الفكر

و « الايديولوجيست » التاريخي (والمقصود بوصف « تاريخي » هنا كل ما يتعلق بالمجتمع وليس بالطبيعة فقط ، أي كل المجالات السياسية والتشريعية والفلسفية والفقهية الخ) تحيلك ، في كل مجال ، مادة كونت نفسها مستقلة ، خارج واقع الاجيال السابقة ، ثم مضت في مجرى تطورها المستقل ، خارج واقع الأجيال الحالية

ومن هنا ، فان جميع الثوريين ليست لهم ايديولوجية ، انهم بلا نسق فكرى مجرد ، وانما لهم دائما منهج متطور ومعين ومحدد . والمقصود بالثوريين كل من يسعى ويناضل ويحقق تغيرات في الطبيعة والمجتمع والفرد ، وفي العلاقات المتبادلة بينها ، تسير بالحياة قدما الى الامام نحو تحقيق المزيد المطرد من الكفاية والسعادة للناس

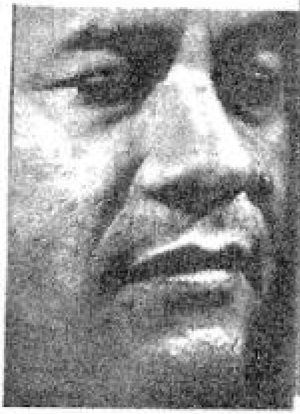
ولكن على الرغم من هذا التحديد الفكرى لمعنى الايديولوجية وخطرها ، فان هناك ايديولوجيات ، أي نظما فكرية متسقة ، يمكن ان تلعب — في الواقع ، وفي فترة تاريخية معينة — دورا ثوريا ، ويدعم وجودها النضال من أجل كفاية الانسان وسعادته .ولكن حتى مثل هذه الايديولوجيات محكوم عليها — في النهاية — بأن تصفى وتنتهي ، لتحل محلها ايديولوجية جديدة ، تبدأ في شكل شك لتساؤل فنقد فدحض الايديولوجية السابقة ، ثم تتسق في نظام فكرى جديد أكثر عصرية ، مستند الى أساس منهج علمي دائم التطور مع تطور قوى الانتاج ووسائل المعرفة التكنيكية والعلمية ، وتزايد قدرة الانسان باستمرار على أن يوسع معرفته ويعمقها

وهذا هو معنى ومستقبل الايديولوجية

ع ٠ ١

محمود أمين العالم

المعمار الفني في أدب نجيب محفوظ



ثلاث مراحل متداخلة

لسنا في حاجة الى بحث لاثبات ان الرواية العربية عند نجيب محفوظ قد مرت بمراحل ثلاث . انها مسألة بينة بذاتها . ولكن بماذا نسمي هذه المراحل ؟

هنا ندخل في تقييمها وتحديدمعالمها ! وسأتعسف واطلق عليها اسم المرحلة التاريخية فالمرحلة الاجتماعية ثم المرحلة الفلسفية

ولكن .. لماذا اعتبر هذا تعسفا ؟

أليست النظرة الاولى لتلك المراحل تكاد تؤكد هذه التسميات لها ؟

هذا صحيح من حيث النظرةالاولى .

ولو تأملنا هذه المراحل بنظرة تأملية اكثر عمقا ، لتبين لنا ان المرحلةالتاريخية رغم موضوعها التاريخي القديم تعبر عن مضمون اجتماعي خالص ، ورغم مضمونها الاجتماعي الخالص ، تعبر عن رؤيافلسفية كذلك . ولتبين لنا ان المرحلةالاجتماعية رغم اجتماعية موضوعها ومضمونها فهي تتسلسل تسلسلا تاريخيا ، وتتحركداخل في اطار تاريخي ، وتتضمن رؤيا فلسفية كذلك . ولتبين لنا ان المرحلة الفلسفية لا تفتقد ابدا الى الطابع التاريخي أو الدلالة الاجتماعية

ولهذا فالتسميات الثلاث تسميات متعسفة الى حد كبير ، أو لو شئنا الدقة ، تسميات من الخارج لا تتعمق دخائل كل مرحلة . ولكنها على أية حال تسميات صحيحة ، تعبر عن الطابع العام الغالب ظاهريا على كل مرحلة ، فضلا عن انها تسميات ضرورية ونافعة من الناحية المنهجية

والمهم الا تخدعنا هذه التسميات ، فتقيم حوائط صينية بين المراحل الثلاثة وتحرمنا من متابعة النمو والتداخل بين هذه المراحل جميعا

المرحلة التاريخية :

تنتسب الى هذه المرحلة رواياته الثلاث الاولى وهى : **عبث الاقدار ورادوبيس وكفاح طيبة**

وهى جميعا تجرى فى التاريخ المصرى القديم . ولكن الروايات الثلاث تشير اشارات رمزية واضحة الى واقع اجتماعى حديث فى حياة بلادنا أثناء الحكم الملكى البائد

فالرواية الاولى تدين سياسة الاستبداد والقوة وتسخر منها

والثانية تنتقد الفساد الملكى

والثالثة تغلى بقضية تحرير وادى النيل سياسيا واجتماعيا

والروايات الثلاث تتخذ منهج التابعة التاريخية ذات الاتجاه الواحد فى بناء احداثها ، وان اختلفت الروايات الثلاث من حيث التفاصيل . ولاشك ان هذا المنهج نابع من طبيعة الموضوع التاريخى نفسه ، فضلا عن انه مرحلة أولى فى تطور موهبة التأليف الروائى

عبث الاقدار

وتبدأ الرواية الاولى بطرح قضية اساسية هى قضية الصراع بين القوة والقدر ، بين الارادة الفردية والحتمية القدرية ، يلتقى فرعون بعراف يؤكد له ان خليفته لن يكون منه ، وانما سيكون ابن الكاهن الاكبر لرع . ويجرى فرعون وراء هذه النبوءة بعسكره لاخماد انفاسها ، ولكن عبثا . الطفل ينقذ من طغيان فرعون وتتاح له حياة آمنة

وتجرى احداث الرواية مع حركة نمو الطفل ، وحركة اقترابه من تحقيق النبوءة وتتوالى الاحداث والمصادفات بأن يقول فرعون : **منذ نيف وعشرين عاما اعلنت على الاقدار حربا شعواء وتحديت بها ارادة الالهة** » ، ثم هاهو ذا ينتهى بالاقرار بأن « **الرب صفع كبرياءه** »

الرواية تشحن القضية الفكرية وتفصل فيها بالاحداث والوقائع . وتتخذ منهج تنمية الاحداث فى اتجاه واحد هو حركة الطفل منذ ان هرب من سيف فرعون حتى يبلغ سلم العرش

رادوبيس

اما الرواية الثانية رادوبيس فتتبين فيها نفس المتابعة ذات الاتجاه الواحد فى بناء احداثها

فالفصل الاول يبدأ بموكب ملكى فى زيارة معبد وينتهى الفصل بانتهاء الموكب ويبدأ الفصل الثانى بعودة الموكب الى القصر ، اما الفصل الثالث فيعود بنا الى الشارع حيث اختفى الموكب لنلتقى **برادوبيس** الغانية فى عربتها ، ونعود معها هى كذلك الى قصرها وهناك تقبع اغلب فصول الرواية ، نقبع فيه فى الفصل الرابع ، فلاذا كان الفصل الخامس التقينا فيه بفرعون زائرا محبا . اما السادس فنواصله مع رادوبيس بعد أن غادرها فرعون وهكذا

اغلب فصول الرواية تتوالى وتتتابع متابعة الحدث الواحد . واحيانا يكون الانتقال من فصل الى فصل اخر هو مجرد استمرار لنفس الحادثة ولنفس الموقف . ففصل ينتهى مثلا عن رادوبيس هكذا « **ثم راحت فى تفكير عميق** » ثم يبدأ الفصل التالى مباشرة على هذا النحو « **وتنهدت رادوبيس عن قلب مقروح وقالت لنفسها واأسفاه** » **الخ . الخ**

والرواية تصور ملكا عابثا منغمسا فى ملذاته ، فى تناقض مع مصالح الكهنة والشعب ، وتنتهى بموته فى أحضان رادوبيس

كفاح طيبة

اما الرواية الثالثة فيطغى عليها الطابع التاريخى طغيانا كاملا شكلا وموضوعا . وهى تنقسم الى ابواب ، لكل منها عنوان محدد ، كما ينقسم كل باب الى فصول . والابواب فى الحقيقة مراحل تاريخية . والفصول بدورها امتدادات مباشرة يفضى

بعضها الى بعض لا من الناحية التاريخية العامة فحسب ، بل من ناحية الاحداث الجزئية التفصيلية كذلك ، كما رأينا فى رادوبيس

لنهاية الفصل الرابع مثلا خاصةبموت الملك وتنتهى بالكلمة التالية : « لم تراخت اصابعه واسلم الروح »

ويبدأ الفصل الخامس هكذا «وسجى الطبيب الجثة وسجد الرجال حولها » الخ .. الخ . وهكذا

وهذه الرواية تصور صراع احمس لطرد الهكسوس من مصر وتحرير وادى النيل منهم وجعل مصر للمصريين ، فضلا عن تحقيق التقدم الاجتماعى للشعب

* * *

والى جانب هذه السمة العامة التى تتسم بها هذه الروايات الثلاث واعنى بها التنمية للأحداث فى اتجاه واحد مطرد بما يعبر عن طابعها التاريخى العام ، فانها تتسم بسمات اخرى اساسية بعضها ينبع من ذلك الطابع التاريخى ، وبعضها مجرد سمات مصاحبة ، متوازية معه

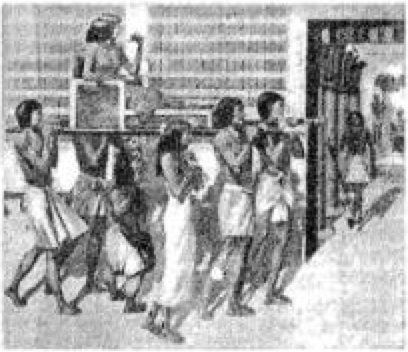
اولا ــ التحديد الزمنى عنصر بالغ الاهمية فى بناء الأحداث وتطورها ، وقد يكون هذا التحديد اشارة الى فصل من فصول السنة ، أو الى شهر من الاشهر، وقد يكون يوما من الايام وقد يكون فترة من فترات هذا اليوم ، نهارا أو ظهرا أو عصرا أو ليلا .. وهكذا . وقد يبلغ هذا التحديد مبلغا من الدقة فتحدد السنة والشهر بل واليوم تحديدا كاملا دقيقا ، ونجد هذا المستوى من التحديد فى بعض روايات المرحلة الاجتماعية

والحقيقة ان هذا التحديد ليس مسألة اعتباطية فى معمار الرواية عند نجيب محفوظ ، انما هو تعبير عن تنظيم داخلى فى العلاقة بين الاشياء والاحداث والاشخاص ان كل شىء يتحقق فى اطار زمنى منتظم، وهذا تعبير عن نظام شامل ، تعبير عن حتمية وضرورة فى علاقة الفرد بالطبيعة ، بالكون بالمجتمع ، بالآخرين ، بالنظام العام

كل شىء مقترن بزمن ، متحرك مع زمن ، أو ضد زمن ، كل شىء فى علاقة ما مع نظام شامل . وبحسب طبيعة هذه العلاقة تتحدد كثير من المصائر . وهذه العلاقة ليست علاقة ثبات وتحجر . بل هى تعبير كذلك عن تغير دائما ولكنه تغير فى نظام

تغير فى اطار ، تغير فى علاقات مع اشياء واحداث واكوان . وسنتأمل هذه الظاهرة فى مختلف رواياته

ثانيا : ومن ذلك الطابع التاريخى ، ومن ذلك الرباط من النظام والحتمية ، تنبع سمة أخرى من سمات تلك المرحلة بل من سمات الرواية عند نجيب محفوظ فى مراحلها الثلاث . هذه السمة هى بروز المصادفة كعامل اساسى فى بناء الاحداث وتطويرها . والمصادفة هنا ليست خروجا من النظام كما قد يفهم



الرحلة التاريخية ، هل هى مجرد مرحلة تاريخية ؟؟ ..

البعض ، وليست كذلك تخلخلا فى بناء الرواية وركائزها وانما هى تعبير عن حتمية قدرية ، عن ضرورة أعمق من تعبير الانسان الفرد ، وأبعد من ادراكه المباشر

المصادفة عنده ليست غير المتوقع . وانما هى الضرورى . هو الحدث الذى لم يدبره الانسان الفرد ولكن فرضته الحتمية الكونية او القدرية اوالاجتماعية او الفلسفية

ان المصادفة ان تكن فى ظاهرها مناقضة للمنطق الفردى ، فانها تعبير عن منطق ارقى من منطق الفرد . وستجد المصادفة تصوغ الاحداث وتبنيها دائما فى الرحلة

التاريخية كما سنجدها تواصل المهمة نفسها في المرحلة الاجتماعية والفلسفية على السواء . وسندرك انها محور اساسي من محاور المعمار الفني لرواياته ، ومحور اساسي من محاورها الفلسفية كذلك

حيث الاقدار تقوم كلها على المصادفات الضرورية !!

فالرواية صراع بين القوة والقدر وينتصر فيها القدر بسلسلة من المصادفات التي تحتم في النهاية ارادة الآلهة

المصادفات اذن تخطيط قدري في بناء الاحداث وتنميتها

وفي كفاح طيبة مثلا نجد ان اخطر احداث الرواية التي تقيمها وتطورها وتبني هيكلها العام وتبرز مدلولها تتم بمصادفات خارقة .

ولو كانت المصادفة تبني الحدث الفني فحسب لقلنا انها نقيصة فنية ، ولقلنا ان البناء ركيك مفتعل . ولكنها هنا لاتبني الهيكل الروائي فحسب وانما الفلسفة كذلك ، وترتبط بمامبنى الرواية بمعناها ارتباطا وثيقا

ولا تقتصر المصادفة عند مفهوم القدرية اللاهوتية في روايات نجيب محفوظ وخاصة الاخيرة منها ، وانها تتخذ مفاهيم اخرى كما ذكرت توحي بالحتمية العامة اوالنظام الشامل . وهي بهذا توحي بثنائية خصبة في ادب نجيب محفوظ بين القدر والقانون العلمي ، بين الايمان والعلم المادي

ولن نستطيع أن نتفهم بعمق حقيقة دور المصادفة في بناء رواية نجيب محفوظ وفي فلسفتها الا في نهاية تحليلنا لرواياته جميعا . ولكن حسبنا ان نؤكد هنا هذا المعنى فيما يتعلق بالمرحلة التاريخية وهو ان المصادفة تشارك مشاركة فعالة في بناء احداثه ، وفي اعطاء معنى من الضرورة القدرية لحركة الاشياء والبشر وللعلاقة المتشابكة بينهم جميعا

ثالثا — الطابع العام لاغلب شخصيات هذه المرحلة التاريخية انها هياكل خارجية ذات اقنعة تاريخية عامة . فنحن لانكاد نحس بحوارها الباطني ويغلب على حوارها عامة الطابع العقلي التجريدي الخالص لا نحس بخصوصيته وحيويته ، انه حوار زاخر بالمعلومات اكثر مما يكون زاخرا بخصوبة نفسية ؟ او وجدانية

شخصيات الروايات شخصيات عامة . هم الملك والكاهن والقائد .. الخ .. حقا قد نجد بعض الشخصيات الحية مثل طاهو في رواية رادوبيس الذي يذكرنا بياجو ومثل الام توليشيري أواللص في رواية كفاح طيبة ، الا ان الانماط اوحتى الشخصيات الحية لم تنضج بعد في تلك المرحلة .

رابعا — انعكس الطابع التاريخي العام على البناء اللغوى للرواية سواء في السرد أم الحوار . فالسرد القصصي تغلب عليه الفخامة والرصانة والابهة . والحوار فصيح غاية الفصاحة يبلغ أحيانا حد الثقل والتعقيد

ان مايحكم الحوار هو التعبير عن فكرة معينة وتأكيد لمضمون محدد ، وتسجيل لمعنى من المعاني او تحليل لموقف من المواقف .

وهكذا تصبح اللغة في كثير من المناقشات — كذلك التفاخر المتبادل بين احمس بعد انتصاره على الهكسوس وبين امنريدس — مثقلة بالافكار والمعلومات ؟ اكثر منها تعبيرا عن شخصية او وجدان اوموقف . انها لغة ذات طابع تاريخي كذلك .

وفي هذا الاطار من الاحساس التاريخي بالمهابة والفخامة ، وفي اطار الحرص على التسجيل والتحليل ، كان من الطبيعي أن تكون اللغة العربية في أدق وارصن تعابيرها سردا وحوارا هي وسيلة التعبير ولعل هذا يفسر كذلك استمرار استخدام اللغة العربية الفصحة حتى في المرحلة الاجتماعية والفلسفية ، وذلك لاستمرار هذا الحس التاريخي الشامل كما سنرى

***

هذه هي السمات الرئيسية في تقديري التي يتسم بها بناء الرواية في المرحلة التاريخية ، وان لم تكن سمات قاصرة على هذه المرحلة وحدها انما سنجدها ممتدة متطورة في المرحلتين التاليتين .

المرحلة الاجتماعية

تبدأ هذه المرحلة برواية القاهرة الجديدة وتنتهي بالسكرية

وفي هذه المرحلة كذلك — كما ذكرنا

من قبل — لاتفتقد المتابعة التاريخية فى بناء الحدث الروائى ، ولاتفتقد التحديد الزمنى الدقيق لحـــركة الاحـــداث ، ولاتفتقـــد كذلك الاحســـاس بالحتمية والقدرية الشاملة . الا ان المتـــابعة التاريخية لن تظل على حالها مجرد تنمية للاحداث ذات اتجاه واحد وانما ستتنوع وتتعقد وتتعدد اتجاهاتها .

ولكن لعل اخطر مايصادفنا فى هذه المرحلة بروز الانمـــاط الاجتمـــاعية والشـــخصيات الحية بدلا من الاقنعة التاريخية

سنحس فى هذه المرحلة بالفرد الخاص دون ان نفقد الاحساس بالاجتماعى العام او التاريخى الشامل ، بطريقة اوباخرى

وفى هذه المرحلة ستنبض القضـــايا الاجتماعية ويتســـع الصراع الاجتماعى وستظل اللغة على حالها من الرصـــانة يغلب عليها طابع التسجيل والتحليل ، الا انها قد تمتلىء احيانا بحرارة التجربة الخاصة والوجدان الخاص .

القاهرة الجديدة ...

وتبدا هذه المرحلة برواية **القـــاهرة الجديدة** . وتتبين فى هذه القصة استمرار التخطيط الخارجى لرواية **عبث الاقدار**

فلقد بدات **عبث الاقدار** بمناقشـــة حول القوة والقدر ، ثم سارت احداث الرواية للفصل فى هذه القضية ، وانتهت الرواية بمناقشة ماانتهت اليه الاحداث

وكذلك تبدا هذه الرواية بمناقشات حول العديد من القضـــايا الاجتماعية ويختلف الرأى فيهـــا ويتنوع بين ثلاثة اشخاص اولهمـــا واحـــد من الاخوان المسلمين هو مأمون ، والثانى شـــيوعى هو على طه والثالث محجوب وهو نمط للانســـان غير المبالى غير المنتمى الذى يتخذ من كلمة « **طظ** » حكما وتقييما لكل شىء

وتحتـــدم المناقشات اســـاسا حول المسلك الاسلم لعلاج الواقع الاجتماعى الفاسد ، ويقترح مأمون وعلى من الحلول المختلفة ما يتفق مع رأيهما . اما محجوب فليس له من اقتراح غير « **طظ** » على كل شىء على المجتمع والاخلاق والمبادىء

لم تجرى الرواية بعد ذلك بمحجوب وحده اساسا ، كانما هى اختبار لدعواه ومحك الواقع . ولايلبث محجوب بفشل فلسفته ان يصبح قوادا ، يتزوج من حبيبة على لتكون عشيقة لوزير يعمل سكرتيرا له ولم يكن لزواجه منها على هذا النحو الا ثمنا لوظيفته تلك !! . وتنتهى محنة محجوب بفضيحة بشعة على المستوى الاجتماعى كله ثم تنتهى الرواية كلها بمناقشة بين مأمون وعلى يختبران فيها افكارهما على ضوء ماحدث لمحجوب .

نفس التخطيط الشـــكلى الخارجى لعبث الاقدار مع اختلاف موضوعيهما!!

***

ورغم تنوع وتعدد شخصيات هـــذه الرواية ، وتعقد موضـــوعها ورغم انه موضـــوع اجتمـــاعى خالص ، وليس موضوعا تاريخيا ، فانها تنتهج فى بنائها العام نهج التســـلسل التاريخى كذلك ، اى تنمية الاحداث فى اتجاه واحد اساسا .. حقا انها اكثر نضجاً من حيث البناء الفنى من روايات المرحلة الســـابقة فكل فصـــل فى الرواية له وحدته واحداثه الخاصة . والفصول تنمو الى بعضـــها نموا مطردا ، ولاتتداخل الاحـــداث بين الفصـــول كما رأينا فى تلك الروايات . ولكن الرواية مازالت تنتهج الاتجاه الواحد فى بناء احداثها وعلاقاتها . انها بغير شك تنعطف انعطافات جانبية لتصور شخصاً اوتثير جدلا ، اوتضيء ذكرى ، اوتفرض على احـــداث فرعية محيطة بالحـــدث الرئيسى ، ولكن الاساس فى تنمية الرواية هو التنمية فى اتجاه واحد هو اســـاسا اتجاه حركة محجوب النفسية والاجتماعية ولعل مصـــدر هذا هو ارتباط الحدث الاساسى فى الرواية به .

وتحيط الرواية الحـــدث الاساسى بملابســـات سياســـية واجتماعيـــة عامة فتاريخهـــا حوالى عام ١٩٣٣ ، الحزب النازى نجح فى المانيا ، وسقطت حكومة صـــدقى ولكن المجتمع المصرى يعج بالفساد والرشوة والتزييف العام لكل شىء والدعارة والانحـــراف الجنسى والاســـتسلام للاســـتعمار والرجعية ، والحفـــلات الخـــيرية التى يقيمهـــا الارستقراطيون والارســـتقراطيات للعبث والفجور . فى هذا الاطار العـــام يمضى محجوب يبحث عن طريق — ويحدد موقفا

● المصادفة ليست هي

من الحيـــاة ؛ ليقوده طموحه وانانيته ووصوليته الى الوظيفة اللامعة ، ولكن بغير ضـمير اوشرف . ولكن الحـدث الرئيسي يواصـــل طريقه مؤكدا ذاته ونستطيع أن نحدد السمات الاساسـية لهذه الرواية في العناصر الآتية :

ـ لاول مرة يقدم نجيب محفوظ نموذجا انسانيا ونمطا اجتماعيا ناضجا ، هو نمط محجوب وينســج قسـماته النفسية والاجتماعية بعناية فائقــة تارة خلال استبطانه لنفسه ؛ وتارة أخــرى خلال مواقفه العملية ومنهج مواجهتــه للاحداث المختلفة

اما بقية الشخصيات فابرزها نجيب محفوظ ابرازا عقليا خالصا ، بالتحليل والتفسير والتدليل والاستقصـــاء . صـــفحات كاملة يعكف على تحـــليل شخصية مأمون مثلا او شخصية على طه اخلاقه ، عواطفه ، افكاره ، اسرته .

وهو لم يحرم محجوب من هذا التصوير العقلي التحليلي ولكنه بالاضافة الى ذلك تعمق وجدانه ، وكشف لنا أسراره النفسية باصطدامه بالاحداث . اما بقية شخصيات الرواية فلم تحظ بهذا . ولهذا بقيت في معظمها ملامح فكرية عامة نتبينها من الخارج ، اكثر منها شخوصا حية نلمس حياتها الباطنية الفنية

ولعلنا نستثني من هـــذا شخصــية احـــسان زوجة محجوب اسما وعشيقة الوزير فعلا ، فلقــد اعتنى نجيب محفوظ بابراز بعض جوانب داخلية في بنائهـــا النفسي

والحقيقـــة انه يغلب على بنـــائه للشخصيات في هذه الرواية الاتجـــاه الطبيعي ، لا بمعنى التصوير الفوتوغرافي كما يفهم خطأ من هذا التعبير ، وانمـــا بمعنى الاستقصاء الدقيق والتحليــــل التفصيلي لمختلف تلك الشخصيات ، وبيان الاسباب والعلل النفسية والاجتماعية وراء مسلكهم وشخصياتهم

٢ ـ ماتزال المصادفة عاملا من عوامـل بناء هذه الرواية كذلك وان تكن تتخــذ مدلولا رمزيا جديدا أكثر رهافة من المدلول القدري الذي وجدناه في الرحلة التاريخية

فلنتأمل مثلا هذه المصادفة الغليظة في ظاهرها : ان يكتشف محجوب ان الفتاة التي يراد له أن يتزوجها هي احســـان حبيبة علي

لماذا اختار نجيب محفوظ هذه الفتاة من دون الناس جميعا ؟ لمـاذا لم تكن فتاة جامعية اخرى ؟ !

في تقديري أن نجيب محفوظ بحرصه على هذا اللقاء بين احسان وبين محجوب انما يريد ان يقول شيئا ضروريـا عبرت عنه مصادفة هذا اللقاء ، يريد أن يجعله **قانونا تفرضه طبيعة الاشياء الاجتماعية . يريد ان يقول أن الكلمات الثورية وحدها لا تستطيع أن تنقذ فتاة مثل احسان من وهدة السقوط في الرذيلة**

لم يكن من همر على طه الا الكلمـــات الثورية وحدها ، كان دائما يقف من احسان حبيبته موقف المعلم . ولكن فلسفتــه لم تتخذ موقفا عمليا فعالا بعد ، ولهـــذا عجزت من انقاذ احســان . وفي مثل ذلك الاطار الاجتمـــاعي الفاســـد ، وفي مصر ظروفها الخاصـة من فاقة عائلية وعوز ؛ كان من الضروري أن تنزلق الى الرذيلة وان تلتقي بمحجوب هذا اللقاء الزوجي المشين . كان كلاهما في الحقيقة ضحيــة ، لفقره وطموحه ، وكان تلاقيهما المصادف معنى من معاني وحدة المصير وضرورته

وفي هذا المثال تلعب المصـــادفة دورا مزدوجا في بناء جانب هام من الهيكل العام للرواية وفي بنـــاء جانب هام كذلك من فلسفتها الاجتماعية كذلك !

٣ ـ نلمح في بناء الرواية بداية ارتباط وتفاعل بين الطبيعة الخارجيــة والاجواء النفسية للرواية ، وخاصة الجو النفسي لبطلها محجوب . فيكون مثلا شهر امشير بزعابيبه وعواطفه وبرودته هو الاطــار الخارجي لازمة من أشد ازماته النفسية كان يناسب فيها الشتاء العداء ، وستجد

غير المتوقع وإنما هى تعبير عن ضرورة شاملة !

هذا التوازى بين الحالة النفسية والحالة الطبيعية عنصرا بالغ الاهمية فى تعميق الاحساس الدرامى بل فى بناء كثير من الاحداث والمواقف فى رواياته كلها

٤ ـ يطل فى هذه الرواية عنصر سيكون لهاهمية بالغة كذلك فى بنائه الروائى فيما بعد . وسيكون محورا لكثير من الاحداث فى رواياته جميعا ذلك هو **النافذة .**

والنافذة فى ادب نجيب محفوظ قد تجدها امتدادا وتطويرا للدور الممتع الذى لعبته النافذة والشرفة فى رواية عودة الروح لتوفيق الحكيم ، ولكنها تتطور فى أدب نجيب محفوظ . وهى وان لم تكن لها فى هذه الرواية دلالة كبيرة معمقة كتلك التى ستتخذها فى الروايات الاخرى ، الا اننا نجد نقطة بدايتها فى هذه الرواية

انها تعبر فى الحقيقة عن امكانية مفتوحة للحوار مع الاخرين والالتقاء بهم . وسيتنوع بالطبع هذا الحوار وسيختلف من رواية الى اخرى

٥ ـ نجد فى بناء هذه الرواية بداية بروز للظاهرة الثنائية فى تركيب رواية نجيب محفوظ عامة . حقا قد نجد بعض الفرها فى المرحلة التاريخية السابقة الا انها تتخذ ابتداء من هذه الرواية وضعا اشد رسوخا ووضوحا . واعنى بها تلك الثنائية الفكرية بين رجل الايمان ورجل العلم ، رجل المثالية ورجل المادية فى هذه الرواية ، وما تفرضه هذه الثنائية فى الموقف الفكرى من تشكيل خاص لبناء الرواية

فهذه الرواية تبدأ بصراع فكرى اساسى بين مأمون وعلى طه ، وتنتهى صفحاتها الاخيرة بهذا الصراع كذلك ، وقد يتخذ هذا الصراع بين طرفى هذه الثنائية مظهرا هامشيا فى البناء العملى لهذه الرواية ، الا اننا مع تطور روايات نجيب محفوظ بعد ذلك سنجد دائما هذه الثنائية تمتزج بالبناء الاساسى لرواياته ، وتشكل عاملا اساسيا من عوامل هيكلها الفنى وفلسفتها الاجتماعية

ويكاد يكون عالم نجيب محفوظ يقوم دائما على هذه الثنائية ، وتكاد تكون المأساة فى هذا العالم هى فى الخروج عن واحد من طرفى هذه الثنائية . ولعل مأساة محجوب دليل على ذلك . ان مأساته نابعة من عدم اتساقه ، من عدم التزامه بطريق من الطريقين ، طريق الايمان او طريق العلم المادى

والغريب ان نجيب محفوظ يجعل من كلا الطريقين وسيلة من وسائل التنظيم الوجدانى والفكرى للحياة ، ورغم ما بينهما من تناقض ، فان مابينهما من التزام وارتباط بحتمية شاملة ، قدرية او موضوعية ، يكاد يوحد بينهما فى عالم نجيب محفوظ ، بين المثالية والمادية ، بين السماء والارض ، بين الدين والعلم لقاء خصب فى هذا العالم ستتبينه أكثر فأكثر كلما تعمقنا فى بقية رواياته

الا ان هذه الرواية كما ذكرت هى نقطة البداية الاولى فى ابراز هذه الثنائية التى ستواجهنا فى كل رواياته المقبلة ممتزجة اكثر فى المعمار الفنى نفسه لتلك الروايات

* * *

واذا كنا قد اطلنا نسبيا فى ابراز بعض معالم هذه الرواية ، فذلك لأن تلك الاطالة ستغنينا عن الوقوف كثيرا من بقية روايات هذه المرحلة ، باستثناء الثلاثية ولهذا سنكتفى بتأكيد بعض المعانى الاساسية فحسب . والحقيقة اننا رغم اعترافنا بالاطالة ، فلا تكاد هذه الكلمات على طولها أن تكفى فى رسم صورة الهيكل العام لتلك الرواية . ما أحوج كل رواية بدراسة مستقلة بذاتها . انى أكتفى هنا بتقديم بعض الخطوط العامة فحسب

خان الخليلى

واذا ماانتقلنا الى رواية خان الخليلى سنتبين فى بنائها بعض القسمات الاساسية التى ذكرناها عند حديثنا ـ الرواية السابقة : والرواية باختصار تصور اسرة

من البورجوازية الصغيرة تنتقل من السكاكينى الى حى الحسين هربا من الغارات . وتتحرك الرواية أساسا حول الابن الاكبر احمد عاكف الذى بلغ الاربعين من عمره ولكنه لم يتزوج ، لم تتضح رؤياه الاجتماعية والفكرية ، يعيش فى قوقعة من الخجل والتردد

ومن خلال النافذة يلتقى بنوال وتأخذ علاقاته بها فى النمو ، وبهذا تنفتح له فى حياته مرحلة جديدة ، لولا ان يتقدم اخوه الاصغر الموظف وسرعان مانتشأ بينه وبين الفتاة علاقة عاطفية تنتهى بالخطبة

الا أن الاخ الاصغر يمرض بمرض الصدر نتيجة لانهماكه فى المتع الحسية فتفسخ الخطبة بينه وبين فتاته لم يموت اخيرا

وتكاد تستشعر فى النهاية بداية خروج احمد عاكف من تردده وبداية حنينه الى تنمية علاقاته من جديد مع نوال . ولكن القصة لاتقف عند هذه الحدود الخارجية انها تزخر بالتسجيل الدقيق المتأنى لحياة الاسرة المصرية ، وتقاليدها وعاداتها فى مختلف المواسم والاعياد والالابسات الاجتماعية المختلفة وهى تزخر بالمناقشات الفكرية والفلسفية والاجتماعية

ان احمد عاكف بطل القصة نمط اخر للامنتمى كذلك ولكن على نحو يختلف عن عدم انتماء محجوب ، ذلك لانه عدم انتماء نابع من عجز وخجل وتردد

وفى مقابل أحمد عاكف نجد فى الرواية طرفا لثنائية متمثلا فى أحمد راشد . وهو صورة أخرى من صور على طه من الناحية الفكرية والعلمية والمادية ، وان اختلف معه شكلا ومزاجا . وأغلب الخلاف بينهما يحتدم عبر الرواية بين القديم والجديد ، بين الصوفية والعلم ، بين السلبية والايجابية والجمود والتغيير

وتنتهى الرواية ببداية تغيير يطرأ فى نفسية احمد عاكف . واحمد عاكف كما سنرى هو البداية الاولى لبناء شخصية كمال فى الثلاثية . ويتفق بناء هذه الرواية مع الرواية السابقة فى كثير من السمات كما رأينا :

١ ـ الثنائية بين عاكف وراشد ولعل فى التسمية نفسها رمزا لتلك الثنائية

٢ ـ تتحرك الرواية أساسا حول شخصية عاكف ولهذا تكاد تقتصر على ابراز الملامح الوجدانية الداخلية لهذه الشخصية مكتفية فيما يتعلق بالشخصيات الاخرى بالوصف والتحليل الخارجيين ولهذا يكاد يغلب على الرواية فى حركة بنائها طابع الاتجاه الواحد كذلك

كفاح طيبة .. واشارات رمزية



٣ ـ تتحرك الرواية في اطار زمني محدد دقيق لا في حدود الفصول ، او الاشهر فحسب بل تتحدد بعض الاحداث باليوم والشهر والعام كذلك . فاحد ايام العيد هو من الايام الاولى من يناير عام ١٩٤٢ . وشقيق احمد عاكف تنتهي اجازته المرضية بالدقة في يوم ٣٠ مايو عام ١٩٤٢ . وعندما تتابع مرضه تتابعه يوما يوما وشهرا شهرا

٤ ـ تزدحم الرواية بالتحليل والتفصيل الدقيق لكل شيء ، والمتابعة المتأنية لحركة الاحداث والمواقف . صفحات تمتليء بوصف محطة السكة الحديد وانتظار الشقيق هناك ، وحركة المسافرين . وصفحات كذلك تمتليء بتفاصيل المرض والصحة . وهكذا . والى جانب هذا الوصف التفصيلي الدقيق لحركة الاشياء تمتليء كذلك بما يشبه التسجيل الدقيق لصور من عاداتنا ومظاهر تقاليدنا الشعبية وافاتي تلك الفترة ، فضلا عن تحليلها وتفسيرها المتأني لنفسية أحمد عاكف ومتابعة وجدانه وفكره في ازماتها ومواقفهما المختلفة

الرواية مثقلة بالفعل بالاتجاه الطبيعي في تصوير المواقف والاحداث والاشخاص

٥ ـ تبرز المصادفة كذلك كتعبير رمزي للانتظام بين الاشياء . فنوال تبتسم لاحمد عاكف أول مرة في يوم ليلة القدر ، ويتم فصل اخيه رشدي يوم امتحان نوال ، وتتألق رائحة نتنة لكلب ميت في الحارة ايذانا بموت رشدي الذي يموت فعلا بعد ذلك بقليل او اثناء ذلك . وهكذا

٦ ـ يبرز الشباك كوسيلة للتعرف والحوار والتطلع الى الاخرين والحب . كما يبرز معه عنصر اخر سيكون له دوره المتنوع في بقية الروايات كذلك هو السطح . والسطح في هذه الرواية رؤيا شاملة على الافق وفرصة للحديث الغرامي الخاطف . وهو في الروايات الاخرى مجال لتربية الزهور ، او لتربية الطيور أو للاحاديث الغرامية ، أو للاغتصاب الجنسي او للعبور الى جريمة قتل كما سنرى .

٧ ـ السرد القصصي والحوار مازال يغلب عليه طابع الرصانة العقلية والمنطق المدروس ، ولا يكاد ينبض بحرارة الوجدان الخاص الا عند بعض الشخصيات الثانوية

٨ ـ بهذه الرواية تبدأ رحلة نجيب محفوظ الى منطقة جغرافية واجتماعية هي حي سيدنا الحسين والجمالية والدراسة وستقيم بها طويلا خلال اكثر من رواية له . وتشارك الطبيعة الخاصة لهذه المنطقة الجغرافية والاجتماعية ، كما تشارك عزلتها وانقطاعها عن حركة العالم ، في تغذية المأساة العامة في تلك الروايات وتحديد معالم كثير من انماطها وشخصياتها واحداثها كذلك

زقاق المدق

ولعل رواية زقاق المدق من اكثر الروايات عمقا في التعبير عن المأساة النابعة من الطبيعة الجغرافية والاجتماعية لتلك المنطقة كما سنرى . واعتقد انه قد آن الاوان ان ننتقل كذلك الى هذه الرواية

وزقاق المدق تعتبر خطوة غاية في النضج في بناء روايات نجيب محفوظ . وستجد فيها بقايا من الروايات السابقة ولكننا سنجد فيها كذلك انتصارات معمارية وفكرية جديدة ..

***

اما التأثيرات السابقة فنتبينها في الامور الاتية :

١ ـ ان حميدة بطلة هذه الرواية هي صورة اخرى في الحقيقة من محجوب يحركها كذلك الطموح والفقر . أراد هو أن يخرج من اطار حياته الضيقة بأي ثمن ، وأرادت هي كذلك ان تخرج من اطار زقاقها الضيق بأي ثمن ، فاصبح هو قوادا واصبحت هي عاهرة . ومن شباكها المرتفع تطل على عالم الزقاق في ضيق واشمئزاز وتتطلع الى بعيد

٢ ـ الثنائية تتصل في هذه الرواية كذلك ولكنها اكثر امتزاجا باحداث الرواية وحركتها الداخلية . وتقوم الثنائية اساسا بين حميدة رمزا للتمرد وعدم الرضى والطموح وبين السيد الحسيني رمز الرضى بالقضاء والقدر . ولكل منهما رحلة الى خارج الزقاق هي الى حانات الانجليز وهو الى بيت الله في مكة . وقد تختلف طبيعة الثنائية هنا عن طبيعتها مثلا بين مأمون وعلي طه او بين علي عاكف وعلي راشد ولكنها في الحقيقة ثنائية اساسية من ثنائيات العلاقات البشرية والبناء الفني في روايات نجيب محفوظ وهي تنوع وتفريع

على الموضوع الاصلى كما يقال

٤ ـ الصدفة مازال تلعب دورا كبيرا فى بناء الاحداث وتوجيهها وفلسفتها .

٥ ـ مايزال التحليل والتفسير النفسى الدقيق المستانى طابعا غالبا فى بناء اغلب الشخصيات وفى متابعة الاحداث والمواقف وينعكس على اللغة سواء أكانت لغة السرد أم لغة الحوار ، فيطبعها بطابع التحليل والتعقل

❋ ❋ ❋

ولكن الى جانب هذه القسمات التى تكاد تشترك فيها مع الرواية السابقة فانها تتميز بمميزات جديدة منها :

١ ـ لاتكاد نحس بالتسلسل التاريخى فى بنائها . بل التشعب والتعدد الجاهات التنمية لاحداثها وشخصياتها المختلفة .

٢ ـ رغم ان الرواية تكاد تتركز على متابعة الوجدان الداخلى لحميدة من تمردها على الزقاق وتطلعها الى حياة ارحب وافسح ، الا انها تتعمق كذلك المشاعر الداخلية لكثير من الشخصيات الاخرى بل وتنجح فى بناء اكثر من نمط اجتماعى متكامل

٣ ـ يتخذ بناء الرواية من الناحية الخارجية اطارا مختلفا وجديدا ، وهو اطار خارجى ولكنه تابع كذلك من الفلسفة العميقة للرواية . ويقوم هذا الاطار أساسا **على التقابل والصدام بين الزقاق المحدود وبين العالم الكبير غير المحدود ومن هذا التقابل والصدام تتحرك مأساة الرواية**

فالزقاق رغم ضيقه ، ورغم مايمتلىء به من فقر وعوز ، الا انه هادىء محدود الرذائل . ثم لا يلبث العالم الكبير ان يقبل عليه فى اشكال متنوعة ، مرة عن طريق الاورنس الانجليزى كقوة جاذبة تغرى بالكسب ومرة أخرى من طريق مواكب الانتخابات التى يأتى معها القواد فرج ابراهيم الذى يقود حميدة الى عالم الدعارة

والزقاق يخرج الى العالم الخارجى فى اشكال ثلاثة : الى الحج والى العمل والى الدعارة

والشكل الاول والثانى ليس خروجا من الزقاق وانما هو توثيق للرابطة بالزقاق . فالحاج الحسينى يعود من حجه لينشر الرضى والمحبة والاستقرار ، وعباس الحلو وحسين اللذان ذهبا للعمل فى اورنس الجيش الانجليزى ، انما ذهبا بحثا عن مال يوطدان به حياتهما وخاصة عباس الحلو الذى عاد من العمل بشبكة ذهبية لحميدة ولكنه وجدها قد خرجت من الزقاق . حميدة هى وحدها التى خرجت على الزقاق ، بتمردها عليه وطموحها الى شىء أكبر منه . حقا قد يشاركها هذا الى حد كبير حسين كرشة ابن المعلم كرشة صاحب القهوة فى الزقاق ، ولكنه سرعان مايرتبط ارتباطات اجتماعية تفرض عليه العودة الى الزقاق والاستقرار فيه . هى وحدها التى تمردت ، وخرجت منه لم تخرج من مجرد منام الى يقظة صاخبة ، من زقاق ضيق الى ميدان فسيح ، وانما خرجت من زقاق المدق ، لتلتقى مع عالم الحرب العالمية الثانية بكل مالمعنى من قيم ومغامرات

وعبقرية الرواية تكمن فى هذا الصدام بين زقاق المدق والحرب العالمية الثانية . ومن هذا الصدام يتفجر المعنى اللااخلاقى للحرب وترف قيم السلام

ان حميدة تذهب وتواصل حياتها بين الحانات ، ويذهب اليها عباس ليعيدها الى الزقاق ، ولكنه يصطدم بالحرب العالمية الثانية اصطداما مميتا فى معركة عنيفة مع الجنود الانجليز . ويموت عباس الحلو .. وتواصل حميدة طريقها ، ويواصل الزقاق كذلك حياته ، حياة العمل والاشواق المتجددة ، وتطلع الاجيال الجديدة

السراب ..!

ومن زقاق المدق ننتقل الى رواية اخرى هى السراب . ويعض النقاد يخرجها من التسلسل الطبيعى لتطور الرواية عند نجيب محفوظ بل يعتبرها غريبة وشاذة بين اتجاهه الروائى . **ولكن الحقيقة ان السراب استمرار وامتداد طبيعى لكل تلك المرحلة السابقة انها بعد من أبعادها ، سواء فى فكرتها او بنائها الفنى . بل تكاد هذه الرواية أن تكون وجها آخر لتجربة زقاق المدق**

انها تقدم نموذجا مناقضا معكوسا لحميدة بطلة الزقاق . ففى مقابل طموحها وتمردها وتمردها نجد كامل رؤبة لاظ بطل



حميدة .. تمردت على الزقاق

السراب في تردده وجبنه وخجله وعجزه وتلعثمه وانكماشه

واذا كانت رواية زقاق المدق خروجا من الزقاق المحدود الى العالم الواسع الرهيب بل واصطداما بالحرب العالمية الثانية ، فان السراب انسحاب من العالم الواسع الرهيب لا الى شارع او زقاق وانما الى داخل النفس ، الى باطنها الخبيء الجبان

والسراب تقدم نموذجا للعجز «العجز الجنسى» ، والعجز من التكيف الاجتماعي والعجز من المشاركة الانسانية العامة ، والعجز من التعليم

وتنفرد هذه الرواية بنموذج واحد هو كامل رؤبة لاظ معبرة عن وجدانه الباطن وتجربته العاجزة . ولهذا نجد في بناء الرواية كذلك التسلسل ذا الاتجاه الواحد ، سواء أكان الى الماضى مع الذكريات أم الى المستقبل مع حركة الاحداث ونموها في اتجاه واحد هو نمو وجدانه السقيم

والرواية تكاد تكون وثيقة نفسية حية لتجربة عقدة أوديب . فكامل رؤبة لاظ يعيش مع امه ولا يكاد يفارق احضانها او سريرها او غرفتها حتى بعد ان بلغ سن الرجال . والعلاقة بينهما تختلط بكثير من الاحاسيس الجنسية . لفترة طويلة من طفولته كانا يستحمان معا ، وكان يأخذ الصابون من جسدها ليضعه فوق جسده ، وكانت تحمله على كتفيها وتدور به البيت كله ، وهى تتزين له دائما عند عودته من عمله .. الخ .. اما ابوه فهو يعيش بعيدا غارقا في خمره ، معزولا عن العالم أجمع

وعندما يتزوج كامل رؤبة لاظ يعجز من المعاشرة الجنسية ، ويعود الى ما كان قد انقطع عنه من ممارسته للعادة السرية والتطلع الى الخادمات الدميمات . ويشك في زوجته ، ويأخذ في مراقبتها ، وخلال ذلك يبصر في غرفة من الشرفات بامرأة دميمة الوجه ، لحيمة الجسم ، وتنشأ بينهما علاقة جنسية ناجحة

لم يكتشف خيانة زوجته له عندما تموت نتيجة عملية اجهاض . وتتسم الرواية بكثير من السمات العامة التى وجدناها في الروايات السابقة . الا ان الطابع النفسى الانعزالى الخالص لطبيعة النمط الرئيسى للرواية يفرض عليها بعض السمات الخاصة . فرغم الحركة النامية في اتجاه واحد ، الا اننا نفتقد تماما الاحساس بالزمن الدقيق ، قد نعرف العام الذى تتحرك فيه الاحداث وقد يبرز شهر اكتوبر كشهر لعودة المدارس ليبصر كامل رؤبة بالفتاة التى احبها ولكن الزمن مفقود في الرواية اللهم الا بالاحساس بالماضى كتجربة وجدانية عامة ، ولكن التحديد الزمنى الدقيق الذى نجده في الروايات الاخرى نفتقده في هذه الرواية

وهذا أمر طبيعى نابع من طبيعتها النفسية الاستبطانية . كما نفتقد في الرواية الاحساس بالاطار الاجتماعى او السياسى الذى نجده في كل الروايات الاخرى

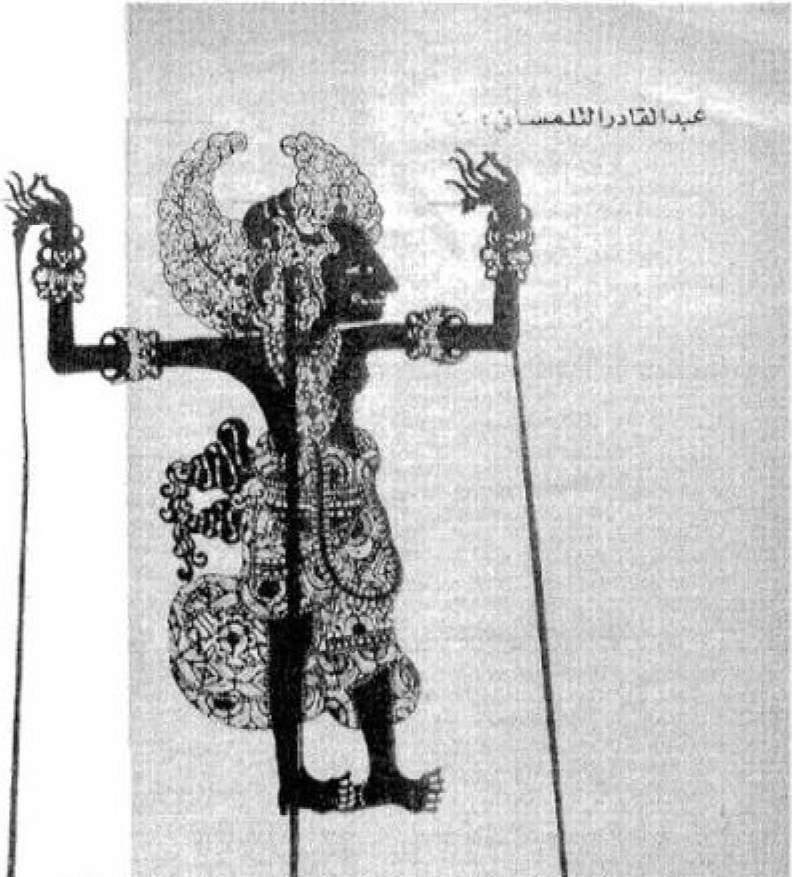
وهذا امر طبيعى كذلك نابع من الطبيعة المنعزلة للوجدان الاساسى للرواية . الا ان هذا الطابع النفسى الخاص للرواية اضفى على لغتها ايقاعا شعريا هو بغير شك ثمرة الحديث الذاتى والافضاء الوجدانى

ونخلص من هذا الى ان وحدة الرواية تكاد تنبع أساسا من الوحدة الرائعة لمنطق النفس ، لا من منطق أحداثها ووقائعها

وما ان ننتهى من السراب حتى نواجه العملين الآخرين من هذه المرحلة الاجتماعية ، وهما « بداية ونهاية » و « الثلاثية »

وارجو ان يكون موضوع حديثنا القادم

عبدالقادر التلمساني



خيال الظل في جاوة

قصة

خيال الظل

ان فن خيال الظل ـ او « ظل الخيال » كما يسميه البعض ـ نجده في كل الحضارات على اختـــلاف اشكالها - وهو يكون فصلا مهمـا من فصول المسرح · ويحتل مثله مكانا مرموقا في الطقوس الدينية لبعض بلاد الشرق الاقصى

ويتبع « خيال الظل » في طريقة تحريكه فن العرائس او الماريونيت وهو ايضا جزء من الفنون الشعبية (الفولكلور) ويتبع كذلك الفـن السينمائي لشاشته البيضاء التي تظهر عليها خيالاته . وللاضاءة التي تخلقه - ولقد اخترع المخايلون او لاعبو خيال الظل قبل المخرجين السينمائيين بكثير ما نسميه اليوم بلغة السينما اللقطات المختلفـة والمتحركة (الترافيلينج) Travelling والمزج والاختفاء

ويرى بعض الباحثين ان الوطن الاول « لخيال الظل » هـو بلاد الهند · وان اقدم اصوص عرضت له هي تلك التي تسمـى باغاني الراهبات ، فقد جاء ضمنها حوار بين احدى الراهبـات البوذيات وشخص يراودها عن نفسها فتقول له : « انك تتدفع ايهـا الاعمى وتتكالب على لاشىء · انك تتهالك على شجرة ذهبية رايتها في حلم جميل · انك تجلس مع جموع الناس الغفيرة لتشاهد « خيال الظل » .

غير ان هنـاك فريقا اخر من العلماء والباحثين يذهب الى انـه طبقا للآراء المتواترة تعتبر الصين الوطن الاول لخيال الظل حتى ان تسمية هذه اللعبة بالظلال الصينية قد جرت في اوربا لوقت طويل ·· ومن المرجح ـ كمـا يقول الاستاذ ابراهيم حمادة في كتـابه الممتع « خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال » ان البلاد الصينية كانت مركـز زحف حركة خيال الظل فمن حدودها استقبله جيرانها الذين سلموه الى القبائل التركيـة الشرقيـة التى سربته بدورها الى فارس في العالم العربي في الشرق الاوسط وتلقفته مصر لتذيعه في شمال افريقيا



صـورة سيلويت من فرنـسـا في القرن ١٩

يقال انه فى القرن الاول قبل الميلاد كان يعرض على الامبراطور ووتى WUTI ظل محبوبته المفضلة فى اثناء الاحتفالات التذكارية لموتها وكان يقال للامبراطور بأن ذلك الظل هو روحها . وحينما اكتشف الامبراطور الخدعة اعدم الكاهن الذى كان يشرف على تنفيذها .

وبتتابع الايام أمكن استغلال الظل كشكل تمثيل ترفيهى

والمؤكد ان من خيال الظل كان فنا شعبيا فى الصين منذ القرن الحادى عشر الميلادى . ولم يظهر فى بقية آسيا الا فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر

وتمتاز عرائس الظلال الصينية بصغر حجمها وتنوع الوانها وسهولة تحريكها ويرتفع طولها نحو ثلاثين سنتيمترا . وهى مقصوصة من جلد رقيق وشفاف . ويستعملون فى الصين الشمالية جلود الحمير وفى الصين الجنوبية يستعملون جلود الخراف .. وتتكون العرائس (السلويت) من قطع عديدة تتصل فيما بينها وتلون بالوان شفافة ثم تطلى بطلاء معين يكفل لها الصلابة ويحفظها من التلف . وتوجد المفاصل فى الاكتاف والمرفق والايدى وفى الوسط وفى الارداف حيث تتصل بها أرجل تتكون كل واحدة منها من قطعة واحدة والعصا الرئيسية التى يستعملها اللاعب تتصل مباشرة برأس الدمية والعصا الثانية تتصل بمفصل اليد ـ بالرسغ ـ وقد توجد احيانا عصا ثالثة لتحريك الذراع الاخرى

وتتكون الشاشة من قماش مفرود على اطار من البامبو . ويوجد منبع الضوء (وهو مشكاة من الزيت) فوق رأس اللاعبين . وتلتصق السلويت بالشاشة ، وتكون معها العصى التى تحركها زاوية من ثلاثين الى خمسة وأربعين درجة . وهكذا تظهر الظلال من الجانب الاخر من الشاشة شفافة وملونة

وتستوحى تمثيلات مسرح الظلال الصيني موضوعاتها من الادب الشعبى (الفولكلور) وكانت فيما مضى تستوحى الطقوس الدينية والسحر والخرافات . وتحاول الحكومة الشعبية الصينية اليوم ان تعيد الحياة الى مسرح الظلال التى يمثل بالنسبة للبلاد كنزا لايقدر بثمن فى ميدان الثقافة الوطنية

خيال الظل فى جاوه

اشتهرت جزيرة جاوة ـ احدى جزر أندونيسيا ـ بفن المخايلة فى العصر القديم .. ويرى مؤلف كتاب « مسارح الظلال » Denis Bordat and Francis Boucrot أن عرائس جاوة يتراوح أطوالها بين ٣٠ و ٨٠ سنتيمترا تبعا لاهمية الشخصية - وأصغر الدمى هى للبشر وللآلهة . وأكبرها للأرواح الشيطانية . وتقص العرائس من جلد الجاموس وتنقش بنقوش زخرفية ملونة لها دلالات رمزية وتتماسك اجزاؤها بقطع من الخشب لتصبح صلبة وتربط الى



« غراميات جندى »
مسرحية من خيال الظل

كل يد تحا تحركها . ويدور اللاعب هنا ويسمونه « دالانج » Dalang له أهمية كبرى ... وهو محترم من الجميع لأنه الشخص الذى يحفظ التقاليد الدينية والاساطير القديمة وهو يدعى الى كل البيوت فى المناسبات الهامة والاحتفالات العائلية . وتعود هيبته أيضا لواهبه كرجل كامل .. والحق أن دالانج هو فى نفس الوقت واعظ دينى وفيلسوف . شاعر وخطيب . مؤلف موسيقى ومغنى . رئيس اوركستر وعازف وهو أيضا مخرج وريجيسير

والفن الجاوى فى جاوة طابع دينى .. ولا يستغل هذا الفن استغلالا تجاريا .. وانما نرى دالانا فى كل بيت غنى . واحيانا فى البيوت الفقيرة مكانا مخصصا لالعاب الخيال . أو العايل . وهو يستطيع أن ينصت فيه شاشة البيضاء . وقد يستمر العرض احيانا من التاسعة مساء حتى التاسعة صباحا .. واللاعب يجلس القرفصاء خلف الشاشة البيضاء وفوق رأسه تتدلى مشكاة من الزيت . ويلعب « الدالانج » مقدمة على الآلات الموسيقية بينما يظهر على الشاشة ظل غير واضح المعالم Flou يعلن بدء البرنامج .. وهذا الظل نفسه هو الذى يظهر فيما بعد وسط الشاشة لكى يعلن انتهاء البرنامج . ويستعمل نفس الظل أيضا فى اثناء اللعب كى يشعر المتفرجين بالمواقف الدرامية الهامة ويلفت اليها النظر ويؤكدها

ويستوحى مسرح جاوة للظلال موضوعاته من الملحمة الهندية الكبيرة « ماهابهاراتا » Maha Bharata ذلك القصيد الرهيب الشبيه الذى يحتل بالنسبة للشعوب الهندية سواء من وجهة النظر الادبية او الدينية والاسطورية . نفس المكانة التى تحتلها الالياذة فى اليونان القديمة .. وهو يصور الصراع الكبير الذى خاضه الاخوة الخمسة أبناء الملك باندوميل Pandomul ضد الشياطين المائة

خيال الظل فى تركيا

وبطل خيال الظل التركى هو القراجوز

من شخصيات خيال الظل الهندى القديم



Karagoz (أو ما تسميه في مصر الاراجوز وهو اسم أرق وأحلى)

وعرائس مسرح الظلال التركي تتراوح أطوالهـــا بين ٢٠ و ٣٠ سنتيمترا وهي مصنوعة من جلد رقيق ولها مفاصل في الوسط وفي الارجل وأحيانا في الذراع وهي ملونة بألوان شفافة تحركها عصاة أو اثنتان طولها نصف متر تقريبا ومثبتة في العروسة عموديا

ويصف الكاتب التركي صبري عزت في كتيب أنيق نشر في اسـتانبول عام ٥٦ مسرح الظلال التركي بقوله :

كان القراقوز بالنسبة لنا ونحن اطفال من كبرى العجائب . وكان يملؤنا غبطة وسعادة حينما كان يأتي ليقيم طوال شهر رمضان كله في احدى مقاهي حينا . وكان كل اطفال الحي العقلاء يجلسون في ادب على مقاعد صغيرة ، تطفح وجوههم بالنشوة ومع ذلك يحتفظون بمظهر عادي، وينتظرون في صبر وعيونهم معلقة بالشاشة السحرية وكان صبي المقهى يقدم لنـــا كل انواع المثلجات أو قطع اللوكوم بينما الكبـــار يرشفون القهوة بتؤدة او يدخنون النرجيلة في هدوء . واخيرا ترتفع الســـتار عن الشاشة البيضاء في ضوضاء غريبة يتبعها بعد قليل اغنية حب..وكانت هذه الاغنية تعلن عادة عن ظهور حافظ Hacivad صديق القاراقوز المخلص .. »

ولكن ماذا كان في الاصـــل القراقوز وصاحبه ؟

يقال ان الاول كان حدادا وكان الثاني بناء .. وكانا يعيشان في القرن الرابع عشر الميلادي وقد عملا يوما في بناء أحد المساجد فكانا يسليان زملاءهما في العمل بحكايات مرحة . ويبدو أن العمل قد تأثر بذلك فقد انصرف العمـــال الى القراقوز وصاحبه . وعلم السلطان بذلك فأمر بقطع رأسيهما . ولكنه عاد فندم على فعلتـــه ولم يغمض له جفن بعد ذلك .. ولاعادة الطمأنينة الى نفسه أعاد أحد أتباعه الحياة الى القراقوز وصاحبه في مسرح الظلال !

وقد تطور مسرح الظـــلال التركي وبدأ حوالي عام ١٨٤٠ في اثراء برامجه بالاستعانة بأعمال اجنبية تطـــابق ضروراته وتلائم شخصياته المختلفة . وقد لعب القـــراقوز التركي عدة مسرحيات للكاتب المسرحي الفرنسي الـــكبير موليير وعلى الخصوص مسرحيات « البخيل » و « مقالب سكابان » و « تارتيف » .

ويمثل القراقوز الروح الشعبية التي تصطدم دائما بالسلطات وتنتهي بالانتصار عليها . انه صريع العبارة يتحدى دائما الظلم والسيف وحبل المشنقة !

ويروى الفرنسيون انه ابان الغـــزو الفرنسي للجزائر (عام ١٨٣٠) كان يوجد

القراجوز .. وحافظ
خيـال الظل التركي



نوع من القراقوز في مسرح صغير بمدينة الجزائر . ولكن تعليقاته على الاحتلال الفرنسي أصبحت عنيفة ومسمومة مما دفع سلطات الاحتلال الى منع عرضه نهائيا!

مسرح سيرافان في فرنسا

يرجع تاريخ فن خيال الظل في فرنسا الى القرن الثامن عشر وقد مهد له فن آخر يسمى بالسيلويت

وهي طريقة قص الورق الاسود وتكوين اشكال فنية منه بلصقها على ورق أبيض.. ويقال ان مراقبا ماليا بخيلا كان قد أثار حوله عداوة شديدة في القصر الملكي مما دفع اعداءه الى قص صور جانبية له بصورة ساخرة وباعداد وفيرة .. وكان اسم ذلك المراقب هو « سيلويت » .. ومنذ ذلك الحين اصبح هذا الاسم دلالة على كل صورة بلون واحد تظهر خطوطها الجانبية فقط بلصق الصورة على خلفية من لون آخر

كذلك يرجع فن خيال الظل الفرنسي الى **الفانوس السحري** الذي اخترعه في النصف الثاني من القرن السابع عشر الاب اثاناس كيرشير Athanase Kircher في المانيا والاب دى شال De Chale في فرنسا . وقد شغف القرن الثامن عشر الفرنسي بعروض الفانوس السحري والظلال الانسانية أو السيلويت . وانتشر مسرح الصالونات في البيوت الباريسية ، وكانوا يستبدلون ستار المسرح بقماش أبيض مشدود يلعب الممثلون خلفه ومن ورائهم منبع ضوئي فتنعكس ظلالهم على الشاشة البيضاء .

وقد مهد مسرح الظلال الانسانية الطريق لظهور اشهر مسارح الظلال الفرنسية وهو مسرح سيرافان Séraphin الذى استمر حوالى المائة عام

وقد بدأ دومينيك سيرافان مسرحه عام ١٧٧٢ في فرساي . وقدم العابه في القصر الملكي .. ونال نجاحا هائلا مما دفعه الى الانتقال الى باريس عام ١٧٨٤



بورتريه لسيرافان ..
من رواد مسرح الظل الفرنسي ..

وافتتح مسرحا في الباليه رويال – حى الشوق والمسرح في ذلك الوقت . واستمر النجاح حليفه حتى جاءت الثورة الفرنسية ولم يتوقف سيرافان عن نشاطه وانما غير ببساطة اسم مسرحه وعناوين مسرحياته.. كما كتب عدة مسرحيات عن احداث الساعة مثل « **الصيدل الوطني** » و « **سقوط العرش** » وقد توفى سيرافان عام ١٨٠٠ وترك خلفه ثروة من مسرحيات خيال الظل .. وقد استمر مسرحه من بعده ينتقل من مدير الى آخر .

وفي مطالع هذا القرن رأينا في فرنسا مسرح خيال الظل ينتعش من جديد في **حى مونمارتر** وفى ملهى **القط الاسود** Le Chat Noir على وجه التحديد وقد تطور هذا الفن من الناحيتين الفنية والالية .. كذلك استعمل «**مارسيل مارسو**» في مسرحه البانتوميم فن الظلال الانسانية

خيال الظل في مصر

وخيال الظل فن عربي قديم وقد عرفته مصر في العصر الفاطمي . وحظى هذا الفن باقبال الناس على مشاهدته اقبالا شديدا وبلغ من رعاية الفاطميين لاصحاب هذا الفن

انهم كانوا يستاجرونهم للترفيه عن المرضى في المستشفيات ولاضحاك الجنود في ثكناتهم

وذكر المؤرخ ابن اياس في حوادث عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) ما نصه :

وفيه اشيع ان السلطان سليم شاه لما كان بالقياس احضر في بعض الليالي (خيال الظل) فلما جلس للفرجة قيل ان الخايل صنع صفة باب زويلة ، وصفة السلطان طومان باى لما شنق نفسه عليه وقطع به الحبل مرتين ، فانشرح ابن عثمان لذلك وانعم على الخايل في تلك الليلة بثمانين دينارا وخلع عليه قفطانا مخملا مذهبا وقال له : اذا سافرنا الى اسطنبول فامض معنا حتى يتفرج ابنى عليك

* * *

كذلك ينسب للامام الشافعى انه قال :

رايت خيال الظل اكبر عبرة
لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوص واشباح تمر وتنقضى
وتفنى جميعا والمحرك باقى

وقد ازدهر فن خيال الظل في مصر في القرن الثالث عشر الميلادى في عصر المماليك ومن اشهر مؤلفيه في ذلك الوقت الحكيم **شمس الدين بن دانيال** الموصلى المولد والذى هاجر الى مصر عقب الغزو التترى للعراق . وفي مصر احترف الخايلة وتولى عل الكتابة لها

ويقول الاستاذ ابراهيم حماده في كتابه عن ابن دانيال انه **كان مع ظرفه وخفة روحه خليعا مسرفا في لهوه ومجونه مشتغلا في ممارسة اللذائذ الحسية على كل صورها مما كان يعرضه للخسارة والازمات المادية والنفسية التى عبر عنها تعبيرا شعريا لم يخل من مهارة وذوق واحساس**

وامتاز ابن دانيال في كثير من شعره بروح مرحة ودعابة خفيفة واشتهر بالظرف وسرعة البديهة والسخرية اللاذعة والتعليق المتهكم الماجن والفكاهة الجارحة .. وقد اشتهرت دعاباته ومفارقاته وشاع امره بين سراة مصر ووجهائها مما فتح الباب امامه للوصول الى الحكام والملوك فانعموا عليه بالمال وعاش عمره الاخير الذى انتهى عام ١٣١١ هانئا ناعما

سيلويت لمسرح سيرافان



ولم يشتهر ابن دانيال بغير كتابه المخطوط « **طيف الخيال** » ويحوى «باباته» - اى تمثيلياته - الثلاث : «**طيف الخيال**» و « **عجيب وغريب** » و « **المتيم والضائع اليتيم** » ومسرحية طيف الخيال صورة واقعية لمجتمعنا في القرن الثالث عشر الميلادى تؤرخ في بدايتها للحركة الاخلاقية الاصلاحية التى احدثها **الظاهر بيبرس** وتصف انهزام الوان عديدة من اللهو والمنكر وكانت سوقها رائجة في ذلك الوقت

* * *

وقد ظل « خيال الظل » في مصر رائجا حتى اوائل هذا القرن .. « **وكانت له سوق نافعة في الاعراس -كما يقول العلامة المحقق احمد تيمور باشا المتوفى عام ١٩٣٠- قل ان يقام عرس لا يلعب الخيال في**

احد لياليه ، وكانت له مقاهي يلعب فيها الى ان اخترعت السينما وكثرت اماكن عرضها في مصر فاكب الناس عليها وهجروا اماكن الخيال فابطلت واختصر على اللعب به في الاعراس على قلة فيها ندرس من المشتغلين به وكاد يندرس فيها ندرس من الاشياء القديمة . وآخر من ادركناه ليما بالفن على الطريقة القديمة مع الاجادة في تحرير الازجال والفنان مسود الشخوص الحاج حسن القشاش ثم قام من بعده ولده الاسطى درويش ..

ويصف احمد تيمور مسرح خيال الظل المصري كما رآه بقوله

« كانوا يتخذون له بيتا مربعا يقام بروافد من الخشب ، ويكسى بالخيش او نحوه من الجهات الثلاث ويسدل على الوجه الرابع ستراً ابيض يشد من جهاته الاربع شدا محكما على الاخشاب وفيه يكون ظهور الشخوص ، فاذا اظلم الليل دخل اللاعبون هذا البيت ويكونون خمسة في العادة منهم غلام يقلد النساء وآخر حسن الصوت للغناء فاذا ارادوا اللعب اشعلوا نارا قوامها القطن والزيت تكون بين اللاعبين وبين الشخوص ويحرك الشخص بعودين دقيقين من خشب الزان يمسك اللاعب كل واحد بيد ، فيحرك بهما الشخص على ما يريد . وتتخذ الشخوص من جلود البقر ، ثم يصبغونها بالاصباغ على ما تقتضيه الوان الوجوه والثياب واجسام الحيوان وجذوع الاشجار واوراقها وانمارها واحجار المباني غير ذلك بحيث اذا عرضت « الصورة » امام ضوء النار المشتعلة ظهرت زاهية بهية لشفوف تلك الجلود »

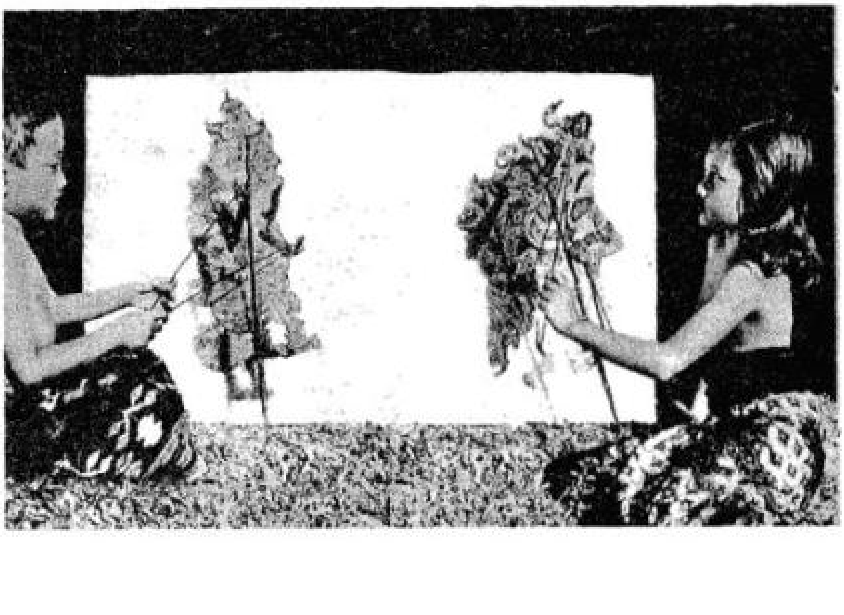
* * *

وبعد

ان فن خيال الظل فن انساني عالمي عرفته الحضارات القديمة والحديثة على اختلافهما ، ومرت عليه فترات كثيرة ازدهر فيها ، واخرى غاب فيها عن الوجود وكاد أن يندثر

ويجمل بنا اليوم ، ونحن على ابواب نهضة فنية عربية شاملة ان نعيد الى هذا الفن الشعبي مجده القديم .. وان نعيد في عروقه دماء الحياة من جديد ليشارك بدوره في اثراء حياتنا الفنية والروحية جميعا

العاب خيال الظل يمارسها الاطفال في اندونيسيا





اغراء مارينا فالدى .. وبراءة اودرى هيبورن
للمصور فيليب هلسمان ـ بريطانيا

الروح و الصورة

مجموعة نادرة من الصور التقطتها عدسات التصوير ، وفازت بالجوائز الاولى في معرض التصوير الدولى . وهذه الصور لو دققت النظر فيها ، فانك سترى بوضوح أن فن التصوير لم يعد يركز كاميراته على الوجه لابراز ما فيه من قسمات وتعبيرات انه يأخذ الانسان أو المنظر ككل .. ومن خلال ذلك تبرز بوضوح الروح ، والحيوية والتأثير المطلوب



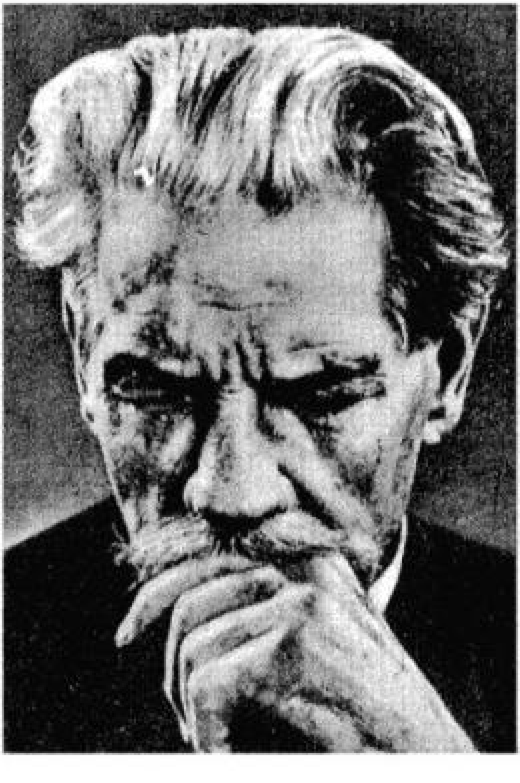
عاصفة
للمصور كورنل كابا ـ الولايات المتحدة



.. وعاصفة
للمصور نيجوين ماتها دان ـ فيتنام



شتاينبك
للمصـور يوسف
كارش - كنـدا



دكتور شفيتزر
للمصـور يوسف
كارش - كنـدا

الروح
والصورة



حذاء ادلاي ستيفنسون
للمصور ويليام جاليغر ـ الولايات المتحدة



سعادة .. ووحدة
للمصور جارج كلاج ـ سويسرا



عبد الوهاب البياتي



– ١ –

بدم القلب ، بطاقات الرماد

كتبت

أين [illegible] السندباد

[illegible] زاد المعاد

آه لو أحرقت أشعاري

وأغرقت الليالي بالمداد

لكتبت مرة أخرى

بطاقات الرماد

بدم القلب ، وأطعمت القوافي للجراد

– ٢ –

صنعت لليلى الجراح

ومثل [illegible] كمن ييبس فوق السلاح

أين من يمكث في الأفق النباح ؟

أين من يصدق في [illegible] المخانيث

[illegible]

[illegible] قناديل الصباح

[illegible] بطاقاتي جناح

[illegible] في أفق الجراح

— ٣ —

البحيرات وضوضاء الليالى والجبال

والمخانيث وأشباه الرجال

قطعوا الدرب علينا

أغلقوا باب المحال

أيها الفارس ، يا منتعل البرق ، تعال !

ان لى بيتا على خضر التلال

خلعت أبوابه الريح ، وأبقته على الدهر سؤال

أيها الفارس ، من أعماق ليل الموت والصمت ، تعال !

فأنا ألتهب الليلة كالشمعة فى صمت الظلال

— ٤ —

دقت الساعات فى قلب الضباب

نبحت عبر الميادين الكلاب

وأنا أدفن رأسى فى كتاب

أبدا أسمعك الليلة عبر ألف باب

أبدا تنعب فى الأرض الخراب

أبدا تأكل من لحمى

وتستلقى على صدرى اضطراب

أيها المستنقع الآسن ، يا صوت الغراب

قدمى غاصت بأوحالك

يا صوت الغراب



أين أمضى ؟ وطنى ناء ، وكفاك على رأسى تراب
أين أمضى ؟ فارسى مات على أبواب بغداد سراب
يا غراب البين ، لا تتعب
فأيامى رحيل واغتراب

— ٥ —

صوت أطفالى نصال
نفذت فى القلب ، قالت لى : تعال !
وأنا أختنق الليلة فى ذل السؤال
أين من يسكت صيحات « تعال »
ملأت صدرى أنينا وسعال
ورقادى بالظلال

— ٦ —

القناديل بصدرى انطفأت ، أين الضياء ؟
افتحوا الأبواب للنور ، افتحوها
أصدقائى الفقراء
أصدقائى الشعراء
فأنا أحترق الليلة كالشمعة فى صمت البكاء

— ٧ —

احملينى يا رياح
عبر آلام الليالى
احملينى يا رياح ...

قصة إبراهيم عبد الحليم :

رجلان



يجلس شاب ورجال يتحدثون عن العمل والاجور والزوجة والاولاد واخبار الحرب واخبار السلام واخبار الناس في البلاد البعيدة واسعار الملابس واللحوم والخضر والفاكهة ، والاشياء الاخرى التي يحتاج اليها الانسان . وكانا هما الاخران يتحدثان عن تلك الاشياء

وشعر كل منهما انه سمع اشياء كثيرة وتحدث عن اشياء كثيرة وأن رأسه بدأت تدور وانه في حاجة الى ان يفرغ لنفسه وانه في حاجة الى صديق ليمشي بجواره وليجلس بجواره وليحس وهو يراه بأنه ليس وحيدا في هذا العالم . وقررا الذهاب الى الحديقة . وبعد أن اتخذا هذا القرار لم يتحدث أحدهما الى الاخر ولم يسأل احدهما الاخر عن شيء . وظلا يسيران في الطريق وكان كل منهما يسير وحده ومع نفسه ومع اشياء اخرى غير تلك الاشياء التي كانا يتحدثان عنها

***

وحين وصلا الى الحديقة ودون اتفاق سابق ودون أن يسأل أحدهما الاخر ارتميا على الحشيش الاخضر . ونام أحدهما على ظهره ووضع ساعديه تحت رأسه . كانت عيناه مفتوحتين . لم يكن ينظر الى شيء . لم يكن ينظر الى السماء ولم يكن ينظر الى الاشجار أو الزهور . كان ما زال يعيش في داخله مع نفس الاشياء التي كان يفكر فيها وهو يسير في الطريق . واستلقى الاخر على جنبه واتكأ برأسه على كفه الايمن بعد أن غرس كوعه في الحشيش الاخضر ثم عاد ورفع ظهره عن الارض لم تطلع حوله فرأى خلفه وعلى حافة الحشيش الاخضر جذع احدى الاشجار . ولم يتطلع الى أعلى ليعرف نوع تلك الشجرة واستند بكفيه وذراعيه على الحشيش الاخضر وظل يزحف بالجزء الاسفل من جسده حتى وصل الى جذع الشجرة ورمى ظهره عليه ثم عاد ووضع ذراعيه خلف رأسه حتى استراحت الرأس واستراحت الذراعان على جذع الشجرة ولم يحرك أي جزء من جسده بعد ذلك ، ولم ينظر الى السماء او الاشجار او الزهور ، وظلت عيناه مفتوحتين وكأنه يتطلع بهما الى الاشياء التي تدور في داخله

***

كان الشخص الاول يقول لنفسه اشياء ويسألها عن أشياء ويدير معها نقاشا وكأنه يناقش انسانا آخر . كان هناك شيء في اعماقه يقلقه . لقد طاف بذهنه مرة ومرة ومرات عديدة الملحت خاطفة . وظل هذا الشيء يلح عليه في الايام الاخيرة

كان يقول لنفسه أنت تدخن علبة سجائر كاملة كل يوم . عشرون سيجارة ثمنها اثنا عشرة قرشا . أنت تدفع من راتبك كل شهر ثلاثة جنيهات وستين قرشا ثمنا للسجائر التي تدخنها . وانت الى جانب السجائر تشرب كل يوم ثلاثة اكواب من الشاي . جنيه آخر على الاقل . أنت بهذه الطريقة تصرف وحدك وعلى مزاجك ربع مرتبك . وانت من حين لآخر تسهر مع أصدقائك وتلعب الى السينما أو المسرح . وماذا يبقى لزوجتك وابنك بعد ذلك ؟

الولد يزداد نحافة كل يوم . امه تقول انه في حاجة الى مزيد من اللبن . أمه تقول ان الاطفال غيره وفي عمره يأكلون صدور الدجاج والتفاح المشور واشياء اخرى غنية بالفيتامينات والبروتينات وسهلة الهضم في نفس الوقت . وامه في بطنها طفل آخر . والناس كلهم يقولون أن المرأة الحامل في حاجة الى غذاء خاص لأنها لا تأكل وحدها بل يأكل معها انسان آخر في دور التكوين . العظام واللحم والدم الذي يجري في الشرايين وشعر الرأس والعينان والرموش والاصابع التي في اليدين والاصابع التي في القدمين والقلب وكل الاجزاء الاخرى التي في جسد الانسان تتكون من الطعام الذي تأكله الام . الولد في حاجة الى صدور الدجاج والتفاح المشور والام هي الاخرى في حاجة الى غذاء خاص ليخرج الطفل الوليد سليم التكوين

وانت تعرف أكثر من ربع راتبك على مزاجك . والاطباء يقولون ان الدخان هو سبب السرطان وسبب أمراض أخرى خطيرة . والاطباء يقولون أن الشخص الذي يدخن يموت قبل الشخص الذي



لا يدخن . ولو كانت السيجارة تقتطع من عمر الانسان دقيقة واحدة كل يوم وساعة كل ثلاثة ايام ويوما كاملا كل اثنين وسبعين يوما . ولماذا تحسب أكثر من ذلك ؟ أنت تقتطع من حياتك شهرا على الاقل كل سنة . ولو فرض انك ستعيش حتى تبلغ الستين من عمرك فانت لن تتعدى الخامسة والخمسين . خمس سنوات كاملة تقتطعها من عمرك بسبب تلك السجائر الملعونة

أنت لاتريد أن تموت . أنت تحب الحياة بكل ما فيها لانها حلوة بكلّ ما فيها . أنت حين يأتي أجلك ستحاول ان تمسك الحياة بكلتي يديك وبقلبك وعقلك وأعصابك حتى لا تخرج من جسدك وحتى تظل باقية فيه ولو أياما أو ساعات أو دقائق قليلة . سيكون أبنك كبيرا وسيكون له أولاد وبنات وستكون جدا وسيكون الوليد الذى فى بطن زوجتك قد خرج هو الآخر وكبر وتزوج . قد يكون بنتا وقد يكون ولدا . ستكون الحياة أكثر جمالا . ستكون فى السن التى تحتاج فيه الى الراحة ، أنت فى حاجة الى تلك السنوات الخمس وفى مقدورك أن تحتفظ بهـا ولا تضيعها

اية أشياء جميلة يمكن أن تشتريها كل شهر اذا اقلعت عن التدخين . اربعة او خمسة جنيهات كاملة . كل شهر ثوب جديد لزوجتك . لا . كل شهرين أو ثلاثة فهى فى حاجة الى أثواب جميلة من الحرير . انت فى حاجة الى أن تراها وهى ترتدى أثوابا من الحـرير . ثوب أبيض . أبيض كالشمع بلا نقوش أو زخارف . بشرتها بيضـاء . والثوب أبيض . والشعر الذى يتدلى من رأسها فى لون الذهب . وعيناها فى لون زرقة السماء عيناها فى لون مياه البحر العميق. الثوب أبيض . والوجنتان فى لون الورد. ستأكل صـدور الدجاج هى الاخرى . دجاج وأوز وحمام وفاكهة من كل لون . وجنتـاها الذابلتان ستصبحان فى لون الورد . وأنت ستقبلهـا وستضمها الى صدرك

ستقبلها من الوجنتين ومن الشفتين وستحس بكفيك ثوب الحرير الأبيض، وأنت ستشترين لهـا أثوابا كثيرة وفى ألوان أخرى . ثوب فى لون البنفسج . وثوب أسود سترتديه حين تخرجان معـا وتتنزهان سويا وتذهبان الى السينما . وزوجتك فى حاجة الى حذاء . حذاء جميل غالى الثمن ويختلف عن الحذاء الوحيد الذى تملكه ، أنت تكره هذا الحذاء وزوجتك تكرهه ، ولكنها لا تقول لك . وزوجتـك تحبك وتحرص على مشاعرك ولم تقل لك يوما أنها فى حاجة الى شىء . لا . لقد حدثتك طويلا ومرات عديدة عن حاجتكم الى مسكن جديد . مسـكن آخر ملآن بالشمس والنور . مسكن ترى منه السماء وتشرق فى داخله الشمس ويبعث الدفء فى جسد ابنكما الصغير

* * *

وانت فى حاجة الى خمس جنيهات أخرى لتحصل على مسكن جديد . أثواب لزوجتك ومسكن آخر والحذاء وصدور الدجاج والتفـاح المشود وغذاء آخر للوليد الذى ما زال فى بطن امه . وأشياء أخرى كثيرة توجد فى هذا العالم وأنت فى حاجة لها

أنت فى حاجة الى أن تبطل التدخين . أنت فى حاجة الى سيجارة . أخرجها من جيبك واشعلها . الآن . الآن وفى هـذه اللحظة . لست صادقا فيما قلت من قبل . زوجتك طلبت منك أشياء كثيرة . طلبتها منك وكأنها لا تطلبها لنفسها بل تطلبها لك ولابنكما الصغير والوليد الآخر الذى سيخرج الى الوجود بعد شهور

زوجتك كانت منذ أيام فى حاجة الى طبيب وأنت لم تحضر لها طبيبا ولم

تحضر لها دواء . زوجتك أخبرتك أن الشتاء على الابواب وابنك فى حاجة الى هدوم . زوجتك لم تقل أنها فى حاجة الى هدوم . ولمبة الكهرباء التى فسدت ولم تعد تضىء فى مطبخ البيت منذ أسابيع وسبب لزوجتك المشاكل كل ليلة وأنت لم تغيرها حتى اليوم . واشياء صغيرة وكبيرة أنت فى حاجة لها

* * *

أنت فى حاجة الآن الى سيجارة . اخرجها من جيبك واشعلها . الآن . الآن وفى هذه اللحظة . العالم يسير هكذا وأنت لن تغيره . الاطباء الذين رأيتهم والذين عرفتهم كلهم يدخنون . أبوك كان يدخن هو الآخر وظل يدخن دون أن يجرى تلك العمليات الحسابية المعقدة . أبوك مات وهو لا يدرك أن خمس سنوات قد ضاعت من عمره . أبوك مات وهو مطمئن الى أنه عاش عمره كاملا . أبوك لم يكن يعرف . وأنت لا تعرف كل شىء .

أناس آخرون يدخنون ويشربون الخمر ويعيشون الى ما بعد الستين والى مابعد السبعين والى ما بعد الثمانين . أناس آخرون لا يقلقهم أنهم يدخنون علبة دخان كل يوم . لابد أن هناك سببا آخر . الفلاح الذى لا يدخن يموت قبل الاربعين واحيانا قبل الثلاثين . لابد أن هناك سببا آخر . أنت لا تعرفه وأنت تريد أن تعرفه . لابد أن هناك خطأ ما فى حساب الاجر الذى تأخذه . أنت تعمل ثمانى ساعات كاملة وتقدم لهم كل الاشياء التى يطلبونها منك . وأنت لا تأخذ الاشياء التى تريدها والاشياء التى تريدها زوجتك وابنك الصغير والوليد الآخر الذى سيخرج من بطنها بعد شهور

* * *

أنت تقدم كل ما يطلبونه منك وتدفع كل ما يطلبونه منك . رطل اللحم وصل ثمنه الى خمسة عشر قرشا . وأنت لم تعد تشترى اللحم الا مرة واحدة فى الاسبوع . وابنك يزداد شحوبا كل يوم . ولون الورد لم يعد يظهر على وجنتى زوجتك . أنت تدفع فى القبرة التى تسكنها خمس جنيهات كاملة . وآخر ثوب اشتريته لزوجتك كلفك أكثر من جنيه . والقماش مصنوع من القطن .

والقطن مزروع فى بلادك . ورجال مثلك يغزلونه وينسجونه . والرجال الذين يصنعونه مثلك تماما لهم زوجات وأولاد ويشترون القماش بنفس الثمن . أنت تدفع فى كل شىء الثمن الذى يطلبونه . وأنت تأخذ منهم الاجر الذى حددوه لك . وهذا الاجر لا يكفى لشراء الاشياء التى تريدها . وزوجتك طلبت منك أشياء كثيرة وهى تحبك وترعاك وكأنها أمك وتراعى احساسك ولم تطلب منك شيئا يخصها ابدا

أنت الذى تريد أن تشترى لها أثوابا من حرير . أنت تريد أن تراها فى ثوب من الحرير الابيض . أنت تريد أن يعود لون الورد الى وجنتيها ، وأنت تعرف أنها ستكون أكثر جمالا وعذوبة وأن حبها لك سينمو ويكبر وهى ترتدى مثل هذا الثوب

* * *

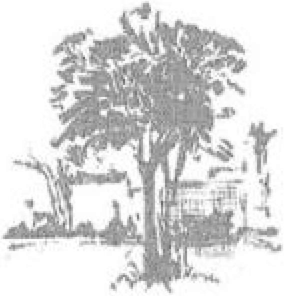
أنت تتخيل أشياء وليس فى استطاعتك أن تحصل عليها . لقد عشت طوال عمرك وأنت محروم من أشياء كثيرة . وابنك الصغير محروم من الاشياء التى تحمى جسده من الذبول . ووليدك الذى مازال فى بطن أمه محروم من الاشياء التى ستجعله يخرج سليما صحيحا . لابد أن هناك خطأ ما . خطأ فى الحسابات التى تجريها وخطأ فى الحسابات التى يجرونها معك . لابد أنهم أخطأوا حين حددوا الاجر الذى تستحقه . لابد أنهم لم يضعوا فى اعتبارهم الاشياء التى ستحتاجها والاشياء التى ستحتاجها زوجتك ويحتاجها ابنك الصغير والوليد الذى ما زال فى بطن أمه

لابد أنهم لا يعرفون ثمن الاشياء التى يحتاجها الناس

أنت تسأل نفسك أسئلة لا تعرف لها اجابة . أنت فى حاجة الى أن تعرف الآن . الآن وفى هذه اللحظة . أنت فى حاجة الى سيجارة . اخرجها من جيبك واشعلها . اخرجها واشعلها الآن قبل أن ينفجر دماغك . ثمن السجائر لن يحل المشكلة بل سيجعلك تفكر فى مشاكل أكثر . أناس كثيرون يدخنون وكل مشاكلهم محلولة .

* * *

اخرج السيجار واشعلها قبل أن



يشتعل دماغك او ينفجر . الآن . الآن . وبعد ذلك ابحث عن الاسباب والنتائج

اخرج السيجارة واشعلها لتهدأ اعصابك وتستريح . وفي مقدورك ان تناقش صديقك وتناقش الناس الآخرين في الاشياء الغامضة عليك فكلهم مثلك يواجهون نفس المشاكل . اخرج السيجارة فلن يضيع من عمرك شهر واحد فليس التدخين هو الذى يعجل فى وفاة الانسان . هناك اشياء كثيرة أنت تحتاج اليها وأنت تريدها وأنت لا تحصل عليهـا هى التى تعجل فى انقضاء حياتك

***

كانت عينـاه مفتوحتين . وكان لا يتطلع الى شيء ولا يرى شيئا . كان يتابع بعينيه وبقلبه وبعقله زوجته وابنه الصغير والوليد الذى لم يخرج الى الوجود بعد والاثواب الحريرية البيضاء والسوداء والتى فى لون البنفسج والتى فى لون الورد وصدور الدجاج وحبات التفاح بقشورها الحمراء اللامعة وبيت جديد به غرف واسعة ونوافذ واسعة وردهة واسعة ملأى بالنور وتشرق الشمس فى كل جزء من اجزائه . وكان يخلع عن زوجته الثوب الابيض لترتدى الثوب الوردى وبعد ذلك الثوب الاسود وبعد ذلك يضع ذراعه فى ذراعها ويخرجا معا ومعهما ابنهما الصغير ويذهبوا جميعا الى محل الحلوى وبعد ذلك يذهبوا جميعا الى السينما

وحين احس بحاجته الى أن يمد يده ويضعها فى جيبه ويخرج علبـة الدخان ويخرج منها سيجارة ويشعلها، ويشد منها نفسا عميقا احس فى نفس الوقت بأنه هبط من عالم ونزل الى عالم آخر وبدأ يرى الحشيش الاخضر وبدأ يشم رائحته وبدأ يحس بألم وتنميل فى ذراعيه وبدأ يتـذكر أن صديقه يرقد الى جواره وتطلع اليه ورآه ما زال ممـددا على الارض ينظر الى شيء

وحرك رأسه وحرك ظهره وحرك ذراعه اليمنى الى جيبه فلم يقو ورفعها الى أعلى وهبط بها الى أسفل ثم رفعهـا من جديد ثم أخذ يهزها يمينا ويسارا ثم مد يده ثانية الى جيبه وأمسك علبـة الدخان بين أصابعه وأحس بالحياة تعود الى يده وهو يفتح علبة الدخان ويخرج منها سيجارة ويضعها فى فمه ويخرج علبة الكبريت ويشعل احد العيـدان ويمده نحو السيجارة ويشد منها نفسا طويلا

***

وكان زميله يعيش مع نفسـه هـو الآخر ويجرى معها حسابا عسيرا

كان يرى نفسه فى صورة المجرم . كان يقول لنفسـه انه ارتكب جريمة . كان كيانه كله يهتز ويرتجف وهـو يحس احساس المجرم . كان يقول لنفسه انه لا يستطيع أن يكذب امام نفسه . امام المحقق يمكنك أن تكذب . امام القـاضى يمكنك أن تكذب . أمام الناس يمكنك أن تكذب . يمكنك ان تكذب حتى امام زوجتك وأولادك . اما أمام نفسك فليس فى استطاعتك ان تقنعها بأنها لم تفعل أشياء قد فعلتها فعلا . كل جزء فى جسدك قد رأى الجريمة ، كلّ جزء فى جسدك قد فعلها . فما تفعله يدك لا يمكن أن تخفيه على قلبك . وما يقوله لسانك لا يمـكن أن يخفى على اذنيك . انت تحاسب نفسك وكأنك تحاسب انسانا آخر

طوال الفترة الماضية وأنت تحـاول أن تجد لنفسك اى مبرر او عذر او دافع نبيل لتستريح مع قلبك وتستريح مع ضميرك . لقد قلت لنفسك ان كل النـاس يفعلون ذلك . والشيء الذى تعتبره جريمة لا يعتبر جريمة عنـد الناس . المجـرم هو الشخص الذى يضبط متلبسا بالجريمة او يثبت عليـه أنه ارتكبها ، وأنت لم تضبط ولم يحس احد بأنك فعلت شيئا تستحق عليه اللوم أو العقاب . لماذا تضع نفسك فى وضع

الجرم ؟ لماذا تحاول أن تحاسب نفسك ؟ كان من الضرورى أن ترضخ . كان من الضرورى أن ترفع يدك وتعلن خضوعك . كان من الضرورى أن تكذب على نفسك وتزور وتمد يدك وتستسلم لمن الكذب والتزوير . انت تريد أن تعيش . واولادك يكبرون ويطلبون أشياء كثيرة ، انت تحبهم وتريد ان تشترى لهم كل شىء

زملاؤك فى العمل يرتدون اجمل الثياب والمرتب الذى تأخذه لا يمكنك من أن تشترى حلة واحدة كل سنة . وانت فى حاجة الى أن تبدو أنيقا مثل زملائك . والحياة جميلة وفيها اشياء حلوة كثيرة ومن حقك أن تحملها لزوجتك واولادك وامك . ومن حقك أن ترى دلائل البهجة والسرور وهى تغمر وجوههم

كنت بعيدا من كل تلك الاشياء . كانت الجريمة بعيدة منك . كنت تعيش على كتابة الأذكرات من أشياء لا تراها ولا تمسكها بيدك . كنت تعيش على جمع الارقام ومراجعة العمليات الحسابية . الجنيهات عندك كانت مجرد أرقام . مائة . ألف . عشرة آلاف . عشرون ألفا . مائة ألف . كانت تلك النقود تختلف عن النقود التى تأخذها كل شهر كأجر على عملك . كنت تحس بقيمة كبيرة للنقود التى تأخذها كأجر على عملك

كل قرش له قيمة . والالوف التى كنت تجمعها على بعضها وتطرحها من بعضها لم تكن تساوى عندك شيئا

كان عليك أن تجرى تلك العمليات بغاية الدقة ، وكنت معروفا بكفاءتك ودقتك

***

لماذا نقلوك الى تلك الوظيفة الجديدة ؟

لماذا أرسلوك لتفتش على الشركات وتحاسبها وتناقش ميزانياتها وتحدد مع أصحابها الارباح والخسائر . كنت تجمع بؤوس الاموال كأرقام وأصبحت تراها فى أماكنها

لقد حاولت أن تكون أمينا . حاولت أن تكون نظيفا . حاولت أن تحافظ على نقاوتك . كانت كلمات الشرف والامانة والوطن وحقوق الشعب والواجب تنبض حية فى قلبك وفى ضميرك وفى وجدانك وفى كيانك كله

أنت من أبناء الشعب الفقراء

أبوك اقتطع مصاريف تعليمك من قوته وقوت أمك وقوت أخوتك . أبوك ظل فقيرا حتى آخر يوم فى حياته . وامك لم تجد النقود التى تعد بها كفنها . أبوك ظل يعمل فى صناعة النسيج وينتقل من شركة الى شركة أكثر من أربعين عاما . أبوك كما قال لك صنع عددا من أمتار القماش حاول أن يحسبه لك بالآلاف وعشرات الآلاف ومئات الآلاف وفشل فى أن يعرف عدد الأمتار التى غزل خيوطها والتى صنعها

أبوك قال لك قبل أن يموت أن القماش الذى صنعته لو صنع منه شريط طويل وفرش على الارض لامتد الشريط من الاسكندرية الى أسوان ولربط وادى النيل كله

أبوك قال لك وهو يتحدث من هذا الشريط انه سيكون بكل الالوان أحمر واخضر وازرق فى لون السماء وأزرق فى لون ماء البحر واصفر فى لون الشمس واصفر فى لون الذهب وأصفر فى لون البرتقال ، وألوان أخرى توجد فى الحياة وألوان أخرى لم تكن موجودة صنعها الانسان بعقله ويديه وبالاشياء التى توجد على هذه الارض

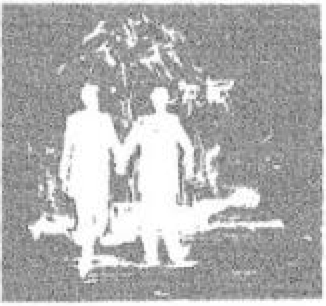
أبوك قال لك أن الذين يستغلونه الشريط سيكون مثل سجادة لم يحدث أن صنع الانسان مثلها لا طولا ولا شكلا . سجادة مزركشة بكل أنواع الزهور والطيور التى وجدت فى وطننا وفى العالم ومزركشة بالاغصان وأوراق الشجر ورسوم الفنانين وكل الاشياء الجميلة التى تهز قلب الانسان بالفرح والبهجة والابداع والحب

أبوك قال لك مرات عديدة أن أصحاب الشركات والمصانع سرقوه وسرقوا عرقه وسرقوا دمه وسرقوا لحمه وتركوه عظما بلا لحم

أبوك علمك أن تكره أصحاب الشركات والمصانع

أبوك قال لك أن الذين يستغلونه أعداؤه وأعداؤك وأعداء كل الناس الفقراء

أبوك قال لك انه كان يصنع أجمل الاقمشة من الحرير والقطن والتيل والكتان وأنواع أخرى كان يذكرها ولم يكن فى مقدوره أن يشترى لأمك جلبابا



وكان يحز فى نفسه وفى قلبه أن يراها وهى ترتدى ثوبا ممزقا

أبوك اقتطع القروش من قوته وقوت أمك وقوت أخوتك وقوتك أنت أيضا لتتعلم ولتدخل الجامعة وأمك أضاعت عليك مكافأة أبيك لتكمل تعليمك

ثمرة أربعين عاما من العرق المتصل ضاعت عليك فى سنتين لتأكل وتلبس وتدفع مصروفات الجامعة وتبدو بين زملائك وكأنك لست ابنا لعامل بسيط وكأنك مثلهم وكأنك واحد منهم

أبوك عاش شريفا ومات شريفا . وأنت تأخذ الرشاوى من اعدائه لتضع امضاءك على ما يرتكبونه من جرائم . والارقام التى كنت تجمعها وأنت فى مكتبك فى الوزارة اكتشفت أنها تخفى عمليات نصب وسرقة ليس لها حدود

***

الحكومة تفرض الضرائب لانها فى حاجة الى نقود لتبنى المدارس والمستشفيات ولتحمى ارض الوطن ، الحكومة تأخذ الضرائب من الفلاحين الفقراء وتحجز على بيوتهم ومواشيهم وعلى حبات الذرة التى يعيشون عليها اذا تخلفوا عن دفع الضرائب ، الحكومة تأخذ الضرائب من الموظفين امثالك وأنت تعرف ما يعانونه فى حياتهم ، الحكومة اختارتك لتفتش على ميزانيات الشركات ولتكشف ما فيها من تلاعب . وأنت تعرف الحيل التى يلجأون اليها حتى لا يدفعوا ولو عشر ما كان يجب أن يدفعوه ، أنت حاولت فى البداية أن تدقق وأن تكون شريفا فى عملك . أنت حاولت أن تكشف اللصوص . أنت عرفت السبب فى أن الناس يدفعون فى الاشياء التى يشترونها أكثر بكثير مما كان يجب ان يدفعوه ، رؤساءك لوصوك باللصوص، رؤساءك لم يقولوا لك ذلك صراحة بل طلبوا منك أن لا تخلق المشاكل وأن لا تكون حنبليا والا تدقق كثيرا

رؤساءك كلهم يعطفون عليهم . أنت ما زلت تكره أصحاب الشركات ، أنت ما زلت تذكر ما ناله لك أبوك وما فعلوه به وكيف انتهت حياته . أنت تريد أن تنتقم لابيك

ليست المسألة مسألة شرف أو ضمير او واجب . أنت تكرههم ، كنت تعتقد أن الحكومة تمثل الشعب وأن رؤساءك يمثلون الحكومة واكتشفت بعد ذلك أن رؤساءك يعطفون على اصحاب الشركات ويطلبون منك أن لا تدقق وأن لا تكون حنبليا معهم . وأنت لا يمكن أن تقف أمام رؤساءك . أنت لص وهم لصوص ، وأنت تسرق من لصوص . أنت تريد أن تحصل على القماش الذى كان يصنعه أبوك ولا يقدر على شرائه

***

أمك من حقها أن تقضى فى سعادة السنين القليلة المتبقية لها فى الحياة

أخوتك من حقهم أن يكملوا تعليمهم مثلك دون أن تقتطع ما يحتاجون اليه من قوتك وقوت زوجتك وأولادك وأمك

أنت شريف وهم لصوص ، أنت لص وهم لصوص ، أنت عديم الشرف وهم يحميهم القانون وأنت سيقتلك القانون حين يريدون

أبوك عاش شريفا ومات شريفا ، أنت تنزلق الى الهاوية وزوجتك لا تعرف وأمك لا تعرف وأخوتك لا يعرفون وابنك ما زال لا يدرى من أمور الحياة شيئا . كلهم سعداء لانك قادر على أن تجلب لهم السعادة ، السعادة التى على وجه ابنك ووجه زوجتك وعلى وجه أمك وعلى وجوه اخوتك سعادة مسروقة . هم لا يعرفون ، انت وحدك تعرف أنها سعادة زائفة من الممكن أن تضيع فى أى وقت

أنت شريف ويقف الناس لك احتراما ويبتسم فى وجهك أصحاب الملايين . أنت سيفعلون بك ما فعلوه ببعض زملائك اذا قرروا تأديبك وردعك ، هم يرونك كما ترى نفسك الآن

أنت جبان

أنت أصبحت جبانا ولن تقوى على رفع رأسك أمامهم

لابد أن هناك طريقة . لابد أن هناك سعادة حقيقية ليست زائفة وليست مسروقة وليست مرضية للضياع

لابد أن هناك رجالا وشبابا مثلك يعيشون فى طمأنينة

أبوك عاش شريفا ومات شريفا

لابد أن هناك طريقا آخر غير الطريق الذى تسير فيه . لابد أن هناك وسيلة ليعيش مثلك فى طمأنينة وليعيش أولاده وأهله فى طمأنينة . أنت فى مصيدة الخبية قد تطبق على رقبتك فى أى وقت . المصيدة ستطبق على رقبتك اذا حاولت أن ترفع رأسك . أنت ترفع رأسك فى بيتك وأمام زوجتك وأولادك وأمك وهم يرونها مرفوعة ويظنون أنها مرفوعة وأنت وحدك تعرف أنها مثل رأس الرجل الذى يخاف اكتشاف أمره أو ينتظر الشنق

***

أنت تكره الأغنياء وتكره حياتهم وأنت تكره حياة الفقر وتعابيها ولا تود أن تعود اليها وترفض أن يعانيها أولادك . أنت ضائع هالك بين الأغنياء والفقراء . أنت بلا مكان ولا تقف على أرض . هم لصوص وأنت تأخذ الفتات أو ما يرمونه على الأرض لتعيش . هم سرقوك كما سرقوا أباك

لابد أن هناك طريقا آخر ، أنت تبحث عن هذا الطريق ، غالبية الناس يسيرون مثل أبيك مرفوعى الرؤوس ، صديقك هذا لا يحمل هموما من نوع همومك أنت تعرف نوع همومه ، أنت تعرفه من سنتين وهو يواجه حياته بشرف وشجاعة

صديقك قال لك أن أشياء جديدة حدثت فى وطننا وحدثت فى العالم وأشياء أخرى ستحدث والعالم يبقى على هذه الحال والناس لن يبقوا على هذه الحال . الناس مثلك يحنون على الطمأنينة

صديقك هذا مثل أبيك ، نظرات عينيه مثل نظرات عينى أبوك . أنت ستحدثه وتبحث معه عن حل . المصيدة، الخبية

لابد أن هناك طريق ، لابد أن صديقك يعرف هذا الطريق ، لابد أنه سيقول لك اذا سألته ، أنت ستسأله . لن تقول له أنك لص .. لن تقول له أنهم اشتروك . لن تقول له أنك كنت تبدو مرفوع الرأس أمام زوجتك وأمام أولادك وأنك كنت تعرف أن رأسك ليس مرفوعا . ستقول له أنك وقعت فى مصيدة وأنك تود الخروج منها وأنك تود أن تحيا حياة جديدة

***

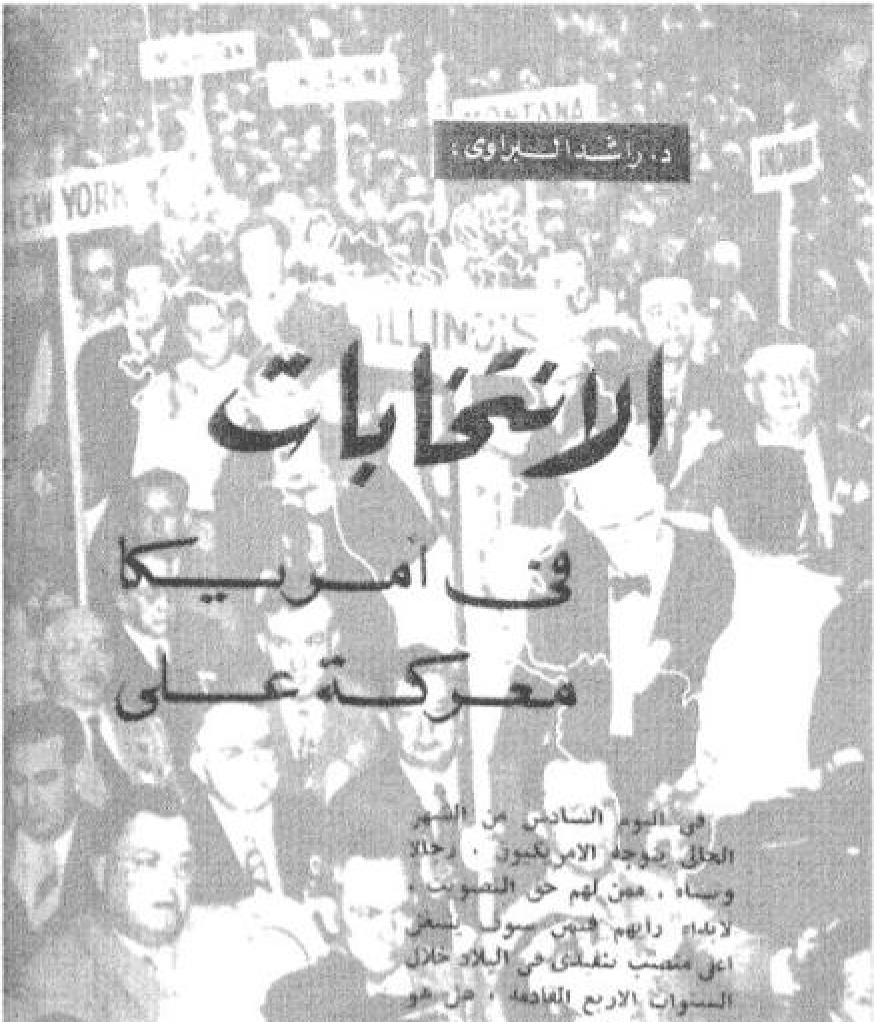
ووقف الشخص الأول والسيجارة المشتعلة ما زالت فى يده . ووقف الشخص الثانى واتجه نحو زميله ومد ذراعه وأخذ ذراعه فى ذراعه

***

كان يسيران جنبا الى جنب وهما عائدان الى المدينة من نفس الطريق . كانا يبدوان من بعيد مثل كل الناس . شابان أو رجلان يدبان بأرجلهما على الأرض . كانا يسيران جنبا الى جنب .. الذراع فى الذراع والكتف فى الكتف ، كان أحدهما يتكلم وكان الآخر ينصت الى حديثه



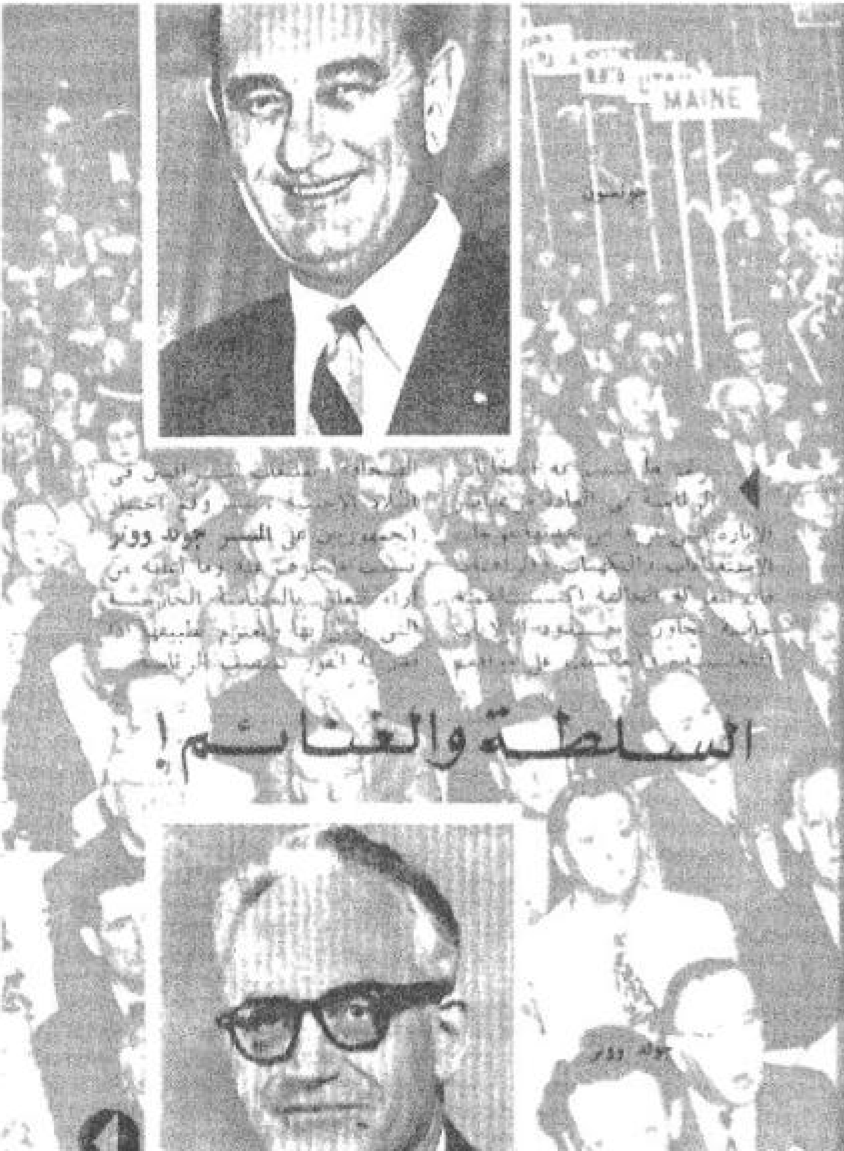

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
تقدم هذه المجموعة المفيدة من الكتب
أصداء من المحكمة
أشرف على ترجمته وقدم له :
حسن جلال العروسي
تحرير : وليام م . دافنبورت
اشترك في الترجمة نخبة من رجال الفكر
الناشر : مركز كتب الشرق الأوسط
الثمن ٥٠ قرشا
سنترال التليفونات
تأليف : لوسي بوكسهيمر
ترجمة : أحمد كمال عواد
إشراف وتقديم ومراجعة :
أحمد زكي محمد
الناشر : مكتبة النهضة المصرية
الثمن ١٨ قرشا
الشئون المنزلية للناشئات
تأليف : ايفيلين جونز
وفيلين برنهام
ترجمة : إسعاد جودة عفيفي
مراجعة : نظيرة نقولا
تقديم : دولت الصدر
الناشر : مكتبة النهضة المصرية
الثمن ٩٠ قرشا
الطبيب معالجا وعالما
من سلسلة ماذا يعرفون (٢)
تأليف : دانا و . أتشلي
ترجمة : زكريا فهمي
تقديم : د . محمد كامل حسين
الناشر : دار الفكر العربي
الثمن ١٧ قرشا



د. راشد البراوي

الانتخابات في امريكا معركة على

في اليوم السادس من الشهر الحالي يتوجه الامريكيون ، رجالا ونساء ، ممن لهم حق التصويت ، لابداء رأيهم فيمن سوف يشغل اعلى منصب تنفيذي في البلاد خلال السنوات الاربع القادمة ، هل هو الرئيس الحالي ليندون جونسون مرشح الديموقراطيين ، ام يكون عضو الشيوخ جولد ووتر المرشح من قبل الحزب الجمهوري ؟ ..



السلطة والغنائم!

وقد يخيل الى البعض من غير ابناء الولايات المتحدة ، ان المعركة انما تدور بين حزبين تتعارض الايديولوجيات التي يعتنقانها ، او أن الحزبين ، الديمقراطي والجمهوري ، ينطبق عليهما وصف الاحزاب القومية بالمعنى الصحيح .
ويرجع السبب في مثل هذا التصور الى ان هؤلاء الاجانب يحاولون الحكم على هذين الحزبين الكبيرين بالمعايير المتعارف عليها بالبلاد الاوربية مثلا بحيث نستطيع ان نتبين فوارق جوهرية واختلافات جذرية بين العمال والمحافظين في بريطانيا .. على الاقل من ناحية المبدأ ، أو بين الاحزاب البورجوازيه والاشتراكية الاصيلة

ونحن اذ نرجع الى بعض الكتاب ممن عالجوا نظم الحكم في الولايات المتحدة ، نلقى تعاريف متعددة للنظام الحزبي وهي ان اختلفت في الشكل – اي في اسلوب الصياغة والتعبير – فانها تتفق من حيث المضمون . فيحدثنا **هارولد لاسكي** في كتابه **«الديموقراطية الامريكية»** أن الاحزاب الامريكية

«لاتعد قومية الا في اوقات الانتخابات» بينما تعتبر من ناحية اخرى تنظيمات محلية تلتف حول الاشخاص اكثر من التفافها حول المبادىء ، بل انها تكاد لا تمثل المصالح بالمعنى الذي يجعل في الامكان التمييز بين اغراضها ، اذ من الصعب ان نجد معايير لافكار دائمة تعتبر جمهورية اوديموقراطية » . ويقول ماكس ليرنر في كتابه الجامع « الحضارة الامريكية » انه « جرى تعريف النظام الحزبي بانه تحالف ضعيف العرى بين



ويلسون .. اقحم امريكا في الحرب العالمية الاولى



فرانكلين روزفلت .. هو الذي خلق التحالف الكبير

تنظيمات محلية تتجمع وتترابط من اجل السلطة التي تتجسد في منصب رئاسة الجمهورية »

ويتوسع الكاتبان نلســـــون بولسبي وارون والدافسكي في كتابهما **انتخابات الرئاســة في امريكا** فيقولان :

« واحسن وصف للحزب انه منظمة تكرس جهدها للاحتفاظ بالفرص المتاحة لها لممارسة الســلطة السياسية ، او للمحافظة على هذه الفرص ... والاحزاب السياسية في امريكا ليست منظمات لها اجراءات مفصــلة مرعية في العضــوية والاشتراكات والكيان التنظيمي الرسمي. ويختلف تكوينها باختلاف الجهات . وهي توجـد في المقام الاول من أجـل اختيار وانتخاب المرشحين لمختلف المناصب التي يعين شـاغلوها بالانتخاب في الولاية او الناحية .. وهي في الغالب مترابطة على مستوى الولاية . ولكن احزاب الولاية لا تترابط على نطاق الامة الا في الحالات مفككة ، وهي تجتمـع رسميا بارسـال مندوبين الى جلسات اللجان القومية ، ثم بالحضور سويا في المؤتمرات القومية لترشيح رئيس الجمهورية وهذا امر على اكبر جانب من الاهمية »

..تعاريف .. ونتائج

من هذه التعاريف التي أوردناها نخلص الى نتائج نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر

اولا : ان الاحزاب الكبيرة في الولايات المتحدة لا تمثل فلسفات اجتماعية تتعارض فيما بينهـــا تعارضا جذريا ، بل ولا تمثل مصالح اقتصادية واجتماعية ينطبق عليها هذا الوصف . والواقع انــه في داخل الحزب القومي ــ ديموقراطيا كان أو جمهوريا ــ نلقى اتجاهات تتراوح بين اقصى اليمين واقصى اليسار ، او بعبارة اقرب الى الدقة بين الرجعية المحافظة والليبرالية التقدمية . ومن هنا قول **وليم الن هوايت** ان هناك في داخل الحزبين الكبيرين ، اربعة احــــزاب في الحقيقة ، وهي الجمهوريـــــون الاحــــرار ، والجمهـــــوريون المحافظون ، والديموقراطيون من انصار « العهد الجـــديد » ، اي السياسة المعروفة باسم New Deal التي طبقهـــا فرانكلين روزفلت ، والديموقـــــراطيون الجنوبيون

* * *

ولعل من الامثلة على هذا الموقف غير المجدد ان قانون الحقــوق المدنية الذي قدمه الرئيس جونسون الى الكونجرس ، اقرته الغلبية من كلا الحزبين ، وعارضته القلة من ممثليهما ايضــا . وفي الوقت الذي يعتمد فيه الجمهوريون على اصحاب المصالح الرأسمالية الكبيرة ، نجد فريقا من اقوى رجـال الاعمال والمال يقف في



هارولد لاسكي .. في رأيه ان الاحزاب الامريكيــة تنظيمات محلية تلتف حول الاشخاص اكثــــر من التفافها حول المبــادىء

صف الديموقراطيين . واذا قيل ان الديموقراطيين يستمدون قوتهم الاساسية من المصالح الزراعية فقد لاحظ لاسكى فى كتابه الذى سلفت الاشارة اليه ، ان ولايتى مين وفرمونت من اشد انصار الحزب الجمهورى برغم غلبة الزراعة على اقتصادهما

ثانيا : وفى الانحياز الى اى من الحزبين او الولاء له ، تلعب دورا كبيرا مجموعة من العوامل الاقليمية والعنصرية والسلالية والدينية وما اليها . فالجنوب المتماسك ، Solid South ديمقراطى بينما نيو انجلند والغرب الاوسط اقاليم مأمونة للجمهوريين . والارلنديون والطليان والكاثوليك يناصرون الحزب الديموقراطى ، بينما كان الالمان وابناء اسكنديناوه والزنوج بالغرب الاوسط من الجمهوريين . وحتى شخصية المرشح للرئاسة تطغى احيانا على عنصر الولاء الحزبى . فلولا انحياز فريق من الديموقراطيين الى ايزنهاور لما نجح وهو جمهورى أو كان مرشح الجمهوريين بمعنى اصح ، وهم لم يفعلوا ذلك الا متأثرين بسمعته وشعبيته بسبب الدور الذى قام به فى الحرب العالمية الثانية

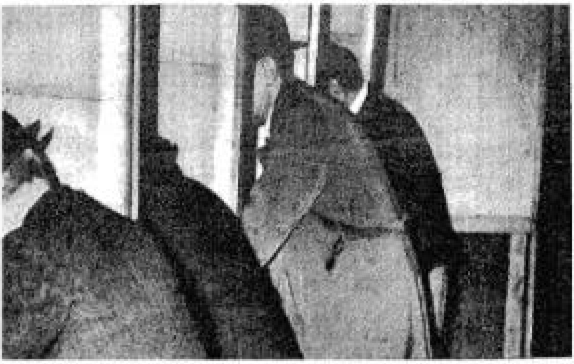
ثالثا : ويغير الناخبون أو مجموعاتهم ارتباطاتهم الحزبية حسب مصالحهم وعلى ضوء وعود الحزب بتحقيقها . فعند ما بدأ **فرانكلين روزفلت** سياسته الجديدة لمكافحة آثار الازمة الاقتصادية العنيفة التى بدأت فى خريف عام ١٩٢٩ ، انحاز الزنوج واليهود الى الديمقراطيين ،



ترومان .. اول من اعترف باسرائيل ...



ايزنهاور .. شخصيته رفعت اسهمه ..



الناخب الامريكى ..
انســان متقلب ..!

وقد نجح الرجل فى اجتذاب هذه الاقليات تحت لواء تنظيمـــات الحزب فى المدن ، وحالفها مــع العمال والجنود والى حد ما مــع الفلاحين ، وبذلك خلق **التحالف الكبير** الـذى اتاح للديموقراطيين فرص الحكم طيلة عقدين . والسبب فى ذلك ان هذه الجماعات كانت الى حد كبير من الطبقة العاملة او من الفئة الدنيا من الطبقـــة الوسطى ، وهى جميعا التى عانت كثيرا من الازمة الاقتصادية وتعتمد على الحكومة كى تدبر لها العمل فى مشروعاتها الجـديدة . وبسبب سياسة **روزفلت** فى دعم اسـعار الغلات الزراعية فاز بتاييد مناطق فى ايوا ومينيسوتا كانت تعـد فى العادة من معاقل الجمهوريين . والملاحظ ان الفلاح الامريكى يمنح صوته للحزب الذى يعده بتحقيق مصالحه ويفى بوعده

* * *

ولعل اقـرب مثـل على تقلب الولاء الحزبى ان مجلة «لايف» وصحيفة «نيويورك هيرالد تريبيون» اعلنتا فى ٣ اكتوبر الثانى ، اى قبيل موعد انتخابات الرئاسة بحوالى شهر ، انهما يؤيدان الرئيس جونســون الذى هو اول مرشح ديموقراطى تؤيده الصحيفة منذ ١٢٤ عاما

رابعا : ان القوة الفعلية فى أيدى تنظيمات الحزب المحلية التى تتكون من افراد لهم مصالحهم ، والنجاح فى الانتخابات معناه السيطرة على الوظائف ثم اتخاذ الاجراءات الكفيلة بخدمة هذه المصالح . ولا يستطيع الحزب القومى ان يملى ارادته على هذه التنظيمات والا فقد تأييد هذه المصالح ، بل يجب ان يأخذها فى الاعتبار ، فلا يستطيع الجمهورى او الديموقراطى أن يهاجم الكنيسة الكاثوليكية او جمهورية ازلنـده الحرة فى نيويورك ، كما يسرف الطرفان فى اعلان تأييدهما لاسرائيل بسبب وجود كثير من النـاخبين اليهود فى ولاية نيويورك حتى ولو كان مثل هذا الموقف يتعارض مع صالح الولايات المتحدة فى العالم

العربى

خامسا : ولما كانت الاحـــزاب القومية هى هيئات متحـــــالفة ومؤتلفة من منظمات الولايات التى تمثل مصالح كثيرة ومتباينة يتعين التوفيق بينها فى البرنامج الذى يصدره الحزب قبيل انتخــابات الرئاسة ، لهذا نجد الاحـــزاب تتجنب المسائل الشـــائكة ، كما نجد طابع التعميم ابرز مظـــاهر البرامج

وجهات نظر .. !

وهذه الخواص التى يتميزها الحزبان الكبيران تعد فى نظر الباحثين والكتاب



كينيـــدى .. وتبنيه
الحقوق المدنيــة للزنوج

نتيجة منطقية املتها الاعتبارات التاريخية. فقد تكون الشعب الامريكى من مجموعات عنصرية وســلالية تختلف فى اصولها وتقاليدها وعقـــائدها الدينية وتراثها الثقافى ، ومن هنا فانها تمثل مصـــالح متعارضة ذات طابع محلى الى حد كبير .

وفضلا عن هذا ، ظلت أمريكا تتوسع باستمرار وبخاصـــة فى اتجاه الانحاء الغربية فيهـــا ، فنشأت اقاليم جديدة . وتكونت ولايات جديدة ، وظهرت مصالح جديدة ومطالب جديدة لابـــد من مواجهتها على النطاق المحلى . وعلى الحزب القومى . الديموقراطى أو الجمهورى ، ان يأخذ هذه المصالح المحلية فى الاعتبار ان أراد الفـــوز بتأييدها والظفر باصواتها .

* * *

وبرغم هذه الحقائق الثابتة فى التقليد الامريكى نستطيع ان نتعرف على بعض الفوارق فى وجهات النظر بين الحزبين الكبيرين المتصارعين على السلطة والنفوذ فى الولايات المتحدة ، ذلك الصراع الذى يبلغ الذروة فى انتخاب رئيس الجمهورية الذى يملك السلطة التنفيذية وبالتالى القدرة على الرعاية وتوزيع المكاسب . فالحزب الديموقراطى اقرب الى ما يقال لدولة الرفاهية ، فهو من انصار التوسع فى برامج الخدمة الاجتماعية ، ورفع مستوى الاجور المنخفضة ، والتأمين الصـــحى للمســـنين ، وتقديم الاعانات الاتحادية لاغراض التعليم ، وقيام الحكومة الاتحادية بدعم اسعار الغلات الزراعية ، وتنفيذ مشروعات توليد الكهرباء ومشروعات الرى على حساب الاموال العامة . ولعل من ابرز معالم هذه الاتجاهات مشروع مكافحة الفقر الذى أعلنه الرئيس الحالى جونسون

الديموقراطيون

واذ ينحو الديموقراطيـــون الى اقامة دولة الرفاهية هذه ، فانهم يعتمدون فى هذا على الاموال العامة

ويرون أن على الحكومة الاتحادية ان تلعب دورا ايجابيا سواء بتقديم المال لبرامج الخدمات ، او توفير الضمانات فى مشروعات الاسكان لذوى الدخل المحدود ، او تنفيذ بعض المشروعات الكبرى مثل مشروع وادى نهر التنيسيى

وكان روزفلت اول من وضع الاسس لقيام « حكومة اتحادية ايجابية » . وهذا الاتجاه تترتب عليه نتيجة اخرى وهى ضرورة تقوية سلطان الحكومة الاتحادية على حساب سلطات حكومات الولايات . وموضوع الحكومة المركزية القوية . يرجع الى بداية العهد بالجمهورية ، فعند ما وضع الدستور لاول مرة كان السؤال الذى يشغل اذهان ممثلى الولايات الثلاث عشرة فى ذلك الحين هو : هل تصدق عليه الولايات ؟ وأدى الخلاف على التصديق الى قيام حزبين وهما الفيدراليون « أى الاتحاديون » وعلى راسهم هاملتون وماديسون وجاى ، وهم من أنصار الحكومة الاتحادية القوية، بينما كان مناهضوهم وعلى رأسهم جيفرسون من الحريصين على حقوق الولايات

ويحدثنا مؤلفا كتاب انتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة ان للديموقراطيين ميزة فى نظر الناخب الامريكى فيما يتعلق بالشئون الداخلية ، اذ يقترن اسمهم بالنجاح فى مكافحة الازمات الاقتصادية وبخاصة فى ايام « الكساد الكبير » حيث ابتدع روزفلت سياسته «العهد الجديد» وتمكن من التغلب على الازمة . ويرتبط اسمهم أيضا بمشروع التنيس الذى كان له خصوم اقوياء ممن راوا فى تنفيذه اعتداء على ميدان نظام المشروع الخاص كما يرتبط بتدخل الدولة من أجل توفير الاعمال للعاطلين . وارتبط اسمهم من ايام الرئيس السابق جون كينيدى بمشروع الحقوق المدنية والعمل على تحقيق المساواة بغض النظر عن الاختلافات العنصرية او الفوارق اللونية

كذلك يعتبر الديموقراطيون من ممثلى المصالح الزراعية والطبقة الوسطى الصغيرة من رجال الاعمال وارباب المهن الحرة ، كما انهم اقرب الى رعاية مصالح العمال

والجمهوريون

اما الجمهوريون فاقرب الى المصالح الراسمالية الكبيرة وبخاصة المصالح الصناعية والمالية . وهم ليسوا من انصار توسيع سلطات الحكومة الاتحادية ، ويعارضون سياسة دعم الاسعار الزراعية لان فى هذا تدخلا فى قانون العرض والطلب ، ولان الذى يدفع الثمن الحقيقى لهذه السياسة هم اصحاب المصالح الرأسمالية الكبيرة عن طريق الضرائب التى تفرض .وهم يعترضون أيضا على ايجابية الحكومة الاتحادية وتدخلها فى شئون الصحة والتعليم والاسكان والخدمات الاجتماعية .. اذ يجب ترك هذه الميادين للهيئات المعنية وللمصالح الذاتية ..

ويلاحظ أيضا ان اسم الجمهوريين يرتبط فى أذهان الناخبين بالازمات الاقتصادية . فقد حل **الكساد الكبير** عام ١٩٢٩ عندما كانوا يسيطرون على الحكم

فاذا انتقلنا الى مجال الشئون الخارجية وجدنا للجمهوريين ميزة

يحاولون استغلالها فيزعمون انهم من دعاة السلام وتجنيب البلاد ويلات الحروب والارتباطات السياسية الضارة على خلاف خصومهم . وهم يضربون الامثال فيقولون ان الولايات المتحدة دخلت الحرب العالمية الاولى فى عهد **ويلسون** واشتركت فى الحرب العالمية الثانية فى عهد **روزفلت** ، واشتبكوا فى حرب كوريا على ايام ترومان ، ويورطون البلاد فى جنوب شرق اسيا مما قد يؤدى الى حرب مع الصين الشعبية وذلك فى عهد جونسون ، وهؤلاء الرؤساء الاربعة كلهم من الديموقراطيين ، كما كان ترومان هو الذى بادر الى الاعتراف باسرائيل

اتهامات

وبرغم اتفاق موقف الحزبين من الشيوعية ومكافحتها ، ظل الجمهوريون يرمون الحزب الديموقراطى بمهادنة الشيوعية والاستسلام امامها ، ويستشهدون على هذا باتفاقية موسكو فى عام ١٩٦٣ بشأن الحظر الجزئى للتجارب النووية ، وبالتقارب الملموس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى مما تجلى مثلا فى بيع مقادير كبيرة من القمح الامريكى للسوفيت . كذلك يأخذون على الحزب الديموقراطى سياسته بشأن المعونات الخارجية ويقولون انه يقدمها الى بلاد تقف موقف المعارضة بل والعداء من السياسة والمصالح الامريكية وتسير على نظم اجتماعية تتعارض مع الفلسفة الامريكية

رد .. !

وبرد الديموقراطيون على تهمة الاستسلام امام الشيوعية بأنها ليست صحيحة ويضربون المثل بوقوفهم فى وجه انضمام الصين الشعبية الى الامم المتحدة ، وبالموقف الذى اتخذه كيندى خلال ازمة الصواريخ السوفيتية فى كوبا وكيف نجحوا فى ازالتها من الجزيرة ، وبموقفهم الحالى ازاء فيتنام الشمالية رعاية للمصالح الامريكية فى جنوب شرقى اسيا . وفى الوقت نفسه يضربون على وتر حساس فيقولون ان تخفيف حدة التوتر الدولى والذى كانت اتفاقية موسكو من مظاهرة ، ينم عن احساس بالمسئولية . فالتطورات التى احدثتها الثورة التكنولوجية الحديثة احدثت تغييرات جذرية فى فنون القتال وبذلك لم تعد الحرب مغامرة مأمونة بل صارت خطرا يهدد البشرية . وبرغم جنوحهم الى السلام الا أنهم لا يترددون فى الدفاع عن مصالح امريكا والعالم الديموقراطى فى المواقف التى قد تجد ، ولا يتوانون فى امداد ترسانة قوية وقادرة يمكن الالتجاء اليها اذا دعت الضرورة

ثم يهاجم الحزب الديموقراطى الجمهوريين اليوم بعد أن رشحوا السناتور **جولدووتر** ، فيقول ان السياسة التى يدعو المرشح الجمهورى الى اتباعها فى ميدان السياسة الخارجية كفيلة أن تدفع بالبلاد الى هاوية الحرب

اتفاق فى الجوهر

وبالرغم من هذه الفوارق فان الحزبين يتفقان من حيث الجوهر على الامور الاتية :

أولا : المحافظة على النظام الجمهورى والاتحادى ، وعما لا

يختلفان الا من حيث العلاقة بين الحكومة الاتحادية بشرط الا يخل هذا بالتوازن الذى نص عليـــه الدستور ، اخلالا يعصف بالمبدأ الاساسي

ثانيا : قيام النظام الاجتمـــاعي على اساس المشروع الراسمالى الحر والابتعاد من حيث المبدأ عن التدخل فى هذا الميـــــدان ، واذا كان الديموقراطيون يميلون الى ما يقال له دولة الرفاهية ، ويـــدعون الى التوسع فى برامج الخـــدمات عن طريق المال العام ٠٠ فان مثل هذه الاجراءات انما تمليها الظـــروف القائمة اليوم دون ان تمس جوهر النظام الاجتماعي ٠ واذن فالخلاف هو بين « **الفردية الخشنة** » التى يستمسك بها الجمهــوريون او غلاتهم ٠ وبين « **الفردية المتحررة** » كما يدعو اليها الديموقراطيون ٠

ثالثا : العداء للشـــيوعية فى داخل البلاد او خارجها وبمختلف الوسائل ٠ وهذه الوسائل تختلف اليوم عنها بالامس ٠ فبسبب امتلاك الولايات المتحدة والاتحـــــاد السوفيتى للاسلحه النووية ٠ لم تعد الحرب بالوسيله التقليديـة المأمونة الجوانب لحل الخلاف بين النظامين الراسمالي والاشتراكي

رابعا : ان الانتخابات وسـيلة للاستحواذ على السلطة السياسية بما يكفل ارضاء المصالح المحلية المتباينه ، من عنصرية وثقافيـــة ودينية واقتصادية

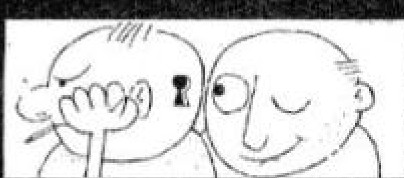
* * *

وهكذا يبدو واضحا ان الخلاف بين الحزبين الكبيرين فى أمريكا هو اختلاف من حيث الـدرجة وليس اختلافا من حيث النوع اى أنهما وسيلتان متقاربتان الى حد ما لدعم الفلسفة الاجتماعية الســـائدة فى البلاد اليوم ٠٠



المعركة الانتخـــابية ، مناورات واتهامات ٠٠!

أفكارهم



* يقول الكاتب الامريكى لويس كرونفبرجر فى كتابه « العربة والحصان » ان الثقافة نفسها بصدد ان تصبح من مشروعات الاعمال الكبيرة ، وان الامريكيين يقتربون من الوقت الذى قد تصبح فيه الفرق الموسيقية الرفيعة ملكا للشركات الكبرى

* كتب محمد فريد ابو حديد فى مجلة الثقافة : ان الافكار والعقائد والمشاعر فى العصور المتعاقبة ليست نسخا متكررة لصورة واحدة . فالتاريخ وان كان يحتفظ بروح مفهوم الحرية ، يدخل اليه بعض الاضافة — قليلا او كثيرا — مما يجعل المفهوم الجديد للعصر كفيلا بمواجهة الظروف القائمة فعلا

* قال والتر ارندت زعيم عمال صناعة التعدين بالمانيا : الفحم مثل الحبوب مادة سياسية . واذا سمحنا بالمنافسة الحرة فى سوق الوقود فسوف يكون هذا بداية النهاية

* يقول بول سيجموند فى كتابه « ايديولوجية الامم الآخذة فى النمو » ان المبدأ الاساسى فى ايديولوجيات الدول النامية يتمثل فى الثورة الاجتماعية والاقتصادية ، وهى تتجه الى خلق شعور بالامة وولاء للشعب ككيان جماعى متحد

* كتب دافيد بوروف فى ملحق النيويورك تايمز الادبى يقول ان امريكا لم تشهد خلال الشهور الاخيرة ظهور موهبة جديدة مثيرة او جهدا يبذل من جانب الجيل الجديد من الكتاب الذى يحتل مكانة بحق فى المكان الذى ظل شاغرا بعد موت فوكنر وهيمنجواى

* كتب على امين فى « الاخبار » ان على الدولة الصغيرة ان تبحث عن طريقة لوقف الاسراف لان اسراف الدولة يضعفها . وطالب بأن يجتمع خبراؤها ليتبادلوا تجاربهم وخبراتهم ويحاولوا معا الوصول الى حلول رخيصة وسريعة لمشاكلهم والاستفادة من تجربة كل دولة صغيرة

* يقول حسن فتح الباب فى مجلة « العربى » ان المنافسة العلمية التى تحتدم اليوم بين الدول الكبرى فى سبيل الاستئثار بعباقرة العلم الحديث ، ولا سيما فى مجال الرياضيات وابحاث الفضاء ، ليست جديدة . ان لها جذورا فى العصور الوسطى الاسلامية . وخير مثل لذلك ما حدث فى زمن العباسيين . فقد كان المأمون يفرض فى شروط الصلح الاستيلاء على احدى المكتبات كما كان الخلفاء العباسيون يتسابقون مع اباطرة الدولة البيزنطية فى اقتناء العلماء واستقدامهم الى بغداد . .

* كتب خالد محيى الدين فى جريدة الاخبار يقول : ان سياسة التعايش السلمى بكاملها لا توقف الكفاح التحررى او الكفاح الثورى داخل ارض الوطن

ويعتبر أن تصفية الاستعمار تخلق الجو الحقيقي في العالم للتعايش السلمي . فالتعايش السلمي موضوعه هو العلاقات بين الدول ، وليس مجاله العلاقة بين القوى المستغلة والمستعمرة ، والشعوب المظلومة أو المستعمرة .. !

*** يقول رجاء النقاش في جريدة الجمهورية : اننا مازلنا ننظر الى العلم العربي القديم نظرتنا الى تحفة غريبة شاذة . ننظر اليها من باب التسلية لا اكثر ولا اقل . بينما لو عنينا بالعلم العربي القديم عناية حقيقية وفتحنا الباب امام التخصص في مثل هذه الدراسات فاننا سندرك ولاشك عمق النظرة العلمية عند العرب ، ولنضع ايدينا على كثير من الحقائق العلمية الهامة ..**

* كتب الدكتور زكريا ابراهيم في مجلة العربي يقول : ليس الفنان دخيلا على مجتمع المدينة الحديثة . فان قاعدة الجمال التي تقوم على انكار الواقع من جهة ، واضفاء ضرب من « الوحدة » عليه من جهة أخرى ، انما هي في الوقت نفسه قاعدة « التمرد » كما يقول كامي . ولن يتسنى للمجتمع الصناعي الحديث أن يعرف السبيل الى الحضارة الحقيقية الا حين يمنح العامل كرامة الفنان المبدع بحيث يتحقق التوافق بين الانتاج الصناعي ، والابداع الجمالي ..

*** في راى الدكتور سعيد عبده : ان الغرض من اعداد طبيب في جامعة الازهر هو تخريج طبيب شعبي مسلح بالثقافة الدينية ، ويستطيع بواسطتها الدخول السريع الى قلوب الناس . وبذلك يتمكن من أداء مهمته الاولى ، وهي تهذيب العقائد وتطويرها من زيغ الخرافة ، ومن اباطيل القرون .. !**

*** يقول أحمد عباس صالح في مجلة الكاتب : اننا حين نتحدث عن اليسار واليمين في الاسلام لانهدف الى المعنى الذى ذكر في القرآن « اصحاب اليمين ... واصحاب الشمال » . اننا نعني باليسار هؤلاء الذين اهتموا بالجانب الاجتماعي في الاسلام ، واعتقدوا انه الى جانب كونه ديانة سماوية تنظم العلاقة بين الله والانسان ـ فلسفة اجتماعية تنظم العلاقة بين الناس لصالح الغالبية العظمى التى تتكون من الفقراء والمستضعفين .**

* في مقال بعنوان دكتاتورية البروليتاريا تساءل اسماعيل المهدوى في مجلة الكاتب قائلا : هل صحيح ماقاله لينين من أن دكتاتورية البروليتاريا هي عقيدة الماركسية ؟ . وأنه لايكون ماركسيا من ينكر دكتاتورية البروليتاريا ؟ . وأجاب الكاتب : ان هذا صحيح في مرحلة ، وغير صحيح في مرحلة اخرى. صحيح في مرحلة الثورة العنيفة التي قال عنها لينين أنها أساس العقيدة الماركسية كلها . وغير صحيح في مرحلة التطور السلمي التدريجي .. وهذا واضح من كلام لينين نفسه حين قال : « لاتستخدموا حروف الماركسية .. ضد روح الماركسية » ..

*** يقول السيد كمال الدين رفعت في مقال بمجلة الكاتب له بعنوان حتمية الصراع الطبقي : « ان الاسلام اعترف بوجود الصراع الطبقي على اساس اقتصادي، وعلى اساس علاقة الانسان بوسائل الانتاج ، ومن هنا يتضح ان نظرية الصراع الطبقي لم تكن جديدة علينا ، او دخيلة على فكرنا . انها اصيلة في هذا الفكر ، ونابعة منه ..**

* كتب مطاع صفدى بمجلة الاداب يقول : ان الفكر والعمل ضمن الجماعة الجدلية لايتحاوران ، لانهما في الاساس غير منفصلين ، لكي يلتقيا عبر حوار ما . ولعل المنهج الجدلي يرجع اليه الفضل في الغاء اكبر تجريدين حكما التفكير والسلوك الانسانيين عصورا طويلة ، وهما : المادة والفكر ، فليس هنالك في الاساس الا فكر بمعزل عن مادة ، أو مادة بمعزل عن فكر . وانما المعطى الاصلي هو هذه الجماعية Totalite التى لايمكن فصل أحد القطبين فيها الا بتجريد ذهني خالص .

أخبارهم

* قررت وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة انشاء معهد عال للدراسات البريدية ، مدة الدراسة ثلاث سنوات منها ٦ اشهر يقضيها الطالب فى المانيا

* تأجل مؤتمر الادباء العرب المقرر انعقاده فى بغداد ، الى ٢١ ديسمبر القادم . سوف يناقش المؤتمر موضوع « دور الادب فى معركة التحرر والبناء فى الوطن العربى » . وينقسم الموضوع الى اربعة اقسام وهى : الادب والاستعمار ، الادب ودوره فى الثورة الشاملة ، الادب والغزو الفكرى ، الادب ومعركة التحرر السياسى

* ٢٥ مبعوثا من بعض البلاد العربية يتلقون محاضرات حول الدراسات السكانية ويقومون باجراء ابحاث ميدانية ، وذلك فى المركز الديموجرافى لشمال افريقية ، بالقاهرة

* ترجم يوسف الخورى وزوجه ، وهو من أبناء المهجر فى البرازيل «مقدمة ابن خلدون » الى اللغة البرتغالية . استغرقت الترجمة نحوا من خمس عشرة سنة وتقع فى حوالى ١٥٠٠ صفحة

* زاد عدد طلاب جامعة القاهرة من ٢٤٦٥٢ طالبا فى عام ١٩٥٢ الى ٣٥٧٨٤ طالبا فى عام ١٩٦٣ . وارتفع عدد الخريجين من ٢٠٥٨ الى ٥١٠٨ خلال الفترة ذاتها

* بدأت وزارة الاوقاف بالقاهرة العمل لانشاء اول مؤسسة عربية اسلامية لتعليم اللغة العربية والعلوم الاسلامية فى قارتى اسيا وافريقيا . ستضم المؤسسة عشر وحدات تشتمل كلّ منها على مسجد ومعهد دينى ووحدة صحية

* ستنشر ادارة الالف كتاب بالقاهرة كتاب « تاريخ الفلسفة الروسية » تأليف نيكولاى لوسكى وترجمة فؤاد كامل

* « من ادب الجريمة » كتاب جديد يصدر للدكتور السعيد مصطفى السعيد المدير السابق لجامعة القاهرة

* دعت العراق الدكتور محمود احمد الحفنى ، ودكتورة سمحة الخولى الى الاشتراك فى المؤتمر الموسيقى الدولى الذى يعقد فى بغداد ابتداء من ٢٨نوفمبر الحالى

* يجرى الان العمل لاصدار الجزء الرابع من سلسلة « تراثنا الموسيقى » التى تصدرها اللجنة الموسيقية العليا بالقاهرة باشراف ابراهيم شفيق الاستاذ بالكونسرفتوار

* الفولكلور اللبنانى فى هيكل القومية والفن » كتاب للفاضل سعيد عقل صدر فى بيروت

* الشاعر العراقى هلال ناجى يصدر له كتاب بعنوان « اضواء على الشعر الحديث فى اليمن »

* الاديبة العراقية هند نورى يصدر لها قريبا كتاب يتناول دراسة مسهبة من الرمزية فى الشعر العربى الحديث

* « وحدى فى الزحام » عنوان المجموعة القصصية التى تصدر للدكتورة سهير القلماوى

* سيقام فى تونس ما بين ٢٤ — ٢٨ فبراير عام ١٩٦٥ مهرجان بمناسبة مرور ٣٠ سنة على وفاة ابى القاسم الشابى

* صدر بالروسية كتاب « الهند » لابى الريحان البيرونى . قام بترجمته من العربية العالمان الروسيان خالدوف ، وزاخادوفسكى

..وأخبارهم

من ٧٠ سنة

* اجابت « المقتطف » على سؤال لاحد القراء ، بانه ليس هناك دليل على ان المتقدمين كانوا اطول عمرا من المتاخرين . اما الذين قيل عنهم ان كلا منهم عاش ثمانمائة سنة وتسعمائة سنة ونحو ذلك فالمفسرون مختلفون في حقيقة ما روى عنهم ، ولكن ليست هناك ادلة علمية تؤيد هذا او تنفيه

* اثبت العالم هورسلي ان من يصاب بالرصاص في دماغه يموت بالاختناق لا بالاغماء فيجب ان يعالج بالتنفس الصناعي كما يعالج الغريق

* تالفت لجنة من العلماء الطبيعيين ورجال الصيد والقنص في بريطانيا غرضها ان تحمى قطعة كبيرة من الارض في اواسط افريقية حيث تكثر الحيوانات البرية الكبيرة ، وقررت اختيار مساحة قدرها نحو مائة الف فدان وتحوطها بالاسلاك المعدنية حتى لايدخلها احد حفظا لهذه الحيوانات من الانقراض

* اجمعت جمعية التحكيم البريطانية على أن تطلب من دول الارض ان تجعل نفقات جنودها البرية والبحرية التى تنفقها سنة ١٨٩٤ غاية ما تنفقه في كل سنة من السنين التالية حتى نهاية القرن التاسع عشر ، على ان يكون ذلك مقدمة لنزع السلاح

* تحدث الفيكونت النل في مجلة ريفى دى موند عن المخازن الكبيرة التى تجمع اصنافا مختلفة من البضائع وعددا كبيرا من الباعة ، فقال عن الاخيرين انهم ليسوا سوى آلات مقيدة بارادة صاحب المخزن ولا مطمع لهم في ارضائه ، وهؤلاء الباعة قلما يفترقون عن العبيد في عصر الرومان

* قالت « المقتطف » ان الاغريق كانوا يتخذون الفراشة رمزا الى النفس ويرسمونها على النواويس التى يدفنون فيها موتاهم ، فترى على الناووس صورة المشاعل مقلوبة رمزا الى انطفاء سراج الحياة واكاليل الورد والاس رمزا الى زوال المحبة والجاه

* ذكرت « الهلال » ان من عادات اهل كوريا ان يعاقبوا العاصى بقتله وقتل سائر اعضاء عائلته والاستيلاء على املاكهم وهى عادة صينية قديمة. والرقيق دمه مباح لسيده اما الجنايات الخفيفة فعقابها الكرباج والفلق

* تقدر عدد الزلازل المهمة التى حصلت في الارض منذ سنة ١٣٥ قبل الميلاد حتى سنة ١٨٩٤ بلغت ٢١٥ زلزالا أما مصر فلم يحصل فيها من الزلازل المهمة الا زلزال واحد حدث في القاهرة سنة ١٧٥٤ فخرب نصف مبانيها وقتل ٤٠ ألف شخص

* « الرحلة الشتوية في الجهات الثلجية » اسم الرواية التى كتبها الروائى الفرنسى جول فرند وترجمها الى اللغة العربية توفيق دوبريه مترجم كتاب السلسلة الذرية

* أصدر البابا منشورا آثار الاهتمام وبخاصة في الشرق ، اذ قال : انه يود ان يدعو الكنائس جميعا وخصوصا كنائس البروتستانت في الشرق الى الائتلاف وتنصح لها ان تعود الى الكنيسة القديمة وتجمع على عقيدة واحدة



اجتماعات الرئيس لفك [illegible]

عادل حسين :

الاستهلاك

.. وحل المعادلة الصعبة!



التنمية واما نعلن انه قد تقرر ان تبقى ابد الدهر اسرى الفقر ، وتبقى ابد الدهر في وضع التابع والخاضع للدول المتطورة

ان الرئيس عبد الناصر يعلن بحق « ان شعبنا قد خرج من الدراسة الشاملة لموقفه ومشاكله ولخطاه المقبلة بما يمكن تلخيصه فى جملة واحدة : (**ان تحدى الحياة يفرض عليه ان يقوم بما يشبه المعجزة من اجل التنمية باعتبارها الحلقة للتقدم فى جميع نواحيه**) » (فى افتتاح مؤتمر وسائل التنمية الاقتصادية ١٩٦٢)

وقد كان قائد الثورة يقظا بالفعل فى طول الطريق ، وكان حازما فى توجيه البلاد نحو القيام « بما يشبه المعجزة من اجل التنمية » ، وفى كل مرة كانت تنحرف بنا المسيرة كان يسرع هو لاصلاح الاتجاه ، وكان تقويم الانحراف يعنى — فى كل مرة — خوض معركة ، وكان عبد الناصر لا يتردد ابدا ويخوض فعلا المعركة

خلاف حول الخطة :

لقد عبر الرئيس عبد الناصر عن ارادة شعبنا باخلاص حين قرر فى عام ١٩٥٩ رفض النموذج الذى قدمته اجهزة التخطيط الذى كان يستهدف مضاعفة الدخل القومى فى عشرين سنة ، وامر الرئيس اياميا على ضرورة وضع نموذج جديد يقوم على مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات فقط

ان هذا القرار لم يكن قرارا عاديا ، فهو يستهدف فى الواقع احداث ثورة ، لا فى مجال الانتاج من الناحية الكمية وحسب ، وانما ايضا فى مجال علاقات الانتاج « اى النظام الاقتصادى »

لقد وضعت الخطة بالفعل على اساس توجيهات الرئيس ، وضعت على اساس مضاعفة الدخل القومى بحيث يرتفع من ١٢٨٢ مليون جنيه فى عام الاساس « ٥٩—١٩٦٠ » الى ٢٥٦٤ مليونا فى نهاية السنة العاشرة « ٦٩—١٩٧٠ »

ان خطة السنوات الخمس الاولى التى وضعت تقديراتها فى ضوء هذا الاطار العام تسعى لزيادة الدخل ٤٠٪ ، اى يصل الى ١٧٩٥ مليون جنيه ، ومن فى سبيل تحقيق هذا المعدل « من النمو تستهدف استثمار ١٥٧٧ مليون جنيه » باضافة المخزون السلعى يصل الرقم الى ١٦٦٦٫٦ مليون جنيه .. وكان النموذج المرفوض يستهدف استثمار ١٨٠٠ مليون جنيه خلال العشر سنوات »

ان الارقام السابقة تعنى أن نسبة الاستثمار المستهدف الى الدخل القومى خلال السنوات الخمس الاولى حوالى ٢٣٪ « تسمى هذه النسبة معدل الاستثمار »

وسيكون معدل النمو فى الدخل خلال العشر سنوات ٧٫٥٪

وتحقيقنا لهذه المعدلات يعتبر معجزة بالفعل ، ولذا فان تحقيقها — ككل معجزة ليس امرا سهلا ، ونستطيع أن نقول ان الحرب والعقبات لم تهدأ ولم تنته من حول الخطة منذ وضعت

لقد بدأ معارضوها بالقول بأن هذه خطة لا مثيل لها ، وانها تفوق خيال اى دولة غير متطورة ، فخبراء الامم المتحدة ، وروستو واسدقاؤه ، يضعون معدلا قياسيا للاستثمار فى مثل بلادنا يبلغ ١٥٪ وخطط الدول غير المتطورة فى اسيا وافريقيا تضع بالفعل معدلات للاستثمار والنمو تهبط عن معدلاتنا المستهدفة بشكل ملحوظ

فالخطة الهندية الثالثة « ٦١—١٩٦٦ » مثلا تستهدف زيادة الدخل القومى من ٩٦٠٠ مليون روبية الى ١٢٥٠٠ ، وهى زيادة لا تتعدى ٣٠٪ ، وتقل هذه النسبة بمقدار الثلث من نسبة زيادة الدخل المستهدفة خلال خطتنا الاولى للخمس سنوات ، ولكنها تعتبر فى الهند مع ذلك تقدما هاما بالمقارنة بالزيادة التى كان مقدرا للخطة الثانية هناك أن تحققها وهى ٢٥٪ : وتستهدف الخطة الهندية الثالثة ايضا احداث تطور ملحوظ فى معدل الاستثمار بالنسبة لما كان عليه الحال فى الخطتين الاولى والثانية ، فهو يبلغ ١٢٪ فى الخطة الثالثة وكان لا يتعدى ٥٪ فى الخطة الاولى . وواضح مع ذلك الفارق بين هذا المعدل الهندى فى الخطة الثالثة وبين المعدل المصرى — ٢٣٪

فاذا اضفنا أن الخطة الهندية الثالثة تعتبر من أكثر المحاولات طموحا في الدول غير المتطورة ، فان خطتنا على هذا ، وطبقا للمقارنات ألتى يجريها النقاد ، خطة لامثيل لها ولايمكن أن تتحقق

***

ان نشرة البنك الصناعي مثلا تعلق على الخطة قائلة مامعناه اذا كنتم لاتصدقون كلامنا اذن انتظروا النتائج ، انها تقول « **قد تظهر المتابعة مثلا ان تقديرات الخطة لامكانيات التمويل المحلية اعلى مما تحقق فعلا نتيجة للمبالغة في تقدير الميل الحدى للادخار ولاسيما في مجتمع متطور من الطابع الزراعي الى الطابع الصناعي ومايترتب على ذلك من زيادة ميل الافراد الى المحاكاة والارتقاء بمستوى معيشتهم لمستويات اعلى** »

هكذا يشكك في امكانيات تحقيق التراكم الداخلي المطلوب لمواجهة حاجات الاستثمار المستهدفة في الخطة

وتستطرد النشرة قائلة « **كذلك قد تظهر عمليات المتابعة أن الصادرات في الخطة قد قدرت على أساس ظروف تنافسية موالية قد لايقدر لها الاستمرار مما يؤثر على سلامة تقديرات الخطة لحصيلتنا من النقد الاجنبي** » (البنك الصناعي — العدد الأول — ١٩٦١)

ولم تتوقف المعركة ابدا ، لقد استفاد « نقاد الخطة » من بعض التعثر الذى واجهناه في التنفيذ كي يشددوا من هجماتهم وتشكيكاتهم في امكانية التنفيذ

وتقول نشرة البنك الاهلى المصرى « العدد الاول والثانى ١٩٦٣ »

« **ان خطة التنمية كانت مثارا لبعض التعليقات طوال السنة الماضية ، فلقد طرحت للمناقشة ثلاث موضوعات رئيسية تتلخص في ان التوسع في اقتراض الحكومة من الخارج لا تجيزه الاعتبارات الاقتصادية في الخطة ، وان نسبة الاستثمارات الواردة بالخطة الى الدخل القومى « وتقدر بحوالى ٢١٪ في السنة**



علي صبري امام مجلس الامة بيان هام ! . . .

الاولى » تعتبر عالية جدا ، واخيرا فان الزيادة التي ينتظر ان تتولد في الدخل القومي - وفقا لتقديرات الخطة - والتي تبلغ نحو ٨٪ لا تزيد كثيرا عن مثيلاتها في الدول النامية الاخرى ، وانتهت هذه التعليقات الى أن مثل هذه العوامل الثلاثة من شأنها ان تؤدي بالضرورة الى التضخم »

صحيح ان البنك قد تلى ذكر هذه الاعتراضات بترديد بعض الردود الرسمية التي تقال في هذا المقام ، ولكن يلاحظ ان النشرة - كنشرة بنك مصر - تدأب على نشر الارقام الخاصة بخطط التنمية في الدول الاسيوية والافريقية الاخرى ، وهو نشر يحاول أن يؤكد هذا الذي يقال من أن أرقامنا « لا تزيد كثيرا من مثيلاتها في الدول النامية الاخرى »، بل ان النشر عادة مايكون مصحوبا بما يوحي انه حتى في هذه الدول تبدو الارقام غير واقعية

ولا نستطيع أن نقول بطبيعة الحال ان هذه الانتقادات لاتعتمد على أي أساس ، بل الحقيقة انها انتقادات جادة ، ولكن من وجهة نظر رأسمالية

ان قدرة الرأسمالية كنظام اقتصادي على حل مشاكل التخلف قد اثبتت افلاسها التام . ان التنمية الاقتصادية، طبقا للفهم العلمي ، ليست مجرد عملية بسيطة تضاعف حجم الانتاج أو تنوعه ، وانما هي عملية مركبة يتداخل فيها دور قوى الانتاج ودور علاقات الانتاج ويتبادلا التأثير . ولكي نقوم بعملية تنمية ناجحة لاينبغي أن نتصور ان نقطة البداية الوحيدة هي توفر الخامات والآلات والمهارات الفنية ، فان في الدول النامية تكون نقطة البداية الاكثر حسما في معظم الاحيان هي توفر النظام الاقتصادي الثوري القادر على تعبئة الجهود والامكانيات ، والتنسيق بينها حتى تستخدم أكفأ استخدام ممكن والنظام الثوري الذي يمكننا من القيام بهذه المعجزة هو النظام الذي سنختاره حتما ، ولذا فان « **الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر - وصولا ثوريا الى التقدم - لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختياري ، وانما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضه الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين »**

« الميثاق - حتمية الحل الاشتراكي » .

واذا كانت تجربة شعبنا وعالمنا تدل على ان الاشتراكية هي الاسلوب الوحيد لاحداث تنمية ثورية ، فانه سيكون من العبث ان نناقش خطة التنمية في مصر ، وهي خطة ثورية ، على أساس المفاهيم البورجوازية، وعلى أساس المقارنة بالتجارب البورجوازية الفاشلة في الدول النامية الاخرى

***

ان من يريد أن يناقش قضايا التنمية في مصر ومشاكل التخطيط مناقشة جادة ينبغي ان يفعل ذلك من مواقع اليسار وليس من مواقع اليمين ، وان من يناقش الخطة المصرية من مواقع اليسار لن يجدها ارقاما خيالية وانما سيراها اهدافا معقولة وممكنة وسبق أن طبقت فعلا في كافة الدول الاشتراكية

في التجربة السوفيتية تراوحت معدلات الاستثمار في الخطة الخمسية الاولى بين ٢١٫٣٪ في عام ١٩٢٨/٢٧ و ٢٦٫٤٪ عام ١٩٣٢.

وفي الصين كانت معدلات الاستثمار في الخطة الخمسية الاولى « ١٩٥٢ - ١٩٥٧ » تزيد عن ٢٠ ٪

وفي يوغوسلافيا حققت الخطة الاولى « بدأت عام ١٩٤٧ ، وكان مفروضا أن تنتهي عام ١٩٥٢ » معدلا من الاستثمار يبلغ ٢٢٫٥ ٪

وفي كوريا كانت ارقام عام ١٩٦٢ « لم تكن ارقام الخطة قد اعلنت بشكل نهائي حتى عام ١٩٦٣ » تضع معدل الاستثمار لذلك العام ٢٧ ٪

.. والآن فارقام الخطة المصرية ليست نوعا من المحال ، فقط ينبغي أن نحدد الزاوية التي نحكم منها ونقارن بها . هل نريد أن نقارن امكانيات نظامنا الثوري بالدول الخاضعة لسيطرة الاستعمار والرأسمالية والرجعية بدرجات الخضوع المختلفة ، كالباكستان والفلبين وتايلاند ؟ هل نريد أن نقارن دولتنا بهذه البلاد ، أم ينبغي أن نقارن ثورتنا ونتائج تحولنا الاشتراكي الظافر بنتائج الثورات الكبيرة الاخرى ؟

ان تحقيق التراكم المطلوب هو فعلا امر

صحب في بلاد فقيرة ينخفض فيها متوسط الدخل الفردي ، ومتوسط الاستهلاك ، ويقول البعض ان أي زيادة في الاستثمار لن تعنى الا زيادة الادخار القومي وانخفاض متوسط الاستهلاك الذي هو أصلا منخفض. ولا شك ان هذا صحيح ، فان تحقيق التراكم في الدول غير المتطورة في ظروف عالم اليوم يتحقق أساسا من داخل البلد النامي نفسه . ان أساليب النهب الاستعماري قد انقضت ، كما أن تنمية بلد من البلاد على حساب الشعوب الاخرى أصبحت امرا مستحيلا

واذا كان الدخل القومي ينقسم الى



انفاق استهلاكي وادخار يحبس عن الاستهلاك كي يتجه للاستثمار ، أي اذا كان الدخل القومي ينقسم في انفاقه على هذا النحو

ا « استثمار » + ب « استهلاك » ، فان هذا يعني انه كي نزيد من الاستثمار « ا » فان هذا يعني في نفس الوقت نقصا في «ب» . ولا يمكن أن يزيد «ب» اي الاستهلاك دون أن يؤدي ذلك الى نقص في معدل الاستثمار

ان حجم الاستثمار لا يتحكم فقط في معدل النمو في الانتاج والدخل ، وانما أيضا في حجم الاستهلاك ومعدل الزيادة فيه

ولذا يكون أمرا غريبا أن يتصور البعض ان بلادنا تستطيع ان تحقق معدلات عالية من الاستثمار دون أن يكون ذلك مصحوبا بنوع من التقشف ، وبدرجة او أخرى من التاعب في المشاكل التموينية وما شابهها من مشكلات

ان احتمال مستوى معين من الحرمان والمشاكل في الاستهلاك هو أمر لا يمكن تجنبه في دولة غير متطورة وفي مراحل تنميتها الاولي

وفي مصر — وفي الدول المشابهة — حين قررنا أن نرفع معدل الاستثمار كنا قد قررنا في نفس الوقت أن نحد من معدل الزيادة في الانفاق الاستهلاكي

الا أن الحد من الاستهلاك القومي «ويدخل فيه الخدمات » ليس حدا بلا ضوابط اجتماعية ، فنحن حين نتكلم عن «الاستهلاك القومي » نقصد بهذا التعبير معايير حسابية لاعطاء صورة عامة كمية ، ولكن في المجتمع الحقيقي المليء بالتناقضات والطبقات لا يتم الاستهلاك هكذا في أواني مستطرقة . فهناك بعض القوى والطبقات التي تستأثر بجزء كبير من الدخل والاستهلاك ، وحين نتكلم عن الحد من الاستهلاك من مواقع اشتراكية فنحن نقصد الحد من هذا الاستهلاك الترفي الذي تقوم به الطبقات الثرية ، وليس الحد من استهلاك الجماهير الشعبية ، بل الصحيح اننا سنعمد الى رفع مستوى الاستهلاك لجماهير الشعب حتى لو اضطررنا الى انقاص الحجم الكلي «للاستهلاك القومي »

وقد ثبت أن الادخار القومي التي تستطيع الدولة الاشتراكية ان تنظمه عن طريق التأميم والسيطرة يمكن ان يكون بداية صالحة للتنمية الجادة ، بداية لا تجعل الارقام المستهدفة في خطتنا نوعا من المحال.

انها نوع من المحال فعلا للدول التي تخشى هذا الطريق ، نوع من المحال في الدول التي يستشهد بها النقاد ، هذه الدول التي لا تتفق أنظمتها الرجعية مع فكرة الاستيلاء على رءوس الاموال الخاصة الاجنبية والمحلية وتوجيه فائضها للتنمية المخططة ، هذه الدول التي لن تستطيع أن تحقق معدلات مرتفعة من الاستثمار والتنمية بالتالي لانها تخشى اقتحام الباب الوحيد المفتوح أمام الاستثمار والتنمية

اما نحن فان اجراءات يوليو ١٩٥٦ ، واجراءات يوليو ١٩٦١، واجراءات اغسطس ١٩٦٣ ، قد وضعتنا في موضع آخر ، ووضعت تحت ايدينا امكانيات اخرى لا تجدها الباكستان مثلا ، وانما تجدها فقط الدول الثورية التي تستطيع ان تغير

نظامها الاقتصادى والاجتماعى جـذريا كما فعلنا

الا أن الامر لا ينتهى بالاجراءات التى نتخذها بالتأميمات والحراسات ، فان هذه الاجراءات هى جزء من سياسة عامة واعية للتنمية ، فلو لم تكن هناك يقظـة قائمة للاستفادة من هذا الوضع فى زيادة الانتاج لامكن ان تنتكس • من الخطر مثلا ان تأكل الزيادة فى الاستهلاك ــ نتيجة التأميمات كل الادخار الذى كان ممكنا أن يحدث • من الخطر بالذات أن تبرز مجمـوعة من « الطبقة الوسطى » ترفض أبناء التقشف وتصور لها تطلعاتها أنها يمكن وينبغى أن تحل محل الطبقات المستغلة •• ومن الخطر أيضا ان تبدد التراكم الذى حققناه بهذه التأميمات فى اتجاهات خاطئة من الاستثمار كان نركز على الخدمات باكثر مما نركز على الانتاج

المعادلة الصعبة

مع تصورعملية التنمية كعملية ديناميكية، فان الدخل يزداد كل عام مع الاسـتثمار الجديد • ومع كل زيادة فى الدخل ينبغى ان يزيد الاستهلاك ، ولكن ينبغى أيضا ، بل وفى المقام الاول ، أن يزيد الاستثمار وكل زيادة فى الاسـتثمار تعنى كما قلت خفضا لمعدل الزيادة فى الاستهلاك • فالى اى حد تتم هذه الزيادة وهذا الخفض ؟ هذه هى المعادلة الصعبة التى اشار اليها الميثاق

ان اقامة التوازن فى كل سـنة بين ما ينبغى ان يذهب الى الاستثمار وما ينبغى ان يذهب للاستهلاك هو امر بالغ التعقيـد والصعوبة، وهو يخضع لعديد من الاعتبارات والظروف

فضمن الاعتبارات بطبيعة الحـال تطلع الجمـاهير الى زيادة رفع مستواها المعيشى ، وأن تزيد من اسـتهلاكها من المواد الغذائية والمصنوعة ، وهو اعتبار له اهميته من الناحية الاجتماعية بالتطلع الاشتراكى الذى يعنى فى نهاية الامر توفير حياة افضل للشعب العامل • الا ان هذا الاعتبار على أهميته لا ينبغى ان ينسـينا المصلحة الابعد للشعب العامل • الا وهى التنمية الاقتصادية السريعة التى تضع الاساس للرفاهية المنشودة • لو التهمنا كل دخلنا دون أى استثمار ووزعنـاه بمساواة كاملة على الشعب لظل الشعب فقيرا ، وان هذا يذكرنا باسـتمرار ان المشكلة الاولى التى تواجه بلادنا هى توسيع قاعدة الثروة الوطنية ومضاعفة الانتاج القومى عدة مرات باقصى سرعة

واذا كانت هذه هى المشكلة الاولى ، وهذا هو الواجب الاول فان واجب تحقيقه يعلو على اى واجب آخر ، ويصبح تحديدالمدى الذى ينمو اليه « الاستهلاك » و« الخدمات » امرا يوضع فى المقام الاول لاحتياجات التنمية ، وكقانون عام يجب أن ينمـو « الاستهلاك » و« الخدمات » بمعدل يقل عن معدل الزيادة فى الدخل القومى

***

ومن حسن حظنا ان التجربة المصرية فى التنمية تتم فى ظروف عالم افضل من عالم التجارب الاشتراكية الماضية • ان ظروف عالم اليوم تمكننا من الاعتماد على المساعدات والقروض الخارجية فى سد جزء هام من استثمارات الخطة « حوالى الثلث » ، وهو امر يعنى اننا حين نقرر معدلا من الاستثمار يبلغ ٢٣٪ فاننا لن نكون مضطرين فى تحقيقه الا لاقتطاع ١٦ ٪ فقط من دخلنا القومى ، بينما كانت التجربة السوفيتية مثلا مضطرة لاقتطاع معـدل الاسـتثمار المستهدف بكامله « ٣٦ ٪ فى آخر لحظة » من استهلاك الشعب السـوفيتى ، وكان متصورا أن مثل هذا المعدل لا ينتـزع من استهلاك الشعب الا مع اجـزاء من دمه ولحمه • لقد ادى تحقيق هذا المعدل ــ مع اعتبارات قاسية اخرى ــ الى فرض تقشف بالغ القسوة والشدة

ولذا كان الميثاق عندنا محقا تماما حين اوضح اننا لن نكون مضطرين فى حل المعادلة الصعبة الى المرور بمثل هذا التقشـف الشديد

ولكن دون أن يعنى هـذا أيضا أننا لن نبالى مطلقا ، ولن نتقشف باى قدر ، فلو كان ممكنا ان ننمو دون ثمـن لما كانت المعادلة صعبة على وجه الاطلاق

ولقد كانت الخطة المصرية في تصميمها الأصلي عام ١٩٥٩ موفقة في وضع حل صحيح للمعادلة الصعبة ، حل يتفق مع ظروف التجربة الاشتراكية المصرية ، لقد قررت ان يخص السنة الأولى «١٩٦٠/١٩٦١» من الاستثمارات مبلغ ٢٩٢٫٣ مليون جنيه « رقم تقديري » أي بنسبة ١٨٫٦ ٪ من مجموع الاستثمارات المقررة للخمس سنوات ، هذا يعني أن الخطة رسمت على اساس ان تحقق الاستثمارات المطلوبة دون خفض لحجم الاستهلاك القومي « عكس



ماحدث في الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا» وان تستعين في تحقيق التراكم المطلوب بتزايد القدرة الاستثمارية للمجتمع النابعة من زيادة قدرته الانتاجية اثناء السعي لتنفيذ الخطة

ان حل المعادلة الصعبة اذن افترض في التجربة المصرية أن الادخار سيزداد مع تنفيذ معدلات النمو ، الا أن حل المعادلة الصعبة قد افترض أيضا امكانية زيادة الاستهلاك — بمعدل معقول — اثناء الخطة ، فقد قدرت الخطة أن يزيد الاستهلاك في نهايتها بنسبة ٢٤ ٪ عما كان عليه الامر في سنة الاساس «٥٩/١٩٦٠» ، ومعلوم أن الزيادة السكانية ستكون في نفس الفترة ١٢٫٥ ٪ ، أي أن متوسط استهلاك الفرد قد قدر له أن يرتفع بحوالي ١٠ ٪ عن سنة الاساس

أما الدخل القومي فستهدف الخطة الى زيادته ٤٠ ٪ كما هو معروف ، ومع حساب الزيادة السكانية تصبح الزيادة في متوسط دخل الفرد ٢٤٫٤ ٪

***

وهكذا كان حل المعادلة الصعبة مؤديا الى زيادة متوسط الاستهلاك ، والى زيادة في نفس الوقت في معدل ادخار الافراد مما يساعد على تمويل الاستثمارات المقدرة ، ولكن لم يكن ممكنا حل المعادلة على هذا النحو الا بسبب التركيز الواضح في الاستثمار على القطاع الانتاجي او القطاع السلعي : الزراعة ، الري والصرف ، السد العالي ، الصناعة ، الكهرباء ، فقد كانت الخطة تستهدف استثمار ٩٣٦ مليون جنيه في هذا القطاع ، أو حوالي ٦٠ ٪ من اجمالي الاستثمارات

اجراس الخطر

.. والآن

هل كانت نتائج السنوات الماضية تنفيذا لاتجاهات الخطة في حل المعادلة الصعبة من حيث الاستثمار والانتاج والاستهلاك ؟

ان نتائج السنوات الثلاث لم تستطع — طبقا لتقارير المتابعة — أن تحقق معدلات الاستثمار المستهدفة • وقد زاد الدخل القومي خلال هذه السنوات بنسبة ١٩٫٣ ٪ بينما زاد الاستهلاك القومي في نفس الفترة من ١١١٧ مليون جنيه « ٥٩/١٩٦٠ » الى ١٣٣٠ ، أي بزيادة ١٩ ٪

وفي البرامج الاصلية للاستثمار في نفس هذه السنوات الثلاث كان مستهدفا أن يستثمر ٣٧ ٪ فقط من الاستثمار الكلي المقرر في الخطة للتوسع الافقي والرأسي في الزراعة • وكان مستهدفا ان يستثمر في هذه السنوات الثلاث ٥٥ ٪ فقط من الاستثمار الصناعي بالخطة • اما في الخدمات فقد كان مستهدفا أن يستثمر في هذه السنوات ٨١ ٪ من الاستثمار المعين لها في الخطة الخمسية « ! »

ولذا قرع الرئيس اجراس الخطر منبها

***

لقد تقرر في الاجتماعات أن ننبه مرة أخرى الى ضرورة التركيز على الانتاج بحيث تكون له الاولوية في الاستثمار وليس للخدمات • ومنذ مدة أكد **السيد علي صبري** تعليقا على هذه الاوضاع وتصحيحا لها ، ان **زيادة الاستهلاك ينبغي أن تكون «بنسبة اقل من نسبة زيادة الدخل نفسه »**

وهذه التوجيهات هي أهم ما أسفرت عنه الاجتماعات كما ذكرت في أول المقال

د. عبدالمحسن صالح :

بدأنا فعلا فى تعلم لغة الحياة التى نستخدمها لنعرف لماذا يخرج هذا المخلوق انسانا ، وذاك حمارا ، وغيره قردا أو بعوضة ، او ميكروبا ، او نباتا ، او طائر . . !

بدأ اكتشاف سر الحياة

لنبدأ مقالنا بالسؤال التقليدى الذى يتوق الى معرفة جوابه كل انسان :

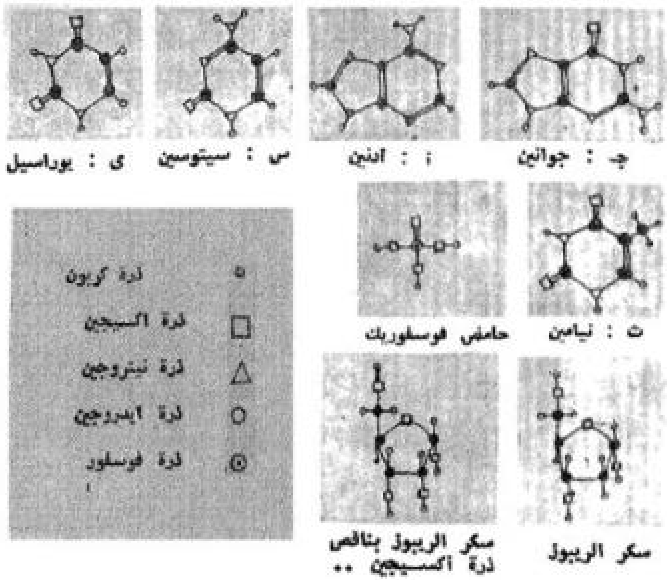
هل سنتوصل حقـــا الى سر الحياة ؟

والجواب ببساطة : نعم ، سنتوصل ، ولقد بدأنا فعلا فى تعلم لغة الحياة التى نستخدمها ، ومن هنا نستطيع أن نتفاهم معها بلغتها ، لنعرف لماذا يخرج هذا انسانا ، وذاك حمارا ، وغيره قردا او بعوضة او ميكروبا أو نباتا !

أضف الى ذلك ، اننا بدأنا نعرف بعض الاسباب التى تجعل هذا الآدمى يولـد مشوها او معتوها ، او مريضا بمـرض وراثى .. الخ ، كل هذا طبعات خاطئـة فى لغة الحياة ، ويوم نعرف اللغة كلها ونتعلمها ، سنراجع للحياة أخطاءها ، ونصححها ، وننقذ المعذبين !

ولا بد انك سائل : **ما هى لغة الحياة الآن ؟**

انها لغة غريبة علينا ، كأى لغة أخرى لا نعرف مغزاها ، ولكى نفهم اقواما ، كان لا بد أن نتعلم لغاتهم ، ولكى نفهم سر الحياة ، كان لا بد أن نتعلم لغتها كذلك ، فهى تكتب لك مثلا كل ما فيك من صفات . بأربعة حروف أ ، ث ، ج ، س ، وحتى لا تغم الصورة علينا من البداية ، كان لا بد من توضيح .. أ . أسم مركب كيميائى : أدينين ، ث : ثايمين ، ج : جوانين ، س : سيتوزين .... كتبناها هنا باللغة التى نفهمها ونقرؤها ، ولكن الحياة كتبتها بذرات



الآلات الكيميائية الدقيقة (جزيئات)التى يتشكل بها كل مخلوق حي . تتركب من ذرات مختلفة ذات شكل هندسي دقيق . تراها هنا مفككة كأجزاء الآلة . وبعد قليل تصبح بناء متكاملا تجرى به الحيـــاة

متراصة ، لخلقت منها مركبـات لهـا اشكال ورموز كالرموز والاشـكال التى كتب بها قدماء المصريين تاريخهم

وحتى لا تغيب الصورة عن بالك أود ان أكرر أن هذه الحروف هي أساسا مركبات كيميائية أربعة ، تتلاعب بهـا الحياة ، كما تتلاعب أنت بالحروف لتخلق منها كلمات تفهمهـا .. تمثلا « جاس » أو جاس معناها أن الجوانين ينتظم بجـوار الادينين ، وهـذا بجوار السيتوزين .. ببساطة هكذا

الا انها مع الحياة ليست بسيطة كما تظن ، فهى ترص تلك الحــروف أو المركبـات كمـا يرص جـامع الحـروف الـكلمات ، ثم يرسـلها الى المطبعـة ، لتخرج لك صفحة او كتابا تقرؤه ، ولكن الحياة تعطيك بدلا منه مخلوقا ، يعجبك أولا يعجبك !

ومن هو المؤلف اذن ؟

وجدناه جـزيء دان .. انه بمثـابة الرئيس الذى يشرف على سير الأمور فى دائرة عمله ، لذلك تراه — اى دنا — يتوسـط نواة الخليـة ، لـكى يتفـرغ لرسالته ، بعيدا عن المعمعة التى تدور حوله خارج النواة ، فهو الذى من ان يعرض نفسه لمثل هذه الامور

ومن هناك يصمم ويقدر ويرسم الحياة أمورها على هيئة جزيئات أخرى تحمل رسالاته الى حد بعيد « كطبعة الحروف الآلة الكاتبة على الورق » ولكن مـع تحوير بسيط ، فلا زال الجزيء يعتبر نفسه الاصل ، وكأنه لا يريد أن يخلق

أصلا مثله ، فيغير حرف الثاء بحرف الياء « مركب اسمه يوراسيل » ومن هذا التغيير الذى قد نراه طفيفا ، تتغير صفة الجزىء الجديد ، فلا يستطيع أن يخلق جزيئا مثله ، فى حين أن الذى شكله يستطيع ذلك ، كأنما هناك فى ذلك العالم الجزيئى سادة وعبيدا !

وعلى هذا الجزىء الذى خلقه دنا ، نرى التعليمات متراصة على هيئة مركبات مرتبطة برباط كيميائى ، ثم تخرج كأنها السطور المكتوبة بلغة الحياة : ا ا ا ٠ ا ا ج ٠ ى ى ى ٠ ا س ا ٠ ا ى ج ... ولاعب أنت بهذه الحروف كما تشاء ، فستجد فى النهاية أربعة وستين شفرة ، كل منها يتكون من ثلاثة حروف (مركبات) ... ولهذه الشفرات معنى ورسالة ، ولا بد أن تبلغ كما تلقمها د ن ا تماما ، حتى ولو كانت خاطئة ، فليست هناك سلطة فى الخلية أسمى من سلطة د ن ا

ولقد عرفنا الرسول الذى يحمل التعليمات خارج النواة ، ليبلغها بحذافيرها فى السيتوبلازم الحى ، ورسولنا الكيميائى اسمه ر ن ا (اختصار لاسم ريبو . نيوكلييك . آسيد) ، كذلك وجدنا أن د ن ا ، يبعث رسلا كيميائية ، ولكل رسول أيضا درجة !

وقد عزلت من الخلية جزيئات ، حللناها وصنفناها ، وعرفنا مغزى الرسالة التى يحملها كل جزىء .. فهناك « ر ن ا » الرسول Messenger RNA و « ر ن ا » الناقل Transfer RNA و « ر ن ا » الهيكل Template RNA ولكل وظيفة ورسالة

فالهياكل بنايات جزيئية كبيرة (الأمور هنا نسبية) ، تنتشر حول النواة بالآلاف ، لتستقبل الآلاف من الرسل الكيميائية ، ويتخذ كل رسول من الهيكل زاوية يسكن اليها .. ويبدو أن الشفرات تلعب هنا دورا عظيما ، لأن تنظيم أمور الحياة بين الهياكل والرسل ، هى بمثابة القوانين التى على أساسها سوف تتشكل مفاتيح الحياة وهرموناتها وبروتيناتها وأنسجتها ، فتخرج لنا فى نهاية الأمر على هيئة عشرات الألوف من البنايات الكيميائية ، ولكل بناية نظامها الخاص ، فلو شذ حجر واحد فيها . لخرجت

(أ) يظهر جزىء الادارة الحاكمة د. ن. ا. كأنه رائعة شيدت من مركبات كيميائية هى ا ، ث ، جـ ، س ، وسكر ، وفوسفات

(ب) جزىء ر.ن. ا. الرسول، وقد نزله جزىء د. ن. ا. بعد أن زوده بالتعليمات ، وبعد أن حذف منه حرف الثاء ووضع مكانه حرف الياء . ثم انه أضاف الى سكره ذرة أكسيجين. وبذلك تغيرت صفة الجزىء الرسول

(جـ) تبسيط لتشكل (ب) . وقد غيرنا رموز الحياة بحروف من لغتنا

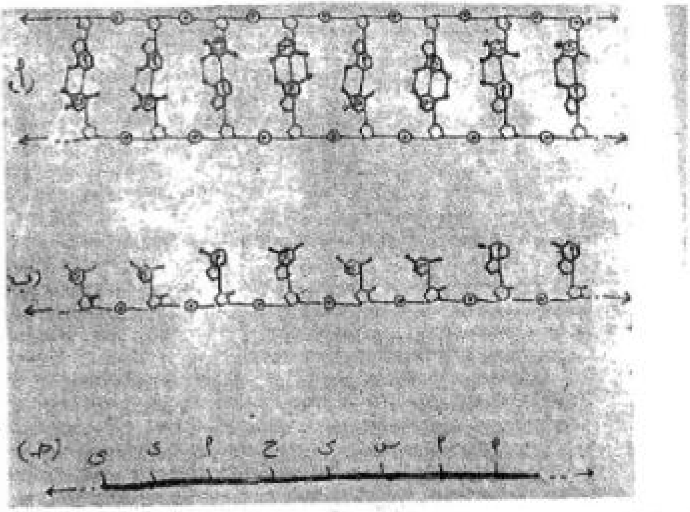
البناية خاطئة

وفى نفس الوقت تدور عشرات الألوف من الجزيئات التائهة فى أركان كل خلية ، لتنقل منها أحجارا بنائية بسيطة نطلق عليها اسم الأحماض الأمينية ، وهى التى سيقوم الهيكل والرسول ببنايتها من جديد على هيئة بروتينية تلائمه

وماذا لو حقنا الجسم ببروتين جاهز ، لنوفر عليه أعباء صناعته ؟

الجواب : أنه سيموت من أثر صدمة كيميائية عنيفة تنتاب جزيئاته الآلية. لقد أحست بدخول جزيئات بروتينية غريبة عليها ، فتضرب عن العمل فى الحال ، وتفضل الموت على الحياة

ولنا أيضا من قصص نقل الدم عبرة فلو نقلنا دما من انسان الى انسان آخر لا ينتمى لفصيلته ، فان الدم يتجلط ، وتنسد الأوعية الدموية . ويموت الجسم لهذا يفكك الجسم البروتينات الخام التى يحصل عليها من طعامه ، ويحولها الى مكوناتها الأولية ، أى الأحماض الأمينية ، ليشكلها ويبنيها على هواه ،



متمشيا مع التعليمات التى يتقبلها من جزيئات د ن ا فى النواة

والحجارة أوجزيئات الاحماض الامينية البسيطة تختلف فى طريقة بنائها الذرى ، لهذا وجدنا منها عشرين حامضــــا ، ولنتصور أن كل حامض قد وضع عــلى هيئـــة حرف واحد فى آلة كاتبــة ، وتستطيع انت أن تكون منها مجــلدات من الكتب تقرؤها ، تماما كما هى الحال فى حروف لغتنا ، التى تشتق منها عددا لايحصى من الكلمات والجمل .. وكذلك تستطيع الحياة ان تشـــكل منها عددا لايحصى من الجمل أو البروتينات .. وكل بروتين يتكون من مئات والآلاف الحروف أو جزيئات الاحماض الامينية المتشابكة

لهذا كانت وظيفة ر ن ا النـــاقل ان يتعرف على تلك الاحماض وينقــلها الى الجزيء الرســـول الساكن فى زاوية خاصة على الهيكل !

وحتى تسير الحياة فى بنايانها على نظام خاص ، ابتدع د ن ا عددا من الشفرات ، وكان لابد ان يــكون لكل حامض امينى شفرة خاصة به ، يحملها اليه الجزيء الناقل .. ولهذا كان لابد ان يجهز د ن ا عشرين ناقلا ، بعشرين شــفرة مختلفة ، لعشرين حامضا امينيا مختلفا

الا أن العلماء وقعوا فى مأزق .. فهناك ٦٤ شفرة ، يستطيع د ن ا أن يبثها ، وليس لدينا الا عشرين حامضا فقط ، فهل يضيع د ن ا وقتــه وامكانياته فى ارسال شفرات لاقيمة لها فى الحياة

وبرهن العلماء بالتجربة على أن د ن يمتاز بحكمة فائقة ، تنقصــنا نحن فى حياتنا ، فهو يخشى ان يقع فى خطأ ! ... ولنضرب لذلك مثلا .. فالشفرة التى توصـــل اليها العلماء « ى ى ع » تتخصـــص فى نقل الحـــامض الأمينى « ليوسين » .. وقد يحدث فيها خطـــأ طفيف فيتوقف بناء الليوسين ، لهـــذا نجده يحتاط للأمر ويرســل شــفرة اولى احتياطية « ى ى س » .. وشـــفرة ثانية احتياطية أيضا « ى ى ا » .. وهكذا

الا أن هناك نقطة جوهرية تشغل الآن

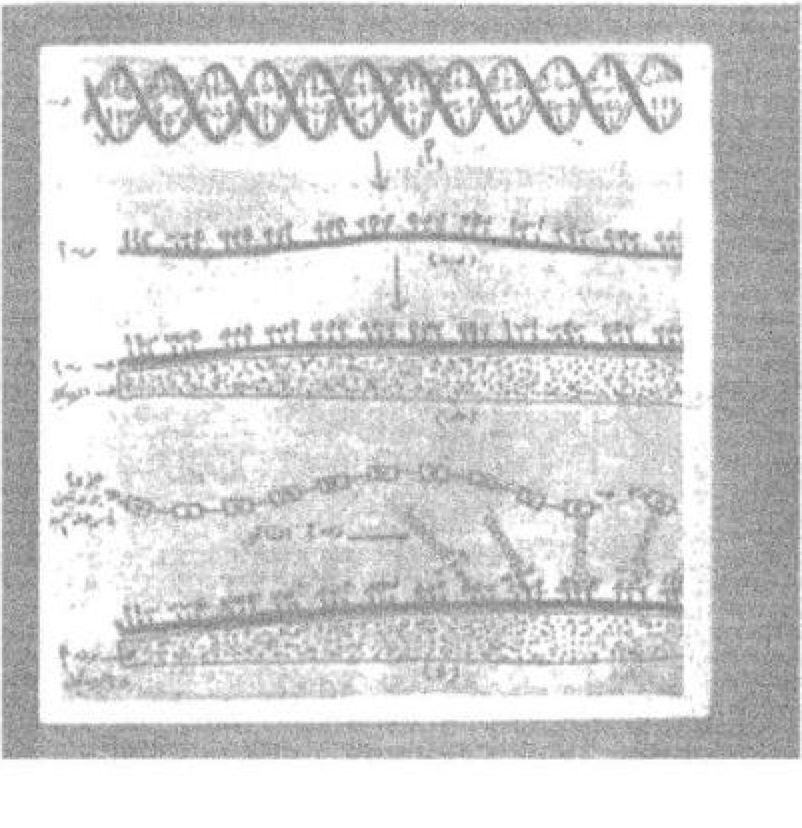
بال العلماء ، فبالرغم من أن هنـاك شفرات احتيـاطية لمعظم الاحمـاض الامينية ، الا أن للقليل منها شـفرة واحدة ، فاذا حدث فيها الخطأ ، انعكس على جزيء ما ، وفقد وظيفته

ومن ذلك مثلا تصـنيع هيموجلوبين الدم (نوع من البروتين) ، الذى يدخـل فى تكوينه عـدد كبير من الاحمـاض الامينية المختـلفة .. ومعظمنا يعيش بهيموجلوبين بنى بناء سـليما ، الا أن هناك حالات وقع فيهـا خطأ واحد ، فبدلا من أن تشع الشفرة « ا ج ى » حامض الجلوتاميك فى مـكانه ، وتكون هيموجلوبينا عاديا ، أخطـأت الشفرة وتحولت الى « ى ج ى » وهذه تختص بحامض امينى آخر ، أسرعت بوضعه بدلا من الجلوتاميك ، وكانت النتيجة أنيميا مزمنة ، وهيموجلوبين خاطىء من الاساس !

والامثلة بعد ذلك كثيرة ، وليس لها هنا مجـال

***

ولقد استطاع العلماء التوصـل الى تخليق امثال هذه الشفرات فى انابيـب الاختبار - بعيدا عن ميكانيكية الحياة فى الخلية - بطـرق غاية فى الذكاء ... منها مثلا شفرة « ى ى ى » ، ووضـعت الشفرة الكيميائية (على هيئة جزيئات طبعا) فى أنبوبة الاختبار مع خليط من



كل الاحماض الامينية .. وانتظروا قليلاً ثم بدءوا التحليل

وكان هذا انتصاراً رائعاً للعلم ، لقد اشتغلت الشفرة ، واختارت حامضاً امينياً واحداً .. ورصت الجزيء منه بجوار الجزيء حتى أصبحت لدينا سلسلة طويلة من بروتين يقرأ هكذا .. الاين . ليتابل الاين .. كررها عشرات المرات اذا شئت !

ودفع هذا النجاح العلماء لتخليق شفرات أخرى ، وفي كل مرة يتوصلون الى صنع شفرة ، يضعونها في خليط الأحماض ، فاذا اشتغلت الشفرة ، وكونت سلسلة بروتينية ، دونها العلماء في مذكراتهم ، وبمرور الوقت ، تجمعت لديهم الآن معظم الشفرات ، ووضعوها على الورق بحروفنا ولغتنا ، لكي يخططوا على أساسها البرنامج القادم ، ولكي يفهموا من مدلولها أسرار الحياة !

الا ان العلماء وقعوا في مأزق آخر .. فهناك شفرات يستطيع د ن ا تكوينها ، ولكنها لاتستطيع أن تتعرف على أي حامض أميني ، وقيل عنها أنها شفرات ليس لها معنى Nonsense ..

الا أن العلماء لايعترفون لقوانين الحياة بمدلول اسمه « ليس له معنى » .. فلقد بدأت التجارب الأولية تشير الى حقيقة تلك الشفرات ، وأوضحت مدلولها على هيئة « فصلة » أو نقطة كالتي نضعها نحن في كتبنا ، لتدل على نهاية جملة ، وبداية أخرى .. وكذلك تأتي الشفرة التي لامعنى لها ، لتحدد نهاية سلسلة بروتينية ، وبداية سلسلة أخرى !

الا ترى معي أن الحياة بدأت تتكشف على هيئة آلية كيميائية ، تسير بجزيئاتها كما تسير الآلة باجزائها ووحداتها ؟!

***

وتشكلت البروتينات على هياكلها ، لتقوم هي الأخرى برسالاتها الا انها لاتقف جميعاً على قدم المساواة .. صحيح أن لكل بروتين عمل ووظيفة ، ولكن لازالت الانظمة والقوانين في العالم الجزيئي ، تسير على نفس الانظمة والقوانين التي ابتدعها الانسان .. ولو شئت الحقيقة ، لقلت ان الانسان قد ورث تلك النظم من مجتمع الجزيئات ، ذلك ان هذا المجتمع الغريب قد ظهر قبل ظهور الانسان والمخلوقات الاخرى بالآف الآلاف من السنين

فكما كان الجزيء الحاكم د ن ا هو صاحب الكلمة العليا ، يساعده في تبليغ أوامره رسل كيميائية ، كذلك جاءت هذه الرسل ، لتشكل نظاماً او مجتمعاً بروتينياً آخر له وظيفة ورسالة مختلفة .. الا أن التعليمات والشفرات السرية تقضي بأن يكون في البروتينات أيضاً سيد ومسود ، أو آمر ومطيع !

وقد كان ..

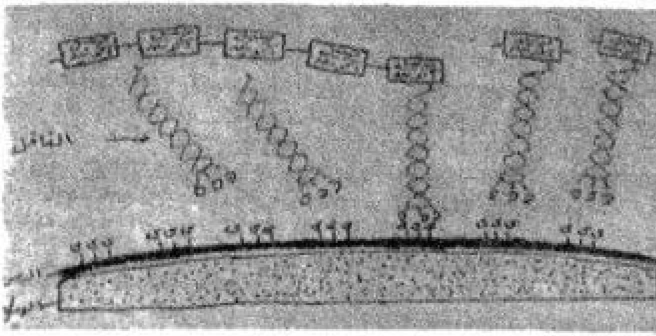
فجاءت الهورمونات ، وكثير من

(ا) يمثل جزيء د. ن. ا بناء حلزونياً طويلاً جداً . فاذا اراد تخليق رسوله فك نفسه ليصبح كالسلم ، ثم ينقسم الى نصفين ، وعلى كل نصف يشكل جزيء د. ن. ا. الرسول الذي يحمل تعليماته على هيئة مواد كيميائية

(ب) شكل توضيحي للجزيء الرسول د. ن. ا. وقد تراصت عليه الشفرات

(حـ) يتخذ الرسول مكانه المناسب على الهيكل ، لتتشكل عليه الجزيئات البروتينية العملاقة

(د) تتحول الجزيئات الناقلة ، وتلتقط الأحماض الأمينية ، ثم تنقلها الى الرسول والهيكل ، فتربطها واحدة بجوار الأخرى



اول شفرة كيميائية « ى ى ى » بلغة الحياة ، استطاع العلماء تخليقها وتجميعها في انبوبة الاختبار ، كما يجمع عامل المطبعة الحروف . فوجدوها تبني الحامض الاميني فينيل الانين في سلسلة طويلة على هيئة بروتين . لاحظ ان الناقل الذى ادى رسالته ينفصل . في حين أن الناقل الآخر لا زال يحمل الحامض ليضعه في السلسلة البروتينية

الهورمونات بروتينية التكوين وصارت لها السيادة في عالمها البروتيني .. فيها تتحدد صفات الذكورة والانوثة وهي التي تتحكم في سرعة النمو ، فلا يصير الانسان عملاقا كالشجرة ، أو ضئيلا كالقزم والعمالقة والاقزام نتيجة لخطأ في الهورمون او في وظيفته) وهي التي تخلق منك انسانا رزينا هادئا ، او عصبيا ثائرا .. الخ

الا ان اللغة التي يتخاطب بها د ن ا مع رسله ، تقضي بأن يتشكل مجتمع الهورمونات ، ليشرف بعضه على البعض الآخر ... ولهذا جاءت هورمونات لتحكم هورمونات أخرى ، فتظهر البلوغ في الشبان والفتيات ، وتكوين البويضات والحيوانات المنوية ، ومايتبع ذلك من خصوبة أو عقم ، كل هذا تحكمه هورمونات تفرزها الغدة النخامية في قاعدة المخ ، وتسري هذه الهورمونات في الدم في وقت معلوم ، لتوقظ هورمونات الجنس الساكنة ، وتزف اليها الأوامر الكيميائية ببداية العمل ، وتظهر مغزى الشفرة على كل فتى وفتاة .. اللهم الا اذا كانت الشفرة خاطئة ، وهنا تختلط مظاهر الانوثة بالذكورة ، فلا تستطيع ان تحكم ان كان ذكرا او انثى !

ومن جزيئات د ن ا تصدر شفرات سرية ، لتنظيم المجتمع الجزيئي نفسه بعيدا عن الرياسة والرسل والهياكل ، وان كان هؤلاء يتحكمون من البداية في طريق سير العمل في كل مخلوق حي ، وتجعله يسير معتمدا على نفسه بآلية فذة رائعة .. وهذه ببساطة هي مظهر الحياة الذى تراه في كل ما يحيط بك من كائنات متباينة

***

ومن الشفرات والجمل والعبارات التي تكتبها الحياة بلغتها أو بمركباتها الكيميائية اكتشفنا كثيرا من أسرار الحياة .. فالطاقة التي تدفعك لتعيش ، لها دينامو خاص ، تنتشر في الخلية الواحدة بالآلاف (اسمها العلمي ميتوكوندريا) وفيها تشحن ملايين البطاريات الدقيقة (اسمها ادفء اتف ..أختصار لاسمين آدينوسين داي ، وتراى فوسفات ..على الترتيب ، وتلك هي التي تمدك بالقوة الدافعة ، لتجعلك آلة حية ، كل نبضة فيها ، لابد وأن تقف وراءها ملايين البطاريات المشحونة فيها طاقتها ، ثم تعاد لتشحن في دينامو الحياة بالملايين في كل ثانية لتمر من أعمارنا!

واكتشفنا أن للحياة مفاتيح (اسمها العلمى انزيمات) تماما كالمفاتيح التباينة فى يد عامل ، يربط بها اجزاء الآله ويفكها .. الا أن مفاتيح الحياة مركبات بروتينية غاية فى الصغر شكلتها الرسل من قبل على الهياكل ، وبعثتها لتربط وتفك مركبات كيميائية تناسبها .. أى ان لكل مركب مفتاح خاص به ، ولا يستطيع مفتاح سواه أن يقوم بعمله .. وأحيانا ماتخطىء الحياة فى أختيار الشفرة التى تشكل بها المفاتيح ، فتظهر لنتيجة لذلك امراض مرضية مختلفة !

ومن العجب أن للانزيمات ، انزيمات اخرى مراقبة ، اى أنهـا تراقبهـا لتساعدها فى عملها ، ولا يسير العمل كما يجب الا اذا وجد الانزيم ومراقبه معه تماما كالمهندس ومساعد المهندس مثلا .. وكما أن للمهندس السيادة على مساعده، كذلك كان للانزيم السيادة على مراقبه !

***

ومما يستحق الذكر هنا ان العلم توصل الى أهداف محققة عندما استطاع العلماء تخليق بعض الهورمونات والبروتينات والانزيمات فى أنابيب الاختبار ، وعندما قدمت للخلايا الحية ، تقبلتها قبولا حسنا وكأنما هى التى شكلتها بلغتها وعلى هياكلها ، وسارت الجزيئات التى خلقها العلماء جنبا الى جنب مع ماخلقته الحياة ، لافرق بين لغتها ولغتنا التى اقتطعناها منها على هيئة حروف كيميائية

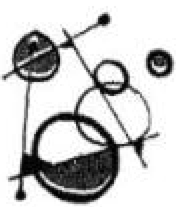
ثم تأتى بعد ذلك الجزيئات الصغيرة المنتشرة بالملايين فى انحاء الخلية ، وكأنما هى بمثابة افراد الشعب ، فتتناولها الهيئة الحاكمة بالتشكيل والتنظيم ، فتجرى بذلك الامور الحيوية مجراها الطبيعى .. ولقد تعرفنا على الجماهير الجزيئية الصغيرة ، لبساطة تركيبها .. اما كل الامور الجليلة بأسرارها المكنونة فهى التى يحاول العلماء التوصل اليها فى الوقت الحاضر فى الجزيئات العملاقة التى ذكرناها

أضف الى ذلك أنه بدون تلك الجماهير الجزيئية البسيطة ، فلن يكون للهيئة الجزيئية الحاكمة مغزى فى الوجود ، والعكس صحيح

ويأتى بعد ذلك سؤال هام
هل لغة الحياة ، لغة عالمية بين كل مخلوقاتها ؟ .. أو ان لكل نوع من أنواع النبات والحيوان شفرته الخاصة به ؟

دلت التجارب المبدئية أن شفرات الحياة مشتركة بين كل المخلوقات ، فالشفرة التى قد يستخدمها الميكروب ، يمكن أن تستخدمها خلايا الانسان ، ولقد تحققت هذه النتائج بالتجربة فى معامل كثيرة بانجلترا وامريكا ، اذ قام العلماء بتخليق شفرة خاصة واضيفت الشفرة الى أنسجة بعض الحيوانات ، والى مزارع بكتيرية ، فلم تفرق الشفرة فى عملها بين انسان أو حيوان او ميكروب ! الا ان البحوث فى المستقبل سوف تدعم هذه الحقيقة ، او تجد فيها استثناءات خاصة !

واخيرا .. لماذا يريد العلماء أن يتعلموا لغة الحياة ، ويسعون الى حل



شفراتها ؟

ذلك لان آلة الحياة كالمطبعة التى تطبع بها كتبنا ، وكما تفوت على الطابع اخطاء مطبعية ، كذلك كانت لطبعات الحياة اخطاؤها .. ورسالة العلماء ان يعرفوا تلك الاخطاء من البداية ، قبل أن تطبعها الحياة على صورة مخلوق مريض او مشوه او ممسوخ ، ثم يحاولون تصحيحها بطرق كيميائية .. فالامر - كما رأيت - كله كيمياء فى كيمياء !

اضف الى ذلك ان تعلم تلك اللغة سوف يفتح أمامنا آفاقا ليس لها حدود لتطبيقاتها فى حياة المخلوقات سواء لتخلق المعجزات ، فتحيل كوكبنا الى صورة يود ان يعيش فيها كل انسان .. ولهذا موضوع طويل قد يكون له مجال آخر ... قريبا

تسريحة شعرك



«حواء» تضع على رأسها «باروكة» مبتكرة يمتد من زهور اللوتس .. موضة الشعر الفرعونية .!



بنت القرن العشرين .. وتسريحة مبتكرة ، موضة عام ١٩٦٥ كما صممها خبراء الجمال في باريس .!

زمان من ٤٠٠٠ سنة .. كان من الصعب أن نميز بين راس الرجل ، والمرأة . فالشعر كان علامة مميزة لأناقة حواء ، وعنوانا على فتوة الرجل

وكانت حواء تبالغ في اهتمامها بشعرها الى حد أنها لم تكن تكتفي بتضفيره أو تركه مرسلا حيثما اتفق ، او صبغه بالوان زاهية .. بل كانت تزيد عليه شعرا مستعارا يؤكد جمالها ، ويبرز أناقتها

وحواء عصرنا الحديث لا تختلف عن اختها في الماضي من ناحية الاهتمام بتسريحة شعرها ، والبحث عن أحدث خطوط الجمال

ان معظم التصميمات التي يبتكرها خبراء الجمال في هذه الايام تشبه الى حد بعيد الخطوط التي كانت تستهوي حواء في الزمن القديم

ان « الهلال » تقدم لك خلاصة « تسريحات » السنين ، ولا تنسى في نفس الوقت أن تقدم لك تسريحة الشعر موضة ١٩٦٥



في العصر اليوناني من الفين سنة اهتمت حواء بتسريحة الشعر الطويل ، والضفائر الرفيعة



وتميزت العصور الوسطى بالشعر المرسل المرصع بالزهور الجميلة وكانت هذه التسريحة تسحر قلوب الرجال وتلهم الفنانين ..!

●

وهذه تسريحة من القرن ١٥ ، ورغم أنها كانت معقدة ، فقد كانت تستهوى حواء ..!



وفي القرن ١٧ كانت تسريحة الشعر تصف الجمال .. وكانت المرأة تقضي الساعات الطوال أمام مصفف الشعر



تسريحة شعرك



وهذه التسريحة التي تشبه تسريحة البنت الصغيرة سيطرت على موضة القرن ١٦ في أوربا



من تسريحات موضة العام القادم . اخترناها لك ، وهي تناسب كل الوجوه وتصلح لجميع الأوقات

الهلال ثمن العدد .

فى قطر والبحرين		٣٠ آنة
فى ليبيا	بنغازى	١٤٠ مليما
	طرابلس	١٥٠ مليما
فى الجزائر		١٢٥ فرنكا
فى المغرب		١٥٠ فرنكا

الهلال الاشتراكات :

قيمة الاشتراك : عن سنة (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى ٧٠٠ مليم بالبريد العادى و ٨٠٠ مليم بالبريد المسجل . وجنيه مصرى واحد و ٢٠٠ مليم بالطائرة – فى الامريكتين دولاران بالبريد العادى و١٢ دولارا بالطائرة – فى سائر انحاء العالم ٢٠ شلنا بالبريد العادى و ٦٥ شلنا بالطائرة

وقيمة الاشتراكات تسدد مقدما فى ج.ع.م. والسودان بحوالة بريدية – وفى الخارج بتحويل مصرفى قابل للصرف فى القاهرة لامر مؤسسة دار الهلال

أحمد رشدي صالح

مع المتفرجين

فن عدم الانحياز

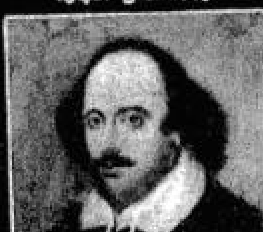




التليفزيون العربى أحرز انجازات باهرة
كسبت الجولة فى مهرجان التليفزيون



توفيق الحكيم
.. «الشمس النهار»



« عطلت » الشيكسبير من
نصيب المسرح العالمى

قبل ان تفتح دار الاوبرا ابوابها لموسم الفن الكلاسيكى الاوربى من باليه وأوبرا افتتح مسرح البالون موسمه بمجموعة من فرق الفنون الشعبية العربية والعالمية ..

لقد قدمت فرقة الصين للغناء والرقص الشعبى حفلاتها على المسرح الكبير بالقاهرة ثم انتقلت لبضعة أيام الى مسرح التليفزيون بالاسكندرية وأعلن عن قرب مجىء فرقة كوبا للموسيقى والغناء الشعبى ، وفرقة الفلبيين ، وفرقة اوغندة ثم فرقة كوريا

وهكذا ، تفتح القاهرة ذراعيها فى شهرى أكتوبر ونوفمبر ، للفرق القادمة من ثلاث قارات : هى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية

وقد وافق مجىء هذه الفرق ، التقاء قادة مؤتمر عدم الانحياز الذى انعقد فى القاهرة وضم اكبر مجموعة من الدول النامية وحديثة العهد بالاستقلال فى اسيا وأمريكا اللاتينية وافريقيا

وكان من أبرز ملامحه ـ فضلا عن القرارات التاريخية التى أصدرها ، انه اظهر بالتأكيد قدرة هذه البلاد المتوسطة والنامية ، على تجديد الفكر الانسانى وتجديد النظرة الفلسفية الشاملة الى مشكلات السلام والتنمية والعدالة والحرية

ونفس الخاصية ، تلقاها فى فن عدم الانحياز... وتلك هى خاصية « **التجديد فى تصور الفن** » و « **التجديد فى تحديد وظيفته واهدافه** »

انه ليس من المصادفة ان تبعث هذه الدول الى العالم الخارجى بالفرقة التى تقدم فنونها القومية والشعبية . ان عكس المصادفات ، هو الامر الواقع . والذى يؤلف اساس نظرة الدول النامية الحرة الى الفن

ان الفن فى هذه الدول ، يتخطى ازمات الفنون الكلاسيكية الاوربية .. فبينما تعانى أوربا من فن « **اللامعقول** » او « **مسرح السخف** » **ومسرح القسوة** . وكلها تدل على انهيار القيم الروحية ، والامال الانسانية التى ينبغى ان يعقدها الفن بين الذين ينشئون أنواعه وبين الذين يستمتعون بها .. نقول بينما تعانى اوروبا من هذه الحالة من الانهيار ، تجدد الدول الحديثة العهد بالاستقلال ، تفكيرها فى فلسفة الفن ، وطبيعته ووظيفته

وتقدم هذه البلاد غير المتحازة نهضة ثقافية وفنية ، نتوقع ان تؤثر بدورها فى مصير الاداب والفنون العالمية.. ليس فقط لان فنون افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ، تمتاز بالاصالة «والطزاجة» والنبض ، بل لان الفنون الاوربية والامريكية الاخرى ، تأتى من حياة مأزومة ، ليس أمامها مخرج كبير !

وقد يكون من مصلحة الحضارة الانسانية ، أن تقدم دول اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية طوق النجاة ، لمشاق الفن .. فالفلسفة الرائجة فى الفن الاوربى الحديث فلسفة متشائمة فى معظمها

***

اما الموسم الدرامى ، الذى أخذت الاعلانات تذيع انه على وشك أن يبدأ ، فقد لايصل هذا العدد الى أيدى القراء الا وتكون مسرحية « **هملت** » معروضة على المسرح العالمى

هذه المسرحية ، هى ثانى رواية كبيرة للشاعر العظيم ، **وليام شكسبير** ، تراها القاهرة مترجمة الى العربية فى أقل من ١٢ شهرا بعد مسرحيه «عطيل»

واما المسرحية الاولى فكانت « **عطيل** » التى لعب بطولتها **حمدى غيث** وصورها التليفزيون ، وقال النقاد عن تلفزتها ان الصور لم يرها قبل أن يصورها لانه أخذ لقطات كثيرة ثانوية وترك اللقطات المميزة بعيدا عن عدسات الكاميرا

وبالطبع تثير تلفزة المسرحيات مشكلة على جانب كبير من **الاهمية** ، هى مشكلة اعداد المسرحية بطريقة تليفزيونية . فاذا أردنا أن نقدم « **عطيل** » مثلا امام عدسات الكاميرا كان علينا أن نعدها من جديد ، لكى تتمشى مع امكانيات التصوير والاخراج التليفزيونى

واما المسرحية الثانية التى نتحدث عنها فهى مسرحية « **هملت** » امير الدانيمرك ، الذى مات أبوه الملك مقتولا بالسم ، ودنست امه فراش الزوجية فاقترنت بأخ زوجها واثارت هذه الواقعة شكوك «هملت» وجنونه العاقل ان جاز لنا ان نقول هذا ، واصبحت شخصية « هملت » مثل شخصية « عطيل » ، صالحة للظهور فى كل عصر لان فى كل انسان جانبا من تركيبه النفسى !

ويخرج هذه المسرحية **سعيد بدير** الذى أجرى تجاربها على مسرح الاوبرا ويعرضها على المسرح العالمى

وتظهر فى خريطة المسارح التمثيلية اثناء الموسم القادم ، اتجاهات هامة منها **ان بعض المؤلفين يريدون ان يخوضوا معركة الاخراج ، فيقومون باخراج مسرحياتهم بانفسهم** .. وهؤلاء المؤلفون هم بالتحديد **نعمان عاشور وسعد الدين وهبه ورشاد رشدى**

واذا حدث هذا ، اثارت مناقشة حامية لكنها منتظرة ! فالمخرجون جديرون بأن يتساءلوا عن « **حق** » المؤلف فى ان يتولى بنفسه اخراج مسرحياته ..

والمؤلفون يعتازون بانهم يستخدمون السنتهم طبعا .. !

والنقاد ، يغتنمون فرصة هذه المناقشات ليضعوا آراء المؤلفين وآراء المخرجين فوق مشرحة النقد !

بشائر المسرحيات المؤلفة

ومن الآن ، يحس الوسط الفنى بأن هناك بشائر نملا للمسرحيات المؤلفة ، فنعمان عاشور يملك مسرحيتين جاهزتين

لا ينقصهما الا الاتفاق مع الفرق !

لقد حول اوبريت « **الطاحونة** » الى مسرحية نثرابية ويتولى بنفسه اخراجها .. اما فى مسرح الحكيم او فى المسرح الحديث !

وهو قد انتهى فعلا من كتابة مسرحيتين قصيرتين كل واحدة منها ذات فصل واحد وسماها « **الليالى البيضاء والحمراء والسوداء** » أو شيئا من هذا القبيل .

وسعد الدين وهبه انتهى ايضا من كتابة مسرحيته الجديدة واختار لها عنوان « **سكة السلامة** » وسوف يقدمها للمسرح القومى

والفريد فرج ، غارق الى الاذنين بين مراجع التاريخ ، التى يستعيرها من دار الكتب ، ومكتبة الجمعية الجغرافية ، ومكتبة الجامعة لانه يكتب مسرحية تاريخية من حياتنا اثناء الحملة الفرنسية ، وسيكون بطل هذه المسرحية هو نفسه بطل المقاومة الشعبية – **سليمان الحلبى** !

ومصطفى محمود ، صاحب مسرحية « الزلزال » التى لفتت اليه الانظار فى الموسم الماضى ، انتهى فعلا من مسرحيته الجديدة « **الانسان والظل** » ونشرها فى زميلة اسبوعية ثم قدمها للجنة القراءة لعرضها فى المسرح القومى .. وكان رأى لجنة القراءة ، فى صف المسرحية

افتتاحية المسرح القومى

والمسرح القومى ، من ناحية ، افتتم فرصة ظهور مسرحية « **شمس النهار** » لتوفيق الحكيم على صفحات الاهرام ، وقرر أن يفتتح بها موسمه الجديد

ومن تقاليد المسرح القومى والحكيم معه أن يبدأ موسم هذا المسرح ، بعمل جديد من أعمال كاتب الدراما الاول

الملامح الجديدة

ونعود الى خرائط المسارح الاخرى ، التى تعمل الآن ، فى اطار الثقافة والارشاد القومى ، وتحت قيادة هيئة الاذاعة والمسرح والموسيقى ، فنرى أن فى خريطة



مارسيل مارسو .. سيقدم مشاهد التمثيل الصامت على مسرح الجيب

مسرح الحكيم « ملمح » جديد آخر — غير قيام رشاد رشدى باخراج مسرحية « **بستان الكرز** » — وهذا الملمح الجديد هو ان مسرح الحكيم سيقدم مسرحية « **الخرتيت** » **لاوجين يونسكو** . وسينظم المسرح القومى موسما شعريا دراميا وهذا الموسم الشعرى — فى رأينا — دراميه حقيقية لانه يضيف جديدا الى حركة الشعر والمسرح معا

مخرج امريكى

ولا استبعد ان يشاهد جمهور القاهرة فى الموسم الجديد ، المخرج الامريكى **ماكمولان** الذى يشغل منصبه رئيس قسم الدراما فى جامعة بيل بأمريكا — وهو مخرج مسرحية « **موت بائع جوال** » **لآرثر ميلر**

وكان ماكمولان ، يزمع ان يخرج فى مسارح القاهرة مسرحية « **رغبة تحت شجرة الدردار** » ليوجين اونيل ، غير ان ظروف الموسم الماضى حالت دون تحقيق هذه الرغبة

وممثل فرنسى

ومن التجارب الفنية العالمية الجديدة ايضا ، هذه التجربه التى يوشك مسرح الجيب ان يقوم بها ؟ فقد وجه الدعوة الى الممثل الفرنسى المعروف **مارسيل مارسو** ، ليقدم مشاهد من التمثيل الايمائى « الصامت » فى دار مسرح الجيب

حول التليفزيون

وبالنسبة لفن التليفزيون ، هناك « اخبار » تهم الجمهور القارىء ، الذى يحب ان يضع على مكتبه ، مرجعا فى الفن الذى يحبه . تعرض مكتبات القاهرة منذ شهور ، لتمثيليات مطبوعة بالانجليزية قدمها تليفزيون لندن ، او شبكات التليفزيون الامريكى ! وقد يبحث القارىء طويلا عن مرجع عام فى هذا الفن ، الذى يعتبر جديدا علينا ، وهو كذلك جديد على العالم ، فتاريخه لايزيد على الخمسين سنة ، بما فى ذلك مرحلة المخاض والميلاد والطفولة ، التى نستطيع ان نقول انها امتدت من سنوات الحرب الاولى الى مابعد وقف اطلاق النيران فى الحرب العالمية الثانية

واخيرا ، جاء البريد بمراجع — ذات قيمة — عن فن التليفزيون — ومنها كتاب اصدره متحف افلام الفن الحديث فى امريكا

وهذا الكتاب ثمنه مرتفع

— فالنسخة ثمنها ثمانون قرشا مع انها قليلة الصفحات — قد يغفر لها هذا — لأنها تحتوى على بيان بأهم البرامج التى قدمتها شبكات التليفزيون الامريكية فى ١٣ موسما متعاقبا

وقد ينتهى القارىء بعد ان يقرأ آخر سطور هذا الكتاب ، الى تقدير دور المهندسين والعلماء الذين ساعدوا على اظهار اجهزة التصوير والارسال والاستقبال ولكنه سينتهى ايضا الى التفكير فى مستقبل الاداب والفنون .

فالمطابع والمعارض لم تعد وحدها وسيلة ترويج هذا الفن ، فى وسط ملايين الناس؛ لقد زاحمها — وانتصر عليها — الراديو ، ثم التليفزيون !

***

وفى ظنى ، ان معطيات الفن ، ستعتمد اكثر واكثر على تقدم الوسائل والاجهزة ، التى ارتقت بدورها من مرحلة التكنيك الآلى ، الى التكنيك الكهربائى ثم الالكترونى .

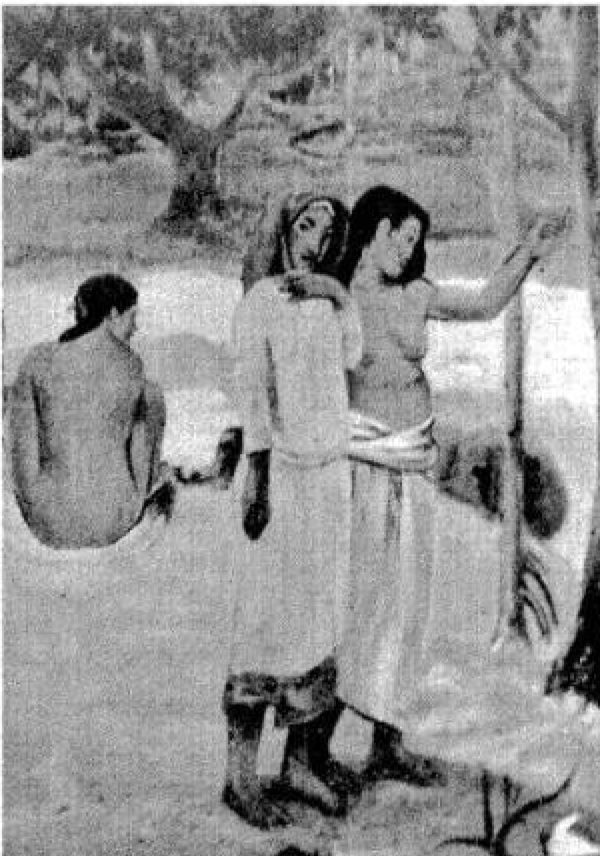
ونحن نعيش ، ليس فى عصر الصواريخ المنطلقة بفضل الوقود غير العادى ، بل نحن نعيش فكريا ، فى ظل هذه الاجهزة الالكترونية التى تترجم الخواطر والمشاعر والاحداث الى صور ناطقة ، تنتقل بسرعة بالغة ، من مكان حدوثها وتسجيلها الى جلساتنا الخاصة

والذين انكروا — على مهل — فى انجازات التليفزيون العربى ؛ لا بد قائلون معنا ، ان هذا الفن الجبار ، قد ارتقى فى بلادنا وبسرعة ، الى مستوى مرموق حقا

بدرالدين أبوغازي :

جوجان

الشريد المغامر



النداء ..
متحف ولدنشتين باريس

جوجان



« لقد حاولت جاهدا ان اضعك فى مكانتك وان اقدمك ٠٠ وان اتفهم تطورك ولكن عبثا ٠٠ لقد رأيت على جدران مرسمك هذه اللوحات ذات الشمس المحرقة التى طاردتنى فى نومى ورأيت اشجارا لن نلقاها فى مكان اخر ، وبحرا يمكن ان ينفجر منه بركان ، وسماء لا يستطيع أن يسكنها اله » ٠٠

هل كانت حياته المستقرة فى عمله المصرفى بين زوجته الدانماركية الرقيقة واطفالها الخمسة تنبىء عن هذا الانقلاب الذى جعل من بول جوجان مثلا من امثلة المغامرة والاستشهاد فى سبيل فكرة ؟

هل كانت مظاهر هذا الفرنسى ذى الياقة البيضاء المنشاة الذى يمضى بين مصرفه وبيته فى باريس تدل على المصير الذى ينتظره فى تلك الارض السحيقة بين قسوة الطبيعة وشظف العيش ؟

لم تكن فى حياة بول جوجان الموظف والزوج علائم تشير الى التحول الذى وقع له ، ولكن حين نعود الى طفولته نرى فى بدايتها وفى ميراث اسرته علامات كأنها النبوءة تشير الى مستقبل هائل شريف ٠٠

ولئن شهدت باريس مولد بول جوجان فى ٧ يونيو سنة ١٨٤٨ الا ان الظروف حملته بعد ثلاث سنوات من مولده الى رحلة مع ابيه الصحفى ، وامه الاسبانية الى بيرو ٠٠ وكان وراء الرحلة الاولى مغامرة . مغامرة اب ارادت الظروف السياسية ان تقصيه عن فرنسا ومات الاب فى الطريق ودفن مثل ابنه فى ارض نائية . اما الابن فكان فى صحبة اسرته له اشارات الى مصيره . فقد التحق بالبحرية وعاش لفترة من شبابه فى رحلات الى اراض بعيدة ثم تحول من البحرية الى اعمال البنوك .

٭٭٭

وكان فى جوجان حاسة الفنان تبرق وراء قناع حياته الرسمى ، وتجد فى يوم الاحد متنفسا لها . وساقته هوايته الى مجالس اهل الفن ولقى الاب بيسارو ٠٠ المعلم الاول للفنانين الانطباعيين ، وبهرته كلماته ودعوته ٠٠ واستحوذ على نفسه هتاف فاذا به ـ دون مقدمات ـ يترك عمله بالبنك ويهجر زوجته واربعة من اطفاله بعد ان حملهم الى اسرة زوجته فى كوبنهاجن ويعود مع ابنه الاكبر كلوفيس يهيمان فى طرقات باريس بحثا عن الشىء الضائع فى نفس بول جوجان .

يوسف وامرأة العزيز
... يوليو ١٨٩٦



ويعرض ابن جوجان ، ويعانيان معــا الجوع . ويعمل الاب فى محطة السكك الحديدية ليكسب قوته وليدبر لابنه كل يوم وجبة متواضعة يحرص على ان يكون ختامها تفاحة فهذا يكفى بين شظف العيش ليدخل على نفس الابن السرور

ورغم هذا الشتاء يظل جوجان يعمل . ويتاح له فى معرض التصوير الذى اقيم فى سنة ١٨٨٦ ان يعرض اعماله الى جانب اعمال ديجا ، وبيســارو ، وريدون ومارى كاسا ، وسيرا

وكان قوام هذه الاعمال مناظر من روان ونورماندى والدنمارك فيهــا اثر استاذه بيسارو

ولكن نداء المغامرة فى نفس بول جوجان يدعـوه الى هجر باريس الى اقليــم بريتانى فى قرية صـغيرة من قراه — بون افن

كان هناك اكثر من سبب لهــذه الهجرة ..

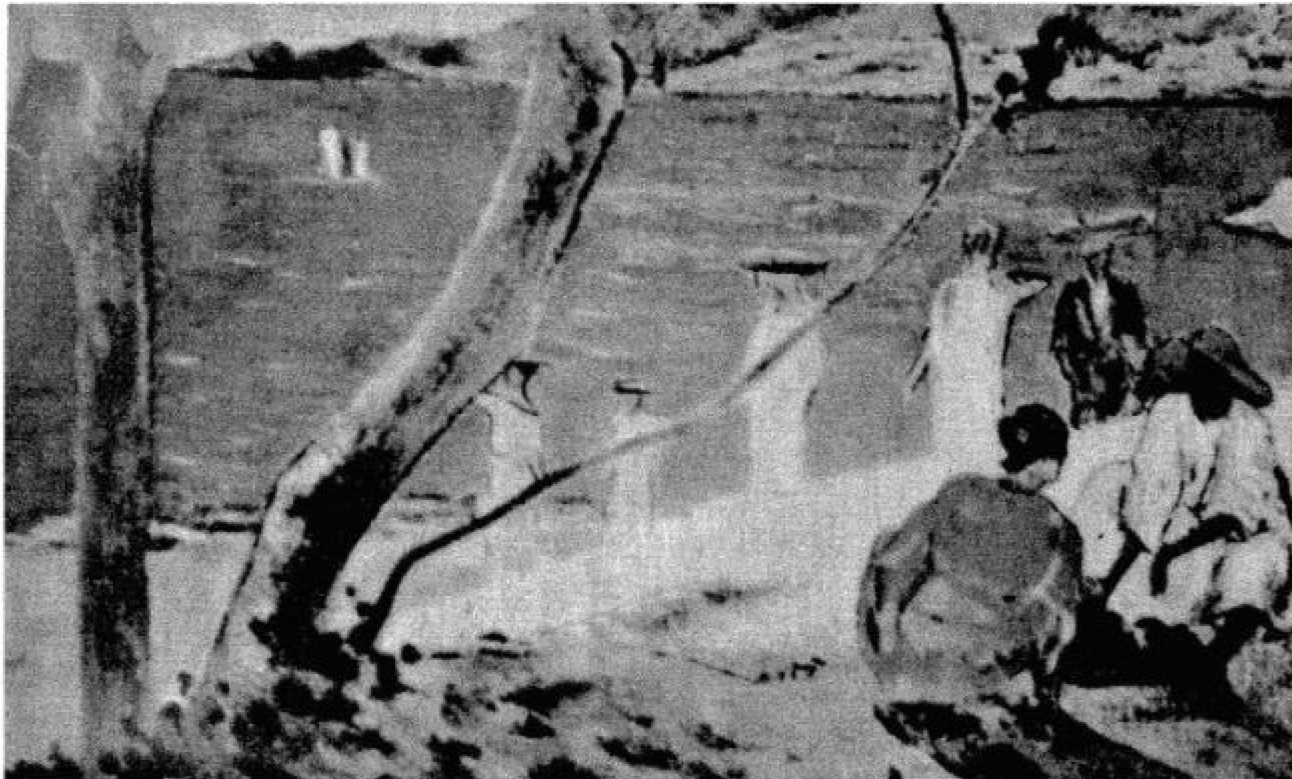
كان لديه رغبة البحث عن جو فطرى وعودة الى البساطة ، وكان فى نفســه حنين الى الهدوء والوحدة بعد صخب ايام باريس الشقية ، وكان هناك ايضــا العامل المالى . فان موارده لم تعد تحتمل حياة باريس

***

ولم تطل اقامة جوجان الاولى فى بون افن فبعد موسم من العمل عاد الى باريس وقدر لهذه العودة ان تكون سببا لاول لقاء بين اغرب شخصيتين فى عالم الفن بول جوجان وفنسان فان جوخ

كان فنسان عائدا ايضا من اللبســم الوردينايج بعد معاناة من اجل فنه . وعمل جوجان فترة مدربا فى احدى اكاديميات الفن فى مونبارناس ، ولكن حياته لم تكن ميسرة ولم تحتمل موارده المحدودة شتاء باريس القارس فعاد يحلم ببلاد الصيف الدائم

وهكذا لم يطل به البقــاء فى باريس



شاطىء المارتينيك (١٨٨٧)



راعی من بون الفن



وكان فى نفسه قلق عالم لا يستقر دعوه الى الرحيل بحثا عن عالم جديد . وكان عالمه هذه المرة هو جزر المارتينيك حيث مزج الوانه التأثرية بالوانها الاستوائية وقبل ان يذهب بعث الى زوجته يقول :

« قبل ان اعبر الى المجهول اراني مشوقا على الاقل ان اسمع منك ما دمت لااستطيع ان اقبلك »

ومثل هذه الكلمات النابضة بالشجن كانت تكشف عن الانسان المختفى وراء هذا الوحش .. هذا الانانى الذى هجر اسرته وضحى بها ، هذا المخطىء فى حق المجتمع كما يراه الناس كان فى حقيقة الامر يحمل قلب انسان ، ولكن جوجان يقول فى رسالة اخرى لزوجته :

« ان هؤلاء الذين يحكمون بادانتى لايدركون ما فى طبيعة الفنان ... لماذا يفترض علينا الناس واجبات كواجباتهم فى حين لانفرض نحن عليهم مسئولياتنا وواجباتنا ؟ ..

***

وعاد المغامر القلق مرة اخرى الى فرنسا .. وفى بون آفن كان لقاؤه هذه المرة بالمصور **اميل برنار** ، ومعه عرف اسلوبه التركيبى الجديد .. خلص من اللمسات التأثرية . وكانت الرسوم اليابانية احدى اكتشافات العصر التى تأثر بها جوجان واضفت على فنه سمات التبسيط والصفاء والاشراق اللونى والمنحى الزخرفى فى التكوين ، والبعد عن المنظور الى التسطيح ..

ودعاه فان جوخ الى آرل ، وقبل جوجان تحت تأثير صديقه ، وكان هذا اللقاء محتوما لتتولد منه معركة صراع سجلها تاريخ الفن فى حياتهما .

يقول جوجان « بين اثنين مثلنا كان العراك بصورة او باخرى امرا لامفر منه»

كانت حياتهما معا عملا مستمرا ، ولكن نقاشهما الذى لاينتهى واختلاف وجهات نظرهما فى الفن كانت من اسباب الشقاق كان جوجان لايؤمن بالظلال .. كان يراها خداعا بصريا ، وكان يشيد بالرسومات اليابانية التى تمثل الحياة تحت الشمس دون اية ظلال . حيث توحى بالدفء والوانا بحقق طبقات مختلفة من التنغيم والتناسق دون حاجة الى خداع التأثريين .

ومن اجل هذا كانت الوانه مسطحات مشرقة دون ظلال

وكان فنسان يستمع الى نظريات صديقه ولكنه يحتفظ بعقائده الفنية . وكشفت رسائلهما عن اوجه الخلاف يقول جوجان فى رسالة الى اميل برنارد :

« اننى غريب فى آرل . لا اكاد التقى مع فنسان فى افكارنا العامة وخاصة فى شأن التصوير ؛ فهو يعجب بدوديه وزييم وروسو وكل هؤلاء الاشخاص الذين لا اطيقهم ، ومن ناحية اخرى



جوجان ..
بريشة جوجان





الى اعلى لوحة لجوجان .. حسناوات بالى-١٨٩٢ والى اسفل نقش مصرى قديم موجود فى متحف اللوفر بباريس ، عمره اكثر من ٤٠٠٠ سنة .هل صحيح مايردده بعض النقاد من ان جوجان حاول الاقتباس والتقليد ؟ !

نهر بئر، الأجر ، ورافاييل وديجا هؤلاء الذين يستحوذون على اعجابى .. وبينما هو يحب لوحاتى كثيرا لا يكف النساء ابداى لها من ان يوجه لى ملاحظاته عما يعتقده خطأ فى عملى، انى رومانسى بينما اميل انا الى البدائية . « ويقول فان خوخ فى رسالة الى شقيقه ثيو الذى كان يعمل على مساعدة جوجان وبيع لوحاته فى باريس « ان مناقشاتنا مشحونة بالشرد . احيانا ما نخرج منها مجهودى الرؤوس ..ن بطارية فرغت منها الكهرباء ..

ورسم جوجان صديقه فنسان وهو يرسم زهور عباد الشمس التى كان يحبها ولكن اللوحة لم ترق فنسان وعلق عليها قائلا « انها تمثلنى عندما اسير الى الجنون ، وفى تلك الليلة القى فنسان على رأس جوجان كأسا من الابسنت ..

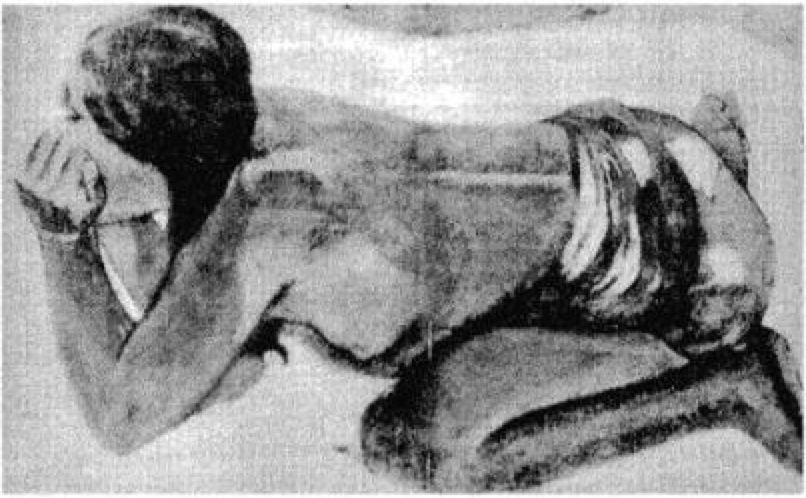
وشعر جوجان ان الحياة لم تعد تحتمل فى ارل فانهى الى صديقه رغبته فى الرحيل .. ولكن الحب اللدود بينهما اثار مشاعر فان جوخ نهو لا يطيق فراق صديقه ،وفى نفس الوقت لا يطيق تقاتله .

وبينما كان جوجان يعبر ميدان الشاعر لا مارتين اذا به يسمع خطى صديقه خلفه ومالبث ان انقض عليه وفى يده موسى كاد يطيح بها رقبة صديقه لولا ان رمقه بنظرة عنيفة مشحونة بالشرد ارتد معها فنسان صرعا .. وعاد منهار الاعصاب وفى ازمة هذا الانهيار قطع اذنه ومضى يهاسر امرة اخرى فى ميدان لا مارتين ليندمها الى فتاة .

وذهب فنسان الى مصح عقلى ،بينما رحل جوجان الى اقليم بريتانى مسرة اخرى ..



وحدة ..



وبعد اسابيع تلقى رسالة من فان جوخ يقول فيها : « انني استشعر الآن الندم، أنا الذى الححت فى مقدمك لتبقى معى

انى ارجو ان تكون بيننا من المحبة مايمكننا من تجربة المحاولة مرة اخرى اذا دعت الحاجة . آه يا صديقى .. لو استطاع التصوير ان يكون كما كانت موسيقى برليوز وفاجنر عزاء للقلوب الجريحة . ان قلة مثلى ومثلك يشعرون بذلك .. ان اخى يفهمك تماما وهو عندما يقول انك مثلى رجل تعس فان ذلك يدل على انه يعرفنا حق المعرفة . انى اود ان اسمع منك قريبا . وستكون دائما اصدقاء »

وفى هذه الفترة صور جوجان «المسيح الاصفر» «وصراع يعقوب مع الملاك» ولوحات اخرى ، وتوطدت الصلات بينه وبين اميل برنار فى هذه الرحلة الثانية الى بون آفن ولقيت اعماله صدى تقدير واعجاب عند موريس دينيس ، وبونار ، وفولار .. واصبحت مجموعة فنانى بون آفن من علائم الثورة فى الفن . ادخلت التعبير البدائى ، والتبسيط ، واستبدلت برؤية الطبيعة من خلال نظرات الانطباعيين رؤيا رمزية من خلال مزاج الفنان وحسه بالاشياء ولقيت اعمال تلك المجموعة نجاحا فى المعرض الدولى الذى اقيم سنة ١٨٨٩ فى مقهى فولبى بباريس .

وفى نهاية عام ١٨٩٠ عاد الى باريس ليعد لرحلة الى تاهيتى حيث حلم الحياة الفطرية تحت النخيل والشمس الاستوائية وطابت له الاقامة فى هذه الرحلة كما تدل رسائله الى صديقه دانيل مونفريد . وجاهد من اجل التزاوج بين الروح البربرية والحساسية الاوروبية وادماجهما معا فى فنه .

وبعد شهور عاد مرة اخرى يواجه الفقر والمرض وعاد الى باريس حيث وجد

فى انتظاره ثروة صغيرة اوصى له بهـا احد اعمامه . وهناك اقام معرضـا لم يحقق نجاحا وعاش فترة مع فتاة اندونيسية احبها وصحبته فى رحلاته ولكن الشتاء الاستوائى الساحق دعاه مرة اخرى الى تاهيتى فبدأ بتنظيم بيع مجموعاته واعماله وبعد لهجرة دائمة الى الارض التى وجدها .

واراد جوجان ان يعد كتالوجا لاعماله التى اختار لبيعها بيت دريو الشهير بباريس فطلب الى الشاعر اوجست سترنبرج الذى كان يتردد على مرسمه ان يكتب له مقدمة كتالوج المعرض ، فاعد مقدمة من اغرب اساليب تقديم المعارض الفنية كانت كلمات سترنبرج غريبة الوقع حين كتب :

« لقـد اردت منى ان اكتب مقدمة كتالوج معرضـك كذكرى لشتاء ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ الذى قضيناه معا قريبا من البانتيون ومن مقابر مونبارناس وكم وددت



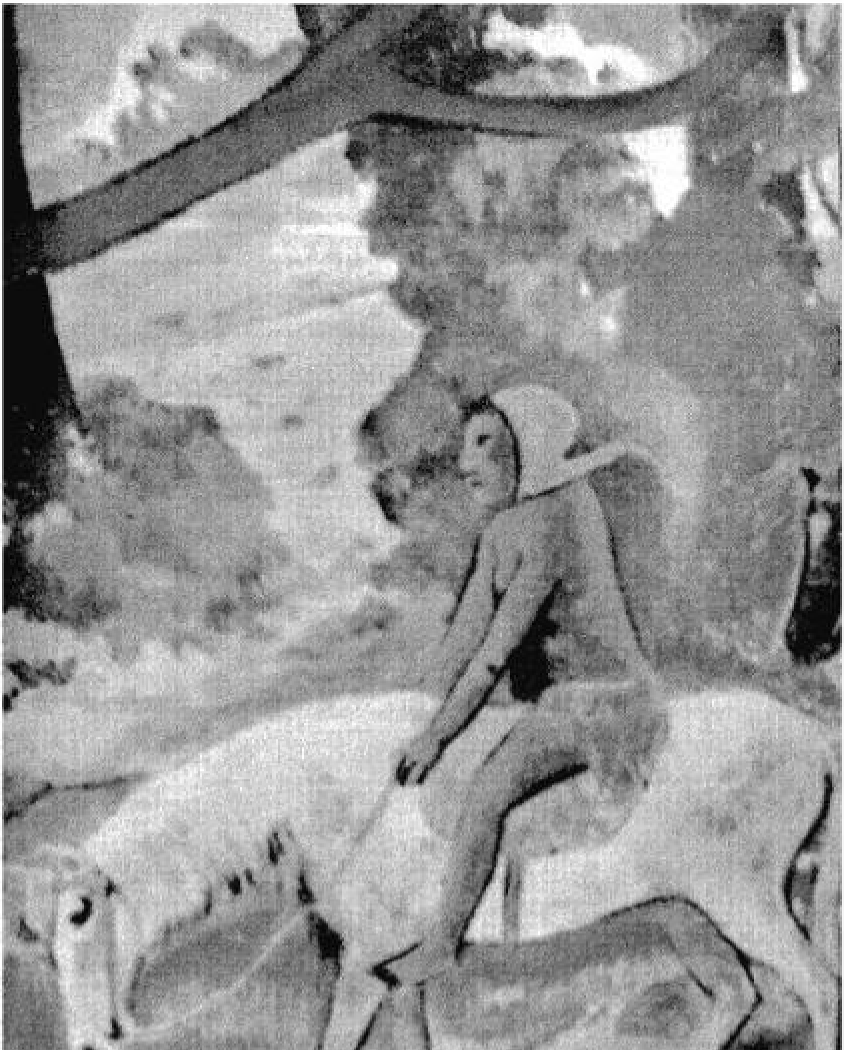
مشروع لوحة

ان اقدم لك هذا التذكار تحمله معك الى جزر المحيط البعيدة ، ولكنى لست مهيئا لهذا العمـل واود ان اصارحك باننى لااستطيع او قل لا اريد .. فانـا لا افهم فنك ولا استطيع ان احبه ، ولكنى اعلم ان هذا الاعتراف لن يدهشك ولن يسيئك لانه يبـدو لى انك تستمد من كراهية الناس قـوة لنفسك

« لقد حاولت جادا ان اضعك فى مكانك وان افهمك ... وان افهم تطورك ولكن عبثا .. لقـد رايت على جدران مرسمك هذه اللوحات ذات الشمس المحرقة التى طاردتنى فى نومى ورايت اشجارا لن نلقاها فى مكان آخر ، وبحـرا يمكن ان ينفجر منه بركان ، وسماء لايستطيع ان يسكنها اله . ان شمسك محرقة لمن هو مثلى يحب الضوء والظلال وفى جناتك تسكن حواء تخالف الصورة التى احبها فى النسـاء .... انك جوجان الوحش الذى يكره المدنيـة التقـليدية ... جوجان الذى يؤثر سماءه الحمراء القانية على سماواتنا فى صفائها الازرق ..

« رحلة موفقة ز. ه ثانية فقد استطيع فى المرة القادمة ان اكون اكثر فهما لك .. »

ولعل هذه المقدمة الطريفة تفسر احجام الذوق الغربى عن الاقبال على فن جوجان .. فقد كانت رؤياه غريبة من شواطىء موتيه الساحرة وعالم دبجا الشرق بعبير



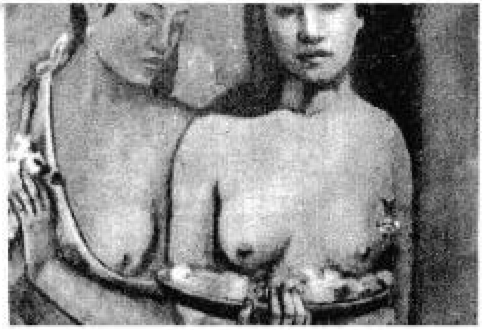
للفارس ••
عند النبع ••





منظر من
اقليم برتاني
من مقتنيات مدام
مينارد - باريس

[illegible]



امرأتان من تاهيتي وزهور المانجو الحمـــراء

[illegible]

[illegible]

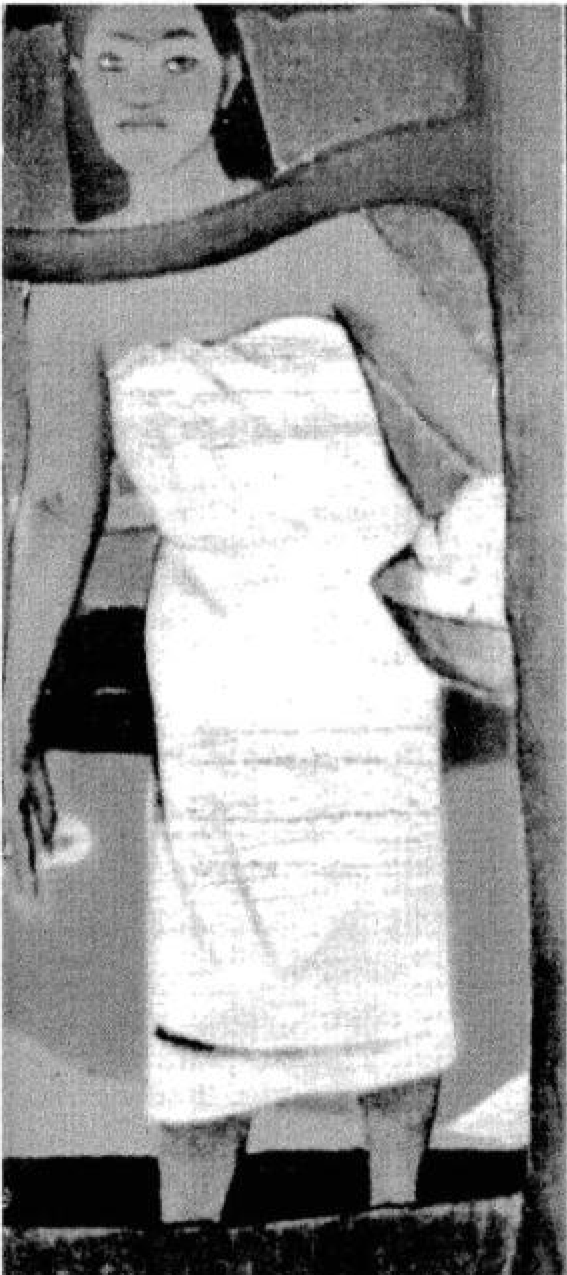
فن حياة جوجان الصاخبة نموذج لصراع [illegible]

رتعاله الناخل ليست وحدها هي جواز مـروره الى عصرنا ، وانمـا فن جوجان هو الشيء الباقي .. هذا الفن الذي قدم به صورة جديدة هي كما يقـول : « تجربة مستمدة من الطبيعة »

وهو بتبسيطه للشكل واللون ساهم في اقامة اتجاه التجميع البنائي Synthetism مع سيزان وفان جوخ ....

ولكن نقـاد الوان جوجان ، وخطوط الفطرة في رؤياه واتصاله بمنابع قديمة من نقوش مصر الى رسوم اليابان وهذا الحبر الرمزي الغـريب في لوحـاته نلمحه في « سلام على مريم » و« حكايات بربرية » و« امرأتان من تاهيتي وزهور المانجو الحمراء » و« ايام المعبد » و« من اين جئنا .. وماذا نكون والى اين المصير؟ ».

[illegible]





الحسناء والسلة
١٨٩٢ - ١٨٩٣

عبدالرحمن صدقي :

تحليل العقاد





بالصور



العقاد
سنة ١٩٠٢

تحليل العقاد بالصور

ما ذكرت استاذنا المرحوم عباس محمود العقاد وحدى خاليا بنفسى ، أو تذاكرته فى مجلس من مجالس الشعر والادب والفكر مع الخواص من أخوانه واخوانى ، الا تراءى ذلك العملاق على قيد الحياة أمامى ، متمثلا لعيانى فى هذه الصورة او تلك على حسب ما يوحيه الحديث اوالذكرى فى شتى مراحل الجهاد واطوار العمر • ولا غرو ، فقد صحبت العقاد حقبة من السنين كادت تبلغ الخمسين

وللعقاد صور كثيرة كلها فى لوحة ذهنى • وان كان بعضها يستولى على ذهنى اكثر من غيره ويلازمنى • وأعنى بهذا البعض من صوره الاثيرة عندى تلك الصورة التى كنت اراه عليها اول ماعرفته فى مطلع القرن العشرين. وأنا فى ذلك الحين ، شاب من شباب الجيل المتحمسين لمطلع الادب الجديد • وكنت فيما اعتقد اشدهم تحمسا للعقاد ، فهو وقتئذ بطل الادب وعملاقه فى نظرى ونظر القليلين ، وكان املنا فى الحياة ان نراه كذلك فى نظر العرب اجمعين •

منذ ذلك الحين الى هذه الساعة. ما أزال متمثلا تلك الصورة نفسها صورة العقاد كما انطبعت منذ نصف قرن فى لوحة ذهنى

قامة مديده كالعملاق فى عنف ولابدانه سمرة مشربه بالحمرة كالنيل يستهل فيضانه ، ذقن بارز معقوف ينبيء عن الصلابة والاستقامة ومن فوقه شفة مقوسة تنم عن الاستخفاف وسرعة الانفعال . انفه اشم جميل فيه عزة وحدة ، وعيناه غير الواسعتين فيهما حيطة وزكانة ، وفى سيماء وجهه تتراءى اعماق حزن وتفكير، وهذا الوجه المستطيل الناطق الاسارير، تتوجه هامة يربى قطرها طولا على قطرها عرضا بنسبة ظاهرة ملحوظة . ومن اجل هذا جميعه لم يكن العقاد ممن تخطئهم العين ، وهو يسير كالمارد فى شوارع القاهرة الآهلة بعشرات المئات من السابلة غادين ورائحين ، وهو يسير بينهم بخطوات واسعة واحساس بالوحدة ، ولكنه مع سرعته ووحدته يحس جميع ما حواليه ويشعر معه . وفى معظم الاحايين ، يقع عليه نظر العابرين واقفا الى واجهة مكتبة ، يرمق بعين فاحصة النفس ما اخرجته المطابع من تراث الثقافة العربية واخر ماورد فى البريد من طرائف المؤلفات الاجنبية ، وقد طالت أمام زجاج المكتبة وقفته ، وهو ملتف فى معطفه وعليه سيماء حزنه ووحدته ، كأنه فى عالم الطير « مالك الحزين » فى وقفته على ضفة النيل القديم

هذه الصورة بكل ما ذكرت من ملامحها الجسدية والنفسية ، ما برحت ـ مع تطاول المهد بها ـ منطبعة في ذهني ، تغالب عليه غيرها من الصور ، التي تعاقبت بعدها

وما من شك ، في أن ما أفاده لعقاد بالوراثة عن طريق ابويه ، في تركيب بنيته ومزاجه وطبيعته كان يتاثر لا محالة ، في الحين بعد الحين كسائر المواليد ، بما يتداول عليه في الخارج ، من احوال البيئات وظروف المعيشة المتقلبة ، فضلا عما يتعاقب عليه في داخله من المؤثرات الذهنية والانفعالات النفسية



العقاد سنة ١٩١٩

ولكن المحقق عندنا ، ان العقاد بقى كما هو في صميمه وفي جملته منذ ان لقيناه ، بل نحن الآن في حل ، ان نذهب الى ما قبل ذلك ، لنضيف « وقبل ان لقيناه » . ذلك اننا بعد ان وقعت لنا صورته في حداثته الاولى ، ترى في وضوح وجلاء ـ من المقابلة بين صورة الغلام وطلعة الرجل الذى لقيناه ـ مصداق قول بعض الشعراء « الطفل ابو الرجل »

فلنبدأ اذن من البداية

ان المتطلع الى تلك الصورة الاولى للعقاد عام ١٩٠٢ وهو

تلميذ في الثالثة عشرة من عمره بالمدرسة الابتدائية بأسوان ، لا يفوته ان يلمح فى تلك السن المبكرة ما هو كامن بالوراثة فى الغلام من يقظة الحس ، وحدة المزاج وقوة الارادة ، والاعتزاز بالنفس مع الاستعداد للتمرد والتأهب للتحدى . واخيرا وليس آخرا ما تطالعنا به هذه الصورة الاولى للغلام ، من شموخ الرأس ونظرة الطموح

***

هذه الصورة الاولية ، لم تلبث ان دخل عليها من التغيير مالا بد منه ، حين خرج الفتى العقاد بعد ذلك الى معترك الحياة فى طلب العيش ، موظفا كغيره من الموظفين الصغار فى الوظائف الحكومية ، فكان فى كل وظيفة من الوظائف الصغرى التى تقلب فيها ، يجره عدم التلاؤم مع الوسط الى التصادم مع رؤسائه الكبار ، وهم الذين كان أصغرهم فى تلك الايام يتعاظم على مرءوسيه مهما يكن من جهله ، ويعاملهم كأنه الحاكم بأمره

وقد كان من شأن هذه التجارب الاولى فى حياة العقاد الشاب ، أن أسخطته على الناس والحياة معا . وكان العقاد الشاب قد وجد ــ وسط كفاحه على العيش فى هذا المعترك الضيق ــ متنفسا فى المطالعات الادبية التى أوقع الفتها فى نفسه اصطحاب ابيه اياه فى صغره ، الى مجالس المسامرة والمناظرة فى مسائل الدين والسياسة والادب فى منزل القاضى الشرعى فى اسوان . وكان قد اتفق فى زيارة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده لمدينة اسوان متفقدا للمحاكم ، ان زار المدرسة الابتدائية ، والعقاد تلميذ بها ، فسرته اجابة للعقاد التلميذ فتنبأ على مسمع من الجميع أن سيكون لهذا التلميذ مستقبل فى الكتابة فكان من امتزاج هذا الايحاء وما كان من الاستعداد الطبيعى فى العقاد ، أن استمر الفتى دائبا على الاطلاع ومعالجة الكتابة ونظم الشعر ، حتى شق طريقه الى اظهار مواهبه الادبية بالكتابة فى بعض الصحف والمجلات . وقد ظهرت فى كتابه الاول « خلاصة اليومية » عام ١٩١٢ بوادر من الشك تدل على حالته النفسية ، ثم ظهر جليا فى شعره مدى سخطه على البشر ويأسه من الحياة ، كما هو الظاهر الجلى فى هذه الابيات «عام ١٩١٧» فى الرد على من يبشره بالعام الجديد :

بشر بالعام الجديد كأننى
ايدل حالا بين ماض ومقبل

فبشر بعام زال عنا ملمما
والا فما البشرى بعام مزمل؟

دعونى اسر فى ساحة العيش مفردا
مغنى فلا ادرى مصيرى واولى

ويتعكس هذا كله على صوره فى ذلك العهد ، فهو فيها من شـدة النحول مع فرط الطول ، يبدو فى صورة كبريائه وقمة استعلائه على عصره اشبه ما يكون بالفارس «دون كيشوت » الذى جاء ممثـلا للفروسية بعد انقضاء عهـدها واندثار أثرهـا ، وما كان من سـيادة الروح البورجوازية وانتشار المبادىء النفعية

***

وتندلع ثورة ١٩١٩ ، ويصبح العقاد بعدها لسان حزب الاغلبية « منـذ عام ١٩٢٣ » وفارس صحافتها المغوار ، صاحب القلم الجبار ، الذى تتطاير منه صواعق النار على خصوم الحزب المتهمين بممالأة الاستعمار

وللمرة الاولى يشعر العقـاد فى كفاحه بالسعادة ، لأنه فى الرؤساء القادة ، ولأنه لم يعد فى المجتمع ذلك الغريب الذى يتعزى عن وحدته بأنها وحدة العظيم لانفراده بعظمته • فقد اصبح العقاد اليوم موصول الاسباب بالمجتمـع ، مسموع الكلمة عند الـكثرة ، مرموق المكانة يشار اليه بالبنان



العقاد سنة ١٩٢٥

ويجرى اسمه على كل لسان • وقد كان من شأن ذلك كذلك ، ان انجذبت اليه انظار النساء على عادتهن بعد ان صار محط الانظار فساهمن فى تضفير ما وضعه الرجال على هامته من أكاليل الغار ، واستقبلنه فى صالوناتهن الادبية ، ومن لم يكن لهن صالون ادبى استقبلهن فى صالونه • وانعكس هذا كله فى شعره غزلا حسيا وغير حسي « ساره وهند » ، كما انعكس بطبيعة الحال فى صورة فى ذلك العهد ، بما داخلها من مخايل الطاووس ، فى تجمله وعنايته بمظهره ووجاهته ، واحتفاله بأناقته وزينته ، دون المساس ادنى المساس بسمت وقاره ورجولته

* * *

ولكن هذا كله لم يكن ليخدع العقاد عن نفسه • فهو أذكى من ان يخفى عليه ان هذه الشهرة الواسعة لم تكن كلها لشخصه ، بل ان نصيبا كبيرا منها يرجع الفضل فيه الى شعبية حزبه

ولكنه كان مع ذلك يأبى ــ وهو كاتب الحزب ــ ان يضع نفسه من حزبه موضع التابع من المتبوع او يأخذ نفسه كسائر اعضاء الحزب بالتزام الصف ، بل كان اذا طالت المداورات والمناورات الحزبية الى حد المساومة على حقوق الوطن ، تعمد الاندفاع وحده وهو لسان الحزب المشهور بانه ناطق باسمه ــ الى مافيه توريط حزبه واكراهه على ترك المسالمة والدخول فى المعركة ، حارقا المراكب من خلفه • ومن ذلك صيحته المأثورة تحت قبة البرلمان باستعداد الامة لسحق اكبر رأس دفاعا عن حرياتها ، وما كان من اعتقاله وحبسه « ١٩٣٠ ــ ١٩٣١ » ، ثم تعرضه بعد ذلك للاغتيال • ومع ذلك فان هذا العداء للعرش ولجميع الاحزاب المعادية لحزبه ، كل هذا لم يمنعه اخر الامر من أن يترك هذا الحصن الاخير نفسه حين اراده على ان يطاطىء من رأسه وينزل عن رأيه •

وهكذا وقعت بينه وبين حزبه النبوة « ١٩٣٥ » ، وكانت بفعله لمصلحة وطنه • وبقى العقاد واقفا فى الميدان وحده شارعا قلمه الجبار ، دون ان يجد الصحيفة التى يصول فيها ويجول • وبلغت أزمة العقاد الى الحد الذى نضبت فيه موارده حتى كاد يعوزه القوت، ثم انفرجت الازمة قليلا حين خرج افراد قلائل اخرون على الكثرة الحزبية • ولكن العقاد ظل كالمغمور ، ثم ارتفع على هذه الغمرة حين طلع على الناس بكتابه المنقطع

النظير عام ١٩٣٦ عن « سعد زغلول » بعد عشر سنوات من وفاته وكان النجاح الجارف الذى حققه كتابة عن زعيم ثورة ١٩١٩ فاتحة اشتغاله بالتراجم السياسية للقادة المعاصرين فى الشرق والغرب . ثم بلغ القمة بعدها فى تراجمه الاسلامية المعروفة بالعبقريات ، وانتهى الى الاشتغال بالفلسفة الاسلامية والالهيات . فصار العالم العربى كله من المحيط الى الخليج ، من قرائه المعجبين به ومريديه المتعصبين له . وفى هذه المرحلة كان تقدير القارئين ومحبة المريدين وعبادة المتلمذين ، كل هذا خالصا للعقاد وحده اعجابا بشخصيته وعبقريته معا

وهذه المرحلة من حيث الانتاج الادبى والاجتماعى والفلسفى هى أخصب المراحل فى حياة العقاد وأوفرها حصادا ، مع شيخوخته ودبيب الشيب الى لمته ، وما كان يتلو عاما بعد عام من علو السن والهرم . والواقع أن العقاد عاش ما عاش حتى كاد يدخل فى عداد المعمرين ، فما اعوجت قناته ، ولا انحنت هامته ، ولا لانت فى الكفاح شرته ، ولم يكن ذلك للضلاعة فى أركانه وشدة الاسر والوثاقة فى تركيب جسده وبنيانه بل



العقاد سنة ١٩٣٤

لفرط الحيوية فى أعصابه وذهنه ووجدانه

كذلك كانت هذه المرحلة ـ وهى الاخيرة وا أسفاه ـ أغنى المراحل بصوره المعبرة أصدق التعبير وأبلغه • ولقد رأى القارئون أجمعون عددا عديدا من صوره الاخيرة فى الصحف اليومية والمجلات الدورية ، كما سجلها مصوروها أكثر من مرة ، بمناسبة ما كان يقام فى ندوته كل عام من احتفالات المعجبين والمريدين ببلوغه سن السبعين وما بعدها حتى عام وفاته « ١٢ مارس ١٩٦٤ »

وانى على يقين راسخ ، بأن هذه الصور اذا طبعت وجمعت فى مجموعة مجلدة album ستكون ذات قيمة عظيمة ، لا تقل عما كتبه وسوف يكتبه عنه أصحاب التراجم من المؤرخين • والعجيب فى أمر هذه الصور أنها تمثل العقاد فى الجلسة الواحدة فى مظاهر وحالات متعددة • فهذه الصورة تمثله فى حالة التفكير ، تليها أخرى تمثله فى حالة من الاغراب فى الضحك ليس لهبا نظير ، والثالثة فى صورة عارمة من الغضب ، وهو يكاد يتطاير كالسنة اللهب ، من فرط التوفز وشدة التفزز ، الى آخر ما هنالك من مختلف الصور • ولكن هذه الصور وغيرها ، تبدو مع اختلافها وثيقة الصلة فيما بينها ، لا يشعر المشاهد لها ، بغرابة النقلة بين الواحدة والاخرى ، حتى لو كان من بينها صورة من تلك الصور ، التى تمثله في حالة الاستغراق النفسي ، الى الحد الذى يشبه غيبة الوجد عند المتصوفة • وهى حالة قلما تتحقق الا فى الخلوة ، وان كانت تتحقق للعقاد أحيانا ، وهو حاضر مع الخلق فى ندوته

وما من شك لى ان اعجب صور هذه الرحلة الاخيرة وامتعها ، عند الاصدقاء والخصوم على السواء ، هى صور العقاد الاخيرة ، التى تتمثل فيها ـ مع مظاهر هرمه وشيبته ـ روح طفولته .. فلتعمنا ، بعد ان تجاوز السبعين ، يبدو اقرب الى الطفولة مما كان وهو طفل ، كانما زادت طفولته مع السنين . وهذه الطفولة المتاخرة تكون ولا شك طفولة واعية ، ولكن طفولة العقاد المتاخرة على الرغم من هذا الوعى الخطير وما يصاحبه من العقل المنطقى الكبير ، تبدو اسرع من طفولته الاولى انطلاقا ، وابعد انبساطا ، كما انها ـ على الرغم من تجاريبه فى الحياة وهى كثيرة ـ تبدو فى صميمها ، اعمق من طفولته الاولى بساطة وبراءة ، ومن ثمة اكثر علوية وحلاوة .

* * *

ونقف عند هذا الحد فى عرضنا لشخصية العقاد ممثلة فى صوره لنقول كلمة عن شخصية العقاد فى كتبه • والذى عليه اعتقادنا ، ان الصور فى تعبيرها عن شخصية العقاد ، فى مختلف مراحل حياته وفى جميع حالاته ، تعدل فى

دلالتها — بل قد تفوق — ما يمكن ان ترويه سيرته العامة والخاصة عند عارفيه من خلطائه وملابسيه ولكن هذه الصور نفسها ، مهما يقال في قيمتها التعبيرية ، لا يمكن بحال من الاحوال ، ان تغني في تعرف شخصية العقاد . من تلك الثروة التى ادخرها لقارئيه ، في المجاميع العديدة ، من مؤلفاته الضخمة في النقد وتقييم الادب والفن ، وفي تراجمه التاريخية المشهورة بالعبقريات وفلسفته الاسلامية في الالهيات ، وسائر آثاره ، وخاصة دواوين اشعاره

وذلك ان العقاد ، رحمه الله ، كان اوفر حيوية ، من ان يطيق عدم الامتزاج بموضوعه . فالقضايا كلها — علمية كانت او عالية — لاتخلو معالجته لها من حماسته القوية ، كالقضايا الشخصية .. ومن ثمة كانت مؤلفات العقاد في جملتها ، اكمل وانطق واصدق صورة لشخصية العقاد

بيد أن الحظ هنا ، قد أراد لنا أن تحتفظ للعقاد ، بكل ما يدل على شخصيته . فهذا هو ، بملامحه الجسمية في صوره الشمسية ماثل لعياننا ، وهذا هو ، بسماته النفسية ، في العدد العديد من كتبه ، ممثل في اذهاننا وبفضل هذه وتلك ، سيظل العقاد — وان واراه القبر — حيا بيننا ، ثم بين الاجيال الصاعدة من بعدنا الى اخر الدهر



عندما قال : ان الامة مستعدة لسحق اكبر راس دفاعا عن حرياتها

مصر و الخليج العربى في القرن "١٩"

د. عبد العزيز نوار :

تميز القرن التاسع عشر بصراع استعمارى مرير بين فرنسا وبريطانيا فى العالمين القديم والجديد ، واستخدمت كل من الدولتين ما لديها من اختراعات واكتشافات علها تحرز النصر الحاسم هذا بينما كانت الدولة العثمانية -أو الرجل المريض كما كان يطلق عليها- لا تزال تستخدم الاساليب العسكرية القديمة وتعيش تحت أساليب ادارية عفنة ، حتى أصبحت عرضة لانهيار خطير اذا ما انفردت بها احدى الدولتين : بريطانيا أو فرنسا

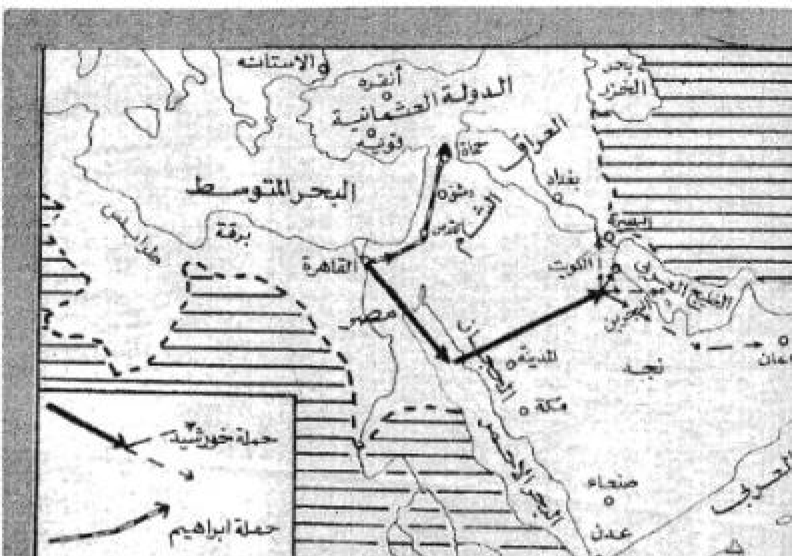
ولكن الصراع بين الدولتين الاستعماريتين جنب الدولة العثمانية هذا الموقف ومع هذا لم يلتفت المسئولون فى الآستانة

الى معالجة اسباب الانهيار الا بعد ان اصبحت الدولة العثمانية وولاياتها تحت التهديد المباشر للاستعمارين البريطاني والفرنسي

وكانت اسباب هــذا الركود الذى اصاب الشرق الاســلامى مثار خلافات شديدة فى الرأى بين العلماء والساسة الشرقيين والغربيين ، من حيث تحديد اسبابه والظروف التى ادت اليه . فقد حاول كل منهم ان يرجع انهيار الدولة العثمانية الى أسباب اقتنع بها من وجهة نظره

ومن العلماء العرب الذين تصــدوا لتلك المشكلة فى شبه الجزيرة العربية **محمد بن عبد الوهاب** . فقد اعلن ان الجنوح من تعاليم الاسلام هو السبب الاول فيما اصاب المسلمين من ضعف وتدهور . وقد بنى رأيه هذا عندما اعاد النظر فى تقاليد المجتمع الاسلامى وتفاسير الفقهاء للقرآن الكريم والاحاديث الشريفة. فلقد هاله ما أصاب المجتمع من مروق من الدين وانتقد بشدة ما فى التفاسير من انحــرافات . ولهذا شرع يهـدى الناس الى اتباع آيات القرآن الكريم نفسه ودعا المسلمين الى الابتعاد عن لغو مدعى العلم والى تنقية التعاليم الدينية من البدع .. !

وفى رأينا أن محمد بن عبد الوهاب لم يكن صاحب نظرية جديدة ، وانما هو لا يعدو ان يكون مصلحا دينيـا لامور المسلمين فى شبه الجزيرة العربية . ثم ان آراءه وتعاليمه لم تتعد حدود شـبه



الأسهم تشير إلى المناطق التي أبدت التعاون مع خورشيد للتخلص من التبعية العثمانية والاستعمار الانجليزي

الجزيرة العربية . فهو لم يمد بصره الى ما وراءها . فتعاليمه الاصلاحية الدينية محدودة ببيئة شبه الجزيرة العربية . ولم يصل الى علمه شيء يذكر من التقدم التكنولوجي الهائل الذي احرزته أوربا منذ عصر النهضة . فلم يشر الى ذلك في تعاليمه . ثم أن من جاء بعده من زعماء الحركة كانوا أكثر تمسكا بالتفسير الحرفي لآيات القرآن . ومن هنا كانت الحركة السلفية لدى الموحدين - وهم أتباع محمد بن عبد الوهاب - شديدة الخطورة على العالم الاسلامي حتى يظهر عالم يصحح أوضاعها ويمزجها بمشاعر الحضارة الحديثة . وقد سبق ارنولد توينبي حين قال ان الحركة السلفية تلك ليست سوى رد فعل للضغط الغربي . ولكنه رد فعل سلبي بل ورجعي كذلك . حيث تناقضت حركة الموحدين مع التطور الفكري السريع في كل من الشام ومصر والعراق، ذلك التطور الذي كان يكشف عن حقيقة المشكلة

ففي الشام ومصر والعراق ادركت الطبقة المثقفة فيها أن المشكلة ليست في جنوح المسلمين عن حقيقة الدين الاسلامي فقط وانما أيضا فيما أصاب الشرق من تأخر شديد في مجالات التقدم العسكري والاقتصادي والثقافي . وفي الوقت الذي كانت فيه الافكار التقدمية تظهر وتتطور في الشام ومصر والعراق، اذا بالعراق والشام يتعرضان لغزو وهابي خاطف ودموي أحيانا . ومن ذلك الهجوم العنيف الذي



معاهدة ١٨٢٠ الغتها بريطانيا من
معاهدة استغلال الى معاهدة حماية !

شنته القوات الوهابية على مدينة كربلاء وما أعقب ذلك من نهب وتدمير للمدينة

ولقد نظر أهل المدن العراقية الى هذا الغزو* الخاطف على انه خطر داهم حيث أن مظاهر الهدم فيه كانت أوضح من مظاهر البناء والتعمير

هذا كان الشعور العام في العراق والشام ازاء دعوة **محمد بن عبد الوهاب** فالمبادىء مقبولة لدى كثير من المثقفين في هذين البلدين ولكن أسلوب تطبيقها كان خاطئا . خاصة ان الموحدين اعتبروا من لايقبل دعوتهم فهو من الكفار . وهذا امر يلقى اعتراضا ومقاومة شديدة . فضلا عن ان الحركة السلفية الوهابية لم تحمل بين ثناياها تخطيطا واضحا للحكومة التي تستطيع أن تدير امر الشرق



بما يكفل له الوقوف في وجه الغرب وهي مشكلة كانت تقض مضجع شعب وحكام مصر والشام بصفة خاصة . ويرجع هذا الى أن الحملة الفرنسية هزت البلاد المصرية والشامية هزا عنيفا . وادرك الشعب ان العثمانيين والمماليك هم المسئولون عن وقوع البلاد في قبضة الاستعمار الفرنسي . وان سوء معاملة العثمانيين للمصريين خلال سنوات الكفاح ضد الفرنسيين (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) كانت من العوامل الرئيسية التي جعلت شعب مصر يشعر بمسئوليته الكاملة في الدفاع عن بلاده . ونقل هذا الاتجاه في مصر يتبين لنا من رسالة حفظها لنا المؤرخ الكبير **عبد الرحمن الجبرتي** بعث بها الشيخ أبو الانوار السادات الى عثمان (كتخدا الدولة) وهو احد كبار رجال الدولة العثمانية والمسئول عن اخراج الفرنسيين من مصر فقد جاء في تلك الرسالة :

« ظننت انك عدتي اسطو بها
ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملته
والمرء يشرق بالزلال البارد

اما بعد فقد تلاشت عهدي وتركت مودة آل بيتي وجدي واطعت الظلمة السفلة وامتثلت امر المارقين الثقلة فاعنتهم على البغي والجور وسارعت في تنجيز مرامهم الفاسد على الفور من الزامكم الكبير والصغير والغني والفقير اطعام عسكركم الذي اوقع بالمؤمنين الذل والمضرات وبلغ في النهب والفساد غاية الغايات . فكان جهادهم في اماكن الموبقات والملاهي حتى نزل بالمسلمين اعظم المصائب والدواهي . فاستحكم الدمار والخراب . فبذلك كان عسكركم مخذولا . وبهم عم الحريق في كل بيت كان بالخير مشمولا . كيف لا واكابركم اضمرت السوء للمرتزقة في تضييق معاشهم واخذ مرتباتهم والالاف ما بايديهم من ارزاق ومتعلقاتهم . ولقد اخفتم اهل البلد بعد امنها واشعلتم نار الفتنة بعد طفئها . ثم فررتم فرار الفيران من السنور

وتركتم الضعفاء متوقعين اشنع الامور فوأغوثاه .. واحكم يا احكم الحاكمين وانصرنا وانتصر لنا »

وهكذا تكشف لنا هذه الرسالة عن مدى ما كان يعتمل في صدر أهل مصر من كراهية للعثمانيين الذين تركوا مصر تقع في يد المستعمر الفرنسي كما تكشف لنا عن ان المصريين عقدوا العزم على أن يدفعوا الشر عن بلادهم وانفسهم بأيديهم دون الاعتماد على وعود السلطان العثماني ورجاله

وفي هذا المعنى رفع الجبرتي عقيرته داعيا الناس الى النظر في أمورهم بما يكفل لهم التخلص من الاستعمار الفرنسي قائلا :

« الاجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختالون في ريشهم . »

وانتقد الجبرتي كثرة الصياح من جانب العامة عندما وقعت المعركة بين الفرنسيين والمماليك والشعب في موقعة امبابة فيقول :

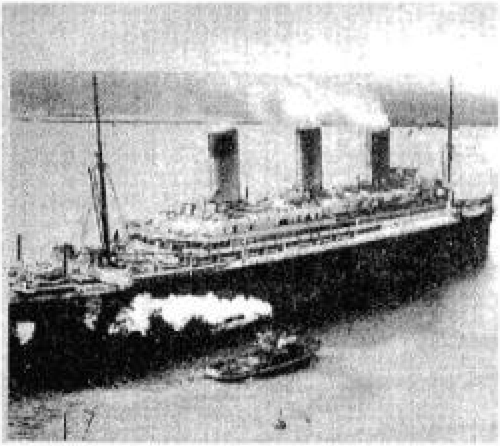
« وكانهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم فكان العقلاء من الناس يأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم ان الرسول والصحابة والمجاهدين انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا برفع الاصوات والصراخ . فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ومن يقرا ومن يسمع . »

كما انتقد الجبرتي تصرف العثمانيين في اعقاب نزول الحملة الفرنسية الى مصر عندما حاول الوالي العثماني في مصر أن يستنجد بالسلطان العثماني في الاستانة فعلق الجبرتي على ذلك بقوله **« لياتيه الترياق من العراق »** ومفهوم هذا المثل هو ان العليل يفارق الحياة قبل ان ياتيه الدواء من العراق لبعدها

هذه البوادر الاولى التى زادت كره العالم العربي للعثمانيين استغلها **محمد على** في الوصول الى الحكم . فلقد أمر الشعب على أن يسند الحكم اليه رغم أنف السلطان العثماني على اعتبار انه هو القادر على انقاذ البلاد من الخطر الاجنبي ومن الاضطراب الداخلي . وفي اعقاب ذلك وجد **محمد على** نفسه في تيار عام يدعوه الى الاخذ بالاساليب التكنولوجية الغربية حتى يثبت مركزه في مصر ضد الدولة العثمانية وضد الاطماع الاوربية أيضا . وهذا التيار كان يدفعه نحو البلاد العربية سواء رضى الحاكم ذلك أم لم يرض . فدور مصر في توجيه امور البلاد العربية الاخرى تطلبه اوضاعها الثقافية والسياسية والاستراتيجية والجغرافية . ومن ثم كان لا بد أن تؤثر الحركة الاصلاحية التكنولوجية المصرية ـ التى بدأت في عهد محمد على ـ بطريقة ما في بقية



محمد على .. خضع للانجليز والسلطان العثماني



البواخر الانجليزية وقفت بجانب القوات العثمانية ! ...

البلاد العربية مثلمــــــا أثرت الافكار الاصلاحية الدينية السلفية الوهابية فى مصر

***

لم يكن اذن فى مقدور هاتين الحركتين ان تحدثا اثرهما فى العالم العربى الا بعد التغلب على السلطان العثمانى . فالحركة الوهابية تنظر الى السلطان العثمانى على انه مغتصب للخلافة من العرب، والحركة الاصلاحية التكنولوجية فى مصر تنظر الى السلطان العثمانى على انه حاكم رجعى يقود الشرق الى هوة الاستعمار والذلة

هكذا التقت الحركتان الاصلاحيتــان فى مصر وفى شبه الجزيرة العربية على معاداة السلطان العثمانى

ولكن السلطان العثمانى كان اسرع فى العمل وفى استغلال الوقف لصالحه . فلقد حرض ولاة بغداد والشام على القضاء على **الحركة السلفية** فى شبه الجزيرة العربية . ولكن الولاة العثمانيين فشلوا فى هذه المهمة ، بل أصبحت القــوات الوهابية تهدد العراق والشام تهديدا اخطر من ذى قبل . ولهذا فان السلطان محمود الثانى العثمانى حول انظــاره صوب مصر . والقى بثقله على محمد على ليرغمه على ارسال حملة الى شبه الجزيرة العربية . واستخدم السلطان أساليب التهديد فى ثنايا رسائل المحبة والترغيب التى كان يبعث بها الى محمد على . وكان محمد على نفسه يدرك دور مصر الذى يجب أن تلعبه فى البــلاد العربية . ونظرا لان انظاره كانت مركزة على الشام فقد حاول ان يحصل عليها فى مقابل اخماد الحركة الوهابية ، وهنا هبت العواصف السياسية ضد محمد على حتى اضطر الى ان يكتفى بارضاء السلطان عن طريق القضاء على الحركة الوهابية . وظل فى نفس الوقت يثير مسألة ضم الشام الى مصر

وهكذا لم تكن قضية الحركة السلفية فى شبه الجزيرة العربية الا طرفا من اطراف قضية كبرى هى قضية الوحدة بين مصر والشام . وبعث محمد على بقواته الى شبه الجزيرة العربيــــة واستطاع ابنه **ابراهيم باشا** أن يسيطر عليها، ثم زحف بقواته حتى بلغ سواحل الخليج العربى (أواخر ١٨١٩) . وهناك حاول الانجليز أن يتعاونوا مع ابراهيم فى تلك الجهات بما يكفل لهم ضمان مصلحتهم . وهنا وقف ابراهيم ومحمد على موقفا ينم عن قصر النظر السياسى . فقد خشى الرجلان مغبة التعاون مع الانجليز . ولكن ماذا فعلا . أمر محمد

على ■ نه ابراهيم بالانسحاب من سواحل شبه الجزيرة العربية تاركا حكم الاحساء المطلة على الخليج العربي وغيرها من البلاد لحكام من شيوخ العشائر العربية الذين لا حول لهم ولا قوة اذا انفرد بهم الاسطول البريطاني

والغريب حقا ان الاسطول البريطاني سبق أن ضرب موانى الخليج العربى فى ١٨٠٩ أى قبل وصـــول ابراهيم الى سواحل الخليج بعشر سنوات فقط

فكيف ينسحب ابراهيم تاركا الميدان ليمرح فيه الانجليز ؟!

لا تفسير لهذا الا قصر نظرة محمـــد على السياسية فقد غل يد مصر من القيام بالدور الذى يجب أن تلعبه فى تلك المنطقة العربية

وكان طبيعيا أن ينتهز الانجليز هذه الظروف المواتية فبعثوا بحملة بحرية الى موانى الخليج العربى دمرت ما للعـرب فيها من سفن وســيطرت على الامارات العربية هناك اذ ارغمتها على توقيـــع معاهدة ١٨٢٠ لتستغلها فى الحصول على حق فرض الحمـاية على تلك الامارات العربية التى وقعت عليهـــا . وكانت البحرين على رأس هذه الامارات

ان ابراهيم ومحمد على يتحملان جزءا ليس بالقليل من تبعة وقوع تلك الامارات تحت قبضة الانجليز . ولو انهمـا فكرا بعقلية عربية خالصة لوضـــع ابراهيم سيفه دفاعا عن تلك الامارات

ولقد أدرك هذه الحقيقة قائد مصرى هو خورشيد باشا الذى قاد حملة فى شبه الجزيرة العربية فى ١٨٣٨ سار بها صوب الخليج العربى لعله ينقذ الموقف ويعيد الســيطرة المصرية عليها . فبعـــد انسحاب القوات المصرية من الاحســـاء ونجد (١٨١٩) استعادت الحركة الوهابية نشاطها وسيطرت مرة أخرى على نجـد والاحساء وخشى محمد على من أن يصبح **فيصل آل سعود** ــ الذى تزعم الحركة السلفية فى هذه المرة ــ سهما يقذفه به



شيوخ العـرب مدوا أيديهم لخورشيد !

العثمانيون عندما تقع الحرب بينه وبين السلطان العثمانى

فالمعروف ان محمد على استولى على الشام بعد ان انزل الهــــزائم المريرة بالجيوش العثمانية . ومع ان السلطان عقد الصلح مع محمد على فى عام ١٨٣٣ فانه فى الواقع كان هدنة مسلحة . كان كل من الطرفين يستعد للانقضاض على الآخر . وكانت بريطانيـــا على رأس المحرضين للسلطان العثمـــانى على شن الحرب مرة أخرى . اذ كانت تعمل خلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر على ضرب الحصـــار على المصريين ومنـــع

انتشارهم . بل كانت تعمل على اعادتهم الى مصر وتقويض صرح تلك الوحدة التى تمت بين مصر والشام (١٨٣٢ - ١٨٤٠)

***

وتعتبر سنة ١٨٣٨ السنة التى بلغت فيها الحرب الدبلوماسية ذروتها بين الباب العالى والانجليز من جهة وحكومة القاهرة من جهة أخرى . وخلال ذلك ادرك كل من محمد على وابنه ابراهيم ضرورة اعادة سيطرة القوات المصرية على شبه الجزيرة بل لقد أخذت الدولة العثمانية فعلا تحض فيصل آل سعود على مقاومة حملة خورشيد فى نجد . ومن ذلك أن **على باشا رضا** - والى بغداد العثمانى - بعث رسالة الى فيصل يشجعه على قتال المصريين فقد كتب يقول :

« انك لن التمعين الى جانب الدولة العلية .. واننا نكره الزاحفة لك على الديار.. وان لم تطق لرد العدو (القوات المصرية) افدنا عما يناسب حالك »

وهكذا كانت بريطانيا تضع يدها على الامارات العربية فى الخليج العربى فى نفس الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية تحرض الوهابيين على قتال المصريين لا من أجل حرية العرب وانما من أجل اضعاف جانب المصريين بغض النظر عما يبيته الانجليز لسواحل تلك البلاد من استعمار خطير

ولقد ادرك خورشيد كل هذا وتنبأ بالكارثة التى ستحل بالبلاد العربية ان هو تقاعس من القيام بواجبه نحو تلك الجهات ونحو تخليص كل أرض عربية من الاستعمار البريطانى ومن السيطرة العثمانية

ومع ان الانجليز تحاشوا دائما الاعتراف بأن هناك اتفاق مع العثمانيين على قتال المصريين حتى يعودوا الى مصر .. الا ان الوثائق الرسمية كشفت هذه الحقيقة فقد جاء فى مكاتبة بعث بها مسيو ستراتفورد كاننج - السفير البريطانى فى الاستانة - الى الوزير الخارجية البريطانية فى ٨ ابريل عام ١٨٣٦ يطلب منه أن يبعث بالاسلحة والمونة الى العثمانيين حتى يتفوق الجانب العثمانى من الناحية **العسكرية على الجيش المصرى وعلى قوات خورشيد باشا**

هذه المكاتبة تؤكد لنا مدى ما كانت تضمره السياسة البريطانية للعرب . وهو تقوية الدولة العثمانية وخاصة من الناحية العسكرية حتى تستطيع التغلب على الجيوش المصرية

وازاء هذا الوفاق الانجليزى العثمانى وضع خورشيد خطته على اسس جديدة تختلف اختلافا جوهريا من الاسس التى اتبعها ابراهيم عندما قاد حملته فى شبه الجزيرة العربية (١٨١١ - ١٨١٨)

عمل خورشيد على أن تتعاون الحركة الاصلاحية السلفية فى نجد بزعامة آل سعود مع الحركة الاصلاحية التكنولوجية المصرية . وعلى أن يؤدى هذا التعاون أيضا الى تخليص البلاد العربية التى وقعت معاهدة ١٨٢٠ من نير الاستعمار البريطانى . هذا الى ان حملة خورشيد كانت تتكون من القوات المصرية التى كان الفلاح المصرى عمادها اما قوات ابراهيم فكانت من الارناؤوط الذين اشتبوا الى المصريين ظلما وبهتانا واساءوا الى سمعتهم فى شبه الجزيرة العربية

ولقد حاول خورشيد ان يقنع فيصل آل سعود بالكف من اراقة الدماء . ولكن فيصل اراد أن ينتهز تلك الظروف لعله يستقل بالحكم بعيدا من متناول أيدى العثمانيين والمصريين والانجليز . واراد ان يلعب على هذه الاطراف مجتمعة . وهنا قدر خورشيد خطورة هذه الاوضاع . لان ظهور امارة مستقلة جديدة لآل سعود فى نجد ستحول بين وصول المصريين الى الخليج العربى لاخراج الانجليز منه . وهذا ما يريده الانجليز لان هدفهم هو منع المصريين من السيطرة على موانى الخليج ومن الوصول الى

جنوب العراق . او بمعنى آخر تصبح امارة آل سعود فى نجد دولة حاجزة Buffer State . ولذلك صمم خورشيد على اخضاع فيصل ونجح فى ارغامه على الاستسلام . ثم بعث بقواته صوب الخليج العربى

ونظرا لان السيطرة على مياه الخليج تتطلب وجود سفن مصرية لتساند القوات البريه فى عملها فقد طلب خورشيد من عباس باشا — الذى كان يحكم البلاد خلال غياب محمد على فى السودان — ان يبعث اليه بسفينتين لتكونا نواة الاسطول المصرى فى الخليج العربى . وشدد خورشيد فى مطالباته تلك حتى اقتنع عباس بوجاهة الطلب

لكن عباس ما كاد يشرع فى تنفيذ ما وعد به حتى واجه ضغطا شديدا من جانب الانجليز بقصد منعه من ارسال اية سفينة مصرية الى الخليج العربى . والواقع ان الاسرار العسكرية المصرية كانت تنتقل بسرعة غريبة الى الانجليز . واغلب الظن ان ذلك كان يتم بواسطة خونة فى الادارات المصرية حينذاك او بواسطة الاجانب الذين كانوا يشغلون بعض المراكز الهامة .

وعلى أى حال فقد أثمر الضغط البريطانى على عباس فعدل عن ارسال السفينتين ورد على خورشيد ردا ملتويا دون ان يصرح له بالحقيقة مدعيا ان هناك بعض المحظورات هى التى تمنع من ذلك . فما كان من خورشيد الا ان بعث بخطاب شديد اللهجة الى عباس يقول فيه :

« ولكوننا من خمسة أشهر لا علم لنا باحوال تلك الجهات فاننا لا نعلم ما هى هذه المحظورات وبما اننا مربوطون بكل شىء بذلك الطرف كما هو معلوم للجميع فاننا نرجو منكم ان تتفضلوا وتوضحوا لنا تلك المحظورات حتى ناخذ حذرنا منها »

عندئذ رد عليه عباس بصراحة هذه المرة وأكد له ان الانجليز لا يرضون بارسال سفن من جدة الى خليج البصرة . ومعنى هذا ان الانجليز اصبحوا يتصرفون فى الخطوط البحريه وفق مصالحهم سواء فى وقت السلم او فى وقت الحرب

حقيقة ليس هناك اى دليل مادى على ان الانجليز منعوا السفن المصرية من الابحار بين الخليج العربى والبحر الاحمر . ولكن اسلوب الانجليز فى تحقيق ذلك كان ماكرا وماهرا جدا . فهم يلجئون الى التهديد الشفوى والى الوسائل الدبلوماسية لتحقيق اغراضهم فكانوا يحصلون على مرامهم دون ان يظهروا امام العالم بانهم يخالفون القواعد الدولية ففى تلك الحالة يمكن ان تقول ان الانجليز لا يعترفون بحرية الملاحة الا اذا كانت الامور مواتية لهم . اما ان تعارضت مع مصالحهم فهم يتغاضون عن هذا المبدأ ولكن بصورة مستترة . وهذه هى السياسة التى اتبعها الانجليز فى كثير من الحالات .

ورغم هذا الموقف المثبط للهمم الذى وقفه عباس استمر خورشيد فى مساعيه نحو تخليص الامارات العربية من الاستعمار البريطانى . فقد كان مؤمنا بان اهمال امر الخليج سيعود بالوبال لا على شبه الجزيرة العربية فقط بل كذلك على العراق . وكان طبيعيا ان يلجأ خورشيد الى الاساليب الدبلوماسية بعد أن منع عنه عباس باشا الامكانيات العسكرية اللازمة . فبعث خورشيد بمبعوثيه الى مختلف جهات الخليج العربى : الى الكويت والبحرين وعمان . ولقد لقى المبعوث المصرى لدى حاكم الكويت كل ترحيب . وتعاون شيخ الكويت معه عن طيب خاطر . بل اصبح شيخ الكويت الواسطة بين خورشيد والعناصر الراغبة فى التعاون مع المصريين فى البصرة وجنوب العراق بصفة عامة (١) ومنذما لستقطاعات كبيرة من الجيش العثمانى فى البصرة ذلك التعاون العظيم بين امير الكويت والقوات المصرية دارت المفاوضات حول انضمام القوات العثمانية فى البصرة الى المصريين . وفعلا نقل شيخ الكويت على سفنه الكتائب العثمانية التى انضمت الى المصريين .

كذلك كان شيخ الكويت يقدم بعض الاموال للحملة المصرية على سبيل القرض حيث ان المسئولين فى القاهرة تأخروا فى ارسال الرواتب والمؤن الى القوات المصرية

فى شبه الجزيرة العربية لمدة تزيد على نصف عام

ولعل النجاح الذى أحرزه خورشيد فى الكويت كان مشجعا على ان يستمر فى هذه السياسة السلمية ازاء البحرين . ولكن ظروف البحرين غير ظروف الكويت فقد سبق ان أرغم الانجليز شيخ البحرين على توقيع معاهدة ١٨٢٠ مع بريطانيا ، وهى المعاهدة التى ادعت بريطانيا انها تعطيها حق التدخل فى امور البحرين كيفما تشاء . ومع هذا استمر خورشيد فى مجهوداته لانقاذ البحرين . ومن مكاتبة بعث بها الى المسئولين يتبين لنا كم كان خورشيد مقدرا قيمة البحرين للبلاد العربية بأسرها اذ يقول :

« ان الانجليز يرمون منذ خمسين او ستين سنة الى الاستيلاء على مقدار من سواحل بلاد العجم حتى يأمنوا شر الدولة الروسية وحولوا افراسهم الى الاستيلاء على سواحل عمان والبحرين والاحساء والقطيف والكويت والبصرة لتكون عقبة امام الدولتين الروسية والايرانية . هذا هو ما يضمرونه فلا يبقى من جزيرة العرب ولا بغداد خبر . اما البحرين فهى بمثابة مفتاح خليج العجم اذا استولت عليه الانجليز فانها فى خمس عشرة سنة تصبح عظيمة ومعمورة مثل جزيرة مالطة . فان كان من غير الممكن بقاؤها فى حوزتنا فلا اقل من ان تبقى لا لنا ولا للانجليز والاولى ان تترك مستقلة لآل خليفة .. ان قلعة الدمام هى جانب الاحساء ولم يزل ابن خليفة مقيما فيها فوجوده ايضا عقبة لمسألة البحرين فان تمكن الانجليز من احتلالها فتكون تلك الجهات ايضا لهم كما لا يخفى »

***

تلك كانت خطة خورشيد ازاء البحرين والدمام وسواحل الخليج العربى . الغرض الاول منها هو تخليص تلك البلاد من نير الاستعمار البريطانى . فبعث خورشيد بضباطه الى شيخ البحرين . وتبادل الطرفان وجهات النظر . واخيرا اقتنع شيخ البحرين بأن الوقت قد حان لينفض من نفسه نير الحماية البريطانية ، خاصة وان تلك المعاهدة التى وقعها مع الانجليز لا تعطيهم من الوجهة القانونية اى حق من حقوق الحماية التى يدعونها . فليس فيها ما يشير اطلاقا الى ذلك . بل هى تشير بدرجة واضحة الى ان البحرين ذات استقلال يجب ان تكفله الدول . ولكن معنى الاستقلال عند بريطانيا كان معنى اخر فاستقلال البحرين لديها معناه انها مستقلة من بقية دول العالم الا بريطانيا فلها حق فى التدخل فى شئونها !!!

والتهت تلك المفاوضات بين الضباط

الارناؤوط .. اساءوا الى سمعة الجيش المصرى فى الجزيرة العربية



المصريين وشيخ البحرين بعقد اتفاقيـــة اعلن فيها تضامنه مع المصريين

***

عندما علم الانجليز بذلك حاولوا التأثير على شيخ البحرين بأساليبهم الملتـــوية . فبعثوا اليه عددا من الشيوخ الذين خانوا عهود العرب وربطوا انفسهم بالانجليز . واخذ هؤلاء الشيوخ يحذرون شيخ البحرين من ان الانجليز سيتدخلون بالقوة ضــد البحرين حتى يفصلوها من المصريين فما كان من شيخ البحرين الا ان قال لهؤلاء انه اذا كانت هناك حكومة تناسب البحرين فان **انسب حكومة لنا هي الحكومة المصريـة** او على حد تعبير احد القناصل الانجليز :

The Egyptian government is the Best for us

وبعث خورشيد في نفس الوقت بأحد رجاله المخلصين وهو **سعد بن مطلق** الى البوريمي وعمان . ولم يكن سعدا يعمل لخورشيد او للمصريين وانما يعمل لآل سعود . فالواقع ان كل تحركات خورشيد في شبه الجزيرة العربية كانت ترمي الى ان يستعيد آل سعود حكمهم على كــل الاراضي التي كانت لهم . فبعث خورشيد برسالته التالية الى بعض شيوخ العرب على ساحل الخليج العربي :

الحمد لله وحده

« من خورشيد باشا سر عسكر نجد الى جنابم الشيخ سلطان ابن صقر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . الواصــــل اليك رجلنا سعد بن مطلق ـ شيخ عمان ـ يكون تسمعوله وتطيعه وتساعده بالقيام واصلاح الرعية ومن لا يطيع فلا يلوم الا نفسه والسلام » حرر في ١٨ ذي القعـــدة ١٢٥٤ هجرية »

هذا كان مجهود خورشيد العظيم في عمان والبحرين . ولكن مجهوده الاعظم كان في جنوب العراق . فقد كان جنوب العراق ـ بل العراق بأسره ـ يتعرض لضغط بريطاني شديد لانه كان في نظر الانجليز والعثمانيين احدى نقط الوثوب على المصريين في الشام او في شبه الجـــزيرة العربية. وبعثت بريطانيا بباخرتين الحقتهما بثلاث بواخر الى نهري دجـــلة والفرات لتقف الى جانب القوات العثمانيـــة في العراق اذا ما دار القتال بين المصريين والعثمانيين

ولندع تلك الاجراءات العسكرية مــن جانب الانجليز والعثمانيين مؤقتا ولننظر فيما كتبه القناصل الانجليز عن ميـــول الشعب العربي العراقي نفســه . فهل كان الشعب العربي في العراق يقف الى جانب المصريين ام الى جانب العثمانيين ؟ لقد كان الشعب العراقي يقف منذ البداية الى جانب المصريين . وفي هذا يقول القنصل



قنصل بريطانيا .. تنبه لحكومته عن خطـــورة الجيش المصـــري .. !



حملة ابراهيم باشا في جزيرة العرب!

البريطاني في بغداد ما نصه !

« ان الشعب اهل ولاية بغداد يقاسون من الضغط والأرهاب العثماني . وهو شديد الرغبة في ازالة الحكم العثماني الجائر . ولهذا فانه عرض لتقديم مساعداته للجيش المصري على ان يحميه من العثمانيين . ولو حدث هذا فان البلاد العربية ستستقل عن الدولة العثمانية تحت قيادة الجيش المصري

وقال القنصل في رسالة اخرى :

« ان افراد الشعب على استعداد لعمل اى شيء في صالح .. المصريين »

❊❊❊

من هاتين الرسالتين يتبين لنا كم كان عرب العراق مستعدين للتعاون كل التعاون مع المصريين لتخليص البلاد العراقية من الاستبداد العثماني .

والواقع ان الوثائق المتعلقة بالعراق تؤكد لنا هي الاخرى تلك الحقيقة التي ذكرها القنصل البريطاني . لقد جاء في رسالة بعث بها محافظ المدينة المنورة الى المسئولين في القاهرة :

« .. ان مشايخ العربان القاطنة جوار بغداد ارسلوا الى « خورشيد » كتبا قالوا فيها لقد عنانا وشق علينا الظلم والاعتداء ونحن نريد ان ننتقل الى تلك الجهة «اى جهة خورشيد» » .

كذلك اتصل الشيخ عيسى ـ شيخ عشائر المنتفق الكبرى ـ بخورشيد وابدى له رغبته ورغبة عدد كبير من عشائر العراق واهل البصرة في ان يكونوا تحت لواء خورشيد .

❊❊❊

هكذا اصبح الطريق الى العراق والبحرين وعمان مفتوحا امام المصريين دون ان تطلق رصاصة واحدة . ويرجع هذا الى الرغبة الحقيقية لدى العرب في ان

تتحد كلمتهم ضد المستبدين من العثمانيين وضد المستعمرين من الانجليز . ولكن الموقف كان اضخم واعظم من ان تنجح الاساليب الدبلوماسية فى السيطرة عليه . فقد كان اعداء العرب كثيرين وعلى رأسهم الاسطول البريطانى فى الخليج العربى والبواخر البريطانية المسلحة فى نهر دجلة والفرات .. فضلا عن القوات العثمانية فى العراق . وعندما علم الانجليز بذلك النجاح الكبير الذى احرزه خورشيد شرعوا فى تقويض مشروعاته فبعث هنل Hennel القنصل البريطانى فى الخليج العربى تحذيرا شديد اللهجة لشيخ البحرين . وذهب هو نفسه على رأس حملة بحرية لارغام الشيخ على التنكر لاتفاقيته مع مصر . وفى نفس الوقت ضغطت بريطانيا على محمد على حتى ارغمته على ان يعلن لها بأنه لن يتدخل فى امور البحرين . وانتهز « هنل » هذه الفرصة واخذ يوزع المنشورات فى الخليج العربى مرددا ان خورشيد انما يعمل من وحى تفكيره وان محمد على لا يرضى عن حركات خورشيد تلك

***

وتحت ضغط السلاح البريطانى والمؤامرات الانجليزية الصادرة من الهند ولندن ومن الحكومة العثمانية فى بغداد اضطر خورشيد ان يقف ساكنا بعض الوقت . ولكن اللطمة الشديدة جاءته من محمد على نفسه فقد اصدرت الارادة ان يبين « لخورشيد » ان ليس الوقت وقت المصلحة التى تصورها .. « وان » ينتظر وسيلة ملائمة .. لتكون جزيرة البحرين وغيرها تابعة « لآل سعود » .. ثم بعد اتمام ما ذكر .. يأتى لهذا الطرف ويغلق باب المصروفات اللتى فتح لنجد »

هكذا صدرت الاوامر الى خورشيد بأن يكف من الدفاع عن البلاد العربية التى وقعت تحت السيطرة البريطانية وخلالته حكومته فى الوقت الذى كان فيه الاسطول البريطانى يملى ارادته على البحرين وعمان. وخلال ذلك كانت بريطانيا قد عقدت العزم على ان تخرج المصريين من سائر البلاد العربية فعقدت معاهدة لندن ١٨٤٠ التى ادت الى تضامن الدول الكبرى مع الدولة العثمانية ضد مصر . وانسحب المصريون من شبه الجزيرة العربية والشام واصبحت منطقة شبه الجزيرة العربية فراغا كبيرا لم تستطع الدولة العثمانية ان تملاه فكان ذلك فرصة كبيرة لبريطانيا لتأكيد نفوذها وسيطرتها على سواحل الخليج العربى . فوضعت بريطانيا يدها على عمان وعلى قطر ثم الكويت واصبحت كل هذه الامارات مثل البحرين تحت الحماية البريطانية . ولقد صدقت نبوءة خورشيد ، اذ اصبحت البحرين فعلا مالطة اخرى . فمنها بدأت الحملة البريطانية لغزو العراق فى عام ١٩١٤ وظلت الى وقت قريب احدى قواعد بريطانيا الكبرى الشرق الاوسط .

قالوا فى المرأة قديما

- قيل لبقراط : اى السباع اجسر ؟
قال : المرأة
- كتب فيلسوف على بابه : ما دخل هذا المنزل شر قط
فقال له بعضهم : اكتب .. الا المرأة
- المرأة شر كلها .. وشر ما فيها أنه لابد منها

مكتبة مجلة الهلال العربية

ثلاثية من تراثنا الفلسفي :

- **مقاصد الفلاسفة للغزالي**
- **تهافت الفلاسفة للغزالي**
- **تهافت التهافت لابن رشد**

تحقيق الدكتور سليمان دنيا
الناشر : دار المعارف بالقاهرة
الثمن : ٦٥و٦٠و٧٥ قرشا

الحقيقة انه لا يمكن ان يقوم انطلاقنا الحاضر على اساس وطيد الا اذا عرفنا كيف نربط - في حذق - بين حاضرنا المنطلق الثوري ، وبين جذور تراثنا الفكري العميق في اوج مجده الذي كان يعتبر قاعدة الانطلاق الثوري في زمنه ، الى امد طويل جدا ، في الوقت الذي كان فيه الغرب يتلكأ في غيابات الجهل او سبات النوم .

ولا يمكن التفكير في تراثنا الفكري العربي من غير ان يتجه الذهن الى بضعة نفر من اعلام الفلاسفة العرب ، منهم ابن سينا وابن رشد والفارابي والكندي ، ومنهم - بلا شك - فيلسوف ذو وضع خاص وطعم خاص خاصم الفلاسفة ونازلهم وظل معدودا بين اعلامهم المعدودين لانه فيلسوف في اسلوبه ومنطقه وان اختلف مع الفلاسفة الاغريق في منهجهم ونتائجهم. .. ومن اشهر نزاليات الغزالي كتاباه . « مقاصد الفلاسفة » الذي يعتبر مقدمة وتمهيدا لكتابه الاخر الشهير : تهافت الفلاسفة . ولكن الكتابين لا يكملان الا بكتاب ثالث شهير جدا ايضا في تراث الفكر العربي ، واعني بذلك كتاب الفيلسوف العربي الاندلسي العظيم ابن رشد في الرد على الغزالي وهو كتاب « تهافت التهافت » .. ومنها يتبين ان الغزالي لم يكن عدوا للعقل كما قيل عنه افتراء وانما هو على العكس يستخدم العقل في وضع الحدود للمعرفة العقلية ذاتها وبغاية من التجرد المنطقي ..

وكانت هذه الكتب مطبوعة من قبل طبعات كنا - نحن دارسي الفلسفة - نجد عناء شديدا في الحصول عليها ملازم مفككة صفراء ذات حواش وذيول وهوامش ، لم نجد عناء اشد في فك طلاسمها وتمييز صوابها من خطئها ، ونفصل المتن فيها من الشرح ومن تعليق « خوجة زادة » على المتن والشرح معا في هامش ثالث . فلا يكاد يستريح القارىء من الصداع لهذا الجهد العصبي والذهني الضائع ، مع ان الكلام نفسه في حاجة الى الصحو العقلي الكامل لفهم مراميه والغوص الى اعماقه والتحليق في بعيد آفاقه

ومن المآثر المشكورة ولا مراء أن ينهض استاذ عربي جليل من اقطاب جامعتنا الازهرية بتحقيق هذه الثلاثية الفلسفية

الجيدة تحقيقا وافيا دقيقا ، باذلا علمه وخبرته في التمحيص والتوضيح في مقدمات علمية عميقة شاملة ، ومع شروح وتعليقات في الهوامش يعقد فيها مقارنات بين اقوال المؤلف وغيره من الفلاسفة — ولا سيما العرب — في كل نقطة هامة ، بحيث تبرز « المسائل الخلافية » في الفلسفة بروزا يثير العقل ويثير التفكير اثارة شديدة خصبة ..

والمحقق الفاضل يعطي النزاهة الموضوعية حقها في غير تعصب ، فيشير الى ركاكة بعض تعبيرات الامام الغزالي بلا مواربة . ويقف من « الاسلوب » المعركة بين الغزالي والفلاسفة موقفا ناصعا ، فلا يتردد في نقد « المستوى الهابط » في الالفاظ احيانا ، وليس خافيا ان الحماسة للفكرة قد تبعث في الفكر شيئا من الحرارة الزائدة أشبه بالدخان الذي يندلع من السنة النار المتاججة ، وعلينا أن نأخذ باللباب وننفض القشور ، معهدين العذر لاولئك الجبابرة في حماستهم للحقيقة كما يعتقدونها . وحرارة الحماسة — ولو بهذه الشوائب — افضل الف مرة من برودة الفتور وعدم الاكتراث ..

الماركسية في الفلسفة

تاليف حسني ناثان
الناشر : مكتبة النهضة ببغداد
الثمن : ٧٠ قرشا

هذا كتاب يناقش الفلسفة المادية الجدلية لكارل ماركس ، ولصديقه وزميله في الرأى والكفاح الفكرى السياسي انجلز ، ولخليفتهما اول مطبق للماركسية في العالم عمليا لينين

والكتاب يبدا بتحديد الاصول المباشرة للفلسفة المادية الجدلية ثم ينتقل الى نظرية المعرفة في الفلسفة الماركسية ليتحدث عن طبيعة الوجود والعلاقة بين الفكر والوجود .

ويتبين منذ الوهلة الاولى ان المؤلف يأخذ موقفا معاديا من الفلسفة الماركسية يشحذ له قواه كلها ويزداد ذلك وضوحا حين يناقش في فصل تال قوانين الوجود في المادية الجدلية وقوانين المنطق فيها والعلاقة بين ما اسماه الدياالكتيك والسفسطة ليخلص من هذا الى القول بان المادية الجدلية « مثالية » وانها فلسفة طبقية حزبية، ويعرض الاستحالات التى يتراءى له انها تنصب على المادية الجدلية لما فيها من تناقضات استلزمت تطويرا بعد ماركس . وحتى النجاح الذى حققته الماركسية ولا يستطيع المؤلف انكاره احيانا يحاول في ختام كتابه التقليل منه وتفسيره تفسيرا متبطا

والكتاب في مجموعة ليس محايدا تلك الحيدة الموضوعية . وانما هو تعبير عن موقف سافر من العداء للماركسية، وكان الاقرب لفائدة القارىء العربى في هذه المرحلة المتفتحة لفكرنا ان يصدر كتاب في هذا الموضوع خال من التحيز الصارخ ، هدفه تنوير الاذهان موضوعيا حول ما لهذه الفلسفة من خصائص مميزة .

عندما يواجه المعلمون انفسهم

تاليف آرثر جيرسلد
ترجمة الدكتور محمد على العريان
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية
مؤسسة فرانكلين
الثمن : ٢٦ قرشا

هذا المؤلف من اكبر المتخصصين في علم نفس الطفل وفي التربية عموما ، فهو استاذ للتربية بكلية المعلمين بجامعة كولومبيا . وكتابه هذا احدث دراساته العلمية المحترمة عن العلاقة بين فهم الانسان لذاته وبين التربية بالمعنى الصحيح . فعلى المعلم قبل ان يسعى للتاثير في تلاميذه ان يجتهد في فهم نفسه وعقد المصالحة السليمة بينه وبينها كي تخلو اعماقه من الصراع . فهو بدون ذلك لن يستطيع اتاحة الفرصة لتلاميذه كي يفهموا انفسهم ويتعرفوا وجهاتها الصحيحة

ومهنة التعليم من اشق المهن ، لذلك تكون مواجهة المعلم لنفسه محفوفة بكثير من المتاعب النفسية التى ترسبها فى اعماله مهنته . ولكن المؤلف يحتفظ بروح التفاؤل ويبين من خلال ابحاثه العملية وجلساته بمهيئات المعلمين لمناقشة حالاتهم النفسية بصراحة واستقامة .. وبذلك جاءت نتائجه قائمة على الواقع العملى ، ونافعه جدا لجميع المشتغلين بالتعليم على اختلاف اقطارهم؛ لان علاقة التلميذ بمعلمه تكاد تكون واحدة فى جوهرها فى كل مكان

والمترجم من اقدر علمائنا الشبان على التوضيح ببيان ناصع مع الاحتفاظ باللباب العلمى ، بماله من قدرات كبيرة فى الترجمة والتربية معا

هل ينقذنا العلم ؟

تأليف : جورج لندبرغ
ترجمة الدكتور امين أحمد الشريف
الناشر : دار اليقظة ببيروت
الثمن : ٢٥٠ قرشا لبنانيا أو ٣٠ مصريا

لقد استطاع العلم أن يفتح امام الانسان فى ربع القرن الاخير ابوابا كانت معدودة من ضروب الخيال الجامح على ممر العصور ، فغزونا الفضاء واوشكنا ان نغزو الكواكب ، واخترعنا من العلوم الآلية والكيمائية والفيزيائية ما يجعلنا على ابواب عصر جديد تماما لا تكاد تقف فيه طاقة الانسان عند حد من الوجهة المادية

والسؤال الحائر الآن : الى اين ينتهى بنا العلم ؟ الى الدمار التام ، أم عساه ينقذنا انقاذا نهائيا من متاعبنا وحماقاتنا؟

ان كل شيء يتوقف على كيفية حفظ الانسان لتوازنه امام القدرات العلمية الضخمة ، فيهتدى لنظام يقى السلام العالمى ويقضى على آفات الفقر والخلافات العنصرية والسياسية ، ويؤكد استمرار الحياة

والمؤلف من علماء الاجتماع المعدودين

وهو يناقش هذه المسألة ، المعروضة من وجوهها المختلفة اهمها المشكلات الاجتماعية والاخلاقية التى يخلقها العلم خلقا . ووجوب اقامة العلوم والعلاقات الاجتماعية على اساس علمى صحيح . ووظيفة التربية فى عصر العلم ثم وظيفة الفن ايضا ، ثم كيفية « التعايش السلمى » مع من يخالفوننا فى الرأى بدون صدام.

انه اسهام طيب مخلص فى تكوين رأى عام عالمى خير .

فى الحياة والحب

تأليف الدكتور مصطفى محمود
الناشر : دار القلم
الثمن : ٢٢ قرشا

الدكتور مصطفى محمود الطبيب الاديب الفنان « يعالج » مشكلات الحياة بقلب الفنان وشاعريته قبل ان يعالجها بعقل الطبيب الفيلسوف . فهو مؤمن بالحقيقة ايمانا شديدا ، ومؤمن بالانسان ايمانا شديدا ، ومؤمن فى الوقت نفسه بأن الحرية سياج الحقيقة ومعراجها الاوحد . فليس من حق احد أن يزعم لنفسه العصمة فى الرأى ، او يحتكر لنفسه او لفريقه الحقيقة . ففى كل معسكر جانب من الحقيقة، وفى كل وجهة نظر لمحة من الحقيقة ، ولكن الجوانب واللمحات تتفاوت ، والحقيقة تتكون من جميع الجوانب واللمحات ، وهذا الجميع لا يملكه أحد من البشر من دون الناس

لهذا يقف مصطفى محمود ضد التعصب . اى تعصب . وهو فى كتابه هذا الجديد يبشر بالحرية الفكرية اساسا للحياة ، ويبشر بالحب اساسا ونبراسا للوصول الى اى قسط من الحقيقة

وقد طاب لمصطفى فى هذا الكتاب ان يكون مرشدا سياحيا من نوع راق جداء يطوف بالقراء طوافا رشيقا بمعالم طريفة من الحياة ومن الحب . فمن حديث عن الارواح مثلا الى « مشروع جريمة » ،

الى ذرة الكربون في « المهمة القاصفة ».
.. الى ان يتم الجولة في تسعة عشر زيارة سياحية عقلية فنية خصبة ، تترك عقلك يطن ، وقلبك ينبض ، وانفاسك تلهث ، لانه الذي وجدانك وذهنك ، وجعلك تعيش حياتك بحب

تاريخ الطبرى

تحقيق ابو الفضل ابراهيم
للاجزاء الخمسة الاولى
الناشر : دار المعارف بالقاهرة
الثمن : ٩٠ و١٠٠ و١٠٠ و١٠٠ و١٢٠ قرشا

كتاب **تاريخ الامم والملوك** للطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية يعد اول عمل تاريخى بين مصنفات التراث العربى . والطبرى له في هذا الكتاب منهج واضح ، مع التدقيق في الرواية والتحرى . فهو بهذا خير تمهيد للجهود التى بذلها من بعده المسعودى ، والنابغة العظيم ابن خلدون

فقبل الطبرى كان التاريخ عند العرب في الجاهلية . اخبارا متفرقة حول الوقائع والايام والامثال والاشعار ، تغلب عليها النزعة الاسطورية . اما بعد الاسلام فكانت الكتب التى الفت بايعاز من بنى امية تغلب عليها العصبية القبلية ولا تخلو من النزعة الاسطورية ايضا والبعد عن التمحيص في الرواية في مواطن كثيرة

ومع اتساع الدولة الاسلامية والترجمة عن اليونان خاصة كثرت الرحلات والاسفار ، وبدا التاريخ يستقل بمنهج خاص به ويبعد عن الصبغة القصصية التى صبغه بها « الاخباريون » في عهد بنى امية .

وظهرت كتب البلاذرى وابن قتيبة وابن حبيب والدينورى .. وبلغت هذه المدرسة ذروتها في شخص الامام محمد ابن جرير الطبرى ، الذى املى تاريخه هذا بعد فراغه – غالبا – من كتابه الشهير جدا في التفسير ، بعد سنة ٢٩٠

هجرية في نحو ٢٠٠٠ ورقة !

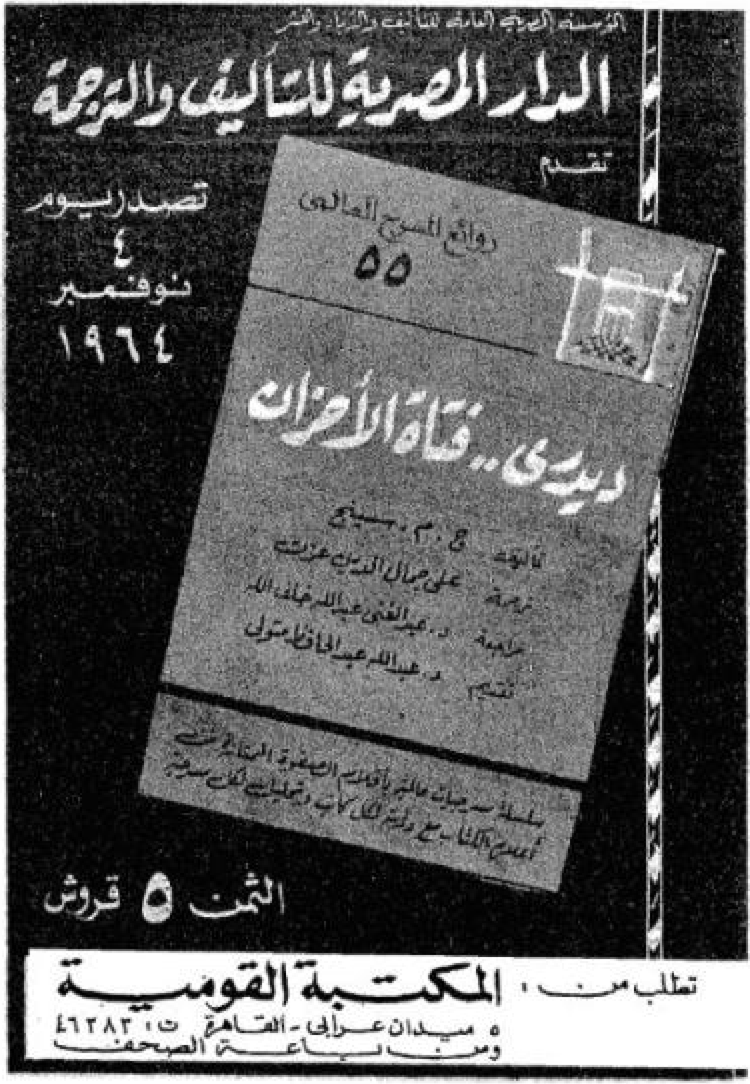
وقد وقف به عند حوادث سنة ٣٠٢ هجرية ، اما بدايته فآدم ابو البشر ! ثم اعقب ذلك ذكر الرسل والانبياء بحسب ترتيب ذكرهم في التوراة ، مفسرا ما ورد في القرآن الكريم بشأنهم ذاكرا احوال اممهم ومعاصريهم من الملوك ولا سيما الفرس منهم . وقد استغرق ذلك الجزء الاول من الكتاب

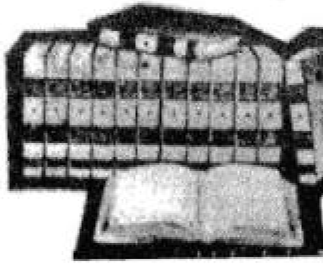
اما القسم الاسلامى من بعثة النبى محمد «ص» فرتبه بالسنوات الهجرية عاما فعاما ذاكرا في كل سنة حوادثها المشهورة ، وهذا ما يستوعب بقية الاجزاء

وقد وقف الجزء الخامس عند سنة ٦٥ هجرية ، ومن المرغوب فيه ان يتم نشر بقية اجزائه في فترات متقاربة اتماما للفائدة ، خصوصا وان الطبعة الاوربية الوحيدة المحققة نادرة جدا وفادحة الثمن

وقد بلغنى أن النسخة الكاملة المستعملة يزيد ثمنها الآن على الالفين جنيه ، هذا أن تيسر !! فمما لاشك فيه أن نشر درة من درر تراثنا ومرجع من أهم مراجعنا التاريخية على مستوى أفضل من مستوى الطبعة الاوربية وبثمن زهيد نسبيا امر جوهرى يتعلق بكرامتنا القومية وبمصلحتنا العلمية في عهد الانطلاق الثورى والوطن العربى الواحد

والواقع ان الاستاذ أبو الفضل ابراهيم عالم متمكن دءوب على التمحيص فلم يكتف بالطبعة الاوربية بل راجعها على صور مخطوطات شتى ظهرت بعد ذلك ، واضاف من التصويبات مقدارا لا يستهان به ، وعزز مقدرته تمكنه من العلوم العربية وقدم تمرسه باعمال التحقيق وصبره على متاعبها ، فجاءت هذه الطبعة النفيسة للغاية ثمرة جهد مشكور يجب أن يستمر لانجاز البقية في هذا المستوى الرفيع من الدقة والتمحيص


الدار المصرية للتأليف والترجمة
تقدم
روائع المسرح العالمي
٥٥
ديردري .. فتاة الأحزان
تأليف ج. م. سينج
ترجمة علي جمال الدين عزت
تقديم د. عبد الله عبد الحافظ متولي
تصدر اليوم
٤
نوفمبر
١٩٦٤
الثمن ٥ قروش
تطلب من : المكتبة القومية
٥ ميدان عرابي - القاهرة ت : ٤٦٢٨٣
ومن باعة الصحف



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

صانعو الاساطير
The Mythmakers
المؤلف : برنارد . د . نوسيتر
Bernard D. Nossiter
الناشر : شركة هوتون ميفلن
الثمن : ٤ دولارات

ان قسما كبيرا من هذا الكتاب الذى نقلمه يحاول الاجابة على سؤال لاشك انه على جانب كبير من الاهمية ، وهو :

هل كان الرئيس الراحل جون كنيدى يقف الى جانب « الشعب » أم الى جانب « رجال الاعمال » ؟

ومن النتائج التى يصل اليها المؤلف ، وقد سبق له العمل محررا مختصا بشئون الاقتصاد القومى لصحيفة « واشنطون بوست » ، ان الرئيس الراحل كان فى جوهره انتهازيا سياسيا . فهو قد اشتبك فى معركة مع كبار رجال الاعمال حول اثمان الصلب ، وأصر — كما يفعل الرئيس جونسون الآن — على اهتمام الحكومة بالسياسات المتعلقة بالاثمان والاجور . انه بعد أن كسب المعركة « سار جنبا الى جنب مع زعماء عالم الشركات الكبرى » . واذا كانت هذه النتيجة تحز فى نفوس الذين ينظرون الى كنيدى بوصفه بطلا ، الا ان المؤلف نوسيتر جازف فتنبأ بأن الحكومة « سوف تتحول الى اليسار فى عام ١٩٦٤ » وان هذا التحول سوف يكون اساسا لاغراض سياسية

والحجة الاقتصادية التى يستند اليها المستر نوسيتر هى أن حكومة كنيدى قدمت تنازلات ، أكثر مما ينبغى ، للاغنياء واصحاب الدخول العالية . وهو يدعم نظريته — وبحق — حين يقول : ان أعتماد الحكومة على « السوق الحرة » كاداة لتنظيم الاثمان نظرا لتركز القوة فى ايدى الشركات ، لن يقلل من هذا الاتجاه الى التركز ولن يمنع الشركات من مواصلة الاستحواذ على شطر كبير من الثروة القومية

والواقع ان للمؤلف رأيا سيئا فى دوائر الاعمال ، وهذا امر طبيعى بالنسبة الى صحفى فى واشنطون لمس عن كثب نفوذ هذه الدوائر فى المصالح الحكومية وفى الكونجرس وكذلك فى الولايات والاقاليم

وفى الفصول الاخيرة من الكتاب يدعو المستر نوسيتر الى ما يدعوه التخطيط « غير القائم على القمع » ، ومعناه أن تقوم الحكومة فى كل عام باجراء التقديرات بشأن ما يتعين على كل قطاع

(خاص أو عام) من الحياة الاقتصادية أن يعمله حتى يظل الاقتصاد ، والذين يعيشون في داخله وعليه ، في حالة صحية طيبة . وهو يدعم القضية التي يدعو اليها بالاشارة الى التجربة التي حدثت في فرنسا ، واليابان ، والنتائج الباهرة التي ترتبت عليها . وسواء تم هذا بالقمع أو بدونه ، فالواقع ان ادخال مشروعات الاعمال والنقابات العمالية وعالم المال في مثل هذا التنظيم الذي يقترحه المؤلف ، أصبح ضرورة واضحة سواء بالنسبة الى هذه القطاعات أو بالنسبة الى البلاد – أي الولايات المتحدة – بصفة عامة . والخلاصة ان لوسيتر يطالب بايجاد اقتصاد يخضع لدرجة معقولة من التخطيط والتوجية ، حتى يتسنى المحافظة على سلامة الاقتصاد الامريكي ودفعه قدمًا بصورة مطردة

ازمة الاطلنطى

Atlantic Crisis : American Diplomacy Confronts a Resurgent Europe

المؤلف : روبرت كليمان

Robert Kleiman

الناشر : و . و . نورتون وشركاه

الثمن : دولاران ، ٩٥ سنتا

ان « ازمة الاطلنطى » سجل حافل لاحداث السنوات الخمس الاخيرة ، بقلم كاتب صحفي كان يتتبع بعمق تطور العلاقات في أوروبا الغربية واعضاء منظمة شمال الاطلنطى في الفترة التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية . وفي الوقت الذي يبدي فيه المؤلف عطفا على الجنرال ديجول برغم ما يوجهه اليه من نقد ، فانه يروي لنا قصة المحاولة الفاشلة من جانب بريطانيا للانضمام الى اوروبا ، والضرر الذي تعرضت له قضية اندماج أوروبا والمجتمع الغربي بسبب هذا السياسي الفرنسي المرهوب

والمؤلف يتفق مع سياسة جونسون – كنيدي بشأن تأييد الوحدة الاوربية والمشاركة بين دول شمال الاطلنطى ، ثم يأخذ بعد ذلك في توضيح الاسباب التي ادت الى قيام العقبات في وجه هذا الاتجاه . فهو يصر على ان قدرا كبيرا من المسئولية عن اخفاق المفاوضات بشأن انضمام بريطانيا الى السوق الاوربية المشتركة ، يقع على عاتق البريطانيين انفسهم ، كما يحمل قدرا آخر من المسئولية لذلك الغموض الذي اتسمت به الدبلوماسية الامريكية خلال تلك الفترة ، وهذا بالاضافة الى الاخطاء التي ارتكبتها امريكا في الاساءة الى مشاعر ديجول ورفض التعاون معه في الميدان الذري وتجاهل الاقتراح الذي تقدم به في عام ١٩٥٨ بشأن انشاء مجلس ادارة أي « حكومة ادارة » بالنسبة الى أوروبا . ويدعم المؤلف حججه وآراءه بمقتطفات من أقوال الرئيس الفرنسي وكتاباته

والكتاب يوصي بأنه لا يزال في الامكان اكتساب الجنرال ديجول واجتذابه ، وخاصة في الصفحات الاخيرة منه ، فهو يدعو الولايات المتحدة الى السير قدما وبهمة في تنفيذ المشروعات الحالية التي تستهدف تحقيق التعاون في تنفيذها بين هذه الدولة وأوروبا ، ومن هذه المشروعات القوة البحرية المتعددة الاطراف ، وزيادة درجة التعاون في المسائل النقدية ، وسير دول منظمة شمال الاطلنطى على سياسة مشتركة ازاء مشكلات البلاد التي بدأت تأخذ بأسباب التنمية

ان المؤلف ينعى في الواقع الشقاق الناشب في داخل المنظمة ، ويدعو الى العمل من أجل سد الثغرات ، والى أن تكون هذه المنظمة جبهة واحدة متماسكة في سياساتها وأساليبها وأهدافها . ومهما تكن دعوة المؤلف الى التعاون الامريكي – الاوربي فالحقيقة التي لا سبيل الى انكارها .. ان هذا التعاون لن يكون سوى صورة مهلهلة من وضع مقاليد الزعامة في أيدي الولايات المتحدة ، على الاقل في الاجل الطويل وذلك بسبب قوتها النسبية من النواحي الاقتصادية والعسكرية ، وهو ما يثبته التاريخ في مختلف عصوره . ان الوزن السياسي انما هو وثيق الصلة بكل تغيير يطرأ على ميزان القوى النسبية ، وهذا يصدق على العلاقات الدولية كما يصدق على العلاقات الداخلية في المجتمع القومي الواحد

المستر كنيدى والزنوج

Mr. Kennedy and the Negroes

المؤلف : هارى جولدن

Harry Golden

الناشر : الشركة العالمية للنشر

الثمن : ٤ دولارات ، ٩٥ سنتا

يبدو أن الكثيرين فى الولايات المتحدة ممن يؤمنون بالمساواة فى الحقوق المدنية لا يقدرون التقدير الكافى أهمية الدور الذى لعبه الرئيس الراحل جون كنيدى فى انه الزم الحكومة الاتحادية بتبنى هذه القضية والدفاع عنها . انهم مثلا يسلمون بضرورة صدور قانون يحرم التفرقة العنصرية فى المطاعم والفنادق وأمثالها من الاماكن ،ولكن الاقتراح الذى قدمه كنيدى فى يوليه من العام الماضى بهذه الصورة كان خطوة جريئة لم يأخذوها على أنها قضية مسلمة ولا تحتمل الجدل . ولقد كان على رأس البلاد رئيس جمهورى هو الجنرال ايزنهاور ،ولكنه لم يؤمن أبدا خلال سنواته الثمانى فى الحكم ، انه وحكومته مسئولان عن حقوق الفرد من الزنوج ، بل كانا يعتقدان انها مشكلة يحسن ترك حلها لحكومات الولايات أو لفعل الزمن فى تغيير مشاعر الاغلبية البيضاء .

ان الاضطرابات التى حدثت فى برمنجهام فى الربيع الماضى هى التى أدت بالرئيس الامريكى الراحل الى الدعوة الضرورية لاصدار قانون اتحادى يحرم التفرقة فى المطاعم ودور السينما، ولكن هذه الاضطرابات لا يمكن ان تكون سوى السبب المباشر لهذا الاتجاه الجديد . ففى الحديث الذى اذاعه كنيدى بالتليفزيون فى ١١ يوليه ١٩٦٣ ، وفى الرسالة التى بعث بها الى الكونجرس بعد ذلك بثمانية أيام تعهد بأن يناضل فى سبيل الحقوق المدنية ، وقرر على حد قول « بيرك مارشال » أنه « **يجب القضاء على التفرقة العنصرية بوصفها الاتجاه الرسمى الذى يقبله المجتمع فى اى جزء من هذا البلد** » .

ثم يضيف المستر مارشال القول :

« **وكان هذا قرارا ساخطا** »

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو :

« **لماذا اقدم المستر جون كنيدى على مثل هذا الالتزام بشأن الحقوق المدنية ؟** » .

واضح أنه لم يكن هناك دخل كبير للسياسة واعتبارها ، اذ لن يكسب الرئيس كثيرا سواء فى الجنوب أو الشمال ، بمناصرته للزنوج . ان القرار المشار اليه انبعث من مشاعر الرئيس الامريكى الاخلاقية ، كما كانت تمليه مقتضيات التاريخ ، اذ ادرك — أو بدأ يدرك — الظلم الذى يعيش تحت وطأته الزنوج . ولما كان يدرك القيود المفروضة على سلطة الرئيس فى هذه الناحية فقد اقتنع بأن الوقت قد حان كى تواجه البلاد هذه المشكلة بشجاعة مهما كانت المواجهة أليمة ، وأن على الحكومة الاتحادية أن تتحمل المسئولية . وهذه هى الحقيقة التى يبرزها كتاب هارى جولدن ، حيث يقول : « **ان جون كنيدى كان أول رئيس للجمهورية يؤيد سعى الزنجى الى المساواة بأن يعلن أمام الملأ ان أمن الامة وشرفها المقدس ومستقبلها ، كل هذه لا تنفصل عن ضمانها بتوفير الحقوق المدنية** » .

وفى سبيل توضيح وجهة نظره يولى المؤلف اهتماما كبيرا بالاساطير المنتشرة فى الجنوب حول العنصرية . فهناك أسطورة تسيطر على أذهان البيض بأن هذه العنصرية ترجع الى عهد قديم ، فاذا بالمستر جولدن يبين لنا انها ادخلت فى التفكير الامريكى فى القرن التاسع عشر كجزء من الجهد المبذول عن عمد ، لحرمان الزنجى الذى تحرر على يد لنكولن ، من القوة أو السلطة السياسية .

وثمة أسطورة غريبة يهدمها المؤلف وهى التى تتحدث عن المساواة بين « **جماعات منفصلة عن بعضها البعض ومتساوية فيما بينها** » فيقول انه بعد سنة ١٩٢٠ انفقت ولاية كارولينا الجنوبية مثلا على مدارس الزنوج فى سنة واحدة كل ما انفقته خلال سنوات التعمير . وفى عام ١٩٥٨ كانت مستشفيات الزنوج دون مستشفيات البيض بدرجة بالغة ،وكانت نسبة الوفيات فى صفوف الامهات الزنجيات منذ الوضع اربعة أمثالها فى صفوف الامهات البيض . وأكثر من هذا فان جولدن يبين لنا بصورة واضحة قسوة هذه العنصرية والتى يدفع ثمنها البيض كما يدفعه الزنوج ؛ وهو الثمن الذى يتمثل فى النفاق الذى يفرض على

المثقفين والاذكياء ، وفي العقاب الذي يتعرض له من يخرقون تلك التقاليد وينطقون بالحق ، وفي أن هذه العملية كلها خالية من اى اعتبار يمليه العقل

ويعتقد المستر **جولدن** ان ازالة التفرقة بصفة رسمية في الجنوب سوف يرفع عبئا ثقيلا من كاهل الرجل الابيض وفي هذه الحالة سوف يكون الجنوب مدينا لكنيدي . اما أنه سوف يعترف بالذين فأمر غير محتمل

ومن الكتب الكثيرة التي صدرت ، ولها أهمية في نظر الباحث . كتاب **« الاندماج ضد العزل »** الذي أشرف على تحريره وكتابة مقدمته **هيوبرت همفري** المرشح لنصب نائب الرئيس في الانتخابات التي سوف تعقد في السادس من هذا الشهر . وقيمة الكتاب انه يضم مجموعة من الوثائق المتعلقة بمعركة الحقوق المدنية والتفرقة العنصرية ، سواء في داخل الجهات الرسمية أو في صفوف الرأى العام . فهو يورد قرار المحكمة العليا بشأن المدارس ثم يتلوه بالبيان الصادر في الجنوب ، مستنكرا ذلك القرار ، كما يتضمن مجموعة من الاراء والتحليلات من النواحي القانونية والاجتماعية

لقد صدر الكتابان قبل ان يمر قانون الحقوق المدنية في الكونجرس في العام الحالي . واذا كانت قضية المساواة قد حققت كسبا رسميا . الا انه لا يزال هناك شوط يجب قطعه حتى تزول هذه الخرافات العنصرية ، وعبء ازالتها يقع على عاتق البيض كما انه من مسئوليات الزنوج انفسهم

نجم يقال له الشمس

A star Called The Sun

المؤلف : جورج جامو

George Gamow

الناشر : مطبعة فايكنج

الثمن : ٥ دولارات ، ٧٥ سنتا

قد لا يبدو الأمر مثيرا حين ندرك أن الشمس لا تعدو أن تكون عضوا متوسط العمر في مجموعة أكبر هي المجرة ، وأنه لا يتصف بأية صفات تميزه عن سواه من ملايين الشموس والنجوم . ولكن هناك حقائق ايجابية نستخلصها من دراسة علم الفلك ، فاذا كانت الشمس ليست جسما سماويا فريدا وانما هي مثال لبلايين الاجسام التي تضمها المجرة ، فان الظروف السائدة فيها تساعدنا على فهم النجوم الاخرى

والمستر **جامو** ، ويعمل في جامعة كولورادو ، مشهور بالكتب التي يحاول فيها تبسيط العلوم وتقريبها الى ذهن الرجل العادي ، وهذه مهمة يقتضي بها العصر الحالي الذي يشهد أخطر الثورات العلمية والتكنولوجية في تاريخ الانسان . ولقد سبق له في عام ١٩٤٠ ان اصدر كتابه **« مولد الشمس وموتها »** . ولكن منذ ذلك التاريخ تقدمت الابحاث واستنبطت المعدات والاجهزة ، وتطورت المعلومات ، بحيث تعتبر في ذلك الكتاب قديمة من وجهة النظر العلمية . **ان الشمس ، شأنها شأن بقية النجوم كرة ملتهبة من الغازات في حالة من التوازن الدقيق . وبينما قوى الجاذبية تميل الى جعلها تتقلص حتى تصبح كرة متماسكة محكمة ، الا ان درجات الحرارة التي تبلغ ٢٠ مليون درجة مئوية في الفرن الذرى في مركزها ، تميل الى توليد توسع او انتشار انفجارى . وبسبب التوازن المترتب على هذه الآثار المتضادة فالنظام الشمسي قائم وقادر على البقاء**

ان في داخل الشمس تيارات عنيفة تلعب « **دور الدوامات القطبية على ظهر الارض من حيث احداث الاعاصير** » . هذه التيارات اشبه بالثورة المسرية . فهي تحمل كتلا من غاز الهيليوم الذي يتولد عن التفاعلات النووية الحرارية في داخل الشمس من الفرن الذرى . وفي الوقت نفسه تسبب النيران الشمسية عن طريق اجتذاب وقود جديد من الهيدروجين ، والاضطرابات التي تحدث عند السطح والاقواس الكبيرة من اللهب ، تسبب العواصف المغناطيسية التي تشوش المواصلات اللاسلكية على الارض

ولعل هذه الحقائق وما يمكن ان تفيدنا به في حياتنا الارضية هو الذي يفسر بعض السبب في الدراسات التي تجرى حاليا على الفضاء وفي اطلاق الاقمار الصناعية فيه

أما عن المستقبل فلا خوف علينا في

القريب العاجل حسبما يؤكد المسترجامو. اذ لا يزال في باطن الشمس من الهيدروجين ما يكفيها للبقاء خمسة آلاف مليون سنة اخرى . وبعد ذلك سوف تحدث تغييرات هائلة ، فتتحول الشمس الى مارد يزيد عن حجمها الحالي مرات كثيرة عن طريق التمدد ، ثم تنهار وتتناثر في النهاية . وفي هذه المراحل الاخيرة سوف تدمر الاجيال القادمة في ذلك المستقبل البعيد ، الا اذا كان الجنس البشرى لم يقض على نفسه بفعل جنونه في اختراع اسلحة الدمار والا اذا استطاع الهجرة الى نظام شمسي آخر ان استطاع الى ذلك سبيلا

ماو ضد خروشوف
(تاريخ موجز للنزاع الصينى السوفييتى)
Mao Against Khrushev
المؤلف : دافيد فلويد
David Floyd
الناشر : فردريك ا. بريجر
الثمن : ٧ دولارات ٩٥ سنتا

القياصرة والبيروقراطيين والقوميسيرون
Tsars Mandarins and Commissars
المؤلف : هنرى شفارتز
Henry Schwartz
الناشر : شركة ليبنكوت
الثمن : ٥ دولارات

لم يعد الخلاف بين الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية من الاسرار التي يحرص الجانبان على اخفائها ، وانما اصبح من الحقائق الكبرى في الفترة المعاصرة . واذا كانت له اهميته بالنسبة الى دول المعسكر الماركسي بوجه خاص ، سواء بوصفه خلافا محليا بين عضوين فيه ، أو كان انعكاسا أو تعبيرا عن اختلافات فكرية أبعد مدى وأشد عمقا ، فان له اهميته أيضا في نظر الغرب بسبب ما قد يكون له من ردود افعال تتصل بمجرى العلاقات بين المعسكرين الغربي والشرقي ، ومن هنا كان طبيعيا أن يتناول الكتاب الغربيون بالبحث والاستقصاء موضوع العلاقات الصينية ــ السوفيتية

ويمثل الكتابان اللذان تقدمهما مجهودات من اجل تقديم عرض عام للنزاع عن طريق استعراض مقدماته على ضوء الحقائق التى تكشفت في عام ١٩٦٣ . والمستر فلويد متخصص في شئون البلاد الشيوعية لحساب صحيفة ديلي تلغراف اللندنية ، اما شفارتز فمتخصص في الشئون السوفيتية . وهو من اسرة تحرير صحيفة النيويورك تايمز الامريكية . وكتاب شفارتز يتضمن عرضا للعلاقات السابقة بين الدولتين ، ثم تمتد القصة حتى خريف العالم الماضي ، بينما يقف زميله عند ٢١ يولية اى قبل ازاحة الستار عن وعود السوفيت بتقديم البيانات الفنية عن الاسلحة الذرية للصين

والمستر شفارتز اكثر اهتماما بالمنازعات الاقليمية الماضية والكامنة في المستقبل . ويجد أن هناك استمرارا كثيرا في التنافس بين الامتين . أما المستر فلويد فينصب اهتمامه الاكبر على التوترات والضغوط في تنظيم الكتلة الشيوعية . وكلا الكاتبين يميل الى ان يعتبر جوهر النزاع نزاعا على السلطة والسيطرة ; اى انه نزاع لمعرفة من تكون له السيادة في الحركة الشيوعية

وفي هذا النضال لا يشعر أى من المؤلفين ان للخلافات الايديولوجية اهمية مركزية ، وفي هذا يقول شفارتز « ان العلاقة بين الامتين لا يمكن التنبؤ بها باية صورة بسيطة لمجرد جعلها تقوم فقط على اساس الايديولوجية الغالبة » . كما يتحدث فلويد عن الايديولوجية بانها تلعب دورا ثانويا، وبرغم ما يقوله المؤلفان وما يرددانه من عبارات وتعبيرات مثل « التنافس التاريخى » و « المصالح القومية » و « صراع القوى » الا انها ليست من التحديد بالدرجة الكافية بحيث توضح طبيعة الجدل

وثمة مثال يلقي الضوء على ما نقول . ان كلا الكاتبين يشعران أنه في عام ١٩٦١ ربما كانت مصلحة مشتركة او حتى محاولة للتحالف بين مولوتوف « بعد اخراجه » وزعماء بكين . فلو صح هذا فان هذه الصلة بين الطرفين لا يمكن تفسيرها على اساس الاعتبارات التاريخية او القومية ، اللهم الا اذا كان مولوتوف قد تحول الى رجل خائن او انحاز الى القومية الصينية ، وكلا الفرضين بعيدان عن الاقتناع . واذن فلابد من أن تكون تلك الصلة المزعومة ذات علاقة وثيقة بخلاف ايديولوجي بين المثقفين من رجال المعسكر الشرقي

عزيزى القارئ

بدأت « الهلال » فكرة جديدة

أكتشفت ان كثيرا مما ينشر فى الخارج عن الادب والفكر العربى المعاصر ، تنقصه الاحاطة التامة أو التحليل الصحيح . وبهذا تنعكس صورة محرفة عن النشاط الفكرى فى بلادنا

ان الصورة الحقيقيـــة للادب والفكر لابد ان تعكس القمم العاليـة التى تحقق لهـــا الذيوع ، وكذلك التيـارات التحتية التى تعبر عن مستقبل الفكر . فلا يمكن مثلا فى عالم القصة أن ينحصر النشاط على أسماء محددة مثل نجيب محفوظ ، او يحيى حقى ، لان وراء هـــذا الجيل اسمــاء اخرى من جيل الشبان يعكسون نشاطا فكريا جادا ، ومبشرا

وحين اتفقت « الهلال » مع مجلة Presence africaine الافريقية التى تصدر فى باريس باللغة الفرنسية على اصدار عــدد عن « مشاهير الفكر العربى الانسانى المعاصر » اتفقت ايضا على ان يكون للشبان نصيب فى هذا العدد

اننا لا نؤرخ للمـــاضى فحسب . ولكننا نرجو ان نعطى صورة للحاضر ، وامكانيات المستقبل . ولذلك فالادب عندنا ليس هـــو الادب النـــاجح فقط ، ولا الذائع فقط ، ولكنه ايضا الادب الذى يصور اتجاهات المستقبل

ان مجلة Présence africaine تود ان تعطى صورة امينة عن النشاط الفكرى فى الجمهورية العربية والبلاد العربية الشقيقة ، و « الهلال » تود أن تكون الصورة كاملة بقدر الامكان ، ولذلك ترجو « الهلال » من الادباء والمفكرين ان يرسلوا مقترحاتهم او مقالاتهم النقدية او بعض اعمالهم ، وخاصة التى نفدت من الاسواق ، أو الجديدة التى لم تنشر بعد ، حتى يتمتع القارىء الفرنسى فى فرنسا وبلاد افريقيا الغربية التى تتحدث بالفــرنسية بالانتاج العربى الخصب

ان « الهلال » فى نفس الوقت الذى تحاول ان تنقل فيه تيارات الفكر من يوغوسلافيا . والهنـــد وافريقيا وأوربا وامريكا اللاتينية تحاول ان تنقــل افكارنا الى هذه البلاد

وترجو « الهلال » ان تؤدى هذه الرسالة على انجح الاشكال والنتائج

« رئيس التحرير

على الغلاف الأخير



لوحة من اليابان



الهلال

- وثائق بخط يد محمد فريد تنشر لأول مرة
- چان بول سارتر يكتب عن لومومبا
- ذكريات محمود تيمور عن المسرح المصرى



كلمات عاشت

● الحرية هى القدرة على الاختيار بين المواقف « سارتر » ● ان دعوات الحرب التى تتردد داخل امريكا صارت تشكل تهديدا خطيرا لبقاء الولايات المتحدة نفسها « ادلاى ستيفنسون » ● الفنان لايستطيع أن يكون باردا حين يبدع « ميخائيل شولوخوف » ● لاحرية بدون ارادة « ديكارت » ● ان المثقف اليمينى لا يستطيع أن ينتج ادبا جيدا .. لانه ربط نفسه بالقوى المنهارة والميتة فى المجتمع « سيمون دى بوفوار » ● اننا لن نغفر لاية قوة رجعية تريد تعطيل تقدم الثورة .. بدعوى امجاد الماضى وتقاليده « بن بيللا » ● لقد أبنع حقدى على حافة الثقافة ، حافة النظريات ، حافة الكلام الفارغ الذى الخمونى به منذ كان ميلادى . رغم ان كل كيانى يتطلع الى ان يكون زنجيا .. بينما هم يغتصبون قارتى افريقيا « من شعر داماس الكاتب الزنجى » ● اذا اعطيت رجلا سمكة ، فانك تطعمه يوما واحدا .. اما اذا علمته كيف يصطاد ، فستطعمه اياما كثيرة « مثل صينى » ● اننا فى حاجة الى ان نفكر فى كسب المال اكثر مما نفكر فى جمعه « هارولد ويلسون » ● ان رسالتى هى ان افتح طرقا كثيرة لا ان اسير فى طريق واحد « توفيق الحكيم »

الهلال العدد الثانى عشر السنة ٧٢

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢

رئيس مجلس الادارة : أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير
كامل زهيرى

مدير التحرير
طاهر الطناحى

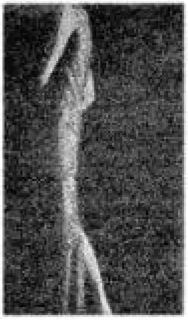
اول ديسمبر سنة ١٩٦٤ م — ٢٧ رجب سنة ١٣٨٤ هـ



المسرح المصرى أيام منيرة المهدية وعماد الدين ذكريات محمود تيمور ص ١٤



حياة مؤلفة الطريق الى يرسبيع : ايثيل مانين ص ١٤٧



انجح اللقطات لعدسات المصورين العالميين فى هذا العام ص ٣٦ . . .

فى هذا العدد :

٤ ـ جان بول سارتر : باتريس لومومبا
١٤ ـ محمود تيمور : ذكريات عن المسرح المصرى
٢٤ ـ وثائق بخط محمد فريد تنشر لاول مرة
٣٦ ـ الروح والصورة
٤٢ ـ محمود امين العالم : «الثلاثية» نجيب محفوظ
٥٤ ـ د. رسلان عبدالغنى : الاشتراكية الاندونيسية
٦٤ ـ د . جمال حمدان : فلسطين والوحدة
٧٤ ـ قصة محمد عبد الحليم عبد الله : حلم ليلة
٨٢ ـ عبدالرحمن صدقى : حلاق اشبيليه ومزين بغداد
٩٢ ـ ابراهيم عامر : عمال الزراعة فى مصر
٩٨ ـ دائرة المعارف : اصل التقويم الميلادى
١٠١ مسرحية جراهام جرين : الزوج المتساهل ـ صوفى عبد الله
١١٢ د . راشد البراوى : اقتصاديات العراق
١٢٠ عبد القادر التلمسانى : الفيلم السوفيتى
١٢٨ افكارهم واخبارهم
١٣١ بدرالدين ابوغازى : رينوار .. وبهجة الحياة
١٤٧ كامل زهيرى ـ كتاب الشهر : المتعة والاعتدال ـ تاليف ايثيل مانين
١٥٥ ضحكات العالم
١٥٨ صالح جودت : عاصمة القمار فى العالم
١٦٦ الموضة : وداعا للبساطة
١٧١ المكتبة العربية
١٧٥ المكتبة الافرنجية
١٧٩ عزيزى القارىء

صورة الغلاف

الجمال والربيع ، وبهجة الحيـاة ، فن رينوار الخالد ص ١٣١





باتريس لومومبا

• • تنفرد « الهلال » بهذا البحث القيم الذى كتبه جان بول سارتر عن الزعيم الكونجولى الشهيد باتريس لومومبا

ان الجديد فى هذا البحث السياسى ، والانسانى ، يكشف سر «الاستقلال» ، وعناد وثورية الزعماء والوطنيين التقدميين

ان التطور من الداخل ، نتيجة الاحتكاك بالواقع ، والارتطام به ، هو التفسير الجديد الذى يقدمه لك سارتر عن لومومبا

لومومبا ، وفرانز فانون : هذان الفقيدان العظيمان يمثلان افريقيا . انهما لا يمثلان امتيهما فحسب ، وانما القارة الافريقية كلها.

واذا ماقرأ المرء كتاباتهما وحلل وجهات نظرهما ،فمن الممكن أن يخرج بنتيجة :

كان لومومبا وفرانز فانون خصمين عنيدين



مفكرا سياسيا

لقد كان فانون ، من جزر المارتنيك ، وكان حفيدا لاحد العبيد ، وغادر بلاده التي لم يكن قد استقر في وجدانها حينذاك الوعي بالشخصية القومية الانتيلية ومتطلباتها ..

ورافق فانون الثورة الجزائرية،وحارب في صفوفها . زنجيا أسود بين مسلمين بيض . رافقهم في حرب شرسة وضرورية، وتبنى وجهات النظر الراديكاليه لاشقائه الجدد . وأصبح منظر العنف الثورى . وفي كتبه ، حدد المهمة الاشتراكية لافريقيا وأعلن :

« بدون أصلاح زراعى ، وبدون تأميم للمؤسسات الاستعمارية ، يصبح الاستقلال مجرد كلمة بلا معنى »

وكان لومومبا ضحية للسياسة الابوية البلجيكية : لا فئة ممتازة ، ولا مثل ،وكان لا يملك ثقافة فانون . وان كان يملك الذكاء الواسع . وعلى عكس فانون ، كان لومومبا للوهلة الاولى – يتميز عن فانون بأنه يسل على أرض بلاده، وفي سبيل تحرير أشقائه في اللون ، وتحرير بلاده التي [illegible]

والحركة التي نظمها لومومبا ، والتي أصبح رئيسها الذى لا ينازع ، أعلنت ألف مرة ومرة ، أنها ستكون حركة « مسلم

عنف » . وفيما عدا بعض الاستفزازات وبعض أعمال العنف المحلية التي استنكرتها دائما ، فرضت الحركة الوطنية الكونغولية زعامتها عن طريق « اللاعنف » .

أما فيما يتعلق بمشاكل البناء ، فقد حدد لوممبا موقفه بوضوح، منذ قال لمجلة « الوجود الافريقي » : « Presence Africain

« ليس لدينا تفضيل اقتصادي »

وكان يعني بذلك ان المسائل **السياسية** ــ أي الاستقلال والمركزية ــ تأتي في المرتبة الاولى، وانه ينبغي النجاح في تصفية الاستعمار سياسيا بغية خلق أدوات تصفية الاستعمار اقتصاديا واجتماعيا .

غير ان هذين الرجلين لم يحارب احدهما الاخر . بل الامر كان على العكس . فقد تعارفا وتحابا

وكثيرا ما حدثني فانون عن لوممبا

ان فانون الذي كان شديد اليقظة والحذر تجاه اى حزب افريقي يبدو غير واضح او متردد تجاه قضايا البناء ، لم يأخذ ابدا على زميله الكونغولي انه غير واضح او متردد ، او انه يمثل دمية الاستعمار الجديد ، حتى ولو كان ذلك بغير ارادته

كان فانون يرى في لوممبا الخصم العنيد لكل محاولات اعادة الامبريالية المتخفية ولم يأخذ عليه الا ثقته المتناهية في الانسان، تلك الثقة التي كانت مصدر عظمة لوممبا وسبب استشهاده . وكان يأخذ عليه ذلك برقة وعطف نستطيع أن نتصور مداهما

وذات يوم قال لي فانون :

لو قدموا له الادلة على أن احد وزرائه يخونه .. فانه كان يذهب الى مقابلته ، ويطلعه على الوثائق وعلى تقارير الاتهام ثم يقول له :

هل انت خائن ؟ انظر الى عيناي ، ثم رد على السؤال . فاذا نفى الوزير التهمة وهو ينظر الى عينيه ، فان لوممبا كان ينهي المسألة بقوله : انني اصدقك ..!

وكان فانون يعتبر هذه الطيبة العظيمة التي وصفها الاوربيون بالسذاجة ، طيبة خطرة في الظروف القائمة . وكان يراها في ذاتها سمة أساسية من سمات الرجل الافريقي . وكان فخورا بها

وفي مرات عديدة . قال لي رجل العنف:

« اننا ــ نحن السود ــ طيبون ان القسوة لا ترضينا . لقد اعتقدت لفترة طويلة ان الافريقيين لن يتقاتلوا . ولكن بالاسف . ها هو الدم الاسود يسيل . ان السود هم الذين يسيلون دماء بعضهم بعضا . وسيظل هذا الدم ينزف لوقت طويل . سيذهب البيض ، ولكن عملاءهم سيبقون بيننا ، وقد سلحهم البيض . ان المعركة الاخيرة بين المستعمرين والمستعمرين، ستكون في كثير من الأحايين معركة بين المستعمرين ، بعضهم بعضا . »

وكنت اعرف : ان العقائدي في فانون كان ينظر الى العنف كقدر محتوم على عالم يسعى للتحرر . ولكن الانسان في أعماق فانون كان يكره العنف

***

ان الاختلاف والصداقة بين هذين الرجلين يرمزان في وقت واحد الى المتناقضات التي تمزق افريقيا . والى الحاجة المشتركة الى تخطي تلك المتناقضات بالوحدة الافريقية

وكان كل واحد منهما يجد في داخل نفسه هذه المشاكل الممزقة وارادة حلها

وفيما يتعلق بفانون ، فانه الكثير مما لم يقل بعد

اما فيما يتعلق بلومومبا ، المشهور أكثر من فانون ، فان حياته لا تزال تكن الكثير من الاسرار

ان احدا لم يحاول حقا أن يكتشف أسباب فشل لومومبا ، ولم يحاول احد أن يكتشف لماذا وقف رأس المال الكبير والبنك وقفة شرسة ضد حكومة لم يتوقف رئيسها أبدا عن ان يقول ويكرر القول بأنه لن يمس رؤوس الاموال المستثمرة ولن يغلق الباب في وجه الاستثمارات الجديدة

لماذا كان زعيم الحركة الوطنية الكونغولية ، يحظى بتأييد شقيقه في السلاح ، الشيوعي فانون ، بينما كانت « الشركة العامة » تنظر اليه كعدو مقيت ، على الرغم من برنامجه الاقتصادى المعتدل ؟

لقد قيل ان لومومبا كان يلعب لعبة مزدوجة ، بل لعبة ذات ثلاثة أوجه

فأمام جمهور من الكونغوليين فقط ، كان لومومبا ينطلق من كل القيود . لم كان يعرف كيف يكون هادئا عندما كان يكتشف وجود بيض بين المستمعين ، وعندئذ كان يتكلم بحرارة وببرود في وقت واحد وبمهارة . وفي بروكسل امام مستمعين بلجيكيين ، كان لومومبا يبدو متحفظا ، وجذابا ، وكان همه الاول هو بعث الثقة في نفوسهم

وليس هذا بالخطا

ان جميع الخطباء العظماء ينطبق عليهم مثل هذا القول

انهم يحكمون بسرعة على مستمعيهم ، ويعرفون المدى الذى يمكنهم الانطلاق فيه

واذا قرأ المرء خطب لومومبا ، فانه سيلاحظ انه على الرغم من أن صيغة كل خطبة تختلف عن الاخرى ، فان مضمونها العميق جميعا لا يختلف

ولا شك في ان لومومبا قد تطور : ان التفكير السياسي للمؤلف الشاب الذى كتب « الكونغو ، ارض المستقبل ، هل هى فى خطر ؟ »

– في سنة ١٩٥٦ – ليس هو الرجل الشاب الناضج الذى أسس حركة الوطنية الكونغولية

***

وفي احدى اللحظات ، كان لومومبا يحلم – وسنعرف لماذا – بمجتمع كونغولى بلجيكى مشترك . لكن آراءه تبلورت – منذ ١٠ اكتوبر ١٩٥٨ ، وأعلنها ، ثم لم يغيرها أبدا



اصبح الاستقلال هو هدفه الوحيد

ان اكثر ما كان يتغير في افكار لومومبا

– في علاقته بالجمهور – هو تقديره للاستعمار البلجيكى ، فكثيرا ما كان ينوه بالجوانب الايجابية للاستعمار البلجيكى في الكونغو ، وكان أحيانا يتحدث باعجاب يجعل السامع

يظن أن المتكلم استعمارى ، لقد كان لومومبا يتحدث عن مزايا الاستعمار البلجيكى لانه يزيد من قيمة الارض والموارد المعدنية ، ولانه يرسل الارساليات التعليمية ، ويقدم المساعدات الطبية والصحية وما أشبه . بل لقد ذهب لومومبا ذات مرة الى حد أنه شكر جنود ليوبولد الثانى على انهم قد خلصوا

الكونغو من « العرب المتوحشين » الذين كانوا يجلبون السود » !

***

وفي مثل هذه الحالات كان لومومبا يتجنب الحديث عن الاستغلال والسخرة ونزع الملكيات العقارية والسخرة في الزراعة وتفشي الأمية التي كانت سائدة عن عمد ، وأعمال القمع الدموية والتفرقة العنصرية

كان لومومبا يكتفي باستنكار سوء تصرف بعض الاداريين أو بعض البيض من الصغار

وأحيانا أخرى ، كانت هذه اللهجة تتغير، كما حدث في الخطاب الذي ألقاه في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٩ ، وكما حدث ــ بصفة خاصة ــ في رده المشهور في ٣٠ يونيو ١٩٦٠ على الملك بودوان

فهو يقول في هذا الرد :

« وفيما يتعلق بحياتنا خلال الاعوام الثمانين من الحكم الاستعماري ، فان جراحنا خلال تلك السنوات لاتزال دامية ولا تزال مؤلمة

اننا لا نستطيع أن نبعدها عن ذاكرتنا .. »

فهل لومومبا هو نفس الرجل الذي يتكلم في الحالين ؟

نعم • بكل تأكيد

هل يكذب ؟

لا • بكل تأكيد

***

انهما نظرتان متعارضتان الى المنجزات « الحضارية» لبلجيكا • فقد تكتشف أحيانا هذا الجانب ، وقد تكتشف أحيانا أخرى ذاك الجانب ، ذلك لان الجانبين موجودان جنبا الى جنب في تلك المنجزات ، وهما يترجمان التناقض العميق ذلك الذي يجب أن نسميه بطبيعة الاستعمار

ان الاستغلال الاستعماري قد أقام ــ في تناقض مع نفسه ــ مؤسسات وأبنية جديدة في الكونغو ، واذا استخدمنا الكلمات المعروفة، فاننا نحصي ــ خلال العقد الخامس ــ ٧٨ ٪ من السكان يعيشون على الزراعة وفي المنازعات القبلية ، مقابل ٢٢ ٪ من السكان يعيش معظمهم في المدن

***

ولقد بذلت الادارة البلجيكية الاستعمارية جل همها في المحافظة على جهل الشعب ، ولكنها لم تستطع أن تمنع الهجرة من الريف، ولم تستطع أن تمنع نمو الطبقة العاملة في المدن ، كما لم تستطع أن تمنع نشوء الوعي البروليتاري ، أو تمنع ظهور بعض الفوارق بين الفلاحين نتيجة للضرورات الاقتصادية الاستعمارية ، ولقد ظهرت طبقة من « البورجوازية الصغيرة » من بين الموظفين والتجار الكونغوليين ، وهذه الفئة المتازة الصغيرة ــ والتي يبلغ عدد أفرادها ٥٠ الف شخص من بين ١٤ مليون نسمة ــ وقفت موقف المعارضة تجاه الريفيين المفلسين ، وتجاه مزارعاتهم المجدبة ، وتقاليدهم العتيقة و « رؤسائهم » الذين باعوا أنفسهم للادارة الاستعمارية ، كما وقفت موقف المعارضة تجاه العمال ، الذين كانوا يلجئون الى العنف أحيانا ، ولم تكن لديهم تنظيمات حقيقية ، ولم يكن لديهم سوى وعي جنيني

***

ان موقف « البورجوازية الصغيرة » السوداء كان شديد التعقيد والغموض في البداية ، اذ كانت تعتقد أن في استطاعتها أن تستفيد من الاستعمار ، وكانت هذه الفائدة تدفعها الى تقييم النظام تقييما غير دقيق

وفي الحقيقة ، كان أعضاؤها ــ وأغلبهم من الشبان الصغار اذ كانت هي نفسها نتاجا حديثا للتطور الاستعماري ــ يحصلون بواسطة الشركات الكبرى

او بواسطة الادارة الاستعمارية . وكان اعضاء هذه الطبقة ، وهم فى الثلاثين من عمرهم ، لايستطيعون شيئا سوى ان يكونوا بورجوازيين صغارا ، بحكم المولد

ان والد لومومبا مزارع كاثوليكى ، ومنذ كان لومومبا فى السادسة كان ابوه يأخذه معه الى الحقل

ان القساوسة الكاثوليك هم الذين قرروا ان يذهب الطفل الى المدرسة وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره ، كان الارساليون البروتستانت هم الذين قرروا ان يواصل دراسته

وفى كل هذا ، نجد أن دور الاب ودور الطفل لاشيء

لقد عارض اميل لومومبا عندما انتقل هذا الاخير - وهو فى الثالثة عشرة من عمره - الى الارسالية السويدية . ولكن ماذا كان يستطيع ان يفعل ؟

ان كل شيء كان يتقرر بعيدا عن الاب ، وعن الابن

***

لقد كان « الوسيون » الكاثوليك يريدون أن يجعلوا منه رجل ثقافة دينى ، ولكن السويديين ، وهم أقرب الى الروح العملية ، ارادوا أن يلقنوه مهنة تساعده على أن يهجر الفلاحة والريف ويصبح من ذوى المرتبات ، ويعيش فى وطنه فى مدينة كبيرة من تلك المدن التى سلفها البيض . وأن يعيش تابعا للمستعمرين

***

لقد قضى باتريس لومومبا طفولتــه فى البؤس ، واى بؤس يعيش فيه الفلاحون السود . ولولا تلك المنظمات الدينية التى تولت رعايته وتعليمه ، لكان البؤس مصيره ، ولكان البؤس هو أفق حياته الوحيد.

فهل كان فى استطاعة باتريس أن يفهم على الفور أن هذه الارساليات الدينية ليست سوى رسل المستعمر لتجنيد الاتباع ؟

لا ، بلا شك !

هل كان فى مقدوره أن يرى ان ظروف الحياة البائسة فى الريف هى - بشكل مباشر او غير مباشر - نتاج الاستغلال الاستعمارى ؟

لا ، أيضا

فقبيل مولده بقليل ، بدأت الادارة



الاستعمارية تكتشف مساوىء القهر المكشوف ، ومساوىء السخرة ، بالنسبة لصالحها ، وارادت أن تستثير همة الفلاح للانتاج ، فشجعت الملكية الفردية فى الارض

***

ان باتريس نظر الى استقلالية أبيه البائسة فى كنف فراغ الريف الكونغولى ، كحالة طبيعية ، وهو لم ير فى البيض المسئولين عن ذلك ، ولكنه راى فيها السادة الطيبين الذين سيخلصون اباه من البؤس

وفى هذه الفترة ، اعطيت له ايضاحات غريبة عن وضعه ،

أن العقيدة المسيحية هي المقابل الذي يدفعه الشبان الكونغوليون الى الكنائس التى علمتهم القراءة .

لقد أعطاه آباء الكنيسة طموحا جارفا لمعرفة أسباب بؤسه · ولكنهم أعطوه في الوقت نفسه ، تلك الرغبة في الاستسلام لذلك البؤس

وعبر لومومبا عن هذا التناقض فيما بعد ، في قصيدة شعر يقول فيها :

«لكى يجعلونك تنسى انك كنت رجلا

يعلمونك كيف تتغنى بأمجاد الرب

ولكن هذه الاناشيد ، التى تعرف موسيقاها

تمنحك الامل فى عالم أفضل

ولكنك لا تريد من صميم قلبك كانسان

الا حقك فى الحياة ، ونصيبك فى السعادة »

***

ان الدين يقهر ويحرر في وقت واحد ، وهو يمنح الخلاص   ان العالم الافضل لا يوجد الا فى السماء · ولكن رجال الدين مجبرون على ان يقولوا للناس ان الاعمال الطيبة ـ وليس اللون ـ هى جواز الدخول الى ملكوت الرب · ومهما حاول القساوسة الكثيرون أن يخفوا معنى المساواة في الانجيل ، فان الانجيل يظل يحتفظ بقيمته التحررية بالنسبة للمستعمرات

والامر لا يتعلق هنا بفقه الدين المسيحى فحسب ، وانما يتعلق أيضا بالقسيس نفسه أحيانا · وسواء أكان الارساليون قد ارادوا أن يحرفوا مؤتمر الحزب الاشتراكى فى بلجيكا ، أو كانوا يؤيدون هذا المؤتمر ، أو كان الشبان معا هما الدافع ، فان الذى حدث هو أن رجال ارسالية « شويت » قد وافقوا فى سنة ١٩٥٦ ـ على بيان « ايليو » الذى تضمن أماني حركة الاستقلال طوال ٣٧ سنة ، وأيدوا استقلال الكونغو على المدى الطويل

***

وعندما غادر باتريس الريف ، وهو فى الثالثة عشرة من عمره » الى « كيندو » حيث استخدمته شركة « سيماف » فى وظيفة « ملاحظ كتبة » · كان هذا الحدث يمثل فى وقت واحد ، حدثا عاما من أحداث الهجرة من الريف الى المدينة ، وخطوة حيوية فى طريق « **الوعى بالذات** »

فها هو فلاح شاب ، قرأ **روسو وفيكتور هوجو** يواجه فجأة المدنية · ان مستوى معيشته قد تحول تحولا جذريا ، لقد كان يذهب الى المدرسة نصف عار ، وها هو يذهب الى مكتبه ببدلة كاملة · لقد كان يعيش فى كوخ وها هو يعيش فى بيت ويكسب مالا يتيح له أن يشترى وأن يحضر بولين ، خطيبته « وتوتيلا » ، لكى تصبح زوجته

وكان يعمل بنشاط ودأب · وكان البيض يتظاهرون بالدهشة من اجتهاده ، وكانوا يقولون ان سبب دهشتهم هى أنهم يعرفون أن الكونغوليين عادة كسالى خاملون

ولكن هؤلاء الاستعماريين لم يفهموا أن « بلادة ابن البلد » المشهورة ، هى أسطورة يتمسك بها جميع الاستعماريين ، وليست سوى نوع من التخريب ، ونوع من المقاومة السلبية عند الفلاح ، وعند العامل اليدوى الذى يقهره الاستغلال فى أبشع الصور

***

اما نشاط لومومبا فكان ـ على العكس من ذلك ـ قد وضعه لبعض الوقت فى فئة أولئك الذين أصبحوا يطلقون عليهم فيما بعد اسم « العملاء »

ان ابن الفلاح هذا هو الآن « شخص متطور » · انه يتقدم لشهادة البكالوريا

ويحصل عليها بصعوبة ـ اليس هناك سوى ١٥٠ حاصلا على تلك الشهادة في كل البلاد ـ وبفضل تدخل البيض . ومعنى هذا انه كان عليه أن ينضم اليهم ولقد أدرك اهميته ، واهمية تلك « الفئة الممتازة » الشابة التي كانت تتكون في كل مكان

وكان «المتطورون» يؤلفون فئة اجتماعية تنمو ببطء ، وتصبح لا غنى عنها بالنسبة للشركات وللادارة

وكأسود ، حافظ لومومبا على اعتزازه الشديد بنفسه ، وعلى احترامه للعمل ، وعلى التعليم الذي تلقاه ، والكتب التي قرأها ، كما حافظ على الريبة في البيض الذين يحيطون به . وفي هذه المرحلة التحويلية الهامة والعامة بدأ يفكر تلك الافكار التي أوضحها فيما بعد عن فوائد ومزايا الاستعمار

* * *

ولكن تطور وعي لومومبا كان مزدوجا ومتناقضا : ففي الوقت الذي كان مبتهجا فيه بارتقائه وبتقدير رؤسائه له كان يعرف جيدا انه وصل ـ وهو في العشرين ـ الى أقصى ما يستطيع الوصول اليه

كان لومومبا يدرك أنه وقد أصبح فوق جميع السود ، فانه سيظل الى الابد تحت جميع البيض .

وبالطبع كان في استطاعته أن يحسن مركزه . وان يصبح ـ بعد التدريب اللازم ـ ساعي بريد من الدرجة الثالثة في ستانلي فيل

ولكن ما الفرق ؟

ان الموظف البلجيكي الذي يحتل وظيفة مماثلة ويقوم بنفس العمل ، سيظل يحصل على ضعف مرتبه

ومن ناحية اخرى ، كان لومومبا يعرف أنه بعد أن قفز في البداية بسرعة الارنب، فان عليه أن يتحرك بعد ذلك بسرعة السلحفاة . فلقد كان عليه ان يمضي اربعا وعشرين سنة حتى يصل الى الدرجة الاولى ، حيث يبقى فيها الى أن يحال الى المعاش . بينما يحتل الاوربي هذه الوظيفة وامامه الامل عريض في الترقية الى أعلى المناصب

والحال كان كذلك في « قوة الامن العامة» فلم يكن في وسع الزنجي أن يرتقي الى أعلى من رتبة الجاويش

وايضا كان الحال هكذا في القطاع الخاص

حياة لومومبا فيها الكثير من الأسرار لكن أحدا لم يحاول كشفها
سارتر

ولقد رفعه البيض الى المستوى الذي يحتمونه ، حافظوا عليه في هذه المستوى . وكان مصيره في أيدي الاخرين . وواجه لومومبا ظروفه بالكبرياء وبالغربة، ورأى عبر وضعه الشخصي الحقيقة العارية للصراع الطبقي . وكتب وهو في الواحد والثلاثين من عمره يقول

ان مبارزة حقيقية قائمة بين المخدومين والمستخدمين حول المرتبات والاجور ..

ولكن الأجنبي من بين «المتطورين» لم يكن بروليتاريا

ان مطالب لومومبا كانت قائمة على اساس قيمته المهنية ـ كوجهة نظر الفوضويين النقابيين فى أوربا فى أواخر القرن الماضى ـ ولم تكن قائمة على اساس الحاجة التى تصهر فى كل مكان مطالب البروليتاريا الدنيا

* * *

وفى هذا الوقت تقريبا عرف لومومبا ـ وخاصة فى ليوبولدفيل ـ ان الناس يسترييون فيه لشهادة البكالوريا التى حصل عليها بالجهد الشديد تصلته عن السود ، ولم تربطه بالبيض . فلم يكن مسموحا للحاصل على البكالوريا بحقوق اكبر مما كان مسموحا بها لغير المستنيرين فلم يكن مسموحا له بالدخول الى المدينة الاوربية الا لكى يشتغل . ومثل غير المستنيرين لم يكن مستثنى من حظر التجول وكان يجد نفسه ، عندما يشترى حاجياته من المحلات ، واقفا امام المكان الخاص المحجوز للسود . لقد كان ضحية مثلهم فى جميع الاحوال . وفى كل مكان. لقد كان ضحية لممارسة التمييز العنصرى.

* * *

ومن هنا كان التمييز العنصرى وكانت التفرقة العنصرية تجربة جديدة بالنسبة له . لقد كان من الممكن فى الريف حيث يسود البؤس والجوع، أن يتصور الانسان حقيقة الاستعمار الا وهى الاستغلال الشديد . ولكن لم يكن من الممكن تصور التفرقة العنصرية حيث انها لم تكن موجودة بسبب وجود أى اتصال بين البيض والسود

لقد كانت رقة المبشرين الابوية مصدرا لاوهام عنده . ولكن ممارسة التفرقة العنصرية فى المدن ازالت تلك الاوهام . والمدن هى التى تمثل الحياة اليومية للمستعمرين .

وكذلك علينا أن ندرك أن البروليتاريا البائسة ذات الاجور الدنيا كانت تعانى من الاستغلال الاستعمارى أكثر مما كانت تعانى من التفرقة العنصرية التى هى نتيجة للاستعمار

وعندما أعلن لومومبا فى ٣٠ يونيو ١٩٦٠ استنكاره **« للعمل الشاق الذى يبذل مقابل اجور لا تكفل لنا ان ناكل حتى نشبع ، او ان نكتسى او نسكن بطريقة كريمة او ان نربى اطفالنا ... »** فانما كان يتحدث باسم الجميع

ولكنه عندما أضاف الى ذلك قوله : **« لقد عرفنا انه توجد فى المدن بيوتا فاخرة من أجل البيض ، واكواخا بائسة متداعية من أجل السود ، وأن الاسود لايسمح له ابدا بدخوله دور السينما أو المطاعم او المحلات الخاصة بالاوربيين ، وأن الاسود يسافر راقدا تحت اقدام الابيض فى عربة القطار الفاخرة »** ، فانما كان يتحدث بصوت المستنيرين

* * *

وعندما كتب فى سنة ١٩٥٦ يقول **« يجب اعتبار البكالوريا الخطوة الاخيرة نحو الدمج العنصرى »** فانما كان يدافع عن مصالح حفنة من الرجال الذين كان يساهم بمثل هذه الاقوال فى عزلهم عن الجماهير

* * *

والواقع هو ان مصالح تلك الفئة الممتازة وهى المصالح التى خلقها البلجيكيون جزءا جزءا التقت الدعاية يزداد الحاحا كل يوم : مساواة البيض والسود فى سوق العمل . حق الافريقيين فى تولى جميع المناصب التى يملكون مؤهلاتها المطلوبة . وليس هذا المطلب مطلب

الرقة المناصب وانما هو شبه الرقة لها

ولكن أليست هناك خشية من أن يصبح السود الذين يسمح لهم بالوصول الى المناصب العليا عملاء وشركاء للقهر الاستعمارى ، أو على الاقل رهائن ؟

ان لومومبا لم يكن قد وصل بعد الى الوعى بهذه المسألة

بل والواقع هو انه فى نفس العام الذى كان يطالب فيه ايليو فى بيانه بالاستقلال المحدد المدة ، كان باتريس يتحدث عن خطة خلق « **مجتمع بلجيكى – كونغولى** » ، وكان يطالب بالمساواة بين المواطنين فى داخل هذا المجتمع ، غير أن هذه المساواة



لم تكن – فى تلك الايام وفيما بعدها – الا فى صالح « **المستنيرين** »

ويقول لومومبا :

« أننا نعتقد أنه سيكون من المستطاع ، فى المستقبل القريب نسبيا ، منح حقوق سياسية للفئة الممتازة من الكونغوليين وللبلجيكيين فى الكونغو ، وفقا لمعايير معينة تصنعها الحكومة ».

ومع هذا ، فان لومومبا كان فى تلك المرحلة من حياته نقيض من أصبحوا يسمون بعد ذلك باسم « العملاء »

ذلك لانه عانى حتى الثمالة متناقضات طبقته ، تلك الطبقة التى خلقت كل جزء منها ضرورات الاستعمار ، وكان يعرف أن المؤسسات الرأسمالية البلجيكية قد فصلتها من الجماهير وأنه لا مستقبل لها الا فى أحضان النظام الاستعمارى ، وكان يعرف فى الوقت ذاته ، وبتجربته الخاصة فى المدينة أنه لا مستقبل مثل هذا له ، الا ان هذا المستقبل ترفضه الحكومة ويرفضه الاستعماريون

وفى اللحظة التى كان يقترح فيها « المجتمع البلجيكى الكونغولى » ، لم يكن يؤمن بذلك ، لقد اكتشف أخيرا جمود النظام الذى خدمه لكى يستغله أفضل ، واكتشف عدم امكانية اجراء أى اصلاح ، لسبب واحد هو أن الاستعمار لا يحافظ على نفسه الا بالقهر والسلب ويختفى إذا ما قدم تنازلات

لأن الحل الوحيد هو **الانفصال عن الاستعمار : الاستقلال**

***

ولقد رأينا من قبل أن ايليو أعلن مطلب الاستقلال قبل لومومبا وكذلك فعل لومومبا ، رئيس قبيلة آباكو القوية

ومن هنا ، فان لومومبا لم « **يخترع** » مطلب الاستقلال ، وانما اكتشف ضرورته

واذا كان لومومبا قد اصبح المناضل الاول من أجل الاستقلال ، واستشهد فى سبيله ، فما ذلك الا لانه أراده استقلالا كاملا وشاملا ، ولان الاحداث لم تكفل له امكانية تحقيق ذلك

لبحث سارتر بقية فى العدد القادم

محمود تيمور :

أنا..

ذكريات عن المسرح المصري

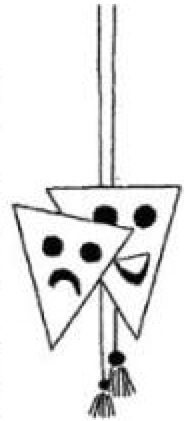


محمد تيمور

وأخي وجمعية أنصار التمثيل

في بداية القرن العشرين نما الوعي الفني عند الجيل الجديد ، فالفينا جمعيات بتالف لاغراض النهوض بالتمثيل، فتهوى اليها افئدة الهواة للفن المصري

وفي مقدمة هذه الجمعيات « **جمعية رقي الاداب والتمثيل** » تلك التي أسسها «زكي طليمات» ونخبة من عشاق المسرح ، امثال « فؤاد رشيد » و « محمد صلاح الدين » و « مراد الحسيني » ، وركز نشاط الجمعية في تمثيل رواية « **الارملة الطروب** » ، وكان « مراد الحسيني » هو الذي ترجمها واعدها للمسرح ، ولكنه لم يخرجها كأصلها غنائية ، وانما أخرجها ملهاة « فودفيل » ليس فيها عنصر الغناء . على ان هذه الجمعية لم تلبث الاقليلا



كانت السنوات الاولى من القرن العشرين بداية جديدة لفترة خصب فنى فى مجال المسرح العربى فى مصر . فقد عرف المسرح العربى لاول مرة المسرحيات الغنائية ـ الاوبريتات ـ كما عرف الكوميديات ، والفودفيلات . وظهرت فى هذه الفترة صراعات ومحاولات لاستنبات جذور فن عربى متميز . وقد عرفت هذه الفترة كواكب خالدة فى سماء الفن العربى .. عرفت الشيخ سلامة حجازى ، ومنيرة المهدية ، وكامل الخلعى ، واولاد عكاشة ، وسيد درويش . كما عرفت عزيز عيد ، وجورج ابيض ، واسكندر فرح .. وغيرها من الاسماء الكثيرة . وفى هذه الفترة ايضا تجلت المواهب وقويت المنافسات بين الفرق .. كما تغيرت المفاهيم فى مجال الفن ...

والكاتب الكبير محمود تيمور يؤلف كتابا عن المسرح العربى فى النصف الاول من القرن العشرين .. وقد عاصر تيمور هذه الفترة كما اشترك فى نهضتها الفنية هو واخوه محمد تيمور . وقد خص مجلة « الهلال » بفصلين من هذا الكتاب يتحدث فيهما عن ذكرياته

اما الجمعية التى طال استقرارها ، وطاب انتاجها ، فهى « **جمعية أنصار التمثيل** » التى أسسها ، وتولى الرياسة فيها « محمد عبد الرحيم » ، وهو شقيق القاص المعروف « محمود طاهر لاشين » ؛ وقد خلفه فى رياسة الجمعية شقيقى « محمد تيمور » وتلاه « سليمان نجيب »

وقد تقلبت صروف الايام بتلك الجمعية ، فتارة هى ناشطة عاملة ، وحينا هى قابعة خاملة ، ولكنها ما برحت تدب فيها الحياة

* * *

ولا بد من وقفة مع مؤسس الجمعية ورئيسها الاول « محمد عبد الرحيم » وكان من أمره أنه بدأ حياته مدرسا ، وفى السنة الرابعة من « المدرسة الناصرية الابتدائية » عرفته ، وجلست منه مجلس التلميذ من معلمه ، وأذكر اليوم الاول الذى لقيناه فيه على غير عهد سابق ، اذ قدم علينا وفى حركاته خفة ، وعلى وجهه بشاشة ، وفى روحه مرح . وما لبث أن قدم الينا نفسه ، وكأنه يتلهى بالحديث قائلا :

ـ أنا مدرس الجغرافيا

ودار الدرس الاول حول دورة الارض وأفلاك السماء ؛ فالقيناه يخرج من جيبه جنيها ذهبا تلتمع صفرته ، ويثبته باصبعه على السبورة ، وهو يمثل به كروية الارض ... وتغامز الطلاب به ، وتناقلوا

نكاتهم ازاء هذا التصرف وسرعان ما أحس صنيعهم معه ، وموقفهم منه ، فشاركهم فى المفاكهة والمباسطة ومطارحة المزاح

وهكذا كان شأن مدرس الجغرافيا الجديد ، يحيل حصته معنا مجلس أنس ومطايبة ، ويجعل من منصة الدرس مسرحا يقوم هو فيه بدور البطولة بما يصطنع من اشارة وايماء

ولم يطل عهدنا بالاستاذ «محمد عبدالرحيم» الا أسابيع ، فأخلى مكانه لمدرس جديد للجغرافيا ، جهم المحيا ، صلب القسمات ، يتخذ المصورات الجغرافية بدل الجنيهات الذهبية وسائل ايضاح ، ويلقى دروسه القاء راتبا جامدا يغشاه التزمت والركانة ، فلا دعابة ثمة ولا ترفيه

* * *

وتواردت من بعد ذلك سنون ، وفى احدى الحفلات الساهرة التى كان يقيمها «النادى الاهلى» لمحت الاستاذ «محمد عبدالرحيم» يعتلى المنصة أمام النظارة ، ويلقى مناجاة « مونولوجا » عذب اللحن ، لطيف الاداء ، ولم تفارقه سماته وخصائصه ، فقد شهدت فيه أستاذ الجغرافيا السابق ، فى لطف الروح ، وخفة الحركة



جورج ابيض ورفيقة كفاحه دولت ابيض لقد حاول جورج اغراء شقيقى بالتمثيل وكاد يضعف أمام الحاحه

روز اليوسف والشاب يوسف وهبي كانت الممثلة الأولى في فرقة عزيز عيد



واتصال أسباب المؤانسة بينه وبين حاضريه

وعلمت أنه غاب عن وطنه فترة ، يطلب العلم في «انجلترة» وعاد أستاذا في « الجغرافيا » ، ولكنه أصبح كذلك أستاذا في التمثيل ، اذ بهره المسرح الانجليزي ، فتأثر به ، وتزود منه ، وصادف عنده هوى وميلا وحسن استعداد . فلما رجع الى الوطن ، احس بأن عليه رسالة للفن واجبة الاداء . وقد تجلى نشاطه في تقديم رواية **« الممثل ـ دافيد جارك »** التي ترجمها من الانجليزية ، والف لها «جمعية انصار التمثيل» ، وقد اشترك شقيقي « محمد تيمور » معه في الاعداد والاخراج ، ومنذ ذلك الوقت لمع اسم «محمد عبدالقدوس» الذي كان في طليعة أعضاء الجمعية المشتركين في أداء هذه الرواية ، وممن اشتركوا فيها من أعضاء الجمعية الفنان الشابه « داود عصمت » ، وصديقنا « زكي طليمات » وان كان الدور الذي اضطلع به غير ذي بال

وبينما كان «محمد عبدالرحيم» يعد العدة لتقديم الرواية الثانية، اذ عاجلته المنية ، وهو من شبابه في عنفوان . فنهض شقيقي « محمد تيمور » بأعباء رياسته للجمعية ، وقدم روايتين فازت كلتاهما بنجاح ؛ وكان هو البطل فيهما معا، وهما رواية«العرائس» التي ترجمها **« اسماعيل وهبي »** المحامي شقيق الفنان « يوسف وهبي » ، ورواية **« عـزة بنت الخليفة »** وكان «ابراهيم رمزي» قد ترجمها اقتباسا من المسرح الاوربي ، واذكر أن الشاعر الزجال المتصوف « ابو الوفا محمود رمزي نظيم » ضرب في تمثيل هذه الرواية بسهم وافر ، اذ أدى شخصية الطبيب العربي اداء محمودا

شقيقي محمد ..

وشقيقي « محمد تيمور » يكبرني بعامين ، [illegible] أنه كان أوسع مني ثقافة، و[illegible]ر حيوية، بحيث يبدو المدى بيننا غير

قصير ، وقد التقينا على هوى الادب ، والكلف بالفن ، والرغبة فى الأخذ من هذا وذاك بنصيب ، وفى مقتبل صبانا اصدرنا معا ، فى عقر دارنا ، مجلة اسميناها « مجلة المنزل » ،وكنا نخرج نسخا منها بطريقة الطبع بالغراء، او ما يسمى : « البالوذة » . وكذلك اقمنا مسارح فى جوانب الدار ، والفنا لها روايات ، وبعد ان حصل شقيقى على الشهادة الثانوية من المدرسة الخديوية ، رحل الى اوربا ليدرس الحقوق فى « فرنسا » ، وكان نشاطه الادبى فى « القاهرة » قبل سفره محصورا فى تلك المقالات التى ينشرها فى الصحف ، وخاصة « المؤيد » ، وفى تلك القصائد التى كان ينظمها ويلقيها بنفسه بين اقرانه فى مناسبات الحفلات التى تقام للنشاط الرياضى المدرسى . وقد امتازت مقالاته بطرافة الاسلوب ، وبالحرارة فى نقد المجتمع ، اما قصائده فكانت تلتهب وطنيتها من حمية وحماس

ولبث شقيقى فى « فرنسا » اعواما ثلاثة ، لم يكمل فيها ما ابتغى من دراسة الحقوق ، ولكنه اغتنم فرصة وجوده فى مورد عذب من موارد الفنون والآداب فى مستواها الرفيع ، فجعل يعب من المورد العذب حتى ارتوى

ولم تكن رسائله تنقطع عنى خلال غيبته ، وكان دائب السؤال

منيرة المهدية .. كانت الامبراطورة غير المتوجة فى شارع عماد الدين .. !



عن النشـاط الادبى والفنى فى وطنه الحبيب ، فكنت أمده بمـا ينفع غلته . وقد انبأته بمـا استقبل المسرح المصرى من تطور جديد جاءت به فرقة « ابيض » ، فما آب من سـفره حتى القى نفسه فى خضم البيئات الفنيـة يهبها وقته وجهده جميعا

* * *

والتف حول « محمد بتيمور » صفوة من الشباب المثقف ، كان هو بينهم كالرائد ، وكانوا منـه كالحواريين ، يتلقون عنـه الافكار والاتجاهات المصرية من اجـل خلق ادب مصرى جديد ، وبث روح فنية عالية . واقبل فى عزم ومضاء يكتب فى الصـحف ، ويخطب فى المجامع ؛ وينظـم القصائد ، ويؤلف القصص والمسرحيات ، ويسهم فى اندية وجمعيات للادب والفن

* * *

وفى هذه الفترة كان « النادى الاهلى » يقدم حفلات سـمر ، يجمع فيها بين الادب والطـرب والتمثيل ، فما اسرع ان بزغ نجم « محمد تيمور » ، فى هـذه الحفلات بقصائده التمثيلية التى كان يؤلفها ويشترك فى ادائها مع رفيقه « داود عصـمت » ، واشهرها «القاتل وطيف المقتول» و « العفو عند المقدرة » ، و « ابن الوطن » و « المـال ـ او الغنى والفقير » ..

ولما نشطت النهضة المسرحية، لم يستطع « محمد تيمور » أن يقف منها بعيداً ، وكاد يضـعف أمام الحـاح « جورج أبيض » و « عبد الرحمن رشدى » فى ان يقاسمهما العمـل ، على انه لم ينغمـس فى ذلك ، وان لم يتباعد ... ولبث يقصر نشـاطه على حفلات « النادى الاهلى » وتمثيليات « جمعية انصـار التمثيل » ..

وفى حفلات « النادى الاهلى » شاهدنا « سليمان نجيب » يلتمع بما يلقى من ازجاله اللطـاف ، ونوادره التى يقصـها عن الادباء الفنانين ، وبخاصة الشاعر « أمام العبد » . وكذلك شاهدنا « عزيز عثمان » واخاه «ابراهيم عثمان» يلقيان الاغنيات والأناشيد ، وهما يومئذ فى بدء الشوط ، لا يكـاد يعرف احدهما احد ... وكذلك شاهدنا « زكى طليمات » يؤدى قصيدة « المنفلوطى » فى تمثيل الموقف بين «عبد الله بن الزبير» وامه يوم حصـاره ، وكذلك شاهدنا « يوسـف وهبى » فى تباشير فنه ، فكان يلقى مناجيات « مونولوجات » غنائية هزلية ، اشهرها مناجاة « هتش كو » !

حلة الطاهى ..

ولعل من الطـريف ان اروى قصة تتصل بتلك المنـاجاة « المونولوج » التى كان يؤديهـا شقيقى « محمد تيمور » بعنوان

« المال ــ او : الغنى والفقير » ، وكانت شعراً من نظمه ، فقد كان شقيقى وهو يؤدى هذه المناجاة على منصة « النادى الاهلى » يمثل شخصية الفقير فى ثوب زرى ... ويوما افتقر الى ثوب يصلح لتمثيل الشخصية ، فظل يبحث عنه نهاره كله ، فلم يجد ثوبا فيه من الزراية ما فيه غناء . ومما عمد اليه فى بحثه أنه ارتاد سوق الاسقاط « سوق الكانتو » فاذا الاثواب اللبيسة فيها مرتقة الفتوق ، خافية العيوب ، لاتؤدى الغـــرض المنشود . واقتربت الساعة ، ساعة التمثيل ، ولم يكن قد اهتدى الى علاج لمشكلة الثوب المهلهل ، واتفق ان هبط المطهى ليطلب شيئا يتبلغ بـه ، فبهرته حلة معلقة بمسمار فى الحائط ، هى حلة غلام الطاهى « المرمطون » . وقد برزت فيها فتوق ورقاع فى توقح واجتراء .

فما كان منه الا ان انتزع الحلة من مسمار الحائط فى عجلة ، وصعد بها الى حجرته ، وغلام الطاهى يتبعه فاغراً فاه من دهشة وعجب ، وراح يضرع الى سيده أن يرد عليه ثوبه ، فاذا شقيقى « محمد تيمور » يخلع حلتـه الانيقة ، ويلقى بها الى الغلام ، قائلا له :

ــ خذ هـــذه لك ، بديلا من حلتك !

فمضى الغلام مهتاج النفس ، وهو لا يكاد يصدق أن الحلة الانيقة التى تحتويها يداه قد أصبحت ملكا له ، وأن سيده قد خلعها عليه !

* * *

وأما شقيقى فانه طفق يرتدى حلة غلام الطاهى ، ثم انطلق بها

بعض اعضـــاء جمعيه انصار التمثيل ، فيهم جورج ابيض الى اليمين ، وعبد الرحمن رشدى ثانى واحد من الشمال





عزيز عيد ، عاش للتمثيل وملأ الحيـاة المسرحية ابداعا واجـادة .. !

فى زهو واعتزاز ، ونادى أحـد أعوان الدار ليحضر له مركبـة خيل ، وما عتم أن ركبها قاصدا بها مسرح « النادى الأهلى » . وغادر المركبة عند الباب ، واذا هو يرى غلام الطاهى فى الحـلة المهندمة ، وكان الغلام قد تعلق بالاعواد الحديدية خلف مركبـة الخيل ، فوصل هو وسيده فى وقت معا ... وكان طريفا ان يوازن الاصـدقاء والمعارف بين اثنين كل منهما متنكر فى ثـوب الاخر !

وصاح أخى بالغلام يسأله :

ــ لماذا جئت ؟

فأجاب غلام الطـاهى وقد انشق فمه عن بسمة ماكرة :

ــ جئت لكى أشهد ثوبى على المسرح !

* * *

ومن ذيول هـذا الثـوب ما اذكـره من انه فى يوم زفاف شقيقى « محمد تيمور » وصلت اليه هدية كبيرة الحجم ، محجوبة بغلاف ، فاجتمعنا حولها نتبين جليتها ، وكان بيننـا « زكى طليمات » و «محمد عبدالقدوس» و « سليمان نجيب » و «داود عصمت » فلما فضضنا غلاف الهدية ، تبدى لنـا رسم مكبر لشقيقى « محمد » العروس وهو يلقى مناجاة المال ،ممثلا شخصية « الفقير » وقد ارتدى حلة غلام الطاهى ذات الفتوق والرقاع !

اما صـاحب الهدية فكان صديقنا « صادق مفيفى » منظم حفلات « النادى الاهلى » ، وقد ظل ذلك الرسم عند شقيقى معلقا فى بهو الاستقبال ، يظفر منه على الدوام باكبار واعزاز

الادب التمثيلى

وقد واصل « محمد تيمور » اهتمـامه بالادب التمثيلى ، اذ لازمه شغفه به ورغبته فى انعاشه فى البيئة المصرية . ومن مساعيه فى ذلك تاليفه اربع مسرحيات ، الاولى « العصفور فى القفص » ، مثلتها فرقة « عبد الرحمـن رشدى » سنة ١٩١٨ ، والثانية

« عبد الستار افندى » مثلتها شعبة « عزيز عيد » بفرقة « منيرة المهدية » ، ولعلها اقوى مسرحياته تاليفا ، واعلى اعماله الفنية قدرا ، وكان دور بطولة الرجال فيها لـ « عزيز عيد » فابدع واجاد ، تباريه فى دور بطولة النساء السيدة « روز اليوسف » ، تليها السيدة«دولت ابيض » . اما المسرحية الثالثة فهى « العشرة الطيبة » مثلتها فرقة « الريحانى » ، وان لم يكن للريحانى فيها دور . وهى تمثيلية غنائية مقتبسة عن الفرنسية فى لباقة ومهارة ، واسمها الاصلى « صاحب اللحية الزرقاء » . وقد اختار لها شقيقى عهد المماليك ومن اليهم من ولاة الترك فجعل منها مسرحية شرقية الطابع ، مصرية الاشخاص ، لاتكاد تحس فيهاسمات المسرحية الاجنبية ، ولا تستطيع ان تتهدى بنفسك الى آنها مقتبسة الا ان تكون ممن قرءوها فى اصلها الفرنسى

وقد شاعت فى المسرحية روح من الفكاهة والمرح تبعث الطرب والارتياح ، وكذلك امتلات المسرحية سخرية بحكام ذلك العهد التاريخى غير البعيد ، فلم يسلم شقيقى من لوم كاد يبلغ حد النقمة منه ، والسخط عليه، وذلك ممن ينتمون بصلة الى الحكم التركى ، أو ينتصرون له بسبب من الاسباب وكان من نجوم تلك المسرحية السيدة « روز اليوسف » و « اسطفان روستى » و « مختار عثمان » و « زكى مراد » الذى قام بدور بسبب من الاسباب . وكان من البطولة تمثيلا وغناء . وفى بعض حفلات هذه المسرحية قام « الشيخ سيد درويش » ــ وهو الذى وضع الحانها ــ باداء دور الوالى التركى ، أما النجاح الذى لقيته مسرحية «العشرة الطيبة» فقد كان منقطع النظير،اذ توافرت لها طرافة الموضوع ، ولطف الحوار ، وانس الاغانى الشعبية، وروعة الالحان، وبراعة الاخراج، وجودة التمثيل . فلم يكن بدعا ان يستجيب لها الجمهوراستجابة بعيدة المدى . ومازالت المسرحية حتى اليوم صالحة للاداء ،موفورة الجاذبية ، تجعلها الاذاعة فى برامجها ، ويقوم المسرح بادائها ، بين حين وحين

الهاوية ..

والمسرحية الرابعة التى قدمها شقيقى « محمد » هى مسرحية « الهاوية » مثلتها فرقة « عكاشة » ... على ان شقيقى لم يستمتع بشهودها ، اذ قضى نحبه قبل ان تظهر للنظارة . ولا انسى ان بعض الممثلين كانوا يعودون شقيقى وهو على فراش مرضه الاخير ، ويتحدثون اليه

فى شأن تلك المسرحية ، ومايتخذ لاخراجها من عدة ، فيمــدهم بالرأى ، ويرسم لهم الخطـة ، وما كان يدرى أن آخر فصل من فصول حياته سيسـدل عليه الستار قبل ان يرتفع الستـار عن مسرحيته تلك

وكان الفتى الاول فى مسرحية « الهاوية » هو «بشارة واكيم»، وشبابه يومئذ جديد ، وخطواته الفنية فيها عزم وحماس ، فادى دوره موفقا كل التوفيق ، وطار له بذلك صيت

محاكمات وهمية .. !

واذا نظرنا الى جهود « محمد تيمور » فى سبيل الفن ، لم نجدها محدودة بقيـامه بالتمثيل ، او اشتغاله بالتاليف له ، فقد كان الى جانب هذا وذاك يمد الصحف والمجلات بمقالات شـتى ، منهـا ما هو نقد للاعمال الفنية ، ومنها ما هو بحث فى التمثيل وما اليه. ومن طريف ما كتب انه عقــد محاكمات خيالية فكهـة لرجـال التاليف المسرحى ، ضمنها زبدة آرائه وملاحظاته فيمـا جرت به اقلامهم من مؤلفات

ولا ريب ان الحركة النقـدية الفنية التى قام بها « محمـد تيمور » تعتبر طليعة هذا اللون فى حياتنا الادبية ، وفى موضوعاتنا الصحفية ... وعلى النهج الذى شقه دبت خطوات الجيـل الجديد من كتاب الفن الذين تابعوا نهضة النقــد التمثيلى ، حتى أصبح له مقام ملحوظ فى الصحف والمجلات . بل لقد نشأت مجلات للفن خاصة، مثل مجلة «الصباح» لـ « مصطفى القشاشى » ومجلة «المسرح» لـ « محمد عبد المجيد حلمى » . ومما يؤثر لمجـلة « المسرح » هذه أنها ازدهـرت باقلام ناشئة من الكتاب امتازوا باساليبهم الرشـيقة ، ووعيهم الفنى، وحيويتهم الدافقة. ومنهم من أصبح فيما بعـد على رأس الصف الاول من أدباء الصحافة وكتابها الافذاذ ، مثل الاسـتاذ « محمد التابعى »

* * *

وبموت « محمد تيمور » سـنة ١٩٢١ انطفأ مصـباح وهاج ، لم يستكمل من عمره الثلاثين ، ولكن الضوء الذى تركه ما برح على تعاقب السنين يبهر الانظار ، ويضيف الى عمره مددا بين طوال الاعمار .!

رد سريع ..

كان لويد جـورج يخطب فى البرلمان عن حرية المرأة والقوانين الخاصــة بالنساء ، فحمل على المرأة حملة شعواء . فصـاحت احدى الحاضرات قائلة له :

– لو كنت زوجى لسممتك ..!فاجابها على الفور

– ولــو كنت زوجتى لشربت السم .. !

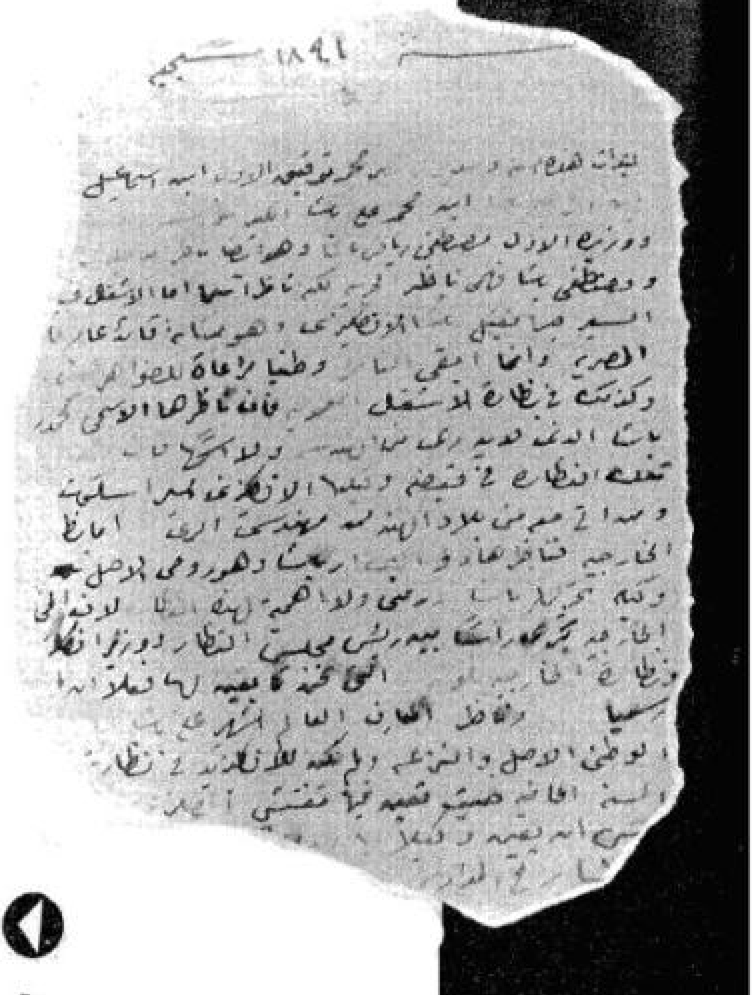
صبري أبو المجد

وثائق تنفرد بها الهلال



محمد فريد مؤرخاً

الصفحة الاولى من تاريخ مصر الذى يبدا بسنة ١٨٩١ مسيحية ، بقلم محمد فريد



● كان من حسن حظى ان صلاة الود التى تجمع منذ وقت طويل بينى وبين المستشار عبد الخالق فريد ـ نجل الزعيم محمد فريد ـ سببا فى أن أحصل على كل المذكرات المخطوطة التى خلفها محمد فريد مع أكثر من ٥٠٠ خطاب ارسلها فريد الى أصدقائه وزملائه او ارسلوها اليه وفى مقدمتهم مصطفى كامل ولطفى السيد وعبد الرحمن الرافعى ومدام جولييت آدم وبيير لوتى وروذشين وغيرهم ، وغيرهم ، كل هذا بالاضافة الى مذكرات الخديو السابق عباس حلمى وزوجته جويدان هانم وقد حصلت عليها بعد مشقة ومع اطلاع دام بضعة أشهر على بعض الوثائق والمستندات التى وجدت فى القصور المصادرة ساعدنى على القيام بمحاولة جديدة لاعادة النظر فى جانب من جوانب تاريخنا السياسى وقد شهدت مجلة « المصور » جزءا من هذه المحاولة ، ويشهد « الهلال » اليوم ـ وبمناسبة ذكرى محمد فريد فى منتصف الشهر الماضى جانبا من هذه المحاولة

وقد حرصت على ان أنشر للمرة الاولى بعض الوثائق والمستندات وفى مقدمتها وثيقة تعتبر فى رأيى من أهم الاكتشافات العلمية . ذلك لاننا عرفنا محمد فريد زعيما سياسيا يقود حركة وطنية ولم نعرفه مؤرخا من طراز جديد لا يهتم بالاحداث الاجتماعية والاقتصادية السياسية والذهنية ويعطى لكل منها

جويدان هانم
زوجة الخديو





خديوى مصر
عباس حلمى

ماتستحق من اهتمام ورعاية وارجو الا أتهم بالمبالغة اذا ماقلت ان ماتركه محمد فريد من تاريخ للفترة من ١٨٩١ــ١٨٩٨ وهى فترة تكاد تكون من أظلم فترات تاريخنا يعتبر من أهم الاكتشافات العلمية التى تناولت بكل صدق وخبرة وتفصيل واتزان هذه الفترة ويكفى ان مؤرخ هذه الفترة هو محمد فريد بنفسه وقلمه

محمد فريد مؤرخنا

ولكي تكون دراستنا عن محمد فريد، وعصره دراسة كاملة ومستفيضة بل ومفيدة يجب أن نشير الى الظروف والاحداث التى أثرت فى شخصية **محمد فريد** اذ ان من أهم مميزات الابطال التاريخيين انهم بأعمالهم، انما يكونون أصدق من غيرهم فى التعبير عما كان يجرى فى أيامهم، كما انهم فى الواقع ونفس الامر يكونون صورة صادقة لعصورهم

والجد الاعلى لمحمد فريد ـ عثمان افندى ـ جاء الى مصر عقب الغزو العثمانى أيام سليم الاول، وكانت وظيفته كتابة العملة وكانت هذه الوظيفة من أرفع وظائف الدولة؛ **أما أحمد فريد** ـ والد محمد فريد ـ فمن مواليد مصر سنة ١٨٣٦ وقد تعلم بمدارس الحكومة وأنهى دراسته فى المدرسة الحربية وكانت اول وظيفة تولاها هى ناظر قلم التحريرات بمصلحة السكة الحديد براتب قدره ٢٥ جنيها، وقد ظل ينتقل من وظيفة الى أخرى الى أن أصبح وكيل عموم مصلحة السكة الحديد **فلما آلت هذه المصلحة الى الادارة الانجليزية** فى أخريات أيام **اسماعيل** وعين الجنرال **ماريوت** الانجليزى مديرا عاما للمصلحة استغنى عن خدمات أحمد فريد، ثم عين فيما بعد عضوا فى مجلس الاحكام، فمديرا للشرقية فمحافظا لدمياط، فمديرا للقليوبية فالشرقية مرة أخرى. وأصبح فى عام ١٨٨٦ ناظرا للدائرة السنية براتب قدره ١٢٥ جنيها، وقد استغنى عن خدماته لانه عارض بيع أملاك الدائرة السنية الى شركة اجنبية وقد اعتبرت صحيفة المؤيد فى سبتمبر سنة ١٨٩٤ هذه المعارضة: **«عملا شريفا سجل له فى صفحات تاريخ اعماله فوق ما كان له من الاعمال الوطنية الكثيرة فى تلك المصلحة وغيرها»**.

واذا كان والد محمد فريد من أسرة قدمت من تركيا منذ مئات السنين فلقد كانت والدته من أسرة مصرية، عربية صميمة تتصل بالنسب الى الحسين رضى الله عنه. وكان والدها عميد التجار المستوردين للبهار.. ولا شك أن الموظف الحكومى النزيه المخلص احمد فريد، والام العربية المحافظة كريمة ابراهيم أفندى قاضى البهار قد أثرا كثيرا فى تكوين شخصية محمد فريد

وقد ولد محمد فريد عام ١٨٦٨ فشهدت طفولته أحداث الثورة العرابية الاولى كما استطاع أن يعى وهو فى الرابعة عشرة من عمره النكبة التى حلت بالبلاد إثر هزيمة الثورة سنة ١٨٨٢ وقد تعلم محمد فريد ـ كما تعلم والده من قبل ـ فى مدارس الحكومة ونال شهادة مدرسة الادارة عام ١٨٨٧ أى فى التاسعة عشرة من عمره، وسلك الطريق الذى سلكه من قبل والده، طريق الموظف الحكومى. فعين فى ٢١ مايو سنة ١٨٨٧ فى وظيفة مترجم فى قلم قضايا الدائرة السنية بمرتب عشرة جنيهات شهريا وظل يتدرج ـ كما كان يتدرج والده من قبل ـ فى الوظائف بهدوء، وبقدر من

مترجم الى وكيل قلم ، الى رئيس قلم الى أن عين عام ١٨٩١ فى وظيفة مساعد نيابة بمرتب قدره ١٦ جنيها ثم انتقل فى السلك القضائى الى أن أصبح وكيل نيابة الاستئناف الى ان استقال عام ١٨٩٦

ولم يشأ محمد فريد أن يسير فى الخط الذى كان يسير فيه رفاقه ، وزملاؤه — خط الموظف الحكومى المطيع — بل شذ عن هذا الخط فبدأ يكتب فى الصحف وخاصة فى الفترة من ١٩٨٧ — ١٨٨٨ فى « **مجلة الآداب** » التى كان يصدرها **الشيخ على يوسف** ، الذى أصدر « **المؤيد** » فيما بعد، وكان محمد فريد يوقع مقالاته بالحرفين الاولين من اسمه « م . ف » لا خوفا من بطش قوات الاحتلال التى كانت تعتبر كل من يكتب فى الصحف الوطنية عدوا لها ، وانما حرصا على والده ، الذى كان يخشى بدوره عليه من بطش هذه السلطات

ولم يكتف محمد فريد بالكتابة فى الصحف بل قام برحلات عديدة — كعضو فى الجمعية الجغرافية — الى تونس والجزائر ، ومراكش وطرابلس ، والاندلس وكان يكتب عن هذه الرحلات ، كتبا ضخمة يوزعها بالمجان تعميما للفائدة كما اصدر فى هذه الفترة عدة كتب أخرى تتناول تاريخ الدولة العثمانية وتاريخ الرومان ، وفى سنه ١٨٩٨ أصدر « **مجلة الموسوعات** » بالاشتراك مع **احمد حافظ عوض ،ومحمود ابو النصر** كان لهذه المجلة أثر قوى فى توجيه الرأى العام وقتئذ

فاذا أضفنا الى ذلك كله الظروف العامة التى كانت تعيش فيها البلاد فى أعقاب الثورة العرابية حيث تعود الوزراء والكبراء أن يلعقوا أحذية المستشار البريطانى ، وحيث أصبح التودد الى السلطات البريطانية والتملق لها سمة من سمات هذا العصر ، لقد حدث — مثلا — أن بيع الاسطول التجارى المصرى كله وكان عبارة عن ١١ سفينة من أحدث السفن التى اشتريت من أوروبا بملايين الجنيهات ، وكما بيعت ثلاثة أحواض كبرى فى الاسكندرية والسويس لاصلاح السفن .. كل ذلك بمبلغ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه . وكان ثمن الاحواض وحدها يبلغ ٣٠٠٫٠٠٠ جنيه . بل ان أرباح هذه السفن فى عام أو عامين كانت تزيد عن الثمن الذى بيعت به ، وقد تمت عملية البيع لشركة « ان والدرسن » بدون مزايدة أو بدون اشهار فانطوت صفحة تاريخنا البحرى دون أن يرتفع صوت واحد يعترض على بيع هذه الصفقة

وبيع ٣٠٠٫٠٠٠ فدان و٩ معامل لصناعة السكر بمبلغ ٦٫٤٠٠٫٠٠٠ جنيها كان المبلغ دينا لشركة سوارس عند الحكومة ، ولم يرتفع صوت بالمعارضة لعملية السرقة هذه لان اللصوص اجانب ،وكان الناس معذورون الى حد ما لان الادارة البريطانية الجديدة التى حكمت مصر بعد الثورة العرابية قد بالغت فى اذلال الناس وفى التحكم فى ارزاقهم واقواتهم فالوظائف الجديدة والترقيات والعلاوات — مثلا — لا تكون الا لمن أسرف فى اظهار التملق والخضوع لكل بريطانى ، وكان كل من فى البلد ، يعتبر فى خدمة السلطات البريطانية ، **ولذلك فان الجو الغريب الذى كان يسيطر على البلاد اثر هزيمة الثورة العرابية ، لم يكن فى الامكان معرفته على حقيقته لو لم يترك محمد فريد — ضمن ما ترك من آثار تاريخية — خمسة كراسات ارخ فيها بدقة ، وتفصيل وحيدة هذه الفترة التاريخية التى تعطينا صورة صادقة لمحمد فريد كمؤرخ !**

محسوبية ..

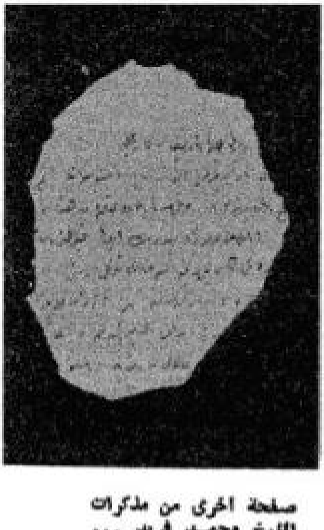
يقول محمد فريد فى مقدمة هذه الوثائق التاريخية التى تنفرد « الهلال » بنشرها للمرة الاولى :

« فى تقرير مرفوع الى الحضرة الخديوية بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٠ من سعادة ناظر المعارف عن أعمال اللجنة المستديمة لطالبى الاستخدام بمصالح الحكومة ونتيجة هذا التقرير انه قد تعين فى بحر السنة الاول من تشكيل هذه اللجنة ٢٨٤ شخص ممن قبلوا فى امتحانات تلك اللجنة وليتبين للقراء أصل تاسيس اللجنة المذكورة والغاية منها وهى انه لما جبل رؤساء المصالح على مراعاة الخواطر والمحسوبية فى تعيين المستخدمين ، وكان لا يتعين فى مصالح الحكومة الا من ليس اهلا لها مع وجود الشبان الاكفاء من المصريين المتخرجين من المدارس ، وحازوا فيها قصب السبق لعدم وجود من يساعدهم على نيل تلك الوظائف . لقد ارتأت الحكومة تلافيا لهذا الضرر الذى يعود على الهيئة الادارية بعدم الانتظام لتوليه

الوظائف لغير مستحقيها ، تشكيل لجنة من بعض مستخدمى « نظارات الحكومة تحت رئاسة ناظر المعارف لامتحان كل من يريد الدخول فى الوظائف الاميرية وقد قرر مجلس النظار فى ١٧ يونية سنه ١٨٨٩ لائحة لتعيين المستخدمين وترقيتهم .. وجارى العمل بمقتضاها الان نعم ان بعض رؤساء المصالح لا يتبعوا احكامها احيانا الا ان بعض الضرر اخف من بعض . ولولا هذه اللجنة لما استخدم من تعين بموجبها بل عين بدلهم ممن له محسوبية على احد الوجهاء او استعمل احدى طرق الدناءة للتقرب منه » .

وبعد أن يتكلم عن هذه اللائحة يقول :

« فى يوم ١٣ يناير سنة ١٨٩١ صدر الامر العالى مؤرخا من بندر قنا اثناء سياحة الجناب الخديو بتعيين محمود بك رياض بن رياض باشا ناظر النظار مديرا لاسيوط بدلا من احمدشكرى باشا الذى تعين محافظا للقاهرة اما البك الومى اليه فتربى بباريس ثم اقتبس من عوائد الافرنج وعين القاهرة على ما قيل الا انه شاب نشيط يحب العمل بعيد عن طباع الاتراك او الشراكسة من المديرين محب للعدل والمساواة وكانت ترقيته بسرعة غريبة فى اثناء وزارة ابيه . فتنقل من وظيفته بالداخلية وهى رئاسة قلم المطبوعات الى مديرية بنى سويف ثم الى المنيا فاسيوط فى مسافه لا تزيد عن ثمانية عشر شهرا . نعم ان هذا الترقى قابل للاعتراض والانتقاد الا ان حضرته احق بكثير من غيره الذين نالوا الوظائف بدون استحقاق ان لم تكن للمحسوبية او القرابة » .



صفحة اخرى من مذكرات المؤرخ محمد فريد ...

الرأى العام يغضب

ويقول محمد فريد فى موضع آخر من يومياته :

« من أهم ما يتذاكر به الناس وتلفظ به الجرائد تقرير المستر سكوت الذى قدمه أثر سياحته فى الوجه القبلى للتفتيش على المحاكم . هذا التقرير لم ينشر فى الجرائد الرسمية الا أن الجرائد نشرت طرفا منه ومما ظهر من خلال ما نشر منه أن جناب المستشار الانجليزى يرغب فى ازدياد النفوذ الانجليزى فى المحاكم بتعيين مفتش عام للمحاكم ، ويكون انجليزيا وبعض قضاة انجليز فى محكمة الاستئناف . والظاهر ان رياض باشا معارض فى ذلك أشد المعارضة حتى ان جريدة المقطم المعضدة من الاحتلال الانجليزى أرجفت فى قالب تكذيب ان الخلاف واقع بين الوزارة والانجليز بسبب ذلك التقرير أما الحقيقة فلا تعلم الا بعد عودة الخديو من الوجه القبلى

« ذكر جرنال المقطم فى عدد يوم الثلاثاء ٢٠ منه أن فخرى باشا ناظر الحقانية أدلى بملاحظات على تقرير المستر سكوت اختلف فيها رأيا عنه فى أغلب المسائل خصوصا فيما يتعلق بتعيين المفتش العام ، وقال انه يمانع كل الممانعة فى وضع مثل هذه المراقبة على القضاة والمحاكم سواء كانت المراقبة من ناظر الحقانية نفسه أو من المفتشين الذين يريد المستر سكوت تعيينهم . وقد قرأ مجلس النظار هذه اللائحة ولم يقرر شيئا بخصوصها والظاهر انه سيصير تعيين لجنة للنظر فى تقرير المستر سكوت ولائحة فخرى باشا لتقرير ما يلائم حالة البلاد من كليهما .. ثم

يقول : تقرر نهائيا تعيين اللجنة المنوه عنها ، وستكون مؤلفة بالصورة الاتية : فخرى باشا رئيس ، والمسيو موريندو « ايطالى » مستشار خديو ، والمسيولوجريل النائب العمومى لدى المحاكم الاهلية « بلجيكى » وابراهيم بك نجيب رئيس المحكمة الابتدائية بمصر وحامد بك محمود رئيس محكمة بنها ، وابراهيم بك فؤاد وكيل محكمة الاستئناف بصفة اعضاء ثم اضيف الى اعضائها اثنين من القضاة الانجليز بمحكمة الاستئناف وكان اول اجتماع لهذه اللجنة يوم الخميس ٢٩ الجارى . ولقد لعاجت هذه المسالة الرأى العام وقامت الجرائد الوطنية « المؤيد والوطن » تندد بتقرير المستر سكوت وتواردت الرسائل على الجرائد من الوطنيين الذين لا يريدون الا استقلال وطنهم أما القطر الانجليزى فكان دائما من المساعدين على ازدياد تفوق الانجليز والاحترام الفرنساوى مذبذب لا يود الا الطعن على الوزارة الوطنية وامتدح العموم الوزارة فى معارضتها الانجليز فى هذه المسالة الجوهرية وهى أول مرة عارضت الحكومة المحلية رغبات الانجليز ، لكن الحق يقال : لما رأى الانجليز أن تنفيذ مشروعهم هذا يهيج ضدهم الرأى العام ، وكان من سياستهم تلمس آراء الاهالى فلو وجدوا منهم معارضة او ممانعة عدلوا عن خطتهم وتنازل المستر سكوت عن بعض آرائه ارضاء لخاطر الاهالى ... »

ضرائب على الحشيش

ويقول محمد فريد فى موضع آخر من هذه المذكرات :

فى يوم الخميس ١٢ فبراير شاع عزم الحكومة على ضرب عوائد جمركية على الحشيش لانتفاع الحكومة من ايراده ، بما ان منعها له لم يمنع دخوله ولا تعاطيه جهارا فى القهاوى بل يعود عليها بخسارة ما تربحه من الجمرك بلا فائدة . ومن المعلوم انها لو سعت الحكومة فى ازدياد ايرادها من هذه الاوجه التى لا تمس بعموم الاهالى ، بل تفيد المستفيدين منهم امكنها تخفيض الضرائب عن الاطيان وارباب الحرف مثلا

« وفى يوم ١٦ منه حصل استعراض العساكر المصرية والانجليزية بالعباسية امام سمو « ال دك دى كمبردج » عم جلالة ملكة الانجليز وسردار عموم الجيوش الانجليزية ولم يحتفل الاهالى بهذا الاستعراض بل كان قاصرا على ابناء جيشه »

« وفى ١٧ منه صدر الامر العالى باستبدال مرتب جميلة هانم اخت الخديو ، البالغ قدره سنويا تسعة آلاف جنيه بنقود واطيان من مصلحة الدومين لحد مبلغ مائة ستة وعشرين الف جنيه مصرى وباستنزال مبلغ التسعة آلاف جنيه من المبلغ الموضوع تحت تصرف الخديو لمصروف عائلته المديدة بحيث يكون الباقى لمصروف من لم يستبدلوا مرتباتهم مائة الف وخمسمائة الف جنيه »

« وفى هذا اليوم نشر حساب الحكومة المصرية النهائى عن سنة ١٨٩٠ ملخصه ان الايرادات بلغت ١٠ر٢٣٦ر٦١٢ جنيه والمصروفات ٩ر٦٣٧ر٧٧٤ جنيه يضاف اليها ١٠١ر٥٥ جنيه مطلوب من الجمارك والسكة الحديد والزيادة فى الميزانية يصير تقسيمها مناصفة بين الحكومة وصندوق الدين »

***

وفى يوم أول مارس سنة ١٨٩١ سافر وزير فرنسا بمصر الى بلاده ، لعدم قبول الحكومة المصرية احتجاجه على تعيين المستر سكوت مستشارا للحقانية بدعوى أن تعيينه مضر بحقوق فرنسا بمصر كان لاحدمنهم فيها حقوق ولو كان تعين بدل هذا المستر مسيو فرنساوى لما فاه الفرنساويون ببنت شفة بل عدوا ذلك من الاسباب الداعية لتقدم مصر ولا بدع فكل دولة لاتسعى الا فى تأييد نفوذها غير ناظرة الى فائدة البلاد وسيستمر الحال كذلك حتى ينشأ فى مصر رجال يقدرون الوطن حق قدره ويمكنهم الذب عن مصالحه بالطرق السلمية او بغيرها ان اقتضى الحال ولا يكون ذلك الا بانتشار التعليم »

« وفى ٢٧ مايو كثر انعام الخديو بالرتب والنياشين حتى انعم بهما على أسطوات الحدادين والنجارين »

■ كل دولة لاتسعى إلا فى تأييد نفوذها غير ناظرة إلى فائدة البلاد »

وفى يوليو صدر أمر عال باحالة ثلاثة من قضاة محكمة مصر على المعاش وهم : ·· بك ·· الذى لو لم يكن متزوجا باخت رياض باشا لما وصل لمثل هذا المنصب لجهله وعدم قدرته على القراءة باللازم وسليمان بك رءوف وعلى بك ذو الفقار وعين بدلهم محمد افندى خيرت ومحمد افندى فخرى . وفؤاد جريس افندى والثلاثة من الشبان الذين درسوا علم الحقوق باوروبا وتمرنوا على الاعمال مددا مختلفة ولم يقعدهم كبر السن ولا كبر الطبع عن القيام بمهـــام وظائفهم وهذه هى فاتحة التغييرات التى أجراها لاصلاح الحكم ولو سار على هذا النمط كان للقطر منها خير عظيم »

* * *

وعن نفسه كتب يقول :

« فى يوم ٣ أغسطس انعم الجنـــاب الخديو على كاتب هذه الاسطر بالرتبـــة الثانية مع لقب « بك » وفى ٤ منه نقلت من الدائرة السنية حيث كنت رئيسا لقلم قضاياها وراتبى خمسة عشر جنيها مصريا شهريا الى قلم النائب العمومى لدى المحاكم بوصفى مساعدا من الدرجة الثانية التى مربوطها من ١٤ الى ١٨ جنيه مصرى واعطى لى متوسط الدرجة أى ١٦ جنيه مصرى »

القبض على النديم

« وفى اوائل اكتوبر سنة ١٨٩١ قبض على عبدالله نديم الخطيب الشهير الذى كان مختفيا من يوم انهزام العرابيين فى واقعة التل الكبير »

« وفى ١٧ ديسمبر ١٨٩١ ظهـــر العدد الاول من جريدة النيـــل وظهر من مقالتها الافتتاحيه أنها مدافعة على مصالح الانجليز فى مصر أكثر من جريدة المقطم وعلى ذلك فالجرائد الوطنية الحقيقية فى مصر هما جرنالى « المؤيد » للشيخ على يوسف و « الوطن » لميخائيـــل افندى عبدالسيد وكلاهما مصرى محض لم يختلط بدمه دم اجنبى »

كرة القدم ··· والهلباوى

وعن موت الخديو توفيق فى بداية عام ١٨٩٢ كتب محمد فريد فى هذه المذكرات يقول :

« بعد موت الخديو كثرت الاشاعات بأن موته تسبب عن جهل أو غلط الاطبـــاء المعالجين له وزاد اللغط حتى ان مجلس النظار طلب من الحكيمين عيسى وكومانوس اللذين استدعيا للاستشارة فى يوم الاربع السابق للوفاة . ومن سالم باشا سالم أن يقدموا تقارير عن حالة المرض وسبب الموت فقدموا التقارير المطلوبة يشتم فيهـا ان رائحة القاء المسئولية على عيسى باشا حكيم السراى الثانى · فكلفه مجلس النظار بتقديم تقرير وعين لجنة من مهرة الاطباء لفحص هذه التقارير ثم بعد يومين صرف النظر عن هذه المســـألة بالكلية بما انه اتضح أن الموت طبيعى لا شبهة فيه »

ويقول محمد فريد :

« فى ١٠ مارس سنة ١٨٩٢ بعد الظهر بارز تلامذة المدرسة التوفيقية تلاميذ المدرسة الخديوية فى لعب الكرة بالقـــدم وهى رياضة انجليزية أدخلت حديثا فى المدارس ولتنشيط التلامذة عليها جرى حصـــول مبارزات بينهم كى تهتم الفئة المغلوبة فى اتقان اللعب فتفوز على الفئة الغالبة »

« وفى ٢٧ مارس ثبت تعيين كتشنر باشا مفتش عموم البوليس سردارا للجيش المصرى وتعين بدله ستيل باشا وهو انجليزى ايضا وهى فرصة اضاعها الخديو عباس لزيادة نفوذه وتأييد استقلاله بتعيين سردار مصرى او يتقلده هو نفسه رئاسة الجيش المصرى »

وعن تقرير قدمه ابراهيم الهلباوى قال محمد فريد :

« فى ١٨ مايو نشر جرنال المقطم التقرير الذى قدمه ابراهيم افندى الهلبـــاوى الى كتشنر باشا عند تعيينه مفتشا عاما للضبط والربط شارحا فيه ما كانت عليه سلطة المديرين فى الازمنة السابقة وسوء استعمالهم لها وما أتاه مجلس الاشقياء من الاعمال الوحشية ، وما أصدره من الاحكـــام على الابرياء ، وينصحه فى آخره بجعل ثقته فى الخفراء والعمد الذين يجب ان يكونوا من أقدم العائلات . لكن المقطم حرف الكلام

وسيستمر الحال كذلك حتى ينشأ فى مصر رجال يقدرون الوطن حق قدره

محمد فريد

« ١٨٩١ »

عن مواضعه ليما لنساياته الشخصية الانجليزية وأول هذا التقرير بما ينافى فكر واضعه ، حيث قال المقطم انه رمى فيه المصريين بعدم الكفاءة لتقلد الوظائف وان كاتبه المصرى الغيور ذا وجهين اذ يحط للانجليز فى قدر المصريين ويزم الانجليز فى المقالات التى ينشرها مع ان من يتصفح هذا التقرير بدون غرض لما وجد أى طعن على المصريين كما يدعى هذا الدخيل **لكن قصد المقطم هو اسقاط جريدة المؤيد التى هى الجريدة الوطنية المفردة من اعين المصريين حتى لا يقولوا على ما ينشر فيها فى المستقبل من المقالات الرنانة مثل مقالتى « الهلباوى الى اى طريق نحن مسوقون » و « فى اى طريق نحن سائرون ».** فعلى المصريين ان يقابلوا هذه الوشايات بما تستحق من الازدراء والاحتقار ويضعوا ثقتهم فى أعاظم الوطنيين مثل الهلباوى الذى لم يقصد بتقريره الابلال النصيحة لكتشنر باشا كى يعلم الحقيقة ولا يغتر بنصائح من يلوذ بهم .. »

ابطال زراعة الدخان !

ويقول محمد فريد فى جزء آخر من يومياته :

فى ٢٠ يونيه صدر الحكم فى القضية التى رفعها المسيو ملتون الانكليزى رئيس أطباء القصر العينى ضد جريدة البوسفور الفرنساوية لطعنها فيه وهو أن تدفع شركة الجريدة اليه مبلغ الف جنيه مصرى خلاف المصاريف ومن الغريب أن جريدة المقطم نشرت ملخص هذا الحكم قبل صدوره بيومين **وذلك مما يثبت ان المحاكم المختلطة التى اصدرته مختلة وتدخل السياسة فى مسائل القضاء . اما الفرنساويون فلى غاية الكدر من هذا الحكم لا سيما وان رئيس الجلسة كان المانيا اى من اشد اعداء فرنسا .**

ويقول ايضا :

« فى ٦ من ديسمبر صدر عفو كريم عن كل من بقى من المحكوم عليهم بسبب الثورة العرابية وان ترد لهم رتبهم ونياشينهم وذلك لمحو آثار الثورة كلية ولم يبق الا المحكوم عليهم بالنفى فى جزيرة سيلان عرابى ورفاقه »

وعن ميزانية الحكومة فى ديسمبر سنة ١٨٩٢ يقول :

« بلغت الايرادات عشرة مليون وعشرة الاف جنيه مصرى والمصروفات تسعة وخمسمائة وخمسين ألف جنيه مصرى فتكون الزيادة اربعمائة وستون ألف جنيه، **وهذه الزيادة وهمية لانه لو لم تحول** الديون ويتوفر منها المبلغ أعلاه لما بلغت الزيادة الا ١٨٢ر١١٦ جنيه ولو كانت الدائرة السنية لم تربح فى هذه السنة مبلغا عظيما وكانت تخسر كالسابق مائتين وستين ألف جنيه لاصبحت الميزانية فى عجز لا فى زيادة فالفضل فى هذه الزيادة لم يكن لرجال الانكليز الماليين بل لتحويل الدين ولناظر الدائرة السنية الوطنى والذى أحمد فريد باشا

ثم ان الحكومة نزلت ضرائب مديريتى جرجا والجيزة مبلغ مائة واربعة عشر ألف جنيه بمقتضى أمر عال لكن هذا المبلغ لم يكن شيئا مذكوراً فى جانب ضريبة الدخان التى تربح سنويا فوق السبعمائة ألف جنيه يدفعها الاهالى . **حقيقة الا لوم على الحكومة اذا زادت الضرائب على الدخان والمسكرات وما شاكلها اذا كان ذلك ، لتنشيط الزراعة المصرية لكنها ملومة كل اللوم فى انها لم تقصد بذلك الا الوجهة المالية فقط وابطلت زراعه الدخان البلدى الامر المغاير لمبادىء الاقتصاد السياسى لانها بذلك اعدمت زراعة مصرية لاحياء الزراعة الاجنبية مراعية فى ذلك صالح المالية مهملة صالح الاهالى** حتى تظهر لاوربا بهذه الارقام الوهمية ان المالية تقدمت فى زمن الانكليز واللوم فى ذلك على رجالنا الوطنيين الضعفاء الذين لا يقاوموا الانكليز فى مثل هذه المشروعات محافظة على رواتبهم السنوى قاتلهم الله .. »

رشوة عبد الله

ومن جذور الاستعمار الاقتصادى قال محمد فريد فى يومياته :

« فى هذين اليومين (١٩ و ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٣) صدر أمر عال بتخصيص مائتى الف جنيه من احتياطى الحكومة لاستبدال المعاشات باطيان من الدومين وهى طريقة حسنة لتوزيع الاطيان بين الافراد وكثير من الذوات وفضلا عن ذلك فان الدومين باع فى هذه الشهور كثيرا من أطيانه لديوان الاوقاف ، وباع تفتيش البدرشين لاخوان سوارس بثلاثة وثمانين .

الف جنيه وكانوا اشتروا منذ سنتين تفتيش الشيخ فضل من الدائرة السنية بمبلغ كهذا تقريبا وباع ايضا تفتيش بني رافع بالصعيد لاحد أقباط أسيوط الاغنياء بمبلغ ١٣٢٠٠٠ الف جنيه وغيره من الاراضي المتفرقة فاشترى رياض باشا الافخم نحو اربعمائة فدان بمديرية بني سويف وغيره كذلك

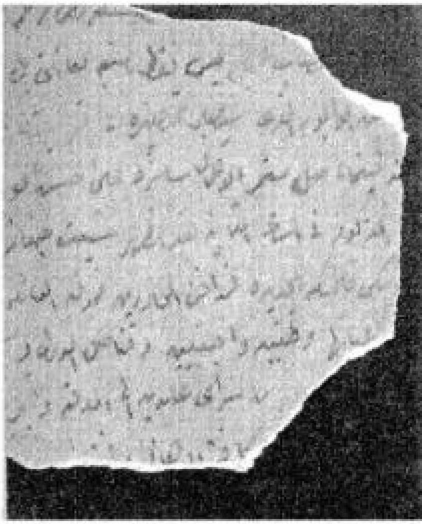
« وفى ٢٢ منه اشيع ان جماعة من ذوات مصر وفي مقدمتهم البرنس حسين باشا كامل عم الخديو وحيدر باشا يكن ، وعمر باشا لطفى شرعوا فى انشاء شركة زراعية يكون رأسمالها خمسون الف جنيه لشراء أراضي من الدومين أو الدائرة واستغلالها وجعلها شركة مساهمة قيمة كل سهم منها عشرة جنيه مصري وقد تكلمت الجرائد عن هذا المشروع وقالت ان كثيرا من الوطنيين اكتتبوا فيه وبلغ قيمة ما اكتتب فيه مائتي الف جنيه وينتظر الحصول على المبلغ المطلوب قريبا وعندها تتشكل بصفة نهائية ويبتدىء في العمل »

وعن عبد الله النديم كتب ما يلي :

« في ١٢ يونية سنة ١٨٩٣ صدرت جريدة الاستاذ الاسبوعية لعبد الله افندي نديم وبها عبارة مؤداها ان الجريدة ستحتجب مدة الصيف بسبب سفر محررها لخارج القطر تبديلا للهواء لكن يظهر ان **احتجابها هو قهرا عنه لعدم رضا الانجليز عن جريدته الوطنية فهكذا تكون حرية الجرائد في مصر !! »**

وفي مكان آخر يقول :

« لقد تحقق من ان توقف جريدة «الاستاذ» سيكون نهائيا لمضادتها لسياسة الانكليز فقد تقرر ابعاد محررها الى خارج البلد باختياره وهو قبل ذلك بشرط أن تدفع اليه الحكومة فورا مبلغ اربعمائة جنيه مصري بصفة ترضية وترتب له خمسة وعشرون جنيها شهريا تصرف اليه أينما يكون بشرط أن لا يكتب عن مصر مطلقا وأن يقيم خارجا عنها ، وصرفت اليه الاربعمائة جنيه مصري وأعطى سركي المعاش وسافر رابع يوم عيد الاضحى قاصدا بلاد الشام ولقد اضطرت الحكومة لذلك لتهديد اللورد كرومر لها بالقبض عليه قهرا بواسطة عساكر الاحتلال وخوفا من حصول ما يكدر الراحة العمومية وساعده رياض باشا حتى تحصل له على هذا المبلغ



فقره من الجزء الثاني للمؤرخ محمد فريد يتناول فترة ما قبل الحرب الاولى

«تتملل الرأى درجه وهل وصل نفوذ الانكليز وسخطهم على الحكام فى بلادنا لمن الله من كان السبب في دخولهم ... »

زيارة المعتمد البريطاني !

وفى اخريات ديسمبر سنة ١٨٩٣ يقول محمد فريد :

« في هذين الاسبوعين حصلت مسألة ذات شأن وهى انه اشيع فى بعض الجرائد ان اثنين من أعضاء مجلس شورى القوانين زارا اللورد كرومر وأبلغاه ما قررته اللجنة المشكلة من بعض اعضائه لفحص ميزانية الحكومة مع أن قرارات اللجنة المذكورة كانت سرية فهاج الرأى العام واشتغلت الجرائد بهذه المسألة كل حسب مشربه، ولما انعقد مجلس الشورى في يوم السبت قرر بصفة غير رسمية وجوب تحقيق هذه الاشاعة لمعرفة هذين العضوين الخائنين والبسط الرئيس وهو على باشا شريف بذلك فادته سخافته الى أن يتوجه رأسا الى اللورد كرومر ويسأله عن ذلك

فامتنع عن اجابته قائلا : انه سيحاول بواسطة الخارجية ثم ارسل اللورد كرومر الى الخارجية افادة رسمية قال فيها انه خابر اللورد روزبرى وزير خارجية انكلترا عن ذلك فاجابه « بان يكتب للحكومة المصرية ان كل مصرى حر فى زيارة دار سفير انكلترا ووزيرها بمصر » مع ان الاعتراض لم يكن على الزيارة من حيث هى بل من حيث افشاء اسرار المجلس ،لخرج اللورد من الموضوع ليوهم الراى العام فى انكلترا ومصر ان بعض أعضاء مجلس الشورى اى نواب الامة المصرية ميالون لانكلترا واخوانهم ناقمون عليهم لذلك .ثم تداول مجلس النظار فى افادة اللورد كرومر وقرر اخيرا اجابته بالموافقة على هذا الرأى وان الحكومة لم تتعرض قط لمن يزور الوكالة البريطانية ، فانحسمت بذلك المسألة .. »

اضرابات فى بور سعيد

وفى بداية عام ١٨٩٤ كتب فريد يقول:

« فى مساء الخميس ٤ يناير الغى قلم البوليس السرى فى الداخلية وأحيلت أعماله على المديريات ولقد أحسنت الوزارة اذ يرغب الانكليز فى أن يستعملوا البوليس السرى لغاياتهم السياسية . ولذلك كانوا يجعلوه تحت رئاسة قلم الضبط والربط وبالغائه يقل نفوذهم فى الارياف وذلك اعتبارا من أول السنة الجارية :

« عرضت الحكومة على الدول مشروع انشاء خزانات فى الصعيد الأعلى لحفظ مياه الفيضان ، وصرفها من زمن الصيف بمقدار معلوم حتى يتيسر بذلك زراعة جميع اراضى القطر زراعة صيفية ، وطلبت من الدول استعمال الاموال المقتصد من تحويل الديون فى انشائها . وورد جواب انكلترا بالموافقة والظنون أن فرنسا والروسيا لا توافقان على ذلك لان انشاء هذه الخزانات يعود على مصر بمضار سياسية جمة ، خصوصا والسودان منفصل عنها **ويجعل مصر فى قبضة مهندسى الانكليز ان شاءوا صرفوا للاهالى وان شاءوا حجزوها عنها تنفيذا لاغراضهم السياسية**، ولذلك نرى عقلاء الاهالى لا يودون انشاء هذه الخزانات تاركين ما يعود عليهم من النفع بجانب هذه الاضرار ، أما مشروع انشاء خزان بالفيوم بوادى الريان فيفيد مصر ولا يضرها سياسيا »

وفى ١٧ منه (يناير) قرر مجلس النظار مساعدة المعرض الوطنى المزمع انشاؤه فى الاسكندرية بمبلغ ألف جنيه وهو مبلغ زهيد جدا لقاء هذا العمل الجليل الذى لم يسبق عمله فى مصر لاسيما وان المجلس قرر اعطاء ٥٠٠ جنيه مساعدة للجنة المراقع (السخرة) مع عدم الضرورة مطلقا وقد بلغنا ان ابراهيم افندى رمزى أحد اعيان الفيوم ومن أهم أدبائها وشعرائها عزم على انشاء جريدة خصوصية لمديرية الفيوم وسيصدر العدد الاول منها يوم تشريف الخديو مدينة الفيوم وستكون اسبوعية وهى اربحية مفيد فوليت **يقتدى به ادباء باقى المديريات فينشئون جريدة لكل مديرية تدافع عن حقوقها ، وتناضل عن المصالح لها وعلى اى حال فما دامت النهضة الادبية مستمرة فلا يبعد الوصول الى هذه الغاية قريبا ... »**

وفى ٦ يناير ــ بعد الظهر ــ احتفل بعيد الساخر (كرنفال) عند الافرنج وحضره الخديو وكان المتفرجون عديدون جدا وفتحت حديقة الازبكية مجانا للفقراء واطرب فيها الحاضرين الشيخ يوسف المنشد الشهير ومحمد عثمان الآلاتى وكان بها عدة طبول بلدية وبعض العاب للصبيان وانقضى اليوم ولم يحصل ما يكدر الراحة

وفى يوم أول مارس احتفل فى مدينة **الباجور** عاصمة مركز سبك بالمنوفية بوضع الحجر الاول للمدرسة التى قام بدفع نفقات بنائها اعيان المركز ،وهى اريحية يجب تخليدها لهم ، فان الامة لا ترتقى وتعلم حقوقها وواجباتها الا بالتعليم ويسرنا أن **اهالى مدينة منوف والشمون وتلا** بالمنوفية قد حذوا هذا الحذو وجمعوا المال اللازم لبناء مدارس فى مراكزهم ، وما ذلك الا بهمة الفاضل أمين بك فكرى المدير العام وان شاء الله يقتدى ــ المديرون خصوصا المتعلمون منهم فيؤسسون مدرسة فى كل مركز فينتشر العلم بين الاهالى وتعم فائدته **وهذه أول النتائج الحسنة التى نشأت ولتنشأ من تعيين مديرين متعلمين مهذبين .**

وقد انضم اهالى مركز مليج وجمعوا مبلغا كاف من المال لبناء مدرسة فى بندر **بركة السبع** وستفتح جميع هذه المدارس فى أول السنة المكتبية القابلة اذا تم بناؤها وقد قررت نظارة المعارف تأسيس خمسة وعشرين كتاب منتظم فى البلاد الصغيرة

بشرط أن البلدة التى تطلب ذلك تقدم المحل اللازم لها ...

وفى ٢ ابريل ذكرت الجرائد أن رياض باشا توجه الى القبة اليوم وقدم استعفاءه للخديو فلم يقبله ، وانه توجه اليها ثانيا فى هذا الصباح مع أغلب الوزراء لتقديم استعفائهم نهائيا وفى ٣ منه ظهرت حقيقة المسألة وذكرت فى جميع الجرائد على اختلاف مشاربها وذلك أنه أشيع عقب مسألة الحدود أن الخديو غير راض عن هذه الوزارة بل ساخط عليها بسبب خوفهم من تهديدات الانكليز فى هذه المسألة وانه يود تغييرها لولا تخوفه من معارضة الانكليز له عند انتخاب من يخلفها وذكرت الجرائد ذلك وبالغت فيه وكتبت جريدة التيمس الانكليزية عدة فصول فى هذا الصدد فظنت الوزارة انه ربما يكون لهذه الاقوال صحة فارادت أن تتحقق من وثوق الخديو فيها ولذلك توجهت اليه فى القبة وعرضت على سموه الانسحاب ، ان كان غير راض عنها فأكد لها سموه رضاه وثقته بها فخرجت شاكرة وبذلك ثبتت الوزارة زيادة عن قبل ، وعاد المرجفون بخفى حنين.

ومن افتتاح المعرض الصناعى ، الوطنى بالاسكندرية ، كتب محمد فريد يقول

« فى ٢٢ ابريل احتفل فى اسكندرية بافتتاح المعرض الصناعى الوطنى بحضور الخديو والنظار وجمع غفير ، من الاعيان فتلى ابراهيم باشا نجيب المحافظ ، خطبة تناسب المقام ، ثم تلاه ميكاليس بك مدير جريدة الفارو الكساندرى الفرنساوية فتلى خطبة رد عليها الخديو بما ناسب وبعد أن مر الخديو على محلات العارضين عاد الى سرايه ومحل الانتقاد فى هذا الاحتفال هو أن الخطب كانت باللغة الفرنساوية مع اننا مصريين والمعرض وطنى مصرى ، والمحافظ والخديو كذلك فكان الواجب عليهما التكلم باللغة الشريفة العربية

ويقول محمد فريد « اعتصب عمال نقل الفحم فى بورسعيد طلبا فى زيادة الاجرة ، وضربوا المشتغلين فتداخلت الحكومة وقبضت على كثير منهم وفى ٢٤ مايو – أى بعد ثلاثة أيام من بداية الاعتصاب – انتهى الاعتصاب بهمة ماهر باشا المحافظ وقد سعت جرائد الانكليز بالقاء مسئوليته عليه بدعوى انه هو المحرض له ليطلبوا عزله من الخديو ،فلم يفلحوا ... »

ويمضى محمد فريد فى تاريخ هذه الفترة المظلمة من تاريخ مصر ، ويستطيع بصدقه وامانته ، ان يغير وجهة نظرنا فى أحداث هذه الفترة الخطيرة من تاريخنا .. لقد كنا – الى ما قبل العثور على هذه المذكرات نعتبر بداية القرن العشرين ، هى بداية حركتنا القومية التى قامت بعد هزيمتنا فى الثورة العرابية ، واذا بنا نكتشف عن طريق مذكرات محمد فريد عكس ذلك ، وان الشعب ممثلا فى الكثير من خيرة ابنائه قد استطاع ان يقيم حركات فكرية ، فى السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر وان هذه السنوات لم تكن ظلاما حالكا ، كما تصورنا من قبل وان نورا وطنيا وعلميا ، وفكريا قد اضاء هذه الفترة

والى العدد القادم لنكمل مذكرات محمد فريد عن هذه الفترة ، ولنحلل – بدقة – كل ما ذكره محمد فريد عن هذه الفترة

يحارب فى جبهتين

جاء البعض الى كليمنصو يقولون له :

– ان واحدا من جنرالاتكم المتقدمين فى السن قد تزوج شابة جميلة

فرد عليهم كليمنصو قائلا :

– حسن ،انه منذ الان سيضطر الى أن يحارب فى جبهتين ، لا جبهة واحدة



القطة .... ! للمصور النرويجي



مارلين مونرو
للمصور برت شترن

أنجح لقطات ٦٤

الروح و الصورة



تور اوستبي



< للمصور برت شترن



معا .. ! للمصور روبرت مونرو

خطوط ..
للمصور جون ستيوارت



م . م ... للمصور
برت شترن



الروح والصورة



البرج.. والتمثال
للمصور جون سوب



حاضر !
روبرت بريسلي

محمود أمين العالم:



بين..

"بداية ونهاية"

انتهينا في العدد الماضي من تحديد بعض المعالم الاساسية في بناء الرواية عند نجيب محفوظ في مرحلتها التاريخية الاولى. ولعل أبرز هذه المعالم هو تنمية الاحداث في اتجاه واحد ، وغلبة الطابع التاريخي في بنائها نفسه وسيادة المصادفة في العلاقة بين الاحداث والاشخاص كحتمية قدرية ، وكضرورة شاملة أكبر من ارادة الافراد وتدبيرهم

ثم انتقلنا بعد ذلك الى المرحلة الثانية وهي الاجتماعية ، وحددنا كذلك بعض المعالم الاساسية في بنائها ، التي ترث أغلبها من المرحلة السابقة ، وذلك مثل الدور الكبير الذي تلعبه المصادفة كذلك بمدلولها الحتمي الشامل، ومثل غلبة الاتجاه الواحد والتسلسل التاريخي في تنمية الاحداث . الا اننا بالاضافة الى ذلك ، اشرنا الى سمات جديدة لهذه المرحلة تخرج ببعض رواياتها من حدود هذا التسلسل التاريخي وتبنى احداثها على اساس من التشابك والتفاعل ، فضلا عن بداية خلق النماذج والانماط الاجتماعية الناضجة ، وبروز ثنائية حادة بين المثالية والمادية في البناء الفكري والفني على السواء

ولم نستكمل في المرة السابقة تحليل روايات هذه المرحلة جميعا وانما وقفنا عند رواية السراب.

وفي هذا المقال ننتقل الى الروايتين المتبقيتين من هذه المرحلة وهما «بداية ونهاية» و «الثلاثية» (بين القصرين ، قصر الشوق ، السكرية)

* * *

وبرغم أن هاتين الروايتين تنتسبان فكريا وفنيا الى المرحلة الاجتماعية ، الا انهما من حيث منهج البناء الفني اساسا من حيث المعمار الفني يعتبران مرحلة فنية قائمة بذاتها

حقا انها مرحلة غير منقطعة عما سبقها من مراحل ، غير منقطعة تماما عن المرحلة التاريخية ، وغير منفصلة نهائيا عن المرحلة الاجتماعية .. بل هي جزء من هذه المرحلة ، وهي بغير شك ترث من كل الروايات التي سبقتها افضل ما فيها من خصائص ومميزات ، ولكنها برغم هذا تعد مرحلة مستقلة قائمة بذاتها

وقد يقال : ولكن ما أبعد الشقة

وثلاثية نجيب محفوظ

الفنية والفكرية بين « بداية ونهاية » وبين « الثلاثية » . فكيف تضمهما مرحلة معمارية واحدة !!

والحقيقة أن الروايتين تصوران حياة أسرة ، وكلاهما تصورها في اطار من الاحداث الاجتماعية والسياسية ، مع تفاوت هذا الاطار اتساعا أو عمقا بين الروايتين . ويعد الاب في كلا الروايتين عاملا بارزا من عوامل بناء أحداثها وفلسفتها على السواء . ان فقد الاب في « بداية ونهاية » كان مصدرا أساسيا لاحداثها الفاجعة . اما في « الثلاثية » فعلى العكس من هذا تماما ، كان تضخم شخصية الاب أحد المصادر الاساسية لحركة أحداثها كذلك

ولعلنا واجدون « قضية الاب » هذه بعد ذلك في رواياته الاخرى في المرحلة الثالثة الفلسفية ، اكثر تطورا واشد عمقا من الناحية الفلسفية والحضارية ويتضح هذا في « أولاد حارتنا » و « الطريق »

على أن المهم أن نؤكد هنا أن « بداية ونهاية » ، و « الثلاثية » يلتقيان كما رأينا — في أكثر من جانب . كما يرثان كثيرا من الخصائص والسمات مع روايات سابقة . وستتبين هذه الجوانب والخصائص المشتركة بتفصيل اكبر فيما بعد

الا أن ما يجمعهما في الحقيقة في اطار واحد ، ويجعل منهما مرحلة مستقلة بذاتها هو معمارهما الفني . انه معمار خاص متميز بدا مع بداية ونهاية ، ثم تسابق ولبث واكتمل في الثلاثية . فلنتعرف الآن على حقيقة هذا المعمار في رواية « بداية ونهاية » اولا ..

بداية ونهاية

لعل هذه الرواية ان تكون بحق انضج رواياته فنيا في مرحلة ما قبل الثلاثية . انها تجسيد لخبرة ناضجة في بناء النمط الاجتماعي ، في تجسيد الحدث ، في رسم العلاقات البشرية وتنميتها . وهي الى جانب هذا تقوم على تخطيط دقيق للغاية سواء من الناحية الفكرية او الناحية الفنية

حقا لقد احسسنا في « **زقاق المدق** » نهاية للتسلسل التاريخي في بناء الرواية او للتنمية ذات الاتجاه الواحد للاحداث وبداية مرحلة التوزيع والتشعب والتفاعل في حركة بناء الاحداث ، الا اننا في بداية ونهاية نحس بانتقال هذا التشعب وهذا التوزيع وهذا التفاعل الى مرحلة من التخطيط الهارموني المدروس

ان خط بناء الرواية لا يتمثل فحسب في انتقال الفصول من هذه الشخصية الى تلك الشخصية ، ومن هذا الحدث الى ذلك الحدث ، وفي الربط بين هذا الحدث وتلك الشخصية ، وهكذا ، انه لا يتمثل فحسب في مواصلة السرد ، ومتابعة الجذب القصصي واستكماله ، بانتقال الفصول وتوزعها وتشعبها بين عناصره المختلفة فحسب كما رأينا في « زقاق المدق » من قبل وانما تصبح هذه الانتقالات بين الاحداث والشخصيات ، تصبح حركة الفصول ، يصبح التوزيع والتشعب حركة مخططة ، تكاد تقوم على قواعد محددة مدروسة . انها توازي من الاحداث والشخصيات أو تقابل وتعارض بينها أو تقاطعهما ، وهي بهذا تساعد على تعميق الاحاسيس والافكار الاساسية في الرواية وتخضع البناء الفني لفلسفتها خضوعا واعيا

ان انتقالات الفصول والارتباطات بين الاحداث والشخصيات تتخذ طابعا وظيفيا ، دقيقا ، قد يبلغ احيانا درجة الدقة الالية . **ولعلها بهذا تعبر كذلك عن صورة أخرى من صور الحتمية القدرية التي رأيناها في رواياته السابقة كذلك ، ولكن بمستوى جديد اكثر نضجا واعقد بناء**

***

ان التخطيط والمعمار الفنى نفسه بين الاحداث والشخصيات يصبح هنا اداة للتعبير عما يريد أن يقوله **نجيب محفوظ**



وحدة متناقضـــات
تغلى بالتوتر والحركة

فبدلا من أن يعبر بالسرد القصصى أو الحوار ، أو التعليق أو التفسير ، يعبر بالبناء ، يعبر بالتركيب ، يتكلم بالعلاقات ، يتكلم بالمقابلة والتوازى ، والتناقض والتعاقب والالتحام والتنافر بين الاحداث والشخصيات خلال حركة توزيع الفصول المختلفة

ان المعمار فى هذه الرحلة يصبح المعمار الفنى عند **نجيب محفوظ** ، هو بذاته تعبيرا ، تعبيرا فنيا يوحى بالدلالة الفكرية . تماما كما كانت المصادفة ، وكما ستظل فى أدب **نجيب محفوظ** فى مرحلته الفلسفية ، لا مجرد لقاء غير مدبر ، وانما هى تجسيد لفلسفة قدرية شاملة !

كذلك المعمار الفنى العام لهذه الرحلة من بناء الرواية عنده ، انه صورة أكثر تنظيما وشمولا ونضجا لهذه المصادفة ، وربما تعبير من فلسفة قدرية شاملة كذلك

ولكن هذه الفلسفة لا تقف عند مجرد التقاطع بين حدث وآخر شأن أى مصادفة ، وانما ترتفع من التقاطع بين الاحداث ، الى التخطيط المعمارى بينها، انها تصبح معادلات معمارية ـ ان صح التعبير ـ لا مجرد معادلات جزئية .

وبهذا تتخذ الحتمية شكلا أكثر نضجا وعمقا وشمولا . ومن هذا التخطيط المعمارى تنبع الفكرة والدلالة والفلسفة الشاملة للرواية . وهكذا .. بالبناء الفنى كذلك يعبر نجيب محفوظ ، وكأنما استعار هنا لغة الموسيقى المجردة

***

حسبنا أحكاما عامة !

ولننتقل الى التطبيق : فماذا ورثت « بداية ونهاية » من رواياته السابقة وماذا أضافت ؟!

البداية هى موت الاب ، والنهاية هى تفسخ الاسرة وانهيارها بين الدعارة والمخدرات والتطلعات الطبقية الفاشلة ثم الانتحار أخيرا

مات الاب فأخذ عقد الاسرة ينفرط ، نفسيا واجتماعيا وان لم ينفرط سكنيا فى البداية . لربما تلبث أن تكتمل الفجيعة فى النهاية ، مات الاب ولم يستطع المجتمع ان يكون لهم أبا ، وان يواصل حماية هذه الاسرة ، برغم مابذلته الام من دأب وحرص وشجاعة فى مواجهة مأساة فقدان الاب . وبرغم ما حاوله صديق الاسرة من حماية ورعاية ، وبرغم ما أتاحه المجتمع ـ بشق النفس وبالوساطة ـ من امكانيات وفرص

لقد انفرط عقد الاسرة ، وتفسخ ، وتوزع أبناء ثلاثة لها فى مصائر فاجعة ، ابن فاسد هارب من وجه العدالة ، وابنة تغرق نقودها زلتها واحترافها للدعارة الى جوف النهر ، وابن ثالث يلحق بأخته فى جوف النهر رغم ما تلمع على أكتافه من نجوم وشارات

هل كانت البداية الفاجعة لموت الاب تحتم هذه النتيجة الفاجعة كذلك . هل البداية تحتم النهاية . هذا ما يجيب عليه التخطيط الدقيق للرواية ، منطقها

الداخلى ، حركة احداثهـا ، وعلاقاتها المتشابكة المتنامية

والرواية لا تقدم البيئة الاجتماعية وحدها اساسا لتفسير الاحداث والشخصيات ، والا ما استطاعت ان تقدم رواية انسانية يتحرك فى داخلها افراد وانماط ومشكلات نفسية وعواطف ذاتية. انها تضيف الى البيئة الاجتماعية ، والملابسات التاريخية العامة ، تضيف الملامح الخاصة ، الملامح الجسدية والملامح النفسية على السواء ، فضلا عن ظروف البيئة المكانية والسكنية

ويتفاعل هذه الملامح جميعا تتحدد المصائر . حقا ، ان البيئة الاجتماعية السائدة تحدد الاطار العام لامكانيات السلوك الانسانى ، ولكن ما يحسم الامور فى النهاية ، هى الخصائص النفسية للفرد ، بما تتضمن من عوامل وراثية ، ومكتسبة

وهكذا تتنوع الشخصيات والانماط رغم حركتها داخل اطار بيئة واحدة . ان موت الاب قد اصاب الاسرة كلها ، ولكن استجابة حسن غير استجابة حسين غير استجابة حسنين غير استجابة نفيسة غير استجابة الام . لماذا ؟ لان لكل منهم ملامحه النفسية ، ومميزاته الذاتية ، رغم وحدة الاطار الاجتماعى والمالى الذى يضمهم

حسين : نموذج للانسان الخيرى المتفانى الطيب

حسنين : نموذج للانانى الطموح المتطلع

حسن : نموذج للازدواج والتناقض يجمع فى صدره بين الفساد والطيبة ، بين العجز والقدرة ، بين الشهامة والتنطع

نفيسة : نموذج للخيرية والتفانى والطيبة ، ولكن دمامتها ووحدتها سرعان ما تصنع منها عاهرة محترفة

ان مصائر هؤلاء جميعا يحكمهم بغير شك حدث عام هو موت عائل لاسرة بورجوازية صغيرة فى مجتمع رأسمالى متطاحن . ولكن الصفات الخاصة لكل منهم تشكل مصائرهم الخاصة . ومن هنا يتحقق البناء المتشابك للرواية . انه ليس التنمية ذات الاتجاه الواحد ، وانما التنمية المتشابكة المتفاعلة كما سنرى بعد قليل

* * *

وقد نجد فى هذه الروايات آثارا موروثة من رواياته السابقة مع بعض الاضافات الجديدة ، ويتمثل ذلك اساسا فى الامور التالية :

١ ـ المتابعة المستأنية فى وصف التفاصيل المادية والنفسية . وان لم يبلغ هذا مبلغ التسجيلية الخالصة التى اشرنا اليها فى « خان الخليلى » مثلا . اننا نجد فى مدخل « بداية ونهاية » وصفا تفصيليا لطريقة ابلاغ حسن وحسنين خبر وفاة والدهما . ولهذا ذهبنا الى المدرسة ، وخرجنا معهما من الفصل لمقابلة الناظر ، وسمعنا بالخبر ، ثم خرجنا الى الطريق ، وسرنا فيه وسمعنا اصواتا من بعيد ، ثم دخلنا البيت ورأينا اشياء ، ثم وصفنا الجنازة ، ثم درنا فى الوزارات بحثا عن المعاش الى غير ذلك

كل هذا يتم وصفه بطريقة تفصيلية مستأنية للغاية . ولكن هذا لايتم ابدا على طريقة وصف مرض شقيق **أحمد عاكف** أو وصفه محطة السكة الحديد فى « **خان الخليلى** » مثلا . لقد كان ذلك الوصف يغلب عليه الطابع التسجيلى بالفعل

اما فى رواية « بداية ونهاية » فرغم هذه التفصيلية فى الوصف ، الا انها تتم بطريقة **وظيفية** الى حد كبير . ذلك لان هذا التأنى والتفصيل فى وصف موت الاب وما يرتبط به من عمليات اخرى كان الى حد كبير يقصد لغير ذاته ، ولهذا فهو ليس بتسجيل . **كان**

يقصد به تعميق فداحة الاحساس بالفجيعة ، وتعميق دلالتها الاجتماعية والنفسية ، وفضلا عن هذا فان هذا التفصيل قد استفاد به نجيب محفوظ هذه المرة لاضاءة نفوس شخصيات روايته ، وكشف أسرارها الداخلية ، ومعرفة حقيقة استجابة كل منهم لمختلف هذه التفاصيل . انها تفاصيل مادية ، تقابلها تفاصيل نفسية ، تكشف عن قسمات كل شخصية من الشخصيات

وصف الجنازة بالدقة مثلا كم حضر من الناس ، وتوعيتهم ، ومستوياتهم الاجتماعية ، كان هذا تفصيلا . ولكنه تفصيل بالغ الاهمية في ابراز نفسية حسنين ، واضاءة أسرارها الداخلية وهكذا

وعلى هذا فان الوصف التفصيلي لم يكن مجرد تسجيل من الخارج فحسب وانما كان كذلك الى حد كبير — وسيلة لابراز القسمات النفسية وبناء الشخصيات والمواقف

٢ — على الرغم من أننا لا نتبين في هذه الرواية تسلسلا زمنيا تاريخيا — كما ذكرنا — في حركة بنائها ، وتنمية أحداثها ، الا أن الاحساس الزمني والتاريخي لا ينقصها كذلك . انها تتحرك في اطار زمني محدد ، وملابسات وأحداث تاريخية معينة ، وتتضاعف تجيمتها على أرضية اجتماعية وسياسية خاصة ، وان لم تتلاحم هذه الارضية الاجتماعية والسياسية وتلك الاحداث التاريخية ، مع الوقائع الذاتية للرواية كما سنجد ذلك مثلا في « **الثلاثية** » . وانما تقف هذه الارضية وتلك الاحداث كعلة أو كسبب بعيد غير مباشر ، وان لم تفتقد الاحساس بتأثيره وفاعليته على بناء الرواية فنيا وفلسفيا

٣ — الرواية ، ما تزال تستعين بالمصادفات في بناء أحداثها — كما رأينا في رواياته السابقة — وهي مصادفات لا تعبر عن خلل في هذا البناء ، وانما عن **استمرار للحتمية الشاملة وان ارتفعت هذه المصادفة الى مستوى تخطيطي أكثر نضجا** كما أشرنا من قبل، وكما سنرى بعد قليل

على أننا ما نزال نجد أثر المصادفة بمعناها الجزئي القديم مثل لقاء حسنين مع أسرة أحمد سري في السينما دون سابق اتفاق ، في وقت تتحرق نفسه لهذا اللقاء

٤ — **الطبيعة** ما تزال وسيلة للتعبير عن أجواء النفس الباطنية . عندما كان حسنين ونفيسة يقدمان على الانتحار في نهاية الرواية ، كانت الطبيعة في شبه مأتم ، في شبه فجيعة ، كأنها هي كذلك مقبلة على الانتحار

٥ — **تطور السطح** في هذه الرواية ، فلم يقف عند حدود الدور العابر الذي رأيناه في « خان الخليلي » واصبح مجالا للمغامرة العاطفية ، والعبث الجنسي ، وهو يمهد لدوره الاكبر في «الثلاثية»

***

٦ — استعان نجيب محفوظ بالقطار استعانة أعمق من استعانته به في «الخان .



الخليلي» . في « **خان الخليلي** » كان تجربة من الخارج . أما في هذه الرواية فكان تجربة من الداخل . كان وسيلة للحوار واللقاء والافضاء ، كان مجالا لتوكيد بعض القيم والافكار السياسية والاجتماعية . وكان يذكرنا بصورة تكاد تكون متشابهة في عودة الروح ، لتوفيق الحكيم

٧ — **الرائحة النتنة** التي استعلن بها نجيب محفوظ في « **خان الخليلي** » للتعبير عن الموت ، والارهاص به ، يستعين بها كذلك في هذه الرواية ، ولكن لتصوير احساس طبقي ! انها رائحة الزقاق ، الذي تعيش فيه الاسرة، ويتطلع حسنين الضابط أن يخرج منه، ويرتقي عنه في سلم التطور الطبقي . كانت الرائحة التي تكررت تعبيرا عن رفض طبقي للزقاق استخدمها نجيب **محفوظ** بذكاء وعمق

٨ — يواصل نجيب محفوظ في هذه الرواية دراسته النفسية والفنية معا للشخصية الفردية الانانية التي نجح في تقديم نماذج متنوعة لها في نموذج « **محجوب** » في **القاهرة الجديدة** ، ونموذج « **حميدة** » في **زقاق المدق** و « **حسنين** » في **بداية ونهاية** نموذج فذ من نماذجها كذلك . يحركه كما يحرك محجوب وحميدة الطموح الطبقي والفقر ، فضلا من الملامح النفسية الخاصة من الانانية وذاتية . ان الزواج عنده من ابنة احمد سرى لم يكن غير محاولة لركوب طبقي ، وقد يختلف هذا من زواج محجوب ، او مسلك « حميدة » الجنسي ، ولكنهم جميعا يحركهم دافع التطلع والطموح

***

ولكن « **نجيب محفوظ** » لايقف عند هذا النموذج ، وانما يواصل كذلك دراسته وتطويره لبقية نماذجه ، ان نموذج حسين مثلا شقيق حسنين هو تفريع وتنويع فني على نموذج احمد عاكف ، انه أحد أبعاده الشخصية الطيبة المتفانية . وان اختلف معه كذلك في بعض القسمات الاخرى . ولكن ما اكثر ما بينهما من أوجه شبه نفسية . انه يتطلع الى الثقافة والرغبة في المشاركة الاجتماعية ، ويلمس الاشتراكية من بعيد، ولكنه قد لا يتميز بما يتميز به أحمد عاكف من تردد وعجز ومثالية . انه بعد من أبعاد **أحمد عاكف** . وقد يشارك معه في صياغة شخصية كمال في «**الثلاثية**» فيما بعد

ولعلنا نجد في **نفيسة** في هذه الرواية نمطا معكوسا **لحميدة** في « **زقاق المدق** » فحميدة تتميز بالجمال والطموح والفقر، أما نفيسة فتتميز بالدمامة واليأس والفقر . وكلاهما ينتهي الى مصير واحد، احتراف الدعارة ! الا أن **نفيسة** تمارسها بروح اليأس والهزيمة وخاصة في البداية أما **حميدة** فتمارسها بروح الغلبة والانتصار

ونجد تماثلا بين ابنة احمد سرى في هذه الرواية التي يرغب حسنين في الزواج منها وتحية في رواية « زقاق المدق » التي حاول « محجوب » أن يعتدي عليها بين الآثار المصرية القديمة ، كما نجد في والديها تماثلا في الدلالة الاجتماعية كذلك

وما اكثر ما نجد من تماثل وتشابه وتواز بين « بداية ونهاية » ورواياته السابقة ، حقا انه ليس مجرد تواز جامد أو تماثل ثابت . ان بداية ونهاية لم تقف عند وراثة بعض الخصائص والقسمات من الروايات السابقة وانما قامت على تطويرها وتنميتها كذلك . ولعل اللغة في هذه الرواية سردا وحوارا اقرب الى الحرارة ، اقرب الى التعبير عن القسمات الخاصة لكل شخصية ، والملابسات الخاصة لكل موقف خارجي أو باطني من رواياته السابقة

الا أن الطابع المميز حقا لهذه الرواية هو معمارها الفني الذي يرتفع بها ارقى الخصائص التي اشرنا اليها من قبل

والتى تعد تطويرا من خصائص موروثةمن الروايات السابقة

تتميز هذه الرواية كما ذكرنا من قبل بأن معمارها الفنى الداخلى وسيلة من وسائل التعبير عن أفكارها ، وهو مستوى آخر أكثر نضجا لمصادفات اللقاء ، اتخذت هنا طابعا معماريا . ونستطيع ان نتبين هذا فى الامور التالية

ان الفصول تتبع ايقاعا ثابتا يوزع المعانى والدلالات بين الاشخاص بطريقة تكاد تكون منتظمة

فاذا ما أخذ حسنين — مثلا — ينمى عاطفته مع بهية فى سطح منزلهما ، فالا هذا فصل آخر نجد فيه اخته نفيسة متجهة الى سلمان البقال لتنمية عاطفة معه كذلك . وما يكاد ينتهى فصل يناقش فيه حسنين امه فى شأن زواجه حتى تكون نفيسة مشغولة بأمر زواجها من سلمان البقال فى فصل آخر ، وما أن ينتهى الفصل الذى يغتصبها فيه سلمان البقال نفيسة ، حتى يتلوه فصل آخر يحاول فيه حسنين آن يقبل بهية وهكذا تسير الفصول فى توازٍ بين مسلك حسنين ومسلك نفيسة ، وفى تناقض بين مسلك نفيسة ومسلك بهية

* * *

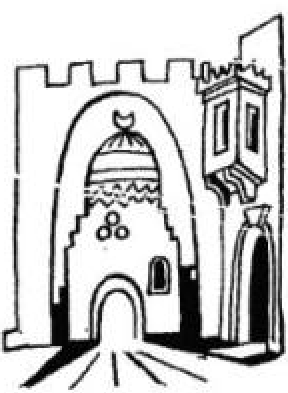
وفى فصل تذهب نفيسة لتفصيل ملابس عروس سلمان بعد أن غدر بها ؛

وفى فصل آخر يتجه شقيقها حسن الى سلمان للاتفاق معه على احياء حفلة عرسه . وابتداء من هذا اللقاء الناجح غير المقصود وغير المرئى بين سكينة وحسن على جثة حبها ومقاتلها ، يتم أكثر من لقاء ناجح كذلك غير مقصود وغير مرئى بينهما

ففى الوقت الذى تتم فيه معركة فى حى الماهرات ينتصر فيها حسن فتختاره لذلك احدى ماهرات الحى وتهبه لهـــ وتمنحه عشرة قروش نظير قيامه بعملية جنسية معها ، تتم فى فصل آخر ملاصق مغامرة جنسية بين نفيسة وعامل ميكانيكى تنتهى بأن يمنحهـــا كذلك عشرة قروش بالتمام والكمـــال . نفس الثمن الذى تسلمه حسن ، ونفس الحدث بشكل عام فى فصول متوالية متوازية . الا ان حسن فى فصله يحمـــل أوســـمة الفحولة ، والانتصار ، أما هى فتحمل المهانة والخزى

فلماذا أيها الناس ؟ !

نجيب محفوظ لا يسأل ولا يتساءل ولا يقول هذا . ولكن التخطيط نفســه يثير أكثر من ســؤال أكثر من معنى . ومغامرة الأبنة الجنسية هذه تصبح مهنة لها ، تماما كما تصبح مهنة لأخيها . انها ما تزال تنزلق ، تنزلق حتى القاع ، حتى تصبح من عادتها أن تستسلم لأى عابر سبيل ، حتى تصبح تستسلم لا بدافع اليأس ، لا بدافع البحث عن اخرة من دخله ، من حب ولو بالزيف ، وانما بدافع اليأس، لا بدافع البحث عن أجرة عقب كل مغامرة جنسية تساوم فى النقود فى الثمن ، فى السعر ، وتطلب المزيد . وعندما تبلغ هذا المستوى ، يكون شقيقها الاخر ، الشريف جدا ، الواصل اجتماعيا حسنين ، قد أخذ يزداد طمعا وتطلعـــا



طبقيا ، واخذ هو كذلك يتطلع الى المزيد لا الى المزيد من المال ، وانما المزيد من الارتفاع الطبقى .. ووسيلته أن يركب امرأة من طبقة عليا ، فيركب طبقته

ما الفرق !!

ما أعنف دلالة العشرة قروش — بالتمام والكمال — التى نفحتها له شقيقته نفيسة ليصرفها حسنين الضابط على سهرته . هذه العشرة قروش دائما !!

* * *

وقرب نهاية الرواية يصاب حسن بجرح فى رأسه فى معركة ، ويهرب من وجه العدالة جريحا ، وكذلك كان شأن حسنين المتطلع طبقيا ، كان يعانى من جرح اخر كبير فى نفسه بعد ان رفض أحمد يسرى أن يزوجه ابنته . ان يتيح له أن يركب طبقته

كلاهما الان أصيب ، واحد فى رأسه ، والاخر فى نفسه ، كلاهما كان مرفوضا طبقيا ، بطريقة او باخرى لسبب او لاخر على المستوى الجسدى المادى او المستوى النفسى المعنوى

ما أكثر وما أعمق صور اللقاء وصور التوازى والمقابلة والتناقض فى بناء أحداث الرواية وشخصياتها ، وفصولها

ان بناء الرواية لا يخضع لعفوية سرد الاحداث ، وانما لتخطيط دقيق لها ، بحيث يكون التخطيط نفسه دلالة فكرية

ان التوازى بين مسلك نفيسة ومسلك حسن ، والتناقض بين مسلك حسن ومسلك حسين ، والنهاية الفاجعة التى ينتهى اليها كل من حسنين وحسن ونفيسة فى وقت واحد تماما .. هذا التوازى الزمنى والتوازى المصيرى بين مسلكهم جميعا تعبير بالتخطيط المعمارى عن معنى مشترك . انه التفسخ والفشل والانتحار ، لعزة الطموح والدمامة والانانية واليأس وانعدام الأب فى مجتمع متناحر لا يرحم

* * *

وفى مقابل هذه الخطوط الكسيرة ، يلتقى فى خطوط مستقيمة اخرى ، الناس طيبون ، صابرون متفانون فى خدمة الاخرين ، راضون بما قسم لهم ، صابرون رغم البلوى والفقر ، متطلعون ولكن فى تواضع وبساطة الى الجديد والتقدم والخير

بين التوازى فى مسلك كل من حسن **وحسنين ونفيسة** ومصيرهم الاخير ، ثم التقابل بين هذا المسلك وهذا المصير ، وبين مسلك **حسن وهنية** ومصيرهما ، تعبر الرواية عن فلسفتها ، عن قيمتها ، وتعمق هذه الفلسفة تعميقا وجدانيا فى نفوس قرائها

ولكن رغم هذا النضج الذى بلغته هذه الرواية فى توزيع بنائها ، وتكاملها وتخطيطها الدقيق ، الا أنها تعتبر جسرا يمهد لتخطيط اكثر واشد تعقيدا ونضجا فى « **الثلاثية** »

الثلاثية

ما أكثر ما قيل عن بناء الثلاثية

فتارة هى البناء الكلاسيكى الرصين الذى يتناقض مع مضمون أبعد ما يكون من الكلاسيكية لأنه مضمون أبعد مايكون عن كليات الحياة ، لأنه مضمون منفرد شاذ لاسلفى ؟

وتارة هى الطبيعية التى تنبع من حتمية « زولا » الطبيعية ، وتلتزم بقوانين الوراثة والبيئة

وتارة هى الواقعية النقدية

وتارة هى جماع الطبيعية والواقعية والرومانطيقية والكلاسيكية جميعا

وتارة هي رواية تفتقد الوحدة الشاملة فليس فيها من حكاية واحدة ، بل هي سلسلة من الحكايات ، وانما وحدتها في الروابط بين شخصياتها لا في وحدة الاحداث

وتارة هي بناء يقوم على التوازى بين تطور عائلى وتطور اجتماعى وسياسى فكلما كان الاولاد يتحللون شيئا فشيئا من سلطة الاباء ، كانت مصر تتحلل من السيطرة البريطانية

وتارة أخرى هي تعبير عن التوازى بين النمو الداخلى للشخصيات والنمو الخارجى للاحداث . الى غير ذلك من مختلف الآراء فى طبيعة البناء الفنى « للثلاثية »

الا ان هذه الآراء جميعا رغم تنوعها واختلافها وتناقضها أحيانا تتفق جميعا في الاقرار بعظمة هذا العمل وأصالته ورصانته

ولكن ماسر عظمة هذا المعمار الفنى للثلاثية ! ..



ما أسهل أن نسارع بالحكم العام المطلق ، ولكن ما أحوجنا الى ادراك العناصر الداخلية فى هذا العمل أولا ، دون أن يحرمنا هذا أخيرا من اصدار الحكم العام كذلك على اننا نبدأ ببعض الاحكام العامة

ان الثلاثية ، فى الحقيقة تعد امتدادا من الناحية المعمارية لبناء « بداية ونهاية » ، فبناؤها يقوم على التخطيط الدقيق للاحداث ، الذى يتضمن بذاته كذلك قيمة فكرية ، فضلا عن قيمته الجمالية

حقا ، اننا قد نجد فى « الثلاثية » بناء كلاسيكيا ، ولكنه بناء كلاسيكى رصين غير متناقض مع مضمونها ، بل متوافق معه ، بل نابع منه ، ذلك لانه ليس مضمونا متفردا شاذا غامضا ، بل هو مضمون أشد ما يكون وضوحا ووعيا وايجابية وتقدما وتعبيرا عن كليات الحياة وحركتها الشاملة

وقد نجد فى الثلاثية بغير شك صفحات تنتسب الى المدرسة الطبيعية ، بل نجد فى بنائها الفنى والفلسفى دورا بالغا تلعبه قوانين الوراثة والبيئة .. ولكننا لا نستطيع بحال أن نقول أنها تنتسب الى مدرسة زولا فى الحتمية الطبيعية . فهناك الى جانب عناصر الوراثة والبيئة عناصر عديدة أخرى ، متناقضة متصارعة بل هناك صراع بين الوراثة والبيئة ، بين الملامح النفسية والملامح الاجتماعية ، **وهناك خلق واكتشاف وتجدد تتفجر به واقع الخبرات الحية فى حياة شخصيات الرواية . وهناك عناصر ثبات واستقرار وعناصر حركة وتطور وثورة ، وهناك عناصر موروثة وأخرى مكتسبة ، وهناك صراع حاد بتنظيم كل العلاقات والاحداث**

وهذا ما يبعد بالثلاثية عن أن تكون مجرد بناء ينتسب الى المدرسة الطبيعية ، بل نجد فيها اتجاها واقعيا واضحا يعبر عن حركة الواقع ومتناقضاته وتطوره ،

ولهذا رغم ما نجد فيها من موقف نقدى للحياة لا نستطيع كذلك أن نقف بها عن حدود الواقعية النقدية ، لانها لا تقف عند هذه الحدود النقدية ، وانما تشير دائما الى مستقبل وتلهم اتجاها ثوريا واعيا فى النهاية

ومن التعسف كذلك ان نقول بانها تفتقد الى الوحدة الشاملة وان وحدتها ترجع فحسب الى الروابط بين شخصياتها لان فى ذلك تجاهلا لوحدة الموضوع الذى يحرك الاحداث ، ويربط بين الشخصيات وبنيها ويطورها ، انها ليست مجرد روابط وعلاقات بين شخصيات ، بل هى بناء من الاحداث المتشابكة المتجهة ، التى تتحرك وتتصادم وتتصارع وتلتقى وتفترق من داخلها الشخصيات

وقد تكشف النظرة الاولى الظاهرة توازيا بين تطور عائلة وتطور وضع اجتماعى وسياسى ، ولكن النظرة الاشد عمقا وغوصا ، لا تقف عند حدود هذا التوازى الذى قد نحس به بشكل عام فى « بداية ونهاية » مثلا ، وانها تكشف **تفاعلا حيا مباشر بين تطور العائلة وتطور الوضع الاجتماعى والسياسى** . فليس تحرر الابناء من سيطرة الاباء يتوازى مع تحرر مصر من سيطرة الانجليز وانما تحرر الأبناء ثمرة لتحرر مصر ، وتحرر مصر ، ثمرة لتحرر الابناء

ان الخبرة المتبادلة والتشابك والتفاعل الحى بين الاسرة والواقع الاجتماعى والمعاناة السياسية ، هى التى تشكل الظاهرة المتكاملة لحركة بناء الرواية ونموها واكتمالها أخيرا

* * *

والحق أن الوحدة التى تجمع «الثلاثية» وتوحدها فنيا وفكريا ، هى وحدة اضداد ولهذا تضطرم الرواية بالحركة والتوتر والتشابك الدائم ولا تتوقف عناصرها واحداثها ومعانيها ومشاعرها عن الجريان والصيرورة والتدفق

وقد يلخص هذا كله بان **الزمن** هو الذى يرسم هذه الوحدة ويحققها . ولكن القول بالزمن ، مجرد الزمن ، قول خاطىء ان الزمن فى الحقيقة هو صفة لحركة المادة ، لحركة الاشياء ، ولهذا فالحركة اساسه وقانونه . والقول بالزمن وحده لا يكفى بغير أن ندرك قوانين حركته ان وحدة الاضداد ، ان تلاقى الاضداد ، ان التوازى والتفاعل والتداخل والتشابك بين الاضداد او بتعبير مختصر ان الصراع بين المتناقضات يكاد أن يكون الايقاع المتصل لحركة بناء الثلاثية انه الحدث الاكبر فيها وهو سر حركتها ، صراع الماضى مع الحاضر ، صراع القداسة مع الابتذال مع الجنس ، صراع الدين مع الالحاد ، صراع المثالية مع المادية ، صراع المصادفة والضرورة ، صراع الانضباط والتمرد ، صراع الامومة الحنون والابوة القاسية ، صراع الاستقامة والانحراف الجنسى ، صراع الحلم والحقيقة ، صراع الوراثة والبيئة ، صراع الصفات الثابتة والصفات المكتسبة ، صراع الرغبات الخاصة ، والتقاليد العامة ، صراع الفرد مع الاسرة ، صراع الاسرة مع المجتمع ، صراع المجتمع مع السلطة ، وصراع الشعب كله مع الاستعمار ، وهكذا .. وهكذا

ما اكثر الثنائيات المتصارعة

وبهذا ترتفع الثنائية التى لمحناها فى روايات سابقة مثل « **خان الخليلى** » و « **القاهرة الجديدة** » او « **زقاق المدق** » من حالة **توازٍ وتقابل** ، الى حالة **صراع وتفاعل وتداخل**

لو قلنا بالعناصر الثابتة وحدها اساسا فى بناء المسرحية ، لكان انتساب « الثلاثية » الى المدرسة الطبيعية امرا محتوما . الا أن هذا الصراع المتوتر الحاد المتجه المتطور بين الثنائيات المتناقضة ، بين الاضداد المتحدة ، هو الذى يشكل اساسها الواقعى .. وان

تكن واقعية ماتخلصت بعد من بقايا الجاهات تسجيلية وطبيعية

ولكن رغم هذه البقايا من الاتجاهات التسجيلية والطبيعية ، نحو البدايات التى تغيب فى النهايات والنهايات التى تتفجر منها دائما بدايات جديدة ، فكل جديد يصبح قديما ، ومع كل قديم يتفجر الجديد دائما . بهذا يرتعش البناء كله بالحرارة والحركة والتدفق

ان التاريخ اطار خارجى للاحداث ولكنه كذلك دماء حارة تتدفق فى شرايينها الداخلية . والكليات البشرية العامة ، جوهر التجربة البشرية ، نحس بها فيما تتحرك وتتطور وتتصارع فى رصانة ووقار وابهة ، ولكن دون ان نفتقد الاحساس ، بما هو خاص ، بما هو جزئى بما هو حميم . بين العام والخاص ، بين الجوهرى والعرضى ، بين المجتمع والفرد بين الكلى والجزئى ، بين الضرورة والمصادفة ، يتم اللقاء وتتحقق الوحدة ، وتجرى أحداث الرواية كلها

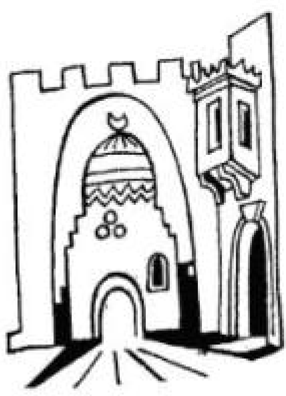
هذا الاحساس التاريخى العام ، هذا الاهتمام بالكليات البشرية ، بالخبرات البشرية الجوهرية ، يعطيها الطابع الكلاسيكى الرصين ، الا أن حركة الحياة ودماء التجربة الماثلة ، والاستشراف الدائم الى أمام والى فوق والى بعيد والى أرحب والى أفضل ، وما يتضمنه من تطور الفرد الأنانى الى احضان القيمة الاجتماعية العامة ، وتجسد القيمة الاجتماعية العامة ، فى السلك الفردى الخاص غير الانانى ، **كل هذا يضفى على الثلاثية حقيقة واقعية ثورية متجددة ..**

وفضلا عن هذا فانه يضفى على لغتها وعلى حوارها شخصية مزدوجة كذلك **من الرصانة التاريخية ذات الطابع الخارجى الكلى ، ومن الحيوية الفردية ذات الطابع الخاص والمذاق الباطنى**

* * *

وبهذه الثنائيات المتناصرة ، بهذا الصراع والتفاعل ينسج بناء «الثلاثية» . وبهذا فان افكارها وفلسفتها لا تنبع من احداثها ومواقف أشخاصها وحوارهم ومصائرهم فحسب ، وانما تنبع كذلك من هذا البناء نفسه ، من معمارها الفنى نفسه . وهذا مايعنينا أساسا فى هذه الدراسة . **ولكن ما احوج هذا الكلام العام الى تدليل واثبات ..**

ليكن هذا حديث المقال القادم



د. رسلان عبد الغني:

الاشتراكية الأندونيسية



سوكارنو

بعمل دكتور رسلان عبد الغني
وزير الاستعلامات الأندونيسية

لكي ندرس الاشتراكية ، لسنا في حاجة لان نذهب الى أبعد من القرية في بلادنا

الاشتراكية ليست فكرة عالمية اليوم فحسب ، انما هي أيضا نظام يجرى تطبيقه وممارسته في عدد من البلاد ، الاوربية والاسيوية على السواء. ولكن الاشتراكية «المنتشرة كل هذا الانتشار كفكرة يمكن ان يقال منها انها فكرة شاملة عالمية ، قد طورت» في التطبيق ، عددا كبيرا من اشكال التطبيق المتخصصة المحددة . وعلى الرغم من كثرة الانواع التي قد نستطيع ان نختار منها ، فان اندونيسيا لا يصلح لها أى شكل من اشكال التطبيق الاشتراكي الموجودة

ان الاشتراكية عندنا لهــا وجهها المثالي : الرخاء مع العدالة الاجتماعية. ولها ــ مع هــذا ــ وجهها العملي : مستوى المعيشة المرتفع بدون الهــزات الناتجة عن استغلال الانسان للانسان ، وبدون الصراع الطبقي الذى عانى الغرب منه

واحيانا تنتابنا الشكوك حول ما يجب أن تكون له الاسبقية ، ذلك لانه ليس من الممكن دائما أن نحصل على الاشياء التي نريدها كما نريد ، ونحن لا نستطيع دائما أن نتجنب مثل تلك الهزات

والاشتراكية ــ بهــذا المعنى ــ هي بالنسبة لنــا ضرورة لنمونا وتطورنا الوطني . وهي ضرورة تاريخيــة ، وضرورة سياسية واقتصادية واجتماعية. ومن هنا ، فلسنا نستطيع ان ناخذ نظريات الآخرين عن الاشتراكية ونعتبرها نظرياتنا ، مهما كانت امثال هــذه النظريات مفيدة في بلاد اخرى

ولكن بينما كانت الاشتراكية ضرورة للتنمية الوطنية ، كانت الحرية الوطنية مطلبا له الاولوية . ولكى نحصل على هذه الحرية الوطنية ، كان علينــا أن نقرر ما الذى نعنيه بهذه العبارة ، وكان علينا أيضا أن نحلل الظروف التي نحن فيها حتى نعرف الوسائل التي علينا أن نستخدمها للحصول على ما قــد عقدنا العزم على الحصول عليه

ومن هنا ، ففي خلال نضالنا من اجل الحرية الوطنية ، نظرنا الى العالم من حولنا للاسترشاد به واستلهامه

ان الفكرة الامريكية عن أن النــاس جميعا « **قــد خلقوا متساوين** » ولهم « **حقوق لا تغتصب** » ، وان الفــكرة الفــرنسية عن « **الحــرية والاخاء والمساواة** » ، وان الفكرة الشيوعية عن انه يبغى على جمــاهير الانسانية المستعبدة أن تهب ضد الاستعباد والقهر والاستغلال « **فليس لديهــا ما تخسره سوى قيودها** » .. ان كل هذه الافكار قد الهمتنا في نضالنا الوطني

ان روح الثورات الكبرى الامريكية والفرنسية والروسية ، اتت فوق اكتافنا والى مجرى هــذه الثورات الكبرى في تفكيرنا عن ثورتنا

ان كتــابات روبسبيير ، ودانتون ، ومارا ، وبابيف كان لها تاثير عظيم على زعماء وقادة ثورتنا الاندونيسية ، الذين دابوا على أن يقرأوا باسهاب وان يدرسوا بعمق كل التراث الثـورى منذ قامت الحركة الوطنية الحديثة في العقد الاول من هذا القرن

ولكننا ادركنا كذلك ان الحــرية الوطنية لا معنى لها بدون الحــرية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية

رفض الامس

فهذا القرن هو القــرن العشرون ، ونحن ــ كابنائه ــ نشارك في آماله . ولقد امتلكنا الحرية الوطنية قبل الآن ، فلقد كانت الحرية الوطنية حريتنا قبــل أن يأتي الهولنديون . ولقد كانت لدينا دول وطنية عظيمة ومجيدة في سرىواجايا وفي ماجاباهيت . ولكن بينمــا كنــا نحاول استرداد تلك الحرية الوطنية ،

فلم تكن لدينا أية أوهام من استحالة اعادة عقارب ساعة التاريخ الى الوراء : اننا لم نكن نريد ظروف الحياة الاجتماعية التى كانت موجودة حينذاك

لقد كان موقفنا شبيها بموقف جان جاك روسو والموسوعيين الذين ارادوا اعادة فرنسا العظمى ، ولكن بدون شارلمان ، وذلك على الرغم من ان امجاد زمن شارلمان كانت مبعث الهام ، على الرغم من ان روح ذلك العصر كانت تدعو الى العمل من أجل هذا

وهذا هو مايعنيه الرئيس سوكارنو بقوله « ان الثورة ترفض الامس » — ان الثورة ترفض الظروف الاجتماعية — الاقتصادية المرتبطة بالاقطاعية والسيطرة السياسية الاجنبية بالامس — وهذا فى الواقع هو الجانب السلبى فى الماضى ، ولكن هناك جانبا ايجابيا ، ذلك لاننا ننظر قدما الى رخاء الغد وعدله الاجتماعى . ثم هناك اليوم ، بين الامس والغد — واليوم زمن هام الى أقصى حد ، لان فى ايدينا ، اليوم ، التراث العظيم لسيراواجايا وماد جاپاهيت . لقد خلصنا أنفسنا من سيطرة الامس الاجنبية ، ومن ثمة فنحن فى خضم مرحلة تحول نشط من الامس السلبى الى غد ايجابى

وهذا هو السبب فى اننا ننظر الى ثورتنا كمزيج من ثورات عديدة يكون ثورة واحدة ، كثورة اجيال عديدة فى جيل واحد ، كما يقول رئيسنا سوكارنو

الاستعمار الهولندى

ولقد كان علينا ، ونحن نناضل من اجل الحرية الوطنية ان نواجه واقع موقفنا . لقد كنا نواجه الهولنديين ، ومن ثمة كان علينا ان نحلل استعمارهم

ان الهولنديين اشتهروا بأنهم أكثر المستعمرين استنارة بسبب نظامهم فى الحكم غير المباشر . وهذه هى الصورة التى قدم بها الهولنديون أنفسهم الينا

لكن المسألة كانت محاولة لتصوير الضرورة فى صورة الفضيلة ، ذلك لان نظام الحكم غير المباشر قد فرض عليهم نتيجة لظروف موضوعية لايد لهم فى صنعها

ان هولندا بلد لا تزيد مساحتها على ستين من مساحة اندونيسيا ، ولا يزيد تعداد سكانها ، حتى اليوم على عشر تعداد سكان الجزر الاندونيسية . وفى مثل هذه الظروف الموضوعية توجد مصادر الاختلافات فى الانماط الاستعمارية ، بحيث نستطيع أن نقارن النظام الذى استخدمه الهولنديون فى اندونيسيا بالنظام الذى استخدمه الفرنسيون فى الهند الصينية ، أو بالنظام الذى استخدمه الامريكيون فى الفلبين ، او الذى استخدمه البريطانيون فى الهند

وبسبب هذه العوامل الموضوعية ، لم يكن من المستطاع على الاطلاق أن تحكم مثل هذه القلة من الهولنديين بلدا بمثل ذلك الاتساع فى المساحة وبمثل تلك الكثرة فى السكان مثل بلدنا . بل ولم يكن لدى الوطن الهولندى من الموارد ما يكفل ، اقامة اقتصاد صناعى . ان طبيعة الاراضى الهولندية هى التى قررت وحكمت بأن يظل الهولنديون « تفوح من ملابسهم رائحة منتجات الالبان » الى الابد على حد تعبير الاندونيسيين . ولان الامر كان كذلك ، فانه عندما بدأت تجارتهم تنشط فى اطار الظروف الاندونيسية ، فان نتاجها لم يذهب الى مجال رأس المال الصناعى ، وانما ذهب الى مجال رأس المال المالى

***

وفى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كليهما — وهى فترة الثورة التجارية فى أوربا — كانت طبقتنا الوسطى الاندونيسية تستسلم لحلم يان بيترسون كون باقامة شركة هولندية لجزر الهند الشرقية تقوم بدور « التاجر الهائل » ، وتستورد الصينيين كوسطاء ، وتحطم الطبقة الوسطى الاندونيسية ، وتحول الاندونيسيين الى مجرد كادحين فى الارض ، وقاطعى احجار ، وسخرية للمنازل

وتلك كانت الظروف التى كان يجرى فى اطارها استنزاف ثرواتنا الطبيعية التى كان يأخذها الهولنديون خارج اندونيسيا ، ولا يأتون بشىء الى داخل اندونيسيا

وحتى يومنا هذا ، فاننا لانزال نلاحظ أن البيوت السابقة للهولنديين وقاعات مراكز الحكم الهولندى فى اندونيسيا

مكسوة بالرخام الاوربي ، وهو الشيء الوحيد الذي كانت تأتي به سفنهم

وعندما جاء القرن التاسع عشر ، فانه لم يأت معه فقط بالثورة الصناعية في أوربا ـ هذا هولندا التي لم تستطع ان تشترك في تلك الثورة ، وانما اتى معه أيضا بحلم فردينالد دليسيبس الذي احتال دزرائيلي عليه . وقد تحقق بذلك الحلم ، ولكن افتتاح قناةالسويس كان معناه فتح اراضينا النضرة امام الفائض المالي الهولندي الذي كان يبحث عن الارض الخصبة والعمل ذي الاجر الزهيد . ولضمان استمرار هذه الظروف المفيدة حرص الهولنديون على أن يبقوا شعبنا مقهورا تحت عبء مستوى معيشة منخفض ، وتحت عبء مستوى تعليمي منخفض ، الى درجة أنه حتى طبقتنا الوسطى الزراعية قد تحطمت ، وشجع الهولنديون دخول الصينيين كوسطاء في هذا القطاع من اقتصادنا كذلك

ومع هذا ، فلقد برهن الاستعمار الهولندي على انه ثعبان أصغر فهو يستطيع أن يبتلع كل ماوقع عليه نظره ، وذلك على الرغم من النشاطات التي اطلق عليها اسم « حصر موارد الدولة » والتي بدأت بحماس شديد في القرن التاسع عشر

ومن ثمة ، فبهذه الوسيلة او تلك ، تساقطت فتات من مائدة الرجل الغني ، وسقطت شمال كاليمنتان في يد البريطانيين التي كانوا قد استولوا على ملقا عندما كان رأس المالالاوربي يحاول فتح موانى الصين بمفتاح الافيون

البناء الوطني

تلك كانت الوقائع التي واجهناها عندما بدأنا نضالنا في القرن العشرين من اجل الحرية الوطنية كشرط سابق للبناء الوطني

ولكن كان السؤال : كيف نستطيع أن نحقق البناء الوطني ؟

ومرة أخرى ، واجهتنا وقائع معينة بدت واضحة وضوحا تاما في ارقام حصيلة ضريبة الدخل في ظل الحكم الاستعماري

ففي سنة ١٩٣٩ ، كان هناك ٢٥٠



جان جاك روسو .. كان موقفنا شبيها بموقفه ..

الف « أوربي » . وكان دخلهم الخاضع للضرائب يبلغ ٢٥٠،٧١٨،٩٥٢ فلورين . وكان ذلك يعادل نسبة ٣٥،٦ في المائة من اجمالي الدخل القومي المعروف ، اي ان متوسط نصيب كل فرد اوربي من الدخل القومي كان يبلغ ١٤٠٢ فلورين . وكان هناك نحو ١،٥٠٠،٠٠٠ صيني وآسيوي أجنبي . وكان دخلهم الخاضع للضرائب يبلغ ١٨٨،٠١٣،٢٥٩ فلورين أو ما يعادل ١٩،١ ٪ من اجمالي الدخل القومي ، اي ان متوسط دخل الفرد الواحد من السكان الصينيين أو الاسيويين الاجانب كان يبلغ ١٢٠ فلورين . اما بقية السكان ، وهم الاندونيسيون ، فقد كان عددهم يبلغ ٦٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة ، وكان دخلهم الخاضع للضرائب يبلغ ٤٤٦،٥٠٦،٣٤٣ فلورين ، أو ما يعادل ٤٥،٣ ٪ من اجمالي الدخل القومي . ولكن هذا كان يعني أن متوسط دخل الفرد الاندونيسي كان لا يزيد على ٧ فلورين

ولننظر الى هذه الحقائق بطريقةاخرى

ان السكان الاجانب ، الذين كانوا يشملون · لا الحكام الاستعماريين والمسيطرين على السياسة الاقتصادية فحسب ، وانما الطبقة الوسطى كذلك – ان هؤلاء السكان كانوا يمثلون اقل من ٢ ٪ من سكان اندونيسيا ، ولكنهم كانوا يملكون دخلا يمثل نحو ٥٥ ٪ من الدخل القومى

وقبل ذلك بسنوات قليلة ، اى فى سنة ١٩٣٤ ، كان مجموع رأس المال الخاضع لضريبة الدخل فى اندونيسيا يبلغ ٦٦٠ مليون فلورين . وكان الاوربيون يملكون ٣٦٧ مليون فلورين منه ، وكان الصينيون والاسيويون الاجانب الآخرون يملكون ٢٦١ مليون فلورين : بينما كان الاندونيسيون لايملكون سوى ٣٢ مليون فلورين

وبصرف النظر عن هذا التناقض الفاضح بين هذه الارقام وحدها ، فانه من المفيد أن نعرف انه فى سنة ١٩٣٤ أيضا ، كانت شركة الملاحة البحرية الهولندية « K.P.M » تملك ٣٨ مليون فلورين من مجموع رأس المال الخاضع لضريبة الدخل – اى ان شركة واحدة فقط كانت تملك رأس مال اكبر من رأس المال الذى كان يملكه الشعب الاندونيسى كله ! وفى هذا الوقت ذاته ، كان الصناعى الهندى ، تاتا ، يملك رأس مال يقدر بمبلغ ٧٢ مليون جيلدر – اى أكثر من ضعف ما كان يملكه ٦٠ مليون اندونيسى !

مبادىء اشتراكيتنا

ان من الواضح كل الوضوح ، بناء على الارقام السابقة ، أن البناء الوطنى بالنسبة لاندونيسيا لم يكن يتضمن فقط مجرد حلول مواطنينا محل الهولنديين على قمة هذا الهرم من الثروة ، وانما كان يتضمن بالضرورة اعادة النظر فى كل الوضع الاجتماعى – الاقتصادى للمجتمع ككل . أن عملية اعادة النظر هذه ونتائجها هى التى كانت الفكرة الاولى غير الواضحة عن الاشتراكية الاندونيسية

ولكن فكرة أكثر دقة عن مبادىء الاشتراكية الاندونيسية نمت وتطورت تدريجيا ، وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى. لقد درست **الاشتراكية الخيالية** كما درست **الاشتراكية العلمية** وجرت مناقشتهما . ولكن الوطنية والاسلام والشيوعية هى التى قدمت جميعها الافكار والمواقف والاتجاهات الاساسية لتلك الاشتراكية

والحقيقة التاريخية هى ان الوطنية والاسلام والشيوعية فى اندونيسيا لم تتصادم تصادما مباشرا ، لانها كانت جميعا معادية للاستعمار ، وكانت جميعا معادية للاستغلال ، وكانت لها جميعا جذورها فى الشعب . ولم تكن هناك طبقة وسطى اندونيسية تؤيد الاستعمار او الاستغلال ، وكانت وطنيتنا وطنية ثورية وليست مجرد تنازع بين السادة الاجانب

ولقد خرجت فكرة « **المارهين** » اى الرجل الصغير ، وهى فكرة الرئيس سوكارنو ، من الوضع الذى أوضحته فيما سلف . ان جميع فئات المجتمع الاندونيسى قد نهرت الى ادنى حد من قاعدة هرم النظام الاستعمارى . ان جميع الاندونيسيين أصبحوا « **الرجل الصغير** » ، أصبحوا « **مارهين** » . ان المجتمع الاندونيسى ليس منقسما بصراع طبقى ، لانه مجتمع لا توجد فيه سوى طبقة واحدة هى طبقة المارهين هذه

ان النضال ضد البريطانيين فى الهند كانت له جذوره فى الطبقة الوسطى – مثال ذلك أن رجل الصناعة القوى تاتا ، الذى اشرنا اليه فيما سبق ، كان من مؤيدى ذلك النضال ؛ ولكن جذور النضال ضد الاستعمار فى اندونيسيا لم يكن من المستطاع لها الا ان تكون فى الشعب

وفى أوربا الغربية ، توجد جذور الاشتراكية فى البروليتاريا ، فى الطبقة العاملة ، ولكن الطبقة العاملة الاندونيسية قليلة وضعيفة حتى فى يومنا هذا ، ذلك لانه لا تكاد توجد صناعات فى اندونيسيا

ومن ثمة فان الاحجار التى تستطيع

ان تبنى بهـــا اندونيسيا نفسها هى المراهين ، سواء أكانوا ملاحظى عمل ـ وهذه أهم فئة اجتمـاعية ـ ام كانوا عمالا ام صيادين أم بحارة ام صـغار تجار ام حرفيين ، ذلك لان جميع هؤلاء هم ضحايا الاستغلال الاستعمارى ، وهم جميعا قد ظلوا « صغارا » ، ولم يكن فى وسع احـــد منهم ان يتوســع بسبب الاحتكارات الهولندية ، وبسبب وجود طبقة وسطى اجنبية فوقهم

نظرية المراهين

ان ماركس وانجلز يقـولان انه اذا كانت البروليتاريا غير ناضـجة ، فـان ايديولوجيتها تكون هى ايضا غيرناضجة، وعندئذ ينبغى عليها أن تشـارك طبقات اخرى . وفى خلال الثورة الفرنسية ، كانت هناك محاولات بابيف للبحث عن الجذور . وفى خلال كوميون ١٨٧٠ كانت هناك ايضا مثل تلك المحـاولة . ومن ثمة ، فان البروليتاريا غير الناضجة فى فرنسا واجهت بورجوازيتها وكتب سان سيمون « المسيحية الجديدة » ، وكتب كابيه « المسيحية الحقـة » ، وكتب فليسيتيه دى لامنيه « كلمـات مؤمن »

وعكست هذه الكتابات تلك الايديولوجية غير الناضجة »

ومع هذا ، فلم تكن لدى البروليتاريا الاندونيسية بورجوازيتها التى عليها أن تواجهها ، عدا البورجوازية الاجنبية !

ومن ثمة ، فانه بـعدما طبق « بونج كارنو » مناهج التحليل التى زودته بها دراساته الماركسية وقراءاته لجان جوريز ، وارتفعت بهـا أحاسيسه الفنية ونظراته الدينية ، فانه أنتج نظرية المراهين . وتحولت الفكرة الماركسية القـائلة بان البروليتاريا هى الجزء القوى الدائم من المجتمع ، الى فكرة المراهين فى اندونيسيا بسبب وقائع الظروف الاندونيسية

المراهين والايديولوجيات

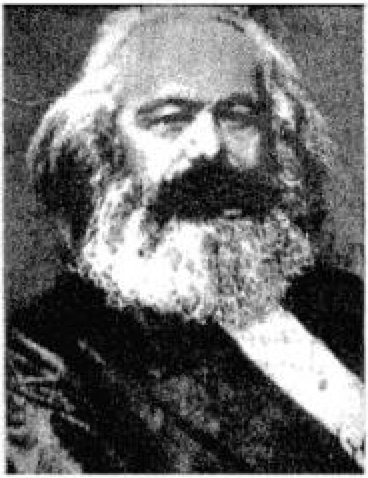
ومن هنـا اصبحت مشـكلة نضالنـا ضد الاستعمار مسألة كيف توحد هـذه الجمــاهير من المراهين الذين كانوا مقسمين ، لا جغرافيا وثقافيا فحسب ، وانما كانوا يواجهــون كذلك خطر أن ينقسموا نتيجة الايديولوجيات السياسية ـ وهى حقيقة سرعان ما اســتغلها الهولنديون



فردينانـد دى ليسبس .. وقنـاة السويس



دزرائيلى .. احتال على دى ليسبس .



ماركس .. ورأيه
فى البروليتاريا ..

لقد كان الهولنديون على استعداد تام لكى يجعلوا الوطنية تحارب الاسلام والشيوعية ، ذلك لانهم كانوا يخشون الوحدة الاسلامية كما كانوا يخشون الاممية الشيوعية

وكان الهولنديون على استعداد تام أيضا ليجعلوا الاسلام يحارب الوطنية والشيوعية وهما أيديولوجيتان لهما اتجاهات علمانية والحادية . ومع هذا ، فلم يكن الهولنديون على استعداد ليجعلوا الشيوعية تحارب اى شىء ، لانهم كانوا يرون فيها كفرا بالحضارة ، وعندما كانت الشيوعية تلهم الثورة ، فانهم كانوا يسرعون بالقضاء على الشيوعيين كما لو كانوا ميكروبات تحمل الاوبئة المعدية

وأيا كان الامر ، وكما أشرت فيما سلف ، فانه لم يكن هناك صدام مباشر بين هذه الايديولوجيات الثلاثة فى المجتمع الاندونيسى نفسه

ان أندونيسيا بلد محساط بقارتين ومحيطين ، وهو بلد هبت عليه ريح التاريخ منذ أقدم العصور

وكما يقول ليبور مندى ، فان أندونيسيا عالم فى ذاته « واقع بين عالمين » . وهو يقول ان العالمين هما الهند والصين ، وكلاهما عبرا أندونيسيا تاركين وراءهما آثارا امتصت اندونيسيا منها ما رغبت فى امتصاصه دون أن تتخلى عن سمتها الخاصة

وانه لمن الواضح والمؤكد ان اندونيسيا قد تقبلت البوذية كما تقبلت الهندوكية ، وذلك على الرغم من ان بوذا كان التمرد فى الهند ضد الهندوكية . وعندما جاء السراقنة (١) Saracens الى اندونيسيا ، تقبلت اندونيسيا عقيدتهم النشطة وانتشرت تلك العقيدة فى طول البلاد وعرضها

***

لقد تقبلت اندونيسيا كل هذا ، ولكن كل ما تقبلته امتزج واصبح شيئا اندونيسيا متميزا ، واصبح شعبنا خبيرا فى التركيب الوضوعى . وعندما جاء الاستعمار واحضر معه المسيحية فى ذيله ، كنا قادرين تماما على ان نميز بين الطيب والردىء ، وحتى يومنا هذا تزدهر الكنائس فى بلادنا . وعندما جاءت الشيوعية ، استطعنا ان نعترف بها وان نستخدم عبقرية ماركس استخداما طيبا بدون ان نفقد شخصيتنا

وربما كان من الحق أن نقول اننا فى خلال شغفنا بالتركيب الوضوعى ، وحيث لا تكون الأجزاء المختلفة طيبة دائما بذاتها ، قد أبدعنا « سيمفونية نشازات » ـ اذا جاز مثل هذا التعبير ، ولكنها سيمفونية اختفت فيها النشازات ، مثل طبقنا الوطنى المسمى « رودجاك » الذى هو عبارة عن خليط من التوابل الحريفة الحارقة والتوابل الخام الحادة والحلوى ، وله مذاق طيب . ومن ثمة ، فلم تكن هناك فى الواقع صعوبة كبيرة عندما واجهنا مشكلة كيف نوحد جماهير الماراهين

لقد قال ليليسبتيه دى لامينيه ذات مرة

(١) السراقنة هم الذين كانوا يسكنون صحراء الشام فى نهاية العصر اليونانى ـ الرومانى . وكذلك تطلق على المسلمين او العرب أيام الحرب الصليبية

في اجابه على سؤال كم مرة يموت الانسان ؟ : واحدة . وهذا كان شعارنا من أجل الحرية الوطنية . شعار الحرية او الموت . الحياة او الموت

ان مبادئنا الخمسة «البانتيماسيلا» الاندونيسيه هى الايمان بالله ، والايمان بالانسانيه ، والوطنية ، وسيادة الشعب ، والعدل الاجتماعى . ولقد كانت هذه المبادىء عاملا موحدا آخر ، لانها توجز جوهرا اعمق واصدق معتقدات الشعب على طول البلاد وعرضها . وانه



لينين .. والجانب القوى من المجتمع ..

لمن دواعى فخرنا اننا نضع بيان اعلان الاستقلال والبيان الشيوعى على السواء فى المرتبة الثانية بعد هذه المبادىء الخمسة ، وهى المبادىء التى تحدد أيضا السمات البارزة لأشتراكيتنا

ان اشتراكيتنا العميقة الجذور فى ارض القيم الحضارية والثقافية القديمة للشعب ــ كما نرى ذلك فى مسرحيات وايانج والاعمال الادبية القديمة الاخرى ــ هى امتزاج بين النظرة العلمية والنظرة الدينية . ان تحليل ماركس ــ انجلز ــ لينين من حتمية سقوط الرأسمالية هو نظرة علمية ، ونحن نجد انه يعطينا الاداة المناسبة لتحليل الموقف المتطور فى العالم من حولنا . ولكننا أمة متدينة ، ولذلك فان من الممكن أن نقول ان الاشتراكية الاندونيسية هى الماركسية زائد الله ــ انها اشتراكية علمية ودينية فى وقت واحد . انها اشتراكية عملية ومثالية فى وقت واحد

وعندما وصلت الثورة المسلحة الى نهايتها ، وفى سنة ١٩٥٥ ، فاننا واجهنا الحاجة الى أن نبدأ الاستعدادات من أجل بناء الأمة وبناء المجتمع . وعندئذ ــ بصفة خاصة ــ اصبحت الاشتراكية مسألة ملحة

لقد كانت هناك أسبابا موضوعية وذاتية تستدعى هذا الالحاح . فما أن اصبح من الواضح أن الاستقلال قد اصبح مأمونا ، حتى اصبح من الواضح ايضا انه لم يعد من الممكن أن نقدم لشعبنا الذى يعيش فى القرن العشرين مجرد استمرار لحياته الزراعية الراهنة . كما اصبح من الواضح ان التوسع فى المدن بدون تصنيع لا ينتج طبقة عاملة وانما ينتج فقراء من البروليتاريا الدنيا ، وهو ما يتناقض مع الاهداف التى ضحينا من اجلها بالكثير . وكانت هناك كذلك فوارق عدم المساواة التى كانت تستدعى تحقيق مستوى معيشة أعلى

ان رفع مستوى القطاع الزراعى لا يمكن تحقيقه الا بالنشاط الشديد فى تجديد الانتاج الزراعى عن طريق الميكنة ، وعن طريق نقل السكان من المناطق الكثيفة السكان الى المناطق القليلة السكان

وفى عالمنا المعاصر الحاضر ، من العبث ان نتحدث عن الاشتراكية بدون ان نتحدث عن تصنيع هذا القطاع الرئيسى من اقتصادنا ، مهما كانت التحسينات التى نحققها فى الحقل الزراعى

لابد من التصنيع

ان اندونيسيا غنيةبالموادالخام وربما كانت أغنى مما نعرف لان الكثير من ثرواتنا الطبيعية لم تمسح الى الحد الاقصى حتى الآن . ومع هذا ، فان

استغلال هذه الثروة يحتاج الى رأس مال ، ويحتاج الى المعرفة التكنولوجية، ويحتاج الى الخبرة والمهارة — ويحتاج أيضا الى وقت . ومن ثمة ، فاننا نحتاج الى نظام سياسى يلائم تطور هذه الحاجات . وهذا هو بالضبط ما كنا نحاول تحقيقه طوال السنوات الاخيرة

وبايجاز . لقد أقمنا بالفعل نظاما سياسيا يكفل درجة استقرار الحكم المطلوبة . ولقد مررنا بمرحلة من التخطيط والتوفيق ، وستستمر الجهود فى هذا السبيل لبعض الوقت فى المستقبل . اننا نقوم بتعبئة ما نسميه « **الموارد والقوى** » ونعنى به الشعب كله ، بالاضافة الى الكفاءات التكنيكية وعوامل الانتاج

وهناك نقطة جديرة بالاهتمام ينبغى التنويه بها بالنسبة لهذه « **القوى** » التى لا يمكن النظر اليها على أساس أنها تتكون من الفئات التقليدية من العمال الزراعيين وما أشبه . **لقد قال ماركس ان البروليتاريا هى اكثر الطبقات ثورية واكثر هذه الطبقات تجديدا لانها تعمل على الالات . وقال ان الزارعين يأتون بعد ذلك . ولكن الوضع فى اندونيسيا هو ان الزارعين لا يزالون الاغلبية العظمى ، وان العمال لا يزالون — كما اشرت فيما سلف — قليلين . وكذلك فان القوات المسلحة تقوم الآن بدور هام فى تلك « القوى » ، لانها ليست مجموعة عسكرية تقليدية تلعب دورا رجعيا ضد الثورة ، كما يصفها الاجانب غالبا على أساس مقارنتها بالقوات المسلحة التى تقوم بالانقلابات فى امريكا اللاتينية وفيتنام الجنوبية وفى مناطق اخرى**

دور القوات المسلحة

واذا كان ضباط القوات المسلحة الاندونيسية يأتون من بين طلبة الجامعة، فان الجنود يأتون من القرى ، من الزراعة وصيد الاسماك ، وهم يعرفون الآن كيف يشتغلون على الالات من احدث طراز — وهى ليست البنادق والمدافع فحسب ، وانما الدبابات والجرارات والمخارط والمسدادات ، والسفن والطائرات . وهذه القوات المسلحة هى التى تعمل الان فى الميدان المدنى ، حيث تقوم بما نسميه « **البعثات الفنية** » . انهم يمزجون فى عملهم بين دأب الفلاح وقدرته ، وثورية العامل ، ونظام الجيش — كل هذا من أجل الخدمة الوطنية ، ومن أجل بذل الجهد فى سبيل تحويل البلاد من النظام الاستعمارى الى النظام الاشتراكى

واذ انتهت مهمة القوات المسلحة فى اقرار الامن الداخلى وتحرير ايريان الغربية ، فلقد أصبحوا ثوريين عصريين حقيقيين يقومون بمهام عملية تماما . فمثلا ، هناك الآن بعض الوحدات من الجيش التى تقوم بزراعة ٥٠ فى المائة من اجمالى مانحتاج اليه من مواد غذائية . ان القوات المسلحة تلعب دورا تجديديا « اوربيا » فى المجتمع كما تلعب دورا ثوريا

نحن والمستقبل

والتاريخ — بالطبع — ليس مثل التقويم ، ولذا فليس فى استطاعة احد أن يتنبأ بالضبط بكيف سيتطور المستقبل بالنسبة لنا . اننا ندرك تمام الادراك أن هناك قوى كثيرة غير موائمة للتطور الذى نشهده . فلقد حوصرنا حتى الآن مرتين . حاصرتنا القوى الهولندية والاوربية التى ارادت أن تحمى النظام الذى اقامته لمصلحتها فى منطقتنا . والمرة الاولى كانت عندما بدأنا نضالنا فى سبيل البناء عام ١٩٤٥ . وكان علينا أن نحارب حينذاك بالسلاح وأن نستمر فى تلك الحرب حتى عام ١٩٥٠ . ثم كان علينا بعد ذلك أن نحارب التخريب والتمرد والاعمال الانقلابية حتى نعيش كدولة

وفي فترة أقرب الى وقتنا هذا من تلك الفترة الأولى ، وبينما كنا على وشك أن نبني نموذجا اجتماعيا واقتصاديا جديدا ، حوصرنا مرة أخرى ... وفي البداية جاء الحصار على شكل تمرد واسع النطاق في سومطرة وسيليبيز سولاويزى في عام ١٩٥٨ . وكان هذا التمرد يتلقى التأييد والعون من القواعد العسكرية للدول القديمة المقامة على الأرض الاسيوية التي تكتنفنا ، القائمة الآن في شكل المغامرة «الماليزية» للاستعمار البريطاني الجديد .

***

ومن المؤكد أن كل هذه الحروب والمناوشات ضد القوى التي حاصرتنا وتحاصرنا هي ضياع للطاقة ، وسيسعدنا كثيرا الا نحتاج للقيام بها . **اننا نحب ان نركز جهدنا في بناء اشتراكيتنا . وهذه - في رأينا - مهمة لا تستاهل ان نكرس لها كل وقتنا فحسب ، بل هي مهمة لا تتطلب ما هو اقل من ذلك ايضا**

وأيا كان الأمر ، فان مسيرة التاريخ لم تبين بعد أن المرونة والود بين الأمم التي تتعارض مصالحها ، قد أصبحت قيما مفروضة ميقة الجذور في البناء الحضاري كما هي مفروضة في كثير من الأفراد والجماعات

ان مسيرة التاريخ تبين - على العكس من ذلك - ان القسوة السالفة ، بل والعدوانية ، لم تختف بعد من مفردات لغتنا الدولية

وفيما يتعلق بنا ، فاننا ننشد اقامة العلاقات الانسانية الودية بين شعب ، ونرغب في تغذية العلاقات الودية بين الأمم . واننا مصرون اصرارا كاملا على أن نتمسك باستقلالنا ، وعلى أن نمارس كل الحريات التي يكفلها لنا هذا الاستقلال . ومن هنا ، فاننا على استعداد لان نواجه كل الجهود التي تبذل من أجل محاصرتنا ، بل ونحن على استعداد أن نذهب في ذلك الى حد الهجوم اذا اضطررنا الى ذلك

ان الحرية الوطنية - بالمعنى الواسع لهذه الكلمة - هي الشرط اللازم اولا لبناء الاشتراكية

طريق الجنة .. !

في احدى كليات الطب سأل الاستاذ أحد الطلاب قائلا :
- ما هو افضل طريق يوصلك الجنة ؟
فاجاب الطالب :
- يجب ان أموت
فسأله الاستاذ :
- هذا شيء معروف . ولكن ماذا ينبغي أن تفعل قبل أن تموت ؟ !
فقال الطالب :
- أن أمرض أولا .. ثم تتولى انت علاجي .. !

د. جمال حمدان:

التحدى.. والاستجابة

فلسطين والوحدة

◀ أو الصهيونية والعروبة ان شئت.. فثلاثتها مقابلات مترادفة وعناوين مختلفة لظاهرة واحدة تشكل حقيقة محورية في تاريخنا القومي المعاصر. « والتحدي والاستجابة » Challenge and Response هي خلاصة فلسفة برمتها كاملة وضعها المؤرخ البريطاني المشهور توينبي كمعادلة مركزة موجزة ليستقطب فيها التاريخ — كل التاريخ

وهي — هذه الفلسفة — لاتخرج في جوهرها من قانون الفعل ورد الفعل في الطبيعية او القوة والمقاومة في الميكانيكا فبعد رحلة الفية رائعة عبر تاريخ البشرية باسرها يستقطر المؤرخ الكبير كل روحها في هذه الفلسفة العملية الحاسمة المكثفة.

وهو اذا كان يطبقها بنجاح على تاريخ مصر من فجره الى وقتنا هذا فيمكننا نحن من جانبنا أن نتخذ منها مفتاحا الى كل وجودنا القومي والسياسي المعاصر سواء في اطاره المحلي او على الصعيد العربي فان تاريخنا الحديث ينحل في هيكله السياسي الى سلسلة من الضغوط والاخطار الخارجية، ومجموعة من الحركات المضادة والانتفاضات الداخلية.. ونحن نود في هذا المقال ان ننظر الى موقفنا السياسي الراهن من هذه الزاوية، فنحلل اولا التحديات والضغوط الاجنبية التي تعرض ويتعرض لها الكيان العربي، ثم نعرض لاستراتيجيتنا وتكتيكنا في الاستجابة لها والرد عليها.

التحدي الاول

ولاشك ان الاستعمار الاوربي الحديث

هو التحدى الاول الذى فرض على الوطن العربى منذ اوائل القرن التاسع عشر . وهو لم يكن فى اى معنى لقاء أكفاء ، فقد كان مواجهة بين حضارة اقطاعية وسيطة متحجرة او متكلسة وبين حضارة صناعية رأسمالية فوارة حطمة وكاسحة . كان باختصار ومن وجهة نظر القوة المادية لقاء بين « حضارة تعلم » و « حضارة لا تعلم » ، وليس الصراع بين الدول



مؤرخ الحضارات
ارنولد توينبى

والشعوب فى التحليل الاخير الا صراعا بين حضارات

وربما جاز لنا ان نقول مع شبنجلر وبلغته انه كان لقاء وارتطاما بين حضارة Culture ومدنية Civilization فهو فى تحليله لمورفولوجية التاريخ يفرق بين هذين المفهومين ، ويرى ان « الحضارة » قمة ، وحين تتدهور فانها تنحدر الى مجرد « مدنية » .

لذلك لم يكن غريبا ان تسقط المنطقة فى معظمها صريعة بالضربة القاضية — لهذا الاستعمار العالمى فى النهاية ، وفيما بين ١٨٣٠ ، ١٩١٢ كان الاستعمار قد غطى وجه العالم العربى من خليجه الى المحيط باستثناء جزيرة صحراوية هنا « الجزيرة العربية » ، وجزيرة جبلية هناك « اليمن » ، لم يبتلعهما فى الحقيقة الا فقرهما وانغلاقهما وعدم جاذبيتهما لمطامع الاستعمار فى ذلك الوقت

ولقد كان اول ما فعل الاستعمار ان مزق الوطن العربى الى دول منفصلة متعددة ليفتت وحدتها التاريخية وقوميتها الكامنة .. وكان معنى هذا التقسيم السياسى الانفصالى انه حول العرب — اذا استعرنا لغة الانثروبولوجيين — من « أسرة واسعة ممتدة » واحدة الى مجموعة من الاسرات « النووية » الضيقة : حول دوار العرب الكبير الى شتيت من البيوت المنفصلة ، وراح يقيم حولها الحوائط العالية ويحفر الخنادق العميقة الغائرة . وفى ظل هذا الاطار التمزيقى خضعت العروبة سياسيا لحركة طاردة مركزية Centri Fugal بعد ان ظلت قرونا تستقطب توجيها وتفاعلا ومشاعر وآمالا ، فى حركة مركزية جذابة Centripetal .. فكيف جاء رد الفعل العربى ؟

* * *

لا جدال فى ان الحواجز والسدود الاستعمارية التى اقيمت بين العرب لم تنجح فى أن تذيب او تصفى رابطة القومية الاصيلة والعميقة بينهم . ولكن العمل السياسى ، المقاومة التحريرية ، ما كان فى

استطاعتها أن تأخذ شكلا جماعيا موحدا ضد المستعمر أو أن تسير فى خطوط متقابلة أو حتى فى دوائر متماسة ، بل كان عليها أن تعمل كلا على حدة فى دولتها وان تمضى فى خطوط متوازية . وهذا على الرغم من أن أصداء المقاومة فى أى ركن من الوطن الكبير كانت ، كما لو بقانون طبيعى حتمى تتردد وتتجاوب فى بقية ارجائه . **ولكن المحصلة النهائية أن المقاومة العربية اتجهت بالضرورة والمنطق وجهة الاستقلال الوطنى لا الوحدة القومية** . وتلك هى النقطة الاساسية التى نود أن نضع تحتها اكثر من خط

وليس معنى هذا على الاطلاق ان الوطنية حلت محل القومية نهائيا ، او ان القومية لم تشهد تعبيرا عن نفسها فى تلك المرحلة .. فقد ظهرت اولى ارهاصات القومية العربية الحديثة فى سوريا قبل الحرب الكبرى الاولى كرد فعل لبطش الاستعمار التركى واضطهاده السافر الذى كشف القناع الزائف من هذا «الاستعمار الدينى» الخبيث . الا ان هذه الحركة القومية الجنينية المبكرة لم تلبث ان اجهضها وهى على وشك المخاض — الاستعمار الاوربى الذى ورث الاستعمار التركى . وعادت الوطنية وحيدة على مسرح العالم العربى او متسيدة ، حتى بدأت اخطار وتحديات من نوع جديد تبلورت بوجه خاص مع الحرب الكبرى الثانية

التحدى الجديد

فترة ما بين الحربين فترة تطور كبير لا فى كيان العالم العربى وحده ، ولا فى نوع الاخطار الخارجية التى تحدق به فقط . ولكن فى التركيب السياسى للمجتمع الدولى كذلك . ذلك أن العالم العربى كان قد امتص كثيرا من أسرار ودقائق الحضارة والتكنولوجيا الغربية وتمرس بكثير من أسلحة القوة ، فاشتد عوده وازدادت قدرته التحريرية والنضالية على مطاردة الاستعمار وحصاره وتشتيته . بينما من الناحية الاخرى كان الاستعمار قد استنزف قواه فى حروبه الراسمالية المتواترة وشاخ

ماديا ومعنويا . وفى نفس الوقت بدأ خطر جديد يتهدد العالم العربى فى صميمه : خطر الصهيونية العالمية التى تآمرت مع الاستعمار العالمى على اغتصاب « وطن قومى » لها مزعوم فى الارض المقدسة فى فلسطين وبذلك اجتمع الغدر والحقد معا فى حلف غير مقدس ضد عروبة فلسطين . فبدأت دولة الانتداب ووكالة العصابات بمخطط مشترك « لتهويدها » تمهيدا للامر الواقع البيت ؛ الى أن تمت المأساة فصولا بالنكبة فى ١٩٤٨ . وكما سلم الاستعمار التركى العاجز العالم العربى من قبل للاستعمار الاوربى الدخيل غنيمة باردة ،



سلم هذا بدوره فلسطين للاستعمار الصهيونى الطفيلى غيلة وغدرا

ويعنينا عند هذا الحد أن نقف عند المغزى التاريخى والسياسى لهذا التسليم: كيف يسلم « الاستعمار الكبير » لهذا « الاستعمار الصغير » ؟ كيف يتخلى « الاستعمار العتيد» للاستعمار الصهيونى « الشريد » ؟

والرد أن الاستعمار الاوربى كان يدرك أنه فى طريقه الى الاحتضار ، وانه — هو الذى كان مثال الاستعمار المتبد — كان يتحول سريعا ليلحق ركب « الاستعمار العتيق » وليأخذ مكانه فى متحف ما يسمى « بالامبراطوريات الحفرية Fossil Empires » الذى يضم بين ما يضم اسبانيا والبرتغال . وبالفعل كانت بريطانيا وفرنسا فى سبيلهما الى ان تصبح اسبانيا وبرتغال القرن العشرين ، وبدأ احساس بضرورة التهيير

مواقعهما .. وهكذا كان ..

فان الاستعمار الكبير رأى ان يجسد شبابه عن طريق تبنيه للاستعمار الصغير، يتستر خلفه ويتخذ منه « حصان طروادة» الجديد الذى يعود به الى الشرق الاوسط والعالم العربى من الباب الخلفى حين يضطر الى ان يخرج من الباب الامامى . لاسيما انه فى تلك المرحلة بدأت خطورة المنطقة واهميتها فى البترول تتكشف ، واصبح من الضرورى التشبث بالسيطرة عليه بكل وسيلة

من هنا بدأ الدور الجديد : يتحول الاستعمار العتيد الى « استعمار ضالع» والاستعمار الشريد الى « استعمار تابع » . وما نحسب ان هناك معادلة قاطعة تعبر عن الموقف اليوم بدقة اكثر

فان اسرائيل ولدت ابنا غير شرعى لبريطانيا ، ونمت لقيطا للولايات المتحدة وشبت ربيبا لفرنسا . هى بمعنى آخر — وبغير ما تجن على الحقيقة التاريخية أو خروج على الاسلوب العلمى البحت — اول طفل من « اطفال أنابيب الاختبار » فى عالم السياسة الدولية !

ومن الناحية الاخرى فانها من جانبها تقدم قاعدة عريضة آمنة ومضمونة للاستعمار الضالع فى المنطقة تعمل له فيها كدولة كاملة من « المرتزقة » . واذا كان هذا هو الدور الأصلى الذى رسم لاسرائيل ، فانه ينبغى ان نستدرك بسرعة لنقول ان الطفل — بأصله الشاذ — يأبى احيانا الا ان يلعب مع آبائه غير الشرعيين دور « الطفل المرعب **Enfant terrible** » فيسخر القوى الاستعمارية لحسابه هو .. وذلك بحملات التهديد والارهاب وكثيرا ما بحملات الابتزاز، ويصبح احيانا لنرى « حصان طروادة » يركب اصحابه بدل ان يركبه اصحابه !

من الوطنية الى القومية

ولقد ألفنا أن نصف او نصنف اسرائيل سياسيا على انها استعمار بشكل معين الكلمة ، واستعمار « سكنى » بالذات ، مثله فى ذلك كمثل الاستعمار الفرنسى للجزائر سابقا والاستعمار الاوربى لجنوب افريقيا حاليا . وانها لكذلك بالتأكيد ، ولكن هذا على خطورته البالغة يغفل حقيقة أشد خطرا وتهديدا . فالعالم العربى لم يتعرض او يخضع فى حياته الطويلة وتاريخه الحافل لخطر كالصهيونية : لا التتر من الشرق ، ولا الوندال من الغرب ، لا الصليبية فى العصور الوسطى ولا الاستعمار الاوربى فى العصر الحديث

حقا كان التتر وغيرهم غزوا وتخريبا ، ولكنه كان بدائيا بلا عقل . وحقا كان الاستعمار الصليبى والحديث متعصبا طغيانيا او ابتزازيا مصاصا . ولكن الاستعمار الصهيونى وحده غزو ابادة محكمة بل مطلقة ، ويسير بتخطيط خبيث وتصميم بقصد الاحلال لا مجرد الاحتلال : الاحلال الجنسى لا مجرد الاحتلال العسكرى

وما من زعيم صهيونى داخل اسرائيل او خارجها ، ابتداء من وايزمان حتى جولدمان ومن بن جوريون حتى اشكول الا واعلن على العالم نواياها التوسعية اولا ، وما من شاهد الا ويدل على ان هذا التوسع يفترض بل يحتم « تفريغ » المنطقة وتصفيتها من اصحابها الشرعيين الحاليين

ومثل هذا التفكير الدموى ليس بغريب على شريعة منحرفة او بالاحرى محرفة تحرض على الغزو والسبى والقتل والابادة، أو على طائفة وصل بها الحقد الحيوانى ان يقترح بعض منها مشروعا كاملا «لتعقيم ذكور جنس برمته كالجنس الجرمانى

وان ما قاله الرئيس عبد الناصر من **انئا ان لم نستأصل اسرائيل فسنجد الفلسطينيين جميعا يوما ما شعبا من اللاجئين صحيح كل الصحة وسيظل كذلك حتى تزول من صفحة الخريطة**

والخلاصة **ان المعركة بيننا وبين اسرائيل والصهيونية معركة «ابادية» تماما** ، وهى لا تهدف اساسا الى ان تحولنا الى شعوب من اللاجئين بقدر ما تهدف الى ان تحولنا

الى شعوب بائدة فى ذمة التاريخ وهياكل منقرضة فى متحف الانثروبولوجيا .

* * *

من هنا كان لابد لرد الفعل العربى ان يكون راديكاليا جذريا . حقا لقد قذفت الوطنية العربية بالاستعمار الاوربى الى البحر من كل معاقله وقلاعه ولم يبق له موطىء مزعزع يوشك أن ينهار بدوره . وحقا لقد تخطت الوطنية العربية التحرير السياسى الى التحرير الاجتماعى والبناء الاقتصادى والى خلق القوة الذاتيـــة القصوى التى تؤهلها لمواجهة العـــدو الصهيونى . وحقا كذلك لم يعد اللقاء بيننا وبين اسرائيل كما كان بيننا وبين أوربا لقاء بين حضارة تعلم وحضارة لاتعلم، وذلك بعد أن اصبح التحرر الوطنى مثلثا متساوى الاضلاع يبدأ من الاســتقلال السياسى عبر الاستقلال الاقتصادى ليمتد الى الاستقلال العلمى . وحقا ايضا تبددت خرافة اسرائيل واحة الاشتراكية وسط صحراء الاقطاع العربى وجزيرة التقـــدم العصرى فى بحر التخلف الرجعى الى آخر هذا اللغو الدعائى الصهيونى ، وذلك بعد ان طفرت الثورات الاشتراكية الفتيـــة الفوارة فى ارض العرب ..

ذلك كله حق وصحيح ، ولكن الوطنية وحدها لم تعد تكفى — لم تعد تـــكفى لاستئصال السرطان الجديد . **لقد فرض التحدى الجديد على الاستجابة العربيـــة ان تتخطى مرحلة الوطنية الى هـــدف القومية حتى تتجمع وتتوحد فى بناء صلب متماسك لحرب «الاسترداد». لقد اصبحت الوحدة العربية ضرورة بقائية !**

وليس صدفة بعد هذا أن ترتبط دعوة القومية العربية بضياع فلسطين ارتباطا جذريا أسيا ، وان تلتحم حركة الوحدة بحركة تحرير الوطن السليب ،وان تختلط معركة الوحدة بمعركة العودة . والعلاقة فى كل هذه الحالات علاقة عضوية ووظيفية، وعلاقة فاعل بمفعول به — ام نقول علاقة متضايف بمتضايف اليه ؟ وهل على غير أرض فلسطين ولدت القومية العربية الحديثة من جديد ؟

ان الانتهاء الذى لا مفر منه الآن هو ان **اضافة التحدى الصهيونى الجديد الى التحدى الاستعمارى السابق فرض على الاستجابة العربية ان تتقدم من مرحلة الحركة الوطنية التحريرية الى مرحلة القومية العربية الوحدوية . لقد أصبحت فلسطين بطريقة او باخرى هى « الجذر الجبرى للوحدة العربية .. »**

يبقى اخيرا سؤال لا بد أن يثار عند هذه النقطة . اذا كانت الاخطار الخارجية



من استعمار عالمى وصهيونية عالمية قد لعبت هذه الادوار فى تحريك الوطنية العربيـــة حينا والقومية العربية حينا آخر ، فهل هذا يعنى انها مجرد رد فعل او انعكاس مجرد ظاهرة مكتسبة او مفروضـــة من الخارج ؟

كلا بكل تأكيد ..

فالقومية العربية قائمة كامنة قبـــل الاستعمار والصهيونية ، لانها انبثاق داخلى أصيل وظاهرة موضوعية فى حد ذاتها . ولكن الخطر الخارجى كان دائما وسيظل عاملا شاحذا لكل قومية ، وكثيرا ما كان النار التى الهبت حركات الوحدة وسهرتها اما الوقود نفسه ، جسم الوقود ،وخامة

القومية وركائزها نمن صنع الطبيعة والتاريخ ، والقومية العربية لاتنقصها نقط مقوماتها الذاتية الاصيلة ، ولكن معوقاتها الخارجية هي التحدى المباشر الذى حفزها الى العمل الايجابى الفعال .

ولهذا فاننا ننتهى الى ان الخطر الخارجى لم يكن مولدا للقومية العربية ، وانما هو مكثف ليس الا . قد يكون الخطر الخارجى من استعمار وصهيونية هو اكبر عامل اختزال في تاريخ العرب السياسى الحديث ولكن جرثومة القومية والوحدة كامنة متاصلة في كل تاريخ العرب على امتداده

فلسطين والوحدة

على ارض فلسطين الطيبة بالذات اذن وفي تربتها الزكية ، نبتت جرثومة فكرة القومية العربية الحديثة ــ أو بالاحرى اعيد نبتها بعد ان كانت بادرتها الاولى قد وئدت على أيدى الاستعمار في ارض سوريا . وكان ذلك حين اكتشف الضباط المصريون الاحرار وسط الطلقات الفاسدة ومؤامرات الخيانة أن تحرير فلسطين الحقيقى انما يبدأ في تحرير مصر . وهم حين اكتشفوا هذا اعادوا اكتشاف شخصية مصر العربية واستظهروا « ان يمدوا بصرهم الى ماوراء سيناء » ، ومعها دخلت القومية العربية مرحلة المخاض من جديد ..

وكما كان خلق اسرائيل هو التحدى الاخير ، كانت ثورة يوليو في مصر العربية هي الاستجابة المباشرة . ومنذ ذلك الحين ارتبطت حركة استعادة فلسطين ومسيرة الوحدة العربية ارتباط الفعل برد الفعل والسبب بالنتيجة . ذلك امر ثابت الان تاريخيا ولا جدال فيه . ولكن الذى ليس ثابتا بعد وسيكشف عنه المستقبل وحده هو علاقة التفاعل بين طرفى هذه المعادلة: أعنى ايهما السبب وايهما النتيجة ، ايهما الهدف وايهما الوسيلة

وفي اعتقادنا انه منذ مؤتمر القمة العربي الاول قد حدث تطور هام في هذه العلاقة .. فمن الواضح منذ ثورة يوليو ان قيادة القومية العربية في مصر كانت تعمل بكل اصرار على تحقيق الوحدة العربية تجميعا لقوى العرب وتنمية لقواها الذاتية حتى تستطيع في ثقة تامة ان تواجه اسرائيل ــ والصهيونية العالمية والاستعمار العالمى خلفها ــ في معركة التصفية النهائية . كانت استراتيجيتنا بمعنى اخر هي « فلسطين عن طريق الوحدة » ، ولا شك ان هذا هو المنطق الطبيعى للاشياء والطريق السليم للحركة

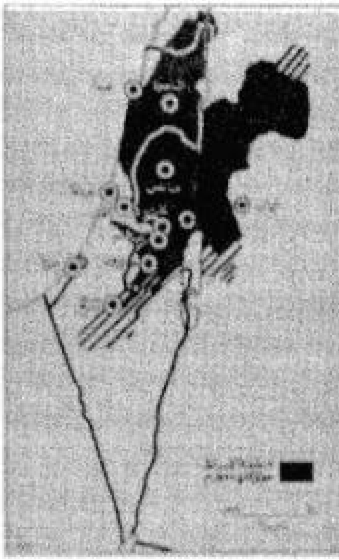
❋ ❋ ❋

ولكن طريق الوحدة لم يكن ــ من أسف ــ طريقا ممهدا بالورود ، فقد تجمعت على جانبيه وفي منعطفاته كل قوى الرجعية المحلية المتعفنة والانتهازيات السياسية والوصولية والعصبيات الاقليمية الضيقة ، جنبا الى جنب مع قوى الاستعمار المتربصة والحاقدة وبعد فترة من الصراع التاريخى اضطرب فيها المناخ السياسى في الوطن العربى وسادته احيانا « الرياح المعاكسة » والزوابع الاعصارية ، خرجت حركة القومية والوحدة العربية بوضوح

السوى في الرؤية ، واعادة تفكير في استراتيجيتها . ذلك أنه قد بدا جليا ان هذه المعوقات والعقبات التى فرضت على الحركة فرضا تهدد بأن تمتص طاقتها النضالية وان تستنزف قواها وان تبتعد بها في النهاية عن هدفها الاكبر وهو تحرير فلسطين المحتلة من الغزو الصهيونى الذى انتهز الفرصة وتقدم ليثبت اقدامه في النقب بتحويل مياه الاردن

وكان هذا ناقوس الخطر المباشر الذى اجتمع على تحذيره مؤتمرا القمة العربيان وبغير ما مساومة أو مهادنة على المبادىء التقدمية الكبرى أو تضحية بقضية القومية والوحدة العضوية ، اتخذت « وحدة العمل » أساسا لمواجهة الخطر الاسرائيلى Modus operandi

ويكاد يكون من المحقق الان أنه اذا



الخريطة الاولى

أمكن للقيادة القومية العربية أن تحقق نهاية اسرائيل تماما فى الجولة المنتظرة ، فستأتى الوحدة العربية فى أعقابها كاسحة محطمة لكل مبرراتها السابقة ، والمفتعلة وبأسرع مما قد يمكن أن نتصور . ساعتها ستنهار السدود والقيود الرجعية والحوائط « الصينية » الاسرية لا « بعوامل التعرية » البطيئة وانما بالفورانات « التكوينية » الفجائية .. **لقد تغيرت الان استراتيجية الموقف كله لتصبح « الوحدة عن طريق فلسطين » ..**

وان دل هذا على شيء فانما يدل على أنه لا تحقيق الوحدة ولا تحرير فلسطين بمجرد وسيلة تكتيكية الى الاخر أو مناورة ميدانية ظرفية . وانما هو يدل على أن كلا منهما هدف استراتيجى أصيل فى ذاته ، وأنهما فى النهاية جانبان لنفس الشيء .

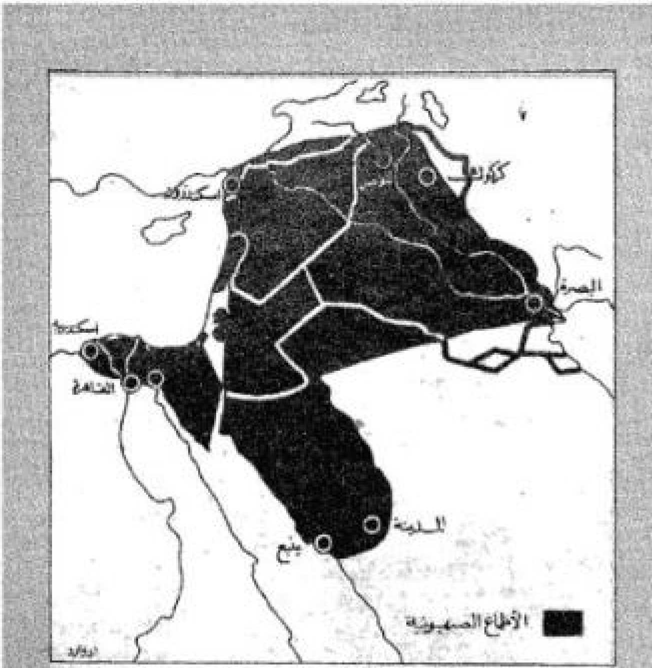
فلسطين والوحدة ليسا طريقين متوازيين ، بل ولا متقابلين ، وانما هما طريق دائرى . وايما قطب بدأت منه فانت واصل الى القطب الاخر . ان كل الطرق — بمعنى اخر — تؤدى الان الى تل أبيب ..

السؤال الان : أى شوط قطعته « وحدة العمل » فى الطريق الى فلسطين؟

لاشك أنه منذ مؤتمر القمة العربى الاول بعامة ، ومنذ المؤتمر الثانى بخاصة ، ولكن بالاخص منذ مؤتمر دول عدم الانحياز ، دخلت قضية فلسطين مرحلة جديدة تبشر بأن تكون علامة تحول تاريخية ومنعطفا حاسما فى طريق العروبة . ولاجدال أن هذا انتصار قمى فى المعركة السياسية ضد اسرائيل

وفى رأينا أن قرار ٥٧ دولة بالاجماع فى مؤتمر دول عدم الانحياز بحق العرب الكامل فى فلسطين هو بمثابة « وعد مضاد » لوعد بلفور ، بل قد لانغالى اذا قلنا أنه بمثابة سحب على المستوى الادبى للاعتراف بدولة اسرائيل

ولا جدال أن هذه ضربة قاصمة لامال الدولة الصهيونية واحكام للحصار السياسى والاقتصادى الذى نفرضه حولها . فليس سرا أن التسلل الاسرائيلى فى العالم الثالث كان يهدف الى تطويق العرب من الباب الخلفى فى افريقيا واسيا حتى يضعهم بين فكى كماشة من خلف ومن قدام — تماما بمثل ماكان يهدف الاستعمار الكاثوليكى البرتغالى فى عصر الكشوف الجغرافية . الا أن هذا لم يتحطم فقط وانما ستجد اسرائيل نفسها غريبة غير مرغوب فيها — وربما مطاردة — فى كثير من دول العالم النامى الذى بدأ يدرك أن اسرائيل اذا كانت سرطان العالم العربى فانها يمكن ان تكون جذام افريقيا .



الخريطة الثانية

ولهذا ، ولأن العمل العربى الحاسم قد بدأ على أعالى الاردن ومنابعه ، فنحن لاشك مقبلون على ملحمة جديدة وأخيرة فيما نأمل — مع الدخيل الصهيوني وصنعته .. أيام لها ما بعدها بغير جدال ولكن يمكننا من الآن أن نقول بثقة وايمان ان اسرائيل لن تزيد في النهاية على أن تكون « جملة اعتراضية » في تاريخ العالم العربى الحافل

جغرافية الحقد

ومن المفيد لنا عند هذا الحد ان نتعرف على نوايا العدو الخبيثة — بل المعلنة — حتى ندرك مدى الخطر الذى كان يبيت لنا . ولهذا فليدعنى القارىء أعرض عليه خريطتين صهيونيتين تملأن العالم او يملئونه بهما ضجيجاً . ولسنا بحاجة الى ان نقول ان الخريطتين لا تعتمدان على التخمين والخيال الصرف فحسب ، وانما على الاختلاق والتلفيق المحض . بل هما يبدآن طرازاً جديداً من الخرائط يمكن أن نسميه بلغة اليوم خرائط اللامعقول !

الخريطة الاولى تمثل منطقة انتشار القبائل العبرية « الاسباط » الاثنى عشر في فلسطين في القرن ١١ ق . م . وسيلاحظ أنها رقعة داخلية محدودة المساحة تقصر كثيرا جدا عن فلسطين الحديثة ولكنها تتمدد في بقع الى جاراتها

في الشمال والشرق . وتتعمد الصهيونية
بهذه الخريطة ان تلقي في روع الناظر
أن لها حقا تاريخيا في فلسطين . وليس
ههنا مجال لتفنيد هذه الدعوى المكذوبة
المنحرفة ، ولكنا نقول باختصار ان تاريخ
الاسرائيليين في فلسطين لم يتجاوز اربعة
قرون ثم انقطع بعدها عشرين قرنا .ولكن
أخطر من هذا نحن نقول ان « **اليهود
ليسوا من بني اسرائيل** » ، فلقد ذاب
اغلب بني اسرائيل التوراة الذين خرجوا
بعد سقوط اورشليم ، ذابوا في المهجر
والشتات Diaspora عبر الفي
سنة بقدر غير يسير من الاختلاط الجنسي
العلني وغير العلني واخطر من هذا
وذاك ان **الاغلبية الساحقة من اليهود
في العالم ليسوا الا اوربيين تهودوا
لا اسرائيليين « تأوربوا »** . وعلى هذا
**فلا علاقة لليهود بفلسطين ولاحق لهم في
اي شيء منها لا بالتاريخ ولا بالجنس ،
لا بالدين ولا باللغة** . فهذه الخريطة
الملفقة لاتعني اكثر مما تعني خريطة
تاريخية لوضع منطقة ممتلكات بريطانيا
في فرنسا في العصور الوسطى مثلا ،
او — مع الفارق — منطقة الدول العربية
في اسبانيا والاندلس مثلا اخر ..

***

اما الخريطة الثانية فهي خريطة
الكنيست المشهورة : انها حدود المستقبل
وارض اسرائيل Erets Israel
« اسرائيل الكبرى » — هكذا يسمونها —
التي تمتد من نهر مصر الى النهر الكبير
نهر الفرات » ! وهي خريطة يجب على
كل عربي ان يعرفها جيدا حتى يعرف
مايراد به وبأبنائه ، لانها وثيقة جغرافية
في الجشع والحقد الاسود والنوايا
الخبيثة تتضاءل بجانبها كل مارسمته
النازية من خرائط لاحلامها التوسعية
لدولة الرايخ الثالث ..

ويرى القارىء أن « المجال الحيوي »
Lebensraum الخرافي المزعوم يشمل

— **الشام برمته** » لماذا ؟ لانه كان
ارض القبائل الاثنتي عشرة . ونظرة
واحدة الى الخريطة السابقة وهي ايضا
من صنع الصهيونية تكذب هذا الادعاء
مباشرة

— **والعراق برمته** : لانه كان موطن
« الاسر البابلي » حين نقل يهود القدس
اسرى الى بابل « هكذا فقط ! » .
وسيلاحظ هنا أن حدود الحلم
الصهيوني الفزع لاتنتهي فعلا عند «النهر
الكبير نهر الفرات » ، ولكنها تتخطاه الى
نهر الدجلة بل وماشرق الدجلة !



— **ثم هناك الحجاز** — للعراية — بما
فيه الاراضي المقدسة الاسلامية في المدينة.
لماذا ؟ لان هذه — هكذا يبررون — «مدين
أخاهم شعيب » في الشمال وواحة
اليهود قبل الاسلام خيبر في الجنوب !

— **ثم أخيرا سيناء** أرض التيه اربعين
سنة ، ودلتا النيل ابتداء من أرض
جاشان « حظيرة اليهود Jewish Pale »
في وادي الطميلات ، حتى الاسكندرية
تقريبا حيث كان ثلث سكانها في يوم ما ايام
البطالمة من اليهود ! ومن الطريف أن
الجشع الصهيوني رأى هذه المرة ان
يترك لنا القاهرة ولم يدخلها في دائرة
أحلامه المريضة ..

— وبالمناسبة هل يعلم تركيا — لينها

تعلم – أن الخريطة تلتهم شريحة لا بأس بها من أرضها !

ولو أن هذه في الواقع هي ما اقتصبته تركيا من سوريا !

ونحن إذ نلهث بعد هذه الرحلة الجنونية حول « امبراطورية »اسرائيل الخيالية ، لا نملك الا ان نقول انه اذا كان من الخبل أن يطالب شخص بعد ٢٠٠٠ سنة بإرث من لم يكونوا ومن ليسوا أجداده اطلاقا ، فان الخبل كل الخبل ان هؤلاء الاخيرين لم يملكوا قط ذلك الارث وانما كانوا فيه اما ضيوفا غير مرغوبين او أسرى مستعبدين !

وإذا كان الرئيس عبد الناصر قد لخص ببلاغة خلق الاستعمار لاسرائيل الصغرى في أن « من لا يملك قد أعطى من لا يستحق » ، فاننا يمكن ان نلخص حلم اسرائيل الكبرى في أن من لا يستحق يطالب بإرث من لم يملك !

ولو أن يهود أوربا طالبوا اليوم بدولة لهم تضم كل وسط أوربا وشرقيها ، لكان منطقهم في ذلك اقل خبلا وجنونا من حلم اسرائيل الكبرى – ليس فقط لان نسبتهم العددية هناك اقل انسحاقا ، ولا لان تاريخهم بها اقل ضآلة وقصرا ، وانما أساسا لأنهم جنسيا جزء لا يتجزأ من أبناء المنطقة ومن نسله الباشريمكس اليهود بالنسبة للشرق الاوسط تماما .. بل لو أن الاربعة مليون يهوديا الذين يقيمون اليوم في الولايات المتحدة مثلا طالبوا بها – وبأسرها – كدولة لهم لظل هذا على ماليه من سفه أكثر منطقية ومعقولية من ادعاءات الصهيونية في اسرائيل الكبرى – بل الصغرى ...

●●●

وحتى ندرك مدى خطورة هذه الاطماع التوسعية الصهيونية ، قد يحسن أن نعبر عنها بصيغة رقمية . هي من حيث المساحة تصل الى نحو ١٫٢٠٠٫٠٠٠ كم٢ أو نحو ١٠٪ تقريبا من مساحة الوطن العربي البالغة نحو ١١٫٢ مليون كم ٢ .

وهذا يعادل في نفس الوقت ٦٠ مرة قدر مساحة فلسطين المحتلة والتي لا تزيد من مساحة الدلتا في مصر !

وسيرى القارىء أن هذه الرقعة التي تحتل قلب الوطن العربي ورأسه وتؤلف « هلالا صهيونيا » تشمل الهلال الخصيب برمته ، ثم تثنيه بهلال آخر يمتد من دلتا النيل الى بادية الشام . وهذا الهلال الصهيوني لا يحتكر أخصب أجزاء الوطن العربي فحسب ، وانما يحتل أيضا أخطر مواقعه ومميزاته البرية والمائية حيث يشرف على البحار الثلاثة المتوسط والاحمر والخليج العربي

أما سكانا فان هذه الرقعة وان كانت تغطي ١٠٪ من مساحة الوطن العربي ، فانها لغناها وخصبها تضم على الاقل ٣٠ مليونا أي ثلث العرب البالغين ٩٠ مليونا . وهنا على الفور ندرك لماذا تلح الصهيونية الى ان تستوعب دولتهم كل يهود العالم وعددهم ١٦ مليونا . ثم ندرك بعدها مباشرة كيف أن هذا كما أعلنت الصهيونية فعلا لا يمكن ان يحدث بالامتصاص السكاني وانما بالابادة والاحلال – على احسن تقدير بالابادة « التصفية »

الامر كله يبدو خبالا سخيفا او مثيرا للسخرية وان كان أيضا مزعجا !

نعم .. ولكن هذا تخطيط بعيد المدى طويل المدة ، وقد تعلمنا جيدا ان استراتيجية الصهيونية وتكتيكها معا أن تتوسع « بالتقاسي » ، بالتدريج الوئيد الذي لا يروع لتوه ولكنه يحقق نفس المجموع في النهاية

ولقد تكون اسرائيل مجرد قزم تميء مصاب في أطماعه ودعايته بداء الفيل ، ولكننا مع ذلك لا نملك ترف الاستهتار والاستهزاء . **وانما علينا ان نحارب بنفس السلاح : علينا ان نجابه خطط الابادة التصفية بالابادة الشاملة الكلية ، ومشروعات التوسع بعمليات السحق المطلق . واذا كانت اسرائيل تجند كل قوى الحقد التي تملك ، فلا بد واجبنا ان نعبيء ونجيش بالوعي والفهم والتصميم الحديدي كل طاقات الحق والقوة فينا وحولنا**



منهما واتيح له أن يسمع النجوى الساذجة بين بناته الصغيرات ورجل ريفي طيب • افترس الرمد بصره في صباه فلم يترك للشيخوخة بقية • ولذلك فهو لا يخرج بالليل الا اذا كان برفقة أحد

كانت « منى » تحكى و «نوال» تقهقه •• وهو يضحك ، ليذكى فى نفوسهما المسرات

وظل أبوهما يراقب الموقف حتى غاب الثلاثة فى الباب •• خلال شجيرات للزينة تحمل أزهار فصل الربيع • ثم دخل وكأنه لم ير شيئا • لكن لفحة من الاسى خالطت قلبه فى هذا اليوم • لفحة ••• كأنما هبت عليه من تنور قريب • مع أن هذا الاب واثق من أنه صنع كل ما يمكن عمله ••• نحو عم ضيف الذى يقيم معه فى البيت كحارس وهو لا يكاد يحرس نفسه • بيت بطابق واحد ومن أربع حجرات حولها حديقة بدائية • من الممكن أن يحرسها كلب ••

وعم ضيف ثقيل السمع ثقيل الفهم ضعيف البصر ، وهو لفرط طوله يجر خطاه اذا مشى حتى تسمع صوت احتكاك نعله بالارض

أما الاب والد هاتين البنيتين فهو فى سن الاربعين • يشغل وظيفة فى وزارة الشئون • نقل اليها أخيرا بعد أن طاف بالريف بضع سنوات كأخصائى اجتماعى فى عدة قرى وعدة مراكز • وفى كل مكان نزل فيه وأقام ••• شيعته قبل رحيله دموع الحب ، فهو بطبيعته يحب السلام • وكان أميز ما فيه سرعة اطفائه للخصومات بين العائلات فى القرى حتى أطلقوا عليه « **حلال المشاكل** »

وها هو ذا قد استقر به المقام فى هذا المسكن الوادع

ومنذ خمس سنوات سافر الى قريته فقابله عم ضيف هذا وهو من أهاليها •• سلم عليه وانحنى بعوده الطويل يكاد يقبل يده • فارتاع الاب ••• انه لا يحب هذا النوع من الاحترام •• وهو كأخصائى اجتماعى يحارب الذل باسم التقدير • فهتف بعم ضيف صارخا :

ـ لا لا يا عم ضيف •• احك مشكلتك ولا داعى لما ستعمل ••

واتخذ جانبا من الطريق

تمم



تحت شجرة « سنط » فرشت الارض تحتها ببساط أصفر لما اسقطته من أزهار. كانت رائحتها مع رائحة الارض المروية تملأ أنف الاب . على حين رفع عم ضيف رأسه فبرقت دموع فى عينيه المرمودتين .. الخاليتين تماما من الاهداب . وبلع الرجل ريقه وقال :

ـ ماتت .. ماتت .. و .. أصبحت وحيدا ... وحيـ يـ يدا.. ياااأستاذ

وشرق بدموعه ومسحها بكمه . ورفع الاب جاهدا ذراعه حتى أدرك كتفه وربت عليه قائلا له دون تفكير سابق :

ـ ستسافر معى الى مصر ...

وفى الليلة الاولى التى باتها عم ضيف فى مسكن الاب فى المعادى لم تذق عيناه النوم ... عينا عم ضيف وعينا الاب ..

كان الرجل العجوز فى حجرة قرب الباب بها سرير من الخشب وتظلل سقفها سوابق شجرة عنب

كان يتذكر ماضيه ..

هناك فى قرية صاحب هذا المسكن الحنون القلب . حيث ظل خاملا طول حياته . فمرة سائقا للانفار فى أرض الوسية . ومرة مناديا على المسافرين فى ساحة الاتوبيسات .. ومرة تاجر دجاج وكانت اخرعهده بالتجارة بأنواعها

كلها حين تبين له ذات يوم أن كل قروية مرض دجاجهـــا بالكوليرا باعته له .. سحنته تحمل الطيبة والتقوى والغفلة والرضا بالقليل

لكن زوجته « سكينة » كانت على النقيض . تحول الصفر الى عدد بطريقة لا تعقد فيها . تتاجر فى الفاكهة والبيض والطيور دون رأس مال . وسيط ماهر باهر الجمال فهى كقروية كانت تعـد نموذجا حيا للجسم العــامل . الجسم غير المترف . وعندماكانت الشمس تلمس بشرتها كان وجهها يتوهج بحمرة ساحرة .. حية.. مثل حمرة أزهار الرمان

نعم ..

كانت هذه الافكار تتوارد على رأس عم ضـيف « تحت » وعلى رأس « الاب » فوق ..

وفى اللحظة التى مرقت دمعة من عين عم ضيف على الوســادة حزنا على المــاضى وخوفا من المستقبل . انبعثت تنهيدة عميقة من صدر الاب فقد ذكر صبيا .. ذكر غلاما .. كان فى قريتـــه ووقعت له حادثة لعل لها علاقـة بحياة عم ضيف . وكان الاسى فى هذه اللحظة تفوح رائحتـه فى غرفـــة الاب مع أريج بعض الازهار التى سقيت عصرا وأخذت تتنفس فى الليل عطرا وأسرارا

ونام الاب على أفكاره . اخر شيء تدبره هو تلك الحادثة . ومع اخر ما تدبره كانت ضحكة من منى أو نوال تسرى فى سـكون البيت . لكنه رأى فى منامهشيئا غريبا . قام بعده فرأى الشمس تتسلل على ذوائب الشجر . ثم جرع كوبا من الماء

ونظر الاب فى الساعة ..

كان اليوم جمعة وهو نائم فى حجرة وحده .. كان الوقت لايزال مبكرا فعاد واستلقى فى الفراش وأغمض جفنيه .. هل لذ له ان يستعيد الرؤيا .. وان يعــود المنام .. لقد كان شيئا غريبـــا بالنسبة اليه .. فقـــد رأى فى أحلامه فترة هامة من حيـــاة عم ضيف . كانت بالنســـبة له ولزوجتــه التى لم تنجب كارثة اليمة ..

فذات يوم كان هذا الرجـــل الهادىء الطبع يمشى وراء أنفار تجمع القطن عند احدى «الوسيات» وقبيل ساعة الظهر والشـــهر ســبتمبر والجو ملء بالرطوبة ضاعت أنفـــاس الاولاد .. وعلى الخصوص ولد فى حدود السابعة من العمر يزاول عمله ربما للمرة الاولى . كان يتأخر فيساعده عم ضيف حتى يلحق بزملائه لكن لا تلبث فترة أن تمر حتى يعود فيصبح فى اخر الصفوف ..

وثار عم ضيف ورمي الولد بحصاة فى حجم الليمونة أصابت أذنه فمات فى الحال ..

***

عادت هذه الحادثة الى الاب فى المنام ثم استمرت تفاصيلها ...

نعم ضيف يحكم عليه بسنة حبسا لهذا القتل الخطأ . وسكينة



زوجته تصبح وحيدة فى دار عند نهاية المبانى . بها ساحة خراب تسع مقبرة القرية على حد تعبير بعض الفلاحين . والباقى ... حجرات شتوية تبعث الخوف فى نفس الوحيد

ولم تستطع « سكينة » منذ الليلة الاولى أن تنام وحدها .. وكانت ذات صلة بأسرة متوسطة الحال . صلة عميقة حتى كأنها أم لبنيهم جميعا . ولم يكن بين أفراد هذه الاسرة صغير الا غلام واحد .. كان اخر العنقود . ساكن وادع كأنه أرنب . لا حس ولا ضجيج ولا احتجاج . بل .. قد طالما احتجت أمه عليه لانها لم تسمعه مرة يحتج على شيء . فى الثالثة عشرة من العمر ... كان جالسا مع سكينة وامه والاولى تبكى حظها ووحدتها . وخوفها من الليل . وفجاة وبلا مقدمات سمع الغلام أمه الشرسة تهتف به :

- قم

قالت سكينة

- الى أين ؟!

- ليتام معك . انه ولد صغير ان رائحة الصبيان فى الدورقرية من رائحة الرجال . لن تشعرى بالخوف !!

واستطرد الحلم :

وخرج الغلام مع سكينة ... كانت ليلة باردة . لعلها فى نوفمبر والسماء بلا قمر . وصوت قطار بضاعة يكركب فى السكون على خط السكة الحديد البعيد

كان كفه فى كفها . شعر أنه منساق الى عالم غيبى .وليس

هو دار « سكينة » التى دخلهـا بالليل والنهار ألف مرة ليسأل عن ملابسهم المغسولة عندها أو يطلب اليها عملا باذن أمه · ولم تكن هي تتكلم · كان الحزن يأخذ عليها مسالك الفكر والكلام ·حتى وصلا الى الدار · وعندما دخلا الى الساحة الكبيرة أحس أن جسـم المرأة يرتعش · أحس حقيقة بأنها أرض معدة لبناء مقابر تنقصهـا شواهد الموتى

وقطقطت أوزات في أحــد الاركان لم تأبه لها صاحبتهـا ، واتجهت فورا الى القاعة وفتحتها ودخل وراءها الصبي ··· فامتلأ أنفه برائحة دفء الفرن وسـمن مقدوح وفطير في سلة ··

واستطرد الحلم :

فسكينة تبسط حشية قديمة على الارض · وتدير مفتاح مصباح الجـاز ليخفت نوره · وتخلع الملابس السوداء لتنام بجلبـاب اخر ممزق في عدة نواح ، والصبي راقد جنب الحائط ووجهه اليـه وهي الى الناحيـة الاخرى ··· ظلت تبكي وتتنهــد حتى نام الغلام فلم يعد يسمع شيئا

واستطرد الحلم :

فاذا بسكينة بعد اسـتقرار الحال على هذا المنوال عدة شـهور تأخذ الغلام في حضنها ويستيقظ على قبلاتها التى تكتم أنفاسـه · ويستسلم بلا كلام واذا به بمرور الليالى وملازمته الصمت يشـعر في مرقده جنبها بالشيء الغريب الذى كان خياله يسأل عنه عندما كان يرى باب حجرة في اى دار يقفل على رجل وامرأة

ومنذ هذه الحادثة كان ينظر اليها



في النهار وهي في دارهم نظرة من « يملك » ولا يستطيع أن يبوح ويشعر عند غيابها بحزن كانت ترجمته ذبولا وشرودا وزيادة في الانطواء

ولما خرج زوجها من السجن عاد الغلام الى دار أبيه · لكن منظر عم ضيف كان يثير في نفسه أحاسيس شريرة · حتى ربض له ذات ليلة في الظـلام ورماه بحجر فصرخ

الرجل وهرول يجرى • ولم يعرف الجانى

واستيقظ الاب من النوم على صرخة الرجل • وتلفت حوله وتنفس الصعداء • انه مجرد حلم انه فى المعادى ، وعم ضيف تحت فى الحجرة السفلية ، وشرب جرعة الماء ، ونظر فى الساعة • كان اليوم يوم جمعة فاطل من نافذته ونادى على عم ضيف • وصعد الرجل اليه ••

كانت عيناهاالضعيفتان تقولان : نعم ••• أى خدمة

ولم يجد الاب ما يقوله فساله عن احواله • ونظر الى جبين عم ضيف فاذا باثر الحجر واضح كأنه بقعة كبيرة غير محددة الشكل ••

ولم يكن الجانى عليه فى الظلام والذى رماه بالحجر سوى الاب عندما كان غلاما !!

وعندما قابله عم ضيف فى القرية وشكا له موت زوجته شعر بالذنب مرتين من اجل هذا الحلم ليكفل له أيامه الباقية

***

وفى اليوم التالى كانت منى ونوال تهبطان السلم الواطىء جريا نحو حجرة عم ضيف باذن من الاب والفرح يطير بهما• واحداهما تحمل له ملابس الشتاء والاخرى تحمل له علبة من الدواء





فيجارو » فى مسرحية حلاق اشبيلية

حلاق أشبيلية

عبدالرحمن صدق:

ومزين بغداد

◀ من اشهر الشخصيات في عالم الادب الاوربي ، شخصية « فيجارو » حلاق اشبيلية . و « فيجارو » نموذج من النماذج البشرية ، أبدعه المؤلف المسرحي الفرنسي « بومارشيه Beaumarchais » في ثلاثية درامية ، وضع الدراما الاولى والثانية منها قبيل الثورة الفرنسية وهما « حلاق اشبيليه » و « زواج فيجارو » .
أما الدراما الثالثة « الام الاثيمة » فكان تأليفها في اعقاب الثورة . ولقد كانت هذه الثلاثية الدرامية من الحوافز القوية للدعاية والتهيئة للثورة الفرنسية ، فهي قد اقامت « فيجارو » ابن الشعب مثالا على التفوق في الذكاء على الرغم من سفول طبقته الاجتماعية ، فتراه من أجل ذلك مهتاج النفس ، متفزز الاعصاب مضطرب الخاطر ، مشغول البال من ناحية هوان الطبقة التى يشغلها في المجتمع . وقد بلغ ذلك في ـ الدراما الاولى الى حد أن اجترا على سيده الكونت « ألمافيفا Almaviva » ذات مرة حين عاب عليه بعض مساوله اثناء خدمته ، فقال معقبا « بمناسبة الفضائل المطلوب توافرها في الخادم ، هل يعرف صاحب السعادة كثيرا من السادة توافرت فيهم الفضائل التى تجعلهم جديرين بان يكونوا خدما ؟! » .

وكذلك كانت تثور ثائرته ـ في الدراما الثانية ـ على امتيازات الاشراف ، فيقول للكونت : « امن أجل انك سيد كبير ، تخال انك عبقرى كبير كذلك ! الجاه والمال والرتب السنية والمناصب العلية ، كل هذا يجعلك شامخ الانف متعاليا ! ماذا فعلت لتستحق كل هذه الامتيازات اعناء

بومارشيه



واحدا تكلفته ، هو عناء ان تولد ، هـذا كل ما تكلفته ولا شيء غيره »

ومن قبيل ذلك احتجاجه الساخر على الخروج على العدل والعقـل فى توزيع الوظائف فى ذلك العهد ، اذ يقول :« لقد ذكرونى بالذات للتعيين فى منصب بالذات ولكنى للأسف كنت صالحا له . فالمنصب محاسب ، ومن ثمة كان من نصيب الراقص»

ولما كان المقام لا يتسع هنا للكلام من « فيجارو » فى الدرامات الثـلاث ، لان « فيجارو » فيها لا يشبه نفسه فى كل شيء ، وهو من اجل ذلك ليس واحـدا بل ثلاثة من حيث تطور الشخصية وجو المسرحية ، فاننا سنختار منها « فيجارو» الذى يعنينا هنا بوبدخل فى موضوعنا وهو « حلاق اشبيليه » . وعنده — اذن — سيكون وقوفنا ، وعليه نقصر حديثنا

* * *

ولكى نبدأ من البداية ننقل للقارىء من مسرحية « حلاق اشبيليه » التى اخرجها لنا مؤلفها « بومارشيه » فى عام ١٧٧٥ هذا التعريف ببطلها « فيجارو » وماكان من شأنه فى اول امره

كان فيجارو يعمـل فى خدمة الكونت المافيفا ، ولكن هذا الخادم كان — على ضعة أصله — يتطلع دائما الى تحسين حاله والنهوض بمستواه ، فالتمس من سيده الوساطة له للخدمة فى اية مهنة صغرى بالحكومة ، فكان للتوصية فعلها السحرى ، ومن الخادم « فيجارو » مساعد صيدلى للخيل فى اسطبلات الجيش ، فاستغل هذه الفرصة لكى يبيع للمرضى من الناس ما يقع تحت يده من أدوية الدواب ابتغاء الكسب ، فلما ترتب على ذلك فصله من الخدمة ، زعم أن فصـله كان بدافع الحسد ممن حوله ، فقد ابلغوا الوزير انه ينظم الشعر فى الغـزل والتشبيب ، وانه يرسل للصحف أحاجى « فوازير » منظومة يتسابق القراء على حلها ويثير خواطرهم استخراج سرها ، فرأى سيادة الوزير ان الاشتغال بالادب لا يتفق مع روح العمل ، فأصدر الامر باقصائه من الخدمة . وعلى هذا فهو يعتزم منذ عودته الى مدريد ان يجرب من جديد ملكاته الادبية ، وفى اعتقـاده ان المسرح بمنزلة ميدان الشرف بين سائر ميادين الادب ، وقد سبقت له جولات فى هذا الميدان

ولقد اظهر القص الذى يجلس فيـه النقاد نحـوه أطيب الاستعداد ، ولكن كانت هنالك مؤامرة مبيتة على الناوأة . وهذا هو السر فى لقائنا « فيجارو » فى الدراما الاولى وقد نزح من العاصـمة الاسبانية مدريد الى اشبيلية ، حيث يعمل حـلاقا عند الدكتور « بارتلو » العجوز

وهذا التعريف كاف للدلالة على ان « فيجارو » هـو فى الواقع لسان حال المؤلف المسرحى نفسـه ، فعلى هـذا النحو من الحياة كانت سيرة حياته . فقد كان مؤلفنا بومارشيه واسمه الحقيقى « بيير كارون Pierre Caron » يزاول صناعة اصلاح الساعات ، وهى صـناعة اخذها من أبيه الذى كان ساعاتى القصر الملكى . ولكن الشاب كان متوقد الذهن طموحا ، فأبى عليه همتـه الا ان يطلب على الدوام العلو على طبقته والبلوغ الى اختراع ساعات صغار الحجم رقاق الجرم الى أبعد غاية ، وبادر الى « مدام دى بومبادور » عشيقة الملك لويس الخامس عشر فقدم اليها ساعة بلغت من الصغر ان قامت مقـام الفص للخـاتم . وسرعان ما انفتح له السـبيل الى دخول القصر متعهدا للتوريدات

ولم يلبث هنا ان حظى عند بنات الملك لما أظهره من القريحة الموسيقية ، فوكل اليه اعطاؤهن دروسا فى العـزف الوترى المعروف بـ « الجنك adxoH » ، مع تنظيم حفلات موسيقية لهن

كذلك لم يفته ان يتزوج بامرأة تمت الى الطبقة الصغرى من النبلاء ، وكانت لها ضيعة تعـرف بضيعة « بومارشيه

«Beaumarchais» الذى اتخذه اسما لقبا وما يزال حتى اليوم لقبه الذى خلده ادبه

ولما كانت الوظائف الحكومية وقتئذ تباع ، فقد اشترى لنفسه وظيفة ملاحظ فى القصر الملكى ، ثم كان من حظوته فى القصر وتوصيات الاميرات فى شأنه ، ان اشركه أحد مشاهير رجال المال فى استثمار بعض الغابات ، فجنى بذكائه من وراء ذلك مالا ساعده على شراء وظيفة اعلى من



جيته

السابقة تجعل لها الحق فى الانتساب الى النبلاء

وفى سنة ١٧٦٤ اضطر الى السفر الى اسبانيا تلبية لنداء أخته التى استهواها شاب يدعى كلافيجو بعد ان وعدها بالزواج ثم أخلف وعده لها ، فلم يصبر بومارشيه على هذه الاهانة ولم يقر له قرار او يبادر الى مدريد فى طلب الثأر .

ومما يذكر فى هذا الشأن ان جوته كبير شعراء الالمان تناول هذا الواقعة وجعل منها دراما احتفظ فيها باسم « كلافيجو «Clavigo» وهو اسم بطلها الحقيقى

وفى هذه الاثناء مات شريكه المالى الكبير وترك باسمه باقى المستحق له وهو ١٥٠٠٠ فرنك . ولكن الورثة انكروا الدين ، فرفع الدعوى وأخيرا أصدرت محكمة اعادة النظر حكمها فى مصلحته . ولكن الورثة استأنفوا الحكم فى محكمة العدل العليا وهى البرلمان

وفى أثناء التحقيق اضطر بومارشيه فى سبيل ان ينيح له المستشار جوزمان « goezman » فرصة مقابلته — ان يضع فى يدى امرأة المستشار مبلغا من المال ولكن السيدة لم توفق لتحقيق المطلوب ، ولم ترد المال كله لصاحبه . فلم يدع بومارشيه هذه الفرصة السانحة تفلت من يده ، ونشر أربع مذكرات هاجم فيها القضاء وتناوله بالتنديد والسخرية فثارت ثائرة البرلمان ضده ، وحكم عليه

ولكن مؤلفنا استطاع بمذكراته أن يضم الرأى العام الى صفه فأفاد من هذه القضية سنة (١٧٧٣ — ١٧٧٤) الصيت والشهرة

وفى اعقاب ذلك عكف على الاشتغال بالادب ، وأخرج للناس مسرحية « حلاق اشبيليه » متخذا بطلها لسان حاله . فجاء « فيجارو » ممثلا له من حيث اتساع نشاطه ، وحدة ذكائه ونوشره نفسه وطموح همته الى المال والجاه والشهرة ، مندفعا الى ذلك بكل ما أوتى من روح المغامرة ، وهى مغامرة لم تكن تحجم عند الضرورة الى بعض الاسفاف ، ولكنها — لاقترانها بروح الفكاهة والمرح عند صاحبها — غير مكروهة عند أبناء ذلك الجيل وما بعده من الاجيال من حظ غير قليل من التسامح والانعطاف

* * *

ولنعود الى مسرحية « حلاق اشبيليه » لنقول ان « فيجارو » فيها يبدو لنا فى صورة شاب بالغ « مشبوب الحيوية طروب النفس مفراح مهراح » حاضر الذهن ، سريع البديهة لكنه الحضر لاذع

اللسان ، ميال للعبث والدعابة واسع التدابير بارع الحيلة دائب الحركة والسعي ، يكثر من الندوات والروحات هنا وهناك ، متوخيا مخالطة الناس من جميع الطبقات ، يستلذ كشف السر من أهل النفاق والوقوف على ذات صدورهم ، بالاضافة الى كل ماله وسعه للهزء بهم وتعريتهم لمستمعيه ، مترصدا للحمقى يخدعهم عن انفسهم طمعا في أموالهم ، مشفقا على المساكين من أهل اليسار يمهد لهم متطلعا الى نوالهم

وها نحن أولاء ، نراه هنا على المسرح رأي العيان ، وهو يلقى سيده القديم الكونت « الماقيفا » متنكرا ، يحوم حول بيت سيده الجديد الدكتور « بارتلو » العجوز ، حيث تقيم معه الصبية الحسناء روزين « Rosine » التى كانت له الوصاية عليها

وكان الكونت زير نساء ، فلمح الصبية الحسناء مع وصيفتها في الطريق فتبعها ، وهذا هو اليوم قد جاء متنكرا يلتمس الفرصة لمقابلتها . ولكن الدكتور الوصى كان شديد الرقابة على الفتاة ، لانه كان عاقدا عزمه على الزواج بها ، طمعا في مالها

ويتدخل فيجارو — على الرغم من هذه الرقابة وعلى الرغم من وشايات دون بازيللو مدرس الموسيقى — للتقريب بين الكونت الشاب والصبية الحسناء مذللا كل ما يعترض من الصعوبات حتى تم له تدبير زواجهما

* * *

وهنا نقف بالقارىء مليا عائدين به عبر التاريخ نحو خمسمائة سنة منتقلين من أسبانيا في أقصى الغرب من القارة الاوروبية ، الى العراق في أقصى الشرق من البلاد العربية ، لنلقى « فيجارو » الشرقي في شخص مزين بغداد ، كما طالعنا به الف ليلة وليلة ، في حكايتها لخيره على لسان شاب في ريعان الشباب غض الاهاب رائع الجمال انيق الثياب الا انه اعرج

فقد اتفق لهذا الشاب أن كان حاضرا في وليمة مع بعض أرباب الصنائع من خياطين وبزازين ونجارين وغيرهم ، فلما جاء الطعام ، ووضعت الاطباق على الخوان واقبل الجميع على الاكل ، اذ بصاحب الدار يخرج لاستقبال قادم متأخر ، ويعود به فاذا به مزين ، فما كاد الشاب يراه حتى هب يريد الخروج فمنعه صاحب الدار وسائر الحاضرين ، فاستحلفهم بالله أن يدعوه ولا يتعرضوا له لانه لا يمكن ان يجمعه وهذا المزين مجلس

فسألوه والحوا عليه في السؤال ، ان يقص عليهم ما كان من امره مع المزين ، فانهم لن يزالوا على ما هم فيه من العجب حتى يعرفوا السبب

فقال الشاب :

اعلموا يا اخوان ، أن والدي كان من اكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله بولد غيري ، فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفى والدي الى رحمة الله ، وخلف لي مالا وخدما وحشما ، وصرت البس أحسن الملابس وآكل أطيب الآكل

وكان الله سبحانه وتعالى بغضني في النساء الى أن كنت يوما من الايام ماشيا في ازقة بغداد واذا بجماعة من الجواري تعرضن لي في الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ ، واسترحت في آخره على مصطبة ، فلم اقعد غير ساعة واذا بطاقة قبالة المكان الذي انا فيه فتحت ، واطلت منها صبية كالبدر في تمامه لم أر في عمري مثلها

وكان لها زرع تحت الطاقة تسقيه ، فلما سقته التفتت يمينا وشمالا ثم اغلقت الطاقة وغابت من عيني

فانطلقت النار في قلبي واشتغل خاطري بها ، وانقلب بغضي للنساء محبة . فما زلت جالسا في هذا المكان الى الغروب ، وانا غائب عن الدنيا من شدة الغرام واذا بقاضي المدينة راكب وقدامه عبيد ووراءه خدم ، فنزل ودخل البيت الذي اطلت منه تلك الصبية ، فعرفت انه ابوها فانصرفت وجئت منزلي وانا مكروب ، وتهاويت على الفراش مهموما

ودخل على الجواري وقعدن حولي ولم يعرفن ما بي ، وانا لم اظهر لهن امرا ولم ارد لخطابهن جوابا

وعظم مرضي فصارت الناس تعودني .

وفي ذات يوم دخلت على عجوز ؛ فلما رأتني لم يخف عليها حالي . فقعدت عند راسي ولاطفتني ، وقالت لي :

يا ولدي قل لي خبرك ؟

فحكيت لها حكايتي

فقالت لي :

« يا ولدي ، ان هذه بنت قاضي بغداد وعليها الحجر ، والموضع الذي رأيتها فيه هو طبقتها ، وابوها له جارية وعبد لخدمته وخدمتها . وهي دائما وحدها ، وانا كثيرا ما ادخل عندهم . فاترك امرك لي ، وشد حيلك » .

فتجلدت وقويت نفسي حين سمعت حديثها ، وفرح اهلي في ذلك اليوم ، واصبحت متماسك الاعضاء مرتجيا تمام الصحة والشفاء

ثم مضت العجوز ، ورجعت بعد يوم وجهها متغير ، فقالت :

« يا ولدي لا تسأل عما جرى منها ، لما حدثتها عنك . فانها قالت لي ان لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكلام لافعلن بك ما تستحقينه . فاصبر حتى اراجعها ثاني مرة » .

فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي . فلما كان بعد ايام اتت العجوز وقالت .

— يا ولدي ، « اريد منك البشارة » .

فلما سمعت ذلك منها ردت روحي الى جسمي ، وقلت لها :

« لك عندي كل خير » .

فقالت :

« اني ذهبت بالامس الى تلك الصبية فلما نظرتني وانا منكسرة الخاطر باكية العين ، قالت يا خالتي مالي اراك ضيقة الصدر ، فلما قالت لي ذلك بكيت ، وقلت لها يا بنتي وسيدتي اني أتيتك بالامس من عند فتى يهواك ؛ وهو مشرف على الموت من اجلك . فقالت لي وقد رق قلبها : ومن أين يكون هذا الفتى الذي ذكرتيه . قلت هو ولدي وثمرة فؤادي ، ورآك من الطاقة من ايام مضت ، وانت تسقين زرعك ، ورأى وجهك فهام بك عشقا ، وانا حين جئتك اول مرة أعلمته بما جرى لي معك ، فزاد مرضه ولزم الوساد وما أظنه الا ميتا لا محالة » .

فقالت وقد اصفر لونها : « هل هذا كله من اجلي ؟ » قلت « اي والله ، فماذا تأمرين ؟ » قالت « امض اليه ، واقرئيه مني السلام ، واخبريه ان عندي اضعاف ما عنده . فاذا كان يوم الجمعة قبل



الصلاة بجيبيه الى الدار ، وانا اقول للجارية أن تفتح له الباب ، واطلعه عندى واجتمع أنا وإياه ساعة ويرجع قبل مجيىء ابى من الصلاة »

فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت اجده من الالم واستراح قلبي ودفعت اليها ما كان حاضرا من المال ، وانصرفت

* * *

ولما كان يوم الجمعة لبست ثيابي وتعطرت ، ومكثت انتظر الناس يذهبون الى الصلاة حتى امضي الى معبودتي الصبية ولما كان لا يزال في الوقت متسع زائد ، وكان شعر رأسي قد طال اثناء مرضي ، فقد خطر لي ان أرسل في طلب المزين فقلت للغلام :

ـ امض الى السوق وائتني بمزين يكون عاقلا قليل الفضول ، لا يصدع رأسي بكثرة ما يقول

فمضى الغلام واتى بهذا المزين فلما دخل سلم علي، فرددت عليه السلام فقال :

ـ اذهب الله غمك وهمك والبؤس والاحزان عنك

فقلت :

ـ تقبل الله منك

فقال :

ـ ابشر يا سيدي فقد جاءتك العافية، أتريد تقصير شعرك او اخراج دم ، فانه ورد عن ابن عباس انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء . وروى ايضا انه قال : من احتجم يوم الجمعة فانه يأمن ذهاب البصر وكثرة المرض

فقلت له :

ـ دع عنك هذا الهذيان ، وقم في هذه الساعة أحلق لي رأسي ، فاني رجل ضعيف

فقام ، ومد يده واخرج منديلا ، وفتحه واذا فيه اسطرلاب وهو سبع صفائح ، فأخذه ومضى الى وسط الدار ، ورفع رأسه الى شعاع الشمس ، ونظر مليا في الاسطرلاب وقال :

ـ يومنا هذا الجمعة هو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ، وطالعه بمقتضى ما اوجبه علم الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق انه يدل على أن حلق الشعر جيد جدا ودل عندى على انك تريد الاقبال على شخص وهو مسعود ؛ لكن بعده كلام يقع وشيء لا اذكره لك

فقلت له :

ـ قد اضجرتني وازهقت روحي بذكر الفال حسنا كان او سيئا ، وانا ما طلبتك الا لتحلق رأسي ، فقم واحلق رأسي ولا تطل علي الكلام

فقال وقد أخرج الموسى واخذ يسنه

ـ والله لو علمت حقيقة الامر لطلبت مني زيادة البيان ، وانا اشير عليك انك تعمل اليوم بالذي آمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك أن تحمد الله ولا تخالفني ، فاني ناصح لك وشفيق عليك ، واود ان اكون في خدمتك سنة كاملة وتقوم بحقي ولا اريد منك اجرا على ذلك .

فلما سمعت ذلك منه قلت له :

ـ انك قاتلي في هذا اليوم ولا محالة

فلما زاد علي هذا المزين بالكلام ، رأيت ان مراراتي انفطرت وقلت للغلام :

ـ اعطه ربع دينار وخله ينصرف عني



لوجه الله ؛ فلا حاجة لي في حلاقة رأسي

فقال المزين حين سمع كلامي مع الغلام :

ـ يا مولاي ما اظنك تعرف منزلتي ، فان يدي تقع على رأس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء ، وفيّ انشد :

جميع الصنائع مثل العقود
وهذا المزين در السلوك
فيعلو على كل ذي حكمة
وتحت يديه رءوس الملوك

فقلت :

ـ دع مالا يعنيك ، فقد ضيقت صدري واثرت خاطري حتى كاد يشل سائري

فقال :

ـ اظنك مستعجلا

فقلت له :

ـ نعم

فقال :

ـ تمهل على نفسك ، فان العجلة من الشيطان ، وهي تورث الندامة والحرمان ، وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الامور ما كان فيه تأن . وانا والله رابني امرك ، فاشتهي ان تعرفني ما الذي انت مستعجل من اجله ولعله خير . فاني اخشى ان يكون شيئا غير ذلك ، وقد بقي من الوقت ثلاث ساعات

ثم تغاضب ورمى الموسى من يده ، واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال :

ـ قد بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص

فقلت له :

ـ بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي

فاخذ الموسى وسنه كما فعل اولا وحلق بعض رأسي وقال :

ـ انا مهموم من عجلتك ، فلو اطلعتني على سببها لكان خيرا لك ، لانك تعلم ان والدك ما كان يفعل شيئا الا بمشورتي

فلما علمت ان مالي منه خلاص قلت :

ـ بل حان وقت الصلاة واريد ان امضي الى موعدي قبل ان تخرج الناس من صلاة الجمعة

فقال :

ـ اظنك اليوم في ميعاد واحدة من النساء ، والا كنت تأخذني معك ، وانا احق من جميع الناس ، واساعدك على ما تريد فاني اخاف ان تدخل على امرأة اجنبية فتروح روحك ، فان هذه مدينة بغداد . لا يقدر احد ان يعمل فيها شيئا من هذه الاشياء ، لاسيما في مثل هذا اليوم ، وهذا والي بغداد صارم عظيم

فقلت :

ـ ويلك ياشيخ الشر ، اي شيء هذا الكلام الذي تقابلني به . أليس لك اخوان ؟ اقض شغلي وافرغ من حلاقة شعري ، وانا اسير الى موعدي وانت الى موعدك

فسكت سكوتا طويلا وادركنا وقت الصلاة ، وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسي فقلت له :

ـ امض الى أصحابك بهذا الطعام والشراب ، وانا انتظرك حتى تعود وتمضي معي

ولم أزل اخادعه لعله يمضي . فقال :

ـ انك تخادعني وتمضي وحدك ، وترمي نفسك في مصيبة لاخلاص لك منها ، فبالله لا تبرح حتى اعود اليك وامضي معك حتى اعلم ما يتم من امرك

فقلت له : نعم لا تبطيء علي

فاخذ ما اعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي فسلمه الى الحمال ليوصله الى منزله ، واخفى نفسه دون علمي في بعض الازقة وقمت من ساعتي وقد اعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فاصلحت ثيابي وتعهدت زينتي وخرجت وحدي واتيت الى الزقاق ، ووقفت على البيت الذي رأيت فيه تلك الصبية واذا بالمزين خلفي ولا اعلم به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت في نفسي من اين علم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة لأمر يريده الله من هتك ستري ، ان [illegible] الدار اذنبت جارية عنده فضربها ، [illegible] فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه [illegible] الاخر فاعتقد المزين ان القاضي يضربني [illegible]ـاح ومزق اثوابه وحثا التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث ، والناس حوله وهو يقول :

ـ قتل سيدي في بيت القاضي

ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس

خلفه ، واعلم أهل بيتي وغلماني ، فما دريت الا وهم قد اقبلوا يصيحون :

ــ واسيداه

كل هذا والمزين قدامهم وهو يمزق الثياب والناس معه ، ولم يزالوا وهو في اوائلهم يصرخون واقتيلاه ، وقد اقبلوا نحو الدار وانا فيها فلما سمع القاضي ذلك عظم عليه الامر وقام وفتح الباب فرأى جمعا عظيما فبهت وقال :

ــ يا قوم ما القصة ؟

فقال له الغلمان :

ــ أنك قتلت سيدنا

فقال :

ــ وما الذي فعله سيدكم حتى اقتله ؟ ومالي أرى هذا المزين بين ايديكم ؟

فقال له المزين :

ــ انت ضربته في هذه الساعة بالمقارع وانا اسمع صياحه

فقال القاضي :

ــ وما الذي فعله حتى اقتله ؟ ومن ادخله داري ومن اين جاء والى اين يقصد ؟

فقال له المزين :

ــ لا تكن شيخا نحسا ، فانا اعلم الحكاية وسبب دخوله دارك وحقيقة الامر كله ان بنتك تعشقه وهو يعشقها ، وقد علمت انه دخل دارك ، فأمرت غلمانك فضربوه والله ما بيننا وبينك الا الخليفة او تخرج لنا سيدنا ليأخذه اهله ، ولا تحوجني الى ان ادخل واخرجه من عندكم ، وعجل انت باخراجه

* * *

فالتجم القاضي من الكلام ، وصار في غاية الخجل من الناس ، وقال للمزين :

ــ ان كنت صادقا فادخل انت واخرجه

فنهض المزين ودخل الدار . فلما رأيت المزين اردت ان اهرب فلم اجد لي مهربا غير اني رأيت في الطبقة التي انا فيها صندوقا كبيرا ، فدخلت فيه ورددت الغطاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت الى غير الجهة التي انا فيها ، بل قصد الموضع الذي أنا فيه وجعل يلتفت يمينا وشمالا ، فلم يجد الا الصندوق الذي أنا فيه ، فحمله على رأسه ومر مسرعا . فلما رأيته فعل ذلك كله غيبه رشدي فلما علمت أنه لن يتركني ، فتحت الصندوق

ورميت نفسي على الارض فانكسرت رجلي فلما توجهت الى الباب وجدت خلقا كثيرا ولا احسب اني رأيت في عمري مثل هذا الازدحام الذي حصل في ذلك اليوم ، فجعلت انثر الذهب على الناس ليشغلوا به فاشتغل الناس مني بقطع الذهب يلتقطونها وصرت اجري في ازقة بغداد وهذا المزين خلفي ، واي مكان دخلت فيه يدخل خلفي وهو يقول :

ــ ارادوا أن يفجعوني في سيدي ، الحمد لله الذي نصرني عليهم وخلص سيدي من ايديهم ، فما زلت يا سيدي مولعا بالعجلة لسوء تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الافعال فلولا من الله عليك بي ما كنت تخلص من هذه المصيبة التي وقعت فيها ، وربما كانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص منها ابدا . فاطلب من الله أن أعيش لك حتى اخلصك . والله لقد اهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد أن تروح وحدك ولكن لا نؤاخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول

فقلت له :

ــ اما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورائي في الاسواق

وصرت اتمنى الموت لاجل خلاصي منه ، فلا اجد موتا ينقذني منه ، فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانا في وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه مني وجلست في مخزن وقلت في نفسي « ما بقيت اقدر أن افترق من هذا المزين بل ليقيمن عندي ليل نهار » وانا لم يبق لي قدرة على النظر الى وجهه ، فارسلت على الفور في طلب الشهود ، وكتبت وصية لاهلي وجعلت انسانا ناظرا عليهم وامرته ان يبيع الدار والعقارات واوصيته بالكبار والصغار ثم خرجت مسافرا من بغداد على عجل حتى اتخلص من ذلك القواد

وجئت الى بلادكم وسكنتها ولي فيها مدة فلما عزمتم علي وجئت اليكم رأيته عندكم في صدر المكان فكيف يستريح قلبي ويطيب مقامي عندكم بعد ذلك ؟

وما كاد هذا الحدث الشاب الحسن البارع الحسن يتم كلامه حتى استأذن ، ثم اسرع بالخروج من المكان وهو يطلع برجله العرجاء والمزين لا يكف عن الصياح وراءه .



فيجارو فى مسرحية « زواج فيجارو » مثلت على مسرح الكوميدى فرانسيز

ـ أجل والله انا فعلت ذلك ولولا انى فعلت لهلكت ، وماسبب نجاتك الآنا ، ومن الفضل الله انك أصبحت برجلك ، ولم تصب بروحك لاحرمنى الله قبابك ووفقنى لتكرار خدمتى اياك

* * *

ونحن فى هذه الحكاية من حكايات الادب الشعبى العربى ، لا نخطىء أوجه المشابهة بين « حلاق اشبيلية » و « مزين بغداد » . فكلاهما جم الحركة والنشاط الحيوى ، متوقد الذهن بذكاء غير عادى ، مع طلاقة اللسان وحسن البيان

ويمتاز مزين بغداد ربيب الحضارة العربية ، بأنه فوق علمه بالشعر وخبرته فى الطب ـ واسع الدراية بالفلك وعلم النجوم وأحكامها بحلا يقدم على امر من حجامة أو حلاقة شعر او احتيال على تيسير الوصال لعاشق مدنف اشرف على التلف ، الا بعد مراجعة الطوالع يستطلع منها موضع اليوم والساعة من النحوس والسعود ، على حسب ما تدل عليه الرصود

ولكن هذه الاوجه للمشابهة بين حلاق اشبيليه ومزين بغداد ، تترك بينهما مع ذلك وجها واحدا على الاقل للمخالفة ، وهو ما عند « فيجارو العربى » من الملكة الواقعية ، وما عند « فيجارو الشرقى » من القوة الخيالية ، ومن ثمة كانت النهاية العملية السعيدة فى المسرحية الغربية كفيلة بأن تجعل من فيجارو كوميديا من انجح الكوميديات ، ثم أوبرا ضاحكة opera buffa من الطف الاوبرات وأبدعها من لحن الموسيقار « روسينى » من اعلام الموسيقيين الايطاليين النابغين . وذلك على حين نرى السبحات الخيالية التى عرفنا بها نحن الشرقيين ، تتجه وجهة أخرى بنوادر الحكاية العربية التى روتها شهرزاد فى الف ليلة وليلة منذ مئات السنين ، اذ كان من ذلك الاتجاه ان انتهت نوادر « فيجارو الشرقى » الى مأساة - ولكنها مأساة لا تملك فيها نفسك من الضحك الى جانب الرثاء .

ولعل هذا اقرب لترد الحالة جميعا الى الحياة

إبراهيم عـامر :

عمـال الزراعـة

من هـم

فى خمس دراسات سابقة نشرت فى « الهلال » و «المصور» (١) عالجنا قضية التعـاون الزراعى فى بلادنا . وهى احـدى القضيتين الزراعيتين اللتين طرحهما الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب الانطلاق العظيم الذى القـاه فى مارس الماضى فى افتتاح الدورة الاولى لمجلس الامة الحالى

ونبدا من هذه الدراسـة فى بحث القضية الزراعية الثـانية التى طرحها خطاب الانطلاق العظيم الذى القـاه فى العمال الزراعيين

---

(١) راجع اعداد « الهلال » الصادرة فى اول نوفمبر ، واكتوبر ، ويوليو ، ويونيو ، وعدد خاص اصدره «المصور» عن «التسويق التعاونى » فى شهر اكتوبر ١٩٦٤

من الضرورى ان نبدأ بتحديد من الذين نتبعهم فى هذه القضية

ويحدد القانون عمال الزراعة بانهم **« الاشخاص الذين يعملون فى الزراعة مقابل اجر ، مهما كان نوعه ، وفى خدمة صاحب عمل . كذلك كل من يعمل فى احد الاعمال المتعلقة بالزراعة . وايضا كل من لا تزيد ما يملكه او يستأجره من ارض زراعية على خمسة افدنة ولا يزاول اى عمل غير الزراعة » (١)**

ووفقا لهذا التحديد تصبح قضية عمال الزراعة قضية فئات ثلاث هى :

الفئة الاولى :



وهى فئة الذين يعملون فى الزراعة مقابل أجر ، مهما كان نوعه ، وفى خدمة صاحب عمل

وهؤلاء هم

١ ـ **عمال الزراعة « المياومون »** أى الذين يعملون باستمرار مقابل أجر يومى ثابت ، ولدى صاحب عمل واحد ، وهؤلاء يشتغلون أساسا فى مؤسسات القطاع العام الزراعية ، مثل الشركات الزراعية ، ومشروعات تعمير الصحارى ، ومشروعات استصلاح الاراضى

٢ ـ **عمال الزراعة الموسميون** ، وهم العمال الذين يستخدمهم أصحاب الارض فى الاعمال الموسمية التى ليست لها صلة الاستقرار والدوام ، حيث تحتاج الارض الى الخدمة لاعدادها للزراعة ، أو لمقاومة الآفات ، أو للجنى والحصاد

٣ ـ **عمال التراحيل** ، وهم العمال الذين يستأجرون خارج مكان اقامتهم للقيام بالاعمال الزراعية الكبيرة ، أو باعمال توفير الرى

***

والغالبية الساحقة من هؤلاء العمال هى من العمال اليدويين الذين ليست لهم كفاءة فنية تذكر ، والذين يستخدمون أساسا جهدهم البدنى فى العمل ، ويملكون ـ فى الغالب الاعم ـ أداة العمل ، وهى الفاس التى يضربون بها الارض ابان توفر العمل

ويندرج تحت هذه الفئة عمال صيد الاسماك

الفئة الثانية :

وهى فئة الذين يعملون فى احد الاعمال المتعلقة بالزراعة . وهذه الفئة تضم :

١ ـ عمال الهيئات والشركات والمؤسسات ذات النشاط الزراعى ، وهم يشملون مجموعات عديدة من المشتغلين بأجر يومى أو شهرى سواء أكانوا كتبة أم خفراء ، أم عمالا فنيين أم عمالا يدويين

٢ ـ عمال وزارات الاصلاح الزراعى ، والزراعة ، والرى ، والاشغال ، والسد العالى

٣ ـ عمال الجمعيات التعاونية ، وهم

---

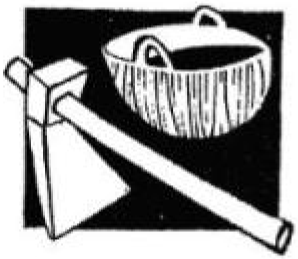
(١) جريدة الاهرام ـ ١٤ ابريل ١٩٦٤

ـ كما اوضحت المؤسسة التعاونية الزراعية ـ قليلون للغاية ، ولا يتعدى عددهم في معظم الاحيان في الجمعية التعاونية الواحدة ، عاملا واحدا هو كاتب الجمعية

وافراد هذه الفئة متفاوتون فى أجورهم ومستواهم الفنى والثقافى ، وهم أقرب الى عمال الخدمات الحكومية منهم الى عمال الزراعة المباشرين

الفئة الثالثة :

وهى فئة الذين لا يزيد ما يملكونه أو يستاجرونه من أرض زراعية على خمسة أفدنة ، ولا يزاولون اى عمل غير الزراعة ومع أن هذا التحديد القانونى لعمال



الزراعة يعتبر بداية طيبة فى سبيل تحديد مجال المشكلة ومدى القضية ، الا أنه تحديد يمكن ابداء بعض الملاحظات عليه للمناقشة ، بل وقد أبديت ولا تزال تبدى عليه ملاحظات خلال التطبيق

ولعل أهم نقطة يمكن أن تدور حولها المناقشة ، هى النقطة المتعلقة بالفئة الثالثة التى حددها القانون ، وفى هذا الصدد قد نجد وجهتى نظر

وجهة النظر الاولى :

قد تقول بأن هذه الفئة تدخل تحت باب صغار ملاك الارض ، ولا تدخل تحت باب العمال الزراعيين ، لان ملكية الارض لاتجعل من صاحبها ـ حتى ولو استغل فيها بنفسه ومع عائلته ـ عاملا زراعيا

ومن هنا فقد يقول اصحاب وجهة النظر هذه بضرورة قصر التحديد على الفئة الاولى ، باعتبارها تشمل العمال الزراعيين فعلا ، الذين لا يملكون سوى قوة عملهم ، وادخال بعض عناصر الفئة الثانية معها

اما وجهة النظر الثانية :

فقد تقول ان التحديد الحالى تحديد سليم فى المرحلة الثورية الحاضرة ، لان فكرة تطبيق تعريف العامل الصناعى وتحديده على العامل الزراعى ، وتحويلهم جميعا الى مشتغلين عماله لا يمكن ان تتحقق فجأة ، وهى ـ كما اوضحت التجارب الاشتراكية الحديثة ـ مهمة صعبة تحتاج الى فترة طويلة من التحول الاقتصادى ـ الاجتماعى فى الريف

ومن الواضح بالنسبة للزراعة لمجال معين ، ان الملكية الفردية الصغيرة للارض لا تعنى بالضرورة والحتم ان هذا المالك الصغير ليس عاملا فى الزراعة ، او انه يقبض بيديه الاستغلاليتين على اعناق الآخرين

غير انه من الضرورى مع هذا ان يكون واضحا فى اعتبار مثل هذا المالك عاملا فى الزراعة ، اشتراط قيامه بزراعة ارضه بنفسه وعائلته وبدون ان يستاجر للعمل عمالا زراعيين ، وان يكون شكل استغلاله لارضه شكلا تعاونيا متكاملا

***

وبالاضافة الى وجهتى النظر الرئيسيتين هاتين ، واللتين من الضرورى فتح مناقشة خصبة ومطورة لنظرتنا الى المسألة الزراعية فى بلادنا ، فثمة ملاحظات تطبيقية فرعية منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ خطأ اعتبار نظار الزراعة الذين يعملون لدى الغير ويملكون فى نفس الوقت مساحات زراعية ، عمالا زراعيين ، اذا كان دخلهم من املاكهم الخاصة اقل من دخلهم كنظار زراعة

ذلك لان امثال هؤلاء من الصعب تصور قيامهم بانفسهم بزراعة الارض التى يملكونها بالاضافة الى خدمتهم للملاك الذين يعملون



لديهم كنظار ، او على اية حال فان من الضرورى ان يشترط فيهم نفس مايشترط بالنسبة للمالك الصغير ذى الافدنة الخمسة فاقل ، من ضرورة قيامهم بانفسهم بزراعة ما يملكون ، وعدم استئجارهم اى عمال زراعيين ، واستغلالهم ملكياتهم استغلالا تعاونيا متكاملا

٢ ـ اهمية اعتبار الحرفيين فى الريف الذين يشتغلون بانفسهم او بالاستعانة بافراد اسرهم ، مثل نجارى السواقى ضمن عمال الزراعة

٣ ـ اهمية اعتبار عمال الصناعات اليدوية الريفية الذين يشتغلون بانفسهم ، او بالاستعانة بافراد اسرهم ، ضمن عمال الزراعة

مشاكل عمال الزراعة

ويقدر عدد عمال الزراعة فى الوقت الحاضر بنحو ٣٫٦٣٢٫٠٠٠ عامل

وهؤلاء يواجهون ثلاث مشاكل رئيسية هى :

١ ـ توفير العمل لهم على مدار السنة ، وتوفير ظروف اجتماعية سليمة لهذا العمل
٢ ـ تحسين الاجور
٣ ـ تكوين التنظيم النقابى الجماعى

كاداة للمساهمة فى حل هذه المشاكل

ومن الضرورى الاشارة هنا الى ان هذه المشاكل الثلاث متداخلة فى الواقع ، وانها مشاكل معقدة وصعبة يحتاج حلها الى وقت طويل وجهد بسبب الظروف الموضوعية التى تحيط بالريف والزراعة وبعمال الزراعة انفسهم

وقد لا تتسع هذه الدراسة لعرض تفصيلى لتلك الظروف الموضوعية ، ولكن من المهم ان نشير الى بعضها لنعود اليها فى دراسة قادمة

فاولا : هناك ظروف تفرق العمال الزراعيين وعدم تجمعهم فى وحدات انتاجية كبيرة مستقرة ، على عكس عمال الصناعة ، مع تخلف وسائل الانتقال فى الريف ، وارهاقات العمل البدنى ، وتنوع الاعمال الزراعية مع تخلف وسائل القيام بها

وثانيا : هناك طباع الفلاح الموروثة التى تجعل العامل الزراعى محبا لمنبته الاصلى الذى نشأ فيه وتقيد حركته ، وتحد ـ بالتالى ـ من ثقافته العامة المكتسبة وتفاعله بالبيئات المختلفة

وثالثا : هناك الامية الشديدة التى تحرمه من القراءة والكتابة ، وبالتالى تحرمه من المساهمة المستنيرة فى حل مشاكله ، وفى الاطلاع وملاحقة الفكر الاشتراكى العربى والعالمى

ومع هذا فان هذه الظروف ، وان جعلت حل تلك المشاكل الثلاث امرا صعبا ، فانها لا تجعل حلها مستحيلا

مشكلة توفير العمل

ان مشكلة توفير العمالة فى الريف تعنى القضاء على البطالة الكاملة بين العمال الزراعيين ، وتعنى القضاء على البطالة الجزئية ، وتعنى القضاء على البطالة المستترة ، وتعنى توفير فرص العمل العادلة للجميع على مدار السنة

ومن الحق ان ندرك ان هذه المشكلة لا يمكن حلها حلا كاملا ونهائيا فى نطاق الريف وحده ، وانما يكمن حلها الكامل

والتهالى بالتصنيع الواسع وخاصة فى الاقاليم ، وتحويل اعداد متزايدة من عمال الزراعة الى الصناعة

غير أنه من الممكن حل هذه المشكلة جزئيا عن طريق التوسع الجارى الآن فعلا فى سياسة استصلاح الاراضى ، وتعمير الصحارى ، والتوسع فى أعمال الرى والصرف ، وشق الطرق وتعبيدها فى داخل الريف ، وفى تحويل أعداد منهم الى مستفيدين باعادة توزيع الملكيات الزراعية

ومن الممكن حل هذه المشكلة **عن طريق اعداد مشروع تدريب سريع لعمال الزراعة وخاصة فى ميدان استصلاح الاراضى ، وفى ميدان استخدام الات الزراعة الميكانيكية كالجرارات**



مشكلة الاجور

وترتبط **مشكلة الاجور** ارتباطا وثيقا بمشكلة توفير العمل

فمن المعروف اقتصاديا ان وضع نظام للاجور يفترض – كى يكون تطبيقه مجديا وسليما – ان يكون ثمة طلب مستمر ومطرد على اليد العاملة

ولهذا فليس مما يدعو الى الاستغراب – فى ظل العمالة فى الريف – ان نلاحظ ان أجور عمال الزراعة منخفضة انخفاضا شديدا ، وانهم لا يحصلون – فى اغلب الاحيان – على الحد الادنى المقرر للاجر قانونا

***

وتبين الاحصاءات أن مجموع أجور عمال الزراعة فى أنحاء البلاد لا يتجاوز ١٢٦ مليون جنيه ، بينما تصل أجور عمال الصناعة والكهرباء وعددهم يبلغ خمس عدد العمال الزراعيين ، ويقدر عدد عمال الصناعة بنحو ٧٤٣ الف عامل ، ١٣٩ مليون جنيه

ويبلغ متوسط أجر العامل الزراعى ٣٥ جنيها فى السنة بينما يصل متوسط اجر العامل الصناعى ١٧٤ جنيها فى السنة

وفى الوقت ذاته يشكو كثير من عمال الزراعة ، وخاصة عمال التراحيل ، من الاستغلال الذى يقع عليهم فى مجال مواد الاعاشة حيث يباع لهم كيلو السكر ، مثلا ، بنحو عشرين قرشا ، وتباع لهم السيجارة بقرش

ولم يعد ثمة خلاف الآن على ان من أهم العوامل المساعدة على خفض أجور عمال الزراعة ، نظام مقاول الانفار ، ومقاول الباطن ، الذين يتقاضون جزءا من اجر العامل مقابل وساطتهم فى تشغيله

مؤسسة لتشغيل العمال

ومن هنا ، فان من الضرورى – كخطوة رئيسية فى سبيل حل مشكلة العمالة والاجور بين عمال الزراعة – ان يقر **مجلس الامة فى دورته الحالية القرار المقدم اليه بانشاء مؤسسة عامة لتشغيل عمال التراحيل وعمال الزراعة ، وبالغاء نظام مقاول الانفار الغاء تاما ، وبتحديد**

مبلغ عشرين قرشا كحد أدنى لاجر العامل الزراعى ، مع تطبيق التامينات الاجتماعية عليه ، وتوفير المسكن والمأكل ، وتأمين المواصلات الامنة المريحة ، وتوفير العلاج الطبى والخدمات الاجتماعيه

ومن الضرورى كذلك لتوفير العمـــال والمحافظة على مستويات الاجور ألا تستعين الجمعيات التعاونية أو أجهزة الحكم المحلى



او بعض مـــكاتب العمـــل . بمقاولين او بمقاولين من الباطن فى تشغيل عمـــال الزراعة

ومن المفيد والافضل ان تصبح مؤسسة عمال التراحيل تابعة لوزارة الاصـــلاح الزراعى ، لان هذه الوزارة هى التى تقوم بتشغيل غالبية عمال التراحيل ، وهى التى تشرف على عملية الربط بين التشـــغيل والتمليك ، وهى التى تستطيع ان توزع أيام العمل بالعدل بحيث لا يشتغل عامل ٣٠٠ يوم فى السنة ، بينما يشتغل آخر ٢٠٠ يوم ، ويشتغل ثالث ٣٠ يوما فقط.

مشكلة التنظيم النقابى

فاذا انتقلنا الى المشكلة الثالثة ، وهى مشكلة التنظيم النقابى لعمـــال الزراعة ، فاننا نلاحظ ــ أولا ــ ان حـــركة تكوين نقابات عمال الزراعة ظلت ضعيفة أشـــد الضعف منذ صدور قانون الاصلاح الزراعى الاول فى ٩ سبتمبر ، ورغم نص هـــذا القانون على ضرورة تكوين نقابات للعمال الزراعيين

ولقد بدأ منذ أوائل هـــذا العام نشاط ملموس فى مجال محـــاولة تحقيق التنظيم النقابى لعمال الزراعة . ولكن هذه المحاولة لاتزال تواجه ظروفا موضوعية تمثل صعابا فى طريق نموها وتطورها

ولا تتسع هذه الدراسة لمناقشة تفصيلية لمشـــكلة التنظيم النقابى لعمال الزراعة ، فهى مشـــكلة كبيرة ومرتبطة بالظـــروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يعيش فيها العمال الزراعيون

غير انه من المفيد أن نشير هنا الى بعض الحقائق العامة بالنسبة للمشكلة

والحقيقة الاولى :

هى أن الوعى النقابى ضعيف فعلا فى محيط العمـــال الزراعيين بسبب ظـــروف معيشتهم وعملهم ، وان هناك عدم اهتمام كاف بهذه المسألة ، وهو ما يجب تلافيه بأسرع ما يمكن حتى تكسب الثورة مزيدا من القوة والعمق والرسوخ

والحقيقة الثانية :

هى أن الخطر ماتتعرض له محـــاولات التنظيم النقابى لعمال الزراعه هو النقص الكبير فى القيادات النقابية الواعية بين عمال الزراعة أنفسهم ، والمحاولات التى تبذلها بعض قيادات غير عمالية زراعيـــة لكى تفرض نفسها عليهم ، بينما لن يدرك المشاكل التى يعانيها عامل الزراعة الا عامل الزراعة نفسه

والحقيقة الثالثة :

هى أن التنظيم النقابى عمـــال الزراعة فى العالم كله متخلف الى مدى بعيد عن التنظيم النقابى لعمال الصناعة . **وان ذلك يقتضى من الحركة النقابية الزراعية فى بلادنا جهودا ابداعية فى التنظيم والتوعية النقابية ، ويقتضى اقامة علاقة وثيقة مع التنظيم النقابى الصناعى للاســـتفادة من خبرته الاقدم ، وتجربته الاوسع**

***

واحب قبل ان اختتم مقال هذا ان اقول انى استعنت فى هذه الدراسة ببحث قيم قدمه الى ــ مشكورا ــ السيد/هلال محمود هلال ، امين صندوق النقابة العامة لعمال الزراعة ، وهو عرض لمشاكل عمال الزراعة فى بلادنا

دائرة معارف

الهلال — أصل التقويم الميلادى

إن التقويم الميلادى الذى يسير عليه العالم اليوم هو اقدم جهد بشرى متصل قام به الانسان على طول التاريخ . ويرجع اصل هذا التقويم الى ما يقرب من ٦٢٠٠ عام او على وجه التحديد الى عام ٤٢٤١ ق . م . وكان أول من اكتشفه كهنة « رع » فى مدينة اون (عين شمس) ، وظل العمل به دون انقطاع طوال العصور الفرعونية ، ثم نقله يوليوس قيصر الى روما ، ومنها ورثه العالم الحديث بحذافيره تقريبا فيما عدا بعض تعديلات طفيفة ادخلها البابا جريجورى الثالث عشر فى القرن السادس عشر الميلادى

***

من الطبيعى أن تأخذ معظم الاقوام البدائية بالتقويم القمرى لان القمر ساعة فلكية واضحة ، فهو يسطع هلالا ، ويكتمل بدرا ، ويختفى محاقا ، ثم تعود دورته من جديد كل شهر . أما الشمس فحركتها اليومية متشابهة ، وحركتها السنوية التى تعتمد عليها الفصول الاربعة حركة معقدة تحتاج الى دراية فلكية واسعة . لذلك كان من المنطقى أن تستخدم الشعوب البدائية التقويم القمرى البسيط

ويبدو أن المصريين القدماء فى عهد سحيق — يعود الى ماقبل الاسرات — قد استخدموا ايضا التقويم القمرى، واخذوا ينظمون زراعتهم على أساسه ، ولكنهم لم يلبثوا أن تبينوا مايشوب الدورة القمرية من خلل ، فهذه الدورة تنقص بمقدار ١١ يوما عن دورة الشمس كل عام . ويعنى ذلك على مر السنين، ان الشهر القمرى الذى يقع فى فصل الصيف فى احدى السنين يجىء فى فصل الشتاء فى سنة أخرى ، وبذلك تأتى شهور الحصاد فى زمن البذر أو الفيضان مما يؤدى الى اشاعة الخلل والاضطراب فى الدورة الزراعية

لذلك كان لزاما على المصريين القدماء الذين تقوم حضارتهم على الزراعة ان يولوا وجوههم شطر السماء باحثين عن ساعة فلكية أخرى اكثر دقة ونظاما ، وكانوا ان اهتدوا بالفعل الى فهم دورة الشمس المعقدة ، فقد كانوا قوما يعبدون الشمس ويرقبون كل تنقلاتها ، ويبدو أن عبادتهم للمعبود « رع » لم تكن تقتصر على اداء الطقوس الدينية بل تتطلب فهما عميقا لذلك المعبود . وكان كبير كهنة « رع » فى هليوبوليس يسمى «البصير الاعظم» دلالة على تطلعه الدائب الى صفحة السماء وادراكه اسرار كواكبها ونجومها

***

ولكن كيف اهتدى كهنة « رع » الى معرفة وقياس الدورة التى تقوم بهـا الشمس فى عام كامل ؟

لقد لاحظ الكهنة أن هناك نجما لامعا فى السماء أو هو ألمع النجوم جميعا اطلقوا عليه اسم « [illegible]

النجم [illegible]

السماء [illegible]

مع [illegible]

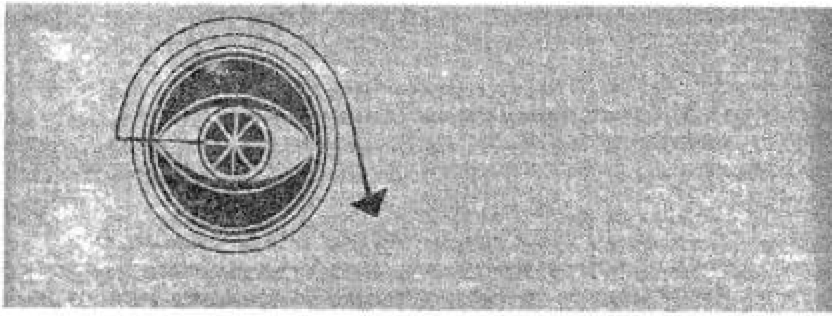
[illegible]

فيه [illegible]

وحـ [illegible]

فسموها [illegible]

شهر [illegible]



ساعة نصفها نهار ونصفها ليل ، وقسموا العام الى ثلاثة فصول يضم كل فصل اربعة اشهر وهي فصول الفيضان (آخت) والبذر (برت) والحصاد (شمو) . وبقيت بعد ذلك خمسة ايام احتاروا في ادخالها الى اى شهر . فابقوها وحدها في نهاية العام (وقد سميت فيما بعد بأيام النسيء) وجعلوها اياما مقدسة اذ ولد فيها - كما كانوا يعتقدون - خمسة من كبار آلهتهم نتيجة اقتران الارض بالسماء وهم **اوزيريس وايزيس ونفتيس وست وحورس الكبير**

وكان شهر توت هو بداية السنة الجديدة عند الفراعنة لانه اتفق عند تطبيق التقويم انه صاحب اقتران الشروقين بلوغ النيل أعلى منسوبه في أول توت . وبذلك كانت السنة المدنية الفرعونية تبدأ أول توت من كل عام حيث يقترن ظهور النجم سيريوس بشروق الشمس او يسبقها قليلا

وبذلك اعتدلت الدورة الزراعية وأصبحت مواعيد الزراعة تأتى في مواعيد ثابتة كل عام لان هذه الدورة كانت اقرب الى الدقة بالنسبة للدورة الفلكية الصحيحة

***

ولكن هذا النظام البديع لم يلبث ان اختل ، لقد كان هناك فرق بين دورة سيريوس ودورة الشمس مقداره ٦ ساعات في العام ، فاذا مرت اربع سنوات أصبح الفرق يوما كاملا ، ومعنى ذلك ان ينتهى العام الرابع قبل اقتران الشروقين بيوم او بمعنى آخر يأتى أول توت قبل موعده بيوم كامل ، ومع مرور السنين ازداد الفرق اتساعا ، فأصبحت شهور الصيف تأتى في زمن الشتاء ، وشهور الشتاء تأتى في زمن الصيف ، ولكن على نحو ابطأ مما كان عليه الحال في ظل التقويم القمرى

وكان هذا مدعاة الى تشويش اذهان المصريين كما يبدو من كراسة الشباء خلفها احد تلاميذ الاسرة التاسعة عشرة حين كتب يقول : « **اقلقنى يا آمون من السنة المختلة ، ان الشمس لاتسطع ، والشتاء يحل زمن الصيف ، والشهور تمشى القهقرى** » !

وقد فطن الكهنة منذ البداية الى هذا الفرق .. الا أنهم لم يبادروا الى تعديل التقويم ، بل صنعوا سجلات خاصة بحساب الفروق على مر السنين واحتفظوا بها لديهم سرا ليعينوا للناس مواعيد أعيادهم ومناسباتهم الهامة . وقد عثر فعلا على سجلات تحوى مواعيد بعض المناسبات الدينية طبقا للتقويم الناقص وامامها تاريخها بالتقويم الصحيح . وليس هذا بالمستغرب من الكهنة المصريين الذين كانوا يحتكرون العلم لخدمة الدين ، ويعتبرونه من الأسرار المقدسة التى لا يجوز كشفها لعامة الشعب

ولكن بالرغم من أن الكهنة المصريين ظلوا يحتكرون سر التقويم قرونا طويلة فان التقويم كان يصحح نفسه أوتوماتيكيا بعد مرور عدد كاف من السنين

وظل الكهنة المصريون يحتكرون سر التقويم حتى عام ٢٣٨ ق . م . حين امر **بطلميوس الثالث** حاكم مصر بتعديله رسميا وذلك باضافة يوم سادس الى أيام النسيء الخمسة مرة كل اربعة اعوام

وفى عام ٤٦ ق.م. استدعى الامبراطور

الرومانى **يوليوس قيصر** العالم الفلكى الاسكندرى سوسيجينيس **sosigenes** ليضع لروما تقويما مضبوطا تسير عليه ، وكانت روما تأخذ قبل ذلك بنظام الشهور القمرية فى صورة مشوهة ، اذ كانت تسير على تقويم قمرى قبل ان واضعه هو **روموليس اغسطولوس** الذى انشأ روما عام ٧٥٣ ق ٠ م ٠ وكان العام فى هذا التقويم يحتوى على عشرة أشهر فقط مجموع أيامها ٣٠٤ ايام ، ثم زيدت بعد ذلك الى اثنى عشر شهرا مجموع أيامها ٣٥٤ يوما .. وهو العام القمرى الكامل . وحتى يمكن التوفيق بين السنة القمرية والسنة الشمسية كانوا يضيفون كل أربع سنوات ٤٥ يوما اى بمعدل ١١ ١/٤ يوما فى العام وبذلك تضم السنة ٣٦٥ ١/٤ يوما ، وهى السنة الشمسية الكاملة

وأدى هذا النظـــــام الى الخلل والاضطراب . اذ كان كهنة روما وهم المسئولون أيضا عن تعديل التـــاريخ القمرى بما يجعله موافقـــــا للتاريخ الشمسى يتلاعبون بالتقويم تحقيقـــــا لاغراض سياسية كتحديد مواعيد الانتخاب كما يروق لهم ، أو زيادة وانقاص مدد حكم الحكام ، لذلك فقد قرر **يوليوس قيصر** وضع حد لهذا التلاعب باستقدام العـــالم المصرى سوسيجينيس وتكليفه بوضع تقويم مضبوط للامبراطورية

ونقل سوسيجينيس التقويم الفرعونى المعدل بحذافيره الى روما ، فجعل السنة ٣٦٥ يوما لمدة ثلاث سنوات متتالية ، ثم ٣٦٦ يوما فى السنة الرابعة

ولاحظ الفلكى المصرى ان اختـــلال السنة الرومانية التى كان يجرى العمل بها من قبل بلغ ٨٠ يوما أى أن المواعيد المختلفة كبداية الفصول مثلا كانت تأتى قبـــل مواعيدها الحقيقية بثمانين يوما نتيجة لتلاعب رجال الدين طوال تاريخ روما فى اضافة الفـــروق الى السنة القمرية ، ولذلك قرر سوسيجينيس أن يختزل هذه المدة مرة واحدة بأن جعل السنة السابقة على تطبيق القـــانون الجديد طولها ٤٤٥ يوما (٣٦٥ + ٨٠) وهذه السنة تعادل عام ٤٦ ق ٠ م ٠ أو ٧٠٨ رومانية وقد ســـميت سنة الاضطرابات ..

وظل العمـــــل بالتاريخ الرومانى اليوليانى الذى وضعه العــــالم المصرى سوسيجينيس حتى عام ٥٢٢ ميلادية التى تم فيها الغاء هذا التاريخ (مع استبقاء التقويم) وجعله يبـــدأ من عام مولد المسيح

***

واستمر العمل بالتقويم اليوليانى حتى عام ١٥٨٢ م ، حـــين لاحظ البابا جريجورى الثالث عشر أن موعد الاعتدال الربيعى قد جاء قبل موعده بعشرة ايام .. اى فى ١١ مارس لا ٢١ مارس . وبحساب أصل هذا الفـــرق اتضح ان التقويم اليوليانى رغم دقته الكبيرة كان يسمح بزيادة قدرها ١١ دقيقة و ١٤ ثانية عن دورة الشـــمس الحقيقية .. ومع توالى السنون تراكمت هـــذه الفروقات وأدت الى زيادة هذه الايام العشرة فى الفترة بين عامى ٣٢٥ و ١٥٨٢ ميلادية

وأمر البابا جريجورى الثـــالث عشر بتعديل هذا الخطأ بأن جعـــــل يوم الجمعة ٥ اكتوبر سنة ١٥٨٢ يوليانية هو يوم الجمعة ١٥ اكتـــوبر ١٥٨٢ جريجـــوارية ، ثم وزعت أيام النسىء الخمسة على شــــهور السنة المختلفة وأضيف اليوم الزائد الى كل سنة اى اعتبرت كل الســـنوات ٣٦٦ يوما ثم حذف اليوم الزائد وهو اليوم التاسع والعشرين من فبراير من كل السنين التى لا تقبل القسمة على ٤

ومع ذلك ظل فى التقويم الجريجوارى فرق صـــغير بينه وبين دورة الشمس الحقيقية .. مقـــداره زيادة ٢٦ ثانية سنويا ، ولم يعدل هذا الفرق حتى الآن .. اى أننا حتى هـــذه اللحظـة نحتفل بمقدم السنة الجديدة قبل بداية السنة الفلكية الحقيقية بمقـــدار ٢٦ ثانية تتضاعف كل عام أو بحساب هذا الفـــرق حتى الآن يتضح انه حوالى ساعتين ونصف ، ومن المؤكد أن هـــذا الفرق سوف يتضاعف فى المستقبل بحيث يتحتم اجراء خصم يوم كامل من عام ٤٠٠٠ م !

وقد أخذت مصر بالتعديل الجريجوارى عام ١٨٧٥ فى عهد الخديو اسماعيل

ان التقويم الشمسى الذى يسير عليه العـــالم فى حقيقتـــه جهـــد مصرى قديم .. دخلت عليه بعض التعديلات ..

صوفي عبد الله



الزوج المتساهل

مسرحية

جراهام جرين

لم يعد الجنس ومشكلاته موضوعات ممنوعة تماما في المسرح الانجليزي او الامريكية حتى أن «الاثلية الجنسية» (أي الشذوذ الجنسي) صار موضوعا غير محظور في مسارح لندن ونيويورك .

ولكن كبير امناء ملكة بريطانيا – وهو هناك الرقيب المختص بشئون المسرح . واليه ترجع اعمال الحظر او الحذف او الايقاف – اعترض على بعض مناظر وفقرات حوار في هذه المسرحية ، فاضطر مؤلفها – الذي يعتبر اعظم روائي في بريطانيا في الجيل التالي لسومرست موم – ان يوجه خطابا مفتوحا الى كبير الامناء يشكره فيه على سماحته وتساهله في التصريح بتداول كتب لورانس وتمثيل مسرحيات تنيسي ويليامز بما فيها من تشريح للشذوذ الجنسي بعد عشرين سنة او ثلاثين من التشدد والتزمت ، ويتمنى على الله ان يستجيب كبير الامناء لروح العصر بعد عشرين او ثلاثين سنة اخرى فيسمح لمشكلات الناس الحقيقية التي يناقشونها ويعيشونها فعلا – وهي مشكلات جنسية سوية لاشذوذ فيها – ان تظهر على المسرح الانجليزي .. ولم يجد الرقيب مانعا من نشر نص المسرحية كاملا في كتاب ، ولكنه امر على حذف فقرات منها عند التمثيل لا بسبب الجنس ، بل بسبب ما فيها من التجريح لاخلاقيات الزواج البورجوازي في بريطانيا

❋❋❋

ونحن هنا نقدم لك عرضا للنص الكامل الصريح لتلك المسرحية الجريئة التي تشرح العلاقات الزوجية في الطبقة الوسطى الانجليزية تشريحا قاسيا قسوة المبضع في يد الجراح ، او يد استاذ الجامعة الذي يسمى كل خلية باسمها ، وكل عصب باسمه ، وكل عملية بيولوجية باسمها ، لانه لاحياء في العلم ، ولان كل ما هو حق فهو مقدس ليس فيه عار ، وانما العار في تجاهله !

وتدور احداث اول الفصول الاربعة في هذه الرواية في .. قاعة الاستقبال – التي تستخدم في نفس الوقت قاعة للطعام – ببيت آل رودس في الجانب الشمالي من لندن ، وهم يستقبلون في هذا المساء ضيوفا . وليم هاوارد وكيل فرع احد البنوك المحلية وهو في أواخر الحلقة الخامسة ومعه زوجته مرجريت وابنتهما آن الشابة التي تميل قليلا الى البدانة وتضيق بأعوامها الثمانية عشر وتريد ان تقتحم لذات الحياة اقتحاما غير مكترثة بقواعد العرف ، واهم من هذا كله انها لاتكترث بالعواقب ولا تفكر في الاسس التي يمكن أن تقوم عليها المغامرة ، وهناك ايضا شاب اعزب اسمه « كلايف روث » وهو صاحب متجر للطبعات الاثرية من الكتب المنيفة في الثامنة والثلاثين من عمره ؛ جميل الخلقة يبدو عليه الشرود والذكاء ونظراته الحالمة تثير اهتمام النساء

أما رب البيت « فيكتور رودس » فطبيب اسنان في نحو الخمسين من عمره او أكثر قليلا به بعض البدانة ويميل للمزاح الصبياني والبهجة الصاخبة . وزوجته ماري رودس في نحو الخامسة والثلاثين ذات جمال ناضج لايبدو عليها انها تشعر به ولذا فهي غير قانعة بمحاسنها وهي تتحرك بنشاط عصبي ومعهما في البيت ابنهما جوين رودس وهو في الثامنة عشرة يشبه أباه في طباعه

ورب البيت منهمك في رواية النكات التي ينفرد بالضحك منها اما معادة او لا طلاوة فيها ، ويبدو لاول وهلة ان «كلايف روث» يدخل البيت لاول مرة ، ولذا تمثل عليه الاعيب رودس وهي عبارة عن وسائد موسيقية يضعها على الكرسي قبل أن يدعوه للجلوس أو سيجار صناعي يبدو كأنه مشتعل ليوهم الضيف انه احرق مفرش المائدة . ولكن من الواضح ايضا أن بقية الضيوف يعرفون هذه الالاعيب بالتجربة فلا يقعون فيها

وواضح كذلك أن ماري رودس ربة البيت الحسناء تتعامل بالنظرات مع الشاب الاعزب روث من خلف ظهر زوجها فتحذره من تناول هذا الشيء أو ذاك حتى لا يقع في الفخ المنصوب ، ويصبح أضحوكة للحاضرين . ولا يفطن أحد لهذه النظرات

سرت الفتاة ان هوارد التي يمتقع وجهها امتقاع الغيرة

وبعد قليل يهبط الظلام روبن ليغيب اياه الى موعد الحلقات المسلسلة فى التليفزيون ، ليصعد الجميع لمشاهدتها ما عدا روث الذى يتباهى بكراهيته لهذا النوع ، وتبقى معه مارى ربة البيت على سبيل المجاملة فى الظاهر ، واذا أن تلح عليها أن تصعد ولا تحرم نفسها من مشاهدة الحلقات وستبقى هى لمواجهة روث والتحدث اليه فى هوايتهما المشتركة وهى الكتب الاثرية

ومن هذه اللحظة يبدو الموقف بين الاثنين مثيرا ، وقد خلا لهما الجو بعد صعود مارى ، فان لاتضيع وقتا فى المقدمات بل تقترح على كلايف روث أن يهرب معها :

— اهرب معك ؟ يالها من فكرة !

— ليس الى الابد طبعاً ، فلا حاجة بك للاحتفاظ بى اذا لم اعجبك ، ويمكن ان تحدد للمغامرة اسبوعا بصفة مبدئية على سبيل التجربة ، وبعد ذلك سيكون لكل منا مطلق الحرية فى التجديد او الانفصال !

— ولكنك يا عزيزتى أن لايمكن أن تكونى عاشقة لى أنا

— ومن ادراك ؟ ان معنى كلامك انك لا تشعر نحوى بحب وانا لا أجهل هذا.



فلبست للعواطف بصبية كبيرة جدا مادام هناك شيء متقد فينا اسمه الرغبة الحسية

— هذا كلام لا وجود له فى الكتب التى تأخذينها منى

— هذا شيء لم اتعلمه من الكتب ياكلايف ، انى عينان ، ولى جسد ، وهذا الجسد يعلمنى الكثير ويطالبنى بالكثير ، اتراني اقل اثارة لرغباتك الحسية من فتيات شارع كيرزون ؟

— انا لا اتعامل مع فتيات شارع كيرزون .

— أبدا ؟

— اوه ، اتصلت بفتاتين او ثلاث منهن عندما كنت أعانى من الوحدة والوحشة وهبوط حالتى المعنوية

— ونظراتك تدل على ان هذا حالك الان

— نعم ، اشعر بوحشة شديدة

— اذن لماذا تذهب الى فتيات شارع كيرزون وانا فى متناول يدك ؟

— مثل هذا الاتصال العابر لايكفينى لابد أيضا من الحب

— نستطيع ان نتلاقى البعض بالحديث فى هوايتنا المشتركة

— والكلام فى الكتب يفقد معناه بعد فترة

— يالك من بارد الطبع قاس ، ولكن سيسعدك على الاقل أن تتباهى بأنك تلقيت عرضا منافيا للأخلاق من فتاة فى الثامنة عشرة ، عذراء !

— ليس فى هذا ما يزعجنى ، فانا لا احب الفتيات الصغيرات

— هل أحببت نساء كثيرات ؟

— ثلاث أو أربع نساء

— وماذا جرى لهن ؟

— كسب أزواجهن الجولة فى النهاية فكلهن كن متزوجات ، وكنت احاول انتزاعهن من أزواجهن ليفضلن الازواج والابناء وانا لا اعشق الا الخبرة والتجربة أما الاندفاع والسذاجة فلا مكان لهما فى مدرستى

— مدرستك ؟ ماذا تعنى ؟

— مدرسة غربية ، لا احب دروسها ولكنى شديد التفوق فيها ، وأهم موادها التودد الى الازواج باكتساب تفهمهم وتخدير

فطنتهم والتردد على البيت بصورطبيعية في النهار . حتى اذا جاء الليل استرقت الزوجة العاشقة ساعة أو نحوها لزيارة حجرتي اذا كان الجو خاليا من العقبات . ثم هناك دروس اخرى حول سجلات الفنادق والحالات التي يجب استئجار حجرتين فيها لا حجرة واحدة . وكيفية التخلص بديهة سريعة من الورطات اذا التقينا في احد تلك الفنادق الريفية أو في الضواحي بصديق مشترك

— ألا يكتشف الزوج الحقيقة اطلاقا ؟

— بل يكتشفها في النهاية دائما . وعندئذ تبدأ هزيمتي . ففي جميع الحالات

— وهل أنت الآن عاشق ؟

— نعم ولكني مصمم في هذه المرة الا تتكرر الهزلة

— تريد أن تتزوجها ؟

— لابد أن أتزوجها

— من الخير اذن أن اسعد الآن وأشاهد التلفزيون !

قالت هـــذا وهي تحث ماري تنزل ، وسرعان ما صعدت أن فعلا لتبدأ الحلقة الثانية بين كلايف ووث وعشيقته ماري بروديس . ونجدها مهتمة بالطمئنان الى حسن رأي عشيقها في زوجها واستلطافه له ، وهي تؤكد له مزاياه ولطف طباعه



كان الزوج يتمسك بزوجته . لانها أجمل واظرف وأطيب عشرة من أن يفرط فيها بسبب نزوة عارضة ، فمن سوء حظي انني كنت اشغف دائما بأحب الزوجات والطفهن وأنا اضحك عموما يا آن أن لاتتزوجي انجليزيا !

— عجبا . ولماذا ؟

— الرجل الانجليزي يفضل أصدقائه ونادية على زوجته . ومع هذا فهو محب للاستقرار يكره تبديل اوضاع البيت ولديه احساس شديد بالواجب . والعشيق يخلصه من ثقل واجباته على نفسه . وبعد هذا التخلص لايبقى بين الزوجين الا علاقة من أجمل ما يكون هي علاقة الاخوة الصافية والحنان المتبادل . وهذا الحنان هو الذي يكسب الجولة في النهاية . وتشعر الزوجة عند الاختبار الحاسم انه أهم من كل الاحساسات الملتهبة التي يقدمها لها العشيق !

وانه سيستريح كثيرا لصحبته

— ولكن الاعبه صبيانية يا ماري

— ولكنه ليس شخصا سخيفا وان لم يكن مسليا أو بارع الذكاء

— هل انت مغرمة به ؟

— جدا . انه عشير طيب القلب حنون

— ومتى نحظى ببعض الوقت معا ياماري؟

— ولكني يا حبيبي لم اخلف الاجتماع بك سوى يوما واحدا طيلة أيام هــذا الاسبوع

— انت تدرين جيدا ماذا أعني ، اريد وقتا تكونين خالصة فيه لي بالليل والنهار!

— أعدك بذلك يا حبيبي . ولكني لا استطيع أن أحدد الزمان والمكان منذ الآن . فالامر متعلق بالظروف . لاننا لا يمكن ان نكون في أمان اذا اجتمعنا على هذه الصورة التي نمنيها في انجلترا

وهو كذلك . نستطيع السفر للخارج فمتى ؟ الاسبوع القادم ؟

ــ ابنتي سال ستأتي الاسبوع القادم في عطلة نصف السنة . وبعد ذلك هناك مؤتمر وحفل عشاء سنوي لأطباء الاسنان احضره دائما مع زوجي . ثم هناك ثلاثة أسنان سيخلعها روبن

ويضيق روت بهذه العقبات ويفاجئها بما عرضته عليه أن بلا تيه ولا شرط . وكيف رفض . ويؤكد لها أنه لا ينعم بالنوم لأنها تنام مع زوجها . فتؤكد له أن كل اتصال جسدي بينهما قد توقف منذ خمس سنين وانهما ينامان في سريرين منفصلين ولكن في حجرة واحدة . فلا مجال بينهما للرغبة التي ماتت الى الابد، وانما هو حنان أخوي .

ــ وهذا أيضا لريده لي . أريد ان تعيشي معي اسبوعا واحدا كي اتمسك بتركه الى الابد لتتزوجيني

ــ هذا حديث رجل لايربطه شيء . لا اسرة ولا ابناء

ــ لن تكوني اول مطلقة لها أبناء . ومتى عرف ما بيننا سيطلقك الا اذا أبديت له الندم وطلبت منه اعادتك الى فراش الزوجية

لا تقل هذا ياكلايف . فلن أقول اني نادمة على السعادة التي اشعرتني بها بين احضانك

ــ اذن تعالي معي الى مسكني الليلة . قولي انك تريدين الخروج مع الكلب للمشي في الحديقة

ــ ليس عندنا كلب . بل قطة ،والقطط تمشي وحدها !

❊❊❊

ويهبط الجميع من الطابق العلوي ويستأذنون في الانصراف وتعود آن الى التعلق بذراع روث . ويبدي روث شيئا من الاقبال عليها ويتواعدان على اللقاء في الصباح الباكر ليعملا معا في اعداد فهرس للكتب النادرة قبل موعد فتح المكتبة .

ويتهلل وجه آن ويمتقع وجه ماري . وبعد انصراف الضيوف يلاحظ الزوج شحوب زوجته فيقترح عليها الغاء عطلة مشجعا بحفل اطباء الاسنان السنوي ، ولكنها بعناد تقنعه بوجوب الحضور رعاية لمكانته الطبية كي ينشر اسمه في الصحف بين التكليفين ، وأن يدعها تسافر الى امستردام مع زميلتها في الدراسة وهي عانس تقيم في سكوتلندا على ان يلحق بهما بعد انتهاء المؤتمر . فيوافق على ذلك ويذهب للتأكد من اغلاق النوافذ والابواب فتنتهز الفرصة وتتصل بكلايف تليفونيا انها دبرت كل شيء لقضاء اربعة أيام معا في امستردام.

فلم تكن صديقتها جين الا اسما مستعارا لعشيقها كلايف

❊❊❊

اما الفصل الثاني فحجرة نوم في فندق من الدرجة الثانية بامستردام بها فراش مزدوج متناثر الاغطية والوسائد وعليه حقيبة مفتوحة رثة وحقيبتان انيقتان جدا بهما زخارف وتطل منهما ثياب نسائية داخلية . والباب المفضي الى الحمام الملحق بالحجرة مفتوح ومن ورائه ينبعث صوت ماري تكلف كلايف الجالس على حرف الفراش واجما . وتحاول أن تغمره بمرحها وغنائها البهيج وهو لايكاد يجيبها. ثم تبرز من الحمام وبداها ملوثتان بالانابيب والمعاجين النسائية وهي في قميص النوم وعليه روب شفاف مفتوح . فيقول عابثا

ــ ما أشد مرحك كأنك سعيدة بالفراق

ــ بل اني مرحة لأني قضيت أياما في سعادة لا حد لها . أليس هذا شعورك أيضا ياحبيبي ؟

ــ في البداية . أما بالامس فلم أكن سعيدا لأني كنت افكر في اليوم . وبهذه المناسبة لماذا لم تخبريني قبل سفرنا أن ليكتور سيلحق بك ؟

ــ خشيت لو اخبرتك الا تأتي . وكنت حريصة على ان أحظى بهذه الفرصة الفريدة

ــ كان في وسعك أن تخبريني بعد وصولنا مباشرة

ــ آه . والفد استمتعنا معا وانت خالي البال بكل هذه الفترة المرحة وهذا الرقاد المستمر والنبيذ والدجاج المشوي ثم الرقاد مرة اخرى

ـ ولكن هذه خديعة

ـ وكيف تعيبها ؟ لقد حصلت على هذه السعادة بخديعة فيكتور أيضا

***

وهكذا يبدو الجو مبددا ٠ فالعشيق حانق لان الزوجة تحزم حقائبها لتذهب الى الفندق الكبير الفاخر حيث تنتظر زوجها ويقضيان معا أسبوعا هناك ٠ اما هو فليس أمامه سوى الاسراع بالرحيل بعد ساعة ٠ ولا يجدى التماعها اياه لانها لو لم



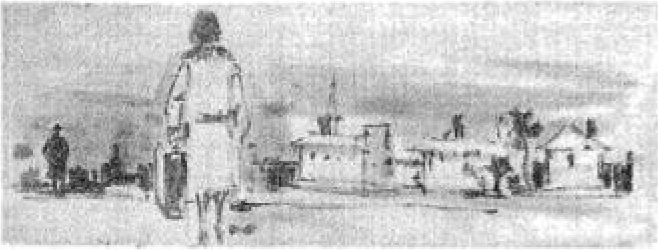
تقابل زوجها هنا تستقبله فى لندن فليس له ان يتذمر وهو يحظى بخير ما لديها بغير شئ من جانبها ٠ وهى طول الوقت مشغولة بترتيب الحقيبة الاخيرة واذا بها تكتشف ، أن فعلها مكسور فينزل كلايف ليشترى حزاما جلديا لربط به الحقيبه ويأخذ حقيبة معه ٠ وتواصل مارى ترتيب اشيائها وتتصل تليفونيا بادارة الفندق لتطلب قائمة الحساب ٠ وظهرها الى باب الغرفة ٠ وفى هذه الاثناء يفتح الباب ويبرز الخادم فاتحا الطريق لزوجها فيكتور ثم ينسحب الخادم ويغطى فيكتور عينيها من الخلف بيديه

ولتكون مفاجاة مثيرة يخيل اليه انها مفاجاة مفرحة ٠ ويتبين أنه افلت من حفلة العشاء فى وقت مبكر ليركب الطائرة ٠ واتجه الى الفندق الكبير فلم يجدها وصلت بعد ٠ ولما كان يعرف أنها تقيم هنا مع صديقتها ، فقد كان لابد أن تترك له عنوانها ليتصل بها عند الضرورة اذا حدث أى طارىء ـ فقد حضر على الفور ليجدها الفندق ألطف كثيرا من الفندق الكبير ويقرر البقاء معها فى هذه الحجرة نفسها

وفى هذ اللحظة يبدو فى الباب رجل هولندى دائم الابتسام يعرفها أنه صاحب مصانع آلات جراحة الاسنان فى هولنده وكان عضوا فى المؤتمر وعيبه الكبير أنه لا يتكلم الانجليزية ، ولكنه غنى جدا ومصر على دعوتهما لزيارة مصانعه والاقامة فى ضيافته

واستدعى فيكتور الخادم للترجمة ، وهكذا عرف الخادم من عبارات التقديم ان مارى زوجة فيكتور وليست زوجة الرجل الاخر الذى نزل بحقيبته منذ قليل ، ولكنه يخفى دهشته ٠ وتشعر مارى بالحرج فتطلب الى زوجها النزول مع صديقه كى ترتدى ثيابها ٠ الا أن الرجل الهولندى يمسك بيديها ويهزهما مندفعا فى خطبة طويلة بالهولندية عن سروره بمعرفتها ، وفى هذه اللحظة يفتح الباب بشدة ويدخل كلايف وبيده الحزام فيجد فى مواجهته فيكتور الذى يستقبله بترحيب عظيم ٠ ويرتبك كلايف قليلا ولكن مارى تتدخل بثبات وبساطة قائلة انها التقت به صدفة فى امستردام وقد جاء يشترى صفقة من الكتب النادرة ٠ فأمستردام اكبر سوق فى العالم للكتب الاثرية والماس ٠ وتذوه برقته البالغة مع صديقتها العانس ، جين ، التى سافرت هذا الصباح عائدة الى اسكتلنده وهى تلهج بالثناء عليه ٠ ويدعوه الهولندى للنزول فى ضيافته أيضا ٠ ويلح عليه فيكتور فى القبول لانه سيكون مشغولا بالزيارات العلمية فيتولى مصاحبة مارى ، معظم الوقت ٠ ولكنه يصر على الرحيل

ويخرج فيكتور مع الهولندى عندما يرى زوجته تدخل فى حديث لا رأس له



ولا ذنب عن طبعات أثرية من كتب اشتريناها معا هي وكلايف . وهي حيلة كانت تريد بها استبقاء كلايف مدة اطول . وما ان ينفردان في الحجرة حتى ينفجر كلايف متهكما لانها ستضاجع زوجها في ذلك الفراش نفسه ويطالبها أن تنفصل عن زوجها فورا والا فارقها فراقا أبديا . ويرفض أن يصدق ان رجلا في الدنيا ينام معها في فراش واحد ولا تتحرك فيه الرغبة

ـ انظري في المرآة قبل أن ترتدي ثوبك لتدركي صدق قولي . وانا لن أصدق ان خمس عشرة سنة تكفي لقتل الرغبة مالم تمكثي معي خمس عشرة سنة تقضين كل ليلة من لياليها في فراش واحد معي . وستجدين عندئذ أن رغبتي فيك لم تخمد

ـ ولكن كيف اترك الطفلين ؟

ـ الزواج الخالي من الحب ضار بالاطفال!

ـ مشكلتك انك لاتريد أن تفهم ان هناك أنواعا كثيرة من الحب . وان عدم وجود صلة جنسية بيني وبين فيكتور ليس معناه انه لاحب بيننا . ان زواجنا مبني على حب من نوع آخر . وانا اريد أن احظى بالحبين فكل حب منهما لايتنافى مع الحب الآخر، فلماذا لا تبقى معي هذا الاسبوع ايضا ؟

ـ أتتوقعين مني ان استأجر الحجرة المجاورة لكما واظل طول الليل استرجع ماكان بيننا في هذا الفراش ، واتذكر في انك ترقدين فيه معه ؛

ـ لست أدري لماذا لاتريد ان تواجه الحياة بسهولة وبساطة ؟

انت اكثر نساء الدنيا تحررا من الحاسة الاخلاقية . ومع هذا اريد أن اتزوجك . اما أن تتزوجيني وانا الا نتقابل بعد الآن

ـ لماذا تفكر بهذه العقلية وتؤزم الامور بدون داع ؟ ان الامر يبدو سهلا في نظري لانه لن يكلفك أن تقول لشخص تحبه « سأتركك بعد ستة عشر سنة لاجل رجل نمت معه شهرا واحدا ! » أنا متزوجة ياكلايف وانت غير متزوج . ولهذا فانت أجنبي بالنسبة لي حتى حين أنام معك

ـ ولهذا اريد أن اتزوجك ، حتى لا أبقى أجنبيا عنك

ـ بل انت جامد العقل و مخلوع . تريد فقط أن تكون عشيقا بترخيص قانوني . ومع هذا لك ما تريد . ولكن اعطني فرصة لامهد الجو حتى يناير القادم بعد انتهاء اعياد الميلاد وعطلة نصف السنة .. او الى أن يفطن هو للحقيقة

ـ ان لديه موهبة خارقة

ـ هذا طبيعي فلانك مفتون بي تظن كل رجل يشتهيني . اما هو فلانه لايشتهيني لا يخطر بباله ان رجلا في الدنيا بأسرها يمكن أن يشتهيني ولكن اذا فرض انه عرف الحقيقة فلن يغضب . وسيكون كل شيء سهلا عندئذ . لانه لن يكون عليّ ان اختار بينكما

وومضت في ذهن كلايف فكرة . فوافق على اقتراحها فورا وتصالحا تقبله على أن يلتقيا بعد اسبوع في شقته بلندن . وكانت وهي تحدث قد دخلت الحمام وارتدت ثوبها فدعته للنزول ولكنه استمهلها ليكتب خطابا على مكتبها الصغير في الحجرة . وهكذا تركته لرن الجرس واستدعى الخادم واعطاه عشرة جنيهات ثم املاه خطابا الى الدكتور فيكتور رودس بلندن يخبره بأن زوجته قضت الايام الاربعة في هذه الحجرة مع عشيقها كلايف روش وانه

مستعد للشهادة بذلك بصفته خادم ذلك الجناح من الفندق

***

والفصل الثالث بعد أسبوع فى مسكن آل رودس بلندن قرب المساء وماري تستعد لاستقبال ضيوف، وروبن فرغ من واجباته واخذ يعبث بالخطابات المتراكمة على المائدة فى انتظار ابيه فلفت نظره طابع هولندى صدر أخيرا يريد أن يضمه لمجموعته ..

فاستمهلته ماري الى أن يحضر أبوه ويفض الخطاب فلابد انه من صديقه الهولندى صاحب المصنع . ويثرثر روبن مع امه فيحكى لها عن كل مشاهداته أثناء غيابها وغياب ابيه وهو تحت رعاية عمته . ويذكر لها ضمنا أنه رأى كلايف مع آن جالسين على الحشيش فى الحديقة صباح الاحد وقد تشابكت أصابعهما حول عنقه فاستنتج أنهما سيتزوجان قريبا واستنكر ذلك لانه اكبر منها بعشرين سنة . وتنهره امه فى عصبية . وعندئذ يدخل فيكتور وعليه آثار التعب من اول يوم فى عيادته عقب الرحلة مباشرة . ويطالبه روبن بالطابع ليعطيه اياه ولا يفكر فى فض الخطاب مرجحا انه من صديقه الهولندى ويأسا من فهم تعبيراته الهولندية وليس هناك من يتولى ترجمتها .

وتنصحه ماري أن يصعد الى حجرته وتنوب عنه فى الاعتذار للضيوف وهم يمينهم آل هاوارد وكلايف .. ولكنه يفضل البقاء ويطلب منها أن تأتيه بكأس شراب لينعشه . وتغيب دقيقة كى تحضر الكأس فيتسلى اخيرا بفض الخطاب .. وما ان يطالعه حتى يمتقع ويقطعه نصفين ولكنه يعود الى تلاوته ويضعه أمامه ويشرد مذهولا

وفى هذه اللحظة تعود ماري وهى تثرثر خلية البال حول ما تقدمه للضيوف .. وفجأة يسألها

— ماري . هل كان روث يضاجعك فى امستردام ؟ هل كان ينام معك فى فراش واحد تلك الايام الاربعة ؟

وبعد لحظة صمت قصيرة تقول باختصار « نعم » وبعدها يسود صمت طويل الى أن يقطعه قائلا

— ما أغباني . والمفروض أن اسرلانتها، هذه الاكاذيب ومعرفة الحقيقة ولكني فى الواقع لا اشعر بأدنى سرور . ولولا هذا الخطاب لظللت جاهلا سعيدا بجهل . انه ليس من صديق لى بل من خادم الفندق

— ولكنك مزقته !

— أول ما تبادر الى ذهنى أن اتجاهل الخطاب كأنه لم يصلني . ولكني لم اقو على ذلك

وينشب بينهما حوار هادئ، ولكنه موجع ، نعرف منه أن الزوج هجر فراشها هذه السنوات الخمس منذ لاحظ عليها برودا وانصرافا ، وهى اعز عليه واكرم من أن تكون متاعا من طرف واحد كأنها بائعة هوى من فتيات الطريق ، فصرف عنها ما احس انها منصرفة بنفسها عنه .. ويسألها فى النهاية أهو ينوى الزواج منها فأكدت له ذلك وراحت تعتذر بأن حياتها معه صارت مملة ، وهو يؤكد لها أن شيئين هامين فى الحيـــاة لابد فى سبيلهما من احتمال السأمة والملل . الا وهما المهنة والزواج . وان من الحمق تبديل شيء من هذين لمجرد دفع الملـــل . ثم هو مشغول البال الى اقصى حد بأمر كلايف وكيف يلقاه هذه الليلة عند حضوره مع الضيوف، فلا خبرة له من قبل بما ينبغى أن يكون عليه أول لقاء بين العشيق والزوج الذى عرف أنه مخدوع .. وهو يسألها النصح كيف يتصرف جريا على عادته فى الاسترشاد برأيها فى كل تصرفاته . ويكتشف ما فى طلبه نصحها فى هذا الموقف بالذات من سخف ليضحك

ويقطع عليه حيرته صرير الباب ودخول كلايف . فاذا فيكتور ينهض تلقائيا للاقاته شأن رب البيت المضياف بحكم العـــادة ويتبادلان المجاملة المعتادة والتهنئة بسلامة الوصول من عطلة يرجو أن يكون الزوجان قد سعدا بها . ثم يرن الجرس ايذانا بقدوم بقيـــة الضيوف . وبذلك ينتهي الفصل الثالث

وفي الفصل الرابع نجد انفسنا حيث كنا في الفصل الثالث وقد اخذ الضيوف في الانصراف بانتهاء الحفلة . ونجد فيكتور وقد توترت اعصابه وفقد تحامله على نفسه فيكاد يصطدم بصديقه القديم هاوارد بسبب نكتة بريئة وينصرف غاضبا ليخلو بنفسه في الجراج بأقصى الحديقة. وينصرف آل هاوارد معتذرين ومارى تحاول التخفيف عنهما متعللة بتوعكه في مزاج زوجها . ولا يبقى في البيت الا كلايف . فتخبره مارى انه تلقى خطابا من هولنده



وانه ثائر ويكى . بدلا من أن يغضب فيصارحها كلايف انه هو الذى امل الخطاب على الخادم . وتثور به فيقول انه لم تكن امامه وسيلة لتفريقها عن زوجها الا بهذه الحيلة الدنيئة . وانه لايقيم وزنا للاخلاق في سبيل الحصول عليها . فلا يؤلمه ان يكون سافلا اذا ظفر بها . فيعجبها هذا الكلام وتقول انها تفهم هذه اللغة . وان في اعماقها حنينا الى الوحل. وانها لذلك تحبه ولا تطيق الافتراق عنه .

وفي هذه اللحظة يدخل فيكتور من باب الحديقة . لتدرك مارى ان الموقف لايحتمل فتستدير بحدة وتخرج من حيث دخل زوجها . وندرك لاول وهلة انه استفاد من خلوته مع نفسه فعاد هادىء الاعصاب مرتب الذهن الى درجة البرود . ويبادر كلايف قائلا

ـ ما رأيك يا كلايف في كأس من الويسكى الجيد من الزجاجة التي احتفظ بها للاصدقاء الحميمين ؟

ـ انا لا اعتبر نفسى صديقا حميما لك

ـ بالعكس . بيننا اشياء عزيزة مشتركة ليس من المألوف أن تجمع شخصين عاديين وخصوصا اننا سنتقابل كثيرا من الان فصاعدا

ـ لا داعى للف والدوران . لقد وصلك ذلك الخطاب

ـ اوه . ان هو الا ورقة وقد مزقتها وسينتهى الامر بنسيانها بمرور الوقت . فليس في نيتى أن أطلق مارى . وكل ما أطلبه منك بعد ان صارحتنى بانها لاتستطيع الابتعاد عنك أن تراعى سمعتى وشعور الطفلين . وقد وجدت الحل السعيد في وفاة والدة مارى

ـ حقا ؟ ولكن ما العلاقة ؟

ـ العلاقة ان لا أحد هنا يعلم بوفاتها : ففى وسعها بين فترة واخرى أن تخطف رجلها للقضاء بضعة أيام في زيارة امها المريضة في بونتفراكت . وفي هذه البلدة الصغيرة فندق لطيف مريح

ـ اللعنة ! في وسعك أن تستطيع دور الزوج المتساهل . لكنكم تستطيعون هذا أيها الازواج . اما انا فلا يمكن ان اكون عشيقا متساهلا . سأخرج من حياتك الى الى الابد . ولن أضايقك بعد الان .

ـ المسألة انك لن تخرج من حياتي وحدك صارحتنى انها ستخرج معك .

ـ وهذا افضل حل

ـ قد يكون هذا صحيحا بالنسبة لك ولى . ولكن علينا ان نراعى ظروف مارى الخاصة وتعلقها بالطفلين . فعلينا كلينا انا وانت أن نتحامل على نفسينا لنوفر لها الراحة النفسية

ويسود الصمت لحظة ثم يقول كلايف أخيرا : « هل الجو في بونتفراكت شديد القسوة ؟ لا .. هذا من حسن الحظ ! »

ويتزل الستار

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

الدار المصرية

أصدرت خلال شهر نوفمبر سنة ١٩٦٤ السلاسل الآتية :

في أول نوفمبر ١٩٦٤
المكتبة الثقافية
١٢٠

أسرار المخلوقات المضيئة

للدكتور عبد المحسن صالح

تطلب من : دار القلم ١٩ شارع ٢٦ يوليو – القاهرة

الثمن ٢ قرش

في ٤ نوفمبر ١٩٦٤
روائع المسرح العالمي
٥٥

ديردري .. فتاة الأحزان

تأليف : ج . م . سينج – ترجمة : على جمال الدين عزت

مراجعة : د . عبد الغني خلف الله

تقديم : د . عبد الله عبد الحافظ متولي

تطلب من : مكتبة دار التأليف والترجمة (العروبة سابقا) ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٣٨٣

الثمن ٥ قروش

في ٥ نوفمبر ١٩٦٤

تراث الإنسانية

العدد الحادي عشر من من المجلد الثاني

سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل

روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية

تطلب من : مكتبة دار التأليف والترجمة (العروبة سابقا) ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٣٨٣

الثمن : ٥ قروش

في ٧ نوفمبر ١٩٦٤
أعلام العرب
٣٥

أبو حيان التوحيدي

للدكتور زكريا ابراهيم

تطلب من : مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي بالفجالة

الثمن ٥ قروش

التاريخ والسير

للدكتور [illegible] فوزي النجار

[illegible] ١٠ شارع ٢٦ يوليو – القاهرة

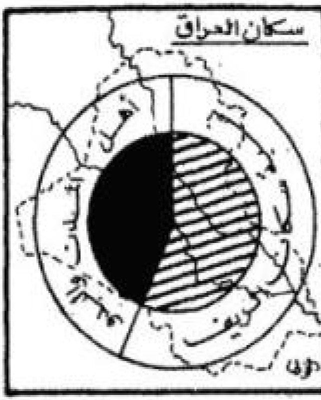
الثمن ٤ قروش

د . راشد البراوى :

إمكانيات الاقتصاد العراقى ومعالمه

كان اتفاق التنسيق السياسى بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية الذى عقد مؤخرا من ابرز الخطوات فى العلاقات بين هاتين الدولتين الهادفتين الى ماهو ابعد مدى من مجرد التنسيق كما كان من اهم الاحداث على الصعيد العربى بوجه عام . ومن قبل ذلك بوقت قصير اتفق الطرفان على العمل من اجل تحقيق « التكامل الاقتصادى » وهو عندنا خطوة على جانب كبير من الاهمية ، لانه يرسى الاساس المادى الصلب الذى يقوم عليه صرح اقتصادى اشمل تتجسد فيه حتمية وامكانية وفعالية وحدة الوطن العربى من الخليج الى المحيط . وفى هذا المقال ، وبالقدر الذى يتسع له المجال ، نعرض لاظهر معالم الاقتصاد العراقى : مقوماته مشكلاته وامكاناته

٥٣ ٪ من الريف..
٤٧ ٪ من المدينة والبدو



تبلغ مساحة العـــراق الـــكلية ٤٤٢ر٤٤٤ من الـــكيلو مترات المربعة . ولـــكن عدد السكان لم يتجاوز ٦ر٦ ملايين نسمة (طبقـــا لتقدير عام ١٩٥٩) . بمتوســـط قدره ١٥ فردا للكيلو متر المربع الواحد ، فكان العراق يتسم بقلة القوة البشرية برغـــم ما نلاحظه من وفرة مقومات تكاثر الحيـــاة البشرية . ويتركز حـــوالى الثلثين من السكان فى السهل الرســـوبى بالأراضى النهرية ، ويقيم نحو المليونين فى الاصقاع الجبلية ، بينما لا يتجاوز عدد ســـكان المناطق الصحراوية ربع المليون مع أنها تعادل ستين فى المائة من المساحة الكلية . ومن هنا يلاحظ أن توزيع الموارد المائية ظل العامل الرئيسى الذى يحكم توزيع السكان

الزراعة ومشكلاتها

وبرغم أن البترول يشغل مركز الصدارة فى قائمة الصادرات العراقية ويعتبـــر مصدر ما يربو على نصف الدخل القومى، فان الزراعة هى الحرفة الرئيسية . اذ تشير الارقام الى أن ٥٣ فى المائة من السكان هم من أهل الريف . لكن الزراعة ظلت ولا تزال ، تعانى من عقبات طبيعيـــة فى مقدمتها ، بل وأخطرها شأنا ، الفيضانات التى كانت تحدث بصورة شبه منتظمة مرة فى كل عامين او ثلاثة أعوام ، ومصدرها الأكبر نهر دجلة ، وكثيرا ما حـــدث أن يفيض الفرات فى نفس الوقت . فيرفع من معدل الخطورة . لهذا كان التحكم فى الفيضانات من أشد المشـــكلات ضرورة والحاحا من ناحية الحل .

ومن أجل تحقيق هذه الغاية الرئيسية نفذت مجموعة من مشروعات الرى ، ومجموعة أخرى يجرى تنفيذها ، ومجموعة ثالثـــة تدخل فى نطاق السياسة المائية المستقبلة . ففى عام ١٩٥٦ تم انجـــاز خزان وادى الثرثار . وهو سد على دجلة عند مدينة سامراء ويستغرق ملؤه عشر سنوات ، وهو الى جانب دوره فى ضبط الفيضان وتخزين كمية من المياه تبلغ ٦٥ مليار متر مكعب ، يتيح توليد طاقة كهربائيـــــة للاغراض المدنية والصناعية . فهو اذن من المشروعات متعددة الاغراض . وفى العام نفسه تم مشروع الحبانية وهو ســـد على الفرات ، يوفر مزيدا من المياه لاراضى مزروعة بالفعل فيتســـنى الحصـــول على محصول مزدوج ، كما يتيح امكانية استغلال مساحات جديدة . وهناك سد دوكان على الزاب الاكبر جنوبى شرق الموصـــل ، والغرض منه توفير الماء لمساحة تبلغ ٧٨٠ الف فدان ، فضلا عن الطاقة الكهربائية ، وخزان دربندخان في أعلى نهر ديالى والغرض منه ابعاد خطر الفيضان وتوســـيع نطاق الزراعة فى منطقة ديالى . وخزان بخمة قيد التصميم ، فى المجرى الأعلى من نهر الزاب الأكبر ، وتبدو أهميته اذا عرفنا أن أعلى فيضانات يتعرض لها دجلة سببها ارتفاع مستوى الماء فى الزاب الأكبر .

ومن العقبات الطبيعية [illegible] زيادة درجة ملوحة الارض فى جنـ[illegible] العراق والتى تعانى منها مساحة [illegible] ٦ فى المائة فى هذا الجنوب ، وتر[illegible] ـهاجر مساحات تتراوح بين ٢٠ ، ٣٠ [illegible] المائة من الارض الزراعية ، كما أنها تؤدى الى خفض الانتاجية الزراعية بنسبة تصل الى ٥٠ ٪ فاذا انتقلنا الى الاعتبارات الاجتماعية

ألفيا أن الظاهرة البارزة كانت تتمثل في الملكيات الكبيرة التي تشغل القسم الأكبر من المنطقة المروية طبقا لاحصاء من عام ١٩٥٢ – ١٩٥٣ [illegible] هناك مثلا :

المساحة بالفدان للوحدة	عدد الوحدات
اقل من ٥ر٢	٢٤٢٧٠
٥ر٢ – ١٢	٢٥٨٤٩
٦٠٠ – ١٢٠٠	١٧٠٢
١٢٠٠ – ٣٠٠٠	١٣٢١
٣٠٠٠ – ٦٠٠٠	٤٢٤
٦٠٠٠ – ١٣٠٠٠	١٦٨
اكثر من ١٣٠٠٠	١٠٤

* * *

وفي سبتمبر من عام ١٩٥٨ صدر قانون للاصلاح الزراعي جعل الحد الاعلى لا يجوز للفرد تملكه ١٠٠٠ دونم من الارض المروية، ٢٠٠٠ دونم من الارض التي تعتمد على الامطار .. [illegible] والنكسة التي تردت اليها ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ جعلت من [illegible] حرفا [illegible] يتولون ، [illegible] بين الحكومة [illegible] في تطبيق الاصلاح الزراعي على النحو السليم . وهنا نرى ان التنفيذ يجب أن يقترن في الوقت نفسه وبالدرجة نفسها بسياسة لتنظيم التعاون الزراعي من جهة وخلق جهاز دقيق للائتمان الزراعي ، وبذلك يتسنى السير قدما بالتنمية

وأهم المحاصيل الرئيسية الحبوب كالشعير والقمح ويتركز [illegible] حوالي ٧٠ في المائة من انتاج الاخير في منطقة الموصل، والارز (بالمناطق التي يغمرها الماء مثل مستنقعات العمارة والديوانية والفرات الاوسط) والتمور الصبشية (بالجنوب لوفرة الماء) والتمور الشامية وانتاجها محدود [illegible] العهد [illegible]

ولما كان الانتاج [illegible] تقلبات واسعة بسبب عدم انتظام [illegible] هما يترتب عليه تذبذب منسوب الانهار، يضطر العراق في بعض السنوات الى استيراد بقية حاجته من الغذاء ، بينما يصدر الحبوب في الاعوام العادية ، وهنا تبدو احدى المهام الرئيسية في اية خطة للتنمية الزراعية ، وتتعهد بها العمل على استقرار الزراعة والانتاج

ومن المحاصيل التجارية الحديثة العهد القطن وبلغت مساحته ١٤٧٫٦٧٨ دونم في عام ١٩٦١ أنتجت ١٥٫٦٨٦ بالة ، ولكن كان يحد من التوسع عدم توجيه القدر

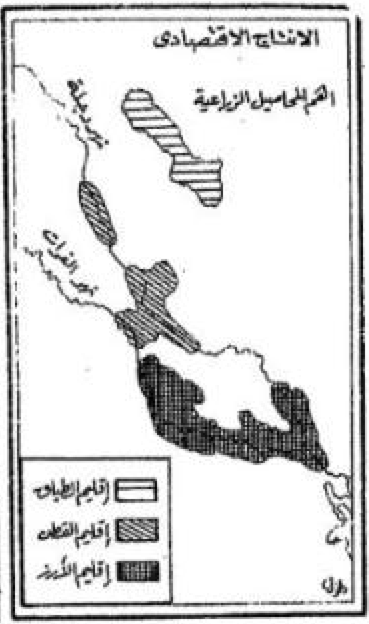


الكافي من الاهتمام لمكافحة الآفات

ويمثل انتاج العراق من التمر ٨٠ في المائة من التجارة العالمية في هذا المحصول، وهو يلي البترول أهمية اذ يشكل ٤ في المائة من مجموع الصادرات ، وعدد أشجار النخيل ٣٠ مليون شجرة منها ٢٤مليونا مثمرة ، ويتركز نحو نصف الانتاج في شط العرب

التنمية الزراعية

هناك امكانات واسعة أمام التنمية الزراعية ، فالبلد لا ينقصه الماء ولكنه يحتاج الى سياسة متوازنة للتحكم والضبط والتخزين، ولا تعوزه الارض اذ تقدر مساحة الاراضي الصالحة للاستغلال الزراعي بنحو ١٣٦ ألف كيلو متر مربع اي أكثر من ربع المساحة الكلية ، ولعل العراق من هذه الناحية اوفر حظا من كثير من بلاد الوطن العربي ، ولا يفتقر الى المال وبخاصة اذا





حدث التوسع الواجب في الانتاج البترول مثلا ..

غير ان الارتفاع بالزراعة الى المركز اللائق يقتضي تخطيط العملية ، فلابد من الاسراع باستصلاح الاراضي التي تقلصت اجلها طاقة من المشروعات المالية ، وذلك الى جانب وضع برنامج للمستقبل حتى يتسنى التحكم في الفيضانات نهائيا وتخزين الماء بما يكفل استقرار الزراعة وضمانها

لعل في مقدمة الاعمال التي يجب ان ... بالاهتمام ، توفير مشروعات الصرف ... من ... وبالتالي لزيادة الانتاجية فالانتاج ، واذا قيل ان التوسع ... بالاراضي المستصلحة فعلا او التي ... استصلاحها او التي سوف يحصل ... المساحات ، قد يصطدم بعدة ... ، فالوسائل متعددة للتغلب

على هذه العقبة ومنها الزراعة الميكانيكية على ان تقوم بتوفيرها وتزويد الزراع بها عن طريق الاجهزة اللازمة ، وبالتسهيلات العادلة

ثروة الحيوان

وينتشر الرعي في معظم سهول الرافدين وفي ارض الجزيرة، واهم انواع الثروة الحيوانية الاغنام (في الجزيرة وعلى الجانب الايمن الجنوبي للفرات) والماعز ويعيشها في الاجزاء الشمالية والشمال الشرقية المرتفعة ... والماشية التي ... حيث يتوافر العلف على ... وتستخدم غالبا في اداء بعض العمليات الزراعية ، أما سكان ... فيركزون على الجاموس

ونيسا يلي ارقام ... الحيوانية طبقا لتقدير ...

الانعام

الماعز	١٫٧٤٣٫٣٠٠
الماشية	٨٥٫٥٨٣
الجاموس	٤٤٫٣٩٢

وحتى عام ١٩٥٨ تم مسح وتحديد ٦٦٢٫٣١٤ دونم من أراضي الغابات. وتوجد الغابات في أقصى الشمال الشرقي، وتشغل اشجار البلوط ٩٦ في المائة.. وكانت مساحة الغابات أكبر بكثير في الازمنة الماضية ، ولكنها تناقصت بسبب الاسراف في قطعها لاغراض الزراعة المتنقلة من جهة ، وللانتفاع بأخشابها من جهة اخرى .

دور البترول ومستقبله

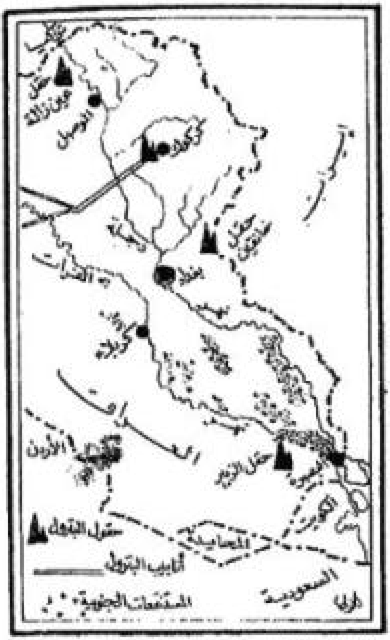
ولا تزال حقيقة الثروة المعدنية في العراق مجهولة الى حد كبير نظرا لعدم القيام في الماضي بالدراسات اللازمة ، وان كان التركيب الجيولوجي يوحي بوجود انواع مختلفة من المعادن الفلزية واللافلزية ، ذلك أن العراق يشغل جزءا مما كان في العصور السحيقة بحرا تراكمت فيه طبقات من الصخور الرسوبية تغطي مناطق بها صخور نارية قديمة ، فضلا عن تعرض المنطقة للحركات الالتوائية التي تفسر وجود البترول

ويعتبر البترول أهم مصادر الثروة المعدنية المستغلة في الوقت الحاضر وتتولى الانتاج شركة نفط العراق المحدودة وشركة نفط البصرة المحدودة وشركة نفط الموصل المحدودة ومجلس ادارة البترول « خانقين »

ويحتل العراق المركز الرابع في الشرق الاوسط من ناحية الانتاج الذي بلغ ١١٥٣ الف برميل في اليوم في نهاية ١٩٦٣ ، بعد الكويت والمملكة العربية السعودية وايران ، كما يشغل نفس المركز من ناحية الاحتياطي الذي قدر في نهاية العام الماضي بنحو ٢٥٥٠٠ مليون برميل من مجموع مدخراته في الشرق الاوسط كله قدرت بحوالي ٢١٣٩٩٣ مليون برميل .

وقد زاد الانتاج البترولي باطراد خلال السنوات الاخيرة فارتفع من ٣٤٫٩ مليون طن طول في عام ١٩٥٨ الى ٤٨٫٢ مليونا في عام ١٩٦٢ ، وزادت العائدات تبعا لذلك من ٧٩٫٩ مليون دينار الى ٩٥٫١٣ مليونا

وفي ١٢ اكتوبر من عام ١٩٦١ ، وبعد مفاوضات دارت طويلا صدر قرار بتخلي الشركات الثلاث عن مناطق امتيازها عدا



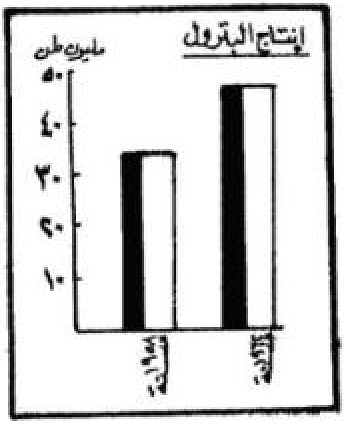
المناطق القائمة بالانتاج فعلا ، وهو قرار انقص المساحة بحوالي ٩٩٫٥ في المائة ، لكن حكومة ذلك العهد لم تفعل شيئا من اجل سياسة واضحة وعملية للتوسع في الانتاج وهذا ما تنبهت اليه الحكومة الان وهي بصدد تنفيذ سياسة قومية سليمة في هذا المجال البالغ الاهمية .

ويلاحظ على الثروة البترولية في العراق

اولا ـ ان الانتاج الحالي يأتي من مساحة لاتتجاوز نصف في المائة من المساحة التي كانت ممنوحة امتيازات للشركات العاملة. ومعنى هذا ان جهودا اكبر لم تبذل في بقية مناطق الامتيازات .

ثانيا ـ ان الانتاج ويتجاوز خمسين مليون طن الان في السنة دون ما ينبغي من المنطقة المستغلة فعلا . وكان المفروض ان يصل الى ٧٠ مليون طن في عا ١٩٦٥. وهذا التوسع المنشود يكمن وراء السياسة البترولية الجديدة للحكومة القائمة بالامر.

ثالثا ـ وهذه ناحية بالغة الاهمية والقصد



بها ضآلة النسبة التي يجرى تكريرها في العراق سواء من الناحية المطلقة وهي ٧٦ الف برميل في اليوم او بالقياس الى ما يجرى عليه الحال في البلاد الاخرى من اقليم الشرق الاوسط كما يتضح من الارقام الآتية :

طاقة معامل التكرير

في ختام ١٩٦٣ (بالالف برميل يوميا)

ايران	٥٠٦
الكويت	٣٦٠
السعودية	٢٥٥
البحرين	٢٠٥
العراق	٧٦

وتوجد معامل التكرير العراقية في القيارة ، الوند ، المفتية ، الدورة وبغداد .

ومن هنا يتضح أن من المهام الرئيسية الآن التوسع في الطاقة التكريرية في البلاد ، والعمل على انشاء صناعة بترو ـ كيميائية واستغلال الغاز الطبيعي الذي يجرى الحصول عليه من استخراج البترول الخام

وضع الصناعة

والعراق لم تتح له الظروف في الماضي من الاخذ بمبدأ الصناعات . وتقتصر الصناعات القائمة على أنواع من السلع الاستهلاكية كالاسمنت والصابون والزيوت النباتية والاحذية وعيدان الثقاب والمنسوجات . والطوب والسجاير وتعبئة التمر ، وذلك الى جانب مرافق الماء والكهرباء . وكان الملاحظ على القطاع الصناعي غلبة المؤسسات الصغيرة التي لا تختلف عن المحال الحرفية التقليدية والتي تسير على أساليب بدائية ذات كفاءة منخفضة وان تميزت السنوات الحديثة بقيام مؤسسات صناعية متوسطة الحجم او كبيرة نسبيا ، وقد بلغ عددها ١٢٣٦ في عام ١٩٦٠

والواقع أن الظروف اصبحت مواتية للتقدم الصناعي في العراق لاسباب كثيرة نذكر منها :

١ ـ وفرة وتنوع الخامات والزراعية منها بوجه خاص

٢ امكانية استخدام البترول والغاز الطبيعي لعمل السماد وغيره

٣ ـ وفرة الوقود ورخص ثمنه (البترول، الغاز الطبيعي ، فضلا عن الكهرباء التي يمكن توليدها من مشروعات الرى الحالية والمستقبلة)

٤ ـ وجود المال اللازم بفضل العائدات البترولية أساسا .

القطاع العام والتكامل

لكن التنمية الصناعية تتطلب أن تؤخذ طائفة من الامور في الحسبان :

اولا ـ قيام الدولة بدور ايجابي في عملية الانشاء الصناعي . ومعنى هذا انشاء **قطاع عام قوى وقادر** ، وهذا ماتعمله العهد الحاضر حيث ارسى أساسه ، فكان الاجراء خطوة حاسمة ، بعد أن ثبت ـ وبخاصة من تجربة الجمهورية العربية المتحدة ـ الدور الكبير الذى حققه هذا القطاع

ثانيا ـ القيام بعمليات مسح واسعة النطاق للبحث عن مصادر الثروة المعدنية التي يمكن استغلالها في اقامة الصرح الصناعي

ثالثا ـ وضع خطة للتنمية الصناعية تقوم على مبادىء الاولويات اولا مع مراعاة

التكلفة الاجتماعية أولا وقبل كل شيء. اذ قديرى اقامة صناعة معينة بدلا من استيراد منتجاتها . ولكن استغلال المال الذى يخصص لها لاقامة صناعة أخرى او لتنفيذ مشروع زراعى ، قد يعود على المجتمع بفائدة أكبر من المقدار الذى يراد توفيره بسبب عدم الاستيراد فى حالة الصناعة الاولى . وثانيا يجب أن تقوم الصناعات فى المرحلة الاولى على الاقل على المواد المتوافرة محليا . والاعتبار الثالث هو التكلفة الاقتصادية والا عجزت الصناعة عن المنافسة من الخارج . كما ان ارتفاع التكلفة ، لسبب أو آخر ، انما يرتد على المستهلك . وموضوع التكلفة يجب ان يسترشد بحجم السوق الداخلية اولا . ولعل عنصر التكلفة الاقتصادية تتجلى اهميته فى حالة التصدير اذ هنا يجب أن تكون الاسعار تنافسية ، بل والانواع تنافسية من حيث الجودة مع السلع الاجنبية المماثلة .

وثمة ناحية يجب أن تكون موضع الاهتمام لانها وثيقة الصلة بنظام التكامل ـ او هى اساس هذا النظام بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة يراعى عند التخطيط :

(أ) تفادى تنافس لا مبرر له بين صناعات متماثلة

(ب) ان تكون القاعدة هى انسب الظروف والاماكن من الناحية الاقتصادية لانشاء صناعة ما

(ج) قد يرى اقامة صناعة فى احد البلدين بينما الخام فى البلد الاخر ، بسبب توافر ظروف افضل فى الاول

ضرورة التوازن

واذ ننتقل الى تجارة العراق الخارجية نلاحظ ان الصادرات عبارة عن مواد اولية وبخاصة البترول ومواد غذائية فى السنوات التى تجود فيها المحاصيل . وتتمثل الواردات فى مواد لاتنتجها البلاد مثل السكر والشاى ، وفى عدد من السلع المصنوعة من قبيل المنسوجات والورق والآلات والحديد والصلب . وبسبب موقع البلاد الجغرافى اذ تجاور سوريا وتركيا وايران وتقع على الخليج العربى ، كانت تجارة الترانسيت ذات اهمية فى الاقتصاد العراقى

غير ان نظرة الى بنود التجارة الخارجية من جانبى الصادرات والواردات ، تكشف عن حقائق تستاهل الاهتمام ، فى مقدمتها مدى اعتماد رخاء العراق وتقدمه على سلعة واحدة هى البترول ، لا يملك السيطرة على اثمانها واسواقها ، بل ولا يسيطر ـ حتى الان ـ على انتاجها وتسويقها . فاذا ما استثنينا البترول فان الصادرات المحلية لاتشكل سوى نسبة ضئيلة للغاية من قيمة الواردات ، فهى لم تتجاوز ٤ر٦١ . ٥ر٥ فى المائة فى عامى ١٩٦٠ ، ١٩٦١ على التوالى ، مثلا

ومعنى هذا انه لولا البترول لاستحالت موازنة ميزان المدفوعات ، بل ولاستحال على العراق تلبية حاجته من المواد الاستهلاكية الضرورية ، ولا نقول السلع الراسمالية والخامات اللازمة للنهوض . وتتضح خطورة هذه الحقيقة اذا ما جدت ظروف دولية حالت دون تصريف جانب من البترول او اوقفت الانتاج . فالمهمة الان هى تنويع الانتاج من جهة ، وزيادته من جهة اخرى ، حتى يرتفع نصيب مصادر الثروة الاخرى خلاف البترول

ولهذا التنويع ولهذه الزيادة فى الانتاج اهميتها من ناحية اخرى . فالخطة المرسومة لتحقيق التنمية الاقتصادية سوف تؤدى الى ارتفاع كبير ومطرد فى الواردات من السلع الراسمالية والموارد الاولية الاخرى ، وهذا ارتفاع قد لا تتمشى معه الزيادة فى العائدات البترولية اذا ظلت المصدر الرئيسى

وثمة حقيقة اخرى هى اية نظر الظروف العراق المناخية التى تؤدى الى تذبذب الانتاج الزراعى ، لهذا تتقلب الصادرات من المنتجات الزراعية والحيوانية . وهذا يتصل طبعا بسياسة تحقيق الاستقرار فى قطاع الزراعة مما يجب أن يكون عنصرا اساسيا من عناصر خطة التنمية وفى اطار سياسة التكامل

ان بالعراق امكانيات واسعة وسوف يعمل على تحقيقها ، ما فى ذلك ريب

عبد القادر التلمساني :

أسبوع



بدأت السينما الروسية في ظل القيصر نيكولا الثاني عام ١٩٠٨ بداية متواضعة فقد كانت الافلام الاجنبية — والفرنسية على الخصوص — هي التي تحتل المكانة الاولى على الشاشة الروسية . وفي خلال الحرب العالميــة الاولى ، ومع توقف تدفق الافلام الاجنبية ، زادت السينما الروســية من انتاجها وخلقت لنفسها نجوما عالميين من امثال ايفان موسجوكين I. Mosgoukine واخذت موضــوعات افلامها من كبار ادبائها من امثـــال دوستويفسكى وتولستوى ، وارتفع مســتواها الفنى وان كان في حدود المحافظة على الطابع التجارى للسينما في ذلك الوقت . ثم جاءت الثورة الاشتراكية في اكتــوبر ١٩١٧ فتوقف نشــاط السينما القيصرية واغلق اصحاب دور العرض السينمائية صالاتهم وانضــم بعض المنتجين الى الجيش الابيض ، وحاربوا الثورة الاشــــتراكية ثم هاجروا بعد ذلك مع الكثير من المخرجين والممثلين ((موسجوكين مثلا)) والفنيين الى الخارج .. الى فرنسا والمانيا والى هوليوود .. وهكذا وجدت السينما السوفييتية نفســها تجابه مصاعب هائلة حين ولادتها



اعلى : رسوم لشخصيات فيلم ((ايفان الرهيب)) والى اسفل لقطة من نفس الفيلم اخــراج ايزنشتين ١٩٤١ . .

الفيلم السوفيتي

لكن بعد انتهاء الحرب الاهلية وحروب التدخل الاجنبي عام ١٩٢٢ عاد السلام الى الارض السوفييتية .. واعيد بناء اقتصادها الوطني من جديد وقال لنين كلمته الشهيرة : « **السينما — من بين كل الفنون — هي بالنسبة لنا اكثرها اهمية** » وفتحت الاستوديوهات السينمائية من جديد ..

غير ان مستقبل السينما السوفييتية لم يبلوره الا جماعات طليعية كونها بعض الشباب بمساعدة الحكومة الاشتراكية الجديدة .. فكان « المعمل التجريبي » **لكوليشوف** **Koulechov** و « **السينما الحقيقية** » **لدزيجا فيرتوف** **Dziga-vertov** ولعل نظرية فيرتوف ، التي لم يلبث ان سماها بعد ذلك « السينما — العين » هي أول نظرية ابتكارية في السينما السوفييتية ، وكان فيرتوف لموجهها بصور الحقيقة البسيطة العارية ويلتقطها من الحياة ، ثم عن طريق استخدام فن المونتاج وترتيب اللقطات يستخرج المعاني بعد ذلك

العمالقة الثلاثة

وقد استوحى ايزنشتين **Eisenstein** عملاق السينما السوفييتية الاول — « ١٨٩٨ — ١٩٤٨ » — نظرية فيرتوف هذه ، واظهر براعته الفنية في فيلمه الاول « **الاضراب** » — ١٩٢٤ — ثم اكدها في فيلمه الرائع « **المدرعة بوتومكين** » — ١٩٢٥ — وقد نال هذا الفيلم العظيم اعجابا هائلا في شتى انحاء العالم كنموذج فريد لبراعة المونتاج ، وقوة التعبير في التكوين السينمائي .. كما اكد ايزنشتين موهبته في فيلم « **اكتوبر** » — ١٩٢٨ — وفيلم « **الخط العام** » — ١٩٢٩ — وفي فيلميه الناطقين بعد ذلك ، « **الكسندر نفسكي** » — ١٩٣٨ — و « **ايفان الرهيب** » بجزئيه — ١٩٤٤ ، ١٩٤٦ —

* * *

وبينما برع ايزنشتين في اخراج الجماهير على الشاشة ، نجد ان بودوفكين **Poudovkine** العملاق الآخر — « ١٨٩٣ — ١٩٥٣ » — قد اهتم بابراز الشخصية الخاصة لكل فرد باعتباره نموذجا للملايين كما في فيلم « **الام** » — ١٩٢٦ — المأخوذ عن قصة جوركي الشهيرة .. وفيلم « **سقوط بطرسبورج** » — ١٩٢٧ — « **وعاصفة على اسيا** » — ١٩٢٨ — وفي افلامه الناطقة بعد ذلك وكان آخرها فيلم « **الحصاد** » عام ١٩٥٣ .

أما ثالث العمالقة الاول للسينما السوفييتية فهو المخرج الاوكراني الكبير **دوفجينكو** **Dovgenko** « ١٨٩٤ — ١٩٥٦ » وقد كان له مزاج فني مختلف تماما عن زميليه فقد كان يبني اعماله على « افكار » خالدة وينشد لحن الوجود في افلامه .. لحن الحياة . وقد لقبوه في بلاده بل الخارج على السواء « **شاعر الشاشة** » واعظم افلامه الصامتة فيلم « **الارض** » عن التحولات الاشتراكية في القرية السوفييتية وعن انتصار الروح التعاونية الجماعية على نمط الحياة في ظل الملكية الاستغلالية . وآخر اعماله الناطقة هو فيلم « **سنوات النار** » عن الحرب الوطنية السوفييتية ضد العدوان والفاشستية « ١٩٤١ — ١٩٤٥ » وقد كتبه الفيلم على ورق ثم مات قبل ان يحققه ، فقامت بالعمل من بعده زوجته وشريكة حياته الفنية المخرجة « **جولي سولنتسيفا** »

بل عرض علينا الفيلم باسم دوفجنكو وباسم زوجته في اسبوع السينما السوفييتية



الطفولة الشردة في فيلم قوس قزح

في العام الماضي ، وكان من اروع ما عرض في ذلك المهرجان ..

وازدهر الفن السينمائي السوفييتي خلال الاربعين سنة الماضية ، وظهرت فيه مواهب عديدة من امثال دونسكوي المخرج قوس قزح — ١٩٤٤ — والام — من قصة جوركي — ١٩٥٦ » وبوتكيفيتش « مخرج عطيل — ١٩٥٦ — وحكايات عن لنين — ١٩٥٨ » وكوزينتسيف « مخرج دون كيشوت — ١٩٥٧ ، و « هاملت » — ١٩٦٤ — احد روائع اسبوع الفيلم السوفييتي في القاهرة هذا العام .

اشتريت ابا

بدأ « الاسبوع » في التاسع من شهر اكتوبر بفيلم من انتاج ستوديوهات جوركي بموسكو — وهي المختصة بانتاج افلام الاطفال — وفيلم « **اشتريت لنفسي ابا** » بطله طفل في الخامسة يتمنى كل رجل ان يكون أبوه ومع ذلك فليس للطفل اب .. لماذا ؟ كل ماقالته أمه حينما سألها الصغير « من اين جئت ؟ ولماذا ليس لي اب » اجابته بأنها اشترته من دكان ولكن لم يكن معها من النقـود ما يكفي لكي تشتري أبا كذلك

ويتخيل الصغير في المنام كيف اشترته امه من المحل وكيف عجزت عن شراء أب له . وقد صور المخرج حلم الطفل بصورة مرحة .. استعمل فيها حيلة سينمائية



لقطة من فيلم « اوبرا بولانت » لتشايكوفسكي

بسيطة هي ما يسمى « بالاسراع » حيث تبدو كل حركة على الشاشة سريعـة ومضحكة ، كما استعمل غموض « الفلو » Flou وخطوط اضوائه بشاعرية جميلة

وحينما استيقظ الصغير من النـوم كان قد نسي حلمه .. ولكنـه بدلا من الذهاب الى حديقة الاطفال في الصباح راح يبحثا عن ذلك المحل الذي رآه في المنام ليشتري منه ابا بما يحمل من « مصروف » !

« مانيكان » لشاب وسـيم يقف في الفاترينة ويرتدي بذلة للبيع .. المانيكان يبتسم دائما .. يصعد اليه الصغير في الفاترينة لينحني له الشاب ويحنو عليه ثم يحمله ويخرج به من الفاترينـة . وباشارة من يده تتقهقر السيارات كلها

وعلى امتداد الطريق .. ويعبره الصغير امام سوفيته مع ابيه .. ثم نرى «الايكس» في مكانه وفي الفاترينة .. جامدا لا يتحرك .. والصغير على الرصيف امامه وعيونه مليئة بالدموع !

وبعد .. ليس هناك مجال لتفصيل كل ما شاهدناه مصورا في فيلم « اشتريت لنفسي ابا » وكل ما يمكن ان يذكر هنا تعليقا عليه هو ذلك الفيض الهائل من العواطف الانسانية الرقيقة الرفيعة الممتعة التي تملأ قلب كل متفرج على امتداد اسبوع الفيلم السوفييتي في القاهرة هذا العام

وفي اليوم التالي عرض فيلم جديد اسمه بالعربي « من دمك .. من صلبك » يحكي قصة جندي عائد من ميدان القتال يتعرف وهو في طريقه الى قريته على عاملة شابة « تسحب » معدية من شاطيء الى شاطيء بالجنزير . ويعاونها الجندي في العمل حتى المساء . ونعلم انه اعزب وتعلم انها متزوجة ولكن زوجها قد هجرها الى المدينة لانه بورجوازي صغير لايطيق حياة الريف . ولا يذهب الجندي «فيدوتوف» الى قريته تلك الليلة ، وانما يطلب من « سونيا » ان تستضيفه عندها فتقبل .. وهناك يتعرف على اولادها الثلاثة ويحب البيت ومن فيه . ويدعو الام الشابة الى سينما القرية في المساء .. وحين عودتهما يلتحم الاثنان في قبلة طويلة !

وحينما تنتهي الحرب ويعود الجندي من الميدان يلتقي من جديد بالزوجة المهجورة واولادها الثلاثة ، وقد اصبحوا هم كل عائلته . لكن المرأة لا تلبث ان تموت ويظهر الزوج الغائب . ويطالب باولاده وقد كبروا بعيدا عنه .. في كنف ذلك الجندي الذي اصبح في وقت السلم عاملا على بلغرة . ويقرر فيدوتوف الا يقف في طريق الاولاد ، ويدعهم يختارون كما يشاءون بينه وبين ابيهم الشرعي ، ويتعرف هو حزينا وقد احس بالضياع والوحدة . ولكن في عودته من احدى رحلاته النهرية يلمح صبيين يقفان على مرتفع من الشاطيء حيث كانت سونيا والاطفال ينتظرونه دائما . لقد ذهب اصغر الاولاد مع ابيه ، وبقي الاثنان الآخران في انتظاره

ويمتاز هذا الفيلم بالبساطة والرقة « والحنان » . وهو يعالج مشكلة غاية في الدقة هي عاطفة الابوة في صورتها الشرعية والمكتسبة . وينتهي الى ان الرباط الابوي ليس هو في العلاقة الشرعية الرسمية بين الاب وابنه بقدر ما هو في العلاقة العاطفية بين الاثنين .. واوضح مظاهرها هي الرعاية والاهتمام والحب من الوالد لابنه اولا ، ثم من الابن لابيه بالتالي

وتذكرنا هذه المشكلة بمسرحية بريخت « دائرة الطباشير القوقازية » التي عالجت انتساب الابن لامه وطرحت سؤالا جوهريا هو : هل الام الحقيقية هي التي ولدت الابن فقط ، ام تلك التي تنشئه وترعاه وتحنو عليه وتحبه .. ولو لم تكن قد ولدته .. وينتهي بريخت الى رفض الام الاولى – رغم شرعيتها – وقبول الام الثانية .. لان الامومة تتمثل فيما تقدمه من حب ورعاية

اوبرا « يولانت »

وكان العرض الثالث لاسبوع الفيلم السوفييتي بالقاهرة هو فيلم – اوبرا « يولانت » – آخر ماكتبه الموسيقار العظيم بيير ايليتش تشايكوفسكي عام ١٨٩٢ اي قبل وفاته بعام واحد

وقد كتب السيناريو للفيلم – اوبرا واخرجه احد الفنانين الشباب السوفييت فلاديمير جوريكار V-Gorikker [illegible] دور الاوبرا في اوديسا وكييف ، [illegible] الاخراج السينمائي عام ١٩٦٠ بفيلم [illegible] هو « سوناتا بيتهوفن » . ثم نال [illegible] « موزار » ديبلوما خاصا في احد مهرجانات الفن عام ١٩٦٢ ، وفي العام نفسه تخرج من معهد الفنون المسرحية بموسكو

و « الفيلم – الاوبرا » نوع من الافلام الفنية الرفيعة التي قلما يستسيغها جمهور السينما العام لاعتمادها اساسا على الموسيقى والغناء الاوبرالي . وقد وفق المخرج الشاب في تصوير اوبرا «يولانت» وفي معالجة موضوعها سينمائيا برقة وبشاعرية كما حفلت صور الفيلم بالوان بديعة بفضل المصور فاديم ماس V. Mass

وعلى قدر ما كانت موسيقى تشايكوفسكي عظيمة كان الغناء ايضا .. وقد قامت به ناتاليا رودنايا N. Rudnaya ويوري بيروف Y. Perov وفيلم – اوبرا «يولانت» هو اول افلامهما

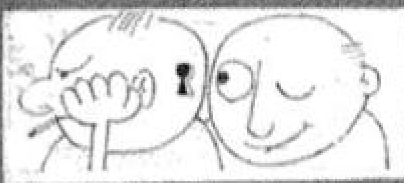
الهادف والهايف

وشاهدنا في اليوم الرابع للمهرجان




المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار القومية للطباعة والنشر
أضخم جهاز فى تاريخ الشرق
العربى يحقق اشتراكية الثقافة،
ويفتح آفاقاً فكرية
لإرساء مكانة الأدب العربى
فى العالم.
من أحدث ما أصدرته مطابعها..
مكتبات الدار القومية
ووكلائها فى أنحاء العالم

أفكارهم



* كتب جاكوف سيروتكوفيتش فى مجلة « الفكر والتطبيق الاشتراكيين » اليوغوسلافية ، انه فى نظام الادارة الذاتية يتأثر التخطيط بالقرارات التى تتخذها جميع عوامل النشاط الاقتصادى المستقلة ، ولذلك فان أساليب التخطيط تتغير بالضرورة ، من حيث اعداد المشروعات ومن حيث وسائل تحقيق المهام المرسومة ونسب التنمية الاقتصادية

* فى مقال للاستاذ هـ . ا . ر . جب بمجلة الابحاث البيروتيــة ان الاسلام ظل بناء دينامياً حيا ، واذا لزم الامر لم يتردد فى ان يتجاوز حدود النظرية وان يقدم تعبيرا مستقلا عن احساسه بالشئون الواقعية

* يقول رمسيس يونان فى مجلة « الرائد العربى » انه وان كان من الصحيح ان ما يخلقه الانسان هو من جنس ما تخلقه الطبيعة من حيث منطقه التكوين الا ان المغزى – سواء فى الفن او الفلسفة – هو من فيض الانسان ، وهو ينبع من الرؤيا وليس من مجرد الرؤية ، أى من الوجدان . وليس من مجرد العلم

* يقول ادريس شــاه فى كتابه « المتصوفة » الذى أصدره بالانجليزية ان « هناك ثلاث صور من الثقافة : الثقافة الدنيوية أى مجرد اكتساب المعلومات ، والثقافة الدينية وهى اتباع القواعد ، وثقافة الصفوة أى تنمية الذات »

* يقول الدكتور بيروت فى « بريد الشرق » التى تصدر بالعربية فى المانيا الغربية ، ان القومية العربية هى ان يحس العربى بوجوده الاجتماعى التام احساسا واقعيا باطنيا انه كائن غير منفك عن أمته ، ليس له مصلحة وراء مصلحتها او منفعة على نقيض منفعتها

* يقول جون كوتل ان المشكلة هى ان الذين يحدثون الضجة والضوضاء يبدون دائما قوما متحجرفين ، واذهانهم مغلقة

* قال المستر لى . يو . فاو فى بلدة سيان بمقاطعة شنسى الصينية : « ان علينا مسئولية عدم قص شعور الناس وفق انماط غريبة ، وعندئذ فاننا نخدم الشعب حقا »

* كتب اللورد آتلى فى صحيفة الاوبزيرفر البريطانية ، ان من أهم الاشياء ان تجرى المناقشات فى داخل مجلس الوزراء فى مستوى أعلى من البيانات والملخصات التى تقدمها مختلف الوزارات والمصالح الحكومية . ان الوزارة ليس معناها مجموعة من الوزراء ولكنها تتكون من بشر مسئولين

أخبارهم

* أثار رفض جان بول سارتر جائزة نوبل كثيرا من التعليقات . قال فرانسوا مورياك في الفيجارو ليتريرِ) « لقد رفض جان بول سارتر ما سادحش لو حصلت عليه ، وما سأسعد من قبوله .. لكي أعيد طلاء الحمام ، وإصلاح السلم في منزلي » وقال الناقد جان دول ميسون : « لابد أن أقول كلمتين عن نفسي ، قبل أن أتحدث عن جان بول سارتر . أنني أعبد المجد . وأحب المال . وأعشق النجاح ... »

وقال برنارد فرانك « في مجلة كانديد » : لولا سارتر وساجان لأصبحت الحياة الأدبية في فرنسا قاحلة جدباء .

وقال الفيلسوف جابريل مارسيل في مرارة في مجلة نوفيل ليتريرِ :

لقد ربط الصحفيون بيني وبين جان بول سارتر منذ ١٥ عاما ، بدعوى أنني « وجودي مسيحي » وسارتر « وجودي ملحد » ، ولكنني أعارض سارتر تماما ، لأنني نشرت يومياتي الفلسفية ، في عام ١٩٢٧ ، ومن قبلها نشرت عشرات المسرحيات ، حين كان سارتر لا يعرفه أحد سوى زملائه .

ملحوظة : لم يفز جابريل مارسيل بجائزة نوبل ، ولم يرفضها !

* تقرر إقامة أسبوع الفيلم العربي في الصين الشعبية خلال شهر مارس من العام القادم ، حيث تعرض الجمهورية العربية المتحدة ١٤ فيلما من الأفلام الطويلة والتسجيلية

* يفتتح [illegible] عالي بالقاهرة معرض فني [illegible] فيه ٢٨ مصورا ، وتماثيل من الفنا[illegible] سويين . [illegible] هو أول معرض [illegible] يعقد با[illegible] العربي

* قرر [illegible] في القاهرة إجراء تجربة جديدة [illegible] تقدم مختارات من الشعر [illegible] يشترك المثلون في القائها . تشمل التجربة أيضا قصائد للشعراء الجدد الى جانب الشعراء القدامى مثل شوقي وحافظ ابراهيم وناجي وغيرهم

* في احصائية اجراها التليفزيون البريطاني ان متوسط مشاهدة الأطفال تتراوح بين ١١ ، ١٢ ساعة في الاسبوع ، وأن ٧٥ في المائة منهم يفضلون أفلام الاثارة ثم الافلام الفكاهية ويليها برامج المنوعات ، وأن في مقدمة البرامج التي تخيفهم أفلام القتل والجريمة

* صدر كتاب « في معركة الحضارة » للدكتور قسطنطين زريق ويعالج القضايا الحضارية على صعيد عربي

* « الشعر العربي الحديث وروح العصر » كتاب جديد للأديب العراقي جليل كمال الدين ، يضم مجموعة من المباحث النقدية للشعراء المعاصرين مثل نزار قباني ونازك الملائكة وخليل حاوي وصلاح عبد الصبور

* استقدمت حكومة المغرب بعثة من ١١ خبيرا بالبنك الدولي للانشاء والتعمير بقصد القيام بدراسة شاملة لمشاريع التنمية الاقتصادية ووسائل التمويل

* « اكتشاف العرب لأوربا ثانية » اسم كتاب صدر باللغة الانجليزية من جامعة برنستون الامريكية للدكتور ابراهيم أبو لغد . يلفت النظر في الكتاب الجزء الكبير الذي خصص لدور مصر

* « الفكر المعاصر » مجلة جديدة سوف يصدرها [illegible] المصرية للتأليف والترجمة ، تقدم [illegible] خلاصات وافية لأهم الكتب التي [illegible] المطابع الاجنبية في شتى العا[illegible] . يشرف على إصدارها الدكتور [illegible] نجيب محمود

..وأخبارهم

من ٧٠ سنة

* ألف اسماعيل سرهنك ناظر المدرسة الحربية المصرية تاريخا شاملا لجميع الدول والممالك الشرقية والغربية وخصوصا ما يتعلق بوقائع البحار التى عليها المعول فى الاستعمار

* **اصدر القيصر نيقولا الثانى بعد زواجه من أميرة هيس منشورا برا فيه الفلاحين من دفع المتأخر عليهم من الضرائب وانقص مدة السجن وأباح للبولونيين الذين ابعدوا الى سيبيريا بسبب ثورة ١٨٨٣ بالعودة الى بلادهم**

* جاء فى « الهلال » على لسان قادم من السودان انه أصبح فى شدة وضيق تحت حكم التعايشى وان أهله ناقمون يتمنون عودة الحكم الى مصر اذا كانوا على يقين ان مصر تكف عنهم شرهم وتسترجع بلادهم

* **منحت الحكومة المصرية امتيازا بانشاء سكة ترام كهربائية فى العاصمة لشركة بلجيكية ومدته خمسون عاما على ان تنجزه خلال عامين من الشروع فى العمل**

* قرر مجلس الصحة فى روسيا أن الميكروب موجود بكثرة فى عربات السكة الحديدية وحسبوا أن فى القيراط المربع نحو ٧٨ الف ميكروب فى عربات الدرجة الثالثة

* **فى جواب للهلال على سؤال من لبان افندى زيتون بحمص فى سوريا ان الحرير وجد اولا فى شمال بلاد الصين منذ نحو ٤٨٥٠ سنة وان فوهى احد ملوك الصين العظام استخدم خيوط الحرير فى آلة موسيقية اخترعها وذلك من الحرير البرى ، اما تربية دود القز فاول من اكتشفها احدى ملكات الصين ويقال لهـا سى لنغ تشى سنة ٢٦٥٠ ق . م .**

* علقت مجلة الهلال على اعتزام الحكومة المصرية اصدار قانون للمطبوعات فقالت عسى أن يسن على أسلوب لا تقيد به اقلام رعاياها وتطلق العنان لاقلام الاجانب كما فعلت بالقانون الذى سنته فى عام ١٨٨١

* **قررت نظارة النافعة فى الاستانة اعادة بناء القناة الشهيرة التى كانت تحمل المياه الى بيت المقدس فى زمن سليمان الحكيم وطولها ٢٥٧,٠ مترا ، والمنتظر فى حالة اتمامها ان تحمل الى بيت المقدس ٢٥٠٠ متر مكعب فى اليوم**

* رفعت الراية الانجليزية على مونغو عاصمة الملك موانقا اشارة الى ضم أوغندة ضما نهائيا الى انجلترا

* **تقول المقتطف انه يظهر أن النيل الازرق القديم كون جزءا كبيرا من برزخ السويس وان اقليم القطر المصرى كان حينئذ اصغر منه الان ، وانه فى اواخر العصر البليستوسينى كان النيل والاردن يصبان فى بحيرة واحدة عند برزخ السويس ، وهذا يعلل ما وجد من البحيرات الحلوه القديمة فى سيناء والتى جفت قبل عصر ما قبل التاريخ**

بدرالدين أبوغازي:

رينوار
الفن وبهجة الحياة

نقة (١٨٦١) كولون ـ ألمانيا



رينوار .. بريشة رينوار



"الأرض عند الاغريق جنة الآلهة .. وهذا ما أردت أن اصوره"

رينوار

عندمايذكر **اوجست رينوار** تتمثل معه حياة جيل قاد ثورة كانت ايذانا وبدءا للحركات التحررية فى الفن الحديث ... جيل شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ولمسته شرارة الثورة الفرنسية . التى اطلقت الفن من عقال التقاليد ، وعاصر التحول الصناعى وظهور الآلة فى بداية « **العصر الجميل** »

ولم يلتق هؤلاء الثائرون على مذهب أو فكرة محددة ، وانما كان لقاؤهم فى عهد المقاهى الفنية والادبية التى اثرت فى الفكر المعاصر، كان لقاؤهم فى **مقهى جيربوا** تجمعهم ثورة على الاوضاع التقليدية وأمامهم أمثلة من تحول الفن الى الطبيعة وانطلاقه من قيود المراسم ... أمامهم ثورة **فرانسوا ميليه** وتمجيده للفلاح والزراعة فى لوحاته .... ونداء **كورو** الى العودة لمناظر الطبيعة ...

وكان لقاؤهم الذى نسجت اسبابه المصادفة حول الفنان **ادوار مانيه** ... التقوا فى البداية فى شكل مجموعتين :

– مجموعة تلاميذ الاكاديمية السويسرية وعلى رأسها شاب هجر دراسة الطب من أجل الفن وضحى بكل الاعتبارات فى سبيل موهبته الفنية رغم مكانة أسرته وثرائها هو **جان فريدريك بازيل** ....

– ومجموعة اخرى من الفنانين الاحرار اخلت عليهم الطبيعة مجامع

قلوبهم واستهوتهم الحياة على شواطيء البحار وفى الغابات المحيطة بباريس ، وكان خروج الناس الى هذه الحياة الرحبة ظاهرة جديدة من ظواهر العصر ٠٠ وعلى رأس هذه المجموعة الاخيرة كان **اوجست رينوار وكلود مونيه..**

وعلى مقهى جيربوا كان يتردد **ديجا** بعد عودته من ايطاليا ٠٠٠ **وبيسارو** بصحبة **سيزان** الذى كان يضيق بهؤلاء الفنانين الذين **« يعتنون بزيهم كموثقى العقود »**

وكان رينوار قد قدم من **ليموج** بعد ان ملأ عينيه من بريق خزفها وعمل فترة رساما بمصانعها ٠٠ قدم الى باريس ليدرس الرسم فى احدى اكاديمياته حيث اتيح له لقاء **مونيه وسيزلى وبازيل** وفى صحبتهم عرف مجموعة مقهى الجيربوا

ولقد سجل **تيود فانتان لاتور** فى لوحته الشهيرة « **مرسم باتينيول** » ذكرى هذه الفترة وصور ابرز أشخاص تلك الجماعة **مانيه ، ورينوار ، وكلودمونيه ، وبازيل ، واميل زولا**

وعاش رينوار هذه الفترة فى رفقة **بازيل** يقاسمه مرسمه فى الباتينيول ويقضيان الليل فى نقاش لا ينقطع مع مجموعة الفنانين والكتاب والشعراء بمقهى الجيربوا ٠٠٠ ومات بازيل فى الحرب السبعينية فى سن التاسعة والعشرين ، فخط موته سطرا من حداد فى حياة هؤلاء الشعراء الهائمين



القوارب (١٨٧٩) متحف الفنون القومى ـ واشنطون



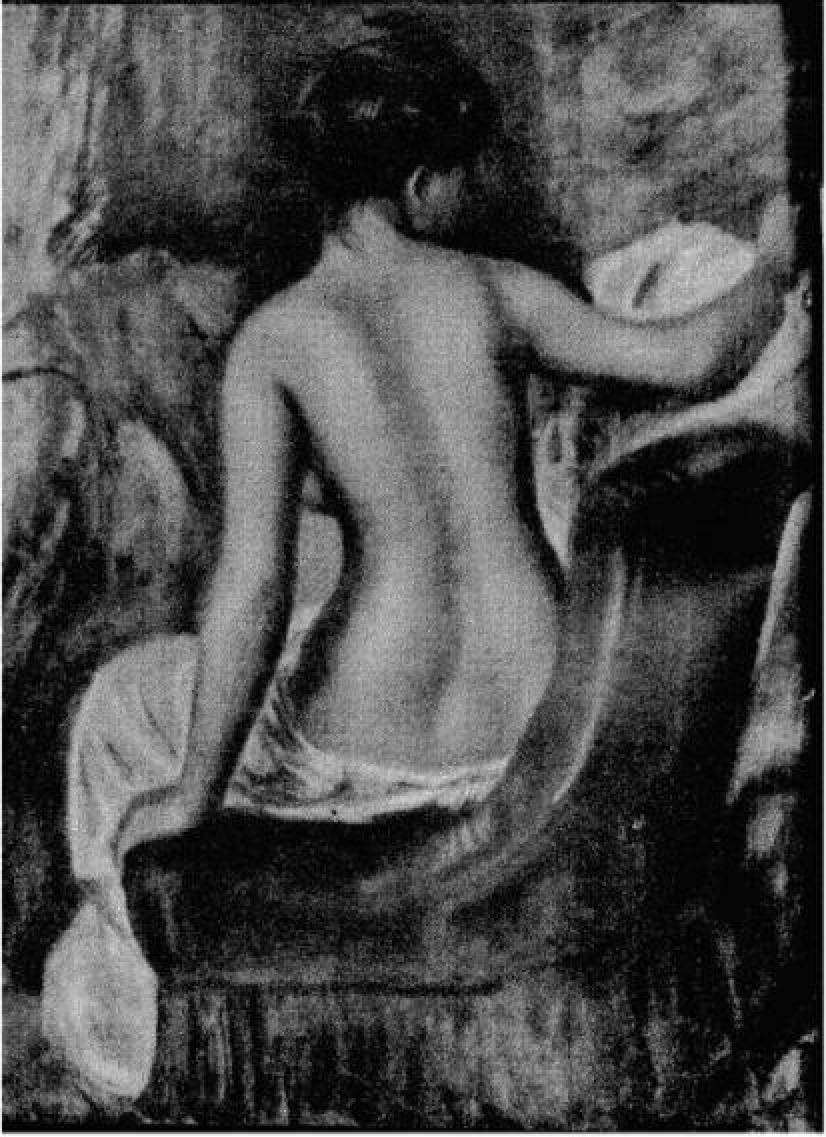
فتاة تقرأ (١٨٧٦)
متحف اللوفر باريس

رينوار



الأرجيحة (١٨٧٦)
متحف اللوفر باريس

عارية (١٨٨٦) متحف كو نستاس ـ زيورخ



ويبدو أن جو القتامة والاحزان الذى يحيط بفقد الاعزاء يمتد الى الاماكن التى ألفت لقاءهم ورؤياهم ... وهكذا احاط بمقهى الجيربوا جو كئيب فهجره الفنانون الاحرار الى حى البيجال حيث مقهى « اثينا الجديدة »

وكانت « اثينا الجديدة » مركز لقاء واحلام ونقاش بين هؤلاء الفنانين الهائمين بالنور والشمس والتعبير الجديد عن الحياة ... كانت مستقرا لهم بعد طواف ورحيل . وفى هذا المقهى كان يجلس رينوار ... ينتحى ركنا ويتطلع بعيونه الحائرة فى صمت وفى يديه سيجارة لا تنطفىء ... وكان بيسارو ذو اللحية المرسلة والوجه الاسطورى يقدم حاملا لوحاته فيشيرون اليه « هذا موسى يحمل الواحه »

وفى هذه الفترة عرف رينوار ديران رييل تاجر اللوحات فاعتبر لقاءه به حدثا هاما فى حياته لان رييل كان أول خبراء الفن الذين امنوا به ... وكان يؤثره على باقى زملائه من الفنانين لان التعبير عن الشكل الانسانى ، وهو محور فن رينوار ، أصعب فى رأيه من التعبير عن المناظر

فبينما كان شغف مونيه وبيسارو بمناظر الطبيعة ، وكان مانيه يجمع بين الانسان وبيئته الطبيعية فى لوحاته فان رينوار **كان هواه مع الطفولة والجمال النسائى**

وفى هذه الفترة ايضا تمثل اهم لقاء بين اولاء الثائرين فى معرض جمع اعمال رينوار ومونيه وبيسارو وديجا والفنانة **برت موريسو** التى لعبت فى حياة هذا الجيل نفس الدور الذى لعبته **مدام ريكامييه** فى عصر فنانى الامبراطورية ، وكان صالونها يوم الاحد ملتقى لهم ومجمعا للشعراء والادباء

وفى هذا المعرض الذى اقيم سنة ١٨٧٤ منذ تسعين عاما عرفت هؤلاء الفنانون اسما لثورتهم أطلقه أحد النقاد على جماعتهم من وحى لوحة كلود مونيه اسماها « **شروق الشمس . تأثيرا** » فاصبحت « **التأثرية** » مذهبا للجماعة وعملة رسمية تداولتها لغة النقد

وعلى عكس كوربيه واساتذة مدرسة « **الباربيزون** » الذين سبقوا التأثريين ومهدوا لهم بالتعبير عن الالهام الريفى فان التأثرية لقيت سحرها فى هذا المزاج الشاعرى من جو الريف والمدينة ... استلهموا « ارجنتى » تلك البقعة الساحرة القريبة من باريس والتى لم يستعمرها دخان المصانع ولا ضجة الحياة الحديثة وصوروا حدائقها الساحرة وجوها الاليف ونقلوا منها الى قلب مونمارتر

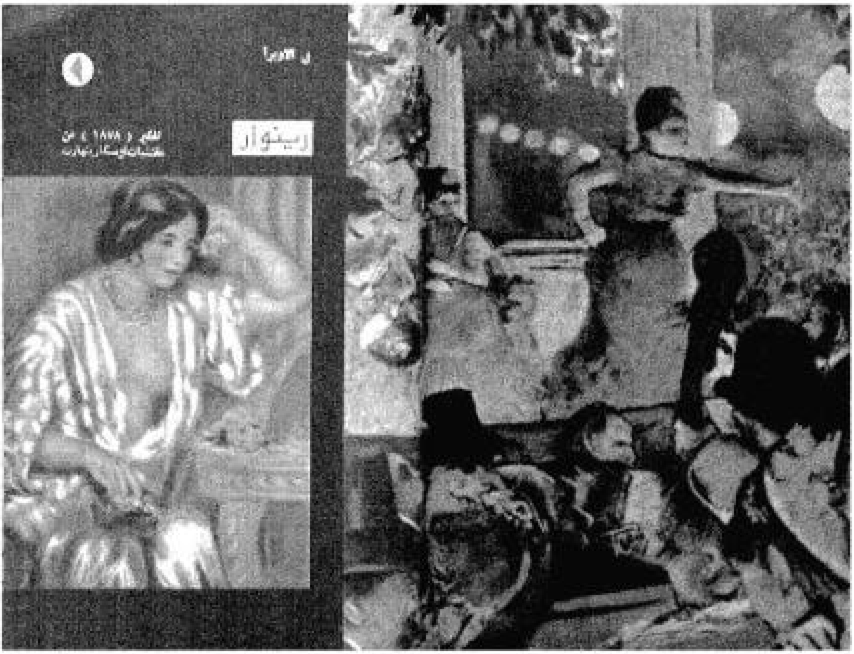
يقول أحد كتاب العصر « ان التأثرية ولدت فى باريس . ومن العسير أن تفهم بعيدا عن ربوة مونمارتر وشوارعها »

وحقا كانت باريس وقلبها مونمارتر مصدر وحى ساحر لهذا الجيل .. صورها فى الحقبة التى تلت الحرب السبعينية وسبقت الحرب العالمية الاولى نابضة بالشعر والحياة

وكان رينوار اكثرهم غناء ، فبينما كان ديجا ينظر الى الاشياء بعين ناقدة تتطلع من بعيد ، وكان مانيه يلمح الاشياء بعين متشككة فان رينوار كان يندمج فى الاشخاص والاشياء بعين نابضة بالحب ..
وقد عاش هذه الفترة فى قلب مونمارتر ، اتخذ فيها سكنه ومرسمه وسود من مناظر باريس ملامح منعمة بالحياة وبسر السحر الخفى فيها



فتاتان في
ملابس سوداء


رينوار

ترى في لوحاته حول كنيسة « الساكركير » و « ميدان كليشي » و « ومقاهي مونمارتر » مشاركة فنان وانصاته لنبضات الحياة في واجهات المباني وجوانب الطرق وفي تجمعات الناس

أثناء هذه الفترة شغل رينوار بلوحته الكبيرة « طاحونة لاجاليت » الموجودة الآن ضمن مجموعة اللوفر ... كان يجد في جو هذا المرقص صورة من بهجة الحياة التي عبر عنها بفنه وكان يلقى في نثيات هذا المرقص نماذجه المفضلة .. روح مونمارتر التي أحبها وأحس أنها تنأى في تعاليها عن صخب الحياة الحديثة وكأنها جنة للمحبين ، أو ثمرة لم تمتد اليها يد العصر الصناعي .. وفي هذه اللوحة سجل همس هذا الجو الذي أحبه وتغنى بعبير ألوانه ...

وعندما رحل رينوار الى ايطاليا كان يقول « انني أشعر بالضيق بعيدا عن مونمارتر »

ولكن مونمارتر التي خلدها رينوار ليست مونمارتر الليل التي سجلها تولوز لوتريك وليست هذا العالم الذي يوحي بالوحدة والسكينة كما نحسه في لوحات فان جوج ، ولا هي مونمارتر الصامتة ذات الحيطان البيضاء والبيوت المقفلة التي عبر عنها اوتريللو .. وانما هي مونمارتر الصباح الوضاءة النور الحافلة بالحركة والحياة

وفي أعقاب لوحة « طاحونة لاجاليت » ولوحات « وحي مونمارتر » مر برينوار حدث هام في حياته الفنية اذ عرف الناشر الفرنسي شسارل بانتييه الذي قدمه الى الاوساط الادبية والفنية واتاحت له صلاته بآل شاربانتيه .. لقاء كثير من شخصيات المجتمع الباريسي .. واذا هذا الرسام الريفي الذي ولد في ليموج وبدأ تكوينه رساما في مصانع الصيني يصور عديدا من وجوه مجتمع الطبقة الوسطى المثقف .. وفي هذه الحقبة كان للفته محوران



اطفال مدام شاربنتييه (١٨٧٨) ... متحف المتروبوليتان - نيويورك

« الطفولة والمـــرأة » ٠٠ ولكن الصورة الشخصية عند رينوار لم تكن مجرد تكليف وعمـــل ينجز لارضاء عميله ، وانما كانت ذريعة للتعبير عن بهجة الحياة من خلال اشراقة الطفولة ووضـــاءة المرأة وهذه الوجوه الغضة يكســـوها النور وتشع بالحياة ٠٠٠

كانت مرحلة الطفولة اكتشافا واختبارا لتجاربه ومقدراته ، وكانت صور المـرأة فى الملهى وفى الصـالون ، وفى اجـوائها العائلية مجالا اخر للتعبير عن بهجة الحياة التى يفيض بها فنه ..

ومن اللوحات التى تمثل هذه الفترة لوحتـــه لمدام شاربانتييه التى اقتناها متحف اللوفر

***

كان التأثريون فى هذه الفترة قد تفرقوا كجماعة بعد أن نشروا على الناس حقائق تشكيلية جديدة

واخذت التجارب الفنية يتنازعها فى هذه الفترة الاتجاهان اللذان صحبا مراحل الخلق الفنى ٠٠٠ اتجاه التعبير بالصورة واتجـاه التعبير بالرمز ٠٠٠ اتجـــاه مشاكلة الواقعة واتجاه معايشــة الفكر والحلم ٠٠

وصحب هذه الفترة ظهور اشعار ريمبو برمزيتها وقـدوم فان جوج الى باريس وفنه مزاج من الرمز والواقع ، ورحيـل جوجان الى بريتـانى وكان يدعـو الى الاسلوب التركيبى اللذى لا يقنع بالبحث فى آفاق النظر ، وانما يمتد الى النفاذ الى مراكز الفكر السـحرية

واستقبل مونيه فى هذه الفترة مرحلة جديدة داخلها الرمز واتجه سيزان الى الاسـلوب البنائى ، وولدت « التأثرية الجديدة » ممثلة فى جورج سيرا ، وبول سيجناك، وكميل بيسارو

اما رينوار فلم يـكن صاحب نظريات ٠ ٠ كان الفن فى نظـره قبل كل شيء صناعة بارعة وكان رباطه بالتأثرية منبثقا من اتفاقها مع هواه حيث تعطى العالم صورة حسية وضاءة النور والحياة ليس فيها ايماءات الرومانسية الادبية ، ولا جفاف الذهنية الواقعية

المظـلات (١٨٨٢ ـ ١٨٨٣) متحف لندن



رينوار

الصغيرة فى الحديقة (١٨٨٣) باريس





موديل (١٨٧٦ – ١٨٧٨) متحف اللوفر – باريس



الغداء بعد رحلة
بالقوارب (١٨٨١)
واشنطون ...

كان تجاوبه مع المذهب تجاوب الحس الطبيعي ومن اجل هذا مضى ينمي مقدراته وحساسيته ... **فهو يؤمن مع الشاعر مالارميه أن التصوير تصنعه الالوان والاشكال كما تصنع الشعر الكلمات لا الافكار**

وكانت رحلة رينوار الى ايطاليا ذات اثر كبيرا على نضجه الفني ، اعجب **برافاييل** وبهرته الوان **فيرونيز** ، وفي اسبانيا كان اعجابه الشديد **بجويا** واندمجت هذه التأثيرات في نفسه باثر انجر وتجلت بعد عودته في عنايته بالرسم ، واخذت الوانه تزداد نضوجا

ولكن بهجة الحياة مازالت تشيد فنه .. تغنى بها في أحياء مونمارتر ، وفي مشاهد الطفولة وفي أجواء البيوت والمسارح الباريسية ... وها هي ذي الان تتخذ لنفسها تعبيرا بصور تنشد نضارة الحياة في مجموعة المستحمات ، في تلك الالوان التي تدعونا الى حب الحياة ، وفي انعكاسات النور على الاجسام ، ونبض الحياة داخلها

***

لقد كان رينوار شديد الاعجاب بالاغريق اذ جعلوا الارض هي الفردوس وانزلوا اليها آلهتهم ، ومن أجل هذا اراد ان يعيد الى الارض في لوحاته فردوسها الضائع من خلال نسائه التي تنبض بالخصوبة وحس الحياة .. دون أن تهوى الى الابتذال

وكما تغنى بهذا الفردوس في المرأة تغنى به في الثمار اليانعة والزهور المتفتحة التي يفوح منها العبير في لوحاته ..

واياً كان الموضوع الذي صوره فان رينوار كان يؤمن بأن **« الصورة يجب ان تكون شيئا سارا بهجا وجميلا »**

وفي هذه الحدود كان التزامه ... ازاء الحياة بمزيد من الرؤى التي تؤكد بهجتها

ولعل ذلك يفسر بعض اسباب الاقبال على اعمال رينوار وتقديرها في حياته فعندما اقام دیران ریل معرضا لاعمال الفنانين الفرنسيين سنة ١٨٨٦ لقت لوحات رينوار تقديرا كبيرا وانتقل الكثير منها الى المجموعات الامريكية ..

وفي سنة ١٩٠٤ خصصت قاعة في الصالون السنوي لاعماله ، واقتنى متحف اللوفر لوحته « مدام شاربانيه » وقلما حظى فنان مثله بهذا التقدير في حياته .

***

في اخريات سنيه بدات اجسام نسائه تكتسب استدارة وتأكيدا بينما كادت تتلاشى خلفيات الواحه .... وكان احساسه بالكتلة والحجم تمهيد لتعبير جديد .. وكان النحت هذه المرة هو وسيلته الى التعبير .... ولكن رينوار بدا انتاجه كنحات حين كان الروماتزم قد اخذ يشل يده فاستعان بفنان ناشيء على تنفيذ اعماله . وظل رينوار ينتج ، حتى سنة ١٩١٨ ، آثارا نحتية كان لبعضها اثره الواضح على فن النحت الفرنسي ، وما من شك ان **مايول** وغيره من الكلاسيكيين الجدد انما استهواهم هذا الجمال الهاديء الخصب الذي يمثل حلاوة النظرة في اعمال اوجست

رينوار فتلقوا عنه مثله الجمالى فى النحت وتطوروا به

لقد كانت مرحلة المرض مرحلة عناء شديد له احتمله فى صبر وشجاعة .. كان يربط اصابعه ويمسك بيديه المرتعشتين ادوات تصويره وكانت زوجته تجلس نموذجا له .... يصورها على البحر وبين اغصان الشجر كعرائس الاساطير يحفها هدوء الفطرة بعد ان ولى عنه اشراق الشباب

ولكن احساسه البهيج المشرق بالالوان لم يزايله ، وغناء الحياة ما زال يتردد فى فنه ، وحيويته الدافقة تدفعه الى الانتاج حتى تجاوزت لوحاته خمسة الاف لوحة يقدر ثمن كل منها اليوم بعشرات الالاف من الجنيهات

وقد ظل رينوار بسيطا يعيش حياته العائلية الهادئة فى اطار اشبه باجواء لوحاته ، وظل رغم الامه شغوفا بحب الالوان واشراقة الحياة، وفى ايام احتضاره كان حريصا على ان يودع آفاق فنه بزيارة اللوفر فذهب اليه محمولا على مقعد متحرك ليملأ انظاره من احب لوحات الفن اليه « اعراس كانا » لفيرونيز

وفى مدينة « كان » الوضاءة بالشمس والحياة يموت رينوار ،

وبين تاريخ ميلاده سنة ١٨٤١ وتاريخ وفاته سنة ١٩١٩ جرت حياة هذا الفنان الذى استطاع رغم ما تعكسه تضاريس وجهه من قلق حزين ، وما يشير اليه مؤرخوه من ضروب الكآبة النفسية التى كان يعانيها .... استطاع رغم هذا ان يكون اروع مترنم ببهجة الحياة وأن يقدم للعالم صرحا من الاعمال الفنية يتمثل فيها السلام والخصب وجمال الانوثة



بورتريه لفيكتور شوكيه (١٨٧٦).

فى منزل مدام شاربنتييه (١٨٧٨) متحف المتروبوليتان



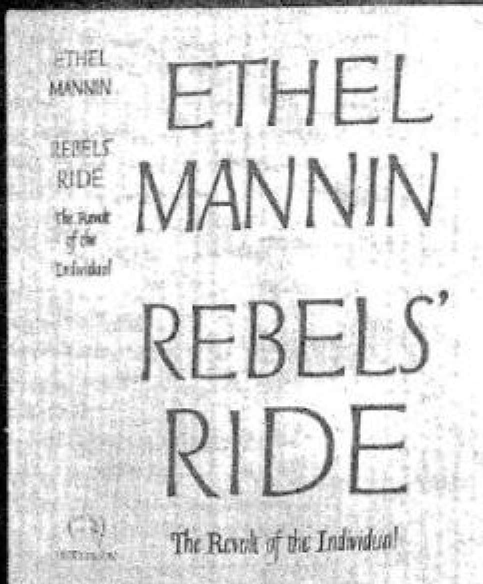


الثنائى (١٨٦٨) متحف فالراف ريتشارتز ـ كولونيا ـ المانيا

كتاب الشهر

إثيل مانين

مؤلفة "الطريق إلى بير سبع"



المثقف والاعتدال

تقديم وتلخيص

كامل زهيري

« كانت يداه رائعتين ، قبيحتين تعكر نعومتهما عروق منتفضة ، ولكنهما معبرتان تعبيرا قويا . ولعلهما كانتا تشبهان يدى ليوناردو دافنشى . وكان حين يتكلم يلوى اصابعه الى الامام والى الخلف . ثم ينطق بكلمات رائعة . فقد كان تولستوى – كما يصفه مكسيم جوركى – أشبه بالهة الاوليمب . ولكنه كان اسطورة روسية . يجلس على عرش من الخشب تحت شجرة من اشجار الليمون . ولعله كان اكثر هؤلاء الالهة دهاء »

وقد عرفنا تولستوى اديبا ومفكرا ، ولكنه لم يشتهر فى الشرق على انه من مؤسسى الفوضوية . كان يكره الدولة والسلطة ، وكان يكره المجتمع المعقد الذى تؤذن روسيا ان تلدم . وقد اتجه تولستوى الى الله والادب . ووجد خلاصه فى « الروح » الدينية الصافية

ويبدو ان تاثير تولستوى الفكرى لايزال يرن صداه فى قلوب الكثيرين حتى الان . حتى لنجد اثيل مانين مؤلفة قصة « الطريق الى بيرسيبع » التى قدمتها الى العالم العربى ، تعجب بتولستوى اشد الاعجاب ، وتضعه فى مقدمة الذين تاثرت بهم اشد التاثر . والمؤلفة – فى الحق – تقودك فى كتابها الاخير (عام ١٩٦٤) الى تولستوى وشخصيات متعددة فى السياسة والادب والفن والفكر وعالم المراة كلها تدين « بالفوضوية » على اختلاف هذا المعنى ، وتدرجه ، وتقلبه على مر العصور

فالفوضوية هنا ليست هى تلك الحالات العنيفة المتشنجة التى اشتهرت فى روسيا القيصرية ، او فى فرنسا فى الاعوام مابين ١٨٣٠ و ١٨٩٠ ، او التى ظهرت فى اسبانيا بين عامى ١٩٣٠ – ١٩٣٦ او تلك التى اختلطت بالمدمية ورمى الرصاص والقاء القنابل واغتيال الشخصيات السياسية

ان اثيل مانين تميل الى فوضوية فردية .. او تميل الى فوضوية « الغرف المقفلة » ، والهاربين من المجتمع .. خوفا من الالة والتعقيدات ، والعمارات الكبيرة



ايثيل مانين

الضـــخمة التى تلتهم الخضرة والبساطة

وهى لذلك تخلص لافكـــار الاشـــــتراكيين الفرديين ، والرومانتيكيين الانجليز ، ثم تعلن اعجابهـــا بالامير **كروبتـــكين وبتولستوى** من روسيا ، ولا تخفى اعجابها بمبـــادىء وآراء **غاندى** الاخلاقية ثم تفرد فصلا خاصا عن جموح **شيل وبايرون الرومانتيكى**، ثم تنصب الى اعمـــاق التاريخ ، لتكتشف ان **ديوجين** صـــاحب المصباح ، والمفكر الاغريقى كان فى أعماقه فوضويا

فالفوضوية عند اثيل مانين كما تتكشفها من كتابهـــــا «**رحلة الثائر**» ، هى فوضوية لطيفة ـ وسلبية ، تختلط فيهما النوازع الفردية بالارتقاء والاجتهاد والصوفية النشيطة . واثيل مانين ايرلندية ، تأثرت فى صدر حياتها بالاشـــتراكية الفابية ، وبحركة الايرلنديين الناقمة على الامبراطورية الانجليزية ، ثم تفتحت مداركهما الى الاعجاب بكل هذه الشخصيات عبر العالم والتـــاريخ ـ التى لم تطع التقاليد المرعية ، او الاوضاع الموروثة ، أو النظام العام

والعجيب ان الفكر الانجليزى لم يشـــــهد كثيرين يكتبون فى الفوضوية باعجاب ، الا **هربرت ريد** الناقد الفنى ، وبعض كتابات **جودوين** فى القرن التاسع عشر ، فلقد ظلت الفوضـــوية حكرا على الفكر الالمانى والروسى والفرنسى

فاذا ظهرت الفوضوية عند الانجليز كانت فوضـــوية فردية ، تعنى انســــلاخ الفرد من المجتمع ، واعتذاره أو اعتصامه عن اطاعـــة السلطة ، وكثيرا ما كان هـــذا الانسلاخ يتخذ شكل السفر او المغامرة الى المستعمرات أو امريكا أو يتخذ شكل الثورة الرومانتيكية العاطفية التى سرعان ما تهدأ ، فالانجليز يتوارثون هذه الحكمة :

« من الطبيعى ان تكون فى صدر شبابك ثائرا ، وفى شـــبابك رجعيا »

واثيل مانين الايرلندية الاصل، التى علمت نفسها بنفسها ،وعملت فى عدة أعمال متواضعة، حتى بزغ اسمها فى عالم القصة والتأليف ، هى نموذج شاذ عن القاعدة ، وهى تدرك ذلك ، فتقول ان الايرلنديين لم يشـــتهروا الا بحب الوطن ، ولكنهم لم يهتموا بالحب فيمـــا بينهم ، وقد اتسمت أعمالهـــم بالسخرية المنبقة ، كما نشـــهد فى **برنارد شو** ، او الوطنية **الجافة** كما نشـــهد فى كتاب الحركـــة الاستقلالية ... وهذا ما يجعلك تتساءل : من اين أتت اثيل مانين بهذه الجذوة المتقدة من العاطفة التى تشهدها فى كل سطر من كتابها الاخير « **رحلة الثائر** » ؟

القدرة على التفاصيل

ان اثيل مانين كمراة ، تتميز بقدرتها على تصوير حياة الشخصيات بتصوير التفاصـــيل ، والمواقف العاطفيـــة ، والتناقضات فى الحياة اليومية

فهى صبورة اشد الصبر على جمع التفاصيل ، وهى تصور المواقف العاطفية اكثر من الازمات الفكرية ، وهى لذلك لاتقف عند افكار الفوضويين الذين اعجبت بهم ، ولكنها تقف عند تفاصيل حياتهم، وعند مواقفهم من السلطة ، والدولة والنظام وفى دخولهم السجن ، او فرارهم من السلطة .. وهى لذلك اقرب الى بصيرة القصاصة ، وحساسية الفنانة من بصيرة المؤرخ الفكرى الذى يعتمد على التحليل واصدار الاحكام الفكرية ..

ولهذا جاء كتابها يشبه القصص ، القصيرة ، على الرغم من انها قسمته الى فصول ، عن الثائر السياسى ، والثائرة المرأة ، والثائر المفكر ، والثائر الدينى.. وهى تخلط احيانا بين قصص هذه الشخصيات، التى قرأت عنها، او قابلتها وتعرفت بها ، او هذه الشخصيات التى اهتمت بتاريخها ، حتى انها حاولت ان تحج الى قبورها ، كما فعلت مع فلورا تريستان ، جدة الرسام الشهير جوجان

جدة جوجان

وتحكى اثيل مانين كيف زارت مدينة بوردو الفرنسية ، ونزلت تبحث عن مقبرة **فلورا تريستان** اشهر شخصية نسائية فى القرن التاسع عشر ، ولكنها لم تستطع أن تصل الى المقبرة ، لان أهل بوردو كادوا ينسون بطلتهم القديمة ، فلم يبق للبطلة سوى شاهد على مقبرة ، كتب عليه عبارتها المفضلة : « حرية واخاء ومساواة .. وتضامن » اذ كانت فلورا تريستان ، هى التى ابتدعت اضافة كلمة « التضامن » الى شعار الثورة الفرنسية المعروف ، لانها عاشت وناضلت ــ كامرأة حرة ــ بين صفوف عمال باريس الذين لم يعرفوا بعد طعم أو فائدة التضامن وفلورا تريستان ، جدة الرسام جوجان ، تنزل من أسرة اسبانية ، كانت تقطن بيرو فى جنوب أمريكا وأبوها دون مارينو دى تريستان، كان كولونيلا فى الجيش الفرنسى، وكان شديد الافتخار بأن اباه ينزل من أمراء عائلة دى تريستان وكانت فلورا فتاة جميلة ، شديدة الفتنة ، ولكنها لم تصب من التعليم حظا كبيرا ، لارتباك فى علاقة أبيها بزوجته ، ولهذا بدأت تتعلم مهنة طباعة الرسوم على يد احد الفنانين المشهورين ، فأحبها ، وأغرمت به ، وتزوجته

وفى الثالثة والعشرين ، كانت قد أنجبت منه ثلاثة أطفال ، وكانت تعيش معه عيشة أقرب الى الرفاهية فى شقة أنيقة بباريس ، لكنها اكتشفت انها لم تعد تحب هذا الزوج « الفاضل » « المستور » ، وقالت له ذات ليلة :

ــ انك اطيب من آن « أظل زوجتك » !

***

وهجرت فلورا البيت ، وعالت نفسها ، واشتغلت أعمالا متواضعة ضئيلة الدخل ، وسافرت الى ايطاليا وسويسرا ، وانجلترا ، وبدأت تكتشف الحياة وتتعلم من غيرها ، حتى اذا عادت الى باريس، التقت بالاشتراكى الخيالى فرانسوا فورييه ، وانضمت الى حلقاته الدراسية

وكان فورييه نفسه بارعا فى التفكير والخيال . لانه كان يمقت هذا الشبح الصناعى الهائل الذى

يلوح لفرنسا ، بين عامى ١٨٣٠ و ١٨٤٠ ، وكان البؤس يطحن العمال والطبقات الفقيرة ، فكان فورييه يدعو الى مجتمع فاضل ، سعيد ، يخلو من تعقيد الصناعة . وقد نصح فورييـــه بتكوين المجتمع الجديد على أساس كفاية الحاجات الضرورية البسيطة ، والعودة الى الطبيعة . وكانت له أحلام رقيقة، كان يعمل المرء فى هذا المجتمع الجديد عملا .. ثم يغيره ، حتى لا يتحول العمل الى سخرة أو عادة متكررة ، وكان يأمل أن يصبح العمل « سعادة » ومنبعا للابتكار والتجدد ، لا سخرة وتكرارا . وتصور فورييه أن المدينة الفاضلة هى « المدينة الحديقة » ، أى المدينة الصغيرة التى تغرق فى الخضرة ، فلا تفسدها مداخن المصانع ، ولا عكارة الصناعة . ولذلك نصح بتفتيت المدن الكبيرة ، وتحويلها الى مدن صغيرة سعيدة ، تغرق فى الحدائق السعيدة التى يؤمهـــا الاطفال والامهات ، ولا تحتاج الى الخدم ، فان كان لابد من الصناعة، فلتتحول الصناعة الى الات للكنس والرش والتنظيف ، لتحـــل الالة محل الخدم ، وكان يتخيل أن أرباب العمل سوف يشتركون مع العمال .. مع أصحاب الافكار والمواهب والمخترعات ، فيقسم بينهم جميعا ثمار هذا الجهـــد المشترك

وكان فورييه يمثل الاشتراكية الخيالية التى تشمئز من الصناعة



غاندى ..

وتود لو عادت المجتمعـــات الى البساطة الزراعية ، فلا تحتـــاج بعد ذلك الى دولة كبيرة ، أو جيش عرمرم ، أو بوليس معقد الاجهزة، وقد نعته المؤرخون بالاشـــتراكى الخيـــالى ، لانه كان مفرطا فى السذاجة والتفاؤل .. ولكن ذلك لم يحرمه من أن يجتذب اليه جموعا من الشباب القانط على حـــالة البؤس التى يراها ، وكان من بين هؤلاء .. تلك الشابة الجميـــلة فلورا تريستان ، جدة الرســـام العبقرى جوجان

المقعد الخالى

ويروى المؤرخون عن فورييه أنه كان يتخيل أن واحدا من كبـــار رجال المال سوف يقرأ مؤلفاته ، ويعجب بآرائه ، فيحضر اليه ،

ليعرض عليه تمويل مشاريعه ، ولذلك كان يجلس فى احـــدى مقاهى باريس ، بين حوارييـــه وتلاميذه ، ويطلب منهم أن يتركوا مقعدا خاليا ، على الدوام ، « حتى يحضر الضـــيف المنتظر ، الذى يعرض عليهم بالرضـــا والسعادة تنفيذ افكارهم »

ولكن المقعـــد الخـــالى ظل خاليا

وانفلتت فلورا تريستان من جوقة فرانسوا فورييه ، لتجرب التاليف ، فكتبت قصة « عمالية » اصابت بعض النجاح ، تحدثت فيها عن حاجة العمال الى التعليم ٠ ولم يكن أحق من هذه الفتاة التى علمت نفسها بنفسها بالحـــديث والتعليم ، ثم ذهبت الى انجلترا ، حيث انضمت الى جماعة « الميثاق » العمالية الشعبية التى كانت تطالب بالديموقراطية وبعض الحقـــوق الاجتماعية ، وكتبت كتابهـــا « **نزهة فى لنـــدن** » ، ثم عادت لباريس لتكتب أشهر وأبقى كتبها حتى الان وهو « **وحدة العمال** » الذى ظهر فى عام ١٨٤٣ ، وفيه ابتكرت هذا الشعار :

تضامن العمال من اى صنف ، واى مهنة ، وفى اى مصنع

وظلت فلورا تدافع عن تحرر المراة من الرجـل ، وتحرر العـامل من قهر الصناعة ، وتحرر النفس الانسانية من الاحســاس بالخطيئة حتى قابلت ذات يوم ، زوجها الذى هجرته ، فاطلق عليها الرصاص !

اعتذار للارستقراطية

وقد شهدت روسيا **تولستوى ، وباكونين ، وكروبتكين**

وكان تولستوى أديبا عملاقا وجد خلاصه فى الله والدين ، وكان باكونين سياسيا عنيفا ، تصارع مع ماركس حتى صرعه فى نهاية الامر ، وكان كروبتكين ارستقراطيا من حملة الالقاب مثل تولستوى ، ولكن ثورته كانت اجتماعية

وقد عرفت روســيا القيصرية هـذا الثلاثى الفــكرى ، والســياسى ، والاجتماعى ، ولكن الميل مانين اختارت كروبتكين ، واصطفته ، ولعل ذلك لانه اقل زميليه شهرة وذيوعا

وكان البرنس كروبتكين ، والد الكسى بتروفتش ، ضابطا نموذجيا يلبس الملابس العســكرية البـــاهظة التــكاليف ، الاستعراضية الألوان ، مفتخرا بأصله الذى ينزل من امراء سيمولنسك .وكانت الثروة تقاس بعدد العبيد الذين يعملون فى الارض ، وكان الــكس يملك ٨٠٠٠ عبد من الرجال ، لان النساء كن لايحسبن فى هذا العدد . ويصف كروبتكين مادب الاسرة التى كان لايقل عدد الخدم فيهـا كل ليلة من ١٠ خادما ، كل فرد له عدة خدم ، وكل صحن له خادم ! ودخل البرنس كروبتكين الاكاديمية العسـكرية ــ شـان ابيه وجـده ــ وكان القيصر نيقولا الاول حريصا على ان يتعلم ابناء النبلاء مهنة واحدة هى العسكرية

ولكن الضابط الشاب روع من هذه المفارقات الهـــائلة بين حالة العبيد والفلاحين وحالة الســـادة والاغنياء

وحين طلبوا منه اى مكان يختاره للعمل اختار سيبيريا !

وهناك كانت افكار تورجنيف وهيرزين ودستويفسكى وباكونين تصل ــ متسربة ــ فى مقتطفات

مبتورة . ولا ينسى الامير - ذات ليلة - حين وقع في بيت عمه على طبعة - وصلت متأخرة بالطبع - من جريدة « النجم القطبى » التى كان يحررها الفيلسوف هيرزين - الروسى الذى لجأ الى لندن . وأخذ كروبتكين ينظر باندهاش الى هذا الشعار المجيب الذى اتخذه هيرزين لجريدته . وهو ميدالية فيها رسم



جورج صاند

لرءوس خمسة ، كانت لثوار خمسة ، اطاح بها القيصر !

ولم تبارح خاطره صورة هذه الميدالية الخماسية العجيبة

وبدأ كروبتكين يكتب من تباريح نفسه الحساسة ، فطبع جريدة خاصة من ثلاث نسخ تحدث فيها عن غباء القيصر واسراف القيصرية التى خصصت اسطولا بحريا ينتظر زوجة القيصر في مصيف نيس على شاطىء الريفيرا

واتجه كروبتكين الى العنف الشديد ليعارض الاستبداد الشديد . فكان ينادى بتحرير العبيد ، حتى اذا تحرروا في عهد القيصر الكسندر الثانى ، دعا الى الغاء البرلمان « الاصلاحي » وأخذ يكتب (١٨٨٠) :

- « ان ما نحتاجه هو العمل . والعمل . والعمل ايضا ..

في العمل نطبق النظرية ، ونحقق التطبيق . لان العمل هو الذى يحوى الافكار ، والعمل هو الذى ينشر الافكار

ولكن اى عمل نريده ؟

هل نذهب الى البرلمانات ، او المجالس البلدية

لا ، والف مرة ، لا !

ليست لنا علاقة بمجانسة البورجوازيين . وليس لنا شأن في مخالفة المستبدين . ان الذهاب الى البرلمان صفقة مع الاعداء ! »

وهكذا اتجه كروبتكين الى معارضة سلطة القيصر ، وسلطة الدولة ، والاصلاحات القليلة التى ترمى الى التخدير ، أو ملاينة الضغط والقنوط !

وقد نشبت بين تولستوى وكروبتكين مناوشات فكرية حول طريق الخلاص ، فكان تولستوى يفزع من الحماس الغريزى للحرية ويخشى على هذا الجيل من الشبان ان ينطلقوا الى الرد على استبداد الدولة باستبداد الارهاب

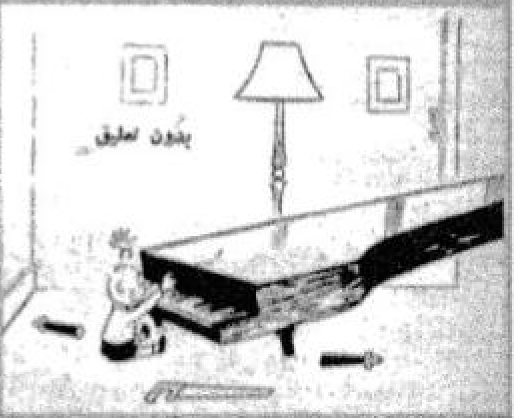
وقد مات تولستوى في محطة قطار ، ومات كروبتكين في المنفى بعد ان هجرا الالقاب والضياع والعبيد . لان الذى كان يؤرقهما ليس ما يملكه الانسان ولكن ما « يكونه » الانسان !

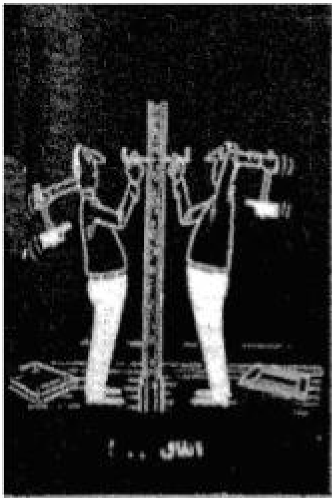
وهكذا تنقل بك الكتابة الى مائتين عبر التاريخ ، تروى لك قصصا ممتعة من شخصيات رفضت اطاعة النظام العام ، والتقاليد المرعية ، والعادات الموروثة ، واعلنت عصيانها واحتجاجها ... ودفعت الثمن في النهاية تشريدا ، وقلقا واضطرابا . ولكنها كانت في اغلب الحالات ، صورة للنبل الحقيقى الذى يعزا من الالقاب



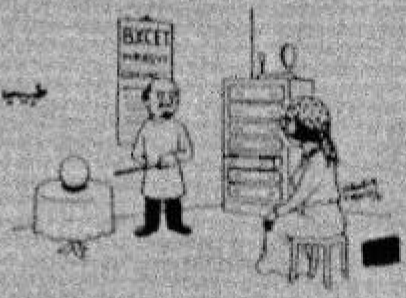
ضحكات العالم

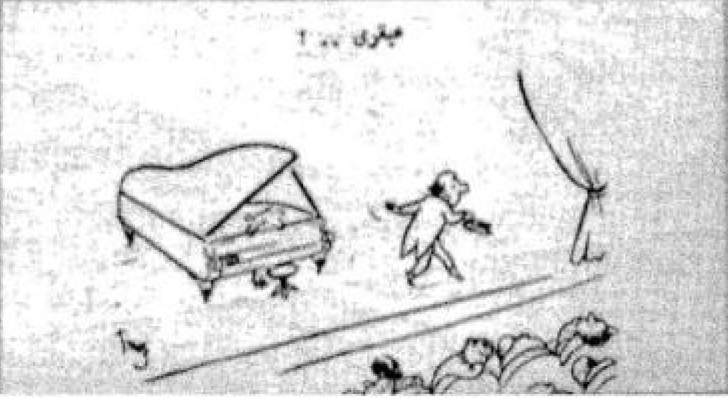
في شهر

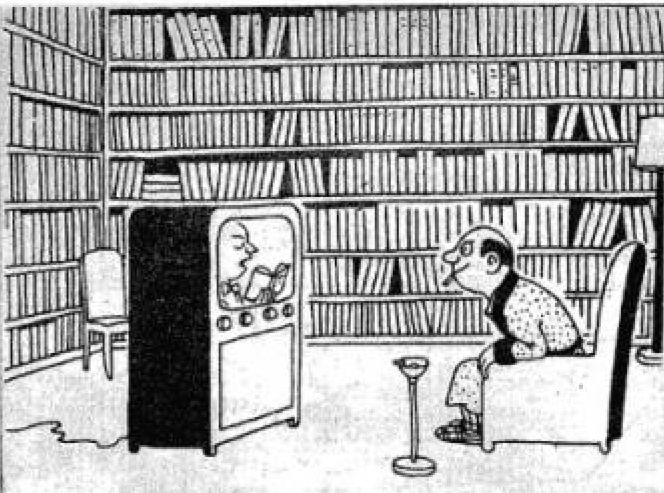




طبيبة عيون .. !







« المثقفون .. »

احترس .. !





الموضة .. !!

في العام الماضي ، اشترك ثلاثة من الصحفيين الشبان في انجلترا في تأليف كتاب أسود عن الفضيحة عام ١٩٦٣ ،
وكان الكتاب أبرع تحقيق صحفي عن فضيحة وزير الحرب البريطاني بروفيومو مع الشابة اللعوب كريستين كيلر ، تلك الفضيحة التي هزت حكومة ماكميلان ، وأطاحت بوزير الحرب البريطاني من شباك الوزارة إلى زاوية النسيان

وقد دخل هذا الكتاب مكتبة الوثائق ، وأصبح جزءا من تاريخ المملكة المتحدة ، وأجمع نقاد الكتب في الصحف البريطانية على أنه أهم كتاب ظهر في بريطانيا سنة ١٩٦٣

وفي هذا العام ـ ١٩٦٤ ـ ظهر ضريب لهذا الكتاب في أمريكا ، اسمه «غابة الولائد الخضراء» ومؤلفاه أمريكيان هما ، [illegible]



عاصمة القمار في العالم



وأدفيد ديمارس Ovid Demaris
هذان الزلفان ينتظران الموت !

لقد صدر الحكم عليهما بالاعدام ! واعجب ما في هذا الحكم ، أنه لم يصدر عن القضاء ، بل عن « المافيا » .. أو « النقابة » كما يسميها الامريكيون

ولا تتصوروا ان هذه النقابة التي احدثكم عنها اليوم ، شيء كالنقابات التي نعرفها هنا : نقابة الصحفيين ونقابة الأطباء ونقابة المهندسين وغيرها من النقابات المهنية فالواقع أن المهنة الوحيدة التي تجمع بين افراد « النقابة » في أمريكا هي الاجرام ، السرقة والسطو والقتل وادارة اندية الليل وبيوت الدعارة وفرض الإتاوات على المصانع والمتاجر والمسارح والملاهي والممثلين والممثلات أصحاب الملايين

واعجب مافي هذه النقابة ، أنها منظمة تنظيما دقيقا في أكثر المدن الامريكية ولها مجلس ادارتها ورؤساء فروعها واجتماعاتها الدورية والسنوية ودفاترها وحساباتها النظامية !!

ولها ايضا محاموها الذين يدافعون عمن يقع من افرادها في أيدي العدالة

« فندق صحراوي » في مدينة القمار تديره « النقابة »

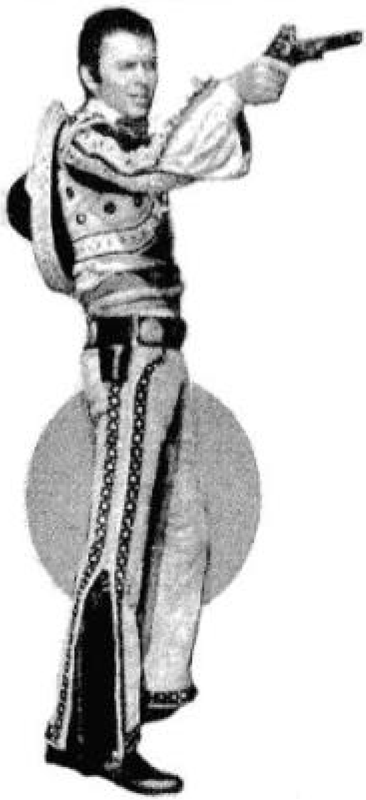


ولها كذلك اطباؤها الذين يعـــالجون المصابين فى معـــارك النقابة مع رجال البوليس أو مع من يقف فى وجـــوه افرادها من الناس

وللنقابة مستشفيات خاصة تتولى علاج أفرادها سرا اذا ما اصيبوا فى حادث ، حتى يبقوا بعيدين عن ضوء العدالة وحتى لاتكون اصاباتهم دليلا على اشتراكهم فى الحادث أو وجودهم على مقربة منه

ورجال البوليس يعرفون كل شيء عن النقابة ورؤسائها واعضائها ونشاطهـــا وجرائمها ، ولكنهم قلما يتكلمون ،بعضهم

فرانك ســـيناترا ، ينتمي للنقـــابة



لأنه لايجترئ ، والبعض الاخـــر لأنه ضالع مع النقابة ، شريك فى أعمالها ، او فى أرباحها على الاقل ؟

* * *

واذكر وانا فى مدينة شيكاجو ، وهى المركز الرئيسى للنقـــابة ، ان الصحف ظلت تتحدث عدة أيام عن قضية خطيرة القى القبض فيها على عدد كبير من ضباط الشرطة ، بعد أن تبين انهم أعضاء فى « النقابة »

هذه « النقابة » هى وريثة عصـــابات شيكاجو القديمة التى طالما قرأنا عنها فى الصحف وشهدنا احداثها على الشاشـــة البيضاء فى عهد تحريم الخمر بأمريكا ، فلما انتهى هذا العهـــد ، قلت ضراوة العصابات الى حين ولـــكنها لم تلبث ان قويت وتدعمت بعناصر جديدة ، من أفراد عصابات « المافيا » المعروفة فى جـــزيرة صقلية ، التى كانت ولا تزال تثير الرعب والهلع فى قلوب سكان الجزيرة التعسة ، وتحكم بالاعدام على كل من يشي بها او يشهد ضدها فى أى حادث ترتكبه

هذا هو قانون « المافيا »

وهذا هو قانون « النقابة » أيضا .. ولهذا فان الصحف الامريكية ـ رغـــم حريتها ـ تلتزم الحذر ـ كـل الحذر ـ حينما تتحدث عن النقابة

* * *

ولكن المؤلفين اللذين ذكرتهمـــا ، « اد ريد » و « اوفيد ديماريس » تحديا هذا القانون ، واصدرا كتابهما هذا : **غابة الوالد الخضراء** .. الذى هز امريكا هذا العام ، ودخل كل بيت ، وقرأه كل مواطن، وتناولته اقلام نقاد الكتب فى الصحف ، والسنة المعلقين فى الاذاعة والتليفزيون ودعى مؤلفاه الى أكثـــر من ندوة وراء الميكروفون وفوق الشاشـــة الصغيرة ، وبيعت منه ملايين النسخ ، وصدرت منه « طبعات جيب » شعبية ليكون فى متناول

الجميع ، وأجمع الناس على أنه أهم كتاب صدر فى أمريكا سنة ١٩٦٤

* * *

والكتاب يتحدى النقابة ، ويرفع الستارة عن وجه أقبح وجوه الحياة فى أمريكا

هذه الدولة الضخمة ذات العلم العميق والامكانيات الواسعة ، والثراء الهائل والحضارة .. تقف بجميع مقدراتها مكتوفة اليدين امام رجال العصابات !!

واذكر ان اذاعة «صوت أمريكا» تفضلت فدعتنى الى حديث اذاعى باللغة الانجليزية دام نحو ساعة ، سئلت خلاله عن انطباعاتى فى نهاية الرحلة

وكان موجه الاسئلة شابا رقيقا مصرى الاصل اسمه الدكتور « ايهاب حسن » ، وهو يشغل منصب استاذ العلوم السياسية بجامعة ويزليان

وسجلت كل ما اعجبنى فى أمريكا من مظاهر التقدم العلمى والفنى والحضارى ، ولكننى سجلت ايضا مالم يعجبنى من وجوه الحياة الامريكية ، وهى فى الواقع أشياء قليلة اولها حكاية هذه النقابة

وامريكا تؤمن بالحرية ، حتى الى ما بعد مداها

وقد كنت أقول لاصدقائى الامريكيين ، حينما نبحث قضية الحرية ، اننا نحن ايضا نعشق الحرية ، ولكننا نقف فى وجهها حينما تتجاوز الحرية مداها فتنقلب الى عدوان على حقوق الاخرين باسم الحرية

* * *

ونعود الى المؤلفين اللذين ينتظران الاعدام ..

هذان المؤلفان تحديا قانون النقابة ، واصدرا كتابهما عن «غابة الموائد الخضراء» .. ويقصدان بهذا التعبير مدينة لاس فيجاس ، الواقعة فى قلب صحراء نيفادا .. نفس الصحراء التى تجرى فيها امريكا تجاربها الذرية

سمعت بهذا الكتاب أول ما سمعت به من « بارمان » الفندق الذى نزلت به فى مدينة سان فرانسيسكو

كنت فى انتظار صديق ..

وتأخر الصديق فقتلت الوقت فى حديث مع « البارمان » الذى عرف انني صحفى ، فسألنى

— هل قرأت كتاب « غابة الموائد الخضراء » ؟

قلت : لا

قال : يجب أن تقرأه

والحقيقة انني لم أعر قوله كثيرا من الاهتمام ، رغم أنه ذكرلى بعض المحتويات المثيرة فى هذا الكتاب

وبعد أيام ، كنت فى زيارة للاديب الامريكى الكبير **ارسكين كولدويل**

وقالت لى فرجينيا ـ قرينة الكاتب الكبير ـ وهى الاخرى رسامة لامعة :

— هل قرأت كتاب « **غابة الموائد الخضراء** » ؟

قلت لا

قالت : يجب أن تقرأه

وهكذا وجدت الكتاب موضع اهتمام شخصيتين نقيضتين ، تمثلان طرفى الرأى العام ، فلم أجد بدا من اقتنائه وقراءته

وبعد أن قرأته ، لم أجد بدا من الوقوف على الحقيقة فى موطنها ، فشددت رحالى الى غابة الموائد الخضراء .. لاس فيجاس .. أحاول أن أبحث عن الحقيقة التى رواها المؤلفان ، فوجدتها ووجدت ما هو أكثر منها !

* * *

ان « لاس فيجاس » هى أول مدينة فى التاريخ تنشئها العصابات ، وتملكها العصابات ، وتحكمها العصابات !

والذى تعلمونه ، ويعلمه الناس عن هذه المدينة ، أنها كازينو كبير للقمار ، على غرار مونت كارلو

ولعل بعضكم يعلم عنها شيئا أكثر من هذا

لعل بعضكم يعلم أنها **مدينة اللا قانون** .. أعنى أنه اذا كانت قوانين جميع الولايات الامريكية تحرم الطلاق ، أو تقيده بقيود ثقيلة الوطأة طويلة المدى ، فهنا ،

في لاس فيجاس ، تنحل عقدة القانون ويسهل الطلاق في غمضة عين

واذا كانت قوانين جميع الولايات الامريكية تحرم الاجهاض ـ الا لضرورة صحية ملحة ـ فهنا ، في لاس فيجاس يغمض القانون عينيه عن عشرات عمليات الاجهاض التي تجرى كل يوم ، واكثرها لفتيات صغيرات في سن السادسة عشرة !

ويصف المؤلفان هذه المدينة في اول الكتاب فيقولان ان لاس فيجاس تعتبر مدينة في عرف علم الاحصاء وحده . اما في عرف الحقيقة ، فهي ليست مدينة ، وانما هي غابة .. غابة الموائد الخضراء ولجميع انواع القمار ، لاهم لجميع سكانها الا سلب اموال السائحين الوافدين على الغابة ، بطريق مباشر او غير مباشر

وقد وفد عليها من السائحين في سنة ١٩٦٢ ـ ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ سائح ، ولا يزال الرقم في ازدياد عاما بعد عام ، وكلهم



ارسكين كالدويل دلني على الكتاب

يأتون الى لاس فيجاس للمقامرة ، او لارتكاب اية رذيلة اخرى .. وحتى الذين يأتون لمجرد حب الاستطلاع ، لا يلبثون ان يجدوا انفسهم مدفوعين الى واحدة من هذه الرذائل ، لانه ليس هناك شيء يستطيع ان يفعله احد الا ارتكاب الرذائل!

***

والرذيلة الاولى هنا هي القمار ..

ان آلات القمار تطالعك من ساعة نزولك من الطائرة .. في المطار نفسه .. ثم في دكاكين الحلاق والقصاب والبدال والتحف والملابس .. وحتى الصيدلية !

ولا شيء غيرها يملأ ردهات الفنادق والمقاهي والملاهي الليلية

وفي كل فندق صالة للمقامرة ..

وكل فندق يملك ناديا ليليا يحبسك بين اسواره لتقضي ساعة لهو ، تليها ساعات طويلة بين الموائد الخضراء

والاغراء كبير ...

فالساقيات اللواتي يطفن بك كل لحظة وانت على المائدة الخضراء ، من اجمل فتيات العالم . وفوق هذا فانهن يسقينك ماتشتهي من الويسكي او الشمبانيا ، بلا ثمن !

وكلما شربت ، لح بك الشوق الى مزيد من الشراب من ايديهن ، والى مزيد من اللعب على الموائد الخضراء !

وانت ـ اذا كنت هناك ـ وجدت نفسك مسوقا الى التنقل من كازينو الى كازينو للمقامرة ، فان لم تفعل هذا ، فليس امامك الا ان تدخل غرفتك في الفندق ، وتغلق بابها عليك ليقتلك الملل والوحدة

***

ويلعلك المؤلفان يرويان لك ان في لاس فيجاس اكثر من اماكن مكانا للعبادة ، من كنيسة وكنيس . ولكن الاله الحقيقي الوحيد هناك هو المال

ويقول السيد « جيرالت سوير

حاكم ولاية نيفادا ، لمن يسألونه عن حجر الاساس الذى تقوم عليه قوانين ولايته :

ـ ان حجر الاساس هنا ان نعيش كما نشاء ، وندع الآخرين يعيشون كما يشاءون

ويقدر المؤلفان رأس مال العصابات المستغل فى غابة الموائد الخضراء سنة ١٩٦٢ بـ ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، وقد قفز الى ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٦٣

ويضيفان ايضا ان السائحين الذين زاروا لاس فيجاس سنة ١٩٦٢ ـ وهم ١٢,٠٠٠,٠٠٠ سائح كما اسلفنا القول ـ قد فقدوا على موائدها الخضراء مالا يقل من ثلاثة بلايين من الدولارات

ومن ضخامة الفارق بين رأس المال المستغل ، والمبالغ التى تلتهمها الموائد الخضراء ، تستطيع أن تدرك هول الارباح التى تجنيها العصابات من هذه الغابة النهمة

***

ويروى المؤلفان عشرات من قصص ضحايا هذه الغابة

يرويان قصص الذين جاءوا وجيوبهم مثقلة بالدولارات ، وخرجوا ـ بل طردوا ـ وهم لا يملكون ثمن تذكرة الطائرة

ويرويان قصص الذين جاءوا يقودون سياراتهم الفاخرة ـ الكاديلاك والرولز والبويك ـ وخرجوا بعد أن باعوا سياراتهم على الموائد الخضراء ، وسافروا بالاوتوبيس !

وأبشع من هذا .. يرويان قصصا رهيبة عن الجثث التى تدفنها العصابات تحت رمال صحراء نيفادا المترامية ، دون أن يدرى بمآسيها ولا بمصائرها احد فى الوجود ، الا اعضاء النقابة !

***

وقد وضع أحد الاطباء النفسانيين فى لاس فيجاس دراسة دقيقة حلل فيها نفسية السائح الوافد على غابة الموائد الخضراء ، فقال ان هذا السائح ، حينما يأتى الى هنا ، يبيح لنفسه ان يرتكب ما لا يستطيع ان يرتكبه فى مجتمعه الاصلى الذى يعيش فيه ، وانه يجىء الى هنا ، بعد ان يترك ضميره فى مجتمعه الاصلى ويعيش بغرائزه ويخوض فى محيط من المقامرة والخمر والنساء ـ والشذوذ الجنسى ايضا ـ بغير احساس بالضمير الغائب !

***

وفى ولاية نيفادا ـ كما فى كل ولاية ـ سجن للمذنبين ، يقع فى مدينة كارسون وضباط السجن يديرون ناديا للقمار داخل السجن ، ذلك بأن يأخذوا نقود المذنبين ، ويعوضوهم بدلا منها قطعا مستديرة من النحاس يلعبون بها مختلف انواع الميسر ، ويحاسبوهم على المكسب والخسارة عند تصفية الحساب فى نهاية مدة سجنهم !

***

وغابة الموائد الخضراء مدينة حديثة العهد بالوجود . فقد انشئت سنة ١٩٤٦ . وقد كان عدد سكان مقاطعة كلارك ، التى تضم مدن لاس فيجاس الشمالية وهندرسون وبولدرسيتى ، لا يتجاوز ١٦,٠٠٠ نسمة فى ذلك الحين

وقد قفز هذا الرقم الآن الى ٢٠٠,٠٠٠ سواء بطريق مباشر او غير مباشر !

ونسبة الجرائم فى لاس فيجاس تصل الى ثلاثة امثال نظائرها . فى اية مدينة امريكية اخرى ، كما ان نسبة الانتحار فيها هى نسبة الانتحار فى اية مدينة على الارض !

***

ويستطيع كل من هب ودب أن يذهب لاس فيجاس ليحصل على الطلاق من

زوجته ويعقد زواجا على أخرى في لمحة عين ، عن طريق قاضي الاحوال الشخصية، الذى يصل إلى منصبه عن طريق الانتخاب، لا الكفاية القانونية

وينتخب قاضى الاحوال الشخصية فى لاس فيجاس لمدة عام واحد غير قابل للتجديد . ولكنه يخرج فى نهاية العام وحصيلته الشخصية من « عمليات » الطلاق والزواج لاتقل عن ١٠٠,٠٠٠ دولارا اما حصيلة الولاية من هذه العمليات ، ١٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار !

***

ويفيض المؤلفان فى الحديث عن الجرائم البشعة والدم المسفوك على رمال نيفادا ، ويذكران اسماء كثيرة مسئولة عن هذه الجرائم .. اكثرها كوهين وبنيامين وعزرا وو ..

الى ان يذكرا اسما يقف القارىء عنده فى حيرة بالغة ، هو اسم السناتور باري جولد ووتر . الذى يروى الكتاب

حديثا مفصلا عن صلاته بالعصابات ، وصداقاته مع رجال العصابات !

انا شخصيا لا اكاد اصدق هذه الحكاية

ولكن ما يحيرنى ، ان الكتاب قد غمر الاسواق ، وتحدث عنه الجميع ، ومع هذا فان السناتور جولدووتر لم ينف شيئا مما جاء فيه ، ولم يرفع امر المؤلفين الى القضاء ليحفظ على نقاء سمعتها وكرامتها ...

***

هذان المؤلفان – وتحية لشجاعتهما – يقيمان الان فى ركن مجهول من الارض خشية الموت !

فى ملاهى لاس فيجاس



البروش والفصوص زحفت الى الرقبة .. هــل تعجبك ؟!

موضة العام القادم

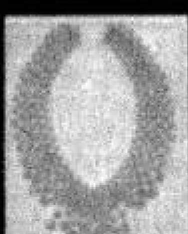
وداعــا للبساطة



اتفق خبراء الموضة ان يكون العــام القــادم هو عام الاكسسوار . ان فساتينك ورقبتك وشعرك .. وحتى شنطة يدك ستكون كلها تفاليع في تفاليع ... الشخاليل في اليد وعلى كل جزء من فستانك او تاييرك ، والفصـــوص على الرقبة ، والحلقان في الاذن ، والعقود في الوسط .. على شرط ان تبقى خفيفة الحركة .. بعد كل هذه الاضافات .. !







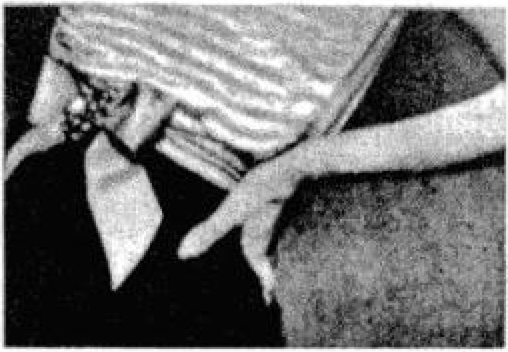
هـــذه المجموعة من الاضافات الهمت مصـــممي الازياء



الورود والخرز .. هل
تبرز اناقتك ؟ ان خبراء
التقاليع صمموا لك هذا
الفستان لبعد الظهر

موضة العام القادم

والوسطك صمموا هذا
الحزام بشرط ان يكون
قوامك غصن بان .. !



هل تذكرين موضة بلادنا
ايام زمان ان الجزء الاعلى
من فستانك وضعوا فيه
بعض الشخاليل .. والخرز



وهذه الشنطة امتدت اليها
موضة ١٩٦٥ انها تماما مثل
قصر التيه .. التاريخي





والعقود زحفت من الرقبة
الى الشعر .. ان خبراء الجمال
ينصحونك باستعمالها ..

هذا الفستان الانيق سيكون
احدث صرخة في موضة ٦٥



مكتبة مجلة الهلال العربية

البناة العظام

فى عالم الرواية. والفن

تاليف : ستيفان زفايج

ترجمة : محمد محمد فرج

الناشر : مكتبة الانجلو

الثمن : ٤٠ قرشا

ثلاثة من أعظم بناة فن الرواية فى الاداب الاوربية ، يمثلون ثلاثة نماذج للعبقرية كل منها قمة شامخة ، وكل قمة منها تختلف عن القمتين الاخريين اختلاف التكوين الطبيعى ، واختلاف المنهج فى العمل ، والنظرة الى الحياة ، واختلاف الاثر فى القارئين

بلزاك عبقرى الرواية فى فرنسا ، وديكنز عبقرى الرواية فى بريطانيا ، ودوستويفسكى العظيم عبقرى الرواية فى روسيا ، بل عبقريها الذى لا يبارى فى جميع الاعصر وجميع البلدان

ومن الانصاف ان نذكر فى هذا المقام اسم قمة رابعة لعبقرية من أكبر عبقريات تاريخ الادب كله فى كتابة السيروالتراجم وهو مؤلف الكتاب الذى نقدمه .. ستيفان زفايج ، فهو ـ فى القول الراجح ـ اعظم كتاب السير بعد بلوتارك . فلا نظير له فى استكناه اللمحات النفسية ودخائل التكوين من اللقة العابرة والفلتةالعارضة. وهو أوسع من بلوتارك فى أفق البحث ، لانه يكتب فى التحليل الادبى وشخصيات الادباء واعمالهم ما لم يلتفت اليه استاذه القديم الذى استأثرت بطولات الحرب والسياسة باهتمامه

والحق ان كتابه هذا نموذج رائع للعمل الواعى فى تحليل الادب على الطريقة الفنية والنفسية ، التى يستدل فيها من الادب على الصورة الباطنة للاديب ، مع قدرة جبارة على تحديد الفروق بين العباقرة الثلاثة فى كل شىء ، راجعا بتلك الفروق الى اسبابها فى النشأة وعناصر التكوين الخلقى والوراثة وطبائع الامة واحكام العصر الاجتماعيةوالاقتصادية

ومن أصدق الدلائل على اصالة المؤلف الكبير انك تقرأ ما كتبه عن ديكنز فتحس صفاء وسهولة كانك تستروح أنفاس ذلك الكاتب فعلا ، وهو يحبه أشد الحب ولكنه شديد اليقظة الى الفارق بين انتاجه وطاقته الحقيقية ، فهو أعظم من كل ماكتب

عصر ستيفان زفايج هو الذى فرض على انتاجه هذه الحدود الهينة اللينة من القصص .

وتقرأ بلزاك فاذا بك تحس الرجل حاضرا بين يديك ، وتراه من «الداخل» على حقيقته الجارفة فى انطلاقتها الجامح نحو هدفها المحدد . حتى اذا قرأت دوستويفسكى فانت امام طبيعة بركانية يجتمع فيها عنصر البشرية الواهن بالروح الخالقة والاشواق المتمردة فى مزيج يرتفع بكل شىء الى مستوى شفاف من القداسة : قداسة الحقيقة والرؤية والحب لكل ماهو أبدى يتجاوز طبيعة البشر الزائلة . ولكنك لن تفيد شيئا مالم تكن قرأت ادب الثلاثة اولا وعرفت انتاجهم الجليل معرفة طيبة

حصاد الفكر

تحرير : روبرت كازنس

الترجمة باشراف وتقديم :

الدكتور زكى نجيب محمود

الناشر : مركز كتب الشرق الاوسط

الثمن : ٢٠ قرشا

اشترك فى تاليف موضوعات هذا الكتاب نخبة من المؤلفين فى موضوعات شتى يجمع فيما بينها رباط واحد هو الحفز على التفكير والتنشيط فاعليته ، وهى على اربعة انواع : منها مايتحدث عن العلم وتأثيره فى حياة الانسان (وقد ترجم هذا القسم الدكتور جمال الدين الفندى الاستاذ بكلية العلوم) ومنها ما يتناول التربية وآثرها فى تطور العلم ومستقبله (وقد ترجم هذا القسم تربوى واسع القدم واديب متمكن هو الدكتور محمد على العريان) ومنها ما يحلل عملية التفكير نفسها من حيث طبيعتها وطرائق تنميتها (وقد ترجمت هذا القسم الدكتورة منيرة حلمى مطر) ومنها مايتصل بأوقات الفراغ ومايبدو فيها من أفكار يخلد الانسان (وقد ترجم هذا القسم الاستاذ رجائى مقار) وأشرف على توجيه الترجمة ومراجعتها والتقديم لها الدكتور زكى نجيب محمود أستاذ الفلسفة والناقد الادبى المتعمق

واهم مايتميز به هذا الكتاب ابرازه قيما انسانية يحض عليها ، فى مقدمتها التضحية فى سبيل العلم ومايحف بالتجارب العلمية من خطر يتعرض له العلماء بشجاعة

ومن هذه القيم أيضا الشجاعة فى مواجهة صعاب الحياة المادية ومقاومة الخوف من المستقبل القلق مع التناسق بين المبدأ والتطبيق ، فعلى الناس أن يعيشوا مبادئهم لا أن يعيشوا متنكرين لمبادئهم ، أو بلا مبادىء اطلاقا . فمن هذه القيم ومثيلاتها تتكون الصورة المشرقة الشريفة للانسان

النافذة المغلقة

وقصص اخرى

بقلم : يوسف جاد الحق

الناشر : دمشق

الثمن : ٢٠٠ قرش سورى

الاستاذ يوسف جاد الحق أديب من أبناء فلسطين ، أقام بدمشق حينا وبالقاهرة حينا آخر منذ النكبة الصهيونية المشئومة . ونشرت له اقاصيص فى الصحف العربية واذيعت له فى محطة « صوت العرب »

وطبيعى أن تتسم هذه القصص بطابع الحزن ، حتى تلك الصور الضاحكة التى تبرز أحيانا مثقلة بالاسى وراء مرحها الظاهرى . ولكن قصصه مع هذا

ليست « مساحة » ، فأكبر اهتمامه بالموضوعات الانسانية ، ولكن الحزن يسرى فيها بطريقة غير مباشرة حتى حين يتحدث عن موضوعات بعيدة كل البعد عن « النكبة »

وقد نشرت هذه المجموعة فى سوريا ، بمقدمة للاديبة السورية المعروفة « وداد سكاكينى » . وهو فى قصصه ليس من اتباع مذهب معين من المذاهب التى كثر انتماء القصاصين الجدد اليها . فلانستطيع أن نضعه فى «خانة» معينة ؛ لانه يستقى من نبع وجدانه الخاص بلا تقيد .. فهو على سجيته تماما ؛ وتقييمه الحق رهن بتقييم سجيته ذاتها . اما الاسلوب فعربى سليم فى اغلب المواضع ، ويرتقى احيانا الى مستوى يفيض بالشاعرية

الجزائر الثائرة

تاليف : جوان جيلسبى

ترجمة : حسنى تالق

تقديم : خيرى حماد

الناشر : مكتبة المثنى ببغداد

الثمن : ٥٥ قرشا

مؤلفة هذا الكتاب شابة امريكية نزيهة الضمير نقية الدوافع محبة للحرية والانصاف ، قدمت بحثا للحصول على الدكتوراه فى القانون والعلوم السياسية له صلة بقضية الجزائر . ورحلت بنفسها الى أرض المليون شهيد أثناء احتدام معركة التحرير ، والى المعسكرات الفرنسية لتشهد عن كثب بنفسها ما يحدث من الطرفين المتقاتلين ، وتدرس على الطبيعة المواقع والموارد والوسائل .. والافكار ، وحياة الناس وآمالهم . ولكن المرض عاجلها فى شبابها فماتت قبل نشر كتابها ، وقبل أن يتحقق استقلال الجزائر بقليل .. فانضمت الى المليون شهيد فى حماستها للحرية الجزائرية ، وخدمتها لها ، وموتها أثناء تلك الخدمة

والكتاب حافل بالمادة العلمية العظيمة تاريخيا وسياسيا واقتصاديا ، فهى تحلل الوضع الجزائرى بين الوطنيين والمستعمرين من جميع الوجوه كما ينبغى لرسالة علمية تعتمد على الاحصاء والوثائق ، ولكنها لاتقف على الحياد بين العدوان وضحاياه ، بل تندد بالاستعمار فى شجاعة تامة وصراحة لا مداورة فيها ، وتشرح الوضع الدولى للقضية الجزائرية ، ومواقف سائر الدول والمعسكرات منها تفصيلا

وقد ترجم الاستاذ خيرى حماد هذا الكتاب ترجمة طيبة ونشرته مكتبة المثنى ببغداد بالاشتراك مع دار الطليعة ببيروت

روائع التراجيديا

فى أدب الغرب

تصنيف : كلينث بروكس

ترجمة : الدكتور محمود السمرة

الناشر : دار الكتاب العربى ببيروت

الثمن : ٣٦ قرشا

مؤلفو هذا الكتاب كثرة من الاساتذة فى الادب ، وقد اشرف على الاعداد والتصنيف والتقديم استاذ الادب الانجليزى بجامعة ييل . ويستغرق الكتاب سبعة موضوعات تبدأ باوديب كما صوره يوريبيدس ، ثم هملت كما صوره شيكسبير ثم شمشون الجبار كما صورته التوراة ، ثم فيدرا كما صورها راسين ، ثم الاخوة كرامزوف كما صورهم فدور دوستويفسكى العظيم ، ثم روزمر كما صوره هنريك

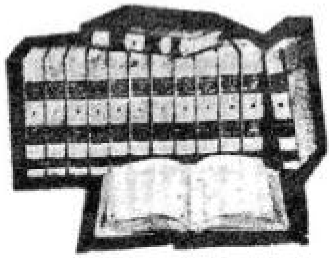
ابسن في مسرحيته الثالية المعروفة بهذا العنوان ، واخيرا شخصية القديس كما صورها اليوت في مسرحيته جريمة قتل في الكاتدرائية

والطابع السائد في هذه الفصول انها تقدم معلومات عامة عن التراجيديا الى غير المتخصصين ، الى القارىء العادى ، فهدفها هو التقديم ، والتحبيب ، عسى ان يزداد القارىء تعلقا بهذا الفن الدرامى الذى أخذ يندثر فى عصرنا الحديث لغلبة فنون الدراما الاخرى عليه . وان كان من الانسب أن يشمل الكتاب فصلا عن علاج التراجيديا فى مسرح جديد لفت الاذهان بسرعة وهو مسرح اللامعقول ..

> **الحب عند العرب**
>
> للمرحوم احمد تيمور
>
> الناشر : لجنة نشر المؤلفات التيمورية

هذا الكتاب من المخطوطات القيمة التى جمع شتاتها والف اجزاءها المرحوم احمد تيمور «باشا» وتقوم لجنة نشر المؤلفات التيمورية بطبعها وعرضها جريا على عادتها فى نشر ماترك ذلك العالم الجليل من مآثر ادبية

والكتاب يتناول الحب فى مختلف معانيه ونزعاته ويقدم تحليلا لهذه العاطفة الرقيقة ويقدم للقارىء أبدع ماهتف به خاطر الشاعر العربى وجرى به قلمه ، ويجمع أمتع قصص المحبين وخاصة الشعراء منهم فى سرد لطيف . ويتناول الكتاب كذلك التغنى بالجمال ووصف سماته . فهو ذخيرة ثمينة تاريخيا وادبيا ، وقراءته تجمع بين المتعة والفائدة وان يكن يعيبه عدم ذكر مصادر مادته فى اغلب الاحيان . ان اللجنة التيمورية قد قدمت يدا مشكورة للمكتبة العربية بهذا الكتاب .



مكتبة مجلة الهلال الأفرنجية

الواقعية في عصرنا : الادب والنضال الطبقى

Realism in our Time

المؤلف : جورج لوكاس

Georg Lukacs

ترجمة : جون ، فك ماندر

الناشر : هاربر ورو

الثمن : ٢ دولارات ، ٩٥ سنتا

دراسات فى الواقعية الاوربية

Studies in European Realism

المؤلف : جورج لوكاس

Georg Lukacs

الناشر : جروسيت ودنلاب

الثمن : ٤ دولارات

لم يتيسر للقراء فى بلاد اللغة الانجليزية أن يعرفوا غير اليسير من النصوص الفلسفية والنقدية التى ترتكز عليها الشهرة الاسطورية التى يتمتع بهـا فى أوروبا : **جورج لوكاس** الذى يتحدثون عنه كاعظم « ماركسى منذ ماركس » ، وهو الكاتب الهنغارى الذى قضى شطرا كبيرا من حياته فى برلين وفينا وموسكو ، والذى أوحى فى شبابه الى **توماس مان** بشخصية **نافتا** فى « **الجبل السحرى** » . هذا القصور فى المعرفة بالرجل فى البلاد الانجلو سكسونية عالجه الكتابان اللذان صدرا فى الولايات المتحدة حديثا واستقبلهما النقاد فيها بروح الحماس والعطف .

وكتاب « **دراسات فى الواقعية الاوربية** » يرجع الى الثلاثينات ، ويتضمن فصولا عن **بلزاك وستاندال وزولا وتولستوى وجوركى** . ولقد كتب لوكاس فى مقدمة الطبعة الصادرة فى عام ١٩٤٨ يقول : « **ان الطريق العملى للوصول الى حل بالنسبة الى الكاتب ، يكمن فى الحب الشديد للشعب ، والكراهية العميقة لاعداء الشعب ولاخطاء الشعب نفسه ، والكشف الذى لا يلين عن الحق والحقيقة ، مع ايمان لا يتزعزع بسير الجنس البشرى وشعبه** » اى شعب الكاتب ، **نحو مستقبل افضل** » .

فهو يهلل لكتاب بلزاك « **الكوميديا الانسانية** » ويعتبرها عملا ممتازا برغم ان المؤلف كان ملكيا وكاثوليكيا . وعبقرية تولستوى وعظمته لا ينقص منهما تدينه وتصوفه الريفى ، ذلك ان لوكاس كان يصر على أن الانجاز الادبى يمكن أن يكون مستقلا عن مشاعر التحامل الشخصية عند المؤلفين ، بشرط ان يكونوا « **واقعيين** » تعكس رواياتهم فى صدق النماذج الاجتماعية والازمات التاريخية .

فبلزاك فهم الحقيقة الموضوعية فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، كما فهمها تولستوى فى النصف الثانى ، **عندما لم تكن شمس النزعة الانسانية**

الديموقراطية والبروليتارية الجديدة قد ارتفعت بعد فوق الافق »

لكن زولا « ماساة ادبية » وهوجو « يمثل الفشل » وفلوبير يرمز الى «انحطاط التشاؤم الى عدمية »

اما ماكسيم جوركي فانقذالواقعية الاوربية عندما اوضح « كيف تفتت الراسمالية الشخصية الانسانية » و « من تحلل العالم الرهيب .. يبرز جمع ممتاز من الابطال الثوريين »

***

اما كتاب « **الواقعية في عصرنا** » وهو **اصغر حجما من سابقه ، فيبدا من الخمسينات ، ويطالعنا باراء المؤلف عن الكتاب الحديثين ابتداء من جويس وكافكا الى فوكنر وبيكيت**

ولكن نلاحظ في اسف ان النسخة الانجليزية هذه لا تتضمن المقدمات التي كتبها لوكاس في عامي ١٩٥٧ ، ١٩٦٢ والتي توضح فترة « **ذوبان الجليد** » بعد زوالعهد ستالين ،وفيها يعترف انهيستطيع الان ان يتكلم بصراحة اكثر ، ويدعو الاتجاه الى اسلوب « **خرافات ايسوب** »

وفي كتابه الثاني هذا تلقاه يهاجم « التجديد » او « نزعة التجديد » لانها « **لا تؤدي الى دمار الاشكال الادبية التقليدية فحسب ، بل والى دمار الادب نفسه** » ،

وهو يبني رايه هذا على ان الادب الجديد هو « **هروب الى الفراغ** » . ويقول « **ان تجربة العالم الراسمالي تولد وبخاصة بين المثقفين .. احساسا بالعزلة واليأس** »

ويواصل لوكاس القول : « **ان نظاما يستعد للحرب ، او نظاما يعتمد على قهر الشعب واضطرابه — لا بد بالضرورة ان يميل الى القضاء على الواقعية — مما اظهره موسوليني وهتلر ومكارثي** »

وبرغم الحرية التي ظهرت بعد ستالين وبرغم عبارات يرددها من قبيل « **تراث الستالينية المدمر** » و « **الدكتاتورية الايديولوجية** » ، الا انه يبدي تحفظا بصدد استعمال الحرية الجديدة ، فيستنكر «**الاتجاه التنقيحي** » . بل ويبذل الجهد حتى يستطيع ان يرى «**انجازات ستالين الايجابية** على ضوء ظروف الماضي

خليج الخنازير

The Bay of Pigs
المؤلف : هاينز جونسون
Haynes Johnson
الناشر : نورتون وشركاه
الثمن : ٥ دولارات ، ٩٥ سنتا

كان اللواء رقم ٢٥٠٦ المكون من المنفيين الكوبيين ، هو القوة التي اقتحمت في ابريل من عام ١٩٦١ على مغامرة غريبة هي غزو جزيرة كوبا بقصد قلب النظام الذي اقامه **فيدل كاسترو** ، وهي مغامرة تعيد الى الذاكرة اساليب دون كيشوت في قصة سرفانتيس المشهورة ، ولكن العملية باكملها منيت بالهزيمة والاخفاق ولم تمض ٧٢ ساعة على بدء القتال عند شواطيء (خليج الخنازير) ، حتى قبض على افراد القوة والقى بهم في السجن الى ان توسطت الولايات المتحدة فيما بعد من اجل اطلاق سراحهم ، واضطرت مقابل ذلك الى دفع فدية على صورة مواد غذائية وعقاقير طبية بلغت قيمتها ٥٣ مليونا من الدولارات

هذه العملية التي دبرتها ادارة المخابرات الامريكية كانت وليدة سياسة قررتها **حكومة ايزنهاور** ، ثم ايدتها . وان يكن بقدر اقل من التحمس نوعا — حكومة الرئيس كنيدي . وما من شك ان اولئك التعساء ما كانوا ليقدموا على مغامرة كهذه مقضي عليها بالفشل ، لولا وثوقهم من ان حكومة الولايات المتحدة تمنحهم التأييد الكامل

ولقد كشفت الاحداث فيما بعد عن مدى جهل الذين تولوا تنظيم تلك العملية عن حقائق الموقف في كوبا ، وبذلك تركوا اولئك البؤساء للمصير المفجع الذي حل بهم . ان عملية خليج الخنازير قصة سلسلة من الاخطاء وعدم تقدير المواقف، ولن تعرف الحقائق كاملة قبل ان يحين الوقت الذي تكون فيه الملفات الرسمية في الحكومة والمخابرات ، تحت نظر المؤرخين والباحثين

لكن يعتبر هذا الكتاب الذي نقدمه ادق ما سطر في هذا الموضوع ، فلقد قضى المؤلف ، **هاينز جونسون** ، وقتا كافيا في البحث والتنقيب ، وقابل زعماء الحركة

والافراد الذين افرجت عنهم حكومة كوبا فيما بعد ، وراح يجمع كل ماوصلت اليه أيديه من بيانات ومعلومات لينسج منهـا قصة متماسكة

وينقسم الكتاب الى أربعة اجزاء تتناول وفقـا للترتيب الزمنى : اعداد الغزو ، والغزو نفســه ، ثم القبض على أفراد القــوة ! وأخيرا عودتهم الى الولايات المتحدة فى عيد الميلاد عام ١٩٦٢

والمستر هاينز جونســون يوجه اللوم الى ادارة المخابرات لانها فكرت فى مثـل هذه العملية ، والى رؤساء أركان حرب القوات الامريكية لانهم أقروها من الناحية العســكرية . وهو لا يلقى القول على عواهنه بل يقدم الوثائق المؤيدة لاتهاماته فيصف كيف فكرت المخابرات اول الامر فى انزال أكثر من جماعة فى أكثر من موضع لكى تشن حرب عصابات ، ثم عادت — لسبب غير مفهوم — فعدلت عن الخطـــة وقررت توجيه ضربة واحـدة هى انزال اللواء رقم ٢٥٠٦ عند شــواطىء خليج الخنازير

وثمة موضوع يتردد فى الكتاب ، وهو ان المخابرات الأمريكية اما انهـا ضللت الكوبيين وخدعتهم ، واما انها اشاعت فى صفوفهم اعتقادا بأن قوات اخرى يجرى تدريبها فى مواضع مختلفة ، وأن هــذه القوات سوف تنضم الى افراد اللواء عند ما يشتبك فى المعركة المنتظرة مع قوات كاســـترو من افراد الجيش ورجال الميليشيا ، والبالغ عدده ربع مليون مقاتل

ويضيف المستر جونسون ان كبـار رجال المخابرات شجعوا أفراد اللواء فى معسكرات التدريب بجواتيمـالا ، على الاعتقاد بأن الحكومة الأمريكية ســوف تقدم لهم المساعدة اما على هيئة مظـلة جوية عند النزول الى الشـاطىء ، واما بالتدخل العسكرى الكامل . وكذلك يعلن أن رجال المخابرات كانوا شديدى الرغبة فى الاسراع بالتنفيذ وحرضـوا الكوبيين عليه خشية ان يعود الرئيس كنيدى فى اللحظة الاخيرة فيأمر بايقاف العملية كلها

وفضلا عن هــذا يبين لنا المؤلف أن تورط حكومة الولايات المتحدة المباشر فى الغزو كان أعظم مما اعترفت به فعلا فيقول ان اثنين من المدربين الامريكيين صحبا اول مجموعة من الثوار من فرقة الضفادع البشرية . كما يعيد ايراد الحقيقـة المعروفة وهى أن عددا من الطيـارين المدنيين ممن يعملون فى خـدمة ادارة المخابرات بمقتضى عقود خاصـة عاونوا الثوار ، وان اربعة منهم قتلوا . وأكثر من هذا فان الرئيس كنيدى رخـص فى القيام بمظلة جوية لمدة ساعة واحدة ، ولكن الطيارين المكلفين بالمهمة لم يغادروا حاملة الطائرات التى كانت تقلهـم ، بسبب خطأ فى التخطيط هو ان طائرات الثوار من القاذفات سبقت الموعـد المقرر بساعة فاسقطتها مدفعية كاسترو المضادة للطائرات

البادى اظلم

قال الامام ابو حنيفة :

دخلت البادية ، فاحتجت الى الماء ، فجاءنى اعرابى ، ومعـه قربة ملآنة . فابى ان يبيعها الا بخمســة دراهم . فدفعتها له . ثم اخذت القربة فقلت له :

— ما رأيك يا اعرابى فى السويق الناعم من دقيق الحنطة والسمن؟

فقال : هات

فاعطيته سويقا ملتوتا بزيت ، فجعل يأكل حتى امتلأ . فقال :

— على بشربة ماء

فقلت : هى بخمسة دراهم

فاعطيته القدح ، واستردت الدراهم الخمســة ، وبقى الماء

عزيزى القارئ

لم يقبل جان بول سارتر جائزة نوبل ، ولم يفصح عن اسباب اعتذاره ، وقال البعض انه فعل ذلك بسبب لومومبا ، وقال البعض الآخر انه لا يحتاج الى المال او الشهرة ، وقال فرانسوا مورياك انه لو كان مكان سارتر لقبل الجائزة حتى يصلح سلالم منزله ، وكانت اكثر التعليقات مرارة هى تعليقات الفيلسوف جابرييل مارسيل ، الذى لم يحصل على الجائزة ، والذى قال انه كان يؤلف الكتب الفلسفية حين كان سارتر لا يزال فى المدارس الابتدائية

وكثيرون وضعوا اسباب السياسة ، او الشهرة ، او الاكتفاء ، ولكن واحدا لم يلمس نقطة هامة فى حياة جان بول سارتر

ان سارتر وهو اشهر الكتاب المعاصرين فى العالم بلا جدال ، يحس بعد كل هذا النجاح ، وهذه الشهرة ، انه لم يكتمل بعد

انه فى كتابه الاخير «نقد العقل الدياليكتيكى» يعترف انه لا يستطيع ان يدعى الفلسفة ، فهو ليس فيلسوفا ، ولكنه ايدلوجى ، وافكاره « ايدلوجية لم تكتمل بعد »

ان سارتر طوال حياته الادبية كان صادقا مع نفسه ، فلم يصدمه النقاد ، او ينهزم امام الاعداء ، لان لحظة من الصدق مع النفس اعظم من حياة طويلة

ولا يزال سارتر ينضج على الرغم من انه بدأ بالفلسفة وكتب فى علم النفس ، وفى الرواية ، وفى السينما ، وفى المقالات السياسية ، اعمالا رائعة

ولعل سارتر رفض جائزة نوبل ، لان الجائزة تعنى انه « وصل » ، وهو لا يحس بشيء من ذلك لان الوصول ، عنده ، معناه الوقوع ، والمجد عنده معناه الكسل

رئيس التحرير

على الغلاف الأخير



« طاحونة لاجليت »
لرينوار « ١٨٧٦ »
متحف اللوفر ــ باريس

